سلسلة الرسائل الجامعية
(٥)

القرآن الكريم

ومنزلته بين السلف ومخالفيهم

دراسة عقدية

تأليف
محمد هشام بن لعل محمد طاهري

تقديم
أ. د. محمد بن عبد الرحمن الخميس
أستاذ العقيدة بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض

المجلد الأول

دار التوحيد للنشر
الرياض

بسم الله الرحمن الرحيم

أصل هذا الكتاب رسالة علمية تقدم بها المؤلف لنيل درجة العالمية (الماجستير) بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة

ونوقشت الرسالة في ٢٨/٨/١٤٢٤هـ وأجيزت من لجنة المناقشة بتقدير ممتاز مع مرتبة الشرف الأولى

القرآن الكريم

ومنزلته بين السلف ومخالفيهم

دراسة عقدية

١

ⓒ دار التوحيد للنشر ، ١٤٢٥ هـ

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

الافغاني ، محمد هشام الطاهري

القرآن الكريم ومنزلته بين السلف ومخالفيهم : دراسة عقدية. /

محمد هشام الطاهري الافغاني - الرياض ، ١٤٢٥هـ

٢ مج - (سلسلة الرسائل الجامعية ؛ ٥)

ردمك : ٥- ٣- ٩٤٩٤- ٩٩٦٠ (مجموعة)

٣- ٤- ٩٤٩٤- ٩٩٦٠ (ج ١)

١- القرآن - مباحث عامة أ. العنوان ب. السلسلة

ديوي ٢٢٩ ١٤٢٥/٤٥٧١

رقم الإيداع : ١٤٢٥/٤٥٧١

ردمك : ٥- ٣- ٩٤٩٤- ٩٩٦٠ (مجموعة)

٣- ٤- ٩٤٩٤- ٩٩٦٠ (ج ١)

جميع الحقوق محفوظة للمؤلف

الطبعة الأولى

١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م

الناشر

دار التوحيد للنشر

المملكة العربية السعودية- الرياض - ص.ب ١٠٤٦٤ الرمز البريدي ١١٤٣٣

هاتف وناسوخ - ٤٢٨٠٤٠٤- ١ ٩٦٦ ٠٠

البريد الإلكتروني: E-mail:dar_attawheed.pub.sa@naseej.com

الصف والإخراج دار التوحيد للنشر هاتف وناسوخ - ٤٢٨٠٤٠٤-١ ٩٦٦ ٠٠

تقديم
أ.د. محمد بن عبد الرحمن الخميّس

إنّ الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلَّم تسليماً كثيراً.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ﴾[آل عمران:١٠٢].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا﴾ [النساء:١].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ۝٧٠ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا﴾[الأحزاب:٧٠، ٧١].

أما بعد: فمما لا شك فيه أن كل مسلم يؤمن بالله ربًا وبالإسلام دينًا وبمحمد ﷺ نبيًا ورسولاً، يؤمن ويعتقد أن القرآن كلام الله، وهو المنزل على نبينا محمد ﷺ؛ وأنه آخر الكتب السماوية، وخاتمها، وأفضلها، وأشملها، وهو الحاكم عليها، وهو الهدى والشفاء، والنور والضياء، يستضاء به في ظُلمات الجهالة وعماية الضلالة.

والقرآن مشتمل على الهداية التامة، وكل ما يحتاج إليه الخلق من أمور دينهم ودنياهم، من العلم بالله وأسماءه وصفاته وأفعاله، ومن العلم بالأحكام الشرعية والأحكام الجزئية، فبينت غاية البيان، لذا فهو منهج رباني، عظيم، محقق لسعادة

الإنسانية في الدنيا والآخرة، قال تعالى: ﴿يَـٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَـٰبِ قَدۡ جَآءَكُمۡ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمۡ كَثِيرٗا مِّمَّا كُنتُمۡ تُخۡفُونَ مِنَ ٱلۡكِتَـٰبِ وَيَعۡفُواْ عَن كَثِيرٖۚ قَدۡ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٞ وَكِتَـٰبٞ مُّبِينٞ ۝ يَهۡدِي بِهِ ٱللَّهُ مَنِ ٱتَّبَعَ رِضۡوَٰنَهُۥ سُبُلَ ٱلسَّلَـٰمِ وَيُخۡرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَـٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذۡنِهِۦ وَيَهۡدِيهِمۡ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ﴾[المائدة:١٥-١٦].

هذا وجهود علماء السلف في العناية بالقرآن الكريم جهود عظيمة وكبيرة إذ كل من اشتغل بعلم من العلوم الشرعية فهو معتن بالقرآن الكريم.

ولا زال أهل العلم حديثًا يعتنون بالقرآن الكريم كما كان عليه السلف، ويردون تحريف المنحرفين، وأنتحال المبطلين، وتأويلات الجاهلين، من أهل الأهواء والضلال.

ومن المؤلفات المفيدة في هذا الموضوع رسالة أخي في الله فضيلة الشيخ محمد هشام بن لعل محمد طاهري، التي هي بعنوان (القرآن الكريم ومنزلته بين السلف ومخالفيهم)، فهي رسالة قيمة في بابها، متميزة في موضوعها، بيّن الباحث ـ وفقه الله ـ عقيدة أهل السنة والجماعة في القرآن الكريم، وما هم عليه من التعظيم والتبجيل، والعلم به، والدعوة إليه، وبيّن ما عليه المخالفون لأهل السنة من أهل الباطل ممن نهج نهجًا فاسدًا، واعتقادًا باطلاً في كتاب الله، وما هم عليه من التحريف والتعطيل.

هذا والله أسأل أن يجزي المؤلف خير الجزاء، وأن يكتب له ثواب المنافحين عن كتاب الله، والذابين عن سنة رسول الله ﷺ وأهلها.

وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

كتبه:

أ.د. محمد بن عبد الرحمن الخميّس

أستاذ العقيدة بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض

المقدمة

إن الحمدَ لله نحمدُه، ونستعينُه، ونستغفرُه، ونعوذُ بالله من شرورِ أنفسِنا، ومن سيئاتِ أعمالِنا، من يهدِه اللهُ فلا مضلَّ له، ومن يضلِلْ فلا هاديَ له، وأشهدُ أن لا إله إلا الله وحدَه لا شريكَ له، وأشهدُ أن محمداً عبدُه ورسولُه[(١)]، صلى الله عليه، وعلى آله وصحبِه وسلمَ.

« أما بعد: فإن خيرَ الحديثِ كتابُ الله، وخيرَ الهُدى هُدى محمدٍ، وشرَّ الأمورِ محدثاتُها، وكلَّ بدعةٍ ضلالَة »[(٢)].

ثم أما بعد: فإن الله ﷻ خلقَ الخلقَ لعبادتِه وحدَه لا شريكَ له، كما قال ـ عزَّ شأنُه ـ: ﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾[الذاريات:٥٦]، وعبادتُه سبحانَه لا تكونُ إلاَّ وفقَ ما شرعَه، ولهذا أرسلَ: ﴿ رُّسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةٌۢ بَعْدَ ٱلرُّسُلِ ﴾[النساء:١٦٥]، وليبيّنوا لهم طريقَ العبادة، ويحذروهم سبيلَ الغواية، كما قال ربّ العزّة: ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ ﴾[النحل:٣٦]، فأوحى الله إلى أنبيائه ما أرادَه من عبادِه، من امتثالِ الأوامرِ، واجتنابِ النواهِي، وأنزلَ كتُبَه، ثم ختمَ الله ﷻ بمحمدٍ ﷺ الأنبياءَ فلا نبيَّ بعدَه، كما قال عنه: ﴿ مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ ﴾[الأحزاب:٤٠]، فجعلَ آيتَه الكتابَ الذي ﴿ لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ ۖ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴾[فصلت:٤٢]،

---

(١) وهذا جزء من خطبة الحاجة التي كان النبي ﷺ يفتتح بها خطبه. انظر: خطبة الحاجة للشيخ الألباني ص٣.

(٢) رواه مسلم، كتاب الجمعة، باب/ تخفيف الصلاة والخطبة، ح(٨٦٧) عن جابر ﷺ.

وجعلَه الله ناسخاً للكتبِ السابقة، حاوياً للأحكامِ اللّاحقة إلى قيام الساعة، وتحدّى الله بالقرآنِ العربَ والعجمَ؛ فعجزوا عن الإتيانِ بسورةٍ من مثلِه، فكان آيةً خالدة، من تمسكَ بِهِ اهتدى، ومن عمِلَ به نجا، ومَن عالج به شَفَى، وهكذا كان دأبُ السلفِ ومن بِـهِم اقتفَى، فرفعهم الله في الدنيا والأخرَى.

وكان اهتمامُ السلفِ بالقرآنِ الكريمِ فوقَ أيِّ اهتمام، وعنايتُهم به وبعلومِه فوقَ المرام، حتّى كانوا به محاجين، وبدعوته داعين، وبأوامره مؤتمرين، وعن نواهيه منـزجرين.

ثم نشأَ بعدَهم خَلُوف أعرضوا عن الكتاب؛ فهم مختلفون في الكتاب، مخالفون للكتاب، مجمعون على مفارقة الكتاب، يقولون على الله، وفي الله، وفي كتاب الله بغير علم، ويتكلمون بالمتشابه من الكلام، ويخدعون جهال الناس بما يشبّهونهُ عليهم، وبما يُظْهِرونَهُ من التعظيم للقرآن، وهم في الحقيقةِ لا يقيمونَ له وزنًا، ولا يقطعون به في مسألَة، بل القطعيُّ عندَهم ما حكمَ به العقلُ مما سمُّوهُ براهينَ وهي سراب، يتحير منها أولوا الألباب، وهانت منـزلتُه عندَهم حتى عامَلُوه معاملة المرتاب؛ فهذا يدَّعِي أنه صعبٌ مغلق دونَه الأبواب، وآخرُ يدعي فيه التحريفَ والجواب، وثالثٌ يدعي فيه النقصَ والعتابَ، ورابعٌ يقول بنسخه بكتاب، وهكذا اختلفت فيه أقوالُ الأحزاب.

لكن جعلَ الله في كلِّ زمانٍ بقايا من أهلِ العلمِ، يُحْيُونَ بكتابِ الله الموتَى، ويَنْفُونَ عنه تحريفَ الغالين، وانتحالَ المبطلين، وتأويلَ الجاهلين، وقد تكفلَ الله بحفظِه وهو العزيز الوهاب، كما قال ﷻ: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَـٰفِظُونَ ﴾ [الحجر:٩]، وهذا معتقدُ المسلمِ الحقِّ، فيعرفُ للقرآنِ قدرَه، ويُنـزِلُه منـزلَتَه، ويَعلمُ أن الله سبحانَه أحسنُ حديثًا، وأصدقُ قيلاً، فلا ينبغي العدولُ عن كلامِه، ولا التحريفُ في آياتِه.

ولا زالَ أهلُ العلمِ قديماً وحديثًا يُبَيِّنُونَ الحقَّ في كتابِ الله ﷻ، ويُبْطِلُون ما يَقولُه أهلُ الزيغِ والضلالِ، فمِنهم مَن ضَمَّنَ ذلك في مؤلَّفٍ يَذْكُرُ فيه أهمِّيَةَ القرآنِ الكريمِ ـ في أبوابِ الدينِ ـ، فيُبَيِّنُ الأحكامَ المتعلقةَ به.

ومن كان له اليدُ الطولَى، وقدمُ السبقِ في هذا المضمارِ: الجامعاتُ الإسلاميةُ بالمملكةِ العربيةِ السعوديةِ بشتىَّ أقسامِها العِلميةِ (العقيدةِ، والتفسيرِ، والحديثِ، والفقهِ، واللغةِ..) حيثُ عُنِيَتْ رسائلُ عدةٌ بالقرآنِ الكريمِ، كلٌّ من جانبِ تخصُّصِهِ، فهذا من ناحيةِ اهْتمامِ القرآنِ بالتوحيدِ، وآخرُ في كيفيةِ تفسيرِه، وذلك في الأحكامِ الفقهيةِ المتعلقةِ به... الخ.

ويسرَّ الله ﷻ أن أطلعَ على فهارسِ الرسائلِ الجامعية، ولم أَجِدْ رسالةً علميةً عنِيَتْ بِبَيانِ مسائلِ العقيدَةِ المتعلقةِ بالقرآنِ الكريمِ نفسِه، وبيانِ منـزِلَتِه، فاستخرتُ الله ﷻ، واستشرتُ أساتِذَتِي، وشُيوخِي الأفاضلَ في الكتابةِ في هذا الموضوعِ، فشرحَ الله صدرِي، ثم ازدادَ شوقِي لِمَا رأيتُ من التَّشجيع من مشايخي الكرام ـ في هذا الـمَيْدان ـ في أطروحتي العلمية المقدمة لنيل درجة العالمية (الماجستير)، وجعلت موضوع البحث بعنوان:

(القرآنُ الكريمُ ومنـزلَتُهُ بينَ السلفِ ومخالِفيهِم)

أهميةُ الموضوعِ وأسبابُ اختيارِه:

١. ترجعُ أهمية الموضوعِ إلى المباحثِ المتناولةِ فيه؛ فإنها في أصل ما يُبنى عليه الدينُ، وهو القرآنُ الكريمُ، الذي هو كلامُ الله ﷻ غير مخلوق، بل صفة من صفاته، وكيف ينبغي أن يُتعامل معه، ويُعظَّم، ولا شك أن التهاون في هذا يؤدي إلى مثل ما وقع فيه المسلمون من نزاع وتفرّقٍ يجب تركهما، ومعرفة كيفية التعامل معه وتعظيمه لا تحقّق إلا بالرجوع إلى الأصل الأصيل، والحبل المتين، وهو الوحي المبين. وبما أن للقرآن منـزلةً في قلب كل مسلم فالواجب إظهارُ ما عليه أهلُ الباطل من تفريطٍ في كتاب الله ﷻ حتى يُهجروا ويُتركوا، وتَوضيحُ ما عليه السلفُ وأتباعُهم من التعظيم والتبجيل حقا وصدقا حتى يُتَّبعوا، ولذلك يكون عرضي الموضوعَ أشبهَ ما يكون بعرض ما عليه السلف، وما عليه الخلف، حتى يرى المنصف بالميزان، ويعرفَ الذهب من النحاس؛ فيعرفَ الحق

ويَتبعَه، ويُبغضَ الباطل ويَجتنبَه.

٢. قال شيخ الإسلام ابن تيمية ﷺ: «إن مسألة القرآن وقع فيها بين السلف والخلف من الاضطراب ما لم يقع نظيره في العلو»[(١)]، وقال: «الناس كثر نزاعهم فيها، حتى قيل: مسألة الكلام حيرت عقول الأنام»[(٢)]، وقال ابن الوزير اليماني ﷺ في بيان خلاف الفرق: «ومن ذلك خبط كثير من الناس في مسألة القرآن»[(٣)]، وبُحثت مسألة العلو من جهات عدة، وأما مسائل القرآن الكريم فلم تبحث، فوقع هذا الكلام من هؤلاء الأعلام في نفسي، فجمعت المسائل العقدية المتعلقة بالقرآن فوجدتها جديرةً بالبحث والكتابة، وعلى الله التكلان.

٣. إنّ بيان منـزلة القرآن الكريم، والرد على أهل الأهواء من الجهاد في سبيل الله الذي ينبغي على المرء الاحتساب فيه، وصح في الحديث: [**ومن جاهدهم بلسانه فهو مؤمن**][(٤)]، وإني لأرجو بهذا أن أكون من المنافحين عن كتاب الله ﷻ، والذابين عنه، على قلة البضاعة، والله المستعان.

٤. بيان ما عليه أهل الباطل من العقيدة الزائفة في كتاب الله ﷻ من تحريف، وتعطيل، وتهوين، والرد عليهم من أقوال أهل العلم الراسخين، وبيان عوارهم، وإظهار شنيع أقوالهم.

٥. إنّي لم أجد مادة هذا الموضوع مجموعة في مؤلف مستقل، وهي جديرة بالعناية لما لمتعلقه من الشرف، ومعلوم أن شرف العلم بشرف معلومه، ولما فيها من أمور يترتب عليها أحكام من الإيمان والكفرِ، والتفسيق والتبديع؛ فإذا جمعت في مكان واحد كان أظهر للحق، وأجلى للباطل.

---

(١) التسعينية ١/ ٢٣٠، وانظر: المجموع ١٢/ ٦، ١١٥.

(٢) المجموع ١٢/ ١١٣.

(٣) إيثار الحق ص ١١٨.

(٤) جزء من حديث أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الإيمان، باب/ كون النهي عن المنكر من الإيمان... (ح٨٠) من رواية ابن مسعود ﷺ.

٦. إنّ بيان ما عليه أهل السنة من الاتفاق في عقيدتهم في القرآن الكريم، وما عليه من الاختلاف الكبير أهل الأهواء والبدع يُظهِر محاسن أهل السنة، ومساوئ أهل البدعة.

٧. إنّ هذا الموضوع يتطلب مني الرجوع إلى كتب كثيرة، وهذا سيزيد في تحصيلي العلمي إن شاء الله ﷻ.

خطة البحث:

قسمت البحث إلى مقدمة، وتمهيد، وأربعة أبواب، وخاتمة.

المقدمة، وتشمل ما يأتي:-

١. الافتتاحية.

٢. أهمية الموضوع.

٣. أسباب اختياره.

٤. خطة البحث.

٥. منهج البحث.

التمهيد: ويشتمل على مطالب:

المطلب الأول: تعريف (القرآن) لغة، واصطلاحا، والفرق بينه وبين الحديث القدسي.

المطلب الثاني: المقصود بـ (المنـزلة) لغة، واصطلاحا.

المطلب الثالث: تعريف (السلف) لغة، واصطلاحا.

المطلب الرابع: تعريف المخالفين لأهل السنة، وأقسامهم.

الباب الأول: حقيقة القرآن الكريم في نظر السلف، وفيه خمسة فصول:

الفصل الأول: القرآن الكريم كلام الله ﷻ غير مخلوق، وفيه مبحثان:

المبحث الأول: إثبات أن القرآن كلام الله تعالى، وفيه مطالب:

المطلب الأول: الدليل على أن القرآن كلام الله تعالى.

المطلب الثاني: القرآن الكريم من الله بدأ وإليه يعود.

المطلب الثالث: تكلم الله بالقرآن وتعلقه بالمشيئة، وفيه مسائل:
المسألة الأولى: تعلق هذه الصفة بالذات.
المسألة الثانية: تعلق هذه الصفة بالمشيئة.
المسألة الثالثة: نفي التشبيه في الصفة.
المبحث الثاني: مسألة اللفظ بالقرآن، وفيه مطلبان:
المطلب الأول: بيان اللفظ والملفوظ.
المطلب الثاني: موقف السلف من مسألة اللفظ.
الفصل الثاني: **بيان أن القرآن الكريم منـزل على محمد ﷺ وفيه ثلاثة مباحث:**
المبحث الأول: وجوب الإيمان بنـزول القرآن الكريم على نبينا محمد ﷺ.
المبحث الثاني: نـزول القرآن الكريم، وفيه مطلبان:
المطلب الأول: سماع جبريل عليه السلام القرآن.
المطلب الثاني: كيفية نـزول القرآن.
المبحث الثالث: معنى إنزال الله القرآن عند السلف.
الفصل الثالث: **بيان أن القرآن الكريم متعبد به، وفيه مبحثان:**
المبحث الأول: معنى التعبد بالقرآن الكريم، وفيه مطلبان:
المطلب الأول: في تعريف التعبد لغة واصطلاحا.
المطلب الثاني: الأدلة على كون القرآن متعبدا به.
المبحث الثاني: صور التعبد بالقرآن الكريم، وفيه ثلاثة مطالب:
المطلب الأول: التعبد بقراءته، وتدبره.
المطلب الثاني: التعبد بالعمل به، والتحاكم إليه.
المطلب الثالث: التعبد بالتداوي به، ودفع الضر به.
الفصل الرابع: **بيان أن القرآن الكريم هو الموجود في المصحف، وفيه أربعة مباحث:**
المبحث الأول: بيان المراد بالمصحف، وفيه مطالب:
المطلب الأول: تعريف المصحف لغة، واصطلاحا.

المطلب الثاني: ذكر أسماء المصحف.

المطلب الثالث: الدليل على أن ما في المصحف هو القرآن.

المبحث الثاني: ما يخالف المصحف هل يقال عنه قرآن؟، وفيه مطالب:

المطلب الأول: بيان المراد بقوله تعالى: ﴿وَإِنَّهُۥ لَفِى زُبُرِ ٱلْأَوَّلِينَ﴾[الشعراء:١٩٦].

المطلب الثاني: ما يروى من الأحرف هل يقال عنه قرآن؟

المطلب الثالث: حكم القراءة بما يخالف المصحف.

المطلب الرابع: الحلف بالمصحف.

المبحث الثالث: بيان منـزلة الترجمة والتفسير من القرآن الكريم، وفيه مطلبان:

المطلب الأول: هل الترجمة اللفظية من القرآن؟

المطلب الثاني: هل يقال إن التفسير من القرآن؟

المبحث الرابع: وجوب تعظيم المصحف، وفيه مطلبان:

المطلب الأول: الدليل على وجوب تعظيمه.

المطلب الثاني: حكم الدخول بالمصحف في الأماكن النجسة.

الفصل الخامس: بيان أن القرآن آية لنبينا محمد ﷺ، وفيه مبحثان:

المبحث الأول: تعريف الآية، وكون القرآن معجزا، وفيه مطالب:

المطلب الأول: تعريف الآية لغة، واصطلاحا، واطلاقاتها القرآنية.

المطلب الثاني: الدليل على كون القرآن آية.

المطلب الثالث: الدليل على كون القرآن معجز.

المبحث الثاني: أوجه الإعجاز في القرآن الكريم، وفيه مطالب:

المطلب الأول: كون القرآن معجزا لفظا وتركيبا.

المطلب الثاني: كون القرآن معجزا بلاغة وبيانا.

المطلب الثالث: كون القرآن معجزا علما وتشريعا.

الباب الثاني: حقيقة القرآن الكريم في نظر المخالفين، والرد عليهم، وفيه أربعة فصول:

الفصل الأول: اختلافهم في تعريف القرآن الكريم، وفيه مباحث:

المبحث الأول: القول بالفيض.

المبحث الثاني: القول بالحلول.

المبحث الثالث: القول بخلق القرآن.

المبحث الرابع: القول بأن القرآن عبارة، أو حكاية عن كلام الله.

المبحث الخامس: القول بأزلية القرآن.

المبحث السادس: القول بأن الله تكلم بعد أن لم يكن متكلما، ومن ذلك تكلمه بالقرآن.

المبحث السابع: القول بالتوقف في القرآن الكريم.

المبحث الثامن: ابتداع مسألة اللفظ بالقرآن.

الفصل الثاني: قول المخالفين في نزول القرآن على نبينا محمد ﷺ، وفيه مبحثان:

المبحث الأول: في نزول القرآن الكريم، وفيه مطلبان:

المطلب الأول: نفيهم سماع جبريل القرآن من رب العزة.

المطلب الثاني: معنى نزول القرآن الكريم عند المخالفين، وشبههم.

المبحث الثاني: قول بعض الرافضة في نزول القرآن.

الفصل الثالث: قول المخالفين في التعبد بالقرآن الكريم، وفيه مبحثان:

المبحث الأول: التعبد بمجرد القراءة.

المبحث الثاني: التعبد بالتبرك به.

الفصل الرابع: قول المخالفين في كون القرآن آية لنبينا محمد ﷺ، وفيه مبحثان:

المبحث الأول: قول المعتزلة بأن العرب صُرفوا عن الإتيان بمثله.

المبحث الثاني: صور الإعجاز عند المخالفين.

الباب الثالث: منزلة القرآن الكريم عند السلف، وفيه ثلاثة فصول:

الفصل الأول: بيان فضل القرآن الكريم، ووجوب تعظيمه، وفيه مبحثان:

المبحث الأول: فضل القرآن الكريم، وفيه مطالب:

المطلب الأول: الأدلة في بيان فضل القرآن.

المطلب الثاني: مفاضلة القرآن بعضه على بعض.

المطلب الثالث: حكم تفضيل غير القرآن على القرآن.

المبحث الثاني: تعظيم القرآن الكريم، وفيه مطالب:

المطلب الأول: الدليل على وجوب تعظيم القرآن الكريم.

المطلب الثاني: حكم الاستهزاء بالقرآن، والحط منه.

المطلب الثالث: حكم التبرك بالقرآن.

المطلب الرابع: خصائص القرآن.

الفصل الثاني: طريقة السلف في فهم القرآن، والاحتجاج به، وفيه مبحثان:

المبحث الأول: طريقة أهل السنة في فهمه، وفيه مطالب.

المطلب الأول: الاستغناء بالوحي.

المطلب الثاني: تلازم القرآن والسنة.

المطلب الثالث: حمل القرآن على الحقيقة.

المطلب الرابع: حمل القرآن على الظاهر.

المطلب الخامس: الاستعانة بفهم السلف الصالح في فهم القرآن.

المبحث الثاني: حجية القرآن عند السلف، وفيه مطالب:

المطلب الأول: الأدلة على حجية القرآن في العقائد.

المطلب الثاني: كونه مصدر التشريع.

المطلب الثالث: نسخ القرآن للكتب السابقة.

المطلب الرابع: وجوب اعتقاد أن القرآن لا يُنسخ بعد انقطاع الوحي.

الفصل الثالث: جهود السلف في حفظ القرآن، وفيه مبحثان:

المبحث الأول: عناية السلف بالقرآن، وفيه مطالب:

المطلب الأول: حفظ القرآن في الصدور.

المطلب الثاني: كتابة القرآن الكريم.

المطلب الثالث: اهتمام السلف بعلوم القرآن.

المطلب الرابع: اهتمام أهل السنة بالقرآن في العصر الحديث.

المبحث الثاني: نهي السلف عن المراء، والتكلف في القرآن الكريم.

الباب الرابع: منـزلة القرآن الكريم عند المخالفين للسلف، وفيه ستة فصول:

الفصل الأول: منـزلته عند الفلاسفة، وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: التعريف بهم وبيان أقسامهم.

المبحث الثاني: عدم تعظيمهم للقرآن.

المبحث الثالث: عدم رجوعهم إلى القرآن، والصدور عنه في العقائد، والرد عليهم.

الفصل الثاني: منزلة القرآن عند الصوفية (القائلين بأن للقرآن ظاهرا وباطنا)، وفيه خمسة مباحث:

المبحث الأول: التعريف بمن سلك هذا المسلك.

المبحث الثاني: أقوالهم في الظاهر والباطن.

المبحث الثالث: استخفافهم بظاهر القرآن، والرد عليهم.

المبحث الرابع: عدم تعظيمهم للقرآن.

المبحث الخامس: عدم اعتمادهم علي القرآن في باب العقائد.

الفصل الثالث: منـزلة القرآن عند الرافضة، وفيه مباحث:

المبحث الأول: التعريف بهم.

المبحث الثاني: عقيدتهم في القرآن الكريم.

المبحث الثالث: عدم تعظيمهم للقرآن الكريم.

المبحث الرابع: عدم اعتمادهم عليه في العقائد.

الفصل الرابع: منـزلة القرآن عند الباطنية، وفيه مباحث:

المبحث الأول: التعريف بهم.

المبحث الثاني: اعتقادهم عدم انقطاع الوحي.

المبحث الثالث: اعتقادهم في القرآن، وفيه مطالب:

المطلب الأول: أنه منسوخ، ولا يعمل به.

المطلب الثاني: أنه إلى العرب خاصة.

المطلب الثالث: تحريفهم النصوص.

المبحث الرابع: استهانتهم بالقرآن، وفيه مطالب:

المطلب الأول: استخفافهم بالقرآن.

المطلب الثاني: عدم الاعتماد عليه.

المطلب الثالث: تفضيل غير القرآن على القرآن.

المطلب الرابع: حفظهم لكتبهم المزعومة.

الفصل الخامس: منـزلة القرآن عند أهل الكلام، وفيه مباحث:

المبحث الأول: التعريف بأهل الكلام.

المبحث الثاني: عدم تعظيمهم للقرآن.

المبحث الثالث: جعلهم القرآن فرعا في باب العقائد، والرد عليهم.

المبحث الرابع: بيان عدم حفظهم للقرآن.

الفصل السادس: منـزلة القرآن الكريم عند بعض المعاصرين (العقلانيين، ومنكري السنة "القرآنيين")، وفيه مبحثان:

المبحث الأول: العقلانيون، وفيه مطلبان:

المطلب الأول: التعريف بالعقلانيين لغة، واصطلاحا.

المطلب الثاني: منـزلة القرآن الكريم عند العقلانيين.

المبحث الثاني: منكرو السنة "القرآنيّون"، وفيه مطلبان:

المطلب الأول: التعريف بهم.

المطلب الثاني: منـزلة القرآن الكريم عند منكري السنة "القرآنيين".

الخاتمة: وأذكر فيها أهم النتائج التي أتوصل إليها في البحث.

منهجي في البحث:

بعد الجمع الأولي للمادة رأيت أن أسير في بحثي هذا على المنهج التالي:-

١) أنقل الأقوال من مصادرها الأصلية ـ إن وجدت ـ، فقول أهل السنة من كتب أهل السنة، وأقوال المخالفين من كتبهم.

٢) أضع الكلام المنقول بنصه بين علامتي تنصيص، وإذا تصرفت في النص أقول بتصرف، وإن نقلته بمعناه فأقول في الهامش: انظر.

٣) كتابة الآيات القرآنية بالرسم العثماني، وأذكر في الحاشية اسم السورة ورقم الآية.

٤) إذا كان الحديث في الصحيحين، أو في أحدهما اكتفيت بذلك، وقد أضيف مصدرا آخر للفائدة، وإن كان في غيرهما فأخرجه من مظانه ـ دون استقصاء ـ ثم أورد كلام أهل العلم ـ قديما وحديثا ـ في الحكم عليه.

٥) أعزو الحديث بذكر الكتاب، فالباب، فالرقم، وذلك في الكتب التي التزمت ذلك، وإلا فحسب ما وقفت عليه من الجزء والصفحة.

٦) أحيل الآثار إلى مصادرها من غير حكم عليها، إلا إذا ترتب على الأثر حكم مستقل فإني أذكر أقوال العلماء عليها حينئذٍ.

٧) أقوم بشرح ما تقتضي الحاجة إلى شرحه من الألفاظ الغريبة.

٨) أعرف بالفرق الواردة ذكرهم في صلب البحث في أول موضع الورود، إلا إذا كان لها مبحث مستقل في البحث، فإني أعرف بها هناك.

٩) أترجم للأعلام ـ غير المشاهير ـ الوارد ذكرهم في صلب الموضوع.

١٠) إذا قلت: "شيخ الإسلام" فالمراد به العلم الهمام/ أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام ابن تيمية، وإذا قلت "الحافظ" فالمراد به: المحدث النحرير/ أحمد بن علي ابن حجر العسقلاني، وإذا قلت: "المجموع" فمرادي به مجموع الفتاوى لشيخ

الإسلام ابن تيمية ـ رحمهم الله ـ، وإذا قلت: السير؛ فمرادي به كتاب: سير أعلام النبلاء للحافظ الذهبي رحمه الله.

١١) إذا ذكرت آية وتفسيرها فإنما أختصر على الوجه الشاهد من التفسير من دون استقصاء الأقوال في الآية، ولا بيان الراجح من المرجوح، إلا إذا كان متعلقا بالبحث أصالة لا تبعا.

١٢) أذيل البحث بأهم الفهارس(١)، وهي كالتالي:-

أولا: فهرس المصادر و المراجع.

ثانيا: فهرس الموضوعات.

وختاما: فإني لا إخالني قد استوعبت جميع ما قيل، لكن حسبي أني بذلت جهدي، فيما تيسر لدي من الكتب، وحرصت على وضع خطة الموضوع علميا بما يُنَاسِبُ قدرَهُ، ويحيط بأهم وأغلب أجزائه، وأفراده، وبذلت ما في وسعي لإخراجه بأحلى زي، وبأجمل عبارات من غير عي، فإن أصبت فمن الله تعالى وله الفضل والنعمة والمنة، ﴿ وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ ﴾[النحل:٥٣].

وبما أن العبد فيه زلل وخطأ فإني أتمنى من مشايخي أصحاب الفضيلة الأساتذة والدكاترة مراعاة ما يبدو لهم من نقص أو قصور، والمؤمل من كل ناظر: أن يدلني على خطئي، فالدين النصيحة، وإني لأستغفر الله من كل ما بدا من الأخطاء، وأسأل المولى عز وجل أن يغفر لي ما كان في الابتداء والانتهاء.

---

(١)في الأصل كان البحث متضمنا لسبعة فهارس، ولكن اختصارًا للقراء أوردنا فهرسين منها فقط.

كلمة شكر وتقدير:

أحمد الله ﷻ الذي حباني الصحة والفراغ، حتى استطعت إتمام هذه الرسالة فله الحمد أولا وآخرا، وظاهرا وباطنا.

ثم من منطلق قول النبي ﷺ: [**لا يشكر الله من لا يشكر الناس**][(1)]؛ فإني أتقدم بالشكر لهذه الجامعة المباركة ـ هدية المملكة العربية السعودية لأبناء العالم الإسلامي ـ على اهتمامها بالمنهج السلفي، وتربية الأجيال المسلمة على ذلك، وفتح أبوابها لأبناء المسلمين، لينهلوا منها المنهل العذب المورود.

وأشكر كلية الشريعة التي تخرجت منها لكونهم نعم الموجهين، ثم أشكر ـ على وجه الخصوص ـ كلية الدعوة وأصول الدين، وقسم العقيدة على وجه أخص، على ما يولونه من عناية واهتمام بأبنائهم، سائلا المولى ﷻ أن يجعل ذلك في موازين حسناتهم، وأن يجزيهم خير الجزاء.

وكما شكرت من له يد علي؛ فإني لا إخالني أستطيع أن أؤدي الواجب الذي علي في حق شيخي، وأستاذي، وموجهي فضيلة الشيخ الأستاذ الدكتور/ أحمد بن عطية الغامدي، تغمده الله ﷻ بعنايته ورعايته وحفظه، لما أحاطني به من رعايته، وتوجيهاته، طيلة أربع سنوات، وذلك منذ أن كان أستاذا لنا في السنة المنهجية، وخلال إشرافه ـ وفقه الله ـ على هذه الرسالة التي هي نتاج علمي لإرشاداته الرشيدة، وتوجيهاته السديدة، علاوة على ما استفدت من كونه مؤدبا، وصابرا، وجادا، وكنت إذ كسلت شجعني بفعاله، وإذ مللت أنبني بحسن تعليماته، وأقول:

---

(١) رواه ابن حبان في صحيحه كما في الإحسان، كتاب الزكاة، باب/ ذكر ما يجب على المرء من الشكر لأخيه...، ح(٣٣٩٨)، واللفظ له، والترمذي في سننه، أبواب البر والصلة، باب/ ما جاء في الشكر لمن أحسن إليك، ح(٢٠٢٠)، كلاهما عن أبي هريرة ﷺ، وقال الترمذي: «هذا حديث صحيح»، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة ١/ ١٥٨.

جزاه الله خير ما جازى شيخا عن طلبته، وبارك له في نفسه ووقته وذريته، وأثابه عني خير وأحسن الثواب في الحال والمآب، وأن يجعل ذلك في ميزان حسناته يوم نلقى الوهاب.

وأشكر شيخي الفاضلين المناقشين، الشيخ الدكتور/ شايع الأسمري، الأستاذ بقسم التفسير في الجامعة الإسلامية، والشيخ الدكتور/ صالح العقيل، الأستاذ بقسم العقيدة بالجامعة الإسلامية، على ما بذلا من جهد وعناء في قراءة هذه الرسالة وملاحظاتها القيمة، حفظهما الله ورعاهما، وأشاع بهما محاسن الرسالة، وأصلح الله بهما معاطنها، وبارك في جهودهما.

كما أشكر كل من أولاني بنصحه وإرشاداته، وعلى رأسهم شيخي وأستاذي الدكتور/ صالح بن سعد السحيمي، وشيخي وأستاذي الدكتور/ إبراهيم بن عامر الرحيلي، وجميع أساتذتي ومشايخي، وأن يجزيهم عني خير الجزاء.

وأشكر أخي وشقيقي/ أبا عمر عتيق الله، على ما قام به من رعاية لوالدتي وإخواني بعد وفاة والدي الذي كان له الأثر الكبير في تنشأتي وتوجيهي العلمي، فأسأل الله أن يغفر له، وأن يبارك في ذريته، وأن يرحم والدينا وجميع أموات المسلمين.

وأشكر جميع إخواني وعلى وجه الخصوص منهم: أخي شيبان بن شيبان الهاجري، ومحمود بن عبد الله الهزاع لما كان يولونني من اهتمام ورعاية، وتشجيع؛ فالله أسأل أن يوفقهم لما يحبه ويرضاه.

وأكرر الشكر لأهلي وأولادي الذين ما فتئوا يولونني العناية، ويوفرون لي الجو المناسب للتأليف والمدارسة، ويعينوني على الكتابة.

وأسأل الله العظيم، رب العرش الكريم، المتكلم بالقرآن الكريم، الموصوف بالجلال والتعظيم أن يجعل عملي هذا خالصا لوجهه الكريم، ومقربا إلى الرحمن

الرحيم، وأسأله ﷻ أن يعلمني ما ينفعني في الدنيا والعقبى، علما نافعا، وأن يجعل عملي مباركا متقبلا، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على خاتم النبيين والمرسلين، وعلى آله وصحبه أجمعين، والحمد لله رب العالمين.

كتبه

محمد هشام طاهري

أبو صلاح الأفغاني

يوم ١/ ٤ / ١٤٢٤هـ

التمهيد

ويشتمل على مطالب:

المطلب الأول: تعريف (القرآن) لغة واصطلاحا؛ والفرق بينه وبين الحديث القدسي.

إن معرفة الشيء أولا قبل الكلام عليه معين على تصور المسألة، وهذا يدل على أهمية التعريفات، والتمهيدات، وحتى يكون القارئ على بينة من أمره؛ فإني أذكر المراد بعنوان البحث، وهو مشتمل على أربعة عناصر مهمة، وهي: القرآن، المنـزلة، السلف، المخالفين.

أولا: معنى "القرآن" لغة:

إن معرفة المعاني اللغوية مهمة جدا، إذ القرآن نزل بلغة العرب، وخاطبهم بما هم يعرفون به الأشياء، وما يتخاطبون به، ومن هنا فإن معرفة الشيء من حيث معناه اللغوي معين على معرفة ما يراد به اصطلاحا بعد ذلك، ـ لأن المعاني الاصطلاحية: سواء كان اصطلاحا شرعيا، أو اصطلاحا عرفيا، أو اصطلاحا علميا ـ يراعى فيها المعنى اللغوي، وإلا فإنه لا يكون صحيحا.

ومن هذا الباب فإني أعرف بالمعنى اللغوي لكلمة "القرآن" أولا:

"**القرآن**" مصدر، واختلف فيه؛ فقيل:

١. "**القرآن**": اسم عَلَمِي لكتاب الله تعالى، وهو غير مشتق، وهذا قول ضعيف[(١)]، وذلك لأن الأسماء الجوامد لا معاني لها، وهذا نقص في حق القرآن، ثم أيضا: هو قياس على التوراة والإنجيل، والتوراة والإنجيل اسمان لهما معانٍ، وليستا جامدتين.

---

(١) انظر: لسان العرب لابن منظور ١١/ ٧٨، الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ٢/ ٢٠٠.

٢. إنّ "القرآن" مصدر مشتق، قال الراغب: «والقرآن في الأصل مصدر، نحو: كفران ورجحان»[١]، واختلف في اشتقاقه على قولين:-

أ. أنه مشتق من القراءة، مصدر قرأ يقرأ قراءة، وقرآنا[٢] يدل له قول ابن عباس رضي الله عنه: «في قوله تعالى: ﴿ فَإِذَا قَرَأْنَهُ ﴾، يقول: بيناه، ﴿ فَٱتَّبِعْ قُرْءَانَهُ ﴾[القيامة:١٨] يقول: اعمل به»[٣]، قال ابن جرير رحمه الله: «والواجب أن يكون تأويله على قول[٤] ابن عباس رضي الله عنه: من التلاوة والقراءة، وأن يكون مصدرا من قول القائل: قرأت، كقولك: الخسران، من خسرت، والغفران من غفر الله لك، والكفران من كفرتك، والفرقان من فرق الله بين الحق والباطل... ومعنى قول ابن عباس هذا: فإذا بيناه بالقراءة، فاعمل بما بيناه لك بالقراءة...، فقد صرح أن معنى "القرآن" عنده القراءة؛ فإنه مصدر من قول القائل: قرأت، على ما بيناه»[٥]، وعلى هذا فقول ابن عباس رضي الله عنه يدل على أن القرآن اسم للمتلو من كلام الله عز وجل خاصة؛ فيخرج كلامه عز وجل غير المتلو، من الأحاديث القدسية، ونحوها.

ب. أن القرآن مصدر من القراءة، أو القرء، وهو الجمع، وأطلق والمقصود به المتلو المجموع[٦]، يدل له قول قتادة رحمه الله: «في قوله تعالى: ﴿ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُۥ وَقُرْءَانَهُۥ ﴾[القيامة:١٧] يقول: حِفظه وتأليفه»[٧]، ويدل له قوله عز وجل: ﴿ وَإِذَا قُرِئَ ٱلْقُرْءَانُ فَٱسْتَمِعُوا۟ لَهُۥ وَأَنصِتُوا۟ ﴾[الأعراف:٢٠٤]، وقوله: ﴿ إِنَّ هَـٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ ﴾[الإسراء:٩]، وقوله: ﴿ لَوْ أَنزَلْنَا هَـٰذَا ٱلْقُرْءَانَ عَلَىٰ جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُۥ خَـٰشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ

(١) المفردات للراغب الأصبهاني ص ٤٠٠.

(٢) انظر: الإرشاد للجويني ص١٢٣، الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ١/ ١٢، ٢/ ١٩٩، المجموع ١٢/ ٥٦٢، ١٧/ ٣٦، إرشاد الفحول ص٦٣.

(٣) رواه البخاري: كتاب التفسير، سورة القيامة، باب/ ٢، ورواه ابن جرير في تفسيره ١/ ٦٧.

(٤) وسيأتي قول ابن عباس رضي الله عنه، وتخريجه ص ١٦٥.

(٥) جامع البيان في تفسير القرآن للطبري ١/ ٦٧ ـ ٦٨.

(٦) انظر: مقاييس اللغة لابن فارس ص ٨٨٤، الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ٢/ ٢٠٠، الفواكه الدواني ١/ ٥٦.

(٧) رواه ابن جرير في تفسيره ١/ ٦٨.

خَشْيَةِ ٱللَّهِ ﴾ [الحشر:٢١] وغير ذلك من الآيات كثير، **ويكون القرآن مصدرا من القرء بمعنى الجمع**، قال ابن جرير ﷺ: « وعلى قول قتادة: فإن الواجب أن يكون مصدرا، من قول القائل: قرأت الشيء إذا جمعته، وضممت بعضه إلى بعض، فرأي قتادة أن تأويل "القرآن" التأليف »(١)، **فالقرآن سمي (قرآنا)**؛ لأنه يجمع السور؛ فيضمها إلى بعضها، وقيل: لكونه جامعا لثمرة الكتب المنزلة كلها، وقيل: لكونه جامعا العلوم كلها(٢).

ولا ريب أنه لا منافاة بين هذه المعاني؛ فإن القرآن مضمومة آياته بعضها إلى بعض، ومضمومة سوره بعضها إلى بعض، وفيه ثمرات الكتب المنزلة، وجمع العلوم المختلفة، وهو متلو بالألسنة(٣).

و"القرآن" مصدر، والمصدر يطلق ويراد به الفعل، ويطلق ويراد به المفعول(٤)؛ فإن كان القرآن مصدرا من القراءة التي هي بمعنى التلاوة؛ فالمقصود أنه متلو مقروء، وإن كان القرآن مصدرا من القراءة، والقرء، وهو الجمع؛ فالمقصود أنه مجموع مضموم بعضه إلى بعض، وأنه لا اختلاف بينه.

وقيل: القرآن مصدر بمعنى اسم الفاعل: لأنه هو الجامع للسور والآيات(٥).

فيطلق القرآن على التلاوة التي هي فعل العبد، فـ « القرآن قد يراد به المصدر، وقد يراد به الكلام المقروء »(٦)، **وأكثر الآيات** التي ورد فيها ذكر "القرآن" فالمراد به العَلَمِيّة، التي هي بمعنى المقروء المتلو، وجاز أن يسمى "القرآن" بمعنى القراءة ـ مع أنه مقروء ـ، كالمكتوب يسمى كتابا(٧).

---

(١) جامع البيان في تفسير القرآن للطبري ١/ ٦٧ ـ ٦٨.

(٢) انظر: المفردات للراغب الأصبهاني ص ٤٠٠.

(٣) انظر: لسان العرب لابن منظور ١١/ ٧٨.

(٤) وهذه من لغة العرب، معروف مكتوب، فيقولون للمشروب شراب، وكتسميتهم للمعلوم علما، وهكذا. انظر: الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ٢/ ٢٠٠.

(٥) انظر: شرح أبو المنتهي على الفقه الأكبر ص١٩.

(٦) المجموع ١٢/ ١٩٨.

(٧) انظر: جامع البيان في تفسير القرآن للطبري ١/ ٦٩.

وأما إطلاق القرآن والمقصود المصدر الذي هو الفعل نفسه، من القراءة والتلاوة والجمع؛ فهذا قد يطلق، وهو القليل في كتاب الله ﷻ، قال شيخ الإسلام ؒ: «وغالب ما يذكر لفظ "القرآن" إنما يراد به نفس الكلام، لا يراد به التكلم بالكلام الذي هو مسمى المصدر»[١]، **ومما يدل لهذا القليل** قول الله ﷻ: ﴿وَقُرْءَانَ ٱلْفَجْرِ ۖ إِنَّ قُرْءَانَ ٱلْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا﴾[الإسراء:٧٨]، والمقصود: القراءة هنا في صلاة الفجر خاصة[٢]، وقول النبي ﷺ: [**زينوا القرآن بأصواتكم**][٣]؛ فالمقصود زينوا قراءة القرآن بأصواتكم؛ فأطلق القرآن والمقصود منه القراءة، وهو الفعل.

ولما كان القرآن مصدرا، قد يراد به الفعل، وهو القليل، وقد يراد به المفعول، وهو الكثير، اشتهر الاستعمال في هذا الكثير، واقترن به العرف الشرعي؛ فصار القرآن اسما لكلام الله، حتى إذا قيل: القرآن غير مخلوق، يراد به المقروء ـ الذي هو المفعول ـ لا القراءة.

وبهذا يعلم أن القرآن ليس من قبيل الأسماء المشتركة عند الإطلاق؛ فإنه ـ عند إطلاقه ـ لا يتبادر إلى الذهن إلا معنى واحد، ومعلوم واحد، ومسمى واحدا، وهو كلام الله ﷻ المنـزل على محمد ﷺ الموجود بين الدفتين، فهو المسمى "قرآنا"، لا غيره[٤].

ثم كلمة "القرآن" هل هي مهموزة أم لا؟ فيها قولان لأهل العلم، وذلك أنه إن كان من القرء وهو الجمع؛ فإن القرء يكون مهموزا وغير مهموز، فتقول العرب: القَرْي، والقَرْء، وإن كان مأخوذا من القراءة فهو أيضا يكون مهموزا؛ فيصح على هذا أن يقال:

---

(١) المجموع ١٧/ ٣٧.

(٢) انظر: الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ١/ ١٢.

(٣) رواه ابن حبان في صحيحه، كتاب الرقاق، باب/ ذكر إباحة تحسين المرء صوته بالقرآن، ح(٧٤٦)، والحاكم في مستدركه، كتاب فضائل القرآن، ذكر فضائل سور وآي متفرقة، ح(٢٠٩٨) كلاهما عن البراء بن عازب ؓ، وذكره الألباني في السلسلة الصحيحة (٧٧١).

(٤) وأما ما يذكره بعض أهل البدع من أن القرآن اسم مشترك بين المعنى النفسي، واللفظ المخلوق؛ فهذا من مبتدعاتهم، ومن تفريقاتهم الباطلة، وسيأتي الرد عليهم في الفصل الأول، من الباب الثاني، وأما أهل السنة فإنهم يرون أن القرآن كلام الله غير مخلوق، كيفما تصرف. انظر: الفصل الأول من الباب الأول.

قران بغير همز، وقرآن، بالهمز، وهو الأشهر، وهو الذي أصبح علما على كتاب الله ﷻ [١].

ثانيا: معنى "القرآن" اصطلاحا[٢]:

اختلف أقوال الناس في تعريف القرآن الكريم، وذلك لأسباب عدة، منها:-

١- لأنه اسم معروف، وعلم على كتاب الله ﷻ وتعريفه يزيده غموضا، فيمتنع بعض الناس عن تعريف القرآن الكريم بحجة أنه من المعلومات، ولا نضبط المعلومات!![٣].

٢- بسبب الاختلافات العقدية؛ فإنهم يختلفون في تعريف كلام رب البرية، ومن ثم القرآن الكريم.

٣- أن كل واحد منهم يعرف القرآن بتعريف يرى أنه جامع مانع، وذلك بحسب الحد والرسم، ونحو ذلك.

٤- أن بعض الاختلافات في التعريفات يكون بسبب التنوع في العبارات، والتفنن في الدلالات، وذلك اختلاف التنوع، لا اختلاف التضاد، وإنما عرفه كل بحسب ما ظن أنه يؤدي المقصود الشرعي، فمنهم من عرف بالمثال، ومنهم من عرف بالإشارة، ومنهم من عرف بالحد[٤]، وأذكر بعض هذه التعاريف ثم أذكر التعريف

---

(١) انظر: مقاييس اللغة لابن فارس ص ٨٨٤، المفردات للراغب الأصبهاني ص ٤٠٠.

(٢) **والاصطلاحات أنواع**، فمنها المصطلحات الشرعية، كالصلاة والزكاة، والصوم، والقرآن، ونحو ذلك، وهو المقصود هنا في قولي: اصطلاحا، أي في عرف الشرع، وهناك اصطلاح لغوي كالشمس والقمر، وهناك اصطلاح عرفي كاللحم، والسفر، والعيش، وهناك اصطلاح علمي، وهو ما اصطلح عليه العلماء في علومهم، وهكذا.

(٣) انظر: الإرشاد للجويني ص ١٠٨.

(٤) في القرآن الكريم تعريف بأشياء كثيرة غير معروفة، وغير مصطلح عليها في اللغة والعرف على هذا النحو، فهذه تعريفات شرعية، **وهي لا تخلو إما أن تكون من المعرفات بالإشارة، أو من المعرفات بالمثال، فالقرآن الكريم** فيه هذان النوعان من التعاريف، وهما من التعاريف السهلة والميسرة، التي تمكن الناس من معرفة المقصود بالتعريف، وأما التعريفات بالحدود فهي غالبة تكون عقلية بحتة، متصورة خيالا، وذلك بتصور الجمع والامتناع فهي مشكلة لأنها تحتاج في التعريف إلى توسط أمور

الذي يدل عليه الشرع، ويعرف بالمعرف.

فقيل في تعريفه ما يأتي:-

١- قيل حد الكتاب، وهو "القرآن": ما نقل إلينا بين دفتي المصحف على الأحرف السبعة المشهورة نقلا متواترا[١]. وهذا كما هو واضح فيه إهمال لمصدرية القرآن، هل هو كلام الله ﷻ أم لا؟، وكأنه أراد عدم ذكر ذلك في التعريف لكثرة اختلاف الناس فيه ـ والله تعالى أعلم ـ.

٢- القرآن: المكتوب في المصحف، الذي أوله الحمد لله، وآخره قل أعوذ برب الناس[٢]، وهذا مثل الأول لم يذكر كونه كلام الله ﷻ.

٣-قال ابن قدامة رحمه الله: «هو ما نقل إلينا بين دفتي المصحف، نقلا متواترا»[٣]. وابن قدامة رحمه الله مذهبه معروف في القرآن، وأنه كلام الله ﷻ، ولكنه لعله أغفل ذلك في التعريف لكونه معروفا، والمعروف عرفا كالمشروط شرطا.

٤-قال ابن خلدون رحمه الله: «القرآن: كلام الله المنـزل على نبيه، المكتوب بين دفتي المصحف، وهو متواتر بين الأمة»[٤]، وذكر التواتر بعد ذكر الدفتين هو من باب الاستطراد في التعريف، وإلا فإنه معلوم أن ما بين الدفتين متواتر؛ وكأنه احترز بذلك عن القراءات غير المتواترة، ومعلوم أن القراءات إذا وافقت المصحف، وصحت

كثيرة لا بد من تصورها قبل هذه المفردات فهي طويلة الطريقة، قليلة الجدوى، وقد ذكر شيخ الإسلام رحمه الله كلاما نحو هذا، يفيد أن القرآن فيه من التعاريف الأولان. انظر: الرد على المنطقيين ص٧٢ وما بعدها.

(١) المستصفى للغزالي ص ٨١.

(٢) انظر: المطالع للبعلي ص٣٩٩، وهذا من التعريفات بالإشارة إلى ما في المصحف، وهذا لا يعني أن الآية إذا وجدت في غير المصحف، أو السورة، أنها تخرج عن القرآنية، وإنما المقصود ثبوت القرآنية بوجودها في المصحف، وأما بعد الثبوت؛ فإنها حيثما قرأت، ونظرت، سواء كانت آية أو سورة فهي من القرآن بلا ريب.

(٣) روضة الناظر ١/١٤٨.

(٤) المقدمة لابن خلدون ص ٧٨٢.

أسانيدها، ووافقت وجها من العربية؛ فإنها تكون من القرآن ولو لم تكن متواترة[١].

٥-قال القرطبي ﷺ: «القرآن: اسم لكلام الله تعالى الذي جاء به محمد ﷺ معجزة له... محفوظ في الصدور، مقروء بالألسنة، مكتوب في المصاحف، معلومة على الاضطرار سوره وآياته». ثم قال: «فلا يحتاج في تعريفه بحد، ولا في حصره بعد»[٢].

وتعريفه جيد لولا الاستطراد فيه، وفيه أيضا إغفال لإنزال القرآن الكريم؛ فلا يكون جامعا.

٦-ذكر الشوكاني ﷺ تعريفات عدة للقرآن؛ فقال: «**والقرآن:...غلب في العرف العام**: على المجموع من كلام الله ﷻ المقروء بألسنة العباد»[٣]. ثم ذكر المؤاخذات عليه، ثم قال في تعريف الكتاب، بعد أن بين أن المراد به القرآن: «وأما حد الكتاب اصطلاحا: فهو الكلام المنـزل على الرسول المكتوب في المصاحف، المنقول إلينا نقلا متواترا...، وقيل: اللفظ العربي المنـزل للتدبر والتذكر، المتواتر»[٤]، ثم عقبه بأنه غير جامع، وقال: «...**والأولى أن يقال**: هو كلام الله المنـزل على محمد ﷺ المتلو المتواتر»[٥]. وهذا أيضا غير مانع إذ يدخل فيه بعض الأحاديث القدسية المنـزلة على محمد ﷺ وهي من قبيل المتواتر.

٧- القرآن هو: اللفظ المنـزل على محمد ﷺ المنتظم من الحروف المسموعة، المفتتح بالتحميد، المختوم بالاستعاذة، وعليه انعقد اجماع السلف، والخلف[٦]، وهذا تعريف ناقص إذ القرآن ليس لفظا منـزلا فقط!!، بل هو لفظ ومعنى منـزل.

وبعد ذكر بعض التعريفات، وذكر وجهة النظر عليها؛ فإني أورد ما يكون

---

(١) انظر: الفصل الرابع من الباب الأول.

(٢) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ١/ ٥٨، وانظر: ٢/ ١٩٩.

(٣) إرشاد الفحول ص٦٣.

(٤) انظر لهذا التعريف، الفواكه الدواني ١/ ٥٦.

(٥) إرشاد الفحول ص٦٣ ـ ٦٤.

(٦) الفواكه الدواني ١/ ٥٦.

مجموعا من هذه التعاريف، ولا يخرج عنها، ويكون جامعا، ومانعا، ـ بإذن الله تعالى ـ، وأبين بعد ذلك وجه كونه كذلك.

فنخلص مما سبق أن القرآن هو: كلام الله المنـزل على محمد ﷺ بواسطة جبريل، الموجود بين الدفتين.

شرح مفردات التعريف:

فبقيد (**كلام الله**) خرج **كلام** غيره وإن وجد في المصحف كالتعاشير، وأرقام الآيات، وأسماء السور، ونحو ذلك.

وخرج أيضا كلام غير الله ﷻ لمحمد ﷺ.

ودلت الإضافة في التعريف "**كلام الله**" أن القرآن كلام الله، وما كان من الله فهو لا يكون مخلوقا، إذ صفة الخالق غير مخلوقة، كما أن صفة المخلوق مخلوقة؛ والإضافة هنا من باب إضافة الصفة إلى الموصوف؛ فإذا علم هذا فلا داعي لوضع كلمة (غير مخلوق) في التعريف لأن كلام الله صفة من صفاته فلا يقال غير مخلوق في التعريف، ولكن يمكن أن يكون شرحا بعد ما وقع فيه الاختلاف ـ كما سيأتي ـ، كما لا نقول في تعريف علم الله غير مخلوق؛ فكذلك في الكلام، وإنما نص عليه العلماء شرحا، وبيانا، بعد ما وقعت الفتنة، ومحنة مسألة خلق القرآن.

وما « ذكره الله تعالى في القرآن من حكاية عن موسى، وغيره من الأنبياء عليهم السلام، وعن فرعون، وإبليس؛ فإن ذلك كله كلام الله تعالى إخبارا عنهم، وكلام الله تعالى غير مخلوق، وكلام موسى عليه السلام وغيره من المخلوقين مخلوق »[(١)].

وبقيد (**المنزل**) خرج كلام الله غير المنـزل، مثل كلامه لجبريل، أو غيره من الملائكة؛ فإنه كلام الله، وغير مخلوق، ولكن لا يقال عنه قرآن.

و بقيد (المنـزل **على محمد** ﷺ) خرج ما كان منـزلا على غيره من الأنبياء ممن

---

(١) شرح أبو المنتهي على الفقه الأكبر ص٢٢.

قبله؛ فإنه وإن كان كلاما لله ﷻ غير مخلوق، ومنـزلا، إلا أنه لم ينـزل على محمد ﷺ فلا يكون قرآنا، وإنما يقال: كلام الله التوراة، وكلام الله الإنجيل...

وبقيد (**بواسطة جبريل**) يخرج كلام الله المنـزل على محمد ﷺ بواسطة غير جبريل؛ ومعلوم أن الذي نزل بالقرآن على محمد ﷺ هو جبريل، كما هو معتقد أهل السنة والجماعة[١].

وبقيد (**الموجود بين الدفتين**) خرج كلام الله المنـزل على محمد ﷺ بواسطة جبريل مما كان قرآنا، ثم نسخ، فلا يقال عنه الآن قرآن ـ إلا بقيد قرآن منسوخ ـ؛ لأنه نسخ تلاوة، أو تلاوة وحكما.

ويستغنى بذكر الدفتين عن ذكر المتواتر؛لأن ما بين الدفتين متواتر إسنادا ومعنى، وبذكر الدفتين إشارة إلى الموجود في مصاحف المسلمين، المتداول بينهم، وهذا من التعاريف بالإشارة، وهي من أحسن التعاريف، إذ الإشارة معينة على إدراك الشيء، ومعرفته.

وبه يخرج ما كان من القراءات غير موافقة للرسم الموجود بين الدفتين، فإنه لا يكون قرآنا، وإنما تسمى قراءة شاذة.

وبه خرجت الأحاديث القدسية؛ فإنها ـ على الصحيح ـ من كلام الله ﷻ، ومنها ما نزل بواسطة جبريل، ولكنه غير موجود بين الدفتين.

قال العمراني[٢] رحمه الله: «القرآن عند أصحاب الحديث هو الكتاب الذي أنزله الله تعالى على نبيه محمد ﷺ، هو القرآن العربي السور والآيات، المتلو باللسان، والمسموع بالآذان، المعقول بالأذهان، المحفوظ في الصدور، المكتوب بالمصاحف

(١) انظر: ما يأتي في الفصل الثاني، من الباب الأول.

(٢) هو الشيخ يحيى بن أبي الخير العمراني، شيخ الشافعية في اليمن في زمانه، توفي سنة ٥٥٨هـ، وكان على السنة في الجملة، ومن كتبه القيمة التي رد فيها على أهل البدعة كتابه الإنتصار. انظر: طبقات الشافعية للسبكي ٧/ ٣٣٦ وما بعدها.

بالسطور، له أول وآخر وبعض، ومن قال بخلقه فهو كافر»[١].

فالقرآن: اسم للقرآن العربي لفظا ومعنى[٢]، ولا ريب أن هذا القرآن متعبد به، وإنما لم يذكر في التعريف لأن المقصود به هو التعريف وهو يحصل من غير هذا القيد، وهذه القيود وغيرها إنما هو من باب الاستطرادات، وهي غير محبوبة في التعريفات.

وكذلك هذا القرآن وقع به التحدي، وهو آية لنبينا محمد ﷺ وإنما لم يذكر في التعريف لأنه ليس مقصودا أساسا، وإنما هو خارج عن ماهية التعريف، فذكره ـ أيضا ـ يكون استطرادا.

والدليل على تسمية كلام الله ﷻ المنزل على محمد ﷺ بواسطة جبريل ﵇ "قرآنا"، القرآن والسنة وأقوال سلف الأمة؛ فمن القرآن:

١ - قوله تبارك وتعالى: ﴿ نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ ٱلْقَصَصِ بِمَآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ هَـٰذَا ٱلْقُرْءَانَ وَإِن كُنتَ مِن قَبْلِهِۦ لَمِنَ ٱلْغَـٰفِلِينَ ﴾[يوسف:٣].

٢ - قوله ﷻ : ﴿ إِنَّ هَـٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَقُصُّ عَلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَكْثَرَ ٱلَّذِى هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴾[النمل:٧٦].

٣- والأحاديث أكثر من أن تحصر، وأشهر من أن تذكر، لكن من خلال هذا البحث ستمر عليك أحاديث كثيرة تفيدك تسمية كلام الله ﷻ بالقرآن[٣].

٤ - وأما أقوال السلف؛ فهي غير معدودة، وشهرتها أغنت عن إيرادها[٤].

---

(١) الانتصار في الرد على المعتزلة القدرية الأشرار للعمراني ٢/ ٥٥٤.

(٢) انظر: المجموع ١٢/ ١٢٣، وإنما قصد شيخ الإسلام ﵀ بهذا أن القرآن ليس اسما على النظم وحده، ولا على المعنى وحده، وإنما هو اسم وعلم عليهما معا؛ فإن القرآن ليست معاني مجردة، ولا ألفاظا مجردة، بل هو مجموع منهما معا، وهذا هو قول أهل السنة.

(٣) وانظر بعض هذه الأحاديث في الفصل الثالث من الباب الأول.

(٤) وسيأتي ذكر أن من أسماء كلام الله ﷻ الموجود بين الدفتين القرآن، في الفصل الرابع من الباب الأول.

ثالثا: الفرق بين القرآن والأحاديث القدسية:

القرآن الكريم كلام الله ﷻ وكذلك الأحاديث القدسية، وحتى لا يكون هناك جمع بينهما فإني أذكر بعض الفروقات، وبها يحصل التبيان، فذكر الفروق أفضل ما يجلى به الأمور:-

١- القرآن متحدى به، والحديث القدسي ليس متحدى به.

٢- القرآن أنزل بواسطة جبريل ﷺ والأحاديث القدسية قد لا تكون بواسطة جبريل ﷺ[١].

٣- الأحاديث القدسية يقال فيها: قال رسول الله ﷺ، فيما يرويه عن ربه، أو قال: قال الله ﷻ، وأما القرآن فلا يقال ذلك، وإنما يقال: قال الله تعالى.

٤- القرآن منزل على رسول الله ﷺ، مكتوب في دفات المصاحف، منقول إلينا بالتواتر، وما دون التواتر لا يثبت به القرآن[٢]، وأما الأحاديث القدسية فلا يشترط فيها ذلك.

٥- **القرآن**: هو قول الله تعالى، وهو سور وآيات، وهو خارج عن أجناس النظم، وعن كلام البشر، بمعاني تصح، ولا تفسد[٣]، وأما الأحاديث القدسية فهي ليست متحدى بها، ولا هي في إعجازها مثل القرآن الكريم.

٦- أن «قول الأشاعرة والمعتزلة عن الحديث القدسي: لفظه لفظ النبي ﷺ ومعناه من الله[٤]، هذا التعريف باطل، دعاهم إلى ذلك تعريفهم للقرآن، والصواب: أن الحديث القدسي لفظه ومعناه من الله ﷻ »[٥]، ولكن لا يتأتى الجزم باللفظ وأنه لفظ الله تبارك وتعالى إلا إذا أُمنت الرواية بالمعنى[٦]. وكل من خالف السلف من

(١) انظر: الدر النضيد في مجموعة ابن الحفيد ص ٦٠.

(٢) أصول السرخسي ص٢٧٩.

(٣) الانتصار في الرد على القدرية الأشرار للعمراني ١/ ١٠٣.

(٤) انظر: دستور العلماء للقاضي الأحمد نكري ٢/ ١٢.

(٥) المجموع في ترجمة العلامة المحدث الشيخ/ حماد بن محمد الأنصاري ٢/ ٥١٢.

(٦) انظر: المجموع في ترجمة العلامة المحدث الشيخ/ حماد بن محمد الأنصاري ٢/ ٥١٢.

الجهمية والمعتزلة... «قالوا: إن الحديث القدسي لفظه من النبي ﷺ، ومعناه من الله ﷻ، وهذا قولهم أيضا في القرآن، وما قال بهذا أحد من السلف، بل الذي عليه السلف أن الحديث القدسي كلام الله ﷻ؛ فالنبي ﷺ قال: قال الله، وهذه حقيقة، لا صارف لها؛ فإذاً يقال: إن الحديث القدسي كلام الله ﷻ حرفا ومعنى»[(١)].

قال البخاري رحمه الله: «باب قول المحدث: حدثنا، وأخبرنا، وأنبأنا» ثم أورد تحته الحديث القدسي عن ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي ﷺ فيما يرويه عن ربه ﷻ[(٢)]. وهذا يدل على أن البخاري رحمه الله يرى أن قول النبي ﷺ فيما يرويه عن ربه يعني أن القول قول ربنا ﷻ لا قول النبي ﷺ كما أنا نقول عن النبي ﷺ والقول قول رسولنا ﷺ لا قولنا ـ والله تعالى أعلم ـ.

---

(١) المجموع في ترجمة العلامة المحدث الشيخ/ حماد بن محمد الأنصاري ٢/ ٥٤٠.

(٢) صحيح البخاري، كتاب العلم، باب/ ٤، ص ١٧.

المطلب الثاني: المقصود بـ(المنزلة) لغة، واصطلاحا:

أولا: المقصود بـ(المَنْزِلَة) لغة:

إن المنـزلة مأخوذة من الـمَنْـزِل، وهو مسكن الرجل، ومكان نزوله، وكل إنسان ينـزل في المنـزل الذي يليق به، ويناسب حاله.

فالمنزلة مأخوذة من النزل، ومنه: "**التنزيل**"، وهو « ترتيب الشيء، ووضعه منزله »[1]، ومنه قول العرب: أنزلت فلانا، أي: أضفته[2]، وذلك إذا وضعته **منزلته** اللائقة به.

ومنه قول الفقهاء في مسائل الفرائض: يرثون بالتعصيب، أو **بالتنـزيل**، أي: بإنزالهم منازل أصولهم التي بها يتوصلون بالميت[3].

ومنه (أنزله) و(نزّلته)، و(استنـزلته) بمعنى: (أنزلته) والمنـزل: موضع النـزول، **والمنـزلة** مثله، وهي أيضا المكانة.

و(نزّلت) هذا مكان هذا، أي: أقمته مقامه[4].

و(المنـزل): المنهل والدار، والمنـزلة مثله، **والمنـزلة** أيضا المرتبة، وهي لا تجمع، واستُنـزِل فلان، أي: حُطّ عن مرتبته[5].

إذا فمعنى التنـزيل لا يخرج عن:

١. ترتيب الشيء ووضعه حسب ما يليق به.
٢. إقامة الضيف المكان اللائق به.
٣. المكانة، والدرجة.

---

(١) مقاييس اللغة لابن فارس ص ١٠٢٣، وانظر: مختار الصحاح ص ٦٥٥.

(٢) انظر: المفردات للراغب الأصبهاني ص ٤٩١.

(٣) انظر: طلبة الطلبة ص٣٠٧.

(٤) انظر: المصباح المنير للفيومي ص ٦٠٠.

(٥) انظر: مختار الصحاح ص٦٥٥.

٤. إقامة الشيء مقامه.

٥. المنهل والدار.

وهذه معاني مترادفة، تدور بعضها على بعض، وهي من قبيل اختلاف التنوع في العبارة، لا التضاد في المعنى والمقصد والإشارة.

ثانيا: المقصود بـ(المنزلة) اصطلاحا:

المنـزلة إذا كانت دائرة حول إقامة الشيء مقامه، وما يليق به؛ فمقصودي بالمنـزلة اصطلاحا هو: **إقامة القرآن الكريم مكانته اللائقة به، وتنـزيله الدرجة التي أنزلها الله ﷻ**.

المطلب الثالث: تعريف (السلف) لغة واصطلاحا:

أولا: معنى السلف لغة:

يقال في اللغة: سَلَفَ يسلُف سلَفًا وسُلُوفا: أي تقدم، والسّالفُ: المتقدم، والسَّلف: الجماعة المتقدمون[(١)].

قال ابن الأثير ﷺ في معنى السلف لغة: «سلف الإنسان: من تقدمه بالموت، من آبائه، وذوي قرابته، ولهذا سمي الصدر الأول من التابعين السلف الصالح»[(٢)].

والنسبة إلى السلف سلفي، قال السمعاني: «السلفي: بفتح السين، واللام، وفي آخرها الفاء، هذه النسبة إلى السلف، وانتحال مذاهبهم على ما سمعت منهم»[(٣)].

ثانيا: معنى السلف اصطلاحا:

السلف ليس اسما يطلق على أناس لكونهم كانوا في زمن معين فحسب، وإنما هو إطار ومنهج متبع، وطريق لفهم الشرع غير مبتدع؛ فمن كان يعيش في عصر الصحابة كبعض الخوارج والروافض؛ فإنهم ليسوا من السلف، وذلك لكونهم ليسوا على منهج السلف، وإن كانوا في عصر السلف، وكذلك من عاش بعد زمن السلف وكان على منهجهم فإنه لا يقال: عنه إنه ليس سلفيا، لأن الزمن ليس فارقا مطلقا، فمن جمع الوصفين: أعني الزمان وسبيل الصحابة فإنه من السلف، وإن كان على نهجهم ولكن تأخر عنهم زمانا؛ فإنه وإن لم يكن من السلف؛ فإنه سلفي، قال السفاريني ﷺ: «المراد بمذهب السلف: ما كان عليه الصحابة الكرام ﷺ، وأعيان التابعين لهم بإحسان، وأتباعهم، وأئمة الدين ممن شهد له بالإمامة، وعرف عظم شأنه

---

(١) انظر: تهذيب اللغة للأزهري ١٢/ ٤٣١ وما بعدها، لسان العرب لابن منظور ٦/ ٣٣٠-٣٣٢، القاموس المحيط ٣/ ٢٠٧-٢٠٨.

(٢) النهاية في غريب الحديث لابن الأثير ٢/ ٣٩٠.

(٣) الأنساب للسمعاني ٣/ ٢٧٣.

في الدين، وتلقى الناس كلامهم خلفا عن سلف، دون من رمي ببدعة، أو شهر بلقب غير مرض، مثل: الخوارج، والروافض...»[(١)].

وأما تحديد السلف بوقت معين فقد اختلف فيه على أقوال عدة، منها:-

منهم من يرى أن السلف هم الصحابة[(٢)]، وهذا لا ريب فيه، ولكن لا يمنع من دخول غيرهم في معنى السلف، خصوصا بالنسبة إلى من بعدهم؛ فإن التابعين سلف لتبع التابعين، وهكذا.

وقيل السلف: هم الصحابة والتابعون[(٣)]، فـ «السلف هم الصحابة، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، والقرون المفضلة كان فيها القدرية والمعتزلة، والجهمية، وغيرهم من أهل البدع، ولكن لا يطلق عليهم سلف، إنما يطلق السلف على الصحابة، ومن تبعهم بإحسان»[(٤)]، فالقرون الثلاثة الأولى هي قرون علماء السلف، ثم أتى بعد القرن الثالث قرون علماء الخلف[(٥)].

وقيل: السلف هم الصحابة والتابعون، وتابعوا التابعين[(٦)]، أي القرون الثلاثة المفضلة، التي ورد فيها الحديث المشهور: [**خير الناس قرني، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم...**][(٧)]، ويدل لهذا قول النبي ﷺ: [**يأتي على الناس زمان؛ فيغزو فئام من الناس؛ فيقولون: فيكم مَن صاحب رسول الله ﷺ؟ فيقولون لهم: نعم، فيفتح لهم. ثم يأتي على الناس زمان؛ فيغزو فئام من الناس؛ فيقال: هل فيكم مَن صاحب أصحاب رسول الله ﷺ؟**

---

(١) لوامع الأنوار البهية للسفاريني ١/ ٢٠.

(٢) انظر: حاشية العدوي ١/ ١٠٦.

(٣) انظر: إلجام العوام للغزالي ص٥٣، ويفهم هذا من صنيع الزرقاني في مناهل العرفان ٢/ ١٦.

(٤) المجموع في ترجمة العلامة المحدث الشيخ/ حماد بن محمد الأنصاري ٢/ ٥١٨.

(٥) انظر: المجموع في ترجمة العلامة المحدث الشيخ/ حماد بن محمد الأنصاري ٢/ ٦٩٣، ٦٩٨.

(٦) وهذا رأي كثير من أهل العلم، كشيخ الإسلام، والشوكاني، والسفاريني، وهو صنيع المصنفين من أهل الحديث والأثر فإنهم إذا ألفوا في السنن والاعتقاد يضمنون مؤلفاتهم أقوال الصحابة والتابعين وأتباع التابعين لهم بإحسان. انظر: الدرء ٧/ ١٣٤، التحف في مذاهب السلف ص٧-٨، لوامع الأنوار ١/ ٢٥.

(٧) رواه البخاري، كتاب فضائل أصحاب النبي ﷺ، باب/ ١، ح(٣٦٥١)، ومسلم: كتاب فضائل الصحابة، باب/ فضل الصحابة...، ح(٢٥٣٣)، كلاهما من رواية عبد الله ابن مسعود ﷺ.

فيقولون: نعم؛ فيفتح لهم، ثم يأتي على الناس زمان فيغزو فئام من الناس؛ فيقال: هل فيكم مَن صاحب مَن صاحب أصحاب رسول الله ﷺ فيقولون: نعم؛ فيفتح لهم][١].

وربما يطلق لفظ السلف، ويراد به من تقدم من الصحابة والتابعين ومن تبعهم بإحسان ولو لم يكن من أتباع التابعين[٢]، وهذا يدل عليه صنيع شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله فإنه أحيانا يذكر أقوال السلف، ثم يقول: «وكذلك قال ابن الماجشون، وأحمد بن حنبل وغيرهما من السلف...»[٣]، ومعلوم أنهما متأخّرون عن طبقة أتباع التابعين، وقال: «علامة من أراد الله به خيرا، سلوك هذا الطريق: كتاب الله، وسنن رسول الله ﷺ، وسنن أصحابه رضي الله عنهم، ومن تبعهم بإحسان، وما كان عليه أئمة المسلمين في كل بلد إلى آخر ما كان من العلماء، مثل الأوزاعي، وسفيان الثوري، ومالك بن أنس، والشافعي، وأحمد بن حنبل، والقاسم بن سلام، **ومن كان على مثل طريقتهم، ومجانبة كل مذهب يذمه هؤلاء العلماء**»[٤].

وأطلق لفظ السلف على القرون الثلاثة مع أن فيها أهل البدع، ذلك لأن الغالب فيها السنة، ولم تظهر البدع وتفشوا بين الناس إلا بعد انقراض أتباع التابعين[٥]، فيكون على هذا الإطلاق الزمني أغلبيا لا كليا.

ومرادي بالسلف هم الصحابة والتابعون، وأتباع التابعين، ومن تبعهم من العلماء الراسخين ـ ولي في هذا سلف يقول الآجري رحمه الله مبينا ما يجب سلوكه على طالب

---

(١) رواه البخاري، كتاب فضائل أصحاب النبي ﷺ، باب/ ١، ح(٣٦٤٩)، ومسلم كتاب فضائل الصحابة، باب/ فضل الصحابة...، ح (٢٥٣٢)، كلاهما من رواية أبي سعيد الخدري رضي الله عنه.

(٢) انظر: فضل علم السلف على علم الخلف لابن رجب ص٦٠ فإنه أيضا حدد السلف إلى الإمام أحمد، والشريعة للآجري ١/ ١٩٥، **والقيد في أن السلف هم من تبع الصحابة بإحسان، بلفظ: "الإحسان" مهم جدًا**، وذلك حتى يخرج الذين كانوا في العصور الأولى من أهل البدع، فبهذا القيد يخرج كل صاحب بدعة من تسميته بالسلف، ويكون من الخلف، ولهذا فإن بعض المصنفين من أهل البدع يقولون: السلف: من كان قبل القرن الخامس، وذلك حتى يدخل فيه أئمة الأشاعرة!!، كما فعل البيجوري في شرحه على تحفة المريد ص٩١.

(٣) الدرء ١/ ٢٠٧.

(٤) الشريعة للآجري ١/ ١٢٤.

(٥) انظر: المجموع ١٠/ ٣٥٦-٣٥٧.

العلم: « الزم سنن رسول الله ﷺ، وما كان عليه الصحابة ﷺ، ومن تبعهم بإحسان من أئمة المسلمين في كل عصر »[١] ـ وكانوا على الحق المبين، فقصدي بالسلف في هذه الرسالة، ونقل أقوال السلف، وعقائدهم هو ما ذكرت، وقد أنقل قول من وافق السلف وكان منتهجا نهجهم، آخذا بطريقتهم، ولو كان من الخلف زمنا.

وأما من كان خلفي المنهج؛ فإني قد أذكر قوله أحيانا إذا وافق الحق، وهذا لا يعني أنه من السلف، ولكن هذا يعني أنه في هذه المسألة وافق السلف، كما يوافق المبتدع السني في بعض المسائل، وقد أذكر قول بعض أصحاب المنهج السلفي مع المخالفين، ولكن هذا لا يعني أنه منهم، وإنما أعني بذلك أن قوله في هذه المسألة مجانب للصواب، وأنه خالف الحق في هذه المسألة وصار مع الخلف، فذكر الأقوال شيء، والحكم على المعين شيء آخر، ولهذا لا يستعجل القارئ لرسالتي فيظن أن كل من ذكر له قول في الاعتقاد السلفي في القرآن أنه سلفي، ولا يستعجل في الحكم إذا قرأ قول رجل في الاعتقاد الخلفي في القرآن فيظن أنه خلفي.

والاعتزاء إلي السلف مفخرة، والعمل بالسير على نهجهم نجاة، والإقتداء بهم فلاح، وهو الذي أمر الله ﷻ به، ورسوله ﷺ[٢]، و« لا ريب أن أهل النقل والأثر المتبعين آثار رسول الله ﷺ، وآثار أصحابه هم أهل السنة؛ لأنهم على تلك الطريق التي لم يحدث فيها حادث، وإنما وقعت الحوادث، والبدع بعد رسول الله ﷺ، وأصحابه »[٣].

وحيث إن المطلب لا يحتمل التطويل فقد اكتفيت بما يرشد ويكون كالدليل، لمعرفة معنى السلف ولو بإيجاز يسير[٤].

---

(١) الشريعة للآجري ١/ ١٩٥، وانظر منه: ١/ ١٩٩.

(٢) انظر: الفصل الثاني من الباب الأول، والموقف المعاصر من المنهج السلفي في البلاد العربية د.مفرح بن سليمان القوسي ص١٦٠.

(٣) تلبيس إبليس ص٢٩.

(٤) انظر: المنهج السلفي: تعريفه، تاريخه... د.مفرح بن سليمان القوسي ص٢٦ وما بعدها، والموقف المعاصر من المنهج السلفي له أيضا ص١٨ وما بعدها.

المطلب الرابع: تعريف (المخالفين) لأهل السنة، وأقسامهم.

عنيت بالمخالفين: أهل البدع المعروفين ببدعهم، الغالين في مخالفتهم، فمرادي بالمخالفين: أهل البدع الكبرى الغلاة، أيا كانوا[(١)]، خصوصا ممن بدعتهم في مسألة القرآن ظاهرة، وبين الأنام منتشرة، وإنما أذكر أصحاب المدارس البدعية، ولا أعتني بذكر الأشخاص وأقوالهم، ولكن قد أذكر شخصا ممن يكون رمزا لتلكم النحلة، وأورد أقواله كشاهد على تلكم المدرسة البدعية.

وعموم أهل البدع لهم طريقان:-

١- **طريقة أهل التخييل**، وهم الذين يقولون: إن الأنبياء جاؤوا بما هو خيال، وليس في حقيقة ما دعوا إليه مثال، وهذا هو قول الفلاسفة، والباطنية، إذ كل فلسفي يفسر ما دل عليه اللفظ بما يهواه، لظنه أنها خاوية عن الحقائق، وماثلة بالألفاظ بلا معاني!!، قال شيخ الإسلام رحمه الله: «وأهل التخييل هم: الفلاسفة، والباطنية، الذين يقولون: إنه خيل أشياء، لا حقيقة لها في الباطن، وخاصية النبوة عندهم التخييل»[(٢)].

٢- **طريقة أهل التجهيل**، وهؤلاء يظنون أن الشرع جاء بما هو مخالف للعقل؛ ثم هذا المخالف للعقل، ماذا يعمل به؟!، فمنهم من يقول: إن أحدا لا يعرف مرامه؟، وإنما يعلم الله المراد بذلك، ومنهم من يقول: إن الرسول يعلم ذلك ولكنا نجهل المعنى، ونكله إلى الله، ومنهم من يقول: إن المعنى مجهول لبعض الناس، وإنما يظهر للراسخين؛ فيجب عليهم أن يؤولوه بما علموه من عقولهم!!، **وقد يقولون:** «إن الرسول ﷺ لم يعرف معاني ما أنزل الله إليه من آيات الصفات، ولا جبريل يعرف معاني الآيات، ولا السابقون الأولون عرفوا ذلك، وكذلك قولهم في أحاديث الصفات: إن معناها لا يعلمها إلا الله!!»[(٣)].

---

(١) وهذه طريقة سار عليها بعض العلماء كابن الوزير اليماني في كتابه إيثار الحق على الخلق، انظر منه ص٨٤.
(٢) نقض المنطق ص٥٦.
(٣) المجموع ٥/ ٣٤.

فأصحاب هذه الطريقة، أعني طريقة التجهيل ينقسمون إلى قسمين:-

أ. **المجهلة المفوضة**، وهم الذين يقولون: إن هذه الألفاظ الواردة لها معانٍ بينات، ولكنا لا نعلم المراد منها في الآيات!!؛ فنفوض المعنى إلى الله ﷻ، وهذا حال كثير من الأشعرية، والماتريدية، وبعض من سار على دربهم، وظنوه طريقة السلف!!!، ومن المجهلة المفوضة بعض الفلاسفة الذين يقولون: إن هذه الحقائق لم يعلم النبي ﷺ معانيها!!؛ فهؤلاء المفوضة إما أن ينسبوا الجهل في معاني آيات الشرع إلى أنفسهم، أو إلى السلف، أو إلى النبي ﷺ!!.

ب. **المجهلة المؤولة**، وهم الذين يقولون: إن هذه الآيات لها معانٍ، وهذه المعاني علمناها بعقولنا، فإذا يجب المصير إليها، والتأويل على مقتضى ذلك، ثم اختلفوا في هذا الذي يجب أن يؤول، ما هو؟؟، واختلفوا في المعنى المراد ما هو؟؟ إلى أقوال كثيرة متضاربة، وهؤلاء هم أهل الكلام بشتى فرقهم[1]، قال شيخ الإسلام رحمه الله: « وطريقة التأويل: طريقة المتكلمين من الجهمية، والمعتزلة، وأتباعهم، يقولون: إن ما قاله، له تأويلات تخالف ما دل عليه اللفظ، وما يفهم منه، وهو - **وإن كان لم يبين مراده، ولا بين الحق الذي يجب اعتقاده - فكان مقصوده**: أن هذا يكون سببا للبحث بالعقل، حتى يعلم الناس الحق بعقولهم!!، ويجتهدوا في تأويل ألفاظه إلى ما يوافق قولهم، ليثابوا على ذلك!!؛ فلم يكن قصده لهم البيان، والهداية، والإرشاد، والتعليم، بل قصده التعمية، والتلبيس!!، ولم يعرفهم الحق حتى ينالوا الحق بعقلهم، ويعرفوا حينئذ أن كلامه لم يقصد به البيان؛ فيجعلون حالهم في العلم مع عدمه خيرا من حالهم مع وجوده »[2]؛ فهؤلاء يقولون: إنما كان السلف غير مهتمين بها، أو مشغولين عنها، ولهذا كانوا غير عالمين بمراميها، ولا منشغلين بمعانيها، وأما نحن فإنما احتجنا إلى ذلك بعد خوض الخائضين، للبحث عن المعاني لحاجة المبتدعين!!.

---

(١) انظر: الدرء ١/ ٩، وانظر: الصفدية ١/ ٢٧٦.

(٢) نقض المنطق ص٥٦.

فهؤلاء الذين خالفوا السلف على وجه التفصيل أربعة أصناف:-

١ ـ أهل التخييل المطلق.

٢ ـ أهل التجهيل المطلق.

٣ ـ أهل التأويل المطلق.

٤ ـ أهل التفويض المطلق.

وكل من انتمى إلى الإسلام فإنه ينقسم إلى قسمين:-

١ ـ أهل الاتباع والأثر، وهم المتبعون للقرآن والسنة على فهم سلف الأمة.

٢ ـ أهل البدعة والشرر، وهم الذين يدعون اتباع القرآن والسنة على فهومهم، وقد يقتصرون على القرآن، والأهم عندهم عقولهم، وما عليه أئمتهم[1].

وإنما عنيت بذكر كل فرقة على أنها نحلة، ولم أقصد إيراد الأشخاص وبيان أحوالهم، إلا من كان منهم إماما متبعا في تلكم النحلة؛ فقوله المعتبر، ولهذا أورد قوله على أنه قول للنحلة والفرقة، وكما ذكرت ليس مقصودي هو الحكم على الأعيان، وإنما قصدي البيان، لما عليه المخالفون لسنة محمد ﷺ.

وليس قصدي بالمخالفين هم أهل الكفر الظاهر، والشرك الجلي الذين لا ينتمون إلى الإسلام كاليهود والنصارى والمستشرقين ونحوهم.

فهؤلاء ليسوا مخالفين للسلف فحسب، بل هم مخالفون لأهل الإسلام أجمعين، وللشرع المبين، وآن أوان الشروع في المقصود، وبيان عقيدة السلف في القرآن الكريم، وهذا ما يتجلى ـ إن شاء الله ـ في الباب التالي.

---

(١) انظر: حجة الله البالغة للدهلوي ١/ ١٩-٢٠.

الباب الأول

حقيقة القرآن الكريم في نظر السلف

وفيه خمسة فصول:

الفصل الأول: القرآن الكريم كلام الله ﷻ غير مخلوق، وفيه مبحثان.

الفصل الثاني: بيان أن القرآن الكريم منزل على محمد ﷺ، وفيه ثلاثة مباحث.

الفصل الثالث: بيان أن القرآن الكريم متعبد به، وفيه مبحثان.

الفصل الرابع: بيان أن القرآن الكريم هو الموجود في المصحف، وفيه أربعة مباحث.

الفصل الخامس: بيان أن القرآن آية لنبينا محمد ﷺ، وفيه مبحثان.

الفصل الأول

القرآن الكريم كلام الله عز وجل غير مخلوق

وفيه مبحثان:

المبحث الأول: إثبات أن القرآن كلام الله تعالى، وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: الدليل على أن القرآن كلام الله تعالى.

المطلب الثاني: القرآن الكريم من الله بدأ وإليه يعود.

المطلب الثالث: تكليم الله بالقرآن وتعلقه بالمشيئة،
وفيه مسائل:

المسألة الأولى: تعلق هذه الصفة بالذات.

المسألة الثانية: تعلق هذه الصفة بالمشيئة.

المسألة الثالثة: نفي التشبيه في الصفة.

المبحث الثاني: مسألة اللفظ بالقرآن، وفيه مطلبان:

المطلب الأول: بيان اللفظ والملفوظ..

المطلب الثاني: موقف السلف من مسألة اللفظ.

المبحث الأول: إثبات أن القرآن كلام الله تعالى

إن من المسلمات العقدية، والقواعد السلفية، وصف رب العالمين، وإله الأولين والآخرين، بما وصف به نفسَه في كتابه، أو وصفه به رسولُه ﷺ فيما صح من سنته، « والمسلمون يصفون الله بما وصف به نفسَه، وبما وصفته به رسلُه، من غير تحريف ولا تعطيل، ومن غير تكييف ولا تمثيل، بل يثبتون له ما يستحقه من صفات الكمال، وينزهونه عن الأكفاء والأمثال، فلا يعطلون الصفات، ولا يمثلونها بصفات المخلوقات، فإن المعطل يعبد عدما، والممثل يعبد صنما، والله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾[الشورى:١١]»[١].

وقال الله ﷻ : ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ ۚ وَلَهُ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾[الروم:٢٧] « أي الوصف الأعلى على ألسنة أهل السماوات والأرض، وهو كمال الثناء بأسمائه الحسنى »[٢].

وإذا كان الأمر كذلك، « فلا بدّ للعبد أن يثبت لله ما يجب إثباته له من صفات الكمال، وينفي عنه ما يجب نفيه عنه مما يضاد هذه الحال »[٣]، « وإجماع أهل الإسلام على مدحه تعالى بإثبات الأسماء الحسنى، لا بنفيها »[٤].

و« المدح والثناء لا يكون إلا في الإثبات، فإنه - أي الإثبات - إنما يكون بصفات الكمال، والكمال إنما يكون في الأمور الوجودية... وإذا كان كذلك، فمن المعلوم أن

---

(١) مسألة الأحرف التي أنزلها الله على آدم، ضمن المجموع ١٢/ ٧٣.

(٢) إيثار الحق على الخلق لابن الوزير اليماني ص ١٨٠.

(٣) الرسالة التدمرية لشيخ الإسلام ابن تيمية ص ٤، وانظر: تلبيس إبليس لابن الجوزي ص ١٠٠.

(٤) إيثار الحق على الخلق ص ١٨٠.

الكلام صفة كمال، كما أن العلم والقدرة والسمع والبصر صفة كمال، وأن المتكلم أكمل ممن لا يتكلم »[1].

والله ﷻ إذا أُثبِت له صفات الكمال، ونُفِيَ عنه مماثلة غيره له، فهذا هو الكمال الذي يستحقه جل ثناؤه، ويجب إثباته « وهذا حقيقة التوحيد، وهو أن لا يَشرَكه شيءٌ من الأشياء فيما هو من خصائصه، وكل صفة من صفات الكمال فهو متصف بها على وجه لا يماثله فيه أحد، ولهذا كان مذهب سلف الأمة وأئمتها إثبات ما وصف به نفسه من الصفات، ونفي مماثلته لشيء من المخلوقات »[2].

وربنا ﷻ موصوف بصفات الكمال، الدالة على الجمال والجلال، وبهذا عَرَّف نفسه إلى العباد، وأنه ليس له نظير ولا أنداد، كما قال تعالى: ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴾[الشورى:١١] وقال: ﴿ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ﴾[الإخلاص:٢] وقال: ﴿ هَلْ تَعْلَمُ لَهُۥ سَمِيًّا ﴾[مريم:٦٥] وقال: ﴿ فَلَا تَجْعَلُوا۟ لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾[البقرة:٢٢].

وبكونه منفردا بالأسماء الحسنى، والصفات العلى، ألزم عباده بعبادته وحده، فقال جل شأنه: ﴿ وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا ﴾[الأعراف:١٨٠]، وذم الأصنام والأوثان، والمعبودات الباطلة التي اتخذت من الإنس والجان، بأنها ليس لها من الأمر شيء، بل هي موصوفة بالعيب والشين، فكيف تعبد من دون الله الواحد القهار، أو تتخذ شفعاء من دون الملك الجبار، وتصرف لها أنواع من العبادات، وصور من القربات، لا تنبغي إلا للملك الوهاب، ذي الأمر والنهي والكمالات، الموصوف بأحسن الصفات.

قال تعالى مخبرا عن إبراهيم ﷺ: ﴿ يَٰٓأَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِى عَنكَ شَيْـًٔا ﴾[مريم:٤٢]، وقال: ﴿ قَالَ هَلْ يَسْمَعُونَكُمْ إِذْ تَدْعُونَ ﴿٧٢﴾ أَوْ يَنفَعُونَكُمْ أَوْ يَضُرُّونَ ﴾[الشعراء:٧٢-٧٣] فلا يُنفَى عن الله تعالى صفاتُ الكمال... فيُجْعَل كالجمادات التي لا تتكلم، ولا تسمع، ولا تبصر، فلا تكلم عابديها، ولا تهديهم سبيلا، ولا ترجع

---

(١) الصفدية لشيخ الإسلام ابن تيمية ١/ ٦٦.

(٢) الرسالة التدمرية ص ١٢٤.

إليهم قولا، ولا تملك لهم ضرا ولا نفعا(١).

و« الكلام صفة كمال لا صفة نقص، وإنما يكون صفة كمال إذا قام به »(٢) ﷻ « والذي عليه سلف الأمة وأئمتها وجمهورها أن كلام الله قائم به، وكذلك سائر ما يوصف به من الحياة والقدرة وغير ذلك »(٣).

والكلام من أوصاف الكمال، وضده نقص وإعلال، قال تعالى: ﴿ وَٱتَّخَذَ قَوْمُ مُوسَىٰ مِنۢ بَعْدِهِۦ مِنْ حُلِيِّهِمْ عِجْلًا جَسَدًا لَّهُۥ خُوَارٌ ۚ أَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّهُۥ لَا يُكَلِّمُهُمْ وَلَا يَهْدِيهِمْ سَبِيلًا ﴾[الأعراف:١٤٨] وقال تعالى عن العجل أيضا: ﴿ أَفَلَا يَرَوْنَ أَلَّا يَرْجِعُ إِلَيْهِمْ قَوْلًا وَلَا يَمْلِكُ لَهُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا ﴾[طه:٨٩].

قال ابن أبي العز(٤) رحمه الله:« فعلم أن نَفيَ رَجْعِ القول، ونفي التكليم نقص يُسْتدَلّ به على عدم ألوهية العجل »(٥)، ولهذا عاب الله تعالى الجمادات المعبودة بأنها لا تتكلم(٦).

وإذا علم أن الله تعالى موصوف بالكمال، فمن تلكم الصفات التي وصف الله بها نفسه، صفة الكلام، التي وردت بها الآيات القرآنية، والأحاديث النبوية.

و« لا خلاف بين جميع العقلاء، أن الله ﷻ متصف بجميع صفات الكمال، منزه عن جميع صفات النقص، لكنهم ـ مع اتفاقهم على ذلك ـ اختلفوا في الكمال

(١) انظر: المسألة المصرية في القرآن، ضمن المجموع ١٢/ ١٧٣.

(٢) الجواب الصحيح لشيخ الإسلام ابن تيمية ٤/ ٣٤١ وانظر: منهاج السنة له ٣/ ٣٦٠، الصفدية ١/ ٦٦.

(٣) الجواب الصحيح ٣/ ٢٧٨-٢٧٩.

(٤) هو: الإمام العلامة صدر الدين، أبو الحسن، علي بن علاء الدين علي بن شمس الدين محمد بن شرف الدين... بن أبي العز الدمشقي، ولد بدمشق سنة ٧٣١هـ، ونشأ في أسرة علمية متأصلة في المذهب الحنفي، ونهل من العلم في الصغر، وولى مناصب عدة منها القضاء في دمشق، ومن مؤلفاته المشهورة؛ شرح الطحاوية، والاتباع، والتنبيه على مشكلات الهداية، توفي رحمه الله عام ٧٩٢هـ. انظر: كشف الظنون ص١١٤٣، وشذرات الذهب ٦/ ٣٢٦، ومقدمة شرح الطحاوية (مؤسسة الرسالة).

(٥) شرح الطحاوية ١/ ١٧٥.

(٦) الصفدية ١/ ٦٦.

والنقص»[(١)]. بحسب المناهج والأهواء، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

وأما السائرون على المنهج الأثري، فهو كما قال الإمام أبو عثمان الصابوني[(٢)] ـ رحمه الله وإيانا وجعل الجنة مثواه ومثوانا ـ: «إن أصحاب الحديث المتمسكين بالكتاب والسنة ـ حفظ الله أحياءهم، ورحم الله أمواتهم ـ يشهدون لله تعالى بالوحدانية، وللرسول ﷺ بالرسالة والنبوة، ويعرفون ربهم ﷻ بصفاته التي نطق بها وحيُه وتنـزيلُه، أو شهد له رسولُه ﷺ على ما وردت الأخبار الصحاح به، ونقلته العدول الثقات عنه، ويثبتون له جل جلاله منها ما أثبت لنفسه في كتابه، وعلى لسان رسوله ﷺ، ولا يعتقدون تشبيها لصفاته بصفات خلقه، فيقولون: إنه خلق آدم بيده... ولا يحرفون الكلم عن مواضعه... وقد أعاذ الله تعالى أهلَ السنة من التحريف، والتكييف والتشبيه، ومَنّ عليهم بالتعريف والتفهيم، حتى سلكوا سُبُلَ التوحيد والتنـزيه، وتركوا القـول بالتعليل والتشبيه، واتبعـوا قول الله ﷻ: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَيْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾[الشورى:١١]»[(٣)].

وأما كلامه سبحانه وأدلة كونه متكلما، وأن القرآن كلام الله ﷻ؛ فيتبين خلال المطالب التالية.

---

(١) مختصر لوامع الأنوار لمحمد بن سلوم ص ٨٦.

(٢) هو الإمام شيخ الإسلام أوحد عصره: إسماعيل بن عبد الرحمن بن أحمد، المعروف بأبي عثمان الصابوني، ولد سنة ٣٧٣هـ، نبغ في صغره، واشتهر بالزهد والعبادة كشأن السلف، قال فيه الذهبي: «الإمام العلامة، القدوة، الواعظ، المفسر المذكِّر، المحدّث، شيخ الإسلام»، من مصنفاته المشهورة، عقيدة السلف أصحاب الحديث، توفي رحمه الله سنة ٤٤٩هـ. انظر: الأنساب للسمعاني ٣/ ٥٠٦، السير للذهبي ١٨/ ٤٠، طبقات الشافعية الكبرى للسبكي ٤/ ٢٧١ وما بعدها.

(٣) عقيدة السلف أصحاب الحديث ص ٢٦-٢٧.

المطلب الأول: الدليل على أن القرآن كلام الله تعالى، وفيه مسألتان:

المسألة الأولى: في إثبات الكلام لله ﷻ:

الكلام في لغة العرب التى نـزل بها القرآن: « يقع على الألفاظ المنظومة، وعلى المعاني التى تحتها مجموعة »[1].

فاللفظ الذي لا يُفهَم منه معنىً يكون هذرا وعبثا، أو عجزا وعِيّا، لأن الكلام هو: « ما دل على نطق مفهم »[2].

والنطق: لفظ اللسان، وغير المنطوق مما في النفس والخاطر، أو كان في النوم سائر، فهذا ليس كلام مطلقا، بل يقال عنه: زورت في نفسي، أو قلت في النوم، هكذا مقيدا.

والـمُفْهِمُ: كونُه معنىً، « فالكلام في أصل اللغة: عبارة عن أصوات متتابعة، لمعنى مفهوم »[3].

وإذا تبين أن الكلام هو: اللفظ المفهم فالمتكلم هو: من قامت به صفة الكلام، فبها صار متكلما، و« لا يمكن أحدا ممن يؤمن بالتوراة أو الإنجيل أو القرآن أن ينكر أن الله متكلم، وهذه الكتب مملوءة بذكر ذلك، وأهل الملل مطبقون على ذلك... والمقصود أنه متكلم حقيقة، بكلام يقوم به »[4].

وهذا ثابت نقلا، ومفهوم عقلا، وعليه الإجماع قطعا، قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: « والذي أخبرت به الرسل، أنه متكلم بكلام قائم بنفسه وهذا هو الذي فهمه عنهم أصحابهم ثم تابعوهم بإحسان، بل علموا هذا من دين الرسل بالاضطرار، ولم

---

(٣) المفردات في غريب القرآن للراغب الأصفهاني ص٤٤١.

(٢) مقاييس اللغة لابن فارس ص ٩٠٦، وقد طبع هذا الكتاب باسم "معجم مقاييس اللغة" مع أن المصنف ومن ذكروا الكتاب لم يذكروا لفظة "معجم".

(٣) المصباح المنير للفيومي ص ٥٣٩.

(٤) شرح الأصبهانية لشيخ الإسلام ابن تيمية ص٤١٣، وانظر:رسالة مسألة الأحرف التي أنزلها الله على آدم، ضمن المجموع١٢/ ٤١، والفتح ١٣/ ٤٦٣.

يكن في صدر الأمة وسلفها من ينكر ذلك»[1].

ومعقول في الخطاب، معلوم عند أولي الألباب، أنه لو قال قائل: «علم فلان وكلامه ومشيئته، لم يكن شيئا بائنا عنه، والسبب في ذلك أن هذه الأمور صفات لما تقوم به، فإذا أضيفت إليه كان ذلك إضافة صفة لموصوف، إذ لو قامت بغيره، لكانت صفة لذلك الغير، لا له»[2]، فإن الموصوف لا يوصف إلا بما قام به، لا يتصف بما هو بائن عنه، فلا يكون الموصوف حيا عالما قادرا متكلما رحيما... بكلام ورحمة قامت بغيره[3].

فالرب تعالى إنما يتصف «بما يقوم به من الصفات، لا بما يخلقه في غيره من المخلوقات، فهو الحي العليم القدير السميع البصير الرحيم المتكلم بالقرآن، وغيره من الكلام»[4].

فيعتقد السلف الصالح بكل ما تدل عليه النصوص الصحيحة الصريحة من كتاب الله تعالى أو سنة رسوله ﷺ، ومنها الدالة على أن الله موصوف بالكلام[5]، وأنه ﷻ يتكلم بمشيئته واختياره[6].

ويعتقدون أن كلامَه أحسنُ الكلام، ولا يُشبِه كلامُه كلامَ المخلوقين، كما لا يُشبِهُ ذاتُه ذواتِ المخلوقين.

ويكلم سبحانه من شاء، من الملائكة الأنقياء، ورسله الأصفياء، وسائر عباده الأتقياء، وغيرهم، بواسطة إن شاء، أو بغيرها كما يشاء.

وكلامه يُسمع حقيقة، سمعه الملائكة الكرام، ورسُلُه خير الأنام، ويسمعه عباده في الدار الآخرة بصوت نفسه، كما أنه كلم موسى وناداه بصوت نفسه، وصوته

---

(١) شرح الأصبهانية ص ٤١٨، وانظر: التسعينية لشيخ الإسلام ابن تيمية ١/ ٢٧٦.

(٢) شرح الأصبهانية ص ٤٣٤.

(٣) انظر: الجواب الصحيح ٤/ ٣٤٠.

(٤)رسالة مسألة الأحرف التي أنزلها الله على آدم، ضمن المجموع١٢/ ٤١.

(٥) من هنا أذكر مجمل اعتقاد السلف في الكلام، وأما التفصيل فسيكون خلال مباحث هذا الباب.

(٦) وسيأتي تفصيل هذا في المطلب الثالث من هذا المبحث.

جل في علاه لا يُشبِه أصوات المخلوقين، كما أن كلامه لا يشبه كلام المخلوقين.

وكلامه تعالى لا نهاية له، كما أن أفعاله لا منتهى لها.

وكلامه تعالى أمر ونهي وخبر، يتكلم ﷻ بما يشاء من اللغات، فالتوراة بالعبرانية، والإنجيل بالسريانية، والقرآن بالعربية(١).

وأما كون الله ﷻ يتكلم، فكم عليها من دليل، لا يُعمَى عنه إلا كل ذليل، ومن ذلك:

١- ما في القرآن الكريم من إخبار الله ﷻ عن نفسه بأنه متكلم، وأخبر عن نفسه المقدسة بأن له قولا، وأكد ذلك بالتكرار، وبمختلف التصاريف للادكار، قال الله تعالى: ﴿ وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ ٱللَّهِ قِيلاً ﴾[النساء:١٢٢] وقال: ﴿ وَإِذْ قَالَ ٱللَّهُ ﴾[المائدة:١١٦]، وقد ورد في القرآن الكريم وحده أكثر من ثلاثة وخمسين موضعا التصريحُ بـ﴿ قَالَ ٱللَّهُ ﴾، مما يدل على أن الله هو المتكلم سبحانه، وهو القائل سبحانه، وما ورد من ذلك في الأحاديث يصعب حصرها، ومنها قوله ﷺ: **[هل تدرون ماذا قال ربكم؟ قالوا: الله ورسوله أعلم، قال: قال: أصبح من عبادي مؤمن بي كافر بالكوكب، فأما من قال: مطرنا بفضل الله ورحمته، فذلك مؤمن بي كافر بالكوكب، وأما من قال: مطرنا بنوء كذا وكذا، فذلك مؤمن بالكوكب]**(٢).

٢- ورد في القرآن الكريم ذكر حديثه ﷻ، مما يدل على أنه سبحانه متكلم جل في علاه، كما قال: ﴿ وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ ٱللَّهِ حَدِيثًا ﴾[النساء:٨٧]، وقوله: ﴿ فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُۥ يُؤْمِنُونَ ﴾[الأعراف:١٨٥]، وقوله: ﴿ ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ ٱلْحَدِيثِ كِتَٰبًا مُّتَشَٰبِهًا ﴾[الزمر:٢٣]، وقوله: ﴿ فَلْيَأْتُوا۟ بِحَدِيثٍ مِّثْلِهِۦٓ إِن كَانُوا۟ صَٰدِقِينَ ﴾[الطور:٣٤] وقوله: ﴿ أَفَمِنْ هَٰذَا

---

(١) انظر لما سبق: المعتمد لأبي يعلى ص٩٠، والاعتقاد للبيهقي ص١٢٠، المجموع ٣/ ١٧٦، ٢٠٨، ٦/ ٥٣٠-٥٤٤ وقد ذكر شيخ الإسلام ﷺ عشرة أوجه مسددة، على أن الله تعالى يتكلم بصوت يسمع، فارجع إليها إن شئت في الموضع المشار إليه، وانظر: ١٢/ ١٧٣، التسعينية ٢/ ٥٧٧، شرح الطحاوية ١/ ١٧٤، ١٨٦، ١٩٤، وقطف الثمر ص٤٩-٥١، والعقيدة السلفية ص٧٩ وما بعدها.

(٢) أخرجه البخاري، كتاب الأذان، باب/ يستقبل الناس الإمام إذا سلم، ح(٨٤٦)، ومسلم، كتاب الإيمان، باب/ بيان كفر من قال مطرنا بنوء كذا، ح(٧١)، كلاهما عن زيد بن خالد الجهني ﷺ.

ٱلْحَدِيثِ تَعْجَبُونَ ﴾[النجم:٥٩]، وقوله: ﴿ فَذَرْنِي وَمَن يُكَذِّبُ بِهَٰذَا ٱلْحَدِيثِ ﴾[القلم:٤٤] ففي الأدلة السابقة « إثبات الحديث، والقول لله ﷻ، ففيهما إثبات الكلام له ﷻ »[١].

٣- ورد في القرآن الكريم إضافة الـ(ـكَلِمَةِ) مفردة، والـ(ـكلمات) مجموعة إلى الله ﷻ كما قال سبحانه: ﴿ وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا ۚ لَّا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴾[الأنعام:١١٥][٢]، فوصف الأخبار بالصدق، والأحكام بالعدل، فهي أقوال، لأن القول هو الذي يصح أن يقال فيه: كاذب أو صادق[٣]، ثم ذكر صفة السمع والبصر بعد ذكر القول دليل اقتران على أنه من الصفات مثلهما، وقال تعالى: ﴿ وَٱتْلُ مَآ أُوحِيَ إِلَيْكَ مِن كِتَابِ رَبِّكَ ۖ لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِهِۦ ﴾[الكهف:٢٧]، فإضافة الكلمة والكلمات إلى نفسه، من باب إضافة الصفة إلى الموصوف، فدل ذلك على إثبات صفة الكلام لله ﷻ[٤].

٤- من الأدلة ورود اشتقاقات "الكلم" في القرآن، لبيان أن الله متكلم ذو بيان، قال الله تعالى: ﴿ وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا ﴾[النساء:١٦٤]، وفيه تشريف لموسى ـ عليه الصلاة والسلام ـ، إذ كلمه الله بلا واسطة، ولهذا يقال له الكليم، و"تكليما" مصدر مؤكد للتّكلُّم، وأتى به توكيدا ليدل أنه كلمه بغير رسول ولا ترجمان وهذا التأكيد يدل على أن الكلام حقيقي[٥]، « وأجمع السلف والخلف من أهل السنة وغيرهم على أن "كَلَّمَ" هنا من الكلام »[٦]، ويؤكده قوله تعالى: ﴿ وَلَمَّا جَآءَ مُوسَىٰ لِمِيقَٰتِنَا وَكَلَّمَهُۥ رَبُّهُۥ ﴾[الأعراف:١٤٣]، و« سلف الأمة وأئمتها..يقولون: إنه لم يزل سبحانه متكلما إذا شاء، ويقولون: لم يزل فاعلا لما يشاء »[٧]، وفي الحديث: [ما منكم

---

(١) شرح الواسطية للفوزان ص٨٨، وانظر: شرح الأصبهانية ص ٤٣٢ ـ ٤٣٣، والمجموع ١٢/ ٤٣٤.

(٢) وقرئت "كلمة" و"كلمات" بالوجهين: بالإفراد، وبالجمع، والمعنى واحد، لأن المفرد المضاف يعم، فهو كالجمع. انظر: شرح الواسطية لابن عثيمين ١/ ٤٢٠.

(٣) انظر: شرح الواسطية لابن عثيمين١/ ٤٢٠.

(٤) انظر: شرح الأصبهانية ص ٤٣٢.

(٥) الانتصار في الرد على المعتزلة القدرية الأشرار ليحيى العمراني ٢/ ٥٤٠، وشرح الواسطية لابن عثيمين ١/ ٤٢١.

(٦) الفتح ١٣/ ٤٨٧.

(٧) شرح الأصبهانية ص ١٦١.

من أحد إلا سيكلمه ربه،وليس بينه وبينه ترجمان][١]، وكلم ربنا سبحانه بعض رسله، كما في قوله: ﴿ تِلْكَ ٱلرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ مِّنْهُم مَّن كَلَّمَ ٱللَّهُ ﴾[البقرة:٢٥٣]، أي بلا واسطة، فسمعوا كلام الرب ﷻ بصوته، مثل آدم[٢]، وموسى، ومحمد[٣] ﷺ، ومن كلامه ﷻ القرآن المبين، وهو الذي نسمعه بواسطة المبلغين، قال تعالى: ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ٱسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَـٰمَ ٱللَّهِ ﴾[التوبة:٦]، وقال: ﴿ أَفَتَطْمَعُونَ أَن يُؤْمِنُوا۟ لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَـٰمَ ٱللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُۥ مِنۢ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾[البقرة:٧٦]، وقال: ﴿ يُرِيدُونَ أَن يُبَدِّلُوا۟ كَلَـٰمَ ٱللَّهِ ۚ قُل لَّن تَتَّبِعُونَا كَذَٰلِكُمْ قَالَ ٱللَّهُ مِن قَبْلُ ﴾[الفتح:١٥] أي: يريدون تبديل ما سمعوه من كلام الله فيهم، وقد ورد ذكر تكليم الله ﷻ في مواضع كثيرة في كتابه، بلغت أكثر من عشرة مواضع بصيغة "كلم"، و"يكلم" و"كلام"، وفي سنة رسول الله ﷺ شيء كثير منها: قوله ﷺ في حديث الشفاعة: [**ائتوا موسى عبدا كلمه الله...**][٤]، وقوله ﷺ: [**ثلاثة لا يكلمهم الله،ولا ينظر إليهم، ولا يزكيهم، ولهم عذاب أليم؛ رجل على فضل ماءٍ بطريق يمنع**

---

(١) أخرجه البخاري، كتاب التوحيد، باب/ كلام الرب تعالى يوم القيامة مع الأنبياء وغيرهم، ح(٧٥١٢)، وبنحوه مسلم في كتاب الزكاة، باب/ الحث على الصدقة ولو بشق تمرة...، ح(١٠١٦) كلاهما من رواية عَدي بن حاتم ﷺ.

(٢) وسأذكر ما يدل على ذلك في الدليل الخامس.

(٣) ومن الأدلة على ذلك، ما جاء في صحيح البخاري في حديث (الإسراء) وفيه: [**ودنا الجبارُ ربُّ العزة فتدلى حتى كان منه قاب قوسين أو أدنى، فأوحى الله...**] كتاب التوحيد، باب/ ما جاء في قوله ﷻ ﴿ وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا ﴾، ح(٧٥١٧) وفي مناقب الأنصار: [**فلما جاوزت ناداني منادٍ: أمضيتُ فريضتي، وخففتُ عن عبادي...**] باب/ ٤٢، ح(٣٨٨٧)، قال الحافظ ابن حجر: « هذا أقوى ما استدل به على أن الله ﷻ كلم نبيه محمدا ﷺ ليلة الإسراء بغير واسطة» الفتح ٧/ ٢٥٧، وعند مسلم: [**فأوحى الله إلـيَّ ما أوحى، ففرض عليَّ خمسين صلاة...**] كتاب الإيمان، باب/ الإسراء برسول الله ﷺ إلى السماوات وفرض الصلوات الخمس، ح(١٦٢) كلاهما عن أنس بن مالك ﷺ.

(٤) أخرجه البخاري في كتاب التفسير، سورة البقرة، باب/ قول الله تعالى: ﴿ وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا ﴾ ح(٤٤٧٦)، ونحوه مسلم في كتاب الإيمان، باب/ أدنى أهل الجنة منزلة فيها، ح(١٩٣)، كلاهما عن أنس بن مالك ﷺ.

منه ابن السبيل...][1] فتضافر الكتاب والسنة على الإخبار بأن الله ﷻ موصوف بالكلام.

٥- ومن الأدلة على إثبات الكلام لله سبحانه، ما ورد في القرآن والسنة من ذكر مناداته، ومناجاته، قال الله تعالى: ﴿وَنَٰدَيۡنَٰهُ مِن جَانِبِ ٱلطُّورِ ٱلۡأَيۡمَنِ وَقَرَّبۡنَٰهُ نَجِيّٗا﴾[مريم:٥٢]، وقوله: ﴿قَرَّبۡنَٰه﴾، أي أدنيناه حتى كلمناه، ﴿نَجِيّٗا﴾: أي مناجاة، والمناجاة ضد المناداة... فالمناداة: بصوت مرتفع، والمناجاة: بصوت غير مرتفع، والأول للبعيد، والثاني للقريب، وكلاهما كلام[2]، وقال تعالى: ﴿وَإِذۡ نَادَىٰ رَبُّكَ مُوسَىٰٓ﴾[الشعراء:١٠] وقال: ﴿وَنَادَىٰهُمَا رَبُّهُمَآ﴾[الأعراف:٢٢]، ولفظ النداء ورد في أكثر من عشرة مواضع، مما يدل على أن الله سبحانه يتكلم، وأن كلامه بصوت حقيقي يسمع[3]، وفي حديث أبي سعيد الخدري ؓ قال: قال النبي ﷺ : **[يقول الله: يا آدم، فيقول: لبيك وسعديك، فينادي بصوت: إن الله يأمرك أن تخرج من ذريتك بعثا إلى النار]**[4]، وفي حديث عبد الله بن أُنيس ؓ قال: سمعت النبي ﷺ يقول: **[يحشر الله العباد فيناديهم بصوتٍ يسمعُه مَنْ بَعُدَ كما يسمعه مَنْ قَرُبَ: أنا الملك، أنا الديان]**[5]، قال الإمام البخاري ؒ مقررا إثبات الكلام لله ﷻ : «وفي هذا دليل أن صوت الله لا يُشبِه أصوات الخلق، لأن صوت الله يُسمَع مِن بعدٍ، كما يُسمع مِن قربٍ، وأن الملائكة يصعقون من صوته، فإذا تنادى

---

(١) أخرجه البخاري، كتاب الشهادات، باب/ اليمين بعد العصر، ح(٢٦٧٢)، ومسلم، كتاب الإيمان، باب/ بيان غلظ تحريم إسبال الإزار..، ح(١٠٦)، كلاهما عن أبي هريرة ؓ.
ومضى حديث [ما منكم من أحد إلا سيكلمه ربه...] وستأتي أحاديث أخرى.

(٢) انظر: شرح الواسطية لابن عثيمين١/ ٤٢٢، وللفوزان ص٨٩.

(٣) انظر: منهاج السنة ٥/ ٤٢٣، المجموع١٢/ ٤٠.

(٤) أخرجه البخاري:كتاب التوحيد، باب/ قول الله تعالى: ﴿وَلَا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ عِندَهُۥٓ إِلَّا لِمَنۡ أَذِنَ لَهُۥ ...﴾، ح(٧٤٨٣)، ومسلم بلفظ: **[يقول الله ﷻ : يا آدم، فيقول: لبيك وسعديك، والخير في يديك، قال: يقول؛ اخرج بعث النار...]** في كتاب الإيمان، باب/ قوله: **[يقول الله لآدم...]**، ح(٢٢٢).

(٥) أخرجه البخاري: معلقا، كتاب التوحيد، باب/ قول الله تعالى: ﴿وَلَا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ عِندَهُۥٓ إِلَّا لِمَنۡ أَذِنَ لَهُۥ﴾، والحديث أخرجه الإمام أحمد (٣/ ٤٩٥)، ح(١٦١٣٨)، وغيرهما، قال الحافظ ابن حجر بعد ما ذكر طرقا: «إسناده صالح» (الفتح١/ ٢٠٩)، وقال الشيخ الألباني: «حديث صحيح» أي بطرقه، كما في ظلال الجنة في تخريج السنة له ص٢٢٥، وقد أسهب ؒ في الرد على من ضعف الحديث تعصبا لمذهب أهل الكلام، واتباعا لمشرب أهل الملام.

الملائكة لم يُصعقوا، وقال ﷻ: ﴿فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَندَادًا﴾[البقرة:٢٢]»[(١)]، فليس لصفة الله ند ولا مثل، ولا يوجد شيء من صفاته في المخلوقين[(٢)].

٦- ومن الأدلة المتوافرة، والآيات المتكاثرة، الدالة على إثبات الكلام لله سبحانه، ما في القرآن من ذكر إنبائه وقصصه[(٣)]، ومنها: قوله تعالى: ﴿قَدْ نَبَّأَنَا ٱللَّهُ مِنْ أَخْبَارِكُمْ﴾[التوبة:٩٤]، وقوله: ﴿فَلَمَّا نَبَّأَهَا بِهِۦ قَالَتْ مَنْ أَنۢبَأَكَ هَٰذَا ۖ قَالَ نَبَّأَنِيَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْخَبِيرُ﴾[التحريم:٣]، وقوله: ﴿إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾[العنكبوت:٨]، وقوله: ﴿وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ﴾[فاطر:١٤]، والإنباء: الإخبار، والمخبر متكلم ولا ريب، إلا ممن كان به عيب، وقد ذكر الإنباء في أكثر من عشرين موضعاً في كتاب الله تعالى، وقال تعالى: ﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ ٱلْقَصَصِ﴾[يوسف:٣].

وقوله: ﴿وَكُلًّا نَّقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِۦ فُؤَادَكَ﴾[هود:١٢٠]؛ فذكره تعالى أنه "قص" و"يقص" دليل على كونه سبحانه متكلم بكلام يُسمع فيُفهم ويُعقل.

٧- ومن الأدلة قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ ٱللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِن وَرَآئِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِۦ مَا يَشَآءُ ۚ إِنَّهُۥ عَلِيٌّ حَكِيمٌ﴾[الشورى:٥١]، وهذا فيه تخصيص لبعض الرسل بالكلام بلا واسطة، وبعضهم بواسطة، ولو لم يكن ربنا متكلما، لما صح التقسيم أصلا، ففي الآية أن التكليم «ثلاثة أنواع: الوحي المجرد، والتكليم من وراء حجاب كما كلم موسى ﵇، والتكليم بواسطة إرسال الرسول، كما كلم الرسل بإرسال الملائكة»[(٤)]، وفي الحديث أن رسول الله ﷺ قال لجابر بن عبد الله ﵄: **[ما كلم الله أحدا إلا من وراء حجاب، وإنه كلم أباك كفاحا]**[(٥)] أي مواجهة ليس بينهما حجاب

(١) خلق أفعال العباد للإمام البخاري ص١٤٩.

(٢) انظر: التسعينية ٢/ ٥٩١، الفتح١٣/ ٤٦٥ـ٤٦٦.

(٣) انظر: شرح الأصبهانية ص ٤٣٢.

(٤) المجموع ١٢/ ٢٧٩، ٣٠٠، وانظر: الفتح ١٣/ ٤٦٢.

(٥) أخرجه الترمذي في سننه، كتاب التفسير، باب/ ومن سورة آل عمران، ح(٤٠٩٧)، وقال: «حديث حسن غريب»، وأخرجه ابن ماجة في سننه، المقدمة، باب/ فيما أنكرت الجهمية، ح(١٩٠)، وقال الشيخ الألباني: (إسناده حسن) كما في ظلال الجنة ص٢٦٧.

ولا رسول[(١)]، قال الحافظ ابن كثير رحمه الله موجها لهذا الحديث: «ولكن هذا في عالم البرزخ»[(٢)]، ففي الآية إثبات الكلام للباري ﷻ، وأنه «لا يكلم بشرا إلا من وراء حجاب في دار الدنيا»[(٣)]، فهو سبحانه ﴿علي﴾ لا يبلغ البشر حد مكالمته شفاها في الدنيا، و ﴿حَكِيمٌ﴾ يدبر بالحكمة وجوه التكليم، ليظهر علمه في تفصيل المظاهر، ويكمل به عباده، ويهتدوا إليه ويعرفوه[(٤)].

٨- ومما يدل على كونه ﷻ متكلما، ما ورد في محاجة إبراهيم عليه السلام لقومه، حين كسر أصنامهم، وكان من خبره ما ذكره الله عنه في قوله: ﴿قَالَ بَلْ فَعَلَهُۥ كَبِيرُهُمْ هَٰذَا فَسْـَٔلُوهُمْ إِن كَانُواْ يَنطِقُونَ ۝٦٣ فَرَجَعُوٓاْ إِلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ﴾ متفكرين فيما قاله إبراهيم لهم، فقال بعضهم لبعض: ﴿إِنَّكُمْ أَنتُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ فاعترفوا بالظلم في كونهم عبدوا من لا يتكلم، ﴿ثُمَّ نُكِسُواْ عَلَىٰ رُءُوسِهِمْ﴾ متمسكين بالشرك، فقالوا له: ﴿لَقَدْ عَلِمْتَ مَا هَٰٓؤُلَآءِ يَنطِقُونَ﴾ فرد عليهم الخليل: ﴿قَالَ أَفَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكُمْ شَيْـًٔا وَلَا يَضُرُّكُمْ ۝٦٦ أُفٍّ لَّكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾[الأنبياء:٦٣-٦٦][(٥)]، والنطق: عبارة عن الكلام، فدل أن الكلام غير مستحيل من الله، إذ لو كان مستحيلا منه الكلام، لكان دليل إبراهيم عليه السلام منقلبا عليه، ولكان للكفار أن يقولوا له: فإن إلهك الذي تدعونا إليه لا يوصف بالكلام أيضا[(٦)]، فهذا إبراهيم عليه السلام بين أن من لا يتكلم، ولا يعلم، ليس بمستحق للعبادة، ولا يصح في العقل أن يعبد، وأن يطلق عليه أنه إله[(٧)].

٩-ويدل على ذلك قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ ٱللَّهِ وَأَيْمَٰنِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلًا أُوْلَٰٓئِكَ لَا خَلَٰقَ لَهُمْ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ ٱللَّهُ وَلَا يَنظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ

---

(١) انظر: حاشية السندي على سنن ابن ماجة ١/ ١٢٤، وتحفة الأحوذي ٨/ ٣٦٠.

(٢) تفسير ابن كثير ٤/ ١٢٢.

(٣) زاد المسير لابن الجوزي ٧/ ٢٩٨.

(٤) انظر: تفسير القاسمي ٦/ ١٨١.

(٥) انظر: تفسير البغوي ٥/ ٣٢٥.

(٦) انظر: الانتصار للعمراني ٢/ ٥٤٠.

(٧) انظر: فتح القدير للشوكاني ٣/ ٥١٣.

وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾[آل عمران:٧٧]، قال العلامة ابن أبي العز ﷺ: «فأهانهم بترك تكليمهم، والمراد: أنه لا يكلمهم تكليم تكريم... فلو كان لا يكلم عباده المؤمنين لكانوا في ذلك هم وأعداؤه سواء، ولم يكن في تخصيص أعدائه بأنه لا يكلمهم فائدةٌ أصلا... ـ و ـ أفضل نعيم أهل الجنة رؤية وجهه ﷻ، وتكليمه لهم، فإنكار ذلك إنكار لروح الجنة، وأعلى نعيمها، وأفضلِه، الذي ما طابت لأهلها إلا به»[1].

١٠- إذا كان النقل يدل على إثبات الكلام لله ﷻ، فإن العقل يدل عليه كذلك، إذ لا تعارض بين النقل الصحيح والعقل الصريح، ومن الأدلة العقلية على إثبات الكلام لله ﷻ:

أ- أن يقال: إما أن يكون الرب تعالى قادرا على الكلام أو غير قادر، والمتعين في العقل الأول قطعا[2].

ب- يقال: إن للكلام ضِدًّا وهو الخرس، كما أن للعلم ضِدًّا وهو الجهل والشكوك، ومعلوم أن الله موصوف بالكمالات، منـزه عن النقائص والآفات، فهو عالم سبحانه، متكلم جل في علاه، ولو لم يثبت له الكلام لوصف بضده وهو الخرس، وهو عيب وبؤس، ينـزه عنه المخلوق المتطلع للكمال، فالرب الموصوف بصفات الجلال، أولى بأن ينـزه عنه وهو الكبير المتعال[3].

ت- ثبت بالحس والمشاهدة، والعقل والمدارسة إرسال الرسل من الله سبحانه، والرسول إنما هو مبلغ لكلام المرسِل إلى المرسَل إليه، فإذا قيل: إن الله لا يتكلم، لزم منه تكذيب الرسل، وإنكارهم في دعواهم أنهم مبلِّغون عن الله تعالى[4].

ث- علم أن إرسال الرسل فيه دلالة على أن الله يتكلم سبحانه، وأنه يُرْسِل

(١) شرح الطحاوية ١/ ١٧٨.
(٢) انظر: المجموع ٦/ ٢٩٤ـ ٢٩٥.
(٣) انظر: المعتمد لأبي يعلى ص ٩٢، والانتصار للعمراني٢/ ٥٤٠ ـ ٥٤١، والتسعينية ٢/ ٦٨٦، والعين والأثر في عقائد أهل الأثر لعبد الباقي الحنبلي ص ٨٢.
(٤) الانتصار للعمراني ٢/ ٥٤١، والتسعينية ٢/ ٦١٩.

بأمره ونهيه وإخبارِه عبادَه المرسلين، إلى الناس أجمعين.

ج- الفطرة السليمة، المعافاة من الأهواء الرذيلة، تدل على أن الله متكلم سبحانه، إذ كل من سمع كلام الله، يفهم منه أنه هو الذي تكلم بذلك، وقاله، وهذا يجده أصحاب الفِطَرِ الصحيحة، ويعرفه ذوو العقول المستقيمة، كما قالت عائشة رضي الله عنها في حديث الإفك الطويل: [**ولكن والله ما كنت أظن أن الله مُنْزِلٌ في شأني وحيا يُتلى، ولشأني في نفسي كان أحقر من أن يتكلم الله فيَّ بأمر يُتلَى**][١][٢]. وفي رواية: [**ولكن والله ما ظننت أن يُنزِل في شأني وحيا، ولأنا أحقر في نفسي من أن يتكلم بالقرآن في أمري**][٣].

وبكل ما تقدم يتبين لنا أن الله تعالى يتكلم متى شاء كيف شاء، بكلام يسمع، فالكلام من صفات الكمال التي يجب إثباتها له ﷻ قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله مشيرا إلى مجموع ما تقدم من الأدلة السابقة: «واعلم أن الاستدلال على الكلام بمثل هذه السمعيات أكمل من الاستدلال على السمع والبصر بالسمعيات، لأن ما أخبر الله به عن نفسه من: قوله، وكلامه، ونبئه، وقصصه، وأمره ونهيه، وتكليمه، وندائه ومناجاته، وأمثال ذلك، أضعاف أضعاف ما أخبر به من كونه سميعا بصيرا.

وأيضا فإنه نوَّع الإخبار عن كل نوع من أنواع الكلام[٤]، وثنّى ذلك، وكرره في مواضع، ولا يحصى ما في القرآن من ذلك إلا بكلفة»[٥].

ويكفي هذا القدر من الاستدلال، لمن أراد الادكارَ دون ملال، على إثبات الكلام على وجه الكمال، لله الكبير المتعال، وإذا ثبت أنه متكلم ﷻ فإني أبين أن القرآن الكريم من كلامه ﷻ في المسألة التالية.

---

(١) أخرجه البخاري، كتاب التفسير، سورة النور باب/ ﴿لَّوْلَآ إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بِأَنفُسِهِمْ خَيْرًا﴾، ح(٤٧٥٠)، ومسلم، في كتاب التوبة، باب/ في حديث الإفك وقبول توبة القاذف، ح(٢٧٧٠) كلاهما عن عائشة رضي الله عنها.

(٢) انظر: الانتصار للعمراني ٢/ ٥٤١، والتسعينية ٢/ ٦١٩.

(٣) أخرجه البخاري، كتاب الشهادات، باب/ تعديل النساء بعضهن بعضا، ح(٢٦٦١).

(٤) يقصد به الأمر والنهي والخبر، والقرآن كله إما أمر أو نهي أو خبر.

(٥) شرح الأصبهانية ص ٤٣٤.

المسألة الثانية: في إثبات أن القرآن كلام الله ﷻ، وأنه غير مخلوق:

ومجمل اعتقاد أهل السنة والأثر في القرآن الكريم أنه كلام رب البشر، والقرآن كلام الله سوره وآياته، وكلماته، وهو حرف ومعنى.

وأسمعه اللهُ تعالى جبريلَ ﵇، وأسمعه جبريلُ محمداً ﷺ، وأسمعه محمدٌ ﷺ أمّتَـه[١].

والله ﷻ المتكلم بالقرآن حقيقة، وليس لجبريل، ولا لمحمد ﵊ إلا التبليغ والأداء، وهو المكتوب في اللوح المحفوظ، وهو الذي في المصاحف[٢].

ويتلوه التالون بألسنتهم، ويقرؤه المقرئون بأصواتهم، ويسمعه السامعون بآذانهم، وينسخه النساخ والكتاب بآلاتهم، وهو في صدور الحفاظ بحروفه ومعانيه.

تكلم الله به حقيقة، فهو كلامه حقيقة، ومنـزل غير مخلوق، كيفما تصرف.

وأصوات العباد، وحركاتهم بالقرآن، وورق المصحف وجلده، ومداد الكتابة، مخلوق مصنوع[٣].

ويدل على أن القرآن الكريم كلام الله تعالى، وأنه غير مخلوق: الكتاب، والسنة والإجماع، والاعتبار[٤]، وقد مضى شيء من ذلك في المسألة الأولى، ويُوَضَّح أكثر بما يأتي من الأدلة:

---

(١) سيأتي بحث هذه المسألة في الفصل الثاني من هذا الباب.

(٢) سيأتي بحث هذه المسألة في الفصل الرابع من هذا الباب.

(٣) انظر لما سبق: رسالة السجزي إلى أهل زبيد في الرد على من أنكر الحرف والصوت لأبي نصر عبيد الله بن سعيد السجزي ص١٠٥، الانتصار للعمراني٢/٥٩٨،٤٥١، المعتمد لأبي يعلى ص٨٧، الاعتقاد للبيهقي ص١١٤، تلبيس إبليس لابن الجوزي ص١٠٠، عقيدة السلف للصابوني ص٣٠-٣١، التسعينية ٢/ ٥٤١، ٥٣٧، شرح الأصبهانية ص٢٠٧-٢١١، الجواب الصحيح ٤/ ٣٢٦، ٤٠١، المجموع ٣/ ١٧٢، ٢٠٨، ٤٠١، ١٢/ ٢٩٢، ٥٦٦، شرح الطحاوية ١/ ١٧٢، ١٩٠، ١٩٩، قطف الثمر ص٤٤-٤٥، ٥٢.

(٤) انظر: المعتمد لأبي يعلى ص٨٧، الانتصار للعمراني٢/ ٥٩٨.

أولا: الأدلة من القرآن الكريم:

١ـ قول الله تعالى: ﴿ إِنَّمَآ أَمۡرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيۡـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴾[يس:٨٢]. استدل غير واحد من أئمة المسلمين بهذه الآية على أن القرآن كلام الله غير مخلوق، فإن النص دل على أنه لا يخلق شيئا حتى يقول له "كن" فيكون، فلو كان "كن" مخلوقا، للزم أن يخلقه بـ"كن" وهذا يستلزم التسلسل، وهو فاسد، وإذا ثبت فساد ذلك، ثبت فساد كون القرآن مخلوقا[١].

٢ـ قوله تعالى: ﴿ وَإِنۡ أَحَدٌ مِّنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ٱسۡتَجَارَكَ فَأَجِرۡهُ حَتَّىٰ يَسۡمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ﴾[التوبة:٦] ففيه دلالة على أنه يسمع كلام الله من التالي المبلغ، وأن ما يقرأه المسلمون هو كلام الله، وإنما نقرأه بحركاتنا وأصواتنا، الكلام كلام الباري، والصوت صوت القاري[٢]، قال شيخ الإسلام ﷺ: «إن القرآن كلام الله غير مخلوق، وهو كلام الله حيث تلي، وحيث كتب، وهو قرآن واحد... وإن تنوعت الصور التي يتلى فيها ويكتب، من أصوات العباد ومدادهم، فإن الكلام كلام من قاله مبتدئا، لا كلام من بلغه مؤديا، فإذا سمعنا... [**إنما الأعمال بالنيات**][٣] قلنا هذا كلام رسول الله ﷺ لفظه ومعناه، مع علمنا أن الصوت صوت المبلغ... ونحن إذا قلنا: هذا كلام الله لِما نسمعه من القارئ، ونرى في المصحف، فالإشارة إلى الكلام من حيث هو هو[٤]، مع قطع النظر عما اقترن به البلاغ من صوت المبلغ، ومداد الكاتب»[٥]، وبهذا يتبين أن

---

(١) انظر: رسالة إلى أهل الثغر بباب الأبواب لأبي الحسن الأشعري ص١٢٦، السنة للخلال ٦/ ٣٨، الاعتقاد للبيهقي ص٩٥، الصفدية ٢/ ١٢١، المجموع ١٢/ ٣٧٢، ٢٤٤، ٢٣٥، الفتح ١٣/ ٤٦٢.

(٢) انظر: السنة للخلال ٦/ ٢٤، الاعتقاد للبيهقي ص١١٢، ٩٩، المجموع ١٢/ ٢٥٩، ٩٨، شرح الطحاوية ١/ ١٩٤.

(٣) أخرجه البخاري، كتاب بدء الوحي، باب/ كيف كان بدء الوحي...، ح(١)، ومسلم نحوه، في كتاب الإمارة، باب/ قوله ﷺ [**إنما الأعمال بالنية**...]، ح(١٩٠٧) كلاهما عن عمر بن الخطاب ﷺ.

(٤) هذه العبارة كثيرا ما ترد على ألسنة المتكلمين، وخاطبهم شيخ الإسلام بما يفهمون، والمراد هنا: إثبات الشيء بقطع النظر عن علائقه وصفاته وإضافاته.

(٥) المجموع ١٢/ ٢٤١.

القرآن كلام الله حيث تصرف، وأنه غير مخلوق حيثما سمع وتلي وكتب.

٣ـ ومن تلكم الأدلة الباهرة، والحجج القاهرة، الدالة على الحق، وأن القرآن لا يمكن أن يكون من كلام الخلق، أنه لا يمكن لملَكٍ مقرب، ولا لنبي مرسل، أن يقول: ﴿إِنِّيٓ أَنَا ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾[القصص:٣٠]، إلا إذا بلغه عن الله، كما نقرأ نحن القرآن، والملَك إذا أمره الله بالنداء، فإنه يبين العبارة، ويوضح بصراحة، أنه مبلِّغٌ لا معبر، كما في الحديث: [**إذا أحب الله عبدا نادى جبريل: إني أحب فلانا فأحبه، ثم ينادي جبريل في السماء، إن الله يحب فلانا فأحبوه**](١) والملائكة قالت لزكريا عليه السلام: ﴿فَنَادَتْهُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَهُوَ قَآئِمٌ يُصَلِّى فِى ٱلْمِحْرَابِ أَنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَىٰ﴾[آل عمران:٣٩]، وقال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَتِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَٰمَرْيَمُ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰكِ وَطَهَّرَكِ وَٱصْطَفَىٰكِ﴾[آل عمران:٤٢] فالملائكة تُبين أنها مبلغة عن الله، ولا يجوز لمخلوق أن يقول: ﴿إِنِّيٓ أَنَا ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾[القصص:٣٠]؛ فدل هذا على أن القرآن كلام الله تعالى(٢)، قال الإمام عبد الله بن المبارك رحمه الله: «من قال ﴿إِنِّيٓ أَنَا ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾[القصص:٣٠] مخلوق فقد كفر، ولا ينبغي لمخلوق أن يقول ذلك»(٣)، وهل يجوز لأحد غير الله أن يقول: ﴿يَٰمُوسَىٰٓ ۝ إِنِّيٓ أَنَا۠ رَبُّكَ﴾[طه:١١ـ١٢]، أو يقول: ﴿إِنَّنِيٓ أَنَا ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدْنِى وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكْرِىٓ﴾[طه:١٤]، فمن زعم هذا، فقد ادعى الربوبية، ولو كوَّن الله شيئا وخلقه، وأمره أن يقول ذلك، لكان يقول ذلك المكوَّن المخلوق: يا موسى إن الله رب العالمين، وليس له أن يقول: ﴿إِنِّيٓ أَنَا ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾[القصص:٣٠] فعلمنا بهذا أن القرآن كلام الله تعالى، وكلامه غير مخلوق(٤).

٤ـ قد كفر الله عز وجل من نطق فتقول بأن القرآن قول البشر، ووعده الله بسقر،

---

(١) أخرجه البخاري، كتاب بدأ الخلق، باب/ ذكر الملائكة، ح(٣٢٠٩)، ومسلم، كتاب البر والصلة، باب/ إذا أحب الله عبدا...، ح(٢٦٣٧)، كلاهما عن أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) انظر: المعتمد لأبي يعلى ص٩١، الاعتقاد للبيهقي ص٩٧-٩٨، الانتصار للعمراني ٢/ ٥٥٣، التسعينية ١/ ٢٧٦، الدرء ١/ ٢٥٨، منهاج السنة ٥/ ٤٢٤-٤٢٥.

(٣) خلق أفعال العباد للبخاري ص ١٤، وانظر: شرح الأصبهانية ص٤٢١.

(٤) انظر: المجموع ٦/ ١٥٣، ١٢/ ٥٠٩.

كما في قوله تعالى: ﴿ ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا ۝ وَجَعَلْتُ لَهُۥ مَالًا مَّمْدُودًا ۝ وَبَنِينَ شُهُودًا ۝ وَمَهَّدتُّ لَهُۥ تَمْهِيدًا ۝ ثُمَّ يَطْمَعُ أَنْ أَزِيدَ ۝ كَلَّآ إِنَّهُۥ كَانَ لِـَٔايَٰتِنَا عَنِيدًا ۝ سَأُرْهِقُهُۥ صَعُودًا ۝ إِنَّهُۥ فَكَّرَ وَقَدَّرَ ۝ فَقُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ ۝ ثُمَّ قُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ ۝ ثُمَّ نَظَرَ ۝ ثُمَّ عَبَسَ وَبَسَرَ ۝ ثُمَّ أَدْبَرَ وَٱسْتَكْبَرَ ۝ فَقَالَ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ يُؤْثَرُ ۝ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا قَوْلُ ٱلْبَشَرِ ۝ سَأُصْلِيهِ سَقَرَ ﴾[المدثر:١١ـ٢٦]. ولا ريب أن الكافر العنيد، المتقول في القرآن المجيد، أراد أن البشر أحدثوه، أو أن الخلق أنشؤوه، فكذبه الله سبحانه، وبين عواره وبطلانه[١]، **فلما توعَّد على ذلك**، دل أن القرآن ليس من قول البشرية، ولا من قول أحد من البرية، بل هو كلام الله تعالى[٢]، **ومن قال بعد هذا:** « إن هذا القرآن قول البشر، كان قوله مضاهيا لقول الوحيد[٣]، الذي أصلاه الله سقر، ومن قال: إن شيئا منه قول البشر، فقد قال ببعض قوله »[٤].

٥ـ ومن الأدلة الجلية، على إثبات أن القرآن كلام رب البرية، وأنه ليس مخلوقا، قوله تعالى: ﴿ أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ ﴾[الأعراف:٥٤]، ففَصَل بين الخلق والأمر، فدل أن قوله غير خلقه، ولو كان أمره مخلوقا، لكان كأنه قال: ألا له الخلق والخلق، وهذا تكرار من الكلام وعِيٌّ لا فائدة فيه، فينبغي أن يحمل على فائدة مجددة، وهي أن كلام الله تعالى غير خلقه، والكلام صفة من صفاته، وأن القرآن من أمره لا من خلقه[٥].

٦ـ القرآن العربي، كلام ربنا العلي، كما قال سبحانه: ﴿ فَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ۝ إِنَّهُۥ لَيْسَ لَهُۥ سُلْطَٰنٌ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ۝ إِنَّمَا سُلْطَٰنُهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُۥ وَٱلَّذِينَ هُم بِهِۦ مُشْرِكُونَ

---

(١) انظر: الاعتقاد للبيهقي ص٩٨، المجموع ٦/ ٥٤٢، شرح الطحاوية ١/ ١٧٢، ١٨٤.

(٢) انظر: المعتمد لأبي يعلى ص٨٨.

(٣) وهو الوليد بن المغيرة، وكان من صناديد كفار مكة، ومات على الكفر. انظر: جامع البيان في تفسير القرآن للطبري ١٢/ ٣٠٥.

(٤) الدرء ١/ ٢٥٨، وانظر: المجموع ١٢/ ٢٥٩.

(٥) انظر: السنة للخلال ٥/ ١٣٨، ٦/ ٣٦، المعتمد لأبي يعلى ص٨٧، الاعتقاد للبيهقيص٩٧، التسعينية ٢/ ٥٧٤-٥٧٥، معارج القبول ١/ ٣٣٨.

﴿وَإِذَا بَدَّلْنَآ ءَايَةً مَّكَانَ ءَايَةٍ ۙ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُنَزِّلُ قَالُوٓا۟ إِنَّمَآ أَنتَ مُفْتَرٍۭ ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ (١٠١) قُلْ نَزَّلَهُۥ رُوحُ ٱلْقُدُسِ مِن رَّبِّكَ بِٱلْحَقِّ لِيُثَبِّتَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَهُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ (١٠٢) وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُۥ بَشَرٌ ۗ لِّسَانُ ٱلَّذِى يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِىٌّ وَهَٰذَا لِسَانٌ عَرَبِىٌّ مُّبِينٌ﴾[النحل:٩٨ ـ ١٠٣]، فالقرآن الذي يبدل منه آية مكان آية، نزله روح القدس جبريل ﷺ من الله تعالى بالحق، وبعد ذلك قال هالك ـ كما أخبر الله عنه ـ: ﴿إِنَّمَا يُعَلِّمُهُۥ بَشَرٌ﴾ فقال جل شأنه: ﴿لِّسَانُ ٱلَّذِى يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِىٌّ﴾، فالذي ينسبون إليه هذا التعليم أعجمي ﴿وَهَٰذَا لِسَانٌ عَرَبِىٌّ مُّبِينٌ﴾[(١)]، وهذا يدل على أن القرآن كلام الله تعالى، لا كلام أحد من البشر، تلقاه رسول الله ﷺ عن الله ﷻ.

٧ـ أن ربنا الرحمن، تكلم بهذا القرآن، كما قال: ﴿وَلَوْ شِئْنَا لَءَاتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدَىٰهَا وَلَٰكِنْ حَقَّ ٱلْقَوْلُ﴾[السجدة:١٣]، وقال: ﴿تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ﴾[الأحقاف:٢]، ومعلوم أن القرآن ليس عينا من الأعيان القائمة بنفسها، إنما هو صفة كالعلم، والقدرة، والرحمة، والغضب والإرادة، والرؤية، والسمع، ونحو ذلك، وهذا كله لا يقوم إلا بموصوف، فإذا أضيفت إلى الله تعالى فهي صفات له، فهو العالم، والقادر... وهو المتكلم، ومن زعم أن هذه الصفات أو شيئا منها قامت بغير الله، لكان ذلك الغير، هو العالم، وهو القادر... وهو المتكلم، والقرآن منـزل من الله ـ كما صرحت بذلك الآيات السابقة ـ فدل ذلك على أنه كلامه، وصفة له، قائمة به[(٢)]، قال الإمام المبجل أحمد بن حنبل: «كلام الله ليس بمخلوق، ولا تجزع أن تقول ليس بمخلوق، فإن كلام الله من الله ﷻ، من الله، ومن ذات الله، وتكلم الله به، وليس من الله شيء مخلوق»[(٣)]، لأن الله بصفاته خالق، ومن سواه بصفاتهم مخلوقون.

---

(١) انظر: المجموع ١٢/٣٨، ١١٧، ٢٦٠-٢٦١.

(٢) انظر: المجموع ٦/ ٥٤٤، ١٢/ ٤٣٤، شرح الطحاوية ١/ ١٩٦.

(٣) السنة للخلال ٦/ ١٨ بتصرف يسير.

٨ـ وكل شيء مخلوق له قدر معلوم، وكلمات الله لا منتهى لها، فدل ذلك على أنها غير مخلوقة، والقرآن من كلماته، فهو غير مخلوق، قال ابن أبي حاتم[(١)] حدثنا أبي[(٢)] سمعت بعض أهل العلم يقول: « قول الله ﷻ ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَٰهُ بِقَدَرٍ﴾[القمر:٤٩] وقوله: ﴿قُل لَّوْ كَانَ ٱلْبَحْرُ مِدَادًا لِّكَلِمَٰتِ رَبِّى لَنَفِدَ ٱلْبَحْرُ﴾[الكهف:١٠٩] الآية، يدل على أن القرآن غير مخلوق، لأنه[(٣)] لو كان مخلوقا لكان له قدر، وكانت له ـ نهاية ـ، ولنفد كنفاد المخلوقين »[(٤)].

٩ـ قال الله تعالى: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ ۝ عَلَّمَ ٱلْقُرْءَانَ ۝ خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ﴾[الرحمن:١-٣]، ففي الآية خص القرآن بالتعليم، لأنه كلامه وصفته، وكلامه وصفته لا يكونان مخلوقين، وخص الإنسان بالتخليق، لأنه خَلْقُه ومصنوعه،ولو لا ذلك لما فرق بينهما[(٥)].

١٠ـ أن رسول الله ﷺ صادق لا شاعر، ومبلِّغٌ لا كاهن[(٦)]، كما قال تعالى: ﴿إِنَّهُۥ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ۝ وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ ۚ قَلِيلًا مَّا تُؤْمِنُونَ ۝ وَلَا بِقَوْلِ كَاهِنٍ ۚ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ۝ تَنزِيلٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾[الحاقة:٤٠ ـ ٤٣]، وفي هذه الآيات إثبات أن القرآن منـزل من الله وأنّه هو المتكلم به، وأما الرسول فما هو إلا مبلِّغ، وهو الصادق الأمين، وقد ثبت صدقه في كل ما يُخْبِر به عن الله، فمما أخبر به عنه القرآن، فإنه قد عُلِم

---

(١) هو الإمام الحافظ الناقد أبو محمد عبد الرحمن بن أبي حاتم محمد بن إدريس الرازي، ولد سنة ٢٤٠هـ، كان بحرا في العلوم، ومعرفة الرجال، وهو صاحب المصنفات المشهورة ومنها: كتاب الجرح والتعديل، والتفسير الكبير، والرد على الجهمية، توفي سنة ٣٢٧هـ. انظر: السير١٣/ ٢٦٣-٢٦٩، طبقات الشافعية للسبكي٣/ ٣٢٤-٣٢٨، طبقات الحفاظ ص٣٤٦-٣٤٧.

(٢) هو الإمام الحافظ شيخ المحدثين أبو حاتم محمد بن إدريس بن المنذر بن داود بن مهران الرازي، ولد سنة ١٩٥هـ، طوف البلاد، وبرع في علوم الحديث، وهو من نقاد الجرح والتعديل، له نقولات طيبة، ومقالات نفيسة، في كتب السنة، في الرد على أهل البدعة. انظر: الجرح والتعديل لابن أبي حاتم ١/ ٣٤٩-٣٧٥، طبقات الحنابلة لابن أبي يعلى ١/ ٢٦٤-٢٦٥، السير ١٣/ ٢٤٧-٢٦٣.

(٣) الضمير يرجع إلى "الكلام" في المواضع الثلاثة.

(٤) الفتح ١٣/ ٤٥٤، وفيه: (عناية) ولعله خطأ مطبعي، وما أثبته هو الصواب.

(٥) انظر: الحيدة ص٦٥-٦٦، الاعتقاد للبيهقي ص٩٦-٩٧، الفتح ١٣/ ٤٦٢.

(٦) انظر: جمع الوسائل في شرح الشمائل لملا علي القاري ٢/ ٤٠.

بالاضطرار أنه مبلِّغ القرآنَ عن الله، وأخبر أن القرآن كلام الله لا كلامه[(١)].

١١ـ ومن السنة ما رواه جابر ﷺ قال: كان رسول الله ﷺ يعرض نفسه على الناس في الموقف، فقال: [**ألا رَجل يحملني إلى قومه، فإن قريشا قد منعوني أن أبلغ كلام ربي**][(٢)] يعني القرآن الكريم، فهذا تصريح جلي، ونص قطعي، على أن القرآن كلام ربنا العلي[(٣)]، واحتج الأئمة المهديون، الذين سلكوا نهج الأنبياء والمرسلين، على أن القرآن غير مخلوق، بقول النبي ﷺ : [**أعوذ بكلمات الله التامات من شر ما خلق**][(٤)]، قالوا: والمخلوق لا يستعاذ به، والنبي ﷺ لا يَستعيذ بمخلوق، ولا يقول عالم إنه يجوز أن يقال: أعوذ بالكعبة من شر ما خلق الله، ولا أن يقال: أعوذ بالصفا أو بالمروة، أو بغيرها من المخلوقات، وإن كان لها حرمة عند رب البريات[(٥)]؛ فدل هذا على أنه إنما يُستعاذ بالله ﷻ وبأسمائه وصفاته، ومن صفاته كلماته ﷻ.

١٢ـ ومن الأدلة على كون القرآن كلام الله تعالى، وأنه غير مخلوق، الإجماع، وقد ذُكِر الإجماع عن السلف العدول، الذين سلكوا منهج الرسول، ونذكرهم جملة لا بتفصيل، ومجموعا دون تطويل، قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: «وهذا قول السلف قاطبة من الصحابة، والتابعين لهم بإحسان، وسائر أئمة المسلمين: أن القرآن كلام الله ليس

---

(١) انظر: الانتصار للعمراني ١/ ١٠٢، قواطع الأدلة ١/ ٣٣-٣٤، شرح الأصبهانية ص٦٧٣.

(٢) أخرجه أبو داود في سننه، كتاب السنة، باب/ في القرآن، ح(٤٧٣٤)، والترمذي، كتاب ثواب القرآن، باب/ حرص النبي ﷺ على تبليغ القرآن، ح(٢٩٢٦)، وابن ماجة في المقدمة، باب/ فيما أنكرت الجهمية، ح(٢٠١) والإمام أحمد في المسند(٣/ ٩٠)، وغيرهم، وقال فيه الترمذي: «حديث حسن صحيح»، وأخرجه الحاكم في مستدركه، كتاب تواريخ المتقدمين...، باب/ ذكر أخبار سيد المرسلين..، ح(٤٢٢٠) وقال: «هذا حديث صحيح على شرط الشيخين، ولم يخرجاه»، ووافقه الذهبي.

(٣) انظر: المجموع ١٢/ ١٧٢، ٢٥٩، ٣٠١.

(٤) أخرجه مسلم، كتاب الذكر والدعاء، باب/ في التعوذ من سوء القضاء ودرك الشقاء وغيره، ح(٢٧٠٨)، من رواية خولة بنت حكيم السلمية رضي الله عنها، و(٢٧٠٩) من رواية أبي هريرة رضي الله عنه.

(٥) انظر: كتاب التوحيد لابن خزيمة ص ١٦٥-١٦٦، كتاب التوحيد لابن منده ٢/ ١٣٥، المعتمد لأبي يعلى ص٨٧، الاعتقاد للبيهقي ص١٠٨، التسعينية ٢/ ٤٦٢، الدرء ٢/ ٥٤٤، الرد على البكري ٢/ ٥٤٤، المجموع ١٢/ ٣١٣، السير ١٠/ ١٩، شرح الطحاوية ١/ ١٨٩.

بمخلوق»[١]، وقال أيضا: «وهذا مذهب الصحابة، والتابعين لهم بإحسان من أهل البيت وغيرهم، وهذا مذهب الأئمة المتبوعين، مثل: مالك بن أنس، والثوري، والليث بن سعد، والأوزاعي، وأبي حنيفة، والشافعي، وأحمد بن حنبل، وإسحاق[٢]... ومحمد بن خزيمة[٣]، ومحمد بن نصر المروزي[٤]، وأبي بكر بن المنذر[٥]، ومحمد بن جرير الطبري، وأصحابهم»[٦]، وقد عد العلماءَ المجتهدين، الذين يقتدى بهم في الدين، أبو القاسم اللالكائي[٧]،

---

(١) منهاج السنة ١/ ٢٤٦، وانظر: ٥/ ٤١٦، المعتمد لأبي يعلى ص٢٦٢، الاعتقاد للبيهقي ص١١٢، التسعينية ٢/ ٦١٢، شرح الأصبهانية ص٧-٨، الصفدية ٢/ ٥٥،٨٦ ، المجموع١٢/ ٢٣٥، ٣٧٢، ٤٠٧، ١٧/ ٣٦، ٢٣/ ٣٦١، الفتح ١٣/ ٤٧٠، العين والأثر ص٨١.

(٢) هو الإمام الثقة، الحافظ المجتهد: أبو محمد إسحاق بن إبراهيم بن مخلد الحنظلي التميمي المروزي المعروف بابن راهُويه، ولد سنة ١٦١هـ لقي الكبار، وأخذ العلم في الأمصار، واحتاج إليه أهل الديار، وكان رأسا في السنة، شديدا على أهل البدعة، مات سنة ٢٣٨هـ. انظر: الجرح والتعديل ٢/ ٢٠٩-٢١٠، السير ١١/ ٣٥٨-٣٨٣، تقريب التهذيب ص٣٩.

(٣) هو إمام الأئمة الحافظ الحجة: أبو بكر محمد بن إسحاق بن خزيمة بن المغيرة السلمي النيسابوري، ولد سنة ٢٢٣، وعنى في صغره بالحديث والفقه، فحاز فيهما السبق، وأخذ من خلق، وأخذ عنه كثيرون منهم الشيخان في غير الصحيحين، وكان لا يهتم بأمور الدنيا ولا يفرق بين العشرة والعشرين، مع السخاء والجود، مهتما بالعلم والحفظ، حتى قيل:إنه يحفظ المسائل الفقهية من حديثه كما يحفظ القارئ السورة، ومن مؤلفاته السنية كتاب التوحيد وإثبات صفات الرب، توفي ﷺ سنة ٣١١هـ. انظر: الجرح والتعديل ٧/ ١٩٦، السير ١٤/ ٣٦٥-٣٨٢، طبقات الشافعية للسبكي ٣/ ١٠٩-١١٩.

(٤) هو الإمام الحافظ: أبو عبد الله محمد بن نصر بن الحجاج المروزي، ولد ٢٠٢هـ أخذ عن جماعة كثيرة، وتفقه في فنون عديدة، ومن أعلم الناس باختلاف الصحابة ومن بعدهم في الأحكام، ومن مصنفاته: كتاب تعظيم قدر الصلاة، والسنة، مات سنة ٢٩٧هـ. انظر: السير١٤/ ٣٣-٤٠، طبقات الشافعية للسبكي ٢/ ٢٤٦-٢٥٥، طبقات الحفاظ ص٢٨٩-٢٩٠.

(٥) هو الإمام الحافظ، العلامة: أبو بكر محمد بن إبراهيم بن المنذر النيسابوري، تفقه بالمذهب الشافعي ومِنْ عِدادهم، ويدور مع الدليل حيث دار، وأصبح إماما مقتدىً به، وهو صاحب التصانيف، ومن تصانيفه: الإجماع، والإشراف على مسائل الخلاف، توفي سنة ٣١٨هـ. انظر: السير ١٤/ ٤٩٠-٤٩٢، طبقات الشافعية للسبكي ٣/ ١٠٢-١٠٨، طبقات الحفاظ ص٣٢٨.

(٦) منهاج السنة ٢/ ١٠٦-١٠٧، وانظر: الفقه الأكبر المنسوب لأبي حنيفة ص٤٠ مع شرح ملا على القاري، العقيدة الطحاوية ص٤٠ بتحقيق الشيخ الألباني، شرح الأصبهانية ص٥٠٧، المجموع ١٢/ ٣٦-٣٧، ٥٠٦-٥٠٧، ٥٥٤، ٥٨٢، شرح الطحاوية ١/ ١٨٥.

(٧) هو الحافظ الفقيه: أبو القاسم هبة الله بن الحسن بن منصور الطبري الرازي اللالكائي، حفظ الحديث، وتفقه على مذهب الشافعي، وله تصانيف منها: شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة، وكتاب في

وذكرهم وأحصاهم، فبلغوا (٥٥٠) نَفْسا بل أكثر، من التابعين وأتباع التابعين، والأئمة المرضيين ـ سوى الصحابة ﵃ وفيهم نحو مائةِ إمام مقتدىً به، غير الألوف من المحدثين[١]، فالله ﷻ تكلم بالقرآن، وكلم موسى تكليما، وهذا اعتقاد المؤمنين المتبعين، للقرآن والحديث، وإجماع السلف الصالحين، من الصحابة والتابعين، فالنقول «بذلك متواترة مستفيضة، عن الصحابة، والتابعين لهم بإحسان»[٢] بل «وجمهور المسلمين يقولون: إن القرآن العربي كلام الله، وقد تكلم الله بحرف وصوت»[٣]، فهذا القرآن الذي يقرؤه المسلمون هو كلام الله الذي أنزله على نبيه ﷺ، كما ثبت بذلك النص والإجماع[٤]؛ فنعلم أن الذي نقرؤه هو كلام الله حقيقة، لا كلام غيره، وأن الذي بين اللوحين هو كلام الله حقيقة، كما هو إجماع المسلمين من السلف، ومتبعيهم من الخلف، قبل حدوث البدع، وانتشار الأهواء.

١٣ـ ومن الأدلة على ذلك، الآثار السلفية، الواردة عن الصحابة ﵃، ومن تلكم الآثار، المشهورة في الأمصار:

أ ـ ما جاء في حديث أبي بكر الصديق ﵁، لما قرأ على المشركين، قول الله ﷻ: ﴿الٓمٓ ۝ غُلِبَتِ ٱلرُّومُ﴾[الروم:١ ـ ٢]، فقالوا: كلامك هذا أم كلام صاحبك؟ قال ﵁: [**ليس بكلامي، ولا كلام صاحبي، ولكنه كلام الله ﷻ**][٥].

= السنن وغيرها، مات سنة ٤١٨هـ. انظر: تاريخ بغداد ١٤/ ٧٠-٧١، السير١٧/ ٤١٩-٤٢٠، طبقات الحفاظ ص٤٢١.

(١) انظر: اعتقاد أهل السنة والجماعة للالكائي ٢/ ٣٤٤ وقد عدها أحد الاخوة فبلغ بالتدقيق (٥٥٧) نفسا، والمجموع ١٢/ ٤١٩-٤٢٠، اعتقاد أئمة السلف أهل الحديث د. محمد الخميس.

(٢) منهاج السنة ٢/ ٣٦٣، وانظر: خلق أفعال العباد ص ٦٨-٦٩، السنة للخلال ١٠٧/٦، شرح الأصبهانية ص١٤٨، المجموع ٥/ ٩١، ١٩٠، ١٢/ ٣٠، ٥١٦-٥١٧.

(٣) شرح حديث النزول ص٤٣٤، وانظر: شرح الأصبهانية ص٤١٣، المجموع ٦/ ١٨٣.

(٤) انظر: الانتصار للعمراني ٢/ ٥٩٦، التسعينية ٢/ ١٢، ٥١٣، المجموع ٦/ ٥٤٣، ١٢/ ٥٠٤.

(٥) أخرجه ابن خزيمة في التوحيد ص١٦٦-١٦٧، والبيهقي في الاعتقاد ص١٠٧-١٠٨، ونحوه البخاري في خلق أفعال العباد معلقا ص٣١، وغيرهم، قال شيخنا: بدر البدر في تعليقه على خلق أفعال العباد: «وإسناده صحيح»، وانظر: المجموع ٦/ ٥٤٣، ١٢/ ٥٠٤.

ب ـ ما روي عن عليّ ﷺ، أنه لما قيل له: [**حكمت مخلوقا؟ قال: لمْ أُحكِّم مخلوقا، وإنما حكمت القرآن**][١]؛ « فلم ينكر ذلك عليه أحد من الصحابة الذين يوالونه، ولا أحد من الخوارج[٢] الذين يعادونه، ولا روي عن أحد منهم خلاف له في ذلك »[٣].

ج ـ روى ابن أبي حاتم في كتابه "الرد على الجهمية" بسنده عن ابن عباس ﷺ: [**أنه سمع رجلا يقول في جنازة: يا رب القرآن ارحمه؟؟ فقال: مَـهْ؟ القرآن منه، القرآن كلام الله، وليس بمربوب، منه خرج وإليه يعود**][٤].

د ـ روى ابن أبي حاتم عن عمرو بن دينار[٥] قال: [**سمعت مشيختنا منذ سبعين سنة يقولون: القرآن كلام الله غير مخلوق**][٦]؛ **فهذه أدلة أثرية**، تفيد أن القرآن من كلام رب البرية، هو المتكلم به، ومنه سمع، وهو المتصف به لا غيره[٧]

(١) رواه البيهقي في الاعتقاد ص١١٠، وفي الأسماء والصفات ص٥٢٥، وقال: « وهذه الحكاية شائعة فيما بين أهل العلم، ولا أراها شاعت إلا عن أصل »، واللالكائي في شرح أصول الاعتقاد ١/ ٢٥٤-٢٥٥، وذكره ابن الجوزي في تلبيس إبليس ص١٠٠، واستشهد به شيخ الإسلام ابن تيمية في منهاج السنة ٢/ ٢٥١-٢٥٢، المجموع ١٢/ ٤١٨.

(٢) الخوارج فرقة ضالة، كان أول بزوغهم السعي لقتل عثمان ﷺ. ثم الخروج على علي ﷺ وقتله، وهم يظهرون العبادة، والولاء بشدة للدين، ويفهمون الشرع على فهومهم، ولهذا شذوا في كثير من الأحكام، ومن ذلك تكفيرهم للحكام المسلمين، ويرى الخوارج ـ كفرقة ـ أن مرتكب الكبيرة كافر حلال الدم، وهم فرق كثيرة، ومنهم الإباظية اليوم، وعلى فكرهم كثير من الأصاغر في هذا العصر. انظر: معجم ألفاظ العقيدة ص١٦٩.

(٣) رسالة إلى أهل الثغر ص١٢٦، وانظر: شرح أصول الاعتقاد للالكائي ٢/ ٢٥٣.

(٤) أخرجه البيهقي في الاعتقاد ص١١٠، وفي الأسماء والصفات ص٥١٩، واللالكائي في شرح أصول الاعتقاد ٢/ ٢٥٦-٢٥٧، وانظر: تلبيس إبليس ص١٠٠، منهاج السنة ٢/ ٢٥٢-٢٥٣، المجموع ١٢/ ٤١٨، الفتح ١٣/ ٤٦٣، وسيأتي مزيد من الآثار في المطلب الثاني، تؤكد هذا المعنى.

(٥) هو الإمام الحافظ، الثقة الثبت: أبو محمد عمرو بن دينار المكي الأثرم، الجُمَحِي مولاهم، روى عن عدد من الصحابة، ذو فقه ودراية، وعلم ورواية، مات سنة ١٢٦هـ. انظر: السير ٥/ ٣٠٠-٣٠٧، تقريب التهذيب ص٣٥٨، طبقات الحفاظ ص٥٠. وقد ذكر اللالكائي أنه قد لقي تسعة من الصحابة، كما في شرح أصول الاعتقاد ٢/ ٢٥٣-٢٥٤.

(٦) رواه البخاري في خلق أفعال العباد ص ١١، ومن طريقه البيهقي في الاعتقاد ص ١١١، والأسماء والصفات ص٢٤٥، واللالكائي في شرح أصول الاعتقاد ٢/ ٢٦٠-٢٦١، وغيرهم، وانظر: منهاج السنة ٢/ ٢٥٣.

(٧) انظر: شرح الأصبهانية ص١٣.

١٤ـ الأدلة من القياس وهو دليل العقل؛ وقد دل العقل على أن الله ﷻ متكلم بمختلف الأدلة، ومن ذلك:

أ ـ أن القرآن من علم الله، ومن زعم أن علم الله مخلوق فقد كفر بالله، قيل للإمام أحمد: «ما تقول في القرآن؟، قال: ما تقول في العلم؟؟ فسكت، فقال الإمام أحمد: القرآن من علم الله»[(١)].

ب ـ القرآن كلام الله باتفاق المسلمين، فإما أن يكون كلامه النظم والمعنى، كما هو قول جمهور المسلمين من الصحابة والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين، أو النظم دون المعنى، وهذا معلوم بطلانه بضرورة العقل، أو المعنى دون النظم؛ فإن كان كلامه هو المعنى فقط، والنظم العربي الذي يدل على المعاني ليس كلام الله،كان مخلوقا خلقه الله في غيره، فيكون النظم لذلك الغير، ومن المعلوم بالاضطرار من دين المسلمين، أن الكلام العربي الذي بلغه محمدٌ ﷺ عن الله، أعلمَ أمتَه أنه كلام الله، لا كلام غيره، فإن كان النظم العربي مخلوقا، لم يكن كلام الله، فيكون ما تلقته الأمة عن نبيها باطلا؟ وهذا من أعظم حجج أهل السنة على أن القرآن كلام الله غير مخلوق[(٢)].

ج ـ أن صفات الله تعالى لا تكون مخلوقة، فكذلك القرآن وهو من كلامه ﷻ، قال أحمد بن الحسن الترمذي[(٣)]: «قلت لأحمد بن حنبل: إن الناس قد وقعوا في القرآن! فكيف أقول؟ فقال: أليس أنت مخلوقاً؟، قلت: نعم!، قال: فكلامك منك مخلوق؟، قلت: نعم، قال: أفليس القرآن من كلام الله؟ قلت: نعم!، قال: وكلام الله من الله؟ قلت: نعم! قال: فيكون من الله شيء مخلوق؟!»[(٤)].

(١) المجموع ٦/ ١٥٧.

(٢) انظر: المجموع ٦/ ٥٣٤، وانظر: معارج القبول ١/ ٣٣٨.

(٣) هو الثقة الحافظ: أبو الحسن أحمد بن الحسن بن جُنَيْدِب الترمذي، تفقه على الإمام أحمد، وكان بصيرا بالعلل والرجال، حدث عنه جماعة، توفي بعد مائتين وأربعين هجرية. انظر: طبقات الحنابلة لابن أبي يعلى ١/ ٣٩-٤٠، السير ١٢/ ١٥٦-١٥٧، تقريب التهذيب ص١٨.

(٤) المجموع ١٢/ ٤٣٣-٤٣٤.

د ـ ويدل على أن القرآن كلام الله غير مخلوق، أنه لو حلف إنسان لا أتكلم، فقرأ القرآن، لم يحنث، فلو كان الكلام كلامه لحنث، فلما لم يحنث دل على أن القرآن ليس كلامه، وأنه كلام الله تعالى[(١)].

هـ ـ أنه لا بد من اعتقاد في القرآن، وأنه كلام الرحمن، وهذا من دين الإسلام، «**لأن الدين لا بد فيه من أحد أمرين**: إما أن يكون الله تعالى تكلم بالقرآن وبسائر كلامه، وإما أن يكون خَلَقه في غيره، لا يحتمل الأمر وجها ثالثا؛ فإذا بطل أن يكون خلقه في غيره من الدين، تعين أن يكون القول الآخر من الدين، وهو أن الله هو المتكلم به، فمنه بدأ، ومنه حق القول، ومن لدنه نزل»[(٢)].

١٥ ـ مما يدل على أن القرآن كلام الله غير مخلوق، إطلاق السلف لفظ التكفير، على من زعم ذلك، ومن ذلك:

أ ـ قال الثوري: «من قال: القرآن مخلوق، فهو كافر»[(٣)].

ب ـ ما رواه البخاري في خلق أفعال العباد أن: «عبد الله بن إدريس[(٤)] جاءه رجل فقال: يا أبا محمد! ما تقول في قوم يقولون: القرآن مخلوق؟ فقال: أمن اليهود؟[(٥)] قال: لا، قال: فمن النصارى؟ قال: لا، قال: فمن المجوس؟[(٦)] قال: لا، قال: فممن؟ قال: من أهل التوحيد!، قال: ليس هؤلاء من أهل التوحيد، هؤلاء زنادقة، من زعم أن القرآن مخلوق، فقد زعم أن الله مخلوق، يقول الله: ﴿بسم الله

---

(١) انظر: المعتمد لأبي يعلى ص٨٨، وانظر: المجموع ١٠/ ١٧.

(٢) التسعينية ٢/ ٥١٨، وانظر: معارج القبول ١/ ٣٣٨.

(٣) أخرجه البخاري في خلق أفعال العباد ص١٤، وعبد الله بن أحمد نحوه في السنة ص١١، وغيرهما.

(٤) هو الإمام الثقة، الفقيه العابد: أبو محمد عبد الله بن إدريس بن يزيد بن عبد الرحمن الأودي الكوفي، ولد سنة ١٢٠هـ، كان من أئمة الدين، ومن القراء التالين، والمحدثين المشهورين، توفي سنة ١٩٢هـ. انظر: التاريخ لابن معين ٢/ ٢٩٥-٢٩٧، السير٩/ ٤٢-٤٨، تقريب التهذيب ص٢٣٨.

(٥) اليهود هم الذين يزعمون أنهم أتباع موسى ﷺ، وكانت في الأصل ديانة سماوية، ثم حرفت كما دل على ذلك القرآن، وسميت يهودية، قيل: نسبة إلى يهوذا بن يعقوب، وقيل: غير ذلك. انظر: معجم ألفاظ العقيدة ص ٤٥٢.

(٦) وهم عباد النار، ويزعمون أن للكون إلهين: إله للخير ويمثله النور، وإله للشر ويمثله الظلمة، ومنهم الثنوية والمانوية. انظر: معجم ألفاظ العقيدة ص٣٦٣.

الرحمن الرحيم﴾[النمل:٣٠]، فـ(الله) لا يكون مخلوقا، و(الرحمن) لا يكون مخلوقا، وهذا أصل الزنادقة، من قال هذا فعليه لعنة الله، لا تجالسوهم، ولا تناكحوهم»[١].

ج ـ قال ابن المديني[٢]: «القرآن كلام الله،من قال: إنه مخلوق فهو كافر، لا يصلى خلفه»[٣].

بل اتفاق السلف على أن هذه المقالة شنيعة بدعية، وأنها من مروجات أهل البدع الكفرية، وتكفيرهم بهذه المقالة عام، مع اتفاقهم على تكفير الجهمية[٤] الأولى خصوصا[٥]، وهم المراد بقول السلف أنهم زنادقة، وأما غيرهم من الفرق، وتنزيل هذا العموم على آحادهم، فلا يكون إلا بعد العلم والبيان، وإقامة الحجة والبرهان[٦]، ومن هنا نفهم إطلاقات السلف، في فتاواهم بتكفير القائلين بخلق القرآن، وأنها من حيث العموم، قال الإمام الشافعي: «لله أسماء وصفاتٌ لا يسع أحدا ردَّها، ومن خالف بعد ثبوت الحجة عليه كفر، وأما قبل قيام الحجة فإنه يعذر بالجهل»[٧]، وقال الإمام البخاري رحمه الله: «وكل من لم يعرف الله بكلامه أنه غير مخلوق، فإنه يُعلَّم ويُرد جهله إلى الكتاب والسنة، فمن أبى بعد العلم به كان معاندا»[٨]؛ فإطلاق السلف

---

(١) أخرجه البخاري في خلق أفعال العباد ص١٣، وعبد الله بن أحمد نحوه في السنة ص١٤.

(٢) هو الإمام الثبت، الثقة الحافظ: أبو الحسن على بن عبد الله بن جعفر بن نَجيح السعدي مولاهم المديني، ولد سنة ١٦١هـ أعلم أهل عصره بالحديث وعلله، قال النسائي: «كأن الله خلقه للحديث»، أجاب في محنة (مسألة خلق القرآن) مُكْرَهًا، واعتذر بالخوف معلِّلا، مات سنة ٢٣٤هـ. انظر:طبقات الحنابلة ١/ ٢١٣-٢١٥، السير ١١/ ٤١-٦٠ تقريب التهذيب ص٣٤٢.

(٣) أخرجه البخاري في خلق أفعال العباد ص١٨، وانظر بعض الآثار السلفية عن الأئمة في السنة للخلال ٦/ ١٠ وما بعدها، عقيدة السلف للصابوني ص٣١، شرح الأصبهانية ص٤٢١ وما بعدها، التسعينية ٢/ ٥٧٥، ٦٨٦

(٤) الجهمية هم أتباع الجهم بن صفوان السمرقندي، وقد أخذ عن الجعد بن درهم، وهو رأس الجهمية، وناشر مذهبهم، وكل من نفى صفات الله ﷻ فهو جهمي، ومن أنكر علو الله ﷻ فهو جهمي بهذا الاعتبار، وأما الجهمية الخلص فهم الذين لا يثبتون لله ﷻ أسماء ولا صفات. انظر: أصول الدين للبغدادي ص٣٣٣، معجم ألفاظ العقيدة ص١٢٨.

(٥) انظر: الدرء ٥/ ٢٥٧، ٣٠٩، المجموع ١٢/ ٤٨٥، ٢٠/ ١٨٥.

(٦) انظر: خلق أفعال العباد ص ٧٠، السنة لابن أبي عاصم ص٦٣١.

(٧) الفتح ١٣/ ٤٠٧.

(٨) خلق أفعال العباد ص٧٠.

لفظ التكفير، على من قال بأن القرآن مخلوق، يدل على قوة اعتقادهم، وثبات رسوخهم في هذه العقيدة، وهي: أن القرآن كلام الله غير مخلوق(١).

١٦ـ ومما يدل على ذلك، ثبات أهل السنة، ورسوخهم في مقابل هذه البدعة الشنيعة، وبذلهم أنفسهم، وأموالهم، وجاههم في بيان هذه العقيدة النقية السلفية، في كلام رب البرية، وأنه من صفاته العلية؛ فمنهم من قُتل، ومنهم من ضُرب بالسياط، وكبل بالحديد، وسلسل بالسلاسل، ومنهم من أُعفي من منصبه، ومُنع من تدريسه وإفتاءه، ولم يزدهم ذلك إلا رسوخا في هذه العقيدة، حصل كل هذا وزيادة، لما وقعت المحنة العظيمة، ذات الشرور المستطيرة، وهي معروفة مشتهرة، وفي كتب التاريخ والسير مستطرة، وأنقل خلاصة ذلك بما حصل لإمام أهل السنة المبجل، أبو عبد الله أحمد بن حنبل رحمه الله ورضي عنه، وجزاه الله عن الإسلام والمسلمين خيرا، قال شيخ الإسلام رحمه الله: « فلما امتحن الناس بذلك ـ بالقول بخلق القرآن ـ، واشتهرت هذه المحنة، وثبت الله من ثبته من أئمة السنة، وكان الإمام الذي ثبَّته الله، وجعله إماما للسنة ـ حتى صار أهلُ العلم بعد ظهور المحنة يمتحنون الناس به، فمن وافقه كان سُنِّيا، وإلا كان بدعيا ـ، هو الإمام أحمد بن حنبل، فثبت على أن القرآن كلام الله غير مخلوق، وكان المأمون(٢) لما صار إلى الثغر بطَرَسُوس(٣)، كتب إلى نائبه بالعراق إسحاق بن إبراهيم(٤)، فدعي العلماء، والفقهاء، والقضاة، فامتنعوا عن الإجابة

---

(١) انظر: المجموع ١٢/ ٤٢٠، ٥٠٧.

(٢) هو أحد خلفاء بني العباس: أبو جعفر عبد الله بن هارون الرشيد بن محمد المهدي العباسي، ولد سنة ١٧٠هـ، بويع له بالخلافة بعد مقتل أخيه، وعُربت الكتب اليونانية بأمره، وكان فيه تشيع، دعا إلى القول بخلق القرآن، نسأل الله لنا وله الغفران، وامتحن الناس، وبالغ فيه سنة ٢١٨ هـ، حتى توفي في رجب من السنة نفسها. انظر: المعارف لابن قتيبة ص ٢١٧-٢٢٠، البدء والتاريخ لأبي زيد أحمد بن سهل البلخي ٢/ ٢٩٦-٢٩٧، السير ١٠/ ٢٧٢-٢٩٠، تاريخ الخلفاء للسيوطي ص٢٦٨-٢٩٠.

(٣) بفتح الأولَيَيْن، مدينة بثغور الشام بين إنطاكية وحلب وبلاد الروم. معجم البلدان ٤/ ٣١-٣٢، وهي الآن في أوروبا الشرقية، جنوب من (أضنة) التركية. أطلس التاريخ العربي الإسلامي ص٤٠.

(٤) هو الوالي الحازم: إسحاق بن إبراهيم بن مصعب الخزاعي، ولي بغداد نحوا من ثلاثين سنة، قال الذهبي: «وعلى يده امتُحِن العلماءُ، بأمر المأمون في ـ مسألة ـ خلق القرآن»، توفي سنة ٢٣٥هـ. انظر: السير ١١/ ١٧١، شذرات الذهب لابن العماد الحنبلي ٢/ ٨٤.

والموافقة، فأعاد عليه الجواب، فكتب كتابا ثانيا يقول فيه عن القاضيين، بشر بن الوليد[(١)]، وعبد الرحمن بن إسحاق[(٢)]، إن لم يجيبا فاضرب أعناقهما، ويقول عن الباقين: إن لم يجيبوا فقيدهم فأرسلهم إليّ، فأجاب القاضيان، وذكرا لأصحابهما: أنهما مكرهان، وأجاب أكثر الناس قبل أن يقيدهم لمّا رأوا الوعيد، ولم يجب ستة أنفس، فقيدهم فلما قيدوا أجاب الباقون إلا اثنين، أحمد بن حنبل، ومحمد بن نوح النيسابوري[(٣)] فأرسلوهما مقيدين إليه فمات محمد بن نوح في الطريق، ومات المأمون قبل أن يصل أحمد إليه، وتولى أخوه أبو إسحاق[(٤)]، وتولى القضاء

---

(١) هو قاضي العراق: أبو الوليد بشر بن الوليد بن خالد الكندي الحنفي، تفقه على يد القاضي أبي يوسف، امتحن في مسألة خلق القرآن، فأجاب مكرها، ثم كان رأيه الوقف، فكان لا يقول: إنه مخلوق ولا غير مخلوق، مات سنة ٢٣٨هـ. انظر: تاريخ بغداد ٧/ ٨٠، السير ١٠/ ٦٧٣-٦٧٦، الجواهر المضية ١/ ٤٥٢ ـ ٤٥٤.

(٢) هو القاضي: عبد الرحمن بن إسحاق بن إبراهيم بن سلمة الضبي، تولى قضاء الرقة، ثم تولى قضاء الشرقية ببغداد، أيام المأمون إلى آخر أيام المعتصم، وذكره ابن كثير فيمن دعي في المحنة وطلب منه أن يجيب، وعزل عن القضاء سنة ٢٢٨هـ، توفي سنة ٢٣٢هـ. انظر: البداية والنهاية ١٠/ ٧١٥، والجواهر المضية ٢/ ٣٧٥-٣٧٦، وتاريخ بغداد ١٠/ ٢٦٠-٢٦١.

وذكر محقق كتاب "شرح حديث النزول": «أن ذكر الشيخ لعبد الرحمن بن إسحاق في هذه القصة وهم، والصواب أن الثاني هو: إبراهيم المهدي»، والذي يظهر لي ـ والله تعالى أعلم ـ أن ما قاله شيخ الإسلام هو الصواب، خصوصا أنه ذكره في عدة مواضع من كتبه، كما في: (المجموع ٥/ ٥٥٤، الدرء ٥/ ١٨٢، ٧/ ٢٥٦)، ويظهر أنه كان في أول الأمر على ما كان عليه عامة العلماء من السنة، وفي أول المحنة التي أجراها المأمون على الفقهاء والقضاة والمحدثين، إلا إنه صار بعدُ إلى قول المعتزلة خصوصا أنه لم يكن صاحب حديث، وإنما كان صاحب فقه على المذهب الحنفي، (جمّاعًا للمال) كما قال الدارقطني، وناظر بعدُ الإمامَ أحمد بين يدي المعتصم، وأفتى بقتل أحمد بن نصر الخزاعي في زمن الواثق. انظر: تاريخ بغداد ٥/ ١٧٧، ٧/ ٣٦٤، ١٠/ ٢٦٠، والمجموع (وناظره الأئمة في هذه المسألة وصار متجهما) ٦/ ١٥٧، الفتاوى الكبرى ٥/ ٧٧، الدرء ٣/ ٢٤.

(٣) هو المُدافع عن السنة، والباذل نفسه لها: محمد بن نوح بن ميمون العجلي، قال عنه الإمام أحمد: «ما رأيت أحدا ـ على حداثة سنه، وقلة علمه ـ أقوم بأمر الله من محمد بن نوح، وإني لأرجو أن يكون الله قد ختم له بخير» وُجِّهَ إلى المأمون بطرسوس، مُكَبَّلا بالسلاسل، مات في الطريق، سنة ٢١٨هـ. انظر: تاريخ بغداد ٣/ ٣٢٣، البداية والنهاية ١٠/ ٧١٦ (ووقع فيه: الجنديسابوري، وهو آخر متأخر، كما ذكر المتأخر الذهبي في السير ١٤/ ٣٤)، شذرات الذهب ٢/ ٤٥.

(٤) هو أحد خلفاء بني العباس: المعتصم محمد بن هارون الرشيد بن المهدي العباسي، بويع بالخلافة بعهد من

أحمد بن أبى دؤاد[(١)]، وأقام أحمد ابن حنبل في الحبس من سنة ثماني عشرة إلى سنة عشرين. ثم إنهم طلبوه وناظروه أياما متعددة، فدفع حججهم، وبين فسادها، وأنهم لم يأتوا على ما يقولونه بحجة، لا من كتاب، ولا من سنة، ولا من أثر، وأنه ليس لهم أن يبتدعوا قولا، ويلزموا الناس بموافقتهم عليه، ويعاقبوا من خالفهم، وإنما يلزم الناس ما ألزمهم الله ورسوله، ويعاقب من عصى اللهَ ورسولَه، فإن الإيجاب والتحريم، والثواب والعقاب، والتكفير والتفسيق، هو إلى الله ورسوله، ليس لأحد في هذا حكم»[(٢)]، وبهذا الثبات ظهرت السنة، ومحقت البدعة، والحمد لله أولا وآخرا، وظاهرا وباطنا، وبهذا القدر كفاية لمن اعتبر، وتذكير لمن تذكر، فالقرآن كلام الله تعالى غير مخلوق، منه بدأ وإليه يعود، وهذه العبارة الأخيرة هي موضوع المطلب الآتي.

= أخيه المأمون، وذلك سنة ٢١٨هـ، وصار على طريقة سلفه في امتحان الناس في مسألة خلق القرآن، وبلي به الناس، وكان رجلا مقداما، يغزو بنفسه، مات سنة ٢٢٧هـ. انظر: المعارف لابن قتيبة ص٢٢٠-٢٢١، البدء والتاريخ ٢/ ٢٩٨-٣٠٠، السير ١٠/ ٢٩٠، تاريخ الخلفاء ص٢٩١-٢٩٦.

(١) هو القاضي الجهمي: أبو عبد الله أحمد بن فرج بن حَريز الإيادي البصري، المعروف بابن أبي دُؤَاد، صاحب جود ومكرمة، لولا ما كان منه في المحنة، فإنه أجج نارها، وزكم بها أنوف أهل السنة وحمل شنارها، وكان عدوّا لدودا لأئمة أهل السنة، مفتيا بقتلهم في المحنة، أصيب بالفالج، ومات ولم يوجد له معالج، توفي سنة ٢٤٠هـ. انظر: الفهرست ص ٢٩٦ وفيه (جرير بدل حريز)، السير ١١/ ١٦٩-١٧١، ميزان الاعتدال ١/ ٩٧.

(٢) شرح حديث النـزول ص٤٣٠-٤٣٣، المجموع٥/ ٥٥٣، وانظر: طبقات الحنابلة ١/ ١٨-١٩، المجموع ١٢/ ٣٥٥، ٥٠٧، ١١/ ٤٧٨، الدرء ٥/ ١٨٢ السير١٠/ ٢٨٧-٢٨٨، ١١/ ٢٣٦-٢٦٥، البداية والنهاية لابن كثير ١٠/ ٧١٤-٧١٧، ٧٨٠-٧٨٦، تاريخ الخلفاء ص٢٧٠-٢٧٤.

المطلب الثاني: القرآن الكريم من الله بدأ وإليه يعود.

إن من العقائد السلفية، لمتبع الآثار السَنِيّة، أن الله ﷻ متصف بالصفات العلية، وصفاته منه ﷻ، وأن القول في الصفات كالقول في الذات(١).

وسبق أن من الصفات العلا، الثابتة لربنا الأعلى، صفة الكلام على ما يليق بجلاله، من غير مشابهة لأحد من خلقه، وأن من كلامه القرآن الكريم.

وللتأكيد على أن القرآن كلام الله سبحانه، هو المتكلم به لا غيره، سُطِّرت في كتب العقائد والنحل، والآثار والسنن: [**أن القرآن من الله بدا وإليه يعود**]، ونُقِلَت هذه العبارة مأثورا، واشتهرت معقولا، ويتضح معناها جليا، في المسألتين الآتيتين:

المسألة الأولى: قول السلف: [القرآن من الله بدا].

و(بَدَا) من(البَدأْ) و(الابْتِدَاء)، كما ورد عن العرب، أو من(البُدُوِّ) وهو الظهور(٢)، وعلى هذين المعنيين كلام السلف يدور، **وفي الاصطلاح أراد السلف بهذه العبارة معنيين:**

المعنى الأول: أنهم أرادوا بقولهم: (القرآن منه) أي كلام الله، من الله، وأن الكلام صفة من صفاته، والصفة داخلة في مسمى اسمه.

وهذا كقولهم: علم الله منه، وقولهم: صفاته منه، وهذا التفسير يطابق قول الإمام أحمد وغيره من السلف حين قالوا: «ما وصف الله من نفسه، وسمى من نفسه، كالقدرة والحياة، والعلم، وغيرها، فإن هذه الصفات كلها من الله، أي: مما تدخل في مسمى اسمه»(٣).

---

(١) انظر: التدمرية ص ٤٣، المجموع ١٢/ ٥٧٥.

(٢) انظر: المفردات للراغب ص٤٩، مقاييس اللغة ص١٢٠، النهاية في غريب الحديث والأثر لابن الأثير الجزري ١/ ١٠٣، شرح الواسطية للشيخ محمد خليل هراس ص٩١.

(٣) التسعينية ١/ ٣٦٣-٣٦٤، وانظر: المجموع ١٢/ ٤٦، ٢٧٤، ٣٣٠.

فالسلف يعتقدون: أن القرآن سمعه جبريل من الله حقيقة، كما سمع موسى ﷺ كلام الله منه حقيقة، فالقرآن منه حقيقة[(١)].

قال عبد الله بن إدريس الأودي: «لما سُئِل عن قوم يقولون: القرآن مخلوق؟؟ فاستشنع ذلك، وقال: سبحان الله! شيء منه مخلوق؟ هؤلاء زنادقة؟؟»[(٢)].

وذلك لأن القرآن كلام الله تعالى، وصفة من صفاته، والله بصفاته الخالق، وصفاته منه، وليس شيء من صفاته مخلوق.

وقال محمد بن خفيف[(٣)] ـ مبينا أن القرآن من كلام الله سبحانه، وأنه صفة من صفاته ـ: «وقولنا وقول أئمتنا: إن القرآن كلام الله غير مخلوق، وإنه صفة الله، منه بدأ قولا، وإليه يعود حكما»[(٤)].

وباب الصفات واحد ـ فالقول في بعض الصفات كالقول في البعض الأخر[(٥)] ـ فعلمه وكلامه منه، وهو غير مخلوق، والقرآن من كلام الله تعالى.

قال وكيع بن الجراح[(٦)] رحمه الله: «القرآن كلام الله، وهو منه جل وتعالى». وقال: «القرآن من الله، منه خرج وإليه يعود»[(٧)].

---

(١) انظر: الواسطية ص ١٣٦ بحاشية الفوزان.

(٢) رواه عبد الله بن أحمد في السنة ص ١٤.

(٣) الشيخ الفقيه القدوة، الزاهد الناسك: أبو عبد الله محمد بن خَفيف بن اسفكشار الضبي الفارسي الشيرازي، تفقه على أبي العباس بن سريج، وأخذ عنه الباقلاني وغيره، وهو معدود من الزهاد، متمسك بالكتاب والسنة، جمع بين العلم والعمل، توفي سنة ٣٧١هـ. انظر: السير ١٦/ ٣٤٢-٣٤٧، الأنساب للسمعاني ٣/ ٤٩٢، طبقات الشافعية للسبكي ٣/ ١٤٩-١٦٣.

(٤) المجموع ٥/ ٧٦، وانظر: الواسطية ص ١٣٦ بحاشية الفوزان.

(٥) انظر: التدمرية ص٣١.

(٦) هو الثقة الحافظ: أبو سفيان وكيع بن الجرح الرؤاسي الكوفي، طلب العلم في الصغر، وبرز فيه وتبحر، ومن أقواله المعروفة، في أحاديث الصفات المشهورة: «نسلِّم هذه الأحاديث كما جاءت، ولا نقول: كيف كذا؟ ولا لم كذا؟»، قال فيه الإمام أحمد: «ما رأيت أوعى للعلم منه، ولا رأيت معه كتابا قط، ولا رقعة»، مات سنة ٦/ ١٩٧هـ. انظر: السير ٩/ ١٤٠-١٦٨، تقريب التهذيب ص٥١١، طبقات الحفاظ ص١٣٣.

(٧) رواه عبد الله بن أحمد في السنة ص٣٢ رقم(١٤٩) و(١٥٠)، وروى نحوه الخلال في السنة٦/ ٢٧، رقم (١٨٦٢).

وقال الإمام أحمد رحمه الله: «كلام الله من الله ﷻ، من الله، ومن ذات الله، وتكلم الله به، وليس من الله شيء مخلوق»[(١)]، فبين رحمه الله أن القرآن من الله وأنه صفة من صفاته.

فالقرآن كلام الله، وليس من الله شيء مخلوق، وهذا القول قاله غير واحد من السلف، بل على هذا إجماع السلف[(٢)].

قال عمرو بن دينار المكي: [**أدركت أصحاب النبي ﷺ، فمن دونهم ـ منذ سبعين سنة ـ يقولون: الله خالق، وما سواه مخلوق، والقرآن كلام الله منه خرج وإليه يعود**][(٣)].

وقال الإمام أحمد رحمه الله: «لقيت الرجالَ، والعلماءَ، والفقهاءَ، بمكةَ، والمدينةِ، والكوفةِ، والبصرةِ، والشامِ، والثغورِ[(٤)]، وخراسانَ[(٥)]، فرأيتهم على السنة والجماعة، وسألت عنها الفقهاءَ، فكلٌّ يقول: القرآن كلام الله غير مخلوق، منه بدا وإليه يعود»[(٦)].

وقال إسحاق بن راهويه الحنظلي: «ليس بين أهل العلم اختلاف أن القرآن كلام الله ليس بمخلوق، فكيف يكون شيء خرج من الرب ﷻ مخلوقا؟؟»[(٧)].

فتبين مما سبق أن الإضافة إلى الله ﷻ، في كون القرآن كلام الله، أو في كونه منه، إضافة صفة لموصوف.

---

(١) رواه الخلال في السنة ٦/ ١٨، رقم (١٨٤٥)، وانظر: ما سبق من أثر أحمد بن الحسن الترمذي.

(٢) انظر: الانتصار للعمراني ٢/ ٥٤٧، الدرء ٢/ ١١٣، المجموع ١٢/ ٣٧،٥١٧، مختصر العلو للألباني ص١٤٣.

(٣) رواه غير واحد عنه كما سبق، وقال شيخ الإسلام رحمه الله: «وهذا رواه غير واحد عن سفيان بن عيينة عن عمرو» كما في منهاج السنة ٢/ ٢٥٢، وقال أيضا: «وهو مستفيض عنه» كما في المجموع ١٢/ ٤١٩.

(٤) الثغور هي الأرض التي تلي بلاد الكفر، وهي عدة ثغور في عدة نواحي؛ فمنها كانت الثغور التي تلي بلاد الإفرنجة، وغيرها، وإذا أطلقت الثغور؛ فهي إما ثغر طرسوس، أو ثغر الشام. انظر: الأنساب للسمعاني ١/ ٥٠٧، معجم البلدان لياقوت الحموي ٢/ ٩٣.

(٥) خراسان كلمة أعجمية ومعناها: موضع طلوع الشمس، وأهل العراق يسمون مشرقهم خراسان، وهي بلاد كبيرة، متضمنة لهراة ونيسابور، ومرو، وبلخ، وطالقان، ونسا، وسرخس، وبيهق، وهي الآن كلها ما بين الجنوب الغربي والشمال الغربي لأفغانستان، وتابع لها. انظر: الأنساب للسمعاني ٢/ ٣٣٧، معجم البلدان لياقوت الحموي ٢/ ٤٠١، أطلس العالم الإسلامي ص٦٠.

(٦) رواه ابن الحنبلي في الرسالة الواضحة ٢/ ٢٥١، والضياء المقدسي في اختصاص القرآن بعوده إلى الرحيم الرحمن ص٢١.

(٧) ذكره الذهبي في العلو، كما في مختصر العلو للألباني ص١٩٤، رقم(٢٣٩).

والإضافة إلى الله تعالى نوعان:

١ ـ إضافة عين قائم بنفسه، فهذا من باب التشريف والتعظيم، كبيت الله، وناقة الله، وسيف الله، ونحو ذلك...

٢ ـ إضافة ما لا يقوم بنفسه، فهذا من باب إضافة الصفة إلى الموصوف، مثل علم الله، وكلام الله، وقدرة الله، ونحو ذلك...

وبهذا يفرق بين كلام الله سبحانه، وعلم الله، وبين بيت الله، وناقة الله، إذ لا يمكن للصفات أن تقوم إلا في محل، وتكون الصفة بحسب المحل المضاف إليه، فصفة الخالق إذا أضيفت إليه تليق بجلاله وكماله، وصفة المخلوق إذا أضيفت إليه فهي بحسبه[١].

وعلى هذا التقسيم ما كان مجرورا بـ(مِنْ) التي لابتداء الغاية.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: «فإن كان المجرور بها عينا يقوم بنفسه لم يكن صفة لله، كقوله: ﴿ وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ ﴾ [الجاثية:١٣]، وقوله في المسيح: ﴿ وَرُوحٌ مِّنْهُ ﴾[النساء:١٧١]، وكذلك ما يقوم بالأعيان كقوله: ﴿ وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ ﴾[النحل:٥٣]، وأما إذا كان المجرور بها صفة ولم يذكر لها محل، كان صفة لله، كقوله: ﴿ وَلَٰكِنْ حَقَّ ٱلْقَوْلُ مِنِّى ﴾[السجدة:١٣]»[٢].

فبين رحمه الله الفرق بين ما كان منه مسخرا في السماوات والأرض، وهي أعيان قائمة، وروح الله عيسى عليه السلام وهو عين قائم بنفسه،فالإضافة إضافة امتنان وتشريف.

قال الحافظ ابن كثير رحمه الله: « ﴿ وَرُوحٌ مِّنْهُ ﴾ كقوله ﴿ وسَخَّرَ لَكُم مَّا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ جميعا منه﴾ أي من خلقه، ومن عنده، وليست (مِنْ) للتبعيض كما تقوله النصارى ـ عليهم لعائن الله المتتابعة ـ بل هي لابتداء الغاية، كما في الآية الأخرى»، ثم قال بعد ذكر الأقوال: «والأظهر الأول: وهو أنه مخلوق من روح مخلوقة،

(١) انظر: الرسالة الواضحة ٢/ ٦٠٠، شرح الأصبهانية ص ٤٢٣،٤٣٣، الصفدية ١/ ٦٧، المجموع ١٢/ ٦٦، شرح الواسطية للشيخ محمد خليل هراس ص٩١.

(٢) المجموع ١٢/ ٥١٨ ـ ٥١٩.

وأضيفت الروح إلى الله على وجه التشريف، كما أضيفت الناقة، والبيت إلى الله...»[(١)].

ومن إضافة التشريف المجرورة بمن التي هي لابتداء الغاية، ما جاء في حق آدم ﷺ، حيث قال فيه الرب ﷻ: ﴿ فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِى ﴾[الحجر:٢٩] فهذه كقوله في حق عيسى ﷺ ﴿ وَرُوحٌ مِّنْهُ ﴾ فـ «هذه الروح هي التي يحيى بها الإنسان، ولا تُعْلَم ماهيتها، وإنما أضافها إليه، تشريفا لآدم، وهذه إضافة مِلْك»[(٢)].

وبهذا يتبين أن القرآن منـزل من الله، والقول من الله، وهذا ذكر للصفات، ولم يذكر لها محل، فهي صفات لله تعالى، وقد ذكر الله تعالى في غير موضع: أن القرآن منـزل منه، فهو صفة من صفاته على التحقيق[(٣)].

وفي قولهم [منه بدأ] لا ينبغي أن يفهم الانفصال، كما زعمه بعض أهل الضلال، إذ صفات الله قائمة به، ولا يلزم من سماع جبريلَ للقرآنِ أنه انفصل عن الله، كما أنا عَلِمْنَا بتعليم الله إيانا، كما قال تعالى: ﴿ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمْ تَكُونُوا۟ تَعْلَمُونَ ﴾[البقرة:١٥١]، ولا يلزم أن ينفصل علم الله عن الله بالتعليم، فكذلك القرآن من الله تعالى بدأ بالتعليم، كما قال تعالى: ﴿ ٱلرَّحْمَٰنُ ۝ عَلَّمَ ٱلْقُرْءَانَ ﴾[الرحمن:١-٢]، والقرآن من علم الله، والعلم لا يبايِن العالِمَ بتعليمه لغيره، فكذلك كلام الله تعالى لا يباينه، ولهذا قال الإمام أحمد ﷺ ـ لما قيل له بم كَفَّرْتَ القائلين بخلق القرآن ـ: «قال: بآيات من كتاب الله ﴿ وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم بَعْدَ ٱلَّذِى جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ ﴾ [البقرة:١٢٠] و ﴿ وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم مِّنۢ بَعْدِ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ ﴾[البقرة:١٤٥] فالقرآن من علم الله، فمن زعم أن علم الله مخلوق فقد كفر»[(٤)].

---

(١) تفسير ابن كثير ١/ ٥٩٠، وانظر: فتح البيان لصديق حسن خان القنوجي ٢/ ٤١٦، تفسير القاسمي ٢/ ٦١٠.

(٢) زاد المسير لابن الجوزي ٤/ ٤٠٠.

(٣) انظر: المجموع ١٢/ ٥١٩ ـ ٥٢٠، اعتقاد أهل الإيمان للقرشي ص٣٣.

(٤) رواه اللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة ٢/ ٢٩١، ونحوه عبد الله ابن الإمام أحمد في السنة ص١٠، رقم(٣).

كما أن الرسول ﷺ علم الناسَ القرآنَ، ولم ينفصل عنه، فالله ﷻ أولى بهذا الكمال ـ ولله المثل الأعلى ـ، فلا ينفصل القرآن بالتعليم بحيث لا يبقى مع المعلِّم منه شيء.

وأوضح مثال على أنه لا يلزم الانفصالُ بالتنـزيل والتعليم هو: «أن رجلا لو دخل بلدة لا ضوء فيها، ومعه سراج، فأسرج لهم من مصباحه، فهل ينقص من الأول شيء؟ وقد صار منه ألف مصباح؟! ثم لو قدر أنها انطفأت كلها، إلا الأول، لانفرد الأول بنوره على حالته أول قدومه من غير زيادة حدثت فيه»(١) ولا نقصان لحق به.

فالقرآن لا يعني أنه صفة بائنة عن الله، فكلام الله من الله، ليس ببائن عنه، ولا تباين الصفة الموصوف، ولم يرد السلف بهذه العبارة أنه فارق ذات الله تعالى، وحل في غيره.

قال محمد بن الهيصم(٢): «إنه غير بائن من الله، فإن الجهمية وأتباعهم من المعتزلة(٣) قالوا: إن القرآن بائن من الله، وكذلك سائر كلامه، ولا يصح عندهم أن يوجد من الله كلام يقوم به في الحقيقة، وقال أهل الجماعة: بل القرآن غير بائن من الله، وإنما هو موجود منه، وقائم به»(٤).

ولا نزاع بين السلف، أن كلام الله لا يفارق ذات الله، وأن الكلام لا يباينه، كما أن علمه لا يباينه فكذلك كلامه، بل وسائر صفاته.

---

(١) الرسالة الواضحة ٢/ ٥٣٦، وانظر: المجموع ١٢/ ٣٥٥.

(٢) شيخ الكرامية وعالمهم في وقته: أبو عبد الله محمد بن الهيصم الكرامي، ناظر ابن فورك بحضرة السلطان الغزنوي محمود ابن سبكتكين، ولم يذكر كتب التراجم عن ولادته ووفاته شيء إلا أنه كان في عصر متأخر عن ابن كرام حيث كان في زمن السلطان سبكتكين، ومن مؤلفاته: جمل الكلام في أصول الدين كما ذكر ذلك شيخ الإسلام. انظر: الوافي بالوفيات ٥/ ١٧١، المجموع ٦/ ١٨٣، الدرء ٣/ ١٥٩، ٦٣، ٦/ ٢٥٣، بيان تلبيس الجهمية ٢/ ٣٣١ وما بعدها وفيها بحث لطيف حول المناظرة المنقولة في إثبات العلو لله تعالى، وذكر صاحب الجواهر المضية ما يدل على أنه من علماء القرن الخامس الهجري ٢/ ٥٥٦.

(٣) المعتزلة فرقة ضالة تعتقد بنفي الصفات عن الله ﷻ، ورئيسهم واصل بن عطاء الغزال، ولهم أصول خمسة، عليها يجتمعون، وهم فرق شتى، يكفر بعضهم بعضا، وكان سبب خروجهم عن السنة إبتداء القول بأن صاحب الكبيرة في منزلة بين المنـزلتين في الدنيا، ثم تطور المذهب وصاروا فرقا، ومن أتباعهم اليوم كثير من العقلانيين والإباضية من الخوارج على اعتقادهم في مسألة القرآن الكريم. انظر: الملل والنحل للشهرستاني ص١٣٤، معجم ألفاظ العقيدة ص٣٧٧.

(٤) شرح الأصبهانية ص٢١١ ـ ٢١٢، وانظر: الدرء ٢/ ٤٧، المجموع ٦/ ١٨٣ ـ ١٨٤، ٥٢٩.

وسلف الأمة، بل وسائر العقلاء يقولون: إن كلام المتكلم قائم به، وكلام الله قائم به، وما كان بائنا عن الله فلا يكون كلامه، ولذا قال الأئمة: كلام الله من الله، ليس ببائن عنه. ويُوَضح أن القرآن كلام الله ليس ببائن عنه، هو أن المتكلم حينما يتكلم لا يكون كلامه منفصلا عنه، بل ليس شيء من صفات الموصوفين مباينة لموصوفيها، وليس شيء من صفات موصوف ينتقل إلى غيره، فكيف يتوهم عاقل أن كلام الله يباينه، وينتقل إلى غيره[١].

قال الإمام أحمد رحمه الله: «كلام الله من الله، ليس ببائن منه»[٢].

وكون الكلام بدأ وخرج من الله، لا يلزم منه المفارقة، قال الله تعالى في حق المخلوق: ﴿كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ إِن يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا﴾[الكهف:٥] فأخبر تعالى أن كلامهم خرج منهم، ومع ذلك أضافه إليهم، فهم القائلون للكذب، «ومعلوم أن كلام المخلوق لا يباين محله»[٣].

وإذا قرأ الناسُ القرآنَ، وكتبوه في المصاحف، وسمعوه، لم يخرج بذلك من كونه كلام الله سبحانه حقيقة، فإن الكلام يضاف إلى من قاله مبتدئا، لا إلى من قاله مبلغا مؤديا.

قال الإمام أحمد رحمه الله: «القرآن كلام الله غير مخلوق، بكل جهة وعلى كل تصريف، وليس من الله شيء مخلوق»[٤].

وأما نقل الكلام، وتأديته، فهذا مجرد بلاغ، كما قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ﴾[المائدة:٦٧] فالمبلَّغُ كلامُ الله، والمبلِّغُ هو رسولُ الله، وفي الحديث: [**نضر الله امرءا سمع منا حديثا فبلغه إلى من لم يسمعه...**][٥]، فهنا المبلَّغُ

(١) انظر: شرح الأصبهانية ص١٢،٩، الدرء ٢/ ١١٣، المجموع ٦/ ٥٢٩، ١٢/ ٢٩٧، ٣٥٥، ٥١٧ـ٥١٨، قطف الثمر ص ٤٦.

(٢) شرح الأصبهانية ص٩، المجموع ١٢/ ٢٩٧.

(٣) المجموع ١٢/ ٣٩٠.

(٤) رواه الخلال في السنة ٦/ ١٩، رقم(١٨٤٧)، وابن بطة في الإبانة ٢/ ٣٦، رقم(٢٢٧).

(٥) أخرجه أبوداود، كتاب العلم، باب/ فضل العلم، ح(٣٣٦٠)، والترمذي، كتاب العلم، باب/ الحث

كلامُ رسولِ الله ﷺ، وهو حديثه، والمبلِّغُ آحاد الأمة من المحدّثين وغيرهم(١).

المعنى الثاني: أنهم يريدون بقولهم: [كلام الله منه بدأ] أي خرج منه، وتكلم به، فهو الذي ابتدأ وتكلم بالقرآن، ومنه ظهر وسمع، ولم يخلقه في غيره، ولم يبدأ من بعض المخلوقات كما تقوله المبتدعة أهل التحريف والجهالات.

فالله هو المتكلم بالقرآن، ومنه سمع، فالكلام من المرسِل، لا من أحد آخر من خلقه، «فلما كان الرسولُ رسولَ الله، كانت الرسالة كلامَ الله، والأمر والنهي (منه بدأ) دفعا للوسائط»(٢).

فمقصود السلف في عبارة (منه بدأ) الرد على أهل البدع القائلين: إن الله خلق القرآن في غيره، وخرج من ذلك الغير، لا من الله(٣).

والسلف وعلماء الأمة أرادوا بهذه العبارة الوجيزة، ذات المعاني العظيمة، أن القرآن من الله وصفا وابتداء، كما قال تعالى: ﴿وَلَٰكِنْ حَقَّ ٱلْقَوْلُ مِنِّى﴾[السجدة:١٣]، فأخبر أن القول منه لا من غيره من المخلوقات، كما زعم أهلُ البدع والضلالات.

فالقرآن متلقى من الله تعالى، كما قال سبحانه: ﴿وَإِنَّكَ لَتُلَقَّى ٱلْقُرْءَانَ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ عَلِيمٍ﴾[النمل:٦] فهو من الله تنزيلا، وتلقيا، وابتداء، وجبريل ومحمد عليهما السلام ما هما إلا مبلِّغان ومؤديان، وهما أمينان على وحي الرحمن جل في علاه(٤).

= على تبليغ السماع، ح(٢٦٥٨)، وقال:(حديث حسن)، وأخرج نحوه ابن ماجة، المقدمة، باب/ من بلغ علما، ح(٢٣٠)، وغيرهم، وصححه الألباني كما في السلسلة الصحيحة، ١/ ٢/ ٧٦٠ ـ ٧٦١، رقم (٤٠٤).

(١) انظر: شرح الأصبهانية ص٩، المجموع ١٢/ ٣٩٠، ٥١٨.

(٢) الرسالة الواضحة لابن الحنبلي ٢/ ٥٢٩.

(٣) سيأتي بيان عقائد أهل الضلال والطغيان، في كلام الله القرآن، في الباب الثاني ـ إن شاء الله تعالى ـ.

(٤) انظر لما سبق: التسعينية ١/ ٣٦٣ ـ ٣٦٤، الصفدية ١/ ٦٧، الدرء ٢/ ١١٣، المجموع ٣/ ١٧٦، ١٢/ ٥١٨، ٣٩٠.

ومن الأدلة على أن القرآن من الله ابتداء، وتكلم الله به، ما يأتي:

أ ـ قول الله تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَعْلَمُونَ أَنَّهُۥ مُنَزَّلٌ مِّن رَّبِّكَ بِٱلْحَقِّ ﴾ [الأنعام:١١٤] فبين الله سبحانه، أن أهل الكتاب يعلمون أن القرآن منـزل من عند الله، وفيه « تقرير لكونه منـزلا من عند الله ببيان أن الذين وثق بهم المشركون من علماء أهل الكتاب عالمون بحقيقته ونـزوله من عنده تعالى »(١)، وفي الآية دليل على بطلان الزاعمين: أنّ القرآن مخلوق في جسم من الأجسام، لأنه صرح بأنه منـزل من الله تعالى، لا من مخلوق من المخلوقات(٢).

ب ـ قوله تعالى: ﴿ حمٓ ۝ تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ ﴾[الأحقاف:١] وقوله: ﴿ الٓمٓ ۝ تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝ أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ ۚ بَلْ هُوَ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ ﴾[السجدة:١ ـ ٣] وقوله: ﴿ حمٓ ۝ تَنزِيلٌ مِّنَ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝ كِتَٰبٌ فُصِّلَتْ ءَايَٰتُهُۥ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ۝ بَشِيرًا وَنَذِيرًا ﴾[فصلت:١ ـ ٤] وقوله: ﴿ تَنزِيلٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾[الواقعة:٨٠] وقوله: ﴿ تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ ۝ إِنَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ ﴾[الزمر:١ ـ ٢].

قال شيخ الإسلام رحمه الله: « فقد بُيِّن في غير موضع أن الكتاب والقرآن العربي منـزل من الله، وهذا معنى قول السلف: منه بدأ... فإن الذين قالوا: إنه مخلوق، قالوا: خلقه في غيره، فبدأ من ذلك المخلوق؛ فقال السلف: (منه بدأ) أي: هو المتكلم به، لم يخلقه في غيره »(٣).

ج ـ قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِٱلذِّكْرِ لَمَّا جَآءَهُمْ ۖ وَإِنَّهُۥ لَكِتَٰبٌ عَزِيزٌ ۝ لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ ۖ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴾[فصلت:٤١ ـ ٤٢] فالذكر القرآن العزيز و « أعزه الله لأنه كلامه، وحفظه من الباطل »(٤) فهذه الآيات وغيرها مبيِّنات

---

(١) تفسير القاسمي ٣/ ٤١٠.

(٢) انظر: المجموع ١٢/ ١١٨ ـ ١٢٤، وسيأتي قول الخلقية في القرآن، في الباب الثاني.

(٣) المجموع ١٢/ ٤٠، وانظر منه ٦/ ٥٤٤، ١٢/ ٥٨٩.

(٤) رواه ابن جرير في تفسيره ١١/ ١١٦ عن قتادة بن دعامة السدوسي.

أن القرآن العربي كلام الله، وتنـزيله، فمنه ظهر وابتدأ، لا من أحد سواه.

د ـ قال الله تعالى: ﴿ وَإِذَا بَدَّلْنَآ ءَايَةً مَّكَانَ ءَايَةٍ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُنَزِّلُ قَالُوٓاْ إِنَّمَآ أَنتَ مُفْتَرٍۭ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ۝ قُلْ نَزَّلَهُۥ رُوحُ ٱلْقُدُسِ مِن رَّبِّكَ بِٱلْحَقِّ ﴾ [النحل:١٠١ ـ ١٠٢]، فالقرآن العربي نزل به روح القدس ـ وهو جبريل عليه السلام ـ من الله تعالى، فليس القرآن كلام جبريل، ولا كلام غيره من البشر، وما جبريل إلا رسول يبلِّغُ ما أرسل به، ولا هو كلام محمد ﷺ، بل هو كلام المرسِلِ لهما وهو الله عز وجل[١].

هـ ـ قال صديق الأمة أبو بكر رضي الله عنه لما بلغه بعض ما يدعيه مسيلمة الكذاب ـ: « ويحكم! أين يذهب بعقولكم؟ إن هذا كلام لم يخرج من "إل" أي: من رب »[٢].

و ـ قال خباب رضي الله عنه[٣]: « تقرب إلى الله بما استطعت، فإنك لن تتقرب إليه بشيء أحب إليه مما خرج منه »[٤].

المسألة الثانية: قول السلف: [وإليه يعود]:

مراد السلف بهذه العبارة دائر بين معنيين، كلاهما صحيح بغير مين:

المعنى الأول: أنه تأكيد لما سبق من كون القرآن منه، وصفة من صفاته، فقالوا: (وإليه يعود) أي: حكماً، فلا يوصف به أحد سوى الله جل جلاله، فهو المتكلم بالقرآن، وهو الموصوف به[٥].

---

(١) انظر: العقيدة السلفية ص ١٩٤.

(٢) شرح الأصبهانية ص١١، المجموع ١٢/ ٥١٧، وانظر: تاريخ الطبري ٣/ ٣٠٠، وغريب الحديث لأبي عبيد ١/ ٦٨ وقيل في معنى "إل" غير ذلك، والله تعالى أعلم.

(٣) هو الصحابي الجليل: أبو عبد الله خباب بن الأرت التميمي، أسلم قديما، وعذب في الله شديدا، شهد بدرا، وما بعدها من الغزوات، نزل الكوفة، ومات بها سنة ٣٧هـ. انظر: معجم الصحابة للبغوي ٢/ ٢٧١ ـ ٢٧٤، أسد الغابة ١/ ٥٩١ ـ ٥٩٤، تقريب التهذيب ص١٣٢.

(٤) شرح الأصبهانية ص١٣، وروى نحوه عبد الله بن الإمام أحمد في السنة ص٢٤، رقم(٩٤) وص٢٦، رقم(١٠٨)، والبغوي في معجم الصحابة ٢/ ٢٧٣، وروى نحوه الترمذي كتاب فضائل القرآن، باب/ ...ح(٣٠٩٠)عن أبي أمامة مرفوعا، وقال: (غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه)، وضعفه الألباني، كما في ضعيف سنن الترمذي، برقم(٥٥٥)، وانظر: السلسلة الضعيفة ح(١٩٥٧).

(٥) انظر: المجموع ٥/ ٧٦، شرح الواسطية للشيخ ابن عثيمين١/ ٤٣٠،شرح الواسطية للشيخ محمد خليل هراس ص٩٢.

المعنى الثاني: أنه يُرفَع، ويُسرى به في ليلة، فيصبح الناس، وليس في أيديهم قرآن، لا في الصدور، ولا في السطور، ولا يبقى منه آية تُذكر، فضلا عن الأجزاء والسُّوَر(١).

ودلّ على هذا الكتاب والسنة والآثار:

فمن الكتاب:

١ـ قول الله تعالى: ﴿ وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ ٱلْأَمْرُ كُلُّهُ ﴾[هود:١٢٣]، فالأمور كلها ترجع إلى الله تعالى في المعاد، والأمور لفظ عام يشمل المأمور (المفعول)، والأمر نفسه، والقرآن من أمره، كما قال تعالى: ﴿ أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ ۗ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾[الأعراف:٥٤] فهو يرجع إلى الله من غير شك ولا ريب، كما دل عليه عموم الآية.

٢ ـ قوله تعالى: ﴿ وَلَئِن شِئْنَا لَنَذْهَبَنَّ بِٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ بِهِۦ عَلَيْنَا وَكِيلًا ﴿٨٦﴾ إِلَّا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ ۚ إِنَّ فَضْلَهُۥ كَانَ عَلَيْكَ كَبِيرًا ﴾[الإسراء:٨٦ـ٨٧] والوحي هنا القرآن، قال الزجاج(٢): «لو شئنا لمحوناه من القلوب، والكتب، حتى لا يوجد له أثر ﴿ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ بِهِۦ عَلَيْنَا وَكِيلًا﴾ أي: لا تجد من يتوكل علينا في رد شيء منه...»(٣)، فهذه الآيات ظاهرة في تضمن عود القرآن، من المصاحف والصدور إلى الرحيم الرحمن.

٣ ـ قوله تعالى: ﴿ مَا نَنسَخْ مِنْ ءَايَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَآ أَوْ مِثْلِهَآ ﴾[البقرة:١٠٦] قال قتادة: «كان تُنْسَخ الآيةُ بالآيةِ بعدها، ويقرأ نبي الله ﷺ الآية أو أكثر ثم تُنسى وتُرفع»(٤)، ففيها: أنهم يسمعون من النبي ﷺ آيات تتضمن أحكاما، ثم يُنسخ ذلك،

---

(١) انظر: شرح الأصبهانية ص ٩، المجموع ٦/ ٥٢٩.

(٢) هو نحوي زمانه: أبو إسحاق إبراهيم بن محمد بن السَّريِّ الزَّجاج البغدادي، لزم المبرد وأخذ عنه، وعنه أبو علي الفارسي وجماعة، ومن مصنفاته: معاني القرآن، وكان حسن الاعتقاد، اختلف في سنة وفاته وجزم الذهبي بأنه توفي سنة ٣١١هـ. انظر: تاريخ بغداد ٦/ ٨٩ ـ ٩٣، تهذيب الأسماء واللغات للنووي ٢/ ١٧٠ ـ ١٧١، السير ١٤/ ٣٦٠.

(٣) معاني القرآن للزجاج ٣/ ٢٥٨ ـ ٢٥٩، وانظر: زاد المسير لابن الجوزي ٥/ ٨٣.

(٤) رواه عنه ابن جرير في التفسير ١/ ٥٢٢، وهو مرسل، وانظر في رفع المنسوخ: مصنف عبدالرزاق ٣/ ٣٦٣، الانتصار للعمراني ٢/ ٦٠٠ ـ ٦٠١، تفسير البغوي ١/ ١٣٤.

فلا يجدونه مكتوبا، ولا في الصدور محفوظا[١]، فالآية دلت على جواز رفع المنسوخ، وذلك ـ والله أعلم ـ لعدم الحاجة إليه، فكذلك رفع المحكم منه وغيره في آخر الزمان لعدم وجود من يعمل به، والله تعالى أعلم.

وأما الأدلة من السنة على رفع القرآن فمنها:

١ ـ ما رواه حذيفة رضي الله عنه مرفوعا: [**يُدرَسُ الإسلام كما يدرس وَشْيُ الثوب، حتى لا يُدرَى ما صيام؟ ولا صلاة؟ ولا نسك؟ ولا صدقة؟ وليُسرى على كتاب الله عز وجل في ليلة، فلا يبقى في الأرض منه آية، وتبقى طوائف من الناس، الشيخ الكبير، والعجوز، يقولون: أدركنا آباءنا على هذه الكلمة، لا إله إلا الله، فنحن نقولها...**][٢]، ولعل هذا الرفع يدخل تحت عموم قوله ﷺ: [**بين يدي الساعة أيام، يُرفع فيها العلم، وينـزل فيها الجهل...**][٣] لأن القرآن أعظم العلم ووسائله.

٢ ـ ما جاء عن ابن مسعود رضي الله عنه وهو مرفوع حكما: [**ليُنتزَعَنّ هذا القرآن من بين أظهركم... يُسرَى عليه ليلةً، فلا يبقى في قلب عبدٍ منه، ولا مصحفٍ منه شيء، ويصبح الناس فقراء كالبهائم، ثم قرأ عبد الله** رضي الله عنه ﴿وَلَئِن شِئْنَا لَنَذْهَبَنَّ بِٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ﴾[الإسراء:٨٦]][٤].

وأما الأدلة من الآثار فمنها:

١ ـ قول ابن عباس رضي الله عنهما: [**القرآن كلام الله، وليس بمربوب، منه خرج، وإليه يعود**].

---

(١) انظر: الرسالة الواضحة ٢/ ٥٥٢.

(٢) رواه ابن ماجة، كتاب الفتن، باب/ ذهاب القرآن والعلم، ح(٤٠٤٩)، وقال البوصيري: «هذا إسناد صحيح، رجاله ثقات»، وقوى الحافظ إسناده كما في الفتح ١٣/ ١٨ ـ ١٩.

(٣) أخرجه البخاري، كتاب الفتن، باب/ ظهور الفتن، ح(٧٠٦٢)، ومسلم، كتاب العلم، باب/ رفع العلم..، ح(٦٧٢٩) وغيرهما عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه.

(٤) أخرجه الدارمي في سننه، كتاب فضائل القرآن، باب/ في تعاهد القرآن، ح(٣٣٤١)، وعبد الرزاق في مصنفه، كتاب فضائل القرآن، باب/ تعاهد القرآن ونسيانه، ح(٥٩٨٠)، وابن أبي شيبة في مصنفه، كتاب فضائل القرآن، باب/ في رفع القرآن...، ح(٣٠١٩٣)، وصححه الألباني كما في السلسلة الصحيحة رقم(٨٧).

٢ـ قال عمرو بن دينار المكي: [**أدركت أصحاب النبي ﷺ، فمن دونهم ـ منذ سبعين سنة ـ يقولون: الله خالق، وما سواه مخلوق، والقرآن كلام الله منه خرج وإليه يعود**][١]. فهذا فيه حكاية الإجماع عن الصحابة ومن بعدهم على عود القرآن إلى الله تعالى.

قال الشيخ محمد بن صالح بن عثيمين رحمه الله مبينا سبب الرفع: «وهذا ـ والله أعلم ـ حينما يُعرِض الناسُ إعراضا كليا، لا يتلونه لفظا، ولا عقيدة، ولا عملا، فإنه يُرفع، لأن القرآن أشرف من أن يبقى بين يدي أناس هجروه، وأعرضوا عنه، فلا يقدرونه قدره...»[٢].

فقول السلف [وإليه يعود] أي: حكما ورفعا، وكلا المعنيين صحيح، دل عليه النص الصريح، والعقل الصحيح، والله تعالى أعلم[٣].

تنبيـه: وأما تأويل العود، بعود تلاوته، وقراءته ـ وإن فهمه بعضهم ـ فليس بصحيح، لأن السلف لم يريدوا هذا، بل أرادوا الرفع الذي هو في آخر الزمان، وأرادوا بالعود، عوده حكما وحقيقة، فالقرآن كلام الله تعالى.

على أن عود التلاوة،والقراءة، التي هي كسب العبد حق، كما قال تعالى: ﴿إِلَيۡهِ يَصۡعَدُ ٱلۡكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلۡعَمَلُ ٱلصَّٰلِحُ يَرۡفَعُهُۥ﴾[فاطر:١٠]، فأخبر الله سبحانه أن الكلم الطيب من العبد يصعد إليه، وأعظم الكلم الطيب القرآن الذي يتلوه العبد ويقرؤه[٤].

وتكلم الله ﷻ بالقرآن، في الوقت والزمان الذي شاءه الرحمن ﷻ، وهذا ما سأبينه في المطلب الآتي.

---

(١) سبق تخريجه، وانظر بعض الآثار الأخرى في (اختصاص القرآن للضياء المقدسي).

(٢) شرح الواسطية لابن عثيمين ١/ ٤٢٩.

(٣) شرح الواسطية للشيخ ابن عثيمين ١/ ٤٣٠.

(٤) انظر في تفسير الكلم الطيب والعمل الصالح: تفسير ابن جرير ١٠/ ٣٩٨، وتفسير ابن كثير ٣/ ٥٤٩.

المطلب الثالث: تكليم الله بالقرآن وتعلقه بالمشيئة:

تبين فيما سبق أن الله ﷻ متكلم، ومن ذلك تكليمه بالقرآن، والطريقة السلفية في صفات رب البرية، هي: إثبات ما أثبته الله ورسوله، ونفي ما نفاه الله ورسوله، لا نتجاوز القرآن والسنة، فالسلف يثبتون الصفات بلا تحريف، وأن لها معاني بلا تكييف[١]، ومن تلكم الصفات صفة الكلام.

وتنقسم الصفات باعتبار تعلقها بذات الله تعالى ومشيئته واختياره إلى قسمين:

١ـ **صفات ذاتية:** وهي التي لم يزل ولا يزال الرب ﷻ متصفا بها، كالعلم، والحياة، والقدرة، والإرادة.

٢ـ **صفات فعلية:** وهي التي لها تعلق بمشيئة الله ﷻ، كالإتيان والمجيء، والمحبة والرضا، والمغفرة والرحمة.

وتكون الصفة ذاتية باعتبار، وفعلية باعتبار، كالكلام فإنه باعتبار أصل الصفة صفة ذاتية، لأن الله ﷻ لم يزل ولا يزال متكلما.

وباعتبار آحاد الكلام فهو صفة فعلية، لأن الكلام متعلق بمشيئة الله ﷻ، يتكلم متى شاء مع من شاء[٢].

والكلام من الأوَّلين لكن بحسب الاعتبار، فباعتبار الأصل وهو النوع صفة ذات، وباعتبار الآحاد وهو العين صفة فعل، وهذا التفريق مهم لجميع ذوي الألباب «ومن اهتدى في هذا الباب إلى الفرق بين النوع والعين، تبين له فصل الخطأ من الصواب، في مسألة الأفعال، ومسألة الكلام والخطاب»[٣].

---

(١) انظر: التدمرية ص٦ ـ ٧، معارج القبول ١/ ٤٤٧، وقد كتبت في هذا بحثا خاصا بعنوان: إثبات معاني الصفات مع نفي الكيفية والمثلية في الإثبات (مخطوط).

(٢) انظر: شرح لمعة الاعتقاد للشيخ ابن عثيمين ص ٢٦، الصفات الإلهية للشيخ د/ محمد أمان الجامي ص ٢٦٢، شرح الواسطية للشيخ الفوزان ص ٩١.

(٣) الصفدية ١/ ٦٥، وانظر منه ١/ ١٣.

فالكلام من صفات الذات باعتبار النوع، ومن صفات الفعل باعتبار العين أو الآحاد، وهذا التقسيم هو الذي يخرج الإنسان، من إشكالات كثيرة في الأذهان، هذى بها أهل الضلال والطغيان[١].

فالخلقية ـ الجهمية ومن وافقهم ـ يحتجون بما يدل على أن القرآن متعلق بمشيئة الله وقدرته، ويحتجون بما يدل على أن الكلام فعل متعلق بالمشيئة، والمنازعون لهم ـ كالأشاعرة[٢] ومن وافقهم ـ يحتجون بأن الكلام من صفات الذات، لا من صفات الفعل.

والحق هدى بين ضلالتين، ووسط بين غوايتين، قال شيخ الإسلام رحمه الله: «ومدلول الأدلة الصحيحة من الجانبين صحيحة، ولا تناقض بينهما، ولا منافاة بين كونه صفة ذات، وصفة فعل، فإن الأقسام ثلاثة: **أحدها**: ما توصف به الذات، مع عدم تعلق القدرة والمشيئة به، كالحياة. **والثاني**: ما يكون مخلوقا بائنا عن الله، فهذه هي المفعولات ـ المخلوقات ـ...[٣]، **والثالث**: ما يقوم بالذات، وهو من الفعلية لتعلقه بالمشيئة والقدرة، والكلام... من هذا الضرب»[٤].

وقال أيضا: «فالفرق بين دوام النوع، وقِدَمِه، ودوام الشيء المعيَّن، وقِدَمِه، يكشف الحجاب عن الصواب، في هذا الباب، الذي اضطرب فيه أولو الألباب»[٥].

---

(١) سيأتي بيان معتقد أهل البدع، في الباب الثاني ـ إن شاء الله تعالى ـ.

(٢) الأشاعرة نسبة لأبي الحسن الأشعري، وهم أقرب الفرق البدعية إلى أهل السنة بالنسبة إلى غيرهم، وقدماؤهم كانوا يثبتون الصفات الخبرية، وإنما كان نزاعهم في الصفات الاختيارية، وأما المتأخرون منهم فلا يثبتون الصفات إلا إذا ثبت بالعقل، = ولهذا أنكروا كثيرا من الصفات الواردة لله ـ عز وجل، ولم يثبتوا إلا الصفات السبع المشهورة، وهي: العلم، والكلام، والسمع، والبصر، والحياة، والقدرة، والإرادة، وحتى في إثباتهم شيء، وهم أظهروا مناصرة للسنة، ولكنهم لا للمعتزلة كسروا، ولا للسنة انتصروا. انظر: المجموع ١٢/ ١٣٥، الصفدية ص٢٧٠، معجم ألفاظ العقيدة ص ٤٢.

(٣) وهذا لا تعلق له بالخالق إلا كما بين شيخ الإسلام أنه من حيث كونه مفعولا لله، وهذا لا يعني أنه قسم من أقسام الصفات مطلقا.

(٤) الصفدية ٢/ ٨٦ ـ ٨٩، وانظر: الدرء ٢/ ١١٣، المجموع ١٢/ ١٣٣.

(٥) الصفدية ٢/ ١٤٠.

فمنشأ اضطراب الناس في مسألة الكلام عدم التفريق، وعدم معرفة وجه الجمع بين صفة الذات، وصفة الفعل، وقد نشأ أقوام لم يفهموا أقوال السلف، وظنوها موافقة لما عليه الخلف، «فصاروا يحملون ما يسمعونه من الكلام على عرفهم، فغلط كثير منهم في فهم كلام السلف، والأئمة، بل وفي فهم كلام الله ورسوله، والواجب على من أراد أن يعرف مراد المتكلم أن يرجع إلى لغته، وعادته التي يخاطِبُ بها، لا يُفسرُ مرادَه بما اعتاده هو من الخطاب»[1].

ومعلوم من سير السلف، أنهم من أشد الناس اتباعا للأثر، ومن أبعد الناس عن الخوض في الباطل، فيجب فهم كلامهم وِفْقَ منهاجهم، وهو: اتباع الأثر، لا بالتأويل والنظر.

ومما يدل على أن الكلام صفة ذات باعتبار، وصفة فعل باعتبار، ما يفهم من كلام الإمام أحمد رحمه الله لما قال: «لم يزل الله متكلما عالما غفورا»[2]، وهذه العبارة تفهم على أصوله رحمه الله، **وتفيد أن الصفات منها:**

صفة ذاتية: ومثَّل لها بالعلم.

وصفة فعلية: ومثَّل لها بالمغفرة.

وذكر أيضا التكلم وهو يشبه العلم من حيث هو وصف قائم به، لا يتعلق بالمخلوق، ويشبه المغفرة من حيث هو متعلق بالمشيئة[3].

وبعد أن تبين لنا تقسيم الصفات إلى ذاتية، وفعلية، أتكلم على تعلق صفة الكلام بذات الله تعالى في المسألة الآتية.

---

(١) الصفدية ٢/ ٨٤، وانظر: المجموع ١٢/ ١٠٥.

(٢) المجموع ٦/ ١٥٩.

(٣) انظر: المجموع ٦/ ١٥٩ ـ ١٦٠.

المسألة الأولى: تعلق هذه الصفة بالذات:

الصفات المتعلقة بذات الله تعالى، قائمة به، أزلية بأزليته، وباقية ببقائه ﷻ، لم يزل متصفا بها، ولا يزال كذلك، وهذا معنى تعلق صفة الكلام بذات الله تعالى ـ لأنها باعتبار النوع من الصفات الذاتية ـ وأن الرب سبحانه لم يتجدد له هذه الصفة، بمعنى أنه لا يقال: إن الله لم يكن قادرا على الكلام ثم تكلم، وأنه لم يكن متصفا بالكلام ثم اتصف به؛ لأن الله ﷻ هو الخالق قبل أن يخلق، وهو الرازق قبل أن يرزق، فكذلك هو متكلم سبحانه قبل أن يكون منه آحاد الكلام، ولا يكتسب صفة لم يكن متصفا بها أزلا، فهو سبحانه بصفاته الأول والآخر.

قال أبو جعفر الطحاوي رحمه الله: «ما زال بصفاته قديما قبل خلقه، لم يزدد بكونهم شيئا لم يكن قبلهم من صفته، وكما كان بصفاته أزليا، كذلك لا يزال عليها أبديا»[1]، قال العلامة ابن أبي العز الحنفي رحمه الله: «أي أن الله ﷻ، لم يزل متصفا بصفات الكمال، صفات الذات، وصفات الفعل، ولا يجوز أن يُعتقد أن الله وُصِف بصفة بعد أن لم يكن متصفا بها»[2].

فالله ﷻ متكلم أزلا، ولا يزال متكلما أبدا، وذلك حسب مشيئته، قال الإمام أحمد رحمه الله: «إن الله لم يزل متكلما إذا شاء، ولا نقول: إنه كان ولا يتكلم حتى خلق كلاما، ولا نقول: إنه قد كان لا يعلم حتى خلق علما، ولا نقول: إنه قد كان ولا قدرة حتى خلق لنفسه قدرة...»[3].

فبين الإمام رحمه الله أن الله ﷻ متكلم، ويتكلم إذا شاء، ونفى أن يكون الكلام صفة له بعد أن لم يكن، وقاسه على العلم الذي هو من صفات الذات مطلقا، وهذا معنى تعلق صفة الكلام بالذات.

---

(١) الطحاوية ص ٩٦ مع شرح ابن أبي العز الحنفي.

(٢) شرح الطحاوية ١/ ٩٦.

(٣) المجموع ٦/ ١٥٤ ـ ١٥٥.

قال عبد العزيز الكناني[١] رحمه الله: «ثم ذكر جل ذكره كلامه، كما ذكر نفسه، ودل عليه مثل ما دل على نفسه، ليُعلِمَ الخلقَ أنه من ذاته، وأنه صفة من صفاته»[٢].

والمتكلّم عند السلف وأتباعهم ـ بل وجمهور العقلاء ـ مَنْ قام به الكلام، ولا يعقل متكلم لم يقم به الكلام، فإذا قيل: كلام الله قائم بذاته أي: هو المتكلم به لا غيره.

قال شيخ الإسلام رحمه الله: «والسلف والأئمة لما عرفوا حقيقة مذهبهم ـ أي الجهمية ـ عرفوا أن هذا كفر، وأن هذا في الحقيقة تعطيل للرسالة، وأنه يمتنع أن يكون متكلما بكلام لا يقوم به، بل بغيره، كما يمتنع أن يكون عالما بعلم لا يقوم به، بل بغيره، وأن يكون قادرا بقدرة لا تقوم به، بل بغيره»[٣].

فكلام الله قائم بذاته، وهذا وجه شبهه بالعلم، وإن كان آحاد الكلام متعلقا بمشيئته واختياره.

وهنا وصفان، لا بد من وَضْعِهما في الأذهان، حين القول في الكلام والقرآن، وهما:

١ـ الفعل الاختياري.

٢ـ قيامه بذات الباري.

ولا تنقطع حجج الخصوم، من أهل البدع والكلام المذموم، إلا باعتبار هذين الوصفين، قال شيخ الإسلام رحمه الله: «فهؤلاء ـ أي السلف ـ إذا قالوا: المتكلم من قام به الكلام، وهو يتكلم بمشيئته وقدرته، خصموا المعتزلة، وانقطعت حججهم عنهم، فإنهم ـ أي السلف ـ اعتبروا الوصفين جميعا.

---

(١) هو الحجة المناظر: عبد العزيز بن يحيى بن عبدالعزيز بن مسلم الكناني المكي، كان يلقب بالغول، وكان ممن اختص بالشافعي، وأخذ عن ابن عيينة وغيره، وقدم بغداد في خلافة المأمون لمناظرة بشر المريس الجهمي الضال، وقد أفحمه في المنقول والمعقول، وقصة مناظرته مشهورة، توفي سنة ٢٤٠هـ تقريبا. انظر: الفهرست لابن النديم ص٣٢٠، طبقات الشافعية للسبكي ٢/ ١٤٤ ـ ١٤٥، تقريب التهذيب ص٣٠٠.

(٢) كتاب الحيدة ص٢١.

(٣) شرح الأصبهانية ص٤٢٣، وانظر: ص٥٤٦.

فمن جعل المتكلم من قام به الكلام، وإن لم يكن متكلما بمشيئته وقدرته ـ كقول الأشاعرة ومن وافقهم ـ، أو جعله من فِعْلِه بمشيئته وقدرته، وإن لم يكن قائما به ـ كقول المعتزلة ومن وافقهم ـ حذف أحد الوصفين»[١].

وبهذا يتبين أنه لا يعقل كلام إلا وهو قائم في محل، وهو بحسب المحل القائم به، فإن قام بالمخلوق، وتكلم به المخلوق ابتداء فهو مخلوق كمحله الذي ظهر منه، وإن قام بذات الرب ﷻ، وتكلم به فهو كلامه، وليس شيء منه مخلوق، و «السلف وأئمة السنة يقولون: إنه صفة ذات، وصفة فعل، وهو يتكلم بمشيئته وقدرته، كلاما قائما بذاته، وهذا هو المعقول من صفة الكلام لكل متكلم ـ أي من حيث المعنى لا من حيث التكييف ـ فكل من وصف بالكلام كالملائكة، والبشر، والجن، وغيرهم، فكلامهم لا بد أن يقوم بأنفسهم، وهم يتكلمون بمشيئتهم وقدرتهم»[٢]، ولله المثل الأعلى، فهو بكل كمال أولى.

ومن الأدلة على أن الله ﷻ موصوف بأنه متكلم أزلا، ما يأتي[٣]:

١ـ أن الله ﷻ لو لم يكن متصفا بالكلام أزلا، لاتصف بضده، وهو الخرس، والخرس آفة يُنَزه الله ﷻ عنها؛ فهذه الحجة «تدل على مذهب السلف، وأنه لم يزل متكلما إذا شاء، وكيف شاء، فيدل على أن نوع الكلام قديم»[٤].

٢ـ إذا قُدِّرَ وجود حيٍّ لا يقدر على الكلام، ولا يتكلم بنفسه، كان ذلك دلالة على عجزه، وكان بمنـزلة الزَّمِنِ والأخرس، كما لو قدر حي لا يسمع، ولا يبصر، ثم سمع وأبصر، فلا شك أنه كان قبل موصوفا بالصمم والبكم، والله منـزه عن ذلك كله، فثبت أنه متصف بالكلام أزلاً، كاتصافه بالسمع والبصر أزلاً، وأنه يتكلم متى شاء سبحانه، لم يمنعه آفة ولا عيب.

---

(١) شرح الأصبهانية ص ٤٣٩.

(٢) المجموع ٦/ ٢١٦.

(٣) سبق ذكر كثير من الأدلة على أن الله ﷻ متكلم، في المطلب الأول من هذا المبحث.

(٤) المجموع ٦/ ٢٩٢، وانظر منه: ١٢/ ٣٧٢.

٣ـ أن القدرة على الكلام صفة كمال، كما أن العلمَ، والقدرة، والحياة، صفةُ كمال، ومِنَ المعلوم أن من قدر على الكلام، كان أكمل ممن لا يقدر عليه، ومن كان قادرا متكلما أزلا، فهو أكمل ممن تكلم بعد أن لم يكن قادرا أزلا، والله ثبت له صفات الكمال على الدوام، فهو موصوف بها أزلا وأبدا وهو ذو الجلال والإكرام، **قال شيخ الإسلام** رحمه الله: « فمن المعلوم أن من يتكلم بقدرته ومشيئته، فهو أكمل ممن لا يتكلم بمشيئته وقدرته، بل يكون الكلام المعين لازما لذاته، ومن المعلوم أن من لم يزل متكلما إذا شاء، فهو أكمل ممن كان لا يمكنه الكلام ثم صار يمكنه »(١)، فالله سبحانه لم يزل قادرا على الكلام، لم يزل متكلما إذا شاء، ولم يزل موصوفا بصفات الكمال، منعوتا بنعوت الجلال.

٤ـ إذا قُدر أنه لم يكن قادرا على الكلام أزلا، ولم يكن يستطيع الكلام ثم قَدِر على الكلام، لزم أن يكون الرب ﷻ مفتقرا ناقصا، حتى اكتمل بتلكم الصفة التي لم يكن موصوفا بها، والرب تعالى لا يفتقر إلى شيء، بل له الكمال المطلق، وهو الأحد الصمد، المستغني عن كل ما سواه، فهو ـ سبحانه ـ بصفاته وذاته أزلي، بل اتصافه بصفات الكمال من لوازم ذاته(٢).

٥ـ مما يدل على كون الرب ﷻ موصوفا بالكلام أزلاً، كونه متّصفًا بالكلام أبداً، قال الله تعالى في محكم التنـزيل: ﴿ قُل لَّوْ كَانَ ٱلْبَحْرُ مِدَادًا لِّكَلِمَـٰتِ رَبِّى لَنَفِدَ ٱلْبَحْرُ قَبْلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَـٰتُ رَبِّى وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِۦ مَدَدًا ﴾[الكهف:١٠٩]، « والمقصود أن كلمات الله باقية، لا تنفد أبدا، تامة لا تنقص أبدا، وذلك لأن كلامَه صفتُه، و ليس من صفاته شيء ينفد، ولذا أخبرنا تعالى أن جميع أشجار الأرض لو كانت أقلاما، والبحار وأضعافها مدادا يكتب بها كلماته لنفدت كلها، وكلماته باقية لا تنفد، وذلك لأن الأشجار والبحار مخلوقة، والمخلوقات من لازمها النفاد والفناء، وكلمات الله صفتُه،

---

(١) الصفدية ٢/٦٦،وانظر: منهاج السنة ٣/ ٣٦٠، شرح الأصبهانية ص٤٤٠، المجموع١٢/ ٥٢،العين والأثر ص٦٨.

(٢) انظر: المجموع٦/ ٢٩٤ـ ٢٩٥،١٢/ ١٥٨.

وليس من صفاته شيء يفنى، بل هو الباقي بأسمائه و صفاته أزلا و أبدا»[١] وقال تعالى: ﴿ وَلَوْ أَنَّمَا فِي ٱلْأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ أَقْلَٰمٌ وَٱلْبَحْرُ يَمُدُّهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَّا نَفِدَتْ كَلِمَٰتُ ٱللَّهِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾[لقمان:٢٧]، وهذه الآية كالآية السابقة، دالة على ما دلت عليه، من بقاء كلمات الله، وعدم نفادها، قال شيخ الإسلام رحمه الله: « وقد قال غير واحد من العلماء: إن مثل هذا الكلام يُراد به الدلالة على أن كلام الله لا ينقضي، ولا ينفد، ولا نهاية له»[٢].

٦ـ قول أئمة السنة واتفاقهم على أن الله ﷻ، متصف بالكلام أزلا، وأنه يتكلم متى شاء، وأن كلامه قائم بذاته ﷻ، قال شيخ الإسلام رحمه الله: « **فإن السلف وأئمة السنة والحديث يقولون: يتكلم بمشيئته وقدرته**، وكلامه ليس بمخلوق، بل كلامه صفة له قائمة بذاته، وممن ذكر أن ذلك قول أئمة السنة، أبو عبد الله بن منده[٣]، وأبو عبد الله بن حامد[٤]، وأبو بكر عبد العزيز[٥]، وأبو إسماعيل الأنصاري[٦]، وغيرهم،

---

(١) معارج القبول ١/ ٣٢٥.

(٢) منهاج السنة ٣/ ٣٦٠، وانظر: الإبانة لأبي الحسن الأشعري ص٣٢، و المجموع ١٢/ ٣٠٤.

(٣) هو الإمام الحافظ: أبو عبد الله محمد بن إسحاق بن محمد بن يحيى بن منده الأصبهاني، طلب العلم في الصغر، وجدَّ في طلب الأثر، قال عن نفسه: « طفت الشرق والغرب مرتين، فلم أتقرب إلى كل مذبذب، ولم أسمع من المبتدعين حديثا واحدا»، له مؤلفات كثيرة منها: كتاب الإيمان، والرد على الجهمية، كتاب التوحيد، ومؤلفات أخرى، توفي رحمه الله سنة ٣٩٥هـ. انظر: طبقات الحنابلة لابن أبي يعلى ٢/ ١٤٢ ـ ١٤٣، سير أعلام النبلاء ١٧/ ٢٨ ـ ٤٣، طبقات الحفاظ ص٤٠٨ ـ ٤٠٩.

(٤) هو شيخ الحنابلة ومفتيهم في زمانه: أبو عبد الله الحسن بن حامد بن علي بن مروان البغدادي الوراق، كان متمسكا بمرويات الإمام أحمد، وكان كثير الحج، يقتات من عمل يده في نسخ الكتب، ومن أشهر تلامذته القاضي أبو يعلى الحنبلي، توفي مقتولا عند قفوله من الحج في الطريق سنة ٤٠٣هـ من مؤلفاته: "الجامع"، وشرح أصول الدين. انظر: طبقات الحنابلة لابن أبي يعلى ٢/ ١٤٥ ـ ١٥١، سير أعلام النبلاء ١٧/ ٢٠٣ ـ ٢٠٤، شذرات الذهب ٣/ ١٦٦ ـ ١٦٧.

(٥) هو العلامة شيخ الحنابلة: أبو بكر عبد العزيز بن جعفر بن أحمد بن يَزْداد البغدادي، المعروف بغلام الخلال، ولد سنة ٢٨٥هـ، وسمع في صباه، وتفقه على أبي بكر الخلال، وكان صاحب سنة وعبادة، وجاه عند السلطان ومكانة، له مؤلفات منها: "المقنع" و"مختصر السنة"، توفي سنة ٣٦٣هـ. انظر: تاريخ بغداد ١٠/ ٤٥٩ ـ ٤٦٠، طبقات الحنابلة لابن أبي يعلى ٢/ ١٠٥ ـ ١١١، السير ١٦/ ١٤٣ ـ ١٤٥.

(٦) هو شيخ الإسلام الحافظ الإمام: أبو إسماعيل عبد الله بن محمد بن علي بن محمد الأنصاري

وكذلك ذكر أبو عمر بن عبد البر نظير هذا في الاستواء، وأئمة السنة كعبد الله بن المبارك، وأحمد بن حنبل، والبخاري، وعثمان بن سعيد الدارمي[(١)]، ومن لا يحصى من الأئمة، وذكره حرب بن إسماعيل الكرماني[(٢)]، عن سعيد بن منصور[(٣)]، وأحمد بن حنبل، وإسحاق بن إبراهيم[(٤)] **وسائر أهل السنة والحديث** متفقون على أنه متكلم بمشيئته، وأنه لم يزل متكلما إذا شاء، وكيف شاء»[(٥)].

فالله تعالى أزلا موصوف بأنه متكلم، وكلامه قائم به، وأما أنه يتكلم متى شاء، إذا شاء، فهذا أبينه في المسألة الآتية.

المسألة الثانية: تعلق هذه الصفة بالمشيئة.

مذهب السلف ومحققي الأمة، أن الكلام من صفات الذات باعتبار كون الرب ﷻ متصفا به أزلا، وقادرا عليه أبدا، وأن كلامه قائمٌ به حقا، ووصفٌ له صدقا، وهو

= الـهَرَوِي، ولد سنة ٣٩٦هـ، روى عن كثيرين، وعنه كذلك، كان سيفا مسلولا على المتكلمين، لا يسكت عن المخالفين، ولو كان فيه قطع الوتين، ومن مؤلفاته المشهورة "ذم الكلام"، و"منازل السائرين" وفيه بعض الموافقات للصوفية، انتقدها ابن القيم بأدلة ورويَّة في كتابه مدارج السالكين، توفي أبو إسماعيل رحمه الله سنة ٤٨١هـ. انظر: دمية القصر ٢/ ٨٨، طبقات الحنابلة ٢/ ٢١٢ ـ ٢١٣، السير ١٨/ ٥٠٣ ـ ٥١٨.

(١) هو الحافظ الناقد: أبو سعيد عثمان بن سعيد بن خالد بن سعيد التميمي الدارمي، طاف الأقاليم، ولقي خلقا كثيرا في بلاد العرب والعجم، كان لهجا بالسنة، بصيرا بالمناظرة، قوي الحجة والكتابة، ومن مؤلفاته المشهورة: "الرد على بشر المريسي" و"الرد على الجهمية" توفي سنة ٢٨٠هـ. انظر: طبقات الحنابلة لابن أبي يعلى ١/ ٢٠٩، السير ١٣/ ٣١٩ ـ ٣٢٦، طبقات الحفاظ ص٢٧٤.

(٢) هو العلام الفقيه: أبو محمد حرب بن إسماعيل بن خلف الحنظلي الكرماني، طلب العلم من الأكابر، واختص بالإمام أحمد بن حنبل، ومسائل "حرب" من أنفس مرويات الحنابلة، توفي سنة ٢٨٠هـ. انظر: طبقات الحنابلة لابن أبي يعلى ١/ ١٣٦ـ١٣٧، السير ١٣/ ٢٤٤ـ٢٤٥، طبقات الحفاظ ص٢٧٤.

(٣) هو الحافظ الإمام: أبو عثمان سعيد بن منصور بن شعبة الخراساني ثم المكي، سمع من خلق كثير، وروى عنه الخلق الغفير، وكان من أئمة الحديث، صنف " السنن " مات في مكة سنة ٢٢٧هـ. انظر: الجرح والتعديل ٤/ ٦٨، السير ١٠/ ٢٨٦ ـ ٥٩٠، تقريب التهذيب ص١٨١.

(٤) هو الإمام ابن راهويه الحنظلي.

(٥) المجموع ٦/ ٢١٨.

صفة فعل باعتبار كون الرب ﷻ يتكلم متى شاء، إذا شاء، مع من شاء.

والسلف بينوا أن جنس الكلام ونوعه متصف به الرب أزلا، وأما آحاد كلامه ﷻ فهو متعلق بمشيئته، فالله لم يزل متكلما إذا شاء، فمن فهم قول السلف، وفرّق هذا التفريق بين النوع والآحاد، زالت عنه الشبهات في هذه المسألة التي اضطرب فيها أهل الجهالات والانحرافات[(١)].

وقول السلف وأهل الحديث في هذه المسألة ـ وفي الصفات الفعلية ـ قائم على مقدمتين:

الأول: أن الرب ﷻ يتصف بالأمور الاختيارية، فهو متكلم متى شاء، من شاء، ويرحم متى شاء، من شاء، ويغفر متى شاء لمن شاء.

الثاني: أن كلامه وفعله لا نهاية له[(٢)].

فالصواب الذي لا مرية فيه أن الله ﷻ، لم يزل متكلما إذا شاء، تكلم مع الملائكة والمرسلين في الدنيا، وسيتكلم معهم، ومع أوليائه الصالحين في الآخرة، فكلامه مع آدم ﷺ في وقت، وكلامه مع موسى ﷺ في وقت آخر، والتوراة من آحاد كلامه كما الإنجيل والقرآن، وهذه الكتب متعددة متنوعة.

ومن الأدلة على أن الله يتكلم متى شاء، مع من شاء:

١ـ قول الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَٰكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَٰكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ﴾ [الأعراف:١١] فأخبر ﷻ أن أَمْرَهُ الملائكةَ بالسجود كان بعد خلق آدم ﷺ وتصويره، ولم يأمرهم قبل ذلك، وكذا يدل عليه قوله تعالى: ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَ خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾[آل عمران:٥٩] فأخبر أنه قال له: كن فيكون بعد أن خلقه وصوره، و(ثُمَّ) لا تكون إلا للشيء بعد الشيء، قال إمام المفسرين الطبري رحمه الله ـ بعد أن

---

(١) انظر: المجموع ١٢/ ٥٤، لوامع الأنوار البهية للسفاريني ١/ ١٣٤.

(٢) انظر: منهاج السنة ٣/ ٣٥٩، شرح الأصبهانية ص١٦١.

استدل بها يكفي ويشفي ـ على أن "ثم" للترتيب والتراخي[(١)]، فـ « غير جائز أن يكون أمرُ الله الملائكةَ بالسجود لآدم كان، إلا بعد الخلق والتصوير... فإنه يقول جل ثناؤه: فلما صورنا آدم، وجعلناه خلقا سويا، ونفخنا فيه من روحنا، قلنا للملائكة اسجدوا لآدم ابتلاء منا، واختبارا لهم بالأمر، ليُعلم الطائع منهم من العاصي، ﴿فَسَجَدُوٓاْ﴾ يقول: فسجد الملائكة إلا إبليس فإنه لم يكن من الساجدين لآدم حين أمره الله مع من أمر »[(٢)]، **فمثل هذا الخبر كثير**: في كون الرب ﷻ تكلم في وقت معين، ونادى في وقت معين، وأمَر في وقت معين، لا في الأزل، قبل أن يكون هذا الترتيب لمثل هذه الأمور[(٣)].

٢ـ قول الله ﷻ: ﴿ فَدَلَّىٰهُمَا بِغُرُورٍۚ فَلَمَّا ذَاقَا ٱلشَّجَرَةَ بَدَتۡ لَهُمَا سَوۡءَٰتُهُمَا وَطَفِقَا يَخۡصِفَانِ عَلَيۡهِمَا مِن وَرَقِ ٱلۡجَنَّةِۖ وَنَادَىٰهُمَا رَبُّهُمَآ أَلَمۡ أَنۡهَكُمَا عَن تِلۡكُمَا ٱلشَّجَرَةِ وَأَقُل لَّكُمَآ إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ لَكُمَا عَدُوّٞ مُّبِينٞ ﴾[الأعراف:٢٢]؛ فثبت بهذا النداء أنه ﷻ تكلم في وقت معين، وأنه كان بعد الأكل من الشجرة، ولم يناداهما قبل ذلك بهذا الخطاب[(٤)].

٣ـ قوله تعالى: ﴿ فَلَمَّآ أَتَىٰهَا نُودِيَ مِن شَٰطِيِٕ ٱلۡوَادِ ٱلۡأَيۡمَنِ فِي ٱلۡبُقۡعَةِ ٱلۡمُبَٰرَكَةِ مِنَ ٱلشَّجَرَةِ أَن يَٰمُوسَىٰٓ إِنِّيٓ أَنَا ٱللَّهُ رَبُّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ۝٣٠ وَأَنۡ أَلۡقِ عَصَاكَۖ فَلَمَّا رَءَاهَا تَهۡتَزُّ كَأَنَّهَا جَآنّٞ وَلَّىٰ مُدۡبِرٗا وَلَمۡ يُعَقِّبۡۚ يَٰمُوسَىٰٓ أَقۡبِلۡ وَلَا تَخَفۡۖ إِنَّكَ مِنَ ٱلۡأٓمِنِينَ ﴾ [القصص:٣٠ـ ٣١]، فنادى الرب ﷻ كليمه موسى ﷺ حينما أتاه، ولم يناده قبل ذلك، وأمره بإلقاء العصا بعد النداء، ثم لما ولى مدبرا، ناداه بعد متلطفا، وهذا معلوم من السياق، يعرفه كل من تدبر في الآيات، ممن لم تتدنّس فطرته وعقله بالشبهات، « **وفي هذا أعلى دلالة وأبينها**، وأوضحها، على ثبوت صفة الكلام لربنا ﷻ، وأنه يتكلم إذا شاء، بما يشاء، وكيف شاء، بكلام يُسمِعُه من يشاء، أسمعه موسى ﷺ كيف شاء، وعلى ما أراد »[(٥)]

---

(١) انظر لمعرفة أنها للترتيب: المفردات للراغب الأصبهاني ص٨٧، المفصل للزمخشري ص٣٠٤، مغني اللبيب عن كتب الأعاريب لابن هشام ١/ ١١٧ ـ ١١٨.

(٢) جامع البيان في تفسير القرآن ٥/ ٤٣٨.

(٣) انظر: المجموع ٦/ ٢٢٢، ١٢/ ٥٨٨، ١٣/ ١٣٢.

(٤) انظر: المجموع ٦/ ٢٢٣، ١٢/ ٥٨٨.

(٥) معارج القبول ١/ ٣١٦، و انظر: المجموع ٦/ ٢٢٣، ١٢/ ٥٨٨، شرح الواسطية للفوزان ص٨٨.

ولم يثبت عن أحد من السلف، القول بأزلية الصوت، والنداء لموسى ﷺ[١]، قال شيخ الإسلام رحمه الله: «ونحن لا نقول: كلم موسى بكلام قديم، ولا بكلام مخلوق، بل هو سبحانه يتكلم إذا شاء، ويسكت إذا شاء، كما أنه ﷻ... يأتي في ظلل من الغمام... وأمثال ذلك في القرآن والحديث كثيرة، يبين الله ﷻ أنه إذا شاء فعل ما أخبر عنه من تكليمه، وأفعاله القائمة بنفسه، وما كان قائما بنفسه هو كلامه، لا كلام غيره... وليس من ذلك شيءٌ مخلوقا»[٢].

٤ـ قول الله ﷻ: ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمۡ قَالُواْ مَاذَا قَالَ رَبُّكُمۡۖ قَالُواْ ٱلۡحَقَّۖ وَهُوَ ٱلۡعَلِيُّ ٱلۡكَبِيرُ ﴾[سبأ:٢٣]، ويفسر هذه الآية حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: [**إن نبي الله ﷺ قال: إذا قضى الله الأمرَ في السماء، ضربت الملائكة بأجنحتها خضعانا لقوله، كأنه سلسلة على صفوان، فإذا فزع عن قلوبهم، قالوا: ماذا قال ربكم، قالوا: الحقَّ، وهو العلي الكبير**][٣]، دلت الآية والحديث على أنه ﷻ تكلم في وقت معين، ومثله قوله ﷺ: [**إن الله ﷻ إذا أحب عبدا نادى جبريلَ: إن الله قد أحب فلانا فأحبه، فيحبه جبريلُ، ثم ينادي جبريلُ في السماء: إن الله قد أحب فلانا فأحبوه، فيحبه أهل السماء، ويوضع له القبول في الأرض**][٤]، ففي هذا دليل على أن الملائكة تسمع صوت الرب ﷻ، وأنه يكلمهم بما يريد، في أي وقت شاء سبحانه[٥].

٥ـ ثبت في الكتاب والسنة أن الله تعالى يكلم الرسل والملائكة، وعباده يوم القيامة، كما قال تعالى: ﴿ يَوۡمَ يَجۡمَعُ ٱللَّهُ ٱلرُّسُلَ فَيَقُولُ مَاذَآ أُجِبۡتُمۡۖ قَالُواْ لَا عِلۡمَ لَنَآۖ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّٰمُ ٱلۡغُيُوبِ ﴾[المائدة:١٠٩] وقال تعالى: ﴿ وَيَوۡمَ يَحۡشُرُهُمۡ جَمِيعًا ثُمَّ يَقُولُ لِلۡمَلَٰٓئِكَةِ أَهَٰٓؤُلَآءِ إِيَّاكُمۡ كَانُواْ يَعۡبُدُونَ ﴾[سبأ:٤٠] وقوله: ﴿ وَيَوۡمَ يُنَادِيهِمۡ فَيَقُولُ مَاذَآ أَجَبۡتُمُ ٱلۡمُرۡسَلِينَ ﴾

(١) انظر: الصفدية ٢/ ٦٧ ـ ٦٨، المجموع ١٢/ ٨٦، ١٧/ ٨٦.
(٢) المجموع ١٢/ ٥٢٩، وانظر: منهاج السنة ٢/ ٣٦٢.
(٣) أخرجه البخاري، كتاب التوحيد، باب/ قول الله تعالى: ﴿ وَلَا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ ﴾...، ح(٧٤٨١).
(٤) أخرجه البخاري، كتاب التوحيد، باب/ كلام الرب تعالى مع جبريل...، ح(٧٤٨٥)، وسبق تخريج الحديث.
(٥) انظر: معارج القبول ١/ ٣١٦ـ٣١٧.

[القصص:٦٥] وقوله: ﴿ سَلَٰمٞ قَوۡلٗا مِّن رَّبّٖ رَّحِيمٖ ﴾[يس:٥٨] وقوله: ﴿ ٱخۡسَـُٔواْ فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ ﴾[المؤمنون:١٠٨].

والآيات في كتاب الله ﷻ كثيرة، تدل على أنه ﷻ يتكلم في وقت معين، بكلام معين، فإن « القرآن فيه مئون من الآيات تدل على هذا الأصل، وأما الأحاديث فلا تحصى، **وهذا قول أئمة السنة والسلف**، وجمهور العقلاء، ولهذا قال الإمام عبد الله بن المبارك، والإمام أحمد بن حنبل وغيرهما: لم يزل متكلما إذا شاء، وكيف شاء، وهذا قول عامة أهل السنة »[(١)].

قال الإمام البخاري رحمه الله: « باب كلام الرب تعالى مع جبريل، ونداء الملائكة »[(٢)] وقال: « باب كلام الرب تعالى مع الأنبياء وغيرهم يوم القيامة »[(٣)]، وقال: « باب كلام الرب مع أهل الجنة »[(٤)].

فهذا كله يدل على أن الرب ﷻ يتكلم بمشيئته في أي وقت شاء، فهو ﷻ:

لم يزل بصفات الفعل متصفا ... وبالكلام بعيدا في تقربه
سبحانه لم يزل ماشاء يفعله ... في كل ما زَمَنَ ما مِن معقبه
نوع الكلام كذا نوع الفعال قديـ ... ـم لا المعيَّنُ منه في ترَتُّبه[(٥)]

٦ ـ ما جاء في حديث جابر بن عبد الله ﷺ في حجة النبي ﷺ **[فلما دنا من الصفا قرأ:** ﴿ إِنَّ ٱلصَّفَا وَٱلۡمَرۡوَةَ مِن شَعَآئِرِ ٱللَّهِ ﴾[البقرة:١٥٨] **أبدأ بما بدأ الله به؛ فبدأ بالصفا]**[(٦)]، فأخبر النبي ﷺ أن الله بدأ بالصفا قبل المروة، مما يدل على أن الكلام كان

(١) المجموع ١٣/ ١٣٢، وانظر: المجموع ٦/ ٤٢٤.
(٢) كتاب التوحيد من صحيحه، باب(٣٣)، ص ١٥٧٠.
(٣)كتاب التوحيد من صحيحه، باب(٣٦)، ص ١٥٧٤.
(٤)كتاب التوحيد من صحيحه، باب(٣٨)، ص ١٥٧٨.
(٥) أبيات في الرد على السبكي ليوسف بن محمد السرمري، كما في مقدمة منهاج السنة ١/ ١١٧.
(٦) أخرجه مسلم في كتاب الحج، باب/ حجة النبي ﷺ، ح(١٢١٨).

في وقت معين، وأن البدء في الذكر كان للصفا[١].

ويوضح هذا قول الإمام أحمد وغيره من الأئمة: «لم يزل الله متكلما إذا شاء، وهو يتكلم بمشيئته وقدرته، يتكلم بشيء بعد شيء»[٢].

وبعد سرد هذه الأدلة[٣]، أورد بعض التنبيهات حتى يتجلى الأمر في هذه المسألة:

التنبيه الأول: أن السلف يقولون: إن الله تعالى يتكلم بمشيئته وقدرته، وكلامه أحسن الحديث، وليس بمخلوق، باتفاق السلف، ويسمى حديثا، كما قال تعالى: ﴿ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ ٱلْحَدِيثِ كِتَٰبًا﴾[الزمر:٢٣] وقال: ﴿فَذَرْنِى وَمَن يُكَذِّبُ بِهَٰذَا ٱلْحَدِيثِ﴾ [القلم:٤٤] وقال: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ لَيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ ٱللَّهِ حَدِيثًا﴾[النساء:٨٧].

وهل كلام الله تعالى يسمى محدثا؟ فيه قولان لأهل السنة، مشهوران في الكتب وعلى الألسنة، قال شيخ الإسلام رحمه الله: «والنزاع في ذلك بين أهل السنة "لفظي" فإنهم متفقون على أنه ليس بمخلوق منفصل، ومتفقون على أن كلام الله قائم بذاته، و... أن الله يتكلم بمشيئته وقدرته»[٤].

وسبب النـزاع هو: هل كل محدَثٍ مخلوق؟ أم لا يلزم ذلك؟

ومعلوم أن كل مخلوقٍ «فهو محدَثٌ وحادث باتفاق أهل اللغة، وأهل الكلام، وأما أن كل حادث ومحدَث فهو مخلوق؟ فهذا مما تنازع فيه أهل الكلام.

والنظرُ واللغةُ لا يوجبان أن يكون كل ما كان حادثا يسمى مخلوقا، لأن المخلوق هو الذي خلقه غيره، والخلق يجمع معنى الإبداع، ومعنى التقدير[٥].

---

(١) انظر: المجموع ١٢/ ٥٨٩.

(٢) المجموع ١٢/ ٥٨٨.

(٣) مضى شيء من الأدلة في المطلب الأول من هذا المبحث.

(٤) المجموع ٥/ ٥٣٢ ـ ٥٣٣.

(٥) انظر: مقاييس اللغة ص٣٢٩، والمفردات للراغب ص١٦٣ ـ ١٦٤، والمصباح المنير ص١٨٠.

وأما لفظ "حادث" فلا يقتضي أنه "مفعول"، ولو قيل: "محدَث" فمعنى الخلق أخص من معنى الحدوث »[١].

ولفظ "محدَث" كلفظ "موجود"، فلفظ الموجود يطلق على ذات الباري ﷻ، من حيث الإخبار، لا يلزم أن يكون هناك موجِد[٢]، فكذلك لفظ "محدَث" يطلق على صفة الكلام، ولا يلزم أن يكون مفعولا مخلوقا، بل هو كلامه، وصفته ﷻ.

واللغة التي نزل بها القرآن، هو أن المحدَث خلاف القديم[٣]، ويطلق المحدَث على الشيء الجديد، ولو كان نسبيا، فالمتأخر محدَث بالنسبة للمتقدم، أي جديد[٤]، « وكان القرآن ينـزل شيئا فشيئا، فما تقدم نـزوله فهو متقدم على ما تأخر نـزوله، وما تأخر نزوله محدَث بالنسبة إلى ذلك المتقدم، ولهذا قال: ﴿ مَا يَأْتِيهِم مِّن ذِكْرٍ مِّن رَّبِّهِم مُّحْدَثٍ﴾[الأنبياء:٢] فدل أن الذكر منه محدَث ـ أي جديد ـ ومنه ما ليس بمحدث »[٥].

فلما وصف الذكر بأنه محدَث، دل على أن منه ما هو غير محدَث، وليس المحدث في الآية المراد به المخلوق، كما يقوله المبتدعة، بل المراد الذي أُنزل جديدا، فإن القرآن كان ينـزل شيئا بعد شيء، فالمنـزل أولا هو قديم بالنسبة إلى المنـزل آخرا[٦].

فالمكي قديم بالنسبة إلى الآي المدني، وما نزل في حجة الوداع وبعدها جديد بالنسبة إلى ما قبلها، والقرآن حديث بالنسبة إلى الكتب التي قبله، كما قال حبر الأمة عبد الله بن عباس ﷺ: [**كيف تسألون أهل الكتاب عن كتبهم، وعندكم كتاب الله، أقرب الكتب عهدا بالله، تقرؤونه محضا لم يُشَب**] وفي رواية [**وكتابكم الذي أنزلَ اللهُ**

---

(١) الصفدية ١/ ٢٤٠، ٢/ ٨٣، ١٥٩.

(٢) لأنه يطلق والمراد به أنه ﷻ حق وثابت وله وجود حقيقي، انظر: الصفدية ١/ ١٩٩، ٢/ ١٨٩.

(٣) قال شيخ الإسلام ﷺ: « وكل ما تقدم على غيره فهو قديم في لغة العرب، كما قال: ﴿كَٱلْعُرْجُونِ ٱلْقَدِيمِ﴾ وقال: ﴿تَٱللَّهِ إِنَّكَ لَفِى ضَلَٰلِكَ ٱلْقَدِيمِ﴾ » المجموع ١٢/ ٥٢٢.

(٤) انظر: المفردات للراغب ص١١٧.

(٥) الصفدية ٢/ ٨٥، و انظر: المجموع ١٢/ ١٠٥.

(٦) انظر: المجموع ١٢/ ٥٢٢.

على نبيكم... أحدثُ الأخبار بالله، محضا لم يشب، وقد حدثكم الله أن أهل الكتاب قد بدلوا من كتب الله وغيروا][١].

وقد بوب البخاري رحمه الله بابا قال فيه: «باب قول الله تعالى: ﴿كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ﴾[الرحمن:٢٩] ﴿مَا يَأْتِيهِم مِّن ذِكْرٍ مِّن رَّبِّهِم مُّحْدَثٍ﴾[الأنبياء:٢]»[٢].

فهذا وما سبق يدل صراحة على وصف كلام الله تعالى بالحدوث، على اصطلاح أهل اللغة، لا على اصطلاح أهل الإحداث والبدعة.

ومن تلكم الأدلة أيضا، قوله تعالى: ﴿وَمَا يَأْتِيهِم مِّن ذِكْرٍ مِّنَ ٱلرَّحْمَٰنِ مُحْدَثٍ إِلَّا كَانُوا۟ عَنْهُ مُعْرِضِينَ﴾[الشعراء:٥] فكلما نزل شيء من القرآن بعد شيء فهو أحدث من الأول[٣].

وقال تعالى: ﴿لَعَلَّ ٱللَّهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَٰلِكَ أَمْرًا﴾[الطلاق:١]، قال البخاري رحمه الله: «وأن حدثه لا يشبه حدث المخلوقين، لقوله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾[الشورى:١١]»[٤].

وقال ابن مسعود رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم: **[إن الله يحدِثُ من أمره ما يشاء، وإن مما أحدث ألا تكلموا في الصلاة]**[٥].

فمن أطلق لفظ "الحادث" أو "المحدَث" على القرآن الكريم، وكلام الرحمن الرحيم، مع اعتقاده بأنه ليس بمخلوق، فهو متمسك بظاهر النصوص، وإن كان

---

(١) رواه البخاري، كتاب التوحيد، باب/ قول الله تعالى: ﴿كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ﴾ ...، ح(٧٥٢٢) و(٧٥٢٣).

(٢) كتاب التوحيد من صحيحه، باب(٤٢) ص ١٥٨٠، وكأن البخاري رحمه الله أراد أن يبين أن الأفعال والكلام من باب واحد، فالله يفعل متى شاء، ويتكلم متى شاء، بما شاء، فذكر الآية التي تدل على الأفعال، والآية التي تدل على الأقوال، وأن آحادها حادث، وإن كان المفعول من حيث هو مخلوق، وأما كلام الله جل جلاله؛ فإنه ليس بمخلوق، وإنما ذكرهما ليبين - والله تعالى أعلم - مرادفتهما في كونهما متعلقين بالمشيئة.

(٣) انظر: معالم التنـزيل للبغوي ٦/ ١٠٧.

(٤) كتاب التوحيد من صحيحه، باب(٤٢) ص ١٥٨٠.

(٥) رواه البخاري معلقا مجزوما به، كتاب التوحيد، باب/ قول الله تعالى: ﴿كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ﴾ ...، ص١٥٨٠، ورواه أبو داود، كتاب الصلاة، باب/ رد السلام في الصلاة، ح(٩٢٤)، والنسائي، كتاب السَّهو، باب/ الكلام في الصلاة، ح(١٢٢٠)، وقال الشيخ الألباني: إسناده حسن، كما في تحقيق مشكاة المصابيح ١/ ٣١٣.

الأولى بعد اختلاط الاصطلاحات، والبعد عن معاني الدلالات، القول بالتفصيل، فبه تجتمع الأقاويل.

قال شيخ الإسلام ﷺ: « والإطلاقات قد توهم خلاف المقصود، فيقال: إن أردت بقولك "محدث" أنه مخلوق، منفصل عن الله... فهذا باطل، لا نقوله.

وإن أردت بقولك "محدَث" أنّه كلام الله، تكلم به بمشيئته، بعد أن لم يتكلم به بعينه ـ وإن كان قد تكلم بغيره قبل ذلك ـ مع أنه لم يزل متكلما إذا شاء، فإنا نقول بذلك، وهو الذي دل عليه الكتاب والسنة، وهو قول السلف، وأهل الحديث »[(١)].

فينبغي أن نحمل ما جاء عن بعض السلف في إنكار لفظة "الحادث" أو "المحدَث" على إنكارهم لقول من قال: إنه تكلم بكلام "حادث" بعد أن لم يكن متكلما. فبهذا الاعتبار، وقع عليهم الإنكار، أو باعتبار أن كلمة الحادث يريد بها ما يدل على أنه مخلوق.

التنبيه الثاني: أن قول بعض أهل الحديث عن آحاد الكلام ـ القرآن أو غيره ـ بأنه "قديم" لا ينبغي أن يفهم أن عين الكلام وآحاده قديمٌ[(٢)].

قال شيخ الإسلام ﷺ: « فإذا قيل: كلام الله "قديم" بمعنى أنه لم يصِر متكلما بعد أن لم يكن متكلما، ولا كلامه مخلوق، ولا معنى واحد قائم بذاته، بل لم يزل متكلما إذا شاء، فهذا كلام صحيح »[(٣)].

فدل هذا على أن كلامَ بعضِ أهل الحديث الذين أُثر عنهم أن القرآن "قديم" مع كونه من آحاد كلام الله، يحمل على وجهين:

الأول: أنهم أرادوا بقولهم "قديم"، أنّ القرآن ليس بمخلوق، كما تقوله الجهمية.

الثاني: أنهم أرادوا بقولهم "قديم"، أنه موصوف بالكلام أزلا، وأن نوع الكلام

---

(١) المجموع ٦/ ١٦٠ ـ ١٦١.

(٢) ولم يقل أحد من السلف: إن القرآن "قديم" بمعنى أن الله تكلم به أزلا، وهذا الذي ذكره شيخ الإسلام ـ رحمه الله ـ في المجموع ١٢/ ٥٤، وفي غيرها.

(٣) المجموع ١٢/ ٥٦٦ ـ ٥٦٧.

قديم، خلافا لمن زعم أن الرب ﷻ تكلم بعد أن لم يكن متكلما[(١)].

وأما أن القرآن "قديم"لازم لذات الله أزلا، وأنه تكلم به أزلا، فهذا لم يقل به أحد من السلف، ولم يروه عنهم أحد من الخلف، بل هو من محدثات"الكلابية"[(٢)].

فالواجب حمل كلام السلف على منهاجهم، لا على منهاج الخلف، فهم إذا قالوا: «إن كلامه "قديم"، وأنه ليس بحادث، ولا محدَث يريدون نوع الكلام، إذ لم يزل يتكلم إذا شاء، وإن كان الكلام العيني يتكلم به إذا شاء»[(٣)].

التنبيه الثالث: أن الله ﷻ متكلم أزلا، ويتكلم إذا شاء أبدا، وهذا يدل على وصفه ﷻ بالسكوت، لأن المتكلم بمشيئته وإن كان موصوفا بالكلام، وأنه يتكلم متى شاء، فإنه لا يتكلم إذا شاء، ووصف الرب ﷻ بالسكوت عن أشياء، في وقت ما، وردت به السنة الغراء، ومن ذلك:

١ـ ما جاء في الحديث المرفوع: [**ما أحل الله في كتابه فهو حلال، وما حرم فهو حرام، وما سكت عنه فهو عافية، فاقبلوا من الله عافيته، فإن الله لم يكن نسيا، ثم تلا هذه الآية:** ﴿وَمَا نَتَنَزَّلُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ لَهُۥ مَا بَيْنَ أَيْدِينَا وَمَا خَلْفَنَا وَمَا بَيْنَ ذَٰلِكَ وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا﴾[مريم:٦٤]][(٤)].

٢ـ قوله ﷺ: [**الحلال ما أحل الله في كتابه، والحرام ما حرم الله في كتابه، وما سكت عنه فهو مما عفا عنه**][(٥)].

---

(١) كما يأتي قولهم في الباب الثاني، الفصل الأول.

(٢) انظر: شرح الأصبهانية ص٣٢٤، **والكلابية**: فرقة ضالة تتبع عبد الله بن سعيد بن كلاب، وهم ينفون الصفات الخبرية عن الله ﷻ، وهم أصل مذهب الأشاعرة والماتريدية، وإن كان بعد ذلك تطور المذهبان. انظر: المجموع ٢/ ١١٣، معجم ألفاظ العقيدة ص٣٣٧.

(٣) المجموع ٦/ ١٦١ ـ ١٦٢، وانظر: المجموع ١٢/ ٣٨، ٥٤، ١٧/ ٨٦.

(٤) أخرجه الحاكم ٢/ ٤٠٦ ـ ٤٠٧، وقال: «صحيح الإسناد ولم يخرجاه» ووافقه الذهبي، ومن طريقه البيهقي في السنن الكبرى، كتاب الضحايا، باب/ ما لم يذكر تحريمه، ١٠/ ١٢ كلاهما عن أبي الدرداء ﷺ، وقال الشيخ الألباني: «حسن» كما في غاية المرام ص١٩.

(٥) أخرج الترمذي،كتاب اللباس، باب/ ما جاء في لبس الفراء، ح(١٧٢٦)، وابن ماجة، كتاب الأطعمة، =

٣ـ ما جاء مرفوعا: [إن الله فرض فرائض فلا تضيعوها، وحرم محارم فلا تنتهكوها، وحد حدودا فلا تضيعوها، وسكت عن أشياء رحمة بكم من غير نسيان فلا تسألوا عنها][١].

٤ـ ما زال العلماء يقولون: هذا ما نطق به الشارع، وهذا ما سكت عنه، ويقول بعضهم: هذا ما دل عليه منطوق النص، وهذا من دلالة المسكوت[٢].

فثبت بالسنة أن الله يوصف بالسكوت: تارة عن التكلم، وتارة عن إظهار الكلام وإعلامه، أو عن شيء معين منه[٣].

لكن إثبات صفة السكوت لله ﷻ ينبغي أن يكون من غير توهم نقص، ولا تشبيه، ولا رد للنصوص، فهو سبحانه يتكلم متى شاء، مع من شاء.

وكما أنه ليس له مثيل ولا شبيه في ذاته، فكذلك في سائر صفاته، ومن تلكم الصفات "الكلام" فهو ﷻ تكلم ويتكلم، من غير تشبيه، وهذا ما سأبينه في المسألة الآتية.

المسألة الثالثة: نفي التشبيه في الصفة.

لما تبين أن الله ﷻ يتكلم متى شاء، إذا شاء؛ فإن ذلك لا يلزم منه النقص والعيب في كلام الله ﷻ ولهذا فإن التشبيه في صفة الكلام لله ﷻ مُنتَفٍ تماما؛ فإن من العقائد السلفية، أن الذات العلية، ليس لها نِدٌّ ولا مشابِهٌ في الكيفية، وكذلك الصفات العلا،

=

باب/ أكل الجبن والسمن، ح(٣٣٦٧) والبيهقي في السنن الكبرى، كتاب الضحايا، باب ما لم يذكر تحريمه...١٠/ ١٢، كلهم عن سلمان الفارسي ﷺ، ونحوه أبو داود عن ابن عباس ﷺ موقوفا، كتاب الأطعمة، باب/ ما لم يذكر تحريمه، ح(٣٨٠٠)، قال الألباني في حديث سلمان: «وخلاصة القول... إنه موقوف... إلا أن الحديث في المعنى كالذي قبله». انظر: غاية المرام ص٢١.

(١) رواه البيهقي في سننه، كتاب الضحايا، باب ما لم يذكر تحريمه...١٠/ ١٢، وقال النووي: «حديث حسن» كما في الأربعين النووية، وعقبه ابن رجب في جامع العلوم والحكم ص٢٠٠، وقال الألباني: «ضعيف» كما في غاية المرام ص٢١، ولكن الحديث يشهد له الحديث الأول ـ والله تعالى أعلم ـ.

(٢) انظر: المجموع ٦/ ١٧٩، تقريب الوصول إلى علم الأصول لابن جزي الكلبي الغرناطي ص١٦٩.

(٣) انظر: شرح الأصبهانية ص ٢٠٣، المجموع ٦/ ١٧٩، ١٢/ ٥٢٩.

ليست مشابهةً لصفات أحد من الورى، كما قال ﷻ: ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴾[الشورى:١١]، وقال: ﴿ قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ﴾[الإخلاص:١-٢].

فالمفارقة بين صفات الخالق والمخلوق جلية كمفارقة ذات الخالق لذات المخلوق، «فالعلم بكيفية الصفة مستلزمة للعلم بكيفية الموصوف، فكيف يمكن أن تُعلم كيفية صفة لموصوف لم تُعلم كيفيته»[١].

والخوض في كيفيات الصفات، وإعمال العقول فيها يكون من المحالات، وهو سبب للضلالات والانحرافات.

فالله ﷻ أعلمنا أنه يتكلم ولم يعلمنا كيف يتكلم، فالواجب التسليم والإذعان، وصفة الكلام كغيرها من الصفات وصفت بأوصاف تدنيها إلى الأفهام، وتقربها إلى عقول الأنام، ومنها: أن الرب ﷻ يتكلم بصوت وحرف، وأن كلامه يُسمع، وأن لكلامه أولا وآخرا[٢]، وأنه يتكلم بمشيئته واختياره، وهذا كله ينبغي أن يفهم على وجهين:

الوجه الأول: أن الاشتراك العام في المعنى، لا يلزم منه التشبيه في الصفة، فالحياة مثلا من حيث التواطؤ اللفظي معلوم معناه، وأنه ضد الموت، وهذا هو القدر العام الذي يعرف بالتواطؤ في اللفظ، ثم إذا أضيفت فهي في كل موضع بحسبه، فمثلا حياة الخالق ليست كحياة المخلوقين، وحياة المخلوقين فيما بينهم مختلفة كل بحسبه، فحياة الملِك ليست كحياة آحاد الرعية، وحياة الرجل ليست كحياة الحيوان، وهكذا كلما أضيف اللفظ اختص المعنى، وعُلِم الفارقُ[٣].

وكذلك الكلام، فهو من حيث المعنى العام، أو التواطؤ اللفظي معلوم، وهو ضد الخرس، وإذا أضيفت اكتسبت خصائص المضاف إليه، فـ «ـالاتفاق في أصل الحقيقة ليس بتشبيه، كما أن إدراك البصر، بأنه إدراك المبصَرات، والسمع في أنه إدراك

---

(١) المجموع ٥/ ١١٤، وانظر: الرسالة الواضحة ٢/ ٦٠٦ ـ ٦٠٧.

(٢) وقد سبق ذكر الأدلة الدالة على هذا في المطلب الأول من هذا المبحث.

(٣) انظر: المجموع ١٢/ ٦٦.

المسموعات، والعلم في أنه إدراك المعلومات ليس بتشبيه، كذلك هذا»[(١)].

ومن الأدلة على نفي التشبيه على وجه التفصيل ما يأتي:

أ ـ لا يلزم من كون الرب ﷻ يتكلم بصوت التشبيهُ، ويدل له أن «التفاوت الذي بين صفات الخالق والمخلوق، أعظم من التفاوت بين أدنى المخلوقات وأعلاها، فإذا كان سمع التابعين لكلام النبي ﷺ من الصحابة، ليس كسمع الصحابة من النبي ﷺ، فسماع كلام الله من الله أبعد من مماثلة سماع شيء لشيء من المخلوقات»[(٢)].

فكلام الله ﷻ إذا سُمع من الله كحال موسى ﷺ، ليس كحال من سمع بواسطة مِن خلقه، وهذا فرق بين الحالين، والكلام واحد، كذلك الكلام إذا سمع من الرسول ﷺ فالحال، ليس كما لو سمعنا أحاديثه بواسطة.

قال شيخ الإسلام رحمه الله: «فإذا كان هذا الفرق ثابتا في كلام المخلوق مسموعا، ومبلغا عنه، فثبوته في كلام الله أولى وأحرى، فإنه ليس كمثله شيء، لا في ذاته، ولا في صفاته، ولا في أفعاله، ولا يمكن أن يكون تكلمُهُ به، وسماعُه مما يعرف له نظير، ولا مثال.

ولا يقاس ذلك بتكلم النبي ﷺ، وسماع الكلام منه، فإن النبي ﷺ بشر، يمكننا أن نعرف صفاتِه، والرب تعالى لا مثال له، وهو أبعد عن مماثلة المخلوقات، أعظم مِن بعد مماثلة المخلوقات أدناها»[(٣)].

ب ـ أن الصوت الذي يتكلم اللهُ به، لا يماثل صوت المخلوقين، وكلام الله شامل لنظمه ومعانيه، وذلك الكلام ليس ككلام المخلوقين، بدليل أنه يسمعُه مَن قَرُب كما يسمعُه مَن بَعُد[(٤)].

ت ـ إذا كان المؤمن المصدِّق يوقن أن الأيدي تنطق، ولا نعرف كيف تنطق، فالله ﷻ أجل من ذلك، قال تعالى: ﴿ٱلْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَىٰٓ أَفْوَٰهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَآ أَيْدِيهِمْ وَتَشْهَدُ

---

(١) العين والأثر ص ٨٧.

(٢) المجموع ١٢/ ٥٣٩.

(٣) المجموع ١٢/ ٥٤٩، وانظر: دقائق التفسير ٢/ ١٨٨.

(٤) انظر: المجموع ١٢/ ٧٧، وانظر الدليل على ذلك في المطلب الأول.

أَرْجُلُهُم بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾[يس:٦٥].

والجبال الراسيات، الصم الشامخات، تسبح ولا نعرف كيف تسبح، قال تعالى: ﴿وَسَخَّرْنَا مَعَ دَاوُدَ الْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ وَالطَّيْرَ﴾[الأنبياء:٧٩]، فالله ﷻ أولى بأن لا نعلم كيف يتكلم، وهو سبحانه العلي الأعلى، ذو الصفات العلى.

قال الإمام أحمد رحمه الله: «أتراها سبحت بجوف وفم ولسان وشفتين؟؟... ولكن الله أنطقها كيف شاء، وكذلك الله تكلم كيف شاء، من غير أن نقول بجوف، ولا فم، ولا شفتين، ولا لسان»[1].

ث ـ قال تعالى: ﴿وَقَالُوا لِجُلُودِهِمْ لِمَ شَهِدتُّمْ عَلَيْنَا قَالُوا أَنطَقَنَا اللَّهُ الَّذِي أَنطَقَ كُلَّ شَيْءٍ﴾[فصلت:٢١] فالجلود تشهد، وتنطق، ولا نعلم كيف تنطق، فالله أجل من ذلك، ومن هذا الباب تسبيح الحصا، والطعام، وسلام الحجر وتكليمه، كما ثبتت السنة بذلك[2].

فالمؤمن يُصدق هذا، فَلْيُؤمن بكلام الله الذي أنطقها، وهو على كل شيء قدير، بأنه تكلم من غير أن يكون له نظير.

قال حنبل بن إسحاق[3]: قلت لأبي عبد الله ـ أي الإمام أحمد ـ: «آلله ﷻ يكلم عبده يوم القيامة؟؟ قال: نعم، فمن يقضي بين الخلائق إلا الله ﷻ، يكلم عبده

---

(١) الرد على الزنادقة والجهمية ص ٤٥، وانظر: المجموع ٦/ ١٥٤.

(٢) وذلك مروي في عدة أحاديث منها:

١ـ [**تقاتلون اليهود، حتى يختبئ أحدهم وراء الحجر، فيقول: يا عبد الله هذا يهودي ورائي فاقتله**] رواه البخاري، كتاب الجهاد والسير، باب/ قتال اليهود، ح(٢٩٢٥، ٢٩٢٦).

٢ـ [**إني لأعرف حجرا بمكة كان يسلم علي قبل أن أبعث، إني لأعرفه الآن**] مسلم، كتاب الفضائل، باب/ فضل نسب النبي...، ح(٢٢٧٧).

٣ـ [**فحن الجذع فأتاه، فمسح يده عليه...**] رواه البخاري، كتاب المناقب، باب/ علامات النبوة في الإسلام، ح(٣٥٨٣).

(٣) هو المحدث الثقة: أبو علي حنبل بن إسحاق بن حنبل الشيباني، ابن عم الإمام أحمد رحمه الله، سمع من الإمام أحمد وغيره، وسمع المسند منه، وروى عنه روايات جيدة، توفي في واسط سنة ٢٧٣هـ. انظر: طبقات الحنابلة لابن أبي يعلى ١/ ١٣٤ ـ ١٣٦، تاريخ بغداد ٨/ ٢٨٦ ـ ٢٨٧، السير ١٣/ ٥١ ـ ٥٣.

ويسأله، الله متكلم، لم يزل الله يأمر بما يشاء ويحكم، وليس له عِدلٌ ولا مثل، كيف شاء، وأنى شاء»[١].

الوجه الثاني: عدم الخوض في الكيفية، مع إثبات المعنى دون مثلية، فالسلف يعتقدون أن الله سبحانه متكلم أزلا، ويتكلم إذا شاء، على الوجه اللائق بجلال الله سبحانه، وعلى ما يليق بكماله تعالى شأنه، من غير تحريف، ولا تعطيل، ولا تكييف، ولا تمثيل.

وقد تكلم رب العرش بالكتب الـ ـمنزَّلات كلاما لا شبيه له
ولم يزل فاعلا أو قائلا أزلا إذا يشاء وهذا الحق فارض به[٢]

فاعتقاد الكمال المطلق لله ﷻ، يُخرِجُ الإنسانَ من التشبيهِ، والتعطيلِ، والإعراضُ عن الخوض في كيفيات الصفات سلامة للدين.

وفي الطحاوية: «ومن وصف الله بمعنى من معاني البشر، فقد كفر، فمن أبصر هذا اعتبر، وعن مثل قول الكفار انزجر، وعلم أن الله ليس بصفاته كالبشر»[٣].

قال شارحه ابن أبي العز الحنفي رحمه الله: «يعني: أنه تعالى وإن وُصف بأنه متكلم، لكن لا يوصف بمعنى من معاني البشر التي يكون بها متكلما، فإن الله ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾[الشورى:١١]»[٤].

فالله ﷻ متكلم، يتكلم متى شاء، كيف شاء، مع من شاء، ولا نخوض في كلامه بما لم يثبت به النقل، ولم يدل عليه العقل، ولا نأتي بالمجملات من الألفاظ والأقوال، ولا نخوض في اللفظ وغيره ـ وسأبين في المبحث الآتي مسألة اللفظ في القرآن ـ والله تعالى أعلم.

---

(١) الدرء ٢/ ٣٧ـ٣٨.
(٢) أبيات لمحمد جمال الدين اليمني الشافعي في الرد على السبكي ١/ ١٠٩ من مقدمة منهاج السنة.
(٣) الطحاوية ١/ ٢٠٦ مع شرح ابن أبي العز الحنفي.
(٤) شرح الطحاوية ١/ ٢٠٦ـ٢٠٧.

المبحث الثاني: مسألة اللفظ بالقرآن

المطلب الأول: بيان اللفظ والملفوظ.

قبل الخوض في بيان مسألة اللفظ والملفوظ، أنبه على أن المراد بهذه المسألة: لفظ القارئ بالقرآن، وقراءته له، وتلاوته له، هل يقال مخلوق أو لا يقال ذلك؟

وهذه مسألة كبيرة، شغلت حيزا في مسألة القرآن، وكان لها صدى عند السلف وغيرهم، مما أدى إلى الشقاق والفرقة، ضاقت بسببها صدور أهل السنة، وفرح بها أهل الزيغ والبدعة.

قال أبو محمد بن قتيبة الدَّيْنَوَرِي رحمه الله[(١)]: « لم يختلف أهل الحديث في شيء من اعتقادهم إلا في مسألة "اللفظ" »[(٢)].

وقال شيخ الإسلام رحمه الله مبينا أثر هذه المسألة على أهل السنة: « وصار يحصل بسبب كثرة الخوض في ذلك ألفاظ مشتركة، وأهواء للنفوس، حصل بسبب ذلك نوع من الفرقة والفتنة »[(٣)].

وهذه المسألة ظهرت ـ أوّل ما ظهرت ـ من الجهمية، وذلك لـمّا أطفأ الله نارهم بالحق الدامغ، ولم يستطيعوا إظهار القول الزائغ، فحادوا في إظهار اعتقادهم إلى

---

(١) هو العلامة ذو الفنون: أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدّينَوَرِي، نزل بغداد وصنف وجمع وبعُد صيته، ولي قضاء دينور، رماه المتمشعرة بالتشبيه، وهو عنه نزيه، ومن مؤلفاته المشهورة: غريب القرآن، وغريب الحديث، ومشكل القرآن، ومشكل الحديث، الرد على من يقول بخلق القرآن، والاختلاف في اللفظ، توفي سنة ٢٦٧هـ. انظر: الفهرست ص ١٢٣ ـ ١٢٤، تاريخ بغداد ١٠/ ١٧٠ ـ ١٧١، السير ١٣/ ٢٩٦ ـ ٣٠٢.

(٢) المجموع ٧/ ٦٦٠، وانظر: الاختلاف في اللفظ والرد على الجهمية لابن قتيبة ص٥٧،٢٠.

(٣) الدرء ١/ ٢٦٢.

الألفاظ المجملة، مع أنهم يريدون مذهبهم البدعي وهو: اعتقاد أن القرآن مخلوق كالبرية، فلبّسوا على الناس بهذه الألفاظ المحدثة البدعية.

قال شيخ الإسلام ﷺ: «لما ظهر القول بأن القرآن كلام الله غير مخلوق أطفأ الله نار الجهمية المعطلة صارت طائفة يقولون إن كلام الله الذي أنزله مخلوق ويعبرون عن ذلك باللفظ فصاروا يقولون: ألفاظنا بالقرآن مخلوقة، أو تلاوتنا، أو قراءتنا مخلوقة، وليس مقصودهم مجرد كلامهم وحركاتهم بل يُدْخِلون في كلامهم نفس كلام الله الذي نقرؤه»(١).

وظهور هؤلاء المعروفين بـ "اللفظية"(٢) كان في عهد الإمام أحمد، لما أظهر الله السنة حتى صار لها ولأهلها شوكة، وخُذلت البدعة والمبتدعة، ويفهم هذا من القول السابق لشيخ الإسلام ﷺ، وكذا يفهم مما قاله ابن جرير الطبري ﷺ حيث قال: «فلا أثر فيه نعلمه عن صحابي مضى، ولا تابعي قضى، إلا عمن في قوله الغناء والشفاء، وفي اتباعه الرشد والهدى، ومن يقوم قوله لدينا مقام قول الأئمة الأولى: أبي عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل...»(٣).

فكون الإمام أحمد أول ما عرف عنه من الأئمة الإنكار في هذه المسألة الحادثة، لكونها ظهرت في زمانه، ومما يؤكد ذلك أن هذا القول اشتهر من معاصر له وهو الحسين الكرابيسي(٤).

---

(١) المجموع ٧/ ٦٥٥، وانظر: الاختلاف في اللفظ ص ٢٠، الجواب الصحيح ٤/ ٣٤٢.

(٢) اللفظية مصطلح يطلق على من قال: إن لفظي بالقرآن مخلوق، وقد يطلق على من قال: لفظي بالقرآن غير مخلوق، قال البخاري: قال أحمد بن حنبل: «اللفظي: الذي يقول القرآن بألفاظنا مخلوقة»، وقال الحافظ عن هذه المسألة إنها هي: «المشهورة بمسألة اللفظ، ويقال لأصحابها اللفظية». انظر: المجموع ١٢/ ٣٦٦، الفتح ١٣/ ٥٠٠، معجم ألفاظ العقيدة ص٣٤٧.

(٣) صريح السنة للإمام أبي جعفر ابن جرير الطبري ص٢٥ ـ ٢٦، وانظر: المجموع ١٢/ ٤٢٣ وقال ـ وهذا القول ـ: «مشهور... ومتواتر عنه»، وانظر: ما ذكره الأشعري في اتباع الإمام أحمد في الإبانة ص ١٤ ـ ١٥، وانظر: أصول اعتقاد أهل السنة للالكائي ٢/ ٣٩٢.

(٤) هو الفقيه: أبو علي الحسين بن علي بن يزيد البغدادي الكرابيسي، تفقه بالشافعي وأخذ عن يزيد بن هارون

قال قوام السنة الأصبهاني ﷺ[١]: «وأول من قال باللفظ، وقال ألفاظنا بالقرآن مخلوقة حسين الكرابيسي فبدَّعه أحمد بن حنبل، ووافقه على تبديعه علماء الأمصار»[٢].

ثم تبع الكرابيسي على ذلك أقوام، «ونشأ بين أهل السنة والحديث نزاع في... القرآن - أي اللفظ بالقرآن - بسبب ألفاظ مجملة، ومعانٍ متشابه»[٣].

وخاض فيه أناس بحق، لتجلية الحق، وخاض فيه آخرون بباطل، وحملوا من أجل ذلك كلام الأئمة المحامل، وأصبح بينهم وبين أهل الحق حائل، وقد ينتسب بعضهم إلى الأئمة، وينتحل مناهج علماء الأمة، وكان لزاما توضيح هذه المسألة، كما وردت في كتب السنة، بجمع كلامهم، وتجلية أقوالهم، حتى لا يبقى لمخالف حجة، ولا لموافق شبهة، والكلام في هذا سيكون في ثلاث مسائل:

المسألة الأولى: بيان الألفاظ المجملة في المسألة.

المسائل المجملة في باب العقائد تسبب الفرقة والاختلاف، لاحتمالها معان عدة؛ منها ما هو صحيح، ومنها ما هو باطل، فإذا أثبتها قوم فباعتبار ما تحتمله من معنى صحيح، ومن نفاها فباعتبار ما تحتمله من معنى باطل.

= وكان ذكيا فطنا له مصنفات، ونشأ بينه وبين الإمام أحمد الخلاف لما قال باللفظ، حتى قال ابن عدي: «اعتبروا بالكرابيسي وبأبي ثور، فالحسين في علمه وحفظه لا يَعْشِرُه أبو ثور، فتكلم فيه أحمد في مسألة اللفظ فسقط، وأثنى على أبي ثور فارتفع للزومه السنة»، و إنما كان إنكار الإمام أحمد عليه لقوله بقول مجمل مبتدع دون تفصيل، يتذرع به إلى القول بخلق القرآن، ولذا لما فَصّل هو فُهم مرادُه وأنه كان يقصد فعل نفسه وهو مخلوق حقا، دون القرآن الذي هو كلام الله صدقا، توفي الكرابيسي سنة ٢٥٩/٥٨هـ. انظر: تاريخ بغداد ٨/ ٦٤ - ٦٧، السير ١٢/ ٧٩ - ٨٢، طبقات الشافعية للسبكي ٢/ ١١٧.

(١) هو قوام السنة الحافظ: أبو القاسم إسماعيل بن محمد بن الفضل بن علي بن طاهر التيمي الأصبهاني ولد سنة ٤٥٧هـ، ترعرع في ربوع العلم، ونشأ على التعليم، صاحب رحلات كثيرة، ومصنفات جليلة ومنها: الحجة في بيان المحجة، وكتاب السنة، ودلائل النبوة، توفي سنة ٥٣٥هـ. انظر: السير ٢٠/ ٨٠- ٨٨، شذرات الذهب ٤/ ١٠٥ - ١٠٦، طبقات الحفاظ ٤٦٣.

(٢) الحجة في بيان المحجة لأبي القاسم إسماعيل بن محمد الأصبهاني ١/ ٣٧٠.

(٣) المجموع ٧/ ٦٥٨.

وأما ألفاظ القرآن والسنة ففيها الشفاء، والكفاية لمن به داء، ونحن متعبدون بالكتاب والسنة، لا بألفاظ أحد من أهل الملة، والواجب في كل لفظ مجمل محتمل لمعانٍ عدة، أن نتركه وأن نلتزم بألفاظ الشرع، ومن الألفاظ المجملة في باب "اللفظ بالقرآن" ما يأتي:

١- **لفظي بالقرآن**(١) ومنه: اللفظ، أو الألفاظ، أو لفظ القرآن.

٢- **تلاوتي بالقرآن**(٢) ومنه: التلاوة، أو التلاوات، أو تلاوة القرآن.

٣- **قراءتي للقرآن**(٣) ومثله: القراءة، أو القراءات، أو قراءة القرآن.

٤- **كتابتي القرآن**(٤) ومثله: الكتابة، أو الكتابات، أو كتابة القرآن.

٥- **هذا عين كلام الله**(٥).

٦- **هذا يحكي القرآن**(٦).

٧- **القرآن حال في المصحف، أو حال في الصدور**(٧).

٨- **القرآن من قدر الله.**

٩- **القرآن من أمر الله.**

١٠- **القرآن من شرع الله**(٨).

ووجه الإجمال في هذه العبارات، كونها مصادر تحتمل الفعل الذي هو فعل العبد، وتحتمل المفعول الذي وقع عليه الفعل، وهو المقروء، المتلو، الملفوظ، المكتوب.

---

(١) انظر: المجموع ١٢/ ٤٠٩.

(٢) انظر: المجموع ١٢/ ١٧٠، إيثار الحق على الخلق لابن الوزير ص ١١٩.

(٣)انظر: المجموع ١٢/ ٤١٠.

(٤) انظر: المجموع ١٢/ ٧٤.

(٥) انظر: المجموع ١٢/ ٢٨٦.

(٦) انظر: المجموع ١٢/ ٥٤٣، إيثار الحق على الخلق ص ١١٩.

(٧) انظر: المجموع ١٢/ ٢٩٣، وإنها كان هذا من المجملات؛ لأن لفظ الحلول في كل موضع بحسبه، فقد يفهم من هذا قول الحلولية من الصوفية الغلاة، ومن وافقهم، انظر: قولهم في أن القرآن حال في العباد، في الفصل الأول، من الباب الثاني.

(٨) ذكر هذه الثلاثة شيخ الإسلام رحمه الله في المجموع ٨/ ٤١٢.

وقدر الله فيه ما هو من أفعاله، وما هو من مفعولاته، وكذلك أمر الله، وشرع الله فيه ما هو من كلامه، وما هو من كلام نبيه، فكانت هذه الألفاظ الثلاثة أيضا من الألفاظ المجملات، فينبغي التنبه لها حتى لا نقع في الاحتمالات، ونبعد أنفسنا من المشتبهات[(١)].

ومنشأ الضلال «من عدم الفرق في المشار إليه في هذا»[(٢)]، فعدم تعيين المشار إليه أوقع الإجمال، والالتباس، «والنفي والإثبات بدون التفصيل يوهِم»[(٣)]، وإذا بُيّن الفرق، وفُصّل في العبارة، واستفصل عن المقالة، تبين المتفق والمفترق[(٤)].

وأما بيان الفرق والتفصيل في هذه العبارات، والموقف الصحيح منها فأبينه في المسألة التالية.

المسألة الثانية: هل اللفظ هو الملفوظ أو غيره؟

بينت في المسألة السابقة، أن الألفاظ المجملة سبب من أسباب النـزاع في الأمة ـ خصوصا في المسائل العلمية ـ، وأما إذا كشف الغطاء، وأزيل الإلباس، وقع التوافق بين الناس.

ومن هذا الإلباس، ما وقع بين الأنام في مسألة اللفظ والملفوظ، أو القراءة والمقروء، أو التلاوة والمتلو، أو غيره.

وبيان المسألة من حيث اللغة، وعلى ضوء فهم السلف كما يأتي:

إن "اللفظ" «اللام والفاء والظاء كلمة صحيحة تدل على طرح الشيء، وغالب ذلك يكون من الفم، تقول: لفظ بالكلام يلفظ لفظا، ولفظت الشيء من فمي»[(٥)].

فاللفظ بمعنى الطرح هو خارج عن بحثنا إذ لم يكن النـزاع فيه، ولم يكن

---

(١) انظر: المجموع ٨/ ٤١١ وما بعدها.

(٢) المجموع ١٢/ ٢٨٤.

(٣) المجموع ١٢/ ٥٤٩.

(٤) انظر: المجموع ١٢/ ٢٨٤.

(٥) مقاييس اللغة ص ٩٥٨، وانظر: الحجة في بيان المحجة ٢/ ٢٠٥.

القائلون يعنون ذلك، وإن كان بعض المنتسبين للسنة كره مسألة اللفظ، لكون القرآن لا يُلفظ، أي: لا يطرح ولا يُرمى منه شيء، لا حقيقة ولا معنى[(١)].

وإنما موضع النـزاع في "اللفظ" الذي هو الكلام، فاللفظ والقراءة، والتلاوة، ألفاظ تطلق على المصادر، والمصدر في اللغة العربية يطلق على الفعل وعلى المفعول.

فالمصدر "اللفظ" من لَفَظَ يَلْفِظُ لَفْظاً، **يطلق** على الفعل الذي هو فعل اللافظ من صوت وحركة، وما يكون منه كسبا بجوارحه، **ويطلق** على المفعول الذي وقع عليه فعل اللافظ والقارئ، والتالي، وهو الملفوظ، المقروء، المتلو[(٢)].

ومثال هذا في "الكتاب" فهو مصدر يطلق على الفعل كما في قولنا: كتبت كتابا، فالمصدر هنا مؤكد للفعل وهو بمعناه، ويطلق على المفعول كقولنا: قرأت الكتاب، فالمصدر هنا بمعنى المفعول، أي قرأت الشيء المكتوب، وعلى هذا قياس اللفظ والقراءة والتلاوة.

فاستعمال المصدر وإرادة الفعل معلوم عند العرب، وكذلك استعمالهم المصدر وإرادة المفعول معلوم عندهم.

قال سيبويه[(٣)]: « وقد يجيء المصدر على المفعول..كقولهم: الخلقُ إنما يريدون المخلوق، ويقولون للدرهم: ضرب الأمير، إنما يريدون مضروب الأمير »، وقال: « فجاء للفاعل كما جاء للمفعول، وربما وقع على الجميع »[(٤)].

فيعمل « المصدر إعمال الفعل مفردا كقولك: عجبت من ضَرْبِ زيدٍ عمراً...

---

(١) انظر: المجموع ١٢/ ٢٠٩ ـ ٢١٠.

(٢) انظر: خلق أفعال العباد للبخاري ص ١٧٣، المجموع ١٢/ ١٩٧.

(٣) هو إمام العربية: أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر الفارسي البصري، المعروف بـ (سيبويه) طلب الحديث أولا، ثم شغف بالعربية ثانيا، وبرع فيها، وساد أهل عصره، وله مؤلف كبير فيها لا يُماثله مؤلف ـ وهو المشهور بالكتاب ـ، عاش نحو الأربعين سنة قيل مات سنة ١٨٠هـ وقيل غير ذلك. انظر: الفهرست لابن النديم ص٨١، تاريخ بغداد ١٢/ ١٩٥، السير ٨/ ٣٥١-٣٥٢.

(٤) الكتاب ٤/ ٤٣.

ومضافا إلى المفعول، كقولك: ضَرْبُ اللصِّ الأميرُ»[١]، فإذا عمل عمله فهو بمعناه.

ومثال ما جاء على المعنيين قوله تعالى: ﴿يَخْلُقُكُمْ فِي بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْ خَلْقًا مِّنۢ بَعْدِ خَلْقٍ فِي ظُلُمَٰتٍ ثَلَٰثٍ﴾[الزمر:٦] فالخلق هنا "مصدر" والمراد به فعل الله ﷻ، وقوله: ﴿وَلَأٓمُرَنَّهُمْ فَلَيُغَيِّرُنَّ خَلْقَ ٱللَّهِ﴾[النساء:١١٩] فالخلق "مصدر" والمراد به المخلوق الذي هو مفعول الرب ﷻ[٢].

وبهذا يتضح «أن اللفظ يراد به مصدر: لَفَظَ يَلْفِظُ لَفْظاً، ويراد باللفظ الملفوظ به، وهو نفس الحروف المنطوقة»[٣].

فإطلاق المصدر وإرادة الفعل وارد، وإرادة المفعول وارد، فإذا قيل: اللفظ، أو لفظي، أو ألفاظنا، فقد يراد به نفس فعل العبد وصوته وحركته، وقد يراد به الملفوظ المقروء المتلو[٤].

وله مثال آخر وهو "اسم القرآن"[٥]، فإنه قد يراد به القراءة نفسها كقوله تعالى: ﴿وَقُرْءَانَ ٱلْفَجْرِ إِنَّ قُرْءَانَ ٱلْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا﴾[الإسراء:٧٨] قال الطبري في معنى الآية: «إن ما تقرأ به في صلاة الفجر من القرآن كان مشهودا يشهده ملائكة الليل وملائكة النهار»[٦].

وقد يراد بـ "القرآن" المقروء الذي هو كلام الله، كما في قوله تعالى: ﴿إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ﴾[الإسراء:٩] والمراد المقروء الذي هو كلام الله تعالى.

يوضحه قول الإمام البخاري رحمه الله: فـ «بعضهم يزيد على بعض في القراءة،

---

(١) المفصل في علم العربية ص ٢٢٣، وانظر: شرح ابن عقيل ٢/ ٨٨ ـ ٩٣، والمزهر في علوم اللغة للسيوطي ٢/ ٢٤٦.

(٢) انظر: خلق أفعال العباد ص١٨٦.

(٣) المجموع ١٢/ ٥٦٧.

(٤) انظر: الاختلاف في اللفظ ص ٥٧، المجموع ٧/ ٦٦٠.

(٥) انظر: المجموع ١٢/ ١٩٨،٥٦٢.

(٦) جامع البيان ٨/ ١٢٧، وانظر: الاختلاف في اللفظ ص ٥٧.

وبعضهم ينقص، وليس في القرآن زيادة ولا نقصان، فأما التلاوة فإنهم يتفاضلون في الكثرة والقلة.. وقد يقال: فلان حسن القراءة، ورديء القراءة، ولا يقال: حسن القرآن، ورديء القرآن، وإنما نسب إلى العباد القراءة لا القرآن، لأن القرآن كلام الرب، والقراءة فعل العبد»(١).

فبهذا يتبين أن القرآن محتمل لفعل القراءة، وإن كان أظهر في المفعول المقروء، ولا شك أن القراءة غير المقروء من القرآن، فكذلك لا يقال في الألفاظ المجملة في هذا الباب، أن المصدر يحتملها، وأن الفعل غير المفعول.

فلو قال قائل: **لفظي بالقرآن مخلوق**، دخل في هذا الإطلاق فعل اللافظ، الذي هو حركته وصوته، وهو مخلوق حقا، ودخل المفعول الذي هو كلام الله، وكلامه مسموع منطوق، وبحروف، وله معنى، وإدخاله في العبارة المطلقة باطل، إذا لا بد من التفصيل.

وكذلك لو قال قائل: **لفظي بالقرآن غير مخلوق**، دخل فيه فعل اللافظ الذي هو صوته وحركته، وهو باطل لأنه مخلوق قطعا، فإن أفعال العباد كفاعليهم مخلوقة لله تعالى، كما قال تعالى: ﴿وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ﴾(٢) ودخل الملفوظ الذي هو كلام الله وهو حق، فإن كلام الله غير مخلوق حقا، حروفه ومعانيه(٣).

قال شيخ الإسلام ﵀: «قوله "لفظي" مجمل يدخل فيه فعله... وصوته، فإذا قيل: لفظي، أو تلاوتي، أو قراءتي غير مخلوقة، أو هي المتلو، أشعر ذلك أن فعل العبد وصوته قديم، وأن ما قام به من المعنى والصوت هو عين ما قام بالله من المعنى والصوت.

وإذا قال: "لفظي بالقرآن"، أو تلاوتي للقرآن، أو لفظ القرآن، أو تلاوته مخلوقة، أو التلاوة غير المتلو، أو القراءة غير المقروء أفهم ذلك أن حروف القرآن

---

(١) خلق أفعال العباد ص ١٦٦، وانظر: المجموع ١٧/ ٣٦-٣٧، الفتح ١٣/ ٥١٧.

(٢) سورة الصافات، الآية ٩٦، وقال الحافظ ابن كثير - رحمه الله - في تفسير الآية: «يحتمل أن تكون ما مصدرية، فيكون تقدير الكلام: خلقكم وعملكم، ويحتمل أن تكون بمعنى الذي، تقديره: والله خلقكم والذي تعملونه، وكلا القولين متلازم...». تفسير القرآن العظيم ٤/ ١٣.

(٣) انظر: المجموع ١٢/ ٣٠٦-٣٠٧.

ليست من كلام الله بحال، وأن نصف القرآن كلام الله، ونصفه كلام غيره»[١].

ولهذا كان السلف ينكرون هذا اللفظ المجمل، كما سيأتي، وأذكر هنا كل لفظة من الألفاظ المجملة في هذه المسألة، ووجه الصواب فيها على ما هو مقرر في عقائد السلف.

أولا: "اللفظ": وقد سبق بيان وجه الإجمال فيه، وأما الحق في هذه اللفظة أن يقال قولك: لفظي بالقرآن مخلوق إن كنت تقصد المعنى الحق وهو: أن أصوات العباد وحركاتهم مخلوقة دون كلام الخالق سبحانه، وأن كلام الله بصوت وحرف، فهذا يقبل منه هذا المعنى، ويُرد عليه اللفظ المجمل لاحتماله المعاني الباطلة[٢].

وكذلك يقال لمن قال: لفظي بالقرآن غير مخلوق، إن عنيت به الملفوظ الذي هو كلام الله، دون صوت العبد وحركاته وأفعاله فهذا حق أيضا ويقبل، ويُرد اللفظ المجمل لاحتماله المعاني التي هي باطلة.

ومثل هذا التفصيل في "اللفظ" يجري على "التلاوة" قال شيخ الإسلام رحمه الله: «من قال لفظي بالقرآن غير مخلوق، أو تلاوتي...أردت به أن القرآن المتلو غير مخلوق، لا نفس حركاتي، قيل له: لفظك هذا بدعة، وفيه إجمال وإيهام، وإن كان مقصودك صحيحا، كما يقال ـ لمن قال لفظي مخلوق ـ: أردتُ أن فعلي مخلوق، لفظك أيضا بدعة، وفيه إجمال وإيهام وإن كان مقصودك صحيحا»[٣].

ثانيا: "القراءة": فقول القائل: قراءتي بالقرآن مخلوقة أو غير مخلوقة، من الألفاظ المجملة فإن «القراءة: قرآن وعمل، لا يتميز أحدهما عن الآخر، فمن قال: إنها قرآن فهو صادق، ومن حلف إنها عمل فهو بار، وأخطأ من أطلق: أن القراءة مخلوقة، وأخطأ من زعم أنها غير مخلوقة... فإن هذه المسألة خفيت على الطائفتين لغموضها، فإن إحدى الطائفتين ـ وهي القائلة بأن قراءتي مخلوقة ـ وجدت القراءة

---

(١) المجموع ١٢/ ٤٠٩، وانظر: المجموع ٦/ ٥٢٧.
(٢) انظر: ميزان الاعتدال للذهبي ١/ ٥٤٤.
(٣) الدرء ١/ ٢٦٥.

تسمى قرآنا، فنفت الخلق عنها، والأخرى ـ وهي القائلة بأن القراءة مخلوقة ـ وَجَدَتِ القراءة فعلا يثاب صاحبه عليه فأثبتت حدوثه»[١].

فهذا يدل على أن القائل بهذه العبارة لو أراد فعل نفسه مع إقراره بأن كلام الله غير مخلوق، وأن كلام الله بحرف، فهذا حق ويقبل منه هذا المعنى دون اللفظ، وإن كان القائل مثبتا[٢] قائلا: قراءتي غير مخلوقة، وهو يريد المقروء الذي هو كلام الله مع إقراره بأن فعله وحركاته وصوته مخلوق لكان حقا مقبولا، دون اللفظ فإنه يكون مردودا، ولعسر هذا الفرق وصعوبته مال أقوام في هذه المسألة إلى زيادة في الإثبات، وآخرون إلى زيادة في النفي، والحق العدل والتوسط، فالمعوَّل فيما اختلفنا فيه إلى كتاب ربنا، وسنة نبينا ﷺ، وإجماع المعتبرين من علماء الأمة.

وأنبه ـ كما ذكره شيخ الإسلام رحمه الله ـ على أن «إطلاق لفظ "القرآن" على نفس الكلام أكثر من إطلاقه على نفس التكلم، وكذلك لفظ "الكلام" و"القول" و"القصص"... يراد به نفس الكلام أكثر مما يراد بها فعل المتكلم»[٣].

ثالثا: "الكتابة": أو قولهم: كتابتي للقرآن مخلوقة، أو غير مخلوقة، من الألفاظ المجملة، وذلك أن الكتابة مصدر يطلق على الفعل، وقد يراد به المفعول، فلما احتمل هذين المعنيين، صار من المجملات.

والتفصيل هو أن يقال لمن أطلق هذه العبارة نفيا أو إثباتا، هل تعني بقولك هذا، أن المداد والورق وحركة الكاتب مخلوقة، وأن المكتوب في المصاحف هو كلام الله، حروفه ومعانيه، وأنه غير مخلوق، فهذا حق يقبل.

وإن أردت بقولك هذا: أن المداد والورق، وفعل الكاتب غير مخلوق، أو أن

---

(١) المجموع ١٢/ ٤١٠ وقد نقله عن ابن قتيبة، وانظر: ما قاله ابن قتيبة في الاختلاف في اللفظ ص ٥٧ ـ ٥٨ مع اختلاف يسير.

(٢) اللفظية النافية هم: الذين يقولون؛ ألفاظنا بالقرآن مخلوقة، واللفظية المثبتة هم: الذين يقولون ألفاظنا بالقرآن غير مخلوقة. انظر: المجموع ١٢/ ٣٧٣، ٣٩٤، ٤٢١.

(٣) المجموع ١٧/ ٣٨ ـ ٣٩.

المكتوب هو المخلوق فهذا باطل مردود.

وكذا لو قال: إن فعل العبد من الكتابة مخلوق، وكذا المكتوب من القرآن مخلوق، فهذا أيضا باطل مردود.

وإجماع السلف قائم على أن المداد في المصحف مخلوق، وأن فعل العبد من الكتابة مخلوق، وأن الأوراق مخلوقة، وكذا إجماعهم قائم على أن المكتوب هو القرآن، وأن ما بين الدفتين هو كلام الله حروفه ومعانيه، وكلام الله غير مخلوق(١).

قال شيخ الإسلام رحمه الله: «والمداد الذي في المصحف لم يكن أحد من السلف يتوقف في ذلك، بل كلهم متفقون أن أصوات العباد مخلوقة، والمداد كله مخلوق، وكلام الله الذي يكتب بالمداد غير مخلوق»(٢).

فالمكتوب المقروء في مصاحف المسلمين هو كلام الله، قال الشيخ حافظ حكمي رحمه الله عن القرآن مفرقا بين فعل العبد، وكلام الرب:

يحفظ بالقلب وباللسان يُتلى كما يُسمع بالآذان

كذا بالأبصار إليه يُنظر وبالأيادي خطه يُسطر

وكل ذي مخلوقة حقيقة دون كلام بارئ الخليقة(٣).

قال رحمه الله في شرحها: «"وكل ذي" المذكورات من القلب، وحافظته وذاكرته، واللسان وحركته، والآذان وأسماعها، والأبصار ونظرها، والأيادي وكتابتها، وأدوات الكتابة، من أوراق، وأقلام، ومداد، كلها "مخلوقة حقيقة" ليس في ذلك توقف، "دون" القرآن»(٤).

قال الإمام البخاري رحمه الله: «حركاتهم ـ أي العباد ـ، وأصواتهم، واكتسابهم،

---

(١) انظر: المجموع ١٢/ ٦٩ ـ ٧٤، ١٧٩، ٥٦٧ ـ ٥٦٨، ٣/ ١٧٠ ـ ١٧١، ١٩٧.

(٢) المجموع ١٢/ ٥٦٨، وانظر: ١٢/ ٥٨٦.

(٣) سلم الوصول ص ١٥.

(٤) معارج القبول ١/ ٣٧٣.

وكتابتهم مخلوقة، فأما القرآن المتلو المبين، المثبت في المصحف، المسطور، المكتوب، الموعى في القلوب، فهو كلام الله »[1]، وقال: « فأما المداد، والرق، ونحوه، فإنه خلقٌ »[2].

رابعا: قولهم "هذا عين كلام الله": فإن الإشارة هنا تحتمل إما أن تكون إلى المكتوب، أو المسموع، أو المقروء فهذا حق، وإما أن تكون إلى الورق والمداد والجلد، أو الصوت، وفعل العبد، فهذا باطل.

« فإذا ميز الإنسان في المشار إليه بهذا وهذا تبين المتفق والمفترق »[3]، قال الإمام أحمد رحمه الله: « يتوجه العبد لله تعالى بالقرآن بخمسة أوجه وهو ـ أي القرآن ـ فيها غير مخلوق، حفظ بالقلب، وتلاوة باللسان، وسمع بأذن، ونظرة ببصر، وخط بيد، فالقلب مخلوق، والمحفوظ غير مخلوق، والتلاوة مخلوقة، والمتلو غير مخلوق، والسمع مخلوق، والمسموع غير مخلوق، والنظر مخلوق، والمنظور إليه غير مخلوق، والكتابة مخلوقة، والمكتوب غير مخلوق »[4].

وقولهم: **هذا عين كلام الله**، في مفهوم المسلمين الذين لم تُدنس فطرهم، لا إشكال فيها، كما قال شيخ الإسلام رحمه الله: « وكذلك قول القائل: هذا نفس كلام الله، وعين كلام الله، وهذا الذي في المصحف هو عين كلام الله، ونفس كلام الله، وأمثال هذه العبارات، هذه مفهومها عند الإطلاق في فطر المسلمين أنه كلامه لا كلام غيره، وأنه لا زيادة فيه ولا نقصان، فإن من ينقل كلام غيره، ويكتبه في كتاب قد يزيد فيه وينقص، كما جرت عادة الناس... وذلك معنى قولهم هذا كلامه بعينه، وهذا نفس كلامه، لا يريدون أن هذا هو صوته، وحركاته، وهذا لا يقوله عاقل، ولا يخطر ببال عاقل ابتداء، ولكن اتباع الظن، وما تهوى الأنفس يلجئ أصحابه إلى القرمطة في السمعيات، والسفسطة في العقليات، ولو ترك الناس على فطرتهم لكانت صحيحة سليمة »[5].

---

(١) خلق أفعال العباد ص ٤٢.

(٢) خلق أفعال العباد ص ٤٤، وانظر: الفتح ١٣/ ٥٣٢.

(٣) المجموع ١٢/ ٢٨٤.

(٤) المسائل والرسائل للإمام أحمد في العقيدة ١/ ٢٤٤، وانظر: معارج القبول ١/ ٣٧٣.

(٥) المجموع ١٢/ ٢٨٦ ـ ٢٨٧، وانظر ١٢/ ٢٠١، ودقائق التفسير ٢/ ٩٣ ـ ٩٤.

خامسا: عبارة **"هذا يحكي القرآن"**: فهذا اللفظ مجمل من حيث كونه يحتمل أنه يريد بهذه العبارة أنه يأتي بكلام يحاكي به القرآن، وهذا كفر، ويحتمل أنه أراد أنه يتلوه وهذا حق، « **فالقائل إذا قال للقارئ**: هذا يحكي كلام الله، أو يحكي القرآن، فقد يفهم منه أنه يأتي بكلام يحاكي به كلام الله، وهذا كفر، وإن أراد أنه بَلَّغَه وتلاه، فالمعنى صحيح، لكن ينبغي تعبيره بما لا يدل على معنى باطل، فيقول: قرأه، وتلاه، وبلغه وأداه، ولهذا إذا قيل: يحكي القراءات السبع، ويرويها، وينقلها لم ينكر ذلك، لأنه لا يفهم منه إلا تبليغها، لا أنه بمثلها »[1].

ومن هذا قول الفقهاء: فلان حكى الإجماع، أي نقله، ورواه.

وبعد ذكر بعض الألفاظ المجملة في هذا الباب، وبيان الصواب فيها من الباطل، لا بد من بيان سبب وقوع الاضطراب في مسألة اللفظ، وذكر بعض الفروق.

المسألة الثالثة: سبب النزاع في مسألة اللفظ، وذكر بعض الفروق فيها:

من أهم الأسباب التي كانت سببا إلى التنازع في هذا الباب، أمور منها:

١ ـ عدم التفريق بين فعل الرب وتكلمه بالقرآن وسائر كلامه، وبين فعل العبد وتكلمه بكلام الرب، قال شيخ الإسلام رحمه الله: « ومنشأ النـزاع بين أهل الأرض، والاضطراب العظيم الذي لا يكاد ينضبط في هذا الباب **يعود إلى أصلين: مسألة**: تكلم الله بالقرآن وسائر كلامه، ومسألة: تكلم العبد بكلام الله »[2].

والفرق بين فعل الرب وكلامه وصوته، وبين **فعل** العبد وتكلمه بكلام الرب وصوت العبد، معلوم إلا عند من ضعفت بصيرته، وانطمست فطرته.

وإن من عقائد أهل السنة: أن الرب بصفاته هو الخالق، وأنه تعالى يتكلم بصوت لا يشبه أصوات المخلوقين، وأن العبد بصفاته مخلوق، حركاته، وأفعاله، وأصواته، فجميع صفات العبد مخلوقة، ومن قال عن شيء من صفات العبد: أنّها غير مخلوقة أو

---

(١) المجموع ١٢/ ٥٤٣، وانظر: ١٢/ ٢٨٣ ـ ٢٨٤.

(٢) المجموع ١٢/ ٣٩٥، وانظر: ١٢/ ٥٨٢.

أنها أزلية فهو مخطئ ضال[١].

فالفرق بين الخالق والمخلوق، وبين صفات الخالق وصفات المخلوق واضح لكل ذي عقل سليم، فالله ﷻ «تكلم بالقرآن بحروفه ومعانيه بصوت نفسه، ونادى موسى بصوت نفسه، كما ثبت بالكتاب والسنة وإجماع السلف، وصوت العبد ليس هو صوت الرب، ولا مثل صوته، فإن الله ليس كمثله شيء، لا في ذاته، ولا في صفاته، ولا في أفعاله.

وقد نص أئمة الإسلام أحمد بن حنبل ومن قبله من الأئمة على ما نطق به الكتاب والسنة من أن الله ينادي بصوت، وأن القرآن كلامه تكلم به بحرف وصوت، ليس شيء منه كلاما لغيره... وأن العباد يقرؤونه بأصوات أنفسهم، وأفعالهم، فالصوت المسموع من العبد صوت القاري، والكلام كلام الباري.

وكثير من الخائضين في هذه المسألة لا يميز بين صوت العبد، وصوت الرب، بل يجعل هذا هو هذا، فينفيهما جميعا، أو يثبتهما جميعا»[٢].

وبهذا يتبين أن ما اقترن مع القرآن من أفعال العباد، سواء في التبليغ والأداء، أو القراءة والكتابة أنه مخلوق، وكلام الله حيث تصرف غير مخلوق[٣] «ومن قال بأن المداد الذي في المصاحف قديم أزلي، أخطأ وابتدع، وقال ما يخالف العقل والشرع»[٤].

قال الإمام أحمد ؒ: «نقول: القرآن كلام الله غير مخلوق حيث تصرف»[٥]، أي إن تلي وكتب وقرئ فهو كلامه، وكلامه غير مخلوق، وأما صفات العباد وأفعالهم التي بها يقرؤون ويكتبون فهو مخلوق، ومن لم يهتد إلى هذا الفرق وقع في الحيرة[٦].

٢ ـ عدم التفريق بين سماع الكلام من المتكلم بلا واسطة، وبين سماع الكلام من

(١) انظر: المجموع ١٢/ ٥٦٨، ١٢/ ٢٠١.

(٢) المجموع ١٢/ ٥٨٤-٥٨٥، وانظر: خلق أفعال العباد ص٥٤، و المجموع ١٢/ ٢٨٧، ٥٤٨.

(٣) انظر: خلق أفعال العباد ص ٦٦-٦٧، المجموع ١٢/ ٤١٦.

(٤) المجموع ١٢/ ٥٨٣.

(٥) المجموع ١٢/ ٧٥.

(٦) انظر: المجموع ١٢/ ٧٥.

المبلغين: فمن العقائد السلفية أن كلام رب البرية، بحرف وصوت، يُسمِعه الله من شاء من الملائكة، والنبيين، وأن القرآن سمعه جبريل ﷺ من الله، وأن محمدا ﷺ سمعه من جبريل، بصوت جبريل، والصحابة سمعوا القرآن من محمد ﷺ بصوته ﷺ، وهكذا نحن نسمع القرآن من القراء، بأصواتهم وأفعالهم، وفي كل ذلك: الصوت صوت القاري، والكلام كلام الباري.

وظن أناس أنه إما أن يكون «كلام الله مسموعا منه، أو أنه ليس كلام الله، بل كلام المبلِّغ عنه، وكلا القولين خطأ وقع في كلام طائفة من الناس»(١).

قال شيخ الإسلام رحمه الله: «والخطأ في هذا الأصل في طرفين: ...من قال: كلامه لا يقوله غيره، أو لا يُسمع من غيره، ومن قال: كلامه إذا أبلغه غيره وأداه فحاله كحاله إذا سمعه منه وتلاه، بل كلامه يقوله: رسله وعباده، ويتكلمون به، ويتلونه، ويقرؤونه، فهو كلامه حيث تصرف، وحيث تلي، وحيث كتب، وكلامه ليس بمخلوق حيث تصرف، وهو مع هذا فليس حاله إذا قرأه العباد، وكتبوه كحاله إذا قرأه الله وسمعوه منه، ولا من يسمع القاري كمنـزلة موسى بن عمران الذي سمع كلام رب العالمين منه»(٢).

والفرق: أن أصل هذا هو العلم بالجامع، والفارق، بين سماع الكلام من المتكلم به، ومن المبلِّغ له، فهو **في الأول**: مسموع منه مطلقا، صوتا وحرفا، من غير واسطة، **وفي الثاني**: مسموع مقيدا، الحرف والمعنى من المتكلم، والصوت من المبلِّغ، وفي الموضعين هو كلام المتكلم به، ومثال هذا كما قال شيخ الإسلام رحمه الله: «إنك ترى الشمس، والقمر، والكواكب بطريق المباشرة، فلا تحتاج في ذلك إلى واسطة، وتارة تراها في ماء، أو مِرآة، ونحو ذلك تراها بواسطة ذلك الجسم الشفاف، فهي ـ أي المشاهد من هذه الكواكب ـ المقصودة بالرؤية في الموضعين، لكن في إحدى الحالتين: رأيتها نفسها بالمباشرة رؤية مطلقة، وفي الأخرى رأيتها رؤية مقيدة بواسطة...، **فإن قلت** فهذا المسموع مثل كلام

---

(١) المجموع ١٢/ ٥٤٩، وانظر: ٤٠٨.

(٢) المجموع ١٢/ ٤١١، وانظر منه: ١٢/ ١٣٧.

المروي عنه... كان إطلاق هذا خطأ، كما أنك إذا قلت لِما تراه في المرآة هذا مثل الشمس، أو هذا يحكي الشمس، كان إطلاق ذلك خطأ، قال تعالى: ﴿قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا﴾ [الإسراء:٨٨]، فقد بين عجز الخلائق عن الإتيان بمثله، مع أنهم قادرون على تبليغه وتلاوته، فعلم أن المسموع... كلامه بواسطة المبلِّغ، لا بطريق المباشرة»[١].

ويوضح هذا الفرق أكثر قوله ﷺ: « فإذا قيل "لفظي" جعل نفس الوسائط غير مخلوقة، وهذا باطل، كما أن من رأى وجها في مرآة فقال: أكرم الله هذا الوجه، وحياه، أو قبحه، كان دعاؤه على الوجه الموجود في الحقيقة الذي رأى بواسطة المِرآة لا على الشعاع المنعكس فيها، وكذلك إذا رأى القمر في الماء فقال: قد أبدر، أو لم يبدر، فإنما مقصوده القمر الذي في السماء...، وكان بعضهم يقول: لفظي بالقرآن مخلوق، فرأى في منامه وضارب يضربه، وعليه فروة، فأوجعه بالضرب، فقال له: لا تضربني، فقال: أنا ما أضربك؟ وإنما أضرب الفروة! فقال: إنما يقع الضرب علي، فقال: هكذا إذا قلت: لفظي بالقرآن مخلوق، فالخلق إنما يقع على القرآن. يقول: كما أن المقصود بالضرب بدنك، واللباس واسطة، فهكذا المقصود بالتلاوة كلام الله، وصوتك واسطة...، **ولهذا قال الأئمة**: القرآن كلام الله غير مخلوق كيفما تصرف، بخلاف أفعال العباد وأصواتهم، فإنه من نفى عنها الخلق كان مبتدعا ضالا»[٢].

فمنشأ الضلال في مسألة اللفظ كان بسبب عدم التفريق بين المسموع بلا واسطة، والمسموع بواسطة « وإذا رجع أحدهم إلى فطرته وجد الفرق بين أن يشير إلى الكلام المسموع ـ فيما لو سمعه من غيره ـ فيقال: هذا كلام زيد، وبين أن يقول: هذا صوت زيد، ويجد فطرته تصدق بالأول، وتكذب بالثاني، قال الله تعالى: ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ٱسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ﴾[التوبة:٦]، وقال النبي ﷺ: **[زينوا**

---

(١) المجموع ١٢/ ٥٤٣-٥٤٤، وانظر: ١٢/ ١٧٢، الدرء ١/ ٢٥٨، العين والأثر ص ٩٨.

(٢) المجموع ١٢/ ٢٨٢-٢٨٣، وانظر: ١٢/ ٢٨٤، ٣٦٩، دقائق التفسير ٢/ ١٩١.

القرآن بأصواتكم]، وكل أحد يعلم بفطرته ما دل عليه الكتاب والسنة من أن الكلام كلام الباري، والصوت صوت القاري »[(١)].

والتفريق بين السماعين جلي، كما لو أن أحدا سمع من محدِّث قول النبي ﷺ: **[إنما الأعمال بالنيات]**؛ فهذا الكلام لفظه ومعناه إنما هو كلام الرسول ﷺ، والمحدث قد بلَّغه بصوت نفسه، وفعل نفسه، كذلك القرآن: لفظه ومعناه كلام الله تعالى ليس للمخلوق فيه إلا التبليغ والأداء والتلاوة، والغلط يكمن من جعل البابين واحدا[(٢)].

٣ ـ الغلو في إثبات أن القرآن كلام الله، في مقابلة الزيادة، والغلو في النفي: قال شيخ الإسلام رحمه الله: « هذا الغلو من جانب الإثبات ـ أي في الإثبات العام، وهو: أن اللفظ كلام الله غير مخلوق، أو التلاوة، أو... ـ يقابل التكذيب من جانب النفي، وكلاهما خارج عن السنة والجماعة »[(٣)]، وقال أيضا: « فلعسر الفرق والتمييز، يميل قوم إلى زيادة في الإثبات، وآخرون إلى زيادة في النفي، ولهذا كان مذهب الإمام أحمد والأئمة الكبار: النهي عن الإثبات العام، والنفي العام، بل الإمساك عنهما، وهو الأصلح للعموم، وهو جُمَلُ الاعتقاد، وأما التفصيل المحقق فهو لذي العلم من أهل الإيمان، كما أن الأول لعموم أهل الإيمان »[(٤)].

والفرق: يتضح عند التفصيل في العبارات العامة، نفيا وإثباتا كما سبق، وأما من حيث الإجمال فيجب اعتقاد: أن القرآن من جميع الجهات مقروءا ومتلوا ومحفوظا ومسموعا ومكتوبا وملفوظا كلام الله حقيقة، وإن سمع بواسطة المبلغين، وكتب بمداد المخلوقين[(٥)].

---

(١) المجموع ١٢/ ٤٠٨-٤٠٩، وانظر: ١٢/ ٢٦٤-٢٦٥.

(٢) انظر: المجموع ١٢/ ٥٧٤، ٥٦٦، ٥٨٤، دقائق التفسير ٢/ ١٩١، الدرء ١/ ١٥٧، ٢٥٩، العين والأثر ص٩٨.

(٣) المجموع ٣/ ٤٠٤.

(٤) المجموع ١٢/ ٤٣١.

(٥) انظر: المجموع ٥/ ١٩٠، وقد نقل نحو هذه العبارات عن أبي نعيم صاحب الحلية.

٤ ـ **التنازع في مسمى الكلام في الأصل**: والمقرر عند أهل السنة: أن الكلام اسم للفظ الدال على المعنى، والمعنى مدلول عليه باللفظ، فهو اسم عام للفظ والمعنى جميعا، يتناولهما عند الإطلاق[١].

والتفريق: بين اللفظ والمعنى كان سببا في الاختلاف في مسألة اللفظ، والقرآن كلام الله، وهو حرف وله معنى، وقد سبق تقرير هذا[٢].

وبعد بيان اللفظ والملفوظ بهذا القدر، الذي ـ أظن ـ أن فيه الكفاية لمن تدبر، أبين موقف السلف من مسألة اللفظ إنكارا وموافقة ومخالفة في المطلب الثاني.

---

(١) انظر: المجموع ١٢/ ٦٧.

(٢) كما في المطلب الأول، المسألة الأولى.

المطلب الثاني: موقف السلف من مسألة اللفظ.

تذرعت الجهمية وأذنابهم[(١)] بمسألة اللفظ ليتوصلوا إلى قولهم الباطل، وهو: أن القرآن مخلوق؟، ولما كانت هذه المسألة مجملة من حيث النفي المطلق أو الإثبات المطلق، أوقعت بعض المتسببين إلى السنة والحديث إلى الخوض فيها نفيا أو إثباتا[(٢)].

ولأبين موقف السلف جليا، وأوضح الأمر كليا، أبين ما أجمعوا عليه؛ ليظهر أن ما عدا ذلك فهو إما خلاف لفظي، أو إنكار لسبب شرعي، فمن متعلقات مسألة اللفظ ما يأتي:

١ ـ **القرآن الكريم**: وقد أجمع السلف على أنه كلام الله تعالى غير مخلوق، وأن جبريل عليه السلام سمعه من الله بصوت الرب تعالى، وبلغه إلى النبي ﷺ بصوت نفسه، وأن محمدا ﷺ بلغه أمتَه بصوت نفسه، وأن القرآن الكريم كلام الله تعالى حيثما تصرف، سواء قرئ، أو حفظ، أو كتب، أو سمع[(٣)].

٢ ـ **أفعال العباد**: وقد أجمع السلف على أن أفعال العباد مخلوقة لله ﷻ، وأنها من مفعولاته تعالى، ويدخل ضمن ذلك أصوات العباد، وحركات ألسنتهم، وعموم أفعالهم، ومنه خطهم، وكتابتهم، ولا يقول أحد منهم أن أفعال العباد أزلية، كما لا يقول ذلك أحد من المسلمين ذلك في المخلوقات[(٤)]، **ولهذا قال السلف في القرآن المسموع**: الكلام كلام الباري، والصوت صوت القاري[(٥)].

قال شيخ الإسلام رحمه الله: «ولم يقل أحد من السلف: إن هذا القرآن عبارة عن كلام الله...، ولا قال أحد منهم: إن لفظي بالقرآن قديم أو مخلوق، فضلا عن أن

---

(١) من المعتزلة والكلابية والأشعرية والماتريدية.

(٢) انظر: المجموع ١٢/ ٣٠٦.

(٣) انظر المسألة الثانية من المبحث الأول، وانظر: المحنة لعبد الغني المقدسي ص١١٣.

(٤) انظر: صريح السنة ص ٢١، المجموع ١٢/ ٢١١، ٢٣٨، ٤٣٢، ٥٧٢، ١٧/ ٣٦، الفتح ١٣/ ٥٠٠.

(٥) انظر: المجموع ٢٣/ ٣٦١.

يقول: إن صوتي به قديم أو غير مخلوق، بل كانوا يقولون بما دل عليه الكتاب والسنة من أن هذا القرآن كلام الله، والناس يقرؤونه بأصواتهم، ويكتبونه بمدادهم، وما بين اللوحين كلام الله، وكلام الله غير مخلوق»(١).

فإذا تبين إجماع السلف في المسألتين اللتين بُني عليهما مسألة اللفظ، تأكد للناظر أن الخلاف بين السلف إما أن يكون لفظيا، أو لسبب شرعي وهو: سد الباب على الجهمية(٢).

ويتبين موقف السلف في هذا الموضوع من خلال مسألتين:

المسألة الأولى: الإنكار على من أطلق مسألة اللفظ.

إن كثيرا من السلف أنكروا مسألة اللفظ بالقرآن لكونها محدثة، لم تُعرف من قبل، فلم يقل بها صحابي يقتدى به، ولا إمام يتبع، سواء نفيا أو إثباتا، وأيضا لكونها من الألفاظ المجملة المحتملة للحق والباطل، ولكونها ذريعة إلى القول بخلق القرآن، وستار احتمى به أهل الزيغ والطغيان، كل هذا كان سببا في شدة إنكار السلف على اللفظية.

وما ورد عن السلف من الشدة على اللفظية، يمكن أن يرتب بحسب سبب وقوع الإنكار على ثلاثة أوجه:

الوجه الأول: الإنكار لكون هذه المسألة محدثة:

١ ـ قال الإمام أحمد رحمه الله: «القرآن حيث تصرف غير مخلوق، وقال: ما سمعت أحدا تكلم في هذا بشيء، وأنكر على من قال: لفظي بالقرآن غير مخلوق»(٣).

٢ ـ قال أبو ثور رحمه الله(٤) ـ لما سُئل عن ألفاظ القرآن ـ: «هذا مما يسعك جهله، والله لا يسألك جل جلاله عن هذا، فلا تتكلموا فيه فإن من زعم أن كلامه بالقرآن مخلوق

---

(١) المجموع ١٢/ ٣٠٢، وانظر: ٣٣/ ١٧٠.

(٢) انظر: الاختلاف في اللفظ لابن قتيبة ص ٥٧.

(٣) شرح السنة للخلال٧/ ٩٩-١٠٠ (٢١٦٠)، وانظر: المجموع ١٢/ ٤٢٤-٤٢٥.

(٤) هو الإمام الحافظ: أبو ثور إبراهيم بن خالد الكلبي البغدادي، سمع من ابن عيينة ووكيع، وصاحب الشافعي، واشتهر بالفقه والإفتاء، والسنة والذب عنها، توفي سنة ٢٤٠هـ. انظر: الجرح والتعديل ٢/ ٩٧-٩٨، السير ١٢/ ٧٢-٧٦، تقريب التهذيب ص ٢٩.

فقد وافق اللفظين»[١].

٣ ـ قال الإمام أبو عثمان الصابوني رحمه الله: «إن السلف الصالحين من أهل السنة لم يتكلموا في باب اللفظ، ولم يُحوجهم الحال إليه، وإنما حدث الكلام في اللفظ من أهل التعمق، وذوي الحمق الذين أتوا بالمحدثات، وبحثوا عما نهوا عنه من الضلالات، وذميم المقالات، وخاضوا فيما لم يَخُض فيه السلف من علماء الإسلام، فقال الإمام أحمد: هذا القول في نفسه بدعة، ومن حق المتدين أن يدعه، وكل بدعة مبتدعة، ولا يتفوه به، ولا بمثله من البدع المبتدعة، ويقتصر على ما قاله السلف من الأئمة المتبعة: إن القرآن كلام الله غير مخلوق، ولا يزيد عليه إلا تكفير من يقول بخلقه»[٢].

٤ ـ قال أبو الحسن الأشعري رحمه الله في المقالات: «ويقولون: إن القرآن كلام الله غير مخلوق، والكلام... في اللفظ من قال باللفظ... فهو مبتدع عندهم، ولا يقال: اللفظ بالقرآن مخلوق، ولا يقال غير مخلوق»[٣]؛ فبين رحمه الله أن القول باللفظ مبتدع، ولا يثبت ولا ينفى لما فيه من الإجمال[٤].

٥ ـ قال أبو الحسن الكرجي رحمه الله[٥]: «ولما حدث الكلام في ذلك ـ أي اللفظ ـ أنكر أئمة السنة كأحمد بن حنبل وغيره أن يقال: لفظي بالقرآن مخلوق أو غير مخلوق»[٦].

---

(١) شرح أصول اعتقاد أهل السنة للالكائي ٢/ ٣٩٣ (٦٠٣).

(٢) عقيدة السلف أصحاب الحديث ص٣٤ ـ ٣٥ (١٧).

(٣) مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين ص٢٩٢، وانظر: الرسالة الوافية لأبي عمرو الداني ص٧٣، الدرء ١/ ٢٦١.

(٤) انظر: الدرء ١/ ٢٦٥.

(٥) هو الإمام المتقن: أبو الحسن محمد بن عبد الملك بن محمد الكرجي (بالجيم)، ولد سنة ٤٥٨هـ، أفنى عمره في جمع العلم ونشره، وانتسب للشافعي ولم يقلده، وكان على السنة والأثر، متبعا لمن غبر، زاجرا لأهل البدع والشر، وله مصنفات كثيرة منها: الفصول في اعتقاد الأئمة الفحول، وله قصيدة بائية في السنة، على طريقة أهل السنة، توفي سنة ٥٣٢هـ. انظر: الأنساب للسمعاني ٥/ ٤٧، طبقات الشافعية للسبكي ٦/ ١٣٧-١٤٧ وقد نسبه إلى التجسيم وما أنصف، وما ذاك من السبكي إلا تعصبا للأشعري، وردا للحق الجلي، وانظر: معجم المؤلفين ١٠/ ٢٥٨ ـ ٢٥٩، وقد وقع تصحيف في المجموع ٣/ ٢٦٥، ١٢/ ٣٠٦ حيث كتب (الكرخي) بالخاء، والصواب (الكرجي) بالجيم كما في الدرء ٢/ ٩٥، ٩٧، والمجموع ٤/ ١٧٥، ١٨٦، والمصادر السابقة.

(٦) المجموع ١٢/ ٣٠٦.

٦ ـ قال أبو عبد الله محمد بن خفيف رحمه الله: «والقول في اللفظ والملفوظ... بدعة»[١].

٧ ـ قال قوام السنة الأصبهاني رحمه الله: «وأول من قال باللفظ، وقال: ألفاظنا بالقرآن مخلوقة، حسين الكرابيسي فبدَّعه أحمد بن حنبل، ووافقه على تبديعه علماء الأمصار»[٢].

فالإنكار عليه ـ مع شهرة الكرابيسي بالحديث ـ لكونه أحدث شيئا لم يُعرف الخوض فيه عن السلف؛ فردًا للبدعة، وطلبا للاستفصال، وسدا لباب الذرائع، كان من الأئمة هذا الإنكار.

الوجه الثاني: الإنكار لكون مسألة اللفظ فيها إجمال:

وقد سبق بيان وجه الإجمال، وأن التباسه شديد، فكره السلف الإطلاق فيها نفيا أو إجمالا فـ «أهل العلم كرهوا التنقيب عن الأشياء الغامضة، وتجنبوا الخوض فيها والتنازع، إلا بما بينه الرسول ﷺ، ومن شدة اللبس في هذه المسألة، كثر نهي السلف عن الخوض فيها، واستغنوا باعتقاد: أن القرآن كلام الله غير مخلوق، ولم يزيدوا على ذلك، وهو أسلم الأقوال، والله المستعان»[٣].

ومن نهي السلف عن الخوض فيها:

١ ـ قال الإمام أحمد رحمه الله: «من قال: لفظي بالقرآن مخلوق فهو جهمي، ومن قال: غير مخلوق فهو مبتدع»[٤]، وهذا النهي عن النفي والإثبات، يؤكد أن النهي كان للإجمال، فالأول أطلق القول ودخل في هذا الإطلاق المقروء الذي هو كلام الله تعالى وهو غير مخلوق، لذا عُدَّ قائله من الجهمية، والثاني: مبتدع، لكونه أطلق القول فدخل

---

(١) المجموع ٥/ ٧٨.

(٢) الحجة في بيان المحجة ١/ ٣٧٠.

(٣) العين والأثر ص ٩٨ ـ ٩٩.

(٤) صريح السنة ص ٢٦، شرح أصول اعتقاد أهل السنة للالكائي ٢/ ٣٩٢، المجموع ١٢/ ٧٤، ٦/ ٥٢٧، الدرء ١/ ٢٦١، الجواب الصحيح ٤/ ٣٤٨.

فيه فعله وحركاته، وصوته وهو مخلوق.

قال شيخ الإسلام رحمه الله: «من قال: إن ألفاظنا، وتلاوتنا، وقراءتنا للقرآن مخلوقة، كان مقتضى كلامه أن الله لم يتكلم بالقرآن الذي أنزله، وأن القرآن المنزل ليس هو كلام الله... وقد علم بالاضطرار من دين الإسلام أن القرآن الذي يقرؤه المسلمون كلام الله تعالى، وإن كان مسموعا من المبلِّغ عنه، فإن الكلام قد سمع من المتكلم به كما سمع موسى بلا واسطة، وهذا سماع مطلق...، وقد يسمعه من المبلِّغ عنه فيكون مقيدا... كما قال تعالى: ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ٱسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَـٰمَ ٱللَّهِ﴾[التوبة:٦] كان معلوما عند جميع من خوطب بالقرآن أنه يسمع سماعا مقيدا من المبلِّغ ليس المراد به أنه يسمع من الله»(١).

وقال أيضا في شرح عبارة الإمام أحمد رحمه الله: «اللفظ والتلاوة يراد به الملفوظ المتلو، وذلك هو كلام الله، فمن جعل أفعال العباد وأصواتهم غير مخلوقة، فهو مبتدع ضال»(٢).

٢ـ قال عبد الرحمن بن أبي حاتم سُئل أبو زرعة(٣) عن أفعال العباد؟ فقال: «مخلوقة، فقيل له: لفظنا بالقرآن من أفعالنا؟ قال: لا يقال هذا»(٤)؛ فهو رحمه الله منع ذلك لكون اللفظ يشمل فعل العبد الذي هو حركته وصوته، ويشمل المقروء الذي هو كلام الله تعالى، مع اتفاقه على أن أفعال العباد مخلوقة، وأن القرآن غير مخلوق.

---

(١) المجموع ٧/ ٦٥٦، وانظر: الجواب الصحيح ٤/ ٣٤٢.

(٢) المجموع ٦/ ٥٢٧، وانظر: المجموع ١٢/ ١٧٠.

(٣) هو الإمام الحافظ المحدث: أبو زرعة عبيد الله بن عبد الكريم بن يزيد بن فروخ، طلب الحديث وهو حدَث، وجمع الشيء العظيم منه وحدَّث، وأصبح من كبار علماء الجرح والتعديل، وعلى أقواله في هذا الفن التعويل، قال الذهلي: «لا يزال المسلمون بخير ما أبقى الله لهم مثل أبي زرعة، يُعلِّم الناس، وما كان الله ليترك الأرض إلا وفيها مثل أبي زرعة، يعلم الناس ما جهلوه»، وهو صاحب أبي حاتم وزميله، وله كلمات سديدة في السنة، شديدة على أهل البدعة، توفي رحمه الله سنة ٢٦٤هـ. انظر: الجرح والتعديل ١/ ٣٢٨-٣٤٩، السير ١٣/ ٦٥-٨٥، تقريب التهذيب ص ٣١٣.

(٤) شرح أصول اعتقاد أهل السنة للالكائي ٢/ ٣٩٠.

٣ ـ سبق قول أبي ثور رحمه الله حيث قال: « هذا مما يسعك جهله، والله لا يسألك جل جلاله عن هذا، فلا تتكلموا فيه فإن من زعم أن كلامه بالقرآن مخلوق فقد وافق اللفظيين، لأنه إذا سمع منك القرآن فزعمت أنه لفظك، فقد زعمت أن القرآن مخلوق »[(١)].

الوجه الثالث: الإنكار لكون مسألة اللفظ ذريعة إلى القول بخلق القرآن:

يكره تجريد الكلام عن واسطته التي بها يرى أو يقرأ أو يسمع لئلا يتذرع بذلك إلى القول بخلق القرآن، ومن الناس من تكلم بإثبات أو نفي، والذين في قلوبهم زيغ من أهل الأهواء لا يفهمون من كلام الله، وكلام رسوله، وكلام السابقين الأولين، والتابعين لهم بإحسان في باب صفات الله إلا ما في أذهانهم، ثم يريدون تحريف الكلم عن مواضعه، أو زادوا في الألفاظ وغيروها، بل يبتدعون ألفاظا حتى توافق مذهبهم، ومن ذلك مسألة اللفظ الذي تذرعوا به إلى القول بخلق القرآن، ولذا منع الأئمة الأثبات هذا اللفظ المبتدع الذي لم يرد في السمعيات[(٢)].

١ ـ قال الإمام أحمد رحمه الله ـ وقد سُئل عن اللفظية، ومن قال باللفظ ـ: « هذا يجانَب، وهو قول مبتدع، وهذا كلام الجهمية، ليس القرآن بمخلوق »[(٣)]، وقال: « هم جهمية، وهم أشد ممن يقف، هذا قول جهم »[(٤)]، وقال: « كل من يقصد إلى القرآن بلفظ، أو غير ذلك، يريد به مخلوق، فهو جهمي »[(٥)].

وقوله: (يريد به مخلوق) احتراز منه رحمه الله عمن قال: لفظي بالقرآن مخلوق، وهو يريد فعل العبد القائم به الذي هو الحركة والصوت، لا كلام الله تعالى الملفوظ المكتوب، فمن قال هذا على هذا التفصيل فقوله حق، لكن إطلاقه غير جائز[(٦)].

---

(١) شرح أصول اعتقاد أهل السنة للالكائي ٢/ ٣٩٣.

(٢) انظر: المجموع ٣٣/ ١٧٠.

(٣) رواه عبد الله ابن الإمام أحمد في السنة ص ٣٥(١٦٩)، وانظر: السنة للخلال ٧/ ٧٣.

(٤) رواه عبد الله ابن الإمام أحمد في السنة ص ٣٥(١٧٠)، وانظر: السنة للخلال ٧/ ٧٣.

(٥) رواه عبد الله ابن الإمام أحمد في السنة ص ٣٦(١٧٣)، وانظر: السنة للخلال ٧/ ٧٤، ٨٢.

(٦) انظر: المجموع ١٢/ ٥٦٧-٥٦٨.

٢ ـ قال إسحاق بن إبراهيم بن هانئ النيسابوري رحمه الله[(١)]، وقد سئل عمن يقول: لفظي بالقرآن مخلوق؟ «قال: هذا كلام جهم، من كان يخاصم منهم فلا يجالس، ولا يكلم، والجهمي كافر»[(٢)]؛ **فالجهمية تذرعوا باللفظ** ليصلوا إلى مقصودهم الخبيث، وهو القول بخلق القرآن، لذا اشتد نكير العلماء على اللفظية، وسأستوفي ذكر مذهب اللفظية المبتدعة في الباب الثاني، وأما هنا فأكتفي بما ذكرت، وفي الإشارة عبارة، وفي ذكر ما مضى كفاية، والله المستعان.

والخائضون في هذه المسألة حصل منهم خلط، حتى نسب كل منهم مذهبه إلى إمام من أئمة السلف، خصوصا الإمام أحمد، والإمام البخاري، وإيضاحا لبراءتهم أرى لزاما علي بيان منهجهم في هذه المسألة، وهذا ما سأبينه في المسألة الثانية، ومن الله التوفيق.

المسألة الثانية: الجمع بين أقوال الأئمة، وتوضيح مقاصدهم:

كل من أنكر الخوض في مسألة اللفظ من السلف الذين ظهر في عهدهم هذه المقالة إنما كان ذلك باعتبار، ولذلك اختلفت ألفاظهم قوة وشدة، مع اتفاق الجميع أنها بدعة محدثة، وأنها مطية للجهمية كما سبق أن أشرت إليها[(٣)].

والبدع المحدثات ترد مطلقا، وهكذا كان شأن السلف في هذه المسألة رحمهم الله، فكل من بالغ في الإنكار وشدد، فلأجل كونها ذريعة إلى قول جهم والجعد، وكل من فرق وفصل فلأجل كونها من المجملات، ولابد فيها من التفصيل وذكر البينات، وكل من بيَّن موقفه فلأجل كون البدعة إذا ظهرت، فلا بد فيها من قول جلي، وطريق سوي، ولا يسعهم السكوت ـ خصوصا ـ بعد ظهور القول وفشوه بين الناس.

---

(١) هو الفقيه: أبو يعقوب إسحاق بن إبراهيم بن هانئ النيسابوري، ولد سنة ٢١٨هـ، ولزم الإمام أحمد وخدمه وتفقه به، وكان من العلماء العاملين، له عن الإمام أحمد سؤالات، ومنها قال: «سمعت أبا عبد الله يُسأل عن الذي يشتم معاوية نصلي خلفه ؟ قال: لا، ولا كرامة»، مات ببغداد سنة ٢٧٥هـ. انظر: طبقات الحنابلة لابن أبي يعلى ١/ ١٠٢، السير ١٣/ ١٩-٢٠، رفع النقاب عن تراجم الأصحاب لإبراهيم ابن ضويان ص ٧٦.

(٢) مسائل ابن هانئ ٢/ ١٥٤.

(٣) انظر: المجموع ١٢/ ٢٥٧.

ويتضح هذا من وجهين:

الأول: أقوال الإمام أحمد في مسألة اللفظ، وأنه لا تضارب بينها:

ورد عن الإمام رحمه الله أقوال في رد مقالة اللفظ، لكونها محدثة، ولكونها مجملة، ولكونها ذريعة للجهمية، ومطية لهم، وعلى هذا يحمل كلام الإمام أحمد رحمه الله، قال الإمام أبو عثمان الصابوني رحمه الله: «وأما ما حكاه محمد ابن جرير عن أحمد رحمه الله أن من قال: لفظي بالقرآن غير مخلوق فهو مبتدع، فإنما أراد به أن السلف الصالحين من أهل السنة لم يتكلموا في باب اللفظ، ولم يُحوجهم الحال إليه، وإنما حدث الكلام في اللفظ من أهل التعمق... فقال الإمام أحمد: هذا القولُ في نفسه بدعةٌ، ومن حق المتدين أن يدعه، وكل بدعة مبتدعة، ولا يتفوه به، ولا بمثله من البدع المبتدعة، ويقتصر على ما قاله السلف من الأئمة المتبعة: إن القرآن كلام الله غير مخلوق، ولا يزيد عليه إلا تكفير من يقول بخلقه»(١).

وأنكر الإمام رحمه الله الإطلاق في هذه المسألة نفيا وإثباتا:

ومن ذلك ما قاله أبو بكر المروذي رحمه الله(٢) «قال لي أبو عبد الله: قد غيض قلبي على ابن شداد؟(٣)، قلت: أي شيء حكى عنك؟، قال: حكى عني في اللفظ، فبلغ ابن شداد أن أبا عبد الله قد أنكر عليه، فجاءنا حمدويه بن شداد بالرقعة فيها مسائل، فأدخلتها على أبي عبد الله، فنظر فرأى فيها: إن لفظي بالقرآن غير مخلوق - مع مسائل فيها - فقال أبو عبد الله: فيها كلام ما تكلمت به، فقام من الدهليز فدخل، فأخرج المحبرة والقلم، وضرب أبو عبد الله على موضع: لفظي بالقرآن غير مخلوق، وقال: ما سمعت أحدا تكلم في هذا بشيء، وأنكر على من قال: لفظي

---

(١) عقيدة السلف أصحاب الحديث ص٣٤-٣٥ (١٧).

(٢) هو الإمام الفقيه المحدث: أبو بكر أحمد بن محمد بن الحجاج المرُّوذِي، صاحب الإمام أحمد، وأجل أصحابه، وكان إماما في السنة، شديد الإتباع - قال أبو بكر بن صدقة: «ما علمت أحدا أذب عن دين الله من المروذي» - زاهدا نقيا ورعا، روى عن الإمام مسائل كثيرة، توفي سنة ٢٧٥هـ. انظر: طبقات الحنابلة لابن أبي يعلى ١/ ٥٧ - ٦٢، تاريخ بغداد ٤/ ٤٢٣ - ٤٢٥، السير ١٣/ ١٧٦.

(٣) هو: حمدويه بن شداد، نقل عن الإمام أحمد أشياء، وهو من أصحابه. انظر: طبقات الحنابلة لابن أبي يعلى١/ ١٤٢.

بالقرآن غير مخلوق»[(١)].

ومن ذلك إنكاره ﷺ على أبي طالب[(٢)] كما رواه صالح بن أحمد[(٣)]، قال صالح: «تناهى إليّ أن أبا طالب يحكي عن أبي أنه يقول: لفظي بالقرآن غير مخلوق، فأخبرت أبي بذلك، فقال: من أخبرك؟ قلت: فلان، قال: ابعث إليّ أبا طالب، فجئت إليه، فجاء وجاء فوران[(٤)]، فقال له أبي: أنا قلت لك لفظي بالقرآن غير مخلوق؟ وغضب، وجعل يرعد، فقال له: قرأت عليك: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾[(٥)]، فقلت لي: هذا ليس بمخلوق! قال له: لم حكيت عني أني قلت لك: لفظي بالقرآن غير مخلوق؟ وبلغني أنك وضعت ذلك في كتابك، وكتبت به إلى قوم؟ فإن كان في كتابك فامحه أشد المحو، واكتب إلى القوم الذين كتبت إليهم أني لم أقل لك هذا، وغضب، وأقبل عليه، فقال: تحكي عني ما لم أقل لك؟ فجعل فوران يعتذر إليه، وانصرف من عنده، وهو مرعوب، فعاد أبو طالب فذكر أنه قد محا ذلك من كتابه، وأنه كتب إلى القوم يخبرهم أنه وَهِم على أبي عبد الله في الحكاية»[(٦)].

---

(١) رواه الخلال في السنة ٧/ ٩٩-١٠٠، وانظر: المجموع ١٢/ ٤٢٤-٤٢٥.

(٢) هو: أبو طالب أحمد بن حميد المشكاني، مخصوص بصحبة أحمد، مكرما معظما عنده، وكان صالحا صابرا، وروى عنه مسائل، توفي سنة ٢٤٤هـ. انظر: طبقات الحنابلة ١/ ٤٠، تاريخ بغداد ٤/ ١٢٣، رفع النقاب ص٦٤.

(٣) هو الحافظ الفقيه: أبو الفضل صالح بن الإمام أحمد بن محمد بن حنبل الشيباني، ولد سنة ٢٠٣هـ، وهو أكبر إخوته، وتفقه على أبيه، وسمع الحديث منه، تولي القضاء بطرسوس ثم بأصبهان، وكان صالحا سخيا، مع كثرة عياله، روى عن أبيه الشيء الكثير، وتوفي بأصبهان سنة ٢٦٦هـ. انظر: الجرح والتعديل ٤/ ٣٩٤، طبقات الحنابلة ١/ ١٦٥-١٦٧، السير ١٢/ ٥٢٩-٥٣٠.

(٤) هو: أبو محمد عبد الله بن محمد بن المهاجر، الملقب بفوران (بالراء المهملة)، قال الدارقطني: «فوران نبيل جليل، كان أحمد يجله»، وكان يأنس به، ويقترض منه، له روايات قليلة عن الإمام أحمد، توفي سنة ٢٥٦هـ. انظر: طبقات الحنابلة ١/ ١٨٧-١٨٨ وقد وقع في اللقب تصحيف حيث كتب (بالراء المعجمة) والصواب ما أثبته كما في باقي المراجع، وهو كذلك في رواية الخلال في السنة، وانظر: تاريخ بغداد ١٠/ ٧٩، هداية الأريب الأمجد لمعرفة أصحاب الرواية عن أحمد للشيخ سليمان بن حمدان ص ١٥٨-١٥٩.

(٥) أي قرأ عليه سورة الإخلاص ١-٤.

(٦) رواه الخلال في السنة ٧/ ٩٥-٩٦، وانظر: المجموع ٧/ ٦٥٩، ٨/ ٤٠٧، ١٢/ ٤٢٣-٤٢٤، ١٦٨.

وفي رواية المروذي: «قال أبو عبد الله: القرآن كلام الله غير مخلوق كيف تصرف، فقيل لأبي طالب: اخرج وأخبر أن أبا عبد الله قد نهى أن يقال: لفظي بالقرآن غير مخلوق، فخرج أبو طالب فلقي جماعة من المحدِّثين، فأخبرهم أن أبا عبد الله نهاه أن يقول: لفظي بالقرآن غير مخلوق»(١).

وقد سبق إنكار الإمام رحمه الله على النافي والمثبت لهذه اللفظة، كما في قوله: «من قال: لفظي بالقرآن مخلوق فهو جهمي، ومن قال: غير مخلوق فهو مبتدع».

ولما كان الإمام رحمه الله قد ابتلي بالجهمية القائلين بخلق القرآن كان أكثر كلامه وإنكاره عليهم، لأنهم قالوا باللفظ لقصد باطل(٢) وإلا فإن النقول عنه جلية، في رد هذه المقولة البدعية، سواء كان نفيا أو إثباتا، كما قال الإمام البخاري رحمه الله: «فأما ما احتج به الفريقان ـ القائلون: بأن ألفاظنا بالقرآن مخلوقة، والقائلون: بأنها غير مخلوقة ـ من مذهب أحمد، ويدعيه كل لنفسه، فليس بثابت كثير من أخبارهم، وربما لم يفهموا دقة مذهبه، بل المعروف عن أحمد وأهل العلم: أن كلام الله غير مخلوق، وما سواه مخلوق، وأنهم كرهوا البحث والتنقيب عن الأشياء الغامضة، وتجنبوا أهل الكلام»(٣).

ودقة كلام الإمام أحمد يوضحه شيخ الإسلام رحمه الله بقوله: «ولم يقل أحمد قط، من قال: إن صوتي بالقرآن مخلوق فهو جهمي، وإنما قال: من قال: لفظي بالقرآن، والفرق بين لفظ الكلام، وصوت المبلِّغ له فرق واضح، فكل من بلَّغ كلام غيره بلفظ ذلك الرجل فإنما بلغ لفظ ذلك الغير، لا لفظ نفسه، وهو إنما بلغه بصوت نفسه لا بصوت ذلك الغير.

ونفس اللفظ والتلاوة، والقراءة والكتابة، ونحو ذلك، لما كان يُراد به المصدر الذي هو حركات العباد، وما يحدث عنها من أصواتهم، وشكل مدادهم، ويُراد به نفس الكلام الذي يقرؤه التالي، ويتلوه ويلفظ به، ويكتبه، منع أحمد وغيره من إطلاق

---

(١) رواه الخلال في السنة ٧/ ٩٤، وانظر: المجموع ١٢/ ٣٦١.

(٢) انظر: المجموع ١٢/ ٢٠٦.

(٣) خلق أفعال العباد ص ٧٠، وانظر: المجموع ٧/ ٦٥٨-٦٥٩، ١٢/ ٢٠٩.

النفي والإثبات، الذي يقتضي جعل صفات الله مخلوقة، أو جعل صفات العباد ومدادهم غير مخلوقة... ومن لم يهتد إلى هذا الفرق يحار»[(١)].

وقال أيضا: «وأما أصوات العباد، ومداد المصاحف، فلم يتوقف أحد من السلف في أن ذلك مخلوق، وقد نص أحمد وغيره على أن صوتَ القاري، صوتُ العبدِ...، وقال أحمد: من قال لفظي بالقرآن مخلوق ـ يريد به القرآن ـ فهو جهمي»[(٢)].

فتبين مما سبق أن إنكار الإمام أحمد رحمه الله موَجّه إلى اللفظية المثبتة والنافية، لما في ذلك من الإجمال.

وانتساب الطائفتين: المثبتة والنافية على اختلاف أقوالهم فيه نظر، بينه الإمام البخاري رحمه الله، بأن كلتا الطائفتين لم تفهم قول الإمام أحمد.

وانتساب اللفظية النافية إليه أبعد، وذلك لكونه كان سدا منيعا على الجهمية اللفظية القائلين بأن: لفظي بالقرآن مخلوق، والروايات في ذلك عنه أكثر وأشهر وأَسَدُّ.

وأما انتساب اللفظية المثبتة إليه فهو الذي كان بسببه بعض التنازع بين أصحابه، والحق الكف عن المسألة، أو القول بالتفصيل، قال شيخ الإسلام رحمه الله: «والقول بأن: اللفظ غير مخلوق، نسب إلى محمد بن يحيى الذهلي[(٣)] وأبي حاتم

---

(١) المجموع ١٢/ ٧٤-٧٥.

(٢) المجموع ١٢/ ٥٦٧-٥٦٨، وانظر: ١٢/ ٧٤، ١٧٩.

(٣) هو العلامة الحافظ الإمام: أبو عبد الله محمد بن يحيى بن عبد الله بن خالد بن فارس الذهلي مولاهم، إمام أهل الحديث بخراسان، كانت له جلالة عظيمة بنيسابور كجلالة أحمد في بغداد، روى عن الأئمة، وروى عنه الأئمة، متمسك بما ورد، مُنكِرٌ على المحدَثين بما لم يرد، قال أبو حاتم: «هو إمام أهل زمانه»، توفي سنة ٢٥٨هـ، وأما ما نسب إلى الذهلي ـ فإنه لم يكن يقول ذلك: أعنى لفظي بالقرآن غير مخلوق، ولكنه كان يقول كالإمام أحمد كما نقل ذلك عنه الذهبي بإسناده: «القرآن كلام الله غير مخلوق بجميع جهاته، وحيث تصرف، ولا نرى الكلام فيما أحدثوا فتكلموا في الأصوات، والأقلام، والحبر والورق، وما أحدثوا من المَتْلِيّ والـمُتْلَى والمقري، فكل هذا عندنا بدعة، ومن زعم أن القرآن محدث، فهو عندنا جهمي، لا يُشك فيه، ولا يُمترى»، وبهذا يتبين أنه منع القول باللفظ لكونه بدعة، ولم ير التفصيل، لكن النقلة زادوا عليه ـ والله أعلم ـ. انظر: الجرح والتعديل ٨/ ١٢٥، شرح أصول اعتقاد أهل السنة للالكائي ٢/ ٣٨٨، طبقات الحنابلة ١/ ٣٠٢، السير ١٢/ ٢٧٣-٢٩٤.

الرازي[(١)]... وبعد موت أحمد، وقع بين بعض أصحابه وبعضهم، وبين طوائف من غيرهم بهذا السبب...، فلما ولي صالح بن أحمد قضاء الثغر، طلب منه أبو بكر المروذي: أن يظهر لأهل الثغر "مسألة أبي طالب"، ـ فإنه قد شهدها صالح وعبد الله[(٢)] ابنا أحمد، والمروذي، وفوران، وغيرهم ـ وصنف المروذي كتابا في الإنكار على من قال: إن لفظي بالقرآن غير مخلوق، وأرسل في ذلك إلى العلماء بمكة والمدينة، والكوفة والبصرة، وخراسان، وغيرهم، فوافقوه، ومع هذا فطوائف من المنتسبين إلى السنة، وإلى اتباع أحمد... يقولون: لفظنا بالقرآن غير مخلوق، ويقولون: هذا قول أحمد... وليس الأمر كما قاله هؤلاء، فإن أعلم الناس بأحمد، وأخص الناس، وأصدق الناس في النقل عنه، هم الذين رووا ذلك عنه، ولكن أهل خراسان لم يكن لهم من العلم بأقوال أحمد ما لأهل العراق الذين هم أخص به»[(٣)]، فالطوائف المنتسبة إلى الإمام أحمد في مسألة اللفظ، لم تفهم دقة كلام الإمام، ومرامه في ذلك، نفيا أو إثباتا، والمحققون من أهل العلم من المنتسبين إلى السنة، وإلى الإمام أحمد فهموا المراد من ذلك، فوقفوا عن هذه المسألة المبتدَعة، ونَهوا الناس عنها، أو الخوض فيها إلا بالتفصيل الذي يشفي ويكفي، ومن أبرز هؤلاء: صالح وعبد الله ابنا الإمام أحمد، والمروذي، وفوران، وابن شداد، وأبو طالب، والبخاري، وابن جرير... وشيخ الإسلام ابن تيمية، وغيرهم رحمهم الله، فإنهم جميعا وضحوا المراد من نهي الإمام أحمد نفيا أو إثباتا، وأنه للإجمال، وكونها ذريعة للجهمية، وأيضا لا

---

(١) سبقت ترجمته، وأما ما نسب إليه فإنه ـ والله تعالى أعلم ـ أيضا من قبيل ما نسب إلى الذهلي، فإنه قد ورد عنه تبديع اللفظية المثبتة، كما في شرح أصول اعتقاد أهل السنة للالكائي ٢/ ٣٨٩، وهذا لا يدل على أنه يقول بأن لفظه بالقرآن غير مخلوق.

(٢) هو الحافظ الناقد: أبو عبد الرحمن عبد الله بن الإمام أحمد بن محمد بن حنبل الشيباني، ولد سنة ٢١٣هـ، روى عن أبيه العلم، فروى المسند والزهد وفيهما علم جم، وشيوخ خلق لا يحصون، وروى عنه خلق لا يعدون، وله مصنفات منها: الرد على الجهمية، والسنة، مات سنة ٢٩٠هـ. انظر: الجرح والتعديل ٥/ ٧، تاريخ بغداد ٩/ ٣٧٥-٣٧٦، طبقات الحنابلة ١/ ١٧٤-١٨١.

(٣) المجموع ١٢/ ٢٠٧-٢٠٨.

يتبادر عند الإطلاق إلا الملفوظ «فإن المسلمين إذا قالوا: هذا القرآن كلام الله، لم يريدوا بذلك أن أصوات القارئين، وحركاتهم قائمة بذات الله،كما أنهم إذا قالوا:هذا الحديث حديث رسول الله ﷺ لم يريدوا بذلك أن حركات المحدث،وصوته قامت بذات رسول الله ﷺ»[١].

فهذا الذي ثبت عن أبي عبد الله في اللفظ..بَدَّع الذين يقولون باللفظ نفيا أو إثباتا[٢]، وبهذا يتضح أن الإمام أحمد بريء ممن انتسب إليه في مسألة اللفظ، وأن قوله المنع من الإطلاق، وعدم الخوض في كلام الخلاق، إلا بما ورد في نصوص الكتاب والسنة.

الثاني: الغلط على الإمام البخاري رحمه الله، والاعتذار للأئمة:

البخاري هو من هو في جلالة قدره، وعلو شأنه، ورفيع منـزلته، وله في قلوب المسلمين مكانة، وذلك لما اقترن اسمه بأحاديث رسول الله ﷺ كثيرا، واتفق العلماء على أن ما في صحيحه قد جاوز القنطرة، وكان الإمام متبعا للأثر، ينهى عن البدع ويزجر، ووقع من بعض أقرانه له نوع حسد، فأشاعوا عنه أنه قال: لفظي بالقرآن مخلوق، قال محمد بن شادل[٣]: «لما وقع بين محمد بن يحيى والبخاري، دخلت على البخاري فقلت: يا أبا عبد الله أَيْشٍ الحيلة لنا فيما بينك وبين محمد بن يحيى، كل من يختلف إليك يُطرد؟؛ فقال: كم يعتري محمد بن يحيى الحسدُ في العلم؟ والعلمُ رزق الله يعطيه من يشاء؛ فقلت: هذه المسألة التي تُحكى عنك؟ قال: يا بني هذه مسألة مشؤومة، رأيت أحمد بن حنبل وما ناله في هذه المسألة[٤]؟ وجعلت نفسي

---

(١) الدرء ١/ ٢٥٩، وانظر: المجموع ١٢/ ٢٨١-٢٨٢.

(٢) السنة للخلال ٧/ ١٠٤.

(٣) هو المحدث المقري: أبو العباس محمد بن شادَل بن علي الهاشمي مولاهم النيسابوري، حدَّث عن خلق كُثُر، وعنه كذلك، وكان يقرئ، وفَقَد بصره قبل موته بعشرين سنة، توفي سنة ٣١١هـ. انظر: السير ١٤/ ٢٦٣-٢٦٤، شذرات الذهب ٢/ ٢٦٣.

(٤) لعله يقصد انتساب اللفظيين النافين إليه، ثم إنكار الإمام أحمد عليهم، كما حصل مع أبي طالب، وابن شداد.

أن لا أتكلم فيها»[١].

فالإمام البخاري رحمه الله تكلم في هذه المسألة بالتفصيل وفرق بين القراءة وهي فعل العبد عنده فإنها مخلوقة، وبين المقروء وهو المتلو عنده، فالأول بإجماع أهل العلم مخلوقة، والثاني بإجماع أهل العلم كلام الله غير مخلوق، ثم الرواية المذكورة تبين لنا أن الإمام البخاري جعل على نفسه أنه لا يتكلم في مسألة اللفظ، لما فيه من الإجمال، وهذا الذي سبب الخلاف، فأصبح قوله أخيرا كقول الإمام أحمد رحمهم الله وهو السكوت عن هذه الألفاظ المبتدعة وردها، والوقوف بما ورد عن السلف.

وقول البخاري رحمه الله في الفرق بين اللفظ الذي يراد به الفعل، وبين الملفوظ الذي هو المتلو هو المتعين، خصوصا عند اضطراب الناس، ووافقه على هذا التفريق أئمة فضلاء، وعلماء أجلاء، فالتفريق بين الفعل والمفعول واضح بين، ولكن التلفظ بها على وجه اللفظ والملفوظ هو الذي فيه الإجمال، وكان الأولى تركه، والتعبير عنه بما هو أدل وأبين أولى، وبما هو نص في الموضوع أجلى، بخلاف الألفاظ المجملة.

قال البخاري رحمه الله ـ بعد قول يحيى بن سعيد[٢] ـ: «ما زلت أسمع من أصحابنا، يقولون: إن أفعال العباد مخلوقة، قال أبو عبد الله: حركاتهم وأصواتهم، واكتسابهم وكتابتهم مخلوقة، فأما القرآن المتلو المبين، المثبت في المصحف، المسطور المكتوب، الموعى في القلوب، فهو كلام الله ليس بخلق»[٣].

وهذه ألفاظ صريحة، وعنه ثابتة صحيحة، تدل على أن اعتقاده واعتقاد الإمام أحمد رحمهما الله في القرآن واحد، وأن الجميع يرون أن أفعال العباد مخلوقة، وأن كلام

---

(١) السير ١٢/ ٤٥٦، وانظر: المجموع ١٢/ ٣٦٤-٣٦٥.

(٢) هو الإمام الحافظ الكبير: أبو سعيد يحيى بن سعيد بن فرُّوخ القطان التميمي مولاهم البصري، ولد سنة ١٢٠هـ، سمع من جمع من التابعين، وساد خِلانه المقارنين، وكان يحفظ بلا إملال، مع نقد في العلل والرجال، روى عنه جمع، قال فيه أحمد: «ما رأيت بعيني مثل يحيى بن سعيد القطان»، توفي سنة ١٩٨هـ. انظر: التاريخ لابن معين ٢/ ٦٤٥-٦٤٨، المعارف لابن قتيبة ص ٢٨٧، السير ٩/ ١٧٥-١٨٨.

(٣) خلق أفعال العباد ص ٤٢.

رب العباد لا يكون مخلوقا[(١)].

وهناك معنى آخر من أجله أنكر الإمام البخاري على القائلين بعدم التفريق بين التلاوة والمتلو، قال شيخ الإسلام رحمه الله: «فصار طائفة منهم - أي: من أهل الحديث - يقولون: لفظنا بالقرآن غير مخلوق، ومرادهم: أن القرآن المسموع غير مخلوق، وليس مرادهم صوت العبد، كما يذكر عن أبي حاتم الرازي، ومحمد بن داود المصيصي[(٢)]، وطوائف غير هؤلاء، وفي أتباع هؤلاء من قد يدخل صوت العبد أو فعله في ذلك، أو يقف فيه، ففهم ذلك بعض الأئمة، فصار يقول: أفعال العباد أصواتهم مخلوقة، ردا لهؤلاء، كما فعل البخاري، ومحمد بن نصر المروزي، وغيرهما من أهل العلم والسنة»[(٣)]؛ فـ «ظن بعضهم: أن البخاري خالف أحمد، وليس كذلك، بل من تدبر كلامه لم يجد فيه خلافا معنويا»[(٤)].

قال ابن قتيبة في مسألة اللفظ: «وليس ما اختلفوا فيه مما يقطع الألفة، ولا مما يوجب الوحشة، لأنهم مجمعون على أصل واحد، وهو: القرآن كلام الله غير مخلوق، في كل موضع، وبكل جهة، وعلى كل حال»[(٥)].

وأما أن الإمام البخاري رحمه الله قال: إن لفظي بالقرآن مخلوق، وانتساب اللفظية النافية إليه فباطل، وذلك أنه لم يثبت عنه إلا التفريق بين فعل العبد المخلوق، وكلام الرب جل جلاله، ولم يقل يوما: إن لفظي بالقرآن مخلوق، فقد « ثبت عنه بالإسناد المرضي أنه قال: من قال عني أني قلت: لفظي بالقرآن مخلوق فقد كذب»[(٦)].

---

(١) انظر: المجموع ١٢/ ٣٦٩.

(٢) هو الثقة الفاضل: أبو جعفر محمد بن داود بن صبيح المصيصي، من خواص الإمام أحمد، وله عنه مسائل كثيرة، يوازي مسائل الأثرم. انظر:طبقات الحنابلة ١/ ٢٧٤-٢٧٥، تقريب التهذيب ص٤١٣، رفع النقاب ص١٠٨.

(٣) الدرء ١/ ٢٦٢، وانظر: الفتح ١٣/ ٥٠١.

(٤) الفتح ١٣/ ٥٠١، وانظر منه ١٢/ ٢٦٥.

(٥) الاختلاف في اللفظ ص ٥٧.

(٦) شرح أصول اعتقاد أهل السنة للالكائي ٢/ ٣٩٦، تاريخ بغداد ٢/ ٣٢، وانظر: المجموع ١٢/ ٥٧٢.

وقال أيضا: « من زعم من أهل نيسابور[(١)]، وقومس[(٢)]، والري[(٣)]، وهمذان[(٤)]، وحلوان[(٥)]، وبغداد، والكوفة، والمدينة، ومكة، والبصرة، أني قلت: لفظي بالقرآن مخلوق فهو كذاب، فإني لم أقل هذه المقالة، إلا أني قلت: أفعال العباد مخلوقة »[(٦)].

وقال أيضا: « إني أقول كما قال الله: ﴿ وَٱلطُّورِ ۝ وَكِتَٰبٖ مَّسۡطُورٖ ﴾[الطور:١-٢] أقول: في المصاحف قرآن، وفي صدور الرجال قرآن، فمن قال غير هذا يستتاب، فإن تاب وإلا فسبيله سبيل الكفر »[(٧)].

وبعد هذا ليس لمنتسب إليه في هذه المقالة حجة، ولا لقوله بينة، فالإمام البخاري رحمه الله إنما أراد التفريق بين فعل العبد المخلوق، وكلام الرب الخالق، ولم يرد نفي لفظ القرآن، أو أنه ليس له لفظ، أو... من هذه المعاني الباطلة التي ذهب إليها أهل الأهواء والبدع.

ويعتذر للأئمة لما جرى بينهم بسبب الوشاة، والنقلة غير الضابطين، وأنهم خاضوا البحر الخضم، وتكلموا في هذه المسألة بهذا الكم، بأنهم أرادوا الخير، وقصد السبيل، وبيان الدليل « فلما وقعت الحيرة، ونزلت هذه البلية، فزع الناس إلى علمائهم، وذوي رأيهم، فاختلفوا عليهم: **فقال فريق منهم:** القراءة فعل محض، وهي مخلوقة

(١) نيسابور هي: إحدى مدن خراسان سابقا، وفتح في عهد الخليفة عثمان رضي الله عنه، وكانت مدينة للعلم وتخرج منها العلماء، وقد دمرها التتار. انظر: الأنساب للسمعاني ٥/ ٥٥٠، معجم البلدان لياقوت الحموي ٥/ ٣٨٢.

(٢) قُومِس: بلدة من البلاد الفارسية، ويقال لها: كومش، وهي على طريق خراسان إذا توجه إليها العراقي. انظر: الأنساب للسمعاني ٤/ ٥٩٥، معجم البلدان لياقوت الحموي ٤/ ٤٧٠.

(٣) الرَّيّ: بلدة قريبة من نيسابور، تخرج منها علماء، وخربت أيام التتار،وهي الآن عاصمة إيران، وتسمى "طهران". انظر: معجم البلدان لياقوت الحموي ٣/ ١٣٢. أطلس التاريخ العربي الإسلامي ص٣٩.

(٤) هَمَذان ـ بالتحريك و الذال ـ: بلدة فتحها المغيرة بن شعبة رضي الله عنه أيام خلافة عمر رضي الله عنه وهي الآن في الشمال الغربي من إيران. انظر: معجم البلدان لياقوت الحموي ٥/ ٤٧٣ .أطلس التاريخ العربي الإسلامي ص٣٩.

(٥) حُلْوَان: هي بلدان عدة، فحلوان العراق، وحلوان أيضا قرية من أعمال مصر، والأول هو المراد هنا. انظر: معجم البلدان لياقوت الحموي ٢/ ٣٣٤.

(٦) شرح أصول اعتقاد أهل السنة للالكائي ٢/ ٣٩٦ـ٣٩٧.

(٧) شرح أصول اعتقاد أهل السنة للالكائي ٢/ ٣٩٥ـ٣٩٦، وتاريخ بغداد ٢/ ٣٢.

كسائر أفعال العباد، والقرآن غيرها... فاتبعهم في ذلك فريق، **وقالت فرقة**: ـ القراءة ـ هي القرآن بعينه، ومن قال: إن القراءة مخلوقة فقد قال بخلق القرآن، واتبعهم قوم، **وقالت فرقة**: هذه بدعة لم يتكلم الناس فيها، ولم يتكلفوها، ولا تعاطوها»[(١)].

فهذا اعتذار لطيف للأئمة، وبيان سبب خلافهم في المسألة، واعتذر شيخ الإسلام ﵀ للأئمة بقول لطيف، ومعنى عفيف، فقال: «فالذين قالوا: التلاوة هي المتلو، من أهل العلم والسنة قصدوا: أن التلاوة هي القول، والكلام المقترن بالحركة، وهي الكلام المتلو، **وآخرون قالوا**: بل التلاوة غير المتلو، والقراءة غير المقروء، والذين قالوا ذلك من أهل السنة والحديث أرادوا بذلك: أن أفعال العباد ليست هي كلام الله، ولا أصوات العباد هي صوت الله، وهذا الذي قصده البخاري، وهو مقصد صحيح»[(٢)].

وقال أيضا في الاعتذار للبخاري ومخالفيه: «وإذا حسن قصدهم، واجتهد هو وهُم، أثابه الله وإياهم على حسن القصد، وإن كان قد وقع منه أو منهم بعض الغلط والخطأ فالله يغفر لهم كلهم»[(٣)].

فإذا علمنا موضع النـزاع تبين وجه الإنكار، وأن الخلاف لفظي خصوصا مع اتفاقهم في الأصول، ومنها: أن القرآن كلام الله غير مخلوق، منه بدأ وإليه يعود، وهو القرآن الموجود في المصاحف، والمكتوب في السطور، المحفوظ في القلوب، وهذا قد سبق بيانه.

وأيضا اتفقوا أن القرآن هو المنـزل على محمد ﷺ، وهذا ما سأبينه في الفصل التالي.

---

(١) الاختلاف في اللفظ ص ٥٧ ـ ٥٨.

(٢) الدرء ١/ ٢٦٤، وانظر: الجواب الصحيح ٤/ ٣٤٨.

(٣) المجموع ١٢/ ٢٠٨، وانظر: ١٢/ ٣٣٤.

الفصل الثاني

بيان أن القرآن الكريم منزل على محمد ﷺ

وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: وجوب الإيمان بنزول القرآن الكريم على نبينا محمد ﷺ وفيه مطلبان.

المبحث الثاني: نزول القرآن، وفيه مطلبان.

المبحث الثالث: معنى إنزال الله القرآن عند السلف، وفيه مطلبان.

المبحث الأول
وجوب الإيمان بنزول القرآن الكريم على نبينا محمد ﷺ

المطلب الأول: وجوب الإيمان بنزول القرآن الكريم على نبينا محمد ﷺ.

القرآن الكريم كلام الله عز وجل منـزل على محمد ﷺ بواسطة جبريل عليه السلام، والقرآن المنـزل هو اللفظ والمعنى، ليس اللفظ دون المعنى، ولا المعنى دون اللفظ، وقد بلغه النبي ﷺ إلى أمته[(١)].

وثبت بالنقل المتواتر المعلوم من الدين بالضرورة للموافق والمخالف أن محمدا ﷺ كان يبلغ هذا القرآن، ويقول: إنه كلام الله، وكان يفرق بين القرآن، وبين ما يتكلم به من السنة[(٢)].

وبين عليه السلام الدينَ البلاغَ المبين فلم يكتم آية، ولم ينقص شيئا من الدين، بل بلغ الدين كله، ومن ذلكم القرآن الكريم الموجود بين الدفتين[(٣)].

وهذا القرآن الذي أنزل عليه، وعلمه أمته، لم يُحَصِّلْهُ هو بعلم تعلمه، ولا بجهد بذله، بل لم يتعلم القراءة والكتابة أصلا، فقد كان ﷺ أميا، كما قال تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ

---

(١) انظر: الجواب الصحيح ٤/ ٣٣٦، دقائق التفسير ٢/ ١٩٣، والمراد أن لهذا القرآن المنـزل معنى، فالقرآن ليس لفظا وحروفا لا معاني لها، ولا معاني من دون حروف، بل هو حرف ومعنى.

(٢) انظر: الجواب الصحيح ٣/ ١٨، ٢٠.

(٣) انظر: شرح الأصبهانية ص ٢٠٧.

ﭐلرَّسُولَ ٱلنَّبِيَّ ٱلۡأُمِّيَّ ٱلَّذِي يَجِدُونَهُۥ مَكۡتُوبًا عِندَهُمۡ فِي ٱلتَّوۡرَىٰةِ وَٱلۡإِنجِيلِ ﴾[الأعراف:١٥٧].

ولم يتعلم عليه ﷺ من أحد من الخلق شيئا من الوحي، لا من كتابي، ولا من عجمي، قال الله تعالى: ﴿ وَلَقَدۡ نَعۡلَمُ أَنَّهُمۡ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُۥ بَشَرٌۗ لِّسَانُ ٱلَّذِي يُلۡحِدُونَ إِلَيۡهِ أَعۡجَمِيٌّ وَهَٰذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُّبِينٌ ﴾[النمل:١٠٣].

ولم يكن ﷺ حاكيا للقرآن، ولا معبرا له، بل هو مبلغ له عن الله ﷻ[١]، ولم يقل أحد من السلف أن النبي ﷺ سمع القرآن من الله ﷻ مباشرة بدون واسطة، **وإجماع السلف قائم على أنه ﷺ سمعه من جبريل** عليه السلام؛ قال أبو جعفر الطحاوي رحمه الله: «وإن القرآن كلام الله... أنزله على رسوله وحيا، وصدقه المؤمنون على ذلك حقا»[٢]، قال ابن أبي العز في شرحه لهذه العبارة وما بعدها: «وهذا الذي حكاه الطحاوي رحمه الله، هو الحق الذي دلت عليه الأدلة من الكتاب والسنة لمن تدبرهما، وشهدت به الفطرة السليمة التي لم تُغيَّر بالشبهات والشكوك والآراء الباطلة»[٣].

وقال الموفق ابن قدامة رحمه الله: «فإن المسلمين أجمعوا على أن القرآن أنزل على محمد ﷺ...»[٤].

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: «ومذهب سلف الأمة وأئمتها وخلفها: أن النبي ﷺ سمع القرآن من جبريل»[٥].

فأُنزل القرآن على نبينا محمد ﷺ هاديا وبشيرا، ونذيرا للورى، و هو آيته الكبرى، ومعجزته العظمى، شاهدة له بالصدق، ومؤيدة له بالحق، آية باقية ما بقي الليل والنهار.

---

(١) انظر: المجموع ١٢/ ٢٨٠.

(٢) العقيدة الطحاوية ص ٤٠، بشرح وتعليق الشيخ الألباني، وانظر: شرح العقيدة السفارينية لابن مانع ص ٧٦-٧٧.

(٣) شرح الطحاوية ١/ ١٧٢.

(٤) رسالة في القرآن وكلام الله لابن قدامة المقدسي ص ١٦١، ضمن مجلة البحوث الإسلامية العدد (٦١)، وانظر: عقيدة السلف أصحاب الحديث ص ٣٠.

(٥) المجموع ٥/ ٢٣٣، وانظر: الفتح ١٣/ ٤٧١، وشرح الواسطية للشيخ ابن عثيمين ١/ ٤٣٥.

وقد دلت الأدلة الكثيرة على وجوب الإيمان بكون القرآن منـزّلا على محمد ﷺ، وهذه الأدلة هي التي أوردها في مسألتين:

المسألة الأولى: الأدلة الدالة على وجوب الإيمان بما أنزل على محمد ﷺ.

وهذه الأدلة كثيرة فمنها:

١- قول الله ﷻ: ﴿ قُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيۡنَا وَمَآ أُنزِلَ إِلَىٰٓ إِبۡرَٰهِـۧمَ وَإِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ وَٱلۡأَسۡبَاطِ وَمَآ أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَآ أُوتِيَ ٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمۡ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّنۡهُمۡ وَنَحۡنُ لَهُۥ مُسۡلِمُونَ ﴾[البقرة:١٣٦]؛ فقوله: ﴿ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيۡنَا ﴾ دليل على وجوب الإيمان بالمنـزل على نبي هذه الأمة، قال أبو جعفر الطبري: «يقول أيضا: صدقنا بالكتاب الذي أنزل الله إلى نبينا محمد ﷺ فأضاف الخطاب بالتنـزيل إليهم، إذ كانوا متبعيه ومأمورين منهيين به»[(١)]؛ فقوله تعالى: ﴿ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيۡنَا ﴾ يعني القرآن[(٢)]، ومثل الآية السابقة قوله تعالى[(٣)]: ﴿ قُلۡ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ عَلَيۡنَا وَمَآ أُنزِلَ عَلَىٰٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَإِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ وَٱلۡأَسۡبَاطِ وَمَآ أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمۡ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّنۡهُمۡ وَنَحۡنُ لَهُۥ مُسۡلِمُونَ ﴾[آل عمران:٨٤].

٢- قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ ءَامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱلۡكِتَٰبِ ٱلَّذِي نَزَّلَ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَٱلۡكِتَٰبِ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ مِن قَبۡلُۚ وَمَن يَكۡفُرۡ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ فَقَدۡ ضَلَّ ضَلَٰلَۢا بَعِيدًا ﴾[النساء:١٣٦]، والكتاب الذي نزل على رسوله محمد ﷺ هو القرآن[(٤)].

٣- قوله تعالى: ﴿ لَّيۡسَ ٱلۡبِرَّ أَن تُوَلُّواْ وُجُوهَكُمۡ قِبَلَ ٱلۡمَشۡرِقِ وَٱلۡمَغۡرِبِ وَلَٰكِنَّ ٱلۡبِرَّ مَنۡ

---

(١) جامع البيان في تأويل القرآن ١/ ٦١٨.

(٢) معالم التنـزيل ١/ ١٥٦.

(٣) انظر: درة التنـزيل وغرة التأويل للإسكافي ص ١٩.

(٤) انظر: زاد المسير لابن الجوزي ٢/ ٢٢٤، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز لابن عطية ٢/ ١٢٤.

ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلْكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ ﴾[البقرة:١٧٧] وقوله تعالى: ﴿ ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ ﴾[البقرة:٢٨٥]؛ فالمنزّل إلى النبي ﷺ من ربه هو القرآن المشتمل على الأحكام وفصل الخطاب، والقرآن داخل أيضا في عموم ﴿ ٱلْكِتَٰبِ ﴾ و﴿ كُتُبِهِۦ ﴾ وهي الكتب المنزلة المشتملة على الشرائع التي تعبد الله بها عباده؛ فالواجب على كل امرئ الإيمانُ بالكتب إيمانا مجملا، وبالقرآن على وجه الخصوص، من حيث كونه كلام الله تعالى غير مخلوق، وأنه منزل على محمد ﷺ بواسطة جبريل ﷺ، وأنه مهيمن على الكتب السابقة، وأنه هو الموجود في مصاحف المسلمين(١)، وقال ﷺ : [**الإيمان؛ أن تؤمن بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، والقدر خيره وشره**](٢)؛ فالإيمان بالكتب من أركان الإيمان الستة المشهورة، والإيمان بالقرآن من أركان الإيمان بالكتب الخمسة المعروفة، وهي: صحف إبراهيم، والتوراة، والزبور، والإنجيل، والقرآن الكريم.

٤- قوله تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يُجَٰدِلُونَ فِىٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ أَنَّىٰ يُصْرَفُونَ ﴿٦٩﴾ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِٱلْكِتَٰبِ وَبِمَآ أَرْسَلْنَا بِهِۦ رُسُلَنَا ۖ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴿٧٠﴾ إِذِ ٱلْأَغْلَٰلُ فِىٓ أَعْنَٰقِهِمْ وَٱلسَّلَٰسِلُ يُسْحَبُونَ ﴿٧١﴾ فِى ٱلْحَمِيمِ ثُمَّ فِى ٱلنَّارِ يُسْجَرُونَ ﴾[غافر:٦٩-٧٢]؛ فهذا فيه تهديد شديد، ووعيد أكيد لمن كذب بالكتاب الذي هو القرآن، ولم يؤمن بما فيه من الآيات والفرقان(٣).

هذه بعض الأدلة الدالة على وجوب الإيمان بالقرآن الكريم، وأن الله أنزله على محمد ﷺ وفي المسألة التالية مزيد بيان لجانب آخر من الأدلة.

---

(١) انظر: فتح البيان في مقاصد القرآن لصديق حسن القنوجي ١/ ٤٧٤، وتيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان للسعدي ١/ ٣٥٢.

(٢) رواه البخاري بنحوه: كتاب التفسير، باب/ قوله ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ ﴾، ح(٤٧٧٧)، عن أبي هريرة ﷺ، ومسلم بلفظه: كتاب الإيمان، باب/ بيان الإيمان والإسلام والإحسان..، ح(٨)، عن عمر ﷺ.

(٣) انظر: جامع البيان في تأويل القرآن للطبري ١١/ ٧٧، وفتح القدير للشوكاني ٤/ ٦٢٦.

المسألة الثانية: ذكر الأدلة الدالة على كون القرآن منـزّلاً على محمد ﷺ.

ومن ذلك:

١- تلقى النبي ﷺ القرآن من الله عز وجل عن طريق الوحي، وهذا ما دل عليه قول الله تبارك وتعالى: ﴿وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ لِأُنذِرَكُم بِهِۦ وَمَنۢ بَلَغَ﴾[الأنعام:١٩] وقوله تعالى: ﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ ٱلْقَصَصِ بِمَآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ وَإِن كُنتَ مِن قَبْلِهِۦ لَمِنَ ٱلْغَٰفِلِينَ﴾[يوسف:٣] وقوله: ﴿وَإِنَّكَ لَتُلَقَّى ٱلْقُرْءَانَ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ عَلِيمٍ﴾[النمل:٦]، وقوله تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا﴾[الشورى:٧][1]، وقوله تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَنزَلْنَٰهُ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا وَصَرَّفْنَا فِيهِ مِنَ ٱلْوَعِيدِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ أَوْ يُحْدِثُ لَهُمْ ذِكْرًا ﴿١١٣﴾ فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ ٱلْمَلِكُ ٱلْحَقُّ ۗ وَلَا تَعْجَلْ بِٱلْقُرْءَانِ مِن قَبْلِ أَن يُقْضَىٰٓ إِلَيْكَ وَحْيُهُۥ ۖ وَقُل رَّبِّ زِدْنِى عِلْمًا﴾[طه:١١٣-١١٤]، **ولما كان آية النبي العظمى القرآن الموحى إليه،** قال ﷺ: [**ما من نبي من الأنبياء، إلا وقد أوتي من الآيات ما آمن على مثله البشر، وإنما كان الذي أوتيته وحيا أوحاه الله إليّ، فأرجو أن أكون أكثرهم تابعا يوم القيامة**][2]؛ **فأعظم المعجزات وأشرفها وأبينها القرآن الكريم** المنـزل على نبينا محمد ﷺ، فالخوارق غالبا مغايرة للوحي المتلقى، لأن الخوارق شاهدة بصدق الوحي، والقرآن بنفسه الوحي وهو المعجز، فهو شاهد بعينه على نفسه لا يحتاج إلى شاهد يشهد عليه، فاتحد في القرآن الدليل والمدلول[3]؛ **فالله تبارك وتعالى أرسل رسوله بالهدى**، وبالبراهين وأعظمها في القرآن الموحى، وهو من أعظم الوحي المنـزل على نبينا محمد ﷺ خير الورى.

---

(١) انظر: الجواب الصحيح ٢/ ٢٧٢.

(٢) رواه البخاري؛ كتاب فضائل القرآن، باب/ كيف نزل الوحي وأول ما نزل، ح(٤٩٨١)، ومسلم؛ كتاب الإيمان، باب/ وجوب الإيمان برسالة نبينا محمد ﷺ، ح(١٥٢)، كلاهما عن أبي هريرة ﷺ.

(٣) انظر: مقدمة ابن خلدون ص ١٦٥.

٢- **كونه ﷺ أوتي الكتاب وهو هذا القرآن**؛ قال تعالى: ﴿ قَدْ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٌ وَكِتَـٰبٌ مُّبِينٌ ۝ يَهْدِى بِهِ ٱللَّهُ مَنِ ٱتَّبَعَ رِضْوَٰنَهُۥ سُبُلَ ٱلسَّلَـٰمِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَـٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذْنِهِۦ وَيَهْدِيهِمْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾[المائدة:١٥-١٦]، قال الحافظ ابن جرير رحمه الله: « ﴿ وَكِتَـٰبٌ مُّبِينٌ ﴾ يعني كتابا فيه بيان ما اختلفوا فيه بينهم من توحيد الله، وحرامه وحلاله، وشرائع دينه، وهو القرآن الذي أنزله على نبينا محمد ﷺ »[1]، وقال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ جِئْنَـٰهُم بِكِتَـٰبٍ فَصَّلْنَـٰهُ عَلَىٰ عِلْمٍ هُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾[الأعراف:٥٢] وقال: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِٱلذِّكْرِ لَمَّا جَآءَهُمْ ۖ وَإِنَّهُۥ لَكِتَـٰبٌ عَزِيزٌ ۝ لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَـٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ ۖ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴾[فصلت:٤١-٤٢] فالذكر هو الكتاب المنزل وهو القرآن الكريم، وقال: ﴿ الٓر ۚ تِلْكَ ءَايَـٰتُ ٱلْكِتَـٰبِ وَقُرْءَانٍ مُّبِينٍ ﴾[الحجر:١] وقال: ﴿ طسٓ ۚ تِلْكَ ءَايَـٰتُ ٱلْقُرْءَانِ وَكِتَابٍ مُّبِينٍ ﴾[النمل:١] **فالكتاب هو القرآن**، والقرآن هو الكتاب، اسمان لما أوحي إلى النبي ﷺ من كلام الرب ﷻ، كما قال تعالى: ﴿ حمٓ ۝ تَنزِيلٌ مِّنَ ٱلرَّحْمَـٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝ كِتَـٰبٌ فُصِّلَتْ ءَايَـٰتُهُۥ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴾[فصلت:١-٣] وقال تعالى: ﴿ ٱتْلُ مَآ أُوحِىَ إِلَيْكَ مِنَ ٱلْكِتَـٰبِ وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ ﴾[العنكبوت:٤٥] وقال تعالى: ﴿ وَٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ مِنَ ٱلْكِتَـٰبِ هُوَ ٱلْحَقُّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ بِعِبَادِهِۦ لَخَبِيرٌۢ بَصِيرٌ ﴾[فاطر:٣١] وقال: ﴿ الٓمٓ ۝ ذَٰلِكَ ٱلْكِتَـٰبُ لَا رَيْبَ ۛ فِيهِ ۛ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ﴾[البقرة:١-٢]، **وهذا الكتاب الذي أوتيه** ﷺ بين الله تبارك وتعالى أنه أنزله على نبيه محمد ﷺ، كما قال تبارك وتعالى: ﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ ٱلْكِتَـٰبَ وَلَمْ يَجْعَل لَّهُۥ عِوَجَا ۜ ۝ قَيِّمًا لِّيُنذِرَ بَأْسًا شَدِيدًا مِّن لَّدُنْهُ وَيُبَشِّرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا حَسَنًا ﴾[الكهف:١-٢] وقال تعالى: ﴿ الٓر ۚ كِتَـٰبٌ أَنزَلْنَـٰهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ ٱلنَّاسَ مِنَ ٱلظُّلُمَـٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ ﴾[إبراهيم:١] وقال تعالى: ﴿ الٓمٓ ۝ تَنزِيلُ ٱلْكِتَـٰبِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِن رَّبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴾[السجدة:١-٢] وقال: ﴿ تَنزِيلُ ٱلْكِتَـٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ

---

(١) جامع البيان للطبري ٤/ ٥٠٣، وانظر: معالم التنـزيل للبغوي ٣/ ٣٣.

ٱلْحَكِيمِ ۝ إِنَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ فَٱعْبُدِ ٱللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ ٱلدِّينَ ﴾[الزمر:١-٢]
وقال تعالى: ﴿ كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓا۟ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾[ص:٢٩]
وقال: ﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ لِلنَّاسِ بِٱلْحَقِّ ﴾[الزمر:٤١].

والآيات في كون الكتاب العزيز منزّلاً من الله تعالى على محمد ﷺ كثيرة جدا[١].

٣ ـ كونه ﷺ أوتي الآيات، وأعظمها القرآن[٢]؛ قال الله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ أَنزَلْنَآ إِلَيْكُمْ ءَايَٰتٍ مُّبَيِّنَٰتٍ ﴾[النور:٤١]، وقال: ﴿ وَكَذَٰلِكَ أَنزَلْنَٰهُ ءَايَٰتٍۭ بَيِّنَٰتٍ ﴾[الحج:١٦] وقال: ﴿ لَّقَدْ أَنزَلْنَآ ءَايَٰتٍ مُّبَيِّنَٰتٍ ﴾[النور:٤٦]، وقال: ﴿ وَلَقَدْ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ءَايَٰتٍۭ بَيِّنَٰتٍ ۖ وَمَا يَكْفُرُ بِهَآ إِلَّا ٱلْفَٰسِقُونَ ﴾[البقرة:٩٩]، وقال: ﴿ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَاتُنَا بَيِّنَٰتٍ ۙ قَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا ٱئْتِ بِقُرْءَانٍ غَيْرِ هَٰذَآ أَوْ بَدِّلْهُ ۚ قُلْ مَا يَكُونُ لِىٓ أَنْ أُبَدِّلَهُۥ مِن تِلْقَآئِ نَفْسِىٓ ۖ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَىَّ ﴾[يونس:١٥]؛ فهذا فيه أن البينات منزلة على محمد ﷺ ومنها القرآن[٣].

٤ ـ التصريح بنزول القرآن على محمد ﷺ، قال الله تبارك وتعالى: ﴿ وَإِنَّهُۥ لَتَنزِيلُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝ نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ۝ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ ۝ بِلِسَانٍ عَرَبِىٍّ مُّبِينٍ ﴾[الشعراء:١٩٢-١٩٥] وقال: ﴿ قُلْ مَن كَانَ عَدُوًّا لِّجِبْرِيلَ فَإِنَّهُۥ نَزَّلَهُۥ عَلَىٰ قَلْبِكَ بِإِذْنِ ٱللَّهِ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَهُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴾[البقرة:٩٧] فالقرآن وحي من الله ﷻ نزل به جبريل ﷺ على محمد ﷺ، فتلاه عليه فوعاه محمد ﷺ[٤]، **قال أبو يعلى** ﷺ: « وكلام الله منزل على الحقيقة على قلب النبي ﷺ »[٥]، وقال الله ﷻ: ﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَءَامَنُوا۟ بِمَا نُزِّلَ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ وَهُوَ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ ۙ كَفَّرَ عَنْهُمْ

(١) انظر: الجواب الصحيح ٢/ ٢٧٢، الحجة في بيان المحجة للأصبهاني ص ٢٧٦-٢٧٧.
(٢) انظر: الحجة في بيان المحجة ص ٢٧٩.
(٣) انظر: جامع البيان للطبري ٦/ ٥٣٩-٥٤٠.
(٤) انظر: جامع البيان للطبري ١/ ٤٨٠، وفتح القدير للشوكاني ١/ ٦٤.
(٥) المعتمد في أصول الدين ص ٩٠، وانظر: فتاوى اللجنة الدائمة ٤/ ٢ رقم(٦١٣٧).

سَيِّـَٔاتِهِمْ وَأَصْلَحَ بَالَهُمْ ﴾[محمد:٢] والمنـزل على محمد ﷺ هو القرآن الكريم، والكتاب المبين، كما قال تعالى: ﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ ٱلْكِتَـٰبَ ﴾[الكهف:١] والعبد هنا هو محمد ﷺ كما قال تعالى: ﴿ تَبَارَكَ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِۦ لِيَكُونَ لِلْعَـٰلَمِينَ نَذِيرًا ﴾[الفرقان:١] وقال: ﴿ وَإِن كُنتُمْ فِى رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا۟ بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِۦ وَٱدْعُوا۟ شُهَدَآءَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَـٰدِقِينَ ﴾[البقرة:٢٣] وكما قال: ﴿ فَأَوْحَىٰٓ إِلَىٰ عَبْدِهِۦ مَآ أَوْحَىٰ ﴾[النجم:١٠]، **وجاء التصريح بأن القرآن منـزل إليه ﷺ** في آيات كثيرة، منها؛ قوله تعالى: ﴿ ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِۦ ﴾[البقرة:٢٨٥] وقال تعالى: ﴿ لَّـٰكِنِ ٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ مِنْهُمْ وَٱلْمُؤْمِنُونَ يُؤْمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ ﴾[النساء:١٦٢] وقال تعالى: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ﴾[المائدة:٦٧] وقال: ﴿ الٓمٓصٓ ۝١ كِتَـٰبٌ أُنزِلَ إِلَيْكَ فَلَا يَكُن فِى صَدْرِكَ حَرَجٌ مِّنْهُ لِتُنذِرَ بِهِۦ وَذِكْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ۝٢ ٱتَّبِعُوا۟ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ ۗ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴾[الأعراف:١-٣][١].

٥ ـ **أن الرسول ﷺ كان أميا لا يقرأ ولا يكتب؛** ثم لبث عمرا في قومه حتى جاءه الوحي بالقرآن، فهذا دليل عظيم، وشاهد مهم أنه منـزل عليه، وأنه من الله لا من نفسه، ولا من غيره من الخلق[٢] قال الله ﷻ: ﴿ نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ ٱلْقَصَصِ بِمَآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ هَـٰذَا ٱلْقُرْءَانَ وَإِن كُنتَ مِن قَبْلِهِۦ لَمِنَ ٱلْغَـٰفِلِينَ ﴾[يوسف:٣] أي كنت من قبل الوحي من الغافلين عن ذلك، لا تعلمه ولا شيئا منه[٣]، كما قال ﷻ: ﴿ وَأَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكَ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ ۚ وَكَانَ فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا ﴾ [النساء:١١٣]، وقال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِى فَرَضَ عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ لَرَآدُّكَ إِلَىٰ مَعَادٍ ۚ قُل رَّبِّىٓ أَعْلَمُ مَن جَآءَ بِٱلْهُدَىٰ وَمَنْ هُوَ فِى ضَلَـٰلٍ مُّبِينٍ ۝٨٥ وَمَا كُنتَ تَرْجُوٓا۟ أَن يُلْقَىٰٓ إِلَيْكَ ٱلْكِتَـٰبُ إِلَّا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ ۖ فَلَا تَكُونَنَّ ظَهِيرًا لِّلْكَـٰفِرِينَ ۝٨٦ وَلَا يَصُدُّنَّكَ عَنْ ءَايَـٰتِ ٱللَّهِ بَعْدَ إِذْ أُنزِلَتْ

---

(١) انظر: الحجة في بيان المحجة ص ٢٧٦-٢٧٨، معارج القبول ٣٣٠-٣٣٢.

(٢) انظر: الصفدية ١/ ٩.

(٣) انظر: جامع البيان للطبري ٧/ ١٤٧، وبحر العلوم للسمرقندي ٢/ ١٤٩.

إِلَيْكَ﴾[القصص:٨٥-٨٧] وقال تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ ۚ فَٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يُؤْمِنُونَ بِهِۦ ۖ وَمِنْ هَٰٓؤُلَآءِ مَن يُؤْمِنُ بِهِۦ ۚ وَمَا يَجْحَدُ بِـَٔايَٰتِنَآ إِلَّا ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٤٧﴾ وَمَا كُنتَ تَتْلُوا۟ مِن قَبْلِهِۦ مِن كِتَٰبٍ وَلَا تَخُطُّهُۥ بِيَمِينِكَ ۖ إِذًا لَّٱرْتَابَ ٱلْمُبْطِلُونَ ﴿٤٨﴾ بَلْ هُوَ ءَايَٰتٌۢ بَيِّنَٰتٌ فِى صُدُورِ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ ۚ وَمَا يَجْحَدُ بِـَٔايَٰتِنَآ إِلَّا ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٤٩﴾ وَقَالُوا۟ لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ ءَايَٰتٌ مِّن رَّبِّهِۦ ۖ قُلْ إِنَّمَا ٱلْءَايَٰتُ عِندَ ٱللَّهِ وَإِنَّمَآ أَنَا۠ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٥٠﴾ أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَرَحْمَةً وَذِكْرَىٰ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾[العنكبوت:٤٧-٥١] وقال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ ٱللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِن وَرَآئِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِىَ بِإِذْنِهِۦ مَا يَشَآءُ ۚ إِنَّهُۥ عَلِىٌّ حَكِيمٌ ﴿٥١﴾ وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا ۚ مَا كُنتَ تَدْرِى مَا ٱلْكِتَٰبُ وَلَا ٱلْإِيمَٰنُ وَلَٰكِن جَعَلْنَٰهُ نُورًا نَّهْدِى بِهِۦ مَن نَّشَآءُ مِنْ عِبَادِنَا ۚ وَإِنَّكَ لَتَهْدِىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾[الشورى:٥١- ٥٢] وقال تعالى: ﴿تِلْكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلْغَيْبِ نُوحِيهَآ إِلَيْكَ ۖ مَا كُنتَ تَعْلَمُهَآ أَنتَ وَلَا قَوْمُكَ مِن قَبْلِ هَٰذَا ۖ فَٱصْبِرْ ۖ إِنَّ ٱلْعَٰقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ﴾[هود:٤٩] قال الحافظ ابن كثير رحمه الله في تفسير هذه الآية: «يعني أخبار الغيوب السالفة نوحيها إليك على وجهها كأنك شاهدها... ﴿مَا كُنتَ تَعْلَمُهَآ﴾ أي لم يكن عندك ولا عند أحد من قومك علم بها»[1].

وقال تعالى: ﴿وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَاتُنَا بَيِّنَٰتٍ ۙ قَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا ٱئْتِ بِقُرْءَانٍ غَيْرِ هَٰذَآ أَوْ بَدِّلْهُ ۚ قُلْ مَا يَكُونُ لِىٓ أَنْ أُبَدِّلَهُۥ مِن تِلْقَآئِ نَفْسِىٓ ۖ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَىَّ ۖ إِنِّىٓ أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّى عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٥﴾ قُل لَّوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا تَلَوْتُهُۥ عَلَيْكُمْ وَلَآ أَدْرَىٰكُم بِهِۦ ۖ فَقَدْ لَبِثْتُ فِيكُمْ عُمُرًا مِّن قَبْلِهِۦٓ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾[يونس:١٥-١٦] **ويوضح هذه الآيات قول أبي سفيان** رضي الله عنه[2] لما سأله

(١) تفسير القرآن العظيم ٢/ ٤٤٩، وانظر: محاسن التأويل للقاسمي ٤/ ٣١٣.

(٢) الصحابي الجليل وصاحب الرأي والشرف: أبو سفيان صخر بن حرب بن أمية القرشي، رأس قريش وقائدهم يوم أحد والخندق، أسلم قبل الفتح وحسن إسلامه، شهد الطائف وحنين واليرموك، وحديثه عن هرقل مشهور، ومن أبنائه يزيد ومعاوية رضي الله عنهم، توفي أبو سفيان بالمدينة وله نحوا من تسعين سنة =

هرقل[١]: « هل كنتم تتهمونه ـ أي محمدا ﷺ ـ بالكذب قبل أن يقول ما قال؟ قال أبو سفيان فقلت: لا! ـ وكان أبو سفيان إذ ذاك على الكفر، وزعيم المشركين ـ، فقال له هرقل: فقد أعرف أنه لم يكن ليذر الكذب على الناس ويكذب على الله »[٢].

وقال جعفر بن أبي طالب ﷺ[٣] للنجاشي[٤] ملك الحبشة: **[بعث الله فينا رسولا، نعرف صدقه ونسبه، وأمانته وعفافه]**[٥]، وقد بعث وأنزل على رسول الله ﷺ وهو ابن أربعين[٦]، لا يعرف شيئا مما أنزل عليه، ولا يكتب ولا يقرأ، ولا يدرُسُ ﷺ؛ فهذا دليل على أنه ﷺ لم يتقوله من عنده، ولا افتراه، وكونهم عاجزين عن معارضته أيضا دليل على أنه منزل، وأن الناس يعلمون صدقه ﷺ وأمانته منذ نشأ بينهم إلى حين بعثه الله ﷻ، لا ينتقدون عليه شيئا يغمصونه فيه، ولهذا قال: ﴿ فَقَدْ لَبِثْتُ فِيكُمْ عُمُرًا مِّن قَبْلِهِۦٓ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾[٧].

=

وصلى عليه عثمان ﷺ. انظر: معجم الصحابة للبغوي ٣/ ٣٥٢-٣٦١، السير ٢/ ١٠٥-١٠٧، الإصابة في تمييز الصحابة لابن حجر ٢/ ١٧٨-١٨٠.

(١) ملك الروم القيصر: واسمه هِرَقْل، ولقبه قيصر، خاف على مُلْكِه ونفسِه فلم يُسلِم، مع علمه بأن هذا الدين حق، وأن هذا الرسول حق. انظر: النهاية في غريب الحديث ٥/ ٢٦٠، الفتح ١/ ٤٤.

(٢) أخرجه البخاري: كتاب بدأ الوحي، باب/ ....، ح(٧)، ومسلم: كتاب الجهاد، باب/ كتاب النبي ﷺ إلى هرقل، ح(١٧٧٣).

(٣) هو السيد الشهيد: أبو المساكين جعفر ابن أبي طالب بن عبد المطلب بن هاشم، ابن عم رسول الله ﷺ، وأشبه الناس به ﷺ خَلقا وخُلقا، هاجر الهجرتين إلى الحبشة، وهاجر منها إلى المدينة، فوافى المسلمين وهم قافلون من خيبر، ومكث في المدينة أشهرا، ثم بعثه رسول الله ﷺ أميرا في غزوة مؤتة، فاستشهد سنة ٧هـ.انظر: معجم الصحابة للبغوي١/ ٤٣٤-٤٣٦، السير ١/ ٢٠٦-٢١٧ الإصابة في تمييز الصحابة ١/ ٢٣٧-٢٣٨.

(٤) ملك الحبشة: أصحمة بن أبحر النَّجاشي، وأصحمة بالعربية معناه عطية، والنجاشي لقب لملك الحبشة، أسلم على عهد النبي ﷺ ولم يهاجر فكان تابعيا، وكان ردءا للمسلمين في ملكه، ولما توفي النجاشي صلى عليه رسول الله ﷺ، وأصحابه صلاة الغائب، قيل توفي سنة تسع وقيل قبل ذلك. انظر: أسد الغابة في معرفة الصحابة لابن الأثير الجزري ١/ ١١٩-١٢٠، الإصابة في تمييز الصحابة ١/ ١٠٩، النهاية في غريب الحديث لابن الجزري ٥/ ٢٢.

(٥) رواه الإمام أحمد في مسنده ٥/ ٢٩١، ح(٢٢٨٦٥).

(٦) انظر: صحيح الإمام البخاري: كتاب مناقب الأنصار، باب/ مبعث النبي ﷺ، ح(٣٨٥١).

(٧) انظر: تفسير القرآن العظيم ٢/ ٤١٠، وإظهار الحق لخليل الرحمن الهندي ٢/ ١٠٢.

٦ ـ من أظهر الأدلة على كون القرآن منزلاً على محمد ﷺ، شهادة الله بذلك: قال الله ﷻ: ﴿إِنَّآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ كَمَآ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰ نُوحٍ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ مِنۢ بَعْدِهِۦ﴾[النساء:١٦٣] ثم قال بعدها: ﴿لَّـٰكِنِ ٱللَّهُ يَشْهَدُ بِمَآ أَنزَلَ إِلَيْكَ أَنزَلَهُۥ بِعِلْمِهِۦ وَٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ يَشْهَدُونَ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا﴾[النساء:١٦٣-١٦٦]، **قال الحافظ ابن كثير** ؒ في هذه الآيات: «إثبات نبوته ﷺ، والرد على من أنكر نبوته من المشركين، وأهل الكتاب، قال تعالى: ﴿لَّـٰكِنِ ٱللَّهُ يَشْهَدُ بِمَآ أَنزَلَ إِلَيْكَ﴾ أي وإن كفر به مَن كفر... فالله يشهد لك بأنك رسوله الذي أنزل عليه الكتاب، وهو القرآن العظيم الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد، ولهذا قال: ﴿أَنزَلَهُۥ بِعِلْمِهِۦ﴾ أي فيه علمه الذي أراد أن يطلع العباد عليه من البينات والهدى والفرقان...، وقوله: ﴿وَٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ يَشْهَدُونَ﴾ أي: تصدق ما جاءك وأوحي إليك، وأنزل عليك مع شهادة الله تعالى لك بذلك»(١). **فالله ﷻ وملائكته الكرام شهدوا** بأن هذا الكتاب، وهو المنزل الذي يقرؤه المسلمون، ويكتبونه في مصاحفهم، أنزله الله على محمد ﷺ(٢).

٧ ـ ثبت بالنقل المتواتر، المعلوم بالضرورة للموافق والمخالف، أن محمدا ﷺ كان يقول: إن القرآن أنزل عليه، وإنّه كلام الله، ولم يدّع ذلك أحد، فلم يقل أحد غيره: إن القرآن أنزل عليه، فهذا دليل على أنه منزل عليه ﷺ، لا على غيره(٣). **قال الموفق ابن قدامة** ؒ: «إن القرآن العظيم... المنزل على قلب سيد المرسلين، هو هذا الكتاب العزيز المبين، المكتوب في المصاحف... فمن اعتقد أنه هو القرآن فقد أصاب، وهُدي إلى الصراط المستقيم، واعتقد معتقد المسلمين، ومن زعم أن هذا الكتاب غير القرآن... وأن القرآن لا ينزل، ولا يقرأ، ولا يسمع، ولا يتلى...، فهذا زنديق رادّ على رب العالمين، وعلى رسوله الصادق الأمين، مخالف لجميع المسلمين، ناكب عن الطريق

---

(١) تفسير القرآن العظيم ١/ ٥٨٩، وانظر: الفتح ١٣/ ٤٧١.

(٢) انظر: رسالة في القرآن وكلام الله للموفق ص ١٥٤ ـ ١٥٥، ضمن مجلة البحوث العدد ٦١.

(٣) انظر: الجواب الصحيح ٣/ ١٨، شرح الأصبهانية ص ٥٠٢، ٦٣٧.

المستقيم»(١).

فالأدلة في هذا الباب كثيرة جدا، والقرآن كله من الفاتحة إلى الخاتمة شاهد بأنه كلام الله منزلاً على محمد ﷺ، هذا معتقد أهل السنة والجماعة يشهدون بما شهد به الله ﷻ من كون القرآن أنزل بعلمه ﷻ على نبيه محمد ﷺ(٢).

ويتبين كون القرآن منزلاً أكثر إذا عرفنا كيف كان يأتيه ﷺ الوحيُ بالقرآن، وهذا ما أبينه في المطلب الثاني.

---

(١) رسالة في القرآن وكلام الله للموفق ص١٥٢-١٥٥.

(٢) انظر الآيات الدالة على نزول القرآن على محمد ﷺ في كتاب الحجة في بيان المحجة ص٢٧١-٢٨٠ ومعارج القبول ١/ ٣٢٩-٣٣٣.

المطلب الثاني: كيف كان النبي ﷺ يتلقى الوحيَ بالقرآن.

أجمع علماء السلف ومتبعوهم من الخلف أن النبي ﷺ أخذ القرآن من جبريل ﵇ عن طريق الوحي، وأنه ﷺ سمع القرآن بواسطته في اليقظة لا مناما، ولا إلهاماً(١).

كما أجمعوا أن محمدا ﷺ لم يتقوله من عنده نظما كقول الشعراء، أو نثرا كقول البلغاء، ولم يقله تخمينا كقول السفهاء، ولا ظنا كقول الكهان والبلهاء، وإنما تلقى القرآن لفظا ومعنى من الله ﷻ بواسطة جبريل ﵇، قال الله ﷻ: ﴿إِنَّهُۥ لَقَوۡلُ رَسُولٖ كَرِيمٖ ۝٤٠ وَمَا هُوَ بِقَوۡلِ شَاعِرٖۚ قَلِيلٗا مَّا تُؤۡمِنُونَ ۝٤١ وَلَا بِقَوۡلِ كَاهِنٖۚ قَلِيلٗا مَّا تَذَكَّرُونَ ۝٤٢ تَنزِيلٞ مِّن رَّبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾[الحاقة:٤٠-٤٣]، فهذا فيه دليل أن القرآن ليس بقول شاعر، وليس بقول كاهن، بل هو كلام الله ﷻ، منزل منه ﷻ، ولهذا قال: ﴿تَنزِيلٞ مِّن رَّبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ وقال بعدها: ﴿وَلَوۡ تَقَوَّلَ عَلَيۡنَا بَعۡضَ ٱلۡأَقَاوِيلِ ۝٤٤ لَأَخَذۡنَا مِنۡهُ بِٱلۡيَمِينِ ۝٤٥ ثُمَّ لَقَطَعۡنَا مِنۡهُ ٱلۡوَتِينَ ۝٤٦ فَمَا مِنكُم مِّنۡ أَحَدٍ عَنۡهُ حَٰجِزِينَ ۝٤٧ وَإِنَّهُۥ لَتَذۡكِرَةٞ لِّلۡمُتَّقِينَ﴾[الحاقة:٤٤-٤٨] فهذا القرآن هو كلامه ﷻ، وأُضيف إلى محمد ﷺ باعتبار البلاغ والأداء، ولم يكن لمحمد ﷺ، ولا لغيره أن يتقول هذا القرآن، ولا يستطيعونه،(٢) قال الله ﷻ: ﴿وَإِنَّهُۥ لَتَنزِيلُ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ۝١٩٢ نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلۡأَمِينُ ۝١٩٣ عَلَىٰ قَلۡبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلۡمُنذِرِينَ ۝١٩٤ بِلِسَانٍ عَرَبِيّٖ مُّبِينٖ﴾[الشعراء:١٩٢-١٩٥] وقال بعدها: ﴿وَمَا تَنَزَّلَتۡ بِهِ ٱلشَّيَٰطِينُ ۝٢١٠ وَمَا يَنۢبَغِي لَهُمۡ وَمَا يَسۡتَطِيعُونَ ۝٢١١ إِنَّهُمۡ عَنِ ٱلسَّمۡعِ لَمَعۡزُولُونَ﴾[الشعراء:٢١٠-٢١٢] وقال بعدها بآيات: ﴿هَلۡ أُنَبِّئُكُمۡ عَلَىٰ مَن تَنَزَّلُ ٱلشَّيَٰطِينُ ۝٢٢١ تَنَزَّلُ عَلَىٰ كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٖ ۝٢٢٢ يُلۡقُونَ ٱلسَّمۡعَ وَأَكۡثَرُهُمۡ كَٰذِبُونَ ۝٢٢٣ وَٱلشُّعَرَآءُ يَتَّبِعُهُمُ ٱلۡغَاوُۥنَ ۝٢٢٤ أَلَمۡ تَرَ أَنَّهُمۡ فِي كُلِّ وَادٖ يَهِيمُونَ ۝٢٢٥ وَأَنَّهُمۡ يَقُولُونَ مَا لَا يَفۡعَلُونَ﴾[الشعراء:٢٢١-٢٢٦].

---

(١) انظر: المجموع ١٢/ ٢٧١، وانظر: المطلب الأول من هذا المبحث.

(٢) انظر: المجموع ٢/ ١٣٧.

ونفى الله ﷻ عن نبيه ﷺ الجنونَ، وبين أنه إنما يتلقاه من جبريل ﵇، كما قال ﷻ: ﴿وَمَا صَاحِبُكُم بِمَجْنُونٍ ۝ وَلَقَدْ رَءَاهُ بِٱلْأُفُقِ ٱلْمُبِينِ ۝ وَمَا هُوَ عَلَى ٱلْغَيْبِ بِضَنِينٍ ۝ وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَيْطَٰنٍ رَّجِيمٍ ۝ فَأَيْنَ تَذْهَبُونَ ۝ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَٰلَمِينَ﴾[التكوير:٢٢-٢٧] « فأضاف الرسول البشري إلينا، وسلب عنه الجنون، وأثبت له ﷺ رؤية جبرائيل، ونفى عنه البخل والتهمة »[(١)] وأعاد القول في أن يكون القرآن قول أحد غير الله ﷻ، لا شيطانٍ ولا غيره، بل هو ذكر من الله لعباده، كما هو نص الآيات السابقة.

وصفة الوحي إلى نبينا ﷺ توافق صفة الوحي إلى من تقدمه من النبيين[(٢)] كما قال الله ﷻ : ﴿إِنَّآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ كَمَآ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰ نُوحٍ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ مِنۢ بَعْدِهِۦ﴾[النساء:١٦٣] فالذي جاء به ﷺ من القرآن إنما هو عن طريق الوحي، كما كان يأتي الوحيُ الأنبياءَ السابقين[(٣)].

وقال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ ٱللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِن وَرَآيِٕ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِىَ بِإِذْنِهِۦ مَا يَشَآءُ ۚ إِنَّهُۥ عَلِىٌّ حَكِيمٌ﴾[الشورى:٥١-٥٢] قال الحافظ ابن كثير ﵀: « هذه مقامات الوحي بالنسبة إلى جناب الله ﷻ وهو أنه ﷻ تارة يقذف في روع النبي شيئا لا يتمارى فيه أنـه من الله ﷻ ...، ﴿أَوْ مِن وَرَآيِٕ حِجَابٍ﴾ كما كلم موسى ﵇...، ﴿أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِىَ بِإِذْنِهِۦ مَا يَشَآءُ﴾ كما ينزل جبريل ﵇، وغيره من الملائكة على الأنبياء ـ عليهم الصلاة والسلام ـ »[(٤)].

فالوحي يكون بواسطة الرسول الملائكي إلى الرسول الإنسي، ونبينا ﷺ تلقى القرآن بواسطة الرسول الملَكي، ولم يتلقاه مباشرة من الله ﷻ، وأن هذا الرسول الملكي هو جبريل ﵇، ولم يأته الوحي بالقرآن عن طريق المنام ولا الإلهام، وإنما كان وحيا

---

(١) المجموع ٤/ ٣٨٨.

(٢) انظر: جامع البيان في تأويل القرآن للطبري ٤/ ٣٦٦، والفتح ١/ ١٥، ٢٦-٢٧.

(٣) انظر: التسهيل لعلوم التنزيل لابن جزي الكلبي ١/ ١٦٤، وتيسير الكريم الرحمن للسعدي ٢/ ٢١٧.

(٤) تفسير القرآن العظيم ٤/ ١٢١-١٢٢، وانظر: زاد المسير لابن الجوزي ٧/ ٢٩٧، فتح البيان في مقاصد القرآن لصديق حسن ٨/ ٣٩٢، محاسن التأويل للقاسمي ٦/ ١٨١.

جليا من غير شك ولا إيهام[(١)].

وإذا ثبت أن الرسول ﷺ إنما كان يتلقى الوحي بواسطة جبريل، فيحسن أن أذكر كيف كان يتلقاه من جبريل عليه السلام، وأذكر صور تلقيه الوحي فأقول ـ وبالله أستعين ـ.

الصورة الأولى: أن يأتيه جبريل عليه السلام بالوحي، وهو على صورته وخلقته التي خلقها الله ﷻ عليه؛ فيراه النبي ﷺ ويسمع منه[(٢)].

ويدل لهذه الصورة قول عائشة رضي الله عنها لما سئلت عن قوله تعالى: ﴿ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ ۝٨ فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ﴾[النجم:٨-٩] قالت: [**ذاك جبريل، كان يأتيه في صورة الرجل، وإنما أتى هذه المرة في صورته التي هي صورته، فسد الأفق**][(٣)]. ويؤكد قولها قول الله ﷻ: ﴿وَلَقَدْ رَءَاهُ بِٱلْأُفُقِ ٱلْمُبِينِ﴾[التكوير:٢٣]، وقوله ﷻ في سياق الآية نفسها: ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ۝٣ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ۝٤ عَلَّمَهُۥ شَدِيدُ ٱلْقُوَىٰ ۝٥ ذُو مِرَّةٍ فَٱسْتَوَىٰ ۝٦ وَهُوَ بِٱلْأُفُقِ ٱلْأَعْلَىٰ ۝٧ ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ ۝٨ فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ ۝٩ فَأَوْحَىٰٓ إِلَىٰ عَبْدِهِۦ مَآ أَوْحَىٰ ۝١٠ مَا كَذَبَ ٱلْفُؤَادُ مَا رَأَىٰٓ ۝١١ أَفَتُمَٰرُونَهُۥ عَلَىٰ مَا يَرَىٰ ۝١٢ وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ ۝١٣ عِندَ سِدْرَةِ ٱلْمُنتَهَىٰ﴾[النجم:٣-١٤] فمن سياق هذه الآيات يتبين أن المراد بالذي رآه النبي ﷺ هو جبريل عليه السلام[(٤)] ويوضح هذا المراد ما رواه مسروق[(٥)] قال قلت: [يا أم المؤمنين انظريني ولا تعجليني! ألم يقل الله ﷻ: ﴿وَلَقَدْ رَءَاهُ بِٱلْأُفُقِ ٱلْمُبِينِ﴾[التكوير:٢٣]، ﴿وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً

---

(١) انظر: أضواء البيان في تفسير القرآن بالقرآن للشيخ محمد الأمين الشنقيطي ٧/ ٤٦٢-٤٦٣.

(٢) انظر: زاد المعاد لابن القيم ١/ ٨٠، والفتح ١/ ٢٧، ٣٢.

(٣) رواه البخاري؛كتاب بدأ الخلق، باب/ إذا قال أحدكم آمين والملائكة في السماء...، ح(٣٢٣٥)، ومسلم؛ كتاب الإيمان، باب/ معنى قول الله ـ عز وجل ـ ﴿وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ﴾، ح(٢٩٠ في الباب).

(٤) انظر: تفسير القرآن العظيم لابن كثير ٤/ ٢٤٩، أضواء البيان للشنقيطي ٣/ ٢٩٨، وفي الآيات تفسير آخر روي عن ابن عباس وغيره أنه ﷺ رأى ربه ﷻ، وانظر هذا في المراجع السابقة، وإنما أشرت إلى الصحيح والذي عليه الأئمة وهو أن المراد بهذه الآيات رؤيته لجبريل عليه السلام.

(٥) الثقة الفقيه العابد: أبو عائشة مسروق بن الأجدع بن مالك الهمداني الكوفي، مخضرم،كان من الفرسان الشجعان، ومن رواة أحاديث خير الأنام، مات سنة (٦٢) وقيل (٦٣) من الهجرة. انظر: تاريخ بغداد ١٣/ ٢٣٢، السير ٤/ ٦٣-٦٩، تقريب التهذيب ص٤٦٠.

أُخۡرَىٰ ﴾[النجم:١٣]؟؟ فقالت: أنا أول هذه الأمة سأل عن ذلك رسول الله ﷺ، فقال: [**إنما هو جبريل، لم أره على صورته التي خلق عليها غير هاتين المرتين، رأيته منهبطا من السماء، ساداً عِظَم خَلقِه ما بين السماء إلى الأرض**]، ثم قالت: أو لم تسمع أن الله يقول: ﴿ وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ ٱللَّهُ إِلَّا وَحۡيًا أَوۡ مِن وَرَآيِٕ حِجَابٍ أَوۡ يُرۡسِلَ رَسُولاً فَيُوحِيَ بِإِذۡنِهِۦ مَا يَشَآءُۚ إِنَّهُۥ عَلِيٌّ حَكِيمٌ ﴾[الشورى:٥١]][(١)].

وقال أبو هريرة ﷺ في قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدۡ رَءَاهُ نَزۡلَةً أُخۡرَىٰ ﴾[النجم:١٣] قال: [**رأى جبريل**][(٢)(٣)].

وقال الحافظ ابن كثير رحمه الله في قوله ﷻ: ﴿ وَهُوَ بِٱلۡأُفُقِ ٱلۡأَعۡلَىٰ ۝ ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ ﴾ «إن هذه الرؤية لجبريل لم تكن ليلة الإسراء، بل قبلها، ورسول الله ﷺ في الأرض، فهبط عليه جبريل عليه السلام، وتدلى إليه فاقترب منه، وهو على الصورة التي خلقه الله عليها، له ستمائة جناح، ثم رآه بعد ذلك نزلة أخرى عند سدرة المنتهى، يعني ليلة الإسراء، وكانت هذه الرؤية الأولى في أوائل البعثة، بعد ما جاءه جبريل عليه السلام أول مرة، فأوحى الله إليه صدر سورة اقرأ، ثم فتر الوحي...، حتى تبدى له جبريل عليه السلام بالأبطح في صورته التي خلقه الله عليها، له ستمائة جناح قد سد عظم خلقه الأفق، فاقترب منه، وأوحى إليه عن الله ﷻ ما أمره به»[(٤)].

قال جابر بن عبد الله الأنصاري رضي الله عنهما، وهو يحدث عن فترة الوحي، قال في حديثه: [**بينا أنا أمشي، إذ سمعت صوتا من السماء، فرفعت بصري فإذا الملك الذي جاءني بحراء، جالس على كرسي بين السماء والأرض، فرعبت منه، فرجعت فقلت زملوني، فأنزل الله ـ تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمُدَّثِّرُ ۝ قُمۡ فَأَنذِرۡ ﴾ إلى قوله: ﴿ وَٱلرُّجۡزَ فَٱهۡجُرۡ ﴾**[المدثر:١-٥] **فحمي الوحي، وتتابع**][(٥)].

---

(١) رواه مسلم؛ كتاب الإيمان، باب/ معنى قول الله ﷻ ﴿وَلَقَدۡ رَءَاهُ نَزۡلَةً أُخۡرَىٰ﴾، ح(١٧٧)، وروى نحوه البخاري، كتاب بدأ الخلق، باب/ إذا قال أحدكم آمين...، ح(٣٢٣٥)، كلاهما عن عائشة رضي الله عنها.

(٢) رواه مسلم؛كتاب الإيمان، باب/ معنى قول الله ـ عز وجل ـ ﴿وَلَقَدۡ رَءَاهُ نَزۡلَةً أُخۡرَىٰ﴾، ح(١٧٥).

(٤) وقال بعض الصحابة أن النبي ﷺ رأى ربه، وأن هذه الآية دليل على ذلك ومنهم ابن عباس رضي الله عنهما، وثبت عنه ذلك.

(٤) تفسير القرآن العظيم ٤/ ٢٤٨.

(٥) رواه البخاري، كتاب بدأ الوحي ح(٤).

فملك الوحي جبريل ﷺ ظهر للرسول ﷺ في صورته الحقيقة الملكية مرتين، فأوحى إليه ما أمره الله ﷻ أن يوحي إلى نبيه، ولندرة هذه الصورة، حيث إنّها لم تحصل إلا مرتين، فإنها لم تذكر في صور الوحي عند بعضهم[(١)].

الصورة الثانية: أن يأتيه جبريل ﷺ **بالوحي، بصورة خفية فلا يُرى، ويظهر عليه** ﷺ **حالة شديدة، فيثقل جسمه، ويتغشاه العرق، ويظهر عليه أثر التغير، ويَسمع عند مجيء الملَك بالوحي صوتا شديدا كوقع الجرس إذا صلصل في أُذن سامعه،** وهذه أشد الحالات عليه ﷺ، فإذا انجلى عنه، وسُري عنه وجد ما أُوحي إليه حاضرا، ولكل ما سمع واعيا، وله حافظا وذاكرا[(٢)].

والدليل على هذا:

أما الثقل والشدة فيدل له قوله ﷻ : ﴿ إِنَّا سَنُلۡقِي عَلَيۡكَ قَوۡلٗا ثَقِيلًا ﴾[المزمل:٥] ومعلوم أن القول هو القرآن، فالقرآن ثقيل ثوابه، وثقيل في تكاليفه، ووقت نزوله من عظمته، وكل ذلك ثابت للقرآن الكريم[(٣)]، وقوله: ﴿ نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلۡأَمِينُ ۝١٩٣ عَلَىٰ قَلۡبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلۡمُنذِرِينَ ﴾[الشعراء:١٩٣-١٩٤] وقوله: ﴿ قُلۡ مَن كَانَ عَدُوّٗا لِّجِبۡرِيلَ فَإِنَّهُۥ نَزَّلَهُۥ عَلَىٰ قَلۡبِكَ ﴾[البقرة:٩٧]، وقال زيد بن ثابت[(٤)] ﷺ : [**فأنزل الله على رسوله** ﷺ**، وفخذه على فخذي، فثقلت عليّ حتى خفت أن تُرَضَّ فخذي، ثم سُرِّيَ عنه**][(٥)]، وقالت عائشة ﷺ : [**إن كان ليُوحى إلى رسول الله** ﷺ **وهو على راحلته، فتضرب بجرانها**][(٦)].

---

(١) انظر: الفتح ١/ ٢٧.

(٢) انظر: زاد المعاد ١/ ٧٩-٨٠.

(٣) انظر: تفسير القرآن العظيم ٤/ ٤٣٥، أضواء البيان ٨/ ٣٧١.

(٤) هو الصحابي الفرضي: أبو سعيد زيد بن ثابت بن الضحاك النجاري الأنصاري الخزرجي، شهد المشاهد بعد أحد وذلك لصغر سنه، وكان من كتاب الوحي، وأمره النبي ﷺ أن يتعلم لغة اليهود، فتعلمها في عشرين يوما، وهو الذي جمع المصحف في خلافة الصديق وعثمان بأمرهما، وكان من قراء الصحابة، توفي بالمدينة. انظر: معجم الصحابة للبغوي ٢/ ٤٦١-٤٧٥، أسد الغابة ٢/ ١٢٦-١٢٧، الإصابة في تمييز الصحابة ١/ ٥٦١-٥٦٢.

(٥) رواه البخاري؛ كتاب الجهاد والسير، باب/ قول الله ﷻ : ﴿لَّا يَسۡتَوِي ٱلۡقَٰعِدُونَ...﴾، ح(٢٨٣٢).

(٦) رواه الإمام أحمد في مسنده ٦/ ١١٨،ح(٢٥٣٨٠)، والحاكم في مستدركه؛كتاب التفسير، تفسير سورة

وربما سُمع مع هذه الشدة لرسول الله ﷺ غطيط كغطيط النائم، كما في حديث يعلى بن أمية[(١)] قال: [...فإذا رسول الله ﷺ محمر الوجه وهو يغط، ثم سري عنه...][(٢)].

وأما أنه ﷺ كان ينزل منه العرق: فيدل له قول عائشة رضي الله عنها : [إن كان لينزل على رسول الله ﷺ في الغداة الباردة، ثم تفيض جبهته عرقا][(٣)]. وقالت أيضا ـ في حديث الإفك ـ : [ولشأني كان أحقر في نفسي مِن أن يتكلم الله عز وجل فيّ بأمر يُتلى... قالت: فوالله ما رام رسول الله ﷺ مجلسه، ولا خرج من أهل البيت أحد، حتى أنزل الله عز وجل على نبيه ﷺ، فأخذه ما كان يأخذه من البُرَحاءِ[(٤)] عند الوحي، حتى إنه ليتحدر منه مثل الجُمان من العرق في اليوم الشاتِ، من ثقل القول الذي أنزل عليه، قالت: فلما سُري عن رسول الله ﷺ وهو يضحك، فكان أول كلمة تكلم بها أن قال: [أبشري يا عائشة، أما الله فقد برأك]، قالت: فأنزل الله عز وجل : ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ جَآءُو بِٱلْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنكُمْ﴾ [النور:١١-٢٠] عشر آيات][(٥)].

=

المزمل، ح(٣٨٦٥)، وقال الذهبي: (صحيح) كما في التلخيص بحاشية المستدرك ٢/ ٥٤٩، وكذا قال الألباني في تحقيقه على فقه السيرة ص ٩٥، والجران: باطن عنق الناقة. انظر: النهاية في غريب الحديث لابن الأثير ١/ ٢٦٣.

(١) هو: يعلى بن أمية بن أبي عبيدة التميمي، حليف قريش، ويقال: بن منية وهي أمه، صحابي مشهور، مات سنة بضع وأربعين، روى له أصحاب الكتب. انظر: الإصابة ٣/ ٦٦٨، التقريب ص٥٣٨.

(٢) رواه البخاري: كتاب فضائل القرآن، باب/ كيف نزل الوحي وأول ما نزل، ح(١٥٣٦)، ومسلم: كتاب الحج، باب/ ما يباح للمحرم...، ح(١١٨٠)، قال البدر العيني: (قوله: وهو يغط، الواو فيه للحال، ويَغِط بفتح الياء، وكسر الغين المعجمة، بعدها طاء مهملة، أي: يَنفُخ، وهو من الغطيط، وهو صوت النَفَس المتردد من النائم، ويقال: الغطيط؛ صوت به بحوحة، وهو كغطيط النائم، أي: شخيره، وصوته الذي يردده في حلقه ومع نفسه، وسبب ذلك شدة الوحي، وثقله) عمدة القاري شرح صحيح البخاري ٧/ ٤٤-٤٥.

(٣) رواه البخاري؛ كتاب بدأ الوحي، باب/ ...، ح(٢) بنحوه، ومسلم بلفظه؛ في كتاب الفضائل، باب/ عرق النبي ﷺ في البرد، وحين يأتيه الوحي، ح(٢٣٣٣).

(٤) البُرَحاء: هو الحمى، وشدة الأذى. انظر: مختار الصحاح ص ٤٦.

(٥) رواه البخاري؛ كتاب الشهادات، باب/ تعديل النساء بعضهن بعضا، ح(٢٦٦١)، ومسلم؛ كتاب التوبة، باب/ في حديث الإفك وقبول توبة القاذف، ح(٢٧٧٠).

وكونه ﷺ **يظهر عليه أثر التغير**، يدل له ما رواه عبادة بن الصامت[١] ﷺ قال: [**كان نبي الله ﷺ إذا أُنزل عليه الوحي، كُرب لذلك، وتربَّد وجهه**]، وقال أيضا: [**كان النبي ﷺ إذا أُنزل عليه الوحيُ نكس رأسه، ونكس أصحابُه رؤوسهم، فلما أُتلِي عنه، رفع رأسه**][٢].

فنزول القرآن على رسول الله ﷺ بهذه الصورة، كان ثقيلا عليه كما ذكر الله ﷻ في القرآن.

وأما كونه ﷺ **يغفى إغفاءة** كما رواه أنس ﷺ قال: [**بينا رسول الله ﷺ ذات يوم بين أظهرنا إذ أغفى إغفاءة، ثم رفع رأسه مبتسما، فقلنا: ما أضحكك يا رسول الله؟ قال: أنزلت عليّ آنفا سورة، فقرأ: بسم الله الرحمن الرحيم** ﴿إِنَّآ أَعۡطَيۡنَٰكَ ٱلۡكَوۡثَرَ ۝١ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنۡحَرۡ ۝٢ إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ ٱلۡأَبۡتَرُ﴾[الكوثر:١-٣]...][٣].

فالمراد بالإغفاءة الحالة التي كانت تعتريه عند نزول الوحي، وهي شبيهة بالنوم وليست كذلك، وبذا يفسر الإغماءة أيضا، ويوضح هذا المراد قول عائشة ﷺ السابق: [**فلما سُري عنه**] أي حالة الوحي، وأيضا قال أنس ﷺ: [**ثم رفع رأسه**] ولم يقل: ثم استيقظ[٤].

وهاتان الصورتان قطعاً ورد نزول القرآن الكريم بهما على النبي ﷺ، وما سواهما من الصور فغير صريح، بل ينبغي الجزم بأن القرآن نزل كله على هاتين الصورتين المذكورتين، وإن كانت الصورة الأولى لم تحصل إلا مرتين، إلا أن الصورة الثانية هي الكثيرة الغالبة، وهي الحالة التي يكون فيها جبريل على صورته الملكية، ويأتي النبي ﷺ بصورة خفية يسمع منه ويعي.

---

(١) هو الصحابي الجليل: أبو الوليد عبادة بن الصامت بن قيس الأنصاري الخزرجي، أحد النقباء، شهد بدرا وما بعدها، وكان طويل القامة، متين الديانة، من حفاظ الصحابة، توفي بالرملة ﷺ. انظر: أسد الغابة ٣/ ٥٦-٥٧، الإصابة في تمييز الصحابة ٢/ ٢٦٨-٢٦٩، تقريب التهذيب ص٢٣٥.

(٢) رواه مسلم؛ كتاب الفضائل، باب/ عرق النبي ﷺ في البرد، وحين يأتيه الوحي، ح(٢٣٣٤)، (٢٣٣٥)، وأتلي: بمعنى أُجْلِيَ.

(٣) رواه مسلم؛ كتاب الصلاة، باب/ حجة من قال: البسملة آية من أول كل سورة سوى براءة، ح(٤٠٠).

(٤) انظر: الإتقان في علوم القرآن ١/ ٦٥-٦٦.

وهناك صور أخرى للوحي، لكن ليس فيها ذكر لنزول القرآن، إما لأنّها جاءت في مورد الأحاديث القدسية، أو الأحاديث النبوية[١]، ومن هذه الصور ـ إضافة إلى الصورتين السابقتين ـ ما يأتي:

٣ ـ الرؤيا المنامية.

٤ ـ الإلهام.

٥ ـ التكليم بلا واسطة، كما حصل في ليلة الإسراء والمعراج[٢].

وذكر السيوطي أن من كيفيات الوحي تكليم الله لنبيه إما في اليقظة، وإما في المنام، قال: «وليس في القرآن من هذا النوع شيء ـ فيما أعلم ـ »[٣] ثم ذكر ما قد يفهم منه تكليم الله بالقرآن إما يقظة أو مناما، وكل ما ذكره غير صريح في الدلالة، فالحق ما قاله من أنه لم ينزل القرآن مناما، وهو الصواب كما تقدم[٤].

قال الحافظ ابن حجر رحمه الله: «القرآن إنما نزل بالوحي الذي يأتيه به الملك لا بالمنام، ولا بالإلهام»[٥].

٦ ـ النفث في الروع؛ كما في الحديث المشهور: **[إن روح القدس ـ وفي رواية: جبريل ـ نفث في روعي أنه لن تموت نفس حتى تستكمل رزقها، فاتقوا الله، وأجملوا في الطلب]**[٦].

---

(١) انظر: المدخل لدراسة علوم القرآن الكريم لمحمد أبي شهبة ص٦٠-٦١.

(٢) انظر: الفتح ١/ ٢٧، زاد المعاد ١/ ٨٠، وقال ابن القيم رحمه الله: «كلام الله له منه إليه بلا واسطة ملَك، كما كلم اللهُ موسى ابن عمران، وهذه المرتبة هي ثابتة لموسى قطعا بنص القرآن، وثبوتها لنبينا ﷺ هو في حديث الإسراء».

(٣) الإتقان في علوم القرآن ١/ ١٢٩.

(٤) انظر: الإتقان في علوم القرآن ١/ ٦٥-٦٦، المدخل لدراسة علوم القرآن الكريم لمحمد أبي شهبة ص٦٠.

(٥) الفتح ٨/ ٦٢٣.

(٦) رواه الحاكم في مستدركه، كتاب البيوع، ح(٢١٣٦) بنحوه، والبغوي في شرح السنة بلفظه؛ كتاب الرقاق، باب/ التوكل على الله ﷻ، ح(٤١١٢)، وغيرهما، وقال الألباني: «صحيح جاء من طرق» كما في تحقيقه على فقه السيرة ص ٩٦، وانظر: بداية السول في تفضيل الرسول للعز بن عبد السلام، تحقيق

وهذه قد ترجع إلى الصورة الثانية أو السابعة، بأن يأتيه في إحدى الكيفيتين وينفث في روعه ـ والله تعالى أعلم ـ[١].

٧ ـ **أن يتمثل له الملك رجلا**، فيخاطبه حتى يعي عنه ما يقوله له، وفي هذه المرتبة كان يراه الصحابة أحيانا[٢]. ويدل له حديث عمر ﷺ المشهور، وفيه: [**يا عمر أتدري من السائل؟ قلت: الله ورسوله أعلم، قال: فإنه جبريل أتاكم يعلمكم دينكم**][٣].

ويدل لهذه الصورة أيضا حديث الحارث بن هشام[٤] ﷺ أنه سأل رسول الله ﷺ، فقال: يا رسول الله كيف يأتيك الوحي؟ فقال رسول الله ﷺ: [**أحيانا يأتيني مثل صلصلة الجرس، وهو أشده عليّ، فيُفصَم[٥] عني، وقد وعيت عنه ما قال، وأحيانا يتمثل لي الملك رجلا فيكلمني، فأعي ما يقول**][٦].

فرسول الله ﷺ تلقى القرآن وجبريل ﷺ على حالته الملَكِية، ورسول الله ﷺ يجد منه ثقلا شديداً، كما هو نص حديث الحارث بن هشام ﷺ، ولا توجد رواية صريحة تفيد نزول جبريل بشيء من القرآن الكريم على غير الصورة المَلَكِيَّة، ولكن ظاهر حديث الحارث ابن هشام يدل على أنه قد يأتيه بالقرآن الكريم وجبريل على غير

=

الألباني ص٥٩، وروعي: أي نفْسِي، وخلدي. انظر: النهاية في غريب الحديث ٢/ ٢٧٧.

(١) انظر: الإتقان في علوم القرآن ١/ ١٢٩.

(٢) انظر: زاد المعاد ١/ ٧٩، المدخل لدراسة القرآن الكريم ص ٨١.

(٣) رواه البخاري، كتاب الإيمان، باب/ سؤال جبريل النبي ﷺ عن الإيمان...، ح(٥٠) عن أبي هريرة ﷺ، ومسلم، كتاب الإيمان، باب/ بيان الإيمان..، ح(١) عن عمر ﷺ.

(٤) هو الصحابي الجليل: أبو عبد الرحمن الحارث بن هشام بن المغيرة بن عبد الله بن مخزوم القرشي، من مسلمة الفتح، ومن أشراف قريش، استشهد بالشام في خلافة عمر ﷺ. انظر: معجم الصحابة للبغوي ٢/ ٤٧-٤٩، الإصابة في تمييز الصحابة ١/ ٢٩٣-٢٩٤، تقريب التهذيب ص ٨٨.

(٥) فيفصم: قال الحافظ: « بفتح أوله، وسكون الفاء، وكسر المهملة، أي: يَقلع ويَتجلى ما يغشاني، ويُروى بضم أوله من الرباعي، وفي رواية لأبي ذر بضم أوله، وفتح الصاد على البناء للمجهول» الفتح ١/ ٢٨، إذا فيها ثلاث لغات: ١ ـ فيَفْصِم. ٢ ـ فيُفْصِم. ٣ ـ فيُفْصَم.

(٦) رواه البخاري؛ كتاب بدأ الوحي، باب/ ...، ح(٢)، ومسلم؛ كتاب الفضائل، باب/ عرق النبي ﷺ في البرد...، ح(٢٣٣٣).

صورته الملكية، وقد ورد أنه جاء على صورة بشر بالوحي لكنه من قبيل الوحي بالسنة، لا الوحي المتلو المتعبد به الذي هو كلام الله ﷻ [(١)].

ويؤكد أن نزول القرآن الكريم كان عن طريق جبريل ﷺ على النبي ﷺ قوله ﷻ: ﴿نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلۡأَمِينُ ۝ عَلَىٰ قَلۡبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلۡمُنذِرِينَ﴾[الشعراء:١٩٣-١٩٤] وقوله: ﴿قُلۡ مَن كَانَ عَدُوّٗا لِّجِبۡرِيلَ فَإِنَّهُۥ نَزَّلَهُۥ عَلَىٰ قَلۡبِكَ بِإِذۡنِ ٱللَّهِ﴾[البقرة:٩٧] فقلبه ﷺ منشغل بنزول القرآن عليه، فيشتد عليه لذلك، «وظاهر هذه الآية أن جبريل ألقى القرآن في قلب النبي ﷺ من غير سماع قراءة...، ولكنه بين في مواضع أخر أن معنى ذلك أن الملك يقرؤه عليه حتى يسمعه منه؛ فتصل معانيه إلى قلبه بعد سماعه، وذلك هو معنى تنزيله على قلبه»[(٢)]؛ فجبريل رسول من رسل الله ملكي ينزل بالذكر وهو القرآن على قلب النبي ﷺ فيعيه ويحفظه، وفي الآيتين بيان محل الوحي الذي ينزل من الله ﷻ بواسطة جبريل ﷺ، وأنه على قلبه ﷺ[(٣)]، **ومما يؤكد أن القرآن كان ينزل عليه وجبريل ليس على صورة رجل الشدة التي كان يلقاها حين نزول الوحي**، كما في حديث يعلى بن أمية أنه قال لعمر ﷺ: [**أرني النبي ﷺ حين يوحى إليه، قال: فبينما النبي ﷺ بالجعرانة[(٤)] ومعه نفرٌ من أصحابه، جاءه رجل فقال: يا رسول الله كيف ترى في رجل أحرم بعمرة وهو مُتَضَمِّخٌ بطيب؟ فسكت النبي ﷺ ساعة، فجاءه الوحي. فأشار عمر إلى يعلى، فجاء يعلى وعلى رسول الله ﷺ ثوب قد أُظل به فأدخل رأسه فإذا رسول الله ﷺ محمر الوجه وهو يَغِطُّ، ثم سُري عنه...**][(٥)]، ويؤكد هذا أنه ﷺ في حالة

---

(١) انظر: المدخل لدراسة علوم القرآن الكريم لمحمد أبي شهبة ص٦٠-٦٢، وقد رأي ﷺ أن القرآن لم ينزل به جبريل وهو على صورة بشر.

(٢) أضواء البيان للشنقيطي ١/ ٦٧.

(٣) انظر: تفسير القرآن العظيم ١/ ١٣٢.

(٤) الجعرانة: بسكون العين المهملة، وتخفيف الراء (جُعْرَانة)، وقد تكسر، وتشدد الراء (جِعِرَّانة)، وهي: موضع قريب من مكة، وهي في الحل، وميقات للحرم. انظر: معجم البلدان ٢/ ١٦٥-١٦٦، عمدة القاري ١٣٥٣٢-٥٣٣.

(٥) رواه البخاري، كتاب فضائل القرآن، باب: نزل القرآن بلسان...، ح(٤٩٨٥)، وفي الحديث أن وحي السنة قد ينزل بالصورة الثانية، وإن كان الأغلب فيها نزول القرآن، قال ابن المنير: «لعله ـ أي البخاري ـ قصد =

نزول جبريل عليه السلام عليه بالقرآن كان يحرك لسانه كالمسترجع لما يلقى عليه، حتى لا ينفلت ما يلقى على قلبه منه، فأنزل الله ﷻ عليه قوله: ﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِۦ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِۦٓ ﴿١٦﴾ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُۥ وَقُرْءَانَهُۥ ﴿١٧﴾ فَإِذَا قَرَأْنَٰهُ فَٱتَّبِعْ قُرْءَانَهُۥ ﴿١٨﴾ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُۥ﴾[القيامة:١٦-١٩].

ولم يختلف السلف أن المخاطب بذلك النبي ﷺ في شأن نزول الوحي[(١)]، قال تعالى: ﴿وَلَا تَعْجَلْ بِٱلْقُرْءَانِ مِن قَبْلِ أَن يُقْضَىٰٓ إِلَيْكَ وَحْيُهُۥ﴾[طه:١١٤] قال ابن عباس رضي الله عنهما **[كان رسول الله ﷺ يعالج من التنزيل شدة، وكان يحرك شفتيه إذا أنزل عليه، فأنزل الله: ﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِۦ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِۦٓ ﴿١٦﴾ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُۥ﴾ قال: علينا أن نجمعه في صدرك، ﴿وَقُرْءَانَهُۥ﴾ أن تقرأه، ﴿فَإِذَا قَرَأْنَٰهُ﴾ يقول: إذا أنزل عليه، ﴿فَٱتَّبِعْ قُرْءَانَهُۥ﴾ فاستمع، ﴿ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُۥ﴾ علينا أن نبينه بلسانك، قال: فكان إذا أتاه جبريل أطرق، فإذا ذهب قرأه كما وعده الله]**[(٢)].

فالشدة التي ذكرها ابن عباس رضي الله عنه كانت في الحالة التي يأتي فيها جبريل عليه السلام على غير الصورة البشرية بل على صورة ملكية خفية[(٣)].

فالنبي ﷺ كان يأتيه الملك بالوحي القرآني، ولم يكن معلمه بشرا، ولم يكن الذي جاءه خيالا، فإن آثار الوحي ظاهرة للناظر إليه ﷺ في حالة التلقي، من الإغفاءة، والعرق، والثقل، ولم يكن الذي يأتيه من تنميق المقال كحال فلاسفة اليونان، وإنما كان يأتيه جبريل عليه السلام بكلام الله الكبير المتعال[(٤)].

= التنبيه على أن الوحي بالقرآن والسنة كان على صفة واحدة، ولسان واحد». الفتح ٨/ ٦٢٧، أو لعل هذه الشدة حصلت له لكون الملَك نزل بالقرآن بقوله تعالى: ﴿وَأَتِمُّوا۟ ٱلْحَجَّ وَٱلْعُمْرَةَ لِلَّهِ﴾ [البقرة:١٩٦]، كما ذكر ذلك الحافظ ابن حجر في الفتح ٣/ ٤٦١، ٤٦٣.

(١) انظر: الفتح ٨/ ٥٤٨.

(٢) رواه البخاري؛ كتاب بدأ الوحي، ح(٥)، وانظر: ح(٤٩٢٨، ٤٩٢٩)، ومسلم: كتاب الفضائل، باب/ كم أقام النبي ﷺ بمكة والمدينة، ح(٢٣٥٠)، وانظر: لمعنى حديث عائشة وابن عباس رضي الله عنهم الفتح ٨/ ٥٤٩-٥٥١.

(٣) انظر: المجموع ١٢/ ٢٩٨-٢٩٩، المدخل لدراسة علوم القرآن الكريم ص ٦١.

(٤) انظر: فقه السيرة للغزالي ص٩٦.

وكان نزول الوحي على النبي ﷺ على مدى ثلاث وعشرين سنة، ثلاث عشرة سنة منها في مكة، وعشر سنوات في المدينة النبوية، كما جاء عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال: [**بُعث رسول الله ﷺ لأربعين سنة، فمكث بمكة ثلاث عشرة سنة يوحى إليه، ثم أمر بالهجرة فهاجر عشر سنين، ومات وهو ابن ثلاث وستين**][1]. **وقالت عائشة وابن عباس** رضي الله عنهم: [**لبث النبي ﷺ بمكة عشر سنين ينزل عليه القرآن، وبالمدينة عشر سنين**][2]، ويمكن أن يجمع بين القولين: بأن من ذكر العشرين فقد ألغى الكسر، ولم يعتبر بالمدد التي هي: الرؤيا الصالحة، وانقطاع الوحي، فتكون عشرين سنة، ومن قال: ثلاث وعشرون، لم يلتفت إلى مدة انقطاع الوحي، واعتبر الرؤيا الصالحة أيضا ـ والله تعالى أعلم ـ[3].

فجبريل عليه السلام يأتي بالوحي المتلو الذي هو القرآن، والوحي غير المتلو، فتارة ينزل جبريل عليه السلام بالمعنى الذي فهمه من أمر الرب جل جلاله ونهيه، كما يقول الملك لمن يثق به: قل لفلان؛ اجمع جندك للقتال، فإن قال الرسول: يقول الملك لا تترك الجند تتفرق، وحثهم على المقاتلة، فإنه لا ينسب إلى كذب، ولا إلى تقصير في أداء الرسالة.

وقسم آخر: قال الله لجبريل، فنزل جبريل بكلام الله من غير تغيير، كما يكتب الملك كتابا ويسلمه إلى أمين، ويقول: اقرأه على فلان، فهو لا يغير منه كلمة، ولا حرفا.

فالقرآن هو من القسم الثاني، والقسم الأول هو السنة[4]، وبهذا يتبين أن القرآن الكريم نزل على محمد الصادق الأمين، بواسطة جبريل الروح الأمين، وهذا كله يؤكد نزول القرآن الكريم من الله رب العالمين، وإذا تيقن نزول القرآن الكريم على نبينا ﷺ، فحان أوان الشروع في بيان نزول القرآن الكريم وكيفيته في المبحث الثاني.

---

(١) رواه البخاري: كتاب مناقب الأنصار، باب/ هجرة النبي ﷺ وأصحابه إلى المدينة، ح(٣٩٠٢)، (٣٩٠٣)، ومسلم: كتاب الفضائل، باب/ كم أقام النبي ﷺ بمكة والمدينة، ح(٢٣٥١)، وانظر: زاد المعاد ١/ ٧٨، الفتح١/ ٣٧، مناهل العرفان في علوم القرآن للزرقاني ١/ ٥٣.

(٢) انظر: صحيح البخاري؛ كتاب فضائل القرآن، باب/ كيف نزل الوحي،ح(٤٩٧٨، ٤٩٧٩).

(٣) انظر: الفتح ٨/ ٦٢٠.

(٤) انظر: الإتقان في علوم القرآن للسيوطي ١/ ١٢٧-١٢٨، المدخل لدراسة القرآن الكريم ص٦٤.

المبحث الثاني: نزول القرآن

المطلب الأول: سماع جبريل[(١)] عليه السلام القرآن.

من المعتقدات السلفية، الثابتة بالكتاب وسنة خير البرية، أن القرآن الكريم كلام رب العالمين، نزل به جبريل عليه السلام، على محمد ﷺ، وجبريلُ سمع القرآنَ الذي هو كلام الله من الله تبارك وتعالى، وبلّغه إلى رسول الله ﷺ.

وجبريل عليه السلام هو الملك المختص بالوحي، وله صفات حميدة، وخِلْقَة شديدة، مع أمانة عظيمة.

ومما ورد في صفاته:

١ ـ **أنه ينـزل بإذن الله** تبارك وتعالى؛ كما قال جل جلاله: ﴿ قُلْ مَن كَانَ عَدُوًّا لِّجِبْرِيلَ فَإِنَّهُۥ نَزَّلَهُۥ عَلَىٰ قَلْبِكَ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ﴾[البقرة:٩٧] وقال: ﴿ وَمَا نَتَنَزَّلُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ لَهُۥ مَا بَيْنَ أَيْدِينَا وَمَا خَلْفَنَا وَمَا بَيْنَ ذَٰلِكَ وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا ﴾[مريم:٦٤] قال ابن عباس رضي الله عنهما: [قال النبي ﷺ لجبريل: [**ما يمنعك أن تزورنا أكثر مما تزورنا؟**] فنـزلت: ﴿ وَمَا نَتَنَزَّلُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ... ﴾][(٢)].

٢ ـ **أنه الروح القدس**؛ والقدس: الطهر، قال تعالى: ﴿ قُلْ نَزَّلَهُۥ رُوحُ ٱلْقُدُسِ مِن رَّبِّكَ بِٱلْحَقِّ ﴾[النحل:١٠٢] **والمعنى**: أن الذي نزّل عليك القرآن يا محمد من الله جل جلاله هو الروح المطهر، فروح القدس هو جبريل عليه السلام باتفاق العلماء[(٣)]، وفي البخاري: [**يا حسان**

---

(١) وجبريل عليه السلام في اسمه لغات كثيرة، ومعناه عبد الله. انظر: زاد المسير لابن الجوزي١/ ١١٨-١١٩ والإجماع في التفسير لمحمد بن عبد العزيز الخضيري ص١٧٩-١٨٢.

(٢) رواه البخاري؛ كتاب التفسير، تفسير سورة كهيعص، ح(٤٧٣١)، وانظر: محاسن التأويل ٥/ ٨٧.

(٣) صحيح البخاري ص٩٨٥، المحرر الوجيز لابن عطية ٣/ ٤٢١، تفسير القرآن العظيم ٢/ ٥٨٦، وشرح الواسطية للفوزان ص٩٤، والإجماع في التفسير للخضيري ص ٣٣٦-٣٣٨.

أجب عن رسول الله ﷺ، اللهم أيده بروح القدس] وفي رواية: **[هاجهم وجبريل معك]**[(١)]. وقال حسان[(٢)] رضي الله عنه:

وجبريل رسولُ الله فينا   وروح القُدْسِ ليس له كِفاء[(٣)]

٣ ـ أنه الروح الأمين: قال الله تعالى: ﴿وَإِنَّهُۥ لَتَنزِيلُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٩٢﴾ نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ﴾[الشعراء:١٩١-١٩٣] والروح الأمين هو جبريل عليه السلام بالإجماع[(٤)]، و«في قوله: (الأمين) دلالة على أنه مؤتمن على ما أرسل به، لا يزيد فيه، ولا ينقص، فإن الرسول الخائن قد يغير الرسالة»[(٥)].

وفي (نزل) قراءتان؛ الأولى: بالتخفيف، ورفع الروح ﴿نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ﴾[(٦)]، والمعنى: جبريلُ الروحُ الأمينُ هو الذي نزل بالقرآن على محمد ﷺ.

والثانية: بالتشديد ونصب الروح ﴿وَإِنَّهُۥ لَتَنزِيلُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٩٢﴾ نَزَّلَ بِهِ ٱلرُّوحَ ٱلْأَمِينَ﴾ بمعنى: أن الله نزل بالقرآن الروحَ الأمين، وهو جبريل عليه السلام، **قال ابن جرير** رحمه الله: «والصواب: أنهما قراءتان... فبأيتهما قرأ القاري فمصيب، وذلك أن الروح الأمين إذا نزل على محمد ﷺ بالقرآن، لم ينـزل به إلا بأمر الله إياه بالنـزول، ولن يجهل أن ذلك

---

(١) رواهما البخاري؛ في كتاب الأدب، باب/ هجاء المشركين، ح(٦١٥٢، ٦١٥٣)، ومسلم؛ كتاب فضائل الصحابة، باب/ فضائل حسان ابن ثابت، ح(٢٤٨٥، ٢٤٨٦).

(٢) سيد الشعراء الصحابي الجليل: أبو الوليد حسان بن ثابت بن المنذر بن حرام النجاري الخزرجي الأنصاري، شاعر رسول الله ﷺ، المؤيد بروح القدس، كان يوضع له منبر في المسجد فينافح عن رسول الله ﷺ، عاش ستين سنة في الجاهلية ومثلها في الإسلام، توفي سنة ٥٤هـ، وقيل غير ذلك. انظر: أسد الغابة لابن الأثير ١/ ٤٨٢-٤٨٤، السير ٢/ ٥١٢-٥٢٣، الإصابة ١/ ٣٢٦، وانظر: الاستيعاب في معرفة الأصحاب ١/ ٣٣٥-٣٤٣ المطبوع بهامش الإصابة.

(٣) أخرجه مسلم؛ كتاب فضائل الصحابة، باب/ فضائل حسان، ح(٢٤٩٠)، وانظر: زاد المسير لابن الجوزي ١/ ١١٨.

(٤) انظر: الإجماع في التفسير للخضيري ص ٣٥٨-٣٥٩.

(٥) المجموع ١٢/ ١١٨، وانظر: ١٢/ ٣٨.

(٦) هذه قراءة: نافع، وابن كثير، وأبو عمرو، وأبوجعفر، وحفص عن عاصم، والقراءة الثانية: للباقين. انظر: القراءات العشر المتواترة في هامش القرآن الكريم، إعداد/ محمد كريم راجح.

كذلك ذو إيمان بالله، وأن الله إذا أنزله به نزل»[(١)].

٤ ـ أنه ذو القوة الشديدة: كما قال الله ﷻ: ﴿ عَلَّمَهُۥ شَدِيدُ ٱلْقُوَىٰ ۝ ذُو مِرَّةٍ فَٱسْتَوَىٰ ﴾[النجم:٥-٦] والقوى: جمع قوة، ويبينه قوله ﷻ: ﴿ ذِى قُوَّةٍ عِندَ ذِى ٱلْعَرْشِ مَكِينٍ ﴾[التكوير:٢٠]، و(**ذو مرة**) ذو قوة، وهيئة حسنة، وجسم حسن، وهذه الأوصاف على الصحيح لجبريل ﷺ[(٢)] بل المعلم الشديد القوي بالإجماع هو جبريل ﷺ[(٣)].

ومما يدل على قوته، وعظيم خلقته، قول ابن مسعود ﷺ في قوله ﷻ: ﴿ فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ ۝ فَأَوْحَىٰٓ إِلَىٰ عَبْدِهِۦ مَآ أَوْحَىٰ ﴾[النجم:٩-١٠] **قال عن النبي ﷺ: [أنه رأى جبريل له ستمائة جناح]**[(٤)]، وفي حديث جابر ﷺ مرفوعا: **[فبينا أنا أمشي سمعت صوتا من السماء، فرفعت رأسي، فإذا الملك الذي جاءني بحراء جالسا على كرسي بين السماء والأرض]**[(٥)].

ومما يدل على مِرَّتِه أن الله ﷻ أقدره على التشكل فيأتي بصورة رجل، كما في حديث عمر ﷺ المشهور، وغيره[(٦)].

٥ ـ أنه مكين مطاع: كما **قال تعالى**: ﴿ إِنَّهُۥ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ۝ ذِى قُوَّةٍ عِندَ ذِى ٱلْعَرْشِ مَكِينٍ ۝ مُّطَاعٍ ثَمَّ أَمِينٍ ﴾[التكوير:١٩-٢١] **والمكين**: المتمكن ذو القَدر والمنزلة، ومطاع أي: تطيعه الملائكة في السماوات، وهذه الطاعة لمكانته، والمكانة لأمانته[(٧)].

---

(١) جامع البيان ٩/ ٤٧٥، وانظر: معالم التنزيل للبغوي ٦/ ١٢٨.

(٢) انظر: معالم التنزيل للبغوي ٧/ ٤٠٠، المحرر الوجيز لا بن عطية ٥/ ١٩٦-١٩٧.

(٣) انظر: الإجماع في التفسير للخضيري ص ٣٩٩-٤٠٢.

(٤) رواه البخاري؛ كتاب بدأ الخلق، باب/ إذا قال أحدكم آمين والملائكة في السماء...، ح(٣٢٣٢).

(٥) رواه البخاري؛ كتاب بدء الوحي، باب/ ...،ح(٤)، ومسلم؛ كتاب الإيمان، باب/ بدء الوحي إلى رسول الله، ح(١٦١).

(٦) انظر: صحيح البخاري؛ كتاب الإيمان، باب/ سؤال جبريل النبي ﷺ عن الإيمان والإسلام والإحسان...، ح(٥٠)، و صحيح مسلم؛ كتاب الإيمان، باب/ بيان الإيمان والإسلام والإحسان...، ح(٨).

(٧) انظر: المفردات في غريب القرآن للراغب ص ٤٧٤، زاد المسير لابن الجوزي ٩/ ٤٣، تبصير الرحمن وتيسير المنان للمهايمي ٢/ ٣٩١.

وتفيد الآية: أن جبريل ﷺ ينقل القول كما يسمعه لأنه رسول كريم كما قال: ﴿ إِنَّهُۥ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ﴾ فلا يغير من الرسالة شيئا بإرادته لأنه كريم، ولا يتأتى منه التغيير من غير إرادة منه لأنه وصف بأنه ﴿ذِى قُوَّةٍ﴾ فلا يقع منه النقص في البلاغ، أما لو كان الرسول ضعيفا فلربما وقع منه النقص لضعفه دون إرادة منه، فجبريل ﷺ أمين على وحي الله ﷻ ورسالته[(١)]؛ و«لما كان جبرائيل هو الذي جاء بالرسالة، وهو صاحب الوحي، وهو غيب عن الناس، لم يروه بأبصارهم، ولم يسمعوا كلامه بآذانهم، وزعم زاعمون أن الذي يأتيه شيطان يعلمه ما يقول، أو أنه إنما يعلمه إياه بعض الإنس، أخبر الله العباد أن الرسول الذي جاء به، ونعته أحسن النعت، وبين حاله أحسن البيان...، ثم وصفه بالصفات التي تنفي كل عيب، من القوة والمكنة[(٢)]، والأمانة والقرب من الله سبحانه، فلما استقر حال الرسول الملكي، بين أنه من جهته، وأنه لا يجيء إلا بالخير»[(٣)].

وإذا كانت هذه هي أوصاف الرسول الملكي الذي يأتي بالقرآن، أنه قوي أمين، ومكين مطاع، قادر على أداء الأمانة، وبلاغ الرسالة، وسماع كلام الله ﷻ وتبليغه، تيقنا أنه يقول كما سمع مبلغا كما قال تعالى: ﴿ إِنَّهُۥ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ﴾[التكوير:١٩] و«ليس القرآن كلام جبريل، ولا كلام محمد، بل هو كلام رب العالمين، وهذا متفق عليه بين الصحابة، والتابعين، وأئمة المسلمين»[(٤)]، و«لا يجوز إضافة هذا الكلام المسموع الذي هو القرآن إلى غير الله بوجه من الوجوه، إلا على سبيل التبليغ كقوله تعالى: ﴿ إِنَّهُۥ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ﴾ »[(٥)].

---

(١) انظر: المحرر الوجيز لابن عطية ٥/ ٤٤٤، تبصير الرحمن للمهايمي ٢/ ٣٩٠-٣٩١، محاسن التأويل للقاسمي ٧/ ٢٧٢، أضواء البيان للشنقيطي ٧/ ٤٦٢-٤٦٣.

(٢) الصواب: المكانة، ولكنها في المطبوع كما ذكرت.

(٣) المجموع ٤/ ٣٨٩.

(٤) المجموع ١٢/ ٥٥٤.

(٥) المجموع ١٢/ ٤١٦.

فإذا قرأه المبلغ سواء كان جبريل ﷺ، أو محمد ﷺ، أو غيرهما ممن يبلغون دين الله وكتابه، يبقى الكلام كلام الله، وتكون الإضافة باعتبار البلاغ، وإلا فإن التبليغ لا يخرج الكلام عن كونه كلام من قاله مبتدءا آمرا وناهيا ومخبرا، وليس على الرسل إلا البلاغ المبين[(١)].

وقد تلقى جبريلُ ﷺ الوحيَ من الله ﷻ بالقرآن، ولم يأخذ جبريلُ القرآنَ من غير الله تعالى، لا من اللوح المحفوظ، ولا من السفرة الكرام البررة، ولا من بيت العزة في السماء الدنيا، ويدل لهذا الأدلة الكثيرة، من الكتاب والسنة المستفيضة، وإجماع سلف الأمة.

فمن الكتاب:

١ ـ قول الله ﷻ : ﴿ قُلْ نَزَّلَهُۥ رُوحُ ٱلْقُدُسِ مِن رَّبِّكَ بِٱلْحَقِّ﴾[النحل:١٠٢] ففيه بيانٌ لنـزول جبريل بالقرآن من الله تعالى، وهذا مقتضى الآية، « وإذا كان روح القدس نزل به من الله، علم أنه سمعه منه، ولم يؤلفه هو، وهذا بيان من الله أن القرآن الذي هو باللسان العربي المبين، سمعه روح القدس من الله، ونزل به منه »[(٢)].

٢ ـ قوله ﷻ : ﴿ وَإِنَّهُۥ لَتَنزِيلُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٩٢﴾ نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ ﴾[الشعراء:١٩٢-١٩٤] فأخبر فيها ـ وفي غيرها من الآيات ـ أن القرآن نزل منه ﷻ، وأنه نزل به جبريل ﷺ منه، وجبريل الروح الأمين سمعه من الله، وبلغه إلى رسول الله ﷺ[(٣)].

٣ ـ قال الله تعالى: ﴿ أَفَغَيْرَ ٱللَّهِ أَبْتَغِى حَكَمًا وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ إِلَيْكُمُ ٱلْكِتَٰبَ مُفَصَّلًا ۚ وَٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَعْلَمُونَ أَنَّهُۥ مُنَزَّلٌ مِّن رَّبِّكَ بِٱلْحَقِّ ۖ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُمْتَرِينَ ﴾ [الأنعام:١١٤] وقال ـ في غير ما آية ـ: ﴿ تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ ﴾ [الزمر:١]

(١) انظر: المجموع ١٢/ ٧١-٧٢.
(٢) المجموع ١٢/ ١٢٤، وانظر: المجموع ١٢/ ١١٨، ١٢٣، ٥١٩، ٥٥٤.
(٣) انظر: الجواب الصحيح ٢/ ١٨٢، المجموع ١٢/ ٥١٩، ٥٥٤.

﴿ تَنزِيلٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾[الواقعة:٨٠]؛ **ففي هذه الآيات:** إثبات أن القرآن منـزل من الله، وهذا يلزم أن يكون جبريل ﷺ أخذ منه القرآن، وفيها بطلان لقول من يقول: إن جبريل أخذه من اللوح المحفوظ، أوغيره، وبطلان قول من يقول: إنما أُلهمه جبريل فعبر عن القرآن[١]؛ فـ« ليس بين جبريل وبين الله واسطة، ولا بين جبريل ومحمد ﷺ واسطة »[٢].

والدليل من السنة:

١ ـ ما رواه عبد الله بن مسعود ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ : [**إذا تكلم الله تعالى بالوحي، سمع أهل السماء للسماء صلصلة كجر السلسلة على الصفا، فيصعقون، فلا يزالون كذلك، حتى يأتيهم جبريل، حتى إذا جاءهم جبريل فُزِّع عن قلوبهم، قال: فيقولون: يا جبريلُ ماذا قال ربك؟ فيقول: الحق، الحق**][٣]. **فهذا فيه** أن جبريل ﷺ يسمع الوحي من الله ﷻ، ولهذا أورده الإمام أبو داود تحت باب: (في القرآن)[٤]، وابن خزيمة[٥] في باب: « من صفة تكلم الله ﷻ بالوحي »[٦].

(١) انظر: الحجة في بيان المحجة للأصبهاني ١/ ٣٠٣، المجموع ١٢/ ١٢٠، تفسير القرآن العظيم لابن كثير ٣/ ٥٣٦.

(٢) أحكام القرآن لابن العربي ٤/ ١٩٦٢.

(٣) روى البخاري معلقا موقوفا نحوه من قول ابن مسعود ﷺ، كما في صحيحه؛كتاب التوحيد، باب/ قول الله تعالى: ﴿ وَلَا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ ﴾...، ص١٥٦٩، وأبو داود في سننه؛ كتاب السنة، باب/ في القرآن، ح(٤٧٣٨)، وغيره، قال الألباني: «إسناد صحيح على شرط الشيخين» كما في السلسة الصحيحة ٣/ ٢٣٨ ح(١٢٩٣) وقال: «والموقوف وإن كان أصح من المرفوع...، فإنه لا يعل المرفوع، لأنه لا يقال من قبل الرأي، كما هو ظاهر، لا سيما وله شاهد من حديث أبي هريرة ﷺ مرفوعا بنحوه»، وحديث أبي هريرة ﷺ المشار إليه أخرجه البخاري؛ كتاب التفسير، تفسير سورة الحجر، ح(٤٧٠١).

(٤) انظر: سنن أبي داود ٥/ ٦٨-٧٠.

(٥) هو إمام الأئمة الحافظ الحجة: أبو بكر محمد بن إسحاق بن خزيمة بن المغيرة السلمي النيسابوري، ولد سنة ٢٢٣، وعنى في صغره بالحديث والفقه، فحاز فيهما السبق، وأخذ من خلق، وأخذ عنه كثيرون منهم الشيخان في غير الصحيحين، وكان لا يهتم بأمور الدنيا ولا يفرق بين العشرة والعشرين، مع السخاء والجود، مهتما بالعلم والحفظ، حتى قيل: إنه يحفظ المسائل الفقهية من حديثه كما يحفظ القارئ السورة، ومن مؤلفاته السنية كتاب التوحيد وإثبات صفات الرب، توفي ﷺ سنة ٣١١هـ. انظر: الجرح والتعديل ٧/ ١٩٦، السير ١٤/ ٣٦٥-٣٨٢، طبقات الشافعية للسبكي ٣/ ١٠٩-١١٩.

(٦) انظر: كتاب التوحيد وإثبات صفات الرب لابن خزيمة ص ١٤٥.

فالملائكة وفيهم جبريل ﷺ يسمعون صوت الرب ﷻ بالوحي، قويا له صلصلة، فيصعقون من عظمته، وشدته، فهذا فيه أن جبريل سمع الوحي من الله ﷻ(١).

٢ ـ ما رواه أبو هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ : [**إن الله ﷻ إذا أحب عبدا نادى جبريلَ؛ إن الله قد أحب فلانا فأحبه، فيحبه جبريل، ثم ينادي جبريل في السماء: إن الله قد أحب فلاناً فأحبوه، فيحبه أهل السماء، ويوضع له القبول في الأرض...**]. ففي الحديث التنصيص على نداء الله ﷻ لجبريل، وأنه سمع كلام الرب ﷻ، ولهذا بوب له البخاري ﷺ بعنوان: «باب: كلام الرب مع جبريل، ونداء الله الملائكة»(٢)؛ لأنه إذا ثبت سماع جبريل لكلام الله ﷻ فإن القرآن من كلام الله تعالى، فإذا ثبت العام فإن الخاص داخل فيه.

٣ ـ قالت عائشة ﷺ في قصة الإفك: [**ولكن والله ما كنت أظن أن الله ينـزل في براءتي وحيا يُتلى، ولشأني في نفسي كان أحقر من أن يتكلم الله فيّ بأمر يُتلى، ولكني كنت أرجو أن يرى رسول الله ﷺ في النوم رؤيا يبرئني الله بها، فأنزل الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ جَآءُو بِٱلۡإِفۡكِ﴾[النور:١١-٢٠] العشر الآيات**](٣).

فالأثر وقول عائشة ﷺ يدل على سماع جبريل لكلام الله ﷻ، ونزوله به، ولهذا أورده الإمام البخاري تحت باب: «قول الله تعالى: ﴿يُرِيدُونَ أَن يُبَدِّلُواْ كَلَٰمَ ٱللَّهِ﴾ [الفتح:١٥]»(٤).

والدليل من الإجماع:

١ ـ قال الإمام أبو جعفر الطحاوي ﷺ: «ولا نجادل في القرآن، ونشهد أنه كلام

---

(١) انظر: تعليق الشيخ محمد خليل هراس على الحديث في حاشية كتاب التوحيد لابن خزيمة ص ١٤٦.

(٢) صحيح البخاري؛ كتاب التوحيد، ص١٥٧٠، وانظر: المختار في أصول السنة لأبي علي الحسن بن أحمد ابن البنا الحنبلي ص ١٠١.

(٣) رواه البخاري؛ كتاب التوحيد، باب/ قول الله تعالى ﴿يُرِيدُونَ أَن يُبَدِّلُواْ كَلَٰمَ ٱللَّهِ﴾، ح(٧٥٠٠)، ومسلم بطوله؛ كتاب التوبة، باب/ في حديث الإفك...، ح(٢٧٧٠).

(٤) انظر: صحيح الإمام البخاري، كتاب التوحيد، ص(١٥٧١-١٥٧٣).

رب العالمين، نزل به الروح الأمين، فعلمه سيد المرسلين ﷺ، وهو كلام الله تعالى »[١].

٢ ـ قال الإمام أبو عثمان الصابوني رحمه الله: « ويشهد أصحاب الحديث، ويعتقدون أن القرآن كلام الله، وكتابه، وخطابه، ووحيه، وتنـزيله غير مخلوق، ومن قال: بخلقه، واعتقده، فهو كافر عندهم، والقرآن الذي هو كلام الله، ووحيه هو الذي ينـزل به جبريل على الرسول ﷺ »[٢].

٣ ـ قال قوام السنة الأصبهاني: « كلام الله تعالى مدرك مسموع بحاسة الأذن، فتارة يسمع من الله تعالى، وتارة يسمع من التالي، فالذي يسمعه من الله تعالى مَن يتولى خطابه بنفسه بلا واسطة، ولا ترجمان »[٣]. وقال بعدها بأبواب: « باب: في بيان أن القرآن وحي من الله ﷻ، جاء به جبريل عليه السلام إلى رسول الله ﷺ »[٤].

٤ ـ قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: « وجبريل سمعه ـ أي القرآن ـ من الله، وسمعه محمد ﷺ من جبريل »[٥]، وقال: « والنبي ﷺ سمعه من جبريل، وهو الذي نزل عليه به، وجبريل سمعه من الله تعالى، كما نص على ذلك أحمد وغيره من الأئمة...، ولم يقل أحد من السلف: إن النبي ﷺ سمعه من الله... »[٦].

٥ ـ قال الحافظ ابن حجر رحمه الله: « والمنقول عن السلف اتفاقهم على أن القرآن كلام الله غير مخلوق، تلقاه جبريل عن الله، وبلغه جبريل إلى محمد ﷺ، وبلغه ﷺ إلى أمته »[٧].

٦ ـ قال ابن مانع[٨] رحمه الله: « اعلم أن مذهب السلف الصالح في "القرآن" أنه

---

(١) العقيدة الطحاوية ص ٥٧-٦٠، بتعليق الشيخ الألباني.

(٢) عقيدة السلف أصحاب الحديث ص ٣٠.

(٣) الحجة في بيان المحجة ١/ ٢٨٤.

(٤) الحجة في بيان المحجة ١/ ٣٠٢.

(٥) المجموع ١٢/ ٥٥٤.

(٦) المجموع ١٢/ ٢٩٨.

(٧) الفتح ١٣/ ٤٧١.

(٨) هو العلامة الشيخ: محمد بن عبد العزيز بن محمد بن مانع الوهيبي التميمي، ولد بعنيزة سنة ١٣٠٠هـ، ورحل لطلب العلم، حتى استقر في الأزهر، وأخذ عن الشيخ محمد الذهبي، وجمال الدين القاسمي،

كلام الله، منـزل غير مخلوق، منه بدأ وإليه يعود، تكلم الله به صدقا، وسمعه منه جبريل حقا، وبلّغه محمداً وحياً»(١).

وبهذا يتبين أنه من المتفق عليه بين السلف الصالح أن جبريل عليه السلام تلقى القرآن من الله سماعا، وأخذه بلفظه ومعناه.

وفي تلقي جبريل عليه السلام الوحيَ من الله عز وجل دون واسطة إعظام للقرآن، وتكريم لشأنه، وشأن من أنزل عليه، وتنبيه إلى العناية به، وأهميته، فالله تعالى المرسِل المتكلم بالقرآن، وجبريل عليه السلام الرسول الملكي مرسَلٌ بالرسالة العظيمة وهي الوحي، لينـزله على محمد ﷺ الرسول البشري المرسَل بالفرقان.

وإذا تبين أن جبريل إنما تلقى القرآن سماعا من الله تعالى، ثم نزل به إلى النبي ﷺ، فيحسن الآن الشروع في بيان تنـزلات القرآن الكريم، وهذا ما أوضحه في المطلب الثاني.

= ومحمود شكري الألوسي وأكثر من ملازمته، وقرأ عليه كتب شيخ الإسلام ابن تيمية، ثم رجع إلى عنيزة، ثم دعي إلى البحرين لمكافحة التنصير وأقام بها أربع سنوات، ثم تولى القضاء في قطر والخطابة والتدريس مدة أربع وعشرين سنة، ثم دعاه الملك عبد العزيز للتدريس في الحرم المكي فدرس فيه، ثم عين مديرا للمعارف في مكة، وولي رئاسة هيئة التمييز، وكان خيرا حاثا على نشر الكتب السلفية، له مؤلفات كثيرة، منها: حاشية على دليل الطالب، القول السديد فيما يجب لله على العبيد، شرح على العقيدة السفارينية "الكواكب الدرية لشرح الدرة المرضية"، توفي في بيروت بعد أن سافر إليها للعلاج سنة ١٣٨٥هـ، ودفن بالدوحة. انظر: الأعلام للزركلي ٦/ ٢٠٩، المستدرك على معجم المؤلفين ص٦٨٢، مقدمة شرح العقيدة السفارينية.

(١) شرح العقيدة السفارينية للشيخ محمد بن عبد العزيز بن مانع ص٧٦.

المطلب الثاني: كيفية نزول القرآن.

من عقائد السلف أن جبريل ﷺ سمع القرآن من الله ﷻ، ثم نزل بأمر الله ﷻ به على النبي ﷺ، وهذا النـزول للقرآن الكريم متفق عليه، وقد تم هذا النـزول نجوما مفرقا على مدى عقدين من الزمن فأكثر، ويُسمى هذا التنـزل بـ"**نزول القرآن منجما**"، وهناك نزولٌ آخر ورد عن السلف، ودل عليه ظاهر القرآن، وهو "**نزوله جملة إلى السماء الدنيا**".

ومعرفة تنـزلات القرآن مهمّة، فالإيمان بكونه منـزلا باب للإيمان، وأشار إلى هذا أمير المؤمنين في الحديث البخاري ﷺ حيث ابتدأ «صحيحه ببدء الوحي ونزوله، فأخبر عن صفة نزول العلم والإيمان على الرسول ﷺ أولا، ثم أتبعه بكتاب الإيمان الذي هو الإقرار بما جاء به، ثم بكتاب العلم الذي هو معرفة ما جاء به، فرتبه الترتيب الحقيقي»[(١)] فمعرفة نزول القرآن طريق الإيمان.

ولبيان تنـزلات القرآن الكريم، أقسم هذا المطلب إلى مسألتين.

المسألة الأولى: نزول القرآن الكريم جملة إلى السماء الدنيا.

أنزل الله ﷻ القرآن جملة واحدة إلى بيت العزة في السماء الدنيا، في الليلة المباركة، ليلة القدر، في شهر رمضان، وكذلك إبتداء إنزاله إلى النبي ﷺ كان في شهر رمضان[(٢)].

ومن الأدلة على هذا:

١ ـ الآيات الثلاث: وهي قوله تعالى: ﴿ إِنَّآ أَنزَلۡنَٰهُ فِي لَيۡلَةٖ مُّبَٰرَكَةٍ ﴾[الدخان:٣]، وقوله: ﴿ إِنَّآ أَنزَلۡنَٰهُ فِي لَيۡلَةِ ٱلۡقَدۡرِ ﴾[القدر:١] وقوله: ﴿ شَهۡرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِيٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلۡقُرۡءَانُ ﴾[البقرة:١٨٥] ففيها أن نزول القرآن كان في ليلة وصفت بأنها مباركة، وهي

---

(١) المجموع ٢/ ٤.

(٢) انظر: الحجة في بيان المحجة لقوام السنة ١/ ٢٧٨، المجموع ١٦/ ٣٠٧.

ليلة القدر، وهذه الليلة في شهر رمضان[١].

وهذا «نص في أن القرآن نزل في شهر رمضان...، ولا خلاف أن القرآن أنزل من اللوح المحفوظ، ليلة القدر، جملة واحدة، فوضع في بيت العزة في السماء الدنيا»[٢].

فظاهر هذه الآيات أن نزول القرآن كان جملة واحدة، وهذا نزول غير النـزول على النبي ﷺ الذي هو منجم على سنين.

٢ ـ قال ﷺ : **[أنزلت صحف إبراهيم أول ليلة من رمضان، وأنزلت التوراة لست مضين من رمضان، وأنزل الإنجيل لثلاث عشرة خلت من رمضان، وأنزل القرآن لأربع وعشرين خلت من رمضان]**[٣]. وهذا ـ والله أعلم ـ: نزول الملك بالقرآن من اللوح المحفوظ، إلى سماء الدنيا[٤].

٣ ـ قال ابن عباس ﷺ في قوله تعالى: ﴿ إِنَّآ أَنزَلۡنَٰهُ فِي لَيۡلَةِ ٱلۡقَدۡرِ ﴾[القدر:١] قال: **[أنزل القرآن جملة واحدة في ليلة القدر إلى السماء الدنيا، وكان بموقع النجوم، وكان الله ينـزله على رسوله ﷺ بعضه إثر بعض]**[٥].

٤ ـ وعن ابن عباس ﷺ قال: **[أنزل الله القرآنَ إلى السماء الدنيا في ليلة القدر، فكان الله إذا أراد أن يوحي منه شيئا أوحاه ـ أو أن يُحدث منه في الأرض شيئا أحدثـه ـ]**[٦].

---

(١) انظر: جامع البيان للطبري ٢/ ١٥٠-١٥١، التسهيل لعلوم التنـزيل لابن جزي ٤/ ٣٤، تفسير القرآن العظيم لابن كثير ٤/ ١٣٧، ٥٢٩، فتح البيان لصديق حسن ١٠/ ٤٠٥.

(٢) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ٢/ ٩٩.

(٣) رواه الإمام أحمد في المسند، من حديث واثلة بن الأسقع، ٤/ ١٠٧، ح(١٧١٠٩)، والطبري في التفسير ٢/ ١٥٠، وقال الألباني: «هذا إسناد حسن رجاله ثقات» كما في السلسلة الصحيحة ٤/ ١٠٤، ح(١٥٧٥)، وروى نحوه الطبري في التفسير ٢/ ١٥٠، من حديث ابن عباس موقوفا، وروى الحديث غيرهما. انظر: تفسير القرآن العظيم لابن كثير ١/ ٢١٦، الدر المنثور ١/ ٤٥٦.

(٤) انظر: تفسير القرآن العظيم ١/ ٢١٦.

(٥) رواه النسائي في السنن الكبرى، كتاب التفسير، سورة القدر،ح(١١٦٢٥)، ورواه الحاكم في مستدركه؛ كتاب التفسير، ح(٢٨٧٨)، وقال: «هذا حديث صحيح على شرطهما ولم يخرجاه»، ووافقه الذهبي كما في التلخيص في حاشية المستدرك.

(٦) رواه النسائي في فضائل القرآن ص ٥٩، والحاكم في مستدركه ؛كتاب التفسير، سورة القدر، ح(٢٨٧٧)، وقال: «هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه»، ووافقه الذهبي كما في التلخيص.

والآثار في هذا عن ابن عباس ﵄ كثيرة، يعضد بعضها بعضا، وهي وإن كانت موقوفة في جملتها فإن لها حكم الرفع إلى النبي ﷺ، لأن هذا مما لا مجال للرأي فيه، وهو خبر متعلق بالقرآن فلا يكون من الإسرائيليات، خصوصا أنه يؤكد هذا القول بالتفصيل والتحديد، فيحمل هذا على السماع، وأن هذا التنـزيل ثابت.

وهذا التنـزيل لم ينكره ـ بحسب ما أعلم ـ أحد من السلف السابقين[1]، حتى

---

(١) وقد نسب بعض المصنفين إنكار هذا التنـزيل إلى بعض السلف، وهم:

١ ـ **الشعبي**: عامر بن شراحيل أبو عمرو، ثقة مشهور، فقيه فاضل، مات بعد المائة، وله نحو من ثمانين سنة، روى له الجماعة. انظر: السير ٤/ ٢٩٤، تقريب التهذيب ص٢٣٠.

٢ ـ **محمد بن إسحاق** بن يَسار القرشي المدني، إمام المغازي، صدوق يدلس، ورمي بالتشيع والقدر، مات سنة (١٥٠هـ)، وقيل بعدها، روى له أصحاب السنن، ومسلم في المتابعات، والبخاري تعليقا. انظر: السير ٧/ ٣٣، تقريب التهذيب ص٤٠٣.

أما محمد بن إسحاق المدني فقد نسب الإنكار إليه الرازي في تفسيره (٥/ ٨٥) دون أن يذكر دليلا، فلا يحتاج إلى رد، ويكفي أنه لم يذكر دليلا على هذه النسبة.

وأما الشعبي: فقد نَسب إليه الإنكار عامةُمن ألف في علوم القرآن، خصوصا من جاء بعد أبي شامة، وعدوا قوله قولا ثالثا في المسألة (انظر: النكت والعيون للماوردي ٣/ ٣٧٠، المرشد الوجيز لأبي شامة ص ٢٠، البرهان للزركشي ١/ ٢٢٨، الإتقان للسيوطي ١/ ١١٨).

والجواب عن هذا من أوجه: ١ ـ أنه ثبت عن الشعبي بالسند الصحيح القول بإثبات النـزول جملة إلى السماء الدنيا حيث قال: «بلغنا أن القرآن نزل جملة واحدة إلى السماء الدنيا» كما رواه ابن جرير (الإمام المفسر) في تفسيره (٢/ ١٥١، ١٢/ ٦٥٢) قال: حدثنا ابن علية (ثقة حافظ) عن داود (ثقة متقن) عن الشعبي به. ٢ ـ أن ما روي عنه في تفسير قوله تعالى: ﴿إِنَّآ أَنزَلۡنَٰهُ فِي لَيۡلَةِ ٱلۡقَدۡرِ﴾ أنه قال: «نزل أول القرآن في ليلة القدر» كما في تفسير الطبري (١٢/ ٦٥١) قال: ثنا عمرو بن عاصم الكلابي (صدوق) قال: ثنا المعتمر بن سليمان التيمي (ثقة) قال ثنا عمران أبو العوام: «صدوق يَهِم اتهم برأي الخوارج» قال: ثنا داود بن أبي هند، عن الشعبي به. فهذا في إسناده نظر، ولا يقوى على معارضة ما صح أولا، ثم لو صح فليس فيه معارضة لما ثبت عنه أولا، كما أن الطبري ذكره في تفسيره (١٢/ ٦٥١) بعد قوله: «أنزل هذا القرآن جملة واحدة إلى السماء الدنيا...، وبنحو الذي قلنا... قال أهل التأويل، ومن ذلك» ثم سرده، ولم يذكر بين الأثرين تعارضا، بل ذكرهما تحت قول واحد. ٣ ـ أن الرواية الثانية لو صحت عنه فهي تحمل على أنها تفسير للآية، وليست إنكارا لنـزول القرآن جملة إلى سماء الدنيا، قال الحافظ ـ بعد أن ذكر نزول القـرآن جملة إلى السمـاء الدنيا، ونزوله مفرقا على النبي ﷺ ـ: «وهذا كله مطابق لقوله تعالى: ﴿شَهۡرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِيٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلۡقُرۡءَانُ﴾ ولقوله: ﴿إِنَّآ أَنزَلۡنَٰهُ فِي لَيۡلَةِ ٱلۡقَدۡرِ﴾...، فأُنزل فيها جملة إلى سماء الدنيا، ثم أنزل في اليوم الرابع والعشرين ـ أي من رمضان ـ إلى الأرض أول ﴿ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلَّذِي خَلَقَ﴾ »، =

قال القرطبي: «ولا خلاف أن القرآن أنزل من اللوح المحفوظ ليلة القدر جملة واحدة فوضع في بيت العزة في سماء الدنيا...، وقول مقاتل[١] هذا خلاف ما نقل من الإجماع: أن القرآن أنزل جملة واحدة ـ والله أعلم ـ »[٢].

والحكمة في هذا النزول:

أ ـ تعظيم شأن القرآن، ففي هذا النـزول «تفخيم لأمره، وأمر من أنزل عليه،

=

(الفتح ٨/ ٦٢١). ٤ ـ **قول الماوردي وغيره أن**: القول الثاني: ابتداء إنزاله في ليلة القدر، وأن هذا قول الشعبي، إن كانوا يقصدون أنه تفسير ثان للآيات فنعم، وإن كانوا يقصدون أنه ينكر النـزول الأول فلا، قال أبو شامة في قول الشعبي إنه: «إشارة إلى ابتداء إنزال القرآن على النبي ﷺ...، وهذا وإن كان الأمر فيه كذلك إلا أن تفسير الآية به بعيد»، (المرشد الوجيز ص٢٠). ٥ ـ أن ما رواه عبد بن حميد وأبو عبيد وابن أبي شيبة وابن الضريس عن داود بن أبي هند قال: «قلت لعامر الشعبي: شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن، فهل كان نزل عليه في سائر السنة إلا ما في رمضان، قال: بلى ولكن جبريل كان يعارض محمدا ما أنزل في السنة في رمضان، فيحكم الله ما يشاء، ويثبت ما يشاء، وينسخ ما ينسخ، وينسيه ما شاء» (الفتح ٨/ ٦٢١، الدر المنثور ١/ ٤٥٨)، فهذا لا يخالف النـزول جملة، قال الحافظ: «والمعتمد أن جبريل كان يعارض النبي ﷺ في رمضان بما ينـزل به عليه في طول السنة، كذا جزم به الشعبي، فيما أخرجه عنه أبو عبيد وابن أبي شيبة بإسناد صحيح» (الفتح ٨/ ٦٢١)، ويوضحه ما ذكره أبو القاسم البغوي بسنده عن الشعبي أنه قال: «إن جبريل كان يعارض النبي ﷺ بما أنزل عليه في سائر السنة في شهر رمضان» (المرشد الوجيز ص٢٢)، فهذا يؤكد أن تفسيره بهذه الصورة لآية النـزول هو مما فهمه من عموم الآيات، لا أنه ينكر النـزول جملة إلى السماء الدنيا، وإنما فهم من العرضات أنها من الإنزال الذي يُحكم الله في الآيات. ٦ ـ لهذا كله عَدَّ السخاوي الشعبي مع القائلين بنـزوله جملة واحدة إلى السماء الدنيا ثم نزوله مفرقا، كما في جمال القراء له (١/ ٢٠)، وذلك لعدم التعارض بين هذه الآثار المروية عنه حيث إن لكل وجهة. ٧ ـ أن الشهرة في إثبات مثل هذا الأمر إلى الشعبي لا تكفي، بل لا بد من نص قطعي، خصوصا مع شدة حرص السلف لالتزامهم بظاهر النصوص، وحرصهم على الإتباع. ولذلك لا أذكر الأدلة التي استُدل بها، ولا أضيع الوقت في ردها، خصوصا أنها لم تثبت عنه نصا، وإنما هو قيل عليه ظنا ـ والله تعالى أعلم ـ.

(١) هو المفسر المشهور: أبو الحسن مقاتل بن سليمان بن بشير البلخي، اختلف العلماء فيه، فمنهم من كذبه وهجره، ومنهم من أحسن فيه الظن، ورمي بالتجسيم، قال البخاري: «مقاتل لاشيء البتة». انظر: السير ٧/ ٢٠١-٢٠٢، التقريب ص٤٧٦، معجم المفسرين لعادل نويهض٢/ ٦٨٢-٦٨٣.

وقول مقاتل الذي ذكره القرطبي هو: أن القرآن أنزل من اللوح المحفوظ كل عام في ليلة القدر إلى سماء الدنيا، ثم نزل إلى السفرة من اللوح المحفوظ في عشرين شهرا، ونزل به جبريل في عشرين سنة. انظر: المرشد الوجيز لأبي شامة ص١٨، الجامع لأحكام القرآن ٢/ ١٩٩.

(٢) الجامع لأحكام القرآن ٢/ ١٩٩.

وذلك بإعلام سكان السموات السبع أن هذا آخر الكتب، المنـزل على خاتم الرسل لأشرف الأمم»(١).

ب ـ أن الله ﷻ جمع للقرآن نزولين: جملة إلى السماء الدنيا، ومفرقا على نبيه المجتبى، فبهذا باين بينه وبين الكتب المنـزلة السابقة، فشارك الكتب المنـزلة في صفة وتميز عنها في الأخرى، وهذه ميزة للقرآن سواء قيل بنـزول الكتب السابقة جملة أو مفرقة، إذ لم تجتمع الصفتان إلا للقرآن الكريم(٢).

ج ـ أن في نزول القرآن جملة إلى سماء الدنيا إعلامًا لأهل السموات ببعثة محمد ﷺ(٣).

المسألة الثانية: نزول القرآن الكريم على النبي ﷺ منجما.

وهذا معروف ومشهور بين السلف والخلف(٤)، ودل عليه الكتاب والسنة، ومن هذه الأدلة:

١ ـ قول الله ﷻ: ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ ٱلْقُرْءَانُ جُمْلَةً وَٰحِدَةً ۚ كَذَٰلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِۦ فُؤَادَكَ ۖ وَرَتَّلْنَٰهُ تَرْتِيلًا ﴾[الفرقان:٣٢] ومراد الكفار بهذا السؤال: أن ينـزل القرآن على محمد ﷺ مرة واحدة، ودفعة كاملة، كما أنزلت التوراة على موسى جملة واحدة، فبين الله ﷻ الحكمة من تنجيمه، وتنـزيله الآي بعد الآي، والشيء بعد الشيء، بحسب الوقائع والأحكام، وأنه كان تثبيتا لفؤاده ﷺ(٥).

٢ ـ قول الله تعالى: ﴿ وَقُرْءَانًا فَرَقْنَٰهُ لِتَقْرَأَهُۥ عَلَى ٱلنَّاسِ عَلَىٰ مُكْثٍ وَنَزَّلْنَٰهُ تَنزِيلًا ﴾

---

(١) المرشد الوجيز ص٢٤، وانظر: الإتقان ١/ ١١٩.

(٢) انظر: المصادر السابقة.

(٣) انظر: المرشد الوجيز ص٢٥، الإتقان ١/ ١١٩-١٢٠، وهل كان هذا الإنزال قبل البعثة أم بعدها؟ ذكر فيه أبو شامة القولين، ويظهر أنه مال إلى الأول، وقال: «وإن كان قبلها ففائدته أظهر وأكثر...، كما أعلم الله ﷻ الملائكة قبل خلق آدم»، وقال السيوطي: «والظاهر الثاني»، ولا يترتب على هذا كبير خلاف ـ والله أعلم ـ.

(٤) انظر: البرهان للزركشي ١/ ٢٢٨، الفتح ٨/ ٦٢٠-٦٢١، الإتقان للسيوطي ١/ ١١٦.

(٥) انظر: جامع البيان للطبري ١/ ٣٨٦-٣٨٧، معالم التنـزيل للبغوي ٦/ ٨٣، زاد المسير لابن الجوزي ٦/ ٨٨.

[الإسراء:١٠٦] و﴿ فَرَقْنَهُ ﴾[١] بالتخفيف: أحكمناه، وأما قراءة التشديد ﴿ فَرَّقْناه ﴾[٢] فبمعنى: نزلناه شيئا بعد شيء، آية بعد آية، ويؤكد هذه القراءة آخر الآية ﴿ وَنَزَّلْنَهُ تَنزِيلاً ﴾ أي فرقنا تنـزيله، وأنزلناه شيئا بعد شيء[٣].

٣ ـ قوله تعالى: ﴿ فَلَآ أُقْسِمُ بِمَوَٰقِعِ ٱلنُّجُومِ ۝٧٥ وَإِنَّهُۥ لَقَسَمٌ لَّوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ ۝٧٦ إِنَّهُۥ لَقُرْءَانٌ كَرِيمٌ ۝٧٧ فِى كِتَٰبٍ مَّكْنُونٍ ۝٧٨ لَّا يَمَسُّهُۥٓ إِلَّا ٱلْمُطَهَّرُونَ ۝٧٩ تَنزِيلٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾[الواقعة:٧٥-٨٠] و﴿ مَوَٰقِعِ ٱلنُّجُومِ ﴾ قيل فيها: نجوم السماء، وقيل: نجوم القرآن، وسميت نجوما لنـزولها متفرقة، ومواقعها: نزولها، حيث أنزل القرآن على رسول الله ﷺ نجوما متفرقة[٤].

٤ ـ قد ثبت في الصحيحين وغيرهما عن عائشة ﵂ أنها قالت: **[إن أول ما نزل صدر سورة "اقرأ"]**[٥]، وعن جابر ﵁: **[فأنزل الله ﷻ ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُدَّثِّرُ ﴾ إلى قوله: ﴿ وَٱلرُّجْزَ فَٱهْجُرْ ﴾[المدثر:١-٥]]**[٦] والآثار في ذلك كثيرة[٧].

٥ ـ قول عائشة وابن عباس ﵃ قالا: **[لبث النبي ﷺ بمكة عشر سنين ينـزل عليه القرآن، وبالمدينة عشر سنين]**[٨]. قال الحافظ ابن حجر ﵀: « ويؤخذ من هذا

---

(١) هذه قراءة عامة أهل الأمصار، انظر: جامع البيان للطبري ٨/ ١٦١.

(٢) هذه القراءة رُوي عن ابن عباس، كما في جامع البيان للطبري الموضع السابق، وليست من القراءات العشر المتواترة. انظر: القراءات العشر المتواترة لمحمد كريم راجح بحاشية القرآن الكريم ص٢٩٣.

(٣) انظر: جامع البيان للطبري ٨/ ١٦١-١٦٣، معالم التنـزيل للبغوي ٥/ ١٣٥-١٣٦، المحرر الوجيز لابن عطية ٣/ ٤٩١.

(٤) انظر: جامع البيان للطبري ١١/ ٦٥٧، معالم التنـزيل للبغوي ٣/ ١٨١، زاد المسير ٨/ ١٥١،تفسير القرآن العظيم ٤/ ٢٩٩، الفتح ١٣/ ٤٧٢.

(٥) هو جزء من حديث طويل رواه البخاري؛ كتاب بدء الوحي، باب/ ...، ح(٣)، ومسلم؛ كتاب الإيمان، باب/ بدء الوحي إلى رسول الله ﷺ، ح(١٦٠).

(٦) هو جزء من حديث رواه البخاري؛ كتاب بدء الوحي، باب/ ...، ح(٤)، ومسلم؛ كتاب الإيمان، باب/ بدء الوحي إلى رسول الله ﷺ، ح(١٦١).

(٧) انظر: المدخل لدراسة علوم القرآن الكريم لأبي شهبة ص ٥٤.

(٨) أخرجه البخاري، كتاب فضائل القرآن، باب/ كيف نزل الوحي وأول ما نزل، ح(٤٩٧٨، ٤٩٧٩).

الحديث... أنه ـ أي القرآن ـ نزل مفرقا، ولم ينـزل جملة واحدة»[١].

٦ ـ واقع نزول القرآن الكريم يدل على ذلك؛ فالسور المكية نزلت قبل المدنية، والمكية بعضها قبل بعض، وهكذا المدنية، فالآيات إنما كانت تنـزل بإذن الله تعالى على حسب الوقائع والأحداث.

والحكمة في نزول القرآن منجما مفرقا هي:

أ ـ تثبيت فؤاد النبي ﷺ، قال تعالى: ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوۡلَا نُزِّلَ عَلَيۡهِ ٱلۡقُرۡءَانُ جُمۡلَةٗ وَٰحِدَةٗۚ كَذَٰلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِۦ فُؤَادَكَۖ وَرَتَّلۡنَٰهُ تَرۡتِيلٗا ﴾[الفرقان:٣٢] والمعنى: أنزلناه مفرقا تثبيتا لقلبك، وهذه من أجل الحكم، وأعظمها[٢].

ومن تثبيت قلبه ﷺ، تسليته وأصحابه بكثرة نزول الوحي، حتى لا ييأس، ويرتفع عنه الحزن والهم الذي يجده بسبب الكفار والمنافقين[٣]، ومنه تسليته ﷺ بذكر قصص الأنبياء السابقين، كما قال الله تعالى: ﴿ وَكُلّٗا نَّقُصُّ عَلَيۡكَ مِنۡ أَنۢبَآءِ ٱلرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِۦ فُؤَادَكَۚ وَجَآءَكَ فِي هَٰذِهِ ٱلۡحَقُّ وَمَوۡعِظَةٞ وَذِكۡرَىٰ لِلۡمُؤۡمِنِينَ ﴾[هود:١٢٠].

ب ـ تيسير حفظه وفهمه على الرسول ﷺ وأصحابه، إذ أنهم كانوا أمة أمية، قال تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِيَّ ٱلۡأُمِّيَّ ﴾[الأعراف:١٥٧] وقال: ﴿ هُوَ ٱلَّذِي بَعَثَ فِي ٱلۡأُمِّيِّـۧنَ رَسُولٗا مِّنۡهُمۡ يَتۡلُواْ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمۡ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ وَإِن كَانُواْ مِن قَبۡلُ لَفِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ ﴾[الجمعة:٢].

ج ـ فضح قبائح المشركين والمنافقين، قال تعالى: ﴿ يَحۡذَرُ ٱلۡمُنَٰفِقُونَ أَن تُنَزَّلَ عَلَيۡهِمۡ سُورَةٞ تُنَبِّئُهُم بِمَا فِي قُلُوبِهِمۡۚ قُلِ ٱسۡتَهۡزِءُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ مُخۡرِجٞ مَّا

---

(١) الفتح ٨/ ٦٢٠، وظاهر الحديث يدل على أن النبي ﷺ مكث بكمة عشر سنين داعيا، والصحيح أنه مكث ثلاث عشرة سنة، وإنما ذكر الصحابيان العقد مع إلغاء الكسر، وهذا أسلوب معروف عند العرب، وقيل غير ذلك، ولكن هذه أرجحها وأبينها. انظر: الفتح ٨/ ٦٢٠.

(٢) الجامع لأحكام القرآن للطبري ٩/ ٣٨٦-٣٨٧، المدخل لدراسة علوم القرآن الكريم لأبي شهبة ص٦٥.

(٣) انظر: المرشد الوجيز ص ٢٨، الفتح ٨/ ٦٢٥.

تَحْذَرُونَ ﴾[التوبة:٦٤].

د ـ **التحدي والإعجاز**، فكان المشركون يسألون أسئلة للتعجيز ويأتيهم الجواب من الله تعالى، قال تعالى: ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ ٱلْقُرْءَانُ جُمْلَةً وَٰحِدَةً ۚ كَذَٰلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِۦ فُؤَادَكَ ۖ وَرَتَّلْنَٰهُ تَرْتِيلًا ۝ وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَٰكَ بِٱلْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا ﴾[الفرقان:٣٢-٣٣]، فالقرآن « لما نزل منجما مفرقا وتحداهم النبي ﷺ من أول الأمر فكأنه تحداهم بكل واحد من نجوم القرآن، فلما عجزوا عنه كان عجزهم عن معارضة الكل أولى، فثبت بهذا الطريق أن القوم عاجزون عن المعارضة لا محالة »[١].

هـ ـ **التدرج في التشريع**، حيث كانوا على عادات وأمور، فكان من الرحمة بهم التدرج ليقبلوه، ويسهل عملهم به[٢]، قال الله تعالى: ﴿ وَقُرْءَانًا فَرَقْنَٰهُ لِتَقْرَأَهُۥ عَلَى ٱلنَّاسِ عَلَىٰ مُكْثٍ وَنَزَّلْنَٰهُ تَنزِيلًا ﴾[الإسراء:١٠٦] قالت عائشة ﵂ : **[إنما نزل أول ما نزل منه سورةٌ من المفصل فيها ذكر الجنة والنار، حتى إذا ثاب الناس إلى الإسلام نزل الحلال والحرام، ولو نزل أولَ شيء: لا تشربوا الخمر، لقالوا: لا ندع الخمر أبدا، ولو نزل: لا تزنوا، لقالوا: لا ندع الزنى أبدا. لقد نزل بمكة على محمد ﷺ وإني لجارية ألعب** ﴿ بَلِ ٱلسَّاعَةُ مَوْعِدُهُمْ وَٱلسَّاعَةُ أَدْهَىٰ وَأَمَرُّ ﴾[القمر:٤٦] **وما نزلت سورة البقرة والنساء إلا وأنا عنده]**[٣].

وإذا ثبت أن القرآن أنزله الله ﷻ لحكم بالغة إلى السماء الدنيا جملة واحدة، وأنزلها على النبي ﷺ بواسطة جبريل على فترات لحكم باهرة، وفضائل جامعة، فالحق أنه لا تعارض بين النزولين، فكأن الأول: لأهل السماء إعلاما وإيذانا ببدء شمس الرسالة المحمدية، **والثاني**: لأهل الأرض إنذارا وإعذارا، وتبشيرا وتيسيرا برسالة الإسلام العلية السنية.

---

(١) إظهار الحق للعلامة رحمة الله الهندي ٢/ ١٠٣.

(٢) انظر: إظهار الحق للعلامة رحمة الله الهندي ٢/ ١٠٢، ومناهل العرفان للزرقاني ١/ ٦١-٦٣.

(٣) رواه البخاري؛ كتاب فضائل القرآن، باب/ تأليف القرآن، ح(٤٩٩٣).

فإنزال القرآن إلى سماء الدنيا نزول خاص، وتنـزيله إلى الأرض نزول آخر، والقرآن موجود في اللوح المحفوظ، قال ابن القيم رحمه الله: «والقرآن كتبه الله في اللوح المحفوظ، قبل خلق السماوات والأرض..وأجمع الصحابة والتابعون، وجميع أهل السنة، والحديث أن كل كائن إلى يوم القيامة، فهو مكتوب في أم الكتاب»(١)، ولا تنافيَ بين هذا، قال شيخ الإسلام رحمه الله: «وهذا لا ينافي ما جاء عن ابن عباس رضي الله عنهما وغيره من السلف في تفسير قوله تعالى: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ﴾[القدر:١] أنه أنزله إلى بيت العزة في السماء الدنيا، ثم أنزله بعد ذلك منجما مفرقا بحسب الحوادث»، ولا ينافي أنه مكتوب في اللوح المحفوظ قبل نزوله،كما قال تعالى: ﴿بَلْ هُوَ قُرْءَانٌ مَّجِيدٌ ۝ فِى لَوْحٍ مَّحْفُوظٍۭ﴾[البروج:٢١-٢٢]...؛ **فإن كونه مكتوبا في اللوح المحفوظ**، وفي صحف مطهرة بأيدي الملائكة لا ينافي أن يكون جبريل نزل به من الله، سواء كتبه الله قبل أن يرسل به جبريل أو بعد ذلك، وإذا كان قد أنزله مكتوبا إلى بيت العزة جملة واحدة في ليلة القدر، فقد كتبه كله قبل أن ينـزله... فلا يكون بينهما تفاوت هكذا قال ابن عباس وغيره من السلف ـ وهو حق ـ فإذا كان ما يخلقه بائنا عنه قد كتبه قبل أن يخلقه، فكيف يستبعد أن يكتب كلامه الذي يرسل به ملائكته قبل أن يرسلهم»(٢).

فإذا لا إشكال بين نزول القرآن جملة، وبين نزوله مفرقا، ولا يترتب عليه محذور، كيف وهو مأثور، وإنما يحصل المحذور فيما إذا اعتَقَدَ معتقدٌ بأن القرآن لم يسمعه جبريل من رب العزة جل جلاله، وأنه أخذه من اللوح محفوظا، أو ألهمه الله إلهاما، وثبت نزول القرآن جملة واحدة إلى السماء الدنيا، وهذا لا يدل على نفي سماع جبريل عليه السلام للقرآن من رب العزة عز وجل، قال أبو حامد الإسفرائيني(٣): «مذهبي ومذهب الشافعي وفقهاء الأمصار أن القرآن كلام الله غير مخلوق، ومن قال: مخلوق فهو كافر،

(١) شفاء العليل ١/ ١٢٠.

(٢) المجموع ١٢/ ١٢٦-١٢٧، وانظر منه: ١٥/ ٢٢٣-٢٢٤.

(٣) هو: أبو حامد أحمد بن أبي طاهر محمد بن أحمد الإسفرائيني شيخ الشافعية ببغداد، توفي ٤٠٦هـ. انظر السير ١٧/ ١٩٣، شذرات الذهب ٣/ ١٧٨.

والقرآن حمله جبريل مسموعا من الله ﷻ، والنبي ﷺ سمعه من جبريل، والصحابة سمعوه من رسول الله ﷺ، وهو الذي نتلوه نحن بألسنتنا، وفيما بين الدفتين، وما في صدورنا، مسموعا، ومكتوبا، ومحفوظا»[١].

ولا يقول أحد من السلف أن جبريل ﷺ أخذ القرآن من اللوح المحفوظ أو غيره، وذلك لأن هذا القول مبني على القول بخلق القرآن، وقد مضى أن السلف قاطبة مجمعون أن القرآن كلام الله تعالى حقيقة غير مخلوق.

والقول بأن جبريل ﷺ أخذ القرآن من اللوح أو غيره، قول الخلقية[٢]، قال شيخ الإسلام ﷺ: «فمن قال: إنه منـزل من بعض المخلوقات كاللوح والهواء، فهو مفتر على الله، مكذب لكتاب الله، متبع لغير سبيل المؤمنين»[٣].

وفساد قول من قال بأن جبريل أخذه من اللوح أو غيره بينٌ، فهذه «المقالة مبنية على أصل فاسد، وهو القول بخلق القرآن، وهذه مقالة الجهمية، والمعتزلة ومن نحا نحوهم، وهذه المقالة الخاطئة حقيقتها إنكار أن يكون الله متكلما حقيقة»[٤].

وبَعْدُ، فقد تبين أن جبريل ﷺ سمع القرآن من الله ﷻ ونزله به على محمد ﷺ، ولا ينافي هذا نزول القرآن جملة إلى سماء الدنيا، ووجوده في بيت العزة، ومما يؤكد هذا المعنى، معرفة معنى الإنزال عند السلف، وهذا ما سأبينه في المبحث الآتي.

---

(١) انظر: المجموع ١٢/ ٣٠٦، حيث نقل هذا عن أبي الحسن الكرجي، وهو بسنده عن الإسفرائيني.

(٢) انظر: المجموع ١٢/ ١٢٠.

(٣) المجموع ١٢/ ٥٢٠.

(٤) الجواب الواضح المستقيم في كيفية إنزال القرآن الكريم، للشيخ محمد بن إبراهيم ص ٢.

المبحث الثالث: معنى إنزال الله القرآن عند السلف

سبق إثبات أن القرآن كلام الله ﷻ منـزل على محمد ﷺ بواسطة جبريل ﵇، وأن القرآن نزل جملة إلى السماء الدنيا، ونزل على محمد ﷺ منجما.

« ومسألة القرآن لها طرفان، أحدهما: تكلم الله به، وهو أعظم الطرفين. والثاني: تنـزيله إلى خلقه، والكلام في هذا سهل بعد تحقيق الأول »[(١)] ومضى ما يدل على تحقيق الأول وإثباته، وكذلك كونه منـزلا على محمد ﷺ بواسطة جبريل ﵇.

وإن العقيدة السلفية في النـزول هي القول بالحقيقة دون المجاز، والعمل بظاهر النصوص دون التأويل، ولمعرفة معنى النـزول قسمت هذا المبحث إلى مطلبين:

المطلب الأول: معنى النـزول لغة:

لمعرفة معنى النزول لا بدّ من إيراد المعنى اللغوي، حيث إن القرآن نزل بلغة العرب، قال تعالى: ﴿ نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ۝ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ ۝ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ ﴾[الشعراء:١٩٣-١٩٥] وقال: ﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾ [يوسف:٢] وقال: ﴿ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا غَيْرَ ذِى عِوَجٍ لَّعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴾[الزمر:٢٨] وقال: ﴿ وَكَذَٰلِكَ أَنزَلْنَٰهُ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا وَصَرَّفْنَا فِيهِ مِنَ ٱلْوَعِيدِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ أَوْ يُحْدِثُ لَهُمْ ذِكْرًا ﴾[طه:١١٣].

وأصل مادة (نزل) يدل على الهبوط من علو إلى سفل، وكل ما ورد من المعاني روعي فيه هذا المعنى، « فالنون، والزاي، واللام: كلمة صحيحة تدل على هبوط شيء

---

(١) المجموع ١٢/ ٢٧٤، دقائق التفسير ١٢/ ١٨٧.

ووقوعه»[١]، قال الراغب[٢]: «فالنـزول في الأصل هو انحطاط من علو»[٣].

ومادة (نزل) وردت في اللغة بتصريفات كثيرة منها: نَزَل، وأَنْزَل، وتَنَزَّل، ونَزَّل...[٤] وغير ذلك، ووردت في القرآن الكريم بتصريفات مختلفة، قال تعالى: ﴿ نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ﴾[الشعراء:١٩٣] وقال: ﴿ تَبَارَكَ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِۦ ﴾ [الفرقان:١] وقال: ﴿ وَأَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ ﴾[النساء:١١٦] وقال: ﴿ وَمَا تَنَزَّلَتْ بِهِ ٱلشَّيَٰطِينُ ﴾[الشعراء:٢١٠].

فنَزَل، ونَزَّل، وأَنْزَل، وتَنَزَّل بمعنى، يدل كل على معنى النـزول[٥]، ومن ذلك قولهم: «نزل عن دابته نزولا، ونزل المطر من السماء نزولا»[٦].

و«**الـمَنْزِل** موضع النـزول، والمنـزلة مثله، وهي أيضا المكانة»[٧] والنُّزُل ما يُعد للضيف من الزاد[٨]، ومنه قول الله تعالى عن أصحاب الجنة: ﴿ فَلَهُمْ جَنَّٰتُ ٱلْمَأْوَىٰ نُزُلًۢا ﴾[السجدة:١٩] وقال عن نزل أصحاب النار: ﴿ فَنُزُلٌ مِّنْ حَمِيمٍ ﴾[الواقعة:٩٣] **والنازلة**: الشدة، وجمعها نوازل[٩].

---

(١) مقاييس اللغة ص ١٠٢٢.

(٢) هو اللغوي المشهور: أبو القاسم حسين بن محمد بن المفضل المعروف بالراغب الأصفهاني، وله مؤلفات أدبية، ولفتات لغوية منها: المفردات في غريب القرآن، وكتاب في التفسير لم يكمله، والذريعة إلى مكارم الشريعة، توفي سنة ٥٠٢هـ. انظر: هدية العارفين ٥/ ٣١١، معجم المؤلفين لعمر كحالة ٤/ ٥٩، معجم المفسرين لعادل نويهض ١/ ١٥٨-١٥٩.

(٣) المفردات للراغب ص ٤٩٠.

(٤) ولما كانت التصريفات لـ (النـزول) مختلفة، فقد فرق بعضهم بين الإنزال والتنـزيل، فقال: الأول للنـزول دفعة واحدة، والثاني للنـزول شيئا فشيئا، وقيل إنها قاعدة مطردة، وقيل: إنها قاعدة أغلبية. انظر: مقاييس اللغة ص ١٠٢٣، المفردات للراغب ص٤٩١، تاج العروس للزبيدي ٨/ ١٣٣، تفسير الجلالين كلان ص ٤٦، هدي الفرقان في علوم القرآن د/ غازي عناية ١/ ٩٨-١٠٨.

(٥) انظر: تاج العروس للزبيدي ٨/ ١٣٣مادة: (نزل).

(٦) مقاييس اللغة ص ١٠٢٢-١٠٢٣، مادة: (نزل). وانظر: كتاب العين للخليل بن أحمد الفراهيدي ص ٣٦٧.

(٧) المصباح المنير ص ٦٠١ مادة: (نزل).

(٨) انظر: العين للخليل بن أحمد ص ٣٦٧، المفردات ص ٤٩١ مادة: (نزل).

(٩) انظر: المفردات ص ٤٩١.

ونزل يتعدى بالحرف، فيقال: نزلت منه، ويتعدى بالهمزة، فيقال: أنزلته، ويتعدى بالتضعيف، فيقال: نزَّلته[١].

وحيثما ورد لفظ النـزول فإن فيه مراعاة للمعنى اللغوى الأصلي، وهو: الهبوط من علو إلى سفل، وما يذكره بعض اللغويين مما قد يظن أنه ليس فيه ملحظ لمعنى الهبوط فهو قصور، والصواب هو ما ذكره شيخ الإسلام رحمه الله من أن كل ما استعمل فيه لفظ النـزول فإن معنى الهبوط ملحوظ فيه، وذلك حيث قال: « والضيافة سميت نزلا لأن العادة أن الضيف يكون راكبا فينـزل في مكان يؤتى إليه بضيافته فيه، فسميت نزلا لأجل نزوله، ونزل ببني فلان ضيف، ولهذا قال نوح عليه السلام : ﴿ رَّبِّ أَنزِلۡنِى مُنزَلاً مُّبَارَكًا وَأَنتَ خَيۡرُ ٱلۡمُنزِلِينَ ﴾[المؤمنون:٢٩][٢] لأنه كان راكبا في السفينة، وسميت المواضع التي ينزل بها المسافرون منازل؛ لأنهم يكونون ركبانا فينـزلون، والمشاة تبع للركبان، وتسمى المساكن منازل »[٣].

فإذا عرف المعنى اللغوي لكلمة "النزول"، فيحسن الآن الشروع في معنى نزول القرآن الكريم عند السلف.

---

(١) انظر: المصباح المنير ص ٦٠٠.

(٢) قرأ شعبة عن عاصم: (مَنْزِلا) بفتح الميم، وكسر الزاي، وقرأ الباقون: (مُنْزَلا) بضم الميم، وفتح الزاي. انظر: المكرر فيما تواتر من القراءات السبع وتحرر ص ٢٦٨، القراءات العشر المتواترة المطبوع بهامش القرآن الكريم إعداد/ محمد كريم راجح ص ٣٤٤.

(٣) المجموع ١٢/ ٢٥٣.

المطلب الثاني: معنى إنزال القرآن عند السلف.

القرآن الكريم نزل بلغة العرب، وتبين أن النـزول في اللغة التي نزل بها القرآن معناه الهبوط من علو إلى سفل، وهذا هو المعنى الذي أجمع عليه السلف، وهو القول بنـزول القرآن الكريم حقيقة دون مجاز، والقول بظاهر ما دل عليه الشرع دون تأويل، وسبق ذكر الأدلة الدالة على نزول القرآن الكريم.

و« الصحابة والتابعون لهم بإحسان على أن القرآن والتوراة والإنجيل، وغير ذلك من كلام الله هو كلام الله الذي تكلم به، وأن الله أنزله »[(١)]، ومعلوم أن نزول التوراة والإنجيل كان حقيقة، فكذا إنزال القرآن الكريم، ولهذا قرن الله تعالى بين هذه الكتب وأنه أنزلها، قال تعالى: ﴿ الٓمٓ ۝١ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُ ۝٢ نَزَّلَ عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ بِٱلۡحَقِّ مُصَدِّقٗا لِّمَا بَيۡنَ يَدَيۡهِ وَأَنزَلَ ٱلتَّوۡرَىٰةَ وَٱلۡإِنجِيلَ ۝٣ مِن قَبۡلُ هُدٗى لِّلنَّاسِ وَأَنزَلَ ٱلۡفُرۡقَانَ ﴾[آل عمران:١-٤].

قال الراغب: « وإنزال الله تعالى نعمه ونقمه على الخلق: إعطاؤهم إياها، وذلك إما بإنزال الشيء نفسه كإنزال القرآن، وإما بإنزال أسبابه »[(٢)].

والآيات المصرحة بلفظ الإنزال والتنـزيل كثيرة، وظاهرها دال على كون القرآن منـزّلاً من الله تعالى حقيقة.

ولفظ الإنزال في القرآن قد ورد مطلقا ومقيدا، وكثير من الناس فسروا التنـزيل في مواضع من القرآن بغير معناه المعروف[(٣)]، لاشتباه المعنى في تلك المواضع[(٤)]، والسلف فطنوا لهذا الفرق، وعلموا أن الإنزال في كل موضع بحسبه.

---

(١) الجواب الصحيح ٤/ ٣٣٢، وانظر: الغنية لأبي سعيد النيسابوري ص ١٠٧.

(٢) المفردات للراغب ص ٤٩٠، وانظر: تاج العروس ٨/ ١٣٣.

(٣) وسيأتي ذكر شيء من تفسيراتهم للنـزول في الفصل الثاني من الباب الثاني.

(٤) انظر: المجموع ١٢/ ٢٤٦، ٢٥٣، ٢٥٤، محاسن التأويل للقاسمي ٧/ ٣٩.

ولفظ الإنزال ورد في القرآن على ثلاثة أنواع(١):

النوع الأول: نزول مقيد بأنه من الله ﷻ؛ وهذا النوع مختص بنـزول القرآن، فلم يرد إلا فيه(٢)، «ولم يخبر عن شيء أنه منـزل من الله إلا كلامه بخلاف نزول الملائكة، والمطر، والحديد، وغير ذلك»(٣).

وهذا النوع ذِكره كثير، قال الله تعالى: ﴿قُلْ نَزَّلَهُۥ رُوحُ ٱلْقُدُسِ مِن رَّبِّكَ بِٱلْحَقِّ﴾ [النحل:١٠٢] وقال: ﴿تَنزِيلٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾[الواقعة:٨٠، والحاقة:٤٣] وقال: ﴿حمٓ ۝١ تَنزِيلٌ مِّنَ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾[فصلت:١-٢] و«**التنـزيل بمعنى الـمُنَـزَّل**، تسمية للمفعول باسم المصدر»(٤).

وهذا التنصيص بأنه منـزل من الله ﷻ دليل على أنه كلامه منـزل منه، لا من مخلوق من المخلوقات، و«قد دل استقراء القرآن العظيم، على أن الله ـ جل وعلا ـ إذا ذكر تنـزيله لكتابه، أتبع ذلك ببعض أسمائه الحسنى، المتضمنة صفاته العليا...، ولا يخفى أن ذكره ـ جل وعلا ـ هذه الأسماء الحسنى العظيمة، بعد ذكره تنـزيل هذا القرآن العظيم، يدل بإيضاح على عظمة القرآن العظيم، وجلال شأنه، وأهمية نزوله ـ والعلم عند الله تعالى ـ»(٥).

وكون القرآن من الله فيه بيان أنه كلام الله، وأن له منـزلة عالية(٦)، قال تعالى: ﴿حمٓ ۝١ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُبِينِ ۝٢ إِنَّا جَعَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ۝٣ وَإِنَّهُۥ فِىٓ أُمِّ ٱلْكِتَٰبِ لَدَيْنَا لَعَلِىٌّ حَكِيمٌ﴾[الزخرف:١-٤] فالقرآن عالي المنـزلة، ونزوله كان من علو.

---

(١) انظر: المجموع ١٢/ ١١٨، ٢٤٧، ١٥/ ٢٢١.

(٢) انظر: المجموع ١٢/ ٢٤٧.

(٣) المجموع ١٢/ ٢٩٧.

(٤) المجموع ١٢/ ٢٤٨.

(٥) أضواء البيان في تفسير القرآن بالقرآن للشيخ محمد الأمين الشنقيطي ٧/ ٢٦.

(٦) انظر: تفسير القرآن العظيم ٤/ ١٢٢، الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ١٦/ ٤٢.

وقد يَرِدُ نزول القرآن مطلقا، كقول الله تعالى: ﴿ وَبِٱلْحَقِّ أَنزَلْنَٰهُ وَبِٱلْحَقِّ نَزَلَ ﴾ [الإسراء:١٠٥] وقوله: ﴿ أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ ٱللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ ٱلْحَقِّ ﴾[الحديد:١٦] فيحمل هذا المطلق على المقيد.

والسلف مطبقون على نزول القرآن من الله، والله تعالى في العلو، فيكون نـزول جبريل بالقرآن من العلو إلى الدنيا[١]، قال الله تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَعْلَمُونَ أَنَّهُۥ مُنَزَّلٌ مِّن رَّبِّكَ بِٱلْحَقِّ ﴾[الأنعام:١١٤].

النوع الثاني: نزول مقيد بأنه من السماء[٢]، والسماء اسم جنس لكل ما علا[٣]، وقد ورد نزول أشياء من السماء.

ومنه نزول المطر من السماء كما قال تعالى: ﴿ وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً ﴾[البقرة:٢٢]، ومعلوم أن المطر ينـزل من السحاب وهو في السمو قال تعالى: ﴿ ءَأَنتُمْ أَنزَلْتُمُوهُ مِنَ ٱلْمُزْنِ أَمْ نَحْنُ ٱلْمُنزِلُونَ ﴾[الواقعة:٦٩]، وقال: ﴿ وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلْمُعْصِرَٰتِ مَآءً ثَجَّاجًا ﴾ [النبأ:١٤] والمزن والمعصرات: السحب[٤].

وورد إنزال العذاب من السماء، وهو العلو، قال الله ﷻ : ﴿ فَأَنزَلْنَا عَلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ رِجْزًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ بِمَا كَانُواْ يَفْسُقُونَ ﴾[البقرة:٥٩]، والرجز العذاب[٥].

وورد في إنزال الملائكة من السماء، ومكانهم العلو، قال ﷻ : ﴿ قُل لَّوْ كَانَ فِى ٱلْأَرْضِ مَلَٰٓئِكَةٌ يَمْشُونَ مُطْمَئِنِّينَ لَنَزَّلْنَا عَلَيْهِم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَلَكًا رَّسُولاً ﴾[الإسراء:٩٥].

وكذا ورد النزول من العلو في ذكر "المائدة" قال ـ عز من قائل ـ ﴿ إِذْ قَالَ

---

(١) انظر: المجموع ٨/ ٢٦-٢٧.

(٢) انظر: المجموع ١٢/ ١١٨.

(٣) انظر: مقاييس اللغة ص ٤٩٠، المجموع ١٢/ ٢٤٨، المصباح المنير ص ٢٩٠.

(٤) انظر: المفردات للراغب الأصبهاني ص ٣٣٩، ٤٦٩.

(٥) انظر: جامع البيان للطبري ١/ ٣٤٦.

ٱلْحَوَارِيُّونَ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ أَن يُنَزِّلَ عَلَيْنَا مَآئِدَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ ۖ قَالَ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾[المائدة:١٠٢].

النوع الثالث: الإنزال المطلق؛ من غير قيد، وإنما فيه ذكر كونه منزلا دون بيان الجهة المُنَزَّلة منه(١).

ومن هذا الإطلاق إنزال الحديد، قال ﷻ: ﴿ وَأَنزَلْنَا ٱلْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَٰفِعُ لِلنَّاسِ ﴾[الحديد:٢٥].

وورد النـزول مطلقا دون بيان مكان المنـزل في قوله تعالى: ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ فِى قُلُوبِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾[الفتح:٤].

ومن الإنزال المطلق، قوله ﷻ: ﴿ وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ ٱلْأَنْعَٰمِ ثَمَٰنِيَةَ أَزْوَٰجٍ ﴾[الزمر:٦].

والإنزال المطلق يفسر بحسب السياق، أو بما يبينه في المواضع الأخرى، قال شيخ الإسلام رحمه الله بعد أن ذكر اختلاف الناس في معنى النـزول في هذه المواضع المطلقة: «ولا حاجة إلى إخراج اللفظ عن معناه المعروف لغة، فإن الأنعام تنزل من بطون أمهاتها، ومن أصلاب آبائها تأتي بطون أمهاتها، ويقال للرجل: قد أنزل الماء، وإذا أنزل وجب عليه الغسل، مع أن الرجل غالب إنزاله وهو على جَنْب إما وقت الجماع، وإما بالاحتلام، فكيف بالأنعام التي غالب إنزالها مع قيامها على رجليها، وارتفاعها على ظهور الإناث.

ومما يبين هذا أنه لم يستعمل النزول فيما خلق من السفليات، فلم يقل: أنزل النبات، ولا أنزل المرعى، وإنما استعمل فيما يخلق في محل عال، وأنزله الله من ذلك المحل كالحديد والأنعام»(٢).

وقال رحمه الله في قوله تعالى: ﴿ يَٰبَنِىٓ ءَادَمَ قَدْ أَنزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا يُوَٰرِى سَوْءَٰتِكُمْ

---

(١) المجموع ١٢/ ١١٨.

(٢) المجموع ١٢/ ٢٥٤.

وَرِيشًا ﴾[الأعراف:٢٦] بعد أن ذكر الخلاف في معنى نزولها: « **والقرآن مقصوده** جنس اللباس الذي يلبس على البدن وفي البيوت...، فامتن سبحانه عليهم بما ينتفعون به من الأنعام في اللباس والأثاث، وهذا ـ والله أعلم ـ معنى إنزاله، فإنه ينـزله من ظهور الأنعام، وهو كسوة الأنعام من الأصواف والأوبار والأشعار، وينتفع به بنو آدم من اللباس والرِياش، فقد أنزلها عليهم، وأكثر أهل الأرض كسوتهم من جلود الدواب فهي لدفع الحر والبرد، وأعظم من القطن والكتان...، فإذا كان اللباس والرياش ينـزل من ظهور الأنعام، وكسوة الأنعام منـزلة من الأصلاب والبطون...، فهو منـزل من الجهتين، فإنه على ظهور الأنعام لا ينتفع به بنو آدم حتى ينـزل »[١].

ثم قال: « فقد تبين أنه ليس في القرآن ولا في السنة لفظ نزول إلا وفيه معنى النـزول المعروف، وهذا هو اللائق بالقرآن فإنه نزل بلغة العرب، ولا تعرف العرب نزولا إلا بهذا المعنى، ولو أريد به غير هذا المعنى لكان خطابا بغير لغتها، ثم هو ـ أي التأويل والتفسير الخاطئ لمعنى النـزول ـ استعمال اللفظ المعروف له معنى في معنى آخر بلا بيان، وهذا لا يجوز بما ذكرنا، وبهذا يحصل مقصود القرآن ـ واللغة ـ الذي أخبر الله تعالى أنه بينه وجعله هدى للناس »[٢].

و« كون القرآن عربيا أمر ظاهر، لا يحتاج إلى الإخبار...، والرب تعالى اختص بجعله عربيا فإنه هو الذي تكلم به وأنزله، فجعله قرآنا عربيا بفعل قام بنفسه، وهو تكلم به، واختاره لأن يتكلم به عربيا... وأنزله به »[٣].

وبهذا يتبين أن جبريل نزل بالقرآن حقيقة، أنزله جملة إلى سماء الدنيا، وأنزله على محمد ﷺ منجما، وهذان النزولان حقيقة على ظاهره، كما أنّ وجوده حقيقة.

---

(١) المجموع ١٢/ ٢٥٥-٢٥٧.

(٢) المجموع ١٢/ ٢٥٧.

(٣) المجموع ٨/ ٢٨-٢٩.

وأما وجودات القرآن الكريم فهي:

١ ـ **وجود في اللوح المحفوظ**؛ ولم يرد فيه لفظ النـزول، فالأولى أن يعبر بلفظ الوجود والثبوت، إذ أن الله كتب في اللوح المحفوظ ما هو كائن إلى يوم القيامة، ومن ذلك القرآن، **فوجوده في اللوح ثابت**[١]، قال الله ﷻ: ﴿ إِنَّهُۥ لَقُرْءَانٌ كَرِيمٌ ﴾[الواقعة:٧٧-٨٠]، الآيات، وقال: ﴿ وَإِنَّهُۥ فِىٓ أُمِّ ٱلْكِتَٰبِ لَدَيْنَا لَعَلِىٌّ حَكِيمٌ ﴾[الزخرف:٤]، ونزول القرآن إلى السماء الدنيا ثابت، ونزوله على محمد ﷺ حق، ولا تنافي بين كون القرآن موجودًا في اللوح المحفوظ، وكون جبريل سمعه من الله، وأنزل به على محمد ﷺ[٢].

٢ ـ **وجوده في أيدي السفرة الكرام البررة**: وهم الملائكة، قال تعالى عن القرآن: ﴿ فِى صُحُفٍ مُّكَرَّمَةٍ ۝ مَّرْفُوعَةٍ مُّطَهَّرَةٍۭ ۝ بِأَيْدِى سَفَرَةٍ ۝ كِرَامٍۭ بَرَرَةٍ ﴾[عبس:١٣-١٦].

٣ ـ **وجوده في السماء الدنيا**: في بيت العزة، وقد سبق بيان الأدلة على ذلك، وهذا سمي تنـزيلا بنص القرآن، كما سبق[٣].

« ولا تنافي بين كونه موجودا في اللوح المحفوظ وغيره...؛ فإن كونه مكتوبا في اللوح المحفوظ، وفي صحف مطهرة بأيدي الملائكة، لا ينافي أن يكون جبريل نزل به من الله سواء كتبه الله قبل أن يرسل به جبريل، أو بعد ذلك، وإذ كان قد أنزله مكتوبا إلى بيت العزة جملة واحدة في ليلة القدر، فقد كتبه كله قبل أن ينـزله »[٤].

٤ ـ **وجوده في الدنيا بعد نزوله على محمد ﷺ**، وهو معلوم مشاهد، ومقروء متلو، لا ينكره إلا مكابر، ولا يجحده إلا خاسر، فكم من حافظ قد حفظه، وكم من كاتب قد كتبه، وهو كلام الله المنزل على محمد ﷺ[٥].

---

(١) انظر: معالم التنـزيل للبغوي ٧/ ٢٠٥، زاد المسير ٧/ ٣٠٢.

(٢) انظر: المجموع ١٥/ ١١٨.

(٣) انظر: المبحث الثاني من هذا الفصل.

(٤) المجموع ١٢/ ١٢٦-١٢٧، وكون القرآن موجودًا في اللوح المحفوظ وفي السماء الدنيا، ومنـزّلا على محمد ﷺ حقيقة، كما لو أن مَلِكًا ـ ولله المثل الأعلى ـ أمر بشيء فكتب، ثم حفظ في السجلات، ثم أرسله مع رسول إلى شخص معني بالبلاغ فبلغ، فأي تناف في هذا ؟.

(٥) سبقت الإشارة إلى أنه كلام الله وإن قرأه القراء، وكتبه الكتاب في المبحث الأول، من الفصل الأول، وأما كونه =

ومن الحكمة في تعدد وجود القرآن، «مرة في اللوح، وأخرى في بيت العزة، وثالثة على قلب النبي ﷺ، في ذلك التعدد مبالغة في نفي الشك عن القرآن، وزيادة للإيمان، وباعث على الثقة فيه، لأن الكلام إذا سُجِّل في سجلات متعددة، وصحت له وجودات كثيرة، كان ذلك أنفى للريب عنه، وأدعى إلى تسليم ثبوته، وأدنى إلى وفرة الإيقان به، مما لو سُجل في سجل واحد، أو كان له وجود واحد»[1]، ـ والله تعالى أعلم ـ.

وبهذا ظهر أن القرآن منزل حقيقة، وموجود حقيقة، ومن أعظم الأسباب لوجوده هو أن يتعبد به العباد، ويتقرب به إلى الله تعالى أهل البلاد، الحاضر منهم والباد، وهذا ما يكون الحديث عنه في الفصل الثالث.

= موجودًا في مصاحف المسلمين فسيأتي بيانه في الفصل الرابع من هذا الباب ـ إن شاء الله تعالى ـ.

(١) مناهل العرفان للزرقاني ١/ ٤٨.

الفصل الثالث

بيان أن القرآن الكريم متعبد به

وفيه مبحثان:

المبحث الأول: معنى التعبد بالقرآن الكريم، وفيه مطلبان.

المبحث الثاني: صور التعبد بالقرآن الكريم، وفيه ثلاثة مطالب.

المبحث الأول: معنى التعبد بالقرآن الكريم

المطلب الأول: في تعريف التعبد لغة واصطلاحا:

التعبد في اللغة مصدر من: تَعَبَّدَ، يَتَعَبَّدُ، تَعَبُّداً، وأصل (عَبَدَ) يدل على لينٍ وذُلٍ، ولهذا قيل: بعير مُعَبَّدٌ، أي ذلول، ومنه: طريق مُعَبَّدٌ، أي مسلوك مُذَلَّلٌ، ومنه العبد المملوك فإنه مُذَلَّلٌ لسيده(١).

فالتَّعَبُّدُ: التذلل، والخضوع، والانقياد، قال الله تعالى مخبرا عن موسى أنه قال لفرعون: ﴿ وَتِلْكَ نِعْمَةٌ تَمُنُّهَا عَلَىَّ أَنْ عَبَّدتَّ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴾[الشعراء:٢٢] أي: جعلتهم عبيدا لك، مسخرين بأمرك، مذللين لأمورك(٢)، ولهذا يقال تَعَبَّدَ الرجل إذا تنسك(٣).

والعبودية: إظهار التذلل، **والعبادة**: الطاعة، والخضوع، **والعبادة أبلغ من العبودية**، لأنها غاية التذلل(٤).

وعَبَدَ يَعْبُدُ عِبَادَةً لا يقال إلا لمن يَعْبُدُ الله تعالى، و« العَبْدُ يراد به الـمُعَبَّدُ الذي عَبَّدَهُ اللهُ، فَذَلَّلهُ ودبره وصرفه، وبهذا الاعتبار فالمخلوقون كلهم عباد الله: الأبرار منهم والفجار، والمؤمنون والكفار، وأهل الجنة وأهل النار... فهو سبحانه رب العالمين، وخالقهم ورازقهم، ومحييهم ومميتهم، ومقلِّب قلوبهم، ومصرِّف أمورهم، لا رب لهم غيره، ولا مالك لهم سواه، ولا خالق لهم إلا هو، سواء اعترفوا بذلك أو أنكروه،

---

(١) انظر: المقاييس لابن فارس ص٧٢٨-٧٢٩، المفردات للراغب ص ٣٢٣، القاموس المحيط ١/ ٤٣٢.

(٢) انظر: جامع البيان ٩/ ٤٣٨، محاسن التأويل للقاسمي ٥/ ٣٦٤.

(٣) انظر: القاموس المحيط ١/ ٤٣٢، المصباح المنير ص ٣٨٩، المعجم الوسيط ٢/ ٥٩٧.

(٤) انظر: المفردات ص ٣٢٢، القاموس المحيط ١/ ٤٣١، مجمع بحار الأنوار ٣/ ٥١٢، المعجم الوسيط ٢/ ٥٧٩.

وسواء علموا ذلك أو جهلوه، لكن أهل الإيمان منهم عرفوا ذلك، واعترفوا به »[(١)].

والفارق بين العبادة العامة والخاصة: أن كل العباد داخلون تحت العبادة العامة بالقهر والغلبة، وأفعال الرب ﷻ، وأما العبادة الخاصة فهو الاعتراف بالألوهية لله تبارك وتعالى، وأنه وحده المستحق للعبادة[(٢)].

وأما تعريف العبادة في الشرع: فقد عرفها شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله بتعريف جامع ومانع، حيث قال: « العبادة: هي اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه من الأقوال والأعمال الباطنة والظاهرة »[(٣)].

فكل ما شرعه الله فهو محبوب لله ﷻ سواء كان أمرا أو ندبا، وكل ما نهى عنه فلأن الله تعالى يحب من عبده تركها فنهى عنها وكرهها، والدين الذي شرعه الله وأحبه هو الإسلام كله بأعماله الظاهرة والباطنة، وبالأقوال الظاهرة والباطنة.

والمسلم يكون في عبادة مدة حياته، إذا أخلص لله، واحتسب ما عند الله، قال تعالى: ﴿ قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ ﴾[الأنعام:١٦٢-١٦٣][(٤)].

وكل ما لم يشرعه الله ـ ولو تعبد به العباد ـ فإنه ليس من العبادة في شيء لأن الله لا يرضى من عباده البدع، والتشريع من عند أنفسهم، قال تعالى: ﴿ أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ شَرَعُوا لَهُم مِّنَ الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَن بِهِ اللَّهُ ﴾[الشورى:٢١].

قال الشيخ حافظ حكمي رحمه الله ناظما تعريف شيخ الإسلام:

ثم العبادة هي اسم جامع   لكل ما يَرضى الإلهُ السامع
وفي الحديث مخها الدعاء   خوف توكل كذا الرجاء

---

(١) العبودية لشيخ الإسلام ابن تيمية ص ٢٧-٢٨، وانظر: المفردات للراغب ص ٣٢٢، ومعارج القبول ٢/ ٥٣٩.
(٢) انظر: العبودية لشيخ الإسلام ابن تيمية ص ٢٨-٣١.
(٣) الفتاوى الكبرى ٢/ ٣٦١، العبودية له أيضا ص ١٩.
(٤) انظر: جامع البيان لابن جرير ٥/ ٤٢٠، روح المعاني للألوسي ٤/ ٣١٢.

ورغبة ورهبة خشوع وخشية إنابة خضوع
والاستعاذة والاستعانة كذا استغاثة به سبحانه
والذبح والنذر وغير ذلك فافهم هديت أوضح المسالك[(١)].

« فالصلاة، والزكاة، والصيام، والحج، وصدق الحديث، وأداء الأمانة، وبر الوالدين، وصلة الأرحام، والوفاء بالعهد، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، والجهاد للكفار والمنافقين، والإحسان للجار، واليتيم، والمسكين، وابن السبيل والمملوك من الآدميين والبهائم، والدعاء، والذِّكْرُ، والقراءة، وأمثال ذلك من العبادة. وكذلك حب الله ورسوله، وخشية الله، والإنابة إليه، وإخلاص الدين له، والصبر لحكمه، والشكر لنِعَمه، والرضا بقضائه، والتوكل عليه، والرجاء لرحمته، والخوف من عذابه، وأمثال ذلك هي من العبادة لله »[(٢)].

وكلمة الشهادة: لا إله إلا الله، تعني إخلاص العبادة لله وحده لا شريك له، وأنه لا معبود بحق سواه ﷻ، **والشطر الثاني منها**: محمد رسول الله، تعنى أن الله لا يُعبد إلا بما شرعه وبما بعث به محمد ﷺ، وهذه هي العبادة التي يحبها الله ويرضاها، لا العبادات البدعية والشركية.

ولا تكون العبادة مقبولة إلا إذا وجد فيها شرطان: إخلاص الدين لله تعالى، وتجريد المتابعة لرسول الله ﷺ، وليس للعبادة قوامة إلا بهذين الأمرين:

١ ـ **الإخلاص وهو**: قصد وجه الله تعالى، كما قال تعالى: ﴿ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُواْ ٱلزَّكَوٰةَۚ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلۡقَيِّمَةِ ﴾[البينة:٥].

٢ ـ **الصدق في العمل والمتابعة وهو**: بذل العبد جهده في امتثال الأمر، وترك النهي، على وفق ما جاء عن النبي ﷺ، وإذا اجتمع في العبد النية الخالصة الصالحة،

---

(١) سلم الوصول إلى علم الأصول في توحيد الله واتباع الرسول ص ٢٤-٢٥.
(٢) العبودية ص ١٩، وانظر: مجموع رسائل الجامي ص ٩٠.

والعزيمة الصادقة، فقد أوجد الأمر الذي هو شرط في صدور العبادة وتحصيلها، وما عليه إلا بذل الجهد في تحصيل المتابعة إذ هو شرط في قبولها[(١)].

وقال الشيخ حافظ الحكمي رحمه الله: «ثم اعلم أنها لا تقبل الأعمال الظاهرة ما لم يساعدها عمل القلب، **ومناط العبادة هي**: غاية الحب مع غاية الذل»[(٢)]. ولهذا قيل العبادة الحقة الكاملة: هي غاية الذل لله تعالى مع غاية المحبة له عز وجل[(٣)].

«ومن خضع لإنسان مع بغضه له، لا يكون عابدا له، ولو أحب شيئا ولم يخضع له لم يكن له عابدا، كما قد يحب ولده وصديقه، ولهذا لا يكفي أحدهما في عبادة الله تعالى، بل يجب أن يكون الله أحب إلى العبد من كل شيء، وأن يكون الله أعظم عنده من كل شيء، بل لا يستحق المحبة والذل التام إلا الله»[(٤)].

و«**كمال العبد** في تحقيق عبوديته لله، وكلما ازداد العبد تحقيقا للعبودية ازدادَ كمالُه، وعلت درجته، ومن توهم أن المخلوق يَخرج عن العبودية بوجه من الوجوه، أو أن الخروج عنها أكمل، فهو من أجهل الخلق، بل من أضلهم، قال تعالى: ﴿ وَقَالُواْ ٱتَّخَذَ ٱلرَّحۡمَٰنُ وَلَدٗاۗ سُبۡحَٰنَهُۥۚ بَلۡ عِبَادٞ مُّكۡرَمُونَ ﴿٢٦﴾ لَا يَسۡبِقُونَهُۥ بِٱلۡقَوۡلِ وَهُم بِأَمۡرِهِۦ يَعۡمَلُونَ ﴿٢٧﴾ يَعۡلَمُ مَا بَيۡنَ أَيۡدِيهِمۡ وَمَا خَلۡفَهُمۡ وَلَا يَشۡفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرۡتَضَىٰ وَهُم مِّنۡ خَشۡيَتِهِۦ مُشۡفِقُونَ ﴾[الأنبياء:٢٦-٢٨] »[(٥)].

وقال المقريزي رحمه الله[(٦)]: «**واعلم أن للعبادة أربعَ قواعدَ، وهي: التحقق** بما يحبه

---

(١) انظر: معارج القبول ٢/ ٥٤٣-٥٤٦.

(٢) معارج القبول ٢/ ٥٤١.

(٣) انظر: العبودية ص ٢٤، مجموع رسائل الجامي ص ٩٠.

(٤) العبودية ص ٢٥.

(٥) العبودية ص ٥٧.

(٦) هو العلامة المؤرخ: تقي الدين أبو العباس أحمد بن علي بن عبد القادر بن محمد ابن تميم المقريزي، بعلبكي الأصل، مصري المولد والوفاة، ولد سنة ٧٦٦هـ، نشأ صالحا، وحفظ العلم شابا، وكان عاملا بالسنة، مجانبا للبدعة، وكان مهتما بالتأريخ، ومن مؤلفاته ـ وهي كثيرة ـ: البيان المفيد في الفرق بين التوحيد والتلحيد، وتجريد التوحيد، المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار ـ في التاريخ ـ، وغيرها من

الله ورسوله ويرضاه، وقيام ذلك بالقلب، واللسان، والجوارح، فالعبودية اسم جامع لهذه المراتب الأربع، فأصحاب العبادة حقا هم أصحابها »[(١)].

ومما يدل على أهمية العبادة، وعظيم شأنها، أن الله ﷻ لم يخلق الخلق إلا من أجل أن يعبدوه وحده لا شريك له، قال تعالى: ﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾ [الذاريات:٥٦] فبين الله تعالى أنه خلق الخلق« لهذه الحكمة، وهي عبادته تعالى، بما أمر على لسان رسوله، إذ لا يتم صلاح، ولا تنال سعادة في الدارين، إلا بها »[(٢)].

فالعبادة هي الغاية المحبوبة لله تعالى، والمرضية له، والتي خلق الخلق لأجلها[(٣)]، ومن أعظم ما يتعبد به الإنسانُ لربه، ويتقرب إليه، التعبد بالقرآن الكريم، الذي هو كلام الرحمن الرحيم، ودل على ذلك الأدلة الكثيرة، وسأبينها في المطلب التالي.

=

المصنفات، توفي رحمه الله سنة ٨٤٥هـ. انظر: شذرات الذهب ٧/ ٢٥٤-٢٥٥، هدية العارفين ١/ ١٢٧، معجم المؤلفين ٢/ ١١-١٢.

(١) تجريد التوحيد المفيد ص ١١٧، وانظر: مدارج السالكين ١/ ١١٣.

(٢) محاسن التأويل للقاسمي ٦/ ٣٤٩، وانظر: تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان للشيخ عبد الرحمن بن ناصر السعدي ٧/ ١٨١.

(٣) انظر: العبودية لشيخ الإسلام ابن تيمية ص ١٩.

المطلب الثاني: الأدلة على كون القرآن متعبدا به.

مما لا شك فيه أن تشريع العبادة محض حق لله تعالى، كما أن صرفها محض حق لله تعالى، فكما لا يُشَرِّعُ غيره، فكذلك لا يُعبَدُ غيره، ومما شرع لعباده أن يتقربوا إليه تعالى بالقرآن الكريم، والقرآن الكريم تعبدنا الله ﷻ باعتقاد أنه كلامه، واعتقاد ما فيه، والعمل بما يحويه، وتعبدنا الله بألفاظ القرآن بتلاوتها.

وقد امتن الله على عباده أن بعث إليهم رسولا يقرئ الناسَ القرآنَ، قال تعالى: ﴿ لَقَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولاً مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُواْ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴾[آل عمران:١٦٤] وفي الحديث القدسي قال الله تعالى: [**إنما بعثتك لأبتليك وأبتلي بك، وأنزلت عليك كتابا لا يغسله الماء**[١]**، تقرؤه نائما ويقظان**][٢].

وهذا الكتاب المتلو تعبدنا الله به، ومن الأدلة على ذلك:

١ ـ **أمرُ الله ﷻ ورسولِه ﷺ إيانا بقراءته**: قال الله تعالى: ﴿ فَٱقْرَءُواْ مَا تَيَسَّرَ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ ﴾ وقال: ﴿ فَٱقْرَءُواْ مَا تَيَسَّرَ مِنْهُ ﴾[المزمل:٢٠] وقال ﷺ : [**من قرأ عشر آيات لم يكتب من الغافلين**][٣]، وقال ﷺ : [**من قام بعشر آيات لم يكتب من الغافلين، ومن قام بمائة آية كتب من القانتين، ومن قرأ بألف آية كتب من المقنطرين**][٤]. والله ورسوله

---

(١) أي أنه محفوظ في الصدور، فلا يتأثر بمر الدهور، ولا يتغير بالعوامل على مر العصور.

(٢) أخرجه مسلم، كتاب الجنة، باب/ الصفات التي يُعرف بها في الدنيا أهل الجنة وأهل النار، ح(٢٨٦٥).

(٣) رواه الحاكم في المستدرك، كتاب فضائل القرآن، ح(٢٠٤١)، عن أبي هريرة ﷺ، وقال: هذا حديث صحيح على شرط مسلم، ووافقه الذهبي كما في التلخيص في حاشية المستدرك، ورواه الدارمي في سننه، كتاب فضائل القرآن، باب/ فضل من قرأ عشر آيات، ح(٣٤٤٢) من رواية تميم الداري ﷺ، وانظر: السلسلة الصحيحة ٢/ ٢٤٢.

(٤) أخرجه أبو داود، كتاب الصلاة، باب/ تحزيب القرآن، ح(١٣٩٨) وفيه: (من قام) بدل (قرأ)، وابن خزيمة في صحيحه ١/ ١٢٥، وابن حبان في صحيحه كما في الإحسان(٢٥٦٣) وغيرهم، وأورده الشيخ الألباني في السلسلة الصحيحة (٦٤٢).

لا يأمران إلا بما فيه قربة وعبادة، فدل هذا على أن قراءة القرآن عبادة عظيمة.

٢ ـ **الأمر بتلاوته والعمل بما فيه**: قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَٰبَ ٱللَّهِ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنفَقُواْ مِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تِجَٰرَةً لَّن تَبُورَ ﴿٢٩﴾ لِيُوَفِّيَهُمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ غَفُورٌ شَكُورٌ ﴾[فاطر:٢٩-٣٠] فتلاوة القرآن تجارة لا خسارة فيها، وأجرها كامل لا نقص فيه، بل يزيده ربنا، ففضل الله واسع، وهو شكور غفور بنا[١]. وقال تعالى: ﴿ ٱتْلُ مَآ أُوحِىَ إِلَيْكَ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ ﴾[العنكبوت:٤٥] وقال: ﴿ وَٱتْلُ مَآ أُوحِىَ إِلَيْكَ مِن كِتَابِ رَبِّكَ ﴾[الكهف:٢٧] وقال: ﴿ وَرَتِّلِ ٱلْقُرْءَانَ تَرْتِيلاً ﴾[المزمل:٤]، « **وتلاوة الكتاب**: هي اتباعه، والعمل به، كما قال ابن مسعود ﷺ في قوله تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَتْلُونَهُۥ حَقَّ تِلَاوَتِهِۦٓ ﴾[البقرة:١٢١] قال: يحلون حلاله، ويحرمون حرامه، ويؤمنون بمتشابهه، ويعملون بمحكمه »[٢][٣].

٣ ـ **أمر الله ﷻ ورسوله ﷺ إيانا بالاستماع إليه حال قراءته**، قال تعالى: ﴿ وَإِذَا قُرِئَ ٱلْقُرْءَانُ فَٱسْتَمِعُواْ لَهُۥ وَأَنصِتُواْ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾[الأعراف:٢٠٤] قال أبو جعفر الطبري: « يقول تعالى ذكره للمؤمنين به، المصدقين بكتابه، الذين القرآنُ لهم هدى ورحمة: ﴿ إِذَا قُرِئَ ﴾ عليكم أيها المؤمنون ﴿ ٱلْقُرْءَانُ ﴾، ﴿ فَٱسْتَمِعُواْ لَهُۥ ﴾ يقول: اصغوا له سمعكم، لتتفهموا آياته، وتعتبروا بمواعظه، ﴿ وَأَنصِتُواْ ﴾ إليه، لتعقلوه، وتتدبروه، ولا تلغوا فيه، فلا تعقلوه، ﴿ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾، يقول: ليرحمكم ربكم باتعاظكم بمواعظه، واعتباركم بعبره، واستعمالكم ما بينه لكم ربكم من فرائضه في آيه »[٤].

وقال تعالى: ﴿ وَإِذْ صَرَفْنَآ إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقُرْءَانَ فَلَمَّا

---

(١) انظر: جامع البيان للطبري ١٠/ ٤١٠، زاد المسير لابن الجوزي٦/ ٤٨٦-٤٨٧.

(٢) أخرجه ابن جرير في تفسيره ١/ ٥٦٧.

(٣) العبودية لشيخ الإسلام ابن تيمية ص ٥٦.

(٤) جامع البيان ٦/ ١٦١، وانظر: محاسن التأويل للقاسمي ٣/ ٦٨٦-٦٨٧.

حَضَرُوهُ قَالُوٓاْ أَنصِتُواْ ۖ فَلَمَّا قُضِىَ وَلَّوْاْ إِلَىٰ قَوْمِهِم مُّنذِرِينَ ﴾[الأحقاف:٢٩].

٤ ـ **الحث على تدبره**: قال الله تعالى: ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ ۚ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُواْ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا ﴾[النساء:٨٢] وقال: ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ ﴾[محمد:٢٤] وقال: ﴿ أَفَلَمْ يَدَّبَّرُواْ ٱلْقَوْلَ أَمْ جَآءَهُم مَّا لَمْ يَأْتِ ءَابَآءَهُمُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴾[المؤمنون:٦٨] والمراد بالقول هنا القرآن الذي أنزل إليهم[١].

٥ ـ **أنه من الذكر الذي يذكر الله ﷻ به**، قال الله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴾[القمر:١٧] فهو من الذكر الذي سهله الله، وهونه على العباد، وبين فيه الآيات، وما به يُتعظ[٢]، وقال تعالى: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴾[الحجر:٩] وقال: ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ ٱللَّهِ ۗ أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ ﴾[الرعد:٢٨] والمراد بالذكر هنا العموم، وقيل القرآن، لأنه آية بينة تسكن القلوب، وتثبت اليقين، والمؤمنون يعلمون أنها أعظم آية تطمئن لها قلوبهم ببرد اليقين[٣].

٦ ـ **قراءته والاجتماع عليه سبب لنزول السكينة والرحمة**: كما قال ﷺ: [**ما اجتمع قوم في بيت من بيوت الله، يتلون كتاب الله، ويتدارسونه بينهم، إلا نزلت عليهم السكينة، وغشيتهم الرحمة، وحفتهم الملائكة، وذكرهم الله فيمن عنده...**][٤]، قال البخاري ﵀ في صحيحه: باب نزول السكينة والملائكة عند قراءة القرآن[٥].

٧ ـ **أنه كلام الله، وأفضل ما يتقرب به إلى الله كلامه**: قال خباب ﷺ: [**فإنك**

(١) انظر: المجموع ١٦/ ٥-٦.

(٢) انظر: جامع البيان لابن جرير ١١/ ٥٥٥-٥٥٦، تيسير الكريم الرحمن للسعدي ٧/ ٢٣٢.

(٣) انظر: محاسن التأويل للقاسمي ٤/ ٤٤٨، تيسير الكريم الرحمن للسعدي ٤/ ١٠٨.

(٤) رواه مسلم من حديث أبي هريرة ﷺ، كتاب الذكر والدعاء، باب/ فضل الاجتماع على تلاوة القرآن...، ح(٢٦٩٩).

(٥) كتاب فضائل القرآن ص١٠٩١، وذكر تحته حديث أسيد بن حضير وفيه: [**تلك الملائكة دنت لصوتك**].

لن تتقرب إلى الله بشيء أحب إليه مما خرج منه][(١)]، قال الحافظ ابن رجب[(٢)] رحمه الله: «ومن أعظم ما يتقرب به العبد إلى الله تعالى من النوافل: كثرة تلاوة القرآن، وسماعه بتفكر وتدبر وتفهم»[(٣)].

وتدل المجالات الكثيرة على أن القرآن يتعبد به، وهذا ما أبينه في المبحث التالي.

(١) رواه عبد الله بن الإمام أحمد في السنة ص٢٤، ح(٩٤)، والبيهقي في شعب الإيمان ١/ ١٨٩، وروى نحوه عن أبي ذر رضي الله عنه مرفوعا الحاكم في مستدركه، كتاب فضائل القرآن، أخبار في فضائل القرآن جملة، ح(٢٠٣٩)، وقال: صحيح الإسناد ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي في التلخيص، وروى المرفوع أيضا الترمذي في سننه، كتاب فضائل القرآن، باب/ ...، ح(٣٠٧٩)، وقال الألباني عن الحديث المرفوع: ضعيف، كما في السلسلة الضعيفة ٤/ ٤٢٥.

(٢) هو الحافظ الكبير: عبد الرحمن بن أحمد بن رجب البغدادي الدمشقي، زين الدين أبو الفرج المحدث الفقيه، له مصنفات كثيرة، ومنها: فتح الباري شرح صحيح البخاري ولم يكمله، وله الذيل على طبقات الحنابلة، توفي سنة ٧٩٥هـ. انظر: معجم المؤلفين ٥/ ١١٨.

(٣) جامع العلوم والحكم ص ٣٦٤.

المبحث الثاني: صور التعبد بالقرآن الكريم

المطلب الأول: التعبد بقراءته، وتدبره، وفيه مسألتان:

المسألة الأولى: التعبد بقراءة القرآن الكريم.

لا ريب أن المقصود الأعظم من نزول القرآن الكريم، هو التعبد بأحكامه للرحمن الرحيم، وإقامة حدوده، وكذلك إقامة حروفه، قال البغوي[(١)] رحمه الله: «ثم إن الناس كما أنهم متعبدون باتباع أحكام القرآن، وحفظ حدوده، **فهم متعبدون بتلاوته، وحفظ حروفه**»[(٢)].

والأدلة على ذلك كثيرة:

١ ـ أن الله تعالى جعل قراءة الحرف منه بعشر حسنات، كما جاء في حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه مرفوعا: [**من قرأ حرفا من كتاب الله فله به حسنة، والحسنة بعشر أمثالها، لا أقول (ألم) حرف، ولكن ألف حرف، ولام حرف، وميم حرف**][(٣)].

ومعلوم أن الحسنة بعشر أمثالها، وبيان فضل تلاوة القرآن لكون العشر

---

(١) البغوي هو: محي السنة الحافظ أبو محمد الحسين بن مسعود بن محمد الفراء الشافعي، صاحب التفسير المعروف، توفي ٥١٦هـ. طبقات الشافعية للسبكي ٧/ ٧٥، طبقات الحفاظ للسيوطي ص ٤٥٦.

(٢) معالم التنـزيل ١/ ٣٧، وانظر: جامع البيان لابن جرير٥/ ٤٢٦-٤٢٧.

(٣) رواه الترمذي في سننه، أبواب فضائل القرآن، باب/ ما جاء فيمن قرأ حرفا من القرآن.، ح(٣٠٧٥)، وقال: «حديث حسن صحيح غريب من هذا الوجه...، ويروى من غير هذا الوجه»، ورواه الدارمي في سننه موقوفا، كتاب فضائل القرآن، باب/ فضل من قرأ القرآن، ح(٣٣٠٨)، وقال الألباني: «صحيح» كما في تعليقه على مشكاة المصابيح١/ ٦٥٩، ح(٢١٣٧)، وانظر السلسلة الصحيحة له ٢/ ٢٦٣، ح(٦٦٠).

حسنات هنا ليست مخصوصة في أن يأتي بالكلمة محصورة بكمالها، بل تحصل بحرف منها[١]، ولعل التفضيل واقع من جهة كون قراءة الحرف منه بعشر حسنات في العشر المعلومة فتكون بمائة، والله تعالى أعلم[٢].

وقال ﷺ : [**يقال لصاحب القرآن: اقرأ وارتق ورتل كما كنت ترتل في الدنيا، فإن منـزلتك عند آخر آية تقرؤها**][٣].

٢ ـ الإخبار بنـزول السكينة عند قراءة القرآن الكريم: عن البراء بن عازب رضي الله عنه قال: كان رجل يقرأ سورة الكهف، وعنده فرس مربوط بشطنين[٤]، فتغشته سحابة، فجعلت تدور وتدنو، وجعل فرسه يَنفِر منها، فلما أصبح أتى النبي ﷺ، فذكر ذلك له، فقال: [**تلك السكينة تنـزلت للقرآن**][٥].

٣ ـ مثل قارئ القرآن كذي الرائحة العطرة، لأنه يزكو بالقراءة: قال النبي ﷺ : [**مثل المؤمن الذي يقرأ القرآنَ، مثل الأترجة؛ ريحها طيب، وطعمها طيب، ومثل المؤمن الذي لا يقرأ القرآن مثل التمرة؛ لا ريح لها، وطعمها حلو، ومثل المنافق الذي يقرأ القرآن مثل الريحانة؛ ريحها طيب، وطعمها مر، ومثل المنافق الذي لا يقرأ القرآن**

---

(١) انظر: فتاوى ابن الصلاح ص ١٥٠.

(٢) ولحافظ كتاب الله تعالى آداب مهمة ينبغي عليه مراعاتها، ومن أهمها: ١ ـ الإخلاص لله تعالى. ٢ ـ الإكثار من قراءته. ٣ ـ الورع والتقوى. ٤ ـ الاهتمام بما حفظ وتعلم معناه. ٥ ـ العمل بما علم وحفظ. انظر: فضائل القرآن لأبي عبيد ص ٥١-٦٣، جمال القراء لعلم الدين السخاوي ١/ ١١٣-١٢٢، الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ١/ ١٧-١٩، مجلة البحوث الإسلامية، العدد (٦٣) ص ١٨-٢٦.

(٣) رواه أبو داود، كتاب الصلاة، باب/ كيف يستحب الترتيل في القراءة، ح(١٤٦٤)، والترمذي، كتاب فضائل القرآن، باب/ ...، ح (٢٩١٥)، وقال: (حسن صحيح)، ورواه ابن ماجة، كتاب الأدب، ح(٣٧٨٠)، ورواه الحاكم، كتاب فضائل القرآن، باب/ أخبار فضائل القرآن جملة، ح(٢٠٣٠)، وقال الذهبي في تلخيصه: «صحيح»، وقال الشيخ الألباني: «إسناده حسن»، كما في تعليقه على مشكاة المصابيح، ح(٢١٣٤).

(٤) الشَّطَن: الحبل، وقيل هو الطويل منه، وإنما ربطه بحبلين لقوة الفرس وشدته. انظر: المجموع المغيث في غريبي القرآن والحديث لأبي موسى الأصفهاني ٢/ ١٩٩، النهاية في غريب الحديث والأثر لابن الأثير ٢/ ٤٧٥.

(٥) أخرجه البخاري، كتاب التفسير، باب/ ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ فِى قُلُوبِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾، ح(٤٨٣٩)، ومسلم واللفظ له، كتاب صلاة المسافرين، باب/ نزول السكينة لقراءة القرآن، ح(٧٩٥).

كمثل الحنظلة؛ ليس لها ريح، وطعمها مر](١).

٤ ـ ترتيب الثواب للماهر، وللمتعتع فيه: فعن عائشة ﵂ قالت: قال رسول الله ﷺ: **[الماهر بالقرآن مع السفرة الكرام البررة، والذي يقرأ القرآن ويتتعتع فيه وهو عليه شاق، له أجران]**(٢).

٥ ـ غبطة أهل القرآن: عن عبد الله بن عمر ﵄: عن النبي ﷺ قال: **[لا حسد إلا في اثنتين: رجل آتاه الله القرآنَ، فهو يقوم به آناء الليل، وآناء النهار، ورجل آتاه الله مالا فهو يُنفِقُه آناء الليل، وآناء النهار]**(٣). فالمؤمن الحق يغبط أهل القرآن، على قيامهم بالقرآن حقا، وتوفيق الله لهم فضلا، ويتمنى أن يكون مثلهم عملا.

والبصر نعمة ينبغي للإنسان استخدامها فيما يرضي الرب تعالى، ومن ذلك تلاوة القرآن في المصحف، والمحافظة على النعم التي وهبنا الله ﷻ يكون باستعمال هذه النعم فيما يرضي الرب ﷻ(٤).

٦ ـ معلوم فضل الذكر، إلا أن قراءة القرآن أفضل منه: وحكى شيخ الإسلام ابن تيمية ﵀ الإجماع، ونقله عن علماء الإسلام، على أن قراءة القرآن أفضل من مطلق الذكر(٥)، ولا ريب أن جنس التلاوة أفضل من جنس الأذكار، وجنس الأذكار أفضل من جنس الدعاء(٦).

وأعظم ما يتعبد به في قراءة القرآن ما توقف الأمر الشرعي الواجب على

---

(١) أخرجه البخاري، كتاب فضائل القرآن، باب/ فضل القرآن على سائر الكلام، ح(٥٠٢٠)، ومسلم واللفظ له، كتاب صلاة المسافرين، باب/ فضيلة حافظ القرآن، ح(٧٩٧)، كلاهما عن أبي موسى الأشعري ﵁.

(٢) أخرجه مسلم، كتاب صلاة المسافرين، باب/ فضل الماهر في القرآن...، ح(٧٩٨)، وأخرجه البخاري، كتاب التفسير، تفسير سورة عبس، ح(٤٩٣٧) بلفظ: **[مثل الذي يقرأ القرآن وهو حافظ له مع السفرة الكرام البررة، ومثل الذي يقرأ القرآن وهو يتعاهده، وهو عليه شديد فله أجران]**.

(٣) أخرجه البخاري، كتاب فضائل القرآن، باب/ اغتباط صاحب القرآن، ح(٥٠٢٥)، ومسلم، كتاب صلاة المسافرين، باب/ فضل من يقوم بالقرآن...،ح(٨١٥).

(٤) انظر: شرح الزرقاني على موطأ مالك ٢/ ٤٦.

(٥) انظر: المجموع ٢٣/ ٥٧.

(٦) انظر: الفتاوى الكبرى ١/ ٢٣٣، الإقناع للشربيني ١/ ١٠٥، فتاوى ابن الصلاح ص ١٥٠.

صحته، مثل القراءة في الصلاة[(١)]، لقول النبي ﷺ فيما يرويه عن ربه ﷻ: **[من عادى لي وليا فقد آذنته بالحرب، وما تقرب إلي عبدي بشيء أحب إلي مما افترضته عليه]**[(٢)].

٧ ـ ومن إقامة حروف القرآن الاستماع إليه، فهو عبادة عظيمة، ومنافعه كثيرة: قال الله تعالى: ﴿ وَإِذَا سَمِعُوا مَا أُنزِلَ إِلَى الرَّسُولِ تَرَى أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا مِنَ الْحَقِّ ﴾[المائدة:٨٣]، وقال: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مِن قَبْلِهِ إِذَا يُتْلَى عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ سُجَّدًا ﴿١٠٧﴾ وَيَقُولُونَ سُبْحَانَ رَبِّنَا إِن كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولًا ﴿١٠٨﴾ وَيَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا ﴾[الإسراء:١٠٧-١٠٩].

والمؤمنون الصادقون إذا سمعوا اللغو يعرضون عنه، قال تعالى: ﴿ وَإِذَا سَمِعُوا اللَّغْوَ أَعْرَضُوا عَنْهُ وَقَالُوا لَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ لَا نَبْتَغِي الْجَاهِلِينَ ﴾ [القصص:٥٥]، ويقبلون على السماع الشرعي الذي هو استماع القرآن، قال تعالى: ﴿ قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ الْجِنِّ فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا ﴿١﴾ يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ فَآمَنَّا بِهِ ۖ وَلَن نُّشْرِكَ بِرَبِّنَا أَحَدًا ﴾[الجن:١-٢]، وقال: ﴿ وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ الْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ الْقُرْآنَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوا أَنصِتُوا ۖ فَلَمَّا قُضِيَ وَلَّوْا إِلَىٰ قَوْمِهِم مُّنذِرِينَ ﴾[الأحقاف:٢٩]، فقراءة القرآن والاستماع إليه كرامة أكرم الله بها الإنس، غير أن المؤمنين من الجن يقرؤونه كما يستمعون إليه[(٣)].

وقال في صفات المؤمنين: ﴿ الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ ﴾[الزمر:١٨]، وقال آمراً المؤمنين: ﴿ وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنصِتُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾[(٤)]؛

---

(١) انظر: المجموع ٣/ ٤٢٦.

(٢) أخرجه البخاري، كتاب الرقاق، باب/ التواضع، ح(٦٥٠٢).

(٣) انظر: فتاوى ابن الصلاح ص ٢٣٤.

(٤) **وللقراءة آداب جليلة، منها:** ١ ـ أن يكون حال قراءته على أكمل حال. ٢ ـ الاستياك وتطهير الفم. ٣ ـ الاستعاذة والبسملة في أول القراءة. ٤ ـ الترسل في القراءة وعدم الإسراع. ٥ ـ تحسين الصوت بالقرآن الكريم. ٦ ـ التدبر فيما يقرأ. ٧ ـ الوقوف على آيات الرغبة والرهبة سائلا ومستعيذا. ٦ ـ البكاء عند قراءة القرآن. ٧ ـ إذا نسي شيئا أن يقول: (أُنسِيت، أو نُسِّيت). ٨ ـ يقرأ ما دام قلبه مؤتلفا بالقرآن. =

فالاستماع للقرآن مستحب، والعمل به واجب[(١)]، وشرع الله ﷻ لعباده قراءة القرآن، والاستماع له، والاجتماع لسماعه، وكان أصحاب رسول الله إذا اجتمعوا أمروا واحدا منهم أن يقرأ، والباقون يستمعون[(٢)].

ولاستماع كلام رب البرية، آثار سنية، ومنها: ١ـ غشيان الرحمة. ٢ـ نزول السكينة. ٣ـ حضور الملائكة. ٤ـ ذكر الله لهم في الملأ الأعلى. ٥ـ زيادة الإيمان.

وهذه الأمور تولد في المتبعين ثلاثة آثار، وكانت ظاهرة في الصحابة ﭫ وهي:

١ـ خشوع القلب. ٢ـ دمع العين. ٣ـ اقشعرار الجلد.

وهذه الثلاثة هي الموجودة في أصحاب رسول الله ﷺ، ومدحهم الله بذلك، قال تعالى: ﴿ ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ ٱلْحَدِيثِ كِتَٰبًا مُّتَشَٰبِهًا مَّثَانِىَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُدَى ٱللَّهِ يَهْدِى بِهِۦ مَن يَشَآءُ ﴾[الزمر:٢٣]، وقال تعالى: ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ۝ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ۝ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا ۚ لَّهُمْ دَرَجَٰتٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴾[الأنفال:٢-٤][(٣)].

وعائشة ﭬ، لما قيل لها: إن قوما إذا سمعوا القرآن يصعقون؟ قالت: **[إن القرآن أكرم أن يُنْزَفَ عنه عقول الرجال، ولكنه كما قال:** ﴿ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ ﴾[الزمر:٢٣]][(٤)].

= انظر: فضائل القرآن لأبي عبيد ص٦٣ وما بعدها، الجامع في أحكام القرآن للقرطبي ١/ ٢٢-٢٥، البرهان في علوم القرآن للزركشي ١/ ٥٣١ وما بعدها، مجلة البحوث الإسلامية، العدد(٦٤)، ص ٢٦-٣٤، أدب القارئ والقراءة للدكتور/ عبد العزيز الجربوع.

(١) انظر: المجموع ١٥/ ٣٩٠، مختصر فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية للبعلي ص ٥٩١.

(٢) انظر: المجموع ٣/ ٢٥، ٤٢٦، ١١/ ٥٨، ٥٥٨، اقتضاء الصراط المستقيم لشيخ الإسلام ابن تيمية ٢/ ٦٣٣.

(٣) انظر: مقدمة الكلام على مسألة السماع لابن القيم ص ٤٥.

(٤) رواه أبو عبيد في فضائل القرآن، باب/ القارئ يُصعق عند قراءة القرآن...، ح(٣١)، وانظر: جمال القراء =

ووجد في التابعين آثار ثلاثة: ١ـ الاضطراب. ٢ـ الاختلاج[1]. ٣ـ الإغماء أو الموت. فأنكر بعض السلف ذلك، وجمهور الأئمة والسلف لا ينكرون ذلك؛ لأن السبب إذا لم يكن محظورا ـ وهو قراءة القرآن ـ كان صاحبه فيما تولد عنه من الإغماء والاختلاج والاضطراب معذورا، لكن سبب هذه الآثار فيهم قوة الوارد على قلوبهم، وضعف قلوبهم عن حمله[2].

وهذا يدلك على وسطية الصحابة وأنهم كانوا بين الخوف والرجاء، بخلاف من جاء بعدهم فغلب عليهم إما الخوف فتولد منه الإغماء أو الموت عند القراءة، أو غلب عليهم الرجاء فتولد عنه الاضطراب عند القراءة، بخلاف الصحابة فإنهم جمعوا الخوف والرجاء، فسلموا من الاضطراب والإغماء.

٨ ـ ذم المعرضين عن سماع القرآن، لكونهم تركوا عبادة وقربة[3]: قال الله تعالى: ﴿ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ ءَايَٰتُنَا وَلَّىٰ مُسْتَكْبِرًا كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا كَأَنَّ فِىٓ أُذُنَيْهِ وَقْرًا ۖ فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾[لقمان:٧].

والناس منقسمون في سماع القرآن على أربعة أصناف[4]:

الصنف الأول: معرض ممتنع عن سماعه، كما قال الله ﷻ: ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَا تَسْمَعُوا۟ لِهَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ وَٱلْغَوْا۟ فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ ﴾[فصلت:٢٦].

الصنف الثاني: يسمع الصوت، ولا يفقه المعنى، كما قال الله تعالى: ﴿ وَمِنْهُم مَّن

=
لعلم الدين السخاوي ١/ ١١١.

(١) المراد **بالاضطراب**: هو الفرح مع اضطراب الجسم وذلك عند سماع شيء عن المحبوب، **والاختلاج** هو دخول شيء من الخوف على القلب وظهور ذلك على البدن برعشة أو عدم توازن في الجسم ـ والله أعلم ـ. انظر: الكليات ص٦٤، لسان العرب لابن منظور ٨/ ١٣٥.

(٢) انظر: المجموع ١١/ ٥٩٠-٥٩١، مختصر الفتاوى للبعلي ص٥٩٢، الكلام على مسألة السماع لابن القيم ص ٤٦-٤٧.

(٣) انظر: المجموع ١١/ ٥٥٩، ٥٨٨.

(٤) انظر: المجموع ١٦/ ٨-١٤.

يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ حَتَّىٰٓ إِذَا خَرَجُوا۟ مِنْ عِندِكَ قَالُوا۟ لِلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ مَاذَا قَالَ ءَانِفًا ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَٱتَّبَعُوٓا۟ أَهْوَآءَهُمْ ﴾[محمد:١٦]، وقال تعالى: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَا تَوَلَّوْا۟ عَنْهُ وَأَنتُمْ تَسْمَعُونَ ۝ وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ قَالُوا۟ سَمِعْنَا وَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ ﴾[الأنفال:٢٠-٢١].

الصنف الثالث: يسمع الصوت، ويفقه المعنى، ولا يقبله، قال الله تعالى: ﴿ مِّنَ ٱلَّذِينَ هَادُوا۟ يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ وَيَقُولُونَ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَٱسْمَعْ غَيْرَ مُسْمَعٍ وَرَٰعِنَا لَيًّۢا بِأَلْسِنَتِهِمْ وَطَعْنًا فِى ٱلدِّينِ ۚ وَلَوْ أَنَّهُمْ قَالُوا۟ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَٱسْمَعْ وَٱنظُرْنَا لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ وَأَقْوَمَ ﴾[النساء:٤٦] وقال تعالى: ﴿ أَفَتَطْمَعُونَ أَن يُؤْمِنُوا۟ لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَـٰمَ ٱللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُۥ مِنۢ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾[البقرة:٧٥].

الصنف الرابع: يسمع الصوت، ويفقه المعنى، ويقبله، ويعمل به، وهؤلاء هم المؤمنون، قال تعالى: ﴿ وَإِذَا سَمِعُوا۟ مَآ أُنزِلَ إِلَى ٱلرَّسُولِ تَرَىٰٓ أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ ٱلدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا۟ مِنَ ٱلْحَقِّ ﴾[المائدة:٨٣].

وأما أن يقرأ الإنسانُ القرآنَ ويهدي ثوابه إلى آخر: فهذا لم يُذكر في الكتاب العظيم، ولا في هدي الرسول الكريم، والذي دل عليه الكتاب والسنة، أن القراءة عبادة متعلقة بالعبد نفسه، ولا يتعداه إلى غيره، وكون ثواب قراءة القرآن المبين، لا يصل إلى الآخرين، **عليه دلائل منها:**

١ـ أنه ﷺ أرشد الأمة إلى الدعاء للميت، والصلاة عليه، والاستغفار له، والصدقة عنه، ولم يرشد إلى قراءة القرآن فدل ذلك على أنه ليس بمشروع، قال شيخ الإسلام ابن تيمية ﷺ مُقَعِّدًا: «فإن ذلك ـ أي القراءة على القبر ـ لو كان مشروعا لسنه رسول الله لأمته»[1].

(١) اقتضاء الصراط المستقيم ٢/ ٧٤٢، وهذا تأصيل من شيخ الإسلام ﷺ على أن ما لم يشرعه الله فلا يجوز التعبد به، وهو له قول في وصول ثواب قراءة القرآن إلى الغير، إلا أن هذه القاعدة التي ذكرها هي قاعدة جامعة مانعة، وسيأتي ذكر قوله ﷺ ص ٤٩٨.

٢ ـ **قراءة القرآن أيسر شيء على العبد وجودا**، وأسهله عملا، ويستطيعه أغلب الناس، ولم يرشد إليه أعلم الناس، فدل أنه ليس بسائغ شرعا.

٣ ـ **أرشد النبي ﷺ أمته إلى كل خير يعلمه لهم**، كما قال ﷺ: [**أيها الناس إنه ليس من شيء يقربكم من الجنة، ويبعدكم من النار إلا قد أمرتكم به، وليس شيء يقربكم من النار، ويبعدكم من الجنة إلا قد نهيتكم عنه**][1]. ولو كانت القراءة للغير من الخير المقرب إلى الله ﷻ لأرشد إليه أفضل الخلق محمد رسول الله ﷺ.

٤ ـ **بلغ النبي ﷺ الدين كاملا، قال الله ﷻ**: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغۡ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَۖ وَإِن لَّمۡ تَفۡعَلۡ فَمَا بَلَّغۡتَ رِسَالَتَهُۥ ﴾[المائدة:٦٧] قالت عائشة ؓ [**من حدثك أن محمدا ﷺ كتم شيئا مما أنزل الله عليه فقد كذب، والله يقول**: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغۡ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَ ﴾][2].

قال الحافظ ابن كثير ؒ: «وقد شهدت له أمته بإبلاغ الرسالة، وأداء الأمانة، واستنطقهم بذلك في أعظم المحافل، في خطبة يوم حجة الوداع، وقد كان هناك أصحابه...»[3].

وقال القرطبي ؒ: «فدلت الآية على ردّ قول من قال: إن النبي ﷺ كتم شيئا من أمر الدين تقية، وعلى بطلانه، وهم الرافضة. **ودلت على أنه** ﷺ لم يُسِر إلى أحد شيئا من أمر الدين، لأن المعنى: بلِّغ جميع ما أنزل إليك ظاهرا، ولولا هذا ما كان في قوله ﷻ: ﴿ وَإِن لَّمۡ تَفۡعَلۡ فَمَا بَلَّغۡتَ رِسَالَتَهُۥ ﴾ فائدة،... وهذا تأديب للنبي ﷺ، وتأديب لحملة العلم من أمته ألا يكتموا شيئا من أمر شريعته، وقد علم الله من أمر

(١) أخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه، كتاب الزهد، باب/ ما ذكر عن نبنا في الزهد، ح(٣٤٣٣٢)، والحاكم في مستدركه، كتاب البيوع، ح(٢١٣٦)، والبغوي في شرح السنة، كتاب الرقاق، باب/ التوكل على الله ﷻ، ح(٤١١٠، ٤١١١)، وقال المحقق ـ بعد أن ذكر من رواه ـ: «فيتقوى الحديث ويصح».

(٢) رواه البخاري، كتاب التفسير، تفسير سورة المائدة، ح(٤٦١٢)، ورواه مسلم، كتاب الإيمان، باب/ معنى قول الله ﴿ وَلَقَدۡ رَءَاهُ نَزۡلَةً أُخۡرَىٰ ﴾، ح(١٧٧)، واللفظ للبخاري.

(٣) تفسير القرآن العظيم ٢/ ٧٧.

نبيه أنه لا يكتم شيئا من وحيه »[١].

ولو كانت القراءة للغير من الدين لبلغه رسول الله ﷺ.

٥ ـ أنه ﷺ حذر من البدع المحدثات، قال ﷺ : [من عمل عملا ليس عليه أمرنا فهو ردٌّ][٢] وقال: **[من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد]**[٣]. وكان النبي ﷺ يقول في خطبته يوم الجمعة: **[أما بعد: فإن خير الحديث كتاب الله، وخير الهدى هدى محمد ﷺ، وشر الأمور محدثاتها، وكل بدعة ضلالة ـ وكل ضلالة في النار ـ]**[٤].

ولم يثبت قراءة القرآن للغير فيما نقل لنا عن النبي ﷺ، ولم يعرف من حال أصحابه إهداء ثواب القراءة، فالحق في الاتباع، لا في الابتداع[٥].

٦ ـ ظاهر العموم المنفي في قوله تعالى: ﴿ أَمْ لَمْ يُنَبَّأْ بِمَا فِي صُحُفِ مُوسَىٰ ﴿٣٦﴾ وَإِبْرَاهِيمَ الَّذِي وَفَّىٰ ﴿٣٧﴾ أَلَّا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ﴿٣٨﴾ وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَانِ إِلَّا مَا سَعَىٰ ﴿٣٩﴾ وَأَنَّ سَعْيَهُ سَوْفَ يُرَىٰ ﴿٤٠﴾ ثُمَّ يُجْزَاهُ الْجَزَاءَ الْأَوْفَىٰ ﴾[النجم:٣٦-٤١] **فظاهر هذا العموم يدل على عدم وصول ثواب القراءة للغير.**

قال الحافظ ابن كثير رحمه الله في تفسير هذه الآية: « أي كما لا يحمل عليه وزر غيره،

---

(١) الجامع لأحكام القرآن ٦/ ١٥٧، وانظر: فتح البيان لصديق حسن ٣/ ٦٣.

(٢) أخرجه البخاري معلقا مجزوما به، كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة، باب/ إذا اجتهد العامل...، وأخرجه مسلم، كتاب الأقضية، باب/ نقض الأحكام الباطلة، ورد الأمور المحدثات، ح(١٧١٨)، كلاهما عن عائشة رضي الله عنها.

(٣) أخرجه البخاري، كتاب الصلح، باب/ إذا اصطلحوا على صلح جور فالأمر مردود، ح(٢٦٩٧)، ومسلم، كتاب الأقضية، باب/ نقض الأحكام الباطلة، ورد الأمور المحدثات، ح(١٧١٨)، كلاهما عن عائشة رضي الله عنها.

(٤) أخرجه مسلم، كتاب الجمعة، باب/ تخفيف الصلاة والخطبة، ح(٨٦٧) عن جابر رضي الله عنه، والزيادة بين المعقوفتين رواها النسائي في سننه، كتاب الجمعة، باب/ كيفية الخطبة، ح(١٤٠٣) من رواية عبد الله بن مسعود رضي الله عنه، ورواها في السنن الكبرى، كتاب صلاة العيدين، باب/ كيف الخطبة، ح(١٧٩٩) من رواية جابر رضي الله عنه، وقال الشيخ ابن باز عن إسناد النسائي في المجتبى: « إسناد صحيح » كما في فتاوى وتنبيهات ص٥١٥، وقال الألباني عن هذه الزيادة: « وسندها صحيح، ومن أنكرها فقد وَهِم » كما في تحقيقه لمشكاة المصابيح ١/ ٥١.

(٥) انظر: فتاوى وتنبيهات للشيخ ابن باز رحمه الله ص ٥١٥، وفتاوى اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء، جمع وترتيب/ الشيخ أحمد الدويش ٩/ ٤٢-٤٤، الفتوى رقم (٢٢٣٢)، وانظر ٩/ ٣٨-٤١، الفتوى رقم(١٣٣٣).

كذلك لا يحصل من الأجر إلا ما كسب، ومن هذه الآية الكريمة استنبط الشافعي رحمه الله، ومن اتبعه أن القراءة لا يصل إهداء ثوابها إلى الموتى لأنه ليس من عملهم، ولا كسبهم، ولهذا لم يندب إليه رسول الله ﷺ أمته، ولا حثهم عليه، ولا أرشدهم إليه بنص ولا إيماء، ولم ينقل ذلك عن أحد من الصحابة رضي الله عنهم، ولو كان خيرا لسبقونا إليه، وباب القربات يُقتصر فيه على النصوص، ولا يتصرف فيه بأنواع الأقيسة والآراء، فأما الدعاء والصدقة فذاك مجمع على وصولها، ومنصوص من الشارع عليهما»[(١)].

وقال السيوطي: «استُدِل به على عدم دخول النيابة في العبادات عن الحي والميت، واستدل به الشافعي على أن ثواب القراءة لا يلحق الأموات»[(٢)].

فدلت الآية أنه ليس للإنسان إلا ما عمله بنفسه، وسعى فيه بجهده، فيراه إن خيرا كاملا موافا، غير منقوص جزاء وفاقا.

ولا ريب أنه يدخل في هذا العموم السعي الذي كان متسببا فيه، كالصدقة الجارية التي تكون بعد موته، والولد الصالح من كسبه، والعلم الذي نشره وورَّثه، ويبقى النص عاما في عدم وصول ثواب الأعمال إلى الغير، إلا ما خصه الدليل[(٣)].

٧ ـ أن السلف كانوا أحرص الناس على فعل الخير، وعلى إيصاله للغير، ومن ذلك جهدهم في بلاغ دين الله ﷻ للبشر، وإيصاله إلى أصقاع الأرض حتى انتشر، فكيف يتركون أمرَ خيرٍ ميسور؟؟ لو كان بينهم معتبرا من الأمر المبرور!؟ فما تركوه إلا لعدم مشروعيته عندهم[(٤)]، قال شيخ الإسلام رحمه الله: «ولم يكن من عادة السلف إذا صلوا تطوعا، أو صاموا تطوعا، أو حجوا تطوعا، أو قرؤوا القرآن يهدون ثواب ذلك

---

(١) تفسير القرآن العظيم ٤/ ٢٥٨، وانظر: محاسن التأويل للقاسمي ٦/ ٣٧٨، نيل الأوطار ٤/ ١٤٢-١٤٣.

(٢) الإكليل ص ٢٥١.

(٣) انظر: الفتاوى للعز ابن عبد السلام ٢/ ٢٤، فتح القدير للشوكاني ٥/ ١٤٢، شرح الزبيدي على الإحياء ١٠/ ٣٦٩، وستأتي الردود على أدلة المستدلين لوصول ثواب القراءة إلى الميت، في الفصل الثالث، من الباب الثاني.

(٤) انظر: تفسير القرآن العظيم ٤/ ٢٥٨، محاسن التأويل للقاسمي ٦/ ٣٧٨.

إلى أموات المسلمين، فلا ينبغي العدول عن طريق السلف فإنه أفضل وأكمل»(١).

وسئلت **اللجنة الدائمة** عن ثواب قراءة القرآن وهل يصل إلى الميت؟

فأجابت: «لم يثبت عن النبي ﷺ فيما نعلم، أنه قرأ القرآن ووهب ثوابه للأموات من أقربائه، أو من غيرهم، ولو كان ثوابه يصل إليهم لحرص عليه، وبينه لأمته لينفعوا به موتاهم، فإنه ﷺ بالمؤمنين رؤوف رحيم.

وقد سار الخلفاء الراشدون من بعده، وسائر أصحابه على هديه في ذلك ﷺ، ولا نعلم أن أحدا منهم أهدى ثواب القرآن لغيره، والخير كل الخير في اتباع هديه ﷺ، وهدي خلفائه الراشدين، وسائر الصحابة ﷺ، والشر في اتباع البدع ومحدثات الأمور...، وعلى هذا لا تجوز قراءة القرآن للميت، ولا يصل إليه ثواب هذه القراءة، بل ذلك بدعة. **أما أنواع القربات الأخرى** فما دل دليل صحيح على وصول ثوابه إلى الميت وجب قبوله، كالصدقة عنه، والدعاء له، والحج عنه، وما لم يثبت فيه دليل فهو غير مشروع، حتى يقوم عليه الدليل.

وعلى هذا لا تجوز قراءة القرآن للميت ولا يصل إليه ثواب هذه القراءة في أصح قولي العلماء، بل ذلك بدعة، وبالله التوفيق، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم»(٢).

وقال سماحة الشيخ عبد العزيز بن باز ﷺ عن قراءة القرآن للأموات: «**هذا العمل وأمثاله لا أصل له، ولم يحفظ فيه عن النبي ﷺ، ولا عن أصحابه ﷺ أنهم كانوا يقرؤون للموتى**، بل قال النبي ﷺ: [**من عمل عملا ليس عليه أمرنا فهو رد**]...، أما الصدقة للموتى، والدعاء لهم فهو ينفعهم ويصل إليهم بإجماع المسلمين، وبالله التوفيق والله المستعان»(٣).

---

(١) المجموع ٤/ ٤٤٨، ولشيخ الإسلام فتوى أخرى يرى فيها جواز إهداء ثواب القراءة، وأن إهداء الثواب للغير جائز، وهكذا تلميذه ابن القيم ـ رحمهما الله ـ، والعبرة بالدليل، وأما ما استدل به المجيزون فسيأتي في الفصل الثالث من الباب الثاني مع الجواب عنه ـ إن شاء الله تعالى ـ.

(٢) فتاوى اللجنة الدائمة، جمع وترتيب/ الشيخ أحمد الدويش ٩/ ٤٢-٤٤، الفتوى رقم (٢٢٣٢).

(٣) فتاوى وتنبيهات ص ٥١٥، وانظر: السيف القاطع للنـزاع في العقيدة والعبادات للشيخ محمد المرزوق

وأما قراءة القرآن عند القبور، كما يفعله المتبعون لمحدثات الأمور، فلم يرد عن النبي ﷺ فيه شيء، ولا هو معروف عند السلف، بل هو من الأمور المحدثة في الخلف، ولو كان خيرا لسبقونا إليه(١).

وكذلك تعيين مكان معين غير ما عينه الشارع لقراءة القرآن ليس مشروعا باتفاق العلماء، حتى لو نذر أن يقرأ في مسجد بعينه غير المساجد الثلاثة لم يتعين، وله أن يفعل ذلك في غيره(٢).

والقرآن أنزل للأحياء ليعملوا به، ومن أعظم وسائل العمل به التدبر في معانيه، والغوص في مبانيه، وهذا ما أبينه في المسألة الآتية.

المسألة الثانية: التعبد بتدبر القرآن الكريم.

وإذا كان المسلم يتعبد لله تعالى بقراءة القرآن الكريم، فإن تعبده يكون على أكمل وجه وأتمه لو كان هذا التعبد بتدبر وحضور قلب، وخشوع وخضوع، ولهذا أمر الله ﷻ أهل العقل بتدبره، وأهل السمع بالاستماع إليه، وأمر الله الخلق بالتفكر فيه والتذكر، والفهم والتبصر، والإبصار والإصغاء، والتأثر وجلا وبكاء(٣).

ومن الأدلة على وجوب التدبر في القرآن الكريم:

١ ـ ذم الله تعالى الذين لا يتدبرون القرآن الكريم فقال: ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ ﴾[النساء:٨٢] قال الحسن البصري(٤) رحمه الله: « ما أنزل الله آية إلا وهو يحب أن

=

الفلاتي ص١٣٨-١٣٩.

(١) انظر: اقتضاء الصراط المستقيم لشيخ الإسلام ابن تيمية ٢/ ٧٤٢-٧٤٤، وسيأتي تفصيل هذه المسألة في الفصل الثالث من الباب الثاني.

(٢) انظر: المجموع ٣١/ ٤١، مختصر فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية للبعلي ص ٣٩٣.

(٣) انظر: المجموع ٢/ ٦.

(٤) هو الإمام الزاهد: أبو سعيد الحسن بن أبي الحسن البصري الأنصاري مولاهم، واسم أبيه يَسار، وسمع ـ وله يومئذ أربع عشرة سنة ـ عثمانَ رضي الله عنه وهو يخطب على المنبر، وروى عن جمع من الصحابة، وكان يرسل كثيرا، مات سنة ١١٠هـ. انظر: طبقات ابن سعد ٧/ ١١٤، سير أعلام النبلاء ٤/ ٥٦٣-
=

يعلم فيماذا نزلت، وماذا عني بها»[١]، وقال أيضا: «نزل القرآن ليُتدبر، ويعمل به، فاتخذوا تلاوته عملا»[٢].

وقال تعالى: ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ ﴾[محمد:٢٤] فالأفضل في وقت قراءة القرآن: جمع القلب، والهمة على تدبره، وتفهمه حتى كأن الله يخاطبك، ولا ينال معانيه ويفهمه كما ينبغي إلا القلوب الطاهرة، وإن القلوب النجسة مصروفة عنه، ممنوعة من فهمه، وينبغي على العبد أن يديم النظر في آيات القرآن، ويديم التفكر، لعل الله أن يرزقه القبول[٣].

٢ ـ ندب الله عباده إلى تفهمه وتدبره[٤]: قال الله ﷻ : ﴿ أَفَلَمْ يَدَّبَّرُوا۟ ٱلْقَوْلَ أَمْ جَآءَهُم مَّا لَمْ يَأْتِ ءَابَآءَهُمُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴾[المؤمنون:٦٨] وقال: ﴿ كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓا۟ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾[ص:٢٩] فالمؤمن دائم التفكر في معاني القرآن، والتدبر لألفاظه، والاستغناء بمعانيه وحكمه عن غيره من كلام الناس، وإذا سمع شيئا من كلام الناس عرضه على القرآن، فإن زكاه قبِلَه، وإلا رده[٥].

ولا يجعل همه فيما حجب به أكثر الناس من العلوم عن حقائق القرآن، فيدخل على نفسه الوسوسة في إخراج الحروف، وتفخيمها، وغير ذلك، فإن هذا حائل للقلوب عن فهم مراد الرب من كلامه[٦].

٣ ـ أمرنا الله تعالى بالتفكر في آياته؛ فقال ﷻ : ﴿ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾[يونس:٢٤] وقال: ﴿ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ

= ٥٨٨، تقريب التهذيب ص ٩٩.

(١) أورده القرطبي في جامعه ١/ ٢٦، وانظر: المجموع ١٥/ ١٠٨.

(٢) انظر: مدارج السالكين ١/ ٤٨٥.

(٣) انظر: لمعرفة أهمية التفكر في الآيات والتدبر: الرسالة التبوكية لابن القيم ص ٢٠٣ وما بعدها.

(٤) انظر: المجموع ٥/ ١٥٧، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير ١/ ٢.

(٥) انظر: المجموع ١٦/ ٥٠.

(٦) انظر: المصدر السابق، وتلبيس إبليس لابن الجوزي ص ١٢٣، إغاثة اللهفان ١/ ١٢٥-١٢٧.

﴿وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾[النحل:٤٤] **فالتفكر في آيات الكتاب هو:** أن يستحضر ما فيها من أحكام وأمور، وما يؤدي إلى الخير، وما يحذر من الشر، وأنتج ذلك عملا بالمأمورات، وتركا للمحظورات[١].

وأنفع ما في القراءة تدبر القرآن الكريم، فإن فيه « أسباب الخير، والشر جميعا مفصلة، مبينة، ثم السنة، فإنها شقيقة القرآن، وهي الوحي الثاني، ومن صرف إليهما عنايته اكتفى بهما عن غيرهما، وهما يريانك الخير والشر وأسبابهما، حتى كأنك تعاين ذلك عيانا »[٢].

٤ ـ أخبر أن القرآن مفصل ليُفقَّه فيه، وذم من لا يفقهه[٣]، قال تعالى: ﴿قَدْ فَصَّلْنَا ٱلْأَيَٰتِ لِقَوْمٍ يَفْقَهُونَ﴾[الأنعام:٢٢٨] وقال: ﴿وَجَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ وَفِىٓ ءَاذَانِهِمْ وَقْرًا﴾[الإسراء:٤٦] وقال: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِۦ فَأَعْرَضَ عَنْهَا وَنَسِىَ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ ۚ إِنَّا جَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ وَفِىٓ ءَاذَانِهِمْ وَقْرًا ۖ وَإِن تَدْعُهُمْ إِلَى ٱلْهُدَىٰ فَلَن يَهْتَدُوٓا۟ إِذًا أَبَدًا﴾[الكهف:٥٧] **والله تعالى ذكره**، وتقدست أسماؤه، أحكم الحكماء، وأحلم الحلماء، فكان معلوما أن بيانه أبين البيان، وأفضل الكلام، وأن قدْر فضل بيانه ـ جل ذِكرُه ـ على بيان جميع خلقه كفضله على جميع عباده.

وقد خاطبنا جل ذكره بما يفهمه المخاطَب، وبلسان عربي مبين[٤].

٥ ـ أمر الله عباده أن يتذكروا ما في القرآن: قال الله ﷻ : ﴿كَلَّآ إِنَّهَا تَذْكِرَةٌ ﴿١١﴾ فَمَن شَآءَ ذَكَرَهُۥ ﴿١٢﴾ فِى صُحُفٍ مُّكَرَّمَةٍ﴾[عبس:١١-١٦]، وقال الله ـ عز من قائل ـ: ﴿وَٱذْكُرْنَ مَا يُتْلَىٰ فِى بُيُوتِكُنَّ مِنْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ وَٱلْحِكْمَةِ﴾[الأحزاب:٣٤] وقال: ﴿خُذُوا۟ مَآ ءَاتَيْنَٰكُم بِقُوَّةٍ وَٱذْكُرُوا۟ مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾[البقرة:٦٣] وقال: ﴿وَٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَمَآ أَنزَلَ عَلَيْكُم مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ وَٱلْحِكْمَةِ يَعِظُكُم بِهِۦ﴾[البقرة:٢٣١].

---

(١) انظر: مفتاح دار السعادة ١/ ١٩٣، ١٨٧.

(٢) الجواب الكافي لابن القيم ص ١٩.

(٣) انظر: المجموع ٥/ ١٥٨.

(٤) انظر: جامع البيان لابن جرير ١/ ٢٩.

وقارئ القرآن قد ورد في فضائل قراءته أحاديث كثيرة جدا، ويتم لصاحب القرآن ما يطلبه من الأجر الموعود إذا فهم معانيه، فإن ذلك هو الثمرة من قراءته[١].

٦ ـ **أخبر أن القرآن مذكِّر، ولا يكون كذلك إلا بالتدبر**؛ قال ﷻ: ﴿فَذَكِّرْ بِالْقُرْءَانِ مَن يَخَافُ وَعِيدِ﴾[ق:٤٥] وقال: ﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَٰذَا الْقُرْءَانِ لِيَذَّكَّرُوا﴾ [الإسراء:٤١] وقال: ﴿سُورَةٌ أَنزَلْنَٰهَا وَفَرَضْنَٰهَا وَأَنزَلْنَا فِيهَا ءَايَٰتٍ بَيِّنَٰتٍ لَّعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ [النور:١] ومن الأسباب الجالبة لمحبة الله ﷻ قراءة القرآن بالتدبر والتذكر[٢].

وقال في صفات المؤمنين: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ لَمْ يَخِرُّوا عَلَيْهَا صُمًّا وَعُمْيَانًا﴾[الفرقان:٧٣].

قال شيخ الإسلام رحمه الله: «والمطلوب من القرآن هو فهم معانيه، والعمل به، فإن لم تكن هذه همة حافظه لم يكن من أهل العلم والدين»[٣]. وقال: «وكذلك إذا كان قد حفظ القرآن، أو بعضه، وهو لا يفهم معانيه، فتعلمه لما يفهم من معاني القرآن أفضل من تلاوة ما لا يفهم معانيه»[٤].

٧ ـ **أخبر الله سبحانه أنه يسره ليُتذكر**: قال الله ﷻ: ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ﴾[القمر:١٧، ٢٢، ٣٢، ٤٠] والقرآن يسير فهمه، سهل تعلمه وتدبره، والتفكر فيه، والسلف الصالح لما تدبروه وفهموه وعقلوه كانوا خير أمة أخرجت للناس، والسلف قد فهموا القرآن، وعلى متبعيهم أن يتبعوهم في هذا الفهم، **ومن الأدلة على كون السلف فهموا القرآن:**

أ ـ أن العادة توجب اعتناءهم بالمنـزل لفظا ومعنى، كما أن كل أصحاب فن يهتمون بمعاني ما كتبوه، لا بمجرد ما سطروه.

ب ـ أن الله حضهم على تدبره، وهم أشد الناس امتثالا للأوامر، واجتنابا

---

(١) فتح البيان لصديق حسن ١/ ٢٠.

(٢) انظر: مدارج السالكين ٣/ ١٧.

(٣) المجموع ٢٣/ ٥٥.

(٤) المجموع ٢٣/ ٥٦.

للنواهي، بل حض المخالفين للقرآن بتدبره، فإذا علم أنه يمكنهم تدبره وتفهمه، فتدبره وتفهمه من قبل متبعيه أيسر، وأبين وأسهل.

ت ـ أن الله أنزله عربيا، ليعقله الناس، والسلف كانوا من العرب الفصحاء، ولا يكون تعقله إلا بتدبره وتعلمه.

ث ـ أن الله ذم من لا يفهم القرآن، فلو كان السلف لا يفقهونه لكانوا مخاطبين بالذم.

ج ـ أن الله ذم من لم يكن حظه من سماع القرآن إلا سماع الصوت، دون فهم المعنى، كما قال تعالى: ﴿وَمَثَلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ كَمَثَلِ ٱلَّذِى يَنْعِقُ بِمَا لَا يَسْمَعُ إِلَّا دُعَآءً وَنِدَآءً﴾[البقرة:١٧١]، وقال ﷻ: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَا تَوَلَّوْاْ عَنْهُ وَأَنتُمْ تَسْمَعُونَ ۝ وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ قَالُواْ سَمِعْنَا وَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ ۝ إِنَّ شَرَّ ٱلدَّوَآبِّ عِندَ ٱللَّهِ ٱلصُّمُّ ٱلْبُكْمُ ٱلَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ﴾[الأنفال:٢٠-٢٢]، ومن قال إن السلف لم يفهموا القرآن، فقد جعلهم بمنزلة من يسمع ولا يعقل، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

ح ـ أن الصحابة فسروا ما احتاج إليه التابعون من القرآن، والتابعون فسروه لمن بعدهم، فكيف يقال: إنه صعب لا يفهم، ولا يفسر[(١)].

٨ ـ **أوعد الله المعرضين عنه بالنار**؛ قال تعالى: ﴿وَمَن يَكْفُرْ بِهِۦ مِنَ ٱلْأَحْزَابِ فَٱلنَّارُ مَوْعِدُهُۥ﴾[هود:١٧] وهذا عام، **وشبه المعرض عنه بالحُمُر**، قال تعالى: ﴿فَمَا لَهُمْ عَنِ ٱلتَّذْكِرَةِ مُعْرِضِينَ ۝ كَأَنَّهُمْ حُمُرٌ مُّسْتَنفِرَةٌ﴾[المدثر:٤٩-٥٠] فيكفي **المعرض** عنه أنه من حمير النار، لأنه أعرض عن تدبر القرآن، **والمعرض عنه يحمل يوم القيامة حملا شاقا لا يستطيع حمله**[(٢)]، قال تعالى: ﴿وَقَدْ ءَاتَيْنَـٰكَ مِن لَّدُنَّا ذِكْرًا ۝ مَّنْ أَعْرَضَ عَنْهُ فَإِنَّهُۥ يَحْمِلُ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ وِزْرًا ۝ خَـٰلِدِينَ فِيهِ ۖ وَسَآءَ لَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ حِمْلًا﴾[طه:٩٩-١٠١].

قال العلامة ابن القيم رحمه الله **مبينا فوائد التدبر في القرآن الكريم**: «وأما التأمل في

---

(١) انظر: هذه الوجوه في المجموع ٥/ ١٥٧-١٥٩، ١٣/ ٣٣٢-٣٣٣.

(٢) انظر: أضواء البيان للشيخ الأمين ١/ ٥.

القرآن: فهو تحديق ناظر القلب إلى معانيه، وجمع الفكر على تدبره، وتعقله، وهو المقصود بإنزاله، لا مجرد تلاوته، بلا فهم ولا تدبر...، فليس شيء أنفع للعبد في معاشه ومعاده، وأقرب إلى نجاته: من تدبر القرآن، وإطالة التأمل، وجمع فيه الفكر على معاني آياته، فإنها تطلع العبد على معالم الخير والشر بحذافيرها، وعلى طرقاتهما وأسبابهما، وغاياتهما وثمراتهما، ومآل أهلهما، وتَتُلُّ في يده مفاتيح كنوز السعادة، والعلوم النافعة، وتثبت قواعد الإيمان في قلبه، وتشيد بنيانه، وتوطد أركانه، وتريه صورة الدنيا والآخرة، والجنة والنار في قلبه، وتحضره بين الأمم، وتريه أيام الله فيهم، وتبصره مواقع العبر، وتشهده عدل الله وفضله، وتعرفه ذاته وأسماءه وصفاته وأفعاله، وما يحبه وما يبغضه، وصراطه الموصل إليه، وما لسالكيه بعد الوصول والقدوم عليه، وقواطع الطريق وآفاتها،وتعرفه النفس وصفاتها،ومفسدات الأعمال ومصححاتها، وتعرفه طريق أهل الجنة وأهل النار وأعمالهم، وأحوالهم وسيماهم، ومراتب أهل السعادة، وأهل الشقاوة، وأقسام الخلق واجتماعهم فيما يجتمعون فيه، وافتراقهم فيما يفترقون فيه.

وبالجملة تُعرِّفُه الرب المدعو إليه، وطريق الوصول إليه، وما له من الكرامة إذا قدم عليه، وتعرفه في مقابل ذلك ثلاثة أخرى: ما يدعو إليه الشيطان،والطريق الموصلة إليه،وما للمستجيب لدعوته من الإهانة، والعذاب بعد الوصول إليه، فهذه ستة أمور ضروري للعبد معرفتها»[1].

ولما كان السلف من العلماء بمعاني القرآن الكريم، وكلامه المبين، كانوا به عاملين، وإليه متحاكمين، ويتبين هذا في المطلب التالي.

---

(١) مدارج السالكين ١/ ٤٨٥-٤٨٦، وانظر: التبيان في إقسام القرآن له ص ١٤٣.

المطلب الثاني: التعبد بالعمل به والتحاكم إليه، وفيه ثلاث مسائل:

المسألة الأولى: التعبد بالعمل بالقرآن الكريم.

إن مما لا شك فيه، ولا ريب يعتريه، أن القرآن الكريم إنما أنزله الله ﷻ ليعمل به العباد، ويتقربوا إليه بما شرع لهم فيه، وقد جاءت أدلة كثيرة تحث على العمل بالقرآن الكريم، ومن ذلك:

١ ـ أَمْرُ الله تعالى لنا بتلاوته، قال الله ﷻ: ﴿ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَتْلُونَهُۥ حَقَّ تِلَاوَتِهِۦٓ أُو۟لَٰٓئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِۦ ۗ وَمَن يَكْفُرْ بِهِۦ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ﴾[البقرة:١٢١]

وسواء كان المراد بالكتاب القرآن الكريم فيكون المخاطب هو أمة محمد ﷺ، أو كان المراد بالكتاب هو التوراة، فإن فيه بيان وجوب اتباع المنـزل والعمل به، وبيان خسارة من رده ولم يعمل به. **والتلاوة من الإتباع، والعمل به**، تقول تلا الشيءُ الشيءَ إذا تبعه، وتلاوة الكتاب هي: اتباعه والعمل به[(١)]، كما قال ابن عباس رضي الله عنهما: **[يحلون حلاله، ويحرمون حرامه، ولا يحرفونه عن مواضعه]**[(٢)].

وقال ﷺ: **[لا حسد إلا في اثنتين: رجل علمه الله القرآنَ، فهو يتلوه آناء الله، وآناء النهار، فسمعه جارٌ له، فقال: ليتني أوتيت مثل ما أوتي فلان، فعملت مثل ما يعمل، ورجل آتاه الله مالا فهو يُهلِكُه في الحق، فقال رجل: ليتني أوتيت مثل ما أوتي فلان، فعملت مثل ما يعمل]**.

٢ ـ أَمْرُ الله ﷻ باتباع القرآن، قال تعالى: ﴿وَٱتَّبِعُوٓا۟ أَحْسَنَ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ ٱلْعَذَابُ بَغْتَةً وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ ﴿٥٥﴾ أَن تَقُولَ نَفْسٌ يَٰحَسْرَتَىٰ عَلَىٰ مَا فَرَّطتُ فِى جَنۢبِ ٱللَّهِ وَإِن كُنتُ لَمِنَ ٱلسَّٰخِرِينَ ﴿٥٦﴾ أَوْ تَقُولَ

(١) انظر: جامع البيان لابن جرير ١/ ٥٦٦-٥٦٩، العبودية لشيخ الإسلام ابن تيمية ص٥٦، الفتح ١٣/ ٥١٧.

(٢) رواه الحاكم في مستدركه، كتاب التفسير، من سورة البقرة، ح(٣٠٥٤)وقال: صحيح الإسناد ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي كما في التلخيص المطبوع بهامش المستدرك ٢/ ٢٩٢، ورواه ابن جرير في تفسيره ١/ ٥٦٧، ح(١٨٨٥) ورواه المروزي في تعظيم قدر الصلاة ١/ ٣٩٦، ح(٣٨٦).

لَوْ أَنَّ ٱللَّهَ هَدَىٰنِى لَكُنتُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴾[الزمر:٥٥-٥٦] وقال مبينا صفات عباده المتقين: ﴿ وَٱلَّذِينَ ٱجْتَنَبُواْ ٱلطَّٰغُوتَ أَن يَعْبُدُوهَا وَأَنَابُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ ۚ فَبَشِّرْ عِبَادِ ۝١٧ ٱلَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُۥٓ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَىٰهُمُ ٱللَّهُ ۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمْ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾[الزمر:١٧-١٨] والمراد **بالقول** ما جاء به النبي ﷺ من الوحي[(١)]، والقرآن أحسن الحديث، «ولا ريب أن القرآن فيه الخبر، والأمر، والحسن، والأحسن، واتباع القول إنما هو بمقتضاه، ومقتضاه فيه حسن وأحسن»[(٢)].

وقال الحافظ ابن كثير رحمه الله في قوله تعالى: ﴿ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُۥٓ ﴾ قال: «أي: يفهمونه ويعملون بما فيه»[(٣)].

وكان أبو عبد الرحمن السلمي[(٤)] رحمه الله: «إذا ختم عليه الخاتمُ القرآنَ أجلسه بين يديه، ووضع يده على رأسه، وقال: يا هذا اتق الله، فما أعرفُ أحدا خيرا منك إن عملت بالذي علمت»[(٥)].

٣ ـ ذم الله تعالى التالين للكتاب الذين لا يعملون به، قال جل جلاله : ﴿ وَمِنْهُمْ أُمِّيُّونَ لَا يَعْلَمُونَ ٱلْكِتَٰبَ إِلَّآ أَمَانِىَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ ﴾[البقرة:٧٨] قال مجاهد[(٦)] رحمه الله: «إن الأميين الذين وصفهم الله تعالى أنهم لا يفقهون من الكتاب الذي أنزله الله تعالى على

(١) انظر: أضواء البيان للشنقيطي ٦/ ٣٠.

(٢) المجموع ١٦/ ٦.

(٣) تفسير القرآن العظيم ٤/ ٤٨، وانظر: ٤/ ٦٠.

(٤) هو الإمام المقرئ: أبو عبد الرحمن عبد الله بن حبيب بن رُبَيِّعة السلمي الكوفي، مشهور بكنيته، ولد في حياة النبي ﷺ وتفقه على الصحابة الكبار، وتعلم على الأئمة الأخيار، حتى أصبح من قراء الأمصار، ثقة ثبت، توفي بعد السبعين. انظر: طبقات ابن سعد ٦/ ٢١٢-٢١٤، سير أعلام النبلاء ٤/ ٢٦٧-٢٧٢، تقريب التهذيب ص٢٤٢.

(٥) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ١/ ٨-٩ وقد نقلها القرطبي عن كتاب أبي بكر الأنباري "الرد على من خالف مصحف عثمان".

(٦) هو إمام التفسير، والعالم النحرير: مجاهد بن جبر المكي أبو الحجاج المخزومي، تعلم على يدي حبر الأمة ابن عباس، وتخرج عليه، توفي سنة بضع وأربعين ومائة، أخرج له أصحاب الكتب. انظر: التقريب ص٤٥٣.

موسى شيئا، ولكنهم يتخرصون الكذب، يتخرصون الأباطيل كذبا وزورا»[(١)].

وقال ـ عز مِنْ قائل ـ: ﴿ وَلَمَّا جَآءَهُمْ رَسُولٌ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ نَبَذَ فَرِيقٌ مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَـٰبَ كِتَـٰبَ ٱللَّهِ وَرَآءَ ظُهُورِهِمْ كَأَنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ [البقرة:١٠١]. وكتاب الله قيل التوراة ونبذهم لها كان بكفرهم برسول الله محمد ﷺ المصدق لما معهم، وإذا قيل إن المراد بكتاب الله القرآن، فنبذهم له لكونهم لم يتلقوه بالقبول[(٢)].

٤ ـ الوعد الحسن لمن اتبع في عمله هدى القرآن، والوعيد الشديد لمن خالفه:

قال الله تعالى: ﴿ قَالَ ٱهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًۢا ۖ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ ۖ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّى هُدًى فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَاىَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ ﴿١٢٣﴾ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ أَعْمَىٰ ﴿١٢٤﴾ قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِىٓ أَعْمَىٰ وَقَدْ كُنتُ بَصِيرًا ﴿١٢٥﴾ قَالَ كَذَٰلِكَ أَتَتْكَ ءَايَـٰتُنَا فَنَسِيتَهَا ۖ وَكَذَٰلِكَ ٱلْيَوْمَ تُنسَىٰ ﴾[طه:١٢٣-١٢٦] قال ابن عباس رضي الله عنهما: **[من قرأ القرآن، واتبع ما فيه، هداه الله من الضلالة، ووقاه يوم القيامة سوء الحساب، وذلك بأن الله تبارك وتعالى يقول: ﴿ فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَاىَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ ﴾ قال: فضمن الله لمن اتبع القرآن ألا يضل في الدنيا، ولا يشقى في الآخرة]**[(٣)].

وعن أنس رضي الله عنه أنه سمع عمر رضي الله عنه الغدَ، حين بايع المسلمون أبا بكر رضي الله عنه واستوى على منبر رسول الله ﷺ تشهد قبل أبي بكر، فقال: **[أما بعد فاختار الله لرسوله ﷺ الذي عنده على الذي عندكم، وهذا الكتاب الذي هدى الله به رسولكم، فخُذُوا به تهتدوا، كما هدى الله به رسولَه]**[(٤)]. وفي لفظ: **[فإن الله تعالى قد جعل بين أظهركم نورا**

---

(١) انظر: جامع البيان لابن جرير ١/ ٤١٩، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير ١/ ١١٧.

(٢) انظر: زاد المسير لابن الجوزي ١/ ١٢٠، ومحاسن التأويل للقاسمي ١/ ٣٣٧.

(٣) رواه الحاكم في مستدركه، كتاب التفسير، تفسير سورة طه، ح(٣٤٣٨)، وقال صحيح الإسناد ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي كما في التلخيص ٢/ ٤١٣، ولم يذكر قوله (فضمن الله...)، وإنما رواه ابن جرير في تفسيره ٨/ ٤٦٩، ح(٢٤٤٠٠)، وروي مرفوعا، لكنه لا يصح ففيه (ضعف) كما ذكره الهيثمي في مجمع الزوائد ١/ ١٦٩، ونسبه للطبراني.

(٤) رواه البخاري، كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة، ح(٧٢٦٩).

تهتدون به بها هدى الله به محمدا ﷺ][١].

٥ ـ إطاعة ما جاء من الوحي والعمل به نجاة: قال رسول الله ﷺ: **[إنما مثلي ومثل ما بعثني الله به كمثل رجل أتى قوما، فقال: إني رأيت الجيش بعينيَّ، وإني أنا النذير العريان، فالنجاء، فأطاعه طائفة من قومه فأَدلجوا فانطلقوا على مَهْلِهِم فنجوا، وكذبت طائفة منهم فأصبحوا مكانهم، فصبحهم الجيش فأهلكهم واجتاحهم، فذلك مثلُ من أطاعني، فاتبع ما جئت به، ومثل من عصاني، وكذب بما جئت به من الحق]**[٢].

٦ ـ أن العمل به والتعبد بذلك هو دأب وعمل السلف الصالح، قال أبو عبد الرحمن السلمي رحمه الله: «حدثنا من كان يُقرؤنا من أصحاب رسول الله ﷺ أنهم كانوا يقترؤون من رسول الله ﷺ عشر آيات، ولا يأخذون في العشر الأخرى حتى يعلموا ما في هذه من العمل والعلم، **فإنا علِمنا العلم والعمل**»[٣].

ومعلوم أنه يجب على كل مسلم تصديق النبي ﷺ فيما أخبر به عن الله تعالى مما جاء في القرآن وفي السنة الثابتة عنه، كما كان عليه السابقون الأولون من المهاجرين والأنصار، والتابعون لهم، فإن هؤلاء هم الذين تلقوا عنه القرآن والسنة، وكانوا يتلقون عنه ما في ذلك من العلم والعمل[٤]، «**ولا ريب أن** استماع كتاب الله، والإيمان به، وتحريم حرامه، وتحليل حلاله، والعمل بمحكمه، والإيمان بمتشابهه، **واجب على كل أحد**»[٥].

ولأجل العمل وحفظ ما في القرآن من الأحكام التعبدية ظل عبد الله بن عمر رضي الله عنهما

---

(١) رواه البخاري، كتاب الأحكام، باب/ الاستخلاف، ح(٧٢١٩).

(٢) أخرجه البخاري، كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة، باب/ الإقتداء بسنن رسول الله ﷺ، ح(٧٢٨٣)، ورواه مسلم، كتاب الفضائل، باب/ شفقته على أمته ومبالغته في تحذيرهم مما يضرهم، ح(٢٢٨٣)، كلاهما عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه، وانظر معنى الحديث في الفتح ١١/ ٣٢٣-٣٢٤.

(٣) رواه ابن أبي شيبة في مصنفه، كتاب فضائل القرآن، باب/ في تعليم القرآن كم آية، ح(٢٩٩٢٩)، وعبد الرزاق في مصنفه، ورواه ابن سعد في طبقاته ٦/ ٢١٢، وانظر: المجموع ٥/ ١٥٦، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير ١/ ٣.

(٤) انظر: المجموع ٥/ ١٥٦.

(٥) المجموع ١٥/ ٣٩٠-٣٩١.

في تعلم البقرة ثماني سنين[(١)].

فمجرد حفظ الكتاب لا يوجب العمل، فالقرآن يقرؤه المنافق والمؤمن، والأمي الذي لا يعلم الكتاب إلا أماني، قال الحسن البصري رحمه الله: «العلم علمان: علم في القلب، وعلم على اللسان، فعلم القلب هو العلم النافع، وعلم اللسان حجة الله على عباده»[(٢)].

٧ـ معلوم اعتناء السلف بالعمل بالقرآن الكريم من وجوه:

أ. أن العادة المعروفة من حرص النبي ﷺ على أمته، تجعله معلما لهم المعنى، ومزكيا لهم ليعملوا به و بمقتضاه، فبعثته تحقيق لدعوة إبراهيم عليه السلام: ﴿ رَبَّنَا وَٱبْعَثْ فِيهِمْ رَسُولاً مِّنْهُمْ يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ ۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾[البقرة:١٢٩] فاستجاب الله لإبراهيم الخليل عليه السلام، وبعث محمدا ﷺ بذلك، وامتن الله به علينا، ﴿ كَمَآ أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولاً مِّنكُمْ يَتْلُواْ عَلَيْكُمْ ءَايَـٰتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمْ تَكُونُواْ تَعْلَمُونَ ﴾[البقرة:١٥١]. **ومعلوم حرص النبي ﷺ في تعريف معاني القرآن لِتُمْتَثَل، وأنه أعظم من رغبته ﷺ في تعريفهم حروفه،** فإن الحروف لا يـحصل بها المقصود، بل اللفظ مراد به المعنى[(٣)].

ب. أن السلف الصالح من الصحابة وتابعيهم، كانوا حريصين على العمل بالقرآن الكريم، والجبلة البشرية في اهتمام كل قوم بكتابهم معلومة، فكيف بأفضل الخلق بعد الأنبياء والمرسلين، لا شك أن اعتناءهم بالقرآن المنـزل عليهم كان اعتناء

---

(١) روى خبر حفظ عبد الله بن عمر رضي الله عنهما لسورة البقرة، الإمامُ مالك في موطئه بلاغا، كتاب القرآن، باب/ ما جاء في القرآن، ١/ ١٧٨، وانظر: المجموع ٥/ ١٥٦، والجامع لأحكام القرآن للقرطبي ١/ ٣٠، وذكر ابن سعد في طبقاته ٤/ ١٢٢ عن عبد الله بن جعفر الرقي، قال: حدثنا أبو المليح، عن ميمون [أن ابن عمر تعلم سورة البقرة في أربع سنين]، وانظر: تنوير الحوالك شرح موطأ مالك للسيوطي ١/ ١٦٢.

(٢) انظر: المجموع ١٨/ ٣٠٤، وقد روى الأثر عن الحسن جمع منهم: الدارمي في سننه، المقدمة، باب/ التوبيخ لمن يطلب العلم لغير الله، ح(٣٦٤)، وروي عن الحسن مرسلا عن النبي ﷺ ولا يصح كما ذكره في العلل المتناهية ابن الجوزي ١/ ٨٢-٨٣، وذكره البيهقي في شعب الإيمان٢/ ٢٩٤ بسنده من قول الفضيل بن عياض رحمه الله.

(٣) انظر: المجموع ٥/ ١٥٧.

باللفظ من حيث تلاوته وحفظه، واعتناء بالمعنى من حيث فهمه والعمل به[١]، قال أبو الدرداء[٢] ﷺ موصيًا أهل الكوفة: [أقرئهم السلام، ومرهم فليعطوا القرآن بخزائمهم[٣]، فإنه يحمل على القصد والسهولة، ويجنبهم الجَوْر والحزونة][٤]. وقال جندب بن عبد الله[٥] ﷺ: [وعليكم بالقرآن، فإنه هدى النهار، ونور الليل المظلم، فاعملوا به على ما كان من جهد وفاقة...][٦]. وقال أبو موسى الأشعري[٧] ﷺ: [إن هذا القرآن كائن لكم ذكرا، وكائن لكم أجرا، وكائن عليكم وزرا، فاتبعوا القرآنَ، ولا يتبعنكم القرآنُ، فإنه من يَتبع القرآنَ يهبط به على رياض الجنة، ومن يتبعْه القرآنُ، يَزُخُّ[٨] في قفاه حتى يقذفه في نار جهنم][٩].

ت. أن الله تعالى ذم من لم يكن حظه من السماع إلا سماع الصوت، دون فهم المعنى، والعمل به[١٠]، قال تعالى: ﴿ وَمَثَلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ كَمَثَلِ ٱلَّذِى يَنْعِقُ بِمَا لَا

(١) انظر: المصدر السابق.

(٢) هو: عويمر بن زيد بن قيس الأنصاري، مشهور بكنيته: أبو الدرداء، صحابي جليل شهد أحدا وما بعدها، وهو من عُبَّادِ الصحابة وحكمائهم، مات في خلافة عثمان ﷺ. انظر: الإصابة ٣/ ٤٥، التقريب ص٣٧٠.

(٣) قال الإمام عبد الرزاق الصنعاني: « يعني بخزائمهم: اجعلوا القرآن مثل الخزام في أنف أحدكم، فاتبعوه واعملوا به ». المصنف٣/ ٣٦٨، والخزام: حلقة يشد بها الزمام، ويكون في أنف الناقة. انظر: غريب الحديث لأبي عبيد ٢/ ٥.

(٤) رواه أبو عبيد في كتابه فضائل القرآن، باب/ فضل الحض على القرآن...، ح(٩)، ورواه عبد الرزاق في مصنفه، كتاب فضائل القرآن، باب/ تعليم القرآن وفضله، ح(٥٩٩٦).

(٥) هو: جندب بن عبد الله بن سفيان البجلي، أبو عبد الله العلقي، صحابي مشهور، روى له أصحاب الكتب، مات بعد الستين. انظر: الإصابة ١/ ٢٤٨، التقريب ص٨٢.

(٦) رواه ابن أبي شيبة في مصنفه، كتاب فضائل القرآن، باب/ في التمسك بالقرآن، ح(٣٠٠٠٩)، وأبو عبيد في فضائل القرآن، باب/ فضل الحض على القرآن...، ح(١٩).

(٧) هو: عبد الله بن قيس بن سليم أبو موسى الأشعري، صحابي مشهور، أوتي مزمارا من مزامير آل داود في القراءة، مات سنة خمسين، وقيل بعدها. انظر: الإصابة ٢/ ٣٥٩، التقريب ص٢٦٠.

(٨) أي: يُدفَعُ، انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر لابن الأثير ٢/ ٢٩٨.

(٩) رواه ابن أبي شيبة في مصنفه، كتاب فضائل القرآن، باب/ في التمسك بالقرآن، ح(٣٠٠١٤)، وأبو عبيد في فضائل القرآن، باب/ فضل اتباع القرآن، ح(١).

(١٠) انظر: المجموع ٥/ ١٥٨.

يَسۡمَعُ إِلَّا دُعَآءٗ وَنِدَآءٗۚ صُمُّۢ بُكۡمٌ عُمۡيٞ فَهُمۡ لَا يَعۡقِلُونَ ﴾[البقرة:١٧١] وقال تعالى: ﴿ مَثَلُ ٱلَّذِينَ حُمِّلُواْ ٱلتَّوۡرَىٰةَ ثُمَّ لَمۡ يَحۡمِلُوهَا كَمَثَلِ ٱلۡحِمَارِ يَحۡمِلُ أَسۡفَارَۢاۚ بِئۡسَ مَثَلُ ٱلۡقَوۡمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِۚ وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾[الجمعة:٥]، وقد حمل البخاري ﷺ: قوله تعالى: ﴿ لَّا يَمَسُّهُۥٓ إِلَّا ٱلۡمُطَهَّرُونَ ﴾[الواقعة:٧٩] على أنه العمل[١]، وأن المراد: لا يحمله بحقه إلا المؤمن لقوله تعالى: ﴿ مَثَلُ ٱلَّذِينَ حُمِّلُواْ ٱلتَّوۡرَىٰةَ ﴾ الآية[٢]، قال الحافظ ابن حجر ﷺ: « وحاصل هذا... أن معنى لا يمس القرآن، لا يجد طعمه ونفعه إلا من آمن به، وأيقن بأنه من عند الله، فهو المطهر من الكفر، ولا يحمله بحقه إلا المطهر من الجهل والشك، لا الغافل عنه الذي لا يعمل به، فيكون كالحمار الذي يحمل ما لا يدريه »[٣]، وقال أبو بكر الوراق[٤] ﷺ في قوله تعالى: ﴿ لَّا يَمَسُّهُۥٓ إِلَّا ٱلۡمُطَهَّرُونَ ﴾[الواقعة:٧٩]: « لا يُوفق للعمل به إلا السعداء »[٥]. **وأختم هذه المسألة بطيب المسك من كلام النبي** ﷺ، حيث بين حال المؤمنين وغيرهم مع القرآن، فقال: [**المؤمن الذي يقرأ القرآن ويعمل به كالأترجة**[٦] **طعمها طيب، وريحها طيب**][٧]. قوله [**ويعمل به**]: هذه مفسرة للمراد، وأن التمثيل وقع بالذي يقرأ القرآن، ولا يخالف ما اشتمل عليه من أمر ونهي،

---

(١) وهذا على قول في الآية، قال الفراء ﷺ: « والمشهور المعروف أنه المس، وهو اللمس، والكتاب: إما القرآن، أو اللوح المحفوظ » . انظر: تفسير القرآن العظيم ٤/ ٢٩٩، المحرر الوجيز ٥/ ٢٥١ ـ ٢٥٢.

(٢) صحيح الإمام البخاري، كتاب التوحيد، باب/ قول الله تعالى: ﴿ قُلۡ فَأۡتُواْ بِٱلتَّوۡرَىٰةِ فَٱتۡلُوهَآ ﴾ ص ١٥٣٨.

(٣) الفتح ١٣/ ٥١٨.

(٤) هو: أبو بكر محمد بن إسماعيل بن العباس البغدادي المستملي الوراق، توفي ٣٧٨هـ. انظر: السير ١٦ / ٣٨٨، شذرات الذهب ٣/ ٩٢.

(٥) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ١٧/ ١٤٦.

(٦) الأُتْرُجَّة: بضم الهمزة، والتاء الفوقانية الساكنة، والراء المهملة المضمومة، والجيم المعجمة المشددة المضمومة: ثمرة نبتة معروفة من الفصيلة البرتقالية، وهو ناعم الأغصان والورق والثمر، وثمره ذهبي اللون، ذكي الرائحة، يعرف بالشام باسم "تُرُنْج"، وله فوائد طبية طيبة، قال فيها بعض الحكماء: في العاجل ريحان، ومنظره مفرح، وقشره طيب الرائحة، ولحمه فاكهة، وحماضه أُدْمٌ، وحبه ترياق، وفيه دهن. انظر: زاد المعاد (الطب النبوي) لابن القيم ٤/ ٢٨٤-٢٨٥، وقاموس الغذاء والتداوي بالنباتات ص ١٠-١١.

(٧) رواه البخاري، كتاب فضائل القرآن، باب/ إثم من راءى بقراءة القرآن...، ح(٥٠٥٩).

لا مطلق التلاوة[١]، وبهذا يُعلم أن أعظم ما يتقرب به إلى الله ﷻ، التعبد بالوحي، وهذا من تعظيم القرآن[٢]، ومن أعظم الأعمال والطاعات المتربة إلى رب البريات، التعبد بتعلم القرآن، وتعليمه، وهذا ما أوضحه في المسألة التالية.

المسألة الثانية: التعبد بتعلم القرآن الكريم وتعليمه.

إن العمل بالقرآن الكريم عبادة عظيمة، ومن وسائل العمل بالقرآن الكريم - بل هو في ذاته عبادة - تعلم القرآن الكريم وتعليمه، قال النبي الكريم ﷺ: [**خيركم من تعلم القرآن وعلمه**][٣]، وقال ﷺ: [**إن أفضلكم من تعلم القرآن وعلمه**][٤]. **فأشرف العلم القرآن الكريم**، إذ شرف العلم بشرف معلومه، وتعليمه لغيره عمل، وتحصيل نفع متعد، فيكون من تعلمه وعلمه لغيره أشرف ممن تعلم غير القرآن وعلمه، ولا شك أن تعلم القرآن وتعليمه قرينان يكمل أحدهما الآخر، وفي التعلم والتعليم جمع بين النفع القاصر، والنفع المتعدي، ولهذا كان أفضل، ويكون معلمه من جملة من عناه ﷻ بقوله: ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴾[فصلت:٣٣][٥]، وقال ﷺ: [**أيكم يحب أن يغدو كل يوم إلى بُطحانَ، أو العقيق**[٦]**، فيأخذ ناقتين كَوْمَاوَيْنِ**[٧] **في غير إثم ولا قطع رحمٍ؟ قالوا: كلنا يا رسول الله**

---

(١) انظر: الفتح ٨/ ٦٨٤-٦٨٥.

(٢) تنبيه: وليس من تعظيمه جعله في أغلفة، وأربطة، وجعله محلاة بالذهب والفضة ولا القيام له إذا أدخل، فالقيام للمصحف على وجه التعبد «لا نعلم... - فيه - شيئا مأثورا عن السلف...، والأفضل للناس اتباع السلف في كل شيء». مختصر الفتاوى المصرية من كلام شيخ الإسلام ابن تيمية للبعلي ص ٢٦٥.

(٣) رواه البخاري، كتاب فضائل القرآن، باب/ خيركم من تعلم القرآن وعلمه، ح(٥٠٢٧).

(٤) رواه البخاري، كتاب فضائل القرآن، باب/ خيركم من تعلم القرآن وعلمه، ح(٥٠٢٨).

(٥) انظر: الفتح ٨/ ٦٩٤.

(٦) بُطْحان: بضم المعجمة، وسكون الطاء المهملة، واد في المدينة، من جهة العوالي، وفي المدينة ثلاثة وديان: هي بطحان، وقناة، والعقيق، وهي: الواد المبارك في المدينة النبوية من جهته الجنوبية الغربية وتسير إلى الناحية الغربية ثم شمالا. انظر: معجم البلدان لياقوت الحموي ١/ ٥٢٩، ٤/ ١٥٦.

(٧) كوماوين: تثنية (كوماء)، وهي الناقة الضخمة السنام، ويقال: بعير (أكوم). انظر: المصباح المنير للفيومي ص ٥٤٥.

نحب ذلك، قال: أفلا يغدو أحدكم إلى المسجد فيعلم أو يقرأ آيتين من كتاب الله خير له من ناقتين، وثلاث خير له من ثلاث، وأربع خير له من أربع، ومن أعدادهن من الإبل][١]، وقال ﷺ: [الماهر بالقرآن مع السفرة الكرام البررة، والذي يقرأ القرآن ويتتعتع فيه، وهو عليه شاق، له أجران][٢]، وقال عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما: [عليكم بالقرآن فتعلموه، وعلموه أبناءكم، فإنكم عنه تُسألون، وبه تجزون، وكفى به واعظا لمن عقل][٣]، وما أسعد العامل بالقرآن، في يوم يشيب فيه الولدان، قال ﷺ: [يؤتى بالقرآن يوم القيامة، وأهله الذين كانوا يعملون به، تقدمه سورة البقرة وآل عمران... تحاجان عن صاحبهما][٤]، وكم رفع الله ﷻ بهذا القرآن أقواما إذ حفظوه وعملوا به، كما جاء أن نافع بن عبد الحارث الخزاعي[٥]: لقي عمرَ بن الخطاب رضي الله عنه بعسفان[٦]، وكان عمر يستعمله على مكة، فقال: [من استعملت على أهل الوادي - أي مكة -؟ فقال: ابن أبزى. قال: ومن ابن أبزى؟ قال: مولى من موالينا. قال: فاستخلفت عليهم مولىً؟ قال: إنه قارئ لكتاب الله ﷻ، وإنه عالم بالفرائض. قال عمر: أما إن نبيكم ﷺ قد قال: [إن الله يرفع بهذا الكتاب أقواما، ويضع به آخرين][٧]. فالواجب على العلماء الكشف عن معاني كلام الله، وتفسير ذلك، وطلبه

---

(١) رواه مسلم، كتاب صلاة المسافرين، باب/ فضل قراءة القرآن في الصلاة وتعلمه، ح(٨٠٣)، من حديث عقبة بن عامر رضي الله عنه.

(٢) رواه البخاري، كتاب التفسير، سورة عبس، ح(٤٩٣٧)، ومسلم واللفظ له، كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب/ فضل الماهر في القرآن والذي يتعتع فيه، ح(٧٩٨) من حديث عائشة رضي الله عنها.

(٣) رواه أبو عبيد في فضائل القرآن، باب/ فضل تعلم القرآن، ح(١٢) واللفظ له، والدارمي في سننه، المقدمة، باب/ من لم ير كتابة الحديث، ح(٤٧٦).

(٤) رواه مسلم، كتاب صلاة المسافرين، باب/ فضل قراءة القرآن وسورة البقرة، ح(٨٠٥) عن النواس ابن سمعان رضي الله عنه.

(٥) هو: نافع بن عبد الحارث ويقال نافع بن الحارث بن حبالة الخزاعي من كبار الصحابة وفضلائهم، واستعمله عمر بن الخطاب رضي الله عنه على مكة. انظر: الإصابة ٣/ ٥٤٥.

(٦) عُسْفَان: بضم أوله وسكون ثانيه، وآخره نون: اسم منطقة بين مكة والمدينة، وهي أقرب إلى مكة، ولا زالت تسمى إلى هذا العصر بعسفان. انظر: معجم البلدان للحموي ٤/ ١٣٧.

(٧) رواه مسلم، كتاب صلاة المسافرين، باب/ فضل من يقوم بالقرآن ويعلمه...، ح(٨١٧).

من مظانه، وتعلم ذلك، وتعليمه، كما قال تعالى: ﴿ وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَـٰقَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَـٰبَ لَتُبَيِّنُنَّهُۥ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُۥ فَنَبَذُوهُ وَرَآءَ ظُهُورِهِمْ وَٱشْتَرَوْا۟ بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًا ۖ فَبِئْسَ مَا يَشْتَرُونَ ﴾[آل عمران:٨١] وقال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ ٱللَّهِ وَأَيْمَـٰنِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلًا أُو۟لَـٰٓئِكَ لَا خَلَـٰقَ لَهُمْ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ ٱللَّهُ وَلَا يَنظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾[آل عمران:٧٧] ، قال الحافظ ابن كثير ؒ: «فذم الله تعالى أهل الكتاب قبلنا بإعراضهم عن كتاب الله المنـزل عليهم، وإقبالهم على الدنيا، وجمعها، واشتغالهم بغير ما أمروا به من اتباع كتاب الله، **فعلينا أيها المسلمون** أن ننتهي عما ذمهم الله تعالى به، وأن نأتمر بما أمرنا به من تعلم كتاب الله المنـزل إلينا وتعليمه، وتفهمه وتفهيمه، قال الله تعالى: ﴿ أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ ٱللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ ٱلْحَقِّ وَلَا يَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَـٰبَ مِن قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ ٱلْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ ۖ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَـٰسِقُونَ ۝ ٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ يُحْىِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا ۚ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ ٱلْـَٔايَـٰتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾[الحديد:١٦-١٧] ففي ذكره تعالى لهذه الآية بعد التي قبلها تنبيه على أنه تعالى كما يحيي الأرض بعد موتها، كذلك يلين القلوب بالإيمان والهدى بعد قسوتها من الذنوب والمعاصي، والله المؤمل أن يفعل بنا هذا إنه جواد كريم»[١].

وقد قام السلف الصالح بتعلم القرآن الكريم، وتعليمه على أكمل وجه، ويدل لهذا ما يأتي:

أولا: اعتناء النبي ﷺ بأمته، وتعليمهم إياهم ما يحتاجونه فيما يتعلق بالقرآن الكريم؛ فكان ﷺ يقرئ أمته القرآن ويعلمهم السور، كما في حديث عبد الله بن مسعود وابن عباس ﭫ مرفوعا: [**كان رسول الله ﷺ يعلمنا التشهد كما يعلمنا السورة من القرآن**][٢]. **ويسمع من أصحابه** كما في حديث عبد الله بن مسعود ﭬ، أنه

(١) تفسير القرآن العظيم ١/ ٣.

(٢) رواه البخاري، كتاب الاستئذان، باب/ الأخذ باليدين، ح(٦٢٦٥)، من رواية ابن مسعود ﭬ، ومسلم

قال: قال لي النبي ﷺ : [**اقرأ علي القرآنَ**]. قلت: أقرأ عليك، وعليك أنزل؟ قال: [**نعم**][١]. **وله ﷺ عرضة في كل رمضان مع جبريل الأمين يدارسه القرآن**، كما في حديث أبي هريرة[٢] وعائشة[٣] ﷺ: [**أن جبريل كان يعرض على النبي ﷺ القرآنَ كل عام مرة، فعرض عليه مرتين في العام الذي قبض فيه...**].

ثانيا: اعتناء السلف بألفاظ القرآن ومعانيه، دليل على تعلمهم وتعليمهم، ولقد وصلنا القرآن غضا طريا كما أنزل، وذلك لشدة عنايتهم بالقرآن الكريم، صدرا وسطرا، قال عبد الله بن مسعود ﷺ : [**لو أعلم أحدا أعلم مني بكتاب الله، تبلغه الإبل لركبت إليه**][٤]. فالتعاون على البر والتقوى مطلوب بين المؤمنين، ومن أَجَلِّ ذلك تعلُّم وتعلِيم القرآن المبين[٥]، ومن تعلم القرآن وعمل به، وجب أن يحكِّمه، وأن يتحاكم إليه، وهذا ما أذكره في المسألة الآتية.

المسألة الثالثة: التعبد بالتحاكم إلى القرآن الكريم.

إذا كان المسلم يتقرب إلى الله تبارك وتعالى بتعلم القرآن الكريم وتعليمه، ويتقرب إلى الله تعالى بالعمل به، فهو يتقرب إلى الله ﷻ بإقامة أحكام القرآن الكريم وحدوده، بل هو من أعظم العمل بالقرآن الكريم، ويجب «أن يعلم جميع المسلمين

=

واللفظ له، كتاب الصلاة، باب/ التشهد في الصلاة، ح(٤٠٣)، من رواية ابن عباس ﷺ.

(١) رواه البخاري، كتاب فضائل القرآن، باب/ قول المقرئ للقارئ حسبك، ح(٥٠٥٠)، ورواه مسلم، كتاب صلاة المسافرين، باب/ فضل استماع القرآن...، ح(٨٠٠).

(٢) حديث أبي هريرة ﷺ أخرجه البخاري، كتاب فضائل القرآن، باب/ كان جبريل يعرض القرآن على النبي ﷺ، ح(٤٩٩٨)

(٣) وحديث عائشة ﷺ رواه البخاري معلقا، كتاب فضائل القرآن، باب/ كان جبريل يعرض القرآن على النبي ﷺ.

(٤) رواه البخاري، كتاب فضائل القرآن، باب/ القراء من أصحاب رسول الله ﷺ، ح(٥٠٠٢)، ورواه مسلم، كتاب فضائل الصحابة، باب/ من فضائل عبد الله بن مسعود ﷺ، ح(٢٤٦٣).

(٥) وهنا مسألة اختلف فيها الفقهاء وهي: **مسألة الإجارة على تعليم القرآن الكريم**، فقد أجازها الجمهور، ومنعها الحنفية، وينظر فيها المراجع الآتية: الفتح ٤/ ٥٣٠، ٥٣٥، حاشية الدسوقي ٢/ ٣٠٩، الفواكه الدواني ٢/ ١١٤، فتاوى وتنبيهات للشيخ ابن باز ص ٥١٦.

أفرادا وحكاما أن كتاب الله إنما أنزل ليعمل به، ويُحَكَّمَ ويتحاكم إليه، فهو مصدرنا في التشريع، وإليه مرجعنا في الحكم، والعمل»(١).

والمسلمون مأمورون أعظم الأمر باتباع أحكام القرآن، وإقامة شرائعه، وتنفيذ ما ورد فيه من الأوامر والنواهي، والله أرسل محمدا ﷺ هاديا وبشيرا ونذيرا، وحاكما بين الناس بما أنزل عليه، ولقد قال له بعض أصحابه: [أنشدك الله إلا قضيت بيننا بكتاب الله] وقال الآخر: [اقض بيننا بكتاب الله] فقال ﷺ : **[والذي نفسي بيده لأقضين بينكما بكتاب الله]**(٢).

والقرآن والسنة مصدرا الشريعة الإسلامية، ويجب التحاكم إليهما في القضية، العامة منها والشخصية(٣).

والأدلة على وجوب العمل بما جاء في الوحي أكثر من أن تحصر، ومن هذه الأدلة:

١ ـ **أَمْرُ الله ﷻ باتباع ما جاء فيه:** قال الله ﷻ : ﴿الٓمٓصٓ ۝ كِتَٰبٌ أُنزِلَ إِلَيۡكَ فَلَا يَكُن فِي صَدۡرِكَ حَرَجٌ مِّنۡهُ لِتُنذِرَ بِهِۦ وَذِكۡرَىٰ لِلۡمُؤۡمِنِينَ ۝ ٱتَّبِعُواْ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكُم مِّن رَّبِّكُمۡ وَلَا تَتَّبِعُواْ مِن دُونِهِۦٓ أَوۡلِيَآءَۗ قَلِيلٗا مَّا تَذَكَّرُونَ﴾[الأعراف:١-٣] فالكتاب المنزل هو القرآن الكريم، وأمرنا أن لا نتحرج منه، ولا من الحكم به، ومن خرج عما جاء به الرسول إلى غيره، فقد عدل عن حكم الله إلى حكم غيره فصار وليا له(٤).

وقال تعالى: ﴿ وَهَٰذَا كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ مُبَارَكٌ فَٱتَّبِعُوهُ وَٱتَّقُواْ لَعَلَّكُمۡ تُرۡحَمُونَ ﴾ [الأنعام:١٥٥] قال الحافظ ابن كثير رحمه الله: «فيه الدعوة إلى اتباع القرآن، يرغب سبحانه عباده في كتابه، ويأمرهم بتدبره، والعمل به، والدعوة إليه، ووَصَفَه بالبركة لمن اتبعه،

(١) مجلة البحوث الإسلامية، العدد(٦٣) من كلام سماحة المفتي الشيخ عبد العزيز آل الشيخ ص ٣٥.

(٢) رواه البخاري، كتاب الحدود، باب/ هل يأمر الإمام رجلا فيضرب الحد غائبا عنه، ح(٦٨٥٩، ٦٨٦٠)، ورواه مسلم، كتاب الحدود، باب/ من اعترف على نفسه، ح(١٦٩٧، ١٦٩٨) كلاهما من رواية أبي هريرة وزيد بن خالد الجهني رضي الله عنهما.

(٣) انظر: أصول التفسير للشيخ ابن عثيمين ص ٣١٧.

(٤) انظر: تفسير القرآن العظيم لابن كثير ٢/ ٢٠٠.

وعمل به في الدنيا والآخرة، لأنه حبل الله المتين»[١].

وقال تعالى في صفات المؤمنين المتبعين للنبي ﷺ: ﴿ وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ ۚ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالَّذِينَ هُم بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ ۝١٥٦ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ ۚ فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنزِلَ مَعَهُ ۙ أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾[الأعراف:١٥٦-١٥٧] فأوجب الله رحمته امتنانا منه سبحانه على المتقين المتصفين بهذه الصفات، وهم أمة محمد ﷺ، ومن صفاتهم أنهم متبعون للقرآن وهو النور المنزل[٢].

وقال ﷻ آمرا نبيه ﷺ: ﴿ قُل لَّا أَقُولُ لَكُمْ عِندِي خَزَائِنُ اللَّهِ وَلَا أَعْلَمُ الْغَيْبَ وَلَا أَقُولُ لَكُمْ إِنِّي مَلَكٌ ۖ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰ إِلَيَّ ﴾[الأنعام:٥٠] وقال بعدها بآيات: ﴿ قُل لَّا أَتَّبِعُ أَهْوَاءَكُمْ ۙ قَدْ ضَلَلْتُ إِذًا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُهْتَدِينَ ۝٥٦ قُلْ إِنِّي عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّي وَكَذَّبْتُم بِهِ ۚ مَا عِندِي مَا تَسْتَعْجِلُونَ بِهِ ۚ إِنِ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ ۖ يَقُصُّ الْحَقَّ ۖ وَهُوَ خَيْرُ الْفَاصِلِينَ ﴾[الأنعام:٥٦-٥٧] وقال: ﴿ اتَّبِعْ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ۖ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ ﴾[الأنعام:١٠٦] فأمر الله رسوله ﷺ والخطاب لمن اتبع طريقته ضمنا، أن يقتدوا بالوحي، وأن يعملوا به، فإن الوحي من الله الذي لا إله إلا هو، وهو الخبير بأحوال عباده، العالم بشئونهم[٣].

وقال: ﴿ ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٍ مِّنَ الْأَمْرِ فَاتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ۝١٨ إِنَّهُمْ لَن يُغْنُوا عَنكَ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا ۚ وَإِنَّ الظَّالِمِينَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ ۖ وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُتَّقِينَ ﴾[الجاثية:١٨-١٩] فالله ﷻ أنزل على نبيه ﷺ «شريعة كاملة، لم تسمُ

---

(١) انظر: تفسير القرآن العظيم لابن كثير ٢/ ١٩٢.

(٢) انظر: تفسير القرآن العظيم لابن كثير ٢/ ٢٥١، ٢٥٤.

(٣) انظر: تفسير القرآن العظيم لابن كثير ٢/ ١٦٣.

إليها شريعة من الشرائع قبلها، ولن يأتي أحد من بعده بخير منها، ولا مثلها... شرع الله هذه الشريعة الكاملة للناس كافة، وفي كل زمان ومكان... ونسخت ـ هذه الشريعة ـ جميع الشرائع، ولم تكن خاصة بأمة دون أمة، ولا بعصر دون عصر»[(١)].

٢ ـ أمر الله ﷻ أن نحكم بما جاء في المنزل: قال تعالى عن حال الرُسل ـ عليهم الصلاة والسلام ـ: ﴿ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَـٰفِرُونَ ﴾[المائدة:٤٤] وقال: ﴿ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّـٰلِمُونَ ﴾[المائدة:٤٥] وقال: ﴿ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَـٰسِقُونَ ﴾[المائدة:٤٧] **وهذه الآيات الثلاث**، وإن نزلت في أهل الكتاب، فهي ليست خاصة بهم على التحقيق في الجواب، وأنها عامة لكل حاكم بغير ما أنزل الوهاب، اعتبارا بعموم اللفظ لا بالنظر إلى خصوص الأسباب، والله أعلم بالصواب[(٢)].

---

(١) الكتاب والسنة يجب أن يكونا مصدر القوانين للشيخ أحمد محمد شاكر ص ٩.

(٢) انظر: محاسن التأويل للقاسمي ٣/ ١٣٨-١٣٩، **والذي عليه جمهور الأمة، وعلماء هذه الملة، من السلف ومن اتبعهم بإحسان من الخلف**، أن هذه الآيات وإن نزلت جميعها في الكفار، كما في صحيح الإمام مسلم [كتاب الحدود، باب/ رجم اليهود...، ح(١٧٠٠)، إلا أنها عامة في اللفظ، وهذا العموم ليس على إطلاقه في حق المقر بالشرع، المعترف بالمنـزل، **وأنه يكون حينئذٍ كفرا دون كفر**، كما جاء ذلك مرويا عن ابن عباس رضي الله عنهما ولا يعرف له مخالف من الصحابة، **والتفصيل الذي عليه أهل السنة، هو سبيل الخلاص لما عليه الأمة، من الحروب والفتنة، بين الحكام والمحكومين، وهذا التفصيل هو:** أن من حكم بغير ما أنزل الله جاحدا له، أو معتقدا عدم وجوبه، أو معتقدا عدم صلاحيته، أو معتقدا أنه كالقوانين الوضعية،... فمعتقد هذا كافر كفرا أكبر يخرجه عن ملة الإسلام، كائنا من كان من الأنام. **ومن حكم بغير ما أنزل الله، مع اعتقاده لوجوب الحكم به**، إلا أنه لهوى في نفسه، أو خوفا على جاهه، أو جورا لمال يطلبه، حكم بغير ما أنزل باريه، فإنه ظالم لنفسه، مرديها الهوى، ومموردها الردى، ويكون فاسقا، وظالما، وكافرا كفرا أصغر، وينصح ويرشد، ويعلم الرجوع والنوبة، والأوبة قبل فوات التوبة. **وأما أن الحاكم بغير ما أنزل الله ـ من المسلمين ـ يكون كافرا مطلقا**، ويخرج عن الإسلام أبدا، فهذا ما عليه الخوارج الأصاغر والأكابر، ومن وافقهم في هذا العصر من أهل المنابر، وعدم التفصيل في حد ذاته حكم بغير ما أنزل الله، ولا حول ولا قوة إلا بالله. انظر المصادر الآتية: جامع البيان لابن جرير ٤/ ٥٩٢-٥٩٧، معالم التنـزيل للبغوي ٣/ ٦١، زاد المسير لابن الجوزي ٢/ ٤٤-٤٥، الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ٦/ ١٢٤، الدر المنثور للسيوطي ٣/ ٨٧-٩٠، فتح القدير للشوكاني ٢/ ٥٣-٥٦، فتح المجيد بتحقيق الفريان ص٤٦١-٤٦٣، فتح البيان لصديق حسن ٢/ ٢٩-٣٣ وفيه كلام نفيس، محاسن التأويل للقاسمي

وقال تعالى: ﴿ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَـٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلْكِتَـٰبِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ ۖ فَٱحْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ ﴾ وقال بعدها: ﴿ وَأَنِ ٱحْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ وَٱحْذَرْهُمْ أَن يَفْتِنُوكَ عَنۢ بَعْضِ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ ﴾ وقال بعدها: أَفَحُكْمَ ٱلْجَـٰهِلِيَّةِ يَبْغُونَ ۚ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴾[المائدة:٤٨-٥٠] فأمر الله محمدا ﷺ أن يحكم بين الناس عربهم وعجمهم أميهم وكتابيهم، بما أنزل الله لهذه الأمة، وأن لا ينصرف إلى الآراء التي اصطلحوا عليها، وتركوا بسببها ما أنزل الله على رسله، وأن لا يترك الحق الذي أمره الله به، إلى أهواء الجهلة[1].

وقال ﷻ : ﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَـٰبَ بِٱلْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِمَآ أَرَىٰكَ ٱللَّهُ ۚ وَلَا تَكُن لِّلْخَآئِنِينَ خَصِيمًا ﴾[النساء:١٠٥] وقال: ﴿ أَفَغَيْرَ ٱللَّهِ أَبْتَغِى حَكَمًا وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ إِلَيْكُمُ ٱلْكِتَـٰبَ مُفَصَّلًا ۚ وَٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَـٰهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ يَعْلَمُونَ أَنَّهُۥ مُنَزَّلٌ مِّن رَّبِّكَ بِٱلْحَقِّ ۖ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُمْتَرِينَ ﴿١١٤﴾ وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا ۚ لَّا مُبَدِّلَ لِكَلِمَـٰتِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴾[الأنعام:١١٤-١١٥] **فرسول الله ﷺ لا يحكم بغير المنزل**، فإن المنزل كله صدق فيما يقول ويخبر، وعدل فيما يحكم ويأمر، وكل ما أمر به فهو العدل الذي لا عدل سواه، وكل ما نهى عنه فباطل بلا امتراء[2].

٣ ـ أخبر الله تعالى أن من اتبع هداه لا يضل، ولا يشقى، لا في دنياه، ولا في أخراه:

قال الله تعالى: ﴿ فَمَن تَبِعَ هُدَاىَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾[البقرة:٣٨] وقال: ﴿ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّى هُدًى فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَاىَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ ﴾[طه:١٢٣]

=

٣/١٢٨-١٣١، تيسير الكريم الرحمن ٢/ ٢٩٦، أضواء البيان للشنقيطي ٢/ ٧٩-٨١، إمداد القاري بشرح كتاب التفسير من صحيح البخاري لشيخنا عبيد بن عبد الله الجابري ٢/ ٤٢-٥٠، وانظر: فتاوى وتنبيهات للشيخ ابن باز ص ١١٩-١٣٢، مجموعة فتاوى سماحة الشيخ ابن باز ٣/ ٩٩٠ -٩٩٢، مجلة الفرقان العدد (٩٤)، فتاوى اللجنة الدائمة رقم(٥٧٤١) رسالة د/ خالد العنبري "الحكم بغير ما أنزل الله".

(١) انظر: تفسير القرآن العظيم لابن كثير ٢/ ٦٦.

(٢) انظر: تفسير القرآن العظيم لابن كثير ٢/ ١٦٧-١٦٨.

فمن أقبل على البينات والآيات، والرسل وما جاؤوا به من الشرعيات، لاخوف عليهم فيما يستقبلونه من أمور الآخرة، ولا حزن يعتريهم لما فاتهم من أمور الدنيا الفانية[١].

قال علي ﷺ : [**إنها ستكون فتن ـ والمخرج منها ـ كتاب الله، فيه نبأ ما قبلكم، وخبر ما بعدكم، وحكم ما بينكم، هو الفصل، ليس بالهزل، من تركه من جبار قصمه الله، ومن ابتغى الهدى في غيره أضله الله، وهو حبل الله المتين، وهو الذكر الحكيم، وهو الصراط المستقيم، وهو الذي لا تزيغ به الأهواء، ولا تلتبس به الألسنة، ولا يشبع منه العلماء، ولا يخلق عن كثرة الرد، ولا تنقضي عجائبه، هو الذي لم تنته الجن إذ سمعته حتى قالوا: إنا سمعنا قرآنا عجبا، يهدي إلى الرشد فآمنا به، من قال به صدق، ومن عمل به أُجِر، ومن حكم به عدل، ومن دعا إليه هُدِي إلى صراط مستقيم**][٢].

٤ ـ اتباع حكم القرآن طريق السلامة والأمان: قال الله تعالى: ﴿ قَدْ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٌ وَكِتَٰبٌ مُّبِينٌ ۝ يَهْدِى بِهِ ٱللَّهُ مَنِ ٱتَّبَعَ رِضْوَٰنَهُۥ سُبُلَ ٱلسَّلَٰمِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذْنِهِۦ وَيَهْدِيهِمْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾[المائدة:١٥-١٦] فطريق النجاة والسلامة، ومنهاج الاستقامة، في النور المهداة، ويكون به النجاة من المهالك، وبه أوضح الله لنا المسالك، وبامتثال أوامره نحصل أحب الأمور، وباجتناب نواهيه يصرف الله عنا المحذور[٣].

والكتاب هو الحاكم بين الناس شرعا ودينا، وينصر اللهُ القائمَ به نصرا، ويعلي منـزلته وقدره في الدنيا والآخرة، والسلطان إذا قام بأمر الله كان سعيدا مجاهدا في سبيل الله، فإن الله نصر الكتاب بأمر من عنده، وانتقم ممن خرج عن حكم الكتاب[٤]، **قال ابن القيم** ﷺ:

---

(١) انظر: جامع البيان لابن جرير ١/ ٢٨٤-٢٨٥، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير ١/ ٨٢.

(٢) رواه الترمذي مرفوعا في سننه، أبواب فضائل القرآن، باب/ ما جاء في فضل القرآن، ح(٣٠٧٠) وقال: «حديث غريب لا نعرفه إلا من حديث حمزة الزيات، وإسناده مجهول، وفي حديث الحارث مقال». وكذا قال المباركفوري في تحفة الأحوذي ٨/ ٢٢١، وقال الألباني في تعليقه على شرح الطحاوية ص ٦٨: «هذا حديث جميل المعنى، ولكن إسناده ضعيف...، ولعل أصله موقوف على علي ﷺفأخطأ الحارث فرفعه إلى النبي ﷺ».

(٣) انظر: تفسير القرآن العظيم لابن كثير ٢/ ٣٤.

(٤) انظر: المجموع ٢٨/ ٣٧.

« وما دعا إليه الرسول ﷺ هو حياة القلوب، ونجاة النفوس، ونور البصائر، وما يدعو إليه مخالفوه فهو موت القلوب، وهلاك النفوس، وعَمَى البصائر، قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسۡتَجِيبُواْ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمۡ لِمَا يُحۡيِيكُمۡۖ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَحُولُ بَيۡنَ ٱلۡمَرۡءِ وَقَلۡبِهِۦ وَأَنَّهُۥٓ إِلَيۡهِ تُحۡشَرُونَ ﴾[الأنفال:٢٤] »[١].

٥ ـ التهديد الشديد، والوعيد الأكيد، لمن اتبع غير القرآن المجيد: قال تعالى: ﴿ وَلَن تَرۡضَىٰ عَنكَ ٱلۡيَهُودُ وَلَا ٱلنَّصَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمۡۗ قُلۡ إِنَّ هُدَى ٱللَّهِ هُوَ ٱلۡهُدَىٰۗ وَلَئِنِ ٱتَّبَعۡتَ أَهۡوَآءَهُم بَعۡدَ ٱلَّذِي جَآءَكَ مِنَ ٱلۡعِلۡمِ مَا لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن وَلِيّٖ وَلَا نَصِيرٍ ﴾[البقرة:١٢٠]؛ فليست اليهود ولا النصارى براضية عنك يا محمد، فدع طلب ما يرضيهم ويوافقهم، وأقبل على طلب رضا الله في دعائهم إلى ما بعثك الله به من الحق، وما بعثك الله به هو الهدى، هو الدين المستقيم الصحيح، الكامل الشامل[٢].

وقال تعالى: ﴿وَلَئِنۡ أَتَيۡتَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ بِكُلِّ ءَايَةٖ مَّا تَبِعُواْ قِبۡلَتَكَۚ وَمَآ أَنتَ بِتَابِعٖ قِبۡلَتَهُمۡۚ وَمَا بَعۡضُهُم بِتَابِعٖ قِبۡلَةَ بَعۡضٖۚ وَلَئِنِ ٱتَّبَعۡتَ أَهۡوَآءَهُم مِّنۢ بَعۡدِ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلۡعِلۡمِ إِنَّكَ إِذٗا لَّمِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾[البقرة:١٤٥] فهذا تحذير من الله تعالى عن مخالفة الحق الذي يعلمه العالم إلى الهوى[٣].

وقال تعالى: ﴿ وَكَذَٰلِكَ أَنزَلۡنَٰهُ حُكۡمًا عَرَبِيّٗاۚ وَلَئِنِ ٱتَّبَعۡتَ أَهۡوَآءَهُم بَعۡدَمَا جَآءَكَ مِنَ ٱلۡعِلۡمِ مَا لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن وَلِيّٖ وَلَا وَاقٖ ﴾[الرعد:٣٧] فكما أنزل الكتب السابقة على النبيين، أنزل القرآن المبين، على أشرف المرسلين، محكما معربا، فليس له، ولا لمتبعيه أن يتبعوا الآراء الفاسدة، والزبالات الكاسدة، بعد مجيء العلم الحق، وهذه الآية فيها وعيد لأهل العلم عن أن يتبعوا سبل أهل الضلالة، بعد ما صاروا إليه من سلوك السنة النبوية، والمحجة المحمدية[٤]، وكذلك الشرور متلازم للحكم بغير ما أنزل الله

---

(١) الكلام على مسألة السماع ص ١٠٠.

(٢) انظر: جامع البيان لابن جرير ١/ ٥٦٥-٥٦٦، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير ١/ ١٦٣.

(٣) انظر: تفسير القرآن العظيم لابن كثير ١/ ١٩٤.

(٤) انظر: تفسير القرآن العظيم لابن كثير ٢/ ٥١٨.

كما روي عن النبي ﷺ أنه قال: [وما لم تحكم أئمتهم بكتاب الله][(١)].

٦ ـ المتبع لحكم القرآن، متبع للحق المنزل من الرحمن، وبهذا الإتباع يكفِّرُ الله سيئات الإنسان، ويصلح شأنه ويكون بأمان، ومن لم يتبعه فهو متبع للباطل وللشيطان: قال الله ﷻ : ﴿ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَصَدُّوا۟ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ أَضَلَّ أَعْمَـٰلَهُمْ ۝١ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ وَءَامَنُوا۟ بِمَا نُزِّلَ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ وَهُوَ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ ۙ كَفَّرَ عَنْهُمْ سَيِّـَٔاتِهِمْ وَأَصْلَحَ بَالَهُمْ ۝٢ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱتَّبَعُوا۟ ٱلْبَـٰطِلَ وَأَنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّبَعُوا۟ ٱلْحَقَّ مِن رَّبِّهِمْ ۚ كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ أَمْثَـٰلَهُمْ ﴾[محمد:١-٣].

٧ ـ أخبر الله تعالى أن المعرضين عن اتباع أحكام القرآن، هم الكفار والمنافقون، قال تعالى: ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱتَّبِعُوا۟ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُوا۟ بَلْ نَتَّبِعُ مَآ أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَآ ﴾ [البقرة:١٧٠] وقال تعالى: ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱتَّبِعُوا۟ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُوا۟ بَلْ نَتَّبِعُ مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَآ ۚ أَوَلَوْ كَانَ ٱلشَّيْطَـٰنُ يَدْعُوهُمْ إِلَىٰ عَذَابِ ٱلسَّعِيرِ ﴾[لقمان:٢١] وقال: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَإِلَى ٱلرَّسُولِ قَالُوا۟ حَسْبُنَا مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَآ ۚ أَوَلَوْ كَانَ ءَابَآؤُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ شَيْـًٔا وَلَا يَهْتَدُونَ ﴾[المائدة:١٠٤] أي إذا دُعِيَ الكفارُ والمنافقون إلى دين الله، وشرعه وما أوجبه، وترك ما حرمه، قالوا: يكفينا ما وجدنا عليه الآباء والأجداد من الطرائق، والمسالك، والأوضاع المخالفة لشرع الله[(٢)].

وقال تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ نَصِيبًا مِّنَ ٱلْكِتَـٰبِ يُدْعَوْنَ إِلَىٰ كِتَـٰبِ ٱللَّهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ يَتَوَلَّىٰ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ وَهُم مُّعْرِضُونَ ﴾[آل عمران:٢٣]، وقال: ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَإِلَى ٱلرَّسُولِ رَأَيْتَ ٱلْمُنَـٰفِقِينَ يَصُدُّونَ عَنكَ

---

(١) رواه ابن ماجه، كتاب الفتن، باب/ العقوبات، ح(٤٠١٩)، ولفظه: [يا معشر المهاجرين! خمس إذا ابتليتم بهن وأعوذ بالله أن تدركوهن: ...، وما لم تحكم أئمتهم بكتاب الله، ويتخيروا مما أنزل الله، إلا جعل الله بأسهم بينهم]، قال الشيخ الألباني: « صحيح » وقال: « أليس هذا من أعلام نبوته ﷺ الدالة على صدقه، وأنه وحي من ربه، بلى وربي». صحيح الترغيب والترهيب ١/ ٤٦٨، ح(٧٦٤).

(٢) انظر: تفسير القرآن العظيم لابن كثير ٢/ ١٠٨.

صُدُودًا ﴾[النساء:٦١] قال الحافظ ابن كثير رحمه الله: « هذا إنكار من الله عز وجل على من يدعي الإيمان بما أنزل الله على رسوله، وعلى الأنبياء الأقدمين وهو مع ذلك يريد أن يتحاكم في فصل الخصومات إلى غير كتاب الله، وسنة رسوله» **ثم ذكر سبب النـزول، وقال بعده: «** والآية أعم من ذلك كله، **فإنها ذامة لمن عدل عن الكتاب والسنة، وتحاكم إلى ما سواهما من الباطل، وهو المراد بالطاغوت هنا »**[1].

وقال الله تعالى: ﴿ وَيَقُولُونَ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلرَّسُولِ وَأَطَعْنَا ثُمَّ يَتَوَلَّىٰ فَرِيقٌ مِّنْهُم مِّنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ ۚ وَمَآ أُو۟لَٰٓئِكَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٧﴾ وَإِذَا دُعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُم مُّعْرِضُونَ ﴾[النور:٤٧-٤٨]، وقال: ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا ﴾[النساء:٦٥] فأقسم تعالى بنفسه المقدسة أنه لا يؤمن أحد حتى يحكم الرسول ﷺ في جميع الأمور، وما حكم به فهو الحق الذي يجب الانقياد له ظاهرا وباطنا[2].

فهذه الآيات الكثيرة آيات محكمة صريحة، مبيِّنة، فيها عبرة، وعظة، لو تفكر متفكر، وتأمل متأمل، فالله وعد المذعنين به خيرا، وأوعد المخالفين له نكالا[3]، كما قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَتْكُم مَّوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَآءٌ لِّمَا فِى ٱلصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴿٥٧﴾ قُلْ بِفَضْلِ ٱللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِۦ فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُوا۟ هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴾[يونس:٥٨-٥٩] وقال: ﴿ قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ هُدًى وَشِفَآءٌ ۖ وَٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ فِىٓ ءَاذَانِهِمْ وَقْرٌ وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى ﴾[فصلت:٤٤].

والله أسأل أن يوفق ولاة أمر المسلمين، لتحكيم شرع الله المبين، وأن يجعلنا جميعا للحق مذعنين، وبه فرحين، وهذه الآيات فيها حث على الحكم بالمنـزل، والتقرب إلى الله بذلك، ومن وسائل التقرب إلى الله تعالى بالقرآن الكريم، التقرب إليه بالاستشفاء به، وهذا ما أبينه في المطلب الآتي.

(١) انظر: تفسير القرآن العظيم لابن كثير ١/ ٥١٩.

(٢) انظر: تفسير القرآن العظيم لابن كثير ١/ ٥٢٠.

(٣) الكتاب والسنة يجب أن يكونا مصدر القوانين للشيخ أحمد محمد شاكر ص ١٥.

المطلب الثالث: التعبد بالتداوي به، ودفع الضر به.

التداوي المقصود به طلب الاستشفاء بالقرآن الكريم، وأما كيف يكون التداوي بالقرآن الكريم عبادة؟ وكم يدفع الله عن العبد به من الضر؟؛ **فهذا الأمر يتضح بأوجه:**

أ ـ أن التداوي بالقرآن الكريم مشتمل على القراءة، وقراءة القرآن في حد ذاته عبادة، وكونه قد نوى أمرا آخر زائدا على القراءة لا يفسد أجر القراءة، لكونه نوى أمرا مشروعا[(١)].

ب ـ أن الله أخبر أن القرآن شفاء فمن اتخذه علاجا ودواء، فقد امتثل الخبر، وصدق ما جاء في الأثر، والعبادة هو امتثال الأمر، واجتناب النهي.

ت ـ أن التداوي بالقرآن الكريم لا بدّ فيه من إيمان صادق، ويقين تام، مع تضرع وخشوع، وخضوع، وذلة، وسؤال لله تعالى أن يشفي المريض، فهذه كلها عبادات مستقلة فكيف إذا اجتمعن؟ لا شك ولا ريب أنها تكون حينئذ عبادة عظيمة، وقربة كبيرة إلى المولى ﷻ.

ث ـ أن التداوي بالقرآن الكريم من باب الدعاء، ومن باب سؤال الله ﷻ بما جاء في كتابه من الأدعية المشروعة، والأذكار المأثورة، فكان ذلك التداوي عبادة، فالتعبد بالتداوي بالقرآن لأن «الله أخبر عنه بأنه هدى وشفاء، وهذا الأمر على جهة الإرشاد إلى ما يدفع به الأذى...، من باب المندوب إليه، المرغب فيه»[(٢)].

ج ـ ومما يدل على أن القرآن يتعبد بالتداوي به، قول الله ﷻ :

﴿ وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ۙ وَلَا يَزِيدُ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا

(١) ويشهد لهذا قول الله ﷻ: ﴿ لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَبْتَغُوا۟ فَضْلًا مِّن رَّبِّكُمْ ﴾[البقرة: ١٩٨] فالحج عبادة لا يفسدها طلب الرزق وهو مباح.

(٢) تيسير العزيز الحميد للشيخ سليمان بن عبد الوهاب ص ٢١٣.

خَسَارًا ﴾[الإسراء:٨٢] و(مِنْ) هنا لبيان الجنس، فإن القرآن كله شفاء[١]، كما قال تعالى: ﴿ قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ هُدًى وَشِفَآءٌ ﴾[فصلت:٤٤] فالحكم العام أن القرآن شفاء للأدواء.

وقال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَتْكُم مَّوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَآءٌ لِّمَا فِى ٱلصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴾[يونس:٥٧] وكونه شفاء لما في الصدور لا يعني التخصيص فإن «ذكر بعض أفراد العام الموافق له في الحكم لا يقتضي التخصيص، عند الجمهور»[٢]؛ **فلا شك ولا ريب أن العلاج بالقرآن الكريم**، وبما ثبت عن النبي الكريم ﷺ هو علاج نافع، ودواء ناجع، والقرآن شفاء تام من جميع الأدواء القلبية والبدنية، وأدواء الدنيا والآخرة.

وليس كل أحد مؤهل للاستشفاء بالقرآن، لكن إذا أحسن العليل التداوي به، وعالج به مرضه، بصدق وإيمان[٣]، وقبول وإذعان، واعتقاد جازم من غير ريب ولا نكران، لم يقاومه الداءُ أبدا، وكيف تقاوم الأدواء كلام رب الأرض والسماء، الذي لو نزل على الأرض الصلب لقطعها، ولو نزل على الجبال الصم لصدعها، قال الله تعالى: ﴿ وَلَوْ أَنَّ قُرْءَانًا سُيِّرَتْ بِهِ ٱلْجِبَالُ أَوْ قُطِّعَتْ بِهِ ٱلْأَرْضُ أَوْ كُلِّمَ بِهِ ٱلْمَوْتَىٰ ۗ بَل لِّلَّهِ ٱلْأَمْرُ جَمِيعًا ﴾[الرعد:٣١] **والمعنى**: لو أن كتابا سارت بإنزاله الجبال، أو تصدعت به الأرض، أو خوطبت به الأموات فأُحيُوا بتلاوته، لكان هذا القرآن «لكونه غاية في الهداية، والتذكير، ونهاية في الإنذار، والتخويف، وعلى هذا التقدير فالقصد بيان عظم شأن القرآن»[٤].

وقال تعالى: ﴿ لَوْ أَنزَلْنَا هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ عَلَىٰ جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُۥ خَٰشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ ٱللَّهِ ۚ وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَٰلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴾[الحشر:٢١]، وقال تعالى: ﴿ أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَرَحْمَةً

---

(١) انظر: زاد المعاد لابن القيم ٤/ ٣٥٢، الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي لابن القيم ص ٤، محاسن التأويل للقاسمي ٤/ ٦١٧.

(٢) المدخل لابن بدران ص ١٢٠، وانظر: نيل الأوطار ١/ ٤٠٦.

(٣) انظر: الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي لابن القيم ص ١٣.

(٤) محاسن التأويل للقاسمي ٤/ ٤٥٠، وانظر: تفسير القرآن العظيم لابن كثير ٢/ ٥١٥.

وَذِكۡرَىٰ لِقَوۡمٖ يُؤۡمِنُونَ ﴾[العنكبوت:٥١].

قال ابن القيم ﵀: « فمن لم يشفه القرآن، فلا شفاه الله، ومن لم يكفه فلا كفاه الله »[(١)]، **ولا ريب أن القرآن طب القلوب**، وشفاء الصدور، وأنه أرشد إلى ما يصلح الأبدان، وإلى أصول طبها وقواعده، ومن ذلك: حفظ الصحة، والحمية عن المؤذي، واستفراغ المواد الفاسدة المؤذية، ولو أحسن العبد التداوي بالقرآن لرأى لذلك تأثيرا عجيبا[(٢)]، و« **الرقى بالمعوذات وغيرها من أسماء الله** هو الطب الروحاني، إذا كان على لسان الأبرار من الخلق حصل الشفاء بإذن الله تعالى، فلما عز هذا النوع فزع الناس إلى الطب الجسماني »[(٣)].

ومما أرشد إليه القرآن الكريم دعاء الرب العظيم، الذي يشفي من الأسقام، ويجيب المضطرين من الأنام، وهذا أسلوب قرآنيّ، ينبغي الاعتناء به على وجه جليّ، قال الله ﷻ : ﴿ وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدۡعُونِيٓ أَسۡتَجِبۡ لَكُمۡۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسۡتَكۡبِرُونَ عَنۡ عِبَادَتِي سَيَدۡخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴾[غافر:٦٠] وقال: ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌۖ أُجِيبُ دَعۡوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِۖ فَلۡيَسۡتَجِيبُواْ لِي وَلۡيُؤۡمِنُواْ بِي لَعَلَّهُمۡ يَرۡشُدُونَ ﴾[البقرة:١٨٦] وقال: ﴿ وَإِذَا مَرِضۡتُ فَهُوَ يَشۡفِينِ ﴾[الشعراء:٨٠][(٤)]، **وما أكثر الأدعية النافعة في القرآن الكريم** حتى كأن لكل شخص عليل ما يناسبه من الدعاء الناجع الكثير، ومن ذلك الدعاء بالذرية الصالحة، قال تعالى: ﴿ رَبِّ هَبۡ لِي مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴾[الصافات:١٠٠]، ولمن يضيق صدره حرجا أن يقول: ﴿ رَبِّ ٱشۡرَحۡ لِي صَدۡرِي ۝٢٥ وَيَسِّرۡ لِيٓ أَمۡرِي ﴾[طه:٢٥-٢٦]، ولمن يجد شيئا من الجان أن يقول: ﴿ رَّبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنۡ هَمَزَٰتِ ٱلشَّيَٰطِينِ ۝٩٧ وَأَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَن يَحۡضُرُونِ ﴾[المؤمنون:٩٧-٩٨] وهكذا فما أعظم أن يدعو الإنسان بما علمه إياه الرحمن، فيجد حاجته في الآن،

---

(١) زاد المعاد لابن القيم ٤/ ٣٥٢، وما سبق من الكلام فهو مقتبس من كلامه ﵀.

(٢) انظر: إغاثة اللهفان لابن القيم ١/ ٣٦، محاسن التأويل للقاسمي ٢/ ٦١٧-٦١٩.

(٣) الفتح ١٠/ ٢٠٧ من كلام ابن التين ﵀.

(٤) انظر: الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي لابن القيم ص ٧-٨.

والاستجابة من غير توان، بإذن الله الواحد الديان.

قال العلامة ابن القيم ﷺ: «والدعاء من أنفع الأدوية، وهو عدو البلاء، يدافعه، ويعالجه، ويمنع نزوله، ويرفعه، أو يخففه إذ نزل، وهو سلاح المؤمن...، وله مع البلاء ثلاث مقامات:

إحداها: أن يكون أقوى من البلاء فيدفعه.

الثانية: أن يكون أضعف من البلاء فيقوى عليه البلاء، فيصاب به العبد، ولكن قد يخففه وإن كان ضعيفا.

الثالثة: أن يتقاوما ويمنع كل واحد منهما صاحبه»[1].

وليُعلم أن التعبد بالتداوى بالقرآن الكريم أمر شرعه الله ﷻ، وشرعه رسوله ﷺ، ولكن التداوي بالقرآن الكريم **له جهتان:**

الأولى: جهة التعبد؛ فمجرد قراءة القرآن عبادة، فكيف إن كان بتدبر وخشوع ويقين، وهذا لا بد من ملاحظته حتى حال التداوي به، مع مراعاة صحة وسيلته وجوازه شرعا، فلا يجوز التداوي به بطرق لم يُشرع كتعليقه مثلا.

الثانية: جهة التداوي؛ وهذه من الأمور المباحة، المتعلقة بالمعاملات والعادات، كحال الأطباء، فيجوز له أن يقصد آيات معينة، وبقدر معين حسب ما يرى أنه يشفي ويكفي، خصوصا أن النبي ﷺ قال: [**اعرضوا عليّ رقاكم، لا بأس بالرقى ما لم يكن فيه شرك**][2].

فدل هذا على جواز الرقية بالقرآن وغيره بشرط عدم الإتيان بالشرك، وكونه ليس بمحرم، وكون الوسيلة المستخدمة مباحة[3].

---

(١) الجواب الكافي ص ٧.

(٢) أخرجه مسلم، كتاب السلام، باب/ لا بأس بالرقى ما لم يكن فيه شرك، ح(٢٢٠٠).

(٣) انظر: شرح معاني الآثار للطحاوي ٤/ ٣٢٩، الفتح ١٠/ ٢٠٦، وقال ابن حجر (الفتح ١٠/ ٢٢٤) في بيان من كره الرقية الشرعية: «وأما الرقية فتمسك بهذا الحديث من كره الرقى والكي من بين سائر

فإذا ثبت أن القرآن يستشفى به،فإني أذكر بعض الطرق الشرعية للاستشفاء بالقرآن الكريم زيادة على ما مضى:

١ ـ التعبد بالرقية بالقرآن الكريم:

الرُّقْيَةُ: الراء والقاف والحرف المعتل، وجمعه (**الرُّقى**)، يقال: (**رَقَي**) بالفتح في الماضي، (**يَرقِي**) بالكسر في المستقبل، و(**رقِيت**) بالكسر (**أُرْقِيه**)، إذا قرأت عليه، و(**استرقى**) طلب الرقية، وهي المعروفة بالقراءة على المريض والنفث عليه، ومن معانيها العَوْذَة يُتعوذ بها، وتسمى العزائم(١).

ويمكن أن تعرّف الرقية الشرعية بأنها: قراءة شيء من القرآن أو الأدعية الصحيحة على المريض بقصد طلب الشفاء له(٢).

ومما يدل على جواز الرقية بالقرآن:

١ ـ حديث عائشة رضي الله عنها : [**أن رسول الله ﷺ دخل عليها، وامرأة تعالجها أو ترقيها، فقال: عالجيها بكتاب الله**](٣). قال العلامة الألباني رحمه الله: «في الحديث مشروعية الرقية بكتاب الله تعالى ونحوه مما ثبت عن النبي ﷺ من الرقى...، وأما غير ذلك من الرقى فلا تشرع، لاسيما ما كان منها مكتوبا بالحروف المقطعة، والرموز المغلقة، التي ليس لها معنى سليم ظاهر»(٤).

=

الأدوية»، فانظر يا رعاك الله كيف جعل الرقية من باب الأدوية مما يدلك على صحة ما ذكرت، وقال الإمام عبد العزيز ابن باز رحمه الله: «**إن التداوي بالقرآن الكريم والسدر ونحوه، من الأدوية المباحة ليس من باب البدع، بل هو من باب التداوي...، وبهذا يعلم أن التداوي بالسدر، وبالقراءة في الماء..ليس فيه محذور من جهة الشرع، إذا كانت القراءة سليمة، وكان الدواء مباحا، والله ولي التوفيق**». فتاوى وتنبيهات لابن باز ص ٢٥٦.

(١) انظر: مقاييس اللغة ص ٤١٦-٤١٧، النهاية في غريب الحديث والأثر لابن الأثير ٢/ ٢٥٤، تيسير العزيز الحميد ص ١٦٥، حاشية كتاب التوحيد لابن قاسم ص ٨٢.

(٢) انظر: الفتح ٤/ ٤٥٣، معجم ألفاظ العقيدة لعامر فالح ص ١٩٨.

(٣) أخرجه ابن حبان في صحيحه، كما في الإحسان (٦٠٦٦)، وانظر: موارد الظمآن إلى زوائد ابن حبان للهيثمي ص٣٤٣-٣٤٤ح(١٤١٩)، وقال الألباني في الصحيحة ح(١٩٣١): «صحيح».

(٤) السلسلة الصحيحة ٤/ ٥٦٦.

ويحتمل أن يكون المعنى كما قال أبو حاتم: «أراد: عاجليها بما يبيحه كتاب الله، لأن القوم كانوا يرقون في الجاهلية بأشياء فيها شرك، فزجرهم بهذه اللفظة عن الرقى إلا بما يبيحه كتاب الله دون ما يكون شركا»[١]. وهذا أبين لأنه موافق لقوله ﷺ: **[لا بأس بالرقى ما لم يكن فيه شرك]**.

٢ ـ حديث عائشة ﵂: **[أن النبي ﷺ كان ينفث على نفسه ـ في المرض الذي مات فيه ـ بالمعوذات، فلما ثقل كنت أنفث عليه بهن، وأمسح بيده نفسه لبركتها]**[٢].

٣ ـ حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه **[أن ناسا من أصحاب النبي ﷺ أتوا على حي من أحياء العرب فلم يقروهم، فبينما هم كذلك، إذ لدغ سيد أولئك. فقالوا: هل معكم من دواء أو راق؟ فقالوا: إنكم لم تقرونا، ولا نفعل حتى تجعلوا لنا جعلا؛ فجعلوا لهم قطيعا من الشاء، فجعل يقرأ بأم القرآن، ويجمع بزاقه ويتفل، فبرأ، فأتوا بالشاء، فقالوا: لا نأخذه حتى نسأل النبي ﷺ، فسألوه، فضحك، وقال: وما أدراك أنها رقية؟ خذوها، واضربوا لي بسهم]**[٣].

ويستفاد من الحديث أن الرقية وإن كان فيها جهة تعبد وهي ثبوت وسيلة استعماله التي هي القراءة، إلا أن فيها جهة التداوي ألا ترى أنه اشترط الأجر في الرقية بالقرآن[٤]، ولا يجوز اشتراط الأجر بالقراءة المجردة، وإنما جاز أخذ الأجرة على القراءة للرقية، لكونها من أمور المعاملات، المتعلقة بأحوال الناس وعاداتهم، ولهذا قال الإمام البخاري ﵀: «باب: الشروط في الرقية بفاتحة الكتاب»[٥]، وفي صحيح

---

(١) انظر: الإحسان ٧/ ٦٣٣.

(٢) أخرجه البخاري، كتاب الطب، باب/ الرقى بالقرآن والمعوذات، ح(٥٧٣٥).

(٣) أخرجه البخاري، كتاب الطب، باب/ الرقى بفاتحة الكتاب، ح(٥٧٣٦)، ومسلم، كتاب السلام، باب/ جواز أخذ الأجرة على الرقية بالقرآن، ح(٢٢٠١).

(٤) وفي أخذ الأجرة على الرقية بالقرآن الكريم خلاف مشهور، فالجمهور على جوازه لكونه ورد به الأدلة الصحيحة الصريحة، ولكونه من باب التطبب، وقال قوم، يجوز إذا لم يشترط، وقال الحنفية بعدم الجواز لكونه قراءة محضة وهي عبادة؟. انظر: الفتح ٤/ ٤٥٣، ١٠/ ٢٠٩.

(٥) صحيح البخاري، كتاب الطب، ص ١٢٣١.

مسلم: «باب: جواز أخذ الأجرة على الرقية بالقرآن والأذكار»[(١)].

٤ ـ حديث جابر ﷺ قال: **[نهى رسول الله ﷺ عن الرقى، فجاء آل عمرو بن حزم إلى رسول الله ﷺ فقالوا: يا رسول الله! إنه كانت عندنا رقية نرقي بها من العقرب، وإنك نهيت عن الرقى، قال: فعرضوها عليه، فقال: ما أرى بأسا، من استطاع منكم أن ينفع أخاه فليفعل]**[(٢)].

وقد أجمع العلماء على أن الرقية جائزة بثلاثة شروط:

الأول: أن تكون بكلام الله تعالى، أو بأسمائه وصفاته، أو كلام رسوله ﷺ.

الثاني: أن تكون باللسان العربي، أو بما يُعرف معناه من غيره.

الثالث: أن يُعتقد أن الرقية لا تؤثر بذاتها، بل بقدرة الله تعالى، وأن الرقية سبب من الأسباب[(٣)].

قال الشيخ حافظ حكمي رحمه الله:

ثـم الرقـى من حمـة أوعيـن ... فإن تكن من خالص الوحيين

فذاك من هدي النبي وشرعته ... وذاك لا اختلاف في سنيته[(٤)]

قال رحمه الله في شرح هذه الأبيات: «فإن تكن أي: الرقى، من خالص الوحيين، الكتاب والسنة...، من الوحي الخالص، بأن لا يدخل فيه غيره من شعوذة المشعوذين، ولا يكون بغير اللغة العربية، بل يتلو الآيات على وجهها، والأحاديث كما رويت، وعلى

---

(١) صحيح مسلم، كتاب السلام، ص ٩٠٤.

(٢) أخرجه مسلم، كتاب الطب، باب/ استحباب الرقية من العين...، ح(٢١٩٩).

(٣) انظر: غريب الحديث لأبي عبيد ٢/ ١٩٠، المجموع المغيث في غريبي القرآن والحديث لأبي موسى الأصفهاني ١/ ٧٩٢، النهاية في غريب الحديث والأثر لابن الأثير ٢/ ٢٥٥، الزواجر عن اقتراف الكبائر للهيثمي ١/ ٢٧٤، فتح الباري ١٠/ ٢٠٦ ـ ٢٠٧، أحكام العزائم والرقى لعبد الرحمن بن سليمان الأهدل اليمني ص ٤٤-٤٥، تيسير العزيز الحميد للشيخ سليمان بن عبد الله ص١٦٥-١٦٦، معارج القبول للشيخ حافظ حكمي ٢/ ٦٣٧.

(٤) سلم الوصول ص ٢٨-٢٩.

ما تُلقيت عن النبي ﷺ بلا همز، ولا رمز،... فالرقى من الكتاب والسنة هو من هدي النبي ﷺ الذي كان عليه هو وأصحابه، والتابعون بإحسان،... و ـ هذا القدر من الرقية ـ لا اختلاف في سنيتها، بين أهل العلم، إذ قد ثبت ذلك من فعل النبي ﷺ وقوله، وتقريره، فرقاه جبريل عليه السلام، ورقى هو ﷺ أصحابه، وأمر بها، وأقر عليها»(١).

وأما كيفية الرقية الشرعية، فالذي يظهر ـ والله تعالى أعلم ـ أن الأمر فيها واسع مادام أنها من باب التطبب، إذا ثبت أصل مشروعيتها وهو الرقية، وثبتت صحة وسيلة هذا التطبب وهي قراءة شيء من القرآن الكريم.

وأذكر باختصار بعض الصور الواردة في الرقية الشرعية، ومنها:

أ ـ الرقية وحدها، بقراءة شيء من القرآن الكريم، أو ما ورد شرعا، أو صح معنى(٢).

ب ـ النفث(٣) **مع الرقية**، ويدل لهذه الصورة قول عائشة رضي الله عنها: [**أن النبي ﷺ كان إذا أوى إلى فراشه كل ليلة جمع كفيه ثم نفث فيهما، فقرأ فيهما:** ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾[الإخلاص:١] و﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ﴾[الفلق:١] و﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ﴾[الناس:١](٤) **ثم يمسح بهما ما استطاع من جسده، يبدأ بهما على رأسه ووجهه وما أقبل من جسده، يفعل ذلك ثلاث مرات**](٥).

ج ـ التفل(٦) **مع الرقية**؛ ويستدل لهذه الكيفية بحديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه في قصة اللديغ، وفيه: [**فانطلق فجعل يتفل ويقرأ الحمد لله رب العالمين**] وأقره الرسول ﷺ

---

(١) معارج القبول ٢/ ٦٣٠.

(٢) انظر: رقية النبي ﷺ في صحيح البخاري، كتاب المرضى، باب/ دعاء العائد للمريض، ح(٥٦٧٥)، وباب/ رقية النبي ﷺ، ح(٥٧٤٢) وليس فيهما أي شيء غير الرقية.

(٣) النفث: نفخ يسير مع نزر ريق، وهو دون التفل، وقيل: النفث ما كان فيه نفخ بلا ريق. انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر لابن الأثير ٥/ ٨٨، المصباح المنير للفيومي ص٦١٥.

(٤) المراد أنه ﷺ قرأ السور الثلاث كاملة وإنما هذا من باب تسمية السورة ببعض آياتها.

(٥) أخرجه البخاري في كتاب فضائل القرآن، باب/ فضل المعوذات، ح(٥٠١٧).

(٦) التفل: نفخ مع ريق، وهو شبيه بالبزاق وأقل منه. انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر لابن الأثير ١/ ١٩٢، والمصباح المنير ص٧٦.

على هذا، وفي رواية لمسلم: [**فجعل يقرأ أم القرآن، ويجمع بزاقه ويتفل فبرأ الرجل**][١].

د ـ خلط بعض التراب مع الريق في الرقية[٢]، وهذا ورد في القروح والجروح ونحوه، كما في حديث عائشة رضي الله عنها أن النبي ﷺ كان إذا اشتكى الإنسانُ الشيءَ منه، أو كانت به قَرحة أو جرح، قال: [**بسم الله، تربة أرضنا، بريقة بعضنا، ليُشفَى به سقيمُنا بإذن ربنا**][٣].

هـ ـ الرقية مع مسح الجسد باليد: وذلك بأن يضع يده على محل الوجع، أو أن يمسح بيديه على جسده[٤]، كما جاء ذلك مصرحا في حديث عائشة رضي الله عنها: [**أن النبي ﷺ كان إذا أوى إلى فراشه كل ليلة جمع كفيه ثم نفث فيهما، فقرأ فيهما** ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾[الإخلاص:١] و﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ﴾[الفلق:١] و﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ﴾[الناس:١][٥] **ثم يمسح بهما ما استطاع من جسده، يبدأ بهما على رأسه ووجهه وما أقبل من جسده، يفعل ذلك ثلاث مرات**]. وعن عائشة رضي الله عنها: [**أن النبي ﷺ كان يعوذ بعض أهله يمسح بيده اليمنى...**][٦].

و ـ الرقية في الماء ثم شربه أو استعماله؛ بأن يقرأ في إناء به ماء، وينفث فيه، ثم يغتسل به المريض، أو يصب عليه، أو يشربه، أو يمسح به، ويستدل لهذا بما جاء عن علي رضي الله عنه قال: [لدغت النبيَّ ﷺ عقربٌ وهو يصلي، فلما فرغ، قال: [**لعن الله العقرب، لا تدع مصليا ولا غيره، ثم دعا بماء وملح فجعل يمسح عليها ويقرأ:** ﴿قُلْ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلْكَـٰفِرُونَ﴾ [الكافرون:١]، و﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ﴾[الفلق:١] و﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ

---

(١) أخرجه مسلم، كتاب السلام، باب/ جواز أخذ الأجرة على الرقية بالقرآن والأذكار، ح(٢٢٠١).

(٢) وهو أن ينفث على الإصبع بشيء من الريق ثم يأخذ به شيء من التراب ويمسح به على الموضع. انظر: شرح النووي لصحيح مسلم ١٤/ ١٨٣-١٨٤.

(٣) أخرجه البخاري، كتاب الطب، باب/ رقية النبي ﷺ، ح(٥٧٤٥)، ومسلم واللفظ له، كتاب السلام، باب/ استحباب الرقية من العين...، ح(٢١٩٤).

(٤) انظر: الفتح ١٠/ ٢٠٧.

(٥) المراد أنه ﷺ قرأ السور الثلاث كاملة وإنما هذا من باب تسمية السورة ببعض آياتها.

(٦) أخرجه البخاري، كتاب الطب، باب/ مسح الراقي الوجع بيده اليمنى، ح(٥٧٥٠)، ومسلم، كتاب السلام، باب/ استحباب رقية المريض، ح(٢١٩١).

ٱلنَّاسِ﴾[الناس:١](١)](٢).

وجاء عن النبي ﷺ [أنه دخل على ثابت بن قيس(٣) ﷺ وهو مريض، فقال: [**اكشف البأس، رب الناس، عن ثابت بن قيس بن شماس**] ثم أخذ ترابا من بطحان فجعله في قدح، ثم نفث عليه بماء، وصبه عليه](٤).

قال ابن القيم ﷺ مبينا كيفية تداويه بالقرآن الكريم: «لقد مرّ بي وقت في مكة سقمت فيه، ولا أجد طبيبا، ولا دواء، فكنت أعالج نفسي بالفاتحة، فأرى لها تأثيرا عجيبا، آخذ شربة من ماء زمزم وأقرأُ عليها مرارا، ثم أشربه فوجدت بذلك البرء التام، ثم صرت أعتمد ذلك عند كثير من الأوجاع فأنتفع به غاية الانتفاع، فكنت أصف ذلك لمن يشتكي ألَماً، فكان كثير منهم يبرأ سريعا»(٥).

وقال العلامة ابن باز ﷺ: «**التداوي بالقرآن الكريم والسدر ونحوه من**

---

(١) المراد أنه ﷺ قرأ السور الثلاث كاملة وإنما هذا من باب تسمية السورة ببعض آياتها.

(٢) أخرجه ابن ماجة في سننه، كتاب الصلاة، باب/ ما جاء في قتل الحية والعقرب في الصلاة، ح(١٢٤٦) بدون ذكر الماء والملح، من رواية عائشة ﷺ، وأخرجه الطبراني في المعجم الصغير، واللفظ له ٢/ ٢٣، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد ٥/ ١١١: «رواه الطبراني وإسناده حسن»، وأخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه، كتاب الطب، باب/ في رقية العقرب ما هي؟، ح(٢٣٥٥٣)، وأورده الألباني في السلسلة الصحيحة، ح(٥٤٨).

(٣) هو: ثابت بن قيس بن شماس بن زهير بن مالك بن امرئ القيس الأنصاري الخزرجي خطيب الأنصار، قتل في غزوة اليمامة ﷺ. انظر: الإصابة ١/ ١٩٥.

(٤) أخرجه أبو داود في سننه، كتاب الطب، باب/ ما جاء في الرقى، ح(٣٨٨٥)، ورواه النسائي في عمل اليوم والليلة باب/ بأي اليدين يمسح المريض؟، ح(٦٠٣٧)، ورواه مرسلا، ح(١٠١٨) وقال محققه: «إسناده حسن»، وأخرجه ابن حبان في صحيحه كما في الإحسان، كتاب الطب، باب/ ذكر الخبر المدحض قول، ح(٦٠٣٧)، وانظر: موارد الظمآن للهيثمي، كتاب الطب، باب/ في الرقى، ح(١٤١٨)، وذكره الحافظ في الفتح وسكت عنه، وقال الشيخ ابن باز: «ثبت في سنن أبي داود» كما في فتاوى وتنبيهات لابن باز ص٢١٥، واستشهد به الألباني في السلسلة الصحيحة، ح(١٥٢٦)، وضعف سنده في ضعيف أبي داود، ح(٣٨٨٥) ص٣١٢، والحديث لو فرض ضعف سنده إلا أن له شواهد، فمن حيث الدعاء الذي في أوله فله شواهد كثيرة، ومن حيث النفث في الماء فالذي قبله يشهد له، ولم يبق إلا لفظة [قيس بن شماس] وهو ليس مقصودا لذاته، وأما موضع الاحتجاج من الحديث فثابت بشواهده ـ والله تعالى أعلم ـ.

(٥) زاد المعاد ٤/ ١٧٨، وانظر: مدارج السالكين ١/ ٦٩.

الأدوية المباحة ليس من باب البدع، بل هو من باب التداوي...، وبهذا يعلم أن التداوي بالسدر، وبالقراءة في الماء وصبه على المريض ليس فيه محذور من جهة الشرع، إذا كانت القراءة سليمة، والدواء مباحا، والله ولي التوفيق»(١).

ز ـ كتابة بعض الآيات من القرآن بالمداد ثم محوها وشربها وغسل البدن بها:

عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: [**إذا عسر على المرأة ولادتها فيكتب هاتين الآيتين والكلمات في صفحة، ثم تغسل فتسقى منها: بسم الله، لا إله إلا الله الحليم الكريم، سبحان الله رب العرش العظيم، الحمد لله رب العالمين،** ﴿كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَهَا لَمْ يَلْبَثُوٓاْ إِلَّا عَشِيَّةً أَوْ ضُحَىٰهَا﴾ [النازعات:٤٦]، ﴿كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَ مَا يُوعَدُونَ لَمْ يَلْبَثُوٓاْ إِلَّا سَاعَةً مِّن نَّهَارٍۭ بَلَٰغٌ فَهَلْ يُهْلَكُ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْفَٰسِقُونَ﴾[الأحقاف:٣٥]](٢).

وسئل الإمام أحمد عن الرجل يكتب القرآن في شيء ثم يغسله ويشربه؟ قال: أرجو أن لا يكون به بأس(٣).

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: «ويجوز أن يكتب للمصاب وغيره من المرضى شيء من كتاب الله وذكره بالمداد المباح، ويغسل ويسقى، كما نص على ذلك أحمد وغيره...»(٤).

وقال ابن القيم رحمه الله: «ورخص جماعة من السلف في كتابة بعض القرآن، وشربه، وجعل ذلك من الشفاء الذي جعل الله فيه»(٥).

---

(١) فتاوى وتنبيهات لابن باز ص ٢٥٦.

(٢) أخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه، كتاب الطب، باب/ الرخصة في القرآن يكتب لمن سقاه، ح(٢٣٥٠٨)، وأورده البغوي بصيغة التمريض في شرح السنة ١٢/ ١٦٦، وقد استشهد به الإمام أحمد وابن القيم وغيرهما كما في زاد المعاد ٤/ ٣٥٧، والحديث رجاله كلهم ثقات، إلا محمد بن عبد الرحمن بن أبي ليلى فمتكلم فيه من قبل حفظه، وخصوصا في روايته عن عطاء، وهذه الرواية ليست عن عطاء بل هي نازلة الإسناد. انظر: شرح علل الترمذي لابن رجب ١/ ١٢٩-١٣٤، تقريب التهذيب ص ٤٢٧.

(٣) مسائل الإمام أحمد لأبي داود ص ٢٦٠.

(٤) المجموع ١٩/ ٦٤ وما بعدها، وانظر: ١٢/ ٥٩٩.

(٥) زاد المعاد ٤/ ٣٥٨-٣٥٩.

وغسالة الألواح التي يكتب فيها القرآن «كان من قبلنا من السلف منهم من يستشفي بغسالته»[(١)]. وما دامت الرقية من باب التطبب فلا محظور في هذه الصورة شرعا ـ والله تعالى أعلم ـ خصوصا بعد علمِنا أن قراءته مشروعة للتطبب، وكتابته مشروعة مطلقا، وشرب الماء للاستشفاء مشروع، والاغتسال به مشروع، فلا دليل على المنع، والله أعلم بالصواب.

والرقية وإن كانت جائزة إلا أن طلبها خلاف الأولى، وخلاف الكمال[(٢)]، ويدل لهذا قول النبي ﷺ [**سبعون ألفا يدخلون الجنة بغير حساب**]، قالوا: من هم يا رسول الله! قال: [**هم الذين لا يسترقون، ولا يتطيرون، ولا يكتوون، وعلى ربهم يتوكلون**][(٣)].

وليس النفي واقعا على الرقية نفسها لأن منها ما هو جائز ـ كما سبق بالشروط المذكورة ـ، ولكن النفي وقع على طلب الرقية، وأنه ليس من صفات الكمّل من الرجال، والمتوكلين حقا على الرب المتعال[(٤)].

وأما إذا كانت الرقية مشتملة على شركيات، أو طلاسم لا نعرف معانيها، أو اعتقاد أنها تنفع وتضر بذاتها، فهذا محرم، وقد تكون الطلاسم شركا ولا يدري الراقي، وكذلك لا يجوز الرقية بالقرآن وغيره من الطلاسم مجموعا، فهذا خلط للحق بالباطل، فيمنع منه، و« تلك الرقى المنهي عنها التي يستعملها المعزم[(٥)] وغيره ممن يدعي تسخير الجن له، فيأتي بأمور مشتبهة مركبة من حق وباطل، يَجمع إلى ذكر الله وأسمائه ما يشوبه من ذكر الشياطين والاستعانة بهم، والتعوذ بمردتهم»[(٦)].

---

(١) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ١/ ٢٣، وانظر: أحكام العزائم والرقى لعبد الرحمن الأهدل ص ٤٧.

(٢) انظر: الفتح ١٠/ ٢٢٤.

(٣) أخرجه البخاري، كتاب الطب، باب/ من لم يرق، ح(٥٧٥٢) ومسلم، كتاب الإيمان، باب/ الدليل على دخول طوائف من المسلمين الجنة بغير حساب ولا عذاب، ح(٢١٨) عن ابن عباس ﷺ.

(٤) انظر: تيسير العزيز الحميد للشيخ سليمان بن عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب ص ١٠٨-١٠٩.

(٥) المعزم هو: الراقي.

(٦) الفتح ١٠/ ٢٠٧ من كلام ابن التين ﷺ، وانظر: تيسير العزيز الحميد للشيخ سليمان بن عبدا لله بن محمد ابن عبد الوهاب ص ١٠٨-١٠٩.

وعلى هذا يحمل ما جاء من النهي عن الرقى على وجه العموم، وأنه مخصوص منه الرقية الشرعية التي توفرت فيها الشروط المرعية.

ومن الأحاديث الدالة على النهي عن الرقية ـ أي إذا كانت غير شرعية ـ قوله ﷺ: **[إن الرقى والتمائم والتولة[(١)] شرك][(٢)].**

وقال عوف بن مالك الأشجعي[(٣)] رضي الله عنه: كنا نرقي في الجاهلية، فقلنا: يا رسول الله كيف ترى في ذلك! فقال: **[اعرضوا عليّ رقاكم، لا بأس بالرقى ما لم يكن فيه شرك][(٤)].**

وهذا الحديث فيه التصريح بأن الأصل في الرقى الجواز، وأنه من قبيل الطب، فما كان منه نافعا، وليس فيه محذور شرعي فهو جائز ـ والله تعالى أعلم ـ، ولهذا لما ذكر الإمام أبو عبيد القاسم بن سلام بعض الأحاديث التي تدل على النهي بالاستشفاء بالقرآن، قال: « وقد جاءت أحاديث بالاستشفاء بالقرآن، والتماس بركته هي أعلى من هذه الأحاديث »[(٥)].

فالرقية بالقرآن الكريم من المنافع العظيمة، والعبادات الجليلة التي يمكن أن يقوم بها المرء، فيرقي نفسه، ويفيد غيره، ومن ذلك قراءة المعوذات، والفاتحة، وغير

---

(١) وفي رواية الحاكم زيادة: « وما التولية، قال: هو الذي يهيج الرجال » ٤/ ٤١٧ ح(٨٢٩٠) وفي ٤/ ٢١٧ ح(٧٥٠٤) قالوا: « وما التولية يا أبا عبد الرحمن؟ قال: التولية ما يهيج النساء » وهذا يؤكد أن التولية شيء يصنع لتحبيب الرجل إلى زوجته أو العكس. انظر: تيسير العزيز الحميد للشيخ سليمان بن عبدا لله ص ١٦٩.

(٢) أخرجه الإمام أحمد في المسند، ح(٣٦١٥)١/ ٣٨١، وأبو داود في سننه، كتاب الطب، باب/ في تعليق التمائم، ح(٣٨٨٣)، وابن ماجة في سننه، كتاب الطب، باب/ تعليق التمائم، ح(٣٥٣٠)، والحاكم في مستدركه، كتاب الرقى والتمائم، ح(٨٢٩٠) وقال: « حديث صحيح الإسناد على شرط الشيخين ولم يخرجاه »، ووافقه الذهبي، كما في التلخيص، وذكره الحافظ ابن حجر وذكر تصحيح الحاكم وسكت عليه، كما في الفتح ١٠/ ٢٠٦، وقال الشيخ الألباني في الحديث: « صحيح »، كما في صحيح سنن أبي داود ٢/ ٤٦٨، ح(٣٨٨٣)، وقال الشيخ ابن باز: « لا بأس بإسناده » كما في فتاوى وتنبيهات ص ٢١٥.

(٣) هو: عوف بن مالك بن أبي عوف الأشجعي رضي الله عنه أبو عبد الرحمن، وقيل: أبو محمد شهد الفتح، وكان معه راية أشجع، آخى النبي بينه وبين أبي الدرداء، توفي ٧٣هـ. انظر: الإصابة ٣/ ٤٣.

(٤) أخرجه مسلم، كتاب السلام، باب/ لا بأس بالرقى ما لم يكن فيه شرك، ح(٢٢٠٠).

(٥) فضائل القرآن، ص ٢٣١.

ذلك، ولا يلزم قراءة شيء من هذا بعدد معين، وإنما هو بحسب الوسع، وبحسب ما علم به من النفع، والأصل قد ورد جوازه، وأما العدد فهو من باب التطبب فيدخل فيما يظنه الراقي أنه يكفي ويشفي، وقد أذن رسول الله ﷺ لأصحابه بالرقية عموما، ولم يقيد بعدد معين جميع الرقى، ولا بسورة معينة، وما ورد من تعيين بعض السُّوَر فإنما هو من قبيل بعض صور العام، ولا يعني ذلك التخصيص، ـ والله تعالى أعلم ـ.

٢ ـ ومما أرشد إليه القرآن الكريم؛ مما يمكن أن يتعبد به وجعله وسيلة لدفع الضر من الوقوع، أو رفعه بعد الوقوع المحافظة على الأذكار:

ومن ذلك التحصن بأذكار الصباح والمساء، قال الله ﷻ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ ذِكۡرٗا كَثِيرٗا ۝ وَسَبِّحُوهُ بُكۡرَةٗ وَأَصِيلًا ﴾[الأحزاب:٤١-٤٢]، وقال: ﴿ وَسَبِّحۡ بِحَمۡدِ رَبِّكَ بِٱلۡعَشِيِّ وَٱلۡإِبۡكَٰرِ ﴾[غافر:٥٥] والبكرة والإبكار: الصباح، وأول النهار، والأصيل والعشي: من العصر إلى المغرب أي آخر النهار[١]، وقيل من الظهر إلى المغرب[٢].

وورد عن النبي الكريم ﷺ أذكار بعد الصلوات، وحين النوم فعن عائشة ﵂: **[أن النبي ﷺ كان إذا أوى إلى فراشه كل ليلة جمع كفيه ثم نفث فيهما، فقرأ فيهما** ﴿ قُلۡ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ﴾[الإخلاص:١] و ﴿ قُلۡ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلۡفَلَقِ ﴾[الفلق:١] و﴿ قُلۡ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ ﴾[الناس:١][٣]**، ثم يمسح بهما ما استطاع من جسده، يبدأ بهما على رأسه ووجهه وما أقبل من جسده، يفعل ذلك ثلاث مرات].**

وقصة أبي هريرة ﵁ مع الشيطان معروفة، إذ قال له: **[إذا أويت إلى فراشك فاقرأ آية الكرسي:** ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُ ﴾[البقرة:٢٥٥][٤] **حتى تختمها، فإنك لن يزال عليك من الله حافظ، ولا يقربك شيطان حتى تصبح، فقال النبي ﷺ:**

---

(١) انظر: المفردات للراغب الأصبهاني ص ٦٧-٦٨، ٣٣٨، لسان العرب لابن منظور ١١/ ١٧، ٤/ ٧٨، ١٥/ ٦٠.

(٢) انظر: النهاية في غريب الحديث لابن الأثير ٤/ ٢٤٢.

(٣) المراد أنه ﷺ قرأ السور الثلاث كاملة وإنما هذا من باب تسمية السورة ببعض آياتها.

(٤) المراد قراءتها إلى آخر الآية.

صدقك وهو كذوب][١].

وقال ﷺ : **[الآيتان من آخر سورة البقرة من قرأ بهما في ليلة كفتاه]**[٢].

فالمحافظة على الأوراد، سبب للحفظ من الشرور والحساد، «ولكن ههنا أمر ينبغي التفطن له، وهو أن الأذكار والآيات، أو الأدعية التي يستشفى بها، ويرقى بها، هي في نفسها نافعة شافية، ولكن تستدعي قبول المحل، وقوة همة الفاعل، وتأثيره. **فمتى تخلف الشفاء كان لضعف تأثير الفاعل**، أو لعدم قبول المنفعل، أو لمانع قوي فيه يمنع أن ينجع فيه الدواء، كما يكون ذلك في الأدوية الحسية»[٣].

والله أسأل أن يدخلنا جنته، وأن يكرمنا برؤيته، وأن يحفظنا من الآثام، ومن سيء الأسقام، والحمد لله القدوس السلام.

٣ـ ومما يستشفى به، ويتعبد به لله تعالى، وأرشد وهدى إليه القرآن الكريم: **امتثال أوامره، واجتناب نواهيه**؛ فإن في ذلك حفظا عظيما للصحة، وإبعادا للبدن والروح من الدنس والنجس، وما أمر الله بشيء إلا وفيه صلاح العبد، ولا نهى عن شيء إلا وفي فعله فساد العبد[٤]؛ فحرم لحم الخنزير؛ لأنه رجس، وأحل الطيبات حفاظا على البدن، وهكذا، وما سبب كثير من الأمراض في الناس اليوم إلا بسبب بعدهم عن امتثال الأوامر، واجتناب النواهي ـ والله تعالى أعلم ـ.

٤ـ التمائم من القرآن الكريم: وأما التمائم[٥] **من القرآن فاختلف فيها العلماء،**

---

(١) أخرجه البخاري معلقا مجزوما به، كتاب بدء الخلق، باب/ صفة إبليس وجنوده، ح(٣٢٧٥).

(٢) أخرجه البخاري، كتاب فضائل القرآن، باب/ من لم ير بأسا أن يقول: ....، ح(٥٠٤٠)، ومسلم، كتاب صلاة المسافرين...، باب/ فضل الفاتحة وخواتيم سورة البقرة...، ح(٨٠٧).

(٣) الجواب الكافي لابن القيم ص ٥.

(٤) انظر: الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ٢/ ٦٤.

(٥) التمائم: جمع (تَمِيمَة) وهي: خرزات كانت العرب تعلقها على أولادها يتقون بها العين في زعمهم، وسميت (تمائم) لكونهم يعتقدون أنها تمام الدواء والشفاء، وكل ما علق بقصد طلب الشفاء فهو تميمة. انظر: النهاية في غريب الحديث لابن الأثير ١/ ١٩٨، حاشية كتاب التوحيد لابن قاسم ص ٨٢، المعجم الوسيط ١/ ٨٩، معجم ألفاظ العقيدة لعامر فالح ص ٩٨. **ولم يختلف العلماء على أن التمائم من غير**

والذي يدل عليه الكتاب والسنة، وعمل سلف الأمة، أنه لا يجوز أن يستشفى بالتمائم من القرآن، وذلك لما يلي:

١ـ أن كتابة التمائم من القرآن لم يثبت عن النبي ﷺ، ولو كان هذا سائغا شرعا، ونافعا كونا، لأرشد إليه المصطفى ﷺ[(١)]، وهو الرؤوف بأمته، المشفق على مريضهم، المهتم بأحوالهم ﷺ.

٢ـ أنه لم يثبت عن الخلفاء الراشدين، الذين أمرنا بالإقتداء بهم في الدين، ولم يثبت بطريق صحيح عن أصحابه الغر الميامين، ولا عن التابعين[(٢)]، قال التابعي الجليل إبراهيم بن يزيد بن قيس النخعي[(٣)] رحمه الله: «كانوا يكرهون التمائم كلها من القرآن وغير القرآن»[(٤)].

قال الشيخ عبد الرحمن بن قاسم[(٥)] رحمه الله: «وليس في كتاب الله تعالى، ولا سنة رسوله ﷺ ما يدل على إجازة شيء من القرآن، ولا ثبت عن أحد من الصحابة المقتدى بهم تجويزه، ولا فِعله، مع توفر الدواعي إليه»[(٦)].

= القرآن شرك، وإنما خلافهم في المعلق من القرآن الكريم، هل هو جائز أم لا؟ انظر: شرح السنة للبغوي ١٢/ ١٥٨، الزواجر عن اقتراف الكبائر للهيثمي ١/ ٢٧٤، كتاب التوحيد للإمام المجدد محمد بن عبد الوهاب ص ٢٣، وقرة عيون الموحدين للشيخ عبد الرحمن بن حسن ص ٥٩، فتاوى وتنبيهات للشيخ ابن باز ص ٢١٤.

(١) انظر: حاشية كتاب التوحيد لابن قاسم ص ٨٦.

(٢) وسأذكر بعض ما ورد عنهم ولم يصح، في الفصل الثالث، من الباب الثاني، حين يستدل المجيزون بها، وهناك أبين عدم ثبوتها.

(٣) هو: إبراهيم بن يزيد بن قيس بن الأسود النخعي، أبو عمران الكوفي، من كبار التابعين، أخذ عن تلاميذ ابن مسعود وغيره، أخرج له أصحاب الكتب، مات سنة ٩٦هـ. انظر: التقريب ص٣٥.

(٤) رواه أبو عبيد في فضائل القرآن، باب/ الاسترقاء بالقرآن...، ح(٦٠)، ورواه ابن أبي شيبة في مصنفه، كتاب الطب، باب/ في تعليق التمائم والرقى، ح(٢٣٤٦٧).

(٥) هو: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم العاصمي القحطاني، أبو عبد الله، الفقيه السلفي، من أعيان علماء نجد، وله مؤلفات في نصرة التوحيد، مثل: حاشية على كتاب التوحيد، وجمع فتاوى شيخ الإسلام، توفي سنة ١٣٩٢هـ. انظر: الأعلام للزركلي ٣/ ٣٣٦.

(٦) حاشية كتاب التوحيد لابن قاسم ص ٨٦.

٣ ـ أن النهي عام يشمل القرآن وغير القرآن، قال ﷺ: [من تعلق شيئا وكل إليه][(١)]. فلفظ الإخبار عام، ولم يخص هذا العموم فيبقى حكم التمائم على العموم، لعدم ورود دليل التخصيص[(٢)]، وقيل لعبد الله بن عكيم[(٣)] ﷺ وهو مريض، لو تعلقت شيئا؟ فقال: أتعلق شيئا!؟ وقد قال رسول الله ﷺ : **[من تعلق شيئا وكل إليه]**. وهذا عام. وقال ﷺ : **[من تعلق تميمة فقد أشرك]**[(٤)]. فـ « الصحابة الذين رووا الحديث فهموا العموم »[(٥)]، وفهمهم أولى من فهمنا، قال الشيخ عبد الرحمن بن قاسم رحمه الله: « النهي عام، وأما تخصيصه بغير تمائم القرآن، فتخصيص بغير مخصص »[(٦)].

٤ ـ لا شك أن منع التمائم من القرآن وغيره[(٧)]، فيه سد لباب الذرائع، وهو باب عظيم معمول به في الشرع، وقد حمى النبي ﷺ جناب التوحيد، فمنع من الألفاظ الموهمة والمؤدية إلى الشرك، فكيف يجيز ما يكون ذريعة إلى الشرك؟ ووسيلة إليه!؟.

قال الشيخ حافظ رحمه الله: « ولا شك أن منع ذلك أسد لذريعة الاعتقاد المحظور، لا سيما في زماننا هذا، فإنه إذا كرهه أكثر الصحابة والتابعين في تلك العصور الشريفة المقدسة، والإيمان في قلوبهم أكبر من الجبال، فلأن يكره في وقتنا هذا، وقت الفتن والمحن أولى وأجدر بذلك... ومن ذلك أنهم يكتبون في التعاويذ

---

(١) أخرجه أحمد في المسند، ح(١٨٩٨٨) ٤/ ٣١٠، ورواه الترمذي في جامعه، كتاب الطب، باب/ ما جاء في كراهية التعليق، ح(٢١٥٢)، والحاكم في مستدركه، كتاب الطب، ح(٧٥٠٣)، وسكت عنه الذهبي في التلخيص، وسكت عنه الشيخ الألباني كما في تعليقه على المشكاة ح(٤٥٥٦)، ٢/ ١٢٨٥، وصححه في صحيح الترمذي ٢/ ١٦٩١.

(٢) تيسير العزيز الحميد للشيخ سليمان ابن عبد الوهاب ص ١٦٨.

(٣) هو المخضرم: عبد الله بن عكيم بالتصغير، أبو معبد الجهني الكوفي، سمع كتاب النبي ﷺ إلى جهينة، مات في إمرة الحجاج. انظر: الاستيعاب في معرفة الأصحاب ٢/ ٣٦٨، معجم الصحابة للبغوي ٤/ ١٦٧، أسد الغابة في معرفة الصحابة ٣/ ٢٣٥، تقريب التهذيب ص ٢٥٦.

(٤) أخرجه أحمد في المسند، ح(١٧٥٥٨)، ٤/ ١٥٦، والحاكم في مستدركه، كتاب الطب، ح(٧٥١٣)، وسكت عنه الذهبي في التلخيص، وذكره الشيخ الألباني في الصحيحة، ح(٤٩٢).

(٥) انظر: تيسير العزيز الحميد للشيخ سليمان ابن عبد الوهاب ص ١٦٨.

(٦) انظر: حاشية كتاب التوحيد لابن قاسم ص ٨٥.

(٧) انظر: حاشية كتاب التوحيد لابن قاسم ص ٨٦.

آية أو سورة أو بسملة أو نحو ذلك، ثم يضعون تحتها من الطلاسم الشيطانية ما لا يعرفه إلا من اطلع على كتبهم...»[(١)].

٥ـ أنه لم يشرع أصل هذه الوسيلة وهي الكتابة للتعليق، ولابد حين الاستشفاء بالقرآن الكريم، ورود وسيلته عن النبي الكريم ﷺ، ولم يثبت عنه شيء، فلا يثبت تعليقه، وأما قياسه على الرقية، فلا يصح، لأنه قياس في مقابل نص عام، ولا يصح القياس مع النص[(٢)]، **وأيضا لا يصح القياس في العبادات**[(٣)].

٦ ـ أن في تعليق التمائم من القرآن الكريم فيه نوع إهانة، إذ يدخل المعلِّقُ مع المعلَّقِ من القرآن الكريم، إلى أماكن ينبغي صون القرآن منها، وقد يحمله وهو على غير طهارة، وهذا فيه نوع امتهان ينبغي أن يرفع عنه القرآن[(٤)]، قال ابن عون[(٥)]: «كان إبراهيم[(٦)] يكره المعاذة للصبيان، ويقول: إنهم يدخلون به الخلاء»[(٧)]، وقال القرطبي رحمه الله: «ومن حرمته ألا يكتب التعاويذ منه، ثم يدخل به في الخلاء...»[(٨)].

٧ ـ في تعليق التمائم نوع تعلق بها، وقد سبق بيان بعض الأحاديث الدالة على أن من علق شيئا وكل إليه، و ما هذا النهي إلا لأنه ينافي التوكل والإخلاص[(٩)].

---

(١) معارج القبول ٢/ ٦٣٨-٦٣٩.

(٢) انظر: تيسير العزيز الحميد للشيخ سليمان ابن عبد الوهاب ص ١٦٨.

(٣) انظر: بداية المجتهد لابن رشد ١/ ٤١٣.

(٤) انظر: فتاوى ابن الصلاح ص ٢٥١، حاشية كتاب التوحيد لابن قاسم ص ٨٦، فتاوى وتنبيهات للشيخ ابن باز ص ٢١٤.

(٥) هو: عبد الله بن عون بن أرطبان، أبو عون البصري، ثقة ثبت فاضل، من أقران أيوب في العلم والعمل والسن، أخرج له أصحاب الكتب، مات سنة ١٥٠هـ. انظر: التقريب ص٢٥٩.

(٦) هو: إبراهيم بن يزيد بن قيس النخعي، من كبار التابعين، وقد سبق ذكر ترجمته.

(٧) رواه ابن أبي شيبة في مصنفه، كتاب الطب، باب/ في تعليق التمائم والرقى، ح(٢٣٤٧٦).

(٨) الجامع لأحكام القرآن ١/ ٢٥، ثم قال: «إلا أن يكون في غلاف من أَدَم أو فضة أو غيره، فيكون كأنه في صدرك» وهذا لا يخفى أنه قياس مع الفارق إذ ما كان في القلب فهو غير مكتوب بل هو محفوظ يستذكر، والمعلق مكتوب، ثم المعلق يمكن تركه، وما في الحفظ لا يمكن تركه، ـ فالله أعلم ـ أنه لا يدخل به الخلاء سواء كان في شيء أو من غير شيء، إذ وجود القرآن في شيء لا يخرجه عن قرآنيته، مادام أنه ظاهر.

(٩) انظر: حاشية كتاب التوحيد لابن قاسم ص ٨٦.

وبهذا تبين أن القرآن يتعبد به عند السلف بوسائل مختلفة منها قراءته وتدبره، وتعليمه وتعلمه، والتحاكم إليه، والتداوي به، وهذا القرآن الذي يتعبد به هو الموجود في مصاحف المسلمين، وهذا ما سيكون الحديث عنه في الفصل الرابع.

الفصل الرابع

بيان أن القرآن الكريم هو الموجود في المصحف

وفيه أربعة مباحث:

المبحث الأول: بيان المراد بالمصحف، وفيه ثلاثة مطالب.

المبحث الثاني: ما يخالف المصحف هل يقال عنه قرآن؟

المبحث الثالث: بيان منزلة الترجمة والتفسير من القرآن.

المبحث الرابع: وجوب تعظيم المصحف.

المبحث الأول: بيان المراد بالمصحف

المطلب الأول: تعريف المصحف لغة واصطلاحا.

قد بينت فيما مضى أن القرآن يتعبد به، وبصور شتى، ومنها قراءته وتلاوته، والتدبر فيه، وهذا الذي يؤجر المسلم على قراءته وتلاوته هو الموجود في المصحف، ولذا ينبغي علينا أن نعرف المصحف لغة واصطلاحا، وأبين هذا في مسألتين:

المسألة الأولى: معنى المصحف لغة:

(المِصْحَف) بضم الميم وهو الأشهر، وفتحها، وكسرها لغة فيه[(١)]، و(المُصحف) بالضم مُفْعَلٌ من الصُّحُف؛ أي جُعِلَت فيه الصحف، فهو من أُصْحِفَ إذا جمعت فيه الصحف، والصُّحُف والصحائف جمع صحيفة، وهي الأوراق المكتوبة[(٢)]، قال الله تعالى: ﴿ صُحُفِ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ ﴾[الأعلى:١٩] وقال: ﴿ رَسُولٌ مِّنَ ٱللَّهِ يَتْلُواْ صُحُفًا مُّطَهَّرَةً ۝ فِيهَا كُتُبٌ قَيِّمَةٌ ﴾[البينة:٢-٣] فالقرآن صحف مطهرة لأن فيها كتبًا قيمة، زيادة لتضمنها ما في الكتب السابقة[(٣)].

فالمصحف: الجامع للصحف المكتوبة بين الدفتين، كأنه أُصحِف، والفتح لغة لبني تميم، والضم لغة قيس، والكسر لغة حكي فيه[(٤)]، و(المَصحف) بالفتح:

---

(١) انظر: المطالع للبعلي ص٢٦، المصباح المنير ص ٣٣٤، القاموس المحيط ٣/ ٢١٧، مجمع بحار الأنوار ٣/ ٢٩٩.

(٢) انظر: المفردات للراغب ص ٢٧٩، طلبة الطلبة لأبي حفص عمر النسفي ص ١٤١، والقاموس المحيط ٣/ ٢١٧، مختار الصحاح ص ٣٥٧.

(٣) انظر: المفردات للراغب ص ٢٧٩، المجموع المغيث ٢/ ٢٥٤.

(٤) انظر: لسان العرب ٧/ ٢٩١، الأوائل للعسكري ص ١٠٣.

موضع الصُّحف، و(الـمِصحف) بالكسر: آلة الصُّحف[١].

و(المصحف) جمع مصاحف[٢]، **وسميت آيات القرآن المكتوب في مكان مجموع بالمصحف**، لأنه مجموع من الصحف في مجلد[٣].

وأصل مادة (**صحف**) الصاد، والحاء، والفاء أصل صحيح يدل على انبساطٍ في الشيء، وسعةٍ، **ووجه تسمية المصحف مصحفا**، ذلك لكونه مبسوطا مكتوبا فيها الآيات كلها، مجموعة في سورها، محفوظة في ثناياها.

والتصحيف: قراءة المصحف وروايته على غير ما هو عليه لاشتباه حروفه، وقيل: تغيير اللفظ حتى يتغير المعنى المراد من الوضع[٤].

ووردت لفظة الصحف في التنزيل، قال تعالى: ﴿ أَوَلَمْ تَأْتِهِم بَيِّنَةُ مَا فِي ٱلصُّحُفِ ٱلْأُولَىٰ ﴾[طه:١٣٣] أي الكتب السابقة[٥]. وقال: ﴿ إِنَّ هَٰذَا لَفِى ٱلصُّحُفِ ٱلْأُولَىٰ ﴿١٨﴾ صُحُفِ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ ﴾[الأعلى:١٨-١٩] وقال: ﴿ أَمْ لَمْ يُنَبَّأْ بِمَا فِى صُحُفِ مُوسَىٰ ﴿٣٦﴾ وَإِبْرَٰهِيمَ ٱلَّذِى وَفَّىٰٓ ﴾[النجم:٣٦-٣٧] أي: التوراة، وصحف إبراهيم عليهما وعلى نبينا الصلاة والسلام[٦]، وقال: ﴿ فِى صُحُفٍ مُّكَرَّمَةٍ ﴿١٣﴾ مَّرْفُوعَةٍ مُّطَهَّرَةٍۭ ﴾[عبس:١٣-١٤] أي صحف آيات التنزيل وسوره[٧].

فالقرآن مكتوب مبسوط في هذه الأوراق المجموعة في صحف، وصار المصحف علما عليه، هذا من الناحية اللغوية، وبيان وجه الاشتقاق، وأما معنى المصحف اصطلاحا فأورده في المسألة الثانية.

---

(١) انظر: المجموع المغيث للأصفهاني ٢/ ٢٥٤.
(٢) انظر: المفردات للراغب ص ٢٧٩، المعجم الوسيط ١/ ٥٠٨.
(٣)انظر: المعجم الوسيط ١/ ٥٠٨، رحلة المصحف الشريف ص٤٣.
(٤) انظر: التعاريف للمناوي ١/ ١٧٩.
(٥) محاسن التأويل للقاسمي ٥/ ١٣٥.
(٦) انظر: زاد المسير لابن الجوزي ٨/ ٧٨.
(٧) انظر: الإتقان للسيوطي ١/ ١٤٤، محاسن التأويل للقاسمي ٧/ ٢٦٠.

المسألة الثانية: معنى المصحف اصطلاحا:

لمعرفة المراد بالمصحف عند المسلمين إذا أطلقوه، أورد بعض ما ذكره أهل العلم وأوردوه، ثم استخلص التعريف مما قالوه.

قال القاضي عياض: «المكتوب في المصحف بأيدي المسلمين مما جمعه الدفتان من أول الفاتحة إلى آخر الناس، كلام الله تعالى، ووحيه المنـزل على محمد ﷺ»[(١)]، وقيل: «المصحف الإمام؛ هو هذا المصحف الذي بين يدي المسلمين...، وعليه الاتفاق»[(٢)]، وقيل: «المصحف: هو اسم للمكتوب من كلام الله بين الدفتين[(٣)]»[(٤)]، وقيل: «المصحف: اسم للورق المكتوب فيه القرآن، فلا خفاء أنه يتناول الأوراق بجميع جوانبها، حتى ما فيها من البياض»[(٥)]، وقيل: المصحف: الكتاب[(٦)]، وقيل: «المصحف: الصحف التي ضمت القرآن الكريم»[(٧)].

وبعد سرد بعض ما ذكره العلماء من تعريفات للمصحف، أستطيع أن أقول: إن المصحف إذا أطلق في العرف، وعلى الخصوص عند السلف الصالحين، فمرادهم بهذا الاصطلاح: **كتاب الله المنـزل على محمد ﷺ الموجود بين الدفتين، المفتتحة بسورة الفاتحة، والمختتمة بسورة الناس.**

ولعل هذا التعريف يكون جامعا ومانعا؛

فبقيد (كتاب الله المنـزل) خرج كتاب اللوح المحفوظ، وغيرها من كتب الله التي لم تُنـزل، **وبقيد** (المنـزل على محمد ﷺ) خرج المنـزل على غيره، **وبقيد** (الموجود

---

(١) كشاف القناع ١/ ٤٣٣.

(٢) قواطع الأدلة للسمعاني ١/ ٣٦-٣٧.

(٣) الدِّف الجنب من كل شيء، والجمع دُفوف، كفِلسٍ وفُلوس، وقد يؤنث بالهاء، ومنه دفتا المصحف: للوجهين من الجانبين.

(٤) حواشي الشرواني ١/ ١٤٦.

(٥) حواشي البجيرمي ١/ ٤٧.

(٦) انظر: مجمع بحار الأنوار ٣/ ٢٩٩.

(٧) معجم لغة الفقهاء ص ٤٠٢.

بين الدفتين) خرج ما نسخ من القرآن الكريم، وإن كان منـزلا عليه ﷺ، **وبقيد** (المنـزل الموجود) خرج ما ليس منـزلا موجودا، كالحبر، والورق نفسه، فهذا وإن كان موجودا إلا أنه غير منـزل، ولا يقصدونه حين إطلاقهم لفظة المصحف، والدفتان والأوراق وإن كان فيها القرآن إلا أنه ليس هو القرآن، وهذا معلوم للعيان، ومشاهد لكل ذي لب فهمان، **وبقيد** (المفتتحة بسورة الفاتحة والمختتمة بسورة الناس) خرج المكتوب من القرآن الكريم أجزاءً، كجزءِ عم، والأرباع، فهي وإن كانت تسمى مصحفا فهي بقيد كقولهم: العشرة الأجزاء الأخيرة من المصحف، أو الجزء الأخير من المصحف، والله أعلم بالصواب.

ولا يطلق المصحف إلا على المجموع المكتوب من كلام الله تعالى في موضع واحد، وأما القرآن، فيطلق على السورة الواحدة منه، بل على الآية الواحدة[1]، ويقال في المكتوب من كلام الله في فضة وغيرها قرآنٌ، لأن اسم المصحف لا يتناولها[2]، فلا يقال عنها مصحف.

والمصحف إذا لم يكن فيه الآية أو الآيتين لا يخرج عن كونه مصحفا، ولهذا قال الإمام أحمد رحمه الله فيمن اشترى مصحفا فوجده ينقص الآية أو الآيتين: «ليس هذا عيبا، ولا يخلو المصحف من هذا»[3].

والمصحف لفظ معروف في زمن الأصحاب، وعَلَم مشهور على كلام الله الموجود في الكتاب؛ ففي قصة المرأة التي أتت ابن مسعود، أنها قالت: **[لقد قرأت ما بين لوحي المصحف]**[4]، والمراد: ما يجعل المصحف فيه، وكانوا يكتبون المصحف في

---

(١) انظر: الإحكام للآمدي ١/ ٦٣.

(٢) انظر: كشاف القناع ١/ ١٣٥.

(٣) الفروع لابن مفلح ٤/ ٧٩، ومراد الإمام أحمد رحمه الله أنه ما من كاتب إلا ويطرأ عليه الخطأ والنسيان، فيسقط منه الآي من غير قصد منه، ويعرف ذلك القراء والحفاظ من أمة محمد ﷺ، ولا يعني ذلك أنه حرف، ولا يعني ذلك أن المكتوب خرج من كونه مصحفا ـ والله أعلم ـ.

(٤) صحيح مسلم، كتاب اللباس والزينة، باب/ تحريم فعل الواصلة...، ح(٢١٢٥).

الرِّق، ويجعلون له دفتين من خشب[١].

وعن علي ﷺ: [أنه كره أن يكتب القرآن في المصاحف الصغار][٢] وعن عبد الله بن مسعود ﷺ: [أنه كره التعشير في المصحف][٣].

وأما تصغير المصحف كقول بعضهم: (مُصَيْحِف) فهذا كرهه بعض السلف[٤]، وعن مجاهد: [أنه كره أن يقول: مُصَيْحِف][٥].

وقيل لا يحرم لأن التصغير إنما هو من حيث الإطلاق على الخط، والورق، لا من حيث كونه كلام الله تعالى[٦].

ووجه تسمية المصحف مصحفا لأن القرآن كله مكتوب فيه بإتقان، من غير زيادة ولا نقصان، وجمعت الصحائف إلى بعضها كجمع الأجزاء إلى بعضها، ولهذا كان الرجل إذا أتقن شيئا في الحفظ سموه مصحفا[٧].

وهل المصحف هو المكتوب فقط؟ أم هو المكتوب والمداد والورق؟

الذي يظهر أن لفظ "المصحف" مجمل، وأنه ينبغي التفصيل في مثل هذا، لأنه قد يطلق المصحف ويراد به المكتوب فقط، وهو الأشهر عرفا، والأكثر استعمالا، وهو المراد إذا قيل إن القرآن في المصحف مطلقا، كما قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: «الواجب أن يطلق ما أطلقه الكتاب والسنة، كقوله تعالى... ﴿ وَٱلطُّورِ ۝ وَكِتَٰبٍ

---

(١) انظر: الفتح ١٠/ ٣٨٦.

(٢) أخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه، كتاب الصلاة، باب/ من كره أن يكتب القرآن في الشيء الصغير، ح(٨٥٥٢)، وانظر: ح(٨٥٥٤).

(٣) أخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه، كتاب الصلاة، باب/ التعشير في المصحف، ح(٨٥٣٦)، وانظر: ح(٨٥٥٨).

(٤) انظر: حاشية الشرواني ١/ ١٤٦.

(٥) أخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه، كتاب الصلاة، باب/ من كره أن يكتب القرآن في الشيء الصغير، ح(٨٥٥٧).

(٦) انظر: حواشي الشرواني ١/ ١٤٦، ويمكن الجمع بأن يقال: إن ذلك مكروه، ولا يحرم إذا قصد الورق وحجمها، ويحرم اتفاقا إذا قصد المكتوب لأنه كلام الله ﷻ.

(٧) السير ٧/ ١٦٦.

مَّسْطُورٍ ۝ فِى رَقٍّ مَّنشُورٍ ﴾[الطور:١-٣] وقوله: ﴿ رَسُولٌ مِّنَ ٱللَّهِ يَتْلُواْ صُحُفًا مُّطَهَّرَةً ۝ فِيهَا كُتُبٌ قَيِّمَةٌ ﴾[البينة:٢-٣]...، فمن قال: القرآن في المصاحف والصدور فقد صدق، ومن قال فيها حفظه وكتابته فقد صدق، ومن قال: القرآن مكتوب في المصاحف، محفوظ في الصدور فقد صدق، ومن قال: إن المداد أو الورق، أو صفة العبد، أو فعله، أو حفظه وصوته قديم، أو غير مخلوق فهو مخطئ ضال، ومن قال: إن ما في المصحف ليس هو كلام الله...، فهو أيضا مخطئ ضال...، **وأما القرآن** فهو نفسه مكتوب في المصاحف»[(١)]، **وفي المغني**[(٢)] أنه لو حلف بالمصحف فهو يمين، لأن الحالف إنما قصد المكتوب فيه وهو القرآن[(٣)].

وقد يطلق المصحف ويراد به الأوراق المجموعة التي كتب فيها القرآن الكريم، فالمثبت في المصحف ينعقد به يمينه لأنه انصرف إلى المكتوب، وإن حلف بالمصحف ففيه نظر لأنه يشمل المكتوب وغيره[(٤)].

والمصحف اسم للقرآن الكريم المنـزل على النبي الكريم ﷺ فناسب الآن أن أذكر أسماء المصحف.

(١) المجموع ١٢/ ٥٦٤-٥٦٥.

(٢) ١٣/ ٤٦١.

(٣) وانظر: مغني المحتاج ٤/ ٣٢٢.

(٤) انظر: روضة الطالبين ٨/ ١٤.

المطلب الثاني: ذكر أسماء المصحف.

ذكرت ما يدل على تسمية المصحف وأنه إذا أطلق فالمراد به كلام الله ﷻ المنزل على محمد ﷺ الموجود بين الدفتين، المبتدأ بالفاتحة، والمختتم بسورة الناس(١)، وعلى هذا فإن أسماء المصحف، أو أسماء ما هو موجود في الصحف كثيرة، وأوصافه أكثر.

وكثرة الأسماء الحسنة، والصفات الحميدة تدل على شرف هذا الكتاب، وعظمته، وكثرة الأسماء تدل على شرف المسمى(٢)، وأيضا أسماء كلام الله الموجود في المصحف ليست من قبيل الأسماء الجامدة، بل هي من الأسماء المشتقة الدالة على المعاني الجميلة والجليلة، إذ الاسم الذي يدل على معنى، أكمل من الاسم الجامد الدال على مسماه، وهذه الأسماء في دلالتها على ما في المصحف من كلام الله ﷻ مترادفة، وفي دلالتها على المعاني الجميلة والصفات الحميدة للقرآن متباينة(٣)، وهنا أورد أسماء المصحف مع الدليل، والله أسأل التوفيق والسداد(٤).

---

(١) وقد يطلق المصحف على غير القرآن لكن هذا نادر، وهو وإن أطلق فالمراد به ما كتب في الصحف، ولا يلزم أن يكون كلام الله ﷻ، ومن ذلك قول أبي العالية عن كتاب دانيال: «أنا قرأت ذلك المصحف». انظر: الجواب الصحيح لشيخ الإسلام ٥/ ٢٨١، البداية والنهاية ١/ ٢/ ٤٢٢، ومن إطلاق المصحف على الكتب الباطلة ما ذكره القرطبي في الإعلام بما في دين النصارى من الفساد والأوهام ١/ ٢٠٠ «وكتبوا في هذا المصحف»، «ومن أفضح ما كتبوا في هذا المصحف» فسمى ما كتبه علماء أهل الكتاب بالمصحف لكونه مكتوبا في صحف، والله تعالى أعلم، ومن ذلك تسمية أبي معشر البلخي لكتابه في النجوم ونحوه بمصحف القمر، كما في الرد على المنطقيين ص٢٨٧، ومن ذلك ما ألفه كمال جنبلاط أحد رؤوس الضلال من الدروز، وسمى تأليفه: "المصحف المنفرد بذاته"!؟. انظر: الحركات الباطنية للخطيب ص٣١٥.

(٢) انظر: المجموع شرح المهذب للنووي ٨/ ٣، الثمر الداني شرح رسالة القيرواني ١/ ٨٧، أصول التفسير للشيخ ابن عثيمين ص ٣١٦ ضمن مجموعة المتون العلمية.

(٣) انظر: التدمرية لشيخ الإسلام ابن تيمية ص ١٠١-١٠٢، المجموع ٥/ ١٦٠، ١٣/ ٩.

(٤) وأكثر من توسع في هذا الباب بحسب إطلاعي هو الشيخ/ صالح بن إبراهيم البليهي في كتابه: الهدى والبيان في أسماء القرآن، إلا أنه لا يشير إلى المراجع إلا نادرا، وسلك في الكتاب المسلك الوعظي، مع حسن جمع لهذه الأسماء، وليت طالب علم متخصص في العقيدة يقوم ببحث حول أسماء القرآن وأوصافه ودلالاتها العقدية، فإنه نافع ـ والله تعالى أعلم ـ.

١. **المصحف**؛ وقد ذكرت الأدلة من الآيات التي تشير إلى ذلك، والأقوال المأثورة، على هذه التسمية المشهورة، في المطلب السابق(١).

٢. **القرآن**(٢)؛ قال الله تعالى: ﴿ شَهْرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ ﴾[البقرة:١٨٥] وقال: ﴿ وَأُوحِىَ إِلَىَّ هَـٰذَا ٱلْقُرْءَانُ لِأُنذِرَكُم بِهِۦ وَمَنۢ بَلَغَ ﴾[الأنعام:١٩] وقال: ﴿ إِنَّ هَـٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ ﴾[الإسراء:٩] وغيرها من الآيات الكثيرة الدالة على تسمية كلام الله الموجود في المصحف بالقرآن(٣)، وسمي القرآن قرآنا لكونه مجموعا

---

(١) وتسمية المصحف بمصحف عثمان ﷺ فالمراد رسمه وجمعه، فهذه الإضافة لكونه جمعه في مصحف واحد، وعصم الله بجمعه الأمة من الاختلاف، وحفظ الله بأمره الأمة من الإتلاف، فنسأل الله أن يجزيه خير الجزاء، وأن يكرمه كما أكرم كتابه، ومن هذا الباب تسمية بعض المصاحف بالمواضع التي كتبت فيها أو بأسماء ناشريها، كقولهم: مصحف المدينة، أو مصحف الحرمين...، فمقصودهم المصحف الذي كتب في كذا...، ـ والله تعالى أعلم ـ.

وما ذكره ابن الأثير في الكامل ٣/ ٨، وصاحب كتاب التمهيد والبيان في مقتل الشهيد عثمان ص ٦٢، من أنه كان لأبي موسى مصحف يقال له: لباب القلوب، فلا أعلمه مسندا، وإنما ذكرا هذا بدون إسناد، فهذا لا يثبت، ما دام لم يرد مسندا، وإن ثبت فهو محمول على أن هذه تسمية اجتهادية لا نصية، ـ والله أعلم ـ.

(٢) انظر: جامع البيان لابن جرير ١/ ٦٧، التدمرية لشيخ الإسلام ابن تيمية ص ١٠١، المجموع ١٤/ ١، جمال القراء لعلم الدين السخاوي١/ ٢٣، وذكر بعضهم كما في مغني المحتاج ٤/ ٣٢٢ أنه يسمى "قرآن الله" ولا أعلم دليلا عليه من كتاب الله، ولا من سنة رسول الله ﷺ، ولكن قد يراد بهذه اللفظة المقروء من كلام الله فيكون بهذا المعنى الإخبار عنه صحيحا، وأما التسمية فهو لله ولرسوله ﷺ وليس لأحد أن يسمي صفة من صفات الله بما يفهمه هو وإن كان المعنى صحيحا ـ والله أعلم ـ، وأما تسمية القرآن بـ "القرآن العثماني" كما ذكره المسمى "بطيب تيزني"، فهذا من ضلالات أهل الضلال، وتلبيسات أهل البدعة والانحلال، نعوذ بالله من الخذلان، ونسأله التوفيق في الأقوال والأعمال.

وأما **تسمية الكتب السابقة قرآنا** فهذا قد ورد، لكن ليس المراد منه هذا القرآن المقروء المنزل على محمد ﷺ، وقد ورد في الحديث الصحيح عن النبي ﷺ أنه قال: [**خفف على داود القرآن، فكان يأمر بدوابه فتسرج، فيقرأ القرآن قبل أن تسرج دوابه...**]، رواه البخاري، كتاب أحاديث الأنبياء، باب/ قول الله تعالى: ﴿ وَءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ زَبُورًا ﴾، ح(٣٤١٧)، قال شيخ الإسلام ابن تيمية ﵀: « **ولفظ التوراة والإنجيل والقرآن والزبور قد يراد به الكتب المعينة، ويراد به الجنس فيعبر بلفظ القرآن عن الزبور وغيره** ». الجواب الصحيح ٥/ ١٥٦، وأما تسمية الخطبة والصلاة قرآنا فلا أعلم أحدا ذكره إلا النووي ﵀، كما في روضة الطالبين ٨/ ١٤.

(٣) قد وردت تسمية كلام الله ﷻ المنزل على محمد ﷺ بالقرآن في سبعين موضعا، في كتاب الله.

في مكان، السور بعضها إلى بعض، ومؤكدا بعضها بعضا[١]. **وهذا القرآن الموجود في المصحف**[٢]**، قد وصف بأوصاف جميلة، ونعوت حميدة، منها:**

أ- أنه هاد إلى أقوم الطرق، بشير لمتبعيه، نذير لمخالفيه[٣]، قال الله تعالى: ﴿ إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا ﴾[الإسراء:٩] وقال: ﴿ وَأُوحِىَ إِلَىَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ لِأُنذِرَكُم بِهِۦ وَمَنۢ بَلَغَ ﴾[الأنعام:١٩] فالقرآن يهدي ويبشر وينذر[٤].

ب- أنه بينات واضحات، ودلائل قاطعات، وبراهين ساطعات، قال تعالى: ﴿ شَهْرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَٰتٍ مِّنَ ٱلْهُدَىٰ وَٱلْفُرْقَانِ ﴾[البقرة:١٨٥] قال شيخ الإسلام ﷺ: « فالفرقان يحصل به التمييز بين المشتبهات، ومن لم يحصل له الفرقان كان في اشتباه وحيرة، والهدى التام لا يكون إلا مع الفرقان، فلهذا قال أولا: ﴿ هُدًى لِّلنَّاسِ ﴾ ثم قال: ﴿ وَبَيِّنَٰتٍ مِّنَ ٱلْهُدَىٰ وَٱلْفُرْقَانِ ﴾...، فالهدى مثل أن يؤمر بسلوك الطريق إلى الله، كما يؤمر قاصد الحج بسلوك طريق مكة مع دليل يوصله، والبينات ما يدل ويبين أن ذلك هو الطريق »[٥].

ت- أنه لا يفترى من دون الله، قال ﷻ: ﴿ وَمَا كَانَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ أَن يُفْتَرَىٰ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَٰكِن تَصْدِيقَ ٱلَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ ٱلْكِتَٰبِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾[يونس:٣٧] وقال: ﴿ وَإِنَّكَ لَتُلَقَّى ٱلْقُرْءَانَ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ عَلِيمٍ ﴾[النمل:٦] وقال: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ تَنزِيلًا ﴾[الإنسان:٢٣].

---

(١) وهل هو مهموز أم لا، وهل هو مشتق أم لا، سبق الإشارة إليه في التمهيد ص ١٩، وانظر: تهذيب الأسماء واللغات للنووي ٣/ ٨٣-٨٥.

(٢) انظر: المجموع ١٢/ ٢٨٤.

(٣) انظر: النبوات لشيخ الإسلام ابن تيمية ٢/ ٦٤١ ـ ٦٤٢، أصول التفسير للشيخ ابن عثيمين ص ٣١٧.

(٤) انظر: المجموع ١٤/ ٢.

(٥) النبوات ٢/ ٦٤٢.

ث- أنه في اللوح المحفوظ، وذلك في السماء العلى، قال ﷻ: ﴿ بَلْ هُوَ قُرْءَانٌ مَّجِيدٌ ۝ فِى لَوْحٍ مَّحْفُوظٍۭ ﴾[البروج:٢١-٢٢].

ج- أنه مبين، وواضح لكل ذي عينين، وجلي لكل ذي بصيرة من الثقلين، قال ﷻ: ﴿ الٓر ۚ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ وَقُرْءَانٍ مُّبِينٍ ﴾[الحجر:١].

ح- أنه عظيم[(١)]، قال ـ عز مِن قائلٍ ـ: ﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَٰكَ سَبْعًا مِّنَ ٱلْمَثَانِى وَٱلْقُرْءَانَ ٱلْعَظِيمَ ﴾[الحجر:٨٧].

خ- أنه حكيم، قال الله تعالى: ﴿ يسٓ ۝ وَٱلْقُرْءَانِ ٱلْحَكِيمِ ﴾[يس، الآيات١-٣].

د- أنه مجيد[(٢)] قال ﷻ: ﴿ قٓ ۚ وَٱلْقُرْءَانِ ٱلْمَجِيدِ ﴾[ق، الآية ١] وقال: ﴿ بَلْ هُوَ قُرْءَانٌ مَّجِيدٌ ۝ فِى لَوْحٍ مَّحْفُوظٍۭ ﴾[البروج، الآيتين ٢١ ـ ٢٢] فوصف القرآن بالمجادة وهي الرفعة والعلو[(٣)].

ذ- أنه كريم[(٤)]، قال ﷻ: ﴿ إِنَّهُۥ لَقُرْءَانٌ كَرِيمٌ ﴾[الواقعة:٧٧] «أي أكرمه الله وعزه، ورفع قدره، على جميع الكتب، وكرمه عن أن يكون سحرا أو كهانة، أو كذبا، وقيل: إنه كريم لما فيه من كرم الأخلاق، ومعالي الأمور، وقيل لأنه يكرم حافظه، ويعظم قارؤه...»[(٥)].

ر- أنه وقاية لمن عمل به من الشرور، ووقاية لقارئه من أهل الفسق والفجور، قال ﷻ: ﴿ وَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ حِجَابًا مَّسْتُورًا ﴾[الإسراء:٤٥].

ز- أنه شفاء للمؤمنين، قال الرب ﷻ: ﴿ وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ

---

(١) انظر: أصول التفسير للشيخ ابن عثيمين ص ٣١٦.
(٢) انظر: أصول التفسير للشيخ ابن عثيمين ص ٣١٦.
(٣) انظر: المفردات للراغب الأصبهاني ص ٤٦٦، لسان العرب لابن منظور ٣/ ٣٩٥.
(٤) انظر: أصول التفسير للشيخ ابن عثيمين ص ٣١٧.
(٥) فتح القدير للشوكاني ٥/ ١٩٩.

وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ۙ وَلَا يَزِيدُ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا خَسَارًا ﴾[الإسراء: ٨٢].

س- أنه متحدى به[١]، قال الله تعالى: ﴿ قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴾[الإسراء:٨٨].

ش- أن فيه كل مثل يحتاج إليه الناس، بما في ذلك قصص الأولين للعظة والاستئناس، وغير ذلك، قال الله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ صَرَّفْنَا لِلنَّاسِ فِى هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ مِن كُلِّ مَثَلٍ ﴾[الإسراء:٨٩] وقال: ﴿ وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِى هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لِلنَّاسِ مِن كُلِّ مَثَلٍ ۚ وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ أَكْثَرَ شَىْءٍ جَدَلًا ﴾[الكهف:٥٤].

ص- أنه ميسر للذكر، قال ﷻ: ﴿ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴾[القمر:١٧][٢].

ض- أنه قرآن عربي[٣]، قال ﷻ: ﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾ [يوسف:٢] وقال: ﴿ وَكَذَٰلِكَ أَنزَلْنَٰهُ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا وَصَرَّفْنَا فِيهِ مِنَ ٱلْوَعِيدِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ أَوْ يُحْدِثُ لَهُمْ ذِكْرًا ﴾[طه:١١٣] وقال: ﴿ وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِى هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ مِن كُلِّ مَثَلٍ لَّعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٢٧﴾ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا غَيْرَ ذِى عِوَجٍ لَّعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴾[الزمر:٢٨].

ط- أنه يقص[٤]؛ قال تعالى: ﴿ إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَقُصُّ عَلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَكْثَرَ ٱلَّذِى هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴾[النمل:٧٦].

ظ- أنه لو فرض نزوله على الجبال لخشعت ولتصدعت، قال ﷻ: ﴿ لَوْ أَنزَلْنَا هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ عَلَىٰ جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُۥ خَٰشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ ٱللَّهِ ۚ وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَٰلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴾[الحشر:٢١][٥].

---

(١) وهذا ما يأتي الحديث عنه في الفصل الخامس من هذا الباب.

(٢) وفي ثلاث مواضع أخرى من السورة نفسها.

(٣) انظر: المجموع ١٤/ ٢.

(٤) انظر: المجموع ١٤/ ٢.

(٥) وهذه الصفة ذكرها الشيخ ابن عثيمين رحمه الله في أصول التفسير ص ٣١٧.

٣. **الفرقان**[(١)]؛ فهو مفرق بين الحق والباطل، بما احتواه من الدلائل، وبما فيه من الشمائل، وما ذكر فيه من خبر الأواخر والأوائل، قال الله ﷻ: ﴿ تَبَارَكَ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِۦ لِيَكُونَ لِلْعَٰلَمِينَ نَذِيرًا ﴾[الفرقان:١] وقال: ﴿ نَزَّلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَأَنزَلَ ٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ ۝ مِن قَبْلُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَأَنزَلَ ٱلْفُرْقَانَ ﴾[آل عمران:٣-٤] وقال: ﴿ وَقُرْءَانًا فَرَقْنَٰهُ لِتَقْرَأَهُۥ عَلَى ٱلنَّاسِ عَلَىٰ مُكْثٍ وَنَزَّلْنَٰهُ تَنزِيلًا ﴾[الإسراء:١٠٦] والفرقان يحصل به معرفة الفارق بين الحق والباطل[(٢)]، وقال ابن جرير ؒ: «وأما تأويل اسمه الذي هو "فرقان" فإن تفسير أهل التفسير جاء في ذلك بألفاظ مختلفة، هي في المعاني مؤتلفة»[(٣)]. ثم قال بعد أن ذكر ما ورد من الأقوال: «فقد تبين أن القرآن سمي "فرقانا" لفصله - بحججه، وأدلته، وحدود فرائضه، وسائر معاني حكمه - بين المحق والمبطل، وفرقانه بينهما بنصره المحق، وتخذيله المبطل، حكما وقضاء»[(٤)].

٤. **الكتاب**[(٥)]؛ وهو إذا أطلق فالمراد به من كتب الله ما هو مكتوب في المصحف من كلام الله، وقد يقيد فيقال: **كتاب الله**، وهو الكتاب الذي أرسل الله به محمدا ﷺ، قال ﷻ: ﴿ الٓمٓ ۝ ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ لَا رَيْبَ ۛ فِيهِ ۛ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ﴾[البقرة:١-٢] «والكتاب القرآن، ومن قال: إن المراد بذلك الكتاب الإشارة إلى التوراة والإنجيل...، فقد أبعد النجعة، وأغرق في النـزع، وتكلف ما لا علم له به»[(٦)]،

---

(١) انظر: جامع البيان لابن جرير ١/ ٦٧، المحرر الوجيز ١/ ٥٦، التدمرية لشيخ الإسلام ابن تيمية ص١٠١، المجموع ١٣/ ٧، ١٤/ ١، جمال القراء لعلم الدين السخاوي ١/ ٢٦، البرهان للزركشي ١/ ٣٤٣، أصول التفسير للشيخ ابن عثيمين ص ٣١٧.

(٢) انظر: المجموع ١٣/ ٨.

(٣)جامع البيان لابن جرير ١/ ٦٩، ثم ذكر ما جاء عن المفسرين في بيان معنى الفرقان.

(٤)جامع البيان لابن جرير ١/ ٧٠.

(٥) انظر: المجموع ١٤/ ١، شفاء العليل لابن القيم ١/ ١٢١، البرهان للزركشي ١/ ٣٤٣، وقد ورد الكتاب اسما ووصفا لما في المصحف من كلام رب العالمين قرابة ثمانين مرة.

(٦) تفسير القرآن العظيم لابن كثير ١/ ٣٩.

« ولفظ الكتاب يتضمن من كونه مكتوبا مضموما ما لا يتضمنه لفظ القرآن من كونه مقروءا مظهرا باديا »[١]. وقال: ﴿ نَزَّلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ ﴾ [آل عمران:١-٣] **والكتاب (قال جماهير المفسرين:** هو القرآن»[٢]. وقال: ﴿ وَلَمَّا جَآءَهُمْ رَسُولٌ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ نَبَذَ فَرِيقٌ مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ كِتَٰبَ ٱللَّهِ وَرَآءَ ظُهُورِهِمْ كَأَنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴾[البقرة:١٠١] وقال: ﴿ رَبَّنَا وَٱبْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ ﴾[البقرة:١٢٩]، **ووصف هذا الكتاب المنـزل** على محمد ﷺ الموجود بين دفتي المصحف بأوصاف تدل على عظمته، وسمو مكانته، ومن هذه الأوصاف:

أ- أنه هدى للمتقين، قال ﷻ: ﴿ ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ﴾ [البقرة:١]، وهو كتاب يهدي به اللهُ من اتبعه، قال ﷻ: ﴿ قَدْ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٌ وَكِتَٰبٌ مُّبِينٌ ۝ يَهْدِى بِهِ ٱللَّهُ مَنِ ٱتَّبَعَ رِضْوَٰنَهُۥ سُبُلَ ٱلسَّلَٰمِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذْنِهِۦ وَيَهْدِيهِمْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾[المائدة:١٥-١٦].

ب- أنه كتاب الله[٣]، قال تعالى: ﴿ نَبَذَ فَرِيقٌ مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ كِتَٰبَ ٱللَّهِ وَرَآءَ ظُهُورِهِمْ ﴾[البقرة:١٠١]، وقال: ﴿ وَٱلْمُحْصَنَٰتُ مِنَ ٱلنِّسَآءِ إِلَّا مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ كِتَٰبَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ ﴾[النساء:٢٤].

ت- أنه يُتلى ويُعلَّم، قال الله تعالى: ﴿ كَمَآ أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولًا مِّنكُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ ﴾[البقرة:١٥١].

ث- أنه يوعظ به، قال ـ عزّ من قائلٍ ـ : ﴿ وَٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَمَآ أَنزَلَ عَلَيْكُم مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ وَٱلْحِكْمَةِ يَعِظُكُم بِهِۦ ﴾[البقرة:٢٣١].

(١) المجموع ١٣/ ٣٤٣.
(٢) المجموع ١٣/ ٧.
(٣) انظر: المجموع ٢/ ١٩٢.

ج- أنه كتاب منـزل من الله، قال تعالى: ﴿ تَنزِيلُ ٱلْكِتَـٰبِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِن رَّبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴾[السجدة:١].

ح- أنه منزل بالحق، قال ﷻ: ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ نَزَّلَ ٱلْكِتَـٰبَ بِٱلْحَقِّ ﴾ [البقرة:١٧٦] وقال: ﴿ نَزَّلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَـٰبَ بِٱلْحَقِّ ﴾[آل عمران:٣] وقال: ﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَـٰبَ بِٱلْحَقِّ ﴾[النساء:١٠٥].

خ- أنه منـزل على الرسول محمد ﷺ، قال ﷻ: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ ءَامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱلْكِتَـٰبِ ٱلَّذِى نَزَّلَ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ ﴾[النساء:١٣٦] وقال: ﴿ كِتَـٰبٌ أُنزِلَ إِلَيْكَ ﴾ [الأعراف:٢].

د- أنه كتاب مبين، قال الله تعالى: ﴿ قَدْ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٌ وَكِتَـٰبٌ مُّبِينٌ ﴾[المائدة:١٥] وقال: ﴿ الٓر ۚ تِلْكَ ءَايَـٰتُ ٱلْكِتَـٰبِ ٱلْمُبِينِ ﴾[يوسف:١].

ذ- أنه كتاب مبارك[(١)] قال ﷻ: ﴿ وَهَـٰذَا كِتَـٰبٌ أَنزَلْنَـٰهُ مُبَارَكٌ ﴾[الأنعام:٩٢].

ر- أنه كتاب حكيم، ومحكم، قال تعالى: ﴿ الٓر ۚ تِلْكَ ءَايَـٰتُ ٱلْكِتَـٰبِ ٱلْحَكِيمِ ﴾ [يونس:١] وقال: ﴿ الٓر ۚ كِتَـٰبٌ أُحْكِمَتْ ءَايَـٰتُهُۥ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ ﴾[هود:١].

ز- أنه كتاب عزيز، قال الله ﷻ: ﴿ وَإِنَّهُۥ لَكِتَـٰبٌ عَزِيزٌ ۝٤١ لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَـٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ ۖ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴾[فصلت:٤١-٤٢].

س- أنه كتاب قيّم، قال ﷻ: ﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ ٱلْكِتَـٰبَ وَلَمْ يَجْعَل لَّهُۥ عِوَجَا ۜ ۝١ قَيِّمًا ﴾[الكهف:١-٢].

ش- أنه مصدق لما قبله من الكتب، قال الله ﷻ: ﴿ وَهَـٰذَا كِتَـٰبٌ أَنزَلْنَـٰهُ مُبَارَكٌ مُّصَدِّقُ ٱلَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ ﴾[الأنعام:٩٢] وقال: ﴿ وَلَـٰكِن تَصْدِيقَ ٱلَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ ٱلْكِتَـٰبِ ﴾[يونس:٣٧].

---

(١) أصول التفسير للشيخ ابن عثيمين ص ٣١٧.

ص- أنه كتاب متشابه لا اختلاف فيه، قال ﷻ: ﴿ ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ ٱلْحَدِيثِ كِتَٰبًا مُّتَشَٰبِهًا مَّثَانِىَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ ﴾[الزمر:٢٣].

ض- أنه كتاب مفصل، قال الله تعالى: ﴿ أَفَغَيْرَ ٱللَّهِ أَبْتَغِى حَكَمًا وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ إِلَيْكُمُ ٱلْكِتَٰبَ مُفَصَّلًا ﴾[الأنعام:١١٤] وقال: ﴿ وَلَقَدْ جِئْنَٰهُم بِكِتَٰبٍ فَصَّلْنَٰهُ عَلَىٰ عِلْمٍ هُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾[الأعراف:٥٢] وقال: ﴿ كِتَٰبٌ فُصِّلَتْ ءَايَٰتُهُۥ ﴾[فصلت:٣].

ط- أنه كتاب يخرج به من الظلمات إلى النور، قال تعالى: ﴿ الٓر ۚ كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ ٱلنَّاسَ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ ۝١ ٱللَّهِ ٱلَّذِى لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ وَوَيْلٌ لِّلْكَٰفِرِينَ مِنْ عَذَابٍ شَدِيدٍ ﴾[إبراهيم:١-٢].

ظ- أنه كتاب ينطق بالحق[1]؛ قال تعالى: ﴿ وَتَرَىٰ كُلَّ أُمَّةٍ جَاثِيَةً ۚ كُلُّ أُمَّةٍ تُدْعَىٰٓ إِلَىٰ كِتَٰبِهَا ٱلْيَوْمَ تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ۝٢٨ هَٰذَا كِتَٰبُنَا يَنطِقُ عَلَيْكُم بِٱلْحَقِّ ۚ إِنَّا كُنَّا نَسْتَنسِخُ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ۝٢٩ ﴾[الجاثية:٢٨-٢٩].

ع- أنه كتاب يفتي الأمة[2]؛ قال ﷻ: ﴿ وَيَسْتَفْتُونَكَ فِى ٱلنِّسَآءِ ۖ قُلِ ٱللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِيهِنَّ وَمَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فِى ٱلْكِتَٰبِ ﴾[النساء:١٢٧] «أي يفتيكم أيضا»[3].

غ- أنه كتاب فيه بيان كل ما يحتاج إليه البشرية لسعادة دينهم ودنياهم، قال ﷻ: ﴿ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَىْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ﴾[النحل:٨٩].

٥. **الهدى**[4]؛ فالقرآن هدى في نفسه، وهاد لغيره، قال ﷻ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ

---

(١) انظر: المجموع ١٤/ ٢، وهذا على قول في تفسير الآية.

(٢) انظر: المجموع ١٤/ ٢.

(٣) انظر: المجموع ١٤/ ٢.

(٤) انظر: التدمرية لشيخ الإسلام ابن تيمية ص ١٠١، المجموع ١٤/ ١، جمال القراء لعلم الدين السخاوي ١/ ٣٣، البرهان للزركشي ١/ ٣٤٣، الإتقان للسيوطي ١/ ١٤٣.

جَآءَتۡكُم مَّوۡعِظَةٞ مِّن رَّبِّكُمۡ وَشِفَآءٞ لِّمَا فِي ٱلصُّدُورِ وَهُدٗى وَرَحۡمَةٞ لِّلۡمُؤۡمِنِينَ ﴾[يونس:٥٧] وقال: ﴿ قَالَ ٱهۡبِطَا مِنۡهَا جَمِيعَۢاۖ بَعۡضُكُمۡ لِبَعۡضٍ عَدُوّٞۖ فَإِمَّا يَأۡتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدٗى فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشۡقَىٰ ١٢٣ وَمَنۡ أَعۡرَضَ عَن ذِكۡرِي فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةٗ ضَنكٗا وَنَحۡشُرُهُۥ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ أَعۡمَىٰ ﴾[طه:١٢٣-١٢٤]. وقال: ﴿ هُوَ ٱلَّذِيٓ أَرۡسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلۡهُدَىٰ وَدِينِ ٱلۡحَقِّ لِيُظۡهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدٗا ﴾[الفتح:٢٨] وقال: ﴿ وَأَنَّا لَمَّا سَمِعۡنَا ٱلۡهُدَىٰٓ ءَامَنَّا بِهِۦ ﴾[الجن:١٣]، وهم إنما سمعوا القرآن.

٦. **النور**[1]؛ فالقرآن نور يستضاء به في الظلمات، ويعمل به في أصعب الظروف والملمات، وكيف لا يكون نورا وهو كلام رب الأرض والسماء؟ قال ﷻ: ﴿ قَدۡ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٞ وَكِتَٰبٞ مُّبِينٞ ﴾[المائدة:١٥] وقال: ﴿ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِهِۦ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَٱتَّبَعُواْ ٱلنُّورَ ٱلَّذِيٓ أُنزِلَ مَعَهُۥٓ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ﴾ [الأعراف:١٥٧] وقال: ﴿ فَـَٔامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱلنُّورِ ٱلَّذِيٓ أَنزَلۡنَا ﴾ [التغابن:٨] وقال: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدۡ جَآءَكُم بُرۡهَٰنٞ مِّن رَّبِّكُمۡ وَأَنزَلۡنَآ إِلَيۡكُمۡ نُورٗا مُّبِينٗا ﴾ [النساء:١٧٤] فالنور المبين المنزل هو القرآن الذي أنزله الله على محمد ﷺ[2]، وقال: ﴿ وَكَذَٰلِكَ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ رُوحٗا مِّنۡ أَمۡرِنَاۚ مَا كُنتَ تَدۡرِي مَا ٱلۡكِتَٰبُ وَلَا ٱلۡإِيمَٰنُ وَلَٰكِن جَعَلۡنَٰهُ نُورٗا نَّهۡدِي بِهِۦ مَن نَّشَآءُ مِنۡ عِبَادِنَا ﴾[الشورى:٥٢].

٧. **الروح**[3] قال ﷻ: ﴿ وَكَذَٰلِكَ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ رُوحٗا مِّنۡ أَمۡرِنَا ﴾[الشورى:٥٢].

٨. **الشفاء**[4]، وكلام الله المنزل على محمد ﷺ الموجود بين دفتي المصحف شفاء للقلوب من أمراضها المعنوية والحسية، وشفاء للأبدان من أمراضها، قال تعالى:

---

(١) انظر: التدمرية لشيخ الإسلام ابن تيمية ص ١٠١، المجموع ١٤/ ١، ١٥/ ٧٣، جمال القراء لعلم الدين السخاوي ١/ ٣٣، البرهان للزركشي ١/ ٣٤٣، الإتقان للسيوطي ١/ ١٤٣.

(٢) انظر: جامع البيان لابن جرير ٤/ ٣٧٧، المجموع ١٥/ ٨٠.

(٣) انظر: جمال القراء لعلم الدين السخاوي ١/ ٣٢، البرهان للزركشي ١/ ٣٤٥، الإتقان للسيوطي ١/ ١٤٤.

(٤) انظر: التدمرية لشيخ الإسلام ابن تيمية ص ١٠١، المجموع ١٤/ ١، جمال القراء لعلم الدين السخاوي ١/ ٣٣، البرهان للزركشي ١/ ٣٤٣، الإتقان للسيوطي ١/ ١٤٣، شرح كتاب التوحيد ص ٢١٢.

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَتْكُم مَّوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَآءٌ لِّمَا فِى ٱلصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴾[يونس:٥٧] وقال: ﴿ قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ هُدًى وَشِفَآءٌ ﴾[فصلت:٤٤] وقال: ﴿ وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴾[الإسراء:٨٢].

٩. **البيان**(١)؛ فكلام الله المحفوظ الموجود بين دفتي المصحف هو بيان من الله ﷻ لعباده بما يريده منهم، وما ينهاهم عنه، وهو بينات في نفسه، قال ﷻ: ﴿ هَٰذَا بَيَانٌ لِّلنَّاسِ ﴾[آل عمران:١٣٨].

١٠. **البينات**؛ أي الواضحات في نفسها الموضحات للحق، والدلائل الجليات للخلق، قال تعالى: ﴿ فَإِن زَلَلْتُم مِّنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْكُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ فَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾[البقرة:١٥٩].

١١. **الآيات**؛ وكل سور القرآن مشتمل على آيات، وهذه الآيات علامات واضحات، وبينات جليات، على أن المنـزل الموجود في المصحف هو كلام رب البريات، ولا يستطيع أحد الإتيان بمثلها من الآيات، وأنها دلائل موضحات، قال الله ﷻ: ﴿ وَلَقَدْ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ءَايَٰتٍۭ بَيِّنَٰتٍ ۖ وَمَا يَكْفُرُ بِهَآ إِلَّا ٱلْفَٰسِقُونَ ﴾[البقرة:٩٩] وقد تضاف إلى الله كما قال تعالى: ﴿ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِٱلْحَقِّ ﴾[البقرة:٢٥٢] وقال: ﴿ وَٱذْكُرْنَ مَا يُتْلَىٰ فِى بُيُوتِكُنَّ مِنْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ وَٱلْحِكْمَةِ ﴾[الأحزاب:٣٤] وقال: ﴿ وَقَالُوا۟ لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ ءَايَةٌ مِّن رَّبِّهِۦ ۚ قُلْ إِنَّ ٱللَّهَ قَادِرٌ عَلَىٰٓ أَن يُنَزِّلَ ءَايَةً وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴾[الأنعام:٣٧] «فنبههم على أعظم الآيات وأدلها على صدق رسول الله ﷺ وهو الكتاب الذي يتضمن بيان كل شيء»(٢)، فالقرآن آيات في نفسه، وآية للنبي ﷺ.

١٢. **الموعظة**(٣)؛ فينتفع بها المبتغين الحق، والغافلين من الخلق، قال ﷻ ﴿يَٰٓأَيُّهَا

---

(١) انظر: المجموع ١٤/ ١، جمال القراء لعلم الدين السخاوي ١/ ٣٣، البرهان ١/ ٣٤٣، الإتقان للسيوطي ١/ ١٤٥.

(٢) شفاء العليل لابن القيم ١/ ١١٩.

(٣) انظر: المجموع ١٤/ ١، جمال القراء لعلم الدين السخاوي ١/ ٣٣، البرهان للزركشي ١/ ٣٤٤، الإتقان =

ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَتْكُم مَّوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ ﴾[يونس:٥٧].

١٣. **الرحمة**[(١)]؛ فهو رحمة للمتبعين له، ورحمة للمقبلين عليه، قال الله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَتْكُم مَّوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَآءٌ لِّمَا فِى ٱلصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴾[يونس:٥٧].

١٤. **البصائر**[(٢)]؛ فهو مبصِّر لغيره، وواضح في نفسه، قال ﷺ: ﴿ قُلْ إِنَّمَآ أَتَّبِعُ مَا يُوحَىٰٓ إِلَىَّ مِن رَّبِّى ۚ هَٰذَا بَصَآئِرُ مِن رَّبِّكُمْ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾ [الأعراف:٢٠٣] وقال: ﴿ قَدْ جَآءَكُم بَصَآئِرُ مِن رَّبِّكُمْ ۖ فَمَنْ أَبْصَرَ فَلِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَنْ عَمِىَ فَعَلَيْهَا ۚ وَمَآ أَنَا۠ عَلَيْكُم بِحَفِيظٍ ﴾[الأنعام:١٠٤].

١٥. **البلاغ**[(٣)]؛ قال الله تعالى: ﴿ هَٰذَا بَلَٰغٌ لِّلنَّاسِ ﴾[إبراهيم:٥٢] وقال تعالى: ﴿ إِنَّ فِى هَٰذَا لَبَلَٰغًا لِّقَوْمٍ عَٰبِدِينَ ﴾[الأنبياء:١٠٦].

١٦. **التنزيل**[(٤)]؛ قال ﷻ: ﴿ وَإِنَّهُۥ لَتَنزِيلُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾[الشعراء:١٩٢].

١٧. **المنُزل**[(٥)] قال تعالى: ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ إِلَيْكُمُ ٱلْكِتَٰبَ مُفَصَّلًا ۚ وَٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَعْلَمُونَ أَنَّهُۥ مُنَزَّلٌ مِّن رَّبِّكَ بِٱلْحَقِّ ﴾[الأنعام:١١٤].

١٨. **الصراط المستقيم**[(٦)]؛ قيل في تفسير قوله تعالى: ﴿ ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ

= للسيوطي ١/ ١٤٣.

(١) انظر: المجموع ١٤/ ١، جمال القراء لعلم الدين السخاوي ١/ ٣٣، البرهان للزركشي ١/ ٣٤٣، الإتقان للسيوطي ١/ ١٤٣.

(٢) انظر: المجموع ١٤/ ١، البرهان للزركشي ١/ ٣٤٥، الإتقان للسيوطي ١/ ١٤٤.

(٣) انظر: المجموع ١٤/ ١، جمال القراء لعلم الدين السخاوي ١/ ٣٣، البرهان للزركشي ١/ ٣٤٦، الإتقان للسيوطي ١/ ١٤٦.

(٤) انظر: التدمرية لشيخ الإسلام ابن تيمية ص ١٠١، المجموع ١٤/ ١، جمال القراء لعلم الدين السخاوي ١/ ٣٢، البرهان للزركشي ١/ ٣٤٥، الإتقان للسيوطي ١/ ١٤٤.

(٥) انظر: المجموع ١٤/ ١.

(٦) انظر: المجموع ٥/ ١٦٠، ١٤/ ٣،١، البرهان للزركشي ١/ ٣٤٤، الإتقان للسيوطي ١/ ١٤٣.

﴿ٱلۡمُسۡتَقِيمَ﴾[الفاتحة:٧] إنه القرآن[١]. وفي قوله: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسۡتَقِيمٗا فَٱتَّبِعُوهُ﴾[الأنعام:١٥٣].

١٩. **الذِّكْر**[٢]؛ قال الله تعالى: ﴿إِنَّا نَحۡنُ نَزَّلۡنَا ٱلذِّكۡرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ﴾[الحجر:٩]، وقال: ﴿وَهَٰذَا ذِكۡرٞ مُّبَارَكٌ أَنزَلۡنَٰهُۚ أَفَأَنتُمۡ لَهُۥ مُنكِرُونَ﴾[الأنبياء ٥٠] «وهذا الاسم محتمل أن يكون المراد به، أنه ذِكر من الله جل ذِكرُه، ذَكرَ به عباده، ويحتمل أنه ذِكرٌ وشرفٌ وفخرٌ لمن آمن به، وصدق بما فيه»[٣]، وقد يضاف الاسم فيقال: **ذكر الرحمن**، قال الله ﷻ: ﴿وَمَن يَعۡشُ عَن ذِكۡرِ ٱلرَّحۡمَٰنِ نُقَيِّضۡ لَهُۥ شَيۡطَٰنٗا فَهُوَ لَهُۥ قَرِينٞ﴾[الزخرف:٣٦] «وذكر الرحمن هو الذكر الذي أنزله على نبيه ﷺ»[٤]، وقد يضاف فيسمى ذكر الرحمن، وذكر مبارك، وذو الذكر[٥].

٢٠. **الذكرى**[٦]؛ قال الله تعالى: ﴿الٓمٓصٓ ۝١ كِتَٰبٌ أُنزِلَ إِلَيۡكَ فَلَا يَكُن فِي صَدۡرِكَ حَرَجٞ مِّنۡهُ لِتُنذِرَ بِهِۦ وَذِكۡرَىٰ لِلۡمُؤۡمِنِينَ﴾[الأعراف:١-٢].

٢١. **التذكرة**[٧]؛ قال ﷻ: ﴿كَلَّآ إِنَّهَا تَذۡكِرَةٞ ۝١١ فَمَن شَآءَ ذَكَرَهُۥ﴾[عبس:١٢] وقال: ﴿وَإِنَّهُۥ لَتَذۡكِرَةٞ لِّلۡمُتَّقِينَ﴾[الحاقة:٤٨].

٢٢. **البشرى**[٨]؛ قال ﷻ: ﴿نَزَّلَهُۥ عَلَىٰ قَلۡبِكَ بِإِذۡنِ ٱللَّهِ مُصَدِّقٗا لِّمَا بَيۡنَ يَدَيۡهِ وَهُدٗى وَبُشۡرَىٰ لِلۡمُؤۡمِنِينَ﴾[البقرة:٩٧].

---

(١) انظر: جامع البيان للطبري ١/ ١٠٤، زاد المسير لابن الجوزي ١/ ١٥.

(٢) انظر: جامع البيان ١/ ٦٧، المجموع ١٤/ ١، البرهان للزركشي ١/ ٣٤٤، الإتقان للسيوطي ١/ ١٤٣، مختصر التحرير ٢/ ١٨٣.

(٣) جامع البيان لابن جرير ١/ ٧٠، بتصرف يسير.

(٤) انظر: المجموع ١/ ٨٣.

(٥) انظر: التبيان في إقسام القرآن لابن القيم ص ٨٠.

(٦) انظر: المجموع ١٤/ ١.

(٧) انظر: المجموع ١٤/ ١، التبيان في إقسام القرآن ص ٨٠، البرهان للزركشي ١/ ٣٤٥، الإتقان للسيوطي ١/ ١٤٥.

(٨) انظر: البرهان للزركشي ١/ ٣٤٦، الإتقان للسيوطي ١/ ١٤٥.

٢٣. **البشير**[(١)]، قال ﷻ: ﴿ كِتَٰبٌ فُصِّلَتْ ءَايَٰتُهُۥ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ۝ بَشِيرًا وَنَذِيرًا فَأَعْرَضَ أَكْثَرُهُمْ فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ ﴾[فصلت:٣-٤].

٢٤. **المهيمن**[(٢)]؛ قال الله ﷻ: ﴿ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ ﴾[المائدة:٤٨] قال ابن عباس ﷺ: «المهيمن: الأمين، القرآن أمين على كل كتاب قبله»[(٣)].

٢٥. **المصدق**[(٤)]؛ قال تعالى: ﴿ نَزَّلَهُۥ عَلَىٰ قَلْبِكَ بِإِذْنِ ٱللَّهِ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ ﴾[آل عمران:٣] والمصدق للكتب السابقة هو القرآن[(٥)]، وقال: ﴿ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَىٰ وَلَٰكِن تَصْدِيقَ ٱلَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ ﴾[يوسف:١١١] وفي الحديث: [**القرآن شافع مشفع، وماحِل**[(٦)] **مصدق، من جعله أمامه قاده إلى الجنة، ومن جعله خلف ظهره؛ ساقه إلى النار**][(٧)].

٢٦. **التبيان**[(٨)]؛ قال ﷻ: ﴿ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَىْءٍ ﴾[النحل:٨٩]

---

(١) انظر: جمال القراء لعلم الدين السخاوي ١/ ٣٣، الإتقان للسيوطي ١/ ١٤٥.

(٢) انظر: المجموع ١٤/ ١، جمال القراء لعلم الدين السخاوي ١/ ٣٣، البرهان للزركشي ١/ ٣٤٤، الإتقان للسيوطي ١/ ١٤٣.

(٣) ذكره البخاري معلقا مجزوما به، كتاب فضائل القرآن، باب/ كيف نزل الوحي...، ص ١٠٨٤، وانظر: الفتح ٨/ ١١٩.

(٤) انظر: المجموع ١٤/ ١.

(٥) انظر: جامع البيان للطبري ٣/ ١٦٧.

(٦) ومعناه: أي خصم عادل، أو ساع مصدق، انظر: كشف الخفاء للعجلوني ٢/ ٩٥.

(٧) أخرجه ابن حبان في صحيحه كما في الإحسان، كتاب العلم، باب/ ذكر البيان بأن القرآن من جعله إمامَه بالعمل...، ح(١٢٤)، ورواه الحاكم في المستدرك من رواية معقل بن يسار ﷺ، كتاب فضائل القرآن، باب/ ذكر فضائل السور وآي متفرقة، ح(٢٠٨٧)، وقال: «صحيح الإسناد ولم يخرجاه»، وقال الهيثمي: «ورجال حديث جابر المرفوع ثقات» كما في مجمع الزوائد ١/ ١٧١، وقال العلامة الألباني: «صحيح» كما في صحيح الجامع الصغير، ح(٤٣١٩)، وانظر السلسلة الصحيحة، ح(٢٠١٩)، وذكر شيخ الإسلام ابن تيمية ﷺ أنه من رواية أبي موسى الأشعري ﷺ، ولم أجده، وذكر أن فيه: (شافعا مشفعا، وشاهدا مصدقا).

(٨) انظر: المجموع ١٤/ ١، جمال القراء لعلم الدين السخاوي ١/ ٣٣.

والمعنى: «لم نفرط فيه من شيء، بل أخبرناكم بكل ما كان، وما هو كائن إجمالا وتفصيلا»[(١)].

٢٧. **المفصل**[(٢)]؛ قال ﷻ: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ إِلَيۡكُمُ ٱلۡكِتَٰبَ مُفَصَّلٗا﴾[الأنعام:١١٤] وقال: ﴿مَا كَانَ حَدِيثٗا يُفۡتَرَىٰ وَلَٰكِن تَصۡدِيقَ ٱلَّذِي بَيۡنَ يَدَيۡهِ وَتَفۡصِيلَ كُلِّ شَيۡءٖ﴾[يوسف:١١١].

٢٨. **الفَصْل**[(٣)] قال تعالى: ﴿إِنَّهُۥ لَقَوۡلٞ فَصۡلٞ﴾[الطارق:١٣].

٢٩. **كلام الله**[(٤)]؛ قال الله ﷻ: ﴿وَإِنۡ أَحَدٞ مِّنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ٱسۡتَجَارَكَ فَأَجِرۡهُ حَتَّىٰ يَسۡمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ثُمَّ أَبۡلِغۡهُ مَأۡمَنَهُۥ﴾[التوبة:٦].

٣٠. **الكريم**[(٥)]؛ قال ﷻ: ﴿إِنَّهُۥ لَقُرۡءَانٞ كَرِيمٞ﴾[الواقعة الآية ٧٧].

٣١. **المجيد**[(٦)]؛ قال الله تعالى: ﴿قٓۚ وَٱلۡقُرۡءَانِ ٱلۡمَجِيدِ﴾[ق:١-٢].

٣٢. **العزيز**[(٧)]؛ قال ﷻ: ﴿وَإِنَّهُۥ لَكِتَٰبٌ عَزِيزٞ﴾[فصلت:٤١].

٣٣. **المبين**[(٨)] قال تعالى: ﴿حمٓ ۝١ وَٱلۡكِتَٰبِ ٱلۡمُبِينِ﴾[الدخان:١-٢].

٣٤. **العلي**[(٩)]؛ قال ﷻ: ﴿وَإِنَّهُۥ فِيٓ أُمِّ ٱلۡكِتَٰبِ لَدَيۡنَا لَعَلِيٌّ حَكِيمٌ﴾[الزخرف:٤].

٣٥. **المبارك**[(١٠)]؛ قال الله تعالى: ﴿وَهَٰذَا ذِكۡرٞ مُّبَارَكٌ أَنزَلۡنَٰهُ﴾[الأنبياء:٥٠]،

---

(١) شفاء العليل لابن القيم ١/ ١١٩،١١٧.

(٢) انظر: المجموع ١٤/ ١.

(٣) انظر: البرهان للزركشي ١/ ٣٤٤.

(٤) انظر: المجموع ٢/ ١٩٢، ١٤/ ٢، البرهان للزركشي ١/ ٣٤٣، الإتقان للسيوطي ١/ ١٤٣.

(٥) انظر: المجموع ١٤/ ١،، التبيان في إقسام القرآن لابن القيم ص ١٤٠ .البرهان للزركشي ١/ ٣٤٤.

(٦) انظر: المجموع ١٤/ ١، جمال القراء لعلم الدين السخاوي ١/ ٣٣، البرهان للزركشي ١/ ٣٤٦.

(٧) انظر: المجموع ١٤/ ١، جمال القراء لعلم الدين السخاوي ١/ ٣٣، البرهان للزركشي ١/ ٣٤٦، الإتقان للسيوطي ١/ ١٤٣.

(٨) انظر: الإتقان للسيوطي ١/ ١٤٣.

(٩) انظر: المجموع ١٤/ ٢، البرهان للزركشي ١/ ٣٤٤، الإتقان للسيوطي ١/ ١٤٣.

(١٠) انظر: المجموع ١٤/ ١، البرهان للزركشي ١/ ٣٤٤، الإتقان للسيوطي ١/ ١٤٣.

وقال: ﴿ كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ إِلَيۡكَ مُبَٰرَكٞ ﴾[ص:٢٩].

٣٦. **القيم**[١]؛ فهو ذو قيمة، وهو قيم على غيره من الكتب، قال ﷻ: ﴿ أَنزَلَ عَلَىٰ عَبۡدِهِ ٱلۡكِتَٰبَ وَلَمۡ يَجۡعَل لَّهُۥ عِوَجَاۜ ۝١ قَيِّمٗا ﴾[الكهف:١-٢] وقال: ﴿ رَسُولٞ مِّنَ ٱللَّهِ يَتۡلُواْ صُحُفٗا مُّطَهَّرَةٗ ۝٢ فِيهَا كُتُبٞ قَيِّمَةٞ ﴾[البينة:٢-٣].

٣٧. **حبل الله**[٢]؛ قال ﷻ: ﴿ وَٱعۡتَصِمُواْ بِحَبۡلِ ٱللَّهِ جَمِيعٗا وَلَا تَفَرَّقُواْ ﴾[آل عمران:١٠٣] وفي الحديث: [**ألا وإني تارك فيكم ثقلين: أحدهما كتاب الله ﷻ، هو حبل الله، من اتبعه كان على الهدى، ومن تركه كان على ضلالة**][٣].

٣٨. **المتشابه**[٤]؛ حيث يشبه بعضه بعضا، ويؤكد بعضه بعضا، ولا اختلاف فيه، قال ﷻ: ﴿ ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحۡسَنَ ٱلۡحَدِيثِ كِتَٰبٗا مُّتَشَٰبِهٗا مَّثَانِيَ ﴾[الزمر:٢٣].

٣٩. **المثاني**[٥]؛ كما في الآية السابقة، وإنما سمي مثاني؛ لأنه يكرر فيه الأمثال، والخبر، والعبر[٦]، «وعلى هذا القرآن كله مثانٍ»[٧].

٤٠. **الحكيم**[٨]؛ قال ﷻ: ﴿ الٓمٓ ۝١ تِلۡكَ ءَايَٰتُ ٱلۡكِتَٰبِ ٱلۡحَكِيمِ ﴾[لقمان:١-٢].

٤١. **المحكم**[٩]؛ قال ﷻ: ﴿ الٓرۚ كِتَٰبٌ أُحۡكِمَتۡ ءَايَٰتُهُۥ ثُمَّ فُصِّلَتۡ مِن لَّدُنۡ حَكِيمٍ خَبِيرٍ ﴾[هود:١].

٤٢. **الحكمة**[١٠]؛ قال ﷻ: ﴿ وَلَقَدۡ جَآءَهُم مِّنَ ٱلۡأَنۢبَآءِ مَا فِيهِ مُزۡدَجَرٌ ۝٤

---

(١) انظر: المجموع ١٤/ ٢، البرهان للزركشي ١/ ٣٤٤، الإتقان للسيوطي ١/ ١٤٤.
(٢) انظر: المجموع ١٤/ ١، البرهان للزركشي ١/ ٣٤٤، الإتقان للسيوطي ١/ ١٤٣.
(٣) أخرجه مسلم، كتاب فضائل الصحابة، باب/ من فضائل علي، ح(٢٤٠٨).
(٤) انظر: المجموع ١٤/ ١، البرهان للزركشي ١/ ٣٤٦، الإتقان للسيوطي ١/ ١٤٤.
(٥) انظر: المجموع ١٤/ ١، جمال القراء لعلم الدين السخاوي ١/ ٣٣، الإتقان للسيوطي ١/ ١٤٤.
(٦) انظر: جامع البيان لابن جرير ١/ ٧١.
(٧) جامع البيان لابن جرير ١/ ٧١.
(٨) انظر: المجموع ١٤/ ١، جمال القراء لعلم الدين السخاوي ١/ ٣٣، البرهان للزركشي ١/ ٣٤٤، الإتقان للسيوطي ١/ ١٤٣.
(٩) المجموع ١٤/ ٢.
(١٠) انظر: المجموع ١٤/ ٢، البرهان للزركشي ١/ ٣٤٤، الإتقان للسيوطي ١/ ١٤٣.

حِكْمَةٌ بَٰلِغَةٌ﴾[القمر:٥].

٤٣. **الحُكم**(١)؛ قال ﷻ: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَنزَلْنَٰهُ حُكْمًا عَرَبِيًّا﴾[الرعد:٣٧].

٤٤. **البرهان**(٢)؛ قال ﷻ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَكُم بُرْهَٰنٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكُمْ نُورًا مُّبِينًا﴾[النساء:١٧٤] قيل: هو القرآن(٣).

٤٥. **العلم**(٤)؛ قال الله تعالى: ﴿فَمَنْ حَآجَّكَ فِيهِ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ﴾ [آل عمران:٦١].

٤٦. **الحق**(٥)؛ قال ﷻ: ﴿وَيَكْفُرُونَ بِمَا وَرَآءَهُۥ وَهُوَ ٱلْحَقُّ مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَهُمْ﴾ [البقرة:٩١].

٤٧. **الوحي**(٦)؛ قال ﷻ: ﴿وَلَئِن شِئْنَا لَنَذْهَبَنَّ بِٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ﴾ [الإسراء:٨٦] وقال: ﴿قُلْ إِنَّمَآ أُنذِرُكُم بِٱلْوَحْىِ﴾[الأنبياء:٤٥].

٤٨. **النبأ العظيم**(٧)؛ ولا ريب أن القرآن خبر عظيم، وعظيم حقا، قال ﷻ: ﴿قُلْ هُوَ نَبَؤٌا۟ عَظِيمٌ ۝ أَنتُمْ عَنْهُ مُعْرِضُونَ﴾[ص:٦٧] وقال: ﴿عَمَّ يَتَسَآءَلُونَ ۝ عَنِ ٱلنَّبَإِ ٱلْعَظِيمِ﴾[النبأ:١-٢].

٤٩. **النذير**(٨) قال تعالى: ﴿قُرْءَانًا عَرَبِيًّا لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ۝ بَشِيرًا وَنَذِيرًا﴾ [فصلت:٢-٣] وقال: ﴿وَأُوحِىَ إِلَىَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ لِأُنذِرَكُم بِهِۦ وَمَنۢ بَلَغَ﴾[الأنعام:١٩].

٥٠. **أحسن الحديث**(٩)، قال الله تعالى: ﴿ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ ٱلْحَدِيثِ كِتَٰبًا﴾[الزمر:٢٣].

---

(١) انظر: المجموع ١٤/ ٢.

(٢) انظر: المجموع ١٤/ ٢. وذكر أنه أحد القولين في تفسير الآية.

(٣) انظر: معالم التنـزيل للبغوي ٢/ ٣١٥.

(٤) انظر: المجموع ١٤/ ٢، البرهان للزركشي ١/ ٣٤٥.

(٥) انظر: المجموع ١٤/ ٢، البرهان للزركشي ١/ ٣٤٥.

(٦) انظر: المجموع ١٤/ ٢، البرهان للزركشي ١/ ٣٤٥، الإتقان للسيوطي ١/ ١٤٤.

(٧) انظر: لمجموع ١٤/ ٢، وذكر أنه على قول في الآية، البرهان للزركشي ١/ ٣٤٤، الإتقان للسيوطي ١/ ١٤٤.

(٨) انظر: المجموع ١٤/ ٢، وذكر أنه قول في تفسير الآية.

(٩) انظر: المجموع ١٤/ ٢، البرهان للزركشي ١/ ٣٤٤، الإتقان للسيوطي ١/ ١٤٤.

٥١. **أحسن القصص**[١]، قال تعالى: ﴿ نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ ٱلْقَصَصِ بِمَآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ هَـٰذَا ٱلْقُرْءَانَ ﴾[يوسف:٣].

٥٢. **الشافع**[٢].

٥٣. **المشفع**[٣]، وجاء أن القرآن شافع في حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما مرفوعا: **[الصيام والقرآن يشفعان يوم القيامة...]**[٤]. وجاء في حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنهما مرفوعا: **[القرآن شافع مشفع]**.

٥٤. **الشاهد**[٥] قال الله تعالى: ﴿ أَفَمَن كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّهِۦ وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِّنْهُ ﴾[هود:١٧] قيل الشاهد: القرآن[٦]؛ فالقرآن يشهد على الناس بالموافقة أو المخالفة لأوامره.

٥٥. **الحجة**[٧]، وثبت عن النبي ﷺ أنه قال: **[...القرآن حجة لك أو عليك]**[٨].

٥٦. **القول**[٩]، قال ﷻ: ﴿ وَلَقَدْ وَصَّلْنَا لَهُمُ ٱلْقَوْلَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ۝ ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَـٰهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ مِن قَبْلِهِۦ هُم بِهِۦ يُؤْمِنُونَ ۝ وَإِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا بِهِۦٓ إِنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّنَآ إِنَّا كُنَّا مِن قَبْلِهِۦ مُسْلِمِينَ ﴾[القصص:٥١-٥٣].

٥٧. **العروة الوثقى**[١٠] قال ﷻ: ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱتَّبِعُوا۟ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُوا۟ بَلْ نَتَّبِعُ مَا

---

(١) انظر: المجموع ١٤/ ٢ وذكر أن هذا الاسم على قول.

(٢) انظر: المجموع ١٤/ ٢.

(٣) انظر: المجموع ١٤/ ٢.

(٤) أخرجه أحمد في المسند، ح(٦٦٢٦)، وغيره، وقال الهيثمي: «رواه أحمد والطبراني في الكبير ورجال الطبراني رجال الصحيح»، كما في مجمع الزوائد ٣/ ١٨١، وقال العلامة الألباني: «ورواه أحمد والحاكم وصححه، ووافقه الذهبي، وهو كما قالا» كما في تعليقه على مشكاة المصابيح ١/ ٦١٢، ح(١٩٦٣).

(٥) انظر: المجموع ١٥/ ٧٢.

(٦) انظر: زاد المسير لابن الجوزي ٤/ ٨٦، ٨٨، محاسن التأويل للقاسمي ٤/ ٢٩٥.

(٧) انظر: المجموع ١٤/ ٢.

(٨) أخرجه مسلم، كتاب الطهارة، باب/ فضل الوضوء، ح(٢٢٣)، من رواية أبي مالك الأشعري رضي الله عنه.

(٩) انظر: البرهان للزركشي ١/ ٣٤٥، الإتقان للسيوطي ١/ ١٤٤.

(١٠) انظر: البرهان للزركشي ١/ ٣٤٥.

وَجَدْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَآ ۚ أَوَلَوْ كَانَ ٱلشَّيْطَٰنُ يَدْعُوهُمْ إِلَىٰ عَذَابِ ٱلسَّعِيرِ ﴿٢١﴾ وَمَن يُسْلِمْ وَجْهَهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ ﴾[لقمان:٢١-٢٢].

٥٨. **القصص**[١]؛ قال الله تعالى: ﴿ نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ ٱلْقَصَصِ ﴾.

٥٩. **الصدق**[٢]، قال ﷻ: ﴿ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَذَبَ عَلَى ٱللَّهِ وَكَذَّبَ بِٱلصِّدْقِ إِذْ جَآءَهُۥٓ ۚ أَلَيْسَ فِى جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْكَٰفِرِينَ ﴿٣٢﴾ وَٱلَّذِى جَآءَ بِٱلصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِۦٓ ۙ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ ﴾[الزمر:٣٢-٣٣].

٦٠. **العدل**[٣]، قال ـ عز من قائلٍ ـ: ﴿ وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا ﴾.

هذه هي الأسماء التي ذكرها أهل العلم للقرآن الكريم، وينبغي في معرفة وسرد أسماء القرآن تتبع الآيات، والسنن المأثورات، دون الاجتهادات والقياسات[٤]،

---

(١) انظر: جمال القراء لعلم الدين السخاوي ١/ ٣٢، البرهان للزركشي ١/ ٣٤٦.

(٢) انظر: البرهان للزركشي ١/ ٣٤٦، الإتقان للسيوطي ١/ ١٤٥.

(٣) انظر: البرهان للزركشي ١/ ٣٤٦، الإتقان للسيوطي ١/ ١٤٥.

(٤) ومن التسميات التي لم تثبت للقرآن الكريم، تسميته بـ:

أ - **تسميته بـ (آلـم)!!**، وهذا ذكره ابن جرير الطبري ﷺ مسندا عن قتادة ومجاهد وابن جريج، أنهم قالوا: (ألم) اسم من أسماء القرآن. قال ابن جرير ﷺ: «الذين قالوا: إن (ألم) اسم من أسماء القرآن فلقولهم ذلك وجهان: أحدهما: أن يكونوا أرادوا أن (ألم) اسم للقرآن، كما الفرقان اسم له...، والآخر منهما: أن يكونوا أرادوا أنه اسم من أسماء السورة التي تعرف به، كما تعرف سائر الأشياء بأسمائها التي هي لها أمارات تعرف بها؛ فيفهم السامع من القائل يقول: قرأت اليوم (ألمص) و(ن)، أي السور التي قرأها من سور القرآن». جامع البيان في تفسير القرآن للطبري ١/ ١٢١-١٢٢، والذي يظهر ـ والله تعالى أعلم ـ أن تسمية القرآن بهذا لا يصح، وذلك من وجوه: أ ـ أن هذا لم يثبت مرفوعا عن النبي ﷺ. ب ـ أن هذا لم يثبت موقوفا على الصحابة أيضا. ج ـ أن هذا لا يدل عليه سياق الآية. د ـ أن الأسماء المعظمة لا تكون من الأسماء الجامدة التي لا تدل على معاني، بل تكون أسماء مع كونها تحمل في دلالاتها المعاني الحسنة الجميلة، و(آلم) على القول باسميتها فهي جامدة. د ـ أن مقصودهم بالتسمية هنا الإشارة والدلالة على القرآن لا العلمية المطلقة.

ب - **جونة المسك**، وقد روي هذه اللفظة عن حبيب العجمي أبو محمد كما في شرح أصول اعتقاد أهل السنة للالكائي ٩/ ٢٥٧، وذكر محققه أنه منقطع لا يصح عن التابعي حبيب، **والجونة** التى يعد فيها الطيب ويحفظ، كما في النهاية لابن الأثير ١/ ٣١٩.

ج - **تسميته بالزبر**، وقد ذكر هذه التسمية السيوطي حيث قال في وصف الصديق ﷺ: «وهو الذي جمع

فتسمية القرآن أمر ليس لكل أحد، بل هو أمر ينبغي الوقوف فيه على الشرع، والاسم هو ما به يشار إلى الشيء؛ فيقال: هذا كتاب، وهذا هدى، بحيث تكون العلمية فيه متميزة، وهذا بخلاف الوصف؛ فإنه مما يوصف به الشيء، وقد لا يكون علما، وقد يكون اللفظ اسما ووصفا، وهذا هو الغالب في الأسماء المعظمة، كأسماء الله ﷻ وأسماء القرآن.

وهذه الأسماء الواردة للقرآن كل اسم يدل على معنى من صفاته، ليس هو المعنى الذي دل عليه الاسم الآخر، فأسماء كتابه: القرآن، والفرقان، والكتاب، والهدى، والبيان، والشفاء، والنور، ونحو ذلك، هي بهذه المنـزلة(١).

وهذه الأسماء التي ذكرتها هي لكلام الله ﷻ الموجود في المصحف، حين الإطلاق دون غيرها من كلام الله ﷻ، وأبين الآن الأدلة الدالة على أن ما في المصحف هو القرآن في المطلب التالي.

= القرآن في صحف وأول الناس من سمى المصحف الزبرا» كما في تاريخ الخلفاء ص ٤٤٤، ومعنى **الزُّبر**: «من قولك: زَبَرت الكتاب أزبُره إذا أتقنت كتابته». كما في النهاية لابن الأثير ٢/ ٢٩٣، لكن مراد السيوطي ـ والله أعلم ـ أنه يريد بالزبر: المصحف، وإنما أتى بلفظ الزبر للبيت، ومما يدل على هذا الترجيح أنه قال في تاريخه ص ٢٧ عن الصديق ﷺ (وأول من سمى المصحف مصحفا).

د – **أما تسمية المصحف بالزبور** ففي تفسير قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي ٱلزَّبُورِ مِنۢ بَعْدِ ٱلذِّكْرِ أَنَّ ٱلْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ ٱلصَّٰلِحُونَ ﴾[الأنبياء:١٠٥] قيل: المراد بالزبور: القرآن، وقيل الكتب قبل التوراة، وقيل ـ وهو الذي رجحه ابن جرير ـ أنه اسم جنس يشمل كل كتاب.

هـ – **تسميته بالإنجيل**، وقد يحتجون بما جاء عن قتادة ﷺ أنه قال في صفة هذه الأمة، في الكتب السابقة، وأنه مكتوب فيها: [أناجيلهم في صدورهم] ذكره القرطبي في تفسيره ٤/ ٦، والحافظ ابن كثير في تفسيره ٢/ ٢٤٩، ولم يذكر من خرجه، ولم أجده مرفوعا إلا عند الطبراني في المعجم الكبير ١٠/ ٨٩، من رواية ابن مسعود ﷺ، وهذا المراد به الجنس وهو الكتاب الذي أنزل إليهم، كما قال شيخ الإسلام ﷺ: «ولفظ التوراة والإنجيل والقرآن والزبور قد يراد به الكتب المعينة، ويراد به الجنس فيعبر بلفظ القرآن عن الزبور وغيره...، والمراد به قرآنه، وهو الزبور، ليس المراد به القرآن الذي لم ينـزل إلا على محمد ﷺ، وكذلك ما جاء في صفة أمة محمد ﷺ أناجيلهم في صدورهم فسمى الكتب التي يقرؤونها وهي القرآن أناجيل، وكذلك في التوراة إني سأقيم لبني إسرائيل نبيا من إخوتهم أنزل عليه توراة مثل توراة موسى فسمى الكتاب الثاني توراة». الجواب الصحيح ٥/ ١٥٦، وقال السيوطي كما في الإتقان ١/ ١٤٩ ـ بعد أن أورد أثر جابر وغيره ـ: «ومع هذا لا يجوز الآن أن يطلق عليه ذلك»، أي لا يجوز تسمية القرآن توراة ولا إنجيلا.

(١) انظر: المجموع ٧/ ١٨٥-١٨٦.

المطلب الثالث: الدليل على أن ما في المصحف هو القرآن.

والاستدلال لهذا يكاد يكون من باب تحصيل الحاصل، لأنه قد علم بالاضطرار من دين الإسلام أن ما في المصحف هو القرآن، وهذه ضرورة يجدها كل منصف ومتبع للحق.

وكتابة القرآن في مصحف واحد لم يكن قد تم في عهد النبي ﷺ، لأن القرآن كان ينـزل شيئا فشيئا، وكانت الآية تنسخ بعد نزولها، فلاحتمال النسخ، أو زيادة النـزول لم يكن جمع في مصحف واحد، وإنما كان مكتوبا في مختلف الوسائل المتاحة في ذاك العصر، ولما توفي النبي ﷺ وانقطع الوحي، قام الصحابة ﷺ بجمعها[(١)] في عهد الصديق ﷺ في صحف، ثم نسخت في عهد عثمان ﷺ في مصحف واحد عدة نسخ وأرسلت إلى الأمصار، واشتهرت هذه المصاحف في الديار[(٢)].

وقد دل الكتاب والآثار والإجماع والمعقول على أن ما في المصحف هو القرآن:

فمن القرآن:

١ ـ قول الله ﷻ: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَـٰفِظُونَ ﴾[الحجر:٩] «أي: وإنا للقرآن لحافظون من أن يزاد فيه باطل ما ليس منه، أو ينقص منه ما هو منه»[(٣)]، **وفيها:** دلالة على حفظ القرآن من التغيير والتبديل، والزيادة والنقصان[(٤)]، وأن الموجود بين الدفتين هو المحفوظ بأمر الله ـ تعالى ـ، وعلى هذا كان إجماع الصحابة واتفاقهم، فالقرآن محفوظ «عن كل ما لا يليق به من تصحيف وتحريف وزيادة ونقصان، ونحو ذلك، فالقرآن العظيم المحفوظ من هذه الأشياء كلها لا يقدر واحد

---

(١) انظر: المجموع ٢١/ ٣١٨.

(٢) انظر: شرح السنة للبغوي ٤/ ٥١٩، وفتح البيان لصديق حسن ٥/ ١٦٩، وسيأتي الحديث عن كتابة القرآن الكريم، في الفصل الثالث من الباب الثالث.

(٣) جامع البيان ٧/ ٤٩٣.

(٤) انظر: المرشد الوجيز في علوم الكتاب العزيز ص ٦٨، الجامع لأحكام القرآن ١/ ٦٠، وانظر: الفصول في الأصول ٢/ ٢١٦.

من جميع الخلق من الإنس والجن أن يزيد فيه أو ينقص منه حرفا واحدا، أو كلمة واحدة، وهذا مختص بالكتاب العزيز بخلاف سائر الكتب المنزلة فإنه قد دخل على بعضها تلك الأشياء، ولما تولى الله حفظ هذا الكتاب بقي مصونا إلى الأبد، محروسا من الزيادة والنقصان وغيرهما»[(١)].

٢ ـ قول الله ﷻ: ﴿ الٓرۚ كِتَٰبٌ أُحۡكِمَتۡ ءَايَٰتُهُۥ ثُمَّ فُصِّلَتۡ مِن لَّدُنۡ حَكِيمٍ خَبِيرٍ ﴾[هود:١] وفيها دلالة على بدعة وضلال وكفر من ادعى أن ما في المصحف ليس هو القرآن كله، لأن معنى أحكمت آياته: منع الخلق من القدرة على أن يزيدوا فيها أو ينقصوا منها، أو يعارضوا بمثلها[(٢)].

٣ ـ قوله تعالى: ﴿ إِنَّ عَلَيۡنَا جَمۡعَهُۥ وَقُرۡءَانَهُۥ ﴾[القيامة:١٧] «وقد أعلم الله تعالى في القرآن بأنه مجموع في الصحف في قوله ﴿ رَسُولٌ مِّنَ ٱللَّهِ يَتۡلُواْ صُحُفًا مُّطَهَّرَةً ﴾[البينة:٢]، وكان القرآن مكتوبا في الصحف، لكن كانت مفرقة، فجمعها أبوبكر في مكان واحد، ثم كانت بعده محفوظة إلى أن أمر عثمان ﷺ بالنسخ منها فنسخ منها عدة مصاحف، وأرسل بها إلى الأمصار»[(٣)]. **ففي الآية إشارة إلى أن جمع القرآن في المصحف على هذا** النحو الموجود هو برعاية الله تعالى، وهو من حفظه له[(٤)].

وأما الأدلة من الآثار فهي كثيرة منها:

١ ـ قول النبي ﷺ: [**لا تسافروا بالقرآن فإني لا آمن أن يناله العدو**]، وفي رواية: [**أنه كان ينهى أن يسافر بالقرآن إلى أرض العدو، مخافة أن يناله العدو**][(٥)]. قال النووي رحمه الله: «فيه النهي عن المسافرة بالمصحف إلى أرض الكفار للعلة المذكورة في الحديث»[(٦)]. وهذا يدل على أن ما في المصحف هو القرآن، من غير زيادة ولا نقصان.

---

(١) فتح البيان لصديق حسن ٥/ ١٦٨.

(٢) الجامع لأحكام القرآن ١/ ٦٠، محاسن التأويل ٤/ ٢٨٦.

(٣) الفتح ٨/ ٦٣٠.

(٤) انظر: تكملة أضواء البيان للشيخ عطية محمد سالم ٨/ ٣٦٨.

(٥) أخرجه مسلم، كتاب الإمارة، باب/ النهي أن يسافر بالقرآن...، ح(١٨٦٩) من رواية عبد الله بن عمر رضي الله عنه.

(٦) المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج ١٣/ ١٣.

٢ ـ حديث: [**لا يمس القرآن إلا طاهر**][١] ففيه دليل على أن ما في المصحف هو القرآن[٢]، فإن الله يقول: ﴿ إِنَّهُۥ لَقُرۡءَانٞ كَرِيمٞ ﴿٧٧﴾ فِي كِتَٰبٖ مَّكۡنُونٖ ﴿٧٨﴾ لَّا يَمَسُّهُۥٓ إِلَّا ٱلۡمُطَهَّرُونَ ﴾[الواقعة:٧٧-٧٩] فلما نهى رسول الله ﷺ عن مس القرآن إلا طاهرا تيقنا أن الموجود في المصحف هو القرآن الذي لا يمسه إلا المطهرون.

٣ ـ قال ابن عباس ﷺ: [**ما ترك النبي ﷺ إلا ما بين الدفتين**][٣]. وقد ذكر هذا الحديث الإمام البخاري ﵀ تحت باب: «من قال لم يترك النبي ﷺ إلا ما بين الدفتين»[٤]. قال الحافظ ابن حجر﵀: «أي ما في المصحف،... وهذه الترجمة للرد على من زعم أن كثيرا من القرآن ذهب لذهاب حملته»[٥]، وفي رواية: «لم يَدَعْ إلا ما في هذا المصحف، أي: لم يدع من القرآن ما يتلى إلا ما هو داخل المصحف الموجود»[٦].

٤ ـ قال سمرة بن جندب[٧] ﷺ: [**عُرِض القرآن على رسول الله ﷺ عرضات، فيقولون: إن قراءتنا هذه هي العرضة الأخيرة**][٨]. ومعلوم أن الصحابة ﷺ إنما أثبتوا ما كان في العرضة الأخيرة في هذا المصحف، وهذا دليل بين أن القرآن المحكم تلاوته موجود كله في المصحف الذي جمعه الصحابة ﷺ.

---

(١) رواه مالك في الموطأ مرسلا، كتاب القرآن، باب/ الأمر بالوضوء لمن مس القرآن، ح(١)، وابن حبان في صحيحه، كتاب أخباره ﷺ، باب/ كتب النبي ﷺ، ح(٦٥٢٥)موصولا عن أبي بكر بن محمد بن حزم عن أبيه عن جده موصولا، وانظر: موارد الظمآن ١/ ٢٠٣، ح ٧٩٣، و إرواء الغليل للشيخ الألباني ١/ ١٥٨، ح(١٢٢)وقال: «صحيح» وذكر طرق الحديث، وأوفى البحث حقه.

(٢) انظر: المجموع للنووي ٢٠/ ٢٦٢.

(٣) أخرجه البخاري، كتاب فضائل القرآن، باب/ من قال لم يترك النبي ﷺ إلا ما بين الدفتين، ح(٥٠١٩).

(٤) انظر: صحيح البخاري ص ١٠٩٢.

(٥) الفتح ٨/ ٦٨٣.

(٦) الفتح ٨/ ٦٨٣.

(٧) هو الصحابي الجليل: سمرة بن جندب بن هلال بن جريج أبو سليمان، كان من حلفاء الأنصار، توفي قبل الستين. انظر الإصابة ٢/ ٧٩.

(٨) أخرجه الحاكم في المستدرك، كتاب التفسير، أحاديث نزول القرآن، ح(٢٩٠٤)، وقال: «هذا حديث صحيح على شرط البخاري بعضه، وبعض على شرط مسلم ولم يخرجاه»، وقال الذهبي كما في التلخيص: «صحيح»، وقال الحافظ ابن حجر: «إسناده حسن» كما في الفتح ٨/ ٦٦١.

قال عبيدة السلماني[١] رحمه الله: «إن الذي جمع عليه عثمان الناس يوافق العرضة الأخيرة»[٢]، وقال أبو عبد الرحمن السلمي رحمه الله: «كانت قراءة أبي بكر وعمر وعثمان، وزيد بن ثابت، والمهاجرين والأنصار واحدة، كانوا يقرؤون قراءة العامة، وهي القراءة التي قرأها رسول الله ﷺ على جبريل مرتين في العام الذي قبض فيه»[٣].

٥ ـ قال عمر رضي الله عنه في فرضية رجم الشيخ والشيخة إذا زنيا: [**لولا أن يقول الناس زاد عمر في كتاب الله لكتبت آية الرجم بيدي**][٤]. ففي قول عمر رضي الله عنه دلالة على ثبوت حكم الرجم وأنه إنما لم يثبتها آية لا هو ولا الصديق قبله، ولا الخليفتان بعده لعلمهم أنها نسخت تلاوة، وترك عمر رضي الله عنه كتابتها في المصحف دليل على أنه قد رأى ذلك[٥]، والصحابة وافقوه عليه.

٦ ـ عن شداد[٦] قال: قال ابن مسعود رضي الله عنه : [**لينتزعن هذا القرآن من بين أظهركم؟ قال، قلت: يا أبا عبد الرحمن! كيف ينتزع وقد أثبتناه في صدورنا، وأثبتناه في مصاحفنا؟ قال: يسري عليه في ليلة فلا يبقى في قلب عبد منه، ولا مصحف منه شيء، ويصبح الناس فقراء كالبهائم، ثم قرأ عبد الله:** ﴿وَلَئِن شِئْنَا لَنَذْهَبَنَّ بِٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ بِهِۦ عَلَيْنَا وَكِيلاً﴾[الإسراء:٨٦]][٧].

وإذا ثبت أن الذي يُرفع هو هذا الموجود في المصاحف علمنا أنه هو الموحى المتلو، وهو المحفوظ في الصدور والسطور إلى هذا العصر، وحتى يشاء الله تعالى رفعه.

---

(١) هو التابعي المخضرم: عبيدة بن عمرو السلماني المرادي، أبو عمرو الكوفي، فقيه ثبت، أخرجه له أصحاب الكتب، توفي قبل السبعين. انظر: التقريب ص ٣٢٠.

(٢) انظر: الفتح ٨/ ٦٦١.

(٣) شرح السنة للبغوي ٤/ ٥٢٥.

(٤) أخرجه البخاري معلقا مجزوما به، كتاب الأحكام، باب/ الشهادة تكون عند الحاكم...، ص ١٥٠٣، وأخرجه مالك في الموطأ موصولا، كتاب الحدود، باب/ ما جاء في الرجم، ح(١٠).

(٥) انظر: مختصر التحرير ٢/ ١٢٩، والفصول في الأصول ٢/ ٢٥٧، ٢٥٩.

(٦) هو: شداد بن معقل الكوفي، صدوق، له ذكر في البخاري، تابعي كبير. انظر: التقريب ص ٢٠٦.

(٧) أخرجه عبد الرزاق في مصنفه ٣/ ٣٦٢ ح(٥٩٨٠)، ورواه الدارمي في سننه، ح(٤٢٧،٤٢٦).

٧ ـ قالت امرأة لابن مسعود ﷺ لما ذكر لعن الواشمات والمستوشمات: [لقد قرأت ما بين لوحي المصحف فما وجدته؟ فقال: والله لئن كنت قرأتيه لقد وجدتيه...][(١)]. أي أنها قرأت ما بين دفتي المصحف من أول القرآن وآخره على وجه الاستيعاب، وأرادت بهذا التأكيد أنها قرأت القرآن كله[(٢)]، وهذا يؤكد أن القرآن عندهم ما كان بين اللوحين، وهو المصحف.

وأما الدليل من الإجماع:

فقد ذكره غير واحد من أهل العلم الراسخين، الذين يستنار بأقوالهم في الدين، وأذكر بعضهم لا على سبيل الحصر، وإنما أفعل ذلك تنبيها باليسير على الكثير، وتنبيها بالبعض على الكل:

أجمع الصحابة على أن ما في هذا المصحف هو القرآن، وما عدا **ذلك** فهو إما منسوخ حكما وتلاوة، أو منسوخ تلاوة لا حكما، وقد حكى عنهم الإجماع أئمة جهابذة، وعلماء نقاد، واتفاقهم ﷺ كان «سببا لبقاء القرآن في الأمة رحمة من الله ﷻ على عباده، وتحقيقا لوعده في حفظه»[(٣)].

وأما ما حكي من الخلاف اليسير فيما بينهم على مصحف عثمان ﷺ فالظاهر أنه كان في أول الأمر، كما كان التردد منهم في كتابته في صحف أيام أبي بكر ﷺ ثم استقر الإجماع بينهم وبعدهم على أن ما في المصحف هو القرآن المحفوظ، وهو القرآن المتلو، المحكم الباقي، وسيبقى إلى أن يشاء الله ثم يرفعه[(٤)]، وأما القراءات المروية التي تروى عنهم صحيحة، ولا توافق المصحف، فهذا «وقع من بعضهم قبل أن يبلغهم مصحف

---

(١) أخرجه البخاري، كتاب التفسير، باب/ ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ﴾، ح(٤٨٨٦)، ومسلم، كتاب اللباس والزينة، باب/ تحريم فعل الواصلة...، ح(٢١٢٥)، وأبو داود، كتاب الترجل، باب/ في صلة الشعر، ح(٤١٦٩).

(٢) انظر: عون المعبود شرح سنن أبي داود لشمس الحق عظيم آبادي ١١/ ١٥١.

(٣) شرح السنة للبغوي ٤/ ٥٢٣.

(٤) انظر: الفتح ٨/ ٦١٦.

عثمان المجمع عليه، المحذوف منه كل منسوخ، وأما بعد ظهور مصحف عثمان فلا يظن بأحد منهم أنه خالف فيه »[١].

وأشرع الآن في ذكر بعض أقوال أهل العلم الذين نقلوا أن القرآن هو الموجود في مصاحف المسلمين، وحكوا الإجماع في هذه المسألة:

١. قال الإمام محمد بن الحسن الشيباني ﷺ: « ما بين الدفتين كله قرآن »[٢]. وهذا يؤكد أن ما في المصحف هو القرآن.

٢. قال إمام أهل السنة أحمد بن حنبل ﷺ: « أجمع أصحاب رسول الله ﷺ على هذا المصحف »[٣]. يعني المصحف الذي كتب في عهد عثمان ﷺ، وأرسل إلى الأمصار، وأنه هو المشهور المجمع عليه بينهم.

٣. قال الإمام ابن عبد البر ﷺ: « وأجمع العلماء على أن ما في مصحف عثمان بن عفان ﷺ وهو الذي بأيدي المسلمين اليوم في أقطار الأرض حيث كانوا، هو القرآن المحفوظ الذي لا يجوز لأحد أن يتجاوزه...، وإنما حل مصحف عثمان هذا المحل لإجماع الصحابة، وسائر الأمة عليه، ولم يجمعوا على ما سواه »[٤].

٤. قال ابن حزم ﷺ: « واتفقوا أنه لا يكتب في المصحف متصلا بالقرآن ما ليس من القرآن »[٥]. وهذا فيه بيان جلي أن ما في المصحف هو القرآن.

٥. قال البيهقي ﷺ: « والأصل ما استقرت عليه القراءة في السنة التي توفي فيها رسول الله ﷺ، بعد ما عارضه به جبرائيل عليه السلام في تلك السنة مرتين، ثم اجتمعت الصحابة على إثباته بين الدفتين »[٦].

---

(١) المجموع ٦/ ١٠٩، وانظر: التمهيد لابن عبد البر ٤/ ٢٧٩، المجموع ٢٠/ ٣٥، الفصول في الأصول ٢/ ٢٥٣.

(٢) انظر: المبسوط للسرخسي ١/ ١٦، المجموع للنووي ٣/ ٢٨١.

(٣) طبقات الحنابلة لابن أبي يعلى ١/ ٢٨١.

(٤) التمهيد لابن عبد البر ٤/ ٢٧٨-٢٧٩.

(٥) مراتب الإجماع لابن حزم ص ١٧٤.

(٦) السنن الكبرى للبيهقي ٢/ ٣٨٥.

٦. قال الإمام البغوي ﷺ: «فجمع الله ﷻ الأمة بحسن اختيار الصحابة على مصحف واحد هو آخر العرضات من رسول الله ﷺ، كان أبو بكر الصديق ﷺ أمر بكتابته جمعا بعد ما كان مفرقا في الرقاع بمشورة الصحابة حين استحر القتل بقراء القرآن يوم اليمامة، فخافوا ذهاب كثير من القرآن بذهاب حملته، فأمر بجمعه في مصحف واحد، ليكون أصلا للمسلمين، فيرجعون إليه، ويعتمدون عليه، فأمر عثمان بنسخه في المصاحف، وجمع القوم عليه، وأمر بتحريق ما سواه، قطعا لمواد الخلاف، فكان ما يخالف الخط المتفق عليه في حكم المنسوخ، والمرفوع، كسائر ما نسخ ورفع منه باتفاق الصحابة. **والمكتوب بين اللوحين هو المحفوظ من الله ﷻ** للعباد، وهو الإمام للأمة، فليس لأحد أن يعدو في اللفظ إلى ما هو خارج من رسم الكتابة»[1].

٧. قال الإمام السمعاني[2] ﷺ: «وكتاب الله هو المنقول إلينا بطريق التواتر، على وجه يوجب العلم المقطوع الذي لا يخامره شك ولا شبهة، وهو المثبت بين الدفتين»، وقال: «وقد دل اتفاق المسلمين على أن ما بين الدفتين كلام الله تعالى»[3].

٨. قال أبو بكر بن الطيب الباقلاني[4] ﷺ: «إن جميع القرآن الذي أنزله الله تعالى، وأمر بإثبات رسمه ولم ينسخه ويرفع تلاوته بعد نزوله هو هذا الذي بين الدفتين، الذي حواه مصحف عثمان ﷺ وأنه لم ينقص منه شيء، ولا زيد فيه، وأن بيان الرسول ﷺ كان بجميعه بيانا شائعا ذائعا، وواقعا على طريقة واحدة، ووجه تقوم به الحجة، وينقطع به العذر، وأن الخلف نقله عن السلف على هذه السبيل... وأن ترتيبه ونظمه ثابت على ما نظمه الله سبحانه، ورتبه عليه رسوله من آي السور، لم يقدم من

---

(١) شرح السنة للبغوي ٤/ ٥١١، وانظر: الفتح ٨/ ٦٧٤.

(٢) هو الإمام السني: منصور بن محمد بن عبد الجبار التيمي السمعاني المروزي، الحنفي ثم الشافعي، أبو المظفر، من مؤلفاته: تفسير القرآن، وقواطع الأدلة في أصول الفقه، توفي ٤٨٩ هـ. انظر السير ١٩/ ١١٤، شذرات الذهب ٣/ ٣٩٣.

(٣) قواطع الأدلة ١/ ٣٣،٣٧.

(٤) هو رأس المتكلمين المشهور: أبو بكر محمد بن الطيب الباقلاني الأشعري، وهو من أكثر الناس كلاما وتصنيفا في الكلام، وله مؤلفات كثيرة، توفي سنة ٤٠٣ هـ. انظر: البداية والنهاية لابن كثير ١١/ ٤٢٦.

ذلك مؤخر، ولا أخر مقدم، وأن الأمة ضبطت عن النبي ﷺ ترتيب آي كل سورة، ومواضعها، وعرفت مواقعها، كما ضبطت نفس القرآن، وذات التلاوة»[١].

٩. قال الأصولي السرخسي الحنفي[٢] رحمه الله: «اعلم بأن الكتاب هو القرآن المنـزل على رسول الله ﷺ، المكتوب في دِفات المصاحف...، وإنما اعتبرنا الإثبات في دِفات المصاحف، لأن الصحابة رضي الله عنهم إنما أثبتوا القرآن في دِفات المصاحف لتحقيق النقل المتواتر فيه، ولهذا أمروا بتجريد القرآن في المصاحف»[٣].

١٠. قال الفقيه أبو يعلى رحمه الله: «ودعاء القنوت ليس من القرآن، خلافا لقوم في قولهم هو من القرآن، والدلالة عليه: أنه لو كان من القرآن لأثبتته الصحابة بين الدِفتين، فلما لم يثبتوا ذلك دل على أنه ليس من القرآن بإجماع الصحابة»[٤].

١١. قال العلامة النووي رحمه الله: «ونحن نعلم بالضرورة أن الصحابة الذين كتبوا المصاحف، نقلوا إلينا ما كتبوه بين لوحي المصحف، كلام الله الذي أنزله إلى نبيه، لم يكتبوا فيه ما ليس من كلام الله»[٥].

١٢. قال العلامة ابن قدامة رحمه الله: «فإنه ـ أي القرآن ـ بين دِفتي المصحف بإجماع المسلمين»[٦].

١٣. قال العلامة القرطبي رحمه الله: «والقرآن الذي جمعه عثمان بموافقة الصحابة رضي الله عنهم لو أنكر بعضه منكر كان كافرا، حكمه حكم المرتد، يستتاب فإن تاب وإلا ضربت عنقه»[٧]، وقال في قراءة ما لم يثبت في المصحف: «إنه نُسِخَ، إذ لم يثبت

---

(١) المرشد الوجيز لأبي شامة ص ٤٥-٤٦.

(٢) هو: الفقيه الأصولي الحنفي: محمد بن أحمد بن أبي سهل شمس الأئمة أبو بكر السرخسي، وكان من المجتهدين في المذهب الحنفي، وبرع فيه، ألف كتابه الكبير: المبسوط في الفقه وهو في السجن، توفي سنة ٤٣٨ هـ. انظر: الفوائد البهية ص ١٥٨.

(٣) المحرر في أصول الفقه للسرخسي ١/ ٢١٠.

(٤) المعتمد في أصول الدين ص ٢٥٨.

(٥) نصب الراية للزيلعي ١/ ٣٢٨-٣٢٩.

(٦) المجموع لشيخ الإسلام ابن تيمية ٩/ ٣٩٩.

(٧) الجامع لأحكام القرآن ١/ ٦٠.

نقله في المصحف، ولا تواتر»[١].

١٤. قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: «والقرآن الذي أنزله الله على رسوله ﷺ هو هذا القرآن الذي يقرؤه المسلمون، ويكتبونه في مصاحفهم...، وهذا القرآن في المصاحف»[٢]، وقال: «والقرآن الذي أنزله الله على محمد ﷺ هو ما بين الدفتين»[٣]، وقال: «والقرآن الذي بين لوحي المصحف متواتر، فإن هذه المصاحف المكتوبة اتفق عليها الصحابة، ونقلوها قرآنا عن النبي ﷺ، وهي متواترة من عهد الصحابة رضي الله عنهم، نعلم علما ضروريا أنها ما غيرت»[٤]، وقال: «أجمع المسلمون على أن المعوذتين والفاتحة وسائر السور المكتوبة في المصحف قرآن، وأن من جحد شيئا منه كفر، وما نقل عن ابن مسعود في الفاتحة والمعوذتين باطل ليس بصحيح عنه[٥] قال ابن حزم في أول كتابه المجاز: هذا كذب على ابن مسعود موضوع»[٦].

١٥. قال العلامة ابن القيم رحمه الله في معرض حديثه في إثبات القياس بما فعله الصحابة: «وكذلك اتفاقهم على كتابة المصحف، وجمع القرآن فيه، وكذلك اتفاقهم على جمع الناس على مصحف واحد»[٧] وقال: «وثبوت القرآن وكونه في المصاحف أمر معلوم، ومشاهد أن نفس القرآن أثبت في المصاحف»[٨].

١٦. قال العلامة بدر الدين بن بهادر الزركشي الشافعي[٩] رحمه الله: «وأجمعوا

---

(١) الجامع لأحكام القرآن ١٣/ ٩٦.

(٢) المجموع ٣/ ٤٠١.

(٣) المجموع ٣/ ٤٠٣.

(٤) المجموع ١٢/ ٥٦٩، وانظر: ١٢/ ٥٦، ٢٦٣، ١٣٨، ٥٣٧، الرد على المنطقيين ص ٤٥٢، مختصر الفتاوى المصرية للبعلي ص ٥١.

(٥) سيأتي مزيد بيان لما روي عن ابن مسعود رضي الله عنه في الرد على الروافض في الباب الرابع.

(٦) المجموع ٣/ ٣٥٠، وانظر: الغرة المنيفة لأبي حفص عمر الغزنوي ص ٤٢.

(٧) إعلام الموقعين عن رب العالمين ١/ ١٦١.

(٨) دقائق التفسير ٢/ ١٩٦ بتصرف يسير.

(٩) هو الفقيه الأصولي المحدث: محمد بن بهادر بدر الدين الزركشي المصري الشافعي، أخذ عن الأسنوي وغيره، وصار مقدما في الفقه الشافعي، وله مشاركات في علوم شتى، له البحر المحيط في أصول الفقه، =

على أن ما بين دفتي المصحف كلام الله تعالى»[١].

١٧. قال العلامة الفقيه البعلي[٢] ﵀: «والكتاب كتاب الله تعالى، وهو القرآن المكتوب في المصحف»[٣].

١٨. قال الحافظ ابن حجر ﵀: «والحق أن الذي جمع في المصحف هو المتفق على إنزاله المقطوع به، المكتوب بأمر النبي ﷺ»[٤]، **وقال:** «وفيه اهتمام الصحابة وأهل القرون الأول بالقرآن، والمنع من الزيادة في المصحف، وكذا من النقص»[٥].

وفي هذا القدر من نقل الإجماع كفاية لمن اعتبر، وتذكير لمن ادّكر، فكيف وقد عضد هذا الإجماعَ الكتابُ والخبر، فدل على أن ما في المصحف هو القرآن المنـزل على محمد ﷺ المتلو المتعبد به.

وأما دليل المعقول فمن وجوه:

الوجه الأول: أنه لما كان القرآن محفوظا بحفظ الله، فإن كل ما في المصحف هو القرآن المحفوظ، و«كل ما روي من القرآن، ولا نجده في مصحفنا فهو مما كان قرآنا ونسخ»[٦].

الوجه الثاني: أن المصحف منقول بالتواتر، محفوظ في الصدور، ولو عدمت المصاحف لم يكن للمسلمين بها حاجة، لكونهم يحفظون كتابهم، فالتواتر ثابت في نقل القرآن، فلا يرد عليه الغلط والخطأ مطلقا، فكل ما ليس في المصحف فهو ليس بقرآن متلو، فما «نقل آحادا فليس بقرآن، وذلك لأنا قاطعون بأن العادة تقضي بأن مثل هذا

= والمنثور في القواعد الفقهية، توفي سنة ٧٩٤ هـ. انظر: معجم المؤلفين ٩/ ١٢١.

(١) المنثور في القواعد للزركشي ٣/ ١٢٢.

(٢) هو الفقيه العلامة: محمد بن علي البعلي بدر الدين أبو عبد الله الحنبلي، وله جهود كثيرة في الاهتمام بعلوم شيخ الإسلام، ومن مؤلفاته: مختصر الفتاوى المصرية، توفي سنة ٧٧٧ هـ. انظر: رفع النقاب عن تراجم الأصحاب لابن ضويان ص ٣٢٩.

(٣) المطالع للبعلي ص ٣٩٩.

(٤) الفتح ٨/ ٦٤٦-٦٤٧.

(٥) الفتح ١٢/ ١٦١.

(٦) مختصر التحرير ١/ ١٠٠.

الكتاب الذي يكون هاديا للخلق... يمتنع أن لا يتواتر في تفاصيله، أي في أصله وأجزائه، ووضعه وترتيبه ومحله، إذ الدواعي تتوفر على نقله إلى أن يصير شائعا مستفيضا متواترا، فما لم يبلغ حد التواتر يقطع بأنه ليس من القرآن»[١].

الوجه الثالث: أنه لا يعقل أن يكتب الصحابة المصحف، ويتركوا شيئا من القرآن، وقد كان قصدهم، ومرامهم جمع القرآن، ولما جمعوا ما جمعوا بين الدفتين علمنا أن ذلك لكونه قرآنا، ولو لم يكن شيء منه قرآنا لما كتبوه، لكون ذلك يحمل على اعتقاد ما ليس بقرآن قرآنا[٢].

الوجه الرابع: أن هذا المصحف المعروف موجود الآن منه ملايين النسخ، وليس بينها خِلاف ولو في كلمة واحدة منه، فهذا دليل عقلي قطعي على حفظ الله ﷻ لكتابه العزيز، الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، وأنه هو الموجود بين الدِفتين، منذ عهد الخلفاء الراشدين ﷺ وإلى زماننا هذا، بل وحتى قيام الساعة[٣].

الوجه الخامس: أنه لا يصح أن يكون شيء من القرآن غير موجود في المصحف، «لأنه لو جاز أن يكون قرآنا غير ما في المصحف لجاز أن يكون لبعض ما في أيدينا من القرآن منسوخا بما ليس في أيدينا منه»[٤].

الوجه السادس: وجود الآيات في رسم المصحف، ووجودها بين دفاتها، وكتابتها في زمن الصحابة، ونقلها إلينا عبر القرون، هو أعظم دليل، وأبين حجة، في إثبات القرآنية للآيات المكتوبة في المصحف، وأن ما سواها ليست كذلك[٥].

فإذا ثبت أن ما في المصحف هو القرآن، فهنا يرد مسائل:

---

(١) شرح مختصر ابن الحاجب للأصفهاني ١/ ٤٦١، وانظر: المجموع ١٢/ ١٠٠، ١٥/ ٢٥٥.

(٢) انظر: إعانة الطالبين ١/ ١٣٩.

(٣) انظر: السير ٢/ ٤٤١.

(٤) مختصر اختلاف العلماء ٢/ ٣١٦.

(٥) انظر: إرشاد الفحول ص ٦٤ بتصرف.

المسألة الأولى: هل البسملة آية من القرآن إذ كتبت في المصحف؟

اتفق العلماء الربانيون، والأئمة المرضيون على أن البسملة بعض آية في كتاب الله ﷻ في سورة النمل، واتفقوا على أنها ليست بآية في أول براءة، ولا تكتب في أولها، كما ثبت ذلك عن الصحابة المهديين، ومن بعدهم.

واختلفوا فيما سوى ذلك من المواطن، أعني هل هي آية من الفاتحة وغيرها من السور، أم أنها كتبت للتبرك، وكررت للتنبيه على الفصل بين السور.

قال النووي رحمه الله: «وأجمعت الأمة على أنه لا يكفر من أثبتها ولا من نفاها لاختلاف العلماء فيها، بخلاف ما لو نفى حرفاً مجمعاً عليه، أو أثبت ما لم يقل به أحد، فإنه يكفر بالإجماع، وهذا في البسملة التي في أوائل السور غير براءة، وأما البسملة في أثناء سورة النمل ﴿ إِنَّهُۥ مِن سُلَيۡمَٰنَ وَإِنَّهُۥ بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴾[النمل:٣٠] فقرآن بالإجماع، فمن جحد منها حرفاً كفر بالإجماع»، **ثم ذكر** حجج من نفى البسملة في غير سورة النمل، ورد عليها، ثم استدل للقائلين بقرآنيتها، فقال: «واحتج أصحابنا بأن الصحابة رضي الله عنهم أجمعوا على إثباتها في المصحف جميعا في أوائل السور، سوى براءة بخط المصحف، بخلاف الأعشار وتراجم السور، فإن العادة كتابتها بحمرة ونحوها، فلو لم تكن قرآناً لما استجازوا إثباتها بخط المصحف من غير تمييز، لأن ذلك يحمل على اعتقاد أنها قرآن، فيكونون مغررين بالمسلمين، حاملين لهم على اعتقاد ما ليس بقرآن قرآنا، فهذا مما لا يجوز اعتقاده في الصحابة رضي الله عنهم»، **ثم بين أن الصحابة ما كتبوا في المصحف إلا القرآن**، فقال: «ولأنهم قصدوا تجريد المصحف مما ليس بقرآن ولهذا لم يكتبوا التعوذ والتأمين مع أنه صح الأمر بهما»، ثم بين رحمه الله السبب في عدم تكفير من أنكر قرآنية البسملة في أوائل السور، فقال: «وأما قولهم لو كانت قرآناً لكفر جاحدها، فجوابه من وجهين:

أحدهما: أن يقلب عليهم، فيقال: لو لم تكن قرآناً لكفر مثبتها.

الثاني: أن الكفر لا يكون بالظنيات، بل بالقطعيات، والبسملة ظنية»[(١)].

ومثل هذا وأبين منه ما سطره شيخ الإسلام ابن تيمية ﷺ، حيث قال: «والعمدة التى اعتمدها المصنفون فى الجهر بها ووجوب قراءتها إنما هو كتابتها فى المصحف بقلم القرآن، وأن الصحابة جردوا القرآن عما ليس منه، والذين نازعوهم دفعوا هذه الحجة بلا حق، كقولهم القرآن لا يثبت إلا بقاطع، ولو كان هذا قاطعا لكفر مخالفه... معتمدين على هذه الحجة، وأنه لا يجوز إثبات القرآن إلا بالتواتر، ولا تواتر هنا فيجب القطع بنفي كونها من القرآن.

والتحقيق أن هذه الحجة مقابلة بمثلها، فيقال لهم بل يقطع بكونها من القرآن حيث كتبت، كما قطعتم بنفي كونها ليست منه، ومثل هذا النقل المتواتر عن الصحابة بأن ما بين اللوحين قرآن، فإن التفريق بين آية وآية يرفع الثقة بكون القرآن المكتوب بين لوحي المصحف كلام الله، ونحن نعلم بالاضطرار أن الصحابة الذين كتبوا المصاحف نقلوا إلينا أن ما كتبوه بين لوحي المصحف كلام الله الذي أنزله على نبيه، لم يكتبوا فيه ما ليس من كلام الله.

فإن قال المنازع: إن قطعتم بأن البسملة من القرآن حيث كتبت، فكفروا النافي! قيل له: وهذا يعارض حكمه إذا قطعتم بنفي كونها من القرآن، فكفروا منازعكم، وقد اتفقت الأمة على نفى التكفير فى هذا الباب، مع دعوى كثير من الطائفتين القطع بمذهبه، وذلك لأنه ليس كل ما كان قطعيا عند شخص يجب أن يكون قطعيا عند غيره، وليس كل ما ادعت طائفة أنه قطعي عندها يجب أن يكون قطعيا فى نفس الأمر، بل قد يقع الغلط في دعوى المدعي القطع في غير محل القطع، كما يغلط في سمعه وفهمه ونقله، وغير ذلك من أحواله، كما قد يغلط الحس الظاهر في مواضع، وحينئذ فيقال: **الأقوال في كونها من القرآن ثلاثة: طرفان ووسط؛**

الطرف الأول قول من يقول: إنها ليست من القرآن إلا في سورة النمل...

---

(١) المجموع للنووي ٣/ ٣٣٤-٣٤٠، وانظر: مراتب الإجماع لابن حزم ص ١٧٤.

الطرف المقابل له قول من يقول: إنها من كل سورة آية، أو بعض آية...

القول الوسط: إنها من القرآن حيث كتبت، وأنها مع ذلك ليست من السور، بل كتبت آية في أول كل سورة، وكذلك تتلى آية منفردة في أول كل سورة، كما تلاها النبي ﷺ حين أنزلت عليه سورة: ﴿ إِنَّآ أَعْطَيْنَٰكَ ٱلْكَوْثَرَ ﴾[الكوثر:١][(١)]... ـ وهذا ـ قول سائر من حقق القول فى هذه المسألة وتوسط فيها جمعا من مقتضى الأدلة، وكتابتها سطرا مفصولا عن السورة، ويؤيد ذلك قول ابن عباس رضي الله عنهما: [**كان رسول الله ﷺ لا يعرف فصل السورة حتى تنزل عليه ﴿ بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴾**[(٢)]][(٣)] »[(٤)].

وبهذا يتبين أن البسملة حيث كتبت في المصحف فلكونها قرآنا، أما هل هي من الفاتحة أم لا؟ وهل يجهر بها في الصلاة؟ فهذا أمر آخر[(٥)]، والله تعالى أعلم.

المسألة الثانية: حكم ترتيب آيات المصحف.

اختلف العلماء في ترتيب السور في المصحف هل هو باجتهاد من الصحابة رضي الله عنهم، أم بتوقيف من النبي ﷺ؟ وهذه مسألة لا ينبني عليها خلاف في مسألة عقدية، إلا أنهم اتفقوا على أن من أراد كتابة المصحف أنه يلزمه الترتيب الموجود في المصحف، الذي اتفق عليه الصحابة رضي الله عنهم، واتباع منهجهم متحتم، والسير على خطاهم مُتَأَكّدٌ.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: « وترتيب السور بالاجتهاد لا بالنص في

---

(١) وحديث إنزال سورة الكوثر أخرجه الإمام مسلم، كتاب الصلاة، باب/ حجة من قال: البسملة آية...، ح(٤٠٠) من رواية أنس رضي الله عنه.

(٢) أخرجه أبو داود في سننه، كتاب الصلاة، باب/ من جهر بها، ح(٧٨٨)، وقال الألباني: « صحيح » كما في صحيح سنن أبي داود ١/ ٢٢٣، ح(٧٨٨).

(٣) المجموع ٢٢/ ٤٣٢-٤٣٥، وانظر: ٣/ ٢٨٣، ١٣/ ٣٩٩، ٢٢/ ٢٣٨ وما بعدها، و ٢٧٦ وما بعدها، والقواعد النورانية ص ١٦-١٨، وبدائع الصنائع للكاساني ١/ ٢٠٤، أحكام القرآن للجصاص ١/ ١٣، نصب الراية للزيلعي ١/ ٣٢٨، البحر الرائق ١/ ٣٣٠-٣٣١، الفتح ٨/ ٦٦٠، ٦٨٣، إرشاد الفحول للشوكاني ص ٦٤.

(٤) المجموع ٢٢/ ٤٣٢-٤٣٥.

(٥) انظر: المجموع للنووي ٣/ ٣٤١.

قول جمهور العلماء...، فيجوز قراءة هذه قبل هذه، وكذا في الكتابة، ولهذا تنوعت مصاحف الصحابة ﷺ في كتابتها.

لكن لما اتفقوا على المصحف في زمن عثمان ﷺ صار هذا مما سنه الخلفاء الراشدون، وقد دل الحديث أن لهم سنة يجب اتباعها»(١).

والحديث المشار إليه هو قوله ﷺ: [**عليكم بسنتي وسنة الخلفاء المهديين الراشدين، تمسكوا بها، وعضوا عليها بالنواجذ، وإياكم ومحدثات الأمور، فإن كل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة**](٢). فمهما يكن من أمر فإن الصحابة قد اتفقوا على هذا الترتيب في كتابة المصحف، ولا يجوز تغيير ما كتبوا بالتقديم والتأخير، لأن ذلك مخالف للإجماع.

وأما قراءة الآيات على الترتيب الموجود في السور في المصحف فهو أمر لازم، ليس لأحد أن يخالف في ترتيبها، لا قراءة، ولا كتابة، ومن فعل ذلك عامدا فقد خالف ما عليه الأمة، لأن ترتيب الآيات في مواضعها كتنـزيل الآية نفسها فالإيمان بها واجب، وعلى هذا اتفاق الأئمة، وهو اعتقاد الأمة.

عن عبد الله بن الزبير ﷺ أنه قال لعثمان ﷺ في قوله تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَٰجًا وَصِيَّةً لِّأَزْوَٰجِهِم مَّتَٰعًا إِلَى ٱلْحَوْلِ غَيْرَ إِخْرَاجٍ ﴾[البقرة:٢٤٠] قال: [**قد نسختها الآية الأخرى، فلم تكتبها؟ أو تَدَعُها؟ قال: يا ابن أخي، لا أغير شيئا منه من مكانه**](٣).

---

(١) الفروع لابن مفلح ١/ ٤٢١، وهذا يدل على أن كتابتها في زمن الصحابة كان سائغا على حسب ما رأوه من الترتيب، لكن بعد الإجماع على ترتيبه في هذا المصحف، صار اتباع ذلك هو السنة، وخلافه غير سائغ، أعني كتابة المصحف على غير هذا الترتيب ـ والله أعلم ـ.

(٢) أخرجه أبو داود، كتاب السنة، باب/ في لزوم السنة، ح(٤٦٠٧)، وأخرجه الترمذي، كتاب العلم، باب/ في الأخذ بالسنة واجتناب البدعة، ح(٢٦٧٨)، وقال: «حديث حسن صحيح»، وأخرجه غيرهما، وقال الألباني في إرواء الغليل ٨/ ١٠٧، ح(٢٤٥٥): «صحيح»، ثم أطال النفس في تخريج الحديث من مظانه الكثيرة.

(٣) رواه البخاري، كتاب التفسير، ح(٤٥٣٠).

قال أبو محمد ابن حزم ﷀ: «ولا يضر كون الآية المنسوخة في ترتيب المصحف في الخط والتلاوة متقدمة في أول السورة، أو في سورة متقدمة في الترتيب، وتكون الناسخة لها في السورة، أو في سورة متأخرة في الترتيب، لأن القرآن لم ترتب آياته وسوره على حسب نزول ذلك، لكن كما شاء ذو الجلال والإكرام مُنَـزِّلُه...، ومرتبه الذي لم يَكِل ترتيبه إلى أحد دونه»[1].

وقد ذكر الحافظ ابن حجر ﷀ: «أن ترتيب آيات كل سورة على ما هي عليه الآن في المصحف توقيف من الله تعالى، وعلى ذلك نقلته الأمة عن نبيها ﷺ»[2].

وقال أبو بكر الجصاص[3] ﷀ مبينا أن وضع الآيات في محالها أمر توقيفي: «وذلك أن سبيل العلم بمواضع الآي كهو بالآي نفسها... ألا ترى أنه غير جائز لأحد إزالة ترتيب آي القرآن، ولا نقل شيء منه عن مواضعه إلى غيره، فإن فاعل ذلك بمنـزلة من رام إزالته ورفعه»[4].

وسُئِل الإمامُ أحمد ﷀ عمن يقرأ، أو يكتب من آخر السورة إلى أولها؟ فكرهها شديدا[5].

والسبب ـ والله تعالى أعلم ـ في المنع من القراءة على غير الترتيب الموجود في المصحف هو أن تقديم آية على أخرى قد يؤدي إلى تغيير المعنى، بل وقد يؤدي إلى الكفر[6].

فإذا كان لا يجوز أن يقرأ أو يكتب المصحف على غير الترتيب الموجود في المصحف، فكيف بمن يقرأ الآية نفسها منكوسة؟ لا شك أن هذا أشد جرما، وأشنع ذنبا[7].

---

(١) الإحكام في أصول الأحكام لابن حزم ٢/ ٥٠٥.

(٢) الفتح ٨/ ٦٥٦، وانظر: المجموع ٦/ ٦٢.

(٣) هو الفقيه الحنفي: أبو بكر أحمد بن علي الرازي الجصاص، برع في الفقه، وغيره من العلوم، ومن مؤلفاته: أحكام القرآن، توفي سنة ٣٧٠ هـ. انظر: الفوائد البهية ص ٢٧.

(٤) أحكام القرآن للجصاص ١/ ١٠، وانظر: الفروع لابن مفلح ١/ ٤٢١.

(٥) الفروع لابن مفلح ١/ ٤٢١.

(٦) انظر: الفروع لابن مفلح ١/ ٤٢١-٤٢٢.

(٧) انظر: المصدر السابق.

قال الشيخ ابن عثيمين ﷺ: «ترتيب الكلمات بحيث تكون كل كلمة في موضعها من الآية ثابت بالنص والإجماع، ولا نعلم مخالفا في وجوبه، وتحريم مخالفته؛ فلا يجوز أن يقرأ: لله الحمد رب العالمين، بدلا من: ﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ [الفاتحة:٢]...، وترتيب الآيات بحيث تكون كل آية في موضعها من السورة، هذا ثابت بالنص والإجماع، وهو واجب على القول الراجح، وتحرم مخالفته، ولا يجوز أن يقرأ: مالك يوم الدين، الرحمن الرحيم، بدلا من: ﴿ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝ مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ ﴾[الفاتحة:٣-٤]»[1].

المسألة الثالثة: التعاشير والتخاميس في المصحف.

كل ما في المصحف بخط المصحف فهو من كلام الله ﷻ المنزل على محمد ﷺ، وأما ما كتب في المصحف من أسماء السور، والتعشير والتخميس، وكتابة أرقام الآيات، فهذه قطعا هي من وضع الكتاب والقراء، وهذا معلوم ضرورة[2].

وكذلك ما يكتب في بعض المصاحف من تصديقات، ودعاء، ونحو ذلك فهذا قطعا ليس من القرآن، وليس هو المشار إليه بقول المسلمين: (المصحف)[3].

وبهذا اتضح أن ما في المصحف هو كلام الله ﷻ، وأنهم حين يشيرون إلى المصحف فلا يعنون إلا القرآن، وأما ما يخالف المصحف من القراءات فهل هو قرآن؟ هذا ما أبينه في المبحث الآتي.

---

(١) أصول التفسير للشيخ ابن عثيمين ص ٣٢٦.

(٢) انظر: المجموع ١٣/ ١٠٥، مختصر التحرير ٢/ ١٨٧.

(٣) انظر: المجموع ١٢/ ٥٧٦ وما بعدها، و ٥٨٦ وما بعدها، ٢٢/ ٢٧٨.

المبحث الثاني
ما يخالف المصحف هل يقال عنه قرآن؟

المطلب الأول: بيان المراد بقوله تعالى: ﴿وَإِنَّهُۥ لَفِى زُبُرِ ٱلْأَوَّلِينَ﴾[الشعراء:١٩٦].

إن من العقائد السلفية المعلومة عند الخاصة والعامة أن القرآن الكريم كلام الله منـزل على محمد ﷺ، ولم ينـزل القرآن على أحد قبله.

وهذه الآية قد وردت في سورة الشعراء في معرض ذكر القرآن ونزوله، والامتنان بذلك كما قال تعالى: ﴿وَإِنَّهُۥ لَتَنزِيلُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٩٢﴾ نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ ﴿١٩٤﴾ بِلِسَانٍ عَرَبِىٍّ مُّبِينٍ ﴿١٩٥﴾ وَإِنَّهُۥ لَفِى زُبُرِ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٩٦﴾ أَوَلَمْ يَكُن لَّهُمْ ءَايَةً أَن يَعْلَمَهُۥ عُلَمَٰٓؤُا۟ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾[الشعراء:١٩٢-١٩٧].

ويتبين من السياق أن المراد من هذه الآيات أن القرآن الكريم تنـزيل من الله ﷻ على محمد ﷺ نزل به جبريل على قلبه ﷺ، وأن القرآن نزل بلسان عربي واضح بين، وإن ذِكر هذا القرآن وخبره لموجود في الكتب السابقة، وقد علمه علماء بني إسرائيل[١].

قال إمام المفسرين ابن جرير الطبري رحمه الله: «وإنه لفي زبر الأولين: يعني في كتب الأولين، وخرج مخرج العموم، ومعناه الخصوص، وإنما هو: هذا القرآن لفي بعض زبر الأولين، يعني أن ذكره وخبره في بعض ما نزل من الكتب على بعض رسله»[٢].

---

(١) انظر: جامع البيان لابن جرير ٩/ ٤٧٥-٤٧٦، تفسير القرآن العظيم ٣/ ٣٤٧، محاسن التأويل ٥/ ٣٨٥، أضواء البيان ٦/ ٢٥٤.

(٢) جامع البيان ٩/ ٤٧٦.

وقال ابن حزم ﵀ في معرض رده على من جوز قراءة القرآن بغير العربية، مستدلين بهذه الآية: «لا حجة لهم في هذا، لأن القرآن المنـزل علينا، على لسان ـ أي لغة ـ نبينا ﷺ، لم ينـزل على الأولين، وإنما في زبر الأولين ذكره، والإقرار به فقط، ولو أنزل على غيره ﵇ لما كان آية له، ولا فضيلة له، وهذا لا يقوله مسلم»[(١)].

وقال الحافظ ابن كثير ﵀: «وإن ذكر هذا القرآن والتنويه به لموجود في كتب الأولين المأثورة عن أنبيائهم الذين بشروا به في قديم الدهر وحديثه، كما أخذ عليهم الميثاق بذلك حتى قام آخرهم خطيبا في ملئه بالبشارة بأحمد ﴿وَإِذْ قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُم مُّصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَىَّ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَمُبَشِّرًۢا بِرَسُولٍ يَأْتِى مِنۢ بَعْدِى ٱسْمُهُۥٓ أَحْمَدُ ۖ فَلَمَّا جَآءَهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ قَالُوا۟ هَٰذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ﴾[الصف:٦] والزبر ههنا هي الكتب»[(٢)].

فالذي في زبر الأولين، وفي كتب الأقدمين، ليس هو نفس القرآن المنـزل على نبي الأميين محمد ﷺ، فإن هذا القرآن لم ينـزل على أحد قبله، ولكن في الكتب المتقدمة، ذكر القرآن وخبره، **ويدل لهذا ما يأتي:**

١. أن القرآن لو نزل على أحد قبله لبطل اختصاص محمد ﷺ به[(٣)].

٢. أن كل نبي نزل عليه كتاب مثل صحف إبراهيم والتوراة والزبور والإنجيل قد نسخ بعضه، بالدين والكتاب الذي جاء بعده، والقرآن محكم لا يُنسخ بل يَنسخ ما سبقه من الكتب.

٣. أن أحدا من الأمم لم تقل بأن القرآن منـزل على نبيها، بل كل أمة متمسكة بالكتاب المنزل على نبيها.

٤. أن محمدا ﷺ مذكور في الكتب السابقة ولم يقل أحد بأنّ المراد به نفسه ﷺ، إذ لم يكن قد خلق بعد ﷺ.

---

(١) المحلى لابن حزم ٣/ ٢٥٤.

(٢) تفسير القرآن العظيم ٣/ ٣٤٧.

(٣) انظر: المحلى لابن حزم ٣/ ٢٥٤.

٥. أن الله أخبر أن أفعال العباد في الزبر، وهذا لا يعني أن نفس الأفعال موجودة، وإنما المراد ذكرها وشأنها.

٦. أن الموجودات أنواع أربعة، وهي:

١. وجود عياني.

٢. وجود ذهني خيالي علمي.

٣. وجود لفظي لساني.

٤. وجود خطي بناني رسمي، **ووجود القرآن عندنا** هو من الأنواع الأربعة؛ **فهو موجود** عيانا يقرأ ويسمع، ويتلى، ويذكر، ويستشهد به، **وموجود** ذِهنيا وعلميا، فكل مسلم يعلم أن القرآن كلام الله، ويعرف شيئا عنه، **وموجود** لفظا ولسانا، فكم من حافظ يردده للحفظ، وكم من قارئ يردده للذكر، **وموجود** خطا ورسما، كما خَطَّه وكتبه ورسمه الكتاب في المصاحف(1).

وأما وجود القرآن في كتب الأولين فهو من النوع الثاني، أعني أن وجوده علمي فقط، وأن علماءهم علموا ذلك من غير شطط(2).

ومن هذا الباب ما جاء عن عبد الله بن مسعود ﷺ أنه قال في سورة الملك: **[فهي المانعة تمنع عذاب القبر، وهي في التوراة سورة "الملك" من قرأها في ليلة فقد أكثر وأطيب]**(3)، أي نُوِّهَ بذكرها، وبُين فضلها، وأنه سمي كذلك في التوراة بهذا الاسم، والله أعلم.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: «فثبوت القرآن في زبر الأولين هو مثل كون الرسول مكتوبا عندهم في التوراة والإنجيل، ولهذا قيد سبحانه هذا بلفظ "الزبر"...،

---

(١) انظر: الجواب الصحيح ٣/ ٣٣٩-٣٤٠، مختصر الصواعق المرسلة ص٤٩٨.

(٢) انظر: المجموع ١٢/ ٢٨٩، ٣٨٤-٣٨٥.

(٣) رواه الحاكم في مستدركه، كتاب التفسير، تفسير سورة الملك، ح(٣٨٣٩) وقال: «صحيح الإسناد ولم يخرجاه»، ورواه البيهقي في شعب الإيمان من طريقه ٢/ ٤٩٤ ح(٢٥٠٩)، وحسنه الشيخ الألباني في صحيح الترغيب والترهيب ح(١٤٧٥).

فالقرآن نفسه ليس عند بني إسرائيل ولكنْ ذكره، كما أن محمدا ﷺ نفسه ليس عندهم ولكن ذِكره، فثبوت الرسول في كتبهم كثبوت القرآن في كتبهم، بخلاف ثبوت القرآن في اللوح المحفوظ، وفي المصاحف فإن نفس القرآن أُثبت فيها، فمن جعل هذا مثل هذا كان ضلاله بينا »(١).

وقال: « فإن القرآن لم ينـزل على أحد قبل محمد ﷺ لا لفظه، ولا جميع معانيه، ولكن أنزل الله ذكره، والخبر عنه، كما أنزل ذكر محمد والخبر عنه، فذِكر القرآن في زبر الأولين، كما أن ذِكر محمد ﷺ في زبر الأولين، وهو مكتوب عندهم في التوراة والإنجيل، فالله ورسوله معلوم بالقلوب، مذكور بالألسن، مكتوب في المصحف، كما أن القرآن معلوم لمن قبلنا، مذكور لهم مكتوب عندهم، وإنما ذاك ذكره، والخبر عنه، وأما نحن فإن نفس القرآن نزل إلينا، ونفس القرآن مكتوب في مصاحفنا، كما أن نفس القرآن في الكتاب المكنون »(٢).

وبهذا يتبين أن وجود القرآن كان وجودا علميا في كتب الأولين لا يسمى قرآنا، وأما وجوده عينيا فهو موجود في مصاحف المسلمين، وهو الموجود بين الدفتين، وهو القرآن الكريم.

وأما ما خالف المصحف من الأحرف المروية، والقراءات المسندة فهل يقال عنها قرآن؟ هذا ما أبينه في المطلب الثاني.

---

(١) المجموع ١٢/ ٢٩٠، وانظر: دقائق التفسير ٢/ ١٩٥-١٩٦.

(٢) المجموع ١٢/ ٣٨٤، وانظر: ١٢/ ٢٤٠، ٥٦٥.

المطلب الثاني: ما يروى من الأحرف[(١)] هل يقال عنه قرآن؟.

ثبت في الصحيحين وغيرهما عن عمر بن الخطاب ﷺ أن النبي ﷺ قال: [إن هذا القرآن أُنزل على سبعة أحرف، فاقرؤوا ما تيسر منه][(٢)] ففي هذا الحديث بيان أن الأحرف منـزلة من الله ﷻ على نبيه ﷺ [(٣)].

وفي رواية عبد الله بن عباس ﷺ في الصحيحين أيضا: [أقرأني جبريل ﷺ على حرف، فراجعته، فلم أَزَل أستزيده فيزيدني، حتى انتهى إلى سبعة أحرف][(٤)].

قال الإمام محمد بن مسلم ابن شهاب الزهري: «بلغني أن تلك السبعة الأحرف إنما هي في الأمر الذي يكون واحدا، لا يختلف في حلال، ولا حرام»[(٥)].

---

(١) المراد بالأحرف في هذا العنوان الأحرف التي روي بها القرآن. والأحرف جمع حرف، ولها عدة معاني في اللغة وأقرب معانيها لما نحن بصدده: أن الأحرف جمع حرف، وهو: الوجه والطريق، قال ابن فارس: «الحاء والراء والفاء ثلاثة أصول: حَدُّ الشيء، والعدول، وتقدير الشيء، فأما الحد: فحرف كل شيء حده...» فيقال هو على حرف كذا أي على طريقة كذا. انظر: مقاييس اللغة ص ٢٥٥، لسان العرب ٩/ ٤١، المصباح المنير ص ١٣١.

وأما الأحرف في اصطلاح أهل القراءة ففيه خلاف كبير، وأمره ليس باليسير، حتى توقف في تعريفه جم غفير، واختلف المعرفون فيه على أقوال، وكثر فيه المقال، حتى وصل بهم الحال، أنهم اختلفوا على نيف وثلاثين قولا؟ ولعل أشهر هذه الأقوال في المراد بالأحرف السبعة التي نزل بها القرآن الكريم: ١ ـ أنها سبع لغات من لغات العرب ولهجاتهم. ٢ ـ أن المراد بها الأنواع التي يقع بها التغاير والاختلاف بسبب الإعراب والبناء وحروف الكلمة ونحوها. ٣ ـ أن المراد بها سبعة أصناف من المعاني والأحكام! وهي: الحلال والحرام، والأمر والزجر، والمحكم والمتشابه، والأمثال. ٤ ـ أن حقيقة العدد غير مراد ولكن المراد التيسير أن يقرأ كل بحسب ما أمكنه من لغته دون تحديد. انظر لهذه المسألة: المرشد الوجيز في علوم الكتاب العزيز ص ٧٧ وما بعدها، شرح النووي ٦/ ١٠٠، الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ١/ ٣٢ وما بعدها، الفتح ٨/ ٦٩٤، إرشاد الفحول للشوكاني ص ٦٣، مختصر التحرير ٢/ ١٨٥.

(٢) أخرجه البخاري، كتاب فضائل القرآن، باب/ أنزل القرآن على سبعة أحرف، ح(٤٩٩٢)، ومسلم، كتاب صلاة...، باب/ بيان أن القرآن على سبعة أحرف...، ح(٨١٨).

(٣) انظر: الجامع لأحكام القرآن ١/ ٣٦.

(٤) أخرجه البخاري، كتاب فضائل القرآن، باب/ أنزل القرآن على سبعة أحرف، ح(٤٩٩١)، ومسلم، كتاب صلاة..، باب/ بيان أن القرآن على سبعة أحرف...، ح(٨١٩).

(٥) ذكره مسلم عنه مسندا، وهو أحد رواة حديث الأحرف من طريق عمر وابن عباس ﷺ، انظر: صحيح الإمام مسلم ص ٣١٨.

وهذا فيه أن الأحرف إنما هي كما سمعه جبريل ﷺ وقرأه على الرسول ﷺ وأنها في أمر واحد لا تختلف من حيث المعنى.

قال البغوي رحمه الله: «ليس معنى هذه الحروف أن يقرأ كل فريق بما شاء مما يوافق لغته من غير توقيف، بل كل هذه الحروف منصوصة، وكلها كلام الله ﷻ، نزل بها الروح الأمين، على النبي ﷺ »[١].

وفي صحيح الإمام مسلم عن أبي بن كعب رضي الله عنه **[أن النبي ﷺ كان عند أَضاة بني غِفار[٢] قال: فأتاه جبريل ﷺ، فقال: إن الله يأمرك أن تَقْرَأَ أُمَّتُكَ القرآنَ على حرف، فقال: أسأل الله معافاته ومغفرته، وإن أمتي لا تطيق ذلك. ثم أتاه الثانية، فقال: إن الله يأمرك أن تقرأ أمتك القرآن على حرفين، فقال: اسأل الله معافاته ومغفرته، وإن أمتي لا تطيق ذلك. ثم جاءه الثالثة، فقال: إن الله يأمرك أن تقرأ أمتك القرآن على ثلاثة أحرف. فقال: اسأل الله معافاته ومغفرته، وإن أمتي لا تطيق ذلك. ثم جاءه الرابعة، فقال: إن الله يأمرك أن تقرأ أمتك القرآن على سبعة أحرف، فأيما حرف قرؤوا عليه فقد أصابوا]**[٣].

وهذا الحديث أيضا فيه التأكيد على أن الأحرف منـزلة من الله ﷻ بدليل ذهاب جبريل وإتيانه، وأن الأمر ليس متروكا للقراء.

والأحاديث بمجموعها يدل على أن القرآن أنزل على سبعة أحرف، وهذا لا خلاف فيه بين سلف الأمة، وعلماء الأمة، قال شيخ الإسلام رحمه الله: «لا نزاع بين العلماء المعتبرين، أن الأحرف السبعة التي ذكر النبي ﷺ أن القرآن أنزل عليها ليست هي قراءات القراء السبعة المشهورة...، ولا نزاع بين المسلمين أن الحروف السبعة التي أنزل القرآن عليها لا تتضمن تناقض المعنى، وتضاده، بل قد يكون معناها متفقا أو

---

(١) المرشد الوجيز في علوم الكتاب العزيز ص ١٣٤.

(٢) (أَضاة) بفتح الهمزة، وضاد معجمة بعدها ألف، وآخره تاء تأنيث، هو مستنقع ماء كالغدير، وجمعه (أضا) كعصاة وعصا، وهو موضع بالمدينة، ينسب إلى بني غفار؛ لأنهم نزلوا عنده. انظر: منة المنعم للمباركفوري ١/ ٥١٤.

(٣) صحيح مسلم، كتاب صلاة...، باب/ بيان أن القرآن على سبعة أحرف...، ح(٨٢١).

متقاربا...، وقد يكون معنى أحدهما ليس هو معنى الآخر، لكن كلا المعنيين حق، وهذا اختلاف تنوع وتغاير، لا اختلاف تضاد وتناقض»[١].

وبعد بيان جهة الاتفاق أُبين قرآنية الأحرف من عدم قرآنيتها وذلك في مسألتين:

المسألة الأولى: ما يروى من الأحرف موافقا للمصحف.

لا ريب أن الأحرف التي توفرت فيها الشروط المرضية للقراءة الصحيحة أنها من القرآن[٢]، وهذه الشروط التي ذكرها أهل الفن هي:

١- أن تكون القراءة بها ثابتة من حيث الإسناد.

٢- أن تكون القراءة موافقة للرسم العثماني المجمع عليه من قبل الصحابة ﷺ[٣].

---

(١) المجموع ١٣/ ٣٩٠-٣٩١، وانظر: ١٣/ ٤٠١

(٢) **وهل المصحف الموجود مشتمل على الأحرف كلها؟ أم على بعضها؟** أم على حرف واحد منها؟ هذه الثلاثة الأقوال هي المشهورة، وعن العلماء مذكورة، وهذا يحتاج إلى بحث عميق، ونَفَسٍ دقيق، وصفحات كثيرة، ومباحث جزيلة، فالله أسأل أن يهيئ لهذا الأمر طالب علم يقوم به، والأظهر في هذه الأقوال أن المصحف الذي أمر بكتابته عثمان ﷺ مشتمل على الأحرف التي لم تنسخ في العرضة الأخيرة، وأن كل حرف مخالف لهذا المصحف فهو منسوخ ككل آية لم تذكر في المصحف فهي منسوخة؛ إما تلاوة وحكما، أو تلاوة فقط، ولمزيد بيان انظر: الإحكام لابن حزم ٤/ ٥٥٤ وما بعدها، المرشد الوجيز لأبي شامة (فإنه ألفه أساسا لبيان الأحرف)، الجامع لأحكام القرآن ١/ ٣٩، المجموع ١٣/ ٣٩٥، ٤١٠، الفتح ٨/ ٦٤٦-٦٤٧، مناهل العرفان للزرقاني ١/ ٣٩٩ وما بعدها، المدخل إلى علوم القرآن الكريم لمحمد أبي شهبة ص ١٩١ ـ ١٩٦، القراءات وأثرها في التفسير والأحكام ١/ ٦٦ وما بعدها، حديث الأحرف السبعة د/ عبد العزيز عبد الفتاح.

(٣) وينبغي التنبه إلى أن بعض أهل العلم يذكر أن في المصحف الذي كتبه عثمان ﷺ أخطاء إملائية، بحسب ما عرف من القواعد الخطية، وهذا بين البطلان، وذلك من وجوه منها: ١ ـ أن هذه المصاحف كتبت على مرأى ومسمع من الصحابة، ولو كان فيها خطأ لما سكتوا عنه. ٢ ـ أن الصحابة أجمعوا على هذا المصحف، فكيف يجمعون على خطأ؟. ٣ ـ أن هذه المصاحف أرسلت إلى أمصار مشهورة، وبالعلوم معروفة، ولم يوجد إنكار مع وجود الصحابة الكرام فيها، والعلماء الأجلاء بها، من الحفاظ والخطاطين، وغيرهم من أهل العلوم المتثبين. ٤ ـ أنهم علموا بأن هذه الخطوط إنما جيء بها هكذا لغرض احتمال القراءة، أو غير ذلك. ٥ ـ أن الكتاب كانوا يكتبون القرآن بين يدي النبي ﷺ، ولو كان ثمت خطأ في الكتابة لنُبهوا على ذلك من الذي لا يخفى عليه خافية في الأرض ولا في السماء، وهو الله ﷻ، قال شيخ الإسلام ابن تيمية ﷺ في المجموع (١٥/ ٢٥٢): «المصاحف التي نسخت كانت مصاحف متعددة، =

٣- أن تكون القراءة موافقة لوجه من أوجه اللغة العربية.

قال الإمام ابن الجزري[(١)] رحمه الله:

فكل ما وافق وجه نحو … وكان للرسم احتمالا يحوي
وصح إسنادا هو القرآن … فهذه الثلاثة الأركان
وحيثما يختل ركن أثبت … شذوذه، لو أنه في السبعة[(٢)]

وهكذا قال غيره من المختصين، ومن العلماء المتبحرين[(٣)].

وبهذا نستطيع أن نقول: إن الحرف أو الوجه الموافق للرسم، الذي ثبت سنده، وصح وجهه، هو من القرآن، لأن الصحابة لم يثبتوا إلا ما هو قرآن، **ولتأكيد هذا الكلام**، وتنويره بمقالات أهل العلم أنقل بعض عباراتهم، وما فيه من دلالاتهم، على أن الأحرف المروية الصحيحة هي من القرآن.

١- أن المهاجرين والأنصار، وجلة أهل الإسلام، الموجودين في عصر الخليفة الراشد عثمان رضي الله عنه اتفقوا على جمع ما في المصحف بما صح وثبت أنه قرآن، فما وافق هذا المصحف من القراءات الصحيحة كان قرآنا[(٤)].

= وهذا معروف مشهور، وهذا مما يبين غلط من قال في بعض الألفاظ: إنه غلط من الكاتب، أو نقل ذلك عن عثمان رضي الله عنه، فإن هذا ممتنع لوجوه». ثم ذكر بعض الوجوه التي سبقت. انظر: الجواب الصحيح ٣/ ٤٢٣، المجموع ١٥/ ٢٥٣-٢٥٦، الفروع لابن مفلح ١/ ٣٧١، مناهل العرفان ١/ ٣٦٩، ٣٧٣-٣٧٧، المدخل لدراسة القرآن الكريم ص ٣٠٧-٣١٧.

(١) هو شيخ القراء في زمانه: أبو الخير شمس الدين محمد بن محمد بن علي بن يوسف العمري الدمشقي الشيرازي الشافعي، المشهور بابن الجزري، ولد سنة ٧٥١ هـ، وتوفي ٨٣٣ هـ، ومن مؤلفاته المشهورة: طيبة النشر. انظر: الأعلام للزركلي ٧/ ٤٥.

(٢) طيبة النشر ص ٣.

(٣) انظر: جامع البيان ٢/ ٣٢٨، المرشد الوجيز في علوم الكتاب العزيز ص ١٣٨-١٤٥، الجامع لأحكام القرآن ١/ ٥٨ وما بعدها، المجموع ٦٤٨،٨-٦٤٩، ١٥/ ٢٥٠، الإبانة عن معاني القراءات لمكي بن أبي طالب ص٥٧-٥٨، ١٠٠، منجد المقرئين ص ٢٢، الفتح ٨/ ٦٤٩، ٦٥٤، السيل الجرار ١/ ٢٣٩، القراءات وأثرها في التفسير والأحكام ١/ ١٣٩ وما بعدها.

(٤) انظر: الجامع لأحكام القرآن ١/ ٣٨-٣٩.

٢- قال ابن حزم رحمه الله: « واتفقوا... أن كل ما في القرآن حق، وأن من زاد فيه حرفا من غير القراءات المروية المحفوظة، المنقولة نقل الكافة، أو نقص منه حرفا، أو بدل منه حرفا مكان حرف، وقد قامت عليه الحجة **أنه من القرآن** فتمادى في ذلك عالما بأنه بخلاف ما فعل، فإنه كافر »[١].

٣- قال القاضي عياض رحمه الله عن المصحف: « فجميع ما فيه حق، وأن من نقص منه حرفا قاصدا لذلك، أو بدله بحرف آخر مكانه، **أو زاد فيه حرفا آخر، لم يشتمل عليه المصحف الذي وقع عليه الإجماع، وأجمع عليه**، أنه ليس بقرآن عامدا لكل هذا؛ فهو كافر »[٢].

٤- قال أبو شامة المقدسي[٣] رحمه الله: « **لا يقطع بالقراءة بأنها منـزلة من عند الله إلا إذا اتفقت الطرق عن ذلك الإمام الذي قام بإمامة المصر بالقراءة، وأجمع أهل عصره، ومن بعدهم بإمامته في ذلك... بشرط أن لا يختل المعنى، ولا يتغير الإعراب** ».[٤] **وقال أيضا: « ويحمل على اعتقاد ذلك ثبوت تلك القراءة بالنقل الصحيح** عن رسول الله ﷺ ولا يلتزم فيه تواتر، بل تكفي **الآحاد الصحيحة مع الاستفاضة، وموافقة خط المصحف**، بمعنى: أنها لا تنافيه عند[٥] المنكرين لها نقلا وتوجيها من حيث اللغة »[٦].

٥- قال ابن عطية رحمه الله: « ومضت الأعصار والأمصار على قراءة السبعة،

---

(١) مراتب الإجماع لابن حزم ص ١٧٤، ولم يتعرض له شيخ الإسلام في نقد مراتب الإجماع لهذا بنقض مما يدل على صحة هذا النقل للإجماع.

(٢) كشاف القناع ١/ ٤٣٣.

(٣) هو المفسر المؤرخ الفقيه الشافعي: عبد الرحمن بن إسماعيل الدمشقي المعروف بأبي شامة المقدسي، وله مؤلفات كثيرة، ومنها: المرشد الوجيز في علوم الكتاب العزيز، توفي سنة ٦٦٥هـ. انظر: طبقات الشافعية للسبكي ٥/ ٦١.

(٤) الفتح ٨/ ٦٥٥.

(٥) في المطبوع: (عدم) ولعل ما أثبته هو الصواب.

(٦) المرشد الوجيز ص ١٧١.

وبها يصلى، لأنها ثبتت بالإجماع»[١]. فقوله: وبها يصلى، دليل على أن ذلك قرآن.

٦- قال العلامة القرطبي رحمه الله: «وقد أجمع المسلمون في هذه الأعصار على الاعتماد على ما صح عن هؤلاء الأئمة ـ يعني القراء المعروفين ـ مما رووه، ورأوه من القراءات، وكتبوا في ذلك مصنفات، فاستمر الإجماع على الصواب، وحصل ما وعد الله من حفظ الكتاب، وعلى هذا الأئمة المتقدمون، والفضلاء المحققون»[٢].

٧- قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: « والقراءة المعروفة بين المسلمين، **الموافقة للمصحف، تجوز القراءة بها** بلا نزاع بين الأئمة، ولا فرق بين الأئمة بين قراءة أبي جعفر[٣] ويعقوب[٤]...، ولم يقل أحد من سلف الأمة وأئمتها أن القراءة مختصة بالقراء السبعة»[٥]. ويتضح من هذا أن القراءة الثابتة الصحيحة من القرآن، من غير نكران، وأيضا القراءة لا تختص بالقراء السبعة المشهورين[٦]، **وقال أيضا**: « ليس لأحد

---

(١) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ١/ ٣٥.

(٢) الجامع لأحكام القرآن ١/ ٣٥.

(٣) هو المقرئ: يزيد بن القعقاع أبو جعفر المدني، ثقة، روى له أبو داود، توفي سنة ١٣٠هـ. انظر: التقريب ص ٥٥٤.

(٤) هو المقرئ: يعقوب بن إسحاق بن زيد الحضرمي مولاهم، أبو محمد المقرئ النحوي، توفي سنة ٢٠٥هـ. انظر: التقريب ص ٥٣٦.

(٥) المجموع ١٢/ ٥٦٩، وانظر منه: ١٣/ ٣٩٢.

(٦) والقراء السبعة هم:

١- نافع بن عبد الرحمن الليثي المدني قرأ على سبعين من التابعين، منهم أبو جعفر وعبد الرحمن بن هرمز الأعرج، وقرأ الأعرج على ابن عباس وأبي هريرة وهما عن أبي رضي الله عنه، توفي في المدينة سنة ١٦٩ هـ.

٢- ابن كثير هو أبو معبد عبد الله بن كثير، وهو تابعي قرأ على عبد الله بن السائب المخزومي عن عمر وأبي ابن كعب رضي الله عنه، وتوفي سنة ١٢٠ هـ.

٣ ـ أبو عمرو زبان بن العلا بن عمار، قرأ على جماعة منهم أبو جعفر يزيد بن القعقاع والحسن البصري، وهو على حطان وأبي العالية، وأبو العالية على عمر بن الخطاب وأبي رضي الله عنه، توفي سنة ١٥٤ هـ.

٤ ـ ابن عامر هو عبد الله بن عامر اليحصبي مقرئ دمشق وقاضيها، تابعي لقي واثلة بن الأسقع والنعمان بن بشير، قيل إنه قرأ على عثمان رضي الله عنه، توفي بدمشق سنة ١١٨ هـ.

٥ ـ عاصم هو أبو بكر عاصم بن أبي النجود بن بهدلة مولى بني خزيمة، أخذ القراءة عن أبي عبد الرحمن عبد الله بن حبيب السلمي عن عثمان وعلي وأبي وابن مسعود وزيد بن ثابت رضي الله عنه، توفي سنة ١٢٧ هـ.

=

أن يقرأ قراءة بمجرد رأيه، بل القراءة سنة متبعة، وهم إذا اتفقوا على اتباع القرآن المكتوب في المصحف الإمامي، وقد قرأ بعضهم بالياء، وبعضهم بالتاء **لم يكن واحدا منهما خارجا عن المصحف... وقد بينا أن القراءتين كالآيتين، فزيادة القراءات كزيادة الآيات، لكن إذا كان الخط واحدا، واللفظ محتملا كان ذلك أخصر في الرسم** »[1].

٨- قال ابن الحفيد[2] رحمه الله: « ذهب جماهير العلماء من الخلف والسلف، وأئمة المسلمين إلى أن هذه المصاحف العثمانية مشتملة على ما يحتمله رسمها من الأحرف السبعة فقط، جامعة للعرضة الأخيرة التي عرضها النبي ﷺ على جبريل متضمنة لها، لم يترك منها حرف »[3].

٩- قال الشوكاني رحمه الله: « **والحاصل أن ما اشتمل عليه المصحف الشريف، واتفق عليه القراء المشهورون، فهو قرآن، وما اختلفوا فيه فإن احتمل رسم المصحف قراءة كل واحد من المختلفين مع مطابقتها للوجه الإعرابي، والمعنى العربي، فهي قرآن كلها** »[4].

وبهذه النقول الجلية، والأقوال المرضية، يتأكد الاعتقاد بأن القراءات في القرآن الكريم هي من المصحف، وأنها من كلام الله ﷻ، فكل حرف روي موافقا للرسم مع صحة السند، وصحة الوجه الإعرابي، فهو قرآن.

وأما إذا اختل فيها شرط من هذه الشروط فهل يقال عنها قرآن أم لا؟ هذا ما أبينه في المسألة الثانية.

=

٦ـ حمزة بن حبيب بن عمارة الزيات التيمي مولاهم، مقرئ الكوفة، قرأ على سليمان بن مهران الأعمش عن يحيى بن وثاب الأسدي عن علقمة بن قيس عن ابن مسعود رضي الله عنه، توفي سنة ١٥٦ هـ.

٧ـ الكسائي أبو الحسن علي بن حمزة الكسائي النحوي، قرأ على حمزة وقرأ على محمد بن أبي ليلى وعيسى بن عمر عن عاصم، توفي سنة ١٨٩ هـ. انظر في تراجم القراء السبعة المشهورين: المكرر فيما تواتر من القراءات السبع وتحرر لأبي حفص عمر بن قاسم الأنصاري ص ١٨-٢٥.

(١) المجموع ١٣/ ٣٩٩-٤٠٠.

(٢) هو: سيف الدين يحيى بن محمد بن سعد الدين مسعود بن عمر التفتازاني الهروي، المعروف بابن الحفيد الحنفي الهروي، مفسر، متكلم، توفي سنة ٨٨٧ هـ. انظر: معجم المؤلفين ١٣/ ٢٢٨.

(٣) الدر النضيد لمجموعة ابن الحفيد ص ٤٣.

(٤) إرشاد الفحول ص ٦٣.

المسألة الثانية: ما يروى من الأحرف مخالفا للمصحف.

الأحرف المخالفة لشروط القراءة الصحيحة هي المعروفة عند القراء بالشواذ[١]، فكل قراءة لم تصح إسنادا، أو لم توافق رسم المصحف، أو خالفت أوجه الإعراب فلا تكون قراءة صحيحة[٢].

وعلى هذا فالصحيح ـ والله تعالى أعلم ـ أن ما ثبت من بعض الصحابة القراءة بها فلا يعدو أن يكون تفسيرا سمعه من النبي ﷺ أو رأيا في التفسير من نفسه[٣]، أو أنه ما علم بأن هذه القراءة نسخت، كما تنسخ بعض الآيات استقلالا[٤].

وعلى هذه الاحتمالات يحمل ما ثبت عنهم ﷺ خصوصا أنهم هم الذين أجمعوا أولا على أن القرآن هو الموجود في المصحف، وهم الذين أخبرونا أن القراءة سنة متبعة[٥]، لا اجتهاد فيها، وتبعهم على ذلك التابعون ومن جاء بعدهم ثانيا.

فعلى هذا لا يقال لما لا يثبت صحيحا موافقا للرسم العثماني قرآنا، كما لا يقال للأحاديث المروية عن النبي ﷺ مما لم يثبت أنها من الأحاديث المرفوعة، وإن كان يقال عنها حديثا فباعتبار أنها مروية فقط لا باعتبار واقع الأمر، وكذلك يقال للشواذ قراءات باعتبار الرواية لا باعتبار حقيقة الأمر، وثبوتها قرآنا، **وتبيينا لهذا الأمر المهم، أنقل بعض أقوال أهل العلم:**

١ - قال الإمام أبو عبيد القاسم بن سلام ؒ: «ما يروى من الحروف التي تخالف المصحف الذي عليه الإجماع، من الحروف التي أسانيدها الخاصةُ دون العامة فيما نقلوا فيه عن أُبَيٍّ ﷺ... لم ينقلها أهلُ العلم على أن الصلاة بها تحل، ولا على أنها

---

(١) والشاذ عندهم: كل قراءة لم تتوفر فيها الشروط الثلاثة السابقة التي ذكرها علماء القراءات. انظر: المرشد الوجيز في علوم الكتاب العزيز ص ١٦٨ وما بعدها، الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ١/ ٥٨.

(٢) انظر: الإعلام والاهتمام بفتاوى شيخ الإسلام أبي يحيى زكريا بن محمد الأنصاري ص ٣٣٨-٣٣٩.

(٣) انظر: التمهيد لابن عبد البر ٨/ ٢٩٢، الإحكام للآمدي ١/ ٢١٢، حاشية ابن عابدين ١/ ٤٨٥.

(٤) انظر: الإحكام لابن حزم ٤/ ٥٥٥، الجامع لأحكام القرآن ١/ ٦١.

(٥) انظر: السنن الكبرى للبيهقي ٢/ ٣٨٥، القراءات وأثرها في التفسير والأحكام ١/ ٩٤ وما بعدها.

معارض بها مصحف عثمان، لأنها حروف لو جحدها جاحد أنها من القرآن لم يكن كافرا، والقرآنُ الذي جمعه عثمان بموافقة الصحابة له لو أنكر بعضه منكر كان كافرا، حكمه حكم المرتد يستتاب، فإن تاب وإلا ضربت عنقه»[(١)].

٢- قال الحافظ ابن عبد البر رحمه الله: «وأما ما يروى من الأحرف **فلا يقطع بشيء منه على الله** عز وجل **أنه قرآن**، ولكنه يكون من باب الخبر...، ويبين لك هذا أن من دفع شيئا مما في مصحف عثمان كفر، ومن دفع ما جاء في هذه الآثار وشبهها من القراءات لم يكفر»[(٢)]. فانظر: كيف يتعلق حكم التكفير من عدمه فيمن أنكر قرآنية المعلوم الموافق للرسم، بخلاف من أنكر ما عدا ذلك.

٣- قال الحافظ البيهقي رحمه الله: «والأصل ما استقرت عليه القراءة في السنة التي تُوفي فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد ما عارضه به جبريل عليه السلام في تلك السنة مرتين، ثم اجتمعت الصحابة على إثباته بين الدفتين»[(٣)].

٤- قال الجويني[(٤)] رحمه الله: «وكل زيادة لا تحويها الأم، ولا تشمل عليها الدِّفتان، **فهي غير معدودة في القرآن**»[(٥)].

٥- قال الآمدي[(٦)] رحمه الله فيما يروى من الأحرف التي لم توافق رسم المصحف: «**إن ذكر على أنه قرآن فهو خطأ**»[(٧)].

---

(١) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ١/ ٦٠.

(٢) التمهيد لابن عبد البر ٤/ ٢٧٩.

(٣) السنن الكبرى للبيهقي ٢/ ٣٨٥.

(٤) هو المتكلم الأصولي الفقيه: عبد الملك بن عبد الله بن يوسف الجويني النيسابوري الشافعي الأشعري، الملقب بإمام الحرمين، له تصانيف كثيرة، ومنها: الإرشاد إلى قواطع الأدلة وأصول الاعتقاد ألفه على طريقة المتكلمين، توفي سنة ٤٧٨ هـ. انظر: السير ١١/ ٢٥٥.

(٥) البرهان للجويني ص ٤٢٨.

(٦) هو الأصولي الأشعري: علي بن أبي علي بن محمد بن سالم سيف الدين الآمدي، شافعي المذهب، وكان من أذكياء العالم، ومن مؤلفاته: الأحكام السلطانية، توفي سنة ٦٣١ هـ. انظر: طبقات الشافعية للسبكي ٨/ ٣٠٦-٣٠٧.

(٧) الأحكام للآمدي ١/ ٢١٢.

٦- قال المازري[١] رحمه الله بعد ذكر رواية فيها قراءة: «يجب أن يعتقد في هذا الخبر وما في معناه، أن ذلك كان قرآنا ثم نسخ، ولم يعلم من خالف النسخ، فبقي على النسخ. قال: ولعل هذا وقع من بعضهم قبل أن يبلغهم مصحف عثمان المجمع عليه، المحذوف منه كل منسوخ»[٢]. فهذا القول يبين أن ما خالف المصحف إذا صح فهو منسوخ تلاوته لترك الصحابة هذه القراءة، وهم لا يتركون شيئا من القرآن من عند أنفسهم.

٧- قال النووي رحمه الله: «ولا يقرأ بالشواذ في الصلاة»[٣]. وهذا يدل على أنها ليست من القرآن، ولو كانت هذه القراءة من القرآن لصحت الصلاة بها.

٨-نقل الحافظ ابن حجر رحمه الله: بعد أن شرح قول عمر رضي الله عنه في رجم الشيخ والشيخة إذا زنيا، قول بعض الشراح، قال: «وفيه اهتمام الصحابة، وأهل القرون الأول بالقرآن، والمنع من الزيادة في المصحف، وكذا منع النقص بطريق الأولى، لأن الزيادة إنما تمنع لئلا يضاف إلى القرآن ما ليس منه، فاطراح بعضه أشد، قال: وهذا يشعر بأن كل ما نقل عن السلف كأبيّ بن كعب وابن مسعود رضي الله عنهما من زيادةٍ ليست في الإمام إنما هي على سبيل التفسير، ونحوه. **قال: ويحتمل أن يكون ذلك كان في أول الأمر، ثم استقر الإجماع على ما في الإمام، وبقيت تلك الروايات تُنقل لا على أنها ثبتت في المصحف**»[٤].

٩- قال الخراز[٥] رحمه الله:

وبعده جـرَّده الإمـــام ... في مصحف ليقتدي الأنـام
ولا يكون بعده اضطراب ... وكان فيما قد رأى صــواب

---

(١) هو الحافظ الفقيه المتكلم: محمد بن علي بن عمر التميمي المازري المالكي، ولد وتوفي في إفريقية (تونس)، من مؤلفاته: المعلم بفوائد مسلم، توفي سنة ٥٣٦ هـ. انظر: الديباج المذهب لابن فرحون ص ٣٧٤.

(٢) شرح النووي على صحيح مسلم ٦/ ١٠٩.

(٣) شرح النووي على صحيح مسلم ٤/ ١٠٦

(٤) الفتح ١٢/ ١٦١.

(٥) هو المقرئ: محمد بن محمد بن إبراهيم الأموي الخراز، من أهل فاس، أصله أندلسي، من مصنفاته: الغوالي لحل بدء الأمالي، توفي سنة ٧١٨ هـ. انظر: معجم المؤلفين ١١/ ١٧٦.

وقصـة اختـلافهم شهيـرة كـقـصـة اليمامـة العسيـرة
فينبغي لأجـل ذا أن نقتفي مرسُوم ما أصَّلَه في المصحف
ونقتـدي بفعـله ومـا رأى فـي جعلـه لـمن يخطُّ ملجَـأ[1].

فكل قراءة لم تثبت لا يقال لها قرآن لأن قوله تعالى: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَـٰفِظُونَ ﴾[الحجر:٩] وقوله: ﴿ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُۥ وَقُرْءَانَهُۥ ﴿١٧﴾ فَإِذَا قَرَأْنَـٰهُ فَٱتَّبِعْ قُرْءَانَهُۥ ﴿١٨﴾ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُۥ ﴾[القيامة:١٧-١٩] ونحوه من الآيات مقتضية لبقاء رسم القرآن ونظمه بعد وفاة النبي ﷺ[2].

وههنا أحكام تتعلق بهذه المسألة فيما إذا قلنا إن هذه القراءة من القرآن الكريم أم لا، وهي:

أ- أنه يلزم الجميع اعتقاد أن ما ثبت من الأحرف أنه كلام الله الذي أنزله على رسوله، على نظامه وترتيبه، ولفظه ومعناه، وإذا نسخ ذلك ورفع ولم يكن في المصحف كذلك، فلا يلزمنا ذلك، إلا أن يقال بعد صحة السند: كان قرآنا فنسخ[3].

ب- أنه يتعلق بها حكم جواز الصلاة، وأن بقراءتها تصح الصلاة، وأما ما ليس في المصحف فلا تصح الصلاة بها على الأصح من أقوال العلماء بل تُفسِدها.

ت- أنه يتقرب إلى الله تعالى بتلاوتها، ويطلب الثواب بقراءتها.

ث- أنه يلزمنا حفظها في المصاحف، وإثباتها في القرآن، ونقلها لفظا ومعنى[4].

وأما حكم القراءة بما يخالف المصحف، فهذا ما سأجليه في المطلب الآتي.

---

(١) مناهل العرفان للزرقاني ١/ ٣٧٩.

(٢) انظر: الفصول في الأصول ٢/ ٢٦٥-٢٦٦.

(٣) وبهذا يتضح ارتباط هذا المطلب بالعقيدة.

(٤) انظر: المجموع ١٢/ ٥٧٠، ١٣/ ٣٩٤ـ٣٩٥، الفصول في الأصول ٢/ ٢٦٠.

المطلب الثالث: حكم القراءة بما يخالف المصحف[(١)].

الأصل في ثبوت الأحرف صحة النقل، واحتمال رسم المصحف لها، وموافقة الحرف لوجه من أوجه اللغة العربية، فالأحرف المروية الأصل فيها أنها منزلة من الله ﷻ، وسُمعت من رسول الله ﷺ وليس الأمر متروكا للاجتهادات، ولا مدخل لإثبات الأحرف بالقياسات.

والأدلة قد دلت على وجوب الاتباع في القراءة وترك الابتداع فيها، ومن هذه الأدلة ما يأتي:

١-قال الله ﷻ: ﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِۦ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِۦٓ ۝١٦ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُۥ وَقُرْءَانَهُۥ ۝١٧ فَإِذَا قَرَأْنَٰهُ فَٱتَّبِعْ قُرْءَانَهُۥ ۝١٨ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُۥ﴾[القيامة:١٦-١٩] فإذا كان أفصح الخلق ﷺ مأمورًا باتباع القراءة، فكيف بغيره من الأمة؟ وهذا من الأدلة الواضحة على وجوب الاتباع في القراءة، وأن معرفة الأحرف والأوجه التي يقرأ بها القرآن سبيلها الاتّباع.

٢-قوله ﷻ: ﴿وَبِٱلْحَقِّ أَنزَلْنَٰهُ وَبِٱلْحَقِّ نَزَلَ ۗ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا مُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ۝١٠٥ وَقُرْءَانًا فَرَقْنَٰهُ لِتَقْرَأَهُۥ عَلَى ٱلنَّاسِ عَلَىٰ مُكْثٍ وَنَزَّلْنَٰهُ تَنزِيلًا﴾[الإسراء:١٠٥-١٠٦] فأنزل الله ﷻ القرآن الكريم، وفرقه على زمن النبوة، ليتمكن النبي ﷺ من قراءته على الناس على مهل فيتقنوه، ولينذر وليبشر به فيحفظوه.

٣-عن عمر ﷺ مرفوعا: **[إن هذا القرآن أُنزل على سبعة أحرف، فاقرؤوا ما تيسر منه].**

---

(١) إذا كان ما تلي وقرئ بخلاف المصحف، أي من غير المتواترة، ولا توافق رسم المصحف، فيترتب على القراءة بها حكم عقدي وهو التبديع من عدمه، وحكم فقهي وهو صحة الصلاة من عدمها، وهذان الحكمان لا يوردان على من لم يعلم بالنسخ، وإنما هما في حق من تيقن النسخ بعد اجتماع الصحابة ﷺ على المصحف الإمام.

٤-عن أنس بن مالك ﷺ أن رسول الله ﷺ قال لأُبَيٍّ ﷺ : [**إن الله ﷻ أمرني أن أقرأ عليك** ﴿ لَمْ يَكُنِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَـٰبِ ﴾[البينة:١] **قال: وسماني؟ قال: نعم. قال فبكى**][1]. قال أبو عبيد ﷺ: «المراد بالعرض على أبيّ ﷺ ليتعلم أبيّ منه القراءة، ويتثبت فيها، وليكون عرض القرآن سنة..»[2].

٥-قال زيد بن ثابت ﷺ : [**القراءة سنة**][3] قال البيهقي ﷺ بعد هذا الأثر: «وإنما أراد ـ والله أعلم ـ أن اتباع من قبلنا في الحروف، وفي القراءات سنة متبعة، لا تجوز مخالفة المصحف الذي هو إمام، ولا مخالفة القراءات التي هي مشهورة، وإن كان غير ذلك سائغا في اللغة، أو أظهر منها»[4].

فهذه أدلة توقفك على أن معرفة القراءة تكون بالاتباع، وطريقها السماع والتلقي، ولهذا ينبغي لقارئ القرآن أن يكون مجوّدا الآي على حد قوله ﷻ : ﴿ وَرَتِّلِ ٱلْقُرْءَانَ تَرْتِيلاً ﴾[المزمل:٤]، ومن تمام الترتيل اتباع المصحف في القراءة، **وأما قراءة ما يخالف المصحف ففيها مسألتان:**

المسألة الأولى: قراءة القرآن مُنَكَّساً.

أما قراءة القرآن بتقديم سورة على سورة فهذا فيه خلاف يسير، والصحيح جوازه دون تعسير، وذلك أنه جاء عن حذيفة ﷺ قال: [**صليت مع النبي ﷺ ذات ليلة فافتتح البقرة، فقلت: يركع عند المائة، ثم مضى، فقلت يصلي بها في ركعة، فمضى، فقلت**: يركع بها، **ثم افتتح النساء فقرأها، ثم افتتح آل عمران فقرأها مترسلا...**][5]. **فهذا فيه عدم مراعاة الترتيب في قراءة السور**، إلا أنه قد يقال إن

---

(١) رواه البخاري، كتاب مناقب الأنصار، باب/ مناقب أبي بن كعب ﷺ، ح(٣٨٠٩)، ومسلم، كتاب فضائل الصحابة، باب/ من فضائل أبي بن كعب وجماعة من الأنصار ﷺ، ح(٧٩٩).

(٢) الفتح ٧/ ١٢٧.

(٣) أخرجه سعيد بن منصور في سننه ٢/ ٢٦٠، (٦٣)، والطبراني في الكبير ٥/ ١٣٣، ح(٤٨٥٥)، والبيهقي في شعب الإيمان ٢/ ٣٨٥، وانظر: مجمع الزوائد للهيثمي ٢/ ١١٥.

(٤) السنن الكبرى ٢/ ٣٨٥.

(٥) رواه مسلم، كتاب صلاة...، باب/ استحباب تطويل القراءة في صلاة الليل، ح(٧٧٢).

ذلك في القراءة دون الكتابة، وأيضا إنما كان ذلك قبل الترتيب المجمع عليه[(١)] في عهد الخلفاء الراشدين، والصحابة المرضيين، ونحن أمرنا باتباع سنتهم، قال ﷺ: [**فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي، وعضوا عليها بالنواجذ، وإياكم ومحدثات الأمور**].

وأمرنا باتباع سبيل الصحابة عموما، قال الله ﷻ: ﴿ وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ ٱلْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِۦ جَهَنَّمَ ۖ وَسَآءَتْ مَصِيرًا ﴾[النساء:١١٤].

قال النووي رحمه الله: «قال العلماء: الأولى أن يقرأ على ترتيب المصحف، فيقرأ الفاتحة، ثم البقرة، ثم آل عمران، ثم ما بعدها على الترتيب، وسواء قرأ في الصلاة أو في غيرها...، ودليل هذا أن ترتيب المصحف إنما جُعل هكذا لحكمة»[(٢)].

وأما كتابة القرآن فواجبة على هذا الترتيب الوارد عن الخلفاء الراشدين رضي الله عنهم، والذي أجمع عليه الأمة من بعدهم[(٣)].

وأما ترتيب آيات السور وقراءتها على الترتيب الموجود في المصحف فهو أمر لازم، وحتم واجب، ولهذا حرم أهل العلم تنكيس الآيات، لأن «ترتيب آيات السور منـزل منصوص عليه، فلم يكن لهم أن يقدموا آية على آية في الرسم، لأن ترتيب

---

(١) وهل ترتيب السور توقيفي أو اجتهادي، اختلف فيه أهل العلم، وأرجح الأقوال، وأعدلها: أن ترتيب السور منها ما هو توقيفي ومنها ما هو اجتهادي، وقد سبق وأن أشرت إلى هذه المسألة في ص٣٢٨، وانظر: الإتقان للسيوطي ١/ ١٧٦-١٧٩، المدخل لدراسة القرآن الكريم ص ٢٨٥-٢٩٧.

(٢) التبيان في آداب حملة القرآن للنووي ص ٩٩.

(٣) والدليل على ذلك ما يأتي في الفصل الثالث، من الباب الثالث من أن إتباع الرسم واجب، وأن مخالفة خطوطهم غير سائغ؛ فكيف بمخالفة ترتيبهم؟. وانظر: إعانة الطالبين ١/ ٦٨، المدخل لدراسة القرآن الكريم ص ٣٠٧-٣١١، وقد طبعت ترجمة ألمانية للقرآن كتب فيها المصحف غير الترتيب المعروف، بل رتبت على حسب النـزول والتأريخ!!، كما في: مناهل العرفان ٢/ ١١٧، وقد وقفت على جزء (عم) مطبوع، طبعه بعض الروافض، فإذا هو منكوس في الترتيب، فقدموا سورة الناس أولا ثم الفلق، ثم الإخلاص، وهكذا!!؟.

الآيات مأمور بها نصا»[١].

وهذا المنع لأنه لم يثبت ذلك عن النبي ﷺ، ولا عن صحبه الكرام، ويخالف الإعجاز القرآني في الألفاظ والتركيب[٢].

وقد حكى الإجماع في منع قراءة الآيات منكسة غير واحد من أهل العلم، وذكرهم السيوطي، وقال: «الإجماع والنصوص المترادفة على أن ترتيب الآيات توقيفي، لا شبهة في ذلك»[٣].

بل صرح الفقهاء ـ رحمهم الله ـ بأن قراءة الآيات منكسة تبطل الصلاة[٤]، وكذلك ينبغي إذا أراد أن يقرأ القرآن كله، لا ينبغي له أن يكرر سورة بعينها لغير حاجة التعليم، قال شيخ الإسلام ابن تيمية ﷺ في قراءة سورة الإخلاص «ينبغي عليه أن يقرأها كما في المصحف مرة واحدة، هكذا قال العلماء، لئلا يزاد على ما في المصحف، وأما إذا قرأها وحدها، أو مع بعض القرآن فإنه إذا قرأها ثلاث مرات عدلت القرآن»[٥]؛ فينبغي لقارئ القرآن أن يتبع رسم المصحف في القراءة، ولا يخالف المرسوم في التلاوة، فيكون متبعا، لا مبتدعا، وأما كتابة المصحف بغير الأحرف **العربية**: فهي مندرجة تحت هذا الباب، وسيأتي لها مزيد تفصيل في هذا الكتاب[٦].

المسألة الثانية: قراءة ما ثبت من الأحرف عن بعض الصحابة مخالفا للرسم.

روي عن بعض الصحابة ﷺ أحرف لا توجد في المصحف، وهذه الأحرف تخالف رسم المصحف، ولا يخلو الذي روي من أن يكون ممّا لا يثبت سندا، أو مما

(١) المجموع ١٣/ ٣٩٦.
(٢) انظر: التبيان في آداب حملة القرآن ص ١٠٠.
(٣) الإتقان ١/ ١٧٢، وانظر: ما بعدها من الصفحات.
(٤) انظر: الثمر الداني شرح رسالة القيرواني ١/ ١١٦، الإقناع ١/ ١٠٥.
(٥) المجموع ١٧/ ٢١٣.
(٦) انظر: المطلب الأول، من الفصل الثالث، من الباب الثالث.

ثبت. فأما ما لم يثبت فليس الكلام فيه، لأنه قطعا ليس من القرآن، ولا يجوز أن يقرأ بها، ولا أن يذكر إلا على سبيل القطع بعدم الثبوت.

وأما ما ثبت سندا فهو أيضا ينقسم إلى قسمين:

قسم نجزم أنه منسوخ وذلك أنه روي قبل كتابة مصحف عثمان ﷺ ومع ذلك لم يكن في مصاحفهم، مثل ما ثبت عن عمر ﷺ أنه قال: [**إن الله قد بعث محمدا ﷺ بالحق، وأنزل عليه الكتاب، فكان مما أنزل عليه آية الرجم، قرأناها، ووعيناها، وعَقلناها، فرجم رسول الله ﷺ، ورجمنا بعده، فأخشى إن طال بالناس زمانٌ، أن يقول قائل: ما نجد الرجم في كتاب الله، فيضلوا بترك فريضة أنزلها الله، وإن الرجم في كتاب الله حق على من زنى إذا أحصن من الرجال والنساء، إذا قامت البينة، أو كان الحَبَلُ أو الاعتراف**][1]؛ **فقوله** ﷺ [**قرأناها ووعيناها...**] دليل على أنه كان وحيا متلوا من القرآن، وأكد ذلك بكون النبي ﷺ ومن معه من الصحابة عملوا بمقتضى هذا الحكم، وكونها نسخت تلاوتها ولا توجد في المصاحف، هذا فيه دليل على أنها منسوخة تلاوة، ولذلك لم تكتب في المصاحف، ومما يؤكد هذا المعنى قول أُبيّ بن كعب ﷺ : [**إن سورة الأحزاب كانت تعدل سورة البقرة، ولقد قرأنا فيها قرآنا: الشيخ والشيخة إذا زنيا فارجموهما البتة، نكالا من الله، والله عزيز حكيم**][2]. فهذا يؤكد النسخ، وهكذا ورد عن غيره من الصحابة أنهم قرؤوها[3]، فيدل أنها نسخت بعد تلاوتهم لها ـ والله أعلم ـ[4].

ويوضحه أكثر إنكار عمر ﷺ على أبي بن كعب ﷺ لما كان يقرأ بأحرف يراها عمر قد نسخت، كما في صحيح البخاري عن ابن عباس ﷺ قال: قال عمر ﷺ: [**أُبَيٌّ أقرؤنا،**

---

(١) أخرجه البخاري، كتاب الحدود، باب/ الاعتراف بالزنا، ح(٦٨٣٠)، ومسلم، كتاب الحدود، باب/ رجم الثيب في الزنا، ح(١٦٩١) واللفظ له.

(٢) أخرجه الحاكم في مستدركه، كتاب الحدود، ح(٨٠٦٨)وقال صحيح الإسناد ولم يخرجاه، وسكت عنه الذهبي في التلخيص، ورواه ابن حبان في صحيحه ١٠/ ٢٧٣، ح(٤٤٢٨).

(٣) انظر: سنن الدارمي ٢/ ١٤٧، مستدرك الحاكم ح(٨٠٧٠)، (٨٠٧١)، (٨٠٧٢).

(٤) انظر: الفتح ١٢/ ١٤٧-١٤٨.

وإنا لندع من لَحْنِ أبيّ، وأبيٌّ يقول: أخذته من فِي رسولِ الله ﷺ فلا أتركه لشيء؟ وقد قال الله ﷻ: ﴿مَا نَنسَخْ مِنْ ءَايَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَآ أَوْ مِثْلِهَآ﴾[البقرة:١٠٦]](١)، قال الحافظ ابن حجر رحمه الله: «قوله: وقد قال الله تعالى الخ، هو مقول عمر محتجا به على أبي بن كعب، ومشيرا إلى أنه ربما قرأ ما نسخت تلاوته، لكونه لم يبلغه النسخ»(٢).

والمنسوخ لا يجوز أن يقرأ على أنه قرآن متلو، وذلك لكونه منسوخا تلاوة، ولكونه غير موجود في مصاحف المسلمين، وكل ما لا يوجد موافقا للمصحف المجمع عليه فلا يجوز أن يقرأ بها(٣) إلا إذا أراد العلم مما هو سبيل أهل الاختصاص، قال الحافظ ابن عبد البر رحمه الله فيما روي عن الإمام مالك رحمه الله من إجازته للأحرف المخالفة للمصحف: «ذلك محمول عند أهل العلم اليوم على القراءة في غير الصلاة على وجه التعليم، والوقوف على ما روي في ذلك من علم الخاصة»(٤).

وقسم ثبت كونه في بعض مصاحف الصحابة رضي الله عنهم وهذا لا يخلو من أمرين:

الأول: أن يكون نسخ ولم يعلم به ذلك الصحابي رضي الله عنه، والأمر إذا نسخ ولم يعلم به المكلف فإنه يعمل باعتقاده الأول حتى يرد عليه الناسخ(٥)، وعلى هذا يحمل ما في مصاحف الصحابة مما يخالف المصحف المجمع عليه، وهو أنهم لم يعلموا بنسخ هذه الأوجه المروية إلا بعد اجتماع الصحابة على العرضة الأخيرة من القرآن الكريم، وأن ما عداها فهو مخالف للعرضة الأخيرة.

الثاني: أن ذلك كان تفسيرا من الصحابي رضي الله عنه، أو تفسيرا سمعه من النبي ﷺ، ولم ير ذلك الصحابي بأسا بكتابتها مع المصحف لعلمه بأن الناس يحفظون كلام الله

---

(١) رواه البخاري، كتاب التفسير، تفسير سورة البقرة، ح(٤٤٨١)، وفي كتاب فضائل القرآن، باب القراء من أصحاب رسول الله ﷺ، ح (٥٠٠٥)، كلاهما عن ابن عباس رضي الله عنهما.

(٢) الفتح ٨/ ١٧، وانظر منه: ٨/ ٦٧١.

(٣) وسيأتي ذكر أقوال أهل العلم في المنع من قراءة ما يخالف المصحف مطلقا، سواء كان من المنسوخ، أو من الأحرف التي تخالف رسم المصحف.

(٤) التمهيد لابن عبد البر ٨/ ٢٩٩، وانظر: ٨/ ٢٩٢.

(٥) انظر: روضة الناظر وجنة المناظر ١/ ١٨٢ وما بعدها.

ولا يلتبس عليهم الأمر، وأن القرآن محفوظ في الصدور، ومعلوم للعامة والخاصة.

وعلى كلٍ فقراءة ما خالف المصحف من الأحرف والأوجه المروية عن الصحابة ﷺ لا يجوز بعد إجماعهم على ما في المصحف الإمام، الذي يوافق العرضة الأخيرة، ويؤكد هذا التحريم كون التلاوة سنة متبعة، ولا تكون إلا بما كان عليه السلف متفقين، ولهذا حرقوا المصاحف التي كانت تخالف المصحف الأم وهو مصحف عثمان ﷺ، ومن قرأ بحرف شاذ يخالف المصحف، وخالف في ذلك جمهور القراء المعروفين فهو غير مصيب، وهذا مذهب أهل العلم الذين هم القدوة، ومذهب الراسخين في علم القرآن قديما وحديثا وفيهم أسوة، **وإليك تحريرا لهذا المنع أقوال أهل العلم ـ رحمهم الله ـ:**

١- أن عثمان ﷺ بمحضر من الصحابة ﷺ قد حرق المصاحف الأخرى لما كان في بقائها نذير اختلاف، «أو كان فيها ما ليس من القرآن، أو ما نسخ منه، أو على غير نظمه، وقد سلم لذلك الصحابة كلهم»[(١)].

٢- أن أصحاب رسول الله أجمعوا في زمن عثمان ﷺ على ما بين الدفتين، واطرحوا ما عداه، وكان ذلك عن اتفاق منهم، وهذا معلوم لجميع الملة[(٢)].

٣- نقل الحافظ ابن عبد البر ﷺ أن الإمام مالكا ﷺ قال: «من قرأ في صلاته بقراءة ابن مسعود ﷺ أو غيره من الصحابة مما يخالف المصحف لم يُصلَّ وراءه». قال أبو عمر: «وعلماء المسلمين مجمعون على ذلك إلا قوم شواذ»[(٣)].

٤- ذكر ابن حزم ﷺ أن عثمان ﷺ إنما نسخ المصاحف، وأرسل بها إلى الأمصار، لتكون مرجعا للقراء، ولم يغير شيئا من القرآن، وأمر بما وراء ذلك مما كتب في المصاحف أن تحرق فأحرقت، وأما المصاحف التي كانت عند حفصة فأرجعت، ولم تحرق، وهذا ينبيك أنها كانت مثلها، وليس فيها ما هو منسوخ، أو مخالف للقرآن فلم يحرقها[(٤)].

---

(١) العواصم من القواصم ص ٧٠، وانظر: طبقات الشافعية للسبكي ١٠/ ٢٩٠.

(٢) البرهان للجويني ص ٤٢٧-٤٢٨.

(٣) التمهيد لابن عبد البر ٨/ ٢٩٢، وانظر: ٤/ ٢٧٨-٢٧٩.

(٤) الإحكام في الأحكام ٤/ ٥٥٤.

٥- ذكر الخطيب رحمه الله جزاء من كان يقرأ بالشواذ، حيث ذكر قصة ابن شنبوذ[١] فقال: « واشتهر ببغداد أمر رجل يعرف بابن شنبوذ يقرئ الناس، ويقرأ في المحراب بحروف يخالف فيها المصحف، مما يروى عن عبد الله بن مسعود، وأُبيّ بن كعب رضي الله عنهما وغيرهما، مما كان يقرأ به قبل جمع المصحف الذي جمعه عثمان بن عفان رضي الله عنه، ويتبع الشواذ، فيقرأ بها، ويجادل حتى عظم أمره وفشى، وأنكره الناس، فوجه السلطان فقبض عليه...، **وأُحضِر القضاة والفقهاء والقراء**، وناظره الوزير بحضرتهم، فأقام على ما ذكر عنه، ونصره، **واستنـزله الوزير عن ذلك فأبى أن ينـزل عنه، أو يرجع عما يقرأ به من هذه الشواذ المنكرة التي تزيد على المصحف، أو تخالفه، فأنكر ذلك جميع من حضر المجلس وأشاروا بعقوبته، ومعاملته مما يضطره إلى الرجوع**»[٢].

٦- ويذكر ابن الجوزي رحمه الله في غير موضع في تفسيره بعد ما يذكر القراءات والأحرف المخالفة للمصحف، يقول: وما يخالف المصحف فلا أرى القراءة بها[٣].

٧- قال النووي رحمه الله: « وتجوز القراءات بالسبع، ولا تجوز بالشواذ »[٤].

٨-سئل ابن الصلاح رحمه الله عن القراءة بالشواذ، فقال: « لا تجوز القراءة من ذلك إلا بما تواتر نقله، واستفاض، وتلقته الأمة بالقبول، كهذه السبع، فإن الشرط في ذلك اليقين، والقطع، على ما تقرر في الأصول، فما لم يوجد فيه ذلك فممنوع منه كراهة، وممنوع منه في الصلاة، وخارج الصلاة »[٥]، وأفتى رحمه الله بتعزير من قرأ بالشواذ[٦].

٩- قال الآمدي رحمه الله: « فلو قلنا إن ما نقله ابن مسعود رضي الله عنه قرآن لزم ارتكاب

---

(١) هو: محمد بن أحمد بن أيوب المقرئ المعروف بابن شنبوذ، وكان يقرأ بالشواذ، وضرب بسبب ذلك، توفي سنة ٣٢٨ هـ. انظر: البداية والنهاية لابن كثير ١١/ ٢٣١.

(٢) تاريخ بغداد ١/ ٢٨٠، وانظر: قصة تحريف المصحف المنسوب إلى ابن مسعود الذي أظهره الرافضة!!! في بغداد في البداية والنهاية ١١/ ٤١٢، وشذرات الذهب ٣/ ١٤٩-١٥٠.

(٣) انظر: زاد المسير ٨/ ٤٣٩، ٩/ ١٩٣.

(٤) المجموع للنووي ٢/ ١٨٨، وانظر: الإقناع للشربيني ١/ ١٠٥.

(٥) فتاوى ابن الصلاح ص ٢٣٠.

(٦) فتاوى ابن الصلاح ص ٢٣٢.

من عداه من الصحابة للحرام بالسكوت، ولو قلنا إنه ليس بقرآن، لم يلزم منه ذلك بالنسبة إلى الراوي، ولا بالنسبة إلى من عداه»(١).

١٠- قال ابن قدامة رحمه الله: «فأما ما يخرج من مصحف عثمان كقراءة ابن مسعود وغيرها، فلا ينبغي أن يقرأ بها في الصلاة، لأن القرآن ثبت بطريق التواتر، وهذه لم تثبت التواتر بها، فلا يثبت كونها قرآنا، فإن قرأ بشيء منها، مما صحت به الرواية، واتصل إسنادها، ففيه روايتان؛ **إحداهما**: لا تصح صلاته لذلك. **والثانية**: تصح لأن الصحابة كانوا يصلون بقراءاتهم في عصر النبي ﷺ وبعده، وكانت صلاتهم صحيحة بغير شك».(٢) ولا يخفى أن صلاتهم صحيحة لعدم النسخ، في ذلك الوقت في عهده ﷺ أو لعدم علمهم بالنسخ، كما صلى أهل قباء إلى بيت المقدس وجاءهم الخبر بتغيير القبلة ولم يعيدوا صلاتهم.

١١- قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله بعد أن أورد قصة الإنكار على ابن شنبوذ قال: «فإنما كان ذلك في القراءات الشاذة الخارجة عن المصحف»(٣).

١٢- قال الحافظ ابن كثير رحمه الله: «وما يذكر من قراءة ابن مسعود رضي الله عنه فالظاهر أنه رجع إلى قول عثمان رضي الله عنه وموافقيه، وقرأ بما عليه الجماعة»(٤).

١٣- قال الحافظ ابن حجر رحمه الله، بعد أن أورد القراءات في قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَدۡخُلُواْ بُيُوتًا غَيۡرَ بُيُوتِكُمۡ حَتَّىٰ تَسۡتَأۡنِسُواْ وَتُسَلِّمُواْ عَلَىٰٓ أَهۡلِهَاۚ ذَٰلِكُمۡ خَيۡرٞ لَّكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ﴾[النور:٢٧]، قال: «وأما اتفاق الناس على قراءتها بالسين

---

(١) الإحكام ١/ ٢١٤.

(٢) المغنى ١/ ٢٩٢، وانظر: المجموع ١٢/ ٥٧٠، الفروع لابن مفلح ١/ ٣٧١، كشاف القناع ١/ ٣٤٥.

(٣) المجموع ١٣/ ٣٩٣، وشيخ الإسلام اختار صحة الصلاة بها، وهو رواية عن الإمام أحمد، ولكن ابن قدامة اختار المنع، وانظر: المغني ١/ ٢٩٢، المجموع ١٣/ ٣٩٧. والراجح أن الصلاة مبنية على صحة قرآنية الآيات، ولا سبيل إلى ذلك إلا صحة السند، وموافقة الرسم، وموافقة وجه من أوجه اللغة، والشاذة تخالف إما من حيث السند، أو من حيث الرسم، أو من حيث اللغة، أو من جميع هذه الحيثيات، أو من جهتين، أومن جهة واحدة؛ فلم تصح الصلاة بها.

(٤) البداية والنهاية ٩/ ١٥٥، وانظر: طبقات الشافعية للسبكي ٤/ ٩٥.

فلموافقة خط المصحف الذي وقع عليه الاتفاق على عدم الخروج عما يوافقه، وكانت قراءة أبي من الأحرف التي تركت القراءة بها »[١].

١٤-ذكر الشوكاني عن النحاس أنه قال: « لا يقرأ بما خالف المصحف »[٢].

١٥-قال ابن عابدين[٣] ﷺ: « والذي تجوز به الصلاة بالاتفاق، هو المضبوط في مصاحف الأئمة التي بعث بها عثمان ﷺ إلى الأمصار... »[٤]. وقال: « والشرط في قرآنية الشيء ـ أي الآي ـ ثبوته في محله في المصحف »[٥]. **فهذه أقوال أهل العلم** الذين اتفقوا على النهي عن القراءات الشاذة المخالفة لمصحف عثمان ﷺ للتلاوة، أو للصلاة[٦]، ونخلص من هذا: اتفاقهم على أن من قرأ بما يخالف المصحف بعد ما استقر الأمر أنه يعزر، وأن الصلاة لا تصح بها عند جمهور أهل العلم، ـ فضلا عن كونه قد أتى بما هو مبتدع في الدين ـ وكيف يتلو إنسان شيئا في ثبوته ونقله شك؟؟، ولو لم يكن ذلك الشك إلا لأنّ الصحابة ﷺ تركوا كتابتها لكان ذلك كافيا، والله أسأل أن يوفق المسلمين على المحافظة على كتابهم حفظا وتلاوة وعملا، وإذا تأكد لنا أن كل ما في المصحف فهو من كلام الله ﷻ، فهل يجوز الحلف به أم لا؟ هذا ما أبينه في المطلب الآتي.

---

(١) الفتح ١١/ ١٠، وإنما قرأ بعضهم: ﴿تستأذنوا﴾ بالذال المعجمة بدلا عن السين المهملة، وهذه قراءة أبي ﷺ المتروكة، وهما بمعنى واحد، فكلاهما بمعنى: طلب الإذن، إلا أن الاستئناس أدق منه.

(٢) فتح القدير ٤/ ٣٦١.

(٣) هو الفقيه الماتريدي الصوفي الحنفي: محمد أمين بن عمر بن عبد العزيز عابدين الدمشقي، ولد بدمشق، وله مصنفات كثيرة، منها: رد المحتار على الدر المختار المشهور"بحاشية ابن عابدين"، توفي سنة ١٢٥٢هـ. انظر: معجم المؤلفين ٩/ ٧٧.

(٤) حاشية ابن عابدين ١/ ٤٨٦.

(٥) حاشية ابن عابدين ١/ ٤٩١ بتصرف.

(٦) انظر: الدر النضيد في مجموعة ابن الحفيد ص ٤٤.

المطلب الرابع: الحلف بالمصحف.

وأبحث هذه المسألة من حيث إنّ علماء أهل السنة والجماعة اعتقدوا أن ما في المصحف هو كلام الله ﷻ وصفة من صفات الله ﷻ، فعلى هذا ذكروا الحلف به.

ومعلوم أن الحلف من العبد لا يجوز أن يكون إلا بالله ﷻ أو بأسمائه، أو بصفة من صفاته، قال الإمام البخاري ؒ: «باب: الحلِف بعزة الله وصفاته وكلامه»[(١)] فصنيع الإمام البخاري ؒ يدل على أن الحلف يكون بالله وبأسمائه وصفاته، ومنها كلامه ﷻ[(٢)]، ويدل له ما ذكره البخاري من قول النبي ﷺ: [**لا تزال جهنم تقول: هل من مزيد؟ حتى يضع رب العزة فيها قدمه؛ فتقول: قَطْ قَطْ وعزتك...**][(٣)]، ففيه التصريح بالحلف بعزة الله ﷻ وهي صفة من صفات الله ﷻ، والفقهاء ـ رحمهم الله ـ متفقون على أن اليمين تنعقد بالله وذاته وصفاته العلية[(٤)].

قال الحافظ ابن عبد البر ؒ: «لا يجوز الحلف بغير الله ﷻ في شيء من الأشياء، ولا على حال من الأحوال، وهذا أمر مجمع عليه»[(٥)].

وقال الإمام البغوي ؒ: «**اليمين إنما تنعقد بالله، أو باسم من أسماء الله، أو بصفة من صفات ذاته**، واليمين به أن يقول: والذي لا إله غيره، والذي أعبده...، واليمين بأسمائه، كقوله: واللهِ، والرحمنِ، والرحيمِ، والخالقِ، والبارئ، والرزاقِ، والرب، والسميعِ، والبصير...، واليمين بصفات الذات، كقوله: وعظمة الله، وجلال الله، وعزة الله، وقدرة الله، وكبرياء الله، وعِلم الله، وكلام الله، فهذا كله يمين»[(٦)].

---

(١) صحيح الإمام البخاري ص ١٤٠٠.

(٢) انظر: الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ٥/ ٤، الفتح ١١/ ٥٥٤.

(٣) رواه البخاري، كتاب الأيمان والنذور، باب/ ١٢، ح(٦٦٦١) من رواية أنس بن مالك ؓ.

(٤) انظر: المغني ٩/ ٣٨٥، الفتح ١١/ ٥٤٠، تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي ٥/ ١٣٣.

(٥) التمهيد ١٤/ ٣٦٦، وانظر: صحيح ابن حبان ١٠/ ٢٠١، شرح الزرقاني ٣/ ٨٨، عون المعبود لشمس الحق العظيم آبادي ٩/ ٥٥، سبل السلام للصنعاني ٤/ ١٠١.

(٦) شرح السنة ١٠/ ٤-٥، وانظر: الأم للشافعي ٧/ ١٠٥، السنن الكبرى للبيهقي ١٠/ ٤١، المغني ١٣/ ٤٥٢-٤٥٥.

وأما الحلف بغير الله ﷻ فمنهي عنه في الشرع، وقد جاءت الأحاديث الدالة على ذلك، ومنها قوله ﷺ: [**من كان حالفا فليحلف بالله أو ليصمت**][1]، وقال ﷺ: [**من حلف بغير الله فقد كفر أو أشرك**][2].

فبان بهذا أن الحلف بغير الله معصية، وقد يكون شركا،[3] قال الحافظ ابن حجر ﵀: «فان اعتقد في المحلوف به من التعظيم ما يعتقده في الله حرم الحلف به، وكان بذلك الاعتقاد كافرا، وعليه يُنَزَّلُ الحديث المذكور، وأما إذا حلف بغير الله لاعتقاده تعظيم المحلوف به على ما يليق به من التعظيم فلا يكفر بذلك»[4]، وما ورد في السنة مما فيه الحلف بغير الله ﷻ[5]، فهو إما قبل النهي، أو أن اللفظ يحتمل، أو أنه لم يصح[6].

وأما ما ورد في القرآن الكريم من القسم بغير الله ﷻ فقد ورد فيه جوابان كلاهما صحيحان، ولعله من باب التفسير المترادف، وهما:

١ – أن ذلك خاص بالله ﷻ فله أن يحلف بما شاء، وبما يشاء، وليس لأحد من خلقه ذلك، وكون الله يقسم بذلك إنما هو لكونه سبحانه لا يسأل عما يفعل، ولأجل بيان عظمة المحلوف به، أو بيان شرفه، وعلو منـزلته، أو لأهميته.

---

(١) أخرجه البخاري، كتاب الأيمان والنذور، باب/ لا تحلفوا بآبائكم، ح(٦٦٤٦)، ومسلم، كتاب الأيمان، باب/ النهي عن الحلف بغير الله تعالى، ح(١٦٤٦)، كلاهما عن ابن عمر ﵄ عن أبيه.

(٢) أخرجه أبو داود، كتاب الأيمان والنذور، باب/ في كراهية الحلف بالآباء، ح(٣٢٥١)، والترمذي واللفظ له، كتاب الأيمان والنذور، باب/ ...، ح(١٥٧٤)، وقال: «حديث حسن»، وابن حبان في صحيحه، كتاب الأيمان، باب/ ذكر الزجر عن أن يحلف المرء بشيء سوى الله ﷻ، ح(٤٣٤٣)، والحاكم في مستدركه، كتاب الأيمان والنذور، ح (٧٨١٤)، وقال: «صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه» وقال الذهبي: «صحيح»، والحديث من مسند ابن عمر ﵄، وقال الشيخ الألباني: «صحيح». انظر: إرواء الغليل ٨/ ١٨٩.

(٣) انظر: المحلى لابن حزم ٧/ ٣٠، المغني لابن قدامة ١٣/ ٤٣٦.

(٤) الفتح ١١/ ٥٤٠.

(٥) ومما ورد [**أفلح وأبيه إن صدق**] مسلم، ح(١١)، وأن الصحابة كان أحدهم [**يحلف بأبيه**] البخاري، ح(٦٦٤٦)، ونحو ذلك فيكون توجيهه على ما ذكرته ـ والله أعلم ـ.

(٦) انظر: الأم للشافعي ٧/ ١٠٦، السنن الكبرى للبيهقي ١٠/ ٢٩، شرح مشكل الآثار ٢/ ٢٨٩-٢٩٥، الفتح ١١/ ٥٤٤.

٢- أن فيه إضمارا وحذفا، فمثلا في قوله ﷻ: ﴿وَٱلشَّمْسِ وَضُحَىٰهَا﴾[الشمس:١] يكون التقدير: ورب الشمس، ونحوه(١). فليس في التمسك بما ورد في القرآن حجة على الحلف بغير الله، بعد ثبوت السنة الصحيحة الصريحة(٢).

فالحلف بغير الله ممنوع، لأنه قد يكون شركا، أو وسيلة إلى الشرك، ومن كان حالفا فليحلف بالله ﷻ الذي يجب أن يعظم وحده تعظيم إجلال، ورغبة ورهبة، وخوف ومحبة.

والسلف متفقون على أن ما في المصحف كله من الفاتحة إلى الناس هو من كلام الله ﷻ، وكلامه صفة من صفاته، فهم لم يختلفوا في كون القرآن صفة لله ﷻ، وإنما اختلفوا في الحلف بالمصحف الذي هو كلام الله ﷻ من حيث الجواز وعدمه، لكون ذلك لم يكن معروفا في زمن النبي ﷺ فبناء على عدم ورود الحلف بالمصحف عن رسول الله ﷺ اختلف الفقهاء ـ رحمهم الله ـ في الحلف بالمصحف على قولين مشهورين:

القول الأول: المنع من الحلف بالمصحف(٣). قالوا: لعدم

---

(١) انظر: شرح السنة للبغوي ١٠/ ٦، المغني لابن قدامة ١٣/ ٤٣٨، الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ٥/ ٥، الفتح ١١/ ٥٤٢، ٥٤٤.

(٢) وكنت في الحرم في درس أحد الشيوخ الفضلاء، وكان يتكلم عن الحلف بغير الله، وأنه منهي عنه، فقال عالم من علماء الرافضة بجواري: إن من حلف بغير الله فقد اقتدى بالله، كما في القرآن. فقلت: وهل كل ما يجوز لله يجوز للعبد أن يفعله، فمن صفات الله في القرآن العظمة والكبرياء، فهل للعبد أن يتصف بهما، فلم يحر جوابا، وذكرت بعد ذلك ما ثبت في السنة، فسكت.

(٣) انظر: مصنف عبد الرزاق حيث نسب هذا القول إلى قتادة ٨/ ٥٦٩، وذكر غير واحد أن المروي عن قتادة جواز الحلف به، والقول بالمنع منسوب إلى الحنفية، كما في المغني وغيره، إلا أن الذي عليه المذهب الحنفي جواز الحلف بالمصحف إذا قصد كلام الله ﷻ، قال ابن عابدين نقلا عن الفتاوى الهندية عن الحلف بالمصحف: «وبه نأخذ، ونأمر، ونعتقد»، وقال محمد بن مقاتل الرازي: «إنه ـ أي الحلف بالمصحف ـ يمين، وبه أخذ جمهور مشايخنا، فهذا مؤيد لكونه صفة تعورف الحلف بها كعزة الله، وجلاله». حاشية ابن عابدين ٣/ ٧١٢-٧١٣، لكن أشد من أنكر الحلف بالمصحف هم المالكية، وذلك لعدم الورود، ـ وإن كان المتأخرون منهم جوزوه ـ، قال القرطبي: «وقال ابن العربي: هو بدعة، ما ذكرها أحد قط من الصحابة». الجامع لأحكام القرآن ٦/ ٢٢٨، و يأتي أنه ورد عن ابن مسعود الحلف بالقرآن، فالمصحف هو القرآن.

الـورود(١)، ولأن في المصحف الورق والحبر، وهذه لا تجوز الحلف بها(٢).

القول الثاني: جواز ذلك(٣). واستدلوا بأدلة منها:

١- أنه ورد ذلك عن بعض الصحابة(٤).

٢- ولأن اليمين جائز بصفات الله ﷻ، والقرآن الموجود بين الدفتين من كلامه ﷻ، فالحلف به وإن لم يرد نصا فهو جائز لعموم الأدلة، كما لو حلف إنسان بصفة من صفات الله ﷻ، ولم يرد الحلف بهذه الصفة عن النبي ﷺ فلا يمنع منه، فكذلك الحلف بالمصحف.

٣- أن الحالف بالمصحف لا يريد بحلفه إلا كلام الله ﷻ المكتوب بين الدفتين، ولا يريد الورق والحبر، وإلا فإنها موجودة في كل كتاب فلِمَ لم يُحلف بها، فاختصاص الحلف بالمصحف لكون المراد المكتوب الذي هو كلام الله ﷻ.

قال ابن قدامة رحمه الله: «وإن حلف بالمصحف انعقدت يمينه...، ولم يكره ذلك إمامنا وإسحاقُ، لأن الحالف بالمصحف إنما قصد الحلف بالمكتوب فيه، وهو القرآن، فإنه بين دفتي المصحف بإجماع المسلمين»(٥).

---

(١) انظر: المغني لابن قدامة ١٣/ ٤٦٠، الجامع لأحكام القرآن ٦/ ٢٢٨.

(٢) انظر: الفتح ١١/ ٥٤٤.

(٣) انظر: المغني لابن قدامة ١٣/ ٤٦٠، الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ٦/ ١٧٥.

(٤) ورد عن ابن مسعود رضي الله عنه أنه قال: [من كفر بحرف من القرآن فقد كفر به أجمع، ومن حلف بالقرآن فعليه بكل آية منه يمين] رواه عبد الرزاق في مصنفه، كتاب الأيمان والنذور، باب/ الحلف بالقرآن والحكم فيه، ٨/ ٤٧٢، والبيهقي في سننه، كتاب الأيمان، باب/ ما جاء في الحلف بصفات الله ١٠/ ٤٣، فهذا فيه الحلف بالقرآن، فإذاً ورد الحلف به عن الصحابي ولا يُعلم له مخالف، وإذا ثبت هذا فإن المخالف يطالب بالفرق بين المكتوب منه في مصاحف المسلمين، والمقروء المحفوظ منه!؟ وإلا فليجوز الحلف بالمصحف كما جوز الحلف بالقرآن. انظر: المغني لابن قدامة ١٣/ ٤٧٥، نيل الأوطار للشوكاني ٩/ ٢٢٦، وقال الشافعي رحمه الله: «وأخبرنا مطرف بن مازن بإسناد لا أعرفه: أن ابن الزبير أمر بأن يُحلف على المصحف. قال الشافعي: ورأيت مطرفا بصنعاء يُحلّف على المصحف» الأم ٧/ ٧١. وانظر: السنن الكبرى للبيهقي ١٠/ ١٧٨، وفيه زيادة: «وقد كان من حكام الآفاق من يستحلف على المصحف».

(٥) المغني لابن قدامة ١٣/ ٤٦١، كشاف القناع ٦/ ٢٣١، منار السبيل ٢/ ٣٨٣.

وقال ابن مفلح[1] رحمه الله: «وإن حلف بكلام الله تعالى، أو بالمصحف، أو بالقرآن، فهي يمين... لأن القرآن كلام الله تعالى، وصفة من صفات ذاته[2]، فتنعقد اليمين به، ولم يكره أحمد الحلف بالمصحف، لأن الحالف إنما قصد المكتوب فيه وهو القرآن، فإنه عبارة عما بين دفتي المصحف بالإجماع»[3].

وأما لو قال: بحق المصحف، فليس بحلف، لأن حق المصحف تعظيمه، والعمل به، وقراءته، وهذه أفعال متعلقة بالعبد، فلا يجوز الحلف بها ـ والله تعالى أعلم ـ[4]، فالحلف بكلام الله ﷻ الذي في المصحف هو حلف بصفة من صفاته فلذا كان جائزا عند جمهور أهل العلم، ومن منع منهم، فإنما منع ذلك لعدم الورود فقط، لا لشيء آخر[5]، ولا يجوز أن يُحلف على غير القرآن سواء كان تفسيرا أو غير ذلك، وآن الأوان للشروع في بيان منـزلة الترجمات والتفاسير من القرآن، وهذا ما أفعله في المبحث الآتي.

---

(١) هو الفقيه الأصولي: محمد بن مفلح بن محمد المقدسي الدمشقي الصالحي، المعروف بابن مفلح، وله مؤلفات كثيرة، منها: الفروع، والمقنع في الفقه، توفي سنة ٧٦٣ هـ. انظر: رفع النقاب لابن ضويان ص٣٢٤.

(٢) التفصيل في كون القرآن صفة ذاتية باعتبار، وصفة فعلية باعتبار هو الذي يشفي العليل، انظر ما سبق: ص٧٢.

(٣) المبدع لابن مفلح٩/ ٢٥٩، وانظر: روضة الطالبين للنووي ٨/ ١٤، الفروع لابن مفلح ٦/ ٣٠٣، فتاوى أركان الإسلام للشيخ ابن عثيمين ص١٥٧.

(٤) انظر: المحلى لابن حزم ٨/ ٨٢، حاشية ابن عابدين ٣/ ٧١٣.

(٥) ويدعي أهل البدع أن ما في المصحف ليس هو كلام الله ﷻ فلذا منعوا الحلف به من هذا الباب، وسيأتي كلامهم في الباب الثاني ص ٣٤٥///.

المبحث الثالث

بيان منزلة الترجمة والتفسير من القرآن

قبل الشروع في هذا أنبه على علاقة هذين المطلبين بالمسائل العقدية، وهي: أن الترجمة والتفسير هل يصح أن يقال عنهما قرآن أم لا؟ ولا شك أن هذه مسألة عقدية، يترتب عليها تبديع وتكفير.

المطلب الأول: هل الترجمة اللفظية من القرآن الكريم؟

قبل البدء في الجواب على هذا السؤال، لا بد أن نعرف معنى الترجمة، وما المراد بالترجمة اللفظية، ثم يتبين حكمها من حيث نسبتها إلى القرآن الكريم أو عدمها، لأن الحكم على الشيء فرع عن تصوره.

الترجمة في اللغة: تدل على أحد معانٍ أربعة، ويُعَين المراد منها بالقرينة، وهي:

أولها: تبليغ الكلام لمن لم يبلغه، ومنه قول الشاعر:

إن الثمانين وبلغتها قد أحوجت سمعي إلى ترجمان[1] أي أنه بعد كبر السن احتاج إلى من يبلغه الكلام حتى يسمع.

ثانيها: تفسير الكلام بلغته التي جاء بها، وذلك «إذا بينه ووضحه»[2]، ومنه قول ابن مسعود ﷺ: [**نعم تُرجمان القرآن ابن عباس**][3].

(١) مناهل العرفان ٢/ ١١٩.

(٢) المصباح المنير ص ٧٤.

(٣) أخرجه الحاكم في مستدركه، كتاب معرفة الصحابة، ح(٦٢٩١)، وقال: «حديث صحيح على شرط

ثالثها: تفسير الكلام بلغة غير لغته، «ومنه قولهم: ترجم كلامه، إذا فسره بلسان آخر»[(١)].

رابعها: «نقل الكلام من لغة إلى أخرى»[(٢)]، ومنه التَّرْجُمَان «بالضم والفتح، من يترجم الكلام»[(٣)]، أي بترتيبه ونسقه، دون النظر إلى معناه[(٤)].

وبهذا يتضح أن للترجمة معان عدة[(٥)]، وتطلق الترجمة ـ في عرف المترجمين على وجه الخصوص ـ ويراد بها المعنيان الأخيران، فالترجمة إما أن تكون تفسيرا للكلام بلغة أخرى، والمقصود من هذه الترجمة مراعاة المعنى دون اللفظ، وإما أن تكون بنقل الكلام إلى لغة أخرى، وتكون مراعاة الألفاظ فيها هي المرادة.

وتفسير القرآن الكريم، وتوضيحه وبيانه أمر جائز بالاتفاق[(٦)] ما دام التفسير مبنيا على المنهج الصحيح للتفسير[(٧)]، فإن كان هذا التوضيح والبيان بالعربية سميت تفسيرا للقرآن، وإن كان التوضيح والبيان بغير اللغة العربية فهذه هي ترجمة تفسير القرآن، ويسمى الترجمة المعنوية أو ترجمة معاني القرآن[(٨)].

= الشيخين ولم يخرجاه»، ووافقه الذهبي في التلخيص، ورواه الطبراني مرفوعا كما في مجمع الزوائد (٩/ ٢٧٦)وقال الهيثمي: «وفيه عبد الله بن خراش، وهو ضعيف».

(١) لسان العرب ٥/ ١٦٣.

(٢) النهاية في غريب الحديث لابن الأثير ١/ ١٨٦.

(٣) انظر: مجمع بحار الأنوار للفتني الهندي١/ ٢٦١.

(٤) وهذا المعنى لم يذكره ابن منظور في اللسان، انظر: ٥/ ١٦٢-١٦٣، وانظر: المصباح المنير ص ٧٤.

(٥) انظر هذه المعاني في: نقض المنطق ص ٩٧-٩٩، مناهل العرفان ٢/ ١٢٠ وما بعدها، مباحث في علوم القرآن لمناع القطان ص ٣١٢ فما بعدها.

(٦) انظر: الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ١/ ٢١،٢٧-٢٨.

(٧) والمنهج الصحيح في التفسير سيأتي ذكره، في المطلب الثاني من هذا المبحث.

(٨) وهذا هو الواجب على المفسرين وجهات الطبع في بلاد المسلمين، أن يكتبوا فوق ما ترجم وإن كان معه قرآن بالرسم العثماني أن هذا ترجمة لمعاني القرآن الكريم، أو ترجمة لتفسير القرآن الكريم، وهذا أمر في غاية من الأهمية، ويتضح لك هذا بقراءة هذا المطلب. وانظر: مباحث في علوم القرآن لمناع القطان ص٣١٦، **وكذلك يجب توافر شروط مهمة في المترجم والترجمة** حتى تؤدي الغرض المطلوب على أكمل وجه، وأصح أسلوب، وأقرب مراد، وهي شروط معروفة، وفي مظانها معلومة. انظر: الرد على المنطقيين ص ٤٨، مناهل العرفان ٢/ ١٢٣، ١٤٤ وما بعدها.

وعلى هذا تنقسم الترجمة إلى قسمين: ترجمة لفظية، أو حرفية، وترجمة معنوية،أو تفسيرية(١).

ويمكن أن تعرف الترجمة الحرفية بأنها: نقل الكلام من لغة إلى أخرى، مع مراعاة الموافقة في النظم والترتيب، والمحافظة على جميع معاني الأصل المترجم.

وأما الترجمة التفسيرية فهي: شرح الكلام وبيان معناه بلغة أخرى، دون مراعاة لنظم الأصل وترتيبه، ودون الإحاطة بجميع معانيه المرادة منه.

وهذه الترجمة إنما هي عبارة عن تفسير القرآن الكريم بغير اللغة العربية، وهذه هي التي جوزها أهل العلم، ومن قال بالمنع فكلامه محمول على الترجمة اللفظية أو الحرفية(٢).

والترجمة الحرفية للقرآن، إما أن تكون ترجمة بالمثل، وإما أن تكون ترجمة بغير المثل، **أما الترجمة الحرفية بالمثل**: فمعناها أن يترجم نظم القرآن بلغة أخرى تحاكيه

---

(١) **والفرق بين الترجمتين اللفظية الحرفية والتفسيرية يتضح بهذا المثال**: فلو أراد مترجم أن يترجم قوله تعالى: ﴿وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ ٱلْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا﴾[الإسراء:٢٩] ترجمة حرفية لأتى بكلام يدل على النهي عن ربط اليد في العنق، وعن مدها غاية المد، مثل هذا التعبير في اللغة المترجم إليها ربما كان لا يؤدي المعنى الذي قصده القرآن، بل قد يستنكر صاحب تلك اللغة هذا الوضع الذي ينهى عنه القرآن، ويقول في نفسه: إنه لا يوجد عاقل يفعل بنفسه هذا الفعل الذي نهى عنه القرآن؛ لأنه مثير للضحك على فاعله والسخرية منه، ولا يدور بخلد صاحب هذه اللغة، المعنى الذي أراده القرآن، وقصده من وراء هذا التشبيه البليغ. **أما إذا أراد أن يترجم** هذه الجملة ترجمة تفسيرية، فإنه يأتي بالنهي عن التبذير والتقتير، مصوَّرين بصورة شنيعة، ينفر منها الإنسان، حسبما يناسب أسلوب تلك اللغة المترجم إليها، ويناسب إِلْفَ من يتكلم بها، من هذا **يتبين أن الغرض الذي** أراده الله من هذه الآية يكون مفهوماً بكل سهولة ووضوح في الترجمة التفسيرية، دون الترجمة الحرفية، وانظر: البحر المحيط ١/ ٤٤٨.

وجعل شيخ الإسلام ﷺ **الترجمة والتفسير على ثلاث طبقات**: ١ ـ ترجمة مجرد اللفظ، ولا يعني أن الترجمة لفظية، ولكنها مترادفة من حيث الدلالة في اللغتين على معنى واحد، ولا يعني مساواتها للقرآن من كل الوجوه. ٢ ـ ترجمة المعنى وبيانه. ٣ ـ بيان صحة المعنى بالأدلة والأقيسة، ليتحقق ذلك المعنى المراد تفهيمه. انظر: نقض المنطق ص ٩٧-٩٨.

وأما الفروق بين التفسير والترجمة فهي جلية، وخشية الإطالة أحيل إلى موضع القضية، فانظر: مناهل العرفان ٢/ ١٢٤ وما بعدها.

(٢) انظر: مباحث في علوم القرآن لمناع القطان ص ٣١٦ ـ ٣١٨، مجلة البحوث العلمية العدد ١٢، بحث: أحمد عوض الله ص ٣٠٥.

حذوا بحذو، بحيث تحل مفردات الترجمة محل مفرداته، وأسلوبها محل أسلوبه، حتى تتحمل الترجمة ما تحمله نظم الأصل من المعاني المقيدة بكيفياتها البلاغية وأحكامها التشريعية، وهذا أمر غير ممكن بالنسبة لكتاب الله العزيز؛ **وذلك لأن القرآن نزل لغرضين أساسيين:**

أولهما: كونه آية دالة على صدق النبي ﷺ فيما يبلغه عن ربه، وذلك بكونه معجزًا للبشر، لا يقدرون على الإتيان بمثله ولو اجتمع الإنس والجن على ذلك، **وهذا الغرض** وهو كونه آية على صدق النبي ﷺ لا يمكن تأديته بالترجمة اتفاقـًا؛ فإن القرآن ـ وإن كان الإعجاز في جملته لعدة معانٍ كالإخبار بالغيب، واستيفاء تشريع لا يعتريه خلل، وغير ذلك مما عُدَّ من وجوه إعجازه[1] ـ إنما يدور الإعجاز الساري في كل آية منه على ما فيه من خواص بلاغية جاءت لمقتضيات معينة، وهذه لا يمكن نقلها إلى اللغات الأخرى اتفاقـًا، فإن اللغات الراقية وإن كان لها بلاغة، ولكن لكل لغة خواصها، إذًا لو ترجم القرآن ترجمة حرفية ـ وهذا محال ـ لضاعت خواص القرآن البلاغية، ولنزل من مرتبته المعجزة، إلى مرتبة تدخل تحت طوق البشر، ولفات هذا المقصد العظيم الذي نزل القرآن من أجله على محمد ﷺ، ولهذا فإنه لا يقدر أحد من المترجمين على أن ينقل القرآن إلى شيء من الألسنة كما نقل الإنجيل عن السريانية إلى الحبشية والرومية، وترجمت التوراة والزبور وسائر كتب الله تعالى إلى العربية[2].

وثانيهما: هداية الناس لما فيه صلاحهم في دنياهم وأخراهم، وهذا الغرض وهو: كونه هداية للناس إلى ما فيه سعادتهم في الدارين، يكون باستنباط الأحكام والإرشادات منه، وهذا يرجع إلى المعاني الأصلية التي يشترك في تفاهمها وأدائها كل الناس، وتقوى عليها جميع اللغات، وهذا النوع من المعاني يمكن ترجمته واستفادة الأحكام منه، والبعض الآخر من الأحكام والإرشادات يستفاد من المعاني الثانوية،

---

(١) وسيأتي تفصيل ذلك في الفصل الخامس من هذا الباب.

(٢) انظر: البحر المحيط ١/ ٤٤٨.

الأحكام منه، والبعض الآخر من الأحكام والإرشادات يستفاد من المعاني الثانوية، ونجد هذا كثيرًا من استنباطات الأئمة المجتهدين؛ وهذه المعاني الثانوية لازمة للقرآن الكريم، والترجمة الحرفية إن أمكن فيها المحافظة على المعاني الأولية، فغير ممكن أن يحافظ فيها على المعاني الثانوية، وبهذا يضيع كثير من المعاني الثانوية المقصودة في القرآن. فكيف ـ بعد هذا ـ تكون الترجمة الحرفية صحيحة؟![1].

ومما تقدم يُعلم: أن الترجمة الحرفية للقرآن، لا يمكن أن تقوم مقام الأصل في تحصيل كل ما يقصد منه؛ لما يترتب عليه من ضياع الغرض الأول برمته، وفوات شطر من الغرض الثاني.

وأما الترجمة الحرفية بغير المثل: فمعناها أن يترجم نظم القرآن حذوا بحذو بقدر طاقة المترجم، وما فقه من لغته، وهذا أمر ممكن، وهو إن جاز في كلام البشر، لا يجوز بالنسبة لكتاب الله العزيز؛ لأن فيه من فاعله إهدارًا لنظم القرآن، وإخلالاً بمعناه، وانتهاكـًا لحرمته، فضلاً عن كونه فعلاً لا تدعو إليه ضرورة.

وبهذا يتضح أن الترجمة اللفظية أو الترجمة الحرفية غير ممكنة أصلا، وممنوعة شرعا، وما قام به بعض المترجمين من ادعاء بأن هذه التراجم هي ترجمة لفظية أو حرفية فهو مجرد ادعاء باطل، وبينه وبين الحقيقة حائل، لأنه غير ممكن وهو مما يقال عنه: إنه محال بكل حال[2].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية ﷺ: «بل يجب أن يعلم أصلا عظيما: ...أن القرآن له بهذا اللفظ والنظم العربي اختصاص لا يمكن أن يماثله في ذلك شيء أصلا، أعني خاصة في اللفظ، وخاصة فيما دل عليه من المعنى، ولهذا لو فسر القرآن ولو ترجم فالتفسير والترجمة قد يأتي بأصل المعنى أو يقربه، **وأما الإتيان بلفظ يبين المعنى**

---

(١) انظر: الموافقات للشاطبي ٢/ ٦٦ وما بعدها.

(٢) انظر: الموافقات للشاطبي ٢/ ٦٤، ٦٦، ٦٨، مناهل العرفان ٢/ ١٢٢، ١٥٥، مباحث في علوم القرآن لمناع القطان ص ٣١٤.

القرآن المنزل، ولكن يجوز ترجمته كما يجوز تفسيره، وإن لم تجز قراءته بألفاظ التفسير وهي إليه أقرب من ألفاظ الترجمة بلغة أخرى »[١].

والترجمة على أي حالة كانت، اللفظية منها فضلا عن التفسيرية لا يقال عنها قرآن، ولا يمكن أن يقارب كلام المنان، والدليل على ذلك ـ من النص والإجماع ـ ما يأتي:

١ - لأن الله ﷻ نفى عن القرآن أن يكون أعجميا، قال ﷻ: ﴿وَلَوْ جَعَلْنَٰهُ قُرْءَانًا أَعْجَمِيًّا لَّقَالُواْ لَوْلَا فُصِّلَتْ ءَايَٰتُهُۥٓ ءَا۬عْجَمِيٌّ وَعَرَبِيٌّ﴾[فصلت:٤٤] فالقرآن منزل عربيا، والعجمي ليس كذلك، فدل أن الترجمة ليست قرآنا[٢]، قال ابن العربي المالكي رحمه الله: «وهذا يبطل قول أبي حنيفة في قوله: إن ترجمة القرآن بإبدال اللغة العربية فيه بالفارسية جائز[٣]، لأن الله تعالى قال: ﴿وَلَوْ جَعَلْنَٰهُ قُرْءَانًا أَعْجَمِيًّا لَّقَالُواْ﴾ كذا، لنفي أن يكون للعجمة إليه طريق، فكيف يصرف إلى ما نهى الله عنه، فأخبر أنه لم ينزل به... وأوضحنا أن التبيان والإعجاز إنما يكون بلغة العرب، فلو قلب إلى غير هذا لما كان قرآنا، ولا بيانا، ولا اقتضى إعجازا»[٤]، وقال القرطبي رحمه الله في الآية: «دليل على أن القرآن عربي، وأنه أنزل بلغة العرب، وأنه ليس أعجميا، وأنه إذا نُقل عنها إلى غيرها لم يكن قرآنا»[٥].

---

(١) الفتاوى الكبرى ٥/ ٢٥٦-٢٥٧.

(٢) انظر: حاشية ترشيح المستفيدين ١/ ٥٢، نقلا عن مناهل العرفان ٢/ ١٧٤.

(٣) أي في الصلاة، وهذا نقل عن أبي حنيفة، وسيأتي تفصيل حكم الصلاة بالترجمة القرآنية.

(٤) أحكام القرآن ٤/ ٨٨.

(٥) الجامع لأحكام القرآن ١٥/ ٢٤٠، وهذا الاستدلال واضح جلي، وهذه الآية ـ وما بعدها من الأدلة ـ تدل على بطلان ما ذكره الجصاص في كتابه أحكام القرآن ٣/ ٥٠٩ حيث قال: (وهذا يدل على أن نقله إلى لغة العجم لا يخرجه ذلك من أن يكون قرآنا). وهذا قول ساقط، مبني على اعتقاد سابق، وهو: أن كلام الله ﷻ واحد إن عبر عنه بالعربية كان قرآنا، وإن عبر عنه بأي لغة أخرى كان مسمى بتلك اللغة، ولا يخرج التعبير بتلك اللغة عن كونه معنى واحدا، وإن اختلف اللفظ والمعنى!!؟ وهذا القول هو قول الكلابية والأشاعرة والماتريدية، وسيأتي بيانه والرد عليه في الفصل الأول من الباب الثاني. وبهذا تعلم أن ما ذكره الشيخ مناع القطان في كتابه مباحث في علوم القرآن ص ٣٢٠ بأن «الأحناف وإن جوزوا الصلاة بالأعجمية إلا أنهم متفقون على أنها ليست بقرآن» على إطلاقها غير صحيح، فهذا الجصاص

٢- أن هذا القرآن أنزل عربيا، كما قال ﷻ: ﴿وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ مِن كُلِّ مَثَلٍ لَّعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ۝ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا غَيْرَ ذِي عِوَجٍ لَّعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾[الزمر:٢٧-٢٨] ومعلوم أن الترجمة لا يصح أن توصف بأنها عربية[1]، ولا توصف بأنها سليمة لا اعوجاج فيها، لأن المترجم ربما أخطأ في أشياء كثيرة منها، أو نسي أو غفل، أو جهل، فكيف يقال أنَّها قرآن؟!.

٣- قال الله ﷻ: ﴿وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِۦ وَٱدْعُوا شُهَدَآءَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ۝ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا وَلَن تَفْعَلُوا فَٱتَّقُوا ٱلنَّارَ ٱلَّتِي وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَٰفِرِينَ﴾[البقرة:٢٣-٢٤] فإن اعتبر الترجمة اللفظية أو غيرها مثل القرآن فلقد أتى البشر بشيء مثله!!؟ مع أن النفي منصب على سورة من مثله، فكيف بمثل القرآن كله؟ فلا بد أن يكون أشد نفيا، وأبعد استطاعة، وهذا يدل دلالة قوية، أن الترجمة إنما هي من كلام البشرية، تبين وتوضح بغير العربية كلام الله ﷻ المنزل على خير البرية، محمد بن عبد الله ﷺ من غير مرية، ولا ريبة[2].

٤- ولأن القرآن اسم للفظ والمعنى جميعا، «ولهذا إذا فسره المفسر، وترجمه المترجم لم يقل لتفسيره وترجمته: إنه قرآن»[3]؛ لأنه «ليس القرآن عندنا بمجرد معناه فقط، بل بلفظه المخصوص، ومعناه، وأسلوبه الذي أعجز الأولين والآخرين، فعلى هذا المعنى: إن تُرْجِمَ بلسان آخر، أو عبر عن معناه بغير لفظه، وأسلوبه، خرج عن كونه قرآنا»[4]، فالترجمة موضّحة للمعنى فقط، وليس مثل اللفظ والمعنى قط، فالترجمة ليست مطابقة تماما للفظ والمعنى، بل هي دالّة على بعض ما دل عليه كلام الله ﷻ.

= من أئمتهم، وقد عرفت قوله، وهو ممن يشار إليه بالبنان، ويذكر بمديح اللسان، ولكنه لعله يقصد المتقدمين من الأحناف فيكون كلامه مستقيما، وقوله صوابا سليما.

(١) انظر: البحر المحيط ١/ ٤٤٧.

(٢) انظر: البحر المحيط ١/ ٤٤٧، مناهل العرفان ٢/ ١٥٦-١٥٩.

(٣) المجموع ٦/ ٥٤٢، وانظر: ٦/ ٦٥، الجواب الصحيح ٤/ ٣٤١.

(٤) الإعلام بما في دين النصارى من الفساد والأوهام ص٢٢٦، وانظر منه ص ٢٧٨.

٥- أن القرآن معجز، والترجمة تخل بإعجازه، والإعجاز مختص بنظمه العربي، ومعناه الشرعي[١].

٦- أن عامة العلماء أجازوا الترجمة بغير العربية، ولم يقل أحد ممن يعتبر قوله: إن الترجمة هي قرآن بلغة كذا وكذا، وكون هذه الترجمة دالة على معاني القرآن، وأنها تأخذ بعض أحكام القرآن من حيث كونها معاني دالة عليه، لا يقتضي تناول اسم القرآن لهذه الترجمة، «كما أن "القيمة" إذا أخرجت من الزكاة عن الإبل، والبقر، والغنم لم تُسم إبلا، ولا بقرا، ولا غنما، بل تسمى باسمها كائنة ما كانت.

٧- وكذلك لفظ "التكبير" في الصلاة، إذا عدل عنه إلى لفظ التسبيح ونحوه وقيل: إن الصلاة تنعقد بذلك، كما يقوله أبو حنيفة ﵀ لم يقل: إن ذلك لفظ تكبير، فكذلك إذا قدر أنا ترجمنا القرآن ترجمة جائزة لم يقل: إن الترجمة "قرآن"، ولم نسمها قرآنا»[٢]. فترجمة القرآن إذاً ليست بقرآن أبدا.

٨- أن علماء السلف ومن سار على دربهم من الخلف متفقون على أن ترجمة القرآن ليست بقرآن، وإنما هو من قبيل تفسير القرآن بلغة قوم غير العرب[٣].

٩- أن المسلمين يترجمون أحاديث رسول الله ﷺ ولا يقولون إن هذا حديث رسول الله ﷺ، وإنما يقولون هذا معنى حديث رسول الله ﷺ، وهذه ترجمة ما دل عليه حديث رسول الله ﷺ، وكذلك حينما يترجم المترجم كلام ملك أو وزير لا يقال إن هذا كلامه وإنما يقول هذا معنى كلامه، وهذا ما يدل عليه كلامه، وهذا بالنسبة إلى كلام البشر فكيف بكلام خالق البشر.

١٠- أن العلماء ـ رحمهم الله ـ أجمعوا على منع رواية القرآن بالمعنى المرادف للفظ المنـزل، وذلك لأنه يخل بلفظه، واللفظ مراد كما المعنى مراد، وجوزوا رواية

---

(١) انظر: حواشي الشرواني ٢/ ٤٤ بتصرف، إعانة الطالبين ١/ ٦٨.

(٢) المجموع ٦/ ٥٤٣، وانظر: نقض المنطق ص ٩٨.

(٣) انظر: الجواب الصحيح ٢/ ٥٥، ٥٦، الفروع لابن مفلح ١، ٣٦٧، حاشية الدسوقي ١/ ١٢٥، موقف العقل والعلم والعالم من رب العالمين وعباده المرسلين لمصطفى صبري ٣/ ٣٥١.

أحاديث رسول الله ﷺ بالمعنى لأنه ليس مرادا من حيث الإعجاز[١]، فيدل هذا على أن الترجمة هي من قبيل الرواية وإنما جازت لكونها نقلا لبعض معنى القرآن إلى لغة أخرى، وأنها ليست من قبيل الرواية.

١١- أن العلماء المعتبرين من لدن السلف الصالحين، والخلف المتبعين، يقولون: بمنع الجنب المحدث من مس المصحف، ولم يقل أحد منهم بتحريم مس الترجمة أيا كانت[٢].

١٢- قال أهل العلم: إن الرجل لو حلف أنه لا يقرأ قرآنا فقرأ الترجمة أنه لا يحنث، كما لو قرأ التفسير، فهذا يدل أن الترجمة ليست بقرآن، وإنما هي معنى ما دل عليه كلام الله ﷻ[٣].

١٣- «أجمع العلماء على أنه لا تجوز قراءة القرآن بغير العربية خارج الصلاة، ويمنع فاعل ذلك أشد المنع، لأن قراءته بغيرها من قبيل التصرف في قراءة القرآن بما يخرجه عن إعجازه، بل بما يوجب الركاكة»[٤].

١٤- اتفق العلماء على أن القراءة في الصلاة بغير العربية تحرم مطلقا، لكونه ليس قرآنا، إذ لا بد في التلاوة التعبدية للقرآن من اللفظ والمعنى، فيمنع منها، ولكن لو قرأ بغير العربية، فهل تصح صلاته، فيه قولان مشهوران، وعن أهل العلم معروفان[٥].

القول الأول: أن الصلاة باطلة بكل حال، إذا قرأ الترجمة لكون ذلك من الكلام، ولم يأت بركن من أركان الصلاة، وهي قراءة القرآن، وعلى وجه الخصوص أم

---

(١) انظر: مناهل العرفان ٢/ ١٦٤ بتصرف.

(٢) انظر: الفروع لابن مفلح ١/ ٣٦٧، حاشية الدسوقي ١/ ١٢٥.

(٣) انظر: الفروع لابن مفلح ١/ ٣٦٧، حاشية الدسوقي ١/ ١٢٥.

(٤) مجلة الأزهر ٣/ ٣٢ وما بعدها، نقلا عن مناهل العرفان ٤/ ١٧٦، ولقد روج لفكرة صحة القراءة بالأعجمية العقلانيون المعاصرون. انظر: موقف العقل ١/ ٤١-٤٢.

(٥) انظر: مجلة الأزهر ٣/ ٣٢ وما بعدها، نقلا عن مناهل العرفان ٤/ ١٧٦.

القرآن"الفاتحة"، ولكونه تكلم في الصلاة بما لا يشرع له، وهذا قول جمهور العلماء[١].

القول الثاني: التفصيل في ذلك، إن قرأ وهو قادر على قراءة القرآن بطلت صلاته، وإلا فلا، وقالوا: إن قرأ من الآيات التي فيها الأذكار والأدعية لم تبطل وإلا بطلت، وقيل: لا تبطل بكل حال، وهذا القول نسب إلى أبي حنيفة، واضطرب فيه أقوال الحنفية[٢].

١٥- أن القول بأن تسمية الترجمة ترجمة لفظية أو معنوية هو من قبيل الاختلاف في الألفاظ، ليس بصحيح لما تقدم من المعاني، وأيضا لو سلم له فإنه يؤدي إلى اعتقاد ما ليس بقرآن قرآنا، وهذه مفسدة عظيمة، فكيف يفتح هذا الباب الذي تأتي منه هذه المفسدة الكبرى، فقد ثبت بتقادم الأزمان، أنه يصبح الترجمة اللفظية قرآنا عند كثير من جهلة المسلمين، لما رأوا أنه مكتوب على الترجمة مثلا: القرآن الكريم باللغة الفارسية!؟ أو القرآن الكريم باللغة الهندية!؟ وإلى آخر ذلك، فماذا سيكون اعتقاد الجهال بعد عشرات السنين في هذا الكتاب؟؟ ألا يعتقدون بأن هذا قرآن باللغة الإنجليزية، وهذا قرآن بالفارسية؟ ولقد ثبت واقعا كما جاء في مجلة الأزهر: «أن أهالي جاوه[٣] المسلمين، يقرؤون الترجمة الإفرنجية، ويُقرؤونها أولادهم،ويعتقدون أن ما يقرؤون هو القرآن الصحيح»!![٤].

وبعد سرد هذه الأدلة، لا يبقى أدنى شك في أن الترجمة وإن كانت لفظية ـ على

---

(١) انظر: المحلى لابن حزم ٣/ ٢٥٤ وقد فسّق من قرأ القرآن في الصلاة بغير العربية ونسبه إلى التحريف، وانظر ٨/ ٤١١ من الكتاب نفسه، والجواب الصحيح ٢/ ٥٥، ٢/ ٦٧، المجموع ٢/ ١٨٨، الفروع لابن مفلح ١/ ٣٦٧، حاشية الدسوقي ١/ ١٢٥، مجلة الأزهر ٣/ ٣٢ وما بعدها، نقلا عن مناهل العرفان ٤/ ١٧٦.

(٢) انظر: أصول السرخسي ص ٢٨١، حاشية ابن عابدين ١/ ٤٨٥، وهذا القول نقل عن أبي حنيفة ﷺ أنه رجع عنه، ومن لم يبلغه رجوعه قيده بالضرورة. انظر: البحر المحيط للزركشي ١/ ٤٤٨.

(٣) جاوة جزيرة في الجنوب الشرقي من قارة آسيا، وهي من أكبر الجزر التي تكونت منها إندونيسيا الحالية. انظر: الموسوعة العربية الميسرة ١/ ٢٤٢.

(٤) مناهل العرفان ٢/ ١٦١، نقلا عن ملحق لمجلة الأزهر.

فرض صحتها - لا تكون قرآنا أبدا، وأختم البحث بنقل فتوى اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء بالمملكة العربية السعودية هذا نصها: «**س: ترجمة القرآن أو بعض آياته إلى لغة أجنبية أو أعجمية بقصد نشر الدعوة الإسلامية الحقة في بلاد غير المسلمين، هل في هذا العمل ما يخالف الشرع والدين؟.**

ج: ترجمة القرآن أو بعض آياته والتعبير عن جميع المعاني المقصود إليها من ذلك غير ممكن، ترجمته أو بعضه ترجمة حرفية غير جائز لما فيها من إحالة المعاني وتحريفها.

أما ترجمة الإنسان ما فهمه من معنى آية أو أكثر وتعبيره عما فهمه من أحكامه وآدابه بلغة إنجليزية، أو فرنسية، أو فارسية، مثلاً لينشر ما فهمه من القرآن، ويدعو الناس إليه فهو جائز، كما يفسر الإنسان ما فهمه من القرآن، أو آيات منه باللغة العربية، وذلك بشرط أن يكون أهلاً لتفسير القرآن، وعنده قدرة على التعبير عمّا فهمه من الأحكام والآداب بدقة، فمن لم تكن لديه وسائل تعينه على فهم القرآن، أو لم يكن لديه اقتدار على التعبير عنه بلغة عربية أو غير عربية تعبيرًا دقيقًا فلا يجوز له التعرض لذلك، خشية أن يحرف كلام الله عن مواضعه فينعكس عليه قصده، ويصير قصده المعروف منكرًا، وإرادته الإحسان إساءة»[1].

وهذا نص فتوى أخرى متعلقة بهذا المبحث: «**س: هل يمكن أن يترجم القرآن إلى اللغة الفرنسية مثلاً، ويقرؤه الكفار، والله تعالى يقول: ﴿إِنَّهُۥ لَقُرۡءَانٞ كَرِيمٞ ۝٧٧ فِي كِتَٰبٖ مَّكۡنُونٖ ۝٧٨ لَّا يَمَسُّهُۥٓ إِلَّا ٱلۡمُطَهَّرُونَ﴾[الواقعة:٧٧-٧٩]، ومكتوب على عنوان هذا الكتاب: ﴿وَلِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَيۡءٖ مُّحِيطٗا ۝١٢٦ وَيَسۡتَفۡتُونَكَ فِي ٱلنِّسَآءِ﴾[النساء:١٢٦-١٢٧].**

ج: لا يمكن ترجمة القرآن ترجمة مماثلة في دقة تعبيره وعلو أسلوبه وجمال سبكه وإحكام نظمه، وتقوم مقامه في إعجازه، وتحقيق جميع مقاصده من إفادة الأحكام والآداب، والإبانة عن العبر والمعاني الأصلية والثانوية، ونحو ذلك مما هو من خواصه

---

(١) فتاوى اللجنة الدائمة ٤/ ١٦٢-١٦٣، الفتوى رقم (٨٣٣).

ومزاياه المستمدة من كمال بلاغته وفصاحته، ومن حاول ذلك فمثله كمثل من يحاول أن يصعد إلى السماء بلا أجهزة ولا سلم، أو يحاول أن يطير في الجو بلا أجنحة ولا آلات.

ويمكن أن يعبر العالم عمَّا فهمه من معاني القرآن حسب وسعه وطاقته بلغة أخرى ليبيّن لأهلها ما أدركه فكره من هداية القرآن، وما استنبطه من أحكامه، أو وقف عليه من عبره ومواعظه، **لكن لا يعتبر شرحه لتلك الآيات بغير اللغة العربية قرآنًا، ولا ينـزل منزلته من جميع النواحي، بل هو نظير تفسير القرآن باللغة العربية في تقريب المعاني، والمساعدة على الاعتبار، واستنباط الأحكام، ولا يسمَّى ذلك التفسير قرآناً**، وعلى هذا يجوز للجُنب والكفار مس ترجمة معاني القرآن بغير اللغة العربية، كما يجوز مسُّهم تفسيره باللغة العربية »[1].

وإذا تبين أن الترجمة ليست من القرآن الكريم لأنها بيان لمعاني القرآن الكريم بلغة غير العربية؛ فهل يقال عن التفسير إنه قرآن؟ هذا ما أبينه في المطلب التالي.

---

(١) فتاوى اللجنة الدائمة ٤/ ١٦٣-١٦٤، الفتوى رقم(١٦٠١)، وانظر: ما بعدها من الفتاوى، وانظر: مجلة البحوث الإسلامية العدد ١٠، بحث: محمد النبهان ص ٣٢٧.

المطلب الثاني: هل يقال إن التفسير من القرآن؟

التفسير لغة: تفعيل من الفَسْرِ، وهو البيان، تقول: فَسَرْتُ الشيءَ (بالتخفيف كضربت) أُفْسِرُهُ فَسْرًا، وفَسَّرْتُهُ (بالتشديد كعَلمتُه) أُفَسِّرُهُ تَفْسِيرًا إذا بينته، فالتفسير البيان والتوضيح والإظهار والكشف، ومما جاء فيه التفسير بمعنى البيان والتوضيح قوله ﷻ: ﴿وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَٰكَ بِٱلْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا﴾[الفرقان:٣٣] أي أحسن بيانا وتوضيحا وظهورا[(١)].

وأصل الفَسْرِ: نظر الطبيب إلى الماء ليعرف العلة.وقيل هو من فَسرتُ الفرس إذا ركضتها محصورة لينطلق حصرها[(٢)].

وقيل هو مقلوب من سَفَرَ كجَذَبَ وجَبَذَ، تقول: سَفَرَ إذا كشف وجهه، ومنه أَسْفَرَ الصبحُ إذا أضاء[(٣)].

والتفسير يمكن أن يعرف بتعريف مختصر مفيد بأنه: علم يبحث عن معاني ألفاظ القرآن الكريم، ودلالتها على مراد الله ﷻ[(٤)].

وللتفسير طرق مشهورة، ومدارس معروفة، وأحسن الطرق وأوجبها في الإتباع، طريقة التفسير بالمأثور، وهو أن يفسر القرآن بالقرآن، والقرآن بما صح في السنة، والقرآن بما ثبت عن الصحابة والتابعين، والقرآن بما جاء في لغة العرب[(٥)].

ومن أشهر ما كتب من التفاسير بهذه الطريقة: تفسير إمام المفسرين ابن جرير الطبري، وتفسير الإمام البغوي، وتفسير الحافظ ابن كثير، وتفسير الدر المنثور للسيوطي.

(١) انظر: زاد المسير لابن الجوزي ٦/ ٨٨، المحرر الوجيز لابن عطية ٤/ ٢١٠.
(٢) البرهان في علوم القرآن للزركشي ٢/ ١٦٣.
(٣) انظر: الفتح ٨/ ٥، البرهان في علوم القرآن للزركشي ٢/ ١٦٢-١٦٣، مناهل العرفان ٢/ ٤.
(٤) انظر: الفتح ٨/ ٥، البرهان في علوم القرآن للزركشي ٢/ ١٦٣-١٦٤، مناهل العرفان ٢/ ٤.
(٥) انظر: الموافقات للشاطبي ٣/ ٣٦٩، مقدمة ابن خلدون ص ٧٨٥، تفسير ابن كثير ١/ ٣-٥، إيثار الحق على الخلق لابن الوزير ص ١٤٦، مناهل العرفان ٢/ ١٤ وما بعدها.

وأما التفاسير الأخرى التي هي عن الجادة شطت، ولغير الأثر اتبعت، فهي كلها بعيدة عن الصواب، ومنها: التفسير الإشاري، والتفسير بالرأي[(١)].

وأما التفسير الباطني الذي سلكه أهل الأهواء من الزنادقة، والمنافقين، فهو أشبه بالخرافات في الدين من أن يقال عنها تفسير للقرآن المبين.

ولا شك أن التفسير باب صعب مرتقاه، عسير مناله، ولهذا يجب التبحر في علوم الشريعة، قبل القيام بتفسير هذا الكتاب الذي فيه تفصيل كل شيء وهدى ورحمة للمؤمنين، وأما التفسير بالرأي فمحرم، كما جاء ذلك عن الصحابة والتابعين، ومن صار على دربهم من العلماء الربانيين[(٢)].

وعلى كل فإن التفسير بالمأثور ـ فضلا عن غيرها ـ لا يمكن أن يقال عنها قرآن، وقد سبق أن بيَّنْتُ في المطلب السابق أن الترجمة لا يصح أن تسمى قرآنا، ولا تكون أبدا فرقانًا، ولا تأخذ حكم القرآن من جميع نواحيه.

والتفسير الذي هو تبيين معاني كتاب الله ﷻ بلغته العربية، كذلك لا يصح أن يسمى قرآنا، وذلك للأدلة السابقة.

ويمكن أن أضيف بأن التفسير إنما صيغ للدلالة على معاني القرآن الكريم، ولم تُصغ من أجل محاكاة القرآن أو مماثلتها.

والتفاسير لا تغني عن القرآن الكريم بوجه من الوجوه، لا في الصلاة، ولا في التلاوة، ولا في الدلالة على المعاني العظيمة المرادة من كتاب الله ﷻ، ولهذا تجد بين التفاسير اختلافا، بينما القرآن الكريم لا اختلاف بين جميع نسخه في المشرق كانت أو في المغرب، لأن القرآن محفوظ، والتفاسير معروضة لابتكارات البشر العلمية، وانتخاباتهم ومداركهم العقلية.

---

(١) والتفسير الإشاري، أو التفسير بالرأي إنما يكون مقبولا بشرطين، ذكرهما العلماء. انظر: ص٩٣٨.

(٢) انظر: فتاوى ابن الصلاح ص ١٥٢، تفسير ابن كثير ١/ ٦-٧، الجامع لأحكام القرآن ١/ ٢٥ وما بعدها، الإقناع للشربيني ١/ ١٠٥، كشاف القناع ١/ ٤٣٣.

والسلف الصالح يعتقدون بأن كلام الله ﷻ القرآن لفظه ومعناه من الله ﷻ، ويعتقدون جازمين بأن التفاسير ليست من القرآن المتلو، وإن كانت شارحة لمراده ومبينة لمراميه، خلافا لمزاعم أهل البدع الحلولية القائلين بأن كل كلام في الوجود هو عين كلام الله ﷻ، وهذا قول ساقط، لا يقول به إلا كل لاقط[١].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: «والتفسير ليس قرآنا متلوا، وكذلك الترجمة»[٢]، **وقال أيضا**: «اتفق المسلمون على جواز مس المحدث لكتب التفسير، واتفقوا على أنه لا تجوز الصلاة بتفسيره»[٣].

وإذا تبين أن الترجمة والتفسير لا تتعلق بهما أحكام القرآن مطلقا، وعلى وجه الخصوص من حيث التعظيم والتوقير، فأبين الآن ما يجب على المسلم من تعظيم المصحف في المبحث الآتي.

---

(١) وسيأتي بيان عقيدة الحلولية في القرآن الكريم، والرد عليهم في الفصل الأول من الباب الثاني.

(٢) الجواب الصحيح ٢/ ٥٦، حاشية الدسوقي ١/ ١٢٥.

(٣) المجموع ٦/ ٥٤٢ ـ ٥٤٣، وانظر: نقض المنطق ص ٩٨ وما بعدها.

المبحث الرابع: وجوب تعظيم المصحف

المطلب الأول: الدليل على وجوب تعظيمه.

تعظيم المصحف واجب بالاتفاق، وهو قول السلف بلا شقاق، وذلك لكون ما في المصحف هو كلام الله ﷻ[١] ودال على أوامره ونواهيه، ومحابِّه ومراضيه[٢]، ولم يختلف السلف الكرام، وهم أهل الإكرام للمصحف الذي فيه كلام الله القدوس السلام، وإنما اختلفوا فيما هو من باب التعظيم، أو ليس منه[٣].

وتعظيم المصحف يكون بما ورد في الشرع، لا بما يرد على العقل « لأن ما طريقه التقرب إذا لم يكن للقياس فيه مدخل لا يستحب فعله، وإن كان فيه تعظيم إلا بتوقيف »[٤].

والنصوص القرآنية، والأحاديث النبوية تدل على وجوب تعظيم كلام الله ﷻ، وتعظيم المصحف الذي فيه كلام الله ﷻ، قال ﷻ: ﴿ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى ٱلْقُلُوبِ﴾[الحج:٣٢] « والشعائر جمع شعيرة، وهي كل شيء لله تعالى، فيه أمر، أشعر به وأعلم »[٥]، والمصحف فيه أوامر الله ﷻ، وفيه إعلام بما يحبه الله ويرضاه، وما يكرهه ويأباه.

---

(١) انظر: مختصر الفتاوى ص ٢٦٥.

(٢) انظر: المغني لابن قدامة ١/ ٩٨، طبقات الشافعية ٨/ ٢١٩، ٢٣٣.

(٣) انظر: المجموع ٢٠/ ٢٨٨، الإعلام بقواطع الإسلام لابن حجر الهيتمي ص١٩٨-١٩٩، ٢٩١، ضمن الجامع لألفاظ الكفر للشيخ د/ محمد الخميس.

(٤) كشاف القناع ١/ ١٣٧.

(٥) المحرر الوجيز لابن عطية ٤/ ١٢١.

ومن صور التعظيم عدم تمكين الكافر من مسه، فإنه فاقد الطهارة كلها، متلبس بالنجاسة كلها، ولكنه يعطى بعض آيات الكتاب، لدعوته إلى الصواب، أو إذا رجي إسلامه، وذلك من غير تمكينه من المصحف واستلامه، أو يكون بإعطائه معاني القرآن الكريم وتفسيره وترجمته[١].

ومن تعظيم المصحف منع قراءته على الجنب، لأن الواجب والكمال في التعظيم كمال الطهارة حال المس والقراءة، والجنب فاقد للطهارتين الكبرى والصغرى، ولقد ثبت عن علي ﷺ أنه قال: [كان رسول الله ﷺ يقرئنا القرآن على كل حال ما لم يكن جنبا][٢] «وبه قال غير واحد من أهل العلم أصحاب النبي ﷺ والتابعين»[٣].

قال القرطبي ﷺ، في قوله ﷻ: ﴿ وَلَا جُنُبًا إِلَّا عَابِرِي سَبِيلٍ حَتَّىٰ تَغْتَسِلُواْ ﴾ [النساء:٤٣] «وإذا كان لا يجوز له ـ أي الجنب ـ اللبث في المسجد فأحرى أن لا يجوز له مس المصحف، ولا القراءة فيه، إذ هو أعظم حرمة»[٤].

وكذلك يحرم على الحائض والنفساء قراءة القرآن[٥]، لقول ابن عمر ﷺ مرفوعا: [لا يقرأ الجنب، والحائض شيئا من القرآن][٦]، وبه قال أكثر أهل العلم من السلف والخلف «من أصحاب النبي ﷺ، والتابعين ومن بعدهم»[٧].

---

(١) انظر: المهذب لأبي إسحاق الشيرازي ١/ ٢٥، وحاشية البجيرمي ١/ ٤٧.

(٢) رواه الترمذي، أبواب الطهارة، باب: ما جاء في الرجل يقرأ القرآن على كل حال ما لم يكن جنبا، ح(١٤٦)، وقال حديث حسن صحيح، ورواه أبو داود، كتاب الطهارة، باب: في الجنب يقرأ القرآن، ح(٢٢٩)، ورواه النسائي، كتاب الطهارة، باب: حجب الجنب من قراءة القرآن، ح(٢٢٦)، وابن ماجه، كتاب الطهارة، باب: ما جاء في قراءة القرآن على غير طهارة، ح(٥٩٤).

(٣) جامع الترمذي ١/ ٤٥٥.

(٤) الجامع لأحكام القرآن ٥/ ١٣٦.

(٥) انظر: المبسوط ٣/ ١٥٢، البحر الرائق ١/ ٢١١، المهذب ١/ ٣٨.

(٦) رواه الترمذي، كتاب الطهارة، باب: ما جاء في الجنب والحائض أنهما لا يقرآن القرآن، ح(١٣١)، وابن ماجة، كتاب الطهارة، باب: ما جاء في قراءة القرآن على غير طهارة، ح(٥٩٦) واللفظ له، وقال الشيخ الألباني(ضعيف) انظر: الإرواء ١/ ٢٠٦ ح (١٩٢).

(٧) جامع الترمذي ١/ ٤١٠، وفي جواز قراءة القرآن ومس المصحف للجنب والحائض خلاف يسير، حيث أن الظاهرية قالوا بجواز مسه، ولكن هذا القول لم يكن عليه السلف، كما هو مبين من كلام الترمذي ﷺ.

وأما المحدث حدثا أصغر فهو فاقد للطهارة الصغرى فيكون أيضا ناقصا لكمال الطهارة، واختلف العلماء في حكم مسه المصحف على قولين[(١)] مشهورين:

الأول: يمنع من ذلك؛ ومن تعليلاتهم وأدلتهم أنهم قالوا: لأنه يخل بالتعظيم.

الثاني: يباح له ذلك، لأن المؤمن لا ينجس، ولأن ذلك لا يخل بالتعظيم.

وهذا يدل على اتفاقهم على وجوب تعظيم المصحف، وذلك لكونه كلام الله ﷻ، وخلافهم بعد ذلك في آحاد صور التعظيم أنها من التعظيم أولا، لا يضر، لأنهم جميعا متفقون على تعظيم المصحف، وتكريمه، وكون مسه بدون طهارة من التكريم أم لا، يعد هذا خلافا فقهيا[(٢)]، لكن الراجح هو ما عليه جماهير السلف والخلف من وجوب كمال الطهارة لمس المصحف.

قال شيخ الإسلام في قوله تعالى: ﴿إِنَّهُۥ لَقُرْءَانٌ كَرِيمٌ ﴿٧٧﴾ فِى كِتَٰبٍ مَّكْنُونٍ ﴿٧٨﴾ لَّا يَمَسُّهُۥٓ إِلَّا ٱلْمُطَهَّرُونَ ﴿٧٩﴾ تَنزِيلٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾[الواقعة:٧٧-٨٠] « هذا مسوق لبيان شرف القرآن وعلوه وحفظه، وذلك بالأمر الذي قد ثبت واستقر أبلغ منه بما يحدث ويكون، نعم الوجه في هذا ـ والله أعلم ـ أن القرآن الذي في اللوح المحفوظ هو القرآن الذي في المصحف، كما أن الذي في هذا المصحف هو الذي في هذا المصحف بعينه، سواء كان المحل ورقا أو أديما أو حجرا أو لخافا، فإذا كان من حكم الكتاب الذي في السماء أن لا يمسه إلا المطهرون، وجب أن يكون الكتاب الذي في الأرض كذلك؛ لأن حرمته كحرمته ـ أو يكون الكتاب اسم جنس يعم كل ما فيه القرآن، سواء كان في

---

(١) انظر هذين القولين المشهورين بأدلتها في المراجع الآتية: أحكام القرآن للجصاص ٣/ ٥٥٥، المغني ١/ ٩٨، شرح العمدة ١/ ٣٨٢،١٤١ ـ ٣٨٦، المجموع ٢٣/ ٥٧، تفسير القرآن العظيم ٤/ ٢٩٨-٢٩٩، الإنصاف ١/ ٢٢٣، الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ١٧/ ١٤٦-١٤٧، حاشية البجيرمي ١/ ٤٧، كشاف القناع ١/ ١٣٥، فتح القدير للشوكاني ٥/ ٢٠٣.

(٢) ومن أحسن ما كتب حول الأحكام الفقهية المتعلقة بالقرآن الكريم الأطروحة العلمية للدكتور: أحمد سالم ملحم، وهو بعنوان: "فيض الرحمن في الأحكام الفقهية المتعلقة بالقرآن" مطبوع، وفيه بعض الأخطاء العقدية.

السماء أو في الأرض»[١].

قال الحافظ ابن عبد البر رحمه الله: «ولم يختلف فقهاء الأمصار بالمدينة والعراق والشام أن المصحف لا يمسه إلا طاهر على وضوء وهو قول مالك والشافعي وأبي حنيفة والثوري والأوزاعي وأحمد بن حنبل وإسحاق بن راهويه وأبي ثور وأبي عبيد وهؤلاء أئمة الفقه والحديث في أعصارهم وروي ذلك عن سعد بن أبي وقاص وعبد الله بن عمر وطاووس والحسن والشعبي والقاسم بن محمد وعطاء قال إسحاق بن راهويه: لا يقرأ أحد في المصحف إلا وهو متوضئ»[٢].

وقال المباركفوري رحمه الله: «القول الراجح عندي قول أكثر الفقهاء وهو الذي يقتضيه تعظيم القرآن وإكرامه، والمتبادر من لفظ الطاهر في هذا الحديث هو المتوضئ، وهو الفرد الكامل للطاهر، والله تعالى أعلم»[٣].

ويجب تعظيم ما في المصحف لأن هذه الآيات المعجزات حرمة[٤]، وقد «اتفق المسلمون على أن من استخف بالمصحف مثل أن يلقيه في الحش أو يركضه برجله إهانة له أنه كافر مباح الدم»[٥]، **ولشدة اهتمام العلماء بتعظيم المصحف يمثلون بالاستهزاء** به على الاستهزاء المكفِّر الذي يدل على أن من تعمده كان كافرا، وذلك بإلقاء المصحف بقاذورة، لأنه صريح في الاستخفاف بكلام الله تعالى[٦].

ولو عظم المصحف بغلاف من حرير، أو كيس من حرير جاز ذلك؛ لأن هذا من تعظيمه، وإن كان الحرير محرما لبسه إلا أن «وضع المصحف فيه إنما هو جعله لباسا للمصحف ووعاء له ليصان ويحفظ، وما شرع له الكسوة من شعائر الله جاز أن

---

(١) شرح العمدة ١/ ٣٨٤.
(٢) التمهيد ١٧/ ٣٩٧.
(٣) تحفة الأحوذي شرح جامع الترمذي ١/ ٤٥٦.
(٤) انظر: المجموع ١٥/ ١٠٢.
(٥) المجموع ٨/ ٤٢٥، وانظر: طبقات الشافعية ٨/ ٢٣٣ من قول العز ابن عبد السلام، وحاشية ابن عابدين ٣/ ٧١٩.
(٦) انظر: مغني المحتاج ٤/ ١٣٦، دليل الطالب ١/ ١٠٤.

يكسى الحرير كالكعبة، وأولى؛ ولأن لباس الحرير إنما يكره للآدميين لما فيه من العظمة والسرف، وهذا أمر مطلوب لكتاب الله وبيته، والفرق بين هذا وبين الزخرفة أن الكسوة فيها منفعة للبيت والمصحف، فإذا حصلت بأشرف الثياب كان ذلك تعظيما لحرمات الله بخلاف الزخرفة فإنه لا منفعة فيها»[(١)].

فكل ما هو من التعظيم شرعا وعرفا فينبغي الأخذ به مادام لا يخالف العرفُ الشرعَ، ومن ذلك تعظيمه بوضعه في الأماكن التي تصان، وحفظه عن الأماكن المهانة.

ومن تعظيم المصحف ألا يضع فوقه شيئا من الكتب حتى يكون أبدا عاليا لسائر الكتب علما كان أو غيره.

ومن حرمة المصحف ألا يتخذ الصحيفة إذا بليت ودرست وقاية للكتب، فإن هذا من الجفاء، ومن ذلك وضع أوراقه وصحائفه منثورا على الأرض كالسُّفر ونحوها[(٢)].

ومن تعظيمه أن لا يتوسد، ولا يعتمد عليه ولا يرمى عند المناولة، وأن يكون له موضع يصان فيه؛ فلا يكون ممتهنا[(٣)].

ومن تعظيم المصحف منع تصغير هذا الاسم المعظم وهو (**المصحف**) وذلك لأن تصغيره يوهم النقص، ومن أجاز من السلف التصغير فلكونه من حيث الخط، لا من حيث كونه كلام الله تعالى[(٤)].

ومن تعظيم المصحف كتابته بخط واضح يقرأ، وأما كتابته بخط لا يقرأ فهذا مظنة لإهانته فيمنع منه، قال إبراهيم بن يزيد بن قيس النخعي: «كان يقال: عظموا القرآن، يعني كبروا المصاحف»[(٥)]، ولهذا كره السلف تصغير المصحف، خطا وكتابة،

---

(١) شرح العمدة ٤/ ٣٠٧.

(٢) انظر: الجامع لأحكام القرآن١/ ٢٨، الفروع١/ ١٥٨، شرح تنوير الأبصار١/ ١٧٧، كشاف القناع ١/ ١٣٦.

(٣) انظر: السنن الكبرى ٣/ ١٧١ (٤٨٩٠)، الجامع للقرطبي ١/ ٢٤، المبدع٣/ ٨١، الفروع١/ ١٥٨، الفتح ١/ ٦٨٨ (٤٨٠)، كشاف القناع ١/ ١٣٦، شرح تنوير الأبصار ١/ ١٧٧.

(٤) انظر: مصنف ابن أبي شيبة ٢/ ٢٤٠، إعلام الموقعين ٣/ ١٧٩، حواشي الشيرواني ١/ ١٤٦.

(٥) رواه ابن أبي شيبة في مصنفه، كتاب الصلاة، باب: من كره أن يكتب القرآن في الشيء الصغير، برقم (٨٥٥٣)، وذكر آثارا أخرى، وانظر: المصنف لعبد الرزاق ٤/ ٣٢٣، الجامع لأحكام القرآن ١/ ٢٤.

وقالوا: «ينبغي أن يكتبه بأحسن خط، وأبينه على أحسن ورقة، وأبيضه، بأفخم قلم، وأبرق سواد، ويفرج السطور، ويضخم الحروف»[١].

ومن تعظيم المصحف أنه يعتبر مشاعا ليس لأحد أن يتملكه على وجه المالية، ولهذا اختلف السلف في قطع يد السارق لو سرق مصحفا، فقال الشافعي وأبو ثور وأبو يوسف: تُقْطَعُ اليد به، وقال أبو حنيفة وأحمد: لا تُقْطَع به[٢].

ولهذه العلة اختلفوا في بيع المصحف، وقالوا: إن تعظيمه واجب وفي بيعه نوع ابتذال له[٣].

وكل ما يخالف التعظيم فإنه يحرم بالشرع، ونص عليه السلف ـ رحمهم الله ـ، ومن ذلك أنه يحرم تمزيق المصحف لأنه ازدراء به[٤].

وأما القيام للمصحف إذا أدخل على قوم في مجلس فلم يثبت فيه شيء عن النبي ﷺ ولا عن الصحابة الكرام، قال شيخ الإسلام: «لا نعلم في القيام للمصحف شيئا مأثورا عن السلف»[٥]، وجوزه بعضهم وقالوا هو كجواز القيام للعالِم، قالوا فالمصحف أولى بالقيام[٦].

ومعلوم أن القيام للعالِم مختلفٌ فيه[٧] لعدم ورود نص صريح فيه، فلا يقاس المصحف على العالِم لعدم وجود النص فيه صراحة، فكيف يثبت حكم بحكم مختلف فيه قياسا؟.

ثم القيام للعالِم قد يكون من باب العادة، كما هو الحال عند الناس في القيام لكبارهم

(١) حاشية ابن عابدين ٦/ ٣٨٦، وانظر: مصنف ابن أبي شيبة ٢/ ٢٤٠، والمصنف لعبد الرزاق ٤/ ٣٢٣.

(٢) انظر الأقوال وأدلتها في: الجامع لأحكام القرآن ٦/ ١٧٠، المجموع ٣١/ ٢١٢، الكافي ٢/ ٨، المبدع ٤/ ١٢-١٣، كشاف القناع ٦/ ١٣٠.

(٣) انظر: الروض المربع ٢/ ٢٩.

(٤) انظر: إعانة الطالبين ١/ ٦٨.

(٥) مختصر الفتاوى ص ٢٥٦، المجموع ٢٣/ ٦٥.

(٦) انظر: الدر النضيد في مجموعة ابن الحفيد ص ٤٧، إعانة الطالبين ١/ ٦٩.

(٧) انظر: فتح الباري ١١/ ٥٢ وما بعدها، عون المعبود ١٤/ ٨٥ وما بعدها.

وعظائهم؟ وأما القيام للمصحف فلا يكون إلا عبادة ولا تثبت العبادة إلا بنص[(١)].

وهل تحلية المصحف من التعظيم؟ قال أبو الحسن علي بن محمد الزاغوني[(٢)]: «يحرم كتبه بذهب لأنه من زخرفة المصاحف ويؤمر بحكه...»[(٣)].

وقال شيخ الإسلام: «هذه الزخارف الظاهرة - أي تحلية المصحف وزخرفة المساجد - التي لم تشرع، ويصحبها من الرياء والكبر والاشتغال عن المشروع ما يفسد حال صاحبها»[(٤)].

وهو لم ينقل من فعل الصحابة، مع أنهم أشد الناس تعظيما لكتاب الله ﷻ، وتوقيرا لكلامه، وتبجيلا للمصحف، بل المنقول عنهم كراهية تحلية المصاحف[(٥)].

وأما حرق المصحف لضرورة أو حاجة فجائز، لأن في حرقه حفظا له عن الإهانة، وفي تركه مع عدم الحاجة إليه - لكونها كتبت خطأ أو محرفة - إهانة لها من حيث إنّها قد تداس أو غير ذلك، ولذلك حرق عثمان ؓ المصاحف التي كانت عند الصحابة، وفيها ما هو منسوخ، وما هو تفسير، وجمعهم على المصحف الذي توفي رسول الله ﷺ وهو الباقي المحكم من القرآن وهذا بإجماع الصحابة.

قال علي ؓ: [**يا معشر الناس اتقوا الله وإياكم والغلو في عثمان، وقولكم حرّاق المصاحف فوالله ما حرقها إلا عن ملأ منا أصحاب محمد ﷺ**]، وقال: «لو كنت الوالي وقت عثمان لفعلت في المصاحف مثل الذي فعل عثمان»[(٦)].

---

(١) انظر: كشاف القناع ١/ ١٣٨، وكذلك نقله ابن الحفيد عن العز بن عبد السلام، كما في الدر النضيد ص٤٨.

(٢) هو العلامة شيخ الحنابلة: علي بن عبد الله بن نصر بن عبيد الله بن الزاغوني البغدادي، صاحب التصانيف، توفي سنة ٥٢٧هـ. انظر: السير ١٩/ ٦٠٥.

(٣) كشاف القناع١/ ١٣٧، وانظر: المهذب١/ ١٥٨، فتاوى ابن الصلاح ص٨٢٣، الجامع لأحكام القرآن١/ ٢٤، والفروع١/ ١٥٩، الكافي ١/ ٣١٠.

(٤) الاقتضاء ١/ ٢٩٦، بتصرف.

(٥) انظر: مصنف ابن أبي شيبة ٢/ ٢٦٢، ٦/ ١٤٩، سنن سعيد بن منصور ٢/ ٤٨٥ (١٦٤)، الفتح ٢/ ٥٣٤، التلخيص الحبير ٢/ ١٧٧، خلاصة البدر المنير لابن الملقن ١/ ٣٠٧.

(٦) الجامع لأحكام القرآن ١/ ٤٠، وانظر: علل الدارقطني ٣/ ٢٢٩، الفتح ٨/ ٦٣٧، تحفة الأحوذي ٨/ ٤١١.

قال ابن بطال[١] رحمه الله: «وفي أمر عثمان بتحريق المصحف والمصاحف حين جمع القرآن، جواز تحريق الكتب التي فيها أسماء الله تعالى، وأن ذلك إكرام لها، وصيانة عن الوطء بالأقدام وطرحها في ضياع من الأرض»[٢]، وقال ابن الجوزي: «ذلك لتعظيمه وصيانته»[٣]. ومن **هذا يعلم** أن حرق المصحف لغير حاجة شرعية، مخالف للتعظيم، بل يكون إهانة له[٤]، وإذا أمكن أن لا يبقى للكلام أثر بالمحو ونحوه فهو حسن[٥]، **وأما دفنه** إذا بلي فليس فيه شيء ثابت عن الصحابة والتابعين، ولكن جوزه بعض الحنفية وقالوا: إن ذلك من تعظيم كلام الله تعالى[٦]، ولكن الإحراق أو المحو أولى لأنه يتأكد به عدم الإهانة، وحتى لا تكون بالدفن عرضة للدوس بالأقدام[٧].

وبهذا القدر كفاية لمن اعتبر، على أن السلف مهتمون بتعظيم المصحف كما قد مر، **وأعظم تعظيم للمصحف** قراءته، والعمل به[٨]، ومن تعظيمه صونه عن الأماكن النجسة، وهذا ما أبينه في المطلب الآتي.

---

(١) هو المحدث الفقيه المالكي: محمد بن بطال بن وهب بن عبد الأعلى التميمي، رحل من الأندلس إلى مكة وأخذ عن ابن الأعرابي وغيره، وكان كثير الرواية والدراية، توفي بلورقة في الأندلس سنة ٣٦٦هـ. انظر: الديباج المذهب ص٤١٠.

(٢) الجامع لأحكام القرآن ١/ ٤٠، وانظر: الفروع ١/ ١٦٠، تحفة الأحوذي ٨/ ٤١١، فتاوى الدين الخالص ١/ ١٧٤.

(٣) كشاف القناع ١/ ١٣٧.

(٤) انظر: حواشي الشيرواني ١/ ١٥٦.

(٥) انظر: الفتح ٨/ ٦٧٣.

(٦) انظر: حاشية ابن عابدين ٦/ ٤٢٢، شرح تنوير الأبصار ١/ ١٧٧.

(٧) انظر: تاريخ بغداد ٦/ ١١٤.

(٨) وقد سبق الكلام على هذه المسائل في المبحث الثاني من الفصل الثالث.

المطلب الثاني: حكم الدخول بالمصحف في الأماكن النجسة.

الدخول بالمصحف إلى الأماكن القذرة والنجسة خلاف التعظيم الذي أمرنا الله به فيما يتعلق بحرماته، قال ﷻ: ﴿ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ حُرُمَٰتِ ٱللَّهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُۥ عِندَ رَبِّهِۦ﴾ [الحج:٣٠]، ولا شك أن من أعظم حرمات الله ﷻ ما يتعلق بذاته وأسمائه وصفاته، وأحكامه وشرعه.

ولهذا فلا يدخل بالمصحف إلى الحشوش، والحمامات، وأماكن القذارة، ولا يجوز أن يدخل في أماكن اللهو واللعب فهذا فيه نوع توهين له، إلا إذا كان هناك ضرورة كخوفه من ضياعه[1]، فلا «يحمل في الخلاء ذكر الله تعالى... من قرآن، أو غيره... تعظيما له...، وتحريم إدخال المصحف ونحوه، الخلاء من غير ضرورة إجلالا له، وتكريما»[2].

«ويحرم كتب شيء من القرآن والحديث... بمتنجس»[3].

وأما إن كان على موضع من بدنه نجاسة، فإنه لا يجوز له مس المصحف بهذا الموضع، حتى لا يلامس النجاسة المصحف[4].

وإلقاء المصحف في القاذورات لا يكون من مؤمن، بل يكون فاعل ذلك كافرا بهذا الفعل إجماعا، إذا كان متعمدا[5].

ومن الأماكن التي هي مظنة النجاسة بلاد الكفار، إذ هم لا يتطهرون، وهم كما قال ﷻ عنهم: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّمَا ٱلْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ﴾[الحج:٢٨] فلهذا لا

---

(١) انظر: المنهج القويم للهيثمي ص ٦٤، إعانة الطالبين ١/ ١٠٩، التاج والإكليل ٦/ ٢٦٩، كشاف القناع ١/ ٥٩، سبل السلام ١/ ٧٣، نيل الأوطار ١/ ٩٠.

(٢) مغني المحتاج ١/ ٤٠.

(٣) حاشية البجيرمي ١/ ٤٩.

(٤) انظر: حلية العلماء ١/ ١٥٨، الكافي ١/ ٤٨.

(٥) انظر: طبقات الشافعية ١/ ١٢٨.

يمكنون من المصحف، «ويحرم بيع المصحف لكافر، ولا يصح، لما فيه من الإهانة»[(١)]، ويخشى أن يمتهنوه، وأن يسيئوا استخدامه.

ولهذا لا يجوز السفر بالقرآن إلى أرض العدو، مخافة أن تناله أيديهم، كما قال ابن عمر ﷺ: [**إن رسول الله ﷺ نهى أن يُسافر بالقرآن إلى أرض العدو**][(٢)].

قال الحافظ ابن عبد البر رحمه الله: «أجمع الفقهاء أن لا يسافر بالمصحف في السرايا، والعسكر الصغير المخوف عليه، واختلف في الكبير المأمون عليه...، واستدل به - أي بالحديث السابق - على منع بيع المصحف من الكافر، لوجود المعنى المذكور فيه، وهو التمكن من الاستهانة به، ولا خلاف في تحريم ذلك»[(٣)]؛ فدل هذا على أن السفر بالمصحف إلى أرض العدو محرم إذا خُشي على المصحف[(٤)]، ومن ذلك الأماكن التي فيها الغلبة للكفار، والبلاد بلاد كفر وشرك، فإن حمل المصحف إلى مثل هذه البلدان والدخول إليها مظنة لأن يقع بأيدي المشركين، وهذا منهي عنه، ويشتد إذا كانوا أهل حرب، فإنهم أشد بغضا للمسلمين، ولكتابهم؛ فيهينون كتاب الله ﷻ[(٥)].

ولأن حمل المصحف إلى بلاد الكفار قضية مهمة، - خصوصا في العصر الحاضر من أجل الدعوة، وتسهيل مهمة الداعية - أنقل هذه الفتوى من فتاوى اللجنة الدائمة، **وهذا مفادها: «هل يجوز حمل المصحف إلى بلاد الكفر؟.**

الحمد لله والصلاة والسلام على رسوله وآله وصحبه، وبعد: حمل المسلم المصحف - القرآن الكريم - إلى بلاد الكفر من المسائل التي اختلف الفقهاء في حكمها: فقال جماعة منهم بجواز حمله إلى بلادهم، وقال آخرون بمنع ذلك، لنهي النبي ﷺ

---

(١) إعانة الطالبين ٤/ ٢٨٢، وانظر: المهذب ١/ ٢٦٧، وحاشية ابن عابدين ١/ ١٧٧.

(٢) رواه البخاري، كتاب الجهاد والسير، باب/ كراهية السفر بالمصاحف إلى أرض العدو، ح(٢٢٩٠)، ومسلم: كتاب الجهاد، باب: النهي أن يسافر بالمصحف إلى أرض الكفار إذا خيف وقوعه بأيديهم، ح(١٨٦٩)، وزاد مسلم: [**مخافة أن يناله العدو**].

(٣) الفتح ٦/ ١٥٦.

(٤) انظر: المبسوط ١٠/ ٢٩، البحر الرائق ٥/ ٨٣، المغني ١/ ٢٠٤، ١٣/ ٢٥١.

(٥) انظر: المغني ١/ ٩٩، فتاوى الدين الخالص ٢/ ١٠١-١٠٢.

عن السفر به إلى بلادهم خشية أن يمتهنوه، أو يحرفوه، أو يشبهوا على المسلمين فيه...، وقال آخرون يجوز حمله إلى بلادهم للبلاغ وإقامة الحجة عليهم، وللتحفيظ والتفهم لأحكامه عند الحاجة إذا كان للمسلمين قوة، أو سلطان، أو ما يقوم مقامهما من العهود والمواثيق، ونحو ذلك مما يكفل حفظه ويرجى معه التمكن من الانتفاع به في البلاغ والحفظ والدراسة، ويؤيد ذلك ما ورد في آخر حديث النهي عن السفر به إلى بلادهم من التعليل، وهذا الأخير هو الأرجح، لحصول المصلحة مع انتفاء المفسدة التي خشيها النبي ﷺ »[1].

وبهذا يتبين أن امتهان المصحف بأي وجه محرم، وأن تعظيم المصحف واجب، ومن تعظيمه اعتقاد أنه آية من آيات نبينا محمد ﷺ ومعجزة من معجزاته، وهذا ما سأجليه في الفصل الآتي.

---

(١) فتاوى اللجنة الدائمة ٤/ ٤٢-٤٣، بتصرف يسير.

الفصل الخامس

بيان أن القرآن آية لنبينا محمد ﷺ

وفيه مبحثان:

المبحث الأول: تعريف الآية، وكون القرآن معجزا، وفيه ثلاثة مطالب.

المبحث الثاني: أوجه الإعجاز في القرآن الكريم، وفيه ثلاثة مطالب.

المبحث الأول: تعريف الآية، وكون القرآن معجزًا

المطلب الأول: تعريف الآية لغة واصطلاحا، وإطلاقاتها القرآنية.

أولا: تعريف الآية لغة.

الآية لغة معناها العلامة، تقول هذه آية مأياة، أي: علامة مَعْلَمَة[(١)]، ومنه قوله ﷻ: ﴿وَءَايَةٌ لَّهُمُ ٱلْأَرْضُ ٱلْمَيْتَةُ أَحْيَيْنَٰهَا وَأَخْرَجْنَا مِنْهَا حَبًّا فَمِنْهُ يَأْكُلُونَ﴾[يس:٣٣] أي علامة معلمة لهم تدل على ألوهية الرب عزوجل، وأنه المعبود بحق، وأن البعث كائن لا محالة[(٢)].

وتطلق الآية ويراد بها الجماعة من الناس كما قال الشاعر:

خرجنا من النقبين لا حيَّ مثلنا   بآياتنا نزْجي المَطِيّ المَطافِلا[(٣)]

وقيل منه آي القرآن «لأنها جماعة حروفٍ، والجمع: آيٌ»[(٤)]، ويجمع على (آيايٌ) و (آياتٌ)[(٥)]، وجمع الجمع (آياءٌ)[(٦)]، وقيل: «سميت الآية من القرآن آية لأنها علامة لانقطاع كلام من كلام»[(٧)]، وقيل الآية من القرآن علامة مفضية إلى غيرها كأعلام الطريق تهدي السبيل[(٨)]، وقيل: «سميت آية لأنها عجب، يعجز البشر عن

---

(١) انظر: مقاييس اللغة ص ١٠٢-١٠٣، ومفردات القرآن ص ٤١، مختار الصحاح ص ٣٧، لسان العرب ١/ ٢٨٢، القاموس المحيط ٤/ ٣٢٢، تفسير القرآن العظيم ١/ ٧.

(٢) انظر: فتح البيان ٨/ ٢٠.

(٣) انظر: مقاييس اللغة ص ١٠٣، لسان العرب ١/ ٢٨٢، والأبيات من نظم برج بن مسهر.

(٤) انظر: مقاييس اللغة ص ١٠٣، مختار الصحاح ص ٣٧، لسان العرب ١/ ٢٨٢، تفسير القرآن العظيم ١/ ٧.

(٥) انظر: مختار الصحاح ص ٣٧، القاموس المحيط ٤/ ٣٢٢.

(٦) انظر: لسان العرب ١/ ٢٨١، ٢٨٣، القاموس المحيط ٤/ ٣٢٢.

(٧) لسان العرب ١/ ٢٨٢.

(٨) انظر: لسان العرب ١/ ٢٨٢.

التكلم بمثلها »[١].

والظاهر ـ والله تعالى أعلم ـ أن الآية في القرآن تجمع هذه المعاني كلها، ولا تضاد بينها، فإن الآية في القرآن إما أن تكون علامة على التوحيد، أو البعث، أو النبوة، أو الأحكام، وهي هادية إلى الإيمان بهذه الأمور، وهي في نفسها مجموعة حروف وكلمات تامة المعنى، عجيبة المبنى، فهي آية بمعنى الكلمة، تامة جامعة.

قال شيخ الإسلام ﷺ: « فإن الآية هي العلامة، وهي ما تستلزم بنفسها لما هي آية عليه، من غير توسط... كالشعاع فإنه آية للشمس، والدخان للنار...، فيعلم من ثبوت الآية ثبوت لازمها »[٢]، « والآية مثل العلامة والدلالة »[٣].

فكلامه ﷺ يبين أن الآية وهي العلامة تدل بنفسها لما هي سيقت له، ونصبت من أجله، فالقرآن آية للنبي ﷺ، بمعنى أنه عجب، وآية له بمعنى أنه في نفسه تام لا يحتاج إلى آية أخرى، وآية لكونه دالاً على التوحيد والمعاد والنبوات، وآية لكونه هاديا للبشر، وهو آية للنبي ﷺ.

ثانيا: تعريف الآية اصطلاحا.

وليس المراد من التعريف آياتُ القرآن التي منها السور، بل المراد بالآية آيات الأنبياء، **والسلف الصالح** ـ رحمهم الله تعالى ـ كانوا يعرفون آيات النبي ﷺ ومنها القرآن، بهذا الاسم وهو الآية، ولفظ الآيات كثير في القرآن[٤]، وجاء المتأخرون باصطلاح المعجزة بدلا عن ذلك، مع أن الاصطلاح الذي دل عليه الكتاب والسنة وأقوال السلف أدل على المعنى، وأوضح في المبنى، فكان بالاتباع أولى؛ **لأنه** « ليس في الكتاب والسنة تعليق هذا الحكم بهذا الوصف، بل ولا ذُكِر خرق العادة، ولا لفظ

(١) تفسير القرآن العظيم ١/ ٨.
(٢) المجموع ٢/ ٧٤.
(٣) المجموع ٢/ ١٧٩.
(٤) انظر: الجواب الصحيح ٥/ ٤١٤، ٤١٩.

المعجز، وإنما فيه آيات وبراهين»[١]، ولهذا اخترت اسم الآية بدلا عن المعجزة، والمعجزة أعم من الآية لأنها تشمل كل خارق.

قال شيخ الاسلام ﷺ: «اسم المعجزة يعم كل خارق للعادة في اللغة وعرف الأئمة المتقدمين كالإمام أحمد بن حنبل وغيره، ويسمونها: الآيات»[٢]، وإن كان في العرف الغالب إذا قيل آية فالمتبادر هو آيات سور القرآن، والآية ليست مختصة بالقرآن دون غيره[٣].

وكلام أهل العلم في تعريف الآية دائر حول هذه المعاني:

الآيات؛ هي الأدلة المستلزمة للصدق[٤]، **وقيل**: «حدها أن تدل على المطلوب»[٥]، **وقيل** الآية هي: الحجة[٦]، **وقيل** الآية هي: المعجزة، بل المعجزة أخص منها، وقالوا في تعريف المعجزة، هي: الأمر الخارق للعادة، داعية إلى الخير والسعادة، مقرونة بدعوى النبوة[٧].

والذي يظهر أن التعريف الجامع والمانع هو أن يقال:

الآية هي العلامة المستلزمة للصدق، الخارجة عن قدرة المكلفين، وهذا التعريف جامع لأنه يجمع جميع أنواع الآيات، سواء كانت دالة على التوحيد، أو التي تدل على صدق النبي، أو التي تدل على حكم الله ﷻ، **وأيضا هو مانع**: لأن الخوارق التي يظهرها الشياطين والكهنة والسحرة والمشعوذون ليست من الآيات في شيء، لأنها من الأمور التي يمكن لآحاد المكلفين من الإنس والجن أن يفعلوها، بخلاف الآيات الآفاقية

(١) النبوات ص ٥٩.
(٢) المجموع ١١/ ٣١١.
(٣) انظر: الفصول في الأصول ٢/ ٢٥٧.
(٤) انظر: مفردات القرآن للراغب الأصبهاني ص ٤١، النبوات ص ٥٨، ١٨٦، ٣١٥.
(٥) النبوات ص ٣٠٩.
(٦) انظر: المجموع ١٢/ ١٧.
(٧) التعريفات للجرجاني: ص ٢١٩.

والأرضية، والآيات المتلوة، فإن البشر لا يقدرون على الإتيان بمثلها، **فالإعلام بالغيوب**، والإتيان بالشرائع التي تُصلح أحوال البشر، وإحياء الموتى، وشق القمر، وقلب العصا حية، كل ذلك مستلزمة للصدق الذي من أجله جيء بها، ولا يقدر عليها البشر، «فآية النبي لا بد أن تكون خارقة للعادة، بمعنى أنها ليست معتادة للآدميين»(١).

والآية إما أن تكون من جنس العلم كالقرآن، أو القوة كفلق البحر، أو الغنى النافي للافتقار، و«صفات الكمال ترجع إلى ثلاثة: العلم، والقدرة، والغنى...، وهذه الثلاثة لا تصلح على وجه الكمال إلا لله وحده، فإنه الغني الذي أحاط بكل شيء علما، وهو على كل شيء قدير، وهو غني عن العالمين»(٢).

فكل ما كان من هذه الأمور خارجًا عن وسع الإنسان فهي آية، وقد أُمِر النبي ﷺ أن يتبرأ من هذه الثلاثة، كما قال ﷻ: ﴿قُل لَّآ أَقُولُ لَكُمۡ عِندِى خَزَآئِنُ ٱللَّهِ وَلَآ أَعۡلَمُ ٱلۡغَيۡبَ وَلَآ أَقُولُ لَكُمۡ إِنِّى مَلَكٌۖ إِنۡ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَىَّ﴾[الأنعام:٥٠] فهو ﷺ لا يعلم الغيب، ولا يقدر على خزائن الله، ولا هو ملَك غني عن الأكل والمال(٣).

وأمر الآيات إلى الله ﷻ، وهو الذي ينـزل الآيات متى شاء، ويريها متى شاء ﷻ.

والآيات المعجزات، التي هي الحجج الباهرات، تارة تعلم بالأخبار المتواترات، وإن لم نشاهدها بالأعين الباصرات، ولم نشاهد آثارها المَعْلَمات، كعصا موسى عليه السلام وناقة صالح عليه السلام، وتارة تشاهد بالعيان كالقرآن، وتارة تشاهد بآثارها الدالة عليها، كإهلاك الله لعاد وثمود وإبقاء آثارهما(٤).

ثالثا: إطلاقاتها القرآنية؛ سبق أن عرفت الآية تعريفا جامعا عاما شمل أنواعا من الآيات، فلزم أن أبين أنواع الآيات الواردة في المنـزل من البينات:

---

(١) النبوات ص ٣٠، وانظر: النبوات ص ٤٧٢.

(٢) المجموع ١١/ ٣١٢.

(٣) انظر: المجموع ١١/ ٣١٣.

(٤) انظر: النبوات ص ١٨٧.

إن لفظ الآية أطلق في القرآن الكريم على الآيات المتلوة التي هي كلام الله ﷻ، وهو غير مخلوق، كما سبق[(١)]، وأطلقت على الآيات المخلوقة[(٢)]، ومن الأمثلة على إطلاقاتها على الآيات المتلوة قوله ﷻ: ﴿مَا نَنسَخْ مِنْ ءَايَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَآ أَوْ مِثْلِهَآ ۗ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾[البقرة:١٠٦] فالمراد بالآية هنا الآيات المتلوة التي هي من كلام الله ﷻ، وقال ﷻ: ﴿وَقَالُواْ لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ ءَايَٰتٌ مِّن رَّبِّهِۦ ۖ قُلْ إِنَّمَا ٱلْءَايَٰتُ عِندَ ٱللَّهِ وَإِنَّمَآ أَنَا۠ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ۝ أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَرَحْمَةً وَذِكْرَىٰ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾[العنكبوت:٥٠-٥١] فبين الله ﷻ أن أعظم الآيات هو هذا القرآن المتلو، الذي هو كلام الرحمن، رحم به الخلق؛ فبين لهم ما فيه صلاحهم، وما فيه سبب لإيمانهم، وحصولهم على رحمة ربهم.

ومثال إطلاقها على الآيات المخلوقة، قوله ﷻ: ﴿وَٱنظُرْ إِلَىٰ حِمَارِكَ وَلِنَجْعَلَكَ ءَايَةً لِّلنَّاسِ﴾[البقرة:٢٥٩]، وقوله ﷻ: ﴿قَدْ جَآءَتْكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ ۖ هَٰذِهِۦ نَاقَةُ ٱللَّهِ لَكُمْ ءَايَةً﴾[الأعراف:٧٣]، وهذه خارجة عن قدرة المكلفين، وهي آيات بينات للمبصرين، شاهدة على صدق ما دعا إليه الأنبياء والمرسلون، وهي مخلوقة لله رب العالمين.

وتطلق الآية في القرآن الكريم على أنها آية لله تعالى، وتارة آية للرسل، وتارة آية للشرع، فتكون إطلاقاتها على ثلاثة أضرب بحسب دلالتها وما سيقت من أجله:

١ ـ ما يدل على وحدانية الله ﷻ، فهي آية لله تارة، وكل حادث فهو من آيات الله الدالة عليه، ودلالتها على الله دلالة تامة وكاملة[(٣)]، فالله ﷻ جعل هذه الآيات «تبصرة وذكرى لكل عبد منيب، والله قد أخبر في كتابه أنه يجعل في هذه المصنوعات آيات»[(٤)]، كما قال ﷻ: ﴿وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ۝ إِنَّ فِى

---

(١) انظر: الفصل الأول من الباب الأول.

(٢) انظر: المجموع ٢/ ٢١٥، والنبوات ص ٤٤٧.

(٣) انظر: النبوات ص ١٥٨، ٢٧٨، ٣٢١.

(٤) المجموع ٢/ ١٧٩.

خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَٱلْفُلْكِ ٱلَّتِى تَجْرِى فِى ٱلْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ وَمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن مَّآءٍ فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٍ وَتَصْرِيفِ ٱلرِّيَٰحِ وَٱلسَّحَابِ ٱلْمُسَخَّرِ بَيْنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴾[البقرة:١٦٣-١٦٤] فآيات الله تدل على نفسه، وصفاته سبحانه وتعالى، كما نطق بذلك كتابه(١).

٢ ـ ما سيق من أجل الدلالة على صدق النبي، فـ « آيات الأنبياء كما قد عرف هي مستلزمة لثبوت النبوة »(٢)، وما يدل على النبوة فهو آية وبرهان عليها(٣)، ومن الأمثلة على هذا قوله ﷻ مخبرا عن عيسى ـ عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام ـ: ﴿ وَرَسُولًا إِلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَنِّى قَدْ جِئْتُكُم بِـَٔايَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ ۖ أَنِّىٓ أَخْلُقُ لَكُم مِّنَ ٱلطِّينِ كَهَيْـَٔةِ ٱلطَّيْرِ فَأَنفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًۢا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۖ وَأُبْرِئُ ٱلْأَكْمَهَ وَٱلْأَبْرَصَ وَأُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۖ وَأُنَبِّئُكُم بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِى بُيُوتِكُمْ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٤٩﴾ وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَىَّ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَلِأُحِلَّ لَكُم بَعْضَ ٱلَّذِى حُرِّمَ عَلَيْكُمْ ۚ وَجِئْتُكُم بِـَٔايَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴾[آل عمران:٤٩-٥٠].

٣ ـ ما سيق للدلالة على أمر الله وشرعه، وبيان أحكامه ودينه، والقرآن أغلبه لبيان هذا الأمر، وهو أبين من أن يضرب له الأمثلة.

ويطلق في القرآن اسم الآية على المتلوة منها والمشاهدة(٤)، **وهذه باعتبار معرفتها ترد على نوعين:**

الأول: الآيات المتلوة؛ وهي الكتب الإلهية التي أنزلت على الرسل، حيث فيها الشرائع المحكمة، والهدايات المتقنة، ومن أجلّها القرآن الكريم، قال ﷻ: ﴿ وَلَقَدْ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ءَايَٰتٍۭ بَيِّنَٰتٍ ۖ وَمَا يَكْفُرُ بِهَآ إِلَّا ٱلْفَٰسِقُونَ ﴾[البقرة:٩٩]، وقال ﷻ: ﴿ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱللَّهِ

(١) انظر: المجموع ٢/ ١٨٠.
(٢) النبوات ص ٤٠٤، وانظر منه: ص ٣٨١.
(٣) انظر: النبوات ص ٣٠.
(٤) انظر: المجموع ١٤/ ١٩٠

نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِٱلْحَقِّ وَإِنَّكَ لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴾[البقرة:٢٥٢] فآيات القرآن من الآيات المتلوة التي حفظها الله ﷻ آية بينة، وحجة قاطعة متلوة.

الثاني: الآيات المشاهدة، وهي ما سوى المتلوة، وهي كثيرة في القرآن، قال الله ﷻ: ﴿ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ إِذَآ أَنتُم بَشَرٌ تَنتَشِرُونَ ۝٢٠ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓا۟ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ۝٢١ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ خَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَٰنِكُمْ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّلْعَٰلِمِينَ ۝٢٢ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ مَنَامُكُم بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَٱبْتِغَآؤُكُم مِّن فَضْلِهِۦٓ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ ۝٢٣ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ يُرِيكُمُ ٱلْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا وَيُنَزِّلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَيُحْىِۦ بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَآ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ۝٢٤ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَن تَقُومَ ٱلسَّمَآءُ وَٱلْأَرْضُ بِأَمْرِهِۦ ۚ ثُمَّ إِذَا دَعَاكُمْ دَعْوَةً مِّنَ ٱلْأَرْضِ إِذَآ أَنتُمْ تَخْرُجُونَ ﴾ [الروم:٢٠-٢٥] فهذه كلها آيات مشاهدة لكل ذي بصر وبصيرة.

وقد توصف الآيات في القرآن بأنها كبرى، وآيات أخرى أصغر منها:

فلله تعالى آية كبيرة، وصغيرة[1]، قال ﷻ عن نبيه محمد ﷺ: ﴿ لَقَدْ رَأَىٰ مِنْ ءَايَٰتِ رَبِّهِ ٱلْكُبْرَىٰٓ ﴾[النجم:١٨]، وقال عن نبيه موسى ـ عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام ـ: ﴿ لِنُرِيَكَ مِنْ ءَايَٰتِنَا ٱلْكُبْرَى ﴾[طه:٢٣] وقال: ﴿ فَأَرَىٰهُ ٱلْءَايَةَ ٱلْكُبْرَىٰ ﴾[النازعات:٢٠] وقال: ﴿ وَمَا نُرِيهِم مِّنْ ءَايَةٍ إِلَّا هِىَ أَكْبَرُ مِنْ أُخْتِهَا ﴾[الزخرف:٤٨].

وتطلق الآية مضافة إلى الله، وتارة غير مضافة؛ فمن المضاف إلى الله ﷻ ما ورد في قوله ﷻ: ﴿ وَلَا تَتَّخِذُوٓا۟ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ هُزُوًا ﴾[البقرة:٢٣١] وقوله: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ ذُو ٱنتِقَامٍ ﴾[آل عمران:٤].

ومما جاء غير مضاف ما ورد في قوله ﷻ: ﴿ ذَٰلِكَ نَتْلُوهُ عَلَيْكَ مِنَ ٱلْءَايَٰتِ وَٱلذِّكْرِ ٱلْحَكِيمِ ﴾[آل عمران:٥٨].

---

(١) انظر: النبوات ص ٣٢٢.

وأما إطلاق الآية على المعاني المختلفة في القرآن فهذا كثير، وإن كان جلها، ومدارها على معنى الآية اللغوي، وهو العلامة، فمما أطلق لفظ الآية عليه: والمراد بها **العلامة،** قوله ﷻ: ﴿فِيهِ ءَايَٰتُۢ بَيِّنَٰتٞ مَّقَامُ إِبۡرَٰهِيمَ﴾[آل عمران:٩٧] أي: «بمعنى: فيه علامات بينات»[١].

وأطلقت الآية على الآية من السورة: فسور القرآن مكونة من آيات؛ لأنها مجموعة أحرف وكلمات، تامة المباني، مرتبطة المعاني، وإذا أطلقت الآية فالمتبادر إلى الذهن في عرف الاستعمال الآيات من السور[٢]، ومما ورد إطلاق الآي على آيات سور القرآن الكريم، ما جاء في قوله ﷻ: ﴿مَا نَنسَخۡ مِنۡ ءَايَةٍ أَوۡ نُنسِهَا نَأۡتِ بِخَيۡرٖ مِّنۡهَآ أَوۡ مِثۡلِهَآۗ أَلَمۡ تَعۡلَمۡ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٌ﴾[البقرة:١٠٦] وفي قوله: ﴿وَإِذَا بَدَّلۡنَآ ءَايَةٗ مَّكَانَ ءَايَةٖ وَٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِمَا يُنَزِّلُ قَالُوٓاْ إِنَّمَآ أَنتَ مُفۡتَرِۭۚ بَلۡ أَكۡثَرُهُمۡ لَا يَعۡلَمُونَ﴾[النحل:١٠١]، فالمراد بالآية في الموضعين ما نزل من القرآن مما فيه أمر ونهي، ثم نسخت، فبين الله وجه الحكمة من النسخ فيها[٣].

وأطلق لفظ الآية على الحق، وعلى البينات، وعلى السلطان، وعلى البرهان، وعلى الفرقان، وعلى الحجة، وعلى الشاهد[٤]، **وتطلق لفظ الآية على الأمر العجب**[٥]، **وعلى العبرة، وعلى الأمارة**[٦]، وهذه كلها ترجع في بعض معانيها إلى العلامة، ولا شك أن من أعظم ما أنزل من أجله القرآن كونه حجة، وبينة، وبرهانا، وسلطانا لنبينا محمد ﷺ، وأشرع الآن في بيان ذلك.

---

(١) جامع البيان ٣/ ٣٥٧.

(٢) انظر: الفصول في الأصول ٢/ ٢٥٧.

(٣) انظر: معالم التنـزيل ١/ ١٣٣.

(٤) انظر: موقف العقل والعلم والعالم ١/ ٤٩.

(٥) انظر: النبوات ص ٢٩٠.

(٦) انظر: لسان العرب ١/ ٢٨٢.

المطلب الثاني: الدليل على كون القرآن آية.

من عقيدة السلف أن القرآن الكريم آية لنبينا محمد ﷺ، ودليل على نبوته، بل هو أعظم الآيات الدالة على صدق نبوته ﷺ، فالقرآن آية الرسول ﷺ، وبرهانه على صدقه، ونبوته[1]، والأدلة على ذلك كثيرة منها:

١ـ قول الله ﷻ: ﴿ وَلَقَدْ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ءَايَٰتٍۭ بَيِّنَٰتٍ ۖ وَمَا يَكْفُرُ بِهَآ إِلَّا ٱلْفَٰسِقُونَ ﴾ [البقرة:٩٩] وقال: ﴿ هُوَ ٱلَّذِى يُنَزِّلُ عَلَىٰ عَبْدِهِۦٓ ءَايَٰتٍۭ بَيِّنَٰتٍ لِّيُخْرِجَكُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ بِكُمْ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾[الحديد:٩] فهذه الآيات المنزلة هي المتلوة من القرآن، وهي آيات للنبي ﷺ، «والقرآن مما يعلم الناس عربهم وعجمهم أنه لم يوجد له نظير، مع حرص العرب وغير العرب على معارضته، فلفظه آية، ونظمه آية، وإخباره بالغيوب آية، وأمره ونهيه آية، ووعده ووعيده آية، وجلالته وعظمته وسلطانه على القلوب آية، وإذا ترجم بغير العربي كانت معانيه آية، كل ذلك لا يوجد له نظير في العالم»[2].

٢ ـ أوضَحَ الله ﷻ أن هذه الآيات المتلوة دليل على أن محمدا ﷺ مرسل من ربه، قال تعالى: ﴿ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِٱلْحَقِّ ۚ وَإِنَّكَ لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴾ [البقرة:٢٥٢] وقال: ﴿ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِٱلْحَقِّ ۖ فَبِأَىِّ حَدِيثٍۭ بَعْدَ ٱللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ يُؤْمِنُونَ ﴾[الجاثية:٦] وقال: ﴿ ذَٰلِكَ نَتْلُوهُ عَلَيْكَ مِنَ ٱلْءَايَٰتِ وَٱلذِّكْرِ ٱلْحَكِيمِ ﴾[آل عمران:٥٨] وهذه الآيات من القرآن، «والقرآن نفسه هو قول الله، وفيه شهادة الله، بما أخبر به الرسول، وإنزاله على محمد، **وإتيان محمد به هو آية**، وبرهان، وذلك من فعل الله، إذ كان البشر لا يقدرون على مثله، لا يقدر عليه أحد من الأنبياء، ولا الأولياء، ولا السحرة، ولا غيرهم»[3].

---

(١) انظر: أصول السرخسي ص ٢٨٢، المستصفى للغزالي ص ١١٥، المجموع ١٧/ ٤٥.

(٢) النبوات ص ١٨٨-١٨٩.

(٣) الجواب الصحيح ٤/ ٤٠٨.

٣ ـ أخبر الله ﷻ أن من لم يؤمن بهذه الآيات المتلوة فهو مُكَذِّبٌ بأعظم آية للرحمن، دالة على صدق نبيه محمد ﷺ وهو القرآن، كما قال: ﴿وَمَا تَأْتِيهِم مِّنْ ءَايَةٍ مِّنْ ءَايَـٰتِ رَبِّهِمْ إِلَّا كَانُوا۟ عَنْهَا مُعْرِضِينَ ۝٤ فَقَدْ كَذَّبُوا۟ بِٱلْحَقِّ لَمَّا جَآءَهُمْ ۖ فَسَوْفَ يَأْتِيهِمْ أَنۢبَـٰٓؤُا۟ مَا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ﴾[الأنعام:٤-٥] وقال: ﴿وَمِنْهُم مَّن يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ ۖ وَجَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ وَفِىٓ ءَاذَانِهِمْ وَقْرًا ۚ وَإِن يَرَوْا۟ كُلَّ ءَايَةٍ لَّا يُؤْمِنُوا۟ بِهَا ۚ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوكَ يُجَـٰدِلُونَكَ يَقُولُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِنْ هَـٰذَآ إِلَّآ أَسَـٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ﴾[الأنعام:٢٤] لما ثبت أن القرآن آية دالة على صدق نبوة محمد ﷺ ما كان من الكفار إلا الإعراض بالدعاوى الباطلة وقولهم: إن هذا إلا أساطير الأولين، مع أن هذا القرآن مختص بالنبي ﷺ، لا يمكن لأحد أن يأتي به غيره، وكان ذلك برهانا بينا على أن الله أنزله، وأنه نزل بعلم الله(١).

٤ ـ لما أرد الكفار المعاندون للنبي ﷺ الآيات، وطلبوها بصريح العبارات، أتاهم الجواب بهذه الآيات البينات، مبينا أن القرآن من أعظم الدلائل الواضحات، الدالة على صدق نبوة محمد ﷺ، كما قال ﷻ: ﴿وَإِذَا لَمْ تَأْتِهِم بِـَٔايَةٍ قَالُوا۟ لَوْلَا ٱجْتَبَيْتَهَا ۚ قُلْ إِنَّمَآ أَتَّبِعُ مَا يُوحَىٰٓ إِلَىَّ مِن رَّبِّى ۚ هَـٰذَا بَصَآئِرُ مِن رَّبِّكُمْ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ [الأعراف:٢٠٣]، وقال الله ﷻ: ﴿وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ ءَايَةٌ مِّن رَّبِّهِۦ ۗ قُلْ إِنَّ ٱللَّهَ يُضِلُّ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِىٓ إِلَيْهِ مَنْ أَنَابَ ۝٢٧ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ ٱللَّهِ ۗ أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ ۝٢٨ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ طُوبَىٰ لَهُمْ وَحُسْنُ مَـَٔابٍ ۝٢٩ كَذَٰلِكَ أَرْسَلْنَـٰكَ فِىٓ أُمَّةٍ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهَآ أُمَمٌ لِّتَتْلُوَا۟ عَلَيْهِمُ ٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِٱلرَّحْمَـٰنِ ۚ قُلْ هُوَ رَبِّى لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ مَتَابِ ۝٣٠ وَلَوْ أَنَّ قُرْءَانًا سُيِّرَتْ بِهِ ٱلْجِبَالُ أَوْ قُطِّعَتْ بِهِ ٱلْأَرْضُ أَوْ كُلِّمَ بِهِ ٱلْمَوْتَىٰ ۗ بَل لِّلَّهِ ٱلْأَمْرُ جَمِيعًا ۗ أَفَلَمْ يَا۟يْـَٔسِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَن لَّوْ يَشَآءُ ٱللَّهُ لَهَدَى ٱلنَّاسَ جَمِيعًا ۗ وَلَا يَزَالُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ تُصِيبُهُم بِمَا صَنَعُوا۟ قَارِعَةٌ أَوْ تَحُلُّ قَرِيبًا مِّن دَارِهِمْ حَتَّىٰ يَأْتِىَ وَعْدُ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُخْلِفُ ٱلْمِيعَادَ﴾[الرعد:٢٧-٣١]

---

(١) انظر: المجموع ١٥/ ١٠٧.

فالقرآن فيه آيات بينات، واشتماله على ذلك بين لمن تأمله، « فإن مدلول الآيات سواء سميت معجزات، أو غيرها، هو الخبر الصادق بنبوة النبي، ومدلولها إخبار الله، وشهادته بأنه نبي، وأن الله أرسله، فقول الله: محمد رسول الله، وقوله: إني رسول الله إليكم، وقول كل مؤمن: إنه رسول الله، **كل ذلك خبر عن رسالته، وهذا هو مدلول الآيات**، وقد يكون مدلول الآيات، نفس النبوة التي هي مخبر هذا الخبر، ويكون الدليل مثل خبر من الأخبار، وهذا من جنس الأول، فما دل على نفس النبوة دل على صدق المخبر بها، وما دل على صدق المخبر بها دل عليها، وأما نفس إخبار الرب بالنبوة وإعلامه بها، وشهادته بها قولا وعملا، فهو إخبار منه بها، وهو الصادق في خبره، فإخباره هو دليل عليها، فإنه لا يقول الا الحق، ولا يخبر الا بالصدق »[1].

٥ ـ بين الله ﷻ ، أن القرآن آية يشهد بذلك العلماء، الذين هم ورثة الأنبياء، الذين لا يكتمون خبر الله، « فبين أن القرآن آيات بينات في صدور الذين أوتوا العلم، فإنه من أعظم الآيات البينة، الدالة على صدق من جاء به، وقد اجتمع فيه من الآيات ما لم يجتمع في غيره، فإنه هو الدعوة، والحجة، وهو الدليل، والمدلول عليه، والحكم، وهو الدعوى، وهو البينة على الدعوى، وهو الشاهد والمشهود به »[2]، قال ﷻ: ﴿ وَإِنَّهُۥ لَفِى زُبُرِ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٩٦﴾ أَوَلَمْ يَكُن لَّهُمْ ءَايَةً أَن يَعْلَمَهُۥ عُلَمَٰٓؤُاْ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴾[الشعراء:١٩٦-١٩٧] وإذا لم يتعظ الناس بآيات القرآن الذي أنزل على محمد ﷺ، فلا يتعظون بشيء غيره، ولو جاءهم ما جاء، قال ﷻ: ﴿ وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِى هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ مِن كُلِّ مَثَلٍ ۚ وَلَئِن جِئْتَهُم بِـَٔايَةٍ لَّيَقُولَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا مُبْطِلُونَ ﴾[الروم:٥٨] فالقرآن آيات متنوعة؛ آيات تدل على الله، وآيات للنبي ﷺ، وآيات تدل على ما أراد الله، فهي آيات من وجوه متعددة[3].

٦ ـ نبه الله ﷻ « على أعظم الآيات، وأدلها على صدق رسول الله ﷺ، وهو

(١) النبوات ص ٣٤٥.

(٢) المجموع ١٤/ ١٩٠.

(٣) انظر: النبوات ص ٢٦٤، ٢٨٨.

الكتاب الذي يتضمن بيان كل شيء، ولم يفرط فيه من شيء»[(١)]، كما قال تعالى: ﴿وَقَالُواْ لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ ءَايَةٌ مِّن رَّبِّهِۦ ۚ قُلْ إِنَّ ٱللَّهَ قَادِرٌ عَلَىٰٓ أَن يُنَزِّلَ ءَايَةً وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾[الأنعام:٣٧] وقال: ﴿وَقَالُواْ لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ ءَايَٰتٌ مِّن رَّبِّهِۦ ۖ قُلْ إِنَّمَا ٱلْأَيَٰتُ عِندَ ٱللَّهِ وَإِنَّمَآ أَنَا۠ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ۝ أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَرَحْمَةً وَذِكْرَىٰ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾[العنكبوت:٥٠-٥١] قال الحافظ ابن كثير رحمه الله: « يقول تعالى مخبرا عن المشركين في تعنتهم وطلبهم آيات يعنون ـ أنها ـ ترشدهم إلى أن محمدا رسول الله، كما أتى صالح ﷺ بناقته، قال الله تعالى: قل يا محمد ﴿إِنَّمَا ٱلْأَيَٰتُ عِندَ ٱللَّهِ﴾ أي إنما أمر ذلك إلى الله فإنه لو علم أنكم تهتدون لأجابكم إلى سؤالكم لأن هذا سهل عليه، يسير لديه، ولكنه يعلم منكم أنكم إنما قصدتم التعنت والامتحان، فلا يجيبكم إلى ذلك...، ثم قال تعالى ـ مبينا كثرة جهلهم، وسخافة عقلهم، حيث طلبوا آيات تدلهم على صدق محمد رسول الله ﷺ فيما جاءهم، وقد جاءهم بالكتاب العزيز الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، **الذي هو أعظم من كل معجزة، إذ** عجزت الفصحاء والبلغاء عن معارضته، بل عن معارضة عشر سور من مثله، بل عن معارضة سورة منه ـ فقال تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ﴾ أي: أو لم يكفهم آية أنا أنزلنا عليك الكتاب العظيم، الذي فيه خبر ما قبلهم، ونبأ ما بعدهم، وحكم ما بينهم، وأنت رجل أمي لا تقرأ ولا تكتب، ولم تخالط أحدا من أهل الكتاب، فجئتهم بأخبار ما في الصحف الأولى، ببيان الصواب مما اختلفوا فيه، وبالحق الواضح البين الجلي، كما قال تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَكُن لَّهُمْ ءَايَةً أَن يَعْلَمَهُۥ عُلَمَٰٓؤُاْ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾[الشعراء:١٩٦-١٩٧]، وقال تعالى: ﴿وَقَالُواْ لَوْلَا يَأْتِينَا بِـَٔايَةٍ مِّن رَّبِّهِۦٓ ۚ أَوَلَمْ تَأْتِهِم بَيِّنَةُ مَا فِى ٱلصُّحُفِ ٱلْأُولَىٰ﴾[طه:١٠٣]»[(٢)].

٧ ـ أن الله أقام الحجة بهذا القرآن، فدل على أنه آية كافية للإنذار، كما قال جل جلاله:

(١) شفاء العليل ١/ ١١٩.

(٢) تفسير القرآن العظيم ٣/ ٤١٨، وانظر: زاد المسير ٦/ ٢٧٩.

﴿قُلْ أَيُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَٰدَةً ۖ قُلِ ٱللَّهُ ۖ شَهِيدٌۢ بَيْنِى وَبَيْنَكُمْ ۚ وَأُوحِىَ إِلَىَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ لِأُنذِرَكُم بِهِۦ وَمَنۢ بَلَغَ﴾[الأنعام:١٩] فالحجة قائمة بهذه الآية العظيمة، التي أنزلت على النبي ﷺ، سواء علمها الناس، أم تجاهلوها، فمن «يقول من الكفار: إن معجزات الأنبياء غير معلومة له، وهذا لكونهم لم يعلموا السبب الموجب للعلم بذلك، والحجة قائمة عليهم، تواتر عندهم، أم لا»(١).

٨ ـ وثبت كون القرآن آية لمحمد ﷺ من جهة أنه لا يقدر أحد على الإتيان بهذا القرآن إلا الله، وكونه آية متحدى به(٢).

٩ ـ يظهر كون القرآن آية وبرهانا لمحمد ﷺ، وأنه من خصائصه ﷺ، حيث أنزلت عليه(٣)، لكون الموافق والمخالف يعلم، بل و«علمت الخاصةُ، والعامة من عامة الأمم، علما متواترا أنه هو الذي أتى بهذا القرآن، وتواترت بذلك الأخبار، أعظم من تواترها بخبر كل أحد من الأنبياء، والملوك، والفلاسفة، وغيرهم»(٤).

١٠ ـ أنه ﷺ لم يكن يعلم قبل الوحي شيئا، ثم جاء بهذا الكتاب الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه، ولا من خلفه، تنزيل من حكيم حميد، دل ذلك على أنه آية له على نبوته، وهو أمي لا يقرأ، ولا يكتب، ولم يتعلم من أحد(٥)، قال ﷻ: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا ۚ مَا كُنتَ تَدْرِى مَا ٱلْكِتَٰبُ وَلَا ٱلْإِيمَٰنُ وَلَٰكِن جَعَلْنَٰهُ نُورًا نَّهْدِى بِهِۦ مَن نَّشَآءُ مِنْ عِبَادِنَا ۚ وَإِنَّكَ لَتَهْدِىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ۝ صِرَٰطِ ٱللَّهِ ٱلَّذِى لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ أَلَآ إِلَى ٱللَّهِ تَصِيرُ ٱلْأُمُورُ﴾[الشورى:٥٢-٥٣]، وقال: ﴿الٓر ۚ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُبِينِ ۝ إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ۝ نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ ٱلْقَصَصِ بِمَآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ وَإِن كُنتَ مِن قَبْلِهِۦ لَمِنَ ٱلْغَٰفِلِينَ﴾[يوسف:١-٣].

---

(١) المجموع ٩/ ١٠٤.

(٢) انظر: المجموع ١٥/ ١٠٧، الجواب الصحيح ٥/ ٤٢٢.

(٣) انظر: محصل أفكار المتقدمين والمتأخرين للرازي ص ٣٠٢، المجموع ١٥/ ١٠٦

(٤) الجواب الصحيح ٥/ ٤٢٢.

(٥) انظر: هداية الحيارى ص ٦٠، تفسير القرآن العظيم ٣/ ٤١٧.

١١ ـ أن النبي ﷺ أخبر بأن القرآن آيته، كما قال ﷺ : [**ما من الأنبياء من نبي إلا قد أعطي من الآيات ما مِثلُه آمن عليه البشر، وإنما كان الذي أوتيته وحيا أوحاه الله إلي؛ فأرجو أن أكون أكثرهم تابعا يوم القيامة**]، وهو يقصد القرآن[١].

١٢ ـ أنه ﷺ أشار إلى أن الابتلاء والامتحان واقع بنـزول الوحي عليه، وهذا يدل على أن ذلك آية وحجة على الخلق، قال ﷺ مخبرا عن ربه: [**إنما بعثتك لأبتليك وأبتلي بك، وأنزلت عليك كتابا لا يغسله الماء، تقرؤه نائما ويقظانَ**]. «أي: لو غسل الماء المحل المكتوب فيه لما احتيج إلى ذلك المحل...، لأنه محفوظ في الصدور، ميسر على الألسنة، مهيمن على القلوب، معجز لفظا ومعنى، ولهذا جاء في الكتب المتقدمة في صفة هذه الأمة أناجيلهم في صدورهم»[٢].

وبهذا يعلم أن القرآن آية لنبينا محمد ﷺ، مختص به دون غيره، وهو آية وحجة، وهاد، ودليل، ومُتحدًّى به الخلائق أن يأتوا بمثله، وهو معجز في نفسه، وهذا ما أبينه في المطلب التالي.

---

(١) انظر: الفتح ٨/ ٦٢٣.

(٢) تفسير القرآن العظيم ٣/ ٤١٧.

المطلب الثالث: الدليل على كون القرآن معجِز.

القرآن الكريم آية ظاهرة، وحجة دامغة، وعبرة واضحة لكل من أراد الوصول إلى صدق دعوى النبي ﷺ، وصدق ما دعا إليه، وكان كل نبي يبعث إلى قوم يكون معه آية تدل على نبوته، وتختص آيته بأعلى ما وصل إليه المرسَل إليهم من العلوم والتطور، والنبوغ فيه والظهور، فلما كان قوم عيسى ـ عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام ـ قد بلغوا في الطب مبلغا كبيرا، وقطع الناس في هذا الفن شأنا كبيرا، كانت آيته ومعجزته من جنس طبهم بما يخرق عادتهم، ويعجز عن إتيان مثله علماؤهم وعامتهم، وكان قوم نبينا محمد ﷺ وهم العرب، قد بلغوا في الفصاحة مجدها، وفي تنسيق الكلام شأوه، كانت آية محمد ﷺ من جنس هذه الفصاحة والبلاغة بما أعجز بلغاءهم، وأبلس عقلاءهم، وأخرس خاصتهم وعامتهم، ولكي أبين أن القرآن معجز سأورد أولا معنى المعجز، ثم أبين أدلة إعجاز القرآن الكريم.

أولا: معنى المعجِز.

المعجز اسم فاعل من أعجز الشيء يعجزه: إذا أعياه، وضعف عنه، وأعجزه الشيءُ: إذا فاته، وأعجزتُ زيدا: وجدته عاجزا، عن طلبه وإدراكه، ومنه قول الله ﷻ: ﴿وَمَآ أَنتُم بِمُعۡجِزِينَ فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾[الشورى:٣١] أي لا تعجزون الله تعالى إذا أراد عذابكم وبعثكم، والمراد أنهم لا يعجزون ربهم في شيء[١].

وعجَّزته تعجيزا: جعلته عاجزا، ويقال عاجَزَ فلانا: إذا ذهب فلم يوصل إليه، ومنه قول الله ﷻ: ﴿وَٱلَّذِينَ يَسۡعَوۡنَ فِيٓ ءَايَٰتِنَا مُعَٰجِزِينَ﴾[سبأ:٣٨][٢] والمعنى: ظانين أنهم يعجزوننا فلا نصل إليهم؛ لأنهم ظنوا أنهم لا يبعثون[٣].

والمعجِـز (بالكسر على النادر، والفتح على القياس) مصدر، والمعجِـزة (بفتح

---

(١) انظر: أضواء البيان ٦/ ١٦٩.

(٢) انظر: مقاييس اللغة ص ٧٣٩، المصباح المنير ص ٣٩٣، لسان العرب ٩/ ٥٨.

(٣) المفردات للراغب ص ٣٢٦.

الجيم، وكسرها، وبالهاء، وحذفها) مفعلة من العجز، فالمعجز والمعجزة مأخوذ من **العجز**؛ وهو الضعف والتأخر عن الشيء[(١)].

قال ابن فارس[(٢)] رحمه الله: «العين، والجيم، والزاء أصلان صحيحان، يدل أحدهما: على الضَّعف، والآخر: على مؤخَّر الشيء»[(٣)]، وعلى هذا فالمعجز هو: الذي أعيا غيره، وأضعفه عن مجاراته، بحيث أصبح عاجزا ضعيفا لا يجاري.

والإعجاز في الكلام معناه: أن يؤدي المعنى بطريق هو أبلغ من جميع ما عداه من الطرق[(٤)]، فإعجاز القرآن: ارتقاؤه إلى أن يخرج عن طوق البشر، ويعجزهم عن معارضته[(٥)]، والمقصود من الإعجاز بيان وحدانية الله، وأنه الرب المستحق للعبادة، وبيان صدق المرسَل، وبيان ما يجب للمرسِل.

ثانيا: بيان الأدلة التي تدل على أن القرآن معجز.

قد دل أمور عدة على أن القرآن آية معجزة، وحجة ساطعة، من وجوه متعددة، وهي:

١ - **أن الله تحدى الخلق أن يأتوا بمثله**: حيث دعا الله المعارضين لدعوة النبي ﷺ والمخالفين له والشاكين في نبوته، واستحثهم على أن يعارضوه، فعجزوا جميعا عن ذلك جملة وتفصيلا، فلما لم يستطع أحد نقضه، ومعارضته، ولن يستطيع، تيقنا أن القرآن معجز، وأن نبوة نبينا محمد ﷺ حق[(٦)] وقد كان هذا التحدي على مراحل عدة[(٧)]، وهي:

---

(١) المفردات للراغب ص ٣٢٥، لسان العرب ٩/ ٥٨.

(٢) هو اللغوي النحوي: أحمد بن فارس بن زكريا أبو الحسين الرازي، لغوي مشهور، له مصنفات في اللغة، ومن أهمها: مقاييس اللغة، توفي سنة ٣٩٥هـ. انظر: السير ١٧/ ١٠٣، ومقدمة الشيخ عبد السلام هارون على مقاييس اللغة ص١١.

(٣) مقاييس اللغة ص ٧٣٨.

(٤) انظر: التعريفات للجرجاني ص ٣١.

(٥) انظر: الكليات ص ١٤٩.

(٦) انظر: إعجاز القرآن للخطابي ص ٢١-٢٢، إعجاز القرآن للباقلاني ص٤٢، الفرق بين الفرق ص ٢٥١ الأصبهانية ص ٤٧١، تفسير القرآن العظيم ١/ ٦٠-٦٢، الإعلام بما في دين اليهود والنصارى من الأوهام ص ٣٢٣.

(٧) انظر: أحكام القرآن للشيخ ابن عثيمين ص ١١٦، جمع عبد الكريم المقرن.

أ- **تحدّيه إيّاهم بالإتيان بمثل القرآن:** لما نزل القرآن الكريم، على النبي ﷺ ادعى الكفار أن هذا أساطير الأولين، وأنه مفترى على الله، وليس هذا القرآن من عند الله، فتحداهم رب العالمين أن يأتوا بمثله إن كان هذا بقدرتهم، فقال ﷻ: ﴿ قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴾[الإسراء:٨٨] وقال: ﴿ أَمْ يَقُولُونَ تَقَوَّلَهُۥ ۚ بَل لَّا يُؤْمِنُونَ ﴿٣٣﴾ فَلْيَأْتُوا۟ بِحَدِيثٍ مِّثْلِهِۦٓ إِن كَانُوا۟ صَٰدِقِينَ ﴾[الطور:٣٣-٣٤] وقال: ﴿فَلَمَّا جَآءَهُمُ ٱلْحَقُّ مِنْ عِندِنَا قَالُوا۟ لَوْلَآ أُوتِىَ مِثْلَ مَآ أُوتِىَ مُوسَىٰٓ ۚ أَوَلَمْ يَكْفُرُوا۟ بِمَآ أُوتِىَ مُوسَىٰ مِن قَبْلُ ۖ قَالُوا۟ سِحْرَانِ تَظَٰهَرَا وَقَالُوٓا۟ إِنَّا بِكُلٍّ كَٰفِرُونَ ﴿٤٨﴾ قُلْ فَأْتُوا۟ بِكِتَٰبٍ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ هُوَ أَهْدَىٰ مِنْهُمَآ أَتَّبِعْهُ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٤٩﴾ فَإِن لَّمْ يَسْتَجِيبُوا۟ لَكَ فَٱعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَآءَهُمْ ۚ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ ٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾[القصص:٤٨-٥٠] وكانت الدواعي على معارضته تامة من العرب وغيرهم، ولم يستطيعوا، فتبين عجز الخلائق عن الإتيان بمثله، وهذا تعجيز لجميع الخلق[(١)].

ب- **تحدّيه إيّاهم بأن يأتوا بعشر سور مثله:** لما ادعوا أن القرآن من افتراء محمد ﷺ، وهم من العرب البلغاء، والشعراء الفصحاء،وعجزوا عن التحدي الأول، فطلبهم أن يأتوا بعشر سور مثله، حيث قال: ﴿ أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ ۖ قُلْ فَأْتُوا۟ بِعَشْرِ سُوَرٍ مِّثْلِهِۦ مُفْتَرَيَٰتٍ وَٱدْعُوا۟ مَنِ ٱسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿١٣﴾ فَإِلَّمْ يَسْتَجِيبُوا۟ لَكُمْ فَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَآ أُنزِلَ بِعِلْمِ ٱللَّهِ وَأَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ فَهَلْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴾[هود:١٣-١٤] فتحداهم بالإتيان بعشر سور مثله مفتريات، هم ومن معهم، فلما عجزوا عن الإتيان بعشر سور مثله، وظهر عجزهم، كان في مضمون تحديه أنه لا يقدر أحد على الإتيان بمثله من دون الله[(٢)]، وعلم القاصي والداني أن القرآن ليس من عند محمد ﷺ، وإنما هو منـزل

---

(١) انظر: إعجاز القرآن للخطابي ص ٢٨، الانتصار للعمراني ١/ ١٠٤، المجموع ١٢/ ٥٤٢، ١٧/ ٤٥ النبوات ص ٣٤٩، الجواب الصحيح ٥/ ٤١٠.

(٢) انظر: المجموع ١٥/ ١٠٦، الإعلام والاهتمام بفتاوى شيخ الإسلام أبي يحيى زكريا بن محمد الأنصاري ص٣٢٦.

من الله ﷻ، « ولا يقدر محمد ﷺ نفسه من تلقاء نفسه على أن يبدل سورة من القرآن، بل يظهر الفرق بين القرآن وبين سائر كلامه لكل من له أدنى تدبر »[١]، فعلم أنه من عند الله ﷻ.

ت- تحدّيه إيّاهم بأن يأتوا بسورة من مثله: لما عجز الكفار عن الإتيان بعشر سور من مثل القرآن، وعلموا أنه لا يمكن محاكاته، ولا مجاراته، وبطلت دعواهم في أن القرآن من عند محمد ﷺ قالوا: القرآن مفترّى محمّدٍ، وقالوا معلمه بشر، فقال ﷻ: ﴿وَمَا كَانَ هَـٰذَا ٱلْقُرْءَانُ أَن يُفْتَرَىٰ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَـٰكِن تَصْدِيقَ ٱلَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ ٱلْكِتَـٰبِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِن رَّبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ۝٣٧ أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ قُلْ فَأْتُوا۟ بِسُورَةٍ مِّثْلِهِۦ وَٱدْعُوا۟ مَنِ ٱسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَـٰدِقِينَ﴾[يونس:٣٧-٣٨] وهذا كان في مكة، « فأخبر أن هذا القرآن ما كان ليُفترَى من دون الله، وهذه الصيغة تدل على امتناع المنفي... لأن الخلق عاجزون عن الإتيان بمثله...، فهذا تعجيز لجميع الخلق »[٢] ثم لما هاجر إلى المدينة، وسمع أهل الكتاب القرآن، وكابروا عن الإيمان، تحدى الله ﷻ الخلائق كافة، مشركهم وكتابيهم ومُنافِقهم، فجعل التحدي باقيا إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها، وهذا التحدي عام في كل زمان ومكان، ولكل شاك وحيران، قال ﷻ: ﴿وَإِن كُنتُمْ فِى رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا۟ بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِۦ وَٱدْعُوا۟ شُهَدَآءَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَـٰدِقِينَ ۝٢٣ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا۟ وَلَن تَفْعَلُوا۟ فَٱتَّقُوا۟ ٱلنَّارَ ٱلَّتِى وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَـٰفِرِينَ﴾[البقرة:٢٣-٢٤] وقوله: فأتوا، الفاء جواب الشرط، وهو أمر معناه التعجيز[٣]، والمراد: ائتوا بسورة من مثل القرآن حقا وصدقا، لا باطل فيه، ولا كذب، مثله في البيان والفصاحة، وعلو الشأن، بلسان عربي مبين[٤].

---

(١) الجواب الصحيح ٥/ ٤٣١.

(٢) المجموع ١٣/ ٢٨٢.

(٣) انظر: فتح القدير للشوكاني ١/ ٦٤.

(٤) انظر: جامع البيان ١/ ٢٠١، تفسير القرآن العظيم ١/ ٦٠، الفتح ٨/ ٦٢٢ ـ ٦٢٣، محاسن التأويل ١/ ٢٦٢.

ولم تقع المعارضة من أحد من الكفرة لا في أيام النبوة، ولا بعدها، لا من العرب ولا من غيرهم(١)، مع قوة عداوة الكفار له، وشدة حرصهم على عدم ظهوره، وقوتهم في البلاغة والفصاحة(٢)، ولن يطيق الإنس والجن على أن يأتوا بسورة من مثله أبدا(٣)، لأن آيات الرسل لا يقدر عليها لا جن ولا إنس، بل هي خارقة لعادة كل من أرسل النبي إليه، فكيف وآية محمد ﷺ هي كلام رب العالمين، الذي لا نظير لكلامه، كما لا نظير لذاته، ولا يمكن أحدا أن يعارضها بمثلها(٤).

---

(١) **فإن قيل: لا يُسلم أن القرآن لم يعارض! بل عورض، ولم يُنقل، أو نُقِل فأُخفي فالجواب عليه من وجوه:** **الأول**: أنه يقال له ولجميع المرتابين في القرآن هذا لا يستقيم، لأنه يمكن أن يقلب بأن معجزات الأنبياء السابقين كموسى وعيسى أيضا عورضت، ولم ينقل، فلما كان هذا باطلا في إيراده على معجزتها فكذلك هو باطل في إيراده على معجزة نبينا ﷺ. **الثاني**: أنه لو عورض لما آمن به مخالفوه. **الثالث**: أنهم لو كانوا يستطيعون معارضته لعارضوه؛ لأن ذلك أيسر من الاقتتال الذي وقع منهم للمسلمين. **الرابع**: أنه لم يقع، ونقول ولن يقع، وإن كنت في شك فأت بسورة من مثله نظما ومعنى.(انظر: الإعلام بما في دين اليهود والنصارى من الأوهام ص ٢٥١ وما بعدها). **الخامس**: أن هذا لو وقع لنقل، كما نقل ما وقع من المعارضات، وباءت هذه المحاولات بالفشل الذريع، والعجز السريع، حيث أظهروا أنهم خواء، وعن مجاراة القرآن في عماء، **قال الحافظ ابن كثير** رحمه الله في تفسيره ١/ ٦٢: «وقد روينا عن عمرو بن العاص رضي الله عنه أنه وفد على مسيلمة الكذاب قبل أن يُسلم، فقال له مسيلمة: ماذا أُنزل على صاحبكم بمكة في هذا الحين؟ فقال له عمرو: لقد أنزل عليه سورة وجيزة بليغة! فقال: وما هي؟ فقال: ﴿وَٱلْعَصْرِ ۝ إِنَّ ٱلْإِنسَـٰنَ لَفِى خُسْرٍ ۝ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ﴾ ففكر ساعة، ثم رفع رأسه فقال: ولقد أنزل عليَّ مثلها، فقال: وما هو؟ فقال: يا وبر! يا وبر! ـ دويبة صغيرة ـ، إنما أنت أذنان وصدر، وسائرك حقر فقر. ثم قال: كيف ترى يا عمرو؟!، فقال له عمرو: والله إنك لتعلم أني لأعلم أنك تكذب»، وانظر: الجواب الصحيح ٥/ ٤٣٢، **ومن هؤلاء المحاولين المكذبين** ابن الراوندي، وأبو العلاء المعري كما في تلبيس إبليس ص ١٢١-١٢٢، وكذلك الطبيب الكندي حاول أن يؤلف آية كآيات القرآن، كما ذكر ذلك القرطبي في الجامع لأحكام القرآن ٦/ ٢٣.

(٢) انظر: الجواب الصحيح ١/ ٤٢٧، الأصبهانية ص ٦٢٥، الإعلام بما في دين اليهود والنصارى من الأوهام ص ٣٢٤، فتح البيان ١/ ٨٧.

(٣) انظر: الجواب الصحيح ١/ ٤٢٦، تفسير القرآن العظيم ١/ ٦٠، فتح القدير للشوكاني ١/ ٦٥.

(٤) انظر: جامع البيان ١/ ٢٠٢، محصل أفكار المتقدمين والمتأخرين للرازي ص٣٠١-٣٠٢، الانتصار للعمراني ١/ ١٠٢، المحرر الوجيز١/ ١٠٦، النبوات ص ٢١٥، الجواب الصحيح ٥/ ٤٢٨-٤٣٥، تفسير القرآن العظيم ١/ ٦١، الإعلام بما في دين اليهود والنصارى من الأوهام ص ٣٢٨، نظم الدرر ١/ ١٥٩-١٧٠، فتح البيان ١/ ٨٧-٨٨.

قال أبو جعفر ابن جرير الطبري رحمه الله في تفسير الآية السابقة: «وهذا من الله عز وجل احتجاج لنبيه محمد ﷺ على مشركي قومه من العرب، ومنافقيهم، وكفار أهل الكتاب وضلالهم... إياهم يخاطب بهذه الآيات، وضرباءهم، قال الله - جل ثناؤه -: وإن كنتم أيها المشركون من العرب والكفار من أهل الكتابين في شك، - وهو الريب - مما نزلنا على عبدنا محمد ﷺ من النور، والبرهان، وآيات الفرقان أنه من عندي، وأني الذي أنزلته إليه، فلم تؤمنوا به، ولم تصدقوه فيما يقول، فأتوا بحجة تدفع حجته، لأنكم تعلمون أن حجة كل ذي نبوة على صدقه في دعواه النبوة أن يأتي ببرهان يعجز عن أن يأتي بمثله جميع الخلق، ومن حجة محمد ﷺ على صدقه، وبرهانه على نبوته، وأن ما جاء به من عندي عجز جميعكم، وجميع من تستعينون به من أعوانكم، وأنصاركم عن أن تأتوا بسورة من مثله، وإذا عجزتم عن ذلك، - وأنتم أهل البراعة في الفصاحة والبلاغة والدراية - فقد علمتم أن غيركم عما عجزتم عنه من ذلك أعجز، كما كان برهان من سلف من رسلي وأنبيائي على صدقه وحجته على نبوته من الآيات ما يعجز عن الإتيان بمثله جميع خلقي، فيتقرر حينئذ عندكم أن محمدا لم يتقوَّله، ولم يختلقه؛ لأن ذلك لو كان منه اختلاقا وتقولا لم تعجزوا وجميع خلقي عن الإتيان بمثله؛ لأن محمدا ﷺ لم يعدُ أن يكون بشرا مثلكم، وفي مثل حالكم في الجسم، وبسطة الخلق، وذرابة اللسان، فيمكن أن يظن به اقتدار على ما عجزتم عنه، أو يتوهم منكم عجز عما اقتدر عليه»[(١)].

والسلف يعتقدون أن القرآن نفسه معجز، ولو لم يظهر فيه التحدي، وذلك لكونه دالا على الله، وعلى نبوة محمد ﷺ وعلى الشرع المحكم المنيع[(٢)].

٢- **إخباره بالغيوب**: ومما يدل على أن القرآن معجِز أنه يخبر بالغيب الذي لا يُطَّلع عليه[(٣)]، «والخوارق ثلاثة أنواع: منها ما هو من جنس الغَنَاء عن الحاجات البشرية، ومنها ما هو من جنس العلم الخارج عن قوى البشر، ومنها ما هو من جنس

---

(١) جامع البيان ١/ ٢٠٠-٢٠١، وانظر منه ١/ ٢٠٣، وانظر: أصول السرخسي ص ٢٧٨.

(٢) انظر: النبوات ص ٢٠٠، تفسير القرآن العظيم ١/ ٦٢.

(٣) محصل أفكار المتقدمين والمتأخرين للرازي ص ٣٠٢.

المقدورات الخارجة عن قدرة البشر»[(١)].

والقرآن قد بلغ في العلم ما هو خارج عن قدرات البشر، وقواهم، حيث فيه الغيوب الماضية، بأحسن أسلوب، وأدق عبارة، وأصح سيرة، والغيوب الحاضرة في زمن نزول الوحي، كأنها فلق الصبح، والغيوب المستقبلية الشيء الكثير الذي وقع بعد وفاة النبي ﷺ، أو بعد قرون، يدل على أنه لا يمكن أن يكون من وضع البشر، وأن القرآن ـ لا ريب ـ معجزة خالدة.

ومن الغيوب الماضية التي أخبر الله ﷻ عنها، ما ذكره عن قصة مريم، ثم قال ﷻ بعدها: ﴿ذَٰلِكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ ۚ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يُلْقُونَ أَقْلَٰمَهُمْ أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَخْتَصِمُونَ﴾[آل عمران:٤٤] وقال ﷻ بعد أن حكى قصة نوح ـ عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام ـ : ﴿تِلْكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلْغَيْبِ نُوحِيهَآ إِلَيْكَ ۖ مَا كُنتَ تَعْلَمُهَآ أَنتَ وَلَا قَوْمُكَ مِن قَبْلِ هَٰذَا ۖ فَٱصْبِرْ ۖ إِنَّ ٱلْعَٰقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ﴾[هود:٤٩] وقال ﷻ لما أخبر بقصة موسى ـ عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام ـ: ﴿وَمَا كُنتَ بِجَانِبِ ٱلْغَرْبِىِّ إِذْ قَضَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَى ٱلْأَمْرَ وَمَا كُنتَ مِنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿٤٤﴾ وَلَٰكِنَّآ أَنشَأْنَا قُرُونًا فَتَطَاوَلَ عَلَيْهِمُ ٱلْعُمُرُ ۚ وَمَا كُنتَ ثَاوِيًا فِىٓ أَهْلِ مَدْيَنَ تَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِنَا وَلَٰكِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ ﴿٤٥﴾ وَمَا كُنتَ بِجَانِبِ ٱلطُّورِ إِذْ نَادَيْنَا وَلَٰكِن رَّحْمَةً مِّن رَّبِّكَ لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّآ أَتَىٰهُم مِّن نَّذِيرٍ مِّن قَبْلِكَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾[القصص:٤٤-٤٦] فأكد أن هذا الإخبار الذي جاءه في قصة موسى بالتفصيل الذي لم يُعهد، إنما هو من قبيل الغيب، إذ لم يكن شاهدا، ولا حاضرا، ولم يكن دارسا، ولا متعلما.

ومن الغيوب التي أخبر عنها القرآن، ووقعت في زمن النبوة، وفي حياة النبي ﷺ، ما جاء في إخبار الله ﷻ من غلبة الروم على الفرس، قال الله ﷻ: ﴿الٓمٓ ﴿١﴾ غُلِبَتِ ٱلرُّومُ ﴿٢﴾ فِىٓ أَدْنَى ٱلْأَرْضِ وَهُم مِّنۢ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ ﴿٣﴾ فِى بِضْعِ سِنِينَ ۗ لِلَّهِ ٱلْأَمْرُ مِن

---

(١) الصفدية ١/ ١٨٣.

قَبْلُ وَمِنۢ بَعْدُۚ وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ ٱلْمُؤْمِنُونَ ۝ بِنَصْرِ ٱللَّهِۚ يَنصُرُ مَن يَشَآءُۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ۝ وَعْدَ ٱللَّهِۖ لَا يُخْلِفُ ٱللَّهُ وَعْدَهُۥ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾[الروم:١-٦] وذلك أنه وقعت معركة بين الفرس والروم، فغلبت الفرس الروم، وقال المشركون من أهل مكة للمسلمين: إن الفرس غلبوا أهل الكتاب، وسنغلبكم إذا وقع بيننا وبينكم القتال، فأخبر الله ﷻ أن الروم ستغلب الفرس في سنوات، وأن المسلمين سيُنصرون في سنوات، وقد حصل الأمران: فانتصر الروم على الفرس في بضع سنوات، ثم هاجر المسلمون إلى المدينة وحصل بينهم وبين المشركين قتال فانتصر المسلمون في بدر، فتحقق وعد الله الذي لا يُخلَف للصادقين من المؤمنين(١).

ومن الغيوب المستقبلية التي وقعت بعد وفاة النبي ﷺ ـ وهي كثيرة ـ إخباره بأن أمر محمد ﷺ سيظهر، مع أنهم كانوا في مكة، وهم خائفون على أنفسهم، وقد ظهر دين الله في الأرض، كما قال ﷻ: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا ﴾[الفتح:٢٨] وقد أظهر الله دينه على جميع الأديان، في مدة يسيرة، فكُسِّرت الأكاسرة، وقُصِّر قيصر، وأصبحت دولة الإسلام ورايتها في أرجاء المعمورة شرقا وغربا(٢).

٣-**تطابق أخباره**(٣): ومما يدل على كون القرآن معجزا، تطابق أخباره مع الواقع، سواء الماضية منها، أو المستقبلية، وهذا التطابق موجود في الأحكام بلا نكران، مسوق في سائر آيات القرآن، قال الله ﷻ : ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَۚ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا ﴾[النساء:٨٢] فأمر الله بتدبر آيات القرآن، لما فيه من التوافق في الأخبار، والتناسق في الأحكام، وأمرهم بتفهم معانيه المحكمة، وألفاظه البليغة، وأخبر أنه لا اضطراب فيه ولا اختلاف، ولا تعارض؛ لأنه تنـزيل من حكيم

(١) انظر: الاعتقاد للبيهقي ص ٣٥١.

(٢) انظر: الاعتقاد للبيهقي ص ٣٥٣.

(٣) انظر: الصفدية ١/ ٢١٩.

حميد، فهو حق من حق، فلما سلم من ذلك علم أنه من عند الله[١].

٤- **حفظ الله له**: ومما يدل على أن القرآن معجز، بقاؤه مئين من السنين، «مع كثرة الأمة، وتفرقها في مشارق الأرض ومغاربها، والكتاب بعد هذا محفوظ، وكذلك الشريعة محفوظة، فهذا أمر خارق»[٢] خارج عن مقدور النبي ﷺ، وعن مقدور البشر، فدل على أنه معجز من رب البشر، وأنه آية لمن اعتبر، قال الله تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ﴾[الحجر:٩] **قال القرطبي**[٣] رحمه الله: «أخبرنا الله تعالى في هذه الآية أنه أنزله، وأنه تولى حفظه، وهذا كتاب الله محفوظ بحفظه، لا يقدر أحد على تغيير كلمة واحدة من لفظه، على كثرة من سعى في تغييره»[٤].

فحفظ الله الكتاب، على مضي قرون متطاولة، ولا يمكن أحد تغيير القرآن، مع كونه محفوظا في الصدور، منقولا بالتواتر في السطور، واتفاق علماء الإسلام عليه، دليل على كونه معجزة من الله، والسلف كانوا يختلفون في بعض الأحكام، وينكر بعضهم على بعض، «فعلم بذلك أن ما كان مشهورا في الأمة عن النبي ﷺ ولم ينكره أحد من علمائها كانت الأمة متفقة على نقله، **كنقلهم للقرآن**، والشرائع الظاهرة»[٥].

٥- **كونه خارجا عن قدرات الثقلين**: إن كل منصف يقرأ القرآن الكريم يدرك أنه خارج عن قدرات المخلوقين النفسانية، والطبيعية، فلا يستطيعون الإتيان بمثله، ومن ادعى أن ذلك يمكن فهذه دعوى عارية عن الدليل، إذ مرت القرون الماضية،

---

(١) انظر: تفسير القرآن العظيم ١/ ٥٢٩، وانظر: رسالة الشيخ محمد الأمين الشنقيطي رحمه الله دفع إيهام الاضطراب عن آيات الكتاب.

(٢) الصفدية ١/ ٢٢٣، وانظر: إعجاز القرآن للباقلاني ص٣٩ ـ ٤٠، الجواب الصحيح ٣/ ١٥، منع جواز المجاز في المنـزل للتعبد والإعجاز للشنقيطي ص ٢٧٧ (١٠/ ٢٧٧ مع التفسير).

(٣) هو المفسر المحدث: محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فروح الأنصاري الأندلسي أبو عبد الله القرطبي، رحل إلى المشرق، وسكن مصر، وتوفي في أسيوط، متبحرا في العلوم، ومن مصنفاته: الجامع لأحكام القرآن، توفي سنة ٦٧١هـ. انظر: الديباج المذهب ص٤٠٦، معجم المفسرين لعادل نويهض ٢/ ٤٧٩.

(٤) الإعلام بما في دين اليهود والنصارى من الأوهام ص ٣٤٠، وانظر منه: ص ١٨٩، ١٩٣-١٩٤، الجواب الصحيح ٣/ ٣٩، ٣/ ١٤، ٢١، ٢٧، ٤٢٣، النبوات ص ٣٥٦

(٥) الجواب الصحيح ٦/ ٣٥٧، وانظر منه: ٥/ ٤٣٢، ٤٢٧، الفتح ٨/ ٦٢٤.

وغبرت الأمم السالفة، ولم يمكن ذلك، وهو لن يكون حتى في المستقبل، ومن كان في شك فليدع عصابته البلغاء، المتكلمين بلغة القرآن، ليعارضوا سورة من مثله ـ ولو أقصر سورة ـ[1]، وما دمتم عاجزين عن ذلك، تحقق القطع بأنه ليس بمقدور المخلوقين، لا محمد ﷺ، ولا غيره، وتحقق على القطع أنه ليس يقدر عليه أحد من الإنس والجان، وعلم أنه كلام الملك الديان[2].

٦-**أن الذي يبلغه للناس أمي لا يقرأ، ولا يكتب، ولم يتعلم:** وهذا يؤكد أن القرآن معجزة من الله لمحمد ﷺ، وآية من آياته الدالة على ألوهيته، وصدق دعوى نبيه ﷺ في نبوته، قال الله ﷻ: ﴿ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِيَّ ٱلْأُمِّيَّ ٱلَّذِى يَجِدُونَهُۥ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَىٰهُمْ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ ٱلْخَبَٰٓئِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَٱلْأَغْلَٰلَ ٱلَّتِى كَانَتْ عَلَيْهِمْ ۚ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِهِۦ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَٱتَّبَعُوا۟ ٱلنُّورَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ مَعَهُۥٓ ۙ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٥٧﴾ قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ يُحْىِۦ وَيُمِيتُ ۖ فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ ٱلنَّبِىِّ ٱلْأُمِّىِّ ٱلَّذِى يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَكَلِمَٰتِهِۦ وَٱتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾[الأعراف:١٥٧-١٥٨].

فهو ﷺ أمي لا يقرأ ولا يكتب، ومع ذلك جاءهم بهذه الأوامر المصلحة، والأخبار السارة، والآيات المحكمة، فهذا دليل على أنه معجزة من الله ﷻ، قال ﷻ: ﴿هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّۦنَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾[الجمعة:٢]، وقال ﷻ: ﴿وَمَا كُنتَ تَتْلُوا۟ مِن قَبْلِهِۦ مِن كِتَٰبٍ وَلَا تَخُطُّهُۥ بِيَمِينِكَ ۖ إِذًا لَّٱرْتَابَ ٱلْمُبْطِلُونَ﴾[العنكبوت:٤٨].

---

(١) والصحيح من عقيدة السلف أن التحدي وقع في آخر الأمر بأقصر سورة، ولو كسورة العصر، أو الكوثر، وأن القرآن كله معجز، سواء في ذلك السور القصار، أو الطوال، وأن التحدي معلق بأي سورة منه، من حيث اللفظ والتركيب، ومن حيث المعنى البديع العجيب. انظر: تفسير القرآن العظيم ١/ ٦٢.

(٢) الإعلام بما في دين اليهود والنصارى من الأوهام ص ٢١٩، وانظر: الصفدية ١/ ٢٣٦.

٧-**أنه معجز بوجوه إعجاز أكثر من أن يحصيها عدد، أو يحيط بها أحد**: وهذه الوجوه كل واحدة منها على حدة تدل على أن القرآن معجِز للبشر، فكيف إذا اجتمعت هذه الوجوه.

وعد بعضهم هذه الوجوه، وكل واحد ذكر ما ظهر له منها، وإلا فهي متنوعة متعددة، وكون بعض العلماء يذكر أربعة أوجه، أو خمسة، أو ستة، أو عشرة لا يعني ذلك حصرها فيها، **وأذكر بعضها على سبيل الاختصار**:

فمنها: حسن تأليفه، والتئام كلمه مع الإيجاز والبلاغة، **ومنها**: صورة سياقه وأسلوبه المخالف لأساليب كلام أهل البلاغة من العرب نظما ونثرا، حتى حارت فيه عقولهم، **ومنها**: ما اشتمل عليه من الأخبار الغيبية، **ومنها**: الشرع المحكم الذي جاء به، **ومنها**: أن قارئه لا يمل من ترداده، ولا يمج من سماعه، **ومنها**: جمعه لعلوم ومعارف شتى، فلا تنقضي عجائبه، ولا تنتهي فوائده[(١)].

قال شيخ الإسلام رحمه الله: « **وكون القرآن أنه معجزة، ليس هو من جهة فصاحته، وبلاغته فقط، أو نظمه وأسلوبه فقط، ولا من جهة إخباره بالغيب فقط، ولا من جهة صرف الدواعي عن معارضته فقط، ولا من جهة سلب قدرتهم على معارضته فقط، بل هو آية بينة معجزة من وجوه متعددة: من جهة اللفظ، ومن جهة النظم، ومن جهة البلاغة في دلالة اللفظ على المعنى، ومن جهة معانيه التي أخبر بها عن الله تعالى، وأسمائه، وصفاته، وملائكته، وغير ذلك، ومن جهة معانيه التي أخبر بها عن الغيب الماضي، وعن الغيب المستقبل، ومن جهة ما أخبر به عن المعاد، ومن جهة ما بين فيه من الدلائل اليقينية، والأقيسة العقلية...، وكل ما ذكره الناس من الوجوه في إعجاز القرآن، هو حجة على إعجازه، ولا تناقض في ذلك، بل كل قوم تنبهوا لما تنبهوا له** »[(٢)].

---

(١) انظر: الجواب الصحيح ١/ ٣٧١، الإعلام بما في دين اليهود والنصارى من الأوهام ص ٣٢٩، ٣٤٧، الفتح ٨/ ٦٢٣-٦٢٤، محاسن التأويل ١/ ١٧٤-١٧٥، أبجد العلوم ٢/ ١٠.

(٢) الجواب الصحيح ٥/ ٤٢٨-٤٢٩، وانظر منه: ٥/ ٤١١، تفسير القرآن العظيم ١/ ٦٠.

فإعجاز القرآن ليس مختصا بنوع من العلوم، أو فن من الفنون، والإعجاز « لا يختص به شيء من القرآن دون شيء، ولا سورة دون سورة، ولا نمط منه دون آخر، بل ماهيته المعجزة له...، لأنه كيفما تصور الإعجاز به فماهيته هي الدالة على ذلك، فإلى أي نحو منه مِلت دلّك ذلك على صدق رسول الله ﷺ »[١]؛ **فإعجاز القرآن في عظمة القرآن**، وكونه كلام الرحمن، فعظمته مكتسبة من الموصوف به وهو الله ﷻ، فكل يوم يزداد فيه العلماء بصيرة، ويجتمع عليه طلاب الحق ليستهدوا منه طريقا، وما زال العلم يكتشف من حقائق القرآن كل جديد، وصدق الله إذ يقول: ﴿ سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْءَافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ ۗ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ۝ أَلَآ إِنَّهُمْ فِى مِرْيَةٍ مِّن لِّقَآءِ رَبِّهِمْ ۗ أَلَآ إِنَّهُۥ بِكُلِّ شَىْءٍ مُّحِيطٌۢ ﴾[فصلت:٥٣-٥٤].

ومما يظهر فيه جليا إعجاز القرآن، إعجازه في نظمه، وبلاغته، وعلمه وتشريعه، فالقرآن معجز بنفسه، ولو لم يظهر فيه صورة التحدي[٢]، وسيأتي تفصيل هذه الأوجه الثلاثة في المبحث الآتي.

---

(١) الموافقات للشاطبي ٣/ ٣٧٦-٣٧٧.

(٢) انظر: الفرق بين الفرق ص ٢٥١، الأصبهانية ص ٥٢٣،٦٢٥، العين والأثر ص ٦٥،٦٧.

المبحث الثاني: أوجه الإعجاز في القرآن الكريم

المطلب الأول: كون القرآن معجزا لفظا و تركيبا[(١)].

وكون القرآن الكريم معجزا لفظا أي من حيث اختياره للألفاظ ذات الدلالة على المعاني التي تجذب القلوب، وتشدي الأسماع، وتطرب النفس، فهو باهر في ألفاظه وأسلوبه[(٢)].

ومما يبين إعجاز القرآن في ألفاظه أن المفسرين لا يستطيعون أن يعبروا عن ألفاظه بلفظ مرادف يؤدي جميع معانيه، قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: «وقل أن يعبر عن لفظ واحد يؤدي جميع معناه، بل يكون فيه تقريب لمعناه، وهذا من أساليب إعجاز القرآن، فإذا قال القائل - في قوله تعالى -: ﴿يَوْمَ تَمُورُ ٱلسَّمَآءُ مَوْرًا﴾[الطور:٩]، إن المور: هو الحركة، كان قريبا إذ المور حركة خفيفة سريعة»[(٣)].

ولتعرف إعجاز لفظه، انظر إلى إيجاز لفظه، وتشبيهه الشيء بالشيء، وما فيه من: «استعارة المعاني البديعة، وتلاؤم الحروف والكلمات، والفواصل والمقاطع في الآيات، وتجانس الصيغ والألفاظ، وتعريف القصص والأحوال، وتضمين الحِكم والأسرار، والمبالغة في الأمر والنهي، وحسن بيان المقاصد والأغراض، وتمهيد المصالح والأسباب...، **أما إيجاز اللفظ مع تمام المعنى**؛ فهو أبلغ أقسام الإيجاز، ولهذا

---

(١) انظر: إعجاز القرآن للخطابي ص ٢٩ وما بعدها، دلائل الإعجاز للجرجاني ص ٤٠ وما بعدها، أصول السرخسي ص ٢٨١، الجواب الصحيح ٥/ ٤٢٨، الأصبهانية ص ٦٢٤-٦٢٥، الفروع ١/ ٣٦٧.

(٢) انظر: الحجة في بيان المحجة ١/ ٣٩٠، مناهل العرفان ٢/ ٣٢٥.

(٣) المجموع ١٣/ ٣٤١.

قيل: **الإعجاز في الإيجاز نهاية إعجاز**، وهذا المعنى موجود في القرآن»[(١)]، إما على سبيل الحذف، نحو: ﴿ وَسْـَٔلِ ٱلْقَرْيَةَ ٱلَّتِى كُنَّا فِيهَا وَٱلْعِيرَ ٱلَّتِىٓ أَقْبَلْنَا فِيهَا ۖ وَإِنَّا لَصَـٰدِقُونَ ﴾[يوسف:٨٢]، أو على سبيل الاختصار، نحو: ﴿ وَلَكُمْ فِى ٱلْقِصَاصِ حَيَوٰةٌ يَـٰٓأُو۟لِى ٱلْأَلْبَـٰبِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾[البقرة:١٧٩][(٢)].

ولقد «**مايز القرآنُ كلامَ النبي، وكلامَ العرب**: فصاحتُه الرائقة، وبلاغته الموفقة، وجزالته الفائقة، حتى تسمع الكلمة الواحدة منه تجمع معاني كثيرة، مع عذوبة إيرادها، وجزالة مساقها، وصحة معانيها، مثل قوله ﷻ: ﴿ خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَـٰهِلِينَ ﴾[الأعراف:١٩٩]، وهذه الآية بما تضمنت من الأحكام، وتفسير الحلال والحرام، والإعراض عن أهل الجهل والاجترام، والأمر بالتزام أخلاق الكرام، تدل دلالة قاطعة على أنها كلام العزيز العلام، مع ما هي عليه من اللفظ الجزل الرصين، الذي يروع قلوب العارفين، ويثلج قلوب القارئين والسامعين»[(٣)].

ومن إعجازه في اللفظ أنه ليس فيه كلمة لا معنى له، فضلا عن التراكيب، وأما الأحرف المقطعة فـ «ذكرت هذه الحروف في أوائل السور التي ذكرت فيها بيانا لإعجاز القرآن، وأن الخلق عاجزون عن معارضته بمثله، هذا مع أنه مركب من هذه الحروف المقطعة التي يتخاطبون بها»[(٤)]، ولم ترد كلها مجموعة في أول القرآن، وإنما كررت ليكون أبلغ في التحدي، والتبكيت، كما كررت قصص كثيرة، وكرر التحدي بالصريح في أماكن، وجاء منها على حرف واحد: كـ (ص، ن، ق)، وحرفين: مثل (حم)، وثلاثة:

---

(١) بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز لمحمد بن يعقوب الفيروز آبادي ١/ ٦٩.

(٢) انظر: بصائر ذوي التمييز ١/ ٦٩.

(٣) الإعلام بما في دين اليهود والنصارى من الأوهام ص ٣٣٠، وانظر: مقدمة ابن خلدون ص ١٠٩٣.

(٤) تفسير القرآن العظيم ١/ ٣٨، نقله ابن كثير عن الرازي، وقال الرازي: وهو قول لمحققين من أهل العلم، وحكاه القرطبي عن الفراء، وقطرب، وقرره الزمخشري المعتزلي في كشافه، وإليه ذهب شيخ الاسلام ابن تيمية، والمزي، وهو ترجيح الحافظ ابن كثير رحمه الله. انظر: الموضع السابق من تفسيره، ثم لا يطلب لهذه الأحرف معانٍ، لأن الأحرف لا معاني لها في لغة العرب؛ فالبحث عن معانيها عبث.

مثل (الم)، وأربعة: مثل(المر، المص)، وخمسة: مثل (كهيعص، حمعسق)، لأن أساليب كلام العرب على هذا، من كلماتهم ما هو على حرف، وعلى حرفين، وعلى ثلاثة، وعلى أربعة، وعلى خمسة لا أكثر من ذلك، «ولهذا كل سورة افتتحت بالحروف فلا بد أن يذكر فيها الانتصار للقرآن، وبيان إعجازه، وعظمته، وهذا معلوم بالاستقراء، وهو الواقع في تسع وعشرين سورة، كما قال تعالى: ﴿ الٓمٓ ۝١ ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ لَا رَيْبَ ۛ فِيهِ ۛ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ﴾ [البقرة:١-٢]، ﴿ الٓمٓ ۝١ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ ۝٢ نَزَّلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَأَنزَلَ ٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ ﴾[آل عمران:١-٣]، ﴿ الٓمٓصٓ ۝١ كِتَٰبٌ أُنزِلَ إِلَيْكَ فَلَا يَكُن فِى صَدْرِكَ حَرَجٌ مِّنْهُ لِتُنذِرَ بِهِۦ وَذِكْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴾[الأعراف:١-٢]، ﴿ الٓر ۚ كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ ٱلنَّاسَ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ ﴾ [إبراهيم:١]، ﴿ طسٓمٓ ۝١ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُبِينِ ﴾[القصص:١-٢]، ﴿ حمٓ ۝١ تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ ﴾[غافر:١ ٢]، ﴿ حمٓ ۝١ عٓسٓقٓ ۝٢ كَذَٰلِكَ يُوحِىٓ إِلَيْكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكَ ٱللَّهُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾[الشورى:١-٣]، وغير ذلك من الآيات الدالة على صحة ما ذهب إليه هؤلاء لمن أمعن النظر والله أعلم»(١).

فهذه الأحرف التي منها القرآن الكريم، بلسان عربي مبين، «فيها إشارة إلى بعد الإعجاز؛ لأن القرآن المنـزل مؤلف منها، والبشر فيها - أي في هذه الأحرف الهجائية - سواء، والتفاوت موجود في دلالتها بعد التأليف»(٢).

هذه بعض الحكم من إيراد هذه الأحرف في أوائل السور، «ولا شك أن هذه الحروف لم ينـزلها ﷻ عبثا، ولا سدى، ومن قال من الجهلة: إن في القرآن ما هو تعبد لا معنى له بالكلية!! فقد أخطأ خطأ كبيرا، فتعين أن لها معنى في نفس الأمر، فإن صح لنا فيها عن المعصوم شيء قلنا به، وإلا وقفنا حيث وقفنا، وقلنا آمنا به كل من عند

---

(١) تفسير القرآن العظيم ١/٣٨.

(٢) مقدمة ابن خلدون ص٨٥١.

ربنا، ولم يجمع العلماء فيها على شيء معين، وإنما اختلفوا فمن ظهر له بعض الأقوال بدليل فعليه اتباعه، وإلا فالوقف حتى يتبين »[١].

ومن الإعجاز في لفظه: الأمثال الموجودة في القرآن منها أجناس، وهي محيطة ببلاغة ألفاظها، وبراعة النظم فيها[٢].

وأما كون القرآن معجزا تركيبا أي من حيثية ما فيه من السياق والسباق، واللواحق والأواخر، وكون المعنى في ألفاظ معدودة، ولها معانٍ غير معدودة، وقد يقول البعض: إنّه معجز من جهة النظم، والتأليف، ومن ذلك أن كل آية لها معنى تام، وإن كان لها ارتباط بما بعدها، وبما قبلها، بتناسق عجيب، وترتيب بديع، وكأن السورة كلها آية واحدة[٣].

ومن دلائل إعجازه في الأسلوب والتركيب أنه مخالف لجميع ما اعتاده العرب من خطاباتهم، فهم كانوا يكتبون شعرا، ونثرا، وخطابة، ورسالة، والكلام المسجوع، وكل نوع منها عندهم على نمط خاص، فجاء القرآن بأسلوب باهر لم يعهدوه، وبطريقة عالية لم يعرفوها، فلا هو بالشعر، ولا هو بالنثر، ولا هو خطابي، ولا هو شبيه رسائلهم، ولا هو مسجوع، بل فيه كل هذا وبتركيب فريد، وأسلوب جديد، فبهرهم ذلك، وقهرهم عن تحديه[٤].

وأما تناسب القرآن فشيء عجب، والإعجاز فيه لا يحسَب، إذ كل آية لها مناسبة لما بعدها، و بما قبلها، وكذلك تناسب السور، ولم ينكر أحد من أهل العلم تناسب الآيات، وإنما الذي وقع فيه النزاع هو التناسب في السور ـ بناء على اختلافهم

---

(١) تفسير القرآن العظيم ١/ ٣٧، وانظر: المستصفى للغزالي ص ٨٥، إرشاد الفحول ص٦٥.

(٢) انظر: المجموع ١٤/ ٦٤، ١٧/ ٤٥.

(٣) انظر: الاعتقاد للبيهقي ص٣٥٠، أصول السرخسي ص٢٨١، الفتح ٢/ ٣٠١، محاسن التأويل ١/ ١٧٤، ٧/ ٣٨، فتح البيان ٩/ ٣١٠، أضواء البيان ٤/ ٤.

(٤) انظر: الاعتقاد للبيهقي ص ٣٥٠، الجواب الصحيح ٥/ ٤٣٣، الإعلام بما في دين اليهود والنصارى من الأوهام ص٣٣٣-٣٣٤، معترك الأقران ١/ ٢٣، محاسن التأويل ١/ ١٧٤.

في ترتيبها هل هو توقيفي أم لا؟ ـ، والصواب أن التناسب بينها: يُبَيِّن حسن تركيب آيات القرآن، وترتيب سوره، إلا أن المبالغة فيه، والتكلف، والتعسف مذموم لعدم وروده عن السلف الصالح(١)، وما ظهر تناسبه، ولم يكن فيه مخالفة لما عليه السلف الصالح فهو مقبول، ولو لم يكن غير منقول، قال ابن العربي المالكي الفقيه(٢) رحمه الله: **«ارتباط آي القرآن بعضها ببعض حتى يكون كالكلمة الواحدة متسعة المعاني، منظمة المباني، علم عظيم»**(٣).

فمن تأمل لطائف نظم الآيات والسور، وبدائع ترتيبها، علم أن القرآن معجز بأسلوبه وتركيبه(٤)، **ويكشف الإعجاز في اللفظ والتركيب أمران: الأول:** «نظم كل جملة على حيالها بحسب التركيب، **والثاني:** نظمها مع أختها بالنظر إلى الترتيب، والأول أقرب تناولا، وأسهل ذوقا، فإن كل من سمع القرآن من ذكي وغبي يهتز لمعانيه، وتحصل له عند سماعه روعة بنشاط، ورهبة مع انبساط، لا تحصل عند سماع غيره»(٥)، فانظر إلى قصة الخضر مع موسى، وكيف سيق «مع اللفظ الوجيز الفصيح، والكلام الجزل الصحيح، الذي لا يمله سامع، ولا يطمع في معارضته طامع»(٦).

---

(١) انظر: إعجاز القرآن للخطابي ص ٣٤ وما بعدها، وفتح القدير ١/ ٩٠، وقد أنكر علم التناسب بحجة عدم الورود، ومعلوم أن ما فهم من القرآن بالتدبر، ولم يكن مخالفا لما فهمه السلف فهو مما يفتح الله على الإنسان في كتاب الله ﷻ، فلا ينكر، والله تعالى أعلم، وقد أثبت التناسب جمع من المفسرين بل جلهم، وانظر إلى الذين ألفوا في علم التناسب ليظهر لك حقيقة ما قلته.

(٢) هو المفسر الفقيه المالكي الأشعري: محمد بن عبد الله بن محمد بن عبد الله المعافري الأندلسي، المعروف بابن العربي (معرفا بأل)، ولد بالأندلس ورحل منها لطلب العلم، ورجع إلى الأندلس، وتوفي فيها، من مؤلفاته المشهورة: أحكام القرآن، قانون التأويل في التفسير سار فيه على طريقة المتكلمين، توفي سنة ٥٤٣هـ. انظر: السير ٢٠/ ١٩٧.

(٣) ذكره البقاعي في نظم الدرر في تناسب الآيات والسور ١/ ٧، وانظر: النكت في إعجاز القرآن للرماني ص ٩٤ وما بعدها.

(٤) انظر: الحجة في بيان المحجة ١/ ٣٨٠، نظم الدرر ١/ ٩، ونقل مثل هذا عن الزركشي كما في ص ٨ من المجلد نفسه، وانظر: تبصير الرحمن وتيسير المنان للمياهمي ١/ ٣.

(٥) نظم الدرر ١/ ١١، وانظر: مقدمة أسرار ترتيب القرآن للسيوطي ص ١٥.

(٦) الإعلام بما في دين اليهود والنصارى من الأوهام ص ٣٤٤.

وكل آيات القرآن أمثلة في ذلك، فانظر إلى قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ وَٱلۡإِحۡسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَيَنۡهَىٰ عَنِ ٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِ وَٱلۡبَغۡيِۚ يَعِظُكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ ﴾[النحل:٩٠] فلما سمع هذا النظم البديع، والتركيب العجيب، قال: الوليد بن المغيرة، ـ وهو من ألد أعداء الاسلام مخاطبا قومه الكفار ـ: « والله ما فيكم رجل أعلم بالأشعار مني، ولا أعلم برجزه، ولا بقصيدة مني، ولا بأشعار الجن، والله ما يشبه هذا الذي يقول شيئا من هذا، والله إن لقوله الذي يقول حلاوة، وإن عليه لطلاوة، وإنه لمثمر أعلاه، مغدق أسفله، وإنه ليعلو وما يعلى عليه، وإنه ليحطم ما تحته »[١].

وقوله ﷻ : ﴿ وَأَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰٓ أُمِّ مُوسَىٰٓ أَنۡ أَرۡضِعِيهِۖ فَإِذَا خِفۡتِ عَلَيۡهِ فَأَلۡقِيهِ فِي ٱلۡيَمِّ وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحۡزَنِيٓۖ إِنَّا رَآدُّوهُ إِلَيۡكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ ٱلۡمُرۡسَلِينَ ﴾[القصص:٧] ، وقوله ﷻ: ﴿ وَلَوۡ تَرَىٰٓ إِذۡ فَزِعُواْ فَلَا فَوۡتَ وَأُخِذُواْ مِن مَّكَانٖ قَرِيبٖ ﴾[سبأ:٥١]، فمثل هذه الآيات التي هي الغاية في الجزالة، والبالغة في الحسن من حيث التركيب، وأداء المعنى، بأفضل تعبير، وأخصر تنظيم وتركيب، هو من خصائص كلام الله ﷻ ، وهو كثير في القرآن، بل كل القرآن مبني على حسن التركيب، والترتيب[٢].

وقوله ﷻ : ﴿ وَلَكُمۡ فِي ٱلۡقِصَاصِ حَيَوٰةٞ يَٰٓأُوْلِي ٱلۡأَلۡبَٰبِ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ﴾[البقرة:١٧٩] وكانت العرب تقول: القتل أنفى للقتل، وبين هذا الكلام وبين قوله ﷻ: القصاص حياة، تفاوت في البلاغة والإيجاز، فإن الآية تضمنت معنى كلام العرب وزيادة: الإبانة عن الفداء لذكر القصاص، والإبانة عن الغرض المرغوب فيه لذكر الحياة، وبعده عن التكلف، وسلامته من تكرار اللفظ، وأوجز في العبارة، فإن الآية عشرة أحرف، والمقولة أربعة عشر حرفا[٣].

ومن عجائب تركيبه ما ذكره القرطبي رحمه الله في قوله ﷻ إخبارا عن عيسى أنه قال: ﴿ إِن تُعَذِّبۡهُمۡ فَإِنَّهُمۡ عِبَادُكَۖ وَإِن تَغۡفِرۡ لَهُمۡ فَإِنَّكَ أَنتَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ﴾[المائدة:١١٨] **قال:**

---

(١) رواه البيهقي مرسلا في الاعتقاد ص٣٥٧-٣٥٨، وانظر: جامع البيان ١٢/ ٣٠٩ حيث أورده موصولا.

(٢) انظر: الاعتقاد للبيهقي ص ٣٤٩-٣٥٠، الإعلام بما في دين اليهود والنصارى من الأوهام ص ٣٣١.

(٣) انظر: الاعتقاد للبيهقي ص ٣٤٩.

«**ولم يقل:** فإنك أنت الغفور الرحيم على ما تقتضيه القصة من التسليم لأمره، والتفويض لحكمه، ولو قال: فإنك أنت الغفور الرحيم؛ لأوهم الدعاء بالمغفرة لمن مات على شركه، وذلك مستحيل، فالتقدير: إن تبقهم على كفرهم حتى يموتوا وتعذبهم فإنهم عبادك، وإن تهدِهم إلى توحيدك وطاعتك فتغفر لهم فإنك أنت العزيز الذي لا يمتنع عليك ما تريده، الحكيم فيما تفعله، تضل من تشاء، وتهدي من تشاء، وقد قرأ جماعة فإنك أنت الغفور الرحيم وليست من المصحف...، **وطعن على القرآن من قال** إن قوله: إنك أنت العزيز الحكيم ليس بمشاكل، لقوله وإن تغفر لهم؛ لأن الذي يشاكل المغفرة فإنك أنت الغفور الرحيم. **والجواب:** أنه لا يحتمل إلا ما أنزله الله، ومتى نقل إلى الذي نقله إليه ضعف معناه، فإنه ينفرد الغفور الرحيم بالشرط الثاني ـ وهو إن تغفر لهم ـ، فلا يكون له بالشرط الأول ـ وهو إن تعذبهم ـ تعلق، وهو على ما أنزله الله ﷻ، واجتمع على قراءته المسلمون، ومقرون بالشرطين كليهما أولها وآخرهما إذ تلخيصه: إن تعذبهم فإنك أنت عزيز حكيم، وإن تغفر لهم فإنك أنت العزيز الحكيم، في الأمرين كليهما من التعذيب والغفران، فكان العزيز الحكيم أَليق بهذا المكان لعمومه؛ فإنه يجمع الشرطين، ولم يصلح الغفور الرحيم إذ لم يحتمل من العموم ما احتمله العزيز الحكيم، وما شهد بتعظيم الله تعالى، وعدله، والثناء عليه في الآية كلها، والشرطين المذكورين أولى، وأثبت معنىً في الآية مما يصلح لبعض الكلام دون بعض»[١].

فإذا ثبت أن القرآن الكريم في حُسن ألفاظه وجميل تراكيبه معجز، دلنا ذلك على أن الآية الواحدة آية، وفي بعضها كذلك، وإن كان التحدي واقعا في سورة منه[٢]، **ومعتقد السلف هو أن الإعجاز واقع في القرآن الكريم من حيث المعنى واللفظ** فالكل من عند الله ﷻ كما سبق[٣]، والتحدي وقع بألفاظ القرآن ومعناه[٤]، **والقرآن كله**

---

(١) الجامع لأحكام القرآن ٦/ ٢٤٤، بتصرف يسير.

(٢) انظر: الفروع لابن مفلح ١/ ٣٦٧، الجامع لأحكام القرآن ١/ ٥٣.

(٣) انظر: الفصل الأول من الباب الأول.

(٤) انظر: الفروع لابن مفلح ١/ ٣٦٧

مفيد، وليس فيه حشو بلا فائدة، أو فضلة يستغنى عنها، فهو كله دليل على الإعجاز، إذ لا حشو فيه، ولا خلل(١).

ومما يدل على بلاغة القرآن في التركيب أنه ثلاثون جزءا ومع ذلك ليس فيه شيء من التراكيب المستهجنة، أو التراكيب الأعجمية، قال القرطبي ﷺ: «أجمعوا على أنه ليس في القرآن شيء من التراكيب الأعجمية»(٢)، ومما يدل على إعجاز القرآن في تركيبه: الالتئام بين الآيات حينما يتحدث عن الموضوع، وهو ما يسمى بالوحدة الموضوعية، فالقرآن عند ما يتحدث عن موضوعٍ ما يبهر الأبصار، ويخطف القلوب، ويشد الآذان(٣)، **قال الخطابي**(٤) ﷺ: «قلت في إعجاز القرآن وجه آخر ذهب عنه الناس، فلا يكاد يعرفه إلا الشاذ من آحادهم، وذلك: صنيعه بالقلوب، وتأثيره في النفوس، فإنك لا تسمع كلاما غير القرآن منظوما، ولا منثورا، إذا قرع السمع خلص له القلب من اللذة والحلاوة في حال، ومن الروعة والمهابة في أخرى ما يخلص منه إليه، تستبشر به النفوس، وتنشرح له الصدور»(٥)، ومن الدلائل على هذا قراءة المسلمين كل يوم سورة الفاتحة كرات ومرات ومع ذلك هي من ألذ ما تكون على النفوس، وأعذب ما تكون على الألسن.

والسلف منعوا من القراءة المنكسة للقرآن الكريم، وما ذلك ـ والله تعالى أعلم ـ إلا لأنه يذهب بعض أنواع الإعجاز، ويزيل حكمة الترتيب(٦)، **ولكون اللفظ والتركيب**

---

(١) انظر: الجامع لأحكام القرآن ١/ ١٢٧، فتح الرحمن بكشف ما يلتبس في القرآن ص١٨، الموافقات للشاطبي ٣/ ٣٧٦، أسرار ترتيب القرآن للسيوطي ص ٦٥، والكتاب المذكور، عنوانه ليس كذلك، بل ذكر السيوطي نفسه في مقدمته ص ٦٧ أنه سماه "تناسق الدرر في تناسب السور"، وكذلك ذكره محققه المذكور ص ٥٩،٦٣، ولكنه مع ذلك آثر تغيير اسم الكتاب، بحجة عدم صلاحيته لهذا العصر!!!.

(٢) تفسير القرآن العظيم ١/ ٨، وانظر: الإحكام للآمدي ١/ ٧٩، ٢١٩، ٢٢٠، المستصفى ص ٨٤-٨٥، إرشاد الفحول ص ٦٦.

(٣) انظر: مقدمة الدكتور/ عبد القادر عطا، لمقدمة أسرار القرآن للسيوطي ص ١٧.

(٤) هو المحدث العلامة: حمد بن محمد الخطابي البستي، أبو سليمان، له مؤلفات كثيرة، منها: معالم السنن وهو شرح على سنن أبي داود، توفي سنة ٣٨٨هـ. انظر: السير ١٧/ ٢٣.

(٥) إعجاز القرآن للخطابي ص٧٠.

(٦) انظر: المجموع ٢/ ١٨٩.

معجزًا منع السلف من كتابة القرآن الكريم بغير العربية، لأن ذلك صارف للإعجاز، فلو كتب بغير العربية لأوهم الركاكة، ولأخل بالنظم، وأدى إلى تشويش الفهم[(١)].

وأما إنكار الإعجاز في اللفظ، فهذا قول غير مأثور، وعن السلف غير مسطور، بل من قال به فقوله «في نفسه مستسمج، مستهجر بالتأمل في نظم القرآن، وجزالته وفصاحته، وعرضه على كل نظم عرف من أساليب كلام العرب، وكل كلام فصيح عرف من كلامهم، ثم امتيازه عن الكل بروائه، وبهائه، وطلاوته، وحلاوته، وإعرافه، وابتنائه، إعجاز ظاهر لكل ذي لب من الناس»[(٢)].

وأما تكرار اللفظ بعينه عقيب الأول فليس في القرآن منه شيء، «وإنما في سورة الرحمن خطابه بذلك بعد كل آية، لم يذكر متواليا، و هذا النمط أرفع من الأول، وكذلك قصص القرآن ليس فيها تكرار[(٣)]، كما ظنه بعضهم، و﴿ قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْكَٰفِرُونَ ﴾[الكافرون:١]، ليس فيها لفظ تكرار، إلا قوله: ﴿ وَلَآ أَنتُمْ عَٰبِدُونَ مَآ أَعْبُدُ ﴾[الكافرون:٣، ٥]، وهو مع الفصل بينهما بجملة. **وقد شبهوا ما في سورة الرحمن**، بقول القائل ـ لمن أحسن إليه، و تابع عليه بالأيادي، وهو ينكرها، ويكفرها ـ: ألم تك فقيرا فأغنيتك؟، أفتنكر هذا!!، ألم تك عريانا فكسوتك؟، أفتنكر هذا!!، ألم تك خاملا فعرَّفتك؟، ونحو ذلك. **وكذلك ما يقوله بعضهم**: إنه قد يعطف الشيء لمجرد تغاير اللفظ فليس في القرآن من هذا شيء، و لا يُذكر فيه لفظ زائد إلا لمعنى زائد، وإن كان في ضمن ذلك التوكيد، وما يجيء من زيادة اللفظ، فالمعنى أزيد من المعنى بدونه، فزيادة اللفظ لزيادة المعنى، وقوة اللفظ لقوة المعنى، والضم أقوى»[(٤)].

---

(١) انظر: إعجاز القرآن للخطابي ص٢٩، إعانة الطالبين١/ ٦٨، وسيأتي في الفصل الثالث من الباب الثالث بيان كتابة القرآن.

(٢) قواطع الأدلة ص ٢٩، وانظر: المحرر الوجيز ١/ ٥٢-٥٣.

(٣) انظر: نظم الدرر ١/ ١٤، الإعلام بما في دين اليهود والنصارى من الأوهام ص ٣٢٣-٣٢٤، إظهار الحق ٢/ ١٠٤، محاسن التأويل ١/ ١٥٨، ١٦٤-١٦٥.

(٤) المجموع ١٦/ ٥٣٦-٥٣٧، بتصرف يسير.

وأرجو بهذا أن يكون قد ظهر شيء من وجه الإعجاز في اللفظ والتركيب، وأن يكون ظهر بهذا المزايا الظاهرة، والبدائع الراقية، في فصاحة ألفاظ القرآن الكريم، وعلو تركيبه، وهذا قد يدخل في البلاغة من حيث إنّه أحد أقسام علوم البلاغة، إذ هي مبنيّة على ثلاثة أنواع من العلوم، وهي: علم المعاني[1]، وهو الذي ذكرته في اللفظ والتركيب، والثاني: علم البيان[2]، والثالث: علم البديع[3]، وهذان العلمان يظهر إعجاز القرآن فيهما بجلاء، وأجلي ذلك في المطلب الآتي.

---

(١) علم المعاني هو أحد العلوم البلاغية في العربية، ويقولون في تعريفه أنه: علم يعرف به أحوال اللفظ العربي المطابق للحال. انظر: خلاصة تلخيص المفتاح ص١.

(٢) وهو نوع من أنواع علوم البلاغة، ويعرف بأنه: علم يعرف به إيراد المعنى الواحد بطرق مختلفة في وضوح الدلالة عليه. انظر: خلاصة تلخيص المفتاح ص٩.

(٣) انظر: تلخيص المفتاح للقزويني ص ٦١٨-٦١٩، ضمن مجموع أمهات المتون، ومائة المعاني والبيان لابن الشحنة الحلبي ص ٦٠٩، ضمن المجموع المذكور، وخلاصة تلخيص المفتاح ص ١ (مخطوط)، لكاتب هذه السطور، ستره الله بالستور، ويعرف البديع بأنه: علم يعرف به وجوه تحسين الكلام، بعد رعاية المطابقة ووضوح الدلالة. انظر: خلاصة تلخيص المفتاح ص١١.

المطلب الثاني: كون القرآن معجزا بلاغة وبيانا.

إن من علوم البلاغة: ما يعرف بعلم البيان، وهو: إيراد المعنى الواحد بطرق مختلفة، في وضوح الدلالة عليه، وهو ثلاثة أنواع[(١)]، وهي: الكناية[(٢)]، والاستعارة[(٣)]، والتشبيه[(٤)]، ومن علوم البلاغة، علم البديع: الذي يعرف به وجوه تحسين الكلام من حيث المطابقة (الطباق)[(٥)]، والمجانسة (الجناس)[(٦)]، وهذان العلمان في القرآن الكريم منهما ما يشبع العلماء، ويتعب الجهلاء، ولا يحصى إلا بعناء.

ومن ذلك بلاغة القرآن في البيان، فالقرآن معجز «من جهة البلاغة في دلالة اللفظ على المعنى»[(٧)].

ومن الأمثلة في علو بيانه، وإعجازه في فصاحته وتبيانه: أن الأصمعي[(٨)] سمع جارية من العرب، فتعجب من فصاحتها، فقالت: وهل بعد قول الله تعالى فصاحة، حيث قال: ﴿وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ أُمِّ مُوسَىٰٓ أَنْ أَرْضِعِيهِ ۖ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِى ٱلْيَمِّ وَلَا تَخَافِى وَلَا تَحْزَنِىٓ ۖ إِنَّا رَآدُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾[القصص:٩]، فإنه جمع في آية واحدة

---

(١) وقد يقسم تقسيما آخر، لأن هذا من قبيل الاصطلاح، انظر: النكت في إعجاز القرآن للرماني ص ١٠٦.

(٢) المقصود بهذا المصطلح: لفظ أريد به لازم معناه، مع جواز إرادته معه. انظر: خلاصة تلخيص المفتاح ص١١.

(٣) المقصود بالاستعارة هو: استعمال لفظ لمعنى غير الظاهر لمشابهة بينهما. انظر: خلاصة تلخيص المفتاح ص١٠.

(٤) المقصود بالتشبيه هو: الدلالة على مشاركة أمر لأمر في معنى، نحو: زيد أسد. انظر: خلاصة تلخيص المفتاح ص٩.

(٥) المراد بالمطابقة هو: دلالة اللفظ على تمام ما وضع له؛ فهذه هي: **الدلالة الوضعية**، وتختص بالمطابقة. انظر: خلاصة تلخيص المفتاح ص٩.

(٦) انظر: النكت في إعجاز القرآن للرماني ص ٧٦ وما بعدها، والمصادر السابقة، **والمجانسة هي**: التشابه في اللفظ، وهو أنواع. انظر: خلاصة تلخيص المفتاح ص١٤.

(٧) الجواب الصحيح ٥/ ٤٢٨، وانظر: الجامع لأحكام القرآن ١/ ٥٥.

(٨) هو إمام العربية السني، حجة الأدب: عبد الملك بن قريب بن عبد الملك بن علي بن أصمع أبو سعيد الأصمعي البصري اللغوي، أحد الأعلام، الشاعر المعروف بين الأنام، توفي سنة ٢١٦هـ، وقيل غير ذلك. انظر: السير ١٠/ ١٧٥، التقريب ص٣٠٥.

بين: أمرين، ونهيين، وخبرين، وبشارتين(١).

وكذلك قوله ﷻ: ﴿فَٱصۡدَعۡ بِمَا تُؤۡمَرُ وَأَعۡرِضۡ عَنِ ٱلۡمُشۡرِكِينَ﴾[الحجر:٩٤] سمعها أعرابي فسجد، فقيل له: لم سجدت!؟، فقال: سجدت لفصاحته(٢).

ولما نزلت قوله ﷻ: ﴿خُذِ ٱلۡعَفۡوَ وَأۡمُرۡ بِٱلۡعُرۡفِ وَأَعۡرِضۡ عَنِ ٱلۡجَٰهِلِينَ﴾[الأعراف:١٩٩] قال أبو جهل ـ وهو من أشد الأعداء على محمد خير الأنبياء ـ: إن رب محمد لفصيح.

وقال القرطبي رحمه الله: «ولا يظن جاهل أنا نستدل على فصاحته بكلام هؤلاء الأعراب، كلا، لو كان ذلك لكانت الحجة أضعف من السراب، بل نعلم: أنه معجز بفصاحته، علم ضرورة تحصل لنا عند سماعه، وقراءته، والبلغاء إذا وقفوا عليه، وسمعوه، لذلك العلم مضطرون، بحيث لا يرتابون، ولا يشكون، كيف والعربي الفصيح إذا سمع قوله تعالى...، ﴿وَقِيلَ يَٰٓأَرۡضُ ٱبۡلَعِي مَآءَكِ وَيَٰسَمَآءُ أَقۡلِعِي وَغِيضَ ٱلۡمَآءُ وَقُضِيَ ٱلۡأَمۡرُ وَٱسۡتَوَتۡ عَلَى ٱلۡجُودِيِّۖ وَقِيلَ بُعۡدٗا لِّلۡقَوۡمِ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾[هود:٤٤]، وقوله تعالى: ﴿فَكُلًّا أَخَذۡنَا بِذَنۢبِهِۦۖ فَمِنۡهُم مَّنۡ أَرۡسَلۡنَا عَلَيۡهِ حَاصِبٗا وَمِنۡهُم مَّنۡ أَخَذَتۡهُ ٱلصَّيۡحَةُ وَمِنۡهُم مَّنۡ خَسَفۡنَا بِهِ ٱلۡأَرۡضَ وَمِنۡهُم مَّنۡ أَغۡرَقۡنَاۚ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيَظۡلِمَهُمۡ وَلَٰكِن كَانُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ يَظۡلِمُونَ﴾[العنكبوت:٤٠] ومثل هذا كثير قضى من هذه البلاغة، والجزالة، ومتانة هذه المعاني العجب، وعلم أن مثل هذا لا يقدر عليه أحد من العجم ولا من العرب»(٣).

وهذا رسول الله ﷺ الذي أوتي جوامع الكلم، وكلامه مغاير عن القرآن، يعرف ذلك كل فهمان، ولو لم يكن حافظا لكلام الرحمن، فانظر إلى أحاديثه ﷺ في وصف الجنان واسمع إلى هذه الآية الموجزة في البيان، حيث يقول الله ﷻ: ﴿وَفِيهَا مَا تَشۡتَهِيهِ ٱلۡأَنفُسُ وَتَلَذُّ ٱلۡأَعۡيُنُ﴾[الزخرف:٧١]، وقوله: ﴿فَلَا تَعۡلَمُ نَفۡسٞ مَّآ أُخۡفِيَ لَهُم مِّن

---

(١) انظر: الإعلام بما في دين اليهود والنصارى من الأوهام ص ٣٣١، الجامع لأحكام القرآن ١/ ٥٥.

(٢) انظر: الإعلام بما في دين اليهود والنصارى من الأوهام ص ٣٣١.

(٣) انظر: الإعلام بما في دين اليهود والنصارى من الأوهام ص ٣٣١، وانظر: الجامع لأحكام القرآن ١/ ٥٥، فتح القدير ٢/ ٤.

قُرَّةِ أَعْيُنٍ﴾[السجدة:١٧] « فهذا أعدل وزنا، وأحسن تركيبا، وأعذب لفظا، وأقل حروفا، على أنه لا يعتبر إلا في مقدار سورة أو أطول آية، لأن الكلام كلما طال اتسع فيه مجال التصرف، وضاق المقال على القاصر المتكلف، وبهذا قامت الحجة »[١].

وقال أنيس الغفاري[٢] ﷺ، في بيان إعجاز القرآن[٣]، ـ لما ذهب إلى مكة وسمع القرآن من النبي ﷺ بأمر من أخيه أبي ذر[٤] ﷺ: « قال: لقيت رجلا بمكة على دينك، يزعم أن الله أرسله، قلت: فما يقول الناس؟ قال: يقولون: شاعر، كاهن، ساحر، ـ وكان أنيس أحد الشعراء ـ، قال أنيس: لقد سمعت قول الكهنة، فما هو بقولهم، ولقد وضعت قوله على أقراء الشعر، فما يلتئم على لسان أحد بعدي أنه شعر، والله إنه لصادق، وإنهم لكاذبون »[٥].

ومن البيان الذي في القرآن الكنايات الجميلة، كما قال الشاطبي[٦] رحمه الله: « ومنها تحسين العبارة بالكناية، ونحوها، في المواطن التي يحتاج فيها إلى ذكر ما يستحيا من ذكره، في عادتنا، كقوله ﷻ: ﴿أَوْ لَـٰمَسْتُمُ ٱلنِّسَآءَ﴾[النساء:٤٣] حتى إذا وضح السبيل في مقطع الحق، وحضر وقت التصريح بما ينبغي التصريح فيه، فلا بد منه، وإليه الإشارة بقوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَسْتَحْيِۦٓ أَن يَضْرِبَ مَثَلًا مَّا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا﴾[البقرة:٢٦]، وقوله: ﴿وَٱللَّهُ

---

(١) الجامع لأحكام القرآن ١/ ٥٦.

(٢) هو الصحابي الجليل: أُنيس بن جنادة بن سفيان الغفاري، أخو أبو ذر ﷺ، وأكبر منه، ذهب إلى مكة ليستخبر أمر النبي ﷺ، فلما رجع أسلم مع أخيه أبي ذر. انظر: الإصابة ١/ ٧٦.

(٣) انظر: الإعلام بما في دين اليهود والنصارى من الأوهام ص ٣٣٥.

(٤) هو الصحابي المجاهد العابد: جندب بن جنادة الغفاري، أسلم قديما، ثم قدم على النبي ﷺ ومعه قومه، وهم مسلمون، وله روايات كثيرة في الكتب، توفي في خلافة عثمان ﷺ. انظر: التقريب ص٥٦٢.

(٥) رواه مسلم، كتاب فضائل الصحابة، باب من فضائل أبي ذر ﷺ، ح(٢٤٧٣) من رواية أبي ذر ﷺ، وهو حديث طويل فيه قصة إسلام أبي ذر ﷺ.

(٦) هو الأصولي المتقن، والفقيه المتفنن: إبراهيم بن موسى بن محمد اللخمي الغرناطي أبو إسحاق الشاطبي، رغب في السنة، ودعا إليها، ونابذ عنها، من مؤلفاته النافعة: الموافقات والاعتصام، توفي سنة ٧٩٠هـ. انظر: معجم المؤلفين ١/ ١١٨.

لَا يَسْتَحْيِۦ مِنَ ٱلْحَقِّ﴾[الأحزاب:٥٣]»[١].

ومن الكنايات الجميلة قوله ﷻ: ﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْمَحِيضِ ۖ قُلْ هُوَ أَذًى فَٱعْتَزِلُوا۟ ٱلنِّسَآءَ فِى ٱلْمَحِيضِ ۖ وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّىٰ يَطْهُرْنَ ۖ فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ ٱللَّهُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلْمُتَطَهِّرِينَ نِسَآؤُكُمْ حَرْثٌ لَّكُمْ فَأْتُوا۟ حَرْثَكُمْ أَنَّىٰ شِئْتُمْ ﴾[البقرة:٢٢٢] فكنى عن موضع إتيان الحاجة بالمحيض، وعن كيفية الإتيان بموضع الحرث، مع إباحة أي كيفية في ذلك، دون إخلال أو تفسخ.

ومن البيان الذي في القرآن: **الاستعارات البليغة**، ومن ذلك قوله ﷻ: ﴿ جِدَارًا يُرِيدُ أَن يَنقَضَّ فَأَقَامَهُۥ ﴾[الكهف:٧٧].

ومن البيان الذي في القرآن التشبيه الفصيح[٢]: و تشبيه الشيء بالشيء، نحو: ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَعْمَٰلُهُمْ كَسَرَابٍۭ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ ٱلظَّمْـَٔانُ مَآءً حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَهُۥ لَمْ يَجِدْهُ شَيْـًٔا وَوَجَدَ ٱللَّهَ عِندَهُۥ فَوَفَّىٰهُ حِسَابَهُۥ ۗ وَٱللَّهُ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ﴾[النور:٣٩] ، ونحو قوله: ﴿ أَوْ كَصَيِّبٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ فِيهِ ظُلُمَٰتٌ وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ يَجْعَلُونَ أَصَٰبِعَهُمْ فِىٓ ءَاذَانِهِم مِّنَ ٱلصَّوَٰعِقِ حَذَرَ ٱلْمَوْتِ ۚ وَٱللَّهُ مُحِيطٌۢ بِٱلْكَٰفِرِينَ﴾ [البقرة:١٩][٣].

والكناية، والاستعارة، والتشبيه إذا كانت مع حسن بديع كان أبلغ في التبديع، ولهذا تجد أن هذا البيان في القرآن يكون في غاية البديع.

ومن البلاغة في البديع، وهو كثير[٤]: ما جاء في قوله ﷻ: ﴿ فَلَا تَخْشَوُا۟ ٱلنَّاسَ وَٱخْشَوْنِ ﴾[المائدة:٤٤]، وهذا من الطباق، ونحو: ﴿ لَا هُنَّ حِلٌّ لَّهُمْ وَلَا هُمْ يَحِلُّونَ لَهُنَّ ﴾ [الممتحنة:١٠]، وهذا من الطباق العكسي.

---

(١) انظر: الموافقات للشاطبي ١/ ٣٧٧-٣٧٨.

(٢) انظر: النكت في إعجاز القرآن للرماني ص ٨٠ وما بعدها، دلائل الإعجاز للجرجاني ص ٥٤، الجواب الصحيح ٥/ ٤٢٨.

(٣) انظر: بصائر ذوي التمييز ١/ ٦٩.

(٤) انظر: إعجاز القرآن للخطابي ص ٥١، وما بعدها.

وقوله ﷻ: ﴿وَمِن رَّحْمَتِهِۦ جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ لِتَسْكُنُوا۟ فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾[القصص:٧٣]، وهذا لف ونشر[1].

ومن الجناس اللفظي قوله ﷻ: ﴿وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يُقْسِمُ ٱلْمُجْرِمُونَ مَا لَبِثُوا۟ غَيْرَ سَاعَةٍ﴾[الروم:٥٥].

فجميع أنواع علم البيان والبديع للقرآن الكريم منهما الحظ الكامل، والسبق الشامل، فلا تكاد تجد آية تخلو من البلاغة إما من حيث علم المعاني، أو من حيث علم البيان، أو من حيث علم البديع، بل وتجد في كثير من آياتها أنواعا مختلفة من البلاغة؛ والبلاغة هي: «بلوغ غاية المطلوب، أو غاية الممكن، من المعاني بأتم ما يكون من البيان، فيجمع صاحبها بين تكميل المعاني المقصودة، وبين تبيينها بأحسن وجه»[2]، وهذا كله موجود في القرآن، لا ينكره إلا من طمست بصيرته فأصبح كالعميان، ولا حول ولا قوة إلا بالله الرحيم الرحمن.

وتبلغ هذه البلاغة كنهها إذا كان المضمون عالي المقاصد، شريف المطالب، وهذا يتبين ببيان إعجاز القرآن الكريم علما وتشريعا.

---

(١) المقصود بمصطلح اللف والنشر في البلاغة هو: ذكر متعدد على التفصيل، أو الإجمال، ثم ما لكل واحد من غير تعيين لكونه معلوما. انظر: خلاصة تلخيص المفتاح ص١٢.

(٢) منهاج السنة ٨/ ٥٤، وانظر: إعجاز القرآن للخطابي ص ٢٤، ٢٦، النكت في إعجاز القرآن للرماني ص١٠١.

المطلب الثالث: كون القرآن معجزا علما وتشريعا.

أما علوم القرآن فلا حصر لها، ولا عد يمكن أن يحاط بها، وذلك لأنه كلام الحكيم العليم، الذي يعلم ما يكون وما كان، وما لم يكن لو كان كيف يكون.

ومن أشهر علومه: وأبين دلائله على الإعجاز، إخباره بالغيبيات[(١)]، ومن ذلك قوله ﷻ: ﴿لَّقَدْ صَدَقَ ٱللَّهُ رَسُولَهُ ٱلرُّءْيَا بِٱلْحَقِّ لَتَدْخُلُنَّ ٱلْمَسْجِدَ ٱلْحَرَامَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ ءَامِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُءُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ لَا تَخَافُونَ فَعَلِمَ مَا لَمْ تَعْلَمُوا۟ فَجَعَلَ مِن دُونِ ذَٰلِكَ فَتْحًا قَرِيبًا﴾[الفتح:٢٧] فأخبر عن دخولهم المسجد الحرام حال كونهم آمنين، ومؤدين عمرتهم محلقين أو مقصرين، ونفى عنهم الخوف أثناء ذلك تأكيدا على أن الأمن ليس بسبب قوتهم فحسب، بل بدفع الله عدوهم، وقهره إياهم[(٢)].

ومن الغيوب المستقبلية التي أخبر عنها، قال ﷻ: ﴿سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْءَافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ۝ أَلَآ إِنَّهُمْ فِى مِرْيَةٍ مِّن لِّقَآءِ رَبِّهِمْ أَلَآ إِنَّهُۥ بِكُلِّ شَىْءٍ مُّحِيطٌۢ﴾[فصلت:٥٣-٥٤][(٣)].

ومن ذلك ما تضمنه من الأخبار عن الغيوب الماضية، والقرون السالفة، والشرائع الغابرة، وقد سئل النبي ﷺ عن أمور عدة، وجاء الجواب عنها في القرآن ببيان على حدة، مثل سؤالهم عن الروح، وعن ذي القرنين، وعن أصحاب الكهف، وعن عيسى ابن مريم...[(٤)].

قال القرطبي رحمه الله: «وفي كتاب الله من هذا القبيل ما يحتاج استقصاؤه إلى

---

(١) الحجة في بيان المحجة ١/ ٣٨١، وما بعدها.

(٢) انظر: إعجاز القرآن للخطابي ص ٢٢، النكت في إعجاز القرآن للرماني ص ١١٠ وما بعدها، الجواب الصحيح ٦/ ٥١-٥٢، الإعلام بما في دين اليهود والنصارى من الأوهام ص ٣٣٧.

(٣) انظر: الجواب الصحيح ١/ ٤٣، الإعلام بما في دين اليهود والنصارى من الأوهام ص ٣٤٠.

(٤) انظر: الانتصار للعمراني ١/ ١٠٢، الصفدية ١/ ١٤٢، تفسير القرآن العظيم ١/ ٦١، الإعلام بما في دين اليهود والنصارى من الأوهام ص ٣٤٣، مقدمة الجواب الصحيح ١/ ٤٣-٤٦.

تكثير وتطويل، وحسبك ما تضمنه من كشف أسرار المنافقين، وفضيحة اليهود والضالين، فلقد يقضي الناظر فيها من ذلك العجب العجاب، ويتحقق أنه من عند الله من غير شك ولا ارتياب»[١].

وأما المعجزات العلمية الطبية منها وغيرها: مما تحدث عنه القرآن الكريم لا قصدا بل لسياقة غرض آخر، واكتشف أمر ذلك في العصر الحديث فأمر في غاية الإتقان، والوصف والإمعان، فتوصيف الجنين وهو في بطن أمه، لم يكن بالدقة التي تكلم عنها القرآن معروفا فيما غبر من الأزمان، وهو الآن مع التقدم لم يزد شيئا على ما في القرآن[٢].

وخلاصة الكلام: إن القرآن الكريم فيه علم الأولين والآخرين، وعلم كل ما يسعد الإنسان في الدنيا والدين[٣].

وأما إعجازه في التشريع: فيظهر بالنظر لما جاء به من التوحيد والأحكام، وكيف أن فيه مصالح الأنام، وما يحصل من التهذيب في الأرواح والشفاء من الأسقام، وإذا أكثرت «النظر في القرآن والأخبار، يحصل لك العلم الضروري، بكونه ﷺ على أعلى درجات النبوة، واعضد ذلك بتجربة ما قاله في العبادات، وتأثيرها في تصفية القلوب...، يحصل لك علم ضروري، لا تتمارى فيه»[٤].

ففي تشريعاته أنواع من القواعد الأصلية، والفوائد الفرعية، والمحاسن الأدبية، التي تنزل عليها الوقائع البشرية، وما يحتاجون فيها من الأحكام العملية، فالدين

---

(١) الإعلام بما في دين اليهود والنصارى من الأوهام ص ٣٤٢، وانظر: الجواب الصحيح ٥/ ٧١-٧٢.

(٢) ألفت في ذلك رسائل كثيرة، ولكن ينبغي التنبه إلى عدم إخضاع القرآن الكريم للتجارب والنظريات، والنظر فيه مجردا عن ذلك كله، فما ظهر بيانه، وتأكد شأنه وإعلانه، يبين تبعا، ولا يكون ذلك قصدا، انظر منها مثلا: القرآن معجزة المعجزات لأحمد ديدات، القرآن وإعجازه العلمي لمحمد إسماعيل، القرآن يتحدى لأحمد عز الدين، الإعجاز العلمي، مجلة الحكمة العدد ١٩.

(٣) انظر: الموافقات ٣/ ٣٦٩-٣٧٠.

(٤) شرح الأصبهانية ص ٥٢٣، نقلا عن الغزالي، وانظر: إعجاز القرآن للخطابي ص٢٧، ٧٠، الجواب الصحيح ٦/ ٤٤، تفسير القرآن العظيم ١/ ٦١.

منضبط بقواعد عامة، وأصول جامعة مانعة شاملة، ولله الحمد والمنة، ولم يفرط في الكتاب من شيء[١].

فالقرآن كله صدق وعدل، صدق في الأخبار، وعدل في الأحكام، فكله حق وهدى، ليس فيه مجازفة ولا هوى، ولا كذب ولا افتراء، كما يوجد في أشعار العرب وغيرهم، من الأكاذيب، والمجازفات التي لا يحسن شعرهم إلا بها، ولا يستعذب كلامهم إلا بشوائبها[٢].

وكون القرآن معجزا علما وتشريعا فهذا الوجه يظهر لكل أحد: العرب، والعجم، بخلاف الإعجاز البلاغي؛ فإنه لا يظهر إلا للعربي الفصيح، المتمرس لعلم العربية على الوجه الصحيح[٣].

« **فثبت من الأمور المذكورة أن القرآن معجز** وكلام الله، وكيف لا، وحسن الكلام يكون لأجل ثلاثة أشياء: أن تكون ألفاظه فصيحة، وأن يكون نظمه مرغوبا، وأن يكون مضمونه حسنا، وهذه الأمور الثلاثة متحققة في القرآن، بلا ريب »[٤].

وهذا كله على وفق ما ثبت عن السلف، والمتبعين لهم من الخلف، أما قول المخالفين للسلف الصالح في القرآن الكريم فأورده في الباب التالي، وهو الذي سيكون الحديث عنه إن شاء الله، والحقيقة أنّ ذلك الاختلاف الواقع من الخلف في القرآن الكريم لا يعني نفي الإعجاز، بل فيه عين الإعجاز إذا أخبر أن الناس لا يزالون مختلفين، فكذلك وقع الأمر في أمر الدين، ولنتبين عقائد المخالفين للسنة في القرآن الكريم في الباب التالي.

---

(١) انظر: قواطع الأدلة ص٢٩، الجواب الصحيح ٥/ ٤٣٤، الموافقات للشاطبي ٣/ ٣٧٧، ٣٧٩، أبجد العلوم ٢/ ١٠، مجلة البحوث العلمية العدد ٩، ص ١١، وما بعدها.

(٢) انظر: تفسير القرآن العظيم ١/ ٦١.

(٣) انظر: أصول السرخسي ص ٢٨١، معترك الأقران ١/ ١٤-١٧.

(٤) إظهار الحق ٢/ ١٠٠-١٠١.

الباب الثاني

حقيقة القرآن الكريم في نظر المخالفين والرد عليهم

وفيه أربعة فصول:

الفصل الأول: اختلافهم في تعريف القرآن الكريم.

الفصل الثاني: قول المخالفين في نزول القرآن على نبينا محمد ﷺ.

الفصل الثالث: قول المخالفين في التعبد بالقرآن الكريم.

الفصل الرابع: قول المخالفين في كون القرآن آية لنبينا محمد ﷺ.

الفصل الأول

اختلافهم في تعريف القرآن الكريم

وفيه مباحث:

المبحث الأول: القول الفيض.

المبحث الثاني: القول بالحلول.

المبحث الثالث: القول بخلق القرآن.

المبحث الرابع: القول بأن القرآن عبارة، أو حكاية عن كلام الله.

المبحث الخامس: القول بأزلية القرآن.

المبحث السادس: القول بأن الله تكلم بعد أن لم يكن متكلما، ومن ذلك القرآن.

المبحث السابع: القول بالتوقف في القرآن.

المبحث الثامن: إبتداع مسألة اللفظ بالقرآن.

قبل الخوض في مباحث هذا الفصل، وذكر ما فيها من الأقوال، أبين خمسة أمور:

الأمر الأول: اضطراب المخالفين للسلف في القرآن الكريم.

وهنا أبين أن النزاع الذي وقع في كلام الله ﷻ هو نزاع كبير، حتى قيل إن علم العقيدة سمي بعلم الكلام لأن صفة الكلام أول مسألة وقع فيها النـزاع[(١)]، وإن كان هذا الاسم من قبل المخالفين، لا من السلف المتبعين، إلا أنه يدل على عظم الخلاف الذي وقع في كلام الله رب العالمين، وهذا النـزاع أساسه اختلافهم في القرآن الكريم، ما هو؟ وما هو حقيقته، وهل هو كلام الله؟ أم لا؟.

واضطراب أهل البدع ظاهر في مسألة الكلام، وقد نشأ هذا الاضطراب بسبب اختلافهم في القرآن الكريم، فعندهم أن كلام الله ﷻ إما أن يكون قائما به، ثم إن كان قائما به هل هو صفة ذاتية تكلم الله به أزلا أم لا؟، وهل تكلم بمشيئته واختياره أم لا؟، أم تكلم بعد أن لم يكن قادرا؟ أو إنّ كلامه يكون مخلوقا بائنا عنه، أو لا يكون هذا، ولا هذا، بل هو فيض في النفس[(٢)]، وهل هو بحرف وصوت أم لا؟ فهذا الاضطراب الكثير يذكره كثير من المصنفين دون أن يشير إلى عقيدة السلف الصالح في القرآن الكريم[(٣)]، قال شيخ الإسلام رحمه الله في مسألة كلام الله ﷻ: «والناس فيها مضطربون، وقد بلغوا فيها إلى تسعة أقوال، وعامة الكتب المصنفة في الكلام وأصول الدين لم يذكر أصحابها إلا بعض هذه الأقوال، إذ لم يعرفوا غير ما ذكروه...، وأكثرهم لا يعرفون قول السلف»[(٤)].

---

(١) والصحيح أن علم الكلام ليس هو علم العقيدة وعلم أصول الدين قطعا، وسيأتي تعريفه في الفصل الخامس من الباب الرابع.

(٢) انظر: الجواب الصحيح ٣/ ٣١١، لباب العقول ص ٢٥٥-٢٥٦.

(٣) سبق أن بينت عقيدة السلف الصالح في القرآن الكريم بالتفصيل، انظر الباب الأول، الفصل الأول.

(٤) منهاج السنة النبوية ٢/ ٣٥٨-٣٥٩، وانظر: شرح العقيدة الطحاوية ١/ ١٧٢.

الأمر الثاني: عدد الأقوال المختلفة في القرآن الكريم.

من شدة اضطراب الناس، لم يضبط كثير من المصنفين عدد الأقوال في هذه المسألة المختلفة فيها عند الخلف، ولشدة غموض الاختلاف ووجوه تداخل الأقوال، لا يصور فيها فصل المقال، فيقع الإخلال، فمنهم من يذكر قولين، ومنهم من يذكر ثلاثة، ومنهم من يذكر أربعة، ومنهم من يذكر خمسة، ومنهم من يذكر سبعة أقوال(١).

الأمر الثالث: طريقة عد هذه الأقوال.

إنّ أوسع ما وجدنا في ذكر المذاهب في مسألة الكلام مَنْ ذكر فيها تسعة أقوال(٢)، على وجه التفصيل والبسط في المقال، وهي باختصار(٣):

١-كلام الله ليس بائنا عن الله، ولا قائما بذات الله، وهو فيض على النفوس، وهو المشهور عن الفلاسفة(٤).

٢-كلام الله بائن عن الله، وليس قائما بذات الله، ويتكلم بمشيئته، وهو مخلوق بحروفه وأصواته، وهو المعروف عن الجهمية والمعتزلة(٥).

٣-كلام الله ليس بائنا عن الله، بل هو قائم بذات الله، وأنه معنى (كلام) واحد، وهو الكلام النفسي، ويختلف بحسب متعلقاته إن أمرا فأمر، وإن نهيا فنهي...، وكلامه ليس بحرف ولا صوت، ولا يتكلم متى شاء، بل هو متكلم أزلا فقط، وهو الذي يدندن حوله الكلابية والأشاعرة، والماتريدية(٦) بشطط(٧).

---

(١) انظر: منهاج السنة ٢/ ٣٥٩، الصفدية ٢/ ٤٠-٤١.

(٢) انظر: منهاج السنة ٢/ ٣٥٨، شرح العقيدة الطحاوية ١/ ١٧٢.

(٣) لأن ذكر هذه الأقوال والرد عليها ستأتي في مباحثها في هذا الفصل.

(٤) انظر: منهاج السنة ٢/ ٣٥٩، المجموع ١٢/ ١٦٣، شرح العقيدة الطحاوية ١/ ١٧٣.

(٥) انظر: منهاج السنة ٢/ ٣٥٩-٣٦٠، المجموع ١٢/ ١٦٣، شرح العقيدة الطحاوية ١/ ١٧٣، إيثار الحق ص١١٩.

(٦) هم أتباع أبي منصور الماتريدي، وهم كالأشاعرة يثبتون لله ﷻ الصفات العقلية التي هي: العلم والإرادة والقدرة والسمع والبصر والحياة والكلام، ويزيدون صفة التكوين، وأما الصفات الخبرية؛ فإنهم ينفونها، وهم في كثير من أبواب الأسماء والصفات ـ خصوصا المتأخرون منهم ـ قريبين من الجهمية. انظر: معجم ألفاظ العقيدة ص٣٥٣، ورسالة الشيخ شمس الأفغاني في الماتريدية.

(٧) انظر: منهاج السنة ٢/ ٣٦٠، المجموع ١٢/ ١٦٥، شرح العقيدة الطحاوية ١/ ١٧٣.

٤- كلام الله ليس بائنا عن الله، بل هو قائم بذات الله، وإنّه بحروف وأصوات أزلية، ولا يتكلم متى شاء، وهذا قول طائفة من أهل الكلام، ويُذكر عن السالمية[(١)].

٥- كلام الله ليس بائنا عن الله، بل هو قائم بذات الله، وإنّه بحروف وأصوات، لكنه تكلم بعد أن لم يكن متكلما، وكلامه حادث في ذاته، وهو المنقول عن الكرامية[(٢)]، والهشامية[(٣)].

٦- كلام الله يرجع إلى ما يحدث من علمه وإرادته القائم بذاته، ثم منهم من يقول: لم يزل ذاك حادثا في ذاته، كقول أبي البركات صاحب المعتبر[(٤)]، ومنهم من لا يقول بذلك، كالرازي[(٥)].

٧- كلام الله يتضمن معنى قائما بذاته، وهو ما خلقه في غيره، ثم منهم من يقول: المعنى كلام نفسي، وهذا قول ابن رشد[(٦)]،

---

(١) انظر: منهاج السنة ٢/ ١٦٠، المجموع ١٢/ ١٦٦، شرح العقيدة الطحاوية ١/ ١٧٣.

(٢) هم أتباع محمد بن كرام السجستاني المتوفى سنة ٢٥٥هـ، وقد اشتهروا بالتشبيه في صفات الله ﷻ. انظر: الملل والنحل للشهرستاني ص١٠٨، معجم ألفاظ العقيدة ص٣٣٣.

(٣) انظر: منهاج السنة ٢/ ٣٦١، شرح العقيدة الطحاوية ١/ ١٧٣، **والهشامية**: فرقة من غلاة الشيعة أصحاب الهشامين: هشام بن الحكم الرافضي، وهشام بن سالم الجواليقي، ومقالتهما في التشبيه مشهورة. انظر: الملل والنحل للشهرستاني ص ١٨٤.

(٤) هو الطبيب الفيلسوف: هبة الله بن علي بن ملكا البغدادي، أبو البركات البلدي، كان يهوديا ثم أسلم أواخر عمره، وكان يخدم الملوك بطبه، ومن مؤلفاته: المعتبر في الحكمة، ورسالة في العقل، توفى سنة ٥٤٧هـ. انظر: السير ٢٠/ ٤١٩، كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون ٢/ ١٧٣١.

(٥) انظر: منهاج السنة ٢/ ٣٦٢، شرح العقيدة الطحاوية ١/ ١٧٣. **والرازي هو المتكلم إمام الأشعرية**: محمد بن عمر بن الحسين بن الحسن القرشي التيمي أبو عبد الله الرازي الشافعي، مشهور بابن خطيب الري، ولقب بسلطان المتكلمين!!، كان متصلا بالملوك وله منهم عطايا، وله باع في العلوم الفلسفية والمنطقية، ودخل الخلوات الصوفية، لكنه قليل البضاعة في السنة النبوية، له مصنفات مشهورة، وبنثر المنطق مملوءة، ومنها: المباحث المشرقية، والمطالب العالية وغيرها، وفي وصيته ما يدل على أنه رجع إلى طريقة الكتاب والسنة وترك ما عليه أهل الكلام. انظر: ميزان الاعتدال٣/ ٣٤٠، لسان الميزان٤/ ٤٩٨، مقدمة محقق المباحث المشرقية.

(٦) هو الفيلسوف الطبيب: محمد بن أحمد بن محمد بن أحمد بن رشد القرطبي، أبو الوليد الحفيد، وهو فقيه مالكي، ولد بقرطبة ونشأ بها، وولي قضاءها، وكان من مناصري الفلاسفة، وله مؤلفات كثيرة، منها: بداية المجتهد، وتهافت التهافت، ومناهج الأدلة، توفي سنة ٥٩٥هـ. انظر: السير ١٩/ ٥٠١.

والماتريدي[(١)]، ومنهم من يقول: المعنى فيض، كقول المتفلسفة، وهذا قول الباطنية متشيعهم وصوفيهم، ويقولون: إن القديم حل في المحدث[(٢)].

٨- كلام الله مشترك بين المعنى القديم القائم بالذات، وبين ما يخلقه في غيره من الأصوات، وهذا قول أبي المعالي ومن اتبعه من الأشعرية[(٣)]، وهو قول لابن عربي الطائي الحلولي[(٤)].

٩- كلام الله ليس بائنا عن الله، بل هو قائم بذات الله، وهو حروف متعاقبة، وأصوات مسموعة، يتكلم متى شاء، وكيف شاء، إذا شاء، وأن نوع الكلام أزلي، وآحاده متكلم به ربنا متى شاء، مع من شاء، وهذا هو قول السلف قاطبة[(٥)].

فهذا محصل أقوال الفرق في كلام الله ﷻ على التفصيل[(٦)].

ويمكن أن تكون الأقوال سبعة[(٧)]: وذلك باعتبار أن القول (السادس والثامن) يرجعان إلى القول (الثالث).

---

(١) هو المتكلم الكبير: محمد بن محمد بن محمود أبو منصور الماتريدي السمرقندي، سلك طريقة التأويل في صفات الرب الجليل، وله مصنفات مشهورة، منها: تأويلات القرآن، وتأويلات أهل السنة!!، توفي سنة ٣٣٣هـ. انظر: الفوائد البهية ص١٩٥، هدية العارفين ٢/ ٣٦.

(٢) انظر: منهاج السنة ٢/ ٣٦٢،المجموع ١٢/ ١٦٧، شرح العقيدة الطحاوية ١/ ١٧٤، إيثار الحق على الخلق ص١١٩، وانظر: قول ابن رشد في منا هج الأدلة له ص٧٣.

(٣) انظر: منهاج السنة ٢/ ٣٦٣، المجموع ١٢/ ١٦٧، شرح العقيدة الطحاوية ١/ ١٧٤.

(٤) انظر: كتاب اصطلاح الصوفية له ص ١٥ (العموم). و ابن عربي هو الحلولي الصوفي الأكبر: محمد بن علي بن أحمد أبو بكر الطائي الأندلسي المعروف بابن عربي (نكرة)، يلقب بالشيخ الأكبر!!، وهو متكلم فلسفي صوفي، كفره أئمة الإسلام، لأقواله الشنيعة، وكتاباته السيئة، التي ملئها حلولا واتحادا، رحل إلى مصر، وسكنها، ثم كُفر وهرب إلى الشام، واستقر بها، وله رسائل كثيرة، منها: فصوص الحكم!!، الفتوحات المكية!!، وغيرها، توفي بالشام سنة ٦٣٨هـ. انظر: السير٢٣/ ٤٨، ميزان الاعتدال ٣/ ٦٥٩.

(٥) انظر: الفصل الأول، من الباب الأول، وانظر: منهاج السنة ٢/ ٣٦٢، شرح العقيدة الطحاوية ١/ ١٧٤.

(٦) ولم يذكر من ذكر الأقوال حتى على وجه التفصيل: الواقفة، واللفظية، وإن عُد القولان كانت الأقوال: أحد عشر، ولكن لعلهم لم يعدوها، لكون قول كلّ منهما تابعا وناتجا عن تلك الآراء - والله أعلم -، وسيأتي الرد عليهما تفصيلا.

(٧) انظر: المجموع ١٢/ ١٦٢، مختصر الصواعق المرسلة٢/ ٢٨٦وما بعدها، ومعارج القبول١/ ٤٨١.

ويمكن أن تكون ستة أقوال[١] باعتبارين:

١- أن الأقوال (الخمس الأول) مع قول أهل السنة (التاسع) هو قول الطوائف الكبار، وما عداها من الأقوال فأقوال لآحاد من الناس.

٢- أن يقال: إن القول (السادس والثامن) يرجعان إلى القول (الثالث): وهو أن الكلام القائم بالذات ليس مخلوقا، وأما القرآن الموجود فهو مخلوق، وهذا مؤدى القولين، وأن القول (السابع) يرجع أيضا إلى القول (الثالث)، وهو القول بالكلام النفسي، فعلى هذا يكون أيضا ستة أقوال[٢].

ويمكن أن تكون ثلاثة أقوال، باعتبار النظر إلى المتكلّم من حيث لزوم كون لكلام قائما به أم لا، وباعتبار شهرتها[٣]، وهي:

١- أنه قائم به، وليس بمخلوق.

٢- أنه ليس قائما به، بل بائن عنه مخلوق.

٣- أنه لا هذا ولا هذا.

ويمكن أن تكون ثلاثة أقوال باعتبار النظر إلى المتكلّم من حيث تكلُّمه بمشيئته واختياره أم لا:

١- أنه يتكلم بكلام أزلي قائم به لا بمشيئته.

٢- أنه يتكلم بمشيئته واختياره.

٣- أنه لا هذا، ولا هذا.

ويمكن أن تكون ثلاثة أقوال باعتبار الكلام، ما هو:

١- أنه اسم للفظ والمعنى جميعا.

---

(١) انظر: المجموع ١٢/ ٤٢.

(٢) وإنما ذكرت هذا الجمع حتى يتبين وجه الاختلاف في العد، لأن من أسباب الاختلاف فيه: الجهل، أو الغفلة، أو ذكر الأقوال متداخلة، وهذا الأخير هو الذي صار عليه شيخ الإسلام، حيث يذكر في بعض المواضع تسعة أقوال على التفصيل، وفي بعضها سبعة، وفي بعضها ستة، فلا يظنن ظان أن هذا عنده من الاضطراب.

(٣) انظر: البيهقي وموقفه من الإلهيات لشيخنا أ.د/ أحمد بن عطية الغامدي ص١٩٧.

٢- أنه اسم للَّفظ فقط بشرط دلالته على المعنى.

٣- أنه اسم للمعنى دون اللفظ الموضوع له[(١)].

ويمكن أن تكون الأقوال ثلاثة، باعتبار المتكلم من هو:

١- أنه من فعل الكلام، وقدر عليه، ولو في غيره.

٢- أن المتكلم من قام به الكلام.

٣- أن المتكلم من قام به الكلام وكان قادرا[(٢)].

ويمكن أن تعد الأقوال بالنسبة إلى مرجعها إلى قولين، من حيث الجملة:

١- أن كلام الله ليس بمخلوق (بهذا الاعتبار إجمالا).

٢- أن كلام الله مخلوق (بهذا الاعتبار إجمالا)، وكل من الأقوال التسعة سيدخل من حيث الإجمال تحت هذين القولين، لكن الإجمال في موضع التفصيل يورد الاشتباه، ولذا كان الأفضل والأليق في نسبة الأقوال وردِّها هو التفصيل، والله تعالى وحده الهادي إلى سواء السبيل.

الأمر الرابع: سبب ضلال الفرق ومنشأ نزاعهم.

هناك عدة أسباب، لاختلاف أصحاب المقالات في هذا الباب، أعني في اختلافهم في كلام الوهاب، وهي:

١- **من أسباب ضلالهم، ومنشأ نزاعهم ما أحدثوه من طريقة بدعية في الاستدلال** على وجود الله وربوبيته، ومعرفته، **وهو ما يسمى بطريقة الحدوث والإمكان**[(٣)]، وذلك أن مسألة حدوث العالم، وإثبات الصانع، استدلت الجهمية والمعتزلة ومن وافقهم من طوائف أهل الكلام[(٤)] على ذلك بأن ما لا تخلو عن الحوادث فهو حادث، والكلام إذا كان حادثا فهو مخلوق، كما هو قول الجهمية والمعتزلة، ومن وافقهم، وأما من خالفهم

(١) انظر: درء تعارض العقل والنقل ١٠/ ٢٢٢.

(٢) انظر: درء تعارض العقل والنقل ١٠/ ٢٢٢.

(٣) انظر: الصفدية ١/ ٦٦.

(٤) إشارة إلى الكلابية والأشعرية والماتريدية ونحوهم.

من أهل الكلام، اضطروا ـ لأنهم وافقوهم في أصل القول بالحدوث والإمكان ـ أن يقولوا: إن الكلام ليس بحادث، بل هو أزلي، ولم يهتدوا إلى الفرق في المسألة، وهو القول بأزلية الكلام من حيث كونه متكلما، وأن آحاده في وقت معين، فنشأ النـزاع والتفرق[1]، فهذه «الطريقة هي التي ولّدت بين المسلمين اختلافهم في القرآن، وكلام الله ﷻ، حتى صار كثير من الناس ـ أو أكثرهم ـ في ذلك إما حائرا، وإما مخطئا مبتدعا، وكفر بعضهم بعضا بسبب ذلك»[2].

٢- **من أسباب ضلالهم كلامهم في الدين بناء على القواعد المنطقية**، والفلسفة اليونانية والهندية، مما أورثهم شبها كثيرة، ضلوا بسببها عن قواعد الشرع، والتزموا قواعدهم البدعية، قال شيخ الإسلام ﵀: «فإن قيل ما منشأ هذا النـزاع، والاشتباه، والتفرق، والاختلاف؟ قيل: منشأه هو الكلام المذموم الذي ذمه السلف، وعابوه، وهو الكلام المشتبه المشتمل على حق وباطل: فيه ما يوافق العقل والسمع، وفيه ما يخالف العقل والسمع، فيأخذ هؤلاء جانب النفي المشتمل على نفي الحق والباطل، وهؤلاء جانب الإثبات المشتمل على إثبات حق وباطل»[3].

٣- **من أسباب ضلالهم تقصيرهم في معرفة الحق**: «أو قصورهم عن معرفة ما جاء به الرسول ﷺ، وما كان عليه السلف، ومعرفة المعقول الصريح...، وهؤلاء المتنازعون أجمعوا على أصل فاسد، ثم تفرقوا، فأجمعوا على أن جعلوا عين صفة الرب الخالق، هي عين صفة المخلوق، ثم قال هؤلاء: وصفة المخلوق مخلوقة، فصفة الرب مخلوقة؟ فقال هؤلاء: صفة الرب قديمة، فصفة المخلوق قديمة، ثم احتاج كل منهما إلى اضطراد أصله، فخرجوا إلى أقوال ظاهرة الفساد: خرج النفاة إلى أن الله لم يتكلم بالقرآن...، وأنه لم يناد موسى ﵇ بنفسه بنداء يسمعه منه موسى ﵇...، وخرج هؤلاء إلى أن ما يقوم بالعباد، ويتصفون به يكون قديما أزليا»[4]، وأحيانا تجد

---

(١) انظر: المجموع ١٢/ ١٤٠، ٥٩٢، ٢١٣، النبوات ٢٣٠، الصفدية ١/ ١٢٨-١٢٩.

(٢) الصفدية ٢/ ٤٠.

(٣) المجموع ١٢/ ١٤٠، وانظر: الكلام على مسألة السماع لابن القيم ص ١٧٥.

(٤) المجموع ١٢/ ٨٢-٨٣، وانظر: منهاج السنة ٥/ ٤٣٢-٤٣٣، شرح العقيدة الطحاوية ١/ ٨-٩.

المتنازعين طائفتين، ومع «كل واحدة من الطائفتين جزء من الحق، وجزء من الباطل»[١]، ولو صُفِّيَتِ الأقوال من الأخطاء، وصُفِّيَ ما فيه من الحق، لظهر الحق في كل مسألة على صورة جلية، وطريقة مرضية[٢].

٤- **من أسباب ضلالهم استعمالهم للألفاظ المجملة:** «وأئمة السنة كأحمد بن حنبل، وغيره، كانوا إذا ذَكَرَتْ لهم أهلُ البدعِ الألفاظَ المجملة: كلفظ الجسم، والجوهر، والحيز[٣]، ونحوها، لم يوافقوهم، لا على إطلاق الإثبات، ولا على إطلاق النفي، **وأهل البدع بالعكس ابتدعوا ألفاظا ومعاني**، إما في النفي، وإما في الإثبات، وجعلوها هي الأصل المعقول المحكم!! الذي يجب اعتقاده، والبناء عليه! ثم نظروا في الكتاب والسنة فما أمكنهم أن يتأولوه على قولهم تأولوه، وإلا قالوا هذا من الألفاظ المتشابهة المشكلة التي لا ندري ما أريد بها!! فجعلوا بدعهم أصلا محكما، وما جاء به الرسول ﷺ فرعا، ومشكلا: إذا لم يوافقه»[٤].

الأمر الخامس: وصف المخالفين في هذا الباب.

إن أهل البدع في كتاب الله من المحرفين الغالين، والمنتحلين المبطلين، ومن المؤولين الجاهلين، عقدوا ألوية البدعة، وأطلقوا عقال الفتنة، فهم مخالفون في الكتاب، مخالفون للكتاب، متفقون على مخالفة الكتاب، يقولون على الله، وفي الله، وفي كتاب الله بغير علم، يتكلمون بالمتشابه من الكلام، ويخدعون جهال الناس بما يشبهون عليهم، فنعوذ بالله من فتن المضلين[٥]، الذين حق عليهم قول رب العالمين، ويصدق

---

(١) مناهج الأدلة لابن رشد ص٧٤، وانظر: شرح الأصبهانية ص ٣٣٦.

(٢) انظر: الجواب الصحيح ٤/ ٣٣٥-٣٣٧.

(٣) هذه ألفاظ محدثة، أحدثها الجهمية، ولهم فيها اصطلاح خاص، فالجسم عندهم: جوهر قابل للأبعاد الثلاثة، وقيل: هو المركب المؤلف من الجوهر (التعريفات للجرجاني ص٧٦)، والجوهر: الماهية، وهي منحصر في خمسة: هيولى، وصورة، وجسم، ونفس، وعقل (التعريفات ص٧٩)، والحيز هو: الفراغ المتوهم الذي يشغله شيء كالجسم (التعريفات ص٩٤).

(٤) المجموع ١٧/ ٣٠٦، وانظر منه: ١٢/ ٢١٣.

(٥) انظر: الرد على الجهمية ص ٦، المجموع ٤/ ٢١٧-٢١٨، النبوات ص ٢١٧.

عليهم عموم آيات القرآن المبين، قال ﷻ: ﴿كَمَآ أَنزَلۡنَا عَلَى ٱلۡمُقۡتَسِمِينَ ۝٩٠ ٱلَّذِينَ جَعَلُواْ ٱلۡقُرۡءَانَ عِضِينَ﴾[الحجر:٩٠-٩١] قيل المقتسمون: هم الذين تفرقوا في كتبهم، إذ آمنوا ببعض، وكفروا ببعض، قال ابن جرير رحمه الله: «والصواب من القول في ذلك عندي أن يقال: إن الله ﷻ، أمر نبيه ﷺ أن يُعلم قومه الذين عضَّهوا[1] القرآن ففرقوه، أنه نذير لهم من سخط الله تعالى، وعقوبته، أن يحل بهم على كفرهم بربهم، وتكذيبهم نبيهم، ما حل على المقتسمين من قبلهم، ومنهم»[2]، ثم ذكر أن المراد بالمقتسمين إما: اليهود، وإما النصارى، وإما المشركون، ثم رجح العموم، وأنها فيهم وفي من اتصف بحالهم، فقال: «فإذا لم يكن في التنـزيل دلالة على أنه عنى به أحد الفرق الثلاث[3] دون الآخرين، ولا في خبر عن الرسول ﷺ، ولا في فطرة عقل، **وكان ظاهر الآية محتملا ما وصفت، وجب أن يكون مقتضيا بأن كل من اقتسم كتاب الله بتكذيب بعض، وتصديق بعض»**[4]. كان من المقتسمين.

وبعد هذه المقدمات، أذكر المقالات، مع إيراد شبههم، والرد عليها - وبالله تعالى التوفيق -.

---

(١) أي: جعلوه قطعا مجزءاً، وهو من (العِضَة) والأصل(عِضوة) والجمع (عِضون). انظر: المصباح المنير للفيومي ص ٤١٥.

(٢) جامع البيان ٧/ ٥٤٥.

(٣) في النسخ المطبوعة من التفسير: (أحد الفرق الثلاثة)، والتصويب من عندي، ويمكن أن يكون ما في المطبوع صحيحا بتعسف، وهو أن يقال إن في الكلام تقديما وتأخيرا، ولفظه: أحد الثلاثة الفرق.

(٤) جامع البيان ٧/ ٥٤٥، وانظر: تفسير القرآن العظيم ٢/ ٥٥٨، الفتح ٨/ ٢٣٢، إمداد القاري بشرح كتاب التفسير من صحيح البخاري٢/ ٣٩٢-٣٩٣.

المبحث الأول: القول بالفيض

قبل الكلام عن القائلين بالفيض أبين أمورا، وهي:

أولا: معنى الفيض لغة.

الفيض (بالمعجمات) مأخوذ من فاض الماء، تقول: فاض الماء فيضا، وفيوضة، وفيوضا، وفياضا، وفيضوضة؛ إذا زاد، وسال منصبا، وجرى من مكانه إلى آخر.

وفاضت عينه فيضا: إذا سالت، قال ﷻ: ﴿ تَرَىٰٓ أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ ٱلدَّمْعِ ﴾ [المائدة:٨٣].

ومنه: أفاض القوم من عرفة، كقوله ﷻ: ﴿ ثُمَّ أَفِيضُوا۟ مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ ٱلنَّاسُ ﴾ [البقرة:١٩٩]، وأرض ذات فيوض: إذا كان فيها ماء يفيض[١]. فهذا يفيد من حيث اللغة أن الفيض يكون بلا إرادة.

ثانيا: الفيض عند القائلين به واصطلاحهم فيه.

الفيض عند القائلين به هو: «عبارة عن التجليات الأسمائية الموجبة لظهور ما يقتضيه استعدادات تلك الأعيان في الخارج»[٢]، ومعنى التجليات الأسمائية: الاستعدادات العيانية والروحانية، فهو يعني استعداد في البدن، واستعداد في الخارج.

« والفيض: إنما يستعمل في إلقاء الله تعالى، وأما ما يلقيه الشيطان؛ فإنه يسمى بالوسوسة...، والفيض الإلهي ينقسم إلى الفيض الأقدس!!، والفيض المقدس!!

---

(١) انظر: مقاييس اللغة ص٨٢٤، المفردات للراغب ص٣٩٠، المصباح المنير ص٤٨٥، لسان العرب١٠/ ٣٦٦ وما بعدها.

(٢) انظر: التعريفات للجرجاني ص ١٦٩.

وبالأول تحصل الأعيان، واستعداداتها الأصلية في العلم، وبالثاني: تحصل تلك الأعيان في الخارج مع لوازمها»!!![1].

فـ «كلام الله اسم لما يفيض على قلب النبي من العقل الفعال، أو غيره»[2]، وهذا الفيض يكون من «النفس الكلية وهو اللوح المحفوظ»[3] فلا يكون حينئذ لكلام الله ﷻ «صوت معهود، ولا حرف من الحروف المعلومة، ولكن كلام كل جنس مما يشاكله، وعلى حسب ما يليق بشأنه، **ويعطيه استعداد القبول الروحانية الإلهية السارية في كل وجود»**[4]، وهذا الذي يسمونه بالفيض قد يعبرون عنه بما يسمونه النور الذي يقذف في القلب، والفيض الذي يدرك بالمجاهدة، كما يقول الغزالي[5] في طوره الفلسفي الصوفي وهو يتحدث عن أهمية المجاهدة الصوفية وكيفيتها، فمن «لازَم التقوى، ونهى النفس عن الهوى، واشتغل بالرياضة، والمجاهدة، انفتحت له أبواب من الهداية، تكشف عن حقائق هذه العقيدة بنور إلهي، يقذف في قلبه، بسبب المجاهدة»[6]، ويقول: «والإقبال بالكلية على الله تعالى، وملازمة الفكر الصافي، عن شوائب المجادلات، **وهي رحمة من الله ﷻ تفيض على من يتعرض لنفحاتها، بقدر الرزق، وبحسب التعرض، وبحسب قبول المحل**، وطهارة

---

(٥) الكليات لأبي البقاء الكفوي الفيلسوف المتكلم الماتريدي ص٦٩١-٦٩٢.

(٢) المجموع ١٢/ ٣٥٢، وانظر: ١٢/ ٥٥٦.

(٣) كتاب اصطلاح الصوفية لابن عربي الوجودي ص ١١ (الورقاء)، وانظر: المدينة الفاضلة للفارابي ص ٢٤ وما بعدها، حيث يقرر نفس هذه الفكرة الفيوضية التي هي عن العلم في عمية، وقريب من هذا قول الغزالي الذي يصرح بأن النائم يدرك من الغيوب ما سيكون، إما صريحا، أو على صورة مثال، وأن هذا النوم هو نموذج من خاصية النبوة!!، انظر: المنقذ من الضلال ص ١٤٦، وهذا هو عين رأي ابن سينا حيث يرى الفيض وأنه يمكن ويكتسب. انظر: مقدمة محمد السليماني لقانون التأويل ص ٢٦٥-٢٦٦.

(٤) أيام الشأن لابن عربي الطائي ص ٤.

(٥) هو المتكلم الأصولي الصوفي: محمد بن محمد بن أحمد الطوسي أبو حامد الغزالي، دخل في جميع العلوم، وله باع فيها، ولم يقر له على مذهب قرار، وصنف في التصوف وعلم الكلام، ومن تصانيفه المشهورة: تهافت الفلاسفة، والإحياء، توفي سنة ٥٠٥هـ. انظر: السير ١٩/ ٣٢٢.

(٦) إحياء علوم الدين للغزالي ١/ ١٥٢.

القلب، وذلك البحر الذي لا يدرك غوره، ولا يبلغ ساحله»[(١)].

ويقول ابن عربي الطائي مبينا كيفية تلقي النبي الوحي: «لكن معارج الأنبياء بالنور الأصلي، ومعارج الأولياء بما يفيض من النور الأصلي»[(٢)].

كما يقول إن تعلم القرآن يمكن أن يكون من غير معلم إذا صَفَتِ النفس[(٣)]. وهو يعني أنه يمكن تلقيه عن طريق الفيض.

ثالثا: سبب القول بالفيض.

القول بالفيض نظرية قديمة عند الفلاسفة المتألهة، ومن رام الجمع بين الشريعة والفلسفة من المنتسبين إلى الإسلام فإنهم قالوا بهذه النظرية تبعا لأشياخهم، ويمكن إرجاع سبب القول بالفيض في مسألة الكلام عند فلاسفة المسلمين إلى أمرين:

الأول: أنهم يرون أن الله ﷻ الذي يسمونه بالعقل الأول، أو الفلك الأول، لم يصدر عنه شيء، وإنما فاض عنه الفلك الثاني كفيض العلة عن المعلول، كما يخرج الشعاع من الشمس، من غير إرادة، ولا مشيئة، وهكذا حتى العقل الذي يسمونه العقل الفعال ـ الذي عندهم هو المدبر للكون ـ ويصدر عنه أفعال هي: الخلق والتدبير من غير إرادة منه، فكذلك العلوم تفيض منه، ومن العلوم الكلام، سواء كانت عند الأنبياء، أو الأذكياء، أو الأصفياء، وذلك باستعداد المحل، دون إرادة من العقل الفعال[(٤)].

فهم يرون أن الأفعال تصدر عن العقل الفعال من غير إرادة منه، فكذلك الكلام يفيض منه من غير إرادة واختيار منه، بل يقولون: إن الواحد لا يصدر عنه إلا واحد[(٥)].

الثاني: أنه لما كان لهذه الفلسفة مكانة في قلوبهم، وهي تخالف الشرع بقواعدها

---

(١) إحياء علوم الدين ١/ ١٥٩، وقال شيخ الإسلام ـ نقلا عن الغزالي ـ: «إن الواحد من أهل الرياضة قد يسمع كلام الله، كما سمعه موسى بن عمران». انظر: المجموع ٦/ ٥٤٠.

(٢) رسالة الأنوار لابن عربي الطائي ص١٥، وانظر: الكتب: لابن عربي الطائي ص٤٣.

(٣) انظر: الإسفار عن نتائج الأسفار لابن عربي الطائي ص ١٦.

(٤) انظر: شرح القصيدة النونية ١/ ١٤٦.

(٥) انظر: المجموع ١٢/ ٤٢، موسوعة الفلسفة ٢/ ١٠٥.

وآراءها، فراموا وتظاهروا بمصانعة الشرع، والجمع بينهما ولو بطريق مبتدع، فجاؤوا بشيء جديد، و«غرضهم هو التوفيق بين الفلسفة والدين؛ لأن كلا منهما حق في زعمهم!!، والحق لا يتناقض، ولكنهم في حقيقة أمرهم كانوا زنادقة ملحدين، ولهذا تراهم يجعلون مبادئ الفلسفة هي الأصل، ويحاولون أن يجروا الدين إليها، ويخضعوه لقواعدها»(١).

رابعا: القائلون بالفيض.

إن الفلاسفة «ليس لله تعالى - عندهم - كلامٌ أنزله إلى الأرض بواسطة الملك؛ فإنه تعالى ما قال شيئا، ولا يقول، ولا يجوز عليه الكلام عندهم.

ومن تقرب منهم إلى الإسلام يقول: الكتب المنزلة فيض فاض من العقل الفعال على النفس المستعدة الفاضلة الزكية، فتصوَّر النبيُّ تلك المعاني، وتشكلت في نفسه، بحيث يتوهمها أصواتا... ولا حقيقة لشيء من ذلك»(٢).

فالقول بالفيض هو المشهور عن الفلاسفة المنتسبين إلى الإسلام، كالفارابي(٣)، ورئيسهم وحامل رايتهم ابن سينا(٤)، وغيرهم(٥)، يقول ابن سينا في رسالته العرشية: «فوصفه بكونه متكلما لا يرجع إلى ترديد العبارات، ولا إلى أحاديث النفس، والفكرة المتخيلة المختلفة التي العبارات دلائل عليها، بل فيضان العلوم منه على لوح قلب النبي ﷺ بواسطة القلم النقاش، الذي يعبر عنه بالعقل الفعال، والملك المقرب!!»(٦).

---

(١) شرح القصيدة النونية للشيخ محمد خليل هراس ١/ ١٤٦.

(٢) كيد الشيطان لابن الجوزي ص٨١.

(٣) هو معلم الفلسفة الثاني: محمد بن محمد بن أوزلغ بن طرخان الفارابي، وكان له علم بالطب والموسيقى، أوتي ذكاء، وسافر البلدان، ونشر الفلسفة بين أهل القرآن، من مؤلفاته: المدينة الفاضلة، المدخل إلى صناعة الموسيقى، وغيرها، توفي سنة ٣٣٩هـ. انظر: السير ١٥/ ٤١٦.

(٤) هو الشيخ الرئيس في المنطق والفلسفة على التخصيص: الحسين بن عبد الله بن الحسن بن علي بن سينا أبو علي البلخي، مشارك في أنواع من العلوم، كان باطنيا فلسفيا، تصانيفه كثيرة، منها: القانون في الطب، تقاسيم الحكمة، توفي سنة ٤٢٨هـ. انظر:السير ١٧/ ٥٣١.

(٥) انظر: المجموع ٤/ ٩٩.

(٦) نقلا عن شرح القصيدة النونية للشيخ محمد خليل هراس ١/ ١٤٦-١٤٧.

فابن سينا، والفيلسوف الفارابي من قبله، والطوسي الرافضي[(١)] من بعده، وابن سبعين[(٢)]، «قولهم: إن كلام الله فيض فاض من العقل الفعال على النفوس الفاضلة الزكية بحسب استعدادها، فأوجب لها ذلك الفيض تصورات و تصديقات بحسب ما قبلته منه»[(٣)].

قال ابن القيم رحمه الله:

وأتى ابن سينا القرمطي مصانعا	المسلمين بإفك ذي بهتـان
فرآه فيضا فاض من عقل هو الـ	ـفعـال علة هذه الأكـوان
حتـى تلقـاه زكـي فاضـل	حسن التخيل جيـد التبيان
فأتـى بـه للعالـمين خطابـة	ومواعظا عريت عن البرهان[(٤)]

فابن سينا يرى أن الوحي فيض فاض من العقل الفعال على النفوس، وأن هذا الفيض من غير إرادة منه، فإذا أصبحت النفس صافية كالمرآة تنعكس المعاني من العقل الفعال عليها، وتنطبع فيها، ثم إن نفس النبي تتلقى المعاني المجردة، وتجسمها وتنظمها في حروف وألفاظ بديعة، كالخطابة والمواعظ، ليست هي براهين عقلية!![(٥)].

وابن سينا كغيره من الفلاسفة يرى أن الله عز وجل لا يصدر عنه فعل باختيار منه،

---

(١) هو الفيلسوف الرافضي: محمد بن محمد بن الحسن الطوسي، مشارك في أنواع العلوم، وساعد التتار في دخول بغداد، وكان ممدودا من هولاكو بالمال، له قواعد العقائد، حواش على كليات قانون ابن سينا، هلك سنة ٦٧٢هـ. انظر: معجم المؤلفين ١١/ ٢٠٧.

(٢) انظر: منهاج السنة ٨/ ٥٥، المجموع ١٢/ ٣٥٣. وابن سبعين هو الصوفي الفلسفي: عبد الحق بن إبراهيم بن محمد بن نصر الإشبيلي، أبو محمد المشهور بابن سبعين، مشارك في فنون عدة، وانتحل التصوف مع الفلسفة، من تصانيفه الكثيرة: أسرار الحكمة المشرقية، توفي سنة ٦٦٩هـ. انظر: معجم المؤلفين٥/ ٩٠.

(٣) معارج القبول ١/ ٤٨٢، وانظر: درء تعارض العقل والنقل ١٠/ ٢٠٦، الجواب الصحيح ٥/ ٣٤٤، ٣/ ٣١١، منهاج السنة ٢/ ٣٥٩، ٣٦٢، ٤١٥، الرد على المنطقيين ص١٤٠-١٤١، ٢٧٧، ٢٨٢،٣٣٥ شرح الأصبهانية ص٤١٣، المجموع ٦/ ٥٤٠، ٧/ ٦٦١ وما بعدها، ١٢/ ١٤-٢٩، ٣٥٢، ١٥/ ٢٢٢، ٣٩٩، لباب العقول ص ٢٥٧.

(٤) النونية المسماة بالكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية١/ ١٤٥ مع شرح الشيخ محمد خليل هراس.

(٥) انظر: كتابه الشفاء، ص٣٨٠، وما بعدها، وشرح القصيدة النونية ١/ ١٤٦، معارج القبول ١/ ٤٨٨.

وإنما صدر عنه الأفلاك وغيرها بالفيض، فحتى فعله فيض، كما أن قوله عندهم فيض، فيقول ابن سينا: « فلتعلم أن جميع ما سواه هو فعله، وأنه صدر عنه لذاته »[(١)].

فإذا قالوا: إن الكلام فعل مع قولهم بالفيض، فيعنون أنه كما كان منه فعل بدون اختيار، وهو وجود هذه الأفلاك، فكذلك يكون منه وحي يستفاد بصفاء النفس، ويدرك بدون إرادة منه.

وقد قرن ابن القيم ﷺ ابنَ رشدٍ بابنِ سينا[(٢)]، وذلك أنه يدافع عن مقولات الفلاسفة، وينافح عن مقالتهم الزائفة، ويقول بقولهم حذو القذة بالقذة، لكن بأسلوب متلبس بزي الشرع، وبمسميات لا يتنبه لها.

قال ابن رشد: « وقد يكون من كلام الله ما يلقيه الله إلى العلماء الذين هم ورثة الأنبياء، بواسطة البراهين، وبهذه الحجة صح أن القرآن كلام الله »[(٣)]، فابن رشد يرى أن ما عرفه العلماء من العلوم، هو من الفيض الذي توصلوا إليه بواسطة صفاء النفس، ونقاء الذهن، وبهذا الاعتبار صح أن القرآن كلام الله أي باعتبار أنه فيض على نفس النبي ﷺ.

فالأمر عندهم لا يعني إثبات فعل لله ﷻ، باختياره ومشيئته، وكذلك كلامه ﷻ إذ شبهوا الكلام بما يعتقدونه هم في الفعل، قال ابن رشد: « الكلام ليس شيئا أكثر من أن يفعل المتكلم فعلا يدل به المخاطب على العلم الذي في نفسه، وذلك فعل من جملة أفعال الفاعل...، ولهذا الفعل شرط آخر في الشاهد، وهو أن يكون بواسطة، وهو اللفظ، وإذا كان هذا هكذا، وجب أن يكون هذا الفعل من الله تعالى **في نفس من اصطفى من عباده بواسطة ما، إلا أنه ليس يجب أن يكون لفظا ولا بد مخلوقا له**، بل قد يكون بواسطة ملَكٍ، وقد يكون وحيا بغير واسطة لفظ يخلقه، **بل يفعل فعلا في السامع ينكشف له به ذلك المعنى، وقد يكون بواسطة لفظ يخلقه الله في سمع المختص**

(١) الرسالة العرشية له ص١٣، نقلا عن كتاب ابن تيمية السلفي للشيخ محمد خليل هراس ص١٥٤.
(٢) الصواعق المرسلة ٣/ ١٠٩٦.
(٣) الكشف عن مناهج الأدلة لابن رشد ص ٧٣، وانظر: مجموع رسائل الجامي ص ٢٦١.

بكلامه سبحانه»[(١)].

ومما يدل على أن ابن رشد يرى الفيض الفلسفي في كلام الله ﷻ، قوله في تعريف الوحي، حيث يقول: «الوحي هو: وقوع ذلك المعنى في نفس الموحى إليه بغير واسطة لفظ يخلقه، بل بانكشاف ذلك المعنى له بفعل يفعله في نفس المخاطب»[(٢)].

بل ويصرح بأن كلام الله ﷻ المسموع هو فيض عندهم، ليس بحرف، ولا صوت، بل هو انطباع في النفس، يقول ابن رشد مبينا كيفية الوحي: «بل بانكشاف ذلك المعنى له بفعل يفعله في نفس المخاطب، كما قال ﷻ: ﴿ فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ ۝ فَأَوْحَىٰٓ إِلَىٰ عَبْدِهِۦ مَآ أَوْحَىٰ ﴾[النجم:٩-١٠]، ومن وراء حجاب: هو الكلام الذي يكون بواسطة ألفاظ يخلقها في نفس الذي اصطفاه بكلامه»[(٣)]. وصرح بأن الوحي من عند الله هو: «**كلامه ألقاه على لسان نبيه**»[(٤)]، فيكون النبي هو المرتب للحروف، والنظم بحسب خلقته هو، فتكون هذه الأحرف مخلوقة!!.

هذه أقوال الفلاسفة البحتة، وقد تأثر بهم من درس في مدارسهم، ونهج مناهجهم، ولو كان له مذهب آخر، فقد صار على درب الفلاسفة في القول بالفيض الصوفية الغلاة.

يقول ابن عربي الطائي مبينا وقت الفيض، وأنه يكون بعد أن يتحقق بأن الوجود واحد[(٥)]: «وهذا هو الاستعداد العزيز المطلوب، الذي لم يقدر عليه أكثر

---

(١) مناهج الأدلة لابن رشد ص ٧٢، فابن رشد يرى أن الكلام الذي فاض ليس بمخلوق، وأما اللفظ الدال عليه فهو مخلوق، وهذا هو عين كلام الأشعرية كما سيأتي وهو بأسلوب آخر، مع أنه يَرُدُّ عليهم، ولكن لعل ذلك الرد لكونهم فضحوا ما قال به الفلاسفة من أن ما أتى به الأنبياء محض تخييل!! والذي يقول عنه ابن رشد وأضرابه أنه أصلح للعامة!!!، وابن رشد يختلف عن الفلاسفة الصوفية من حيث إنّه وإن كان يرى الفيض إلا أنه يصرح بأن ألفاظ كلام الله مخلوقة، وأن ألفاظ القرآن مخلوقة!!، وإن كان معناه غير مخلوق!!، وأما أولئك فلا يصرحون.

(٢)مناهج الأدلة لابن رشد ص ٧٢-٧٣.

(٣) مناهج الأدلة لابن رشد ص ٧٢-٧٣.

(٤) مناهج الأدلة لابن رشد ص ١٢٣.

(٥) وابن عربي الطائي هو من القائلين بوحدة الوجود، وقد يكون له كلام يخالف الاتحادية، والحلولية، ويرد =

العقلاء، حتى أنكره بعضهم، أعني أنكر أن يكون له نتيجة، وأقر بها بعضهم، وسماها: الفيض، والروح، لكن عجزوا عن التوصل إليها لغلبة الفكر»[(١)]. إذا عند هؤلاء أصحاب الفلسفة الصوفية من أصحاب وحدة الوجود: «النبوة والرسالة فيض إلهي، واصطفاء رباني»[(٢)].

فإن قيل: هذا الذي فاض على النفس الزكية هل هو مخلوق أم لا؟ فإن الفلاسفة بحسب مدارسهم يختلفون في الجواب، ويفترقون كالمعتاد، على حسب أصولهم، ولم أقف على تصريح لهم في هذا، إلا أن منهم من يُخَرَّجُ قولُه أنه سيقول: لا مخلوق، ولا ليس بمخلوق، لقولهم بنفي النقيضين، ومنهم من يقول: بأن ما فاض كلام نفسي غير مخلوق، وما دل عليه من الأحرف فهو مخلوق[(٣)]، ومنهم من يقول بالحلول[(٤)].

ولهذا يقول ابن رشد مصرحا بمؤدى القول بالفيض: «تبين لك أن القرآن الذي هو كلام الله قديم، وأن اللفظ الدال عليه مخلوق له سبحانه، لا لبشر»[(٥)].

والقول بالفيض هو مذهب جمهور فلاسفة الصوفية كالغزالي، وهو رأي فلاسفة المتكلمة كالرازي، ومن القائلين به طائفة من الملاحدة الباطنية: متشيعهم ومتصوفهم[(٦)].

عليهم، فيظن من لا يتروي أنه لا يقول بهذه المذاهب الهدامة، وهو إنما ينكر على تيك الطائفتين، لمخالفتها له في معتقد الوحدة، وهو غارق في وحدة الوجود حتى العظم.

(١) التراجم لابن عربي الطائي ص ١، و انظر: أخبار جلال الدين الرومي ص ٣١٢، والرازي يرى في المباحث المشرقية هذا الرأي، وهو أن النفس يمكن أن تكون مستعدة للفيض إذا صفت عن الأكدار!!!، انظر: المباحث المشرقية ٢/ ٤٣٣-٤٣٤.

(٢) العقيدة الإسلامية وأسسها لعبد الرحمن حبنكة ٢/ ٤٢.

(٣) وهذا ما صرح به ابن رشد، وانظر: درء تعارض العقل والنقل ١٠/ ٢١٠، ٢١٤.

(٤) وهذا ما صرح به فلاسفة المتصوفة، كما ستراه في المبحث الثاني من هذا الفصل.

(٥) مناهج الأدلة لابن رشد ص ٧٣.

(٦) انظر: منهاج السنة ٢/ ٣٦٢، وهؤلاء يقولون بالفيض في بعض كتبهم.

خامسا: شبههم والرد عليها.

ولهم شبه في القول بالفيض في كلام الله ﷻ، وأن القرآن فيضٌ على محمد ﷺ، وأذكر هذه الشبه سواء كانت من فلاسفة الصوفية[(١)]، أم من الفلاسفة أنفسهم، ومن هذه الشبه:

الشبهة الأولى: قالوا بالفيض دون إثبات صفة قائمة بذات الرب ﷻ، أو صفة منفصلة عنه، لكونهم يرون في الصفات سلب النقيضين، فيقولون: أحكام الصفات لا سبيل للتعرض لها، لا نفيا، ولا إثباتا، فهم ينفون عنه قيام صفاته بذاته، وينفون عنه عدم ذلك!![(٢)] ويقولون: «التوحيد: إثبات الواحد من غير مشاركة في وصف، ولا نعت، ومنهم من قال: التوحيد: إثبات عين بلا وصف، ولا نعت»[(٣)]. ويقولون عن الصفات: «لا موجودة، ولا معدومة!!، ولا محدثة، ولا قديمة!!، ولكنها في القديم قديمة!!، وفي المحدث محدثة تعقل، ولا توجد بذاتها!!»[(٤)].

ويقول فيلسوفهم: «إن العقول تعرف الله من حيث كونه موجودا، ومن حيث السلب لا من حيث الإثبات»[(٥)].

وهذا عين ما قرره ابن سينا، من أن الله: «هو الوجود المطلق بشرط الإطلاق»[(٦)]، «وليس له عندهم صفة ثبوتية تقوم به، ولا يفعل شيئا باختياره البتة،... ولا له كلام يقوم به»[(٧)].

والجواب عن هذه الشبهة من وجوه:

١- أن لهم كلاما مناقضا لهذا المعتقد من حيث إثباتهم للأسماء وبعض

---

(١) وأما ما يتعلق بشبههم في القول بالحلول في مسألة الكلام، فأذكرها مع الرد عليها في المبحث التالي.

(٢) انظر: الجلالة لابن عربي الطائي ص١١.

(٣) الإعلام بإشارات أهل الإلهام لابن عربي الطائي ص٤.

(٤) الأزل لابن عربي الطائي ص٩.

(٥) رسالة ابن عربي الطائي للرازي ص٢.

(٦) ذكره ابن الجوزي كما في كيد الشيطان ص٨٠.

(٧) كيد الشيطان لابن الجوزي ص٨٠.

الصفات، كما يقول ابن عربي الطائي في "رسالة لا يعول عليها": «المعرفة بالله معرَّاة من الأسماء الإلهية، لا يعول عليها»[(١)]، ويقول: «تنزيه الحق مطلقا عن صفات الخلق لا يعول عليه، فإنه يؤدي إلى نفي ما أثبته، ورفعه»[(٢)]. فمرة ينفون، ومرة يثبتون، ومرة لا، ولا!!!، فهؤلاء القوم من أشد الناس تناقضا[(٣)]، ويكفيهم ضلالا، تقلباتهم في معتقداتهم، وعدم ثباتهم في أقوالهم، أما أهل السنة من السلف والخلف فهم ثابتون على ما ورد من الكتاب، ومعتقدون بما جاء في السنة من الصواب.

٢- كذلك قولهم: بأن الله هو الوجود المطلق بشرط الإطلاق هذا في حد ذاته وصف، وهم لا يثبتون الصفات، فكفاهم بهذا تناقضا.

٣- **كونهم لم يثبتوا الصفات، ولا نفوها**: يلزم منه العدم، إذ سلب النقيضين عدم، والعدم نفي محض، ليس فيه مدح، وأنقل الكلام الذي قرره الفيلسوف الصوفي ابن عربي الطائي فهو يصلح ردا عليه، وعلى أمثاله، إذ يقول: «ويلزمكم شناعة، وهو: أنكم نعتم الباري بالعدم، والعدم لا ينعت به، وهو محال على الله»[(٤)].

٤- **أن نفي النقيضين** عدم محض، وخيال مقدر في الذهن، ولا حقيقة له في الخارج، وهذا قول الملاحدة، المنكرين للرب ﷻ[(٥)].

٥- **أن** قيام الصفة في العبد المخلوق يعني أنها صفته، سواء اكتسبها بفيض، أو منام، فهذا يعني أن الله لم يتكلم، وليس القرآن كلام الله، وهذا يكفيهم ضلالا، ويتبين ضلالهم أكثر إذا علمنا أنهم يعلمون أن نفي الصفة عن محل، وإثباتها في محل آخر، يعني قيام تلك الصفة في المحل القائم به، إذ المعاني إنما تجب أحكامها بمن قامت به[(٦)]. ومع هذا الذي قرروه فإنهم ينعتون الباري بنفي النقيضين، وبنفي قيام صفة الكلام به

---

(١) ص٣.

(٢) لا يعول عليه لابن عربي الطائي ص٤.

(٣) انظر: درء تعارض العقل والنقل ١٠/ ٢١٥، المجموع ١١/ ٦٠٦.

(٤) الأزل لابن عربي الطائي ص٣.

(٥) انظر: كيد الشيطان ص٨٠.

(٦) الأزل لابن عربي الطائي ص٤.

إلا على وجه لا اختيار له فيه، كما يفيض الماء في الوادي من غير اختيار منه.

٦- أن قيام صفة الكلام بالباري من غير مشيئة منه، فيه تشبيه له بالمخلوقات التي لا إرادة لها[(١)]، وتشبيه لصفته بالصفات التي تكون من غير إرادة، وهذا نقص وعيب، يجب نفيه عن الله ﷻ بلا ريب، فمثلا: الوجه يدل على الخجل إذا كان محمرا، وعلى الوجل والخوف إذا كان مصفرا، وذلك يكون من دون اختيار، فتشبيه صفة الكلام بأنه من غير اختيار كهذا تشبيه سيء، ومعلوم أن الله ﷻ إنما يكون منه الكلام اختيارا، ويسمعه من يشاء اختيارا، ويمنعه عمن يشاء اختيارا، فلا وجه إذاً للفيض في كلام الله ﷻ[(٢)]، ثم إن أساطين الفلاسفة «متفقون على إثبات الصفات، والأفعال الاختيارية له تعالى»[(٣)]، وإنما القول بنفي إرادته في أفعاله وأقواله، ونفي صفاته وأسماءه ناشئ من قول أرسطو ومن تبعه[(٤)].

٧- أن إثبات صفة الكلام لله ﷻ، والقول بأنه فيض، يشبه كلام القدرية، المثبتين لله ﷻ القدرة، وينفون عنه الاختيار في قدرة العبد، ويقولون: لا مشيئة نافذة لله ﷻ في أفعال العباد[(٥)].

الشبهة الثانية: من شبهاتهم في القول بالفيض: أنه لا يلزم من المتكلم أن يكون له كلام بصوت وحرف، كما يقول رئيسهم ابن عربي: «ليس الناطق من كلمك بصوته وحرفه!!، وإنما الناطق من كان في قوته أن يوصل إليك ما عنده من المعاني، ولا تقل على هذا: إن الوجود بذا الاعتبار ناطق! هذا فهمك، لا نطقه، **والذي قلناه نطقه!!!**»[(٦)].

والجواب:

١- أنه يلزم من هذا أن الأخرس إذا استطاع أن يوصل المعلومة إلى المتكلمين

---

(١) انظر: شرح الأصبهانية ص٢٤١.
(٢) انظر: درء تعارض العقل والنقل ١٠/ ٢٠١.
(٣) كيد الشيطان لنفسه قبل خلق آدم عليه السلام ص٧٧.
(٤) انظر: كيد الشيطان لابن الجوزي ص٧٦-٧٨.
(٥) انظر: درء تعارض العقل والنقل ١٠/ ٢٠١.
(٦) التراجم لابن عربي الطائي ص ٢٩.

بإشارة ونحوها: أنه متكلم!!، وإن تكلم عنه فلان وعلان!!.

٢- أن الكلام من غير صوت وحرف، هو الكلام النفسي، فكيف يفيض حينئذ، وهو نفسي لا يدرك، ولا يعرف؟؟.

٣- أين في الكتاب والسنة ما يدل على أن الله يتكلم بلا صوت ولا حرف؟؟، وأن هذا نطقه؟؟، بل الكتاب والسنة، والشرائع كلها تدل على أن الله متكلم بصوت وحرف[١].

٤- أن الذي يفيض على النفوس كل واحد يدرك أنه من جنس الخيال، الذي يكون في البال، أو في المنام مع الانشغال بالحال، وأما القرآن فهو كلام الله فوق البيان، الذي لا يشبه كلام العقلاء من ذوي الأسنان، فكيف يشبه بالهذيان، الذي يكون من جنس كلام الكهان.

٥- أن مما يدل على بطلان قولهم بالفيض: اختلافهم في تحديد المكان الذي يفيض منه هذا الكلام لو كان كذلك!!، فتارة يقولون: هو يفيض من العقل الفعال، وتارة يقولون: هو فيض من الأفلاك، ثم يختلفون في تحديد هذا الفلك، هل هو العاشر، أم هو...!! وقولهم بإثبات العقول العشرة أساسا باطل وضلال، لم يعرفه إلا الفلاسفة أهل الإلحاد والانحلال[٢].

٦- أن الكلام الذي جاء في القرآن، لا يشبهه كلام إنس ولا جان، فكيف يكون هذيانا من الخيال؟؟، أم كيف يكون إدراكا من غير مقال.

الشبهة الثالثة: من شبهاتهم: ما يذكره ابن عربي الطائي الوجودي حيث يقول: «فأما كونه لا يزال ينـزل على قلوب العباد، لما قام الدليل على استحالة إقامة العرض زمانين[٣]، وقام الدليل على استحالة انتقاله من محل إلى محل، وأن حفظ زيد لا ينتقل إلى

---

(١) ذكرت الأدلة على أن الله يتكلم بصوت وحرف، في الفصل الأول من الباب الأول.

(٢) انظر: الصفدية ١/ ٩، ٢/ ٢٥٢، المجموع ١٢/ ٤٢.

(٣) ويقولون في تعريف العرض: الموجود الذي يحتاج في وجوده إلى محل يقوم به، كاللون المحتاج في وجوده إلى

عمرو، فعند ما تسمع الأذن الملقن يلقى الآية عليها: **أنزلها الله على قلبه فوعاها، فإن كان الملقن في شغل عاد الملقن فعاد الإنزال، فالقرآن لا يزال منـزلا أبدا، فلو قال إنسان: أنزل الله عليّ القرآن لم يكن كاذبا، فإن القرآن لا يزال يسافر إلى قلوب الحافظين له »**[1].

والجواب:

١- يكفي هذا القول عارا وشنارا، أنه يؤدي إلى أن كل واحد من آحاد الأمة سيزعم أن القرآن أنزل عليه، وأنه رسول يوحى إليه!!.

٢- أن انتقال العرض في ذات من محل إلى محل ليس بصواب، على ما ذكر هو في الجواب، ولكن نزول القرآن على نبينا ﷺ ليس هو انتقال عرض من مكان إلى مكان، بل هو كالعلم يتعلم، ويكتب، فالعلم لا يزال يكون عند فلان ثم يعلم آخر، ولا ينتقل علمه بحيث يصبح جاهلا، فالكلام لا ينتقل من محل إلى محل، إلا من حيث وسيلة الأداء، فتارة مكتوب، وتارة مسموع، وتارة مقروء، والكلام هو الكلام، لم يتغير بتغير الوسائل فدل على أنه لا ينتقل، ولا يكون ملازما للنـزول، وكيف يكون ينـزل ـ ولا يزال ينزل ـ وقد نزل على النبي ﷺ، وإنما العباد يتعلمون ما نزل، ويقرؤون ما نزل، و ليس في ذلك أي استحالة.

٣- إذا كان القرآن لا يزال ينـزل عند قراءة كل قارئ فأي اختصاص لمحمد ﷺ في نزوله عليه؟؟.

٤- أن هذا القول يلزم منه أن من أخطأ في التلاوة يكون المنـزل نزل خطأ!! وهذا معلوم بطلانه، فدل فساد اللازم على فساد الملزوم.

الشبهة الرابعة: ومن شبههم: أنهم شبهوا صفة الكلام بالعلم تماما، كما هو واضح من كلام الفلسفي المتكلم ابن رشد[2].

= محل يقوم به، والزمان: هو الوقت، ويعنون بقولهم: يستحيل وجود العرض في زمانين، أي: يستحيل أن يوجد كلام: (وهو عرض) في زمانين، زمن التكلم وزمن آخر. انظر: التعريفات للجرجاني ص١١٤، ١٤٨.

(١) الإسفار عن نتائج الأسفار لابن عربي الطائي ص١٦.

(٢) انظر: فصل المقال له ص٤٢.

والجواب:

١ - أن تشبيه الكلام بالعلم من كل وجه يعني أنه هو، ويلزم منه نفي الكلام، وفساد اللازم يدل على فساد الملزوم.

٢- يلزم من هذا أن كل من علَّمه الله شيئا أن يكون قد كلمه الله ﷻ، وهذا معلوم البطلان، وينكره كل ذي لب فهمان[(١)].

٣- أن القرآن ليس هو علم الله ﷻ بدليل أن من علم القرآن، وحفظه، فإنه لا يكون عالما بكل علم الله ﷻ، بل القرآن من علم الله، والكلام من العلم، ويكون بعلم[(٢)].

الشبهة الخامسة: أن الإيحاء عندهم هو الفيض، وهذا يعني أنه لا فرق بينهما!![(٣)].

والجواب:

١ - أن الإيحاء إذا كان هو الكلام، يلزم منه أن الله ﷻ يكون كلم النحلة، لأنه قال: ﴿ وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى ٱلنَّحْلِ أَنِ ٱتَّخِذِى مِنَ ٱلْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ ٱلشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ ﴾ [النحل:٦٨]، وهذا لم يقل به أحد من السلف، ولا من الخلف.

٢ - أن الإيحاء قد يكون بمعنى الأمر بالتزام ما أوحي ونُزِّل، كما قال ﷻ: ﴿ وَإِذْ أَوْحَيْتُ إِلَى ٱلْحَوَارِيِّـۧنَ أَنْ ءَامِنُواْ بِى وَبِرَسُولِى قَالُوٓاْ ءَامَنَّا وَٱشْهَدْ بِأَنَّنَا مُسْلِمُونَ ﴾ [المائدة:١١١] فالإيحاء قد يكون بمعنى الإعلام بأي طريق كان، وليس مقصورا على الكلام، ولا الكلام من جنسه[(٤)].

٣- أن كلام الله ﷻ إذا كان هو إيحاء علميا، فما هو وجه تخصيص موسى بالتكليم، وقد وردت نصوص من الكتاب والسنة تدل على أن الله ﷻ، أوحى إلى أنبيائه، لا بوحي مجرد هو إعلام، ولكن بوحي يكون بواسطة أو بلا واسطة فيه كلام،

---

(١) انظر: درء تعارض العقل والنقل ١٠/ ٢٠١.

(٢) انظر: درء تعارض العقل والنقل ١٠/ ٢١٥.

(٣) وهذا الذي دندن حوله ابن رشد، انظر كلامه حول هذه المسألة في مناهج الأدلة ص٧٢-٧٣، ١٢٣.

(٤) انظر: درء تعارض العقل والنقل ١٠/ ٢٠٣.

هو أمر ونهي[(١)]، ومن تلكم الأدلة، قوله ﷻ: ﴿ إِنَّآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ كَمَآ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰ نُوحٍ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ مِنۢ بَعْدِهِۦ ۚ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْمَـٰعِيلَ وَإِسْحَـٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ وَعِيسَىٰ وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَـٰرُونَ وَسُلَيْمَـٰنَ ۚ وَءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ زَبُورًا ﴿١٦٣﴾ وَرُسُلًا قَدْ قَصَصْنَـٰهُمْ عَلَيْكَ مِن قَبْلُ وَرُسُلًا لَّمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ ۚ وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا ﴾[النساء:١٦٣-١٦٤]، وقال: ﴿ تِلْكَ ٱلرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۘ مِّنْهُم مَّن كَلَّمَ ٱللَّهُ ﴾[البقرة:٢٥٣] وقال: ﴿ وَلَمَّا جَآءَ مُوسَىٰ لِمِيقَـٰتِنَا وَكَلَّمَهُۥ رَبُّهُۥ قَالَ رَبِّ أَرِنِىٓ أَنظُرْ إِلَيْكَ ۚ قَالَ لَن تَرَىٰنِى وَلَـٰكِنِ ٱنظُرْ إِلَى ٱلْجَبَلِ فَإِنِ ٱسْتَقَرَّ مَكَانَهُۥ فَسَوْفَ تَرَىٰنِى ۚ فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُۥ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقًا ۚ فَلَمَّآ أَفَاقَ قَالَ سُبْحَـٰنَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٤٣﴾ قَالَ يَـٰمُوسَىٰٓ إِنِّى ٱصْطَفَيْتُكَ عَلَى ٱلنَّاسِ بِرِسَـٰلَـٰتِى وَبِكَلَـٰمِى فَخُذْ مَآ ءَاتَيْتُكَ وَكُن مِّنَ ٱلشَّـٰكِرِينَ ﴾[الأعراف:١٤٣-١٤٤] فهذه الآيات صريحة في أن الله يصطفي من يشاء فيكلمه، ومنهم كليمه موسى، وأما إذا كان المراد هو حدوث الأصوات في نفس المكلَّم فهذا يحصل لآحاد الناس فيسمعون في أنفسهم هتافات، ونداءات فيكونوا مشاركين إذاً مع كليم الله موسى في الإيحاء، فضلا عن الأنبياء[(٢)].

٤- أن قوله ﷻ: ﴿ وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ ٱللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِن وَرَآئِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِىَ بِإِذْنِهِۦ مَا يَشَآءُ ۚ إِنَّهُۥ عَلِىٌّ حَكِيمٌ ﴾[الشورى:٥١] « يقتضي أن التكليم من وراء حجاب نوعٌ غير الوحي، وأن المكلَّم بذلك محجوب أن يرى الله، لأن التكليم المسموع قد يكون من وراء حجاب، كموسى إذ سمع كلام الله، أو يكون كلاما بدون حجاب، كما جاء في الحديث: [**ليقفن أحدكم بين يدي الله، ليس بينه وبينه حجاب، ولا ترجمان يترجم له**][(٣)] **فلو كان الكلام المسموع هو شيئا قائما بالمستمع، لا وجود له في الخارج، لكان من جنس الوحي الذي لا يحسن أن يقال معه: من وراء حجاب، فإن**

---

(١) انظر: درء تعارض العقل والنقل ١٠/ ٢١١.

(٢) انظر: درء تعارض العقل والنقل ١٠/ ٢١٢.

(٣) رواه البخاري، كتاب الزكاة، باب: الصدقة قبل الرد، ح(١٤١٣)، ومسلم، كتاب الزكاة، باب: الحث على الصدقة...، ح(١٠١٦)، كلاهما عن عدي بن حاتم ﷺ، واللفظ للبخاري.

صاحب هذا لم يسمع شيئا منفصلا عنه يمكن مشاهدة المتكلم به تارة، وحجب المستمع عنه أخرى»[١].

٥- أنهم لم يقيموا دليلا معقولا، ولا منقولا على هذه الدعوى، إلا مجرد أقوال مبنية مسبقا، على نتائج لمقدمات فاسدة[٢].

٦- أن من اطلع على أقوالهم في مسائل الاعتقاد يعرف بعدهم عن الدين وأنهم ليسوا أهلا للاعتماد، فالفلاسفة يقولون: بأن الرسول يأخذ من الخيال!!، وأن اللوح والقلم وجبريل صور في نفس النبي!!، وأن الله لا يعلم الجزئيات!!، وأن المعاد ليس على حقيقته، بل هو خيال!!، فمن اطلع على هذه العقائد التي صرحوا بها في كتبهم، تيقن بأن القوم لا علم لهم بالشرعيات، وأنهم فيه من أهل الترهات[٣].

٧- من الأدلة على بطلان قولهم: ما يلزم على قولهم من اللوازم الفاسدة، لأن من نفى أن يكون هناك كلام حقيقي من الله ﷻ لرسله، لزم منه نفي النبوة، ونفي نزول الملك بالوحي!![٤].

٨- مما يدل على شناعة أقوالهم وبعدهم عن هدي القرآن، أنهم يقولون: بأن القرآن جاء بالتخييل!!، وليس كل ما فيه حقيقة، بل ويقولون: إن هذا التخييل لمصلحة الجمهور عامة الناس!!، وأما الخواص فحقهم التأويل!![٥].

٩- مما يدل على بطلان قولهم هذا، أنهم جعلوا من أنفسهم عدلاء كالأنبياء، يمكنهم الإدراك من اللوح المحفوظ، ويسمونها النفس الفلكية، والاطّلاع على

(١) درء تعارض العقل والنقل ١٠/ ٢١٣.

(٢) انظر: درء تعارض العقل والنقل ١٠/ ٢١٦.

(٣) انظر: درء تعارض العقل والنقل ١/ ٨، ١٠/ ٢٠٦، الجواب الصحيح ٥/ ٣٤٤، ٣/ ٣١١، منهاج السنة ٢/ ٣٥٩، ٣٦٢، ٤١٥، الرد على المنطقيين ص ٢٧٧، شرح الأصبهانية ص٤١٣، المجموع ٦/ ٥٤٠، ٧/ ٦٦١ وما بعدها، ١٠/ ٢٣٢، ١٢/ ١٤-٢٩، ١٥/ ٢٢٢، ٣٩٩، لباب العقول ص ٢٥٧.

(٤) انظر: منهاج السنة ٢/ ٤١٥-٤٣٥، ٤١٦، الرد على المنطقيين ص ٤٤٤، ٤٨٦، الصفدية ٢/ ٢٢٧.

(٥) انظر: منهاج السنة ٥/ ٤٣٣، الرد على المنطقيين ص ٢٧٧-٢٧٨، ٤٧١، المجموع ٢/ ٤٩، ١٢/ ٣٠.

الغيب!!، عن طريق العقل الفياض!![1].

فبعد هذا يتبين بجلاء أن من ادعى أنه يُفاض عليه، أو أن موسى سمع شيئا في نفسه، أنه ما أعطاه الاختصاص الذي أعطاه الله إياه، وهذا ليس هو بالتكليم الحقيقي الذي خص به موسى، بل ليس هو التكليم الحقيقي عند أحد من الأمم، ولا يعقل أحد في التكليم هذا، وإنما هذا من جنس المنامات، وغايته أن يكون من جنس الإيحاء، والإنسان قد يرى في منامه أن الله خاطبه بكلام كثير يسمعه، فإن كان هذا كلاما حقيقيّا لله، فما أكثر الكلام الحقيقي لله!!، وما أكثر تكليمه بكلام حقيقي لآحاد الناس!![2].

قال شيخ الإسلام ﷺ: «وكما أن إخباره عن أمور الغيب يدل على نبوته، فإنه يدل على أن النبوة إنباء من الله، ليس ذلك كما يقوله بعض المتفلسفة، كابن سينا، وأمثاله: إنه فيض فاض عليه من النفس الفلكية، أو العقل الفعال، ويقولون: إن النفس أو العقل، هو اللوح المحفوظ، وأن من اتصلت نفسه به علم ما علمته الأنبياء!!!، ويقولون: النبوة مكتسبة؛ لأن هذه صفتها، ويقولون: إن سبب علمه بالغيب هو اتصال نفسه بالنفس الفلكية، وزعموا: أنها اللوح المحفوظ، وأن تحريكها للفلك هو سبب حدوث الحوادث في الأرض!!»[3]. فهذا خلاصة قول هؤلاء أصحاب الفيوض!!، وهو أن المالك القادر لهذا الوجود، عندهم ليس من أهل الكلام والجود[4].

والقول بالفيض يلزم منه أن كل ما يخطر بالفكر، ويتكلم به الإنسان بلسان الذكر أن يكون كلاما لله ﷻ، وهذا الذي التزمه الصوفية الغلاة، والقائلون بالحلول في كلام الله، وأبينه في المبحث الآتي.

---

(١) انظر: الرد على المنطقيين ص ٤٧٤-٤٧٥، الصفدية ١/ ٢٤٩-٢٥٠.

(٢) انظر: درء تعارض العقل والنقل ١٠/ ٢١٣.

(٣) الجواب الصحيح ٥/ ٣٤٤.

(٤) انظر: الصفدية ٢/ ٦١، المجموع ١٢/ ٢٩.

المبحث الثاني: القول بالحلول في القرآن

ولتجلية هذه المسألة أذكر أمورا على سبيل التوضيح والتبيين، وهي:

أولا: معنى الحلول.

الحلول في اللغة مصدر من (حَلّ)، ومعناه في الأصل: فتح الشيء، قال ابن فارس رحمه الله: «الحاء، واللام له فروع كثيرة، ومسائل، وأصلها كلها عندي: فتح الشيء، لا يُشذ عنه، يقال: حللت العُقدة أحلها حلا»(١).

فحل بمعنى: فتحت عقده بعد ما كان مشدودا، ومسائله كثيرة، ومن هذا الباب: حل فلان في كذا أي نزل؛ «لأن المسافر يشُد ويعقد»(٢)، فينـزل في محلة كذا وكذا.

فمن معاني الحلول في اللغة النـزول، وإذا كان كذلك؛ فإن القرآن على هذا المعنى يصح أن يقال عنه: إنه حل في الأرض؛ لأنه نزل من رب العزة جل وعلا، وحل في مصاحف المسلمين؛ لأنه بكتابتها صار نازلا فيها، وحل في القلوب، إذا حفظ.

وليس في اللغة أن الحلول معناه أن يصير الشيئان شيئا واحدا، وإنما تأتي حل بمعنى نزل، ويمعنى البدلية أي: حل فلان مكان فلان حلولا، إذا نزل عنده أو مكانه(٣).

وحل الشيء في كذا إذا نزل فيه، فإن في لا تفيد الظرفية مطلقا، بل تكون في كل موضع بحسبه، فحرف "في" التي يسميها النحاة ظرفا، يستعمل في كل موضع بحسب المعنى المناسب لذلك الموضع(٤).

---

(١) مقاييس اللغة ص ٢٤٦، وانظر: المفردات للراغب ص ١٣٥، لسان العرب ٣/ ٣٠٠.

(٢) مقاييس اللغة ص ٢٤٦، وانظر: المفردات للراغب ص ١٣٥، لسان العرب ٣/ ٢٩٥.

(٣) انظر: المصباح المنير ص١٤٧، لسان العرب ٣/ ٢٩٥.

(٤) انظر: الانتصار للعمراني ٢/ ٥٩٤-٥٩٥، الجواب الصحيح ٤/ ٣٣٠، المجموع ١٢/ ٣٩٠.

ومعنى قول القائلين بالحلول في القرآن هو: أن الذي نسمعه هو صوت الخالق!!!، فصار صوت الخالق عند هؤلاء مكان صوت العبد، أو أن الصوتين: صوت الرب، وصوت العبد صارا واحدا[١].

ومن قال بهذا القول فإنه يسمى اتحاديا، وهو مذهب الحلولية، وأهل الوحدة[٢].

ثانيا: سبب القول بالحلول في مسألة القرآن الكريم.

لما نشأت الجهمية والمعتزلة القائلون بأن القرآن مخلوق، وكان من أسباب نشأتهم ظنهم أن المؤدي لهذا الكلام وهو العبد مخلوق فيكون المؤدى مخلوقا، فنظروا إلى الوسائط دون النظر إلى المقول والمتكلم به، ونشأ أقوام يردون عليهم بحق وباطل وقالوا: إن من قرأ القرآن فإن الصوت المسموع منه يكون هو صوت الرب، وذلك لأنهم نظروا إلى أن الكلام كلام الله، فظنوا أنه مادام كلام الله فيكون الصوت صوته، ولو أداه الوسائط، فأغفل الوسائط التي بها نسمع كلام الله، فكان سبب ضلال الفرقتين ضلالهم في عدم الفرق بين الكلام إذا سمع من المتكلم مباشرة، وإذا سمع بواسطة.

وكان هناك أقوام آخرون نشأ عندهم القول بالحلول، بناء على آراء فلسفية، وكشوفات صوفية، فهؤلاء أصل منشأ ضلالهم: القول بالحلول، أو القول بوحدة الوجود، أو القول بالاتحاد.

ثالثا: أقوال المتقولين بأن القرآن يحل في المخلوقين.

والقائلون بالحلول يمكن أن يقسموا إلى صنفين، مع ذكر أقوالهم:

القسم الأول: من قال بحلول صوت الرب في العبد، لاعتقاد أن الرب حل في العبد!!، أو اتحد به!!، أو لاعتقاد وحدة الوجود!!.

وهو قول الصوفية الحلولية، وأهل وحدة الوجود، والاتحادية، كابن سبعين،

---

(١) انظر: المجموع ١٢/ ٧٩

(٢) انظر: المجموع ١٢/ ٥٩٤.

والفارابي، وابن عربي الطائي، والقونوي، ومن نحا نحوهم[١].

قال ابن عربي: « ومنهم من قال: من سمعه سمع كل شيء...، ومنهم من قال: من سمعه في شيء، ولم يسمعه في شيء، فما سمعه »[٢]، فما ثم متكلم إلا هو!!![٣] وقال: « ومنهم من قال: إنه سمعه يقرأ الكتب المنزلة، و الصحف، وكل كلام ظهر من العالم بلسان واحد، ومنهم من قال: سمعت الآذان عبارات محمد ﷺ، وسمع السمع كلام الحق ﷻ، ومنهم من قال: العبارات والدلالات للتوصل والكلام وراء ذلك، والسمع يتبع الكلام،فالسمع وراء ذلك كله »[٤]، وقال: « لا لسان يتميز، بل الألسنة كلها لسانه!!، فخطابه كله إليه منه!! »[٥] وسموا هذا توحيداً، فقالوا في تعريفه: « التوحيد: أنا، والمتكلم: الحق »[٦]، ويقول: « يجب على الإنسان استعمال الذكر المنسوب إلى الحق، وهو القرآن، وانظر: بأي لسان تتلوه فإن السكينة تنزل بالقرآن بحسب الألسنة »[٧].

ويرون أن الارتباط بين الرب و بين العبد لم يزل ولا يزال، فكل ما ظهر من المحدَث فهو من المحدِث، وعلى هذا فكلامه إذا ظهر فإنما هو قديم ظهر على لسان المحدَث، يقول ابن عربي: « إنما هو ارتباط محدَث بقديم، أو ممكن بواجب، أو واجب وجود بغير واجب الوجود بذاته ليس إلا »[٨].

ويقول شاعرهم وفيلسوفهم ابن عربي الطائي:

أنا القرآن والسبع المثاني ... وروح الروح لا روح الأواني

فؤادي عند معلوم مقيم ... أشاهده و عندكم لساني[٩]

---

(١) انظر: منهاج السنة ٨/ ٥٥.

(٢) الإعلام بإشارات أهل الإلهام لابن عربي ص٣.

(٣) انظر: الإعلام بإشارات أهل الإلهام لابن عربي ص٣.

(٤) الإعلام بإشارات أهل الإلهام لابن عربي ص٣.

(٥) الإعلام بإشارات أهل الإلهام لابن عربي ص٤.

(٦) الإعلام بإشارات أهل الإلهام لابن عربي ص٤.

(٧) التراجم لابن عربي ص٢٥.

(٨) الأزل لابن عربي ص٧.

(٩) الإسراء إلى مقام الأسرى لابن عربي ص ٤.

ويقول:

وكـذا الحيـاة وقدرتـي والذات ذاتـك أدعـي
والقول قولـك و الإرا دة مثـلـه فَتَطَلَّع[(١)]

ولأنهم يرون: أن كل كلام في الوجود كلامه، ولا يرون أن ثم متكلّما مخصوصا، و لا ثم مخصوص بالكلام، بل عندهم يمكن لكل أحد أن يكون متكلِّماً ومُكلَّماً، قال ابن عربي: «ثم قال لي يا عبدي[(٢)]: لا تحد حد الكلام؛ فإنني المكلِّم والمكلَّم، ومني الكلام، فلا يحمل الكلام سواي»[(٣)].

وعندهم أن كل عارف يمكن أن يكون مخاطَباً بالواد المقدس، كما يقول شاعرهم:

خلعت نعلي بواد العلى و جئت بالباء لميعـاد...
وقلت بالعلم لهم مُفْصِحاً أخاطب الحاضر والباد[(٤)]

ولهذا صرح بعض غلاتهم بصحة الصلاة لو قرأ فيه شيء من أبيات الشعر، بناء على قولهم الفاسد، بأن كل كلام في الوجود كلامه[(٥)].

---

(١) الإسراء إلى مقام الأسرى لابن عربي ص ٦٨.

(٢) وهذا صريح منه بأنه يرى الوحي، وأنه يوحى إليه!!.

(٣) الإسراء إلى مقام الأسرى لابن عربي ص ٥٣.

(٤) الإسراء إلى مقام الأسرى لابن عربي الطائي ص١٠-١١، وانظر منه: ص ٣٦، حيث يقول:

واعكف بشاطئ واد القدس مرتقبا واخلع نعليك تحظى بالمناجاة!!!

فالقوم بعد أن ادعوا الاتحاد والحلول مع الرب!!! ـ تعالى الله عما يقولون علوا كبيرا ـ يريدون أن يثبتوا أنهم هم المرسِلون، وهم المرسَلين!!!، حتى تجتمع عندهم المتناقضات، وتظهر عندهم الكفريات، ولا يبقى في شك من أمرهم من لا يعرف الخبايا من مثل هذه المقالات، والحمد لله على الإسلام والسنة ونسأل الله الثبات.

(٥) وتمام الخبر: أن الملا جامي لما قدم قونية على أحفاد الجلال الرومي، تقدم أحد المريدين وصلى: فقال في الركعة الأولى أبياتا من المثنوي معناها: أتدري ما فعلتَ بفؤادي الجريح، أتدري؟ أريتني محياك، فعدتُ أعبد النار، وقرأ في الثانية وهو يجهر بها كذلك: أيا حمامة إن كنت قد أزمعت رحيلا من سطح قصر تلك الحورية، فخذي إليها ما أكتبه بدماء القلب هذا، فسأل أحدهم الجامي: أصحت الصلاة؟؟ فقال: إن كان المأموم مثلي والإمام مثل الجلبي حسام، فقد صحت، وانتهى الأمر. عبد الباقي كولبينارلي: المولوية بعد مولانا ص ٢١٨، نقلا عن كتاب أخبار جلال الدين الرومي ص٣٧٢-٣٧٣.

وربما يصرحون: بأن القرآن قديم في القديم، ومحدث في المحدثين، كما يقول ابن عربي في بيان الصفات: « ولكنها في القديم قديمة، وفي المحدَث محدثة، تعقل ولا توجد بذاتها »[١].

وإذا كان ليس ثم مكلِّم و مكلَّم، إذاً ليس ثم موحي، ولا ثم وحي، ولا موحى إليه، ولهذا صرح ابن عربي بأن القرآن من نظم العبد، وهو الرب بزعمه!! فيقول: « عبدي أَعْطَتْكَ القوافي زمامها، ورفعت لك المعاني معالمها، فجريت سابقاً في حضرة الناظم، والناثر!!! فقالوا: ما هذا رسول بل هو شاعر!!، عبدي: كشفت لك عن النور المبين، وأطلعتهم على علم اليقين، فقالوا: إن هذا إلا زبر الأولين!! »[٢].

ويقولون: « عبدي: بلغ عني، وقَوْلِيَ الحق، وخاطِب بلسان أهل الجمع والفرق، فأنا المتكلِّم، و أنت اللافظ، و أنت المبلِّغ، وأنا الحافظ »[٣].

وهم يرون الحلول؛ لأنهم لا يرون إثبات ذات الله ﷻ منفردا عن الخلق، بل يقولون: بالحلول ووحدة الوجود، يقول ابن عربي: « وكم قلت:

الرب عبد والعبد حق ... يا ليت شعري من المكلف

إن قلت عبد فذاك نفي ... أو قلت رب، فما يُكلَّف »[٤].

وأصحاب هذا القول يرون أن أفعالهم، ومنها كلامهم، أفعال الله حقيقة ـ تعالى الله عما يقولون علوا كبيرا ـ، وأن كلامهم كذلك، فكيف بما يتلونه من القرآن!!، يقول ابن عربي: « وكم قلت:

أنا مجبور، ولا فعل لي ... فالذي أفعله باضطراري

والذي أسند فعلي له ... ليس في أفعاله بالخيار

---

(١) الأزل لابن عربي ص ٩.

(٢) الإسراء إلى مقام الأسرى لابن عربي ص٧٣.

(٣)الإسراء إلى مقام الأسرى لابن عربي ص٧٦.

(٤) الجلالة لابن عربي الطائي ص١٢.

أنا إن قلت: أنا، قال:لا وهو إن قال: أنا، لم يغـار »[(١)].

وإن كان هذا الحلول لا يعولون عليه بحجة أنهم عارفون بالله، ويأخذون عن الله، و يسمعون عن الله، القديم من القديم!!، يقول ابن عربي: « السماع من الحق في الأشياء لا يعول عليه العارف!!»[(٢)]، فالقوم لا يرون السماع المقيد، بل يريدون السماع المطلق!!، وهو الذي كان من الله ﷻ لكليمه موسى، ولخليله ولنبيه محمد ﷺ في ليلة الإسراء.

وابن عربي يبين أن القرآن يحل في المحدثين، وهذا يعني أنه قائم بهم، وأن الصفات تنتقل من الرب الأول الخالق، إلى العبد المخلوق!!، فيقول: « نزل جملة واحدة إلى السماء الدنيا، ثم نزل منها على قلب محمد ﷺ نجوما، وهذا سفر لا يزال أبدا، ما دام متلوا بالألسنة سرا وعلانية، وليلة القدر الباقية على الحقيقة في حق العبد هي نفسه إذا صفت وزكت»[(٣)].

ويقول مبينا لماذا كان معجزا، لأنه يسمع من الله!!!، فيقول: « معجزته القرآن، والجمعية إعجاز على أمر واحد لما هو الإنسان عليه من الحقائق المختلفة كالقرآن بالآيات المختلفة بما هو كلام الله مطلقا!!، وبما هو كلام الله، وحكاية الله فمن كونه كلام الله مطلقا هو معجز »[(٤)].

وهم زعموا أن المتكلم بالقرآن والتالي للقرآن هو العبد لكونهم اعتقدوا الحلول[(٥)].

واطرد الصوفية الغلاة من الحلولية، وأهل وحدة الوجود، قاعدتهم في أن المسموع هو كلام الله، **فادعوا أن كل مسموع من الكلام هو كلام الله!!** حتى قال ابن عربي الطائي الفيلسوف الصوفي: « الله قد أبان لنا أن هوية الحق سمع العبد!!، وبصره!! وجميع قواه!!، والعبد ما هو إلا بقواه، فما هو إلا بالحق، فظاهره صورة

(١) الجلالة لابن عربي ص١٢، وانظر: أخبار جلال الدين الرومي ص٣١٢.
(٢) لا يعول عليه لابن عربي ص٢.
(٣) الإسفار عن نتائج الأسفار لابن عربي ص١٥.
(٤) نقش الفصوص لابن عربي ص١٢.
(٥) انظر: الدر النضيد لابن الحفيد ص١٨٣.

خلقية محدودة، وباطنه هوية الحق غير محدودة للصورة...

ألا كل قول في الوجود كلامه سواء علينا نثره ونظامه
يعم به أسماع كل مكون فمنه إليه بدؤه وختامه
ولا سامع غير الذي كان قائلا فمندرج في الجهر منه اكتتامه
فتستره ألفاظنا بحروفها فما فيه من ضوء فذاك ظلامه[(١)].

فخلاصة قول هؤلاء: أنّ القرآن أو التوراة، أو الإنجيل حل في القراء، أو اتحد بهم، وأن كلام الخالق حل في المخلوق، واتحد به، وصار المحدَث هو المتكلم بكلام الخالق!![(٢)].

القسم الثاني: من **قال بحلول صوت الرب في العبد، وإغفال الوسائط**، وهم لا يعتقدون الحلول والاتحاد، وإنما كان ذلك لازم قولهم، أو من إغفال ما ترتب على عدم التفريق بين التلاوة والمتلو، وهم من المخالفين للسلف ـ ولا ريب ـ، وكانوا يقولون: إن التلاوة هي المتلو، وأن نفس ما تكلم الله به من الحروف والأصوات هي الأصوات المسموعة من القراء!!، حتى يجعل الصوت المسموع من **العبد** هو صوت الرب[(٣)].

وهذا نُسب إلى بعض أهل الحديث[(٤)]، ولكن لا يعرف أحد منهم يقول بمثل هذا القول، ولا يُشبه هذا القول قول أهل الحديث، المتمسكين بالآثار، لكن ربما ينقل بعضهم هذا من لوازم بعض النقولات عنهم في الأخبار، فيخطئ عليهم.

وهو قول لبعض السالمية، فإن منهم من يقول: «إن الله تعالى يقرأ على لسان كل قارئ، وأنهم إذا سمعوا القرآن من قارئ فإنما يسمعونه من الله!!!»[(٥)]، وهم وإن كانوا مختلفين فيما بينهم، فمنهم من يقول: إن صوت الرب قديم هو المسموع، ومنهم من يقول: إن الصوت القديم لا يُسمع، ومنهم من يقول: الصوت صوتان؛ صوت

---

(١) الفتوحات المكية ٤/ ١٤٠.
(٢) انظر: الجواب الصحيح ٢/ ١٧٤.
(٣) انظر: المجموع ١٢/ ١٥٣، ٣٧٤.
(٤) شرح الأصبهانية ص٣٣٥.
(٥) انظر: المعتمد للفراء ص٢٢١.

قديم، وصوت محدَث!!![1].

وهو لازم قول **المعتزلة**[2]، وقد التزمه بعضهم كالعلاف، فإنه قال: «إن كلام الله يحل بالمخلوق...، واتبع على ذلك النظام»[3].

وسبب نشوء القول بأن القرآن حين تلاوته يحل بالمخلوقين بين هؤلاء، هو عدم التفريق بين المسموع من كلام الله ﷻ منه مباشرة، وبين المسموع من كلام الله ﷻ بواسطة الملَك، أو الرسول، أو القارئ[4].

ويوجد في هؤلاء المخالفين للسلف قليل من أتباع الأئمة المشهورين، وإن لم يكن قولهم الحلول، إلا أن هذا لازم قولهم، وإن لم يلتزموه، وهم قلة من أتباع المالكية والشافعية، والحنابلة[5]، وهؤلاء ليسوا يريدون ما ذهب إليه الصوفية الغلاة من الحلولية والاتحادية، وإنما لأنهم ظنوا أنه لا فرق بين التلاوة والمتلو، واعتقدوا أن المسموع من القراء، كالمسموع الذي سمعه جبريل، وسمعه موسى من الرب بلا واسطة، فلم يفرقوا بين المسموعَين، فوقعوا في الخلف بغير مين.

وهؤلاء يسمون بالاقترانية، لقولهم إن صوت الرب مقترن بصوت العبد[6].

رابعًا: شبهاتهم، والرد عليها.

أما قول من قال: بالحلول لمذهبه الفاسد، وهو اعتقاد الوحدة، أو حلول الرب في العبد!!، أو الاتحاد، فإن هؤلاء ليس عندهم إلا أصل باطل: وهو عدم الفرق بين الخالق والمخلوق!!، وهذه الشبهة أصلا: أعني شبهة الحلول والاتحاد لا يلتبس إلا على من أسلم عقله لغيره، واتبع هواه بغير هدى من الله، و إلا فإن الشرائع كلها قائمة

---

(١) انظر: شرح الأصبهانية ص٣٣٦، الصفدية ١/ ١٥٣.

(٢) انظر: شرح الأصبهانية ص٤٢٥، وهم لم يلتزموا بهذا اللازم، لكن فساد اللازم يدل على فساد الملزوم.

(٣) المعتمد لأبي يعلى الفراء، ص٢٧٦.

(٤) انظر: الجواب الصحيح ٤/ ٣٣٧، المجموع ١٢/ ١٤٩، ١٧٤، ١٧/ ٨٤.

(٥) انظر: الجواب الصحيح ٢/ ١٧٧.

(٦) انظر: المجموع ١٢/ ٥٩٤.

على الفرق بين الخالق والمخلوق، وبيان حق الخالق المالك، وما يجب من العبد تجاه مالكه وخالقه، فهذه شبهة واهية، وحكايتها تغني عن الرد عليها لشناعتها(١)، ولذلك سأورد شبهات القائلين بالحلول من غير أهل وحدة الوجود في مسألة الكلام ـ وإن كانوا يشتركون في بعض الشبهات ـ وسأختصر على أهم الشبهات(٢)، وهي التي فهمتها من كلامهم السابق، وهي:

الشبهة الأولى: أن الله هو المنطِق للمخلوقين بما شاء فهو المتكلم!!، وهذا يعني أن المتكلم هو القادر على أن يخلق الكلام!!(٣).

والجواب من وجوه:

١- إن المتكلم حقيقة من كان قادرا على الكلام، وكان الكلام قائما به؛ لأن الله إذا خلق حركة أو فعلا، وقدرة في محل، كان ذلك المحل هو الموصوف بتلكم الصفات، فذاك هو المتحرك، وهو القادر، وإن كان الله خالقا له ولأعراضه وصفاته، وهذا القول يلزم منه أن كل كلام في الوجود هو كلام الله ﷻ، وقد التزمته الطائفة الصوفية الغلاة، فحينئذ القرآن وغير القرآن سواء!!، ولا حول ولا قوة إلا بالله(٤).

٢- أن على هذا الكلام يكون حتى ما أنطقه الله ﷻ من الجمادات كلام الله!! فضلا عن كلام الإنسان!!، لأن الله هو المنطِق لها، كما هو المنطِق للإنسان، كما قال ﷻ: ﴿يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ۝ يَوْمَئِذٍ يُوَفِّيهِمُ اللَّهُ دِينَهُمُ الْحَقَّ وَيَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ الْمُبِينُ﴾[النور:٢٤-٢٥] وقال ﷻ: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُودَ مِنَّا فَضْلًا ۖ يَا جِبَالُ أَوِّبِي مَعَهُ وَالطَّيْرَ﴾[سبأ:١٠]، فهو منطِق كل شيء، وخالقه، وخالق نطقه، وليس النزاع ههنا، فإن جميع طوائف المسلمين تقر بأن الله منطق كل شيء، وإنما

(١) وأما شبهاتهم في حلول الرب في العبد فهي كثيرة، ولكنها لا تغني ولا تسمن من جوع.

(٢) وإنما لم أرد الإطالة لأن القائلين بالحلول من غير أهل الوحدة ليس لهم جماعة ظاهرة، إلا أن يكونوا أفرادا.

(٣) انظر: شرح الأصبهانية ص٤٢٧،٤٢٦.

(٤) انظر: منهاج السنة ٢/ ٣٧٢

النـزاع في تسمية الله ﷻ متكلما لكونه خلق الكلام في كل شيء[١].

٣- يلزم على هذا أن المنطِق للشيء إذا كان يسمى متكلما لكونه أنطقه، فإن الذي خلق الأفعال في العباد، يمكن أن يسمى بها!! ـ والعياذ بالله ـ لأنه هو الخالق لهذه الأشياء في عباده، فيمكن عند هؤلاء الأقوام أن يسمي مصليا!!، وصائما!!، وعابدا!! بل ويمكن أن يوصف بالأفعال القبيحة التي تقوم بالعباد؛ بزعم أن الله هو خالقها، وقد التزم الصوفية الغلاة بهذا كما هو ظاهر في كلامهم[٢].

٤- أنه يلزمهم على هذا الكلام أن كل ضمير في القرآن يعود على العبد عائد على الرب، فيلزم حينئذ أن فرعون لما قال: أنا رب العالمين، أن المتكلم بذلك هو الله!!!، فلم يأت فرعون بما ينكر عليه إذا!؟[٣]، وهذا وحده يكفي قائله شناعة وعارا، وفضيحة وبوارا وخسرانا، وقباحة وكفرانا.

٥- أنه لا فرق بين قولنا: نطق الشيء أي بنفسه، وأنطق الشيء أي غيره!!، وهذا معلوم بطلانه من حيث اللغة والعرف، فنطق زيد ليس كأنطق زيدا، ومن تكلم من نفسه، ليس كمن ألزم بالكلام، فبطل هذا الجمع منهم من غير ملام، وظهرت شناعة فهمهم للغة والعرف في الكلام[٤].

٦- أن الرسل حينما قالوا: إن الله أوحى إلينا، أو كلمنا، أو أمرنا، أن يكونوا هم الموحين، وهم المكلِّمين، وهم الآمرين!!!، وهم قالوا: إن الله نادى، وناجى، وقال، ولم يقولوا بأنا نحن الذين ننادي، ونقول، ونناجي[٥].

٧- أنه يلزمهم أن من أخطأ من القراء، أن يكون الله هو المخطئ في القراءة!!

---

(١) انظر: شرح الأصبهانية ص ٤٢٦، منهاج السنة ٢/ ٣٧٢ وحتى القدرية المخالفين في خلق أفعال العباد، إنما نزاعهم مع طوائف المسلمين في أفعال الأحياء المختارين، وليس نزاعهم فيما يفعله ويخلقه الله في الجمادات، وما لا إحساس لها.

(٢) انظر: المجموع ١٢/ ٤٦٢.

(٣) انظر: شرح الأصبهانية ص ٤٢٧، منهاج السنة ٢/ ٣٧٢-٣٧٣.

(٤) انظر: شرح الأصبهانية ص ٤٢٧، الرد على البكري ١/ ٣٤٣.

(٥) انظر: منهاج السنة ٢/ ٣٧٣.

ـ والعياذ بالله ـ، ويلزم منه أن الله يغلط، وأنه يلحن[(١)].

٨- أن هذا الاعتقاد وهو حلول صوت الرب في العبد، هو عين اعتقاد النصارى الذين اعتقدوا أن كلمة الله (كن) حلت في عيسى، فبهذا حل فيه الرب ـ تعالى الله عما يقولون علوا كبيرا ـ، وقد بين الأئمة ـ رحمهم الله ـ أن اعتقاد النصارى بالحلول باطل، فكيف يقتدي بهم من ينتسب إلى الإسلام[(٢)].

الشبهة الثانية: أن القرآن حل في المصحف، فكذلك حين قراءته يكون حالا في العبد!![(٣)]، وهذه الجواب عنها من وجوه:

١- أن قولكم حل القرآن في المصحف، ليس المراد منه أنه قائم في المصحف، فإن الناس ما زالوا يقولون: الشمس والقمر في الماء، أو في المرآة، ووجه فلان في المرآة، وكلام فلان في القرطاس، فهذا له معنى يفهمه العقلاء من الناس، يعلمون: أن المراد ظهرت الشمس والقمر في الماء، والوجه في المرآة، والكلام في المصحف، فالكلام يكون مكتوبا فيه، ومقروءا فيه، ومنظورا فيه، كما يقول عامة العقلاء: نظرت في كلام فلان، وقرأته، وتدبرته، وفهمته، ونحو ذلك، فهذا كقولهم رأيت وجه فلان في المرآة، والمقصود التفريق بين المسموع من الكلام مباشرة من المتكلم، والمسموع بواسطة قارئ، أو مكتوب في كتاب، فكل العقلاء يعلمون: أنّ الشمس لم تحل في الماء، ولا القمر، ولا الوجه في المرآة، وأن نفس ما تقوم به المعاني والأصوات لم تقم بالقرطاس، بل المرآة واسطة في رؤية الوجه، كما الورق واسطة في معرفة الكلام، فالمقصود أن النظر باشر ما في القرطاس من المداد المكتوب، والمقصود بالرؤية هو الكلام المكتوب، وليس المداد، والورق، فكما أن الوجه إذا رؤى في المرآة، لا يقال: إن نفس وجه زيد حل في المرآة، وإنما رؤى فيه، وكذلك الكلام نفسه ليس هو المداد المكتوب به، بل الكلام شيء وما به ظهر شيء آخر، ولهذا فرق الله بين المداد والكلام كما في قوله ﷻ:

---

(١) انظر: المعتمد للفراء ص ٢٢١.

(٢) انظر: الجواب الصحيح ٤/ ٦٦-٦٧.

(٣) انظر: الانتصار للعمراني ٢/ ٥٩٣، الجواب الصحيح ٢/ ٣٣٢، المجموع ١٢/ ١٥٣.

﴿ قُل لَّوْ كَانَ ٱلْبَحْرُ مِدَادًا لِّكَلِمَٰتِ رَبِّى لَنَفِدَ ٱلْبَحْرُ قَبْلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَٰتُ رَبِّى وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِۦ مَدَدًا ﴾[الكهف:١٠٩] فدل هذا على أن قول المسلمين: إن كلام الله ﷻ في المصحف، أنهم يعنون: أنه كلام الله حقيقة، لفظا ومعنى، ولا يعني ذلك أن الكلام انتقل من ذات الرب ﷻ وحل في المصحف، كما فهمه هؤلاء الحلولية(١).

٢- «إن الكلام له معنى في المتكلم يعبر عنه بلفظه، واللفظ يكتب في القرطاس، فالمكتوب في القرطاس هو اللفظ المطابق للمعنى، لا يكتب المعنى بدون كتابة اللفظ الذي كتب بالخط، ليعرف ما كتب»(٢)، ولا يقال: إن المكتوب هو اللفظ لا معنى له، و إلا لما كنا نفهم شيئا من المكتوب، فهذا دليل على أن المقصود بوجود كلام الله ﷻ في المصاحف، هو إثبات أن اللفظ المكتوب هو كلام الله ﷻ المطابق للمعنى الذي أراده الله ﷻ، وأوحاه إلى عبده لفظا ومعنى، يقال: لا ريب أن كلام المتكلم قائم به ـ وقد بينت هذا فيما سبق ـ، «ويقال مع ذلك، إنه مكتوب في القرطاس، ويقال: هذا هو كلام فلان بعينه، وهذا هو ذالك، ونحو ذلك من العبارات التي تبين أن هذا المكتوب في القرطاس، هو هذا الكلام الذي تكلم به المتكلم بعينه، لم يزد فيه، ولم ينقص، لم يكتب كلام غيره، ولا يريدون بذلك أن نفس الخط نفس الصوت، أو نفس المعنى، فإن هذا لا يقوله عاقل»(٣).

٣- أن من اعتقد أن القرآن يحل فيه لكونه قرأه، أو أن صوت الرب يكون صوته حين قراءته!!!، فهذا يلزمه أن يقول: إنه هو الرسول حين يقرأ الأحاديث النبوية، وأن الصوت الذي بلغ به الكلام أن يكون صوت النبي!!، وهذا معلوم الفساد، لا يقول به من عنده أدنى عقل، وإن قال ذلك بليد من الناس، أو ادعاه مدعٍ لأنكر عليه العامة والخاصة، ولقالوا: إن النبي ﷺ لا يحل في بدن غيره، وإنما أنت ذكرت وأوردت

---

(١) انظر: الانتصار للعمراني ٢/ ٥٩٤-٥٩٥، الجواب الصحيح ٤/ ٣٣٠-٣٣١.

(٢) الجواب الصحيح ٤/ ٣٣١.

(٣) الجواب الصحيح ٤/ ٣٣٢، المجموع ٢٠/ ١٨٤ وما بعدها من الصفحات.

حديث رسول الله ﷺ بصوتك وحركاتك[(١)]، فكيف بصوت الرب ﷻ وذاته.

٤- أن الناس متفقون على صحة إطلاق القول بأن كلام زيد في هذا الكتاب، والذي سمعناه هو كلام زيد، ولا يستجيز عاقل منهم إطلاق القول بأن زيدا نفسه في هذا المتكلم بكلامه، أو في هذا الورق[(٢)].

٥- أن الآيات الدالة على أن القرآن في الصدور، أو في السطور مثل قوله ﷻ: ﴿ وَكِتَٰبٖ مَّسۡطُورٖ ۝ فِي رَقّٖ مَّنشُورٖ ﴾[الطور:٢-٣] وقوله ﷻ : ﴿ إِنَّهُۥ لَقُرۡءَانٞ كَرِيمٞ ۝ فِي كِتَٰبٖ مَّكۡنُونٖ ﴾[الواقعة:٧٧-٧٨] وقوله ﷻ : ﴿ بَلۡ هُوَ ءَايَٰتُۢ بَيِّنَٰتٞ فِي صُدُورِ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَ ﴾[العنكبوت:٤٩]، ونحوها من الآيات، والأحاديث ينبغي أن تفهم على هذا، وهو: أن المراد أنّ فيه اللفظ الدال المطابق للمعنى، وليس المراد الحبر والورق، وصوت العبد المؤدى به الكلام، فإن هذه كلها مخلوقة، وكلام الله غير مخلوق، ثم إن هذه كلها لو لم تكن لما كان لكلام الله فناء، فلو أحرقت جميع المصاحف، وذهب جميع الناس، لكان كلام الله محفوظا بحفظ الله في الأرض وفي السماء، وكون القرآن في الصدور، أو في السطور لا يعني عند عاقل أن الله في الصدور أو في السطور، ولهذا لما قيل للإمام أحمد رحمه الله أن ههنا رجل يقول: بأن من قال: القرآن في الصدور، فقد قال بقول النصارى!!!، اشتد ذلك على الإمام أحمد رحمه الله وأنكره، وعد ذلك جهمية رابعة[(٣)]، وقال ابن قتيبة رحمه الله مبينا ما به يفرق الأئمة بين المسموع والأداء، والمكتوب وما به كتب، فيقول: « والقرآن لا يقوم بنفسه وحده، كما يقوم المأكول بنفسه وحده، وإنما يقوم بواحدة من أربع: كتابة، أو قراءة، أو حفظ، أو استماع، فهو بالعمل في الكتابة قائم، والعمل خط وهو مخلوق، والمكتوب قرآن وهو غير مخلوق، وهو بالعمل

(١) انظر: المجموع ١٢/ ٢٩١، الفتاوى الكبرى ٥/ ١٥٠.

(٢) انظر: المجموع ١٢/ ٢٩٢.

(٣) المجموع ١٢/ ٢٩٢، والجهميات في مسألة كلام رب البريات، أربعة اشتهرت في عهد الإمام أحمد أسكنه الله الجنات، وهي: ١-الجهمية الخلقية. ٢-الجهمية اللفظية. ٣-الجهمية الواقفة. ٤-الجهمية الحلولية. انظر: المجموع ١٢/ ٣٨٨.

في القراءة قائم، والعمل تحريك اللسان واللهوات بالقرآن وهو مخلوق، والمقروء قرآن وهو غير مخلوق، وهو بالاستماع قائم في السمع، والاستماع عمل وهو مخلوق[(١)]، والمسموع قرآن غير مخلوق، ومثل هذا وإن كان لا مثل للقرآن، إلا أنه تقريب منا لما ذكرناه إلى فهمك، مثل لون الإنسان: لا يقوم إلا بجسمه، ولا نقدر أن نقر اللون في وهمك حتى يكون متميزا - إلا بهذا الجسم -...، كذلك القرآن يقوم بتلك الخلال الأربع التي ذكرناها، ولا يستطيع أحد أن يتوهمه منفردا عنها»[(٢)]، وبهذا يتبين أن وجود القرآن في المصاحف والصدور لا يعني الحلول، وكذلك في حالة الاستماع لا يعني أن المستمع يسمعه من الله مباشرة بلا واسطة، فليس هناك حلول[(٣)].

٦- يلزم من قولكم أنّ القرآن حل في المصحف بمعنى أنه انتقل كلام الله القائم به إلى أن أصبح قائما بالمصحف، فهذا يلزم منه أن القرآن إذا احترق أن يكون كلام الله قد احترق!![(٤)]، وهذا لا يقول به عاقل، وإنما المعروف عند المسلمين أن المصاحف التي فيها كلام الله قد تحترق، وكلام الله باقٍ، والحفاظ قد يهلكون، وكلام الله باقٍ.

٧- أن الإشارة إلى ما في القرآن له جهتان ينبغي التنبه لهما: **الأولى**: كلام الله المكتوب فيه. **الثانية**: المداد، والخط، والورق الذي كتب فيه كلام الله ﷻ، **فالجهة الأولى**: كلام الله وهو غير مخلوق، **والجهة الثانية**: أفعال المخلوقين فهي مخلوقة، ولهذا لو كتب القرآن في مصحفين، بخطين مختلفين، يقال في كل منهما: إنه قرآن كريم، وإنه كتاب مجيد، وهذا كلام الله، وهذا كلام الله، والمشار إليه واحد، ولو كان في مصحفين، وهو كلام الله، ويقال: هذا خطه حسن، وهذا بخط النسخ، ولونه أحمر، والآخر خطه جيد، وكتب بالرقعة، ولونه أسود، فالمشار إليهما مختلف، ووقعت الإشارة هنا إلى ما هو مخلوق فاختلف، فإذا لم نميز بين المشار إليه في الحالتين، فإنه يوقع في عدم الفرق

---

(١) في المطبوع: وهو غير مخلوق!!، وهذا خطأ قطعا يتبين من السياق والمعنى.

(٢) الاختلاف في اللفظ والرد على الجهمية والمشبهة لابن قتيبة ص٦٣.

(٣) انظر: المجموع ١٢/ ٣٨٨-٣٨٩.

(٤) انظر: الجامع لأحكام القرآن ١/ ٤٠-٤١.

بين المختلفين، والجمع بين المتفرقين[(١)].

الشبهة الثالثة: قالوا: إن الله يتكلم بصوت، والقرآن كلام الله، فيكون المتكلم بالقرآن صوته صوت الله!![(٢)].

والجواب عن هذه الشبهة:

١- أن شخصا لو روى شعرا لأحد الشعراء لا يصح أن يقال: إن الشعر الذي أصبح وصفا لقائله أنه شعر الراوي له، فإذا كانت صفات المتكلمين من العباد لا تنتقل بعضها إلى بعض بالقراءة، أو الكتابة فكيف يقال: إن صفة الرب الخالق وهي صوته انتقلت إلى صفة العبد المخلوق فأصبح صوته صوته، لمجرد كونه تاليا وقارئا لكلام الله ﷻ[(٣)].

٢- أن أصوات العباد مختلفة فأي صوت يكون هو صوت الله؟!!، ثم هذا تكييف لصوت الله، والله تعالى يقول: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾.

٣- أن الله تعالى تكلم بالقرآن، وبغيره من كلامه كتكليمه لموسى بن عمران بصوت، كما هو عقيدة أهل الحق من السلف، والمتبعين لهم من الخلف، وأن موسى سمع كلام الله ﷻ بصوت الرب، وأن جبريل سمع صوت الرب ﷻ، ونحن نتلو القرآن بأصواتنا، ولا يعني ذلك أن القرآن كلامنا، كما لا يعني أن المسموع صوت الله ﷻ ، إلا لما كان هناك فرق بين الكليم موسى، وبين غيره[(٤)].

٤- أن صوت الرب ﷻ لا يشبه أصوات المخلوقين، «وليس ذلك كأصوات العباد، لا صوت القارئ، ولا غيره، وأن الله: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾[الشورى:١١]، لا في ذاته، ولا في صفاته، ولا في أفعاله، فكما لا تشبه حياة الخالق، وعلمه، وقدرته علم المخلوق،

---

(١) انظر: الانتصار للعمراني ٢/ ٥٩٤-٥٩٥، المجموع ١٢/ ٥٥، ٢٨٤.

(٢) انظر: المجموع ١٢/ ٢٦٤، ٣٢٣.

(٣) انظر: المجموع ١٢/ ٢٦٤، ٢٨٨.

(٤) انظر: المجموع ١٢/ ٧٦.

وقدرته، وحياته، فكذلك لا يشبه كلامه كلام المخلوقين، ولا صوته أصوات المخلوقين[١].

٥- أن من قرأ الفاتحة من القرآن أو غيرها من السور، معلوم لدى الجميع ـ عدا هذه الفرقة الحلولية ـ أنه قرأ كلام الله ﷻ، والمسلمون يقولون: إن الكلام كلام الباري، والصوت صوت القارئ، فمن ضل وافترى أنه سمع صوت الله، فقد خالف صريح المعقول، وصحيح المنقول[٢].

٦- أن المسلمين مازالوا يقولون للقارئ إذا قرأ: فلان حسن الصوت، وفلان ليس كذلك، فدل على أن الصوت صوت العبد، وإن كان الكلام كلام الرب، بدليل أنهم يقولون: الصوت حسن، ولا يقولون: القرآن حسن، لأن القرآن كلام الله فهو حسن أبدا، وإنما اختلاف الأحكام باختلاف القراء[٣].

٧- يقال لهؤلاء الحلولية ومن وافقهم: هب أن القارئ لم تخلق نفسه، ولا وجدت لا أفعاله، ولا أصواته، فمن أين يلزم أن يكون الكلام نفسه الذي كان موجودا قبله يُعدم بعدمه!!!، ويحدث بحدوثه!!، فإشارته إن كان إلى الكلام الذي تلاه القارئ فهو كلام الله، وإن كانت إشارته بالخلق إلى ما يختص به هذا القارئ من أفعاله وأصواته، فالقرآن غني عن هذا القارئ، وموجود قبله، فلا يلزم من عدم هذا عدمه، وهذا معلوم بديهة[٤].

وهناك بعض المنتسبين إلى السنة لم يفرقوا بين التلاوة والمتلو، وإن كان يلزم من قولهم أن المسموع من المخلوقات هو صوت الرب، وأن القراءة هي المقروء، إلا أنهم لم يريدوا المذهب الحلولي الذي ذهب إليه المخالفون للسلف في هذه المسألة، والذين جعلوا التلاوة هي المتلو من المنتسبين للإمام أحمد رحمه الله، ويظنون أنهم متابعون له، إذ إنّه نهى عن اللفظية، فظنوا أن الإمام رحمه الله يقصد بأنه لا فرق بين الفعل الذي يقوم به العبد، وصوته،

---

(١) انظر: المجموع ١٢/ ٢٤٤.

(٢) انظر: المجموع ١٢/ ١٧٢، ٢٦٣.

(٣) انظر: المجموع ١٢/ ٢٨٤.

(٤) انظر: درء التعارض ١/ ٢٥٨-٢٥٩، المجموع ١٢/ ٢٨٥.

وبين الكلام الذي أداه العبد وسمع منه مبلغا، وتاليا، ويدلك أنهم أخطؤوا على الإمام ما ذكره شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله حيث قال: «كان المنصوص عن الإمام أحمد وأئمة السنة والحديث أنه لا يقال: ألفاظنا بالقرآن مخلوقة، ولا غير مخلوقة، ولا أن التلاوة هي المتلو مطلقا، ولا غير المتلو مطلقا؛ فإن اسم القول، والكلام قد يتناول هذا وهذا»[(١)] وقال: «هذا الذي يحكيه كثير من الناس عن الإمام أحمد وأصحابه أن صوت القارئين ومداد المصاحف قديم أزلي كذب مفترى، لم يقل ذلك أحمد، ولا أحد من علماء المسلمين،... وكلام أحمد، وكلام أئمة زمانه في أن من قال: لفظي بالقرآن مخلوق فهو جهمي ومن قال غير مخلوق فهو مبتدع، قلت: فكيف بمن يقول لفظي قديم؟؟ فكيف بمن يقول صوتي غير مخلوق؟؟ فكيف بمن يقول صوتي قديم؟؟»[(٢)].

وهؤلاء المخطئون من أتباع الأئمة أنكروا لفظ الحلول في القرآن الكريم، وقالوا ـ مع قولهم بأن التلاوة هي المتلو ـ:إنما نقول ظهر القديم في المحدَث، لا حل فيه، وهذا يستلزم الحلول وإن لم يلتزموه، ولكن فساد اللازم يدل على فساد الملزوم[(٣)].

وسبب الوقوع في الخطأ من بعض أتباع الأئمة في مسألة القرآن ـ مع حرصهم على السنة ـ يعود إلى سببين:

١- أنهم فهموا من بعض تخريجات أقوال الإمام ما ظنّوه أنّه مراده، فوقعوا في البدعة، كمن فهم من نَهْيِ الإمام أحمد عن قول: اللفظ بالقرآن غير مخلوق، أنه يقصد ـ والعياذ بالله ـ أن صوت العبد قديم، فهذا لم يقله أحد من الأئمة، المشهورين بالسنة، فضلا عن سلف الأمة.

٢- أن من هؤلاء من اتبع بعض أتباع الإمام حيث أخطأ، فصار الخطأ متبعا،

---

(١) المجموع ١٢/ ٣٧٤-٣٧٥.

(٢) العقود الدرية في ترجمة شيخ الإسلام ابن تيمية ص ٢٣٧-٢٣٨، وانظر: المجموع ١٢/ ٢٤٢، وفي مسألة "الكيلانية" جواب طويل حول من ادعى أن أصوات العباد بالقرآن غير مخلوقة!!، ونسب ذلك إلى الإمام أحمد، انظر: المجموع١٢/ ٣٢٣.

(٣) انظر: الجواب الصحيح ٢/ ١٧٤-١٧٥.

كمن قال: لفظي بالقرآن غير مخلوق، مما روي عن أبي طالب المشكاني ـ وإن كان هو رجع عن ذلك ـ ثم صار قوم على قوله[1] فهذا يدل أن تعلقهم بالأئمة باطل، وأن الأئمة بريئون من هذه الأقوال المبتدعة، كيف لا وهم أئمة السنة، الشانؤون للبدعة.

قال شيخ الإسلام رحمه الله: «كره أحمد بن حنبل الكلام في لفظ حلول القرآن في القلوب...، ومما يوضح هذا أن الشيء له وجود: في نفسه هو، وله وجود في المعلوم والأذهان، ووجود في اللفظ واللسان، ووجود في الخط والبنان ـ وقد يسمى ـ: وجود عيني، وعلمي، ولفظي، ورسمي، وذلك كالشمس مثلا: فلها تحقق في نفسها، وهي الشمس التي في السماء، ثم يتصور بالقلب الشمس، ثم ينطق اللسان بلفظ الشمس، ويكتب بالقلم الشمس، والمقصود بالكتابة مطابقة اللفظ، وباللفظ مطابقة العلم، وبالعلم مطابقة المعلوم، فإذا رأى الإنسان في كتاب خط الشمس، أو سمع قائلا يذكر قال: هذه الشمس قد جعلها الله سراجا وهاجا، وهذه الشمس تطلع من المشرق، وتغرب في المغرب، فهو يشير إلى ما سمعه من اللفظ، ورآه من الخط، وليس مراده نفس اللفظ، والخط؛ فإن ذلك ليس هو الشمس التي تطلع وتغرب، وإنما مراده ما يقصد بالخط، واللفظ، ويراد بهما وهو: المدلول المطابق لهما»[2].

ومما يدل على فساد قول الحلولية في مسألة القرآن: اضطرابهم في هذه المسألة، فتارة قالوا: المسموع هو صوت القارئ من الله، ومنهم من قال: حل صوت الرب في العبد!!، ومنهم من يقول: ظهر صوت الرب في العبد!!، ومنهم من يقول المسموع كلام الله مطلقا، ولا يتكلم في الصوت المسموع بنفي أو إثبات، ومنهم من قال: الصوت المسموع غير مخلوق!!، ومنهم من قال: المسموع حين التلاوة صوتان: صوت العبد وهو مخلوق، وصوت الرب وهو غير مخلوق!![3]، وهذا التناقض ملازم لكل

---

(١) انظر: شرح الأصبهانية ص ٣٣٧، المجموع ٧/ ٦٦١، ٢٠/ ١٨٤.

(٢) الجواب الصحيح ٣/ ٣٣٩-٣٤٠.

(٣) انظر: الصفدية ٢/ ٥٩، المجموع ٧/ ٦٥٦-٦٥٧، ١٢/ ١٥٢، ٥٩٧.

من خالف السنة والكتاب، فإنه يكون مجانبا للصواب، ويحصل في قوله مثل هذا الاضطراب، ثبتنا الله على الرشاد، وهدانا لما فيه خير الدنيا والمعاد.

ويكفي القائلين بالحلول ضلالا وخسرانا، أنهم خالفوا جماهير المسلمين، وليس على قولهم أحد من السلف، بل ولا أناس معروفون بالعلم من الخلف، فـ « من قال نفس أصوات العباد، أو مدادهم، أو شيئا من ذلك قديم، فقد خالف أيضا قول السلف، وكان فساد قوله ظاهرا لكل أحد، وكان مبتدعا قولا لم يقله أحد من أئمة المسلمين، ولا قالته طائفة كبيرة من طوائف المسلمين، بل الأئمة الأربعة، وجمهور أصحابهم بريئون من ذلك »(١).

ولهذا كان قولهم كفرا صريحا، فإن من اعتقد أن فعله هو محض فعل الله، وأن الرب هو المصلي وهو القارئ والتالي فإن هذا كفر بواح، ولهذا أنكر من أدرك من الأئمة هذا القول، كما جاء عن غير واحد منهم، فهذا إمام المسلمين في زمانه، حماد بن زيد سُئل عمن قال: كلام الناس ليس بمخلوق!! فقال: هذا كلام أهل الكفر، وهكذا نقل عن غيره(٢)، فصوت العبد مثل كلامه.

وإذا تبين هذا فأختم الكلام بدرة من درر أقوال شيخ الإسلام ﷫، حيث قال: « فالواجب على المسلم أن يلزَم سنة رسول الله ﷺ، وسنة خلفائه الراشدين، والسابقين الأولين من المهاجرين والأنصار، والذين اتبعوهم بإحسان، وما تنازعت فيه الأمة وتفرقت فيه إن أمكنه أن يفصل النزاع بالعلم والعدل و إلا استمسك بالجمل الثابتة بالنص والإجماع، وأعرض عن الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعا؛ فإنّ مواضع التفرق والاختلاف عامتها تصدر عن إتباع الظن، وما تهوى الأنفس، ولقد جاءهم من ربهم الهدى...

والواجب أمر العامة بالجمل الثابتة بالنص والإجماع، ومنعهم من الخوض في

(١) المجموع ١٢/ ٥٤-٥٥.

(٢) انظر: المجموع ١٢/ ٣٢٦.

التفصيل الذي يوقع بينهم الفرقة والاختلاف؛ فإنّ الفرقة والاختلاف من أعظم ما نهى الله عنه ورسوله.

والتفصيل المختصر أن نقول: من اعتقد أن المداد الذي في المصحف، وأصوات العباد قديمة أزلية، فهو ضال مخطئ، مخالف للكتاب، والسنة، وإجماع السابقين الأولين، وسائر علماء الإسلام، ولم يقل أحد قط من علماء المسلمين: إن ذلك قديم، لا من أصحاب الإمام أحمد، ولا من غيرهم، ومن نقل قدم ذلك عن أحد من علماء أصحاب الإمام أحمد، ونحوهم؛ فهو مخطئ في هذا النقل أو متعمد للكذب»[1].

فإذا كان القول بالحلول في مسألة القرآن الكريم باطلا، وذلك لكونهم نظروا إلى الكلام دون الأداة، والوسائط، فإن هناك أقواما نظروا إلى الوسائط دون الكلام فقالوا: بخلق القرآن، وهذا ما أجليه في المبحث الآتي.

---

(١) المجموع ١٢/ ٢٣٧-٢٣٨.

المبحث الثالث: القول بخلق القرآن

القول بخلق القرآن هو أشهر المسائل العلمية في باب الصفات، وباب ما يتعلق بالقرآن الكريم من المسائل العقدية، ولتجليتها أذكر أمورا، وهي:

أولا: معنى هذا القول.

معنى قول الجهمية والمعتزلة بأن القرآن الكريم مخلوق، يعني أن الله ﷻ لم يتكلم به، بل هو خلقٌ من المخلوقات قائم بنفسه!![1]، أو مخلوق خلقه الله في غيره[2]، وهو حروف منظومة[3].

ثانيا: سبب نشوء هذا القول.

ذكرت في مقدمة هذا الفصل أربعة أسباب من أجلها نشأ الخلاف الكبير بين أهل الملة في مسألة القرآن الكريم، إلا أن هناك أسبابا أخرى لكل نحلة، بسببها ظهرت في الملة هذه الأقوال المختلفة.

ومن **أسباب القول بخلق القرآن** أنهم استعملوا لفظة "غير" في الصفات، فقالوا: وما كان غير الله فهو مخلوق[4]، ومعلوم أن السلف يعتقدون بأن صفات الله ﷻ داخلة في أسمائه الظاهرة، والمضمرة، فإذا قلت: عبدت الله، وإياه عبدت، فهذا الاسم لا يخرج عنه شيء من صفاته من علمه ورحمته وكلامه، وسائر صفاته، فعُلِم بهذا أن

---

(١) انظر: مقالات الإسلاميين ص١٩٣.

(٢) انظر: الصفدية ٢/ ٦٧، درء تعارض العقل والنقل ٢/ ٤٩، المجموع ٧/ ٦٦٢، الفتح ١٣/ ٤٦٣.

(٣) انظر: شرح الأصول الخمسة للقاضي عبد الجبار المعتزلي ص٥٢٨-٥٢٩، ونهاية الأقدام ص٣٨٨.

(٤) انظر: الصفدية ١/ ١٠٧، ١٠٨.

صفاتِه ﷻ ليست خارجة عن مسمى اسمه، والرب المعبود هو المتصف بصفات الكمال، المتسحق للإجلال والجلال.

وأما استعمال ألفاظ لم ترد في الشرع، فهو الذي يوقع في الإشكال، ويورد هذا المقال، فلفظ "غير" مشترك تدخل تارة فيه صفة الشيء، وتارة لا تدخل، ولما كان مجملا، كان تركه أولى، واتباع النص أجدى[(١)].

قال شيخ الإسلام رحمه الله: « وأحمد بن حنبل في محنته المشهورة، قالوا له: **ما تقول** في القرآن، و كلام الله، أهو الله؟ أم غير الله؟ عارضهم بالعلم، وقال لهم: **ما تقولون** في علم الله، أهو الله؟ أم غير الله؟ »[(٢)].

وأجاب أيضا بأن « الرسل لم تنطق بواحد من الأمرين، فلا حجة لهم في كلام الله ورسوله، فإن الله لم يقل لكلامه: هو أنا، ولا قال: إنه غيري!، حتى يقول القائل: إذا كان قد جعل كلامه غيره وسواه، فقد أخبر أنه خالق لكل ما سواه!.

فإن كان الاحتجاج بالسمع، فلا حجة ـ لهم ـ فيه، وإن كان الاحتجاج بالعقل، فالمرجع في ذلك إلى المعاني لا إلى العبارات، فإن أراد المريد بقوله: هل كلامه، وعلمه غيره؟ أنه مباين له، فليس هو غيرا له بهذا الاعتبار، وإن أراد بذلك أن نفس الكلام، والعلم ليس هو العالم المتكلم، فهو غير له بهذا الاعتبار، وإذا كان اللفظ مجملا لم يجز إطلاقه على الوجه الذي يفهم المعنى الفاسد »[(٣)].

فالقائلون بأن القرآن مخلوق ليس معهم حجة، وكان سبب إظهارهم لهذا القول هو استعمالهم لقواعدهم الكلامية، وإعراضهم عن الألفاظ الشرعية، وخلط الحق بالباطل[(٤)].

---

(١) انظر: المجموع ٨/ ٤١٤، ١٢/ ٣٣٠.

(٢) وهذا النص المنقول عن الإمام أحمد قال عنه محقق الجواب الصحيح: إنه لم يجده بلفظه عن أحمد، وقال: وهو في الرد على الجهمية بلفظ آخر مختلف ص٣٠، قلت: وهو في محنة الإمام أحمد للحافظ تقي الدين المقدسي ص ٨٧، بلفظ قريب منه.

(٣) الجواب الصحيح ٥/ ١٨-١٩، وانظر: الرد على الجهمية للإمام أحمد ص٣٠.

(٤) انظر: المجموع ٨/ ٢٨، الغنية في أصول الدين ص ١٥.

ومن أسباب ظهور هذا القول: أنهم لما ظنوا أن إثبات الصفات يلزم منه تعدد القدماء، نفوا الصفات، ومن جملة ذلك صفة الكلام، ومنه القرآن الكريم.

ومن أسباب نشوء هذا القول عند هؤلاء وأمثالهم، أنهم لما سمعوا القرآن من المخلوقين، ولم يفرقوا بين المسموع من الله مباشرة، وبين المسموع بواسطة العباد، ظنوا أنه مخلوق، لأنه يسمع من مخلوق!!(١).

ومن سبب انتشار هذا القول الذي بسببه امتحن الأئمة، فلأن ثلاثة من سلاطين بني العباس كانوا مناصرين لهذا القول بالسنان، والبيان، يقيمون المناظرات، ويهدّدون بالقتل والجلد الأئمة السادات، الذين خالفوهم في قولهم المخترع، فكانت قوة السلطان سببا في انتشار هذا القول المبتدع، وقديما قيل: الناس على دين ملوكهم، ولم يكن يُوَلَّى قاض، ولا صاحب أمر ونهي إلا إذا كان قائلا بخلق القرآن!!، فاجتمع على الناس قوة السلطان، ورغبتهم في الدنيا(٢).

ثالثًا: القائلون بخلق القرآن.

والقول بخلق القرآن الكريم هو قول الجهمية والمعتزلة القائلين بأن كلام الله بائن عنه، وأن القرآن مؤلف من هذه الأحرف، مخلوق،ثم بعد ذلك منهم من قال: خلقه الله في اللوح المحفوظ، ومنهم من قال: خلقه في جبريل، ومنهم من قال: خلقه في النبي ﷺ(٣)، والكلام عندهم هو: القدرة على التكلم، ويعنون به القدرة على خلق الكلام(٤).

ومنهم من قال: إن القرآن ذات قائمة بنفسها، وليس معنى من المعاني، ويعبرون عنه بأنه جسم(٥) وهم وإن اختلفوا في حقيقة الكلام، إلا أنهم جميعا قالوا:

---

(١) انظر: شرح الأصبهانية ١/ ٦٢-٦٣، المجموع ١٢/ ٢٠٠، ٢٨٣.

(٢) انظر: المجموع ١١/ ٤٧٨-٤٧٩.

(٣) انظر: محصل أفكار المتقدمين والمتأخرين للرازي ص ٢٦٥، الدر النضيد لمجموعة ابن الحفيد ص ١٥٥.

(٤) انظر: لباب العقول ص ٢٥٦، مناهج الأدلة لابن رشد ص ٧٣، وهو يرى أيضا وإن كان من المتفلسفة أن الكلام هو القدرة على التكلم وهو خلقه، المدخل لابن بدران ص٥٤.

(٥) انظر: مقالات الإسلاميين ص١٩٣، الجواب الصحيح ٤/ ٣٢٧، الفتح ١٣/ ٤٦٣، ويفهم هذا من استدلالهم بأن القرآن يأتي يوم القيامة يحاج عن صاحبه!!.

بأنه مخلوق[١]، **وربما قالوا: إن الله متكلم مجازا**، وربما حكوا الإجماع على أن الله متكلم وهم يعنون ذلك، وحقيقة قولهم: أنّ الله ليس بمتكلم، وربما قالوا: إن القرآن غير مختلق، وهم يعنون: أنه ليس مفترى مكذوب، ولا ريب أن هذا حق باتفاق المسلمين، وليس النـزاع فيه، وإنما النـزاع في كلام الله ﷻ هل هو مخلوق أم لا، والأول هو المشهور عن الجهمية[٢].

وهو قول الجهمية وفاقا، والمعتزلة قاطبة، وإن اختلفوا فيما بينهم من حيث إثبات خلق القرآن[٣]، خصوصا بعد عمرو بن عبيد[٤]، فإن عمروا لم يكن من الجهمية، وإنما كان متكلما في القدر، وحدث في المعتزلة نفي الصفات بعده، « ولهذا قال أحمد: فاتبعه ـ أي اتبع جهما ـ قوم من أصحاب عمرو بن عبيد وغيره »[٥].

وإنما اشتهرت هذه المقولة الشنيعة عن الجهمية، وعن أفراخهم المعتزلة، لكونهم أظهروها، ودعوا الناس إليها، وكان أول من أظهر هذه المقولة هو الجعد بن درهم[٦] والجهم بن صفوان[٧].

---

(١) انظر: شرح الأصول الخمسة ص٥٢٨، المحيط بالتكليف ص٣٣١، العلم الشامخ ص١٢٨.

(٢) انظر: المجموع ١٢/ ٢٩، شرح الطحاوية ١/ ١٨٦.

(٣) انظر: مقالات الإسلاميين ص١٩١، تلبيس إبليس ص٣٤-٣٥، الفرق بين الفرق ص٤٥-٤٦، تبيين كذب المفتري ص١٥٠.

(٤) هو كبير المعتزلة وإمامهم: عمرو بن عبيد أبو عثمان البصري، وكان زاهدا، وتركت روايته لشناعة بدعته، اتهم بعض الصحابة، وكان يتكلم على معاوية ﷺ، ومن مؤلفاته: (الرد على القدرية: يريد السنة)، توفي بعد الأربعين ومائة. انظر: السير ٦/ ١٠٥.

(٥) شرح الأصبهانية ص ٤٢٩، المجموع ١٢/ ٣١١.

(٦) هو مؤسس التجهم: الجعد بن درهم، مؤدب مروان الحمار، وهو شيخ الجهم بن صفوان، وأول من ابتدع بأن الله: لم يتخذ إبراهيم خليلا، ولم يكلم موسى تكليما، قتله الأمير خالد بن عبد الله القسري لكفره. انظر: السير ٥/ ٤٣٣.

(٧) انظر: شرح الأصبهانية ص٤١٩، منهاج السنة ٢/ ٢٥١، درء التعارض ٢/٤٨، **والجهم هو رأس الجهمية الضلال**: جهم بن صفوان أبو محرز السمرقندي، الكاتب، كان صاحب ذكاء وجدال، وأنكر الأسماء والصفات كشيخه الجعد بن درهم، وبث القول بخلق القرآن، وادعى أن الله في كل مكان بذاته!، ولهذه الكفريات قيل: إن سلم بن أحوز قتله. انظر: السير ٦/ ٢٦.

وإن كان هناك فرق بين مقولة الجهمية والمعتزلة، وذلك من حيث اللفظ، وإلا فإن المعنى واحد: فالجهمية قالوا: إنه متكلم مجازا، والمعتزلة قالوا: إنه متكلم حقيقة، لأن المتكلم من فعل الكلام وخلقه!، فالمؤدى عند الفريقين واحد، وهو أن القرآن الكريم مخلوق!!![1].

وهذه المقولة ـ أعني مقولة خلق القرآن ـ هي أول مقولة ابتدعها مع نفي الصفات الجهمية، وتبعهم على ذلك المعتزلة الغوية[2].

ونافح عنها كبارهم، وأئمتهم، أحبارهم ورهبانهم، فبشر بن غياث المريسي[3] جرد القول بخلق القرآن، ودافع عن مقولته مناظرا أهل السنة والإحسان، وكذلك مثله أحمد المبتدع ابن أبي دؤاد، الذي سعى بهذه المقالة بين الحاضر والباد، ولم يرض منهم السكوت حتى أجبرهم على القول به بالأوتاد[4].

ونسب القول بخلق القرآن إلى الخوارج الأولين، كما ذكره أبو الحسن الأشعري في مقالاته[5] حيث قال: «والخوارج جميعا يقولون بخلق القرآن»، وليس للخوارج الأولين كتاب يمكن الرجوع إليه.

ومن فرقهم الظاهرة الباقية ـ هداها الله للصواب ـ فرقة الإباضية، وهي تقول بخلق القرآن، ولم يزل هناك بقية منهم يفتري هذه الفرية حتى هذا الزمان!![6].

والقول بخلق القرآن هو قول بعض المرجئة[7]، وبعض الروافض الأولين، وهو

---

(١) انظر: منهاج السنة ١/ ٣١٢، المجموع ١٢/ ٣٠٩، الرد على البكري ١/ ٣٤٢.

(٢) انظر: المجموع ١٢/ ٤١٧.

(٣) هو المعتزلي المتكلم: بشر بن غياث بن أبي كريمة البغدادي المريسي، أخذ عن أبي يوسف، ثم شط عنه في الاعتقاد، وتكلم عليه أبو يوسف لخوضه في الكلام، وهو رأس التجهم في مسألة خلق القرآن، ومن مؤلفاته: التوحيد، توفي سنة ٢١٨هـ. انظر: السير ١٠/ ١٩٩.

(٤) انظر: معجم البلدان ٥/ ١٣٨.

(٥) ص ١٢٤، ١٥٣، وانظر الفتح ١٣/ ٤٦٣.

(٦) وهم الموجودون الآن في عمان، وفي بعض جبال الجزائر.

(٧) انظر: مقالات الإسلاميين ص١٥٣.

قول الروافض المتأخرين أجمعين، فإنهم جمعوا بين الرفض والاعتزال البدعيين[(١)].

ومن القائلين به ابن عربي الطائي: لأنه يعتقد بأن الله لم يتكلم مع موسى[(٢)]، وأن موسى سمع كلام الله من الشجرة، وهذا يعني أن القرآن مخلوق، لأن نفي سماع موسى لكلام الله بأي حجة، يلزم منه القول بخلق القرآن، ولهذا ينقل قول عارفهم!!:

ألم تروا لكليم الله كيف بدا   له الخطاب من الأشجار في القبس[(٣)]

ويزعم أن كلامه لا يُسمع إلا ممن كان له سمع بلا آلة[(٤)].

فهم ينفون السماع بالأُذُن، ويثبتون لأنفسهم سماعا ومشاهدة!! يقول ابن عربي الطائي: « المشاهدة والكلام معا لا يكون إلا في حضرة التمثل، فلا يعول عليه أكابر الرجال »[(٥)].

ومن القائلين بأن القرآن مخلوق لله ﷻ ـ والعياذ بالله ـ الفيلسوف ابن رشد، حيث قال: « القرآن الذي هو كلام الله قديم، وأن اللفظ الدال عليه مخلوق له سبحانه، لا لبشر، وبهذا باين لفظ القرآن الألفاظ التي ينطق بها في غير القرآن، أعني هذه الألفاظ ـ التي نتكلم بها ـ هي فعل لنا بإذن الله، وألفاظ القرآن هي خلق الله...، وأما الحروف التي في المصحف فإنما هي من صنعنا بإذن الله »[(٦)]، فهذا الكلام الذي ذكره هو مركب من قول المعتزلة القائلين بأن القرآن مخلوق لله، ومن قول الأشاعرة المثبتين لكلام قديم قائم بذات الله، لكن هذا تدليس بين القولين، وتلبيس بين الرأيين، خصوصا أنه يرى الفيض، فيكون قوله مجموعة من الأقوال الثلاثة: أن كلام الله فيض، وأنه قائم به غير مخلوق، وأنه بائن عنه مخلوق!!؟.

---

(١) انظر: مقالات الإسلاميين ص٤٠، ١٠٩، منهاج السنة ٢/ ٣٦٩، ٣٧١، المجموع ٢/ ٢٥٦، ٣٦٨.

(٢) انظر: كتاب اصطلاح الصوفية لابن عربي الطائي ص ٩ (المحادثة).

(٣) الإسراء إلى مقام الأسرى لابن عربي الطائي ص٦٨.

(٤) انظر: الإعلام بإشارات أهل الإلهام لابن عربي الطائي ص٣.

(٥) لا يعول عليه لابن عربي الطائي ص٣.

(٦) مناهج الأدلة لابن رشد ص ٧٣.

ومن القائلين به **الرازي**: فإنه وإن كان من الأشاعرة إلا أنه أكد أن الخلاف بينهم وبين المعتزلة ليس في المعنى، وإنما هو في اللفظ، فيقول: «زعمت المعتزلة أن معناه ـ معنى: كونه متكلما ـ كونه تعالى، **موجدا لأصوات دالة على معانٍ مخصوصة في أجسام مخصوصة.**

واعلم أنا لا ننازعهم في المعنى؛ لأنا نعتقد أن جميع الحوادث واقعة بقدرة الله تعالى، ونسلم أن خلق الأصوات في الأجسام الجمادية والحيوانية جائز، **وإذا ثبت ذلك فقد ساعدتهم على المعنى**، وبقي ههنا النزاع: إطلاق اسم المتكلم هل يقع في اللغة لهذا المعنى أم لا، **وهذا البحث لغوي، لا حظ للنقل البتة فيه، والمتكلمون من الفريقين قد طولوا فيه، ولا فائدة فيه... فالحاصل أن الذي ذهبوا إليه فنحن من القائلين به إلا أنا أثبتنا أمرا آخر**»[1] ويقصد بالأمر الآخر هو الكلام النفسي القديم، ويقول: «واعلم أن الجمهور منا يعتقدون أن المعتزلة يوافقوننا في كونه تعالى متكلما، ويخالفوننا في قدم الكلام، **فأما نحن قد بينا أن الذي يقول به المعتزلة فنحن نقول به: من حيث المعنى**»[2].

وقد مال الرازي إلى قول المعتزلة بنفي الكلام القديم (غير مخلوق)، وإثبات الكلام الحادث (المخلوق)، كما يفهم من إيراده لشبه المعتزلة[3].

فتأمل ما في كلامه من الاعتزال، تعرف حقيقة أنه لا فرق في النتيجة بين قول الأشاعرة وهؤلاء المعتزلة في المآل، ولكنهم لا يصرحون بمثل هذه الأقوال، لشناعتها بين الناس، وإلا فإن الأشاعرة والماتريدية يقولون: بأن القرآن العربي مخلوق، ولكن لا

---

(١) محصل أفكار المتقدمين والمتأخرين للرازي ص ٢٥٠.

(٢) محصل أفكار المتقدمين والمتأخرين للرازي ص ٢٦٥، وهو الكلام نفسه الذي قاله الجويني: «هذه العبارات كلام الله، أنها خَلقه، ونحن لا ننكر أنها خَلْق الله، ولكن نمتنع من تسمية خالق الكلام متكلما به، فقد أطبقنا على المعنى، وتنازعنا بعد الاتفاق في تسميته»!!!. انظر: الإرشاد للجويني ص١١٧، فليس ثمة نـزاع بين الأشاعرة والمعتزلة في القرآن الكريم، وإنما النزاع بينهم هل يثبت الكلام النفسي لله ﷻ، أم لا؟؟. انظر: الفواكه الدواني ١/ ٥٦.

(٣) انظر: الأربعين للرازي ص ١٨٣-١٨٤.

يصرّحون بهذا للعوام، وإنما يأتون بطرق ملتوية، والألفاظ محتملة ـ كما سيأتي ـ[١].

وهؤلاء جميعا أعني القائلين بأن القرآن مخلوق، يسمون بالخلقية[٢].

رابعًا: شبهاتهم في القول بخلق القرآن، والرد عليها.

لهم شبهات عقلية، أنتجت هذه الآراء المخالفة للنصوص الشرعية، ثم لما رأوا أن هذا شنيع تمسكوا ببعض النصوص التي ظنوها توافق شبهاتهم، واستدلوا بها، فالأصل عند هؤلاء: الأدلة العقلية، ثم النظر في النصوص الشرعية، والتعلق بالمتشابهات دون النصوص المحكمات، ولذلك سأورد أولا: شبهاتهم العقلية، ثم شبهاتهم النقلية.

أولا: الشبهات العقلية لقولهم بأن القرآن مخلوق.

الشبهة الأولى: قالوا: إن القرآن متعلق بمشيئة الله ﷻ، وما كان متعلقا بمشيئة الله ﷻ، كان مخلوقا، ولا يمكن أن يكون كلام الله أزليا؛ لأنه قال في وقت معين: ﴿إِنَّآ أَرۡسَلۡنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوۡمِهِۦٓ أَنۡ أَنذِرۡ قَوۡمَكَ مِن قَبۡلِ أَن يَأۡتِيَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ﴾[نوح:١]، فلو كان متكلما أزلا لوجب أن يقول ذلك أبدا، إذا كان الكلام لازما لذاته[٣].

الجواب عن هذا:

١- أن قولكم بنفي الكلام الأزلي لكون ذلك يلزم منه أن يكون الله متكلما بما تكلم به أزلا، وأن ذلك يلزم منه الدوام أزلا وأبدا، يصح الاعتراض به على الأشاعرة القائلين بأزلية الكلام مطلقا[٤]، أما أهل السنة فإنهم قالوا: بأن الله متكلم أزلا، وأن آحاد كلامه يكون متى شاءه الله ﷻ، ووافقتم على هذا، لكن لما نظرتم إلى جهة كونه متكلما بمشيئته أنكرتم أن يكون متكلما، قائما به الكلام، وهذا باطل لا يستقيم، لأنه لا

---

(١) انظر: المبحث الآتي.

(٢) انظر: المجموع ١٢/ ٥٩٤.

(٣) انظر: شرح الأصول الخمسة ص ٥٥٤، الأربعين للرازي ص١٨٣.

(٤) انظر: المجموع ٦/ ١٨٤.

يلزم ممن يتكلم في وقت دون وقت أن يكون كلامه مخلوقا، فهذه الشبهة لا تلزم أهل السنة ولله الحمد[١].

٢- أن أهل السنة يقولون: إن الله ﷻ متكلم بصفة ذاتية هي قائمة به ﷻ، وأنه تبارك وتعالى يتكلم بمشيئته فالكلام باعتبار اتصاف الرب ﷻ به يكون صفة ذات، وباعتبار كونه يتكلم بمشيئته يكون صفة فعل، وعلى هذا فلا يستقيم اعتراضهم على أهل السنة بخلق القرآن[٢].

٣- أن قولكم بنفي صفة الكلام عن الله ﷻ بهذه الحجة غير مستقيم لأنكم تنفون حتى الصفات الذاتية فكيف تحتجون بنفي الصفات الاختيارية لأنها ليست ذاتية، فإن المعتزلة لا تثبت لله ﷻ لا صفة ذاتية، ولا صفة فعلية اختيارية.

الشبهة الثانية: قالوا: الكلام لا يكون إلا من جوف، وفم، وشفتين، ولسان[٣].

ويجاب عن هذه الشبهة من أوجه:

١- أن هذا الكلام منكم يدل على أنكم شبهتم الله ﷻ بالمخلوقين، فتصورتم أن الكلام منه لا يكون إلا إذا كان فم وجوف وهواء!!، ونسيتم أو تناسيتم أن الله ﷻ ليس كمثله شيء في صفاته، كما لا مثل له في ذاته.

٢- ثم إن الكلام وجد ممن ليس له لسان ولا شفتين، ولا فم في المحسوس، قال الله ﷻ للسماوات والأرض: ﴿ ٱئْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَآ أَتَيْنَا طَآئِعِينَ ﴾[فصلت:١١]، وقال ﷻ: ﴿ إِنَّا سَخَّرْنَا ٱلْجِبَالَ مَعَهُۥ يُسَبِّحْنَ بِٱلْعَشِيِّ وَٱلْإِشْرَاقِ ﴾[ص:١٨] «أتراها أنها يسبحن بجوف وفم، ولسان، وشفتين؟؟، ولكن الله أنطقها كيف شاء، وكذلك الله تكلم كيف شاء، من غير أن نقول: جوف ولا فم، ولا شفتين، ولا لسان»[٤].

---

(١) انظر: شرح الطحاوية ١/ ١٨٦-١٨٧.

(٢) انظر: الصفدية ٢/ ٨٨-٨٩، المجموع ٨/ ٢٩.

(٣) انظر: الرد على الجهمية للإمام أحمد ص٤٤،٢٦، المجموع ٦/ ١٥٤.

(٤) الرد على الجهمية للإمام أحمد ص٤٤، المجموع ٦/ ١٥٤.

٣- ثبت في القرآن الكريم[(١)] أن الله ﷻ ينطق أعضاء الإنسان يوم القيامة، ومعلوم أنها لا جوف لها، ولا لسان، ولا شفتان، ولا فم، قال ﷻ: ﴿وَيَوْمَ يُحْشَرُ أَعْدَآءُ ٱللَّهِ إِلَى ٱلنَّارِ فَهُمْ يُوزَعُونَ ۝ حَتَّىٰٓ إِذَا مَا جَآءُوهَا شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ وَأَبْصَٰرُهُمْ وَجُلُودُهُم بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ۝ وَقَالُوا۟ لِجُلُودِهِمْ لِمَ شَهِدتُّمْ عَلَيْنَا ۖ قَالُوٓا۟ أَنطَقَنَا ٱللَّهُ ٱلَّذِىٓ أَنطَقَ كُلَّ شَىْءٍ وَهُوَ خَلَقَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ۝ وَمَا كُنتُمْ تَسْتَتِرُونَ أَن يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلَآ أَبْصَٰرُكُمْ وَلَا جُلُودُكُمْ وَلَٰكِن ظَنَنتُمْ أَنَّ ٱللَّهَ لَا يَعْلَمُ كَثِيرًا مِّمَّا تَعْمَلُونَ ۝ وَذَٰلِكُمْ ظَنُّكُمُ ٱلَّذِى ظَنَنتُم بِرَبِّكُمْ أَرْدَىٰكُمْ فَأَصْبَحْتُم مِّنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾[فصلت:١٩-٢٣] فهذه الآيات جليات، في أن هناك كلام من غير جوف ولا لَهَوَات، وأن من ظن أنه لا يكون هناك كلام إلا مما له جوف ولسان، فهو مكذب للقرآن، ويكاد أن يكون داخلا تحت عموم الآية؛ لأنه ظن أن الله لا يتكلم إلا مشبها بآلة، كما ظن المشركون أن أعضاءهم لا يقدر الله على أن ينطقها،فكان جزاؤهم ما ذكر الله، فكيف بالذي يظن أن المنطِق للأشياء لا يتكلم؟؟[(٢)].

الشبهة الثالثة: قالوا: إن القرآن بائن من الله، وما كان بائنا فهو مخلوق[(٣)].

والجواب عن هذه الشبهة من وجوه:

١- أن كلام المخلوق لا يكون مباينا عنه، فكيف يكون كلام الخالق مباينا عنه.

٢- قولكم بأن الكلام مباين عن الله يدل على أنكم ترون الكلام ذاتا قائمة بنفسها ـ وقد التزم به بعض فرق المعتزلة ـ ويلزم من هذا أن يكون جميع صفات المعاني بائنا عن الله!!، فعلى هذا يلزم أن يكون علم الله بائنا عنه!، وقدرته كذلك!، وهذا معلوم البطلان، إذ عِلم الله قائم به، وقدرته قائمة به لا بغيره، فكذلك كلامه قائم به، لا بائنا عنه،

---

(١) وثبت في السنة النبوية كذلك أن النبي ﷺ كان يعرف في مكة حجرا يسلم عليه، وثبت أن الحصى سبح في يده، وأن جذع النخلة حنت له، وكل هذه لو لم يكن الإيمان بالغيب، لما فهم بالعقل المجرد، ولما أدرك، وهذه لا تخالف العقل، حتى يقال بردها، بزعم مخالفتها للعقل، وإنما هو شيء حارت فيه العقول، ولم تحلها العقول، وهذه من دلائل المعجزات. انظر: أعلام النبوة للماوردي ص١٣٧، وما بعدها.

(٢) انظر: شرح الطحاوية ١/ ١٧٩.

(٣) انظر: المجموع ٦/ ١٨٤.

وما كان قائما بغيره فهذه صفة تكون للقائم به، وأما أن الصفات ذوات، فهذا معلوم البطلان، عقلا ونقلا، إذ لا تجد علما قائما بنفسه، ولا قدرة قائمة بنفسها[(١)].

٣- أن عقيدة أهل السنة أن الكلام: «غير بائن من الله، وإنما هو موجود منه، وقائم به»[(٢)]، وأن كلام المخلوق إذا وجد في كتاب، أو قرأه آخر لا يكون بهذا بائنا عنه، فكيف يكون كلام الخالق بائنا عنه لمجرد أنكم رأيتم كلامه في الكتاب، أو سمعتموه من القراء؟؟[(٣)].

٤- معلوم أن المتكلم من قام به الكلام، والله أخبر أنه هو المتكلم، وأن القرآن قوله، فإذا كان قائما بغيره، فلا يكون قوله، ولا كلامه، وإنما يكون مخلوقه، كما أن كلامنا مخلوق له، ولا يقال: إنه كلام الله، فكذلك لا يقال: فيما يخلقه من الكلام في غيره، إنه كلام الله[(٤)].

٥- لا يعرف في لغة ولا عقل أن المتكلم من فعل الكلام ولو كان بائنا عنه، ويلزم من نفيكم لأن يكون الله متكلما نفي وجود الله ﷻ، إذ «نفي الصفة نفي للموصوف، كما أن نفي الفعل نفي الفاعل، وفي نفي الكلام نفي للمتكلم»[(٥)].

٦- أنه ﷻ حي، والحي يصح اتصافه بالكلام، فلو لم يكن متكلما، لكان موصوفا بضده، وهو نقص، وهو محال على الله ﷻ[(٦)].

٧- إجماع السلف على أنه تعالى متكلم، وأن كلامه قائم به[(٧)]، «ولا قال أحد منهم: إن القرآن، أو التوراة، أو الإنجيل لازمة لذاته أزلا وأبدا، وهو لا يقدر أن يتكلم بمشيئته وقدرته، ولا قالوا: إن نفس ندائه لموسى، أو نفس الكلمة المعينة قديمة

(١) انظر: المجموع ١٢/ ٥٢٧-٥٢٨.

(٢) المجموع ٦/ ١٨٤، نقلا عن ابن خفيف الشافعي رحمه الله.

(٣) انظر: المجموع ١٢/ ٥٥٠.

(٤) انظر: الدر النضيد لابن الحفيد ص ١٥٥، المجموع ١٢/ ٥٥٠-٥٥١، ٥٦٠-٥٦١.

(٥) الفرق بين الفرق للبغدادي ص٢٥٧، وانظر: منهاج السنة ٢/ ٣٧٣، شرح الطحاوية ١/ ١٨٨.

(٦) انظر: محصل أفكار المتقدمين والمتأخرين للرازي ص ٢٥٠.

(٧) انظر: ما سبق من ذكر أقوال السلف، ونقل عباراتهم، في الفصل الأول، من الباب الثاني.

أزلية، بل قالوا: لم يزل الله متكلما إذا شاء، فكلامه قديم، بمعنى: أنه لم يزل متكلما إذا شاء، وكلمات الله لا نهاية لها»[(١)].

٨- يلزم من قولكم: إن المتكلم من فعل الكلام ولو قام بغيره، أن يكون كل كلام في الوجود كلامه، وهذا باطل[(٢)].

الشبهة الرابعة: قالوا: إن إضافة الكلام إلى الله ﷻ إضافة تشريف، كبيت الله، وناقة الله، وعبد الله!!!، وينسب إليه الكلام لأنه خالق له.

ويجاب عن هذا:

١- أن المضاف إلى الله ﷻ نوعان: إضافة معان، وإضافة أعيان، فإضافة الأعيان إلى الله للتشريف، وهي مخلوقة كبيت الله، وعبد الله، وناقة الله، بخلاف إضافة المعاني، كعلم الله، وقدرة الله، وعزته، وجلاله، وعظمته، وكلامه، وحياته، فإن هذا كله من صفاته، فإضافتها من إضافة الصفة إلى الموصوف، ليس إلا[(٣)].

إذا قلتم بأن المضاف إلى الله تعالى لا يكون إلا من إضافة التشريف، لزم من ذلك أن حياة الله، وعلم الله، وذات الله، كل هذه مضافات هي من قبيل التشريف ليس إلا!!، وهذا معلوم بطلانه، ومعلوم ما يترتب عليه من إلحاد، وتعطيل لصفات الله ﷻ بل وتعطيل لذاته ﷻ.

٢- لو كان كل ما خلقه الله ﷻ من الأفعال تصح إضافته إليه، فإنه يكون على قولكم صائما، وقائما، ومصليا؟؟ وهذا يؤدي إلى الحلول، وهذا معلوم بطلانه، فدل على أن الإضافة في مسألة الكلام ليست لمجرد الخلق، بل لكونه متكلما به[(٤)].

---

(١) المجموع ١٢/ ٣٨.

(٢) انظر: شرح الطحاوية ١/ ١٨٠، وسبق بيان بطلان القول بأن كل كلام هو كلامه، في المبحث الثاني من هذا الفصل.

(٣) انظر: شرح الطحاوية ١/ ١٧٤-١٧٥، وانظر: الفصل الأول، من الباب الأول.

(٤) انظر: شرح الأصبهانية ص ١٤، منهاج السنة ١/ ٤٥٦، الرد على البكري ١/ ٣٤١.

الشبهة الخامسة: قالوا: إن "قال" بمعنى فعل، والقول يكون بمعنى الفعل، تقول العرب: قالت السماء فأمطرت، وقال الجدار هكذا إذا مال[١].

ورد هذه الشبهة بما يأتي:

١- ذكر لأبي عبيد القاسم بن سلام[٢] ﵀ هذا، فقال: «هذه أغلوطة؛ لأنك إذا قلت: قالت السماء، ثم تسكت، لم يدر ما معنى قالت؟ حتى تقول: فأمطرت، وكذلك إذا قلت: أراد الجدار، ثم لم تبين ما معنى أراد، لم يدر ما معناه؟، وإذا قلت: قال الله، اكتفيت بقوله: قال، فـ"قال" مكتف لا يحتاج إلى شيء يستدل به على قال، كما احتجت إذا قال الجدار فمال، وإلا لم يكن لـ"قال الجدار" معنى، ومن قال هذا فليس شيء من الكفر إلا هو دونه، ومن قال هذا: فقد قال على الله ما لم يقله اليهود، والنصارى، ومذهبه التعطيل للخالق»[٣].

٢- أن هذا التشبيه كما ذكره الإمام أبو عبيد: كُفْرٌ لم يقله الأوائل، إذ شبهتم الله، وعطلتموه عن أوصاف الكمال، وقلتم إنه قال، كما قال الجدار، من الجمادات!!، أو قال، كما قالت السماء، وهي لا تسمع ولا تبصر!!، فشبهتم ربكم بالجمادات، وهذا تشبيه في حد ذاته وكفر برب البريات.

٣- قال ابن قتيبة ﵀: «أفعال المجاز لا تخرج منها المصادر، ولا تُوَكد بالتكرار؛ فتقول: أراد الحائط أن يسقط، ولا تقول أراد الحائط أن يسقط إرادة شديدة...، والله تعالى يقول: ﴿ وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكۡلِيمٗا ﴾[النساء:١٦٤]؛ فوكد بالمصدر معنى الكلام، ونفى عنه المجاز، وقال: ﴿ إِنَّمَا قَوۡلُنَا لِشَيۡءٍ إِذَآ أَرَدۡنَٰهُ أَن نَّقُولَ لَهُۥ كُن

---

(١) انظر: الغنية في أصول الدين ص١٠٤-١٠٥، تأويل مشكل القرآن لابن قتيبة ص ١٠٦، ونسبه إلى قوم، الفتح ١٣/ ٤٦٢، وذكر أن أبا عبيدة نقل هذه الشبهة عن بشر المريسي.

(٢) هو إمام اللغة والسنة:القاسم بن سلاّم (بالتشديد) بن عبد الله، أبو عبيد، له مصنفات رائقة، وتدقيقات فائقة، في علوم متفرقة، ومنها: الأموال، وفضائل القرآن، وغريب الحديث، وغيرها، توفي سنة ٢٢٤هـ. انظر: السير١٠/ ٤٩٠.

(٣) خلق أفعال العباد ص ٢٢-٢٣، وانظر: تأويل مشكل القرآن لابن قتيبة ص ١٠٩، الصواعق المرسلة ٤/ ١٤٠٦، الفتح ١٣/ ٤٦٢.

فَيَكُونُ﴾[النحل:٤٠]؛ فوكد القول بالتكرار، ووكد المعنى بإنما»[(١)].

٤- أن القرآن إذا كان مخلوقا لله ﷻ، فكلامنا أيضا مخلوق لله ﷻ، فما الفرق حينئذ بين كلامنا المخلوق، وكلامه المخلوق، إذ تساويا في صفة الخلق؟؟.

ثانيا: أهم الشبهات النقلية للقائلين بخلق القرآن، والرد عليها:

استدلوا ببعض النصوص التي ظنوا أنها توافق مذهبهم الفاسد، فقالوا إن القرآن الكريم، والأحاديث، فيهما ما يدل على أن القرآن مخلوق، ومن أهم ما ذكروه:

أولا: استدلوا بعموم الآيات التي تدل على أن الله هو الخالق، وأنه خالق كل شيء[(٢)]، وهذه الآيات هي: قوله ﷻ: ﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾[الأنعام:١٠١] وقوله: ﴿قُلِ ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّٰرُ﴾[الرعد:١٦]، وقوله:﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُۥ تَقْدِيرًا﴾[الفرقان:٢] وقوله: ﴿ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ﴾[الزمر:٦٢] وقوله: ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ خَٰلِقُ كُلِّ شَيْءٍ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾[غافر:٦٢] قالوا: عموم هذه الآيات تدل على حدوث القرآن، وأنه تعالى خلقه، ولا دلالة تخرجه عن هذا العموم، فيجب دخوله فيه[(٣)].

والجواب عن هذه الشبهة من وجوه:

١- أن تمسككم بهذه الآيات التي تدل على أن الله خالق كل شيء لا يصح لكم، ولا يستقيم على مذهبكم، لأنكم لا تقولون بعمومها، أو لستم أخرجتم أفعال العباد من هذا العموم؟؟ وقلتم بأنها ليست مخلوقة لله ﷻ، ثم عمدتم إلى صفات ربكم ﷻ وأدخلتموها تحت هذا العموم، أَوَ ليست صفاته من كمال ذاته؟ فكما أن ذاته لا تدخل تحت هذا العموم فكذلك صفاته، ومنها القرآن الذي هو كلامه[(٤)].

---

(١) تأويل مشكل القرآن لابن قتيبة ص ١١١.

(٢)كتاب حجج القرآن ص٦٦، شفاء العليل ١/ ١٥٥،

(٣) انظر: المغني في أبواب العدل والتوحيد ٧/ ٩٤.

(٤) انظر: الصفدية ٢/ ٧٢، شرح الطحاوية ١/ ١٧٨-١٧٩.

٢- هذه الآية عامة، ونوافقكم على هذا، ويلزمنا وإياكم العمل بعمومه، وأما أنتم فلم تقولوا بعمومه لما نفيتم أن يكون الله خالق أفعال العباد، وأما نفينا دخول القرآن تحت هذا العموم لا يعني ذلك التخصيص، لأنه أصلا ليس فردا من أفراده حتى يشمله، بخلاف أفعال العباد، قال ابن القيم رحمه الله: « فليس هاهنا تخصيص البتة، بل الله سبحانه بذاته وصفاته الخالقُ، وكل ما عداه مخلوق، وذلك عموم لا تخصيص فيه بوجه، إذ ليس إلا الخالق والمخلوق، والله وحده الخالق، وما سواه كله مخلوق »[١].

٣- أن "كل" هنا تفيد العموم بحسبه، فليس "كل" في كل موضع تفيد العموم المطلق، وإنما هي تفيد العموم النسبي، فقوله تعالى: ﴿ تُدَمِّرُ كُلَّ شَيْءٍ بِأَمْرِ رَبِّهَا فَأَصْبَحُوا لَا يُرَىٰ إِلَّا مَسَاكِنُهُمْ ﴾[الأحقاف:٢٥] فهي دمرت كل شيء إلا ما أراده الله عز وجل، فلم تهدم مبانيهم، فهذه المباني لم تدخل تحت هذا العموم، فدل على أن المراد بالعموم هو العموم النسبي الذي دل عليه السياق، وهو أن هذه الريح لم تترك شيئا مما فيه الروح من المخالفين[٢].

٤- أن المراد بالشيء ليس هو القرآن في تلكم العمومات، ولا يدخل تحتها القرآن الكريم، كما قال الإمام أحمد رحمه الله: « إن الله في القرآن لم يسم كلامه شيئا، إنما سمى شيئا الذي كان يقوله، ألم تسمع إلى قوله تعالى: ﴿ إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ ﴾[النحل:٤٠] فالشيء ليس هو قوله، إنما الشيء الذي كان يقوله ـ « أي أن الشيء هو الذي تكلم الله عنه، لا هو نفس القول »ـ...، فكذلك إذا قال: ﴿ ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيْءٍ ﴾[الزمر:٦٢]، لا يعني نفسه، ولا علمه، ولا كلامه مع الأشياء المخلوقة، ففي هذا دلالة، وبيان لمن عقل عن الله، فرحم الله من فكر، ورجع عن القول الذي يخالف الكتاب و السنة، ولم يقل على الله إلا الحق »[٣].

---

(١) شفاء العليل ١/ ١٥٥.

(٢) انظر: الرد على الجهمية للإمام أحمد ص٣٣-٣٤، محنة الإمام أحمد للمقدسي ص٨٩، شرح الطحاوية ١/ ١٨١.

(٣) انظر: الرد على الجهمية للإمام أحمد ص٣٣-٣٤.

٥- أن إدخالكم للقرآن في عموم: (كل شيء) يلزم منه أن علم الله شيء، وأن قدرته شيء، وأن حياته شيء...!!!، فتكون هذه الصفات كلها داخلة تحت هذا العموم!!، وهذا صريح الكفر، تعالى الله عما يقولون علوا كبيرا(١).

ثانيا: قالوا: إن القرآن الكريم جاء فيه ما يدل على أنه مجعول، وما كان مجعولا فهو مخلوق، لأن الجعل والفعل سواء، واستدلوا بالآيات التي فهموا منها ذلك(٢)، وهي قوله ﷻ: ﴿ وَلَوْ جَعَلْنَٰهُ قُرْءَانًا أَعْجَمِيًّا لَّقَالُواْ لَوْلَا فُصِّلَتْ ءَايَٰتُهُۥٓ ﴾[فصلت:٤٤] وقوله: ﴿ إِنَّا جَعَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾[الزخرف:٣].

والجواب عن هذه الشبهة من أوجه:

١- أن "جَعَلَ" تكون بمعنى "خلق" إذا كانت متعدية إلى مفعول واحد، كقوله ﷻ: ﴿ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ فِرَٰشًا ﴾[البقرة:٢٢] وقوله: ﴿ هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ ٱلشَّمْسَ ضِيَآءً وَٱلْقَمَرَ نُورًا ﴾[يونس:٥] أما إذا تعدت إلى مفعولين فلا تكون بمعنى "خلق" كما في الآيات التي تمسكتم بها، فلا حجة لكم فيها(٣)، وإنما هي في تلكم الآيات التي أوردتموها بمعنى صيره، وصرفه إلى اللغة العربية، وسماه به، فهو سبحانه تكلم بالقرآن بالعربية، وهو إن شاء تكلم بالعربية، وإن شاء جعل كلامه غير عربي(٤).

٢- ثم إذا أبيتم ذلك، وقلتم بأن جعل بمعنى خلق أبدا، فهل تقولون بأن الله مجعول؟؟، لأنه ورد في القرآن الكريم، أنه سبحانه وتعالى قال: ﴿ وَأَوْفُواْ بِعَهْدِ ٱللَّهِ إِذَا عَٰهَدتُّمْ وَلَا تَنقُضُواْ ٱلْأَيْمَٰنَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلْتُمُ ٱللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلًا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ ﴾[النحل:٩١] أتقولون: إن العباد خلقوا الله على أنفسهم كفيلا؟؟، أم تقولون: صيرنا الله وسميناه كفيلا؟؟، وأيضا: قوله ﷻ: ﴿ ٱلَّذِينَ جَعَلُواْ ٱلْقُرْءَانَ

---

(١) انظر: شرح الطحاوية ١/ ١٧٩

(٢) انظر: المغني في أبواب العدل والتوحيد ٧/ ٩٤، الكشاف للزمخشري ٣/ ٤٧٧، حجج القرآن ص٦٦، المعتمد لأبي يعلى الفراء ص١٩٤.

(٣) انظر: الرد على الجهمية للإمام أحمد ص٢٨، المجموع ٨/ ٢٩، شرح الطحاوية ١/ ١٨٢.

(٤) انظر: المجموع ١٢/ ٥٢٢، الفتح ١٣/ ٤٦٣.

عِضِينَ ﴾[الحجر:٩١] أفتقولون فيها: إن الكفار خلقوا القرآن أيضا، كما قلتم بأن الله خلق القرآن؟؟[١] أم ستقولون: إن المراد أنهم صيروا القرآن عضين؟[٢].

ثالثا: قالوا: إن القرآن الكريم جاء فيه ما يدل على أنه محدَث، والمحدث مخلوق، فدل هذا على أن القرآن الكريم مخلوق[٣] كما في قوله ﷻ: ﴿ مَا يَأْتِيهِم مِّن ذِكْرٍ مِّن رَّبِّهِم مُّحْدَثٍ إِلَّا ٱسْتَمَعُوهُ وَهُمْ يَلْعَبُونَ ﴾[الأنبياء:٢]، وقوله: ﴿ وَمَا يَأْتِيهِم مِّن ذِكْرٍ مِّنَ ٱلرَّحْمَٰنِ مُحْدَثٍ إِلَّا كَانُوا۟ عَنْهُ مُعْرِضِينَ ﴾[الشعراء:٥]، وقوله: ﴿ الٓر ۚ كِتَٰبٌ أُحْكِمَتْ ءَايَٰتُهُۥ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ﴾[هود:١]، «وما صادفه فعل بعد فعل يكون محدثا»[٤].

والجواب عن هذا من عدة نواحٍ:

١- أن هذه الآيات تدل على أن آحاد كلام الله ﷻ جديدة من حيث النزول الزماني، وأن بعض كلام الله قبل بعض، وهذا يؤكد صحة معتقد أهل السنة والجماعة أن القرآن الكريم كلام الله ﷻ، تكلم الله به، وسمعه جبريل، ثم نزل به إلى محمد ﷺ، ولم ينـزل مرة واحدة، فالكلام بعضه أجد من بعض من حيث الترتيب والنـزول.

٢- أن قولكم: إن كل محدَث فهو مخلوق، شيء اصطلحتم عليه من القواعد المنطقية، والأصول الفلسفية، وأما معتقد أهل السنة والجماعة فمأخوذ من الآيات القرآنية، والأحاديث النبوية، والمحدث في الآية ليس هو المخلوق، ولكنه الذي أنزل جديدا[٥]، والمحدث في لغة العرب يطلق على الجديد لا على المخلوق مطلقا، ولما كان الرسول ﷺ لا يعلمه ثم علمه، كان بالنسبة له جديدا، وكذلك بالنسبة إلى الصحابة، وكذلك بالنسبة لنا، فكم نسمع من آية هي جديدة على أسماعنا، وحديثة، ولكنها من

---

(١) انظر: الرد على الجهمية للإمام أحمد ص ٢٧.

(٢) انظر: محنة الإمام أحمد ص٨٤.

(٣) انظر: حجج القرآن ص٦٦.

(٤) حجج القرآن ص٦٦، وانظر: متشابه القرآن للقاضي عبد الجبار المعتزلي ٢/ ٤٩٦، ٥٤٥، والتفسير الكبير ٢٢/ ١٤٠.

(٥) انظر: المجموع ١٢/ ٥٢٢.

كلام الله ﷻ، وموجودة قبل أن نوجد، ولم يغير سماعنا لها جديدا شيئا من وصفه كلام الله، وإنما تجدد عندنا السماع[(١)]، قال القرطبي رحمه الله: «أي ما يأتيهم من ذكر من ربهم محدث، يريد في النزول، وتلاوة جبريل على النبي ﷺ، فإنه كان ينزل سورة بعد سورة، وآية بعد آية، كما كان ينزله الله تعالى عليه في وقت دون وقت، لا أن القرآن مخلوق»[(٢)]، فهذا يؤكد اعتقاد السلف: أنّ الله يتكلم متى شاء، إذا شاء، وكيف شاء، وأنه تكلم بالقرآن، فكلام الله حادث الآحاد، لا النوع.

٣- أن قولكم أنه تكلم بصوت وحرف، وهذا محدث، والمحدث من صفات المخلوقين فيه تلبيس، إذ المحدث في لغة القرآن هو الجديد، والقديم في لغة القرآن هو ما تقدم على غيره، فإن أردتم أن القرآن محدث من حيث كونه بعد التوراة والإنجيل فهذا حق، وإن كنتم تريدون أنه محدث بمعنى مخلوق، فهذا باطل نرده، وإن قلتم: لا بد أن يكون قديما، قلنا: هو قديم بمعنى ليس بمخلوق، وأهل السنة لا يقولون إن الله «كلم موسى بكلام قديم، ولا بكلام مخلوق، بل هو سبحانه يتكلم إذا شاء، ويسكت إذا شاء، كما أنه ﷻ خلق السماوات، والأرض في ستة أيام، ثم استوى على العرش، وأنه سبحانه استوى إلى السماء وهي دخان، وأنه سبحانه يأتي في ظلل من الغمام والملائكة، كما قال: ﴿وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا﴾[الفجر:٢٢] وقال: ﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن تَأْتِيَهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَوْ يَأْتِىَ رَبُّكَ أَوْ يَأْتِىَ بَعْضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ﴾[الأنعام:١٥٨]، وقال تعالى: ﴿إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾[يس:٨٢][(٣)] ...، وأمثال ذلك في القرآن والحديث كثير، يبين الله سبحانه إذا شاء فعل ما أخبر عنه من تكليمه، وأفعاله القائمة بنفسه»[(٤)].

رابعا: قالوا: إن القرآن صرح بأن موسى ـ عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام ـ

---

(١) انظر: منهاج السنة النبوية ٢/ ١٩٨، محاسن التأويل ٥/ ١٤٠.

(٢) الجامع لأحكام القرآن ١١/ ١٧٨.

(٣) ومثله قوله: ﴿إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَىْءٍ إِذَآ أَرَدْنَٰهُ أَن نَّقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾[النحل:٤٠] وهذا أصرح في الدلالة على أن الله يقول "كن" فيكون الشيء.

(٤) المجموع ١٢/ ٥٢٩.

سمع كلام الله من الشجرة(١)، حيث قال: ﴿ فَلَمَّآ أَتَىٰهَا نُودِىَ مِن شَٰطِيِٕ ٱلْوَادِ ٱلْأَيْمَنِ فِى ٱلْبُقْعَةِ ٱلْمُبَٰرَكَةِ مِنَ ٱلشَّجَرَةِ أَن يَٰمُوسَىٰٓ إِنِّىٓ أَنَا ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾[القصص:٣٠].

والجواب عن هذا ما يأتي:

١- أن الاستدلال بهذه الآية على أن كلام الله مخلوق من الادعاءات العرية، التي لا تلتبس إلا على من عري عن العلوم السنية الشرعية، فإن أول الآية دلّ على أنه نودي من بعد، فسمع موسى النداء من بعد من حافة الوادي، وكان هذا النداء في البقعة المباركة من الشجرة، أي من عند الشجرة، كما تقول سمعت كلام زيد من البيت، يكون من البيت أو من الشجرة لابتداء الغاية، لا أن البيت أو الشجرة هي المتكلمة(٢).

٢- أن آخر الآية تبين أن المتكلم هو الله ﷻ، لأن موسى سمع الله يقول: ﴿ إِنِّىٓ أَنَا ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾[القصص:٣٠] فلو كان الكلام مخلوقا في الشجرة لكانت هي القائلة لموسى إني أنا ربك!!، وهذا باطل وما أدى إلى الباطل فهو باطل(٣).

٣- لو كان الكلام مخلوقا في الشجرة لما كان قول فرعون كفرا لما قال: أنا ربكم الأعلى؛ لأن هذا مخلوق من مخلوق، وذاك مخلوق من الشجرة المخلوقة، ولا فرق، وهذا يؤدي ويلزم منه عدم تكفير فرعون، ولهذا أنكر الأئمة هذا القول أشد الإنكار لعلمهم بهذه اللوازم الفاسدة.

٤- أن النداء والكلام الذي سمعه موسى لو كان من الشجرة مخلوقا لكان من يسمع الوحي من الملائكة أفضل منه، ولما كان لموسى أي مزية على الأنبياء الآخرين، بل لكان غيره أفضل منه في التكليم!!.

٥- أنه ثبت في القرآن الكريم من عدة أوجه أن الله كلم موسى بكلام سمعه من الله، وهذه الآيات كلها تدل على أن الكلام ليس مخلوقا، وأن القرآن

---

(١) انظر: متشابه القرآن ٢/ ٥٤٥، التفسير الكبير للرازي ٢٤/ ٢٤٤.

(٢) انظر: شرح الطحاوية ١/ ١٨٢-١٨٣.

(٣) انظر: شرح الطحاوية ١/ ١٨٣.

الكريم كلام الله[(١)] قال تعالى: ﴿ وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكۡلِيمٗا ﴾[النساء:١٦٤] وقد: «أجمع النحويون على أن الفعل إذا أكد بالمصدر لم يكن مجازا، فإذا قال: تكليما، وجب أن يكون كلاما على الحقيقة التي تعقل...، فهو ـ أي المصدر ـ لرفع المجاز عن النسبة؛ لأنه قد نسب الكلام فيها إلى الله، فهو المتكلم حقيقة»[(٢)].

خامسا: تمسكوا بقول الله ﷻ في حق عيسى ـ عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام ـ حيث قال: ﴿ إِنَّمَا ٱلۡمَسِيحُ عِيسَى ٱبۡنُ مَرۡيَمَ رَسُولُ ٱللَّهِ وَكَلِمَتُهُۥٓ أَلۡقَىٰهَآ إِلَىٰ مَرۡيَمَ وَرُوحٞ مِّنۡهُ ﴾[النساء:١٧١] قالوا: وعيسى مخلوق، فكلامه مخلوق[(٣)].

والجواب من وجهين:

١ - أن المراد في هذه الآية بكلمته، كلمة: "كن" حيث ألقاها إلى مريم فكان عيسى، وليس عيسى هو "كن"، حتى يقال: إن الكلمة مخلوقة لأنها هي عيسى، وإن عيسى كان "بكن"، فـ"كن" من الله قول، وليس "كن" من الله مخلوقا[(٤)]، قال قتادة رحمه الله: «ليس الكلمة صار عيسى، ولكن بالكلمة صار عيسى»[(٥)]، وقال الحافظ ابن كثير[(٦)] رحمه الله في تفسير هذه الآية: «إنما هو عبد من عباد الله، وخلق من خلقه، قال له: كن، فكان، ورسول من رسله، كلمته ألقاها إلى مريم، أي: خلقه بالكلمة التي أرسل بها جبريل عليه السلام

---

(١) وقد سقت الآيات التي تدل على أن الله متكلم حقيقة في الفصل الأول من الباب الأول.

(٢) الفتح ١٣/ ٤٧٨، وانظر: تأويل مشكل القرآن لابن قتيبة ص١١١.

(٣) انظر: الرد على الجهمية للإمام أحمد ص٣٩-٤٠، تبيين كذب المفتري ص٣٥٣، الجواب الصحيح ٤/ ٦٧، شرح الأصبهانية ٤٣٠، المجموع ٤/ ٢١٩، الروح ١٩٦.

(٤) انظر: الرد على الجهمية للإمام أحمد ص٤٠، شرح الأصبهانية ص٤٣٠، الجواب الصحيح ٤/ ٦٧، المجموع ٨/ ٤١٨، الروح لابن القيم ص١٩٦.

(٥) الجواب الصحيح ٢/ ١٦، وروى نحوه ابن جرير الطبري في تفسيره ٤/ ٣٧٤، وانظر: تفسير ابن كثير ١/ ٥٩٠.

(٦) هو الحافظ المحدث المؤرخ المفسر الكبير: إسماعيل بن عمر بن كثير بن ضوء بن كثير الدمشقي الشافعي، أبو الفداء عماد الدين، درس على الأئمة الفطاحل، كابن تيمية وابن القيم والذهبي، وبرع في علوم جمة، من مؤلفاته المشهورة: تفسير القرآن العظيم، والبداية والنهاية، توفي سنة ٧٧٤هـ. انظر: الدرر الكامنة ١/ ٣٧٣، معجم المؤلفين ٢/ ٢٨٣.

إلى مريم، فنخ فيها من روحه بإذن ربه ﷻ »[(١)].

٢- قلتم إن عيسى هو كن، وهو مخلوق، ومعلوم أن عيسى ولد وجرى عليه ما يجري على الآدميين من كونه مولودا، وصبيا، وغلاما، ويأكل ويشرب، وفي آخر الزمان يموت، فيلزمكم أن تقولوا: مثل ذلك في القرآن، وأنه ولد، وأنه يموت!![(٢)].

سادسا: قالوا: إن القرآن متعلق بقدر الله ﷻ ، وما كان مقدورا فهو مخلوق[(٣)]، قال الله ﷻ : ﴿ وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ قَدَرًا مَّقْدُورًا ﴾[الأحزاب:٣٨].

رد الشبهة من أوجه:

١- إن أردتم أن كلام الله ﷻ مقدر بمعنى أن الله قدرها، فهذا حق، فإن كلام الله ﷻ مقدر، كما أن كل شيء مقدر، من الشرع وغيره، سواء كان متعلقا بالله ﷻ ، أو متعلقا بالمخلوقين، فالقرآن نزل بقدر معين تكلم الله ﷻ به، وكذلك كان التوراة بقدر معين...

٢- أن التقدير يَرِد وقد يراد به المفعول، والآية ها هنا سيقت لبيان المأمور به المقدور، وهذا مخلوق، ولم تسق لبيان المصدر الذي يأتي بمعنى الفعل.

٣- أن المراد بالأمر في الآية المأمور به لا نفس كلام الله ﷻ الذي هو من صفاته، فإن مصدر "الأمر" يرد وقد يراد به الفعل، ويرد وقد يراد به المفعول[(٤)].

٤- أما إن كان مرادكم أن كلام الله له قدر معين، كما أن الخلق له قدر معين، فهذا ليس بصحيح، قال الإمام ابن أبي حاتم رحمه الله: « حدثنا أبي قال سمعت بعض أهل العلم يقول: قول الله ﷻ : ﴿ إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَٰهُ بِقَدَرٍ ﴾ [القمر:٤٩]، وقوله: ﴿ قُل لَّوْ كَانَ ٱلْبَحْرُ مِدَادًا لِّكَلِمَٰتِ رَبِّى لَنَفِدَ ٱلْبَحْرُ قَبْلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَٰتُ رَبِّى وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِۦ مَدَدًا ﴾ [الكهف:١٠٩]، يدل على أن القرآن غير مخلوق؛ لأنه لو كان مخلوقا، لكان له

(١) تفسير القرآن العظيم ١/ ٥٩٠.

(٢) انظر: الرد على الجهمية للإمام أحمد ص ٤٠، المجموع ٨/ ٤١٧-٤١٨، الروح ص ١٩٦.

(٣) انظر: المجموع ٨/ ٤١٢.

(٤) انظر: المجموع ٨/ ٤١٢.

قدر، وكانت له ـ نهاية ـ[١]، ولنفد كنفاد المخلوقين»[٢].

سابعا: قالوا: جاء في الحديث أن البقرة وآل عمران غمامتان، كما في قوله ﷺ: «اقرؤوا القرآن؛ فإنه يأتي يوم القيامة شفيعا لأصحابه، اقرؤوا الزهراوين: البقرة، وسورة آل عمران، فإنهما تأتيان يوم القيامة كأنهما غمامتان، أو كأنهما غيايتان[٣]، أو كأنهما فرقان من طير صواف، تحاجان عن أصحابهما، اقرؤوا البقرة، فإن أخذها بركة، وتركها حسرة، ولا تستطيعها البطلة»[٤]، ونحوها من الأحاديث، يدل على أن القرآن يجيء، ويأتي، ويكون غمامة!!، وما كان كذلك فإنه لا يكون إلا مخلوقا؛ ولا يوصف بالمجيء والإتيان، إلا المخلوق!![٥].

وجواب هذه الشبهة من وجوه:

١- أن ما ذكر من أن سورة البقرة وآل عمران تأتيان غمامتين، ونحوها من الأحاديث، فهذا ضرب مثل، وإلا «فإن الكلام لا يكون غمامة، ولا يُشبَّه بها»[٦]، وهذا من سعة لغة العرب إطلاق اسم الشيء والمراد ما ترتب عليه.

٢- أن المراد بهذا هو ثواب القراءة، كما جاء تفسير هذا عن الأئمة، كإمام أهل السنة والجماعة، وغيره[٧]، قال: أبو عبيد القاسم بن سلام ـ والسيف يومئذ يقطر من دماء أهل السنة في المحنة ـ المراد: ثوابهما[٨].

٣- قال الإمام ابن حبان البستي[٩] رحمه الله بعد ذكر حديث شفاعة القرآن

---

(١) وفي الفتح: (وكانت له عناية)، ولا يستقيم المعنى إلا بما أثبته.

(٢) الفتح ١٣/ ٤٥٤.

(٣) الغياية: كل شيء أظل الإنسان فوق رأسه، كالسحابة وغيرها. النهاية في غريب الحديث ٣/ ٤٠٣.

(٤) رواه مسلم، كتاب صلاة المسافرين..، باب/ فضل قراءة القرآن وسورة البقرة، ح(٨٠٤) عن أبي أمامة الباهلي رضي الله عنه.

(٥) انظر: أساس التقديس للرازي ص ٨١، المجموع ٥/ ٢٠٦، شرح حديث النزول ص ٢٠٧.

(٦) أقاويل الثقات للكرمي ص ٢١٧.

(٧) انظر: المجموع ٨/ ٤٠٩، شرح الطحاوية ١/ ٩٤.

(٨) فضائل القرآن لأبي عبيد ص ١٢٦.

(٩) هو العالم الحافظ: محمد بن حبان بن أحمد بن حبان التميمي، أبو حاتم البستي، له مؤلفات في السنة =

لأهله: «هذا خبر يوهم لفظه مَن جهل صناعة العلم أن القرآن مجعول مربوب، وليس كذلك؛ لكن لفظه مما نقول في كتبنا: إن العرب في لغتها تُطلق اسم الشيء على سببه، كما تطلق اسم السبب على الشيء؛ فلما كان العمل بالقرآن قاد صاحبه إلى الجنة أطلق اسمُ ذلك الشيء الذي هو العملُ بالقرآن على سببه الذي هو القرآن، لا أن القرآن يكون مخلوقا»[(١)].

٤- أن الجزاء يكون على فعل الإنسان، والمكلف حينما يقرأ القرآن فإن القراءة فعل له، لا أن القرآن من أفعاله، فالذي يجازى به هو فعله نفسه، ولا يجازى بفعل غيره، وصفة غيره، ولهذا قال الإمام أحمد ﷺ: «إن القرآن لا يجيء، - وإنما يكون المعنى - أنه قد جاء: «من قرأ: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾[الإخلاص:١] فله كذا، وكذا»، ألا ترون من قرأ: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ لا يجيئه، بل يجيء ثوابه، لأنا نقرأ القرآن، فنقول لا يجيء، ولا يتغير من حال إلى حال»[(٢)]، فبين الإمام ﷺ أن الذي يجيء هو المخلوق من عمل العبد، وهو القراءة، لا المقروء نفسه، بدليل: أن من قرأ سورة كذا فله كذا، لا أن من قرأ السورة فهي له كذا، فالسورة نفسها لا تكون له، وإنما يكون له ثوابها[(٣)]، ولو كان المقصود السورة نفسها، لما كان للحث على القراءة من معنى، وأنت ترى أن النبي ﷺ حث على قراءتها، لا على الحصول على السورة نفسها فقال: **[اقرؤوا القرآن... اقرؤوا الزهراوين... اقرؤوا سورة البقرة]** ثم في آخر الحديث بيان لهذا حيث قال: إن أخذها بركة، أي أخذها بقراءتها والعمل بها، وكل هذه أفعال للعبد، وقال: تركها حسرة، لأن من لم يقرأها سيجد يوم القيامة أن من قرأها كانت قراءته له شفيعا، فيتحسر على ترك القراءة - والله أعلم -.

=

مشهورة، ومشاركات في العلوم مشكورة، ومن مصنفاته: كتابه في السنن المشهور بصحيح ابن حبان، وتاريخ الثقات، توفي سنة ٣٥٤هـ. انظر: السير ١٦/ ٩٢.

(١) الإحسان بترتيب صحيح ابن حبان ١/ ١٦٧، عند ح(١٢٤).

(٢) المجموع ٨/ ٤١٠.

(٣) انظر: المجموع ٨/ ٤١٠، ١٢/ ٧٩.

٥- أن قولكم: إن من وصف بالمجيء والإتيان لا يكون إلا مخلوقا باطل، بدليل أن الله ﷻ أخبر عن نفسه أنه يجيء ويأتي، قال الله تعالى: ﴿ هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن تَأْتِيَهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَوْ يَأْتِىَ رَبُّكَ أَوْ يَأْتِىَ بَعْضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ ﴾[الأنعام:١٥٨] وقال: ﴿ وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا ﴾[الفجر:٢٢] ومعلوم أن هذه الأوصاف التي جاءت في حق الله ﷻ لا تدل على كون الله ﷻ مخلوقا بالاتفاق، فدل ذلك أن الوصف بالمجيء والإتيان لا يلزم منه أن يكون مخلوقا[1]، وهذا لو قيل بأن المراد بالشفاعة شفاعة السورة نفسها.

٦- قلتم محرفين في الآيات التي تدل على مجيء الرب ﷻ بأن المراد: جاء أمره، فلم لا يكون المراد في وصف القرآن بأنه يجيء أن يكون المراد: يجيء ثواب قراءته؟؟ والقراءة مخلوقة[2].

ومما يبين فساد قول المعتزلة في القرآن الكريم ما يلزمهم من اللوازم الفاسدة، من قولهم: إن القرآن مخلوق، والشناعات التي تترتّب على قولهم هي:

١- تضليل السلف، إذ كانت هذه المسألة من الدين ولم يبينها لنا الرسول الكريم ﷺ، ولا الصحابة ذوو العلم والتعظيم للقرآن الكريم؟؟، فيقال لهؤلاء المعتزلة: هل هذا شيء علمه رسول الله ﷺ وأصحابه من بعده، أم لم يعلموه؟؟ فإن قلتم بالثاني ضللتم، وإن قلتم بالأول، قيل لكم: وهل دعوا الناس إليه، وعلموه الناس أم لا؟؟ فإن قلتم بالثاني تبين أن هذا ليس من الدين، وإن قلتم أنه لم يدعوا الناس إليه تبين ضلالكم في اتهام النبي ﷺ بكتمان الدين، وعدم بلاغه البلاغ المبين، وكان فيه اتهام للسلف الصالحين!![3]

٢- قال ابن بدران[4] رحمه الله: «وأما الجهمية فقد أجمع من أدركنا من أهل

---

(١) انظر: المجموع ٨/ ٤٠٨.

(٢) انظر: المجموع ٨/ ٤٠٩.

(٣) انظر: محنة الإمام أحمد للمقدسي ص ١٦٨-١٦٩.

(٤) هو الفقيه الأصولي السني: عبد القادر بن أحمد بن مصطفى بن عبد الرحيم الدومي الدمشقي المعروف بابن بدران، له مؤلفات في العلوم المختلفة، من مؤلفاته: المدخل، وجنة المناظر شرح روضة الناظر، توفي في دمشق سنة ١٣٤٦هـ. انظر: معجم المؤلفين ٥/ ٢٨٤.

العلم أنهم قالوا إن الجهمية افترقت ثلاث فرق: فقالت طائفة منهم: القرآن كلام الله، وهو مخلوق، وقالت طائفة: القرآن كلام الله، وسكتت، وهي الواقفة الملعونة، وقالت طائفة منهم: ألفاظنا بالقرآن مخلوقة، فهؤلاء كلهم جهمية كفار، يستتابون فإن تابوا وإلا قتلوا، وأجمع من أدركنا من أهل العلم على أن من هذه مقالته إن لم يتب، لم يناكح ولا يجوز قضاؤه ولا تؤكل ذبيحته»[١].

٣- أن في قولهم تشبيها لكلام الخالق بكلام المخلوق من حيث كون الكل مخلوقا!! «فقد شبهتم الله بخلقه حين زعمتم أن كلامه مخلوق، ففي مذهبكم قد كان في وقت من الأوقات، لا يتكلم حتى خلق التكلم، وكذلك بنو آدم، كانوا لا يتكلمون حتى خلق الله لهم كلاما، وقد جمعتم بين كفر وتشبيه»[٢].

٤- أن الأئمة أخبروا بأن من قال: القرآن مخلوق فهو كافر، من حيث العموم، وأمروا بقتلهم وهجرهم، وتضليلهم، فهذا يدل على شناعة هذا القول، وخطورته في الدين[٣].

٥- يلزمكم على قولكم بأن كلام الله مخلوق له، أن يكون كلام المخلوقين كلاما له، وذلك لأنه مخلوق له ـ كما هو معتقد أهل السنة ـ فلا يكون حينئذ فرق بين كلام الرب، وكلام العبد![٤].

٦- أن إنكاركم كلام الله ﷻ حقيقة،وأنه متكلم أزلا، كما أنه متكلم إذا شاء، يلزم منه وصف الرب الكامل ﷻ بالنقص، إذ وصفتموه بأنه لا يستطيع أن يتكلم، لا

---

(١) المدخل لابن بدران ص ٥٤.

(٢) الرد على الجهمية للإمام أحمد ص ٤٦، وانظر: الصفدية ٢/ ٨٩.

(٣) انظر: خلق أفعال العباد ص ١٢١، وما بعدها حيث نقل الإمام البخاري ؒ الاتفاق على كفر من قال: القرآن مخلوق، وانظر: تبيين كذب المفتري ص ١٥٩، المعتمد لأبي يعلى الفراء ص ٢٦٧، شرح الأصبهانية ص ٤٣٠ وما بعدها، المجموع ١٢/ ٥٢٤، الفتح ١٣/ ٤٧٨، المدخل لابن بدران ص ٥٤.

(٤) انظر: شرح الأصبهانية ص ٥٤٦، منهاج السنة ٢/ ٣٧٢، المجموع ١٧/ ٨٤.

أزلا، ولا أبدا!!(١)(٢).

وبعد أن ذكرت أهم شبهات القوم مع الجواب عنها، وبعضا مما يدل على فساد مذهبهم، فإني قد تركت بعض شبهاتهم التي يشتركون فيها مع أفراخهم الأشاعرة والماتريدية، وسأبينها في المبحث الآتي.

---

(١) انظر: المجموع ٦/ ١٥٤-١٥٥.

(٢) تنبيه: ربما يقرأ المسلم في بعض الكتب، أو يسمع من بعض الخطباء والوعاظ ـ قاصدين هذا المعنى أو غير قاصدين ـ أنهم يقولون: قالت الآية!!، وصور القرآن، وصوت القرآن، ونحو ذلك: وهذه ليست بجيدة لأنها تشعر بقول المعتزلة لأن هذا الفعل لم تأت نسبته إلى القرآن الكريم، وإنما ينبغي حين النسبة والإضافة الاقتصار على ما ورد، وقريب من هذا قول بعضهم: رسم الله في كتابه!!، ونحو ذلك من العبارات، التي لم تأت في الآيات البينات، والأحاديث الثابتات، وهذا يشبه قول القائلين: بخلق القرآن، ولكنه تلميح لا تصريح، فينبغي التنبه ـ والله الهادي إلى سواء السبيل ـ.

المبحث الرابع
القول بأن القرآن حكاية أو عبارة عن كلام الله

إن القول بأن القرآن عبارة أو حكاية عن كلام الله ﷻ هو من الأقوال المشهورة على ألسنة المخالفين للسلف، وليتبين هذا المبحث ويتجلى أبين أمورا، وهي:

أولا: معنى هذا القول.

الحكاية مأخوذة من قولك: «حكيتَ الشيء أحكيه حِكايةً، إذا أتيتَ بمثله على الصفة التي أتى بها غيرك، فأنت كالناقل، ومنه أتيت صنعته إذا أتيت بمثلها»(١)، فالحكاية مأخوذة من إحكام الشيء بعقدٍ أو تقرير، والثاني هو المراد هنا، والحكاية بالتقرير: أن تفعل مثل ما فعل الأول(٢).

وكان ابن كلاب(٣) وأصحابه يقولون: بأن القرآن حكاية عن كلام الله ﷻ(٤)، ثم جاء الأشعري ومن بعده فقالوا: بأن القرآن عبارة عن كلام الله ﷻ النفسي، وليس حكاية عنه(٥)؛ لأن الحكاية لا بد أن يكون فيها محكي في الأول، فعدلوا عن هذه اللفظة إلى لفظة العبارة، لأنها لا تحتاج إلى محكي في الأصل(٦).

---

(١) المصباح المنير ص ١٤٥.

(٢) انظر: مقاييس اللغة ص ٢٧٧.

(٣) هو رأس الكلابية ومؤسسها: عبد الله بن سعيد بن كلاب القطان البصري، صاحب تصانيف في الرد على المعتزلة، وقيل له: كلاب، لكونه يجر الخصم إلى قوله بفصاحته!، وأصحابه هم الكلابية (وهو أقرب المتكلمين إلى السنة)، توفي في حدود ٢٤٠هـ. انظر: السير ١١/ ١٧٤.

(٤) انظر: التسعينية ٢/ ٤٣٨.

(٥) انظر: مختصر الصواعق المرسلة ص٤٧٥.

(٦) انظر: التسعينية ٢/ ٤٣٨، المجموع ١٢/ ٥٤٣.

وأما العبارة فمأخوذة من (عَبَّرَ) يُعبِّر، تعبيرا، وتقول: «عبَّرت عن فلان، تكلمت عنه، واللسان يعبر عما في الضمير: أي يُبيِّن»[١]، وقد يكون مأخوذا من التعبير، أعني تعبير الرؤيا[٢]، وذلك لأنه شيء في الخيال كالشيء في النفس، ثم يترجم عنه، ويبين عنه بالتعبير الذي يكون من المعبر، وهذا لصيق بقولهم: إن كلام الله ﷻ نفسي، يعبر عنه غيره كالأول.

فهذا القول يعني أن القرآن الكريم الموجود بين دفتي المصحف، المسموع من القراء، المتلو بالألسن، ليس هو كلام الله ﷻ، بل هو عبارة عنه، أو حكاية عنه، أي شيء يدل عليه، لا أنه هو نفسه كلام الله ﷻ الذي هو صفة من صفاته!!.

فأصحاب هذا القول يثبتون لله ﷻ في الظاهر كلاما، ويقولون: إنه صفة من صفات ذاته، ويعنون به «المعنى القائم بالذات، وهو غير مخلوق، وكتابه هو: المنظوم المؤلف العربي، وهو مخلوق!!»[٣].

ويصرحون بهذا القول، فيقولون في شرح قولهم "القرآن كلام الله" أي: «أن القرآن كلام الله الخ هذا مستفاد مما تقدم من أن صفات الله تعالى قديمة، وإنما ذكره لإفادة **أن القرآن يطلق على كلام الله الذي ليس بمخلوق، كما يطلق على اللفظ الدال عليه**، وإلا لم يحتج إلى قوله ليس بمخلوق إذ يصير حشوًا..،قوله كلام الله بدل، أو عطف بيان بذاته، احتراز من كلام الله بمعنى الحروف والأصوات فإنها ليست قائمة بذاته»[٤].

ويقولون: أنّ القرآن الكريم الموجود بين دفتي المصحف دالّ على كلام الله، وليس هو كلام الله، فعندهم لا يعرف لله كلام، وإنما يعرف الدال عليه، والذي يدل عليه يسمى: «العبارة، والكتابة، والإشارة، والدال يسمى قرآنا، وتوراة، وزبورا باعتبار النازل عليه...، ـ وهذا الموجود في المصاحف، هو ـ كلام الله عبارة عن المعنى

---

(١) المصباح المنير ص ٣٩٠.

(٢) المفردات للراغب ص ٣٢٣.

(٣) المجموع ١٢/ ١٢٥.

(٤) حاشية العدوي ١/ ٨٠-٨١، وانظر منه ص ٦٥، والفواكه الدواني ١/ ٥٦.

النفسي، القائم بذاته المنـزه عن الأصوات، والحروف، والتقدم، والتأخر»[(١)].

وقد يقولون: إن كلام الله مسموع وهم يعنون أنه يفهم من دون حروف وأصوات، أو يعنون الدال على الكلام النفسي، لا أن الكلام النفسي يُسمع، فيقولون: القرآن الكريم كلام الله ويُسمع، ويعنون به ما ذكرت، يقول الجويني: «كلام الله تعالى مسموع في إطلاق المسلمين... والذي يجب القطع به، أن المسموع المدرك في وقتنا الأصوات، فإذا سمي كلام الله تعالى مسموعا، فالمعنيُّ به كونه مفهوما معلوما عن أصوات مدركة ومسموعة... ولو كان السامع لقراءة القارئ مدركا لنفس كلام الله تعالى، لما كان موسى صلوات الله عليه مخصصا بالتكليم»[(٢)].

وهذا الكلام يؤكد أن الأشاعرة لم يفرقوا بين كلام الله ﷻ المسموع منه مباشرة، وهو الذي اختص به موسى، ـ إذ سمع كلام الله بصوته، ومن غير واسطة ـ، وبين كلام الله ﷻ المسموع بواسطة جبريل، أو محمد ﷺ أو القرَّاء من الصحابة وغيرهم، إذ سمع النبي ﷺ من جبريل كلام الله بواسطة، وبصوت جبريل، فالكلام كلام الله لما سمع موسى ولما سمع محمد ﷺ، إلا أن الوسيلة والأداة مختلفتان، فمن سوى بينهما فقد جمع بين المفترقين، وهو الذي أدى إلى قول ليس عليه أثارة من الوحيين.

فتبين أنهم يقولون: بأن الله يوصف بأنه متكلم لكن بكلام نفسي، لا يعلم إلا بما يدل عليه، وأن هذا الكلام النفسي كلام أزلي، لا يكون بمشيئته وقدرته، وأن القرآن عبارة عن كلام الله ﷻ، ومقصودهم أن هذا المتلو ليس هو كلام الله ﷻ بل هو عبارة عنه[(٣)].

ثانيا: سبب ظهور هذا القول.

من أسباب ظهور هذا القول أن الكلابية ونحوهم وافقوا المعتزلة في دليل الحدوث، وقالوا: الذي يدل على وجود الله هو صحة حدوث الأجسام، وأن ما لا

---

(١) الفواكه الدواني ١/ ٥٤-٥٥.

(٢) الإرشاد للجويني ص ١٣٠.

(٣) انظر: إحياء الغزالي ١/ ١٧٥.

يخلو من حادث فهو حادث، فلما وافقوهم على هذا الأصل، ونشأ الخصام في مسألة القرآن الكريم، وخاصمت الكلابية والأشاعرة المعتزلةَ، فقالت المعتزلة: يلزم من إثبات الكلام القديم، أن هذه الأحرف من القرآن قديمة، وأن الصوت المسموع قديم، فقالت الأشاعرة: لا يلزم منه ذلك، لأنا نثبت كلاما قديما، وأن الله لا يتكلم بكلام يُسمع!!، ولا يكون حروفا!!، ولا يكون بصوت!!، وإنما كلامه نفسي، وهو واحد إن عبر عنه بالعبرانية كان توراة، وإن عبر عنه بالسريانية كان إنجيلا، وإن عبر عنه بالعربية كان قرآنا!!!، وما يكون في الأرض من كلام الله، أو في السماء للملائكة من خطاب الله، فإنما هو عبارة، أو حكاية عن كلام الله، **ولهذا قالوا: إن القرآن هو عبارة عن كلام الله ﷻ، أو حكاية عنه**[1].

وذلك **لأنهم قالوا** بأن الكلام النفسي قديم بناء على: «ما ثبت عندهم أن الكلام لا بد أن يقوم بالمتكلم، وقد وافقوا المعتزلة على أن الحوادث لا تقوم بالقديم، لزم من هذين الأصلين: أن يكون الكلام قديما»[2]، فالقرآن الكريم قديم عندهم على معنى أنه قائم بذات الله تعالى، لا ينفك عنه، وأن القرآن الذي في المصحف عبارة عن القديم، ويطلقون عليه لفظ القرآن تجوزا، يقول صاحب الجوهرة:

ونزه القرآن: أي كلامه عن الحدوث، واحذر انتقامه[3]

فإذا قالوا: إن القرآن الكريم قديم يعنون به الكلام النفسي، كما هو واضح من البيت المذكور، فعندهم أن ما بين دفتي المصحف محدث مخلوق؛ لأنه ليس كلام الله، وإنما هو عبارة عن كلام الله؛ لأن المحدث في اصطلاح القوم هو المخلوق، وأما القديم فهو الكلام النفسي، وهو المراد عند إضافة الكلام إلى الله ﷻ عند أصحاب هذا القول.

---

(١) انظر: مناهج الأدلة لابن رشد ص ٧٤، منهاج السنة ٣/ ٣٥٤، ٥/ ٤١٧، الفواكه الدواني ١/ ٥٥.

(٢) منهاج السنة ٣/ ٣٥٦.

(٣) جوهرة التوحيد ص ١٣، ضمن مجموع أمهات المتون في مختلف الفنون والعلوم، جمع دار الفكر.

وما جاء في كلامهم أن القرآن الكريم ليس بمخلوق،[١] يعنون به الكلام النفسي، لا القرآن الكريم المنـزل على محمد ﷺ، فتنبه.

ومن أسباب قولهم هذا اعتقادهم أن كلام الله الحقيقي لا يكون إلا نفسيا، وأنه لا يكون منه كلام هو صوت وحرف، وقالوا: إن الكلام لا يتعلق بالمشيئة، وإنما كلامه قديم أزلي.

يقول أبو حامد الغزالي الأشعري في حقيقة الكلام ومعناه: «هو القائم بذات الله تعالى، وهو صفة قديمة من صفاته»[٢].

ثالثا: القائلون بهذا القول.

وهذا القول أول من أظهره، وقال به هو عبد الله بن سعيد بن كلاب[٣]، ذكر الحافظ ابن حجر[٤] رحمه الله أن الكلابية يقولون: «الكلام صفة واحدة، قديمة العين، لازمة لذات الله كالحياة، وأنه لا يتكلم بمشيئته وقدرته، وتكليمه لمن كلمه، إنما هو خلق إدراك له يسمع به الكلام، ونداؤه لموسى لم يزل، لكنه أسمعه ذلك النداء، حين ناجاه، ويحكى عن أبي منصور الماتريدي من الحنفية نحوه، لكن قال: خلق صوتا، حين ناداه فأسمعه كلامه... وأخذ بقول ابن كلاب القلانسي والأشعري، وأتباعهما، وقالوا: إذا كان الكلام قديما لعينه لازما لذات الرب، وثبت أنه ليس بمخلوق، فالحروف ليست قديمة؛ لأنها متعاقبة، وما كان مسبوقا بغيره، لم يكن قديما، والكلام

(١) كما في بدأ الأمالي للفرغاني ص ٢٠، ضمن مجموع أمهات المتون في مختلف الفنون والعلوم، جمع دار الفكر، حيث يقول الناظم: «وما القرآن مخلوقا تعالى كلام الرب عن جنس المقال». فمراده نفي الخلق عن الكلام النفسي لا عن القرآن الكريم!!.

(٢) المستصفى ص ٨٠، وانظر: الجواب الصحيح ٤/ ٣٤٠.

(٣) انظر: منهاج السنة ٣/ ٣٥٣، ٣٦٩.

(٤) هو الحافظ المشهور، والمؤرخ الناقد: أحمد بن علي بن محمد بن محمد بن علي الكناني العسقلاني الشافعي، أبو الفضل شهاب الدين ابن حجر، نشأ وتربى في مصر، ودرس فيها، ودرس، وله مؤلفات مزبورة، وفوق المائة معدودة، ومنها: فتح الباري وهو أعظم شرح للبخاري، والتهذيب، وغير ذلك، توفي سنة ٨٥٢هـ. انظر: معجم المؤلفين ١/ ٢٠.

القديم معنى قائم بالذات، لا يتعدد!!، ولا يتجزأ، بل هو معنى واحد، إن عبر عنه بالعربية فهو قرآن، أو بالعبرانية فهو توراة»[(١)].

فالمذهب بدأه ابن كلاب، ووافقه عليه صاحبه الحارث المحاسبي[(٢)]**، ثم تبعه على ذلك أبو الحسن الأشعري، وأبو منصور الماتريدي**، وأتباع الأشعري وهم المسمون بالأشعرية، وأتباع الماتريدي وهم المسمون بالماتريدية على هذا المذهب في مسألة الكلام، وهو: أن كلام الله ﷻ قائم بذاته، وأن كلامه لا يُسمع، وأنه ليس للرب صوت مسموع، ولا لكلامه حروف، وما يكون من الأصوات، ومن الأحرف فهي مخلوقة تدل على الكلام النفسي القديم الواحد، وأن الرب ﷻ لا يستطيع أن يتكلم باختياره ومشيئته، في وقت دون وقت[(٣)].

والجويني بعد أن حاور المعتزلة في رده الكلام الذي يكون بحرف وصوت برد غير مقنع، حار في تعريف الكلام، ثم قال: «الكلام هو القول القائم بالنفس، وإن رمنا تفصيلا، فهو القول القائم بالنفس، الذي تدل عليه العبارات، وما يصطلح عليه من الإشارات»[(٤)].

فجعل الجويني الكلام هو المعنى القائم بالنفس، وجعل الأحرف، والمكتوب في مصاحف المسلمين دالا على ذلك الكلام القائم بالنفس!!، لا هو الكلام نفسه!!.

ونسب القول بالحكاية إلى المعتزلة أبو الحسن الأشعري رحمه الله حيث قال: «وأجمعت المعتزلة على أن قراءة القرآن غير المقروء، واختلفوا هل القراءة حكاية للقرآن أم لا؟، فمنهم من قال: هي حكاية»[(٥)].

---

(١) الفتح ١٣/ ٤٦٣.

(٢) هو الصوفي المتكلم: الحارث بن أسد المحاسبي البصري أبو عبد الله، له رواية في الحديث، توفي ببغداد، وكان الإمام أحمد رحمه الله يحذّر منه، وله مؤلفات منها: التفكر والاعتبار، توفي سنة ٢٤٣هـ. انظر: السير ١٢/ ١١٠.

(٣) انظر: الإرشاد إلى قواطع الأدلة في أصول الاعتقاد للجويني ص ١٠٥-١٠٦، المجموع ١٧/ ٥٦.

(٤) الإرشاد ص ١٠٨.

(٥) مقالات الإسلاميين ١/ ٢٢٥، وإذا صح ما نسبه الأشعري عن المعتزلة، فلعل هذا قول بعضهم، وتأكد =

ونسبه شيخ الإسلام ﷺ إلى الجهمية، فقال إنهم: « يقولون: إن الله لا يتكلم، وليس له كلام، وإنما خلق شيئا فعبر عنه »[(١)].

رابعا: شبهاتهم التي استدلوا بها؛ والرد عليها.

أولا: شبهاتهم العقلية التي استدلوا بها، وهي كثيرة، لكن أذكر أهمها، وهي:

أ- قولهم: إن كلام الله نفسي، وأنه لا يتكلم بحروف وصوت، فهذا ما نقله محقق الأشعرية، ورافع لوائهم الرازيُّ، فيقول: « أما أصحابنا فقد اتفقوا على أن الله تعالى ليس بمتكلم بالكلام الذي هو الحروف والأصوات، بل زعموا، أنه متكلم بكلام النفس »[(٢)]، ويزعمون أن هذا الكلام النفسي ليس له علاقة بمشيئة الله تعالى، واختياره وقدرته[(٣)].

ويقولون دل على ذلك اللغة، كما تقوله العرب: « كان في نفسي كلام، وزورت في نفسي قولا »[(٤)]، ويدل على ذلك النثر والشعر، يقول الرازي: « الكلام في اللغة قد يطلق على الكلام النفسي في الجملة »[(٥)]، واستدلوا بقول الشاعر النصراني الأخطل[(٦)]، حيث قال:

=

لي ذلك بعد ما وقفت على كلام شيخ الإسلام حيث نسب هذا القول إلى طائفة من المعتزلة. انظر: المجموع ١٢/ ٥٤٢، وبهذا يتبين أن الأشاعرة والماتريدية ـ حسب نقل إمامهم ـ على مذهب المعتزلة، فإن لم يكونوا صراحة على مذهبهم، فإنهم على مذهبهم في المآل. انظر: المعتمد للفراء ص ٨٩.

(١) المجموع ١٢/ ١٧٧، ومعلوم أن هناك فرقا بين قول الجهمية وهؤلاء؛ فإن هؤلاء يقولون بكلام قائم به وهو النفسي، والمعبر عنه الخلق، وأما الجهمية فلا يقولون بكلام قائم به، وإنما يقولون: بأن هناك من يعبر عنه، سواء قالوا: المعبر عنه مخلوق، أو يخلق الكلام معبرا.

(٢) محصل أفكار المتقدمين والمتأخرين للرازي ص٢٥٠، وانظر: الإرشاد للجويني ص١٢٤، العقائد النسفية ص ٢٩، ورسالة في التوحيد للبيجوري ص ٤٢، ضمن مجموع أمهات المتون في مختلف الفنون والعلوم، جمع دار الفكر، أم البراهين للسنوسي ص ٤، والخريدة البهية في العقائد التوحيدية للدردير ص ٢٥، ضمن مجموع أمهات المتون في مختلف الفنون والعلوم، جمع دار الفكر.

(٣) انظر: المصادر السابقة.

(٤) الإرشاد ص١١١.

(٥) الدر النضيد لابن الحفيد التفتازاني ص ١٥٦.

(٦) هو الشاعر النصراني: غياث بن غوث الأخطل بن الصلت التغلبي أبو مالك، وكان شاعرا مادحا للأمراء خصوصا الأمويين، وكان بينه وبين جرير والفرزدق تهاجٍ، وله ديوان شعر، توفي سنة ٩٠هـ. انظر: معجم المؤلفين ٨/ ٤٢.

إن الكلام لفي الفؤاد، وإنما جعل اللسان على الفؤاد دليلا [(١)]

والجواب عن هذه الشبهة من وجوه:

١- أن هذا البيت لم يثبت بهذا اللفظ، والثابت إنما هو بلفظ: «إن البيان لفي الفؤاد»، ولم يقل الكلام، وبتقدير صحته لماذا لا تقولون: إنه مجاز، وأن ما ثبت في الكتاب والسنة المراد بهما الحقيقة!!؟[(٢)].

٢- أن هذا البيت من شاعر نصراني لا يحتج به على مخالفة القرآن والسنة، خصوصا بعد عِلْمِنَا أن عقيدة النصارى في الكلام باطلة، أم تقولون: يجب اطراح كلامه تعالى ورسوله، وسائر الخلق تصحيحا لكلامه، وحمل كلامهم على المجاز، صيانة لكلامه عن المجاز!![(٣)].

٣- أن هذا البيت يلزم منه أنه لا يكون كلام إلا إذا كان هناك لسان دال عليه، وهل تثبتون لله ﷻ لسانا حتى يكون دالا على ما في نفسه، أم تأخذون بأول البيت، وتتركون آخره!! أو نطرحه كليا؟؟؟، ثم كيف تقولون: إنه لا يكون كلام إلا بلسان، وقد سمع النبي ﷺ تسليم الحجر عليه، وتسبيح الحصى في يده، وتحذير الذراع المسمومة له[(٤)].

٤- أن اسم الكلام موضوع في اللغة لهذه الألفاظ المركبة من الأحرف، الدالة على المعاني، وأما قولكم إن الكلام في اللغة هو الكلام النفسي فلم تسبقوا إليه، ويكون في هذا تحريف للغة، بل لا يكون في اللغة الكلام كلاما إلا إذا كان مفيدا، واختلفوا في الإشارة[(٥)]، ولهذا قلتم: قد يكون، ولم تجزموا بذلك لعلمكم بخلافه، ثم إن أهل العرف - وهم أعلم منكم - يسمون الناطق متكلما، ومن عداه ساكتا، أو أخرسَ[(٦)].

---

(١) الإرشاد للجويني ص ١١١، الغنية ص ١٠٢، محصل أفكار المتقدمين والمتأخرين للرازي ص ٢٥٢.

(٢) انظر: شرح الطحاوية ١/ ١٩٩، العين والأثر ص٧٧، بل من أهل العلم من أنكر وروده في ديوانه مطلقا. انظر: العين والأثر ص ٨٥.

(٣) انظر: شرح الطحاوية ١/ ٢٠٠، العين والأثر ص٨٤.

(٤) العين والأثر ص٨٦.

(٥) انظر: محصل أفكار المتقدمين والمتأخرين للرازي ص٢٥٢.

(٦) انظر: شرح الطحاوية ١/ ١٩٨، العين والأثر ص٨٢.

٥- أن هذا البيت معارض بنصوص القرآن والسنة.

٦- أنه مخالف لإجماع السلف[١]، ولم يقل بالكلام النفسي إلا الأشاعرة وشيوخهم من الكلابية، وإخوانهم من الماتريدية، قال الرازي: « أما المعنى الذي يقول به أصحابنا، فهو غير مجمع عليه، **بل لم يقل به أحد إلا أصحابنا** »[٢]، فشهد شاهد من أهلها، ثم الإجماع قائم على أن القرآن الكريم إذا أطلق فالمراد به اللفظ المنزل على نبينا محمد ﷺ المحتوي على المعاني، فالقرآن لفظ ومعنى، فـ « ليس القرآن عندنا بمجرد معناه فقط، بل بلفظه المخصوص، ومعناه، وأسلوبه الذي أعجز الأولين والآخرين »[٣].

٧- أن قولكم: إن العرب تقول: زورت في نفسي كلاما، فهذا حق، لأن الإنسان يزور في نفسه كلاما، لكن العرب لم تطلق هذه العبارة، بل جاءت العبارة مقيدة هكذا: « زورت في نفسي كلاما »، والخلاف في الكلام عند الإطلاق ما هو؟ وليس الكلام عند التقييد، وإلا فإن الكلام قد يقيد بأشياء أخرى، غير النفس، فلا حجة لكم في هذا، فالكلام ليس هو ما في النفس، لكن ما في النفس إذا زور يكون من قبيل حديث النفس، وإذا نطق به علمنا أنه كلام، وإلا فهو حديث النفس، وقد أجمع الفقهاء - رحمهم الله - على: « أن من تكلم في صلاته عامدا، وهو لا يريد إصلاح شيء من أمرها، أن صلاته فاسدة »[٤]، وأجمعوا على أن الكلام النفسي، وهي: « الفكرة في أمور الدنيا لا تفسد الصلاة »[٥]، فدل على أن الكلام النفسي إذا لم يسمع لا يكون كلاما عرفا وشرعا[٦].

---

(١) انظر: الفصل الثاني، من الباب الأول، وقد ذكر ابن القيم أن شيخ الإسلام رحمه الله رد الكلام النفسي من سبعين وجها، وهو كذلك كما في كتابه التسعينية، وغيرها. انظر: العين والأثر ص٧٧.

(٢) محصل أفكار المتقدمين والمتأخرين للرازي ص٢٥٢.

(٣) الإعلام بما في دين النصارى من الفساد والأوهام ص٢٢٦، وهذا كلام حق من القرطبي مع أنه من الأشاعرة، لكنه هنا وافق القول الحق، قول السلف، فرحمه الله وغفر لنا وله.

(٤) الإجماع لابن المنذر ص٨، وقال الخطابي: « فلو كان حديث النفس بمعنى الكلام، لكانت صلاته تبطل ». انظر: شرح سنن أبي داود ٢/ ٤٥٧ بحاشية السندي.

(٥) مراتب الإجماع لابن حزم ص٢٩، ووافقه على ذلك شيخ الإسلام رحمه الله، وقال: واختلفوا فيما إذا كانت هي الأغلب. انظر: نقد مراتب الإجماع لشيخ الإسلام ابن تيمية ص ٢٩.

(٦) انظر: شرح الطحاوية ١/ ٢٠٠-٢٠١، وانظر: البيهقي وموقفه من الإلهيات لشيخنا أ.د/ أحمد بن عطية الغامدي ص ٢٠١ وما بعدها.

٨- أن كبير المتكلمين، وإمام الأشعريين صرح بأن القول بالكلام النفسي لا يصح، حيث يقول الرازي: «إن قول من قال: إنه تعالى متكلم بكلام يقوم بذاته، وبمشيئته، واختياره، هو أصح الأقوال، نقلا وعقلا»(١)، فهذا يدل على فساد قولكم بالكلام النفسي الذي لا يتعلق بالمشيئة، وإنما يكون وارد النفس دون إرادة محكِمة لها، أو قدرة في دفعها، أو رفعها!!، وقد أورد الحافظ ابن حجر رحمه الله في شرحه لتبويب البخاري: «باب: قول الله تعالى: ﴿ يُرِيدُونَ أَن يُبَدِّلُواْ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ﴾[الفتح:١٥] قول ابن بطال حيث قال: أراد بهذه الترجمة، وأحاديثها، ما أراد في الأبواب قبلها أن كلام الله تعالى صفة قائمة به، وأنه لم يزل متكلما، ولا يزال». ثم قال الحافظ: «والذي يظهر أن غرضه أن كلام الله لا يختص بالقرآن؛ فإنه ليس نوعا واحدا...، وأنه وإن كان غير مخلوق، وهو صفة قائمة به؛ فإنه يلقيه على من يشاء من عباده، بحسب حاجتهم في الأحكام الشرعية، وغيرها من مصالحهم، وأحاديث الباب كالمصرحة بهذا المراد»(٢) فهذا كلام صريح منه رحمه الله أن كلام الله ﷻ أزلي النوع، وأن آحاده تكون إذا شاءه الله ﷻ، وقد دل على ذلك السمع، حيث وردت آيات كثيرة تدل على أن الله ﷻ يتكلم متى شاء، مع من شاء، «فالله تعالى أخبر أنه لما أتى موسى الشجرة ناداه، فناداه في ذلك الوقت، لم يناده في الأزل، وكذلك قال: ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَٰكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَٰكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُواْ لِأٓدَمَ فَسَجَدُوٓاْ إِلَّآ إِبْلِيسَ لَمْ يَكُن مِّنَ ٱلسَّٰجِدِينَ ﴾[الأعراف:١١] وقال: ﴿ إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَ خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴾[آل عمران:٥٩] وقال: ﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّى جَاعِلٌ فِى ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوٓاْ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّىٓ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾ [البقرة:٣٠] **إلى مواضع كثيرة من القرآن تبين أنه تكلم بالكلام المذكور في ذلك الوقت**»(٣).

(١) الفتح ١٣/ ٤٦٣.

(٢) الفتح ١٣/ ٤٧٥.

(٣) منهاج السنة ٥/ ٤١٨-٤١٩.

٩- أن قولكم بالكلام النفسي يعني أن النبي ﷺ تحدى الناس بما هو مثل كلام رب العالمين، ولم يتحداهم بكلام الله، وهذا في حد ذاته غلط، إذ كيف يتصور أن يكون لكلام الله مثل، وهو سبحانه ينفي المثلية، كما قال: ﴿ وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِۦ وَادْعُوا شُهَدَآءَكُم مِّن دُونِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٢٣﴾ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا وَلَن تَفْعَلُوا فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَٰفِرِينَ ﴾ [البقرة:٢٣-٢٤]، فدل على أن ما تحداهم به الرسول ﷺ هو كلام الله حقيقة، لا مثله[(١)]، ثم كيف يكون التحدي بالكلام النفسي؟؟ وهو على زعمكم لا يُسمع، ولا يعرف؟، فدل ذلك على أن التحدي إنما تم بهذا الموجود بين الدفتين، وهو لا مثل له، لأنه كلام الله الذي لا مثل له، قال ابن أبي العز الحنفي: « فإن قالوا: إنما أشار إلى حكاية ما في نفسه، وعبارته، وهو المتلو، المكتوب، المسموع، فأما أن يشير إلى ذاته فلا، **فهذا صريح القول بأن القرآن مخلوق**، بل هم في ذلك أكفر من المعتزلة؛ فإن حكاية الشيء: مِثْلُه، وشبهه، وهذا تصريح بأن صفات الله تعالى محكية، ولو كانت هذه التلاوة حكاية، لكان الناس قد أتوا بمثل كلام الله، فأين عجْزُهم؟؟، ويكون التالي ـ في زعمهم ـ قد حكى بصوت وحرف، ما ليس بصوت وحرف!! »[(٢)].

١٠ - إذ قلتم بالكلام النفسي، وصرحتم بأن القرآن عبارة عن كلام الله ﷻ فيرد سؤال، وهو أن نسألكم أن القرآن عبارة من؟، من الذي عبر عما في نفس الله ﷻ؟؟، ومن الذي اطلع على ما في نفس الله ﷻ ؟؟، وفي جواب هذا اختلفتم، فمنكم من يقول: هو فهم خلقه الله في فكر من أراد له أن يعرف الكلام النفسي؟؟ ومنكم من يقول: وجد العبارةَ جبريلُ في اللوح المحفوظ، ويرد سؤال: مَن المعبر عنه في اللوح المحفوظ؟ أهو القلم؟ أم هو اللوح نفسه؟ ومنكم من يقول: إن المعبر هو جبريل!![(٣)] ومنكم من يقول: إن المعبر هو محمد ﷺ !!، ثم إنّ القرآن عبارة عن كلام الله ﷻ عندكم، فهل

(١) الغنية ص١٠٧، العين والأثر ص١٠٢.

(٢) شرح الطحاوية ١/ ٢٠٣.

(٣) انظر: منهاج السنة ٥/ ٤١٧، شرح الأصبهانية ص ٣٣٧، أقاويل الثقات ص ٢٢٣.

هو عبارة عن كله؟ فهذا ممتنع، أم عن بعضه، فهذا ممتنع أيضا!![1].

١١- أنه إذا كان جبريل علم ما نفس الله ﷻ بدون خطاب، وإنما أُلهم إلهاما، ثم نزل بها أُلهم إلى محمد ﷺ يلزم منه أن يكون الذي أُلهم مباشرة من الله ﷻ أفضل من محمد ﷺ، لأن من ألهمه الله مباشرة كقوله ﷻ: ﴿ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ أُمِّ مُوسَىٰٓ أَنْ أَرْضِعِيهِ ﴾[القصص:٧] يلزم أن تكون أم موسى أفضل لأنها ألهمت مباشرة، وأما الأنبياء فعلى هذا القول ألهموا بواسطة!!، ولهذا كان من نتائج هذا القول الفاسد أن ادعى أقوام أنهم أفضل من الأنبياء لأنهم يأخذون عن الله مباشرة!!![2].

١٢- أنكم أثبتم الكلام بـ(الكتاب، والسنة، والإجماع)[3]، وقلتم: إن الكلام ثبت بالسمع، كما قال صاحب الجوهرة:

حياته، كذا الكلام السمع   ثم البصر، بذي أتانا السمع[4]

وقد دل الكتاب والسنة والإجماع على أن الله يتكلم بصوت وحرف، فلم التفريق بين المتماثلات ثبوتا ودلالة، فكما أنه ورد في السمع أنه متكلم، كذلك ورد أنه متكلم بصوت وحرف، ثم إن السلف على أن القرآن الموجود بين الدفتين ليس بمخلوق، والمعتزلة على أنه مخلوق، ثم « شأبدع الأشعري قولا ثالثا، وقضى بحدوث الحروف، وهو خرق الإجماع »[5]، فبهذا أنشأتم قولا ثالثا مخالفين للسلف، والخلف، خارقين للإجماع، فقلتم: إن هناك قرآنين: قديما وهو ما في نفس الرب!!، وحادثا وهو الموجود بين الدفتين!![6]، وهذا جمع بين النقيضين، وعلى اصطلاحكم: جمع بين القديم والمحدث!!.

---

(١) انظر: منهاج السنة ٥/ ٤١٩، شرح الأصبهانية ص ٣٣٨، المجموع ١٢/ ٣٦٧، العين والأثر ص ٨٠.

(٢) انظر: المجموع ١٢/ ١٢٨.

(٣) أم البراهين للسنوسي ص ٦، ضمن مجموع أمهات المتون في مختلف الفنون والعلوم، جمع دار الفكر.

(٤) جوهرة التوحيد ص ١٢، ضمن مجموع أمهات المتون في مختلف الفنون والعلوم، جمع دار الفكر.

(٥) انظر: نهاية الأقدام ص ٣١٣، نقله ردا من المعتزلة على الأشعرية، وهو رد سديد، والجواب عنه عليهم شديد.
تنبيه: الذي أظهر القول بحدوث الحروف هو ابن كلاب وتبعه على ذلك الأشعري، وأشاعه بين الناس.

(٦) انظر: منهاج السنة ٥/ ٤٢٠.

١٣- أنكم أثبتم الكلام لكون ضده وهو الخرس من النقائص، وهي مستحيلة على الله ﷻ، ولا تليق به[(١)]، فكذلك وصف الله ﷻ بالكلام النفسي، وأن الذي يعبر عنه هو آخر، إما القلم، أو جبريل، أو غيرهما، هذا فيه وصف للرب ﷻ بالنقص، وهو مستحيل على الله ﷻ[(٢)]؛ لأن الذي يتكلم بكلام في نفسه؛ لأنه: (طفل، أو أخرس، أو خائف) معلوم أنه ناقص، والذي يعبر عنه آخر (كبير، أو ناطق، أو آمِن) ضرورة يكون أكمل منه، ومعلوم أن من كان له كلام في نفسه، واستطاع أن يعبر عنه أبلغ ممن لا يستطيع، ولهذا كان من الاعتراضات الوجيهة للمعتزلة على الأشاعرة لما قالت الأشاعرة للمعتزلة: إن نفيكم للكلام نقص وآفة، قالت المعتزلة: «لم قلت إن ضده نقص وآفة، بل **الذي نعده نقصا، وآفة في العرف هو: العجز عن التلفظ بالحروف**»[(٣)]، فهذا مبتدع يرد على قول مبتدع، وكلا القولين منهم ضلالة.

١٤- دل الكتاب من أوجه كثيرة على أن الله تكلم بصوت وحرف، قال أبو الفضائل الرازي[(٤)] في كتابه حجج القرآن: «حجج القائلين بأن القرآن كلام الله غير مخلوق، وهو مشتمل على فصول: الفصل الأول: في حجج من قال بأن كلام الله عز وجل صوت وحرف، وذلك في عشر آيات»[(٥)] ثم سرد الآيات الواردة في القرآن الكريم التي تدل على أن الله تكلم بصوت وحرف، ومنها: ﴿وَنَادَىٰهُمَا رَبُّهُمَآ أَلَمۡ أَنۡهَكُمَا عَن تِلۡكُمَا ٱلشَّجَرَةِ وَأَقُل لَّكُمَآ إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ لَكُمَا عَدُوّٞ مُّبِينٞ﴾[الأعراف:٢٢] وقال: ﴿وَنَٰدَيۡنَٰهُ مِن جَانِبِ ٱلطُّورِ ٱلۡأَيۡمَنِ وَقَرَّبۡنَٰهُ نَجِيّٗا﴾[مريم:٥٢] والنداء من بعد، والمناجاة من قرب،

---

(١) العقائد النسفية ص ٢٩، وأم البراهين للسنوسي ص ٦، ورسالة في التوحيد للبيجوري ص ٤٢، ضمن مجموع أمهات المتون في مختلف الفنون والعلوم، جمع دار الفكر.

(٢) انظر: العين والأثر ص٦٨.

(٣) محصل أفكار المتقدمين والمتأخرين للرازي ص ٢٥١، وانظر: منهاج السنة ٣/ ٣٦٠، شرح الطحاوية ١/ ١٩٨.

(٤) هو العالم الأديب المتكلم: أحمد بن محمد بن المختار الرازي، أبو الفضائل الحنفي، صاحب التصانيف، ومنها: حجج القرآن لجميع الملل والأديان، توفي سنة ٦٣١هـ. انظر: معجم المؤلفين ١/ ١٥٨.

(٥) ص ٦٤.

والنداء في اللغة ليس إلا الصوت[١]، وأما نفي الكلام بصوت وحرف، فيلزم منه نفي أن يكون الله متكلما، ومناديا، ومناجيا[٢].

١٥- ما هو المراد بقولكم: إن الكلام في النفس؟ أتقولون: إن المراد به هو ما يدور في الفكر، كما يقول الجويني: «وذهب أهل الحق إلى إثبات الكلام القائم بالنفس، وهو الفكر الذي يدور في الخلد»[٣] فإن كنتم فررتم من إنكار الصوت والحرف مخافة التشبيه، فقد وقعتم في تشبيه الخالق في كلامه بما يدور في خلد الإنسان وفكره!!، مما يريد أن يتكلم به، فإن كان الإنسان سويا، تكلم بما في نفسه بحرف وصوت، وإن كان به آفة احتاج أن يُرشد إلى ما في نفسه بإشارة، أو رمز، أو كتابة، دون أن يُسمَع منه مراده، وهذا تشبيه منكم الربَّ الكامل بالعبد الضعيف المحتاج الذي يحتاج إلى من يعبر عنه!!![٤]، وإن أنكرتم الصوت والحرف بحجة أن ذلك لا يكون إلا حادثا، فهذا صحيح لأن الصوت المعهود من المخلوقين، وإخراج الأحرف منهم لا يكون إلا مخلوقا، لكن كذلك ما يدور في خلدهم ونفوسهم لا يكون إلا حادثا في المشاهد!!، فكيف أثبتم الكلام النفسي الذي يرد عليه ما يرد على الحرف والصوت[٥]، فوجب أن يعتصم المسلم بما ثبت عقلا ونقلا من أن ما يكون صفة للخالق لا يكون مخلوقا حادثا سواء كان كلاما، أو غير ذلك، وما يكون من المخلوق لا يكون إلا مخلوقا حادثا، سواء كان كلاما أو أفعالا.

١٦- أن الجويني بعد صولات وجولات مع مخالفيه من المعتزلة تأكد له بأنه لا يمكنه رد قولهم إلا بإثبات كلام هو حرف وصوت، فدل هذا على أن الحق هو ما ذهب إليه السلف من أن الكلام هو المعنى واللفظ، قال الجويني: «فإن قال المخالف ـ وهو

---

(١) حجج القرآن ص ٦٤، منهاج السنة ٥/ ٤٢٣.

(٢) انظر: منهاج السنة ٣/ ٣٥٥.

(٣) الإرشاد ص ١٠٩.

(٤) انظر: العين والأثر ص ٨٦.

(٥) انظر: الحجة في بيان المحجة لقوام السنة ١/ ٣٦٢.

يقصد المعتزلة ـ: الألفاظ المفيدة يسميها العقلاء كلاما على الإطلاق، ويقولون: سمعنا كلاما، ومرامهم ما أدركوه من العبارات. قلنا: الطريقة المرضية عندنا أن العبارات تسمى كلاما على الحقيقة، والكلام القائم بالنفس كلام، وفي الجمع بينهما ما يدرأ شغب المخالفين»[(١)]، ومثل هذا قول الرازي: «اعلم أن لفظة "الكلام" عند المحققين ـ منا ـ تقال: بالاشتراك على المعنى القائم بالنفس، وعلى الأصوات المتقطعة المسموعة»[(٢)]، والحق ما ذهب إليه أهل الحق من السلف، ومتبعيهم من الخلف، أن الكلام هو اللفظ والمعنى، ليس اللفظ دون المعنى، ولا المعنى دون اللفظ، إذ لو كان اللفظ هو الكلام دون المعنى للزم أن من أخطأ في لفظ القرآن فقرأه بصورة غير ما أنزل، أن يكون قرأ قرآنا؛ لأنه قرأ اللفظ المنـزل لكنه لم يقرأه كما أنزل، ولو كان الكلام هو المعنى دون اللفظ، للزم أن يكون تفسير كلام الله ﷻ قرآنا وكلاما لله ﷻ!!!.

١٧ – أن المعتزلة لما قالوا: بأن الله حي عالم قادر لنفسه أنكرتم عليهم ذلك[(٣)]، ثم أخذتم بقولهم فقلتم في الكلام إنه قائم بنفسه ـ وهذا حق، وزدتم عليه ـ، إنه كلام نفسي لا يسمع، وليس بحروف، وهذا منكم تناقض، إذ أثبتم الكلام ثم قلتم نفسي، كقولهم: إنه عالم، ثم قالوا عالم لنفسه، فالقولان سواء بسواء!!.

١٨ – أن أصحابكم مختلفون فيما بينهم في إثبات المراد بالكلام، يقول الأشعري أبو حامد الغزالي: «إن قوما جعلوا الكلام حقيقة في المعنى، مجازا في العبارة، وقوما عكسوا، وقوما قالوا: بالاشتراك، ونقل الثلاثة عن الأشعري»[(٤)]، فهذا خلاف في

---

(١) الإرشاد للجويني ص١١١، وانظر: المستصفى للغزالي ص٨٠؛ فإنه زعم أن الكلام اسم مشترك يطلق على اللفظ تارة، وعلى المعنى تارة أخرى، وهذا يبين اضطراب القوم، وإلا فإن الحق هو: أن الكلام يتضمن اللفظ والمعنى معا.

(٢) المحصول في أصول الفقه ١/ ١٧٧.

(٣) انظر: الإرشاد للجويني ص١١٦.

(٤) شرح الكوكب المنير ٢/ ١١، وانظر: المستصفى للغزالي ص ٨٠، شرح المواقف للجرجاني ٨/ ١١٣، ١١٦، وقال: «فالشيخ الأشعري لما قال: الكلام هو المعنى النفسي، فهم الأصحاب منه أن مراده مدلول اللفظ وحده، وهو القديم عنده...، وهذا الذي فهموه من كلام الشيخ له لوازم كثيرة فاسدة، كعدم

إثبات المراد بالكلام بين أصحاب المذهب الواحد، مما يدل على اضطرابهم[(١)].

ب- قالوا: «إن كلامه تعالى، يستحيل أن يكون من جنس الحرف والصوت، فبالضرورة يكون أمرا آخر»[(٢)]، وأنه إذا كان بحرف وصوت يكون مألوفا، أي ككلام البشر!!، فدل ذلك على أنه ليس بحرف ولا صوت!!، يقول راجزهم:

ثم الكلام ليس بالحـــروف   وليس بالترتيب كالـمألوف[(٣)]

وقالوا: الأصوات والحروف حادثة لا تقوم بالقديم[(٤)].

فالرد عليهم من أوجه:

١- أن هذه الاستحالة مركبة من القواعد المنطقية، والأصول الفلسفية، ومخالفة للنصوص الشرعية، فلا معول عليها، ثم «إن عنيتم استحالته بالإضافة إلى الشاهد، فسماع كلام بدون توسط صوت وحرف كذلك أيضا، وإن عنيتم استحالته مطلقا، فلا نسلم إذ الباري ﷻ على خلاف المشاهدة والمعقول في ذاته وصفاته، وقد وردت النصوص بما قلناه، فوجب القول به»[(٥)].

٢- أنه يلزم من هذا أنه ﷻ لا يوصف بالحياة لأنه يستحيل أن يوصف بجنس الحياة، ويستحيل أن يوصف بجنس القدرة، ويستحيل أن يوصف بجنس العلم!!!، وهذا معلوم بطلانه عندنا وعندكم، فلم يبق إلا التسليم بأنّه سبحانه متصف بالحياة

= إكفار من أنكر كلامية ما بين دفتي المصحف، مع أنه علم من الدين ضرورة كونه كلام الله تعالى حقيقة، وكعدم المعارضة والتحدي بكلام الله تعالى الحقيقي، وكعدم كون المقروء المحفوظ كلامه حقيقة...».

(١) هذه بعض الردود في إبطال القول بالكلام النفسي، وقد بسط الكلام في هذه المسألة شيخ الإسلام في كتابه: التسعينية، حيث ردها من تسعين وجها.

(٢) الدر النضيد لابن الحفيد التفتازاني ص ١٥٦، وانظر: تبيين كذب المفتري لابن عساكر، فإنه ذكر أن موسى سمع كلام الله ﷻ بغير صوت، ولا حرف!!، والإعلام بما في دين النصارى من الفساد والأوهام ص ١١٢.

(٣) الخريدة البهية في العقائد التوحيدية للدردير ص٢٥، ضمن مجموع أمهات المتون في مختلف الفنون والعلوم، جمع دار الفكر، قطف الثمر ص٥١، الفواكه الدواني ١/ ٥٧.

(٤) انظر: المجموع ١٢/ ٥٢٦، الفتح ١٣/ ٤٦٣ ونسبه إلى الكلابية والأشعرية، الفواكه الدواني ١/ ٥٥.

(٥) العين والأثر ص ٧٨ ونسبه إلى الطوفي.

اللائقة به، وأن قدرته كذلك، وعلمه كذلك، وأن كلامه بلا تشبيه، وإن كان بحرف وصوت، فإنه لا يلزم من إثبات جنس الشيء التماثل فيه، فإثبات الكلام كإثبات العلم، كإثبات القدرة، ولا يلزم من إثبات الكلام بصوت أن يكون كأصوات العباد، ولا كنظم ألفاظهم بالألسنة واللهوات، ثم كيف يكون كلام الله ككلام البشر، وهو معجز البشر، فلا يستطيعون الإتيان بمثله أبدا، لأنه كلام الله حقا وصدقا.

٣- «يلزم منه أن الله لم يُسمع أحدا من ملائكته، ورسله كلامه، بل ألهمهم إياه، وحاصل الاحتجاج للنفي الرجوع إلى القياس على أصوات المخلوقين؛ لأنها التي عندنا أنها ذات مخارج، ولا يخفى ما فيه، إذ الصوت قد يكون من غير مخارج...، وصفات الخالق لا تقاس على صفة المخلوق، وإذاً... وجب الإيمان به»(١).

٤- أن الكلام يمكن أن يكون ممن لا مخارج معتادة له كالآدميين، كما نطقت السماوات والأرض، مستجيبة لله ﷻ، وكما نطق الحجر مسلما على رسول الله ﷺ، وسبح الحصى في يد بعض الصحابة(٢).

٥- أن القول بحدوث صوت الرب ﷻ ولفظ كلامه، شيء اصطلحتم عليه، وإلا فإن صفات الخالق ليست مخلوقة، وصفات المحدَث المخلوق مخلوقة، فالصفة تتبع الموصوف، فكلامنا بألفاظنا وأصواتنا مخلوقة، لأننا مخلوقون، فوجب أن يكون كلام الله ﷻ بصوته وحروفه ليس مخلوقا؛ لأنه ليس بمخلوق(٣).

٦- أن القول بأن كلام الله ليس بحرف يلزم منه أن القرآن الموجود في مصاحف المسلمين ليس كلام الله ﷻ، ولهذا قاله بعض أهل البدع: «ليس لله في الأرض كلام!!، وهل المصحف إلا ورق، وعفص، وزاج؟؟»(٤)، ومعلوم أن هذا

---

(١) الفتح ١٣/ ٤٦٦ بتصرف، ثم الحافظ رحمه الله، مال بعد إثباته للصوت، إلى التفويض والتأويل!!، وانظر الرد عليه في التنبيه على المخالفات العقدية في الفتح ص ١٣٩.

(٢) وقد مر هذا في المبحث السابق من هذا الفصل، وانظر: قطف الثمر ص٥١، الفتح ١٣/ ٤٦٩.

(٣) انظر: الفتح ١٣/ ٤٦٣.

(٤) نقله قوام السنة في الحجة في بيان المحجة ١/ ٤٠٠-٤٠١.

تلبيس إذ أن هذه الأمور المشار إليها هي موجودة في غير المصحف، ولا يعني شيئا بالنسبة للمسلمين، وإنما الذي يهم أمر المسلمين، ويجدون في قلوبهم تعظيما له هو الكلام الموجود في المصحف[١]، فقولهم: «ليس في المصحف إلا ورق وعفص وزاج؟، فهو كقول القائل: هل الآدمي إلا لحم ودم؟؟ هيهات إن معنى الآدمي هو: الروح، فمن نظر إلى اللحم والدم، وقف مع الحس»[٢] وألغى إدراك الروح الموجود في الآدمي، وكذلك من ظن أن المراد بالمصحف هو الورق، وتناسى الكلام الموجود فيه، وهو كلام الله ﷻ، قال المزني صاحب الإمام الشافعي ـ رحمهما الله ـ: و« القرآن غير مخلوق، ـ دل على ذلك ـ الكتاب وسنة رسول الله ﷺ، وإجماع أمته»[٣]، ومازال الفقهاء يجيزون الحلف بالمصحف، يقولون: لأن فيه كلام الله ﷻ[٤]، ويمنعون غير الطاهر من مسه، ويقولون: لأن فيه القرآن، وهو كلام الله ﷻ[٥].

ت- هل الكلام النفسي يُسمع؟ اختلف في ذلك أقوال الأشاعرة والماتريدية[٦]، فالماتريدية على أنه لا يسمع، وإنما الذي يسمع هو الصوت المخلوق، وأما الأشاعرة فإنهم أيضا على أنه لا يُسمع، وإنما يُفْهم إما بإلهام، أو بإدراك، أو بإطلاع على اللوح المحفوظ!!، قال الرازي مبينا أن القرآن الذي هو عبارة عن الكلام الأزلي أنه مسموع الآن، وأما الكلام القديم فقال عنه: «هل يصح أن يكون مسموعا؟ هذا مما لم يقم عندي عليه دليل!؟» ثم قال متحيرا: «بل السمع لم يتعلق بالأصوات فجاز أن تكون علة صحة المسموعية هي: الصوتية فقط، وحينئذ لا يكون ذلك الكلام مسموعا»[٧]

(١) انظر: الحجة في بيان المحجة ١/ ٤٠٠-٤٠١.

(٢) أقاويل الثقات ص ٢٢٣-٢٢٤.

(٣) تبيين كذب المفتري ص٣٥١.

(٤) مغني المحتاج ٤/ ٣٢٢، البحر الرائق٤/ ٣١١، حاشية ابن عابدين ٣/ ٧١٣.

(٥) انظر ما تقدم في الفصل الرابع من الباب الأول.

(٦) انظر: اعتقاد أئمة السلف أهل الحديث ص٢٥٨.

(٧) محصل أفكار المتقدمين والمتأخرين للرازي ص ٢٦٨، وانظر: المجموع ٦/ ٥٣٩، حيث ذكر فيه أن القول بأن الكلام النفسي يُسمع هو قول طائفة منهم، بناء على قولهم: إن السمع يتعلق بكل موجود، أي إن كل ما كان موجودا فهو يُمكن أن يُسمع، ولو لم يكن صوتا وحرفا. انظر: شرح الأصبهانية ص ٣٣٧.

وإثباتهم أن موسى سمع كلام الله ﷻ يقصدون به أن الله ﷻ: « خلق له فهما، أي يدرك به ما دل عليه كلامه القديم »[١]، أي: فهما في قلبه، وسمعا في أذنيه!!، سمع به كلاما ليس بحرف ولا صوت!![٢].

والجواب عن هذه الشبه بما يأتي:

١- أن هذا مترتب على إثبات الكلام النفسي، ولا دليل عليه، فيقال: أثبت العرش ثم انقش، فلما لم يثبت الكلام أنه نفسي فقط، دل على أن كلام الله ﷻ يسمع، وأنه بصوت وحرف بلا شطط.

٢- أن من الردود عليه ما ذكره شارح المحصل[٣] من أن « الحق الرجوع في أمثال هذه المسائل إلى السمع، والتوقف فيما لم يرد سمعا »[٤] وقد ورد في السمع أن جبريل عليه السلام يسمع كلام الله ﷻ، وأن موسى سمع كلام الله ﷻ، وأن محمدا ﷺ سمع كلام الرب ﷻ لما عرج به في ليلة الإسراء، فكيف يقال بعد هذا إن كلام الله لا يُسمع؟؟، يقول صاحب متن الشيبانية في العقيدة[٥] مثبتا السماع:

وخصص موسى ربُّنا بكلامـه ... على الطور ناداه وأسمعه الندا

٣- أنكم أثبتم نزول القرآن الكريم على نبينا محمد ﷺ بواسطة جبريل عليه السلام، وأن الله ﷻ هو المنـزل للقرآن[٦]، فكيف يكون كلاما نفسيا ثم ينـزل؟، إلا أن تؤبوا إلى عقيدة السلف، وتثبتوا سماع جبريل عليه السلام من رب العزة، ثم نزوله إلى محمد ﷺ، قال قوام السنة الأصبهاني: « قال أصحاب الحديث والسنة: إن القرآن المكتوب الموجود في

---

(١) حاشية العدوي ١/ ٧٩.

(٢) الفواكه الدواني ١/ ٥٥.

(٣) وهو الطوسي الرافضي، نصير البدعة في كتابه: تلخيص المحصل، وهو شرح وتعليق، مطبوع بهامش كتاب المحصل، ولا غرو أن يشرح المبتدع الرافضي كتاب رجل أشعري، مادام المشرب واحدا، وهو علم المنطق الذي ذمه السلف.

(٤) محصل أفكار المتقدمين والمتأخرين للرازي ص ٢٦٨، حاشية (٢).

(٥) ص ٣٧، ضمن مجموع أمهات المتون في مختلف الفنون والعلوم، جمع دار الفكر.

(٦) انظر: متن الشيبانية ص ٣٥-٣٦، مجموع أمهات المتون في مختلف الفنون والعلوم، جمع دار الفكر.

المصاحف، والمحفوظ الموجود في القلب، هو حقيقة كلام الله ﷻ، بخلاف ما زعم قوم: أنه عبارة عن حقيقة الكلام القائم بذات الله ﷻ ودلالة عليه، والذي هو في المصحف محدَث، وحروف مخلوقة، ومذهب علماء السنة وفقهائهم: أنه الذي تكلم الله به، وسمعه جبريل من الله، وأدى جبريل إلى النبي ﷺ، وتحدى به النبي ﷺ، وجعله الله ﷻ، دلالة على صدق نبوته ومعجزةً، وأدى النبي ﷺ إلى الصحابة ﭫ حسب ما سمعه من جبريل ﭣ، ونقله السلف إلى الخلف قرنا بعد قرن»[(١)].

٤- إذا كان الكلام النفسي لا يسمع، فكيف يُستدل به على أن زيدا متكلم، وقائم به الكلام، إذ أن الأشاعرة يثبتون صفة الكلام بدليل أنهم يسمون المتكلم متكلما قائما به الكلام، لكون الكلام يسمع منه، يقول الجويني: «إن من سمع كلاما صادرا من متكلم استيقن كونه متكلما، من غير أن يخطر بباله كونه فاعلا لكلامه، أو مضطرا إليه»[(٢)] فاستشهد بهذا الدليل على أن المتكلم هو من يُسمع منه الكلام لا من يفعل الكلام، فإذا كان الرب ﷻ لم يُسمع منه الكلام فلا يكون متكلما على قولكم هذا.

٥- أن في نفي الصوت، وإثبات الكلام النفسي، نفيا لسماع موسى صوت الرب ﷻ، واختصاصه بكونه كليم الله، وفي ذلك نفي لكون جبريل سمع كلام الرب ﷻ، وفي ذلك نفي في كون محمد ﷺ سمع كلام الله ﷻ، وهذا كله يدل على بطلان الكلام النفسي الذي لا يُسمع.

٦- أنكم قلتم بأن موسى سمع كلام الله حقيقة، لا أن الله خلق كلاما فسمعه موسى، فإذا كان سماعه حقيقة، فليكن على حقيقته حقا، وهو أنه سمع صوت الرب حقيقة بلا كيف، وقلتم في تكليم موسى ردا على من أنكر الكلام الحقيقي: وأكده بالمصدر في الآية الشريفة للإشارة إلى أن التكليم على جهة الحقيقة؛ لأنه لا يؤكد بالمصدر إلا الحقيقة، لا المجاز[(٣)] فإذا قلتم بأنه لم يسمع كلام الرب، وإنما سمع ما دل

---

(١) الحجة في بيان المحجة ١/ ٤٠٠.

(٢) الإرشاد ص١١٢.

(٣) انظر: الاختلاف في اللفظ لابن قتيبة ص ٣٨.

عليه، فهذا نوع مجاز!!، وإذا قلتم سمع صوتا مخلوقا، ولفظا حادثا، فهذا نوع مجاز!!، وقد نفت الآية المجاز باتفاقنا وإياكم.

٧- إن قلتم: إن موسى فهم الكلام النفسي من دون سماع(١)، فإنه يرد عليكم: قولكم إن الكلام النفسي واحد، فإذا كان موسى فهم الكلام النفسي وهو واحد، يلزم أن يكون علم جميع علم الله ﷻ وكلامه!!، حتى المنزل على محمد ﷺ، بل وحتى ما يكون إلى الأبد!!(٢). قال الحافظ أبو نصر السجزي(٣) ـ حاكيا مناظرة جرت بينه وبين بعض الأشعرية ـ: «فقلت لمخاطبي الأشعري: قد علمنا جميعا أن حقيقة السماع لكلام الله منه على أصلكم محال، وليس ههنا من تتقيه، وتخشى تشنيعه، وإنما مذهبك أن لله يُفهم من شاء كلامَه بلطيفة منه، حتى يصير عالما متيقنا بأن الذي فهمه كلام الله، والذي أريد أن ألزمك وارد على الفهم وروده على السماع، فدع التمويه، ودع المصانعة، ما تقول في موسى ﵇ حيث كلمه الله؟ أفهم كلام الله مطلقا، أم مقيدا؟ فتلكأ قليلا، ثم قال: ما تريد بهذا؟ فقلت: دع إرادتي، وأجب بما عندك. فأبى!!، وقال: ما تريد بهذا؟، فقلت: أريد أنك إن قلت: إنه ﵇ فهم كلام الله مطلقا، اقتضى أن لا يكون لله كلام من الأزل إلى الأبد، إلا وقد فهمه موسى، وهذا يؤول إلى الكفر؛ فإن الله تعالى يقول: ﴿ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَ ﴾[البقرة:٢٥٥]، ولو جاز ذلك لصار من فَهِم كلام الله عالما بالغيب، وبما في نفس الله تعالى وقد نفى الله تعالى ذلك، بما أخبر به عن عيسى ﵇ أنه يقول: ﴿ تَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِى وَلَآ أَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِكَۚ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ ﴾[المائدة:١١٦]، **وإذا لم يجز إطلاقه، وألجئت إلى أن تقول: أفهمه الله ما شاء من كلامه، دخلت في التبعيض الذي هربت منه!!، وكفرت من قال به، ويكون مخالفك أسعد منك؛ لأنه قال بما اقتضاه النص الوارد من قبل الله ﷻ، ومن قبل رسول الله ﷺ، وأنت**

---

(١) انظر: الإعلام بما في دين النصارى من الفساد والأوهام للقرطبي ص١١١.

(٢) انظر: منهاج السنة ٥/ ٤١٩، المجموع ١٧/ ١٥٤، شرح الطحاوية ١/ ١٩٨، العين والأثر ص ٨٢.

(٣) هو الحافظ الكبير، شيخ السنة: عبيد الله بن سعيد بن حاتم السجزي، أبو نصر الوائلي، صنف وخرج، وكان قيما بالأصول والفروع، ومن مصنفاته: الإبانة، ورسالة في الحرف والصوت، توفي سنة ٤٦٩هـ. انظر: السير ١٧/ ٦٥٤.

أبيت أن تقبل ذلك، وادعيت أن الواجب المصير إلى حكم العقل في هذا الباب، وقد ردك العقل إلى موافقة النص خاسئا. فقال: هذا يحتاج إلى تأمل!!، وقطع الكلام »[١].

ث- قالوا: إن كلام الله واحد، أي الكلام النفسي، يقول الرازي: « مسألة: هذه الصفة القديمة المسماة بالكلام عند أصحابنا واحدة، خلافا لبعض أصحابنا، فإنهم أثبتوا خمس كلمات: الأمر، والنهي، والخبر، والاستخبار، والنداء »، وجمهور الأشاعرة ومن وافقهم « زعموا أن كلام الله تعالى، كان أمرا، ونهيا في الأزل »[٢].

والجواب عن هذه الشبهة من وجوه متعددة:

١- أنكم مختلفون فيما بينكم في كون الكلام واحدا، أم لا، فمنكم من يقول: خمس كلمات، ومنكم من يقول: ثلاث كلمات: هي الخبر والأمر، والنهي[٣]، وبعضهم: يقول: إنه خبر، وأمر؛ لأن النهي أمر بالكف، فهو يدخل في الأمر، وبعضهم يقول: إنه خبر فقط، لأن الأمر والنهي إخبار عن ترتب الثواب، والعقاب على الفعل والترك[٤]، فهذا يدل على تناقض هذا الأمر، فهذا وحده كاف في رده.

٢- أن قولكم بوحدة الكلام، وأنه لا يتبعض، ولا يتجزأ، ولا يتعدد باطل؛ فهذه أسماء الله ﷻ معدودة، وهي قديمة، و« قد نص الشافعي على أن أسماء الله ﷻ غير مخلوقة، وقال أحمد: من قال: إن أسماء الله مخلوقة، فقد كفر »[٥] وأسماء الله تعالى في كتابه معدودة، إلا إذا قلتم: إنها دالة على أسماء الله، وليست هي أسماء الله!!، فكلامه ﷻ إذا كان معدودا مختلفا لا يلزم من ذلك أن يكون مخلوقا، كما أن أسماءه متعددة، ولا

---

(١) نقلا عن درء التعارض للإمام شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله ٢/ ٩٠-٩٢.

(٢) محصل أفكار المتقدمين والمتأخرين للرازي ص ٢٦٧، وانظر: الفرق بين الفرق ص ٢٥٧، الإرشاد للجويني ص ١١٩، ١٣١، نهاية الإقدام للشهرستاني ص ٢٩١، ٣٠٦، الغنية ص ١٠٦- ١٠٧، المستصفى للغزالي ص ٨٠، الفواكه الدواني ١/ ٥٤، الجواب الصحيح ٤/ ٣٤٠، ونقله ابن بدران عن محمد بن يوسف السنوسي الأشعري، كما في المدخل ص ٥٠.

(٣) وهو قول عبد الله بن سعيد بن كلاب، ولكنه قال: ما كان في الأزل أمرا، ولا نهيا، ولا خبرا، ثم صار فيما لا يزال كذلك، انظر: الإرشاد للجويني ص ١١٩.

(٤) انظر: هذه الأقوال في: محصل أفكار المتقدمين والمتأخرين للرازي ص ٢٦٦-٢٦٧.

(٥) العين والأثر ص ٩٠.

يلزم من ذلك أنها مخلوقة.

٣- أن الإمام الشافعي أثبت أن هذا القرآن الموجود بين الدفتين هو كلام الله، وهو ليس بمخلوق[(١)]، ومعلوم أن هذا الموجود بين الدفتين ليس كلاما واحدا.

٤- قوله ﷻ: ﴿ وَإِذَا قَضَىٰٓ أَمۡرٗا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴾[البقرة:١١٧]، وكن حرفان، ولا يخلو الأمر من أحد وجهين: إما أن يراد بقوله: كن، التكوين، وأنه ليس هناك قول، كما هو تأويل الماتريدية، أو يكون المراد بـ (كن) ظاهره، وأن الله إذا أراد شيئا وقضاه يقول له: كن فيكون، وكلمة (كن) حرفان فدل على بطلان الكلام الواحد، وبطلان الكلام النفسي، لأنه قال: كن فكان[(٢)].

٥- أنكم قضيتم بأن الكلام في الصفات إنما يكون من باب الشرع، كما يقول الجويني: « والقضاء بإثبات الصفات ليس من مدارك العقول، بل هو مسند إلى قضية الشرع، وموجب بالسمع »[(٣)] فهلا قلتم بأن الله ﷻ متكلم أزلا، ويتكلم إذا شاء، كما ورد بذلك السمع؛ لأن إثباتكم للكلام الواحد لا دليل عليه من الشرع، ولا موجب له من السمع.

٦- أن العباد كلهم يعلمون أن ما في التوراة والإنجيل والقرآن ليس هو معنى لكلام واحد، فلو ترجمت التوراة والإنجيل لم يكن معناهما هو معنى القرآن قطعا[(٤)]، فكيف يكون كلام الله معنى واحدا، يختلف بحسب المتعلقات؟؟، ثم إذا كان يختلف بحسب المتعلقات، فهل هذه المتعلقات هي متعلقة بالمكلفين، فيكون المغير لكلام الله هم المكلفون!!، ويكون كلام الله الواحد عرضة لأن يغيره المتعلقات التي قامت بالمكلفين!!!.

٧- أن القرآن نفسه وهو بالعربية ليست معانيه واحدة، بل ولا سورة منه، بل ولا آية، فهذه آية تدل على ما لا تدل عليه الآية الأخرى، فليس معنى: ﴿ قُلۡ هُوَ ٱللَّهُ

(١) المهذب لأبي إسحاق الشيرازي ٢/ ٣٢٢.
(٢) انظر: العين والأثر ص ٨٠.
(٣) الإرشاد ص١٣١.
(٤) انظر: الدرء ١/ ٢٦٧، منهاج السنة ٥/ ٤١٨، التنبيه على المخالفات العقدية في فتح الباري ص١٥٣.

أَحَدٌ ﴾[الإخلاص:١] هو معنى: ﴿ تَبَّتۡ يَدَآ أَبِي لَهَبٖ وَتَبَّ ﴾[المسد:١] [(١)] فكيف بالسور، بل كيف بالقرآن كله؟؟.

٨- أنه يلزم من هذا القول أن هذا القرآن كان في الأصل معنى واحدا، ثم المعبر من المخلوقين جعله متعددا بحسب المتعلقات، سواء كان ذلك في اللوح، أو جبريل، أو محمد ﷺ، وكل هذا معلوم بطلانه، إذ مهما بلغ المخلوقون فإنهم لا يستطيعون أن يعبروا عن الله ﷻ كما ينبغي، ألا ترى المفسرين الذين يفسرون القرآن كيف يختلفون في تفسيرهم لآية واحدة، وهم يعبرون عن تفسير كلام الله ﷻ .

٩- قلتم: إن الكلام النفسي غير معلوم التصور، فكيف يعبر عنه؟؟؟، يقول الرازي: « فأما الكلام الذي يغاير هذه الحروف، والأصوات، ويغاير ماهية الأمر، والنهي، والخبر، فغير معلوم التصور، فكون القول بثبوته لله تعالى في الأزل محض الجهالة » [(٢)]، وهذا تناقض بين منكم.

١٠- ويلزم من قولكم بأن الأمر والنهي كان أزليا، أن يكون المعدوم من الخلق الذين لم يخلقوا بعد مكلفين، وهذا محال، فكيف يكلف المعدوم؟؟، أم كيف يوجه إليه الكلام، والخطاب، فقولكم بأنه متكلم أزلا بالأمر والنهي وهو واحد يلزم منه العبث على الله ﷻ وهو محال عليه، يقول الرازي رادا على أصحابه: « ثم منهم من يقول: المعدوم مأمور، على تقدير الوجود، وهذا في غاية البعد، لأن الجماد: إذا لم يجز أن يكون مأمورا، فالمعدوم ـ هو الذي هو نفيٌ محض ـ كيف يعقل أن يكون مأمورا؟؟ » [(٣)].

١١- أن الكلام النفسي الذي أثبتموه لا دليل عندكم على أنه واحد، فأنتم أثبتم الكلام النفسي بكلام الشاعر النصراني، وهل الكلام النفسي يكون واحدا في النفس؟؟، أم أنه متعدد؟ لا ريب أن المعهود هو الثاني، ومعلوم أن الكلام النفسي

---

(١) انظر: الدرء ١/ ٢٦٧، منهاج السنة ٥/ ٤١٨، شرح الطحاوية ١/ ١٩٨.

(٢) محصل أفكار المتقدمين والمتأخرين للرازي ص ٢٦٦.

(٣) محصل أفكار المتقدمين والمتأخرين للرازي ص ٢٦٦.

مختلف من حيث ترداده في النفس، فبطل دعواكم أنه كلام واحد، لو صح أنه كلام نفسي، وما يكون في النفس فإنه يقتضي: «ترديد الخواطر، وتقليب الأفكار، والابتداء من مبدأ، والانتهاء إلى منتهى، وذلك كله محال»[١] بزعمكم لأنه مخالف للكلام الواحد، فبطلت دعوى في أن الكلام النفسي واحد.

١٢- قد اعترف حذاق الأشعرية على أن الكلام النفسي الواحد صعب تعريفه، وفي معرفته مشقة، فكيف يكون ذلك اعتقادا للناس أجمعين، ويكون دينا يدان به لرب العالمين، يقول إمام الأشعرية أبو حامد الغزالي: «وهو مع وحدته، متضمن لجميع معاني الكلام!!!... وفهم ذلك غامض!!»[٢].

١٣- اضطراب أصحاب هذا القول شيء عجيب، وعده أمر عصيب، ويكفي دلالة على فساد المذهب أن يكون أربابه متحيرين في المذهب[٣].

١٤- أنكم حكيتم الإجماع ـ وهو حق ـ على أن الموجود في مصاحف المسلمين هو كلام الله ﷻ، وأنكرتم على من خرق هذا الإجماع، فكيف تقولون بعد ذلك بأن كلام الله واحد، وليس بسور، ولا آيات؟؟، ذكر الجويني هذا في الإرشاد[٤] فقال: «ومما يستروحون إليه أن قالوا: قد أجمع المسلمون قبل ظهور هذا الخلاف على أن القرآن كلام الله سبحانه، واتفقوا على أنه سُور، وآيات، وحروف منتظمة، وكلمات، وهي مسموعة على التحقيق، ولها مفتتح، ومختتم، وهي معجزة رسول الله ﷺ، والآية على صدقه، ويستحيل أن يكون القديم ـ أي الكلام النفسي ـ معجزا...، ولو جاز تقدير كلام قديم قائم بالنفس أزلي معجزا، لجاز تقدير العلم القديم عند مثبتيه معجزا»!! ثم ذكر أن هذا لا يقول به حتى المعتزلة أنفسهم الحاكون لهذا الإجماع، ثم

---

(١) نهاية الإقدام في علم الكلام لعبد الكريم الشهرستاني ص ٢٧٣، وهذا المنقول بين المعكوفتين، إنما هو من اعتراضات الفلاسفة على المتكلمين في إثباتهم الكلام النفسي!!.

(٢) المستصفى ص٨٠.

(٣) انظر: شرح الأصبهانية ص١٧٦.

(٤) ص ١٢٠-١٢١.

قال: «واستشعر الجبائي[(١)] ذلك، وأيقن أنه لو قال بهذا المذهب خرق إجماع الأمة»[(٢)]، ولا شك أن المعتزلة خرقت إجماع الأمة في ذلك، ولكن أن يكون هذا الخرق من المنتسبين إلى السنة!!!، فهذا أشنع وأفظع.

ج- **قالوا:** في معرض ردهم على الحلولية ومن سماهم بالحشوية: ولا يجوز أن يقال إن هذه الأحرف من القرآن الموجود في المصاحف هي كلام الله ﷻ الخالق، وإنما هذه تدل على كلام الله القديم، بدليل: أن المصاحف قد تحرق، وتذاب، ولا يجوز أن يكون كلام الله القديم مذابا محرقا، وإلا صح وصف شيء من صفات الله ﷻ بالفناء[(٣)].

والجواب من وجوه:

١- أن الرد على الحلولية القائلين بقدم المداد، وقدم صوت العبد، وقدم الورق صحيح، ولكن حشر أهل السنة باسم الحشوية معهم قبيح.

٢- أن أهل السنة لما قالوا: إن المكتوب هو كلام الله ﷻ حقيقة، لم يعنوا بذلك المداد والورق، فإن هذه آلات يظهر بها الكلام، كما أن المرآة آلة تظهر فيها الصورة، فإذا انكسرت الصورة فلا يقال: إن فلان المرئي فيه انكسر، فكذلك كلام الله ﷻ موجود في المصاحف، ولو أحرقت تلكم المصاحف، وهلك الحفاظ، لا يقال: إن كلام الله أحرق، وهلك!! وإنما يقال: الورق الذي فيه كلام الله، أو فلان الحافظ قد هلك، ومات، والفرق بين الشيء وما فيه ظهر واضح لمن تدبر بحسن نظر، وأراد الوصول إلى القول المعتبر.

٣- أن الله ﷻ في أكثر من آية صرح بأن هذا المسموع المنزل هو كلامه، فالواجب التصديق بخبر العزيز الوهاب، والإذعان للفظ الكتاب، وعدم التأويل ليوافق المذهب المعتاد، وقد دل الكتاب في أكثر من موضع على أن هذا المسموع هو كلام الله ﷻ،

---

(١) هو المعتزلي البصري: عبد السلام بن محمد بن عبد الوهاب بن سلام بن خالد أبو هاشم الجبائي، من أساطين الكلام، وله مصنفات في نصرة الاعتزال، توفي سنة ٣٢١هـ. انظر: السير ١٥/ ٦٣.

(٢) الإرشاد للجويني ص ١٢١ بتصرف.

(٣) انظر: الفتح ٨/ ٦٣٨، الجامع لأحكام القرآن ١/ ٤٠-٤١، طبقات الشافعية ٨/ ٢٢٥ نقلا عن العز ابن عبد السلام.

قال أبو الفضائل أحمد الرازي: «الفصل الثاني في حجج القائلين بأن المسموع عين كلام الله تعالى لا العبارة عن الكلام»(١)، ثم ذكر الآيات، وهذه الآيات كثيرة، وأذكر منها: ﴿أَفَتَطْمَعُونَ أَن يُؤْمِنُوا لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ مِن بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ [البقرة:٧٥]، ومعلوم أنهم يسمعون كلام الله من المبلغ، وكون المبلغ صوته حادثا، وأداؤه مخلوقا، لا يلزم منه أن يكون المؤدى مخلوقا، وقال ﷻ: ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَامَ اللَّهِ﴾[التوبة:٦].

ح- لو كان الموجود في المصحف هو كلام الله ﷻ، لكان يلزم أن الشكل الذي أضيف إلى القرآن، والتنقيط من كلام الله ﷻ، فيكون العباد بهذا أضافوا شيئا إلى كلام الله ﷻ !!!(٢).

والجواب عن هذا من وجوه:

١- أن الكلام في النقط والحروف لم يثبت فيه شيء عن السلف، على وجه الإفراد لا نفيا ولا إثباتا، «فإن من قال: إن المداد الذي تنقط به الحروف، ويشكل به قديم؛ فهو ضال جاهل، ومن قال: إن إعراب حروف القرآن ليس من القرآن؛ فهو ضال مبتدع»(٣).

٢- **أن المسلم** حينما يقول: هذا القرآن كلام الله: يدخل في ذلك حروفه بإعرابها، كما دخلت معانيه، ويقال ما بين اللوحين من سورة الفاتحة إلى سورة الناس كلام الله ﷻ(٤).

٣- أن القرآن الكريم كان يقرأ منزلا معربا، معروف لديهم الباء والتاء والياء، والمرفوع والمنصوب والمجرور، فمن أخطأ في شيء من ذلك على خلاف الذي ورد، فلا شك أن هذا خطأ وليس هو المنزل سواء كان هذا اللحن أو الخطأ من الكتاب، أو

(١) كتاب حجج القرآن ص ٦٥.

(٢) وهذه البدعة أعني القول في النقط والشكل حدثت في القرن السادس، كما ذكره شيخ الإسلام رحمه الله في المجموع ٣/ ٤٠٤.

(٣) المجموع ٣/ ٤٠٤.

(٤) المصدر السابق.

القراء، ومن أصاب ذلك فقد قرأ القرآن كما أنزل، وهو كلام الله ﷻ، ومن كتبه على الصواب سواء نقطه أو لم ينقطه، سواء أعربه أم لم يعربه، فهو كلام الله ﷻ؛ فإن العباد لم يدخلوا في كلام الله، إلا ما له صورة في الخط، لا من حيث هو كلام الله ﷻ المنـزل.

٤- قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: «إن كان المصحف منقوطا مشكولا، أُطلق على ما بين اللوحين جميعه أنه كلام الله، وإن كان غير منقوط، ولا مشكول: كالمصاحف القديمة التي كتبها الصحابة؛ كان أيضا ما بين اللوحين هو كلام الله ـ وذلك لأن الاعتبار هو بالمنـزل، وقد أنزل مقروءا، معربا، معروفا لديهم الفروقات بين الكلمات ـ؛ فلا يجوز أن تلقى الفتنة بين المسلمين بأمر محدث، ونزاع لفظي لا حقيقة له، ولا يجوز أن يحدث في الدين ما ليس منه»[(١)].

٥- أن من اعترف بأن القرآن منـزل معروف لدى المسلمين من السلف هكذا كما هو في مصاحف المسلمين غير ملحن، ولا مهمل من حيث النطق، بل معروف لديهم الفرق بين الكلمات ولو لم تنقط، فإن التنقيط لم يزد فيه شيئا، وكذلك الإعراب؛ لأنه هكذا أنزل.

ثانيا: شبهاتهم النقلية؛ قد تمسك القائلون بالكلام النفسي، وأن القرآن حكاية عن كلام الله ﷻ بأدلة نقلية، منها:

أ- احتجوا بقوله تعالى: ﴿وَيَقُولُونَ فِىٓ أَنفُسِهِمْ﴾ قالوا:فأثبت قول النفس![(٢)]، وقريب من هذا احتجاجهم بقول عمر رضي الله عنه: [**وكنت زورت في نفسي مقالة**] وفي رواية: [**هيأت في نفسي كلاما**][(٣)]، وهذا يعني: أن المتكلم هو من استقر في نفسه كلام، فإنه سماه كلاما قبل أن ينطق به!![(٤)].

والجواب عن هذا من عدة أوجه:

١- أن هذه الآية لو سقتموها كاملة لتبين أنها تشهد عليكم لا لكم، فإن الآية

---

(١) المصدر السابق.

(٢) الغنية لأبي سعيد النيسابورى ص ١٠٢.

(٣) روى نحوه البخاري، كتاب الحدود، باب/ رجم الحبلى في الزنى، ح(٦٨٣٠)، ولفظه: «وكنت زورت مقالة أعجبتني».

(٤) الغنية ص١٠٢.

وردت هكذا: ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ نُهُواْ عَنِ ٱلنَّجْوَىٰ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا نُهُواْ عَنْهُ وَيَتَنَٰجَوْنَ بِٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ وَمَعْصِيَتِ ٱلرَّسُولِ وَإِذَا جَآءُوكَ حَيَّوْكَ بِمَا لَمْ يُحَيِّكَ بِهِ ٱللَّهُ وَيَقُولُونَ فِىٓ أَنفُسِهِمْ لَوْلَا يُعَذِّبُنَا ٱللَّهُ بِمَا نَقُولُ ۚ حَسْبُهُمْ جَهَنَّمُ يَصْلَوْنَهَا ۖ فَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴾[المجادلة:٨] قال الحافظ ابن كثير ﵀: « أي يفعلون هذا، ويقولون ما يحرفون من الكلام، وإيهام السلام، وإنما هو شتم في الباطن، ومع هذا يقولون في أنفسهم لو كان هذا نبيا لعذبنا الله بما نقول له في الباطن... »(١)، فالآية سيقت في بيان سوء مناجاة هؤلاء، والمناجاة لا تكون إلا بين اثنين فأكثر، فبعضهم يسمع كلام بعض، فأين الكلام النفسي؟؟، ثم المراد بهذا أنهم يظهرون الإسلام عند رسول الله ﷺ، ثم إذا رجعوا إلى بعضهم قال بعضهم لبعض: هل يعذبنا الله بهذا؟!! فليس في الآية إشارة للكلام النفسي، لا من قريب ولا من بعيد، ثم هم قالوا كلاما، ولهذا رتب الله على كلامهم هذا وفعلهم هذا عذاب جهنم، وإلا لو كان كلاما نفسيا فحسب لما أُخذوا عليه، كما هو معلوم من الشريعة السمحاء.

٢- قال تعالى: ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَعْلَمُ ٱللَّهُ مَا فِى قُلُوبِهِمْ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَعِظْهُمْ وَقُل لَّهُمْ فِىٓ أَنفُسِهِمْ قَوْلًۢا بَلِيغًا ﴾[النساء:٦٣] فالله ﷻ أمر محمدا ﷺ أن يعرض عن المنافقين، وأن يعظهم في أنفسهم، أفتقولون: إنه يعظهم بكلام في نفس الرسول ﷺ، لا يسمعه الناس؟،أم ستقولون: إن المراد قل لهم مباشرة،لا بواسطة مبلغين!.

٣- أن الله ﷻ أخبر أن نبيه زكريا لا يكلم الناس ثلاثة أيام بلياليها، وأنه يشير إليهم بما يريد، ومعلوم أن الإشارة إلى ما يريده الإنسان تكون بعد ما دار في النفس من طلب أو خبر، ولم يعده ربنا ﷻ كلاما، وهذا دليل صريح في أن ما في النفس لا يكون كلاما، ولو كان مصاحبا ذلك بالإشارة، قال ﷻ عن نبيه زكريا: ﴿ قَالَ رَبِّ ٱجْعَل لِّىٓ ءَايَةً ۚ قَالَ ءَايَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ ٱلنَّاسَ ثَلَٰثَ لَيَالٍ سَوِيًّا ۝١٠ فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ مِنَ ٱلْمِحْرَابِ فَأَوْحَىٰٓ إِلَيْهِمْ أَن سَبِّحُواْ بُكْرَةً وَعَشِيًّا ﴾[مريم:١٠](٢).

---

(١) تفسير القرآن العظيم ٤/ ٣٢٣.

(٢) انظر: العين والأثر ص٨١.

٤- أن الآية فيها قرينة ـ لو سلمنا جدلا أنّها تدلّ على الكلام النفسي ـ فإن القرينة هي التي دلت على ذلك، والقرينة هي، يقولون: في أنفسهم، فجاء القول مقيدا بالنفس، فكانت هذه قرينة على أن المراد ما في النفس، ولو لم يقيد لما فهم إلا صريح القول، الذي هو العبارة نفسها، لا ما في النفس[1].

٥- ومثل هذا يقال: في قول عمر ﷺ، فإنه لما زور في نفسه كلاما، لم نكن نعلم بذلك حتى أخبرنا، فدل أن الكلام لا يمكن أن يعرف إلا بعد التكلم الذي يكون بصوت وحرف.

ب- **وتمسكت المعتزلة والأشعرية** بالقول أن القرآن الكريم ليس كلام الله ﷻ حقيقة بآيتين في كتاب الله ﷻ قال أبو الفضائل الرازي: «حجة من قال بأن القرآن ليس بكلام الله عز وجل»[2] ثم أَوْرَد الآيات من سورة الحاقة، وسورة التكوير، وهي قوله ﷻ: ﴿فَلَآ أُقْسِمُ بِمَا تُبْصِرُونَ ﴿٣٨﴾ وَمَا لَا تُبْصِرُونَ ﴿٣٩﴾ إِنَّهُۥ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ﴿٤٠﴾ وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ ۚ قَلِيلًا مَّا تُؤْمِنُونَ ﴿٤١﴾ وَلَا بِقَوْلِ كَاهِنٍ ۚ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴿٤٢﴾ تَنزِيلٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٤٣﴾ وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ ٱلْأَقَاوِيلِ ﴿٤٤﴾ لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِٱلْيَمِينِ ﴿٤٥﴾ ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ ٱلْوَتِينَ ﴿٤٦﴾ فَمَا مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَٰجِزِينَ﴾[الحاقة:٣٨-٤٧]، قال العز بن عبد السلام[3] في آية الحاقة: «وقول الرسول، صفة للرسول، ووصف الحادث حادث، يدل على الكلام القديم، فمن زعم أن قول الرسول قديم، فقد رد قول رب العالمين»[4].

وقال ﷻ: ﴿فَلَآ أُقْسِمُ بِٱلْخُنَّسِ ﴿١٥﴾ ٱلْجَوَارِ ٱلْكُنَّسِ ﴿١٦﴾ وَٱلَّيْلِ إِذَا عَسْعَسَ ﴿١٧﴾ وَٱلصُّبْحِ إِذَا تَنَفَّسَ ﴿١٨﴾ إِنَّهُۥ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ﴿١٩﴾ ذِى قُوَّةٍ عِندَ ذِى ٱلْعَرْشِ مَكِينٍ ﴿٢٠﴾ مُّطَاعٍ ثَمَّ أَمِينٍ ﴿٢١﴾ وَمَا صَاحِبُكُم بِمَجْنُونٍ ﴿٢٢﴾ وَلَقَدْ رَءَاهُ بِٱلْأُفُقِ ٱلْمُبِينِ ﴿٢٣﴾ وَمَا هُوَ عَلَى ٱلْغَيْبِ بِضَنِينٍ ﴿٢٤﴾ وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَيْطَٰنٍ رَّجِيمٍ ﴿٢٥﴾ فَأَيْنَ تَذْهَبُونَ ﴿٢٦﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ

---

(١) انظر: العين والأثر ص٧٧.

(٢) كتاب حجج القرآن ص٦٧.

(٣) هو الفقيه الأصولي: عبد العزيز بن عبد السلام بن أبي القاسم السلمي، أبو محمد، ولد بدمشق وتفقه على ابن عساكر، ثم سكن مصر، وبرع في المذهب الشافعي، وأفتى ودرس، توفي بالقاهرة سنة ٦٦٠هـ. انظر: طبقات الشافعية للسبكي ٨/ ٢٠٩، معجم المؤلفين٥/ ٢٤٩.

(٤) طبقات الشافعية ٨/ ٢٢٤.

لِّلْعَـٰلَمِينَ ﴾[التكوير:١٥-٢٧] قال العز ابن عبد السلام - ردا على من يثبت لله كلاما هو حرف وصوت، وأن القرآن في المصحف كلام الله -: « فالقرآن مركب من حرف وصوت، ثم يزعم أنه في المصحف، وليس في المصحف إلا حرف مجرد لا صوت معه »[(١)].

والجواب من وجوه:

١- أن الآيتين بينت أن الرسولين إنما هما مبلِّغان لكلام الله ﷻ، وأن المبلَّغ كلام الله لفظا ومعنى، لأنه لو كان اللفظ لفظهما لكان عندنا لفظان، فأي اللفظين عبارة عن كلام الله، فإنه مرة نسب إلى الرسول الملكي، ومرة إلى الرسول البشري!!، فعلم من هذا أن النسبة ليست نسبة إضافة كلام إلى متكلم، وإنما هو نسبة كلام إلى مبلغ، ولهذا لم يقل في الآيتين: إنه قول ملك، ولا قول نبي، وإنما ذكر الوصف، وهو الرسالة، وأن الرسولين في هذا التبليغ أمينان، سواء كان الرسول الملكي، أو الرسول البشري، فهما يؤديان رسالتهما على أكمل وجه من غير زيادة أو نقصان[(٢)].

٢- أن هذا فيه خلط بين المسموع من الله بلا واسطة، والمسموع من كلام الله بواسطة، فالأول: يكون مسموعا لفظا ومعنى وصوتا من الله، والثاني: يكون لفظه ومعناه من الله، ومن أداه يكون الصوت صوته، والحركات حركاته، وهذا الفرق جلي لمن تدبر[(٣)]

٣- أن هذا صريح بأن محمدا ﷺ لم يكن ليفتري على الله غير ما أنزل عليه، وأن القرآن ليس كأقوال الشعراء الذين ينشئون الشعر من أنفسهم، ولا كأقوال الكهان المخرصين، بل هو رسول رب العالمين، يبلغ ما أنزل إليه، فما يقوله: هو كلام الله، مبلغا عن الله، لا يتقول من عنده، فمن زعم أن هذا قول الرسول، فقد رد قول رب العالمين؛ لأنه أخبر أنه لا يتقوله أحد، والمعبر متقول عليه، والحاكي كذلك[(٤)].

٤- أنه لو كان هذا كلام محمد ﷺ لما كان هناك فرق بين القرآن والحديث، إذ

---

(١) طبقات الشافعة ٨/ ٢٢٤، وانظر: نص الباقلاني في أن القرآن إنما هو لفظ جبريل في كتابه الإنصاف ص ٩٧.

(٢) انظر: الدرء ١/ ٢٥٨، المجموع ٦/ ٥٢٤، ١٢/ ٣٧٨.

(٣) الدرء ١/ ٢٥٩.

(٤) انظر: الدرء ١/ ٢٥٨.

الأحاديث أيضا معناه من الله، ولفظه من محمد ﷺ، فما الفرق حينئذ بين الكلامين؟!.

٥- أن هذا القرآن لو كان تعبير محمد ﷺ، لما كان منزلا من الله ﷻ.

٦- أن هذا لو كان مرادا من الآية لكان قول الكفار صحيحا لما قالوا: إن هذا إلا قول البشر!!، فإنهم ما أشاروا إلا إلى اللفظ المنـزل، ولا يعرفون الكلام النفسي، حتى يقول عنه إنه كلام بشر، وقد أوعدهم الله بسقر، فدل على أن هذا المنـزل ليس كلام البشر، ولا تعبير أحد من المخلوقين[1].

٧- أن آيات التكوير فيها بيان وصف جبريل ﵇، وأنه يؤدي الرسالة على أكمل وجه لكونه كريما، وليس ببخيل كما زعمته اليهود ومن وافقهم، ووصف بأن له منـزلة عند الله ممكّن، وهذا يؤكّده سماعه كلام الله، واختصاصه بالوحي، ففي الآيتين بيان أن القرآن من عند الله، فليس الذي يأتي محمدا ﷺ إلا جبريل، وليس محمد ﷺ إلا رسول رب العالمين، يؤديان عن الله رسالته[2].

٨- أن هذا المفهوم معارض بصريح القرآن الكريم، كما قال ﷻ: ﴿ وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ٱسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُۥ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْلَمُونَ ﴾[التوبة:٦] ومعلوم أن المراد ما يُسمع ـ لا الصوت نفسه، والحركات التي أدي بها الكلام ـ فعلم أن المسموع هو كلام الله ﷻ بواسطة المبلغ، فليس المسموع كلاما لغيره، بل هو كلامه تعالى[3].

٩- أن هذا يلزم منه أن من أدى حديث رسول الله ﷺ أن يكون الكلام كلامه، لا كلام النبي ﷺ، وهذا معلوم البطلان، فلو سمع إنسان قول شاعر متقدم، ثم نسبه إلى نفسه، لكونه أداه، لكان ذلك كذبا عند من عرف أن هذا ليس قوله، فكيف بكلام النبي ﷺ!! بل كيف بكلام الله ﷻ الذي لا يمكن لأحدٍ لا ملكا ولا نبيا أن يأتي بمثله،

---

(١) انظر: المصدر السابق، وشرح الطحاوية ص١٣٦، ١٥١.

(٢) انظر: المصدر السابق.

(٣) انظر: الدرء ١/ ٢٥٨، شرح الطحاوية ص١٤٣.

فكيف يقال: إن المبلغين عنه يصيِّرون الكلام كلامهم لكونهم بلغوا!![1].

١٠- إذا كان أحد الرسولين هو المعبر عن كلام الله ﷻ، أفيصح أن يقول - ولو معبرا عن الملك القهار -: ﴿ إِنَّنِي أَنَا ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدۡنِي وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكۡرِيٓ ﴾[طه:١٤]، فقولكم هذا كقول المعتزلة: إن الذي قال ذلك لموسى هي الشجرة!!، ثم معلوم أن الرسول إذا أراد أن يخبر بما أراده الله فإنه يقول: إن الله أمرني بكذا، وأمرني أن أبلغكم بكذا، ويقول لكم كذا، وفي الحديث القدسي: «إن الله إذا أحب عبدا نادى جبريل: إني أحب فلانا فأحبه، ثم ينادي جبريل في السماء: إن الله يحب فلانا فأحبوه»، فتبين بهذا الفرق بين نداء جبريل، ونداء الله ﷻ، وأن لكل نداء مختصًّا به، وأن الرسول لا يعبر عن الله، وإنما الله ﷻ يتكلم بنفسه، وبصوت يُسمع[2].

ومما يدل على فساد قول الكلابية والأشاعرة والماتريدية ومن وافقهم، تلكم اللوازم السيئة التي تستلزم هذا القول، ومنها:

١. أنهم فرقوا بين كتاب الله وكلام الله، وهذه بدعة ما عرف عن أحد من المسلمين الأوائل، وإنما هو من مخترعات الكلابية، واتبعتهم في ذلك الأشعرية والماتريدية[3]، والمعلوم أن الإجماع قائم أن ما في كتاب الله ﷻ هو كلام الله ﷻ[4].

٢. ومما ترتب على هذه البدعة أنهم قالوا إن: «احترام الكتاب لأجل المكتوب، كاحترام البيت لأجل صاحب البيت»[5] ومعلوم أن البيت وصف قائم بنفسه مضاف إلى الله، وأما كلام الله الموجود بين الدفتين فهو وصف لا يقوم بنفسه، بل هو صفة لله ﷻ، فوجب تعظيم المصحف لكون ما فيه صفة الله، فهو معظم بنفسه، وأما تعظيم البيت فلتعظيم صاحب البيت، فافترقا.

---

(١) انظر: الدرء ١/ ٢٥٧.

(٢) انظر: منهاج السنة ٥/ ٤٢٤-٤٢٥.

(٣) انظر: المجموع ١٢/ ١٢٥.

(٤) انظر: الفصل الرابع من الباب الأول.

(٥) نهاية الإقدام ص ٣١٣.

٣. يلزم من القول بأن القرآن عبارة عن كلام الله ﷻ أن يكون جبريل نزل بالعبارة، ولم ينزل بكلام الله ﷻ !!، وهذا خلاف الأمانة.

٤. أن قولهم: إن الكلام هو ما كان في النفس دون الألفاظ، وأن هذه العبارات تدل على معاني كلام الله ﷻ، يلزم منه أن يكون التفسير أيضا عبارة عن كلام الله ﷻ لأنه ألفاظ تدل على ما في نفس الباري ﷻ، إذ لا فرق حينئذ بين اللفظ المنـزل، واللفظ المعبر المفسر في الدلالة على الكلام النفسي!.

٥. أن مؤدى قول الأشاعرة هو عين قول المعتزلة بالنسبة إلى القرآن الكريم، وهو: أنه مخلوق[1] ـ والعياذ بالله ـ، فقالوا: «ويسمى كل من الصفة القديمة، والألفاظ الشريفة: قرآنا، وكلام الله، إلا أن هذه الألفاظ الشريفة مخلوقة!!»[2]، وقال الألوسي[3]: «استدل بالآية[4] على أن القرآن مخلوق، وأطالوا الكلام في ذلك، وأجيب بأنه إن دل على المخلوقية!! فلا يدل على أكثر من مخلوقية الكلام اللفظي!!، ولا نـزاع فيها!!!»[5] **هذا مع أنهم يشنشنون بقولهم**: نحن مدافعون عن السنة، ومنافحون بدع المعتزلة!!، ومخالفون لهم في مسألة الكلام!!، نعم من لم يفهم قولهم ظن أنهم مخالفون للمعتزلة، ولكن هذه المخالفة إنما هي من وجه واحد، وهو أن المعتزلة تثبت كلاما لله هو فعل له مخلوق، والأشاعرة لا تقول: بأن الكلام فعل له مخلوق، بل يقولون: إنه كلام نفسي!!، والمخلوقون هم الذين يجعلون له العبارات، ويعبرون عن كلام رب الأرض والسماوات!.

٦. أن أهل البدع جميعا يظهرون بدعتهم لكونهم لا يعرفون شناعتها، أو

---

(١) انظر: الإرشاد للجويني ص ١١٧، شرح الطحاوية ١/ ٢٠٢، شرح جوهرة التوحيد للقاني ص ٩٤.

(٢) كفاية العوام ص ١٠٤-١٠٥.

(٣) هو المفسر الفقيه: محمود بن عبد الله الحسيني الآلوسي، أبو الثناء شهاب الدين، ولد ونشأ في بغداد، وله مصنفات كثيرة، وفيها إشارات للصوفية غير يسيرة، منها: روح المعاني، توفي سنة ١٢٧٠هـ. انظر: معجم المؤلفين ١٢/ ١٧٥.

(٤) وهي قوله تعالى: ﴿إِنَّا جَعَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾[الزخرف:٣].

(٥) روح المعاني ١٣/ ٦٤.

يعرفون فيكابرون، أما الأشاعرة والماتريدية ومن تبعهما، فإنهم لا يظهرون عقيدتهم في القرآن الكريم خوفا من الفضيحة، وفرقا من العامة[١] فهذا يؤكد قول من قال: إن الأشاعرة والماتريدية لا تثبت لله كلاما في مصاحف المسلمين، ولا يثبتون في الأرض كلاما لله رب العالمين[٢]، يتحاكم إليه البشر أجمعون، إلا ما هو دليل على الكلام القديم الذي في النفس ولا يُدرى ما هو؟!!، **وهم وإن كانوا يصرحون بأن القرآن كلام الله، لكن في هذا أحد ثلاثة أمور**: إما أنهم يقصدون به الكلام النفسي، أو أنهم يطلقون هذه العبارة مجازا، أو يقولون ذلك في طور القرب من السنة، والتأثر بالآثار المروية عن الأخيار، وقد يظن البعض أن الأشعرية تثبت كلاما لله رب العالمين، وأنهم يثبتون قرآنا في مصاحف المسلمين، لمَّا يقرأ أقوال بعضهم، وهم يصرحون: بأن القرآن مكتوب في مصاحف المسلمين على الحقيقة!!، يقول القشيري في رسالته الموسومة بشكاية أهل السنة ـ رادا قول من زعم أن الأشاعرة لا تثبت كلاما لله ﷻ في مصاحف المسلمين ـ فقال: «إن الأشعري، وكل مسلم غير مبتدع يقول: إن القرآن كلام الله، وهو على الحقيقة مكتوب في المصاحف، لا على المجاز، ومن قال: إن القرآن ليس في المصاحف على هذا الإطلاق فهو مخطئ، بل القرآن مكتوب في المصحف على الحقيقة، والقرآن كلام الله، وهو قديم غير مخلوق،... وكون الكلام مكتوبا على الحقيقة في الكتاب لا يقتضي حلوله فيه[٣]، ولا انفصاله عن ذات المتكلم...، **والنبي ﷺ على الحقيقة مكتوب في التوراة والإنجيل، وكذلك القرآن على الحقيقة مكتوب في مصاحف المسلمين**»[٤]، والذي استقر عليه قول الأشعري أن القرآن كلام الله غير مخلوق، مكتوب في المصاحف، محفوظ في الصدور، مقروء بالألسنة[٥].

---

(١) الفواكه الدواني ١/ ٥٧.

(٢) السير ٢١/ ٣٧٦، شرح الطحاوية ١/ ١٩٨.

(٣) قد مضى في المبحث الثاني من هذا الفصل الحديث عن مسألة الحلول في القرآن الكريم.

(٤) طبقات الشافعية ٣/ ٤١٧-٤١٨.

(٥) انظر: مشكل الحديث لابن فورك ص ١٠٣، وأصول الدين للبغدادي ص ١٠٨، تبيين كذب المفتري لابن عساكر ص ١١٥، ٣٠٢، طبقات الشافعية ٨/ ٢٣٣، العين والأثر ص ٩٩.

فهذا الذي يذكرونه لا ينفي قولهم بخلق القرآن الموجود في مصاحف المسلمين، ولا ينفي هذا قول من قال: إنهم لا يثبتون في الأرض مصحفا، ولا كلاما لله رب العالمين، وذلك لأسباب:

الأول: أنهم فرقوا بين الكلام النفسي، والكلام الموجود بين الدفتين، ولا ندري ما مرادهم بأن القرآن حقيقة في المصحف، وهم مفرقون في القرآن!! خصوصا أن بعضهم يزعم أن الكلام اسم مشترك على المعنى القديم، واللفظ المخلوق!!.

الثاني: أنهم يقولون: إن القرآن مكتوب على الحقيقة في المصاحف كما أن محمدا مكتوب على الحقيقة في التوراة والإنجيل، ومعلوم أن محمدا ﷺ ليس نفسه موجودا في الإنجيل، ولا في التوراة، وإنما ذكره، فهم يريدون بهذا أن كلام الله ليس موجودا حقيقة في المصاحف، وإنما حكايته، أو ما يدل عليه من العبارة!!.

الثالث: أنهم صرحوا بأن هذا القرآن الموجود إنما هو مخلوق في اللوح، أو من لفظ جبريل[(١)]، أو محمد ﷺ، فكيف يقولون: بعد ذلك إنه ليس بمخلوق!!. ولهذا ينبغي التنبه لأقوال الأشاعرة، والتيقظ لها، قال شيخ الإسلام رحمه الله: «أما الغلط في تصوير مذهبهم، فكان الواجب أن يقولوا: إن القرآن في المصحف مثل ما يقال أن العلم والمعاني في الورق، فكما يقال: العلم في هذا الكتاب، يقال: الكلام في هذا الكتاب؛ لأن الكلام عندهم هو المعنى القائم بالذات، فيصوَّر له المثلُ بالعلم القائم بالذات، لا بالذات نفسها، وأما الغلط في الشريعة، فيقال لهم: إن القرآن في المصاحف مثلما أن اسم الله في المصاحف؛ فإن القرآن كلام، فهو محفوظ بالقلوب، كما يحفظ الكلام بالقلوب، وهو مذكور بالألسنة كما يذكر الكلام بالألسنة، وهو مكتوب في المصاحف والأوراق، كما أن الكلام يكتب في المصاحف والأوراق، والكلام الذي هو اللفظ: يطابق المعنى ويدل عليه، والمعنى يطابق الحقائق الموجودة. **فمن قال: إن القرآن محفوظ كما أن الله معلوم**، وهو متلو كما أن الله مذكور، ومكتوب كما أن

---

(١) وقد صرح غير واحد من أهل العلم على أن من قال: القرآن حكاية جبريل؛ فإنه يكفر. انظر: الإعلام بقواطع الإسلام لابن حجر الهيتمي ص ٢٥٠، ضمن الجامع لألفاظ الكفر للشيخ د/ محمد الخميس.

الرسول مكتوب، فقد أخطأ القياس والتمثيل بدرجتين؛ فإنه جعل الموجودات القائمة بأنفسها بمنزلة وجود العبارة الدالة على المعنى المطابق لها، والمسلمون يعلمون الفرق بين قوله تعالى: ﴿ إِنَّهُۥ لَقُرۡءَانٞ كَرِيمٞ ۝٧٧ فِي كِتَٰبٖ مَّكۡنُونٖ ﴾[الواقعة:٧٧-٧٨]، وبين قوله تعالى: ﴿ وَإِنَّهُۥ لَفِي زُبُرِ ٱلۡأَوَّلِينَ ﴾[الشعراء:١٩٦]، فإن القرآن لم ينزل على أحد قبل محمد ﷺ لا لفظه، ولا جميع معانيه، ولكن أنزل الله ذكره، والخبر عنه، كما أنزل ذكر محمد ﷺ، والخبر عنه، فذكر القرآن في زبر الأولين كما أن ذكر محمد في زبر الأولين، وهو مكتوب عندهم في التوراة والإنجيل، فالله ورسوله معلوم في القلوب، مذكور بالألسن، مكتوب في المصحف، كما أن القرآن معلوم لمن قبلنا، مذكور لهم، مكتوب عندهم، وإنما ذاك ذكره، والخبر عنه، **وأما نحن: فنفس القرآن أنزل إلينا، ونفس القرآن مكتوب في مصاحفنا، كما أن نفس القرآن في الكتاب المكنون، وفي الصحف المطهرة**... فإن الأعمال في الزبر كالرسول والقرآن في زبر الأولين، وأما الكتاب المسطور في الرق المنشور، فهو كما يكتب الكلام نفسه في الصحيفة، فأين هذا من هذا؟؟»[(١)].

٧. من اللوازم الفاسدة، أنهم زعموا: أنّ كلام الله لا يتفاضل، مع أن الأحاديث مصرحة بالتفضيل، ولكنهم يتلوّنون فيها فيقولون: «إن ألفاظ القرآن محدثة، ومدلولاتها فيها التفضيل!!!»[(٢)].

٨. أنهم زعموا أن القرآن لا يرفع في آخر الزمان[(٣)]، مع أن النصوص مصرحة بذلك[(٤)]، وقولهم بناء على أن القرآن عندهم هو معنى واحد في ذات الله قديم، ورأوا استحالة الانتقال عليه، وأنه لم ينـزل إلى الأرض إلا ما هو عبارة عنه، فماذا يرفع؟؟ ثم الرفع انتقال، وهو محال على الكلام!![(٥)].

---

(١) المجموع ١٢/ ٣٨٣-٣٨٥، وانظر منه: ص ٣٦٨، ٥٦٥.

(٢) الفواكه الدواني ١/ ٥٨، وسيأتي مزيد بيان في تفاضل آيات القرآن وسورها بعضها على بعض، في الفصل الأول، من الباب الثالث.

(٣) انظر: الانتصار للعمراني ٢/ ٦٠٠.

(٤) انظر: الفصل الثاني من الباب الأول.

(٥) انظر: الإرشاد للجويني ص ١٣٠.

وبهذا أرجو أن أكون قد بينت هذه العقيدة المنحرفة في القرآن الكريم، والتي نشأت بسبب الجدال بالباطل، مع المعتزلة، ومن أتباع هؤلاء من يقول: إن القرآن الكريم تكلم الله به أزلا، وأنه قديم أزلي بحروفه!!، وأبين مذهب هؤلاء في المبحث الآتي.

المبحث الخامس: القول بأزلية القرآن

أولا: معنى هذا القول.

هذا القول يعني أن الله ﷻ تكلم بالقرآن أزلا، والأزل: هو الوقت الذي لا أول له[(١)]، ويعني أن الله ﷻ لم يتكلم بالقرآن في وقت، وإنما تكلم به أزلا، كما أن علمه كائن أزلا، فكذلك كلامه كائن أزلا، ومن ذلك القرآن الكريم، وأن الباء، والسين، والميم في: (بسم) موجودة مقترنة ببعض معاً أزلاً وأبداً، ولا تزال لم يسبق منها شيءٌ شيئاً!![(٢)].

وهذا يعني: أنه لا يتكلم بحسب ما يكون من الأوقات، ولا تتعاقب حروف كلامه، ولا يكون متكلما إلا أزلا، ولا يتكلم بمشيئته، فـ «القرآن قديم، مع كونه عبارة عن اللفظ القائم بذاته، بلا ترتيب»[(٣)] عند هؤلاء القوم.

وعندهم تكلم الله أزلا: فقال لموسى اخلع نعليك على أنها ستكون، فلما بلغ الوقت تكلم بأنها كائنة، ولما كان اليوم قالها على أنها كانت[(٤)].

وقالوا: «إذا كتب كلام الله تعالى بجسم من الأجسام، وانتظمت تلك الأجسام رسوما، ورقوما، وأسطرا وكلاما، فهي بأعيانها كلام الله تعالى القديم!!، وقد كان إذ ذاك جسما حادثا، ثم انقلب قديما»!!![(٥)].

---

(١) انظر: التعريفات للجرجاني ص ١٧.

(٢) انظر: المجموع ١٢/ ٥٨٩، ١٧/ ١٦٥.

(٣) نقله الجويني عمن سماهم بالحشوية أهل الظاهر!!، وهذا هو قول السالمية، على الصواب، والله الهادى الوهاب، وانظر: الدر النضيد لابن الحفيد ص ١٥٦، وقد نقله عمن سماه: المحقق عضد الملة والدين، وهو يعني به الإيجي صاحب المواقف. وانظر: المجموع ٩/ ٢٨٤.

(٤) الأزل لابن عربي ص ٦.

(٥) الإرشاد للجويني ص ١٢٦.

فأصحاب هذا القول: يقولون - كما نقل عنهم - بأن الكلام هو المعنى المقترن للحروف والأصوات، وأنها لازمة للذات، أي أنه لم يتكلم بقدرته، ومشيئته واختياره(١).

ثانيا: سبب ظهور هذا القول.

نشأ هذا القول لما قامت محنة الجهمية في مسألة القرآن الكريم، وقالوا: إنا إذا قلنا إنه تكلم بكلام هو قائم به، وأنه بصوت وحرف، يلزم منه أن يكون ذات الله ﷻ، محلا للحوادث، فكل من وافق على هذا الأصل المبتدع وهو الاستدلال على الله بمسألة حلول الحوادث، فإنه يلزم إذا أقر بالمقدمتين، هذه النتيجة التي ذكرها الجهمية، فمن أجل ذلك منعت المعتزلة المقدمة الأولى، حتى لا تلتزم بالنتيجة، وقالت: إن الكلام حرف وصوت، ولا يلزم أن يقوم بالمتكلم، وقالت الأشاعرة والماتريدية ونحوهم بمنع المقدمة الثانية، وقالوا: إن المتكلم من قام به الكلام، ولكن لا يلزم المتكلم أن يكون كلامه بحرف وصوت وبمشيئته، وإنما يكون كلامه واحدا نفسيا، وقالت السالمية ونحوهم بالمقدمتين، وزادت بأن الصوت والحرف كالكلام نفسه لأن الكلام بدون صوت وحرف لا يتصور، فيكون أزليا أيضا!!(٢).

يقول شيخ الإسلام رحمه الله: «ثم إن طائفة أخرى لما عرفت فساد قول ابن كلاب في مسألة الكلام، ووافقته على أصله في أن الله لا يقوم به ما يتعلق بمشيئته وقدرته، وكان من قولها: أن القرآن كلام الله غير مخلوق، ولم يكن عندها إلا قديم لا يتعلق بمشيئة الله وقدرته، أو مخلوق منفصل عنه، لزمها أن تقول: **إن الله يتكلم بصوت، أو بأصوات قديمة أزلية، لا تتعلق بمشيئته وقدرته، وأنه لم يزل، ولا يزال متصفا بها،**

---

(١) انظر: الصفدية ٢/ ١٣٨، المجموع ١٢/ ٥٩٤.

(٢) انظر: شرح الأصبهانية ص ٣٢٣، المجموع ١٢/ ٥٢٦ وما بعدها، ١٦/ ٣٧٨، وأهل السنة - كما سبق وأن بينت في الباب الأول - يقولون: بأن كلام الله قائم به، وأن كلامه يكون بصوت وحرف، وأن ذلك لا يلزم منه الحدوث بمعنى أنه مخلوق، كما زعمت الفرق، فالسلف قالوا بالمقدمتين، ومنعوا النتيجة، وهو الحق، لأن هذه النتيجة مركبة على المحسوس، وهو أن من قام به الحركة والحدوث يكون مخلوقا، نعم ذلك لأنه مخلوق، وأما إن كان المجيء والإتيان والنـزول من الخالق فلا يكون مخلوقا. انظر: الصفدية ١/ ١٣.

بتلك الأصوات القديمة الأزلية اللازمة لذاته!!»[١].

ثالثا: القائلون بهذا القول.

هذا القول يذكر عن أبي الحسن ابن سالم شيخ أبي طالب المكي[٢]، وهو قول كثير من السالمية[٣] أتباع ابن سالم، فيقولون: إن كلام الله أزلي، والأصوات أزلية، مقترنة بالكلام أزلا[٤]، وهم قالوا: ذلك لما رأوا أن الأشعرية ومن وافقهم يقولون بالكلام الأزلي، وينفون أن يتكلم بمشيئته، فرأوا أن هذا يلزم منه نفي أن يكون القرآن كلام الله ﷻ، خصوصا أنهم قالوا: إنه لا يتكلم بصوت وحرف، وأن هذا الموجود هو عبارة عن كلام الله ﷻ، فلهذا قال هؤلاء: إنه متكلم أزلا بصوت وحرف، وأن ذلك قديم[٥].

ووافقهم على هذا القول بعض أصحاب مالك والشافعي وأحمد، وغيرهم[٦]، فإنهم قالوا: القرآن قديم، وهو حروف وأصوات قديمة أزلية لازمة لنفس الله تعالى أزلا وأبدا!![٧].

ويفهم هذا من قول القاضي أبي يعلى الفراء، حيث قال: إنه لم يزل متكلما، وليس مكلِّمٌ، ولا مخاطب، ولا آمر، ولا ناه، ثم نفى أن يكون كلام الله بمشيئته واختياره، وما جاء عن الإمام أحمد مخالفا لهذا، تأوله على غير وجهه[٨].

---

(١) المجموع ٦/ ٥٢٤، وانظر: الصفدية ٢/ ٥٧.

(٢) هو الصوفي الواعظ المتكلم: محمد بن علي بن عطية الحارثي، أبو طالب المكي، من تصانيفه الصوفية: قوت القلوب، توفي ببغداد سنة ٣٦٨هـ. انظر: معجم المؤلفين ١١/ ٢٧.

(٣) وبعضهم ينسبهم إلى الحنابلة نظرا لأن متكلم السالمية ومنظرهم أبو الحسن ابن الزاغوني حنبليٌّ: (٥٢٧هـ) انظر: ترجمته في السير ١٩/ ٦٠٥، **وأصحاب هذا القول: يلقبون بالاقترانية،** لقولهم باقتران الأحرف للكلام في القدم، وأنه لم يسبق بعضه بعضا. انظر: التنبيه على المخالفات العقدية في الفتح ص ١٤٦.

(٤) الفتح ١٣/ ٥٠٢، وانظر: المجموع ١٢/ ٥٢٧.

(٥) انظر: منهاج السنة ٥/ ٤١٩.

(٦) انظر: الصفدية ٢/ ٥٨، شرح الأصبهانية ص ٣٣١، المجموع ٦/ ٥٢٤، ١٢/ ١٦٦.

(٧) انظر: المجموع ١٢/ ٣٢٠.

(٨) انظر: شرح الأصبهانية ص ٣٣٥، المجموع ٦/ ١٥٨، ١٢/ ١٦٦.

وهذا هو طريقة أصحاب القاضي(١): كابن عقيل(٢)، وابن الزاغوني، وأبي عبد الله ابن عبد الوهاب(٣)، وهو المحكي عن أبي علي الثقفي(٤)؛ فإنه قال: «من أنكر أنه لم يزل، فقد اعتقد أن كلام الله محدث»(٥)، وهذا قول أبي الوليد الباجي(٦)، ومحكي عن أبي المعالي الجويني(٧).

وهذا القول يتفق مع قول الكلابية، ومن تبعهم في أن الله لا يتكلم بمشيئته وقدرته، بل كلامه قائم بذاته، بدون قدرته، ومشيئته، مثل حياته، وهم يقولون: الكلام صفة ذات، لا صفة فعل(٨).

ولهذا كان القول بأن الله تكلم بالقرآن أزلا، هو قول الأشعرية المثبتين لكلام الله ﷻ الأزلي، النافين لكلامه الذي يكون بمشيئته واختياره، وصرح بهذا بعضهم(٩)، وإنما خلافهم مع هؤلاء في هذا القرآن الموجود هل هو أزلي أم لا؟؟ فقالت السالمية: القرآن كلام الله أزلي، والأشعرية قالوا: القرآن ليس بأزلي بل هو محدَث؛ وهو عبارة عن كلام الله الأزلي.

---

(١) انظر: المجموع ٦/ ١٥٩، ١٧/ ٥٥، ومنهم ابنه أبو الحسين محمد كما في كتابه "الاعتقاد" ص٢٤-٢٥.

(٢) هو الفقيه المتكلم الواعظ: علي بن عقيل بن محمد بن عقيل البغدادي أبو الوفاء الحنبلي، ولد ونشأ في بغداد، ومن مصنفاته الجامعة: كتاب الفنون، الانتصار لأهل الحديث، توفي سنة٥١٣ هـ. انظر: السير ١٩/ ٤٤٣.

(٣) هو الفقيه الأصولي: محمد بن عبد الوهاب بن منصور الحراني أبو عبد الله شمس الدين، تفقه على مجد الدين ابن تيمية، والعز بن عبد السلام، وتولي القضاء مدة، توفي سنة ٦٧٥هـ. انظر: الذيل على طبقات الحنابلة لابن رجب ٤/ ٢٣٣.

(٤) هو المحدث الفقيه: محمد بن عبد الوهاب بن عبد الرحمن بن عبد الوهاب الثقفي النيسابوري، وتتلمذ على إمام الأئمة ابن خزيمة، وكان يجادل على طريقة أهل الكلام، ونهاه ابن خزيمة، توفي سنة ٣٢٨ هـ. انظر: السير١٥/ ٢٨٠.

(٥) المجموع ٦/ ١٦٩، وانظر: الدرء ٢/ ٧٨.

(٦) هو الفقيه المتكلم: سليمان بن خلف بن سعد التجيبي القرطبي أبو الوليد الباجي، رحل إلى المشرق، ثم رجع بعد رحلة طويلة، وله مصنفات كثيرة، منها: التسديد إلى معرفة التوحيد، توفي بالمرية في الأندلس، سنة ٤٧٤هـ، وقيل غير ذلك. انظر: معجم المؤلفين ٤/ ٢٦١.

(٧) انظر: المجموع ١٧/ ٥٥.

(٨) انظر: المجموع ٦/ ٢١٩، ١٢/ ١٣٣.

(٩) انظر: تبيين كذب المفتري ص ٣٠٢، والغنية لأبي سعيد النيسابوري ص ٩٨.

وهؤلاء الذين يقولون: إن الله تكلم بهذا أزلا، وأن كلامه بحرف وصوت، وأنه لا يتكلم بمشيئته، يسمون أيضا: بالاقترانية[١].

رابعا: شبهاتهم والرد عليها.

أ- **قالوا**: إننا إذا أثبتنا لله كلاما متعلقا بالمشيئة، فهذا يلزم منه أن يقوم به ما يتعلق بمشيئته، وقدرته، إذا فكلام الله ﷻ أزلي[٢]، واحتجوا ببعض ما ورد عن السلف: إن الله لم يزل متكلما[٣].

الرد على هذه الشبهة:

١- أن ما ذكروه من أن القرآن قديم أزلي هذا يرجع المسألة إلى العلم: فالله يعلم ما سيكون، وإذا وقعت علمها واقعة كما في الأول، ثم لما انقضى علم أنها انقضت على وفق ما علم، أما الكلام فهو ليس من صفات الذات المحضة، بل هو قديم العين من حيث تعلقه بالذات وأنه تعالى متكلم وقادر على ذلك أزلا، ومتعلق بمشيئته واختياره من حيث إنّه يتكلم متى شاء، فالكلام كالعلم من حيث تعلقه بالذات، وكصفات الأفعال من حيث تعلقه بالمشيئة.

٢- قول السلف: إنه لم يزل متكلما؛ لا يعني موافقتكم، فإنهم عنوا بهذا أنه متكلم أزلا، كما أنه متكلم متى شاء، وكونه متكلّما أزلا، يعني: أنه متصف بالكلام لأن ضده الخرس والله منزه عنه أزلا وأبدا، كالعلم اتصف الله به أزلا وأبدا، لأن ضده الجهل، وهو محال على الله ﷻ، ويعني كونه متكلّما أزلا: كقولنا إنه خالق أزلا، فإذا أثبت لنفسه أنه خالق، والمراد أنه خالق إذا أراد، وإن لم يكن خالقا في كل حال، فكذلك هو متكلم أي متصف به إذا أراد، وإن لم يكن متكلما بكل حال[٤].

---

(١) انظر: الصفدية ٢/ ٥٧.

(٢) انظر: المجموع ٦/ ٥٢٤.

(٣) انظر: المجموع ٦/ ١٥٩.

(٤) انظر: المجموع ٦/ ١٥٨، ١٦٠، ١٢/ ٥٢٩.

٣- أن هذا القول مبتدع، وقول «أنه لم يزل متكلما يتكلم إذا شاء، هذا هو الذي يقوله من يقوله من أهل الحديث، وأصحاب هذا القول: قد يقولون: إن كلامه قديم، وأنه ليس بحادث، ولا محدث؛ فيريدون نوع الكلام، إذ لم يزل يتكلم إذا شاء، وإن كان الكلام العيني يتكلم به إذا شاء»[(١)] فقولهم: إنه قديم، يعنون بذلك أنه ليس بمخلوق، فإن السلف ثابت عنهم أنهم يصفون الله ﷻ بأنه يتكلم متى شاء، فعلم من هذا مخالفتكم للسلف، ولم يقل هذا أحد من الأئمة الأربعة ولا غيرهم، وإن كان هذا قول بعض أتباعهم المتأخرين[(٢)]، وهذا إمام الأئمة ابن خزيمة يقول رحمه الله: «الذي أقول به: إن القرآن كلام الله، ووحيه، وتنزيله غير مخلوق. ومن قال: إن القرآن أو شيئا منه، وعن وحيه، وتنزيله مخلوق، أو يقول: إن الله لا يتكلم بعد ما كان تكلم به في الأزل، أو يقول: إن أفعال الله مخلوقة، أو يقول: إن القرآن محدث، أو يقول: إن شيئا من صفات الله، صفات الذات، أو اسما من أسماء الله مخلوق، **فهو عندي جهمي يستتاب؛ فإن تاب، وإلا ضربت عنقه، وألقي على بعض المزابل؛ هذا مذهبي، ومذهب من رأيت من أهل الأثر في الشرق والغرب من أهل العلم**»[(٣)].

٤- هذا القول فيه مخالفة للمعقول والمنقول؛ «وإلا فكيف تكون السين المعينة المسبوقة بالباء المعينة قديمة أزلية، وتكون الحروف المتعاقبة قديمة، والصوت الذي كان في هذا الوقت قديما؟؟»[(٤)].

٥- ثم إن النصوص دالة على أنه ينادي في وقت معين، والنداء لا يكون إلا صوتا، فكيف يقال: إنه لم يزل مناديا من الأزل إلى الأبد!!، فهذا فيه مخالفة صريحة

---

(١) المجموع ٦/ ١٦٢.

(٢) انظر: منهاج السنة ٥/ ٤٢٠، وذكر شيخ الإسلام أن الشهرستاني ذكر في نهاية الإقدام: أن هذا قول السلف والحنابلة، وليس هذا هو قول السلف، ولا قول أحمد بن حنبل، ولا أصحابه القدماء، ولا جمهورهم. انظر: نهاية الإقدام ص ٣١٣.

(٣) الدرء ٢/ ٧٩، المجموع ٦/ ١٧٠.

(٤) منهاج السنة ٥/ ٤٢٠، المجموع ٩/ ٢٨٤، ١٢/ ١٣٢.

للنصوص[(١)]، قال ﷻ: ﴿ وَمَا كُنتَ بِجَانِبِ ٱلطُّورِ إِذْ نَادَيْنَا ﴾[القصص:٤٦] وقال: ﴿ وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَآءِىَ ٱلَّذِينَ كُنتُمْ تَزْعُمُونَ ﴾[القصص:٦٢] وقال: ﴿ وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ مَاذَآ أَجَبْتُمُ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴾[القصص:٦٥]، وقال تعالى: ﴿ إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴾[يس:٨٢]، وقال الله ﷻ: ﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّى جَاعِلٌ فِى ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً ﴾[البقرة:٣٠] والمعنى: « واذكر إذ قال ربك للملائكة، والمؤقت بظرف معين لا يكون قديما أزليا »[(٢)].

٦- **ومن الردود عليهم ما ذكره بعض المخالفين للسلف**، ـ وأهل البدع يرد بعضهم على بعض، فيؤخذ الحق منهم، ويرد باطلهم ـ، فيقول: « وأما الذين يقولون: إن الله تعالى تكلم في الأزل بكذا، فإنه يلزم القائلين به شناعات، ولا يحصل بها علم إلا بجهلهم، وإنما ينبغي أن يقال في مثل هذا: إن كلام الله صفة له قديمة لا تكيف، فإن الكيفية في هذا الفن من العلم محال...، فإذا ثبت أن الله موصوف بالكلام، وأن الكلام غير محدث، فلا يحتاج ذلك إلى أزل، ولا إلى غير أزل، فنقول: لما خلق الله موسى، وكان من أمره ما كان، وأبصر النار، وقصده: ناداه الحق في ذلك الوقت »[(٣)].

٧- وبالجملة فكون الرب لم يزل متكلما ـ إذا شاء ـ هو الحق، كما هو قول أهل الحديث، وهذا القول مبني على مقدمتين: **الأولى**: أن الله ﷻ تقوم به الأمور الاختيارية. **الثانية**: أن كلام الله لا نهاية له، ومن خالف في إحدى المقدمتين لزم قوله الفساد[(٤)].

(١) انظر: المجموع ٦/ ٢٢٤، ١٢/ ٥٨٨.

(٢) الصفدية ٢/ ٥٨.

(٣) الأزل لابن عربي ص ٤-٥، وفي بعض كلامه حتى في هذا الموضع شطط، وانحرافات وغلط، وإنما نقلت ما يفيد الغرض، وأعرضت عما فيه غرض، وكلامه لو جمع في مسألة القرآن لكان من أشد الناس تناقضا، ومن أكثرهم تحولا، وأسرعهم تقلبا، فلا مذهب له، ولا ثبات، فاليوم مع الفلاسفة، وغدا مع المعتزلة، وحقيقته مع الحلولية وهو مذهبه الصريح، ومنهجه القبيح، وهكذا حال المبتدعة فإنهم يتحولون كل يوم، ولهذا كان الغزالي من أكثر الناس ترددا بين الفرق. انظر: مقدمة أحمد شمس الدين لتهافت التهافت ص ١٤.

(٤) انظر: منهاج السنة ٣/ ٣٥٩.

٨- وأيضا وصفه بأنه تكلم مع موسى أزلا!!، ومع جبريل أزلا!!، وتكلم بالقرآن أزلا محال!!، إذ وصفه بذلك له أول، والأزل عبارة عن نفي الأولية، فالجمع بينهما محال(١).

٩- لا يجوز أن يخبر الله ﷻ أزلا أنه أرسل نوحا، فيقول: ﴿إِنَّآ أَرۡسَلۡنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوۡمِهِۦٓ أَنۡ أَنذِرۡ قَوۡمَكَ مِن قَبۡلِ أَن يَأۡتِيَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ﴾[نوح:١] فلو أخبر أزلا أنه أرسل نوحا، وهو لم يخلق بعد، لكان خلفا، إذ أنه لم يرسله بعد، وهو على الله وفي كلام الله ﷻ محال، فدل على أنه ما تكلم بهذا الكلام إلا بعد إرسال نوح ـ عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام ـ(٢).

١٠- قوله ﷻ ﴿وَلَمَّا جَآءَ مُوسَىٰ لِمِيقَٰتِنَا وَكَلَّمَهُۥ رَبُّهُۥ قَالَ رَبِّ أَرِنِيٓ أَنظُرۡ إِلَيۡكَۚ قَالَ لَن تَرَىٰنِي وَلَٰكِنِ ٱنظُرۡ إِلَى ٱلۡجَبَلِ فَإِنِ ٱسۡتَقَرَّ مَكَانَهُۥ فَسَوۡفَ تَرَىٰنِيۚ فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ لِلۡجَبَلِ جَعَلَهُۥ دَكّٗا وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقٗاۚ فَلَمَّآ أَفَاقَ قَالَ سُبۡحَٰنَكَ تُبۡتُ إِلَيۡكَ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾[الأعراف:١٤٣] فهذه الآية تفيد أن الله كلم موسى وقت مجيئه الذي وقّته له، وحينئذ قال موسى: رب أرني أنظر إليك، ونفى الله إمكان الرؤية في الدنيا لما سأله ذلك، وكل هذا وُقت في ميقات معين حدده رب العالمين، وليس ذلك أزلا، وإلا لزم منه أن الميقات لا معنى له، وأن موسى سأل أن يرى ربه أزلا، وأن الله قال له أزلا لن تراني!!!، وأن الله لا يرى أزلا!!، وأن الله تجلى للجبل أزلا!!، وأن موسى خر أزلا!!، وأنه أفاق أزلا!!، وأنه قال: تبت إليك أزلا!!، وهذه المفاسد كلها لو تصورها عاقل، لما تفوه بأن الله تكلم أزلا، ولم يتكلم حين جاء موسى للميقات!!.

١١- ثم إن القرآن الكريم كيف يقال عنه أن الله تكلم به أزلا؟ وفيه الآيات الكثيرة التي تدل على أن الله كلم هذا في وقت، وهذا في وقت، وأن هذه الآية قبل هذه، وأن هذه السورة قبل هذه!!.

---

(١) انظر: محصل أفكار المتقدمين والمتأخرين للرازي ص ٢٢٨.

(٢) انظر: محصل أفكار المتقدمين والمتأخرين للرازي ص ٢٢٩، الصفدية ٢/ ٥٧.

١٢- أن قولكم إن الله تكلم بالقرآن أزلا فيه أنه لا يتكلم بشيء مرتين، وهذه مكابرة، قال ابن خزيمة رحمه الله في رده على أمثال هؤلاء: «زعم بعض جهلة هؤلاء الذين نبغوا في سنيننا هذه[١]: أن الله لا يكرر الكلام، فلا هم يفهمون كتاب الله؛ إن الله قد أخبر في نص الكتاب في مواضع أنه خلق آدم، وأنه أمر الملائكة بالسجود له، فكرر هذا الذِّكْرَ في غير موضع، وكرر ذِكر كلامه لموسى مرة بعد أخرى، وكرر ذكر عيسى ابن مريم في مواضع، وحمد نفسه في مواضع...، ولم أتوهم أن مسلما يتوهم أن الله لا يتكلم بشيء مرتين!!»[٢].

١٣- القول بأن الله تكلم أزلا، وأنه لا يتكلم متى شاء، يعني مخالفة صريح الكتاب والسنة؛ فإنه قد ثبت في غير ما آية أن الله عز وجل: «يكلم أهل النار بالتوبيخ والعقاب...، ويخلو الجبار بكل أحد من خلقه فيكلمه؛ ليس بينه وبين أحد منهم ترجمان... فمن زعم أن الله لم يتكلم إلا مرة، ولم يتكلم إلا ما تكلم به، ثم انقضى كلامه كفر بالله، بل لم يزل الله متكلما، ولا يزال متكلما، لا مثل لكلامه؛ لأنه صفة من صفات ذاته؛ نفى الله المثل عن كلامه، كما نفى المثل عن نفسه..ولم يزل متكلما، ولا يزال يتكلم؛ فهو الموصوف بالصفات العلى»[٣].

١٤- وأما قولكم: إن القول بأنه يتكلم متى شاء يلزم منه القول بحدوثه فعنه أجوبة، **الأول:** أن هذا اللازم ليس بصحيح، فلا يسمى كلام الله عز وجل، وكتابه محدثا، وإن سمي حديثا. **الثاني:** أن القرآن يسمى حديثا، والحديث معناه الكلام كما قال تعالى: ﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ ٱللَّهِ حَدِيثًا﴾[النساء:٨٧]. **الثالث:** أنا لو سلمنا لكم[٤] أنه يسمى محدَثا كما في قوله تعالى: ﴿مَا يَأْتِيهِم مِّن ذِكْرٍ مِّن رَّبِّهِم مُّحْدَثٍ إِلَّا ٱسْتَمَعُوهُ وَهُمْ يَلْعَبُونَ﴾[الأنبياء:٢]

(١) لعله يشير إلى قول أبي علي الثقفي من تلامذته القائلين بالكلام الأزلي.

(٢) المجموع ٦/ ١٧١.

(٣) المجموع ٦/ ١٧٣-١٧٤، وانظر: الرد على الزنادقة والجهمية للإمام أحمد ص ٤٤.

(٤) وتسمية القرآن بأنه محدث منعه الأئمة؛ لأنه ذريعة إلى القول بخلقه، فيتنبه لهذا، وقد اشتد نكير الإمام أحمد على داود الظاهري لما قال: إن القرآن محدَث، وهو يريد أن الله تكلم به في وقت معين. انظر: المجموع ٦/ ١٦٠-١٦١.

فإنه لا يسمى مخلوقا، وليس بمخلوق، وتسميتكم المحدَث بأنه مخلوق، هو اصطلاح اصطلحتم عليه، والآية ليس المراد بها اصطلاحكم، وإنما المراد أنه شيء جديد، وليس كل جديد محدَث إلا على اصطلاحكم. **الثالث**: إن أردت بقولك: إنه محدث أنه مخلوق، فقد علمت مذهب السلف في ذلك، وهم من أشد المنافحين عن القرآن، وإن أردت بقولك: محدث، أن الله تكلم به بمشيئته وقدرته، بعد أن لم يكن متكلما بالقرآن، وبغيره بعينه ـ وإن كان قد تكلم بغير ذلك قبله، مع أنه متكلم إذا شاء ـ فإن هذا هو قول السلف، وإذا فهم المقصود، فإن النزاع في العبارة غير مجد إلا أن تكون العبارة شرعية[(١)].

ب-**احتجوا**: بأدلة المعتزلة على أن الكلام يكون بحرف وصوت، وبأدلة الكلابية ومن وافقهم على أن الكلام لا يكون إلا قائما بالموصوف، ثم قالوا: وكل ذلك لا يكون إلا قديما[(٢)].

والجواب عنه من وجهين:

الأول: أن احتجاجكم بأن الكلام لا يكون إلا بصوت وحرف صحيح، واحتجاجكم بأنه لا يكون صفة لموصوف إلا إذا كان قائما به صحيح، ويبقى النتيجة التي ذكرتموها، وهي أن ذلك كله قديم، أزلي فهذا هو محل النزاع، ومعلوم أن الباء قبل السين، والسين قبل الميم، والقديم لا يسبق بغيره على قولكم، ثم الصوت يستحيل اقتران أوله بآخره، ووجوده كله في وقت واحد، وإنما يوجد متعاقبا[(٣)].

الثاني: **أن** وصفكم الرب الكامل بأنه متكلم أزلا، وليس بمتكلم أبدا وأن كلامه لا يكون بمشيئته وقدرته وصف له بالنقص، وهو محال على الله ﷻ، إذ المتكلم بمشيئته وقدرته أكمل ممن لا يتكلم بمشيئته وقدرته، فمن تكلم اضطرارا، أو مُكرَها، أو من غير إرادة منه كالنائم، فهذه كلها أوصاف نقص يلحق المتكلم بالكلام، ولا

---

(١) انظر: المجموع ٦/ ١٦٠-١٦١.

(٢) انظر: المجموع ١٢/ ٣٢٠.

(٣) انظر: الصفدية ٢/ ٥٨، شرح الأصبهانية ص ٣٣٦، المجموع ١٢/ ٣٢٠.

يكون الكمال إلا ممن تكلم بمشيئته واختياره وقدرته[١].

قالوا: الكلام له وجود وماهية، وله ترتيب في وجوده، وترتيب ماهية الباء للسين بالزمان هي في وجوده، لا في ماهيته؛ فإن السين مقارنة للباء في الماهية!! فليس هناك تقدم في الزمان؛ إنما هو تقدم في الوجود، كتقدم بعض الحروف المكتوبة على بعض، فالكاتب قد يكتب آخر المصحف قبل أوله، ومع هذا إذا كتبه كان أوله متقدما على آخره في المرتبة، لا في الوجود[٢].

والجواب عن هذا من وجهين:

الأول: أن جمهور العقلاء يعلمون فساد هذا بالاضطرار؛ فإن الصوت لا يتصور بقاؤه، ودعوى وجود ماهية غير الموجود في الخارج دعوى فاسدة؛ لأن الوجود الذهني ليس وجودا للماهية على الحقيقة، وإنما هو وجود علمي ذهني، وأما وجود الأحرف في الخارج فوجود حقيقي عياني، والكلام في الأحرف الموجودة في العيان، لا الموجودة في الأذهان.

الثاني: أن الترتيب الذي في المصحف ـ حيث ركبتم الدليل عليه ـ هو ترتيب للحروف المدادية، والمداد أجسام، وإنما الكلام في الأحرف التي تكون عيانا من حيث هي بقطع النظر عن وسائلها؛ فإنها لا توجد ـ من حيث هي ـ إلا مرتبة، يعلم أن هذا قبل هذا وجودا وزمانا[٣].

ومما يدل على فساد قول القائلين بأن الله تكلم بالقرآن أزلا، ما يأتي:

١ - يلزمهم على قولهم بأن الله تكلم بالقرآن أزلا أن يكون هذا القرآن الموجود بين الدفتين لم يسمعه جبريل؛ لأن جبريل عليه السلام لم يكن أزلا!!، وقال السلف: « إنما

---

(١) انظر: المجموع ١٨/ ٢٣٧.

(٢) انظر: المجموع ١٢/ ٣٢٠.

(٣) انظر: المجموع ١٢/ ٣٢١.

تكلم بالقرآن حيث خاطب به جبريل، وكذلك سائر الكتب»[١].

٢- إذ قالوا ذلك: فالقرآن يكون على قولهم هو عبارة عن الكلام الأزلي، فيرجع هذا إلى قول الكلابية وأتباعهم، أو يقولوا: بأن المسموع هو كلام الله الأزلي حرفا وصوتا، فيرجعون إلى قول الحلولية والاقترانية، وقد سبق الرد عليهم.

وهؤلاء يقابلهم أقوام ذهبوا إلى أن الله لم يتكلم أزلا، وإنما تكلم بعد أن لم يكن قادرا على الكلام، وأبين قول هؤلاء في المبحث الآتي.

---

(١) شرح الأصبهانية ص ٢١١، نقلا عن كتاب محمد بن الهيصم "جمل الكلام".

المبحث السادس
القول بأن الله تكلم بعد أن لم يكن متكلما، ومن ذلك تكلمه بالقرآن

أولا: معنى هذا القول.

المراد بهذا القول: أن الله لم يزل معطلا لا يتكلم، ولا يفعل شيئا، ثم حدث منه الكلام[(١)] فأصحاب هذا القول: يرون أن الله في الأزل لم يكن متكلما، إلا بمعنى القدرة على الكلام، وأنه يصير موصوفا بها يحدث بقدرته، وبمشيئته بعد أن لم يكن كذلك[(٢)].

وهؤلاء لا يعنون من كلمة "الحادث" أن القرآن مخلوق، وإنما يعنون: أن الله تكلم به بعد أن لم يكن متكلما، فهم يسمونه حادثا، ولا يسمونه محدَثا[(٣)].

ثانيا: سبب نشأة هذا القول.

لما حدث القول بأن القرآن حكاية عن كلام الله ﷻ، وأن هذه الأحرف ليست من كلام الله، وهذا معلوم شناعته، ونشأت السالمية الذين قالوا: إن هذه الأحرف أيضا هي من كلام الله ﷻ وهذه الأحرف أيضا أزلية، وأن الله لا يتكلم بمشيئته واختياره، وهذا أيضا معلوم شناعته إذ الحروف متعاقبة، ولا يكون المتعاقب أزليا، فنشأ قول ثالث: وهو أن الله موصوف بأنه تكلم بعد أن لم يكن متكلما، فتكلم بهذا القرآن بعد أن لم يكن متكلما، ونفوا أن يكون الله متكلما أزلا[(٤)].

---

(١) انظر: الصفدية ١/ ١٣، ١٧/ ١٦٥.

(٢) انظر: المجموع ٦/ ٥٢٤، ١٢/ ٥٩٣.

(٣) انظر: منهاج السنة ٢/ ١٠٨.

(٤) انظر: المجموع ٩/ ٢٨٤-٢٨٥، ١٢/ ٥٢.

وقالوا: إن المتكلم من قام به الكلام، وأن الكلام لا يكون إلا بصوت وحرف، وأن من الكمال أن يكون المتكلم متكلما بمشيئته وقدرته، لا أن يكون المتكلم من تكلم أزلا، وأما أن ذلك يلزم منه حلول الحوادث في الرب ﷻ، فليس في الأدلة ما ينفي حلول الحوادث في ذات الرب ﷻ[(١)].

وهؤلاء قالوا: بأنه تكلم بعد أن لم يكن متكلما، كقولهم فعل بعد أن لم يكن فاعلا، وذلك لئلا يلزمهم القول بحوادث لا أول لها[(٢)].

ثالثا: القائلون بهذا القول.

هذا القول هو المشهور عن الكرامية[(٣)]، وطائفة كثيرة: من المرجئة، والشيعة، وغيرهم: يقولون: بأن الله تكلم بكلام حادث، بعد أن لم يكن متكلما، وهذا الكلام الحادث ليس بمخلوق[(٤)]، ونقل عنهم أنهم يفرقون بين قول الله، وكلام الله؛ فيقولون: «الكلام قديم، والقول حادث غير محدث، والقرآن قول الله، وليس بكلام الله، والكلام عندهم القدرة على التكلم»[(٥)] فيكون هذا قولا آخر لهم في المسألة.

والكرامية أثبتوا أن الله ﷻ يتكلم بكلام قائم بنفسه غير مخلوق، وأن كلامه بمشيئته وقدرته، لكنه تكلم بعد أن لم يكن متكلما، وأن الحوادث تحل به[(٦)]، وهم يقولون: بأن كلام الله ﷻ لا نهاية له في المستقبل[(٧)].

والقول بأن الله تكلم بكلام حادث ـ ولا يعنون به المخلوق ـ نسب إلى أبي

---

(١) انظر: الصفدية ٢/ ٦٠، ١٣٨.

(٢) الصفدية ٢/ ٦٠.

(٣) وهم ينتسبون إلى محمد بن كرام السجستاني، وفي الفقه إلى أبي حنيفة، ورموا بالتشبيه. انظر: المجموع ١٢/ ٥٣٠، ١٧/ ٥٥.

(٤) انظر: الإرشاد للجويني ص١٠٦، محصل أفكار المتقدمين والمتأخرين للرازي ص٢٦٥، الصفدية ٢/ ١٣٨، شرح الأصبهانية ص ٣٣١، المجموع ٦/ ٥٢٤، ١٢/ ١٧٢، ٥٣٠.

(٥) الغنية لأبي سعيد النيسابورى ص ٩٩، وانظر: المجموع ١٢/ ١٧٧، منهاج السنة ٢/ ٢٤٨.

(٦) انظر: منهاج السنة ٣/ ٣٥٨، المجموع ٦/ ١٦١، ٢١٩.

(٧) انظر: منهاج السنة ٣/ ٣٦٠.

معاذ التومني، وزهير البابي، وداود الأصبهاني[(١)]، وقد يسمى أصحاب هذا القول بالحدوثية[(٢)]، نسبة إلى قولهم بأن الله تكلم بكلام حادث بعد أن لم يكن متكلما به.

رابعا: شبهات أصحاب هذا القول، والرد عليها.

أ- يفهم مما نقل عنهم سابقا أنهم يقولون: إن الله تكلم بكلام قائم به، والكلام لا يكون إلا بصوت وحرف، ويستحيل أن يكون هناك كلام ولا مُكَلَّم؛ فدل ذلك على أنه تكلم بعد أن لم يكن متكلما، وأن هذا الكلام متعلق بمشيئته وقدرته[(٣)].

والجواب عن هذا ما يأتي:

١- إن قولكم أنه تكلم بكلام قائم به حق، وكونه تكلم بصوت وحرف حق أيضا، وأما أنه تكلم بعد أن لم يكن متكلما فهذا هو وجه البدعة في قولكم، إذ كيف يتصور للرب الكامل أن يكون معطلا عن الكلام حتى يكون متكلما بسبب خارج عنه، وهم المخلوقون.

٢- أما قولكم: كيف يتصور وجود كلام ولا مكلَّم، فهذا نشأ بسبب اعتقادكم تعطيل الرب عن الفعل، وأنه لم يكن فاعلا، ولا خالقا، فكيف يتصور أن يكون متكلما، ثم صار فاعلا، وخالقا، ومتكلما!!، ومعلوم أن الحق هو ما ذهب إليه السلف من أن الله ﷻ لم يزل فاعلا متكلما خالقا، كما لا يزال فاعلا خالقا متكلما.

٣- أن الكلام صفة كمال لا صفة نقص، ومن يتكلم بمشيئته وقدرته أكمل ممن لا يكون قادرا على الكلام بمشيئته وقدرته، ووصف الكمال لله ﷻ واجب، فوجب أن يكون متكلما أزلا بمشيئته، كما أنه متكلم أبدا بمشيئته[(٤)].

---

(١) انظر: منهاج السنة ٣/ ٣٦٩، الصفدية ٢/ ٦٠، المجموع ١٢/ ١٧٧، ونسب إلى البخاري، وقد بينت في الفصل الأول من الباب الثاني، أن ذلك لا يصح عنه، والمذكورون هم الفقهاء الذين نسب إليهم شيخ الإسلام هذا القول؛ فإنه تارة يقول: طوائف من المتسبين إلى السنة من أصحاب مالك والشافعي وأحمد، وتارة يقول: طائفة من الفقهاء، وهم ـ والله أعلم ـ طائفة واحدة وهم المذكورون.

(٢) انظر: المجموع ١٢/ ٥٩٤.

(٣) انظر: الصفدية ٢/ ٦٠، ١٣٨، المجموع ١٢/ ٥٢، المجموع ٩/ ٢٨٤-٢٨٥.

(٤) انظر: المجموع ٩/ ٢٨٥، ١٨/ ٢٣٧.

٤- قلتم: إن الكلام متعلق بالمشيئة، ومعلوم أن الله ﷻ لم يزل موصوفا بالإرادة، فكذلك يلزم أن يكون موصوفا بالكلام.

٥- إذا قلتم: إنه تكلم بعد أن كان الكلام ممتنعا عليه، فيلزمكم أن تبينوا ما هو السبب الموجب الذي جعله يتكلم؟؟، إن كان السبب الموجب قدرته وإمكان الكلام منه؛ فإنه لم يزل متصفا بالقدرة وإمكان الكلام؛ فبطلت دعواكم في أنه لم يكن متكلما، وإن قلتم: إنه لم يزل غير قادر، ثم صار قادرا على أن يتكلم بمشيئته من غير حدوث شيء، فهذا مخالف لصريح العقل، وسلبٌ لصفة الكمال من مستحقها، وهذا فيه تشبيه للخالق بالمخلوق الذي لم يكن قادرا على الكلام ثم قدر على الكلام بعد زمن!!![1].

ب- **قالوا**: كان الله قادرا على الكلام أزلا، ولم يكن متكلما أزلا، لامتناع حوادث لا أول لها، وإنما يتكلم بمشيئته وقدرته أبدا، للقطع بوجود حوادث لا منتهى لها[2].

والجواب عنها من أوجه:

١- أن كونه ﷻ يتكلم بمشيئته وقدرته حق عندنا وعندكم، ومعلوم أن الله ﷻ موصوف بالمشيئة والقدرة أزلا، كما أنه موصوف بهما أبدا، ولا يلزم من ذلك حلول الحوادث في ذات الرب ﷻ، فكذلك كلامه، وهذا الحق الذي يجب الرضا به:

وقد تكلم رب العرش بالكتب الـ ... منــزلات كلاما لا شبيه بــه
ولـم يزل فاعــلا، أو قائـــلا أزلا ... إذا يشاء، وهذا الحق فارض بـه
إذ هي صفات لموصوف تقــوم به ... قديمة مثله من غير ما شُــبَه [3]

٢- أن قولكم هذا يعني: عدم الاهتداء «إلى الفرق بين ما يستلزم الأولية والحدوث، وهو الفعل المعين، والمفعول المعين، وبين ما لا يستلزم ذلك، وهو نوع الفعل والكلام، بل هذا يكون دائما، وإن كان كل من آحاده حادثا، كما يكون دائما في

---

(١) انظر: شرح الأصبهانية ص ٢٥٧، المجموع ٩/ ٢٨٥.

(٢) انظر: الصفدية ٢/ ٦٨، المجموع ١٢/ ٥٢.

(٣) من أبيات لمحمد جمال الدين اليمني الشافعي، كما في مقدمة منهاج السنة ١/ ١٠٩.

المستقبل، وإن كان كل من آحاده فانيا»[1]، فهذا القول منكم يدل على عدم الفرق بين الكلام المعين وجنس الكلام[2].

٣- التزمتم بأن الرب يتكلم بمشيئته وقدرته، فيلزمكم ـ مع قولكم: إن الكلام متعلق بهما ـ أن تثبتوا الكلام الأزلي الذي لا مفتتح لوجوده، وإلا لزمكم التناقض، من حيث إثبات القدرة دون الكلام، مع أنه مقترن به[3].

٤- أن القول بأن ذلك يلزم منه حوادث لا أول لها، ليس بصواب، وذلك أن الرب ليس موصوفا بالحوادث، وأما إن أردتم بأن ذلك يلزم منه حوادث لا أول لها من حيث إيجاد المخلوقين، فهذا قال به طوائف، ولا يلزم من كون الرب ﷻ متكلما أزلا إثبات حوادث لا أول لها أزلا.

٥- أن هذا الكلام لو كان محدَثا، لكان إما أن يحدث في ذات الله تعالى، فيكون محلا للحوادث، وهو محال. أو لا يحدث فيه؛ وهو محال؛ لأن كونه تعالى متكلما صفة من صفاته، وصفة الشيء يستحيل أن تقوم بغيره، فتبين بأن الله متكلم أزلا[4]، ويتكلم متى شاء، من دون أن يلزم على ذلك مسألة حلول الحوادث[5].

---

(١) المجموع ١٢/ ٥٩٣.

(٢) وهذه أبيات ليوسف بن محمد السرمري في الرد على السبكي، في مقدمة منهاج السنة١/ ١١٧، يصلح ردا على هؤلاء وأمثالهم، حيث يقول فيها:

إن قلت كان ولا علم لديه ولا ... كلام، لا قدرة أصلا كفرت به
أو قلت أحدثها بعد استحالتها ... في حقه سُمْت نقص ما احتججت به
وكيف يوجِدُها بعد استحالتها ... منه، أيقدر ميت رفع منكبه
أو قلت فعل اختيار منه ممتنع ... ضاهيت قول امرئ مُغوٍ بأنصُبه
ولم يزل بصفات الفعل متصفا ... وبالكلام بعيدا في تقربه
سبحانه لم يزل، ما شاء يفعله ... في كل ما زَمَن، ما من معقبه
نوع الكلام كذا نوع الفعال قديـ ... ـم لا المعين منه في ترتبه.

(٣) انظر: المجموع ١٢/ ٥٩٢، ١٨/ ٢٣٤.

(٤) انظر: محصل أفكار المتقدمين والمتأخرين للرازي ص ٢٦٥-٢٦٦.

(٥) انظر: الصفدية ١/ ١٣.

٦- أن قولكم بأنه تكلم بعد أن لم يكن قادرا على الكلام؛ بحجة امتناع حوادث لا أول لها، لا يصح؛ لأن السلف لم يقل أحد منهم أن الله لم يكن متكلما أزلا، ثم تجدد له هذا الوصف، ولم ينكر أحد منهم دوام فعل الله ﷻ أزلا، كما أنهم متفقون على دوام فعل الله ﷻ أبدا[(١)]، قال الإمام أحمد رحمه الله: «ففي مذهبكم قد كان في وقت من الأوقات لا يتكلم، حتى خلق التكلم، وكذلك بنو آدم، كانوا لا يتكلمون: حتى خلق الله لهم كلاما، وقد جمعتم بين كفر وتشبيه، وتعالى الله عن هذه الصفة، بل نقول: إن الله لم يزل متكلما إذا شاء، ولا نقول: إنه كان لا يتكلم حتى خلق الكلام»[(٢)] وقول الإمام أحمد وإن كان ردا على الجهمية الخلص، إلا أنه يصلح في الرد على هؤلاء الكرامية في وصف الرب بعدم الكلام في الأزل.

ت- **قالوا**: إن الأمر بلا مأمور عبث، وأنه لا يخبر في القدم أنه أرسل نوحا، وكلم موسى لأن ذلك كذب، ولأن الأمة مجمعة على أن كلام الله ناسخ ومنسوخ، وسور وآيات، وذلك مما يدل على عدم كونه قديما[(٣)].

والجواب عنه بما يأتي:

١- الأول أن هذا لا يدل على أن الله ﷻ لم يكن متكلما أزلا، بل يدل على أن آحاد كلامه كانت في وقت شاءه ﷻ، دون وقت، وأما هذه الشبه فهي ترد على الأشاعرة القائلين بالكلام الأزلي النفسي، وعلى السالمية القائلين بالكلام الأزلي، ولا يرد على أهل السنة القائلين بأن الله ﷻ يتكلم متى شاء، مع كونه متكلما أزلا، كما أنه متكلم أبدا.

٢- أن إثبات كونه تعالى لم يكن متكلما أزلا، يلزم منه أنه ﷻ كان عاجزا، ثم صار قادرا على الكلام، ومعلوم بطلان هذا الكلام، إذ العجز من صفات المخلوقين، لا من صفات رب العالمين[(٤)].

---

(١) انظر: الصفدية ٢/ ٦٨.

(٢) الأصبهانية ص٢٠٢.

(٣) انظر: محصل أفكار المتقدمين والمتأخرين للرازي ص٢٦٥.

(٤) انظر: المجموع ١٢/ ١٨٤، شرح قصيدة ابن القيم ١/ ٢٦٣.

٣- أن نفي كونه ﷻ متكلما أزلا يعني تعطيل صفة الكلام، وهذا لا دليل عليه، لا من كتاب ولا من سنة، ولا من عقل.

٤- الكلام كالعلم من حيث كون الرب ﷻ متّصفا به أزلا وأبدا، وهو كالرزق والرحمة من صفات الله من حيث كونه ﷻ يرزق ويرحم متى شاء، فوجب إثباته أزلا وأبدا متى شاءه[١].

٥- أنه يلزم من قول الكرامية بحدوث الكلام، بعد أن لم يكن متكلما، أنه محل للحوادث، وأنه ﷻ يعتريه ما يعتري المخلوقين من حيث كونه لا يوصف بشيء ثم يوصف به بعد مدة وزمن، كالرجل يولد لا يتكلم ثم يتكلم!!!، وهذا وحده كاف في بطلان هذه العقيدة الفاسدة التي تؤدي إلى التعطيل والتشبيه.

ومن اللوازم الفاسدة لقول الكرامية:

١- وصفهم الرب ﷻ بأنه لم يكن متكلما أزلا!!![٢].

٢- أنهم يقولون: إن القرآن حادث، وهم وإن كانوا لا يريدون أنه مخلوق، إلا أن هذه اللفظة من الألفاظ المجملة التي لا ينبغي استعمالها في مسألة القرآن، إلا بقيد أو بيان.

فمسألة الكلام إن لم يكن المسلم فيها معتصما بالوحيين، متبعا للسلف الصالح في فهمهم، فإنه يضل، وأقل أحواله أن يكون شاكا مرتابا، متوقفا في هذه المسألة، والواقفة إحدى الفرق في مسألة الكلام، وأبين حالهم في المبحث التالي.

---

(١) انظر: المجموع ٦/ ١٦٠.

(٢) انظر: المجموع ١٢/ ١٧٧.

المبحث السابع: القول بالتوقف في القرآن

أولا: معنى هذا القول.

المراد: بالتوقف في مسألة القرآن الكريم، هو أن أصحاب هذا القول، يقفون في وسط الطريق، كقطاع الطرق، الذين يميلون على هؤلاء وهؤلاء، فلا هم مع أهل السنة في قولهم: إن القرآن الكريم كلام الله ﷻ غير مخلوق، وأن الله تكلم به بمشيئته واختياره، ولا هم مع أهل البدع في قولهم: إنه مخلوق، أو في قولهم: إن الله تكلم به أزلا، أو تكلم به بدون اختياره وقدرته، فوقفوا في مسألة القرآن، ولم يهتدوا إلى جواب صحيح، وظنوا أن السلامة في التوقف عن القولين، وعدم الخوض مع الطائفتين!!، فساووا بين الحق والباطل!!.

قال الدارمي رحمه الله: «ثم إن ناسا ممن كتبوا العلم، وادعوا معرفته، وقفوا في القرآن، فقالوا: لا نقول: مخلوق، ولا غير مخلوق»[(١)].

قال شيخ الإسلام رحمه الله: «من قال: إن كلامه مخلوق، أو قال: إنه لا يتكلم بمشيئته وقدرته، فهؤلاء في الحقيقة لم يثبتوا أنه يتكلم، ولا أثبتوا له كلاما؛ ولهذا يقولون: ما لا يعقل، هذا يقول: إنه معنى واحد قائم بالذات!!، وهذا يقول: حروف أو حروف وأصوات قديمة أزلية لازمة لذاته!!، وهذا يقول: مخلوق بائن عنه!!.

ولهذا لما ظهر لطائفة من أتباعهم ما في قولهم من الفساد، ولم يعرفوا عين[(٢)] هذه الأقوال الثلاثة، حاروا وتوقفوا، وقالوا: **نحن نقر بما عليه عموم المسلمين من أن**

---

(١) الرد على الجهمية ص ١٠٢.

(٢) هكذا في المجموع، ولعل الصواب (غير)، كما هو نص في السياق بعدها في ١٣/ ١٧١.

القرآن كلام الله، وأما كونه مخلوقا، أو بحرف وصوت، أو معنى قائما بالذات، فلا نقول شيئا من هذا»[١].

ثانيا: سبب نشأة هذا القول.

لما نشأت الجهمية المنكرون لكلام الله ﷻ اختلف الناس، فمنهم من قال: القرآن مخلوق!!، ومنهم من قال: كلام الله قديم، وألفاظنا بالقرآن مخلوقة!!، ومنهم من قال: بل نتوقف، ولا نقول: إنه مخلوق، أو ليس بمخلوق!![٢].

فكان سبب نشأة هؤلاء تحيرهم في مذاهب المعتزلة، والكلابية، والسالمية، «وكل طائفة تبين فساد قول الأخرى، وفي كل قول من الفساد ما يوجب الامتناع من قبوله، ولم يعلموا قولا غير هذه، فرضوا بالجهل البسيط، وكان أحب إليهم من الجهل المركب، وكان مِن أسباب ذلك أنهم وافقوا هؤلاء على أصل قولهم ودينهم، وهو الاستدلال على حدوث الأجسام، وحدوث العالم بطريقة أهل الكلام المبتدع»[٣].

ثالثا: القائلون بهذا القول.

والتوقف في القرآن الكريم قول طائفة من الجهمية ـ خصوصا إذا ظهرت السنة ـ وقُمِعَت البدعة، فإنهم يستترون خلف التوقف في إخفاء قولهم بخلق القرآن الكريم[٤]، وكان الأئمة كأحمد وغيره يقولون: «افترقت الجهمية على "ثلاث فرق": فرقة قالت: القرآن مخلوق، **وفرقة تقف، ولا تقول مخلوق، ولا غير مخلوق**، وفرقة تقول: ألفاظنا بالقرآن مخلوقة»[٥].

والواقفة صنف من أتباع كلٍّ من المعتزلة، والكلابية، والأشاعرة، والماتريدية،

---

(١) المجموع ١٣/ ١٧٠.

(٢) انظر: الدرء ١/ ٢٦٠.

(٣) المجموع ١٣/ ١٧١.

(٤) انظر: المجموع ١٢/ ٣٥٨.

(٥) المجموع ١٢/ ٢٠٦، ٣٥٩، المدخل لابن بدران ص ٥٤.

والسالمية، والكرامية، ونحوهم، فتجد: «شيوخ العلم والدين، بمصر والشام قد صنفوا في أصول الدين ما صنفوه، ولما تكلموا في "مسألة القرآن"، وهل هو مخلوق؟ أو قديم؟ أو هو الحرف والأصوات؟ أو معنى قائم بالذات؟ **نهوا عن هذه الأقوال**، وقالوا: الواجب أن يقال ما قاله المسلمون كلهم: أن القرآن كلام الله، ويمسك عن هذه الأقوال، وهؤلاء توقفوا عن حيرة وشك»[1].

ومسألة التوقف من فروع التجهم، وجالت مسألة التوقف حتى في نفوس بعض من كان معروفا بالسنة والحديث[2].

وهؤلاء يسمون بالواقفة وبالواقفية[3].

فالواقفة ليست صنفا واحدا، وإنما هم أصناف ثلاثة:

الأول: الجهمية من أهل الكلام المتسترين بهذا القول.

الصنف الثاني: قوم ليس لهم دراية تامة بعلوم السلف، فيُخطؤون.

الصنف الثالث: ناس ليس لهم علم، فيتوقفون في المسألة، قال الإمام أحمد رحمه الله في بيان حالهم:

«من كان يخاصم، ويُعرف بالكلام[4]؛ فهو جهمي، ومن لم يُعرف بالكلام؛ يجانب حتى يرجع، ومن لم يكن له علم؛ يسأل ويتعلم»[5].

ويمكن أن يكونوا صنفين، باعتبار العلم والجهل، قال الشيخ حافظ حكمي رحمه الله:

«وقضى السلف الصالح ـ رحمهم الله تعالى ـ على الطائفة الواقفة، وهم القائلون: لا نقول

---

(١) المجموع ١٣/ ١٧٠-١٧١، وانظر تلبيس إبليس ص ٣٥، شرح الأصبهانية ص ٤١٦.

(٢) انظر: المجموع ١٢/ ٣٥٨، ولعل شيخ الإسلام رحمه الله وقف على معينين من بعض أهل السنة والحديث ممن قال بالوقف في مسألة القرآن الكريم، وقد ذكر الخلال في السنة ٥/ ١٣٠وما بعدها، واللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة ٢/ ٣٥٧وما بعدها: أقوال بعض المنتسبين إلى الحديث القائلين بالوقف، وقد ذكر ابن النديم في الفهرست ص٣٤٨، أن ابن الثلجي من فقهاء الحنفية المتقدمين كان يرى الوقف في القرآن.

(٣) انظر: تلبيس إبليس ص٣٥، الواقفة اسم فاعل لبيان حالهم، والواقفية: نسبة إلى قولهم، وهو التوقف.

(٤) أي بعلم الكلام المنطقي.

(٥) السنة للخلال ٥/ ١٣٠.

القرآن مخلوق، ولا غير مخلوق، بأن من كان منهم **يُحسن الكلامَ فهو جهمي، ومن لم يحسن الكلام منهم**، بل عُلم أنه كان جاهلا جهلا بسيطا؛ فهو تُقام عليه الحجة بالبيان والبرهان، فإن تاب وآمن أنه كلام الله تعالى، وإلا فهو شر من الجهمية »[١].

رابعا: شبهتهم والرد عليها.

أ- قالوا: نحن نقر بما عليه عموم المسلمين، من أن القرآن كلام الله، وما زاد على ذلك، فلا نتكلم فيه لا نفيا ولا إيجابا[٢].

والجواب عن هذا من عدة أوجه:

١- **أن قولكم** بأنكم تعتقدون ما عليه عموم المسلمين، فهذا الذي نقول يجب المصير إليه، وقد كان السلف من الصحابة والتابعين حتى نشوء هذه الخلافات، كلهم يقولون بأن القرآن كلام الله، وصفة من صفاته، ومعلوم أن الصفة تتبع الموصوف، من حيث كونها واجبة، أو ممكنة، فلماذا عدلتم قولهم بقول الجعد بن درهم، فهو أول من قال: بخلق القرآن!![٣]، ثم تبعه الجهم بن صفوان، وكلاهما قتلا بيد أهل السنة نكالا، فكيف يكونون متبعين!!، أو مساوين لمن سلف!!.

٢- **أن غاية** ما عندكم هو عدم العلم، وهذا لا يلزم منه التوقف ـ خصوصا في باب العقائد ـ بل يجب فيه المصير إلى النصوص العظيمة المصرحة بأن القرآن كلام الله غير مخلوق، وهب أنه ليس لديك نص صريح، أما يكفيك سيرة السلف، الذين بذلوا مهجهم في إثبات هذه العقيدة، فالمصير إلى قول العلماء الراسخين في العلم، من الصحابة والتابعين متعين، كيف والوقوف في هذه المسألة تعني الشك في الدين، نسأل الله العصمة من رب العالمين[٤].

---

(١) معارج القبول ١/ ٣٦٣، وانظر: الحجة في بيان المحجة ١/ ٤٢٤، اعتقاد أئمة السلف أهل الحديث ص٩٤، ٢٥٩.

(٢) انظر: المجموع ١٣/ ١٧٠-١٧١.

(٣) انظر: المجموع ١٢/ ٤٢٠.

(٤) انظر: الشريعة للآجري ١/ ٢٣٢.

٣- أن «الهدي في هذه الأصول، ومعرفة الحق فيها، هو معرفة ما جاء به الرسول ﷺ، وهو الموافق لصريح المعقول، أنفع وأعظم من كثير مما يتكلمون فيه من العلم، لا سيما والقلوب تطلب معرفة الحق، في هذه بالفطرة»(١)، فكان الواجب طلب الهدي النبوي، دون النظر إلى القواعد المنطقية، والأصول الجدلية، فحينها يدرك الحق من أقرب طرقه.

٤- أن الأئمة ذموا الواقفة، فدل تضليلهم إياهم على شناعة توقفهم في مسألة ظهرت فيها الأدلة، وامتحن فيها أهل السنة، وأظهر الله الحق بعد المحنة، ثم ذم الواقفية مأثور عن الأئمة، قال الإمام أحمد رحمه الله لما سئل عن الواقفة: «هم شر من الجهمية، استتروا بالتوقف»(٢) وقال: «هم أشد على الناس تزيينا من الجهمية، هم يشككون الناس، وذلك أن الجهمية قد بان أمرهم، هؤلاء إذا قالوا: إنا لا نتكلم، استمالوا العامة؛ إنما هذا يصير إلى قول الجهمية»(٣) وهذا الإنكار منقول عن عدد من الأئمة، مثل ابن الماجشون(٤)، ووكيع بن الجراح، وأبي ثور، وإسحاق بن راهويه، وعثمان بن أبي شيبة(٥) ومن لا يحصى عددهم إلا الله(٦).

٥- قال الإمام أحمد رحمه الله في رده على الواقفة: «كلام سوء، هو ذا موضع السوء وقوفه، كيف لا يعلم إما حلال وإما حرام؟؟، وإما هكذا وإما هكذا؟، قد نزه الله ﷻ القرآن عن أن يكون مخلوقا؛ وإنما يرجعون هؤلاء إلى أن يقول إنه مخلوق؛ فاستحسنوا

---

(١) المجموع ١٣/ ١٧٠.

(٢) السنة للخلال ٥/ ١٢٩، وما بعدها من النقولات.

(٣) السنة للخلال ٥/ ١٣٥.

(٤) هو الفقيه المحدث: عبد الملك بن عبد العزيز بن عبد الله بن أبي سلمة الماجشون (بكسر الجيم) مفتي أهل المدينة، وكان رفيق الشافعي، مات سنة ٢١٣هـ. انظر: التقريب ص٣٠٤.

(٥) هو الإمام الحافظ المفسر: عثمان بن محمد بن القاضي أبي شيبة إبراهيم بن عثمان العبسي مولاهم أبو الحسن الكوفي، صاحب تصانيف، وأخوه الحافظ أبو بكر، ثقة مأمون، أخرج له خلق، توفي سنة ٢٣٩هـ. انظر: السير ١١/ ١٥١.

(٦) انظر: السنة للخلال ٥/ ١٤٠وما بعدها، شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة للالكائي ٢/ ٣٥٧وما بعدها، وشرح الأصبهانية ص ٤١٦، بيان تلبيس الجهمية ٢/ ٥٢٨، المجموع ١٢/ ٤٢٠-٤٢١.

لأنفسهم، فأظهروا الوقف، القرآن كلام الله غير مخلوق بكل جهة، وعلى كل تصريف»[(١)].

٦- أن الوقف لا يجوز إذا تعين الرد، وظهرت البدعة، وانتشرت بين الناس المقولة، قال ابن قتيبة رحمه الله: «ولم أر في هذه الفرق أقل عذرا، ممن أمر بالسكوت، والتجاهل بعد هذه الفتنة، وإنما يجوز أن يؤمر بهذا قبل تفاقم الأمر، ووقوع الشحناء، وليس في غرائز الناس احتمال الإمساك عن أمر في الدين قد انتشر هذا الانتشار، وظهر هذا الظهور، ولو أمسك عقلاؤهم، ما أمسك جهلاؤهم، ولو أمسكت الألسنة، ما أمسكت القلوب...، **والشك لا يداوى بالوقوف**، والبدعة لا تدفع إلا بالسنة، وإنما يقوى الباطل أن تبصره، وتمسك عنه»[(٢)].

ومما يدل على فساد قول الواقفة اللوازمُ الفاسدة المترتبة على قولهم، ومنها:

١- أنهم لا يعرفون هل لله عز وجل كلام في مصاحف المسلمين حقيقة؛ وذلك لأنهم في حيرة من أمرهم.

٢- أن من قال من أئمة الصحابة والتابعين بأن القرآن كلام الله غير مخلوق، يكونون قد أخطؤوا!!!، وأن الواقفة أصابت الحق بتوقفها!!، وهذا تجهيل للسلف!!.

٣- أنهم لا يعتبرون لفهم السلف اعتبارا في النصوص، إذ فهم السلف من نصوص الكتاب والسنة أن القرآن كلام الله غير مخلوق، وهؤلاء لم يعيروهم أي اهتمام!!.

٤- أن الواقفة إذا وقفوا في مسألة القرآن؛ فلا يكون بينهم وبين الجهمية الخلقية نزاع، قال أبو يعقوب إسحاق بن سليمان الجواز: «إذا كنا نقول: القرآن كلام الله، لا نقول مخلوقا، ولا غير مخلوق؛ فليس بيننا وبين هؤلاء الجهمية خلاف ـ فذكر قوله لأحمد ـ فقال: جزى الله أبا يعقوب خيرا»[(٣)].

٥- يلزم الواقفة أنهم لا يعلمون: إن كان الله يتكلم أو لا يتكلم، قال داود

(١) السنة للخلال ٥/ ١٣٤.

(٢) الاختلاف في اللفظ لابن قتيبة ص٦٠-٦١، بشيء من التصرف.

(٣) السنة للخلال ٥/ ١٣٦.

ابن رُشَيْد[١]: «من زعم أن القرآن كلام الله، ولا يقول مخلوق، ولا غير مخلوق؛ فهذا يزعم أن الله لم يتكلم، ولا يتكلم!!»[٢].

٦- يلزمهم أن يقولوا: بأن أسماء الله ﷻ لا مخلوقة، ولا غير مخلوقة!!؛ وذلك لأن أسماء الله ﷻ في القرآن؛ فإن كانوا شاكين في القرآن، فإن الشك لازم لهم في أسماء الله، وإن قالوا: إن أسماء الله غير مخلوقة، لزمهم أن يقولوا بأن القرآن غير مخلوق[٣].

وبهذا يظهر أن التوقف في مسألة القرآن الكريم بعد فشو البدع والأقوال الشنيعة لا يحسن، وأن ذلك مذموم، مهما كان الدافع إليه، ومن أسباب التوقف في مسألة القرآن الكريم أن الواقفة رأوا أن القارئ يقرأ القرآن، والكاتب يكتبه، فازدادوا حيرة، إذ لم يعرفوا الفرق بين القراءة والمقروء، واللفظ والملفوظ، والكتابة والمكتوب، وهذه هي المشهورة بمسألة اللفظ، وأبينه في المبحث التالي.

---

(١) هو الثقة الفاضل: داود بن رشيد (بالتصغير) الهاشمي مولاهم، الخوارزمي، نزيل بغداد، روى له أصحاب الكتب إلا الترمذي، مات سنة ٢٣٩هـ. انظر: التقريب ص ١٣٨.

(٢) السنة للخلال ٥/ ١٣٧، وانظر الحجة في بيان المحجة ١/ ٤٢٤.

(٣) انظر: السنة للخلال ٥/ ١٣٨-١٣٩.

المبحث الثامن: ابتداع مسألة اللفظ في القرآن

أولا: معنى هذا القول.

ضل في مسألة اللفظ فرقتان: **فرقة تسمى باللفظية النافية**، وهي التي تقول: إن ألفاظنا بالقرآن ليست قديمة، وأن القراءة ليست قديمة بل هي مخلوقة، وإن كان القرآن غير مخلوق.

ومنهم من تذرع بهذا إلى أن القرآن مخلوق مطلقا.

فقول هؤلاء هو: أن القرآن كلام الله غير مخلوق، لكن اللفظ بالقرآن مخلوق[1]، وهذا حقيقته خطوة إلى الجهمية، إذ يقولون: لفظي بالقرآن مخلوق، والقرآن بلفظي مخلوق!!.

وفرقة تسمى باللفظية المثبتة، وهي التي تقول: إن ألفاظنا بالقرآن قديمة غير مخلوقة، وأن القراءة غير مخلوقة، وما دام أن القرآن كلام الله، وهو غير مخلوق، فكذلك قراءتنا غير مخلوقة!!، وهؤلاء نظروا إلى أن القرآن غير مخلوق، فتلاوتنا لا تكون مخلوقة.

ثانيا: سبب ظهور هذا القول.

ومن أسباب ظهور اللفظية، أن الأمر لما اختلط على بعض الناس، ظن أن القول باللفظ هو الصواب، فابتدع هذا متبعا فيها الجهمية، وكانت تقول: «كلام الله الذي لم ينزله غير مخلوق!!، وأما القرآن الذي أنزله على رسوله، وتلاه جبريل، ومحمد ﷺ، والمؤمنون فهو مخلوق، وهؤلاء هم اللفظية»[2].

---

(١) انظر: تلبيس إبليس ص ٣٥، المدخل لابن بدران ص ٥٤.

(٢) المجموع ١٢/ ٣٥٩، انظر: الجواب الصحيح ٤/ ٣٤٢.

وبإزاء هؤلاء بالغ أقوام في إثبات أن القرآن كلام الله حتى قالوا: إن ألفاظنا بالقرآن غير مخلوقة(١).

ثم صار هذا التفرق موروثا في أتباع الطائفتين، اللفظية النافية القائلة بأن الألفاظ ليست قديمة، واللفظية المثبتة القائلين بأن ألفاظنا قديمة(٢).

وكلتا الفرقتين ضلتا بسبب عدم التفريق بين اللفظ والملفوظ، والقراءة والمقروء، والكتابة والمكتوب، والتلاوة والمتلو، فمن نظر إلى فعل العبد وكسبه: من تلفظ وحركات، وصوت ونسمات، وكتابة وقراءات، ظن أن هذا يعني أن الملفوظ، المتلو، المقروء، المكتوب مخلوق، ومن نظر إلى الملفوظ، المقروء، المكتوب، المتلو ظن أن هذا يعني أن اللفظ والتلاوة والقراءة والكتابة غير مخلوقة، فالضلال نشأ بسبب عدم التفريق بين فعل العبد وكلام الرب، بين ما يكون واسطة في الكلام، وبين الكلام نفسه، وما كان السبب فيه العبد من حسن تلاوة، أو جمال خط، فهذا معلوم أنه فعل العبد، والعبد وفعله مخلوق، وما لم يكن للعبد فيه من تصرف، فلا يختلف فيه سواء كان مسموعا أو مكتوبا، أو مقروءا فهذا كلام الله، ولا يختلف باختلاف القراء والكتاب، وما كان من صفة الخالق فإنه لا يكون مخلوقا كيف تصرف.

فأصل سبب النزاع في هذه المسألة هل الكلام هو اللفظ والمعنى، أم المعنى دون اللفظ، وأيضا عدم التمييز بين صوت العبد، وصوت الرب؛ بل يجعل هذا عين هذا؛ فينفيهما جميعا، أو يثبتهما جميعا؛ فإذا نفى الحرف والصوت، نفى أن يكون القرآن العربي كلام الله ﷻ، وأن يكون مناديا لعباده بصوته، ونفى أن يكون القرآن الذي يقرؤه المسلمون هو كلام الله، وإن أثبت الصوت والحرف، ولم يتنبه إلى أن الكلام قد يكون بصوت المبلغ ظن أن الصوت المسموع هو صوت الرب، فنشأ هذا الخلاف العظيم(٣).

---

(١) انظر: المجموع ٨/ ٤٢٣، ١٢/ ٣٩٤-٣٩٥.

(٢) الدرء ١/ ٢٦٦ وما بعدها.

(٣) انظر: الدرء ١/ ٢٥٩، المجموع ١٢/ ٥٨٥.

ثالثا: القائلون بهذا القول.

أول من ابتدع مسألة اللفظ بالقرآن وأنه مخلوق، هو حسين الكرابيسي، وبدعه الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله[(١)].

وقال به آخرون من الجهمية متسترين خوفا من الفضيحة، ودفعا للشناعة عن نفوسهم القبيحة.

وعلى رأس القائلين بأن ألفاظ القرآن الكريم مخلوقة الأشعريةُ[(٢)]؛ لأنهم قالوا: إن الكلام النفسي قديم، وأما ما يدل عليه من العبارات فهي مخلوقة، فالقرآن الذي هو عند المسلمين، وفي مصاحفهم وبألفاظهم وبأصواتهم مخلوق!![(٣)]، فهم قد يسمون القرآن الكريم كلام الله ـ لكن على ضوء ما سبق ـ، يقول الباقلاني الأشعري: «الكلام الحقيقي هو المعنى القائم بالنفس، دون غيره، وإنما الغير دليل على الكلام، لا أنه نفس الكلام الحقيقي!!»[(٤)].

وممن يرى أن التلاوة غير مخلوقة أبو يعلى الفراء[(٥)]، ومن تبعه، وقال في مسألة اللفظ بعض المنتسبين إلى السنة[(٦)]، ممن لهم فضل ودين وعلم[(٧)]، فوقعوا في بعض المحاذير، لكن هؤلاء إنما قالوا: التلاوة غير مخلوقة، ردا على المتسترين من اللفظية الجهمية، وصونا للقرآن، وغلقا لباب يدخل منه المبتدعة، ولم يقصدوا بأن صوت

---

(١) انظر: الحجة في بيان المحجة ١/ ٣٧٠، الفتح ١٣/ .

(٢) انظر: المجموع ١٢/ ٣٦٤.

(٣) ونقل هذا عنهم قوام السنة في الحجة في بيان المحجة ١/ ٣١٧، وانظر: الدرء ١/ ٢٦٨.

(٤) الإنصاف ص ١٠٧.

(٥) انظر: المعتمد في أصول الدين ص ٨٨، ١٩٢، ٢٦٧. **وأبو يعلى الفراء هو القاضي**: محمد بن الحسين بن محمد ابن خلف بن أحمد الفراء، فقيه حنبلي، ذو فنون، متبحر في العلوم، مؤلفاته كثيرة، منها: المعتمد في أصول الدين، الرد على الأشعرية، والرد على الباطنية، وغيرها، توفي سنة ٤٥٨هـ. انظر: طبقات الحنابلة ٢/ ١٦٧.

(٦) وقد مضى تفصيل قولهم في الفصل الأول من الباب الأول.

(٧) انظر: المجموع ١٢/ ٣٣٣.

العبد غير مخلوق، أو أن فعله غير مخلوق[١].

ونقل "مسألة اللفظ" عن بعض الأشاعرة بصورة أخرى، حيث قالوا: الذي يُسمع شيئان: «أحدهما: قراءة القارئ، وهي محدثة عندهم، والثاني: كلام الله القديم»[٢].

رابعا: شبهاتهم والرد عليها.

أ- ومن شبه اللفظية الخلقية النافية؛ أنهم قالوا: إن أفعالنا وأصواتنا مخلوقة، ونحن نقرأ القرآن بحركاتنا وأصواتنا، فهذا القرآن الموجود المقروء مخلوق، وليس بقديم[٣].

والجواب عن هذه من أوجه:

١- **أن إنكار الأئمة على اللفظية معلوم، وهذا وحده دليل على أن هذا قول باطل،** ودفعه أولى من دفع الصائل، قال الإمام الآجري[٤] رحمه الله: «احذروا رحمكم الله تعالى هؤلاء الذين يقولون: لفظي بالقرآن مخلوق، هذا عند أحمد بن حنبل، ومن كان على طريقته منكر عظيم، وقائل هذا مبتدع، يُجتنب، ولا يكلم، ولا يجالس، ويحذر منه الناس»[٥].

٢- **أن اللفظ مصدر،** والمصدر إذا أطلق يراد به المقروء المتلو، ويراد به القراءة والتلاوة الذي هو فعل العبد، **فالأول:** كلام الله، وكلامه ليس بمخلوق، **والثاني:** فعل العبد وصوته، وهو مخلوق وما كان مضافا إليه فهو مخلوق، ولا يضاف إلى العبد في

---

(١) وممن نسب إلى اللفظية المثبتة أبو حاتم الرازي ومحمد بن داود المصيصي، ولقد ألف ابن أبي حاتم كتابه الرد على الجهمية، وذكر على وجه الخصوص اللفظية النافية، وبين أنهم جهمية، وذلك لأن القائلين بأن لفظي مخلوق: ممن عاصرهم وسمع كلامهم يريدون هذا، لا أن الإمام ومن نحا نحوه كان يقول: بأن فعل العبد قديم، ولم يقصد الإمام أبو حاتم، ولا غيره من الأئمة أن أفعال العباد غير مخلوقة. انظر: الدرء ١/ ٢٦٢-٢٦٣.

(٢) الحجة في بيان المحجة لقوام السنة ١/ ٢٨٥.

(٣) انظر: الدرء ١/ ٢٦٠.

(٤) هو المحدث الإمام، شيخ الحرم الشريف: محمد بن الحسين بن عبد الله البغدادي الآجري، له تآليف نافعة، والسنة فيها ظاهرة، ومنها: كتاب الشريعة، توفي سنة ٣٦٠هـ. انظر: السير١٦/ ١٣٣.

(٥) انظر: الشريعة للآجري ١/ ٢٣٥، الحجة في بيان المحجة لقوام السنة ١/ ٣٧٠ وما بعدها فإنه ذكر خلقا كثيرين ممن بدعوا اللفظية، وانظر: الدرء ١/ ٢٦٠ وما بعدها، المجموع ١٢/ ٢٠٦، ٣٥٩، وانظر: ما سبق في الفصل الأول من الباب الأول.

حالة القراءة إلا الصوت والأداء، ولا يضاف إليه الكلام، فلا يقال: إذا قرأ القرآن، إن هذا كلامه، وإنما يقال: فلان حسن الصوت، حسن الأداء، والفرق بين القراءة والمقروء معلوم بديهة، فالخلط بينهما يورث الانحراف، فمن فصل من الأئمة الذين قالوا بأن ألفاظنا بالقرآن مخلوقة يجب أن يفهم على أنهم أرادوا فعل العبد وصوته، لا القرآن الذي هو كلام الله ﷻ، وهو المتلو، المسموع، المقروء، والإشارة من المسلمين يكون إلى المسموع من كلام الله، أو المكتوب من كلام الله، فليست الإشارة إلا إلى ما هو من حيث إنّه كلام، لا إلى ما امتاز به كل قارئ عن قارئ، وكل كاتب عن كاتب من حيث المهارة في القراءة، أو الكتابة، فهذا كله متحد من حيث كونه كلام الله، والاختلاف إنما هو من حيث جهة أصوات القراء، فالمشار إليه باعتبار الحقيقة المتحدة، لا باعتبار ما اختلف فيه أحوال المخلوقين[(١)].

٣- أن من قال: إن ألفاظنا بالقرآن أو تلاوتنا وقراءتنا مخلوقة مطلقا من دون أن يبين التفصيل بين القراءة والمقروء، قد قال بمؤدى قول الجهمية؛ فإن « مقتضى كلامه أن الله لم يتكلم بالقرآن الذي أنزله، وأن القرآن المنـزل ليس هو كلام الله، وأن يكون جبريل نزل بمخلوق، وليس هو كلام الله، والمسلمون يقرؤون كلاما مخلوقا ليس هو كلام الله، وقد علم بالاضطرار من دين الإسلام أن القرآن الذي يقرؤه المسلمون كلام الله تعالى، وإن كان مسموعا من المبلغ عنه؛ فإن الكلام قد سمع من المتكلم به، كما سمع موسى بلا واسطة، وهذا سماع مطلق كما يرى الشيء رؤية مطلقة، وقد يسمعه من المبلغ عنه؛ فيكون قد سمعه سماعا مقيدا، كما يرى الشيء في الماء والمرآة رؤية مقيدة لا مطلقة، أو كما قال تعالى: ﴿ وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ٱسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُۥ ﴾[التوبة:٦] كان معلوما عند جميع من خوطب بالقرآن أنه يسمع سماعا مقيدا من المبلغ ليس المراد به أنه يسمع من الله »[(٢)].

---

(١) انظر: الدرء ١/ ٢٦٣، المجموع ١٢/ ٢٠١، ٥٤٠، ١٧/ ٣٤-٣٥.

(٢) المجموع ٧/ ٦٥٦، وانظر: الحجة في بيان المحجة ١/ ٢٨٤، و المجموع ١٢/ ٥٤١.

٤- أن السبب في عدم التفريق بين فعل العبد وصوته، وبين كلام الرب هو الذي أوقع هؤلاء في هذه البدعة النكراء؛ «فإنه إذا قيل سمعت كلام زيد، أو قيل هذا كلام زيد؛ فإن هذا يقال: على كلامه الذي تكلم به بلفظه ومعناه، سواء كان مسموعا منه أو من المبلغ عنه، مع العلم بالفرق بين الحالين، وأنه إذا سمع منه سمع بصوته، وإذا سمع من غيره سمع بصوت ذلك المبلغ، لا بصوت المتكلم، وإن كان اللفظ لفظ المتكلم»[(١)]، والمبتدعة لما لم يفرقوا بين أداء المبلغين وما يبلغون أصبحوا يخلطون، ويقولون(هذا القرآن المنزل المسموع هو تلاوة القرآن، وقراءته، وتلاوة القرآن مخلوقة، وقراءة القرآن مخلوقة، ويقولون: تلاوتنا للقرآن مخلوقة، وقراءتنا له مخلوقة، ويُدخلون في ذلك نفس الكلام المسموع، ويقولون: لفظنا بالقرآن مخلوق، ويدخلون في ذلك القرآن الملفوظ، المتلو المسموع»[(٢)].

٥- ظنوا أن القرآن لفظ مشترك بين كلام الله ﷻ، وبين فعل العبد من القراءة فاطردوا القاعدة من أن ما كان من العبد يكون حادثا مخلوقا، فالمسموع مخلوق!![(٣)] ومعلوم أن: القراءة غير المقروء، والقراءة حادثة، والمقروء قديم غير مخلوق، كما أنا إذا ذكرنا الله ﷻ كان الذكر الذي هو فعل العبد حادثا، والمذكور المتلو قديما غير مخلوق[(٤)].

٦- أن القول بأن ألفاظنا بالقرآن مخلوقة، يلزم منه أن يكون هناك قرآنان، قرآن مخلوق وهو هذا الذي يقرؤه المسلمون!!، وقرآن غير مخلوق!!، وهذا واضح البطلان؛ فإن القرآن الموجود في مصاحف المسلمين هو الموجود في السماء الدنيا، وهو الموجود في اللوح المحفوظ، وهو الذي تكلم الله ﷻ به، وسمعه جبريل ؏، وأُنزل به ـ لا بآخر ـ على محمد ﷺ.

---

(١) المجموع ٧/ ٦٥٧، وانظر: الدرء ١/ ٢٥٩.

(٢) الدرء ١/ ٢٦٠.

(٣) انظر: طبقات الشافعية ٨/ ٢٢٦، نقلا عن العز بن عبد السلام.

(٤) طبقات الشافعية ٨/ ٢٢٦من كلام العز ابن عبد السلام، بتصرف، وفي بعض كلامه شيء من الباطل، وقد أوردته مع الرد عليه في المبحث الرابع من هذا الفصل.

٧- الأدلة قد تواترت في أن هذا الموجود هو القرآن الكريم، كلام الله ﷻ، حيثما تصرف، ولم يأت دليل واحد يبين أو يشير إلى أن المسموع مخلوق، ومن هذه الأدلة[١]: قوله ﷻ: ﴿ فَإِنَّمَا يَسَّرْنَهُ بِلِسَانِكَ ﴾[مريم:٩٧] والذي يسره هو الذي نتلوه ونقرؤه في مصاحف المسلمين، وقال: ﴿ وَإِذَا قُرِئَ ٱلْقُرْءَانُ فَٱسْتَمِعُوا۟ لَهُۥ وَأَنصِتُوا۟ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾[الأعراف:٢٠٤] والمسموع المنصت له هو القرآن المتلو، وقال مخبرا عن الوحيد: ﴿ إِنْ هَـٰذَآ إِلَّا قَوْلُ ٱلْبَشَرِ ۝ سَأُصْلِيهِ سَقَرَ ﴾[المدثر:٢٤-٢٥] فتوعده الله بالنار لأنه قال عن المسموع من النبي ﷺ من كلام رب العالمين، إنه قول البشر[٢]، وليس قول خالق البشر، ولو كان المتلو غير القرآن، وغير كلام الرحمن، لما توعدهم الله بالنيران، وقال ﷻ: ﴿ أَفَتَطْمَعُونَ أَن يُؤْمِنُوا۟ لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَـٰمَ ٱللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُۥ مِنۢ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾[البقرة:٧٥] فأثبت أنهم إنما يسمعون كلام الله، ثم يحرفونه[٣] وأما الأحاديث في ذلك فكثيرة منها: حديث أبي موسى الأشعري ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: [**تعاهدوا القرآن، فهو أشد تفصيا من صدور الرجال، من النعم من عقلها**][٤] فأثبت في صدور الرجال قرآنا، وهو كلام رب العالمين، محفوظ في صدورهم، وقال ﷺ: [**إن الذي ليس في جوفه شيء من القرآن كالبيت الخرب**][٥].

٨- أن الكلام يكون لمن قاله مبتدئا، ولا يكون كلام من بلغه مؤديا، فمن سمع حديث رسول الله ﷺ من عالم أو محدث؛ وهو عالم بالحديث؛ فإنه لا يشك بأن المسموع هو كلام النبي ﷺ، وإن بلغه هذا المبلِّغ، وإن قال المبلغ هذا كلامي، لكذبه الناس[٦]، فكيف تقولون: القرآن بألفاظنا مخلوقة، ثم لا تريدون أن يكذبكم الناس!!.

---

(١) وقد ساق الآيات الكثيرة الإمام الحجة قوام السنة الأصبهاني في الحجة في بيان المحجة ١/ ٣٥٨ وما بعدها.

(٢) انظر: الدرء ١/ ٢٥٨.

(٣) انظر: الحجة في بيان المحجة ١/ ٣٥٨.

(٤) رواه البخاري، كتاب فضائل القرآن، الباب/ ٦٦ ح(٥٠٣٣)، ومسلم: كتاب صلاة المسافرين، الباب/ ٦، ح(٢٢٩).

(٥) رواه الترمذي؛ كتاب فضائل القرآن، ح(٢٩١٣)، وقال: حديث حسن صحيح.

(٦) انظر: الدرء ١/ ٢٥٧، ١٢/ ٥٨٤.

ب- وأما شبه اللفظية غير الخلقية فإن بعضهم قالوا بإزاء أولئك: إن القرآن غير مخلوق، فحركاتنا وأصواتنا حين القراءة غير مخلوقة!!، وبعضهم توقف فيه(١).

والجواب عن هذا من عدة أوجه(٢).

١- أن اختلاف أصحاب هذا القول في المسموع من الصوت هو وحده دليل على بطلانهم في قولهم، فمنهم من يقول: «إن صوت الرب حل في العبد، ومنهم من يقول: ظهر فيه، ولم يحل فيه، ومنهم من يقول: لا أقول ظهر، ولا حل، ومنهم من يقول: الصوت المسموع غير مخلوق، أو قديم، ومنهم من يقول: يُسمع منه صوتان: مخلوق، وغير مخلوق، ومن القائلين بأنه مسموع من الله من يقول: بأنه يسمع المعنى القديم القائم بذات الرب مع سماع الصوت المحدث!!»(٣).

٢- أن هذا القول مبتدع لم يقل به أحد من علماء الإسلام، بل أجمع المسلمون على أن العبد وفعله مخلوقان، فكيف يكون صوته صوت الرب، أو أداؤه وفعله أداء للرب ﷻ، فهذه الأقوال «كلها مبتدعة مخترعة، لم يقل السلف شيئا منها؛ وكلها باطلة شرعا وعقلا، ولكن ألجأ أصحابها إليها اشتراك في الألفاظ؛ واشتباه في المعاني»(٤)، والإمام أحمد وهو من أشد الناس نكيرا ـ في الحق ـ على اللفظية النافية، أنكر على اللفظية المثبتة، فدل على أن هذا ليس عليه أحد من السلف، بهذا الاعتبار، وقد ألف أمير المؤمنين في الحديث أبو عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري كتابه خلق أفعال العباد، للرد على اللفظية المثبتة، التي تقول: بأن أصوات العباد وألفاظهم بالقرآن قديمة غير مخلوقة، وكذلك الإمام ابن قتيبة الدينوري ألف كتاب الاختلاف في اللفظ في بيان الرد على اللفظية النافية، والمثبتة(٥).

---

(١) انظر: الدرء ١/ ٢٦٢.

(٢) وقد مضى بالتفصيل الرد على من قال: إن الأصوات المسموعة هي صوت الرب!!، في هذا الفصل.

(٣) المجموع ٧/ ٦٥٧.

(٤) المجموع ٧/ ٦٥٧، وانظر: المجموع ٦/ ٥٢٦، ٨/ ٤١٥.

(٥) انظر: الدرء ١/ ٢٦١، المجموع ١٢/ ٣٢٤-٣٢٥، العيون والأثر ص ٩٦-٩٨.

٣- أصوات القراء، ونغماتهم، هي أكسابهم، والقراءة هي التي تستطاب من قارئ، وتستبشع من آخر، وهي الملحونة، والقويمة المستقيمة، ولا يخطر لمن لازم الإنصاف أن الأصوات التي يبح لها حلقه، وتنتفخ على مستقر العادة منها أوداجه، ويقع على حسب الإيثار والاختيار، محرفا، وقويما، وجهوريا، وخفيا، نفس كلام الله تعالى، وأما المقروء فهو كلام الله ﷻ، ولا يكون كلام القارئ، ولا يقوم به، بل هو كلام الله ﷻ الذي أنزله[(١)].

٤- أن من بلغ حديثا عن رسول الله ﷺ ثم قال هذا الحديث حديث رسول الله ﷺ وبصوته، ما قبل منه أحد لعلمهم بأن الصوت المؤدى به الكلام هو صوته نفسه، لا صوت المتكلم المبتدئ للكلام، فكيف يقال: إن المسموع من القراء إنما يكون مسموعا بصوت الرب ﷻ، سبحانك هذا بهتان عظيم[(٢)].

٥- أن من جعل صفة المخلوق المحدث كصفة الخالق البارئ فقد ضاهى النصارى[(٣)].

ت- وقالت اللفظية المثبتة: إن الله أخبر أن المسموع هو كلام الله ﷻ، ونحن إنما نسمع القرآن من أصوات العباد، فدل على أن المسموع كله بالصوت والفعل إنما هو من الرب ﷻ !!![(٤)].

والجواب عن هذا بما يأتي:

١- أن المسموع هو كلام الله ﷻ، ولا شك في هذا، ولكن الصوت صوت العبد، وأنت إذا أديت كلام غيرك ونقلته، لا تقول: إن الصوت صوته، فلم قلت: إذا بلغت كلام الله يكون المسموع والصوت كلام الله!!!.

---

(١) انظر: الإرشاد للجويني ص١٢٧ - ١٢٨، المجموع ١٢/ ١٦٩.

(٢) انظر: المجموع ١٢/ ٢٦٣.

(٣) انظر: المجموع ١٢/ ٣٣٢.

(٤) انظر: المجموع ١٢/ ٢٦٣-٢٦٤.

٢- أن الله ﷻ فرق في كتابه بين سماع بدون واسطة، وسماع بواسطة، فأخبر أن موسى سمع كلامه بلا واسطة، ولا ريب أنه سمع صوت الرب حين ناداه، وحين ناجاه، وأما الناس فلم يسمعوا كلام الله من الله، وإنما سمعوه من المبلغين، فافترقا.

٣- أن الله ﷻ لما ذكر مراتب الوحي، ذكرها على أنها على مراتب، للدلالة على أن المسموع منه ليس كالمسموع من المبلغ الرسول، قال تعالى: ﴿ وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ ٱللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِن وَرَآيِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولاً فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِۦ مَا يَشَآءُ ۚ إِنَّهُۥ عَلِيٌّ حَكِيمٌ ﴾[الشورى:٥١]، ففرق بين تكليمه من وراء حجاب ـ كما كلم موسى ـ، وبين تكليمه بإرساله رسولا يوحي بإذنه، الأول بلا واسطة، والثاني بواسطة[(١)].

ومما يدل على فساد قول اللفظية النافية أمور، وهي في نفسها تدل على بطلان هذا المذهب، ومنها:

١- أن هذا القرآن الموجود ليس هو كلام الله ﷻ، وهذا هو عين قول الجهمية والمعتزلة؛ فإن النزاع معهم في القرآن المنـزل أولا، ولهذا كان إنكار الأئمة على اللفظية النافية أشد؛ لأن قولهم يؤدي لا محالة إلى التعطيل والنفي[(٢)].

٢- يلزمهم أن هناك قرآنا لا نعلمه غير مخلوق، وهذا يعني الرجوع إلى قول الكلابية ومن تبعهم من أن الكلام النفسي هو كلام الله القديم، وأما المنزل فهو مخلوق محدث؟!.

٣- أن قولهم هذا يعني أن الكلام متعلق بالمعنى دون اللفظ، ومعلوم أن الكلام في الكتاب والسنة، وكلام السلف والأئمة، بل والأمم: عربهم وعجمهم، لا يطلق إلا على اللفظ والمعنى[(٣)]، فليس اللفظ وحده هو الكلام، ولهذا عد الهذيان هذيانا، ولم يُعَدَّ كلاما، وليس المعنى دون اللفظ كلام، وإلا عدت التفاسير قرآنا؛ لأنها معاني كلام الله ﷻ.

---

(١) انظر: المجموع ١٢/ ٥٤٢.

(٢) انظر: المجموع ١٢/ ٤٣٢.

(٣) انظر: المجموع ١٢/ ٤٥٦-٤٥٧.

٤- **أما اللفظية المثبتة**؛ فيلزمهم أن يكون صوت العبد وفعله غير مخلوقَين، وهذا معلوم البطلان، ويؤدي إلى قدم المخلوقين.

٥- أن القراءة المسموعة من القراء بواسطة، كالمسموعة من الله بلا واسطة!!.

٦- أنه لا فرق حينئذ بين موسى كليم الله الذي سمع كلام الله بلا واسطة، وبين العباد الذين يسمعون كلام الله من القراء؛ إذا كان كل واحد يسمعه بصوت الرب ﷻ.

وبهذا نعلم أن عقيدة أهل السنة والجماعة وسط في كل شيء، ومن ذلك توسطهم في "مسألة القرآن"، وأنهم وسط في مسألة اللفظ، فهم لا يقولون بكلام الفرقتين السابقتين، وإنما تطلب التفصيل، ثم تبين المراد بأحسن سبيل، ويصيرون على النهج القويم، فهم يقولون: إذا كان اللفظ المراد به فعل العبد؛ فهو مخلوق، وفعله مخلوق، وإذا كان المراد باللفظ كلام الرب، فهو غير مخلوق، وكلامه لا يكون مخلوقا، وبهذا التفصيل يتضح للسالك السبيل، والحمد لله رب العالمين[١].

وأما الفرقتان في مسألة اللفظ فقد علم الناس بالضرورة من دين الإسلام ضلالهما، وبالعقل فسادهما؛ فإنه إذا رجع إلى عقله علم أن كلام زيد يُسمع منه مباشرة بصوت نفسه، ويُسمع بواسطة، بصوت المبلغ عنه، ولهذا قال أهل العلم الراسخون في كلام الله ﷻ المسموع بواسطة المبلغين: الكلام كلام الباري، والصوت صوت القاري[٢].

ولما اختلف المخالفون في حقيقة القرآن الكريم، وهل هو كلام الله حقيقة، أم أنه مخلوق، وهل هو بمشيئته واختياره، أم لا، كما سبق، اختلفوا كذلك في معنى نزول القرآن الكريم، وهذا ما أبينه في الفصل الآتي.

---

(١) انظر: الدرء ١/ ٢٦٤-٢٦٥، شرح الواسطية للفوزان ص ١٢٤.

(٢) انظر: المجموع ١٢/ ٤٠٨-٤٠٩.

الفصل الثاني

قول المخالفين في نزول القرآن على نبينا محمد ﷺ

وفيه مبحثان:

المبحث الأول: في نزول القرآن، وفيه مطلبان.

المبحث الثاني: قول بعض الرافضة في نزول القرآن الكريم.

المبحث الأول: في نزول القرآن

المطلب الأول: نفيهم سماع جبريل القرآن من رب العزة.

سبق أن بينت عقيدة السلف في سماع جبريل القرآن الكريم من رب العزة ﷻ مع ذكر الأدلة مستوفاة[1]، وأما المخالفون للسلف فهم على أصنافهم: سواء كانوا فلاسفة بحتة، أو فلاسفة متصوفة، أو متكلمين؛ فإنهم لا يثبتون لجبريل عليه السلام سماعا من الله ﷻ، وذلك بناء على عقائدهم الفاسدة في كون الرب ﷻ لا يتكلم، بكلام قائم به، متعلق بمشيئته واختياره، وقدرته، وسأسوق أقوال المخالفين، وإن في ذكرها غنى عن الرد عليها، إلا أني أحاول الرد عليها حتى لا تبقى شبهة بعد الإيراد، والله أسأل العون والإمداد.

أما الصوفية الحلولية المتفلسفة، والمتفلسفة غير الحلولية، فقولهم في الإنزال من أشنع الأقوال، وإليك فضائح أصحاب الأحوال، والمدعين الحكمة في المقال، قال ابن عربي الطائي: « ولما كان الواو رفيعا عليا لهذا جعلناه البعل، وكان الهو بعلا!!، ولما كان الهي رفيعا من حيث الأثر،سفليا من أجل الكسر أعطيناه الياء، وجعلناه الأهل، **فصار الهاء بمنزلة الرسالة، وصار الهو بمنزلة جبريل عليه السلام المرسول إليه!!، فظهرت الأحكام، والشرائع[2]، والمقامات، والأسرار من هذا الالتحام المبارك السعيد!!!»**[3]، وهذا يعني أن الشرائع كانت بسبب التلاحم بين الهاء والهو والهي، ويعنون بهذا اللهَ، والمَلَك، والمرسَل البشري!!! وليس هناك وحي حقيقي!!!.

(١) انظر: الفصل الثاني من الباب الأول.

(٢)وهذا ينبئك أن القوم لا يفرقون بين الأديان، ولا يفرقون بين الشرك والتوحيد، إلا ما عرفوه من مشائخهم أو فنائهم وكشوفاتهم بزعمهم.

(٣) الياء لابن عربي ص١١.

ويؤكد هذا الفهم قوله: معلِّم العلم من جاء الكلام له من الإلـه بلا غَبَرٍ و لا غِيَر(١).

بل إن بعض الصوفية الغلاة يزعم أنه أفضل من محمد ﷺ إذ جاءه الوحي من العرش، وأما نحن فنأخذ من الله مباشرة!!!، يقول ابن عربي: « وإذا قال لك: استرح، فالخطاب من فوق العرش، فخذ عن الخالق، وعن الترجمان، وإذا قيل لك: بلغ ولا تعمل، فالخطاب من العرش لا من فوقه ولا من تحته »(٢).

ويزعم بعضهم أن هذا الخطاب يمكن أن يحصل بالاستعداد الروحي الوجودي، إذا صفا من كدر التوحيد ـ الذي هو إثبات إله حق، ومألوه بحق ـ كما يقوله ابن عربي: « **لكن عجزوا عن التوصل إليها لغلبة الفكر** »(٣).

وهذا يصرحون بأنه يمكنهم معرفة آيات القرآن الكريم من غير تعلم، ويعنون بذلك أنه من طريق الفيض، كما يقول ابن عربي: « ثم إنه ينـزل عليك نجوما منك بكشف غطائك، وقد رأيت ذلك من نفسي في بدء أمري...، وسمعت ذلك عن جماعة من أهل طريقنا: أنهم يحفظون القرآن، وآيات منه من غير تعليم معلِّمٍ بالتعلم المعتاد، ولكن يجده في قلبه، ينطق بلغته العربية المكتوبة في المصاحف، وإن كان أعجميا، روينا عن أبي يزيد البسطامي... أنه ما مات حتى استظهر القرآن من غير تلقين ملقِّنٍ معتاد!! »(٤).

وهكذا يقول ابن رشد عن الفلاسفة المشائين، أساتذته في هذا الفن المهين، وهو يرفع عنهم شناعة ما قالوه من عدم علم الله بالجزئيات، نافيا ذلك بالتأويلات، ومقرا في نفس الوقت بأن بعض الغيوب يمكن أن تدرك عن طريق الفيض، ولو كان مناميا:

---

(١) الكتب: لابن عربي ص ٤٣.

(٢) الشاهد لابن عربي ص٥، وانظر: التراجم لابن عربي ص٢، وأكد شيخ الإسلام ﷺ أنهم يقولون: بأنهم أفضل من كليم الله موسى؛ لأنه سمع محجوبا، وهم يسمعون بلا حجاب!!. انظر: المجموع ١٢/ ٣٩٩.

(٣) التراجم لابن عربي ص ١.

(٤) الإسفار عن نتائج الأسفار لابن عربي الطائي ص١٦، وانظر للرد عليه ما كتبه سميه في الاسم ابن العربي (المعرف) المالكي المعافري، حيث بين أن القلب مخلوق ولا يعلم شيئا، وإنما يكون التعلم بالعلم، ويكون هذا التعلم بحسب سنن الله الكونية، واتباع الموروثات الشرعية، لا بحسب الآراء الفلسفية، والكشوفات الصوفية. انظر: العواصم من القواصم ص ٤١-٤٢.

« وهم يرون أن الرؤيا الصادقة تتضمن الإنذارات بالجزئيات الحادثة في الزمان المستقبل، وأن ذلك العلم المنذر يحصل للإنسان في النوم من قبل العلم الأزلي المدبر للكل، والمستولي عليه »(١) وعلى هذا فالوحي فيض منامي!!، ولكن إذا صح الخيال، وقد يكون في غير المنام عندهم إذا صفا النفس من الأكدار!!، ويقول مادحا أساتذته الفلاسفة: « وهم يرون أنه - أي العلم - سبب الإنذارات في المنامات، **والوحي!! وغير ذلك من أنواع الإلهامات** »(٢).

وهذا يتضمن في طياته أمرين:

الأول: أن الوحي هو العلم، وهذا صريح في نفي كلام الله ﷻ.

والثاني: أن الوحي يحصل كالمنامات، ومعلوم أن المنامات أمورها خيالية، فكذلك الوحي أمر خيالي، كما هو حال الفلاسفة الذين يرون أن الشرع أمره خيالي للجمهور.

ويصرح الفيلسوف ابن رشد: أن الكلام الذي يكون من الله عن طريق الملك هو مخلوق، فيقول: « بل قد يكون بواسطة ملك، وقد يكون وحيا أي بغير واسطة لفظ يخلق... »(٣).

ويذكر الغزالي أن: « صاحب الرياضة قد يسمع كلام الله كما سمعه موسى ابن عمران عليه السلام »(٤).

بل إن الغزالي، وابن سينا من الفلاسفة، وأمثالهما يرون: أن ما يحصل في القلوب من العلم للأنبياء، وغيرهم؛ فإنما هو من العقل الفعال!!!(٥)، إذاً لا ملائكة، ولا وحي(٦)، وإنما هو تخيلات، وتصورات، وكل ذلك من الأفلاك التي هي جمادات!!!.

---

(١) انظر: فصل المقال فيما بين الحكمة والشريعة من الاتصال ص ٢٢.

(٢) فصل المقال فيما بين الحكمة والشريعة من الاتصال ص ٤٢، و انظر: الرد على المنطقيين ص ٤٧٥.

(٣) مناهج الأدلة لابن رشد ص ٧٢.

(٤) الرد على المنطقيين ص٥١١، نقلا عن كتابيه: مشكاة الأنوار، وكيمياء السعادة، انظر: المجموع ١٠/ ٣٩٨.

(٥) انظر: المجموع ١٠/ ٣٩٨.

(٦) انظر: الصفدية ١/ ٢٠١.

وعلى هذا يكون المَلَك ـ إن أثبتوه ـ عند هؤلاء الفلاسفة لم يسمع القرآن من رب العزة، وإنما هو سمع كلاما مخلوقا لله فأنزله، أو أنه انطبع في نفسه الكلام الموحى فأنزله!!!، أو أن المَلَك أخذ من اللوح المحفوظ، وقد يسمونه النفس الناطقة!!، أو النفس الفلكية!! كما يقول أبو حامد الغزالي[1].

وبعد نقل هذا الكلام يتجلى لك أن القوم لا يرون اختصاص النـزول بالأنبياء، ويرون أنه عام لكل الأصفياء!!، ولهذا يقولون: بأن هذا من النبي تخييل!![2] وهو للجمهور من المسلمين تسيير!!، ولمن حجب عن التوحيد ـ الذي هو الحلول والوحدة ـ تمثيل!!.

ويزعم بعض الفلاسفة منهم أنه لا ملائكة[3]، وأن المراد بذكرهم النفوس، فكيف يكون هناك وحي، وهذا يدل على نفيهم لسماع جبريل القرآن من رب العزة ﷻ، وهذا يكفيهم عارا، لأن «نزول الوحي مما يتوقف على وجود الملك، وإلا فالنبوة والوحي أمر خيالي!! من تجسم العقل الفعال، والتكلم معه بحسب الخيال، كما زعموا»[4] ويقولون: «ملائكة الله اسم لما يتشكل في نفسه ـ أي في نفس الرسول البشري ـ من الصور النورانية، وقد يقولون: إن جبريل هو "العقل الفعال"!!، أو هو ما يتمثل في نفسه من الصور الخيالية كما يراه النائم»[5].

وهذا معلوم بطلانه، ظاهر ضلاله، إذ الأديان السماوية كلها على أن الأنبياء يوحى إليهم، وأن مِن الرسل ـ ملائكة وإنسا ـ مَن سمع كلام الرب منه ﷻ، فنفيه نفي للشرع المتين، وإبطاله إبطال للدين، ولا حول ولا قوة إلا بالله رب العالمين.

---

(١) انظر: الرد على المنطقيين ص٤٧٤.

(٢) انظر: الصفدية ١/ ٢٠٠.

(٣) انظر: الرد على المنطقيين ص٤٨٦.

(٤) الدر النضيد لابن الحفيد التفتازاني ص٣٤٧.

(٥) المجموع ١٢/ ٣٥٢، وانظر: الصفدية ١/ ٢٠١.

والرد على دعواهم أنه لا ملائكة، وأن جبريل لم يسمع من أوجه:

١- أن هذا يعني أنه ليس في الخارج إله يوحي، ولا ملك يأتي بالوحي، وإنما كل ذلك في نظر هؤلاء الفلاسفة تخييل يتخيله الرسول في عقله، كما يخيل إلى النائم!!!، وزعموا أنهم يجمعون بين النبوة والفلسفة!![1]، وهذا صريح في نفي كلام الله ﷻ، ونفي نزول كلامه، مع كثرة الآيات المصرحة، والأحاديث المتواترة، والمسألة مستفيضة عند السلف، ومن تبعهم من الخلف[2].

٢- أن العقل الفعال، لا حقيقة له إلا في خيال الفلاسفة، ومن زعم منهم أنه جبريل فإن هذه التسمية باطلة، ثم لو صحت التسمية؛ فهل جبريل ؑ هو الذي يكون منه الوحي[3]، وإن قيل إن العقل الفعال هو اللوح المحفوظ، فهل اللوح المحفوظ هو المتصرف في نفوس الأنبياء، وهو الموحي إليهم!![4].

٣- أن العقل الفعال الذي تدعونه، أو المتخيلات في النفوس، لا يمكنه أن يتمثل بصورة دحية الكلبي[5]، أو في صورة أعرابي، ولا في صورة ضيوف إبراهيم ولوط ـ عليهما وعلى نبينا الصلاة والسلام ـ وأيضا أخبر النبي ﷺ أنه رأى جبريل على صورته التي خلقه الله ﷻ عليها مرتين[6]، وما في النفوس خيالات لا ترى رؤية بصرية[7].

٤- أن على قولكم: إذا صفت الأكدار، يمكن إدراك خبر العزيز الغفار،

(١) انظر: المجموع ١٢/ ٣٥٣، وقد ذكر من هؤلاء الفلاسفة والمتصوفة الفارابي وابن سينا، وعلى هذا الرأي القرامطة الباطنية، وغيرهم، وابن سبعين، وأمثاله، بل إن ابن رشد لم يؤلف كتابه "فصل المقال فيما بين الشريعة والحكمة من الاتصال" إلا ليثبت أن لا فرق بين النبوة والفلسفة!!!.

(٢) انظر: المجموع ١٢/ ١٤.

(٣) انظر: المجموع ١٠/ ٣٩٨.

(٤) انظر: المجموع ١٠/ ٤٠٢.

(٥) ودحية هو الصحابي الجليل: دحية بن خليفة بن فروة بن فضالة الكلبي، كان جميلا حسن الهيئة، وكان جبريل يأتي على صورته، نزل بالشام، مات في خلافة معاوية ؓ. انظر: الإصابة ١/ ٤٧٣.

(٦) سبق ذكر ذلك في الفصل الثاني، من الباب الأول.

(٧) انظر: الصفدية ١/ ٢٠١.

فتكون النبوة مكتسبة!![١]، وهذا معلوم من الدين بالضرورة بطلانه، إذ النبوة اصطفاء، قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصۡطَفَىٰٓ ءَادَمَ وَنُوحٗا وَءَالَ إِبۡرَٰهِيمَ وَءَالَ عِمۡرَٰنَ عَلَى ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴾[آل عمران:٣٣] وقال ﷻ: ﴿ ٱللَّهُ يَصۡطَفِي مِنَ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلٗا وَمِنَ ٱلنَّاسِۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعُۢ بَصِيرٞ ﴾[الحج:٧٥] وقال ﷻ: ﴿ وَإِذَا جَآءَتۡهُمۡ ءَايَةٞ قَالُواْ لَن نُّؤۡمِنَ حَتَّىٰ نُؤۡتَىٰ مِثۡلَ مَآ أُوتِيَ رُسُلُ ٱللَّهِۘ ٱللَّهُ أَعۡلَمُ حَيۡثُ يَجۡعَلُ رِسَالَتَهُۥۗ سَيُصِيبُ ٱلَّذِينَ أَجۡرَمُواْ صَغَارٌ عِندَ ٱللَّهِ وَعَذَابٞ شَدِيدُۢ بِمَا كَانُواْ يَمۡكُرُونَ ﴾[الأنعام:١٢٤] فدلت هذه الآيات على أن النبوة اصطفاء، وعلى هذا أجمع السلف، وأئمتها وكثير من النظار[٢].

٥- أن القول بأنه ليس هناك إلا النفوس المتخيلة، أو الأفلاك التي فاضت بعضها عن بعض حتى العقل العاشر، ثم فاض هذا الكون كله من العقل العاشر، أو ما يسمى بالعقل الفعال، يعني إنكار الرسالات، وجحد النبوات، والوقوع في عقيدة الفلاسفة الدهرية[٣]، يقول ابن حزم ردا على من قال: إن الملائكة بمنزلة الهواء والرياح!!: «وهذا كذب، وقِحَة، وجنون؛ لأن الملائكة بنص القرآن، والسنن، وإجماع جميع من يقر بالملائكة من أهل الأديان المختلفة ـ لهم حقيقة ـ»[٤]. فكيف بمن يقول: إنهم الأفلاك، أو النفوس المتخيلة!!!.

٦- إذا لم تثبتوا ملكا يأتي بالوحي، إلا قوى النفس، كان قولكم هذا شرا من قول اليهود والنصارى المثبتين للوحي من السماء، وأنه بواسطة الملائكة الأصفياء، لكن هذا لا يستغرب ممن يدعي النظر العقلي المبني على الأقيسة الفاسدة، والكشف الخيالي المبني على الخيالات، والشطحات المهلكة[٥].

٧- ثم إن قول الفلاسفة بالفيض في مسألة القرآن، يلزم منه أنه لم ينزل وحي،

---

(١) انظر: الرد على المنطقيين ص٤٨٣.

(٢) انظر: منهاج السنة ٢/ ٤١٦.

(٣) انظر: كيد الشيطان لابن الجوزي ص٨٠-٨١، الصفدية ١/ ٢٠١.

(٤) الفصل في الملل والنحل ٥/ ٢٥.

(٥) انظر: منهاج السنة ٢/ ٤١٦، الرد على المنطقيين ص٤٨٢، الصفدية ١/ ٢٠١، المجموع ١٢/ ١٤.

وإنما حدث شيء في عقل النبي، ففاض عقل النبي بهذا الكلام الذي يسميه الجمهور بالوحي!!!، والله ﷻ يخبر أنه أنزل القرآن، وهؤلاء يقولون: لم ينـزل شيء!!، قال ﷻ: ﴿أَفَغَيْرَ ٱللَّهِ أَبْتَغِى حَكَمًا وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ إِلَيْكُمُ ٱلْكِتَٰبَ مُفَصَّلًا ۚ وَٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَعْلَمُونَ أَنَّهُۥ مُنَزَّلٌ مِّن رَّبِّكَ بِٱلْحَقِّ ۖ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُمْتَرِينَ﴾[الأنعام:١١٤] فصريح معنى الآية «فيه بطلان قول من يجعله فاض على نفس النبي ﷺ من العقل الفعال، أو غيره، كما يقول ذلك طوائف من الفلاسفة والصابئة»[١].

٨- قال شيخ الإسلام ﵀: «إن ما يفسرون به الملائكة، والوحي، مما يعلم بالاضطرار من دين الرسول ﷺ أنه مناقض لما جاء به، فعلم أن ما يثبتونه من النبوة لا حقيقة له؛ وأن ادعاءهم أن علم الأنبياء إنما يحصل بالقياس المنطقي، وإما باتصال نفسه بالنفس الفلكية من أبطل الكلام...، وأن ما ذكروه من الطرق إنما يفيد علوما قليلة خسيسة، لا كثيرة ولا شريفة، وهذه مرتبة القوم؛ فإنهم من أخس الناس علما وعملا»[٢].

وأما المتكلمون من المخالفين للسلف: الذين أنكروا الصوت والحرف ـ كالكلابية ومن وافقهم ـ يلزم من قولهم نفي سماع جبريل لكلام رب العزة ﷻ، فإن نفي الحرف والصوت: «يلزم منه أن الله لم يُسمع أحدا من ملائكته ورسله كلامَه، بل ألهمهم إياه»[٣].

فالأشعرية والكلابية والسالمية، الذين يقولون: إن تكليم الله لعباده ليس إلا مجرد خلق إدراك للمتكلم، ليس هو أمرا منفصلا عن المستمع، أو الكلام ما كان في النفس، يلزم من قولهم أن جبريل لم يسمع كلام الرب ﷻ، وأن الله لم يتكلم مع موسى، ولا مع غيره[٤].

قال شيخ الإسلام ﵀: «من قال: إن كلامه مخلوق، أو قال: إنه لا يتكلم

(١) المجموع ١٢/ ١٢٠.
(٢) الرد على المنطقيين ص ٥٠٠.
(٣) الفتح ١٣/ ٤٦٣، وانظر: المجموع ١٢/ ١٢٠.
(٤) انظر: المجموع ١٢/ ١٦٦.

بمشيئته وقدرته، فهؤلاء في الحقيقة لم يثبتوا أنه يتكلم، ولا أثبتوا له كلاما »[١].

وقال أبو نصر السجزي مخاطبا أشعريا: « قد علمنا جميعا أن حقيقة السماع لكلام الله منه على أصلكم محال، وليس ههنا مَن تتقيه، وتخشى تشنيعه، وإنما مذهبك أن الله يُفهم من شاء كلامَه بلطيفة منه، حتى يصير عالما متيقنا بأن الذي فهمه كلام الله »[٢] وأما أن يكون هناك سماع لكلام الله حقيقة؛ فلا يمكن إثباته على قول الأشاعرة ومن وافقهم.

وزعم ابن خلدون[٣] من متكلمي الأشاعرة المائلين إلى الفلسفة أن الرسل ينسلخون من بشريتهم فيصيرون في صورة ملَكية، ويسمعون كلامهم، ثم يعودون إلى حالتهم البشرية، وأن هذا هو الوحي!!!، فقال: « وفوق العالم البشري عالم روحاني، شهدت لنا به الآثار...، وهو عالم الملائكة، فوجب من ذلك كله أن يكون للنفس الإنسانية استعداد للانسلاخ من البشرية إلى الملَكية، لتصير بالفعل من جنس الملائكة!!، وقتا من الأوقات!! وفي لمحة من اللمحات!!، ثم تراجع بشريتها، وقد تلقت في عالم الملكية ما كلفت بتبليغه إلى أبناء جنسها من البشر، وهذا هو معنى الوحي، وخطاب الملائكة، والأنبياء كلهم مفطورون عليه!! »[٤].

وهذا صريح في نفي إتيان جبريل له، وأنه إنما يدرك ذلك بما يحصل له اضطرارا، وجبلة، لا بما ينـزله الله بواسطة الملَك، وهو الرسول جبريل عليه السلام إلى الرسول محمد ﷺ، وهذا القول قريب من أقوال الفلاسفة المتمسلمين.

وقد اختلف أهل الكلام في الذي سمعه جبريل من رب العزة ما هو، وهل

---

(١) المجموع ١٣/ ١٧٠.

(٢) الدرء ٢/ ٩٠.

(٣) هو المتكلم الأشعري المؤرخ: عبد الرحمن بن محمد بن محمد الحضرمي الأشبيلي المالكي المعروف بابن خلدون، أديب اجتماعي معروف، سافر إلى بلدان كثيرة، وأرخ عنها، وعرف طباعها، وكتب كثيرا، ومن ذلك: تاريخه المشهور، توفي سنة ٨٠٨هـ. انظر: معجم المؤلفين ٥/ ١٨٨.

(٤) مقدمة ابن خلدون ص ٨٤٦.

سمع شيئا أم لا؟: «اختلف في كيفية وصوله إلى جبريل، ومنه له ﷺ في الأرض، فقال ابن العربي ـ الفقيه ـ: **إن جبريل عليه السلام فهم الكلام من العلو وأداه!!** إلى رسول الله ﷺ في الأرض، **وقيل**: إن جبريل نقل ذلك من اللوح المحفوظ، فنزل به على النبي ﷺ، **وقيل**: الملائكة المكرمون تلقنوه من رب العالمين في ليلة واحدة، ولقنته لجبريل في عشرين ليلة، ولقنه جبريل إلى النبي ﷺ في عشرين سنة على قدر الحاجة إليه بما سبق في علم الله، وهي النجوم التي أقسم الله بها، **وهذا كله بناء على أنه نزل بلفظه**، وأما على أنه نزل بالمعنى: فقيل إن جبريل عبر عنه للنبي ﷺ باللفظ الخاص[1]، وقيل: ألقى جبريل المعنى على قلب النبي ﷺ، والنبي ﷺ عبر عنه!!.

فتلخص أن النازل فيه خلاف، على قولين؛ قيل: اللفظ، وقيل: المعنى، وعلى الثاني: اختلف في المعبر، هل جبريل، أو النبي عليهما الصلاة والسلام»[2] وهذا يعني أنه على كلتا الحالتين لم يسمع جبريل كلام الرب الجليل!!!.

فانظر ـ حفظك الله ـ بعين الإنصاف، إذا كان قول أقرب الناس إلى أهل السنة من المخالفين للسلف هم الأشاعرة ومن تبعهم، وقولهم هو نفي سماع جبريل القرآن من رب العزة ﷻ، فكيف بغيرهم من المخالفين؟؟، وكيف بغيرهم من أهل البدع؟؟.

والآيات والسنة قد استفاض فيهما أن جبريل سمعه من الله ﷻ[3].

ومن شبههم: «أن القرآن أنزل من اللوح المحفوظ ليلة القدر... جملة واحدة، فوضع في بيت العزة في سماء الدنيا، ثم كان جبريل ﵇ ينزل به نجما، نجما»[4] وهذا يدل على أنه لم يسمع من رب العزة كلاما!!!، وإنما أخذه من اللوح المحفوظ[5]،

---

(١) وقد صرح غير واحد من الأشاعرة بأن القرآن الكريم لفظ جبريل. انظر: الإحكام للآمدي ١/ ٢١١.

(٢) الفواكه الدواني ١/ ٥٧، وانظر: المجموع ١٢/ ١٢٠.

(٣) انظر: الأدلة على سماع جبريل القرآن من رب العالمين في الفصل الثاني، من الباب الأول.

(٤) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ٢/ ١٩٩.

(٥) انظر: الفتح ١٣/ ٤٥٠، والمرشد الوجيز ص ٢٦؛ فإنه صرح بأن جبريل كان ينزل بالآية بعد الآية من السماء الدنيا.

وقالوا: إنما نجمته الملائكة عليه في عشرين ليلة!![1].

والجواب عن هذا من عدة أوجه:

١- أن القرآن الكريم أنزله الله ﷻ من اللوح المحفوظ إلى السماء الدنيا، ذلك كان إيذانا ببدأ الوحي إلى الأرض، ولا يدل على نفي سماع جبريل ﷺ الكلام من رب العزة.

٢- أن ما جاء من الآثار أن جبريل نزل بالوحي من السماء الدنيا، أو من الملائكة، فهذا لا يثبت[2].

---

(١) انظر: الفتح ٨/ ٦٢٠-٦٢١، ومحاضرة الأوائل ص١٥٣.

(٢) إن الذي ورد إنما هو نزول القرآن من اللوح المحفوظ إلى السماء الدنيا، كما سبق (انظر: ص١٤٩) وكون جبريل ﷺ نزل بعد ذلك منجما لا يخالف سماعه القرآن من رب العزة، ويؤكد هذا الفهم أمران:

الأول: أنه ثبت عن ابن عباس ﷺ أنه قال: [**أنزل الله القرآن إلى السماء الدنيا في ليلة القدر، فكان الله إذا أراد أن يوحي منه شيئا أوحاه، أو أن يحدث منه في الأرض شيئا أحدثه**] (رواه الحاكم في مستدركه، كتاب التفسير ح(٢٨٧٧) وقال: صحيح الإسناد ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي)، فهذا فيه تصريح بأن الله إذا أراد أن يوحي منه شيئا أوحاه، لا أن جبريل ينزل به من دون إيحاء الله ﷻ له، ويؤكد هذا رواية ابن جبير عن ابن عباس ﷺ قال: [**أنزل القرآن جملة واحدة في ليلة القدر، إلى السماء الدنيا، وكان بموقع النجوم، وكان الله ينـزله على رسول الله ﷺ بعضه في إثر بعض**] (رواه الحاكم في مستدركه، كتاب التفسير، ح٢٨٧٨، وقال:صحيح على شرطهما ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي).

الأمر الثاني: أن الروايات التي فيها التصريح بنزول القرآن من اللوح المحفوظ إلى النبيﷺ، أو من السماء الدنيا إلى النبيﷺ لا تثبت، وأنا أورد ما جاء مما فيه تصريح بأن جبريل نزل بالوحي من السماء الدنيا، لا من العلي الأعلى، مع ذكر أقوال أهل العلم عليه:

أ- قال الحافظ ابن حجرﷺ بعد أن أورد بعض الروايات، مثل: أن جبريل كان ينزل بالوحي من اللوح المحفوظ كما ذكره الحليمي في منهاجه، وكذا عنه ابن شامة في المرشد الوجيز ص١٩، قال الحافظ: «وهذا أورده ابن الأنباري من طرق ضعيفة، ومنقطعة أيضا، وما تقدم من أنه نزل جملة واحدة من اللوح المحفوظ إلى السماء الدنيا، ثم نزل بعد ذلك مفرقا هو الصحيح المعتمد». الفتح ٨/ ٦٢٠، فقد ضعف الحافظ الروايات التي تدل على أن جبريل نزل بالوحي من اللوح المحفوظ، وبين أنها لا تصح.

ب- حكى الماوردي والواحدي في تفسير ليلة القدر، أنه نزل من اللوح المحفوظ جملة واحدة، وأن الحفظة نجمته على جبريل في عشرين ليلة... فهذا فيه تصريح بأن جبريل لم ينزل بالوحي من رب العزة، قال فيه الحافظ ﷺ: «وهذا أيضا غريب» الفتح ٨/ ٦٢١.

ت- قال القرطبي في الجامع لأحكام القرآن ١/ ٦٢: «ورُوي عن ابن مسعود ﷺ أنه قال: قلت أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم، فقال لي النبيﷺ: [**يا ابن أم عبد: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم، هكذا أقرأني جبريل عن اللوح المحفوظ عن القلم**]. فهذا سند القوم في نفيهم لسماع جبريل القرآن من الله ﷻ، =

٣- أن المنزل جملة واحدة نجم على حسب الحوادث والسنين صواب، لكن ليس فيه نفي سماع جبريل الكلام من رب العزة ﷻ.

٤- وأما ما روي عن ابن عباس ﷺ: [**أنزل القرآن من اللوح المحفوظ جملة واحدة إلى الكتبة في سماء الدنيا، ثم نزل به جبريل ﷺ نجوما**].

فالجواب عنه من أوجه: الأول: أنه ليس فيه نفي سماع جبريل الكلام من رب العزة ﷻ، وإنما فيه، أنه نزل بالقرآن منجما. **الثاني**: أنه لا يعارض بما ثبت صحيحا مرفوعا أن جبريل سمع كلام الرب ﷻ، كما في حديث «ماذا قال ربكم؟ فيقول: قال الحق»[1]. **الثالث**: أن الإجماع منعقد من السلف على سماع جبريل القرآن من رب العزة ﷻ، والإجماع لا ينسخ، و لا يقدم عليه فهم[2].

٥- أن اختلافكم فيما سمعه جبريل عن الله ﷻ، وعمن **أخذ جبريل** ﷺ، فيه دليل على بطلان قولكم، إذ الحق لا يتعدد، فالحق واحد، وهو ما عليه السلف ـ رحمهم الله ـ من أن جبريل سمع القرآن الكريم من الرحمن الرحيم، لم يأخذه من اللوح المحفوظ إلى النبي ﷺ، ولا من الحفظة[3].

=

فقوله روي وحدها كاف في رد هذ المتن، ثم لم أجد هذا المروي في شيء من كتب الحديث بهذا المتن واللفظ، ويدل على أن هذا لا يصح ما جاء في مسند الإمام أحمد (ح١١٤٩٣) ـ بسند صحيح ـ عن أبي سعيد الخدري ﷺ: [**أن النبيﷺ إذا قام من الليل، فاستفتح صلاته وكبر، قال: سبحانك اللهم..، ثم قال:أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم، من همزه ونفخه، ونفثه**]، فهذا معارض للأول. وأيضا القرطبي نفسه ذكر حديث أبي سعيد الخدري فلعله لم يتنبه إلى المعارضة بين الأثرين.

ث- قال الزهري: «آخر القرآن عهدا بالعرش آية الربا، وآية الدين» (رواه أبو عبيد في فضائل القرآن ص٢٢٤)، وهذا مرسل، ولا حجة فيه؛ فإن المرسل من أقسام الضعيف الذي لا يحتج به، والزهري من صغار التابعين، قال السيوطي: «مرسل صحيح»، وهو كما قال، ولكنه صحيح إلى ابن شهاب، وليس يصح عن الأصحاب، فضلا عن النبيﷺ، وعلى فرض ثبوته؛ فالمراد أنه آخر ما سمع من كلام الله ﷻ المستوي على العرش؛ ففيه سماع جبريل من الله ﷻ، وأنه نزل بعد ما سمع من الله ﷻ.

(١) انظر: الفتح ١٣/ ٤٦٧، فإنه جمع الروايات التي تدل على سماع جبريل كلام الله ﷻ.

(٢) انظر: هذه الإجماعات في الفصل الثاني من الباب الأول.

(٣) انظر: مناهل العرفان ١/ ٤٩.

٥- أن نفي سماع جبريل القرآن من رب العزة ﷻ يعني أن اليهود يكونون أفضل من هذه الأمة إذ ثبت أن الله ﷻ كتب التوراة بيده، ثم أنزلها مكتوبة، فيكون لهم شرف ذلك، وهذه الأمة أقل شأنا منهم إذ كتابهم أخذه جبريل من اللوح المحفوظ!![1]، قال شيخ الإسلام ﷺ بعد ذكره لهذا: «فيكون بنو إسرائيل قد قرؤوا الألواح التي كتبها الله، وأما المسلمون فأخذوه عن محمد ﷺ، ومحمد ﷺ أخذه عن جبريل وجبريل عن اللوح، فيكون بنو إسرائيل بمنـزلة جبريل، وتكون منـزلة بني إسرائيل أرفع من منـزلة محمد ﷺ على قول هؤلاء الجهمية، والله ﷻ جعل من فضائل أمة محمد ﷺ أنه أنزل عليهم كتابا لا يغسله الماء، وأنه أنزله عليهم تلاوة لا كتابة...، ثم إن كان جبريل لم يسمعه من الله، وإنما وجده مكتوبا كانت العبارة عبارة جبريل، وكان القرآن كلام جبريل ترجم به عن الله، كما يترجم عن الأخرس الذي كتب كلاما، ولم يقدر أن يتكلم به، وهذا خلاف دين المسلمين»[2].

وهؤلاء النافون لسماع جبريل القرآن من رب العزة ﷻ، ليس عندهم شيء ينزل به جبريل من الله ﷻ إلى محمد ﷺ، وهذا يتضح في المطلب التالي.

---

(١) انظر: الإعلام والاهتمام بفتاوى شيخ الإسلام أبي يحيى زكريا بن محمد الأنصاري ص ٣٥٢-٣٥٣.
(٢) المجموع ١٢/ ٥٢٠-٥٢١.

المطلب الثاني: معنى نزول القرآن عند المخالفين، وشبههم.

السلف الصالح كلهم متفقون على ما دلت عليه الآيات القرآنية، والأحاديث النبوية، والآثار السلفية، من أن القرآن الكريم نزل من رب البرية، وأن «الإنزال: النقل من الأعلى إلى الأسفل؛ فنزول الكتب الإلهية إلى الرسل - عليهم الصلاة والسلام - بأن يتلقاها جبريل من جنابه ﷻ فينزل بها إلى الرسل عليهم السلام»[(١)].

وأما أهل البدع الذين لا يثبتون لله ﷻ علوا يلزمهم نفي نزول القرآن، خصوصا أنه قد جاء في أكثر من آية أنه من عند الله، فإذا ثبت أنه نزل من عنده، فهذا نص أنه نزل من علو، ولهذا فالمعتقدون عدم علو الله ﷻ على خلقه، قولهم في نزول القرآن هو النفي، ثم يحرفون ما جاء من الآيات والأحاديث الدالة على النزول لتوافق أهواءهم، ويحرفون الكلم عن مواضعه.

وأما الفلاسفة فإنه يلزمهم نفي نزول القرآن؛ لأنه ليس ثم إلا عقول مدبرة تفيض من وإلى، وأن من فاض عليه فلصفاء نفسه ليس إلا؛ فكيف يكون هناك إنزال، وهذا لازم يدل على فساد القول بالفيض في كل حال، ولا ريب أنهم ينكرون النزول حيث يقولون عن جبريل عليه السلام: «فقد يكون عقل شديد الاستعداد **حتى لا يحتاج في أن يتصل بالعقل الفعال** - الذي هو عند هم الرب - **إلى كثير من تخريج، وتعليم!!، حتى كأنه يعرف كل شيء من نفسه...، وهي القوة القدسية التي تناسب روح القدس؛ فيفيض عليها منه جميع المعقولات... فالدرجة العليا النبوة؛ فربما يفيض عليها وعلى المتخيلة من روح القدس معقول تحاكيه المتخيلة بأمثلة محسوسة!!، أو كلمات مسموعة؛ فيعبر عن الصورة بملك في صورة رجل، وعن الكلام بوحي في صورة عبارة»**[(٢)]**، فإذا ليس ثم نبي يرى ملكا حقيقيا ينزل عليه بالوحي!!**، وهذا وحده كاف في بطلان قول الفلاسفة في الأديان.

---

(١) محاسن التأويل للقاسمي ١/ ٢٤٠.

(٢) من كلام ابن سينا كما نقله الشهرستاني في كتابه الملل والنحل ص ٤٧٦-٤٧٧، وانظر منه: ص ٤٨٥.

وابن رشد القرطبي ـ وهو من الفلاسفة، لكنه يذكر الشناعات الواردة على نفي العلو لله ﷻ على قولهم وقول المتكلمين ـ فيقول: « فترجع الشريعة متشابهة ـ أي إذا نفينا العلو لله ﷻ ـ، وذلك أنّ بَعْثَ الأنبياء انبنى على أن الوحي نازل إليهم من السماء، وعلى ذلك انبنت شريعتنا هذه، على أن الكتاب العزيز نزل من السماء، كما قال ﷻ: ﴿ إِنَّآ أَنزَلۡنَٰهُ فِي لَيۡلَةٖ مُّبَٰرَكَةٍۚ إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ ﴾[الجاثية:٣]، وانبنى نزول الوحي من السماء على أن الله في السماء، وكذلك كون الملائكة تنـزل من السماء، وتصعد إليها »[(١)]، بل « الشرائع كلها مبنية على أن الله في السماء، وأن منه تنـزل الملائكة بالوحي إلى النبيين، وأن من السماء نزلت الكتب، وإليها كان الإسراء بالنبي ﷺ، حتى قرب من سدرة المنتهى »[(٢)] فشهد شاهد من أهلِهِمْ أن الشريعة لا تصح إلا بإثبات نزول الوحي، من السماء، وأن « كلام الله تعالى منـزل على الأنبياء، وقد دل على ذلك آي كثيرة من كتاب الله تعالى »[(٣)].

فإذا كانت الشرائع كلها، والكتب كلها، نصوصها دالة على نزول الوحي من السماء، وهذه النصوص معلومة للقاصي والداني، فهي تنص على أن كلام الله نزل من السماء من عند الله، وهؤلاء ينفون علو الله، فكيف يكون نـزول الوحي من السماء من عند الله؟؟؟.

يقول متكلم آخر ـ مبينا أن الأفضل إبقاء العامة على الظاهر!! ـ: « ثم إن هؤلاء القوم ـ يعني المتكلمين ـ عادوا إلى القرآن، الذي هو المعجز الأكبر، وقد قصد الشرع تقرير وجوده، فقال ﷻ: ﴿ إِنَّآ أَنزَلۡنَٰهُ ﴾[الجاثية:٣][(٤)] وقال: ﴿ وَإِنَّهُۥ لَتَنزِيلُ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ١٩٢ نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلۡأَمِينُ ﴾[الشعراء:١٩٢-١٩٣]...، وأثبته في القلوب...، وفي المصاحف...، وقال قوم من هؤلاء: هو مخلوق!!، فأسقطوا حرمته من النفوس، وقالوا: لم ينـزل،

---

(١) مناهج الأدلة لابن رشد ص٨١-٨٢.

(٢) مناهج الأدلة لابن رشد ص٨٥، وانظر: الدرء ١٠/ ٢٦٤.

(٣) الإرشاد للجويني ص ١٣٠.

(٤) وقد ورد لفظ النزول في آيات كثيرة، وانظر: الأدلة على نزول القرآن في الفصل الثاني، من الباب الأول.

ولا يتصور نزوله، وكيف نفصل الصفة عن الموصوف، وليس في المصحف إلا حبر وورق، **فعادوا إلى ما بعث الشارع في إثباته بالمحو**»[(١)].

وأما الصوفية فمنهم من يتفوه في الإنزال بكلام لولا النقل العلمي ما استسغت نقله، وإن مجرد حكايته تدل على شناعته، وذكره في حد ذاته ينبئك عن سخافته، وسخافة عقول هؤلاء الصوفية الغلاة القائلين به، المبتدعين في الدين بالهوى، المتبعين للردى، فهذا أحد الصوفية يخاطب مريديه، مبينا كيف نزل القرآن!!، فيقول:

وزفت عروس القرب ليلة قدرنا وفي ذِكر الذكر استلذ المجامع
وإنزاله القرآن قد حملت به فروج قلوب بالعلوم تدافع!!![(٢)]

بل إن هؤلاء الصوفية لا يرون أن الإنزال مخصوص بالقرآن بعد نبي آخر الزمان، ويصرحون بأن كتبهم أنزلها الرحمن!!، يقول القونوي عن كتابه المثنوي: «بأيدي سفرة، كرام بررة، يمنعون بأن لا يمسه إلا المطهرون!!، تنزيل من رب العالمين!!، لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه!!»[(٣)].

وهؤلاء الصوفية شطحاتهم جلية، وفضائحهم ظاهرة غير خفية، خصوصا أهل وحدة الوجود، والحلول، والاتحاد أصحاب المذاهب الردية.

فأهل الكلام لا يختلف قولهم في الإنزال عن أصحاب الحال إلا في المؤدى؛ فالجميع لا يثبتون الإنزال، **وسبق أن بينت أن المعتزلة** يرون أن الذي نزل به جبريل إنما هو كلام مخلوق، إما في نفسه، أو في الهواء...[(٤)].

والأشعرية من أهل الكلام ينصون على أن الذي نزل من السماء إنما هو لفظ جبريل، لا كلام الله رب العالمين نفسه، يقول الباقلاني: «والنازل على الحقيقة المنتقل

---

(١) أقاويل الثقات ص ٢١٩-٢٢٠.
(٢) التصوف الإسلامي في الأدب والأخلاق!! ١/ ٢١٥، نقلا عن كتاب: أخبار جلال الدين الرومي ص ٦٦.
(٣) مقدمة المثنوي، نقلا عن كتاب: أخبار جلال الدين الرومي ص ٣٦٣-٣٦٤.
(٤) انظر: الفصل الأول من هذا الباب.

من قطر إلى قطر قول جبريل!!»[١].

فالمتكلمون من أهل الإسلام، يؤولون الإنزال الوارد في القرآن الكريم لسببين:

الأول: لكونهم نفوا العلو للعلي الأعلى، وأنه لا يصح بأن يشار إليه أنه في السماء!![٢].

الثاني: أنهم قالوا: إن الكلام معنى، ولا يصح أن يوصف المعنى بأنه ينـزل!!، يقول الجويني: «ثم ليس المعنى من الإنزال حط شيء من علو إلى سفل!!، فإن الإنزال بمعنى الانتقال يتخصص بالأجسام والأجرام!!.

ومن اعتقد كلام الله تعالى، وقيامه بنفس الباري ﷻ، واستحالة مزايلته للموصوف به ـ وهو الحق ـ، فلا يستريب في استحالة الانتقال عليه!!، ومن اعتقد حدث الكلام، وصار إلى أنه عرض من الأعراض، فلا يسوغ على معتقده أيضا تقدير الانتقال، إذ العرض لا يزول ولا ينتقل.

فالمعنيُّ بالإنزال: أن جبريل ﷺ أدرك كلام الله تعالى، وهو في مقامه فوق سبع سماوات، ثم نزل إلى الأرض، فأفهم الرسول ﷺ ما فهمه عند سدرة المنتهى!!، من غير نقل لكلام الله ﷻ !!!»[٣].

فالمخالفون للسلف، المخالفون لكتاب الله ﷻ لم يقولوا مع توافر النصوص بأن القرآن الكريم قد نزل من السماء، ولم يتصوروه[٤].

والجواب عن هذا من وجوه:

١. المعروف أن المعاني والصفات والأعراض لا تأتي، وإنما قالت العرب: جاء الحر، وجاء البرد، ومعلوم أن هذه المعاني تأتي مع الهواء الذي يحمل الحر والبرد، وهو

---

(١) الإنصاف ص٩٧.

(٢) انظر: طبقات الشافعية للسبكي ٩/ ٥٢، المجموع ٨/ ٢٦.

(٣) الإرشاد للجويني ص١٣٠، المعتمد للفراء ص٢٧٦، وقد أنكر النزولَ الحقيقيَّ للقرآن الزرقانيُّ في مناهل العرفان، اتباعا لأشاعرة الزمان، وتقليدا لأصول كلام أهل اليونان، انظر: مناهل العرفان ١/ ١٩١- ١٩٤.

(٤) انظر: أقاويل الثقات ص٢١٠.

عين قائمة بنفسها، فـ «العرض الذي يحدث بلا تحول من حامل، مثل لون الفاكهة؛ فإنه لا يقال في هذا: جاءت الحمرة، والصفرة، والخضرة، بل يقال: أحمر وأصفر وأخضر، وإذا كان كذلك؛ فإنزاله تعالى العدل، والسكينة، والنعاس، والأمانة ـ وهذه صفات تقوم بالعباد ـ إنما تكون إذا أفضى بها إليهم؛ فالأعيان القائمة توصف بالنـزول، كما توصف الملائكة بالنـزول بالوحي والقرآن؛ فإذا نزل بها الملائكة؛ قيل: إنها نزلت»[1] فالقرآن معنى من المعاني فإذا سمعه جبريل ووعاه نزل به من رب العالمين، إلى سيد المرسلين، وجبريل ذات مخلوقة، قائم بنفسه، ينزل ويصعد.

٢. أن إنكار النـزول يعني الرد على الله ﷻ، والآيات التي تدل على أن القرآن الكريم نزل من عند القدوس السلام أكثر من مائة وخمسين آية بالعد والإحصاء، وبصيغ مختلفة، مما يدل على أن الله ﷻ أنزله، وأن جبريل نزل به على محمد ﷺ من عند الله[2].

٣. إن قلتم: القرآن لا ينـزل، فبأي شيء كان ينـزل جبريل ﷺ، أكان ينزل بقوله، أم برأيه؟؟، وهذا لا يقول به إلا من طرح الوحي، واتبع الطرق الكلامية، وإلا فإن نزول جبريل بالوحي أمر معلوم من الدين بالضرورة[3].

٤. أن نزول القرآن الكريم لا يلزم منه تحول صفة الله ﷻ ومفارقة كلامه ذاته، كما أن الله يُعَلِّمُ أنبياءه ورسله، وعِلمه باق صفة من صفات ذاته، فكذلك كلامه، بل إن الواحد من أهل العلم يعلم آلافا من الناس، وعلمه لا يزول، بل يبقى صفة من صفاته، والناس يقولون: هذا من علم فلان، ويأخذون كلامه وهو صفة من صفاته، ويقولون: هذا كلام فلان، فقولكم بأن التحول على العرض غير معقول، فيه لبس إذ ما مرادكم بالتحول، إن كان القصد أنه يزول عن ذات المتكلم إلى السامع فهذا حق، ولا يكون تحول للكلام بهذا المعنى، إذ الكلام هو للمتكلم وإن سمعه السامع وقرأه القارئ، وإن قصدتم بالتحول أنه لا يكون في الأرض كلام لله ﷻ، ولم ينزل جبريل ﷺ

---

(١) المجموع ١٢/ ٢٥١.

(٢) انظر: الحجة في بيان المحجة ١/ ٢٧١-٢٨٠.

(٣) انظر: الحجة في بيان المحجة ١/ ٣٠٠-٣٠٤.

بالقرآن فهذا باطل، ونحن نقرأ أحاديث النبي ﷺ، ولم يتحول كلامه حتى يصبح عرضا لنا؛ فكيف بكلام رب العالمين؟؟[١].

٥. أن أهل الكتاب، بل وحتى المشركين، كانوا مقرين بنـزول الوحي من السماء، كما قال ﷻ: ﴿يَسْـَٔلُكَ أَهْلُ ٱلْكِتَـٰبِ أَن تُنَزِّلَ عَلَيْهِمْ كِتَـٰبًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ﴾[النساء:١٥٣] وقال ابن عباس ﷺ: [**بلغ أبا ذر مبعث النبي ﷺ؛ فقال لأخيه: اعلم لي علم هذا الرجل، الذي يزعم أنه يأتيه الخبر من السماء**]، وقال ﷺ: [**ألا تأمنونني!؟ وأنا أمين مَن في السماء، يأتيني خبر السماء صباحا ومساء**][٢].

٦. قال صاحب متن الشيبانية ردا على من أنكر التنـزيل بحجة الكلام النفسي:

ونعتقد القرآن تنـزيل ربنـا ... بـه جـاء جبريـلُ النبيَّ (محمـدا)
وأنزله وحيـا إلـيه وأنـــه ... هُدى الله، يا طوبى لمن بـه اهتـدى
كلام قديم منـزل غير محدث ... بأمـر ونـهـي، والدليـل تأكـــدا
كلام إلـه العـالمين حقيـقـة ... فمن شك في هذا فقد ضل واعتدى
ومنـه بدا قولا قديمـا، وأنـه ... يعـود إلى الرحمـن حقـا كما بـدا...
فمن شك في تنزيله فهو كافر ... ومن زاد فيه فقد طغى وتـمـردا[٣]

ومن **شُبَهِ أهل الكلام** أنهم قالوا: إن النـزول بمعنى: الخلق، كقوله تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَا ٱلْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ﴾[الحديد:٢٥]، أو يقولون: خلقه في مكان عال ثم أنزله من ذاك المكان!!.

والجواب عن هذا من وجوه:

١-أن النزول بمعنى الخلق لا يعرف في اللغة[٤]، وإنما هذا تفسير من يرى خلق

---

(١) انظر: ما سبق، في الفصل الأول من هذا الباب.

(٢) رواه البخاري، كتاب المغازي، باب/ ٦١، ح(٤٣٥١)، ومسلم، كتاب الزكاة، باب/ ذكر الخوارج وصفاتهم، ح(١٠٦٤) عن أبي سعيد الخدري ﷺ.

(٣) نظم الشيبانية في العقيدة ص ٣٥-٣٦، مجموع أمهات المتون في مختلف الفنون والعلوم، جمع دار الفكر.

(٤) فهذا ابن منظور: وهو من هو في جمعه للمعاني الواردة لكلمة واحدة لم يذكر أن معنى النـزول هو الخلق، مع

القرآن الكريم، فيفسر آياته على معتقده!!، ولو كان النـزول بمعنى الخلق، لكان مخلوقا في محل، وما كان مخلوقا في محل، يكون صفة لذاك المحل النازل منه، ولا يكون صفة لله ﷻ[(١)].

٢-أن قولكم بخلق القرآن باطل، وما بني على باطل فهو باطل.

٣-أن النزول على حقيقته، وهو يكون من علو إلى سفل، وقولكم إنه خلقه في مكان عال ثم أنزله من ذلك المكان، يدل على القول بخلق القرآن، وهو فاسد، وإنما هو كلام الله ﷻ سمعه جبريل من رب العزة في السماء العلى، ثم نزل به إلى محمد ﷺ، وهذا هو النزول الذي يفهمه المسلمون، ولا يفهمون من نزول القرآن الكريم إلا هذا، وهذا ما عليه السلف، واتباعهم واجب على الخلف.

٤-النزول جاء في القرآن على ثلاثة أنواع[(٢)]؛ **الأول**: نزول مقيد بأنه منه، وهذا لم يرد إلا في القرآن الكريم. **والثاني**: نزول مقيد بأنه من السماء ـ والسماء اسم جنس بمعنى العلو ـ كنزول المطر. **الثالث**: نزول مطلق، وهذا وارد في مواضع، كإنزال الحديد، والسكينة، والميزان، فالحديد أنزلها الله من المعادن الموجودة في الجبال، والسكينة أنزلها الله في قلوب المؤمنين، والميزان العدل، وقد أنزل الله كتبه ليحكم بين الناس بالعدل[(٣)].

ومن شبههم: **أنهم قالوا**: نزوله بمعنى الإعلام به، وإفهامه للملك، أو نزول الملك بما فهمه!!، وهذا قول الكلابية ومن وافقهم[(٤)].

والجواب عن هذا من أوجه:

١-أن النزول بمعنى الإعلام لا يعرف في اللغة، ولكن هذا تفسير من لا يثبت

= أنه يجمع كل ما قيل في معنى الكلمة عن العرب. انظر: مادة: (نزل) ١٤/ ١١١-١١٣، وانظر: المفردات للراغب ص ٤٩٠-٤٩٢.

(١) انظر: المجموع ٨/ ٢٦.

(٢) انظر: المجموع ١٢/ ٢٤٦-٢٥٠.

(٣) انظر: المجموع ٨/ ٢٦، ١٢/ ٢٥٤.

(٤) انظر: الغنية لأبي سعيد النيسابورى ص ١٠٨.

لله ﷻ كلاما إلا الكلام النفسي الذي لا يُسمع، وإذا لم يثبت في اللغة النـزول بمعنى الإفهام، علمنا أن القوم يصنعون لمذهبهم لغة[1]، قال شيخ الإسلام ؒ بعد أن ذكر أقسام النزول: « فقد تبين أنه ليس في القرآن، ولا في السنة، لفظ نزول إلا وفيه معنى النزول المعروف، وهذا هو اللائق بالقرآن؛ فإنه نزل بلغة العرب، ولا تعرف العرب نزولا إلا بهذا المعنى، ولو أريد غير هذا المعنى لكان خطابا بغير لغتها، ثم هو استعمال اللفظ المعروف له معنى في معنى آخر بلا بيان، وهذا لا يجوز »[2].

٢-أن هذا التحريف مبني على قولكم الفاسد بالكلام النفسي الذي لا يُسمع فقلتم: إن النـزول هو الإفهام!!، وقد سبق أن تبين فساد القول بالكلام النفسي[3].

٣-أن الملك إذا كان نزل بما فهمه؛ فهذا يعني أن القرآن لفظه، وهذا ما لا يوافقكم عليه مسلم يعقل عن الله ﷻ مراده، وعن الرسول ﷺ مرامه، لأن ما فهمه لا يكون كلاما لله ﷻ ، فإنك لو تكلمت كلاما، ونقل آخر كلامك لا بلفظك، وإنما بما فهمه، قيل له: رويت بالمعنى، ولو فهم خطأ لقلت له: ليس هذا كلامي، هذا فهمك، فدل هذا أن هناك فرقا بين من ينقل الكلام بلفظه ومعناه، وبين من ينقل الكلام بمعناه.

قالوا: النزول ليس من علو إلى سفل؛ لأن المراد بالنـزول: « كما يقال: نزلت رسالة الملك من القصر، لا يراد به حط شيء من القصر »[4]، والنـزول يراد به الحلول، كما تقول: نزل الأمير المدينة، والمعنيان كلاهما لا يصح إطلاقهما على القرآن الكريم، لما يلزم من هذين المعنيين من المكانية والجسمية!!![5].

والجواب عن هذا ما يأتي:

١-أن قولكم بأن الإنزال معناه الحط ليس بصواب، وإنما المراد من الإنزال هو

---

(١) انظر: مقاييس اللغة لابن فارس ص ١٠٢٢-١٠٢٣، المفردات للراغب ص ٤٩٠-٤٩٢، لسان العرب ١٤/ ١١١-١١٣، فإن هؤلاء فطاحلة اللغة ولم يذكر واحد منهم أن من معاني النـزول: الإفهام.

(٢) المجموع ١٢/ ٢٥٧.

(٣) انظر: الفصل الأول، من هذا الباب.

(٤) الغنية لأبي سعيد النيسابوري ص ١٠٨.

(٥) انظر: مناهل العرفان ١/ ٤٣.

المعنى المعروف عند العرب، وهو ما يكون من علو إلى سفل[١].

٢-أن ما ذكرتموه من المثال، لا يعرف عن العرب، وإنما هو من وضعكم، ثم من المعلوم أن الرسول إذا جاء من القصر؛ فإنه يقول: جئت برسالة، ولا يقول: نزلت برسالة؛ لأن النـزول لا يكون إلا من علو، ولو صح المثال: فإن القصر يكون عاليا عن بيوت المخاطبين من الشعوب، فيصح نزول الرسول بالكلام حينئذ.

٣-أن في هذا تشبيها لله ﷻ بالملك، ـ وإن لم تقصدوا التشبيه، وإنما قصدتم التقريب ـ، والله ﷻ ليس له نظير، بل هو العلي الأعلى، فكل من خاطبه الله؛ فإنما يخاطب من علو لا من سفل.

٤-أن النـزول ورد في القرآن الكريم مؤكدا بالمصدر الذي يفيد وقوع الفعل حقيقة لا مجازا[٢] كما في قوله ﷻ: ﴿ وَقُرْءَانًا فَرَقْنَٰهُ لِتَقْرَأَهُۥ عَلَى ٱلنَّاسِ عَلَىٰ مُكْثٍ وَنَزَّلْنَٰهُ تَنزِيلًا ﴾[الإسراء:١٠٦] وقوله ﷻ: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ تَنزِيلًا ﴾[الإنسان:٢٣].

٥-أن نزول القرآن وهبوطه من السماوات العلى بواسطة جبريل ﷺ إلى محمد ﷺ هو المعروف في لغة الشرع، وفي العرف، بل وفي اعتقاد المسلمين، وأما ما ادعيتم من أن ذلك يلزم منه الجسمية فهذا ادعاء لا دليل عليه، وإن أحدنا ينقل كلام الآخر، ولا يلزم أن يكون الكلام المنقول جسما وذاتا بنفسه، ثم إن الكلام عرض وليس ذاتا، والأعراض تقوم بذواتها، لا بنفسها، فكلام الله ﷻ قائم به، وسمعه جبريل ونقله إلى محمد ﷺ، ولا يلزم من ذلك مفارقة صفة الرب ﷻ عن ذاته[٣].

٦-قال الحافظ ابن حجر ﵀: «الكلام الثاني ـ أي كون نزول القرآن ليس كنـزول الأجسام ـ متفق عليه بين أهل السنة سلفا وخلفا، وأما الأول ـ أي كونه لا يراد به الإنزال المعروف، وإنما هو الإفهام ـ فهو على طريقة أهل التأويل، والمنقول عن

---

(١) انظر: المصباح المنير ص ٦٠٠.

(٢) انظر: تأويل مشكل القرآن ص ١١١.

(٣) مجموعة الرسائل الكبرى ١/ ٢١٣ وما بعدها.

السلف اتفاقهم على أن القرآن كلام الله غير مخلوق، تلقاه جبريل عن الله، وبلغه جبريل إلى محمد ﷺ، وبلغه إلى أمته»[(١)].

وبهذا يتبين ضلال قول المخالفين في نـزول القرآن الكريم، وأضل من هذا قول من زعم أن جبريل أخطأ في إنزال القرآن الكريم، وهذا ما أبينه في المبحث التالي.

(١) الفتح ١٣/ ٤٦٣.

المبحث الثاني: قول بعض الرافضة في نزول القرآن

العقيدة السلفية الراسخة هي أن القرآن الكريم كلام الرحمن الرحيم، أنزله الله ﷻ على سيد الأنبياء والمرسلين، نبينا محمد ﷺ بواسطة جبريل الأمين، وقد دلت الأدلة المتواترة على هذا[١].

وهناك فرقة من الروافض، وهي المشهورة بالغرابية تقول: بأن القرآن كان حقا خاصا لعلي!! رضي الله عنه، وأنه كان شبيها بالنبي ﷺ فلما نزل جبريل بالوحي، أخطأ فأعطى الوحي للنبي ﷺ.

وإنما سموا "غرابية" لا نسبةً إلى رجلٍ منهم، بل لقولهم: إن عليا كان أشبه بالنبي ﷺ من الغراب بالغراب!!، فغلط جبريل حين بعث إلى علي فنـزل بالوحي إلى محمد!!![٢].

ولهذا فإن الروافض يبغضون جبريل عليه السلام، كقول اليهود: هو عدونا من الملائكة، وكذلك الرافضة يقولون: غلط جبريل بالوحي على محمد ﷺ[٣]، ويسمون هؤلاء بالذمامية، لكونهم يذمون جبريل عليه السلام[٤]، بل ويقولون لأتباعهم: العنوا صاحب الريش، يعنون جبريل عليه السلام[٥].

---

(١) انظر: الأدلة على أن جبريل نزل بالقرآن على محمد ﷺ، في الفصل الثاني من الباب الأول، وانظر: الأدلة على اختصاص نبينا محمد ﷺ بالقرآن، في الفصل الخامس من الباب الأول.

(٢) انظر: المعارف لابن قتيبة ص٣٤٠، التبصير في الدين ص ١٢٨، اعتقادات فرق المسلمين والمشركين ص ٥٩.

(٣) انظر: منهاج السنة ١/ ٣٢،٢٧.

(٤) انظر: تلبيس إبليس ص ١٠٩.

(٥) انظر: الفرق بين الفرق ص ١٩٠-١٩١، التعريفات للجرجاني ص ١٦٢، وشرح المواقف ٨/ ٤١٩.

ثم منهم من ادعى أن عليا كان يُعلِّم النبيَّ ﷺ القرآن!!![(١)].

وذكر ابن الجوزي[(٢)] أن الغرابية تدعي شركة علي ﵁ في النبوة[(٣)]، وهذا إن صح فإنه لا تعارض بين هذا وبين كونهم قالوا: إن القرآن كان حقا له؛ لأن الروافض قوم بهت، يكتمون مذاهبهم فربما قالوا اليوم شيئا، وغدا آخر، وأيضا: لما علموا بأن فضاحة قولهم واضحة عدلوا إلى القول بالشركة ـ والله تعالى أعلم ـ.

قال البغدادي[(٤)] ﵀: «وكُفْرُ هذه الفرقة أكفر من كفر اليهود الذين قالوا لرسول الله ﷺ: من يأتيك بالوحي من الله تعالى؟ فقال: جبريل، فقالوا: إنا لا نحب جبريل!!؛ لأنه ينـزل بالعذاب، وقالوا: لو أتاك بالوحي ميكائيل الذي لا ينـزل إلا بالرحمة لآمنا بك، فاليهود ـ مع كفرهم بالنبي ﷺ ومع عداوتهم لجبريل ﵇ لا يلعنون جبريل، وإنما يزعمون: أنه من ملائكة العذاب دون الرحمة، والغرابية من الرافضة يلعنون جبريل ومحمدا ـ عليهما السلام ـ وقد قال الله تعالى: ﴿مَن كَانَ عَدُوًّا لِّلَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَىٰلَ فَإِنَّ ٱللَّهَ عَدُوٌّ لِّلْكَٰفِرِينَ﴾[البقرة:٩٨]، وفي هذا تحقيق اسم الكافر لبغض بعض الملائكة، ولا يجوز إدخال من سماهم الله كافرين في جملة فرق الإسلام»[(٥)].

ومن جملة المخالفين الباطنية الزاعمون بأن القرآن الكريم «قد أوحي حقيقة إلى سلمان الفارسي[(٦)]، وأنه كلامه!!، وأن محمدا ﷺ أخذه، وتلقاه عنه!!»[(٧)].

---

(١) انظر: المجموع ١٢/ ٤٥٥.

(٢) هو المفسر المحدث: عبد الرحمن بن علي بن محمد القرشي التيمي أبو الفرج ابن الجوزي الحنبلي، ولد ونشأ في بغداد، وله مؤلفات في شتى الفنون، ومنها: زاد المسير، وتلبيس إبليس، توفي سنة ٥٩٧هـ. انظر: معجم المؤلفين٥/ ١٥٧.

(٣) انظر: تلبيس إبليس ص ١٠٩.

(٤) هو المتكلم الأشعري: عبد القاهر بن طاهر بن محمد التميمي الشافعي، أبو منصور البغدادي، أصولي وأديب، وفقيه أريب، ولد ونشأ ببغداد، وسكن ودرس بنيسابور، من مؤلفاته: نهاية الأقدام، وأصول الدين، توفي سنة ٤٢٩هـ. انظر: السير١٧/ ٥٧٢.

(٥) الفرق بين الفرق ص ١٩١، وانظر: التبصير في الدين ص ١٢٨.

(٦) هو الصحابي الجليل: سلمان الفارسي ﵁، ويلقب بسلمان الخير، أبو عبد الله، سافر لطلب الدين الحق، فأوصله الله إلى صحبة خير الخلق، أول مشاهده الخندق، مات سنة ٣٤هـ. انظر: التقريب ص ١٦٨.

(٧) الحركات الإسلامية للخطيب ص٣٠٣.

فقول هؤلاء يلزم منه مفاسد شرعية مع كونه في نفسه كفرا، وهذه المفاسد هي:

١- أن الملائكة يخطئون، مع أن الله ﷻ قد أخبر بأن الملائكة معصومة بعصمة الله لهم.

٢-أن جبريل الأمين يكون خائنا!!، وهذا تكذيب للقرآن المبين، وتكذيب لرب العالمين.

٣-أن فيه اتهاما لرب العالمين، إذ كيف رأى جبريل يخطئ - على فرض أنه يخطئ - ثم لا يبين له الخطأ.

٤-أن فيه اتهاما للنبي ﷺ إذ كيف يأخذ ما ليس حقه، وفيه اتهام لعلي ؓ إذ كيف يسكت على هذا؟؟، وعلى كل حال فاللوازم الفاسدة لهذا القول كثيرة، والقائلون بهذا أكفر من اليهود الذين أقروا بنبوة محمد ﷺ ولم يكذبوه، ولكن قالوا: هو إلى العرب خاصة!!.

قال أبو محمد ابن حزم ؒ: « قد نص الله عز وجل على أن الملائكة متعبدون، قال تعالى: ﴿ لَّا يَعْصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴾[التحريم:٦]،... وقال تعالى: ﴿ وَقَالُواْ ٱتَّخَذَ ٱلرَّحْمَٰنُ وَلَدًا ۗ سُبْحَٰنَهُۥ ۚ بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ ﴿٢٦﴾ لَا يَسْبِقُونَهُۥ بِٱلْقَوْلِ وَهُم بِأَمْرِهِۦ يَعْمَلُونَ ﴿٢٧﴾ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرْتَضَىٰ وَهُم مِّنْ خَشْيَتِهِۦ مُشْفِقُونَ ﴾[الأنبياء:٢٦-٢٨]،... وقال تعالى: ﴿ وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ مِن دَآبَّةٍ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴿٤٩﴾ يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوْقِهِمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴾[النحل:٤٩-٥٠]،... قال أبو محمد: فنص الله تعالى على أنهم مأمورون...، مكرمون موعودون بإيصال الكرامة أبدا، مصروفون في كتاب الأعمال، وقبض الأرواح، وأداء الرسالة إلى الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، ...، وقوله تعالى: ﴿ إِنَّهُۥ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ﴿١٩﴾ ذِى قُوَّةٍ عِندَ ذِى ٱلْعَرْشِ مَكِينٍ ﴿٢٠﴾ مُّطَاعٍ ثَمَّ أَمِينٍ ﴾[التكوير:١٩-٢١]،... فأخبر ﷻ أن جبريل ؑ مطاع في السماوات، وأمين هنالك، فصح أن هنالك أوامر وتدابير، وأمانات وطاعة ومراتب، ونص تعالى على أنهم كلهم معصومون...، فنص تعالى على

أنهم كلهم لا يسأمون من العبادة، ولا يفترون من التسبيح والطاعة، لا ساعة، ولا وقتا، ولا يستحسرون من ذلك، وهذا خبر عن التأبيد لا يستحيل أبدا، ووجب أنهم متنعمون بذلك، مكرمون به، مفضلون بتلك الحال، وبالتذاذهم بذلك، ونص تعالى على أنهم كلهم معصومون، قد حقت لهم ولاية ربهم ﷻ أبدا، إلى الأبد بلا نهاية، فقال تعالى: ﴿ مَن كَانَ عَدُوًّا لِّلَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَجِبۡرِيلَ وَمِيكَىٰلَ فَإِنَّ ٱللَّهَ عَدُوٌّ لِّلۡكَٰفِرِينَ ﴾[البقرة:٩٨] فكفر تعالى من عادى أحدا منهم، فإن قال قائل: كيف لا يعصون، والله تعالى يقول: ﴿ وَمَن يَقُلۡ مِنۡهُمۡ إِنِّيٓ إِلَٰهٞ مِّن دُونِهِۦ فَذَٰلِكَ نَجۡزِيهِ جَهَنَّمَۚ كَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾[الأنبياء:٢٩] قلنا: نعم هم متوعدون على المعاصي،... وقد علم عز وجل أن... الملائكة لا يقول أحد منهم أبدا إني إله من دون الله...، وقد أعاذ الله عز وجل الملائكة من مثل هذه الصفة بما ذكرنا آنفا، أنهم لا يعصون الله، ويفعلون ما يؤمرون، وبإخباره تعالى أنهم لا يسأمون، ولا يفترون، ولا يستحسرون عن طاعته ﷻ، فوجب يقينا أنه ليس في الملائكة البتةَ عاصٍ، لا بعمد، ولا بخطأ، ولا بنسيان،... والملائكة رسل الله عز وجل بنص القرآن، والرسل معصومون»[(١)].

وبهذا يعلم ضلال وكفر هذه الطائفة الرافضية، وفساد قولها في الرسالة النبوية، وهذيانها في حق جبريل ذي الصفات الملكية، المعصومة عن الخطأ والزلل في تبليغ الرسالات السماوية.

ولما اختلف أهل البدع والأهواء في حقيقة القرآن الكريم، وفي نزوله من رب العالمين، اختلف بعد ذلك تعبدهم به لله ﷻ، وهذا ما أبينه في الفصل الآتي ـ إن شاء الله ﷻ ـ.

---

(١) الفصل في الملل والنحل لابن حزم ٣/ ٢٥٩-٢٦١ بتصرف.

الفصل الثالث

قول المخالفين في التعبد بالقرآن الكريم

وفيه مبحثان:

المبحث الأول: التعبد بمجرد القراءة.

المبحث الثاني: التعبد بالتبرك به.

المبحث الأول: التعبد بمجرد القراءة

بينت فيما سبق[(١)] أن السلف الصالحين، كانوا يتعبدون لله رب العالمين، بكلامه المنزل المبين، وبصور مختلفة كما أمرهم الرحمن الرحيم، كيف لا وهو كلام الله ﷻ، ومن صور تعبدهم بالقرآن الكريم: التعبد بقراءته، وملاحظة ما يرافق القراءة من الأحوال الموافقة للشريعة نصا، أو في العمومات معنى، إذ كانوا يرون أن قراءة القرآن عبادة فكانوا يأتون به على الوجه المشروع[(٢)].

وأما المخالفون للسلف الذين اختلفت أقوالهم في القرآن الكريم، وتباينت آراؤهم في حقيقته، وتشتت مذاهبهم في معرفته، فإنهم لم يتلذذوا بالعبادة به كما أمرهم رب العالمين، ولكن بحثوا عن أمور أخرى أرادوا بها التقرب إلى رب العالمين، وذلك لما وقع بينهم وبين القرآن من حجب، فهم وإن قرؤوا فقراءتهم مجردة عن موافقة الشرع، وليست قراءتهم للاستفادة من معانيه، أو التحاكم إلى مبانيه.

بل حال أهل البدع المخالفين للسلف كحال: «من يحلي المصحف، ولا يقرأ فيه، أو يقرأ فيه، ولا يتبعه، وبمنزلة من يزخرف المسجد، ولا يصلي فيه، أو يصلي فيه قليلا، أو بمنزلة من يتخذ المسابيح، والسجادات المزخرفة، وأمثال هذه الزخارف الظاهرة التي لم تشرع، ويصحبها من الرياء، والكبر،والاشتغال عن المشروع ما يفسد حال صاحبها»[(٣)].

---

(١) انظر: الفصل الثالث من الباب الأول.

(٢) انظر: المجموع ١٠/ ٣٩١.

(٣) اقتضاء الصراط المستقيم ١/ ٢٩٦، بتصرف يسير.

فمن غلب عليه حال، فهو يكون موصوفا به، وأهل الأهواء غلبت عليهم بدعهم، فأبعدتهم عن كتاب الله ﷻ، تعلما وتعليما، وتعبدا وتحكيما، فالعبرة في حال الإنسان بالغالب من حاله، ولهذا قال الإمام البخاري رحمه الله: «باب: ما يكره أن يكون الغالب على الإنسان الشعر حتى يصده عن ذكر الله، والعلم، والقرآن»[(١)]، فكيف إذا كان الغالب على الإنسان البدعة والهوى.

وأول أولئك الذين لهم قراءة للقرآن مشهودة، وتلاوة لآياته مسموعة، وإقامة لمبانيه وحروفه معلومة، هم الخوارج المخالفون للسلف الذين حذر منهم النبي ﷺ مع كثرة قراءتهم، وتلاوتهم؛ إذ كانت التلاوة تلاوة للحروف، ولم تكن تلاوة عمل بالمعاني، قال النبي ﷺ في حق الخوارج: [**إن هذا وأصحابه يقرؤون القرآن لا يجاوز حناجرهم، يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية**][(٢)]، وقال ﷺ: [**إن من ضئضئ**[(٣)] **هذا قوما يقرؤون القرآن، لا يجاوز حناجرهم، يقتلون أهل الإسلام، ويدعون أهل الأوثان، يمرقون من الإسلام كما يمرق السهم من الرمية؛ لئن أدركتهم لأقتلنهم قتل عاد**][(٤)]، وفي رواية: [**قوم يتلون كتاب الله، رطبا لا يجاوز حناجرهم...**][(٥)]، فهذا خبر النبي ﷺ فيهم أنهم يقرؤون القرآن، ويتلونه، ولكن هذه التلاوة لا تجاوز حناجرهم؛ فلا يعقلون معانيها، ولا يتدبرون مراميها، ولذلك تراهم يقتلون أهل الإسلام، ويثيرون القلاقل في أهل الإيمان باسم الإسلام، ويتركون

---

(١) انظر: صحيح البخاري مع الفتح ١٠/ ٥٦٤.

(٢) روى أصله البخاري، كتاب فرض الخمس، باب/ ومن الدليل على أن الخمس...، ح(٣١٣٨)، ومسلم واللفظ له، كتاب الزكاة، باب/ ذكر الخوارج وصفاتهم، ح(١٠٦٣) عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه.

(٣) الضئضئ: الأصل، يقال: ضئضئُ صدق، وحكى بعضهم: ضِئْضِيءٌ على وزن قنديل، والمعنى: أنه يخرج من نسله وعقبه، وروي (صئصئ) بالصاد المهملة، وهو بمعناه. انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر ٣/ ٦٩.

(٤) رواه البخاري، كتاب أحاديث الأنبياء، باب/٦، ح(٣٣٤٤)، ومسلم واللفظ له، كتاب الزكاة، باب/ ذكر الخوارج وصفاتهم، ح(١٠٦٤) عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه.

(٥) رواه البخاري، كتاب المغازي، باب/ بعث علي وخالد، ح(٤٣٥١)، ومسلم واللفظ له، كتاب الزكاة، باب/ ذكر الخوارج وصفاتهم،ح(١٠٦٤) عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه.

أهل الشرك والأوثان، وقد أخبر النبي ﷺ أن هذا سيما الخوارج حتى قيام الساعة، لا يفقهون في دين الله، وإن تلوا كتاب الله ﷻ، قال ﷺ: [**سيخرج في آخر الزمان قوم أحداث الأسنان، سفهاء الأحلام، يقولون من خير قول البرية، يقرؤون القرآن لا يجاوز حناجرهم...**][١]، بل أخبر النبي ﷺ أن قراءتنا ليست بشيء عند قراءتهم، لكثرة تلاوتهم، وشدة أخذهم على أنفسهم في تلاوة الحروف، والغفلة عن معرفة المعاني، قال ﷺ: [**يخرج قوم من أمتي يقرؤون القرآن، ليست قراءتكم عند قراءتهم بشيء، ولا صلاتكم عند صلاتهم بشيء، ولا صيامكم إلى صيامهم بشيء، يقرؤون القرآن، يحسبون أنه لهم، وهو عليهم...**][٢]، فالخوارج مخالفون للسلف حتى في قراءتهم لكتاب الله ﷻ إذ يقرؤون القرآن مجردا عن التدبر والخشية والعمل.

قال الترمذي رحمه الله: «وقد روي في غير هذا الحديث عن النبي ﷺ حيث وصف هؤلاء القوم الذين يقرؤون القرآن، لا يجاوز تراقيهم، يمرقون من الدين، كما يمرق السهم من الرمية؛ إنما هم الخوارج، والحرورية[٣]، وغيرهم من الخوارج»[٤].

ومما يؤكد عدم عمل الخوارج بالقرآن، وأن اهتمامهم بحروفه دون العمل به، ما ذكره أهل السير والتاريخ، من قصة عبد الله بن خباب بن الأرت[٥] رحمه الله حيث ورد أنّ الخوارج لقوا مسلما ونصرانيا؛ فأعفوا النصراني، وقالوا: احفظوا وصية نبيكم فيه!!، وقتلوا المسلم!!، ثم لقوا عبد الله بن خباب بن الأرت رحمه الله، ومعه المصحف؛ فقالوا: إن هذا المصحف يأمرنا بقتلك!!!، فوعظهم، وذكرهم، وحدثهم عن أبيه عن

(١) رواه البخاري، كتاب المناقب، باب/ كان النبي ﷺ تنام عيناه ولا تنام قلبه، ح(٣٦١١)، ومسلم واللفظ له، كتاب الزكاة، باب/ ذكر الخوارج وصفاتهم،ح(١٠٦٦) عن علي رضي الله عنه.

(٢) رواه مسلم، كتاب الزكاة، باب/ ذكر الخوارج وصفاتهم،ح(١٠٦٤) عن علي رضي الله عنه.

(٣) الحرورية نسبة إلى حروراء، وإليها كان انحياز الخوارج زمن علي رضي الله عنه، ونسبوا إلى ذلك المحل، ويكفرون بالكبيرة، ويتبرؤون من عثمان وعلي ومعاوية رضي الله عنهم. انظر: الملل والنحل للشهرستاني ص١١٥، معجم ألفاظ العقيدة ص١٣٩.

(٤) انظر: جامع الترمذي ٤/ ٤٨١.

(٥) هو التابعي الكبير: عبد الله بن خباب بن الأرت، حليف بني زهرة، يقال: إن له رؤية، قتله الحرورية سنة ٣٨هـ. انظر: التقريب ص٣٤٤.

رسول الله ﷺ، فلم يقبلوا... ثم ذبحوه، وقتلوا زوجته وبقروا بطنها وهي حامل(١).

وطائفة ـ تنتسب إلى زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب(٢) ـ من الرافضة الباطنية، ـ وهم غير الزيدية المعروفين ـ يذكر أن عندهم مصحفًا مذهَّبًا على ظهره أبيات شعر رُثي بها زيد، وهم يعبدون ذلك المصحف!!، وزيد عندهم ملك العرب، وعليّ بن أبي طالب رضي الله عنه عندهم إله العرب!!!(٣).

وتجد من المخالفين للسلف طائفة من الصوفية يطربون لسماع الأناشيد التي وضعها لهم أسلافهم، وأما القرآن الكريم فإنهم يجدون استثقالا عند سماعه وقراءته «لما اعتاضوا عنه بضده ونده، وإن ارتاحوا إلى سماعه، فللقدر المشترك الذي يكون بينه وبين سماعهم من الأصوات المطربة والألحان، ولهذا يرتاحون لذلك الشعر الكفري، والفسوقي، والزنائي، والمقصود: أن هذا السماع الشيطاني من أكبر الأسباب المضادة لأصول أولياء الله المقربين الثلاثة: الإخلاص، والمتابعة، والجهاد»(٤).

وذكر الذهبي(٥) رحمه الله في ترجمة أحد مشايخ الصوفية، أنه سمع أبياتا فبكى، ثم قال للمنشد: «يا أخي لا تلم أهل الري أن يسموني زنديقا!؟ أنا من بكرة أقرأ في المصحف ما خرجت من عيني دمعة، ووقع مني إذ غنيت ما رأيت»!!(٦).

---

(١) انظر: شذرات الذهب ١/ ٥١.

(٢) هو الهاشمي القرشي: زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب، أبو الحسين، كان ببغداد ثم توجه إلى الشام، وسكن المدينة، وخرج منها لقتال الأمويين بالكوفة سنة ١٢٠ هـ، وبايعه أهلها، وأرادوا منه أن يتبرأ من الشيخين فامتنع لأنهما وزيرا جده، فرفضوه، فسموا رافضة، ثم لما وقع القتال فر عنه شيعته من أهل الكوفة، فقتل رحمه الله، وإليه ينتسب الزيدية. انظر: السير ٥/ ٣٨٩.

(٣) انظر: معجم البلدان ٣/ ٤٤٢.

(٤) الكلام على مسألة السماع لابن القيم ص ٢٩٢، وانظر: البحث والاستقراء في بدع القراء لمحمد موسى نصر ص٣٤، وما بعدها.

(٥) هو الحافظ المحدث، والمؤرخ الناقد: محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز التركماني الدمشقي أبو عبد الله شمس الدين الذهبي الشافعي، ولد بدمشق ونشأ بها، وكان من خواص شيخ الإسلام، ألف التآليف النافعة للأنام، في جميع الفنون ومنها تواريخ الأيام، وذاع صيته بين الأنام، من مؤلفاته: تاريخ الإسلام، وسير أعلام النبلاء، وميزان الاعتدال، وغيرها، توفي سنة ٧٤٨هـ. انظر: الدرر الكامنة ٣/ ٣٣٧.

(٦) السير ١٤/ ٢٤٩.

بل إن منهم من قد يزعم أن سماع الأناشيد الصوفية، وترداد الأوراد البدعية، أفضل من سماع الآيات القرآنية، والأحاديث النبوية!!!، فيقول بعض المخالفين: «إنه أفضل لبعض الناس، أو للخاصة، من سماع القرآن من عدة وجوه!! حتى يجعلونه قوتا للقلوب، وغذاء للأرواح، وحاديا للنفوس، يحدوها إلى السير إلى الله، ويحثها على الإقبال عليه، ولهذا يوجد من اعتاده، واغتذى به، لا يحن إلى القرآن، ولا يفرح به، ولا يجد في سماع الآيات، كما يجد في سماع الأبيات، بل إذا سمعوا القرآن سمعوه بقلوب لاهية، وألسن لاغية، وإذا سمعوا المكاء والتصدية[1]، خشعت الأصوات، وسكنت الحركات، وأصغت القلوب، وتعاطت المشروب!!»[2].

ولما نشأ مثل هذا في الخلف أن قدموا أبياتهم، وأقوالهم، وأورادهم على سماع القرآن الكريم، أنكر الأئمة عليهم أشد النكير، قال الشافعي رحمه الله: «خلفت ببغداد شيئا أحدثته الزنادقة، يسمونه "التغبير"، يصدون به الناس عن القرآن»[3]، قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله عقب قول الشافعي رحمه الله: «وهذا من كمال معرفة الشافعي وعلمه بالدين؛ فإن القلب إذا تعود سماع القصائد، والأبيات، والْتذَّ بها؛ حصل له نفور عن سماع القرآن، والآيات؛ فيستغني بسماع الشيطان عن سماع الرحمن»[4].

فما ذكره الشافعي، كلام إمام خبير بأصول الإسلام؛ إذ أن هذا السماع المحدث لهذه الألحان الصوفية، لم يرغب فيه الشرع، بل لم يحدثه إلا من هو متهم بالزندقة في دينه كابن الراوندي، والفارابي، وابن سينا، وأمثالهم[5].

بل إن هؤلاء المخالفين أهل البدع إذا: «قصد أحدهم القبر الذي يعظمه، يبكي

---

(١) المكاء: الصفير، وهو ما يخرج من مكاء الطائر، والتصدية: كل صوت يجري مجرى الصدى. انظر: معاني القرآن للراغب ص ٢٨٢، ٤٧٣.

(٢) المجموع ١١/ ٥٦٨.

(٣) المجموع ١١/ ٥٦٩.

(٤) المجموع ١١/ ٥٣٢، وانظر: ١١/ ٢٩٧.

(٥) انظر: المجموع ١١/ ٥٧٠.

عنده، ويخضع، ويتضرع، ويدعو، ويحصل له من الرقة، والتواضع، والعبودية، وحضور القلب ما لا يحصل له مثله في الصلوات الخمس، والجمعة، وقيام الليل، وقراءة القرآن؛ فهل هذا الأمر إلا حال المشركين المبتدعين، لا الموحدين المخلصين المتبعين لكتاب الله تعالى، ورسوله.

ومثل هذا أنه إذا سمع أحدهم الأبيات يحصل له من الخضوع، والخشوع، والبكاء ما لا يحصل له مثله عند سماع آيات الله تعالى، فيخشع عند سماع المبتدعين المشركين، ولا يخشع عند سماع المخلصين المتقين، بل إذا سمعوا آيات الله تعالى اشتغلوا عنها، وكرهوها، واستهزؤوا بها، وبمن يقرؤها، مما يحصل لهم به أعظم نصيب من قوله تعالى: ﴿قُلْ أَبِاللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ وَرَسُولِهِۦ كُنتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ﴾[التوبة:٦٥].

وإذا سمعوا القرآن، سمعوه بقلوب لاهية، وألسنة لاغية، كأنهم صم وعمي، وإذا سمعوا الأبيات حضرت قلوبهم، وسكتت ألسنتهم، وسكنت حركاتهم، حتى لا يشرب العطشان منهم ماء»[(١)].

ومنهم طوائف لهم مخاريق جنية شيطانية، تحصل لهم عند سماعهم لأناشيدهم الصوفية، ووجدٍ تغيبهم عن حالتهم الإنسانية، ويدخل أحدهم النار، ويصعد في الهواء، ولا يحصل له أدنى خشوع عند الصلاة، ولا عند الذكر، و« لا عند قراءة القرآن؛ لأن هذه عبادات شرعية إيمانية، إسلامية، نبوية محمدية، تطرد الشياطين، وتلك عبادات بدعية شركية، شيطانية فلسفية، تجلب الشياطين»[(٢)].

وهذه الأناشيد الصوفية، ذات الأصوات الندية، والألحان الشذية، تصد الناس عن القرآن، وتصدهم عن الرحمن، قديما وحديثا، يقول الشيخ الألباني رحمه الله: «إن بعض الشباب المسلم بدأ يتغنى ببعض الأناشيد، السليمة المعنى، قاصدا بذلك معارضة غناء الصوفية، بمثل قصائد البوصيري وغيره، وسجل ذلك في شريط، فلم

(١) الرد على البكري ٢/ ٥٧٥-٦٧٦.
(٢) المجموع ١١/ ٥٧٥.

يلبث إلا قليلا حتى قرن معه الضرب على الدف، ثم استعملوه في أول الأمر في حفلات الأعراس، على أساس أن (الدف) جائز فيها[١]، ثم شاع الشريط، واستنسخت منه نسخ، وانتشر استعماله في كثير من البيوت، وصار ذلك سلواهم وهجّيراهم، وما ذلك إلا من غلبة الهوى، والجهل بمكائد الشيطان، فصرفهم عن الاهتمام بالقرآن، وسماعه فضلا عن دراسته، وصار عندهم مهجورا»[٢].

ومما ينبغي التنبه له، أن الأناشيد الصوفية التي كانت تسمى بمجالس الذكر!! ـ وهي مجالس الرقص ـ قد حذر منها العلماء الفضلاء، وبينوا بدعيتها ومضارها في دين الله، فبدؤوا يسمون أناشيدهم بغير اسمها، ويسمونها أناشيد إسلامية!!، وهل كان في الشرع أناشيد يتقرب بها إلى الله ﷻ، نعم من الدين الذب عن الإسلام بالشعر الذي ليس فيه الخنا، والشعر الذي ليس فيه صوت الدفوف والغناء، والشعر الذي ليس فيه أصوات تشبه أصوات المغنين.

أما هذه الأناشيد الموجودة اليوم في أسواق المسلمين مما رتب ترتيبا ملحنا: صوتا، وأداء، وتطريبا، فهذه تصد عن القرآن، فكم تجد شابا ـ مستقيما ـ يحفظ الأناشيد والأناشيد و...، ولا يحفظ إلا القليل من القرآن!!![٣].

قال ابن القيم رحمه الله:

تُلي الكتاب فأطرقوا لا خيفة ... لكنه إطراق ساه لاهي
وأُتي الغناء فكالذباب تراقصوا ... والله ما رقصوا لأجل الله
دف ومزمار ونغمة شاهدٍ ... فمتى رأيت عبادة بملاهي
ثقل الكتاب عليهم لما رأوا ... تقييده بأوامر ونواهي[٤].

---

(١) يعني للنساء خاصة.

(٢) القول المفيد في حكم الأناشيد لعصام المري ص ٢٨.

(٣) انظر: القول المفيد في حكم الأناشيد ص ٣١.

(٤) الكلام على مسألة السماع ص ٥٨، طبعة مكتبة السنة، تحقيق: ربيع خلف، والعجب من المحقق إذ غير

وأما استماع القرآن أو قراءته على ضرب الدفِّ، ونحوه فكفرٌ[١]؛ فكيف بمن يسجل ذلك من الخَلَف على أشرطة ويغنيه غناء!؟.

وتجد من المخالفين للسلف طائفة من أهل الكلام يطربون لعلومهم الكلامية، وفنونهم الجدلية، ولا يرفعون رأسا بكلام رب البرية، وإن استشهدوا ببعض آياته فذلك لكونها وافقت قواعدهم، أو لِلَيِّ أعناقها لتوافق مذاهبهم.

ويعتقدون بتكافؤ الأدلة ـ مع أن القرآن الكريم، فيه الشفاء من كل عي، والدواء لكل داء ـ، وأقوامٌ منهم «يجتهدون في قراءة القرآن، وحفظ حروفه، والإكثار من ختمه، ثم اعتقادُه فيه، ما قد بيناه[٢]: اجتهاد روغان كالخوارج»[٣].

فـ «كثير من الناس اتخذوا هواجس الأفكار، وسوانح الخواطر والآراء علما!!، ووضعوا فيها الكتب، وأنفقوا فيها الأنفاس، فضيعوا فيها الزمان، وملؤوا بها الصحف مدادا، والقلوب سوادا، حتى صرح كثير من الناس منهم: أنه ليس في القرآن والسنة علم، وأن أدلتها لفظية لا تفيد يقينا!!!، ولا علما!!، وصرخ الشيطان بهذه الكلمة فيهم، وأذن بها بين أظهرهم، حتى أسمعها دانيهم لقاصيهم، فانسلخت بها القلوب من العلم والإيمان، كانسلاخ الحية من قشرها، والثوب عن لابسه»[٤]، فهذا حال هؤلاء المتكلمين، ولا حول ولا قوة إلا بالله رب العالمين.

=

اسم الكتاب: فطبعه باسم: كشف الغطاء عن حكم سماع الغناء، وقد يسوغ له هذا؛ لأنه أضاف إليه بعض الفتاوى، ولكن ما كان ينبغي أن يكتب على غلاف الكتاب: تأليف ابن قيم الجوزية، خصوصا: أنه أثبت اسم الكتاب في المقدمة، وأن اسمه: الكلام على مسألة السماع.

(١) انظر: ألفاظ الكفر لبدر الرشيد الحنفي ص٢٧، ضمن الجامع في ألفاظ الكفر للشيخ د/ محمد الخميس، الإعلام بقواطع الإسلام لابن حجر الهيتمي ص٢٢٣، ضمن الجامع لألفاظ الكفر للشيخ د/ محمد الخميس، رسالة في ألفاظ الكفر لتاج الدين أبي المعالي مسعود بن أحمد الحنفي، ص ٤٤٣، ضمن الجامع لألفاظ الكفر، للشيخ د/ محمد الخميس.

(٢) انظر: الفصل الأول، من هذا الباب.

(٣) بيان تلبيس الجهمية ٢/ ٤٠٣.

(٤) الفوائد ص١٤٤.

والشرك والبدع تتسرّب إلى المسلمين إذا هجروا القرآن الكريم، والحديث النبوي الشريف، وتمسكوا بعادات الآباء والأجداد، وتقاليدهم[(١)].

وقد وقع المخالفون للسلف في أنواع هجر القرآن الكريم، وهي[(٢)]:

الأول: هجروا سماعه، فتراهم لا يسمعون إن انتسبوا إلى الدين إلا إلى الأناشيد الصوفية، والترانيم الصوتية، والحداء الذي هو شبيه بالتغبير، الصاد عن ذكر الله، ومنهم من لا يسمع إلا الأغاني، والموسيقى!!.

الثاني: هجروا العمل به، وتنفيذ أوامره، والانتهاء عن نواهيه.

الثالث: هجروا تحكيمه، والمحاكمة إليه؛ فهم يتحاكمون إلى البراهين العقلية!!، دون الدلائل النقلية! لأنها عندهم لا تفيد ألفاظها اليقين!!، ولا يحصل بها العلم!!، فبعضهم لا يحكمه في العقائد، وبعضهم لا يحكمه في الشرائع، وإنما يتحاكم إلى القوانين الوضعية، والتقاليد والعادات الموروثة البشرية، وزبالات الأفكار الإنسانية.

الرابع: هجروا تدبره، وفهمه، ومعرفة مراد الله ﷻ المتكلم به.

الخامس: هجر الاستشفاء، والتداوي به، ومنهم من قد يستشفي به، لكن على طريقة بدعية، كتعليق التمائم المخلوطة بالألفاظ الشركية، أو كتابتها بشيء من النجاسات!!.

وكل هذا داخل تحت عموم قوله تعالى: ﴿وَقَالَ ٱلرَّسُولُ يَٰرَبِّ إِنَّ قَوۡمِي ٱتَّخَذُواْ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانَ مَهۡجُورٗا﴾[الفرقان:٣٠] فهذه الآية في سورة الفرقان فارقة بين السلف الصالحين، وتمسكهم بالقرآن، وبين المخالفين الهاجرين للقرآن، ومن كان فيه خصلة من الهجر، كان على قدر ذلك محروما.

وذكر ابن القيم رحمه الله **مبينا حال المخالفين للسلف بطوائفهم المختلفة**، وما

---

(١) انظر: رسالة التوحيد للعلامة إسماعيل بن عبد الغني الدهلوي ص٦٢.

(٢) انظر: الفوائد لابن القيم ص١١٢، تفسير القرآن العظيم لابن كثير ٣/ ٣١٧، سبعون فتوى في احترام القرآن لعلي أبي لوز ص١٦.

يجدونه من الحرج تجاه القرآن الكريم فيقول: « **فإنه تارة يكون حرِجا** من إنزاله، وكونه حقا من عند الله، **وتارة** يكون من جهة المتكلم به...، **وتارة** يكون من جهة كفايته، وعدمها، وأنه لا يكفي العباد، بل هم محتاجون معه إلى المعقولات!!، والأقيسة، أو الآراء، أو السياسات!!، **وتارة** يكون من جهة دلالته، وما أريد به حقائقه المفهومة منه عند الخطاب، أو أريد به تأويلها، وإخراجها عن حقائقها إلى تأويلات مستكرهة مشتركة، **وتارة** يكون من جهة كون تلك الحقائق وإن كانت مرادة، فهي ثابتة في نفس الأمر، أو أوهم أنها مرادة لضرب من المصلحة!!.

فكل هؤلاء في صدورهم حرج من القرآن، وهم يعلمون ذلك من نفوسهم، ويجدونه في صدورهم، ولا تجد مبتدعا في دينه قط إلا وفي قلبه حرج من الآيات التي تحول بينه وبين إرادته »[(١)].

ومما يؤكد هذا الحرج الذي يجده بعض أهل البدع من القرآن الكريم، ما يجده بعضهم من الحرج من قراءة سورة "المسد"، ويزعم أن النبي ﷺ، يحزن ويغتم من قراءتها!![(٢)] وكل طائفة من المخالفين تجد حرجا من الأدلة والآيات التي تخالف مذهبها، وتنقض مضاجعها[(٣)].

فإذا كانت العقيدة البدعية راسخة في قلوب أهلها، فكيف يستجيبون للقرآن الكريم بالعمل، أو باتخاذه حجة، أو بالتداوي به، أو بالتدبر فيه، وهم يعتقدون أنه تخييل أو تجهيل!!، كما هو عقيدة الفلاسفة من المخالفين للسلف[(٤)].

---

(١) الفوائد ص١١٢-١١٣.

(٢) انظر: السنن والمبتدعات للشقيري ص٢١٤.

(٣) قال الشيخ ابن باز رحمه الله في إجابة على سائلة تقول: إن أختها نهتها عن قراءة سورة المسد، بحجة أن ذلك يؤذي النبي ﷺ، فقال الشيخ: « لا حرج في قراءة سورة تبت كغيرها من السور؛ فهي من جملة سور القرآن الكريم، وفيها بيان حال أبي لهب، وما حكم الله عليه من الخسران، ودخول جهنم، هو وزوجته، لكفرهما بالله، وإيذائهما رسول الله ﷺ، والله ﷻ يقول في كتابه الكريم: ﴿ فَٱقْرَءُواْ مَا تَيَسَّرَ مِنْهُ ﴾[المزمل:٢٠] ...، والخلاصة أن الصواب معك أيتها السائلة، أما أختك فقد غلطت، وعليها التوبة إلى الله سبحانه، من قولها، وإنكارها؛ لأنها قالت قولا باطلا، وقالت على الله بغير علم» (فتاوى وتنبيهات ص٥١٤).

(٤) انظر: الدرء ٥/ ١٦-١٧.

ويكون في المخالفين للسلف من يحفظ القرآن، ولكن حفظه إنما هو حفظ للحروف، دون تفقه في المعاني والأحكام[١].

وقد يكون من المخالفين للسلف من يخشع للقرآن، ويخضع، بل ويميل إليه في الاتّباع، ولو خالفت ما قعَّده من الابتداع، وذلك لما فيه من خصال الخير، وميل إلى السنة، أو في حال قربه إلى السنة، دون حال قربه إلى البدعة.

والمخالفون للسلف لهم قراءات للقرآن الكريم، ولكنها لا توافق ما شرعه رب العالمين، ولا ما جاء به محمد ﷺ خاتم النبيين، وأذكر بعض الصور التي بها يتقربون في قراءاتهم بالقرآن الكريم، دون موافقة للشرع الكريم، وهذه الصور كثيرة غير متناهية، لكون باب البدعة الحسنة مفتوحةً عند القوم!![٢]، ولكن أذكر بعض ما يدل على استيعاضهم عن الطرق الشرعية، ويدل على قراءاتهم البدعية، ومنها:

١ - قراءة السور منكسة، أو الآيات منكسة، وهذا «متفق على منعه، وذمه؛ لأنه يذهب بعض الإعجاز، ويزيل حكمة الترتيب»[٣]،«ومن الناس من يتعاطى هذا ـ أي تنكيس الآيات ـ في القرآن والشعر، ليذلل لسانه بذلك!!، ويقدر على الحفظ، وهذا حظره الله، ومنعه في القرآن؛ لأنه إفساد لسوره، ومخالفة لما قصد بها»[٤]، واستثنى السلف القراءة من السور القصار للصغار[٥]، ولو كانت على غير الترتيب المشهور في الأمصار، رغبة التحفيظ والتكرار، لا التعبد بالتنكيس كما يفعله الفجار[٦].

٢- قراءة القرآن بصورة جماعية، كما يقرؤون الأناشيد الصوفية، والعجب أن بعضهم يستحبها[٧]، مع أنها لم ترد عن سيد البشرية، ولا عن الصحابة خير البرية،

---

(١) انظر: الحوادث والبدع للطرطوشي ص ٩٦-١٠١.

(٢) وتقسيم المبتدعات إلى بدعة حسنة وسيئة، في حد ذاتها بدعة، بل البدع في الدين كلها سيئة، ويجب إنكارها بقوة وحمية. انظر: المجموع ١/ ١٦٢، مؤلفات الشيخ محمد بن عبدالوهاب ١/ ٢٣٤.

(٣) المجموع للنووي ٢/ ١٨٩، التبيان للنووي ص ١٠٠.

(٤) الجامع لأحكام القرآن ١/ ٤٤.

(٥) انظر: التبيان للنووي ص ١٠٠.

(٦) انظر: الحوادث والبدع للطرطوشي ص ١٥٥.

(٧) انظر: المجموع ٢/ ١٨٩.

وإنما هي من البدع الغوية، ولو كان خيرا لسبقنا إليها السلف الصالح، فهم إلى كل خير سباقون، وعن كل شر مبتعدون، وقد: «أنكر عبد الرحمن بن عَرْزَب[١] رحمه الله هذه القراءة الجماعية، وقال: ما رأيت، ولا سمعت، وقد أدركتُ أصحاب رسول الله ﷺ»[٢]،«يعني ما رأيت أحدا فعلها»[٣]، وقيل للإمام مالك رحمه الله: «أرأيت القوم يجتمعون؛ فيقرؤون جميعا سورة واحدة، حتى يختموها؟ فأنكر ذلك وعابه، وقال: ليس هكذا كان يصنع الناس، إنما كان يقرأ الرجل على الآخر يعرضُه»[٤]، وسئل الإمام أحمد رحمه الله: «عن قوم يجتمعون فيُدعون، ويقرؤون القرآن، ويذكرون الله، فما ترى فيهم؟! فقال: يقرأ في المصحف، ويذكر الله في نفسه، ويطلب حديث رسول الله ﷺ، قال له السائل: فأخ لي يعمل هذا، فأنهاه، قال: نعم، قلت: فإن لم يقبل، قال: بلى إن شاء الله؛ فإن هذا محدث، الاجتماع والذي تصف»[٥]، وقد يستدلون[٦] بما روي عن النبي ﷺ أنه قال: «ما اجتمع قوم في بيت من بيوت الله تعالى، يتلون كتاب الله تعالى، ويتدارسونه بينهم، إلا نزلت عليهم السكينة، وغشيتهم الرحمة، وحفتهم الملائكة، وذكرهم الله فيمن عنده»، **فالجواب عن هذا من وجوه؛ الأول**: أن الحديث فيه النص على التلاوة، ولا يمكن التلاوة مع خلط الأصوات، واختلاف النغمات. **الثاني**: أن المراد بالاجتماع أن يجتمع على شيخ، أو على قارئ، والاستماع إليه، هذا سنة، وهذا هو المراد[٧]، ويؤكد هذا المراد الوجه **الثالث**: أنه قد جاء تفسير هذا الاجتماع والمراد به؛ فلا ينبغي أن نقدم أفهامنا على تفسير النص للنص، [**خرج النبي ﷺ على**

---

(١) هو: عبد الرحمن بن عرزب (بتقديم المهملة على المعجمة)، الأشعري قبيلة، تابعي، أخرج له ابن ماجة. انظر: التقريب ص ٢٨٨.

(٢) ذكره النووي عن ابن أبي داود، ولم أجده في كتابه المصاحف، انظر: التبيان ص ١٠٣.

(٣) التبيان للنووي ص ١٠٣، ثم أولَّها!!.

(٤) التبيان للنووي ص ١٠٤، ثم ادعى النووي أن هذا القول مخالف لعمل السلف!! مع أن الإمام مالكًا رحمه الله يحكي أن ذلك لم يرد عن السلف.

(٥) طبقات الحنابلة لابن أبي يعلى ١/ ٢٣٩.

(٦) كما استدل به النووي رحمه الله في التبيان على القراءة الجماعية!!، ص ١٠٢.

(٧) انظر: المجموع ١١/ ٥٨.

حلقة من أصحابه، فقال: ما أجلسكم؟ قالوا: جلسنا نذكر الله تعالى، ونحمده على ما هدانا للإسلام، ومن به علينا، قال: آلله ما أجلسكم إلا ذاك؟ قالوا: والله ما أجلسنا إلا ذاك، قال: أما إني لم أستحلفكم تهمة لكم، ولكنه أتاني جبريل فأخبرني أن الله تعالى يباهي بكم الملائكة](١). فهذا النص يؤكد أن القارئ والمتكلم كان واحدا منهم، لا أنهم كانوا يقرؤون بصورة جماعية، وبصوت جماعي، ويعضد هذا فهم السلف الصالح، فكان عمر ﷺ يقول لأبي موسى ﷺ: **[يا أبا موسى! ذكرنا ربنا، فيقرأ، وهم يستمعون]**(٢). **الرابع**: أن المراد بذكر الله ﷻ أعم مما فهمه المخالفون للسلف؛ فإن ذكر الله يدخل فيه العلم، وحلقات العلم، ولو جعل هذا الحديث في فضل حلق العلم لكان أولى(٣)، والتلاوة مطلقة يراد بها ما يتلى من الآيات لتبيّن معانيها، ولتفسر مراميها، وتطلق على ما يكون من تعلم التلاوة بعد الاستماع من القارئ، لا ما يكون من القراءة الجماعية(٤).

٣- قراءتهم القرآن بالإدارة، وهي أن يقرأ واحد شيئا من القرآن، ثم يكمل الآخر، وهكذا، فهذا ذكره النووي ﷺ، وقال: «لا بأس به»(٥)، ولم يثبت فيه عن السلف شيء، وكرهه طوائف من أهل العلم(٦)، أي إذا كان على سبيل ختم القرآن، أما إذا كان ذلك من المعلم كأن يقرأ الطالب الأول شيئا، ثم يبدأ الثاني وهكذا، فالأظهر أنه لا بأس به.

٤- من القراءات البدعية ما تكون في الأماكن المستقذرة شرعا وعرفا،

---

(١) رواه مسلم؛ كتاب الذكر والدعاء، ح(٢٧٠١)، عن معاوية ﷺ.

(٢) روى الأثر الإمام عبد الرزاق في مصنفه ٢/ ٤٨٦ ح(٤١٧٩)، والدارمي في سننه ٢/ ٣٤٧ ح(٣٤٩٣)، وانظر: المجموع ٣/ ٤٢٦، ١١/ ٥٨.

(٣) وبهذا تعلم أن تبويب النووي له بباب: فضل الاجتماع على تلاوة القرآن هو الصواب، لا ما فهمه هو في التبيان من القراءة الجماعية؛ فإن هذه لا تعرف عن السلف، بل هي مشهورة في الخلف.

(٤) انظر: الحوادث والبدع للشقيري ص ١٥٢، البحث والاستقراء في بدع القراء لمحمد موسى نصر ص ٣٨.

(٥) التبيان ص ١٠٤، وانظر: المجموع له ٢/ ١٨٩.

(٦) انظر: مختصر الفتاوى المصرية ص٣٩٣، الحوادث والبدع للطرطوشي ص٩٥، ١٦١، الاعتصام للشاطبي ٢/ ٢٧، ٣١.

كالقراءة في الحمامات والخلاء، ونحوه[١]، فإن ذا لا يليق بكتاب الله، وكلامه، ونحو هذا ما يفعله بعض الخلف من قراءة للقرآن بالأسواق، والطرقات؛ فإن هذه للتآكل بالقرآن[٢]، وفيه ابتذال القرآن، ولا يصغي إليه أحد، فلا يجوز[٣]، و« كثير من أقوال وأفعال يخرج مخرج الطاعات عند العامة، وهي مآثم عند العلماء، مثل القراءة في الأسواق»[٤]، وقال القرطبي رحمه الله: «ولا يقرأ في الأسواق، ولا في مواطن اللغط واللغو، ومجمع السفهاء»[٥]، والتآكل بالقرآن في أي مكان لا يجوز، قال ﷺ: [**اقرؤوا القرآن، واعملوا به، ولا تجفوا عنه، ولا تغلوا فيه، ولا تأكلوا به، ولا تستكثروا به**][٦]. فكيف إذا ضُمَّ إلى ذلك أن كان في مكان غير سائغ فيه القراءة شرعا؟؟.

٥- «ومن البدع المنكرة في القراءة، ما يفعله جهلة المصلين بالناس في التراويح من قراءة سورة الأنعام، في الركعة الأخيرة في الليلة السابعة، معتقدين أنها مستحبة!!، فَيَجْمَعُونَ أمورًا منكرةً: منها اعتقادها مستحبة. ومنها: إيهام العوامِّ ذلك. ومنها: تطويل الركعة الثانية على الأولى، وإنما السنة تطويل الأولى على الثانية. ومنها: التطويل على المأمومين»[٧].

٦- من البدع قراءة آية فيها سجدة في صبح يوم الجمعة غير سجدة التنـزيل، قاصدا ذلك، والسنة قراءة "تنزيل السجدة" في الأولى، و"هل أتى" في

---

(١) انظر: التبيان للنووي ص١١٤، شرح العمدة ١/ ٤٠٧.

(٢) انظر: كشاف القناع ١/ ٤٣٣، الفواكه الدواني ٢/ ٣٣٦، البحث والاستقراء في بدع القراء لمحمد موسى نصر ص١١.

(٣) انظر: فضائل القرآن لأبي عبيد ص١٠٥-١٠٩، مختصر الفتاوى المصرية ص٢١١، معارج القبول ٢/ ٦٢٩، السنن والمبتدعات للشقيري ص٢١٥، بدع القراء لبكر أبي زيد ص٢٥، بدع المقابر والجنائز لعلي الطهطاوي ص٢٨٠-٢٨٢.

(٤) كشاف القناع١/ ٤٣٣ نقلا عن حنبل.

(٥) الجامع لأحكام القرآن ١/ ٢٤.

(٦) رواه الإمام أحمد في مسنده، ح(١٥٦١٤)، وغيره، عن عبد الرحمن بن شبل رضي الله عنه، وقال الألباني: «صحيح»، كما في صحيح الجامع(١١٧٩).

(٧) التبيان للنووي ص ١١٥، وانظر: مجموع الفتاوى لابن تيمية ٢٣/ ١٢١.

الثانية[١]، وقريب من هذا ما يفعله بعضهم من قراءة السجدة من سورة السجدة صبيحة الجمعة، ولا يختم السورة!!.

٧- قراءة قارئ القرآن يوم الجمعة قبل خروج الخطيب والناس يستمعون إليه؛ أو قراءة سورة الكهف على المصلين وهم منتظرون الخطيبَ[٢]؛ فإن هذه بدعة شنيعة، لا يجوز العمل بها؛ وإن تواتر الناس عليها[٣].

٨- قراءة الفاتحة عند عقد الزواج، أو بعد الانتهاء منه، أو حين إظهار القبول والإيجاب، فهذه كلها بدعة منكرة، يجب الابتعاد عنها؛ خصوصا أن القُرَب سبيلها الاتباع لا الابتداع[٤].

٩- ومن ذلك أنهم يستأجرون من يقرأ لموتاهم القرآن، ويهدون ثواب تلك القراءة لموتاهم،[٥]، فهذا: «ليس بمشروع، ولا استحبه أحد من العلماء»[٦]، بل إن القاعدة هي: أنه لا يجوز الاستئجار على الطاعات[٧][٨].

---

(١) انظر: التبيان للنووي ص١١٥.

(٢) انظر: معيد النعم ومبيد النقم للسبكي ص١١٠.

(٣) انظر: الإبداع في مضار الابتداع لعلي محفوظ ص١٧٧، السنن والمبتدعات للشقيري ص١٧، ٤٩، بدع القراء لبكر أبي زيد ص٢٠، من فتاوى الأئمة الأعلام حول القرآن جمع عبد الكريم الدرويش ص١٧٨-١٨١.

(٤) انظر: السنن والمبتدعات للشقيري ص ٢١٧.

(٥) ووضع المخالفون للسلف في ذلك أحاديث، وأوردوا ما لا يصح، انظر: المبحث الثاني من هذا الفصل.

(٦) المجموع ٢٤/ ٣٠٠، و انظر: حاشية ابن عابدين ٤/ ١١.

(٧) انظر: حاشية ابن عابدين ٤/ ١٨.

(٨) **وأما قراءة القرآن للأموات، وإهداء ثوابها لهم، فهذا محل نزاع بين أهل العلم، ولتحرير محل النزاع أقول**: إن العلماء - رحمهم الله - اتفقوا على أن قراءة القرآن للميت على وجه الإجارة لا تصح، ولا يصل ثوابها إليه، وأنه لا يشرع قراءة شيء من القرآن على القبور، وأجمعوا على أنه لو قرئ القرآن ثم دُعي للموتى أن ذلك الدعاء يصل إليهم؛ لأنه من باب الدعاء، واختلفوا في وصول ثواب القراءة نفسها إذا كانت تطوعا من غير مقابل، على قولين مشهورين:

القول الأول: أنه لا يصل إلى الميت ثواب القراءة، وهذا عليه الأكثرون، وهو المذهب عند المالكية والشافعية، وقول عند الحنفية، وعليه أكثر أصحاب مالك والشافعي - رحمهم الله -، وقول لشيخ

....

=

الإسلام ابن تيمية، واستدلوا بما يأتي:

وأما قراءة القرآن للأموات، وإهداء ثوابها لهم، فهذا محل نزاع بين أهل العلم، ولتحرير محل النزاع أقول:
إن العلماء ـ رحمهم الله ـ اتفقوا على أن قراءة القرآن للميت على وجه الإجارة لا تصح، ولا يصل ثوابها إليه، وأنه لا يشرع قراءة شيء من القرآن على القبور، وأجمعوا على أنه لو قرئ القرآن ثم دُعي للموتى أن ذلك الدعاء يصل إليهم؛ لأنه من باب الدعاء، واختلفوا في وصول ثواب القراءة نفسها إذا كانت تطوعا من غير مقابل، على قولين مشهورين:

القول الأول: أنه لا يصل إلى الميت ثواب القراءة، وهذا عليه الأكثرون، وهو المذهب عند المالكية والشافعية، وقول عند الحنفية، وعليه أكثر أصحاب مالك والشافعي ـ رحمهم الله ـ، وقول لشيخ الإسلام ابن تيمية، واستدلوا بما يأتي:

١ - أن القراءة للأموات وإهداء ثوابها لهم، لم تثبت لا في آية ولا في حديث صحيح، ولا أثر عن صحابي بسند معتبر، وسبيل القرب التوقيف لا القياس والاجتهاد، والسلف « لم يكن لهم أوقاف على من يقرأ، ويهدي إلى الموتى، ولا كانوا يعرفون ذلك البتة...» (الروح لابن القيم ص١٩٢)، قال الدردير من المالكية: « وكره قراءة شيء من القرآن عند الموت، وبعده، وعلى القبور؛ لأنه ليس من عمل السلف؛ وإنما كان من شأنهم الدعاء بالمغفرة، والرحمة، والاتعاظ » (الشرح الصغير١/ ١٨)، قال شيخ الإسلام ابن تيمية ﷺ: « ولم يكن من عادة السلف؛ إذا صلوا تطوعا، أو صاموا تطوعا، أو صاموا تطوعا، أو حجوا تطوعا، أو قرؤوا القرآن يهدون ثواب ذلك إلى موتى المسلمين؛ فلا ينبغي العدول عن طريق السلف » .

٢ -أن القراءة عمل بدني، لو صح وصول ثوابها إليه لصحت الصلاة عن الغير.

٣ -أنه دل عموم القرآن على أن الإنسان ينتفع بعمل نفسه، لا بعمل غيره، كما في قوله ﷻ : ﴿ وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَٰنِ إِلَّا مَا سَعَىٰ ﴾ [النجم:٣٩]، وهذا العموم لا يخصص إلا فيما ورد به نص، وكذلك قوله ﷻ: ﴿ فَٱلْيَوْمَ لَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔا وَلَا تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾[يس:٥٤].

٤ -أن النبي ﷺ لما بين في أكثر من حديث الذي يصل إلى الميت لم يذكر قراءة القرآن.

٥ -أن قراءة القرآن أسهل على النفس من الصدقة فلو كانت مشروعة لأرشد إليه ﷺ، خصوصا أن كثيرا من أهل الميّت لا يملك المال، ويستطيع أن يقرأ لميته، فلما لم يرشد إلى ذلك دل أنه غير مشروع.

٦ -أرشد النبي ﷺ إلى الصلاة على الجنازة، والدعاء له، ولم يأت لا في حديث صحيح ولا ضعيف قراءة القرآن للميت، لا على قبره، ولا في غير ذلك.

٧ -أن هذا لو كان مشروعا لنقل كما نقل سائر الشريعة.

٨ -أنه ﷺ أرشد إلى الدعاء للميت ولم يرشد إلى إهداء ثواب القراءة له، فدل ذلك على افتراقهما.

٩ -أن الإهداء إنما يكون لشيء يملكه الإنسان كالصدقة في المال، أما ثواب القراءة فلا يملكه الإنسان، بل ولا يدري هل قبلت منه القراءة، أم لا؟، وهذا أمر غيبي فكيف يهديه؟؟.

١٠ - أن إهداء الثواب فيه جواز الإيثار في القرب، ومعلوم أن السلف كرهوا الإيثار في القرب.

=

....

=

١١- أن هذا لو جاز لجاز إهداء ثواب الطاعات للأحياء، وهذه مفسدة كبيرة، فإن أرباب الجاه والأموال إذا فهموا ذلك، واستشعروه، وكلوا من يفعل ذلك عنهم، فتصير الطاعات معاوضات، وذلك يفضي إلى إسقاط العبادات.

القول الثاني: أن ثواب القراءة يصل إلى الميت مادام بالمجان، وهذا قد استحبه بعض أصحاب أحمد وأبي حنيفة، وهو قول لشيخ الإسلام ابن تيمية، وانتصر له ابن القيم في الروح، واستدل هؤلاء بما يأتي:

١- أن الثواب ملك له، وله أن يهدي كما يهدي ماله!!. والجواب عن هذا: أن المال ملك حقيقي ثابت، وأما الثواب فهو ملك مأمول غير ثابت تملكه له، فلا يسوى بينهما.

٢- قالوا: ثبتت النيابة في عبادات غير مالية كالصوم، ولم يأت دليل على منع إهداء ثواب القراءة، فدل ذلك على جواز إهداءه كالصوم. والجواب عن هذا: أن الصوم جاء في الفرض، والنزاع في النفل معلوم بين السلف، ثم القياس في العبادت لا يصح، وأيضا إنّ الأصل في العبادات المنع حتى يأتي دليل على فعلها ومشروعيتها.

٣-قالوا: قد ثبت وصول ثواب الصوم والحج والدعاء والاستغفار، ولا خاصية تمنع من وصول ثواب القراءة!!. والجواب: أن الخاصية هي: عدم الورود، وتسوية ما ورد بما فهم من النص لا يليق؛ لأن الأول شرع، والثاني مفهوم من الشرع قد يكون صوابا وقد يكون خطأً، ومعلوم أن الشرع لا يصح فيه القياس في العبادات، والأصل في العبادات وما يتقرب بها إلى الله ﷻ التوقيف، وهذا هو الفارق.

٤-لم يثبت عن واحد من السلف أنهم قالوا: اللهم ثواب هذا الصوم لفلان؛ لأنهم كانوا يكتمون أعمالهم، فكذلك القراءة لم تثبت عنهم لهذه العلة. والجواب: أن هذا غير سائغ إذ الصوم ثبت في السنة فلا حاجة إلى ثبوته عن السلف ـ لو قلنا بجواز وصول ثواب الصوم مطلقا ـ، وأما القراءة فلم تثبت في السنة؛ فلذلك قلنا: هل قال بقولكم أحد من السلف؟؟ فقلتم: لا، فدل ذلك على أنه لم يصح، وأما أنهم كانوا يكتمون فهذا يستقيم لو جاءنا عن علماء السلف ما يدل عليه، ولو في باب التعليم، أما إنه لم يثبت ذلك لا تعليما، ولا نقلا للحال، فكيف يقال: إنه لم ينقل، وأيضا: إذا قيل بأنه لم ينقل لأنه خفي، لصحّت دعوى كل مدع أن هذا فعله السلف ولم ينقل!!. وأيضا: نُقِل الدعاء والاستغفار، والحج والصدقة، فلم لم ينقل ثواب القراءة، أيظهرون بعضا ويخفون بعضا؟؟.

٥-قالوا: لم يُرِدِ النبي ﷺ بإعلامهم أن الصوم والصدقة والحج تصل إلى الميت الاقتصار والحصر، وإنما أجاب على أسئلتهم الواقعة؛ فخرج منه ذلك مخرج الجواب. والجواب: أن هذا من أضعف ما يحتجون به، إذ النبي ﷺ سئل عن ماء البحر، فأجابهم وزاد لعلمه بحاجتهم إلى ذلك، فكيف يعلمهم بما يصح عن الأموات مما فيه مشاق على النفس كالصدقة، ولا يعلمهم ما هو يسير على الإنسان؟؟، وميسر لكل إنسان كالقراءة؟؟، ثم أيضا جاء الحصر في بعض ألفاظ الأحاديث، فدعوى العموم يحتاج إلى دليل.

وبهذا يتبين ـ للمنصف ـ أن إهداء ثواب قراءة القرآن للأموات لا يصح، لا عن النبي ﷺ، ولا عن الصحابة ﵃، ولا عن السلف؛ والخير كل الخير في اتباع من سلف، ولا يغتر الإنسان بالقائلين، وعليه الاهتمام بالمنقول والتثبت في الناقلين. انظر: مختصر الفتاوى المصرية ص٣٩٣، الإقتضاء٢/ ٧٤١-٧٤٤، المجموع ٢/ ١٤٣، ٢٤/ ٣٠٠، ٣٠٩، ٣١٣، ٣٦٦، ٣١/ ٤١، الروح لابن القيم ص١٥٩-

=

١٠- القراءة الملحنة التي تطرب النفوس، وتخرجها عن التأمل في المعنى، والاستماع للصوت الظاهر في المبنى، الذي يقارب أصوات النغمات، ويكون كأصوات المغنين والمغنيات، فهذا هو التلحين، وهو الذي كره السلف ـ رحمهم الله ـ(١)، قال ابن قتيبة ﷺ: «وكان القراء... يدخلون في القراءة من ألحان الغناء، والحداء، والرهبانية: فمنهم من كان يدس الشيء من ذلك دسا رقيقا، ومنهم من كان يجهر بذلك حتى يسلخه»(٢)، ومن علامات التلحين أنه يلهي القلب عن التأمل في معاني الآيات، ويتمايل الجسم مع النغمات، حتى إن بعض المستمعين للقراءات الملحنة لتأتيه النشوة، فيدعو للشيخ بالزيادة، ويقول: زادك الله يا شيخ!! مع أنه كان يقرأ آية فيها ذكر العذاب، وذلك لعدم التأمل في الآيات(٣)، فالمخالفون للسلف ـ حتى في حالة استماعهم للقرآن الكريم ـ يفعلون أفعالا بعيدة عن السنة، مبتدعة في الشريعة، ومن ذلك قول بعضهم ـ والقارئ يقرأ ـ ألله!! ألله!! ونحو ذلك من الألفاظ التي تنبئك عن اهتمامهم بالأصوات، لا المعاني الدالة عليها الآيات(٤)، والواجب إعمال الجهد في تأدية كلام الله تعالى كما أنزل من غير تمطيط، ولا عجرفة، بل بلفظ بين

=

١٩٣، رد مجلة المنار على ابن القيم ضمن فتح البيان لصديق حسن خان ٨/ ٥٤-٨٠، فتاوى الدين الخالص للشيخ أمين الله البشاوري ١/ ١٣٣، ٢/ ١٤٣، من فتاوى الأئمة الأعلام حول القرآن جمع عبد الكريم الدرويش ص ٧٥-٧٨، فتوى الشيخ/ محمود شلتوت، ص ٩٤-٩٥ فتوى العلامة/ محمد خليل هراس، ضياء النور للشيخ محمد طاهر ص٤٦.

(١) انظر: مقدمة ابن خلدون ص٧٦٢، وما روي أن الشافعي لم يكرهه؛ فإنما مراده ﷺ، ما كان فيه حسن الصوت، دون التطريب الذي يكون بحسب الدرجات الموسيقية، والأوتار الصوتية. انظر: تلبيس إبليس ص١٢٤، والقول المفيد في حكم الأناشيد ص٣٥.

(٢) المعارف لابن قتيبة ص٢٩٦، وانظر: تلبيس إبليس لابن الجوزي ص١٢٤، وقد أخبرني أحد كبار القراء، أنه تعلم الدرجات الموسيقية حتى يستطيع أن يقرأ القرآن كما يريد!!، على حسب النغمات!!، وكان يتدرب على الأنغام الموسيقية حتى تمرسها، ثم أصبح يقرأ على القراءات المختلفة، فمرة يقلد هذا، ومرة يقلد هذا، بصوت وطرب!!.

(٣) انظر: اللمع في النهي عن البدع للتركماني ١/ ٦٣-٦٦، الحوادث والبدع للطرطوشي ص٨٣-٨٩، البدع والنهي عنها لابن وضاح ص٨٦، المدخل لابن الحاج ١/ ٧٨-٧٩، زاد المعاد لابن القيم ١/ ٤٨٢-٤٩٣.

(٤) انظر: السنن والمبتدعات للشقيري ص ٢٢٠، بدع القراء لبكر أبي زيد ص٢٢.

واضح مرتل[(١)].

١١- ويدخل في القراءة الملحنة القراءة باللحون الأعجمية، فإنها بدعة غوية، وعن السنة قصية[(٢)]، و أما قوله ﷺ لأبي موسى الأشعري رضي الله عنه: **[لقد أوتيت مزمارا من مزامير آل داود]**[(٣)]، فليس « المراد به الترديد والتلحين؛ إنما معناه حسن الصوت، وأداء القراءة، والإبانة في مخارج الحروف، والنطق بها »[(٤)].

١٢- ومن قراءات المخالفين للسلف، ابتداع ما يصاحبهم حال القراءة من غشيان، وإغماء، وشهق ونحو ذلك؛ فإن الصحابة رضي الله عنهم كانوا من أتقى الناس، وكانوا من أصفى الناس لسماع القرآن، ولم يؤثَر عنهم ذلك[(٥)]، قال الآجري رحمه الله في حديث العرباض بن سارية: **[وعظنا رسول الله موعظة ذرفت منها العيون، ووجلت منها القلوب...]** قال: « ولم يقل صرخنا، ولا ضربنا صدورنا، كما يفعل كثير من الجهال الذين يتلاعب بهم الشيطان »[(٦)]، وقيل لأسماء بنت أبي بكر الصديق[(٧)] رضي الله عنهما: **[كيف**

---

(١) انظر: معيد النعم ومبيد النقم للسبكي ص١١٠.

(٢) انظر: المدخل لابن الحاج ١/ ٥٤، إغاثة اللهفان لابن القيم١/ ١٦٠-١٦٢، الإبداع في مضار الابتداع للشيخ على محفوظ ص٧٣، بدع القراء لبكر أبي زيد ص ١٠.

(٣) رواه البخاري، كتاب فضائل القرآن، باب/ حسن الصوت بالقرآن، ح(٥٠٤٨)، ومسلم، كتاب صلاة المسافرين...، ح(٧٩٣).

(٤) مقدمة ابن خلدون ص ٧٦٣.

(٥) وقد ذكر شيخ الإسلام رحمه الله أن الشهق والإغماء قد يكون بسبب تغليب جانب الخوف، ونسيان جانب الرجاء، والصحابة جمعوا بينهما فلم تحصل لهم مثل هذه الأمور، وهذا الجمع من شيخ الإسلام مسدد، من حيث بيان السبب، ولكن يرد عليه ما ورد أولا من أنه لم يكن ذلك عند السلف، ولو كان بسبب تغليب الخوف؛ فإن ذلك يدل على نقص في المتابعة، وعدم الكمال في الجمع بين النصوص، من وعد ووعيد، وهذه مخالفة لمنهج السلف الصالح، وذكر ابن القيم رحمه الله أنواع الشهق، ثم قال: « وبكل حال: فسبب الشهقة، قوة الوارد، وضعف المحل عن الاحتمال » (الفوائد ص٢٦٧) ومهما يكن مِن شيء، فإن ذلك مخالف لهدي السلف الصالح الذين جمعوا بين الرغبة والرهبة، في سماعهم لكتاب الله عز وجل وسنة رسوله ﷺ.

(٦) نقله ابن الجوزي في تلبيس إبليس ص ٢٨٨.

(٧) هي الصحابية الجليلة ذات النطاقين: أسماء بنت أبي بكر الصديق، وزوج الزبير بن العوام، أسلمت قديما في مكة، وعاشت مئة سنة، روى لها أصحاب الكتب، توفيت سنة ثلاث أو أربع وسبعين. انظر: التقريب ص٦٦١.

كان أصحاب رسول الله ﷺ عند قراءة القرآن؟! قالت: كانوا كما ذكرهم الله ﷻ، تدمع عيونهم، وتقشعر جلودهم. فقلت لها: إن ههنا رجالا إذا قرئ على أحدهم القرآن غُشِيَ عليه!!، فقالت: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم!!][1]، و [مر ابن عمر ﵁ برجل ساقط من العراق، فقال: ما شأنه؟، فقالوا: إذا قرئ عليه القرآن يصيبه هذا!!، فقال: والله إنا لنخشى الله ﷻ وما نسقط][2]، وقيل لعائشة ﵂: [إن قوما إذا سمعوا القرآن صُعِقوا، فقالت: إن القرآن أكرم أن يُنزف عنه عقول الرجال، ولكنه كما قال الله ﷻ: ﴿ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ ﴾[الزمر:٢٣]][3]، و« سُئل أنس بن مالك ﵁: عن القوم يقرأ عليهم القرآن، فيصعقون، فقال: ذلك فعل الخوارج »[4]، و« سُئل محمد بن سيرين[5] ﵀:عن الرجل يقرأ عنده القرآن فيصعق، فقال: ميعاد ما بيننا وبينه أن يَجلس على حائط، ثم يُقرأ عليه القرآن من أوله إلى آخره، فإن وقع فهو كما قال! »[6]، وما ثبت أن السلف الصالح ﵃ كان أحدهم يغشى عليه عند قراءة القرآن، فهذا إما أنه مكذوب عليه، أو ضعيف لا يصح[7]، ثم لو صح عن بعض التابعين فليس فيه حجة، وإنما الحجة في كتاب الله ﷻ، وقد وصف المؤمنين بأنهم إذا سمعوا القرآن توجل قلوبهم، ويزدادون إيمانا، وتقشعر جلودهم، وتذرف عيونهم، ولم يذكر فيه الصعق، والإغماء، والغشيان، وكذلك سنة نبينا ﷺ والصحابة ﵃، قال ابن الجوزي ﵀: « وما كان في الصحابة من يجري له مثل هذا، ولا

---

(١) تلبيس إبليس لابن الجوزي ص ٢٨٨.

(٢) رواه أبو عبيد في فضائل القرآن ص ١١١، وانظر: تلبيس إبليس لابن الجوزي ص ٢٨٨.

(٣) رواه أبو عبيد في فضائل القرآن ص ١١٢.

(٤) رواه أبو عبيد في فضائل القرآن ص ١١٢.

(٥) هو التابعي الجليل: محمد بن سيرين الأنصاري، أبو بكر ابن أبي عمرة البصري، ثقة ثبت عابد كبير القدر، كان لا يرى الرواية بالمعنى، واشتهر بتفسير الرؤى، روى له أصحاب الكتب، توفي سنة ١١٠هـ. انظر: التقريب ص ٤١٨.

(٦) رواه أبو عبيد في فضائل القرآن ص ١١٢.

(٧) انظر: تلبيس إبليس لابن الجوزي ص ٢٨٦.

التابعين»[(١)]، قال شيخ الإسلام: «ولا صعق لا هو، ولا أصحابه عند سماع القرآن، بل كانوا توجل قلوبهم، وتقشعر جلودهم، وتدمع عيونهم»[(٢)].

١٣- ومن قراءاتهم التي يزعمون أنهم يتقربون بها إلى الله ﷻ، ما يفعلونه فيما يسمونه بـ"قراءة الترقيص"!!، حيث يقرؤون بالأنغام والتمطيط، ويرفعون أصواتهم بالقراءة في ليلة الثاني عشر من ربيع الأول ـ احتفالا واحتفاء بالمولد!! ـ، وهذا كله في بيوت الله ﷻ، ومعلوم أن هذا لم يعهد عن السلف[(٣)]؛ وإنما انتشر في الخلف الذين لم يفهموا مقصود نزول القرآن الكريم، إن اعترفوا بنـزوله، وأيقنوا أنه كلام الله ﷻ.

١٤- تعيين مكان معين للقراءة، لم يعينه الشارع، فهذا لا يشرع باتفاق العلماء[(٤)]، كمن يقرأ القرآن عند القبور، فهذا كرهه أبو حنيفة، ومالك، والإمام أحمد، وطوائف من السلف[(٥)]، فـ«القراءة عند القبور مكروهة ـ أي كراهة تحريمية ـ عند أبي حنيفة، ومالك، وأحمد في رواية؛ لأنه محدث، لم ترد به السنة»[(٦)]، قال تعالى: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُۥ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى ٱلسَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ﴾[ق:٣٧] والمراد بالقلب: القلب الحي الذي يعقل عن الله[(٧)] كما قال تعالى: ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ وَقُرْءَانٌ مُّبِينٌ ۝ لِّيُنذِرَ مَن كَانَ حَيًّا﴾[يس:٣٦-٣٧] أو عند افتتاح الأمور والدور، وما يكون من المناسبات والحبور، أو في المآتم وحين يحصل الشرور، فعزلوا القرآن الكريم عن حياة الناس إلا في مثل هذه المحافل: فرح، أو حزن، وفي كلتا الحالتين الناس عن معانيه منشغلون، إما

---

(١) تلبيس إبليس لابن الجوزي ص ٢٨٦، وانظر: الشرح والإبانة لابن بطة ص ٣٦٣، بدع القراء لبكر أبي زيد ص٢٣.

(٢) الجواب الصحيح ٦/ ٣٧٠.

(٣) انظر: الإبداع في مضار الابتداع ص ٢٧٢.

(٤) انظر: المجموع ٣١/ ٤١.

(٥) انظر: اقتضاء الصراط المستقيم لشيخ الإسلام ٢/ ٧٤١، المجموع ٣١/ ٤١-٤٢، الفتاوى الكبرى ١/ ٢٠٧، شفاء الصدور في زيارة المشاهد والقبور لمرعي الحنبلي ص ٧٥.

(٦) شرح الفقه الأكبر لملا علي القاري ص ١١٠.

(٧) الفوائد لابن القيم ص ٧.

بسرورهم، وإما بحزنهم، حتى أصبح ظَنَّ بعض الساسة القرآن لا يعمل به ـ حتى من حيث القراءة ـ إلا في المناسبات، وأما التحاكم إليه، والاعتقاد بما فيه، والعمل بما يقتضيه، فقليل من يتنبه له منهم[(١)].

١٥- تعلم القرآن والقراءات للمناسبات، وابتغاء الفانيات، مع أن من تعلم علما مما يبتغى به وجه الله، ثم لم يخلِص فيه، كان متوعدا أشد الوعيد؛ لأن هذا مخالف لنصوص الوحيين، ومجانب لعمل الصحابة والتابعين، قال النبي ﷺ: [**من تعلم علما مما يبتغى به وجه الله، لا يتعلمه إلا ليصيب به عرضا من الدنيا، لم يجد عرف[(٢)] الجنة يوم القيامة**][(٣)]، فيجب «على حامل القرآن، وطالب العلم، أن يتقي الله في نفسه، ويخلص العمل لله؛ فإن كان تقدم له شيء مما يكره، فليبادر التوبة والإنابة، وليبتدي الإخلاص في الطلب وعمله»[(٤)]، وقال عبد الله بن مسعود ﷺ: [**كيف أنتم إذا لبستكم فتنة، يربو فيها الصغير، ويهرم الكبير، وتتخذ سنة مبتدعة يجري عليها الناس؛ فإذا غير منها شيء، قيل: قد غيرت السنة!!، قيل: متى ذلك يا أبا عبد الرحمن؟، قال: إذا كثر قراؤكم، وقل فقهاؤكم، وكثر أمراؤكم، وقل أمناؤكم، والتمست الدنيا بعمل الآخرة، وتفقه لغير الدين**][(٥)]، قال القرطبي رحمه الله مبينا التلحين والتمطيط الذي هو حرام: «إنما هو بترديد الأصوات، وكثرة الترجيعات؛ فإن زاد الأمر على ذلك، حتى لا يفهم معناه؛ فذلك حرام باتفاق، كما يفعل القراء بالديار المصرية، الذين يقرؤون أمام الملوك، والجنائز، ويأخذون على ذلك الأجور، والجوائز، ضل سعيهم، وخاب عملهم؛ فيستحلون بذلك تغيير كتاب الله، ويهونون على أنفسهم الاجتراء على الله بأن يزيدوا في تنـزيله، ما ليس فيه جهلا بدينهم، ومروقا عن سنة نبيهم، ورفضا لسير الصالحين فيه من سلفهم،

---

(١) انظر: مجموعة رسائل الجامي ص ١١٥.

(٢) العرف: قال أبو داود: يعني ريحها. انظر: سنن أبي داود ٤/ ٤٨.

(٣) رواه أبو داود، كتاب العلم، باب/ في طلب العلم لغير الله، ح(٣٦٦٤)، عن أبي هريرة ﷺ، قال الألباني: إسناده صحيح، كما في تعليقه على المشكاة، ح(٢٢٧).

(٤) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ١/ ١٧.

(٥) رواه ابن أبي شيبة في مصنفه ٧/ ٤٥٢، ح(٣٧١٥٦)، وانظر: الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ١/ ١٧.

ونزوعا إلى ما زين لهم الشيطان من أعمالهم، وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا؛ فهم في غيهم يترددون، وبكتاب الله يتلاعبون؛ فإنا لله وإنا إليه راجعون»[(١)].

١٦- وبعض هؤلاء يصدون الناس عن تفهم القرآن الكريم، ويقول: إن فهم القرآن صعب!! ـ مع أن الله يسره ـ، وفهمه لا يكون إلا للمجتهدين، وأما نحن فنقرأ كتب الفقه، وكتب الرقائق، والزهد والتصوف!![(٢)]، والله ﷻ أخبر أنه جعله قرآنا عربيا، فبين أنه أنزله عربيا؛ لأن يعقلوا، والعقل لا يكون إلا مع العلم بمعانيه، قال ﷻ: ﴿ إِنَّا جَعَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾[الزخرف:٣]، وذم الله من لم يفهم القرآن في أكثر من آية، قال ﷻ: ﴿ وَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ حِجَابًا مَّسْتُورًا ﴿٤٥﴾ وَجَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ وَفِىٓ ءَاذَانِهِمْ وَقْرًا ﴾[الإسراء:٤٥-٤٦]، وقال: ﴿ فَمَالِ هَٰٓؤُلَآءِ ٱلْقَوْمِ لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثًا ﴾[النساء:٧٨]، وذم من لم يكن حظه من القرآن إلا استماع الصوت دون فهم المعنى[(٣)]، قال تعالى: ﴿ وَمَثَلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ كَمَثَلِ ٱلَّذِى يَنْعِقُ بِمَا لَا يَسْمَعُ إِلَّا دُعَآءً وَنِدَآءً ۚ صُمٌّۢ بُكْمٌ عُمْىٌ فَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴾[البقرة:١٧١]، و قال تعالى: ﴿ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعْمَىٰٓ أَبْصَٰرَهُمْ ﴿٢٣﴾ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ ﴾[(٤)].

١٧- القراءة بالقراءات الشاذة، والإقراء بها، فإن هذا مخالف لما أجمع عليه الصحابة من الاجتماع على مصحف عثمان ﷺ، ولأن القراءة لا تثبت إلا بالسند الصحيح، الموافق للرسم الصريح، ووجه من اللغة العربية ولو غير فصيح، وما كان على خلاف هذا فلا تجوز القراءة بها، ولا الإقراء بها[(٥)].

---

(١) الجامع لأحكام القرآن١/ ١٥.

(٢) وهذا سمعته عن غير واحد ممن لا يلقون لاتباع السلف بالا، ونقله إلي غير واحد من الثقات، أناس معممون ينهون الناس عن الجلوس إلى دروس التفسير!!، ويقولون: نخاف عليك أن تكفر من دون أن تشعر!!.

(٣) انظر: المجموع ٨/ ١٥٨، الكلام على مسألة السماع لابن القيم ص ٤٤.

(٤) سورة محمد، الآية ٢٣-٢٤.

(٥) انظر: تلبيس إبليس لابن الجوزي ص ١١٣، بيان زغل العلم والطلب للذهبي ص ٤-٥، بدع القراء للشيخ بكر أبي زيد ص ١٧.

١٨- وقد تجد بعض أهل البدع يعظمون المصحف، ولكن بماذا يعظمونه؟؟ بتحليته بالذهب، ونحوها، مع أن هذا لم يكن معهودا عن السلف ﷺ، فإذا كان التذهيب على وجه القربة فلا شك في بدعيته[(١)].

وبهذا يظهر للمنصف أن المخالفين للسلف لم يكن حظهم في التعبد بالقرآن الكريم إلا القراءة، بل القراءة التي لا توافق السنة، ومن تعبداتهم بالقرآن الكريم التبرك به على وجه غير مشروع، وهذا ما يتبين لك في المبحث التالي.

(١) انظر: الحوادث والبدع للطرطوشي ص ١٥٥، الإبداع لعلي محفوظ ص٧٢.

المبحث الثاني: التعبد بالتبرك به

التبرك بالقرآن الكريم يكون بإظهار أوامره، وبيان آثاره على الإنسان قولا وفعلا، وذلك بالعمل بما فيه، والتحاكم إلى قضاياه، والاعتقاد بما فيه، ويكون التبرك بالقرآن من حيث الاستشفاء به، وهذا ما كان عليه السلف - رحمهم الله - [(١)].

وأما الخلف فإنهم يتعبدون إلى الله ﷻ بالتبرك به ظاهرا، كأن يتمسحَ به أَحَدُهم، أو يضع المصحف أو شيئا من القرآن على صدره رجاء البركة، أو على رأسه رجاء الخير، وهذا كله لم يؤثر عن السلف الصالحين، فضلا عن النبي الكريم ﷺ.

والمخالفون إذا قرؤوا أو درسوا القرآن فإنما هي مدارسة للبركة، قال ابن القيم ﵀: «ولقد أخبرني بعض أصحابنا عن بعض أتباع تلاميذ هؤلاء أنه رآه يشتغل في بعض كتبهم، ولم يحفظ القرآن، فقال له: لو حفظت القرآن أولا كان أولى، فقال: وهل في القرآن علم!!، قال ابن القيم: وقال لي بعض أئمة هؤلاء: إنما نسمع الحديث لأجل البركة لا لنستفيد منه العلم!!!» [(٢)].

فغالب المخالفين للسلف من مسلمة اليوم «قد اكتفوا من القرآن بألفاظ يرددونها، وأنغام يلحنونها، في المآتم، والمقابر، والدور، وبمصاحف يحملونها، أو يودعونها تركة في البيوت، ونسوا أن بركة القرآن العظمى؛ إنما هي في تدبره، وتفهمه، وفي الجلوس إليه، والاستفادة من هديه، وآدابه، ثم في الوقوف عند أوامره، ومراضيه،

---

(١) انظر: الفصل الثالث، من الباب الأول.

(٢) الفوائد ص١٤٤، ولقد أخبرني والدي ﵀ أنه حضر دورة للحديث في كابل ورأى أنّ هؤلاء إذا مرُّوا على الأحاديث التي تخالف معتقدهم أو مذهبهم قالوا: هذه للبركة!!.

والبعد عن مساخطه، ونواهيه»[(١)].

وصور تبرك المخالفين بالقرآن الكريم كثيرة، والبدع فيها غير محصورة، ومنها:

١- جعلهم القرآن الكريم، كلام رب العالمين، بدلا عن الكلام، مع أن هذا نهى عنه السلف، قال إبراهيم النخعي رحمه الله: «كانوا يكرهون أن يتلوا الآية عند شيء يَعرِضُ من أمر الدنيا»[(٢)]، قال أبو عبيد رحمه الله: «وهذا كالرجل يريد لقاء صاحبه، أو يَهِم بالحاجة فتأتيه من غير طلب، فيقول كالمازح: جئت على قدر يا موسى! وهذا من الاستخفاف بالقرآن، ومنه قول ابن شهاب[(٣)] رحمه الله: «لا تُناظر بكتاب الله، ولا بسنة رسول الله ﷺ»، قال أبو عبيد: لا تجعل لهما نظيرا من القول، ولا الفعل»[(٤)]، فالسلف منعوا الاستشهاد بالقرآن على غير المراد الذي من أجله أنزل، وإيراده اقتباسا أو أساسا على الوجه الذي نزل هو المقصود[(٥)]، قال ابن عقيل رحمه الله: «كان أبو إسحاق الخراز[(٦)] صالحا، وهو أول من لقنني كتاب الله، وكان من عادته الإمساك عن الكلام، في شهر رمضان؛ فكان يخاطب بآي القرآن، فيما يعرض إليه من الحوائج، فيقول في إذنه: ادخلوا عليهم الباب، ويقول لابنه في عشية الصوم: من بقلها وقثائها، آمرا له أن يشتري البقل، فقلت له: هذا الذي تعتقده عبادة هو معصية، فصعب عليه؛ فقلت: إن هذا القرآن العزيز أنزل في بيان أحكام شرعية؛ فلا يستعمل في أغراض دنيوية، وما هذا إلا بمثابة صر السدر[(٧)]، والأشنان في ورق المصحف، أو توسدك له، فهجرني ولم يصغ إلى الحجة!!!»، قال ابن الجوزي قبله: «ومن تلبيس إبليس على قوم من الزهاد

---

(١) مناهل العرفان ٢/ ١٠-١١.

(٢) رواه أبو عبيد في فضائل القرآن ص٥٨، وابن أبي شيبة في مصنفه ١٠/ ١٥، وانظر: التبيان للنووي ص ١١٨.

(٣) هو الحافظ الفقيه: محمد بن مسلم بن عبيد الله بن عبد الله بن شهاب الزهري، أبو بكر، متفق على جلالته، وإتقانه، روى له أصحاب الكتب، مات سنة ١٢٥هـ. انظر: التقريب ص ٤٤٠.

(٤) فضائل القرآن ص ٥٩.

(٥) انظر: كشاف القناع ١/ ٤٣٤، سبعون فتوى في احترام القرآن لعلي أبي لوز ص ٨١ وما بعدها.

(٦) لم أعرفه.

(٧) المعنى: ربط أوراق السدر في المصحف، وفي الأصل(صك)ولم أجده في مادة (ص ، ر ، ك)، فلعله تصحيف من الصرة، وهو الربط ـ والله تعالى أعلم ـ.

الذي دخل عليهم فيه من قلة العلم، أنهم يعملون، بواقعاتهم، ولا يلتفتون إلى قول الفقيه»[١]، وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: «وليس لأحد استعمال القرآن لغير ما أنزله الله له[٢]، وبذلك فسر العلماء الحديث المأثور[٣] **[لا يناظر بكتاب الله]** أي: لا يجعل له نظير يذكر معه، كقول القائل لمن قدم لحاجة "لقد جئت على قدر يا موسى"، وقوله عند الخصومة "متى هذا الوعد"... ثم إن خرجه مخرج الاستخفاف بالقرآن والاستهزاء به كفر صاحبه، وأما إن تلا الآية عند الحكم الذي أنزلت له، أو ما يناسبه من الأحكام فحسن...»[٤]، قال في البحر الرائق في بيان ما يكفر به الرجل: «وبالمزاح بالقرآن، كقوله: التفت الساق بالساق، أو ملأ قدحا، وجاء به، وقال: كأسا دهاقا، أو قال عند الكيل أو الوزن: وإذا كالوهم أو وزنوهم يخسرون»[٥]، وقال في الفروع: «ولا يجوز أن يجعل القرآن بدلا من الكلام، ذكره ابن عقيل، وتبعه صاحب المغني، والمحرر؛ لأنه استعمال له في غير ما هو له، كتوسد المصحف، أو الوزن به...، وذكر شيخنا[٦]: إن قرأ عند الحكم الذي أنزل له، أو ما يناسبه، ونحوه فحسن..، كقوله إذا هم وحزن: إنما أشكو بثي وحزني إلى الله»[٧]، فهذا تفصيل بديع، **وهو التفريق بين سياق الآية لما أنزل، وذكرها لذلك**، فهذا يسمى استشهادا، واستئناسا، وبين ذكر الآية من دون مناسبة قريبة ظاهرة، فهذا جعل للقرآن بدلا عن الكلام، **ويفرق بينهما في النية أيضا**.

٢- ومما يتعبد به المخالفون للسلف، وزعموا أنه من باب التبرك، كتابة شيء من القرآن الكريم على الحيطان والثياب[٨]، وهو لم يرد عن

---

(١) تلبيس إبليس ص ١٧٦-١٧٧، وانظر: الفتاوى الكبرى ١/ ٢٠٨، المجموع ٢٣/ ٦٦.

(٢) وبهذا يعلم أن استعمال القرآن فيما أنزل له هو المقصود، كأن ترى مسلما مسرفا على نفسه، فتقول له: «ألم يأن للذين آمنوا أن تخشع قلوبهم لذكر الله»، وهكذا، فهذا استعمال للقرآن فيما أنزل له.

(٣) هو مأثور من قول ابن شهاب، كما سبق ص٥٠٠.

(٤) مختصر الفتاوى المصرية ص ٥٧٨.

(٥) ٥/ ١٣١.

(٦) أي شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله.

(٧) انظر: الفروع لابن مفلح ٣/ ١٤٤.

(٨) انظر: السير ٩/ ١٨٤.

السلف[١]، ومعلوم أن «من انتفع بالقرآن فيما أنزل من أجله؛ فهو على بينة من ربه، وهدى وبصيرة، ومن كتبه على الجدران، أو على خرق تعلق عليها، ونحو ذلك زينة، أو حرزا، وصيانة للسكان، والأثاث، وسائر المتاع، فقد انحرف بكتاب الله، أو بآية، أو بسورة منه عن جادة الهدى، وحاد عن الطريق السوي، والصراط المستقيم، وابتدع في الدين، ما لم يأذن به الله، ولا رسوله ﷺ قولا، أو عملا، ولا عمل به الخلفاء الراشدون، وسائر الصحابة ﷺ أجمعين، ولا أئمة الهدى في القرون الثلاثة التي شهد لها النبي ﷺ بأنها خير القرون، ومع ذلك فقد عرض آيات القرآن، أو سوره للإهانة...، وجدير بالمسلم أن يرعى القرآن وآياته، والمحافظة على حرمته، ولا يعرضه لما قد يكون فيه امتهان له»[٢]، وبعضهم قد يكتبه بشيء نجس زعما منه أنه أبلغ في التداوي!!، فيكتبه بدم الحيض، أو غيره!!!، ومعلوم أنه «لا تجوز كتابة القرآن بشيء نجس»[٣]، ومن هذا كتابة القرآن على القبور، أو على الأضرحة؛ فإن هذه بدعة منكرة[٤].

٣- ومن التبرك غير المشروع ما يفعله بعض المخالفين من كتابة القرآن في الحروز ومعها شيء من الطلاسم، والحسابات، والمبتدعات[٥]، والتعاويذ، وتعليقه على الصبيان، والنساء، بل والدواب، وهذا كله زعم منهم أنه من باب التداوي[٦]، بل

---

(١) انظر: التبيان للنووي ص ١٥٨، ١٧٣، مختصر الفتاوى المصرية ص ٣١٨، الإتقان للسيوطي ٢/ ١٧٠، كشاف القناع ١/ ١٣٧.

(٢) من فتاوى اللجنة الدائمة، فتوى رقم: (٢٠٧٨) موقعة من كل من: عبد الله بن قعود، عبد الله بن غديان، عبدالرزاق عفيفي، عبد العزيز بن باز: (رئيسا). وانظر: سبعون فتوى في احترام القرآن لعلي أبي لوز ص٤٤.

(٣) التبيان للنووي ص١٧٣، وانظر: كشاف القناع ١/ ١٣٧، بل نقل عن ابن عقيل أن من كتب المصحف بشيء نجس وجب قتله.

(٤) انظر: اللمع لابن التركماني ١/ ٢١٥.

(٥) انظر: الزواجر عن اقتراف الكبائر للهيثمي١/ ٢٧٤، بل ومنهم من يزعم أن تحلية الحروز بالذهب جائزة؛ لأنها من القرآن، فهل هذا سبيل تعظيم شعائر الرحمن!!. انظر: مواهب الجليل شرح مختصر خليل ١/ ١٢٦، وقد بين الشيخ ابن باز ﷺ أن المعلقين للتمائم إنما يريدون البركة والنفع؛ ولهذا يعلقون التمائم. انظر: فتاوى وتنبيهات ص ٢٥٣.

(٦) انظر: التبيان للنووي ص ١٥٩.

أرادوا التبرك غير المشروع، كما قال القرطبي: «لا بأس بتعليق الكتب التي فيها أسماء الله تعالى على أعناق المرضى على وجه التبرك بها!!»[(١)]، ومن هذا ما يفعله بعض الخلف في زماننا من وضعهم المصاحف في السيارات، دفعا لعين الحاقدين والحاقدات!! فهذا نوع تبرك به غير مشروع، وهو عمل لم يثبت عن السلف، وليس عليه دليل من الشرع[(٢)]، فوضع الآيات على الدواب فيه نوع إهانة، ثم الحروز والتمائم

---

(١) الجامع لأحكام القرآن ١٠/٢٠٧، وقد نقلها عن الإمام مالك رحمه الله، ولم أجده عنه، والممنوع من التمائم والحروز ما كان منها مخلوطا مع غير القرآن مما فيه تلبيس أو تدليس، وأما إذا كان من القرآن، فهذا فيه خلاف، والأظهر منعه، وقد ثبت عن إبراهيم بن يزيد بن قيس النخعي أنه قال: «كانوا يكرهون التمائم كلها من القرآن وغيره» (فضائل القرآن لأبي عبيد ص٢٣١)، وقوله: يكرهون، قيل يرجع إلى أهل العراق تلامذة ابن مسعود، والذي يظهر أنه عام عن السلف رضي الله عنهم إذ لم يثبت عنهم خلاف ذلك، وتأكد لي هذا العموم لما وقفت على كلام الإمام الشوكاني رحمه الله حيث يقول: «وقد ورد ما يدل على عدم جواز تعليق التمائم، فلا يقوم بقول عبد الله بن عمرو حجة»، وذلك لأنه لم يثبت هذا القول عن ابن عمرو رضي الله عنه وأكد عموم خبر النخعي العلامة الشيخ الألباني رحمه الله، وأما حديث ابن عمرو فروي مرفوعا، وفيه: [**أعوذ بكلمات الله التامة، من غضبه، وشر عباده، ومن همزات الشياطين، وأن يحضرون، وكان عبد الله ابن عمرو: يعلمهن مَن عقل من بنيه، ومن لم يعقل، كتبه فعلقه عليه**] (رواه أبو داود،ح(٣٨٩٣) والترمذي ح(٣٥١٩)، والنسائي في عمل اليوم والليلة ص٧٦٥ المرفوع دون الموقوف)، قال الشيخ الألباني: «لم يصح إسناده إلى ابن عمرو؛ لأن فيه محمد بن إسحاق وهو مدلس، وقد عنعنه؛ فلا يجوز الاحتجاج به على جواز تعليق التمائم من القرآن؛ لعدم ثبوت ذلك عن ابن عمرو»، ثم بين الشيخ أن المرفوع منه له شاهد عند ابن السني، والموقوف ليس له شاهد، ولعل النسائي تعمد حذفه لنكارته، وفي قول الترمذي: حسن غريب، إشارة منه إلى ضعف إسناده. (انظر: الكلم الطيب لشيخ الإسلام ابن تيمية تحقيق الشيخ الألباني ص ٨٤-٨٥). وانظر: فتاوى الدين الخالص ١/٦١، قال الشيخ ابن باز رحمه الله: «القول الثاني: أنها لا تجوز، وهذا هو المعروف عن عبد الله بن مسعود، وحذيفة رضي الله عنهما، وجماعة من السلف، والخلف، قالوا: لا يجوز تعليقها، ولو كانت من القرآن، سدا للذريعة، وحسما لمادة الشرك، وعملا بالعموم؛ لأن الأحاديث المانعة من التمائم أحاديث عامة، لم تستثن شيئا، والواجب: الأخذ بالعموم؛ فلا يجوز شيء من التمائم أصلا؛ لأن ذلك يفضي إلى تعليق غيرها، والتباس الأمر، فوجب المنع، وهذا هو الصواب لظهور دليله؛ فلو أجزنا التميمة من القرآن، ومن الدعوات الطيبة، لانفتح الباب، وصار كل واحد يعلق ما شاء؛ فإذا أنكر عليه، قال: هذا من القرآن!!، أو هذه من الدعوات الطيبة، فينفتح الباب، ويتسع الخرق، وتلبس التمائم كلها، وهناك علة ثالثة وهي: أنها قد يدخل بها الخلاء، ومواضع القذر، ومعلوم أن كلام الله ينزه عن ذلك، ولا يليق أن يدخل بها الخلاء» (فتاوى وتنبيهات، ص٢١٤، وانظر: ص٢٧٣).

(٢) وقد أفتى الشيخ محمد ابن عثيمين رحمه الله: «أن وضع المصحف في السيارة، لدفع العين لا يجوز»، وانظر: السنن والمبتدعات للشقيري ص ٢١٥، ٣٣١.

من القرآن يخلط بالشرك!!، فيجعل القرآن تلبيسا، والمقصود الشرك تأسيسا، بل ربما كان فيها نوع استعانة بالجن[١]، قال شيخ الإسلام رحمه الله: «وعامة ما يقوله أهل العزائم فيه شرك، وقد يقرؤون مع ذلك شيئا من القرآن، ويظهرونه، ويكتمون ما يقولونه من الشرك، وفي الاستشفاء بما شرعه الله ورسوله ما يغني عن الشرك وأهله»[٢]. وقريب من هذا التبرك غير المشروع، ما يفعله بعض أهل البدع من كتابة القرآن على الأثواب، ولبس ذلك لإخراج الجن[٣]، أو يكون ذلك تبركا، ولعل هذا كان معروفا ولهذا ذكره في كشاف القناع، فقال: «وهل يجوز مس ثوب رقم بالقرآن!!»[٤]، وهذا يدل أن هناك ثيابا كانت ترقم وتكتب فيها القرآن، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

٤- ومن ذلك قراءتهم ـ تبركا ـ القرآن على الميت!![٥] فهذا تركه النبي ﷺ، وتركه الصحابة، مع قيام المقتضي للفعل، والشفقة للميت، وعدم المانع منه؛ فيقتضي أن ترك القراءة هو السنة، وفعله بدعة، وكيف يعقل أن يترك الرسول ﷺ وأصحابه شيئا نافعا لأمته يعود عليها بالرحمة، ويتركه الرسول ﷺ طول حياته، ولا يقرؤه على

(١) انظر: معيد النعم ومبيد النقم للسبكي ص ١١٧، التمائم في ميزان العقيدة د.علي نفيع العلياني.

(٢) المجموع ١٩/ ٦١.

(٣) وقد سئل شيخنا العلامة عبد المحسن العباد ـ حفظه الله ـ عن هذا فقال: «هذا امتهان للقرآن، كيف يستر به العورة!؟، وهذا يعد من التمائم».

(٤) كشاف القناع ١/ ١٢٥.

(٥) انظر: التبيان للنووي ص١٦٨، الدار الآخرة لدستغيب الرافضي ص٢٣٢، وقد ذكروا في ذلك أحاديث موضوعة وضعيفة لا تصح، بل ووضع بعضهم في ذلك أحاديث باطلة، مثل ما يروى عن علي رضي الله عنه مرفوعا: [من مر على المقابر، وقرأ قل هو الله أحد، إحدى عشرة مرة، ثم وهب أجرها للأموات، أعطي من الأجر بعدد الأموات!!] (ذكره ابن عابدين في حاشيته ٤/ ١٢) بل وزعم ابن عابدين بعد ذكر بعض الأدلة العامة، ومثل هذه الأحاديث الموضوعة والضعيفة: أن النفع بعمل الغير بلغ مبلغ التواتر، قلت: إن كان يقصد الدعاء، والصدقة، فنعم، وأما إن كان يقصد قراءة القرآن، فلا؛ فإن الخلاف فيه مشهور، وعن العلماء مزبور، والصحيح منعه، والصواب عدم ثبوته، ومثل هذا ما ذكره الخلال عن مجالد عن الشعبي [أن الأنصار كانوا يقرؤون عند الميت القرآن] فهذا مرسل لأن الشعبي لم يدرك الصحابة رضي الله عنهم، ثم إن مجالدا ضعيف، ومثل هذه القصص كثيرة يذكرونها، ولا تصح، كما ذكرها ابن القيم في كتاب الروح. انظر: ص ١٧، وما بعدها، وانظر: حاشية ابن عابدين ٣/ ٨٠.

ميت ولو مرة واحدة؟؟. وزعموا أن في ذلك دليلا(١)، وهو ما جاء مرفوعا: **[اقرؤوا "يس" على موتاكم]**(٢)، والجواب عن هذا من عدة أوجه: **الأول**: أنه ضعيف لا يصح؛ فإن الأئمة لم يقبلوا الحديث لضعف سنده(٣). **الثاني**: أنه لو صح فإنه يحمل على ما فهمه السلف، قال ابن حبان ﷺ: «أراد به من حضرته المنية، لا أن الميت يقرأ عليه»(٤). **الثالث**: أن هذا ـ لو صح ـ فإنه مثل: "لقنوا موتاكم لا إله إلا الله"، وهو بالاتفاق حالة الاحتضار، لا بعده. **الرابع**: أن هذه القراءة ـ لو صحت فهي ـ للتخفيف على المحتضر، حتى يستبشر بالجنة، ويسهل عليه الفراق، وليخفف عنه بها، ولهذا قيل: إذا قرئت "يس" عند الميت خفف عنه بها(٥). وأما ما ورد من قراءة سورة البقرة على الميت، فهذا لم يثبت قطعا(٦)، فالتقرب إلى الله ﷻ يكون بما شرع، لا بالبدعة والأمر المخترع، ولهذا عد العلماء المتبعون قراءة القرآن عند المقبور(٧)، وقراءة "يس" عند القبور من المبتدعات(٨)، وكذلك قراءة فاتحة الكتاب عند رأس الميت رجاء البركة، وقراءة الفاتحة وخاتمة البقرة عند رجلي الميت، يفعلونه ولا دليل عليه من آية أو حديث(٩)، ومن ذلك الختمة التي يسمونها ختم القرآن لروح الميت؛ فإن هذه

---

(١) وقد زعم ذلك المالكي في كتابه: خصائص القرآن ص ٨٢.

(٢) رواه أبو داود، كتاب الجنائز، باب/ القراءة عند الميت، ح(٣١٢١)، والنسائي في عمل اليوم والليلة، باب ما يقرأ عند الميت، ح(١٠٧٤)، وفي السنن الكبرى، باب/ ما يقرأ على الميت،ح(١٠٨٦٤) وغيرهما.

(٣) قال النووي: «إسناده ضعيف». انظر: التبيان ص ١٦٩، وقال الحافظ ابن حجر: «حديث غريب، وقد أعله ابن القطان بالاضطراب، وبالوقف، وقال الدارقطني: حديث ضعيف الإسناد، مجهول المتن، ولا يصح في الباب حديث». انظر: تلخيص الحبير ٢/ ١٠٤.

(٤) صحيح ابن حبان ٥/ ٣، التلخيص الحبير لابن حجر ٢/ ١٠٤، وانظر: حاشية ابن عابدين ٣/ ٨٠.

(٥) انظر: التلخيص الحبير ٢/ ١٠٤.

(٦) انظر: التبيان ص ١٦٩.

(٧) انظر: المدخل لابن الحاج ٣/ ٢٦٣، شرح الإحياء للزبيدي ٢/ ٢٨٥، الإبداع في مضار الابتداع للشيخ علي محفوظ ص ٤٤، والعجب مما ذكره الذهبي في السير ١٨/ ٥٤٧، في ترجمة القشيري: أن الناس لزموا قبره مدة حتى قيل ختم على قبره عشرة آلاف ختمة!!!.

(٨) انظر: أحكام الجنائز للألباني ص ٢٥٩.

(٩) انظر: أحكام الجنائز للألباني ص ٢٥٤، وذكر الشيخ ﷺ أن ما جاء عن ابن عمر أنه أمر بذلك، كما في

القراءة لم تثبت عن السلف ﷺ[١].

٥- أن المخالفين للسلف تركوا السنة الواردة في دعاء المقابر، وابتدعوا من عندهم أورادا وأذكارا، وقراءات للقرآن عند الزيارة، غير ما شرعه النبي المختار ﷺ، وهذا يدل على بعدهم عن السنة، وتشوفهم للبدعة، فيقولون مثلا عند زيارة شهداء أحد: «يقول: سلام عليكم بما صبرتم فنعم عقبى الدار، ويقرأ آية الكرسي، والإخلاص إحدى عشرة مرة!!، وسورة يس إن تيسر ويهدي ثواب ذلك لجميع شهداء أحد، ومن بجوارهم من المؤمنين»!!![٢].

٦- ومن ذلك تبركهم بتقبيل المصحف تعبدًا[٣]، وجوّزوا ذلك ظنا منهم أنه من التعظيم[٤]، وبعضهم يضعه على جبهته كمن يسجد على شيء، ومعلوم أن تعظيم شعائر الله يكون بما شرعه الله، واستدلالهم بما روي عن عكرمة بن أبي جهل ﷺ: «أنه كان يضع المصحف على وجهه، ويقول كتاب ربي، كتاب ربي»[٥]. فهذا عنه أجوبة:
الأول: أن هذا لم يثبت عن عكرمة فإن الحسن البصري أرسله عنه، فهو منقطع[٦].
الثاني: أنه ـ لو صح ـ ليس فيه ما يدل على التقبيل، وإنما كان يضعه على وجهه معظما لكونه كلام الله ﷻ. **الثالث:** أن المصحف كان معروفا في عهد السلف، ولم يؤثر عنهم ذلك، وهم من أشد المعظمين لكلام الله ﷻ، فدل ذلك على عدم مشروعيته، على وجه

=

سنن البيقي ضعيف لا يثبت عن ابن عمر ﷺ، وانظر: زاد المعاد ١/ ٥٢٧، اللمع للتركماني ١/ ٢١٦.

(١) انظر: السنن والمبتدعات للشقيري ص ٣١٩، بدع القراء لمحمد موسى ص ١٣-١٤.

(٢) نور الإيضاح ورواح الأرواح ص ١٥٨.

(٣) انظر: ما كتبته حول هذه المسألة في كتابي إتحاف أهل القبلة بأحكام القبلة ص ٧٢، وما بعدها.

(٤) انظر: طبقات الشافعية للسبكي ١٠/ ٢٦٩، وقال: هو ثابت بالقياس!!، وهل العبادة تثبت بالقياس؟؟، وانظر: الفتح ٣/ ٥٥٥.

(٥) رواه الدارمي، كتاب فضائل القرآن، باب/ في تعاهد القرآن، ح(٣٣٥٠)، والحاكم في مستدركه ٣/ ٢٧٣.

(٦) كما قال الذهبي في تلخيصه، انظر: مستدرك الحاكم ٣/ ٢٧٣، وكذلك ما روي عن ابن أبي مليكة عن عكرمة فهو مرسل أيضا؛ فإن ابن أبي مليكة لم يرى عكرمة، ولهذا قال الهيثمي في مجمع الزوائد(٩/ ٣٨٥) بعد أن ذكر هذا الأثر: «رواه الطبراني مرسلا، ورجاله رجال الصحيح».

القربى[١] **وقريب من هذا وضعهم المصحف على القبر**[٢]، فإن هذا من البدع المنكرة، وليس هذا سبيل التبرك[٣]، أو وضع المصحف عند رأس المحتضر تبركا[٤]، قال الشيخ ابن باز ﷺ معلقا على ما في الفتح: «الأحكام التي تنسب إلى الدين، لا بد من ثبوتها في نصوص الدين، وكل ما لم يكن في زمن التشريع، وفي نصوص التشريع؛ فهو مردود على من يزعمه، وتقدم قول الإمام الشافعي: ولكننا نتبع السنة فعلا وتركا»[٥].

٧- إحضار القراء عند العزاء، ويقرؤون القرآن رجاء البركة للميت، وانتفاعه به، والقارئ همه المال، والمستمعون في شغل عن القرآن، ويرفعون الأصوات مع الخلان، ويخلطون ذلك بالغوغاء وشرب الدخان[٦].

٨- ومن تبركاتهم البدعية بالآيات القرآنية، أو المصحف، **أخذهم الفأل من المصحف**، أو من الآيات، وذلك بفتح القرآن[٧]، ثم ينـظر على ماذا يقع عينه، فيتفاءل

---

(١) انظر: الفواكه الدواني ١/ ٣٦٥، إتحاف أهل القبلة بأحكام القبلة، لكاتب هذه الأسطر ص٧٢، من فتاوى الأئمة الأعلام حول القرآن جمع عبد الكريم الدرويش ص٢٠٠.

(٢) انظر: تبيين كذب المفتري لابن عساكر ص٢٢٢، تاريخ بغداد٥/ ٣٨٢ فإنها حكيا وضع المصحف على قبر القاضي أبي بكر الباقلاني الأشعري!!.

(٣) انظر: المجموع ٢٢/ ٣٠١، ٣٠٢، ٣١٧، الفتاوى الكبرى١/ ٢٠٨، أحكام الجنائز للألباني ص٢٦٢، بدع القراء لمحمد موسى ص ١٥-١٦.

(٤) انظر: بدع الجنائز للألباني ص٢٤٣، بدع المقابر والجنائز لعلي الطهطاوي ص ١٤٤، البحث والاستقراء في بدع القراء لمحمد موسى نصر ص ١٥.

(٥) انظر: حاشية الفتح ٣/ ٥٥٥، الطبعة السلفية.

(٦) انظر: المدخل لابن الحاج ٣/ ٢٤٩،حاشية الشنواني على مختصر ابن أبي جمرة ص ٢١١، الإبداع في مضار الابتداع للشيخ علي محفوظ ص ٢٣١، بدع المقابر والجنائز لعلي الطهطاوي ص ١٥١.

(٧) انظر: كشف الظنون ٢/ ١٢١٦، وذكر الخلاف في أخذ الفأل من المصحف، ثم قال: وقد روي عن الصحابة ﷺ، ولم أقف على ذلك، وتأكد لي عدم ثبوته من قول شيخ الإسلام وسيأتي، ومن قول صديق حسن خان في أبجد العلوم ٢/ ٣٩٤، حيث قال: «والمعتمد عدم التفاؤل من كتاب الله، ولم يرو عن السلف، بطريق يعتمد عليها في هذا الباب، ولم يقل به أحد من أهل العلم بالحديث؛ وإذا كان فتح الفأل من التنـزيل ممنوعا، فكيف بغيره من كتب الأنبياء والأولياء والمشايخ، وقد تسرب بهذا نوع من الشرك إلى عقائد المسلمين، أعاذنا الله منه»، وهذه بعض المواضع التي يبين كيف يتفاءل القوم بآيات القرآن، وكيف يفتحونه!؟، فقد ذكر الحافظ ابن كثير الفأل في ترجمة العفيف التلمساني، فقال: «وقد ذكر والده أنه حين

بذلك، أو يتشاءم!!، ومعلوم أن القرآن الكريم ما أنزل لهذا، ولكن أهل البدع يبتدعون في الدين ما يشتهون!![1]، حتى إن أحدهم يريد أن يعرف مسألة عقدية، ليعرف حال فلان هل هو على السنة، أم لا؟؟ فيتبرك بالقرآن بأخذ الفأل منه!!، بدل أن ينظر إلى دلائله، ووضع عقيدة الرجل في ميزان الشرع، فهذا رجل يقول: إنه ذهب إلى قبر القاضي أبي بكر الباقلاني الأشعري فرأى مصحفا على القبر!! «وذلك بعد موته بشهر، فرفعت مصحفا، كان موضوعا على قبره، وقلت: اللهم بين لي في هذا المصحف حال القاضي أبي بكر!!، وما الذي آل إليه أمره!!!، ثم فتحت المصحف، فوجدت مكتوبا فيه: ﴿قَالَ يَـٰقَوْمِ أَرَءَيْتُمْ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّى وَءَاتَىٰنِى رَحْمَةً مِّنْ عِندِهِۦ فَعُمِّيَتْ عَلَيْكُمْ أَنُلْزِمُكُمُوهَا وَأَنتُمْ لَهَا كَـٰرِهُونَ﴾[هود:٢٨]»[2]، فعلى هذا الفأل البدعي يكون المخالفون للباقلاني من أهل الحديث والأثر كابن خزيمة وأبي إسحاق الشيرازي، ونحوهم هم المخاطبون بالآيات!!، أي أنهم ليسوا مسلمين!!، قال شيخ الإسلام رحمه الله: «وأما استفتاح الفأل في المصحف؛ فلم ينقل عن السلف فيه شيء...، وقد حرم الله الاستقسام بها ـ أي الأزلام ـ كالضرب بالحصا، والشعير، واللوح والخشب، والورق المكتوب عليه حروف أبجد، وأبيات شعر، ونحو ذلك: منهي عنه؛ لأنها من أسباب الاستقسام بالأزلام»[3]، وحكي عن ابن العربي المعافري المالكي

=

ولد له فتح المصحف يتفاءل!!!؛ فإذا قوله: الحمد لله الذي وهب لي على الكبر إسماعيل وإسحاق، فسماه إسماعيل، ثم ولد له آخر، فسماه إسحاق، وهذا من الاتفاق الحسن!!!» (البداية والنهاية ١٣/ ٣٧٥، وانظر منه ١٣/ ٢٦٧)، وانظر: شذرات الذهب ٤/ ٣، التحفة اللطيفة ٢/ ٣٥٧، تاريخ بغداد ٨/ ٩٢، الكامل لابن الأثير ٤/ ٤٨٦، طبقات الشافعية لابن قاضي شهبة ٤/ ٥، أبجد العلوم ٢/ ٣٤٩.

(١) انظر: المدخل لابن الحاج ١/ ٢٧٨، وقد ذكر القرطبي أن أخذ الفأل من الكتب هو من الطيرة ٦/ ٢٨٥، الإبداع في مضار الابتداع لعلي محفوظ ص ٧٤، البحث والاستقراء في بدع القراء لمحمد موسى نصر ص ١٩.

(٢) تاريخ بغداد ٥/ ٣٨٢، تبيين كذب المفتري لابن عساكر ص ٢٢٢.

(٣) المجموع ٢٣/ ٦٦-٦٧، وانظر: مختصر الفتاوى المصرية ص ٢٦٦، وكذلك قال صاحب الفواكه الدواني ٢/ ٣٤٢: **أن الفأل بالمصحف، نوع استقسام بالأزلام**، ولأنه قد يخرج ما لا يريد فيتشاءم بالقرآن، انظر: حاشية العدوي ٢/ ٦٤٥.

تحريمه، وهكذا عن غيره[(١)]، وفي تصرفهم هذا «رجم بالغيب، وقد يصيبون، وقد يخطؤون، وهذا هو الشأن في الاستخارة، والكشف، ومن يبحث عن الفأل في المصحف، وبالعكس من ذلك: فإنه لا خطأ في الوحي»[(٢)].

٩- تعليق الآيات القرآنية في البيوت، واتخاذها زينة، أو تبركا، أو كتابتها على الستور، أو اتخاذها رسوما فنية، فهذا كله لم يثبت عن السلف الصالح ﷺ[(٣)].

فالتبرك بالقرآن لا يكون بما يستحسنه العقل، ولا بما يقوله بعض الناس من دون دليل من النقل، وفي حقيقة الأمر هذا كله يدل على مخالفة الخلف للسلف، وهو في حد ذاته مخالفة للقرآن الكريم، الذي أمر باتباع السلف[(٤)].

ومن مخالفات الخلف للسلف، مخالفتهم في إعجاز القرآن الكريم، وهذا ما أبينه في الفصل الآتي.

---

(١) انظر: كشاف القناع ١/ ١٣٧.

(٢) رسالة التوحيد للعلامة إسماعيل بن عبد الغني الدهلوي ص ٣٤، وكان غزوان بن غزوان الرقاشي التابعي الجليل يكثر القراءة من المصحف، وكانت له أم كبيرة جاهلية، فقالت له ذات يوم: يا غزوان أما تجد فيه بعيرا لنا ضل في الجاهلية، قال: فما كرهها، ولا انتهرها، قال: يا أمه، أجد، والله، فيه وعدا حسنا (الطبقات لابن سعد ٧/ ٢١٧) فهذا إذا صح، يدل على أن الفأل بالكتب كان معروفا في الجاهلية، وليس هو من سنن المسلمين النقية.

(٣) انظر: كشاف القناع ١/ ١٣٧، ومنكرات البيوت لرائد ابن أبي علفة ص ٧١.

(٤) انظر: الفصل الثاني من الباب الثالث.

الفصل الرابع

قول المخالفين في كون القرآن آية لنبينا محمد ﷺ

وفيه مبحثان:

المبحث الأول: قول المعتزلة: بأن العرب صرفوا عن الإتيان بمثله.

المبحث الثاني: صور الإعجاز عند المخالفين.

المبحث الأول

قول المعتزلة بأن العرب صرفوا عن الإتيان بمثله

ذكرت أن العقيدة السلفية في القرآن الكريم كلام رب البرية، أنه معجز للبشرية أن يأتوا بمثله على السوية، أو بعشر سور من مثله بليغة قوية، أو بسورةٍ من مثله في إعجازه بصوره المختلفة الجلية، وذلك لكون القرآن كلام الله ﷻ لا كلام أحد من البشرية.

وأما المعتزلة الغوية، التي اعتقدت خلق القرآن في كلام رب البرية؛ فإنها لا تعتقد الإعجاز، إلا على صورة المجاز، وهو أن القرآن ليس معجزا في نفسه ـ وكيف يكون معجزا في نفسه، وهم اعتقدوا أنه مخلوق كالمخلوقات!! ـ، وإنما إعجازه في كون الله ﷻ صرف البشر عن الإتيان بمثل القرآن من السور، وإلا فهم قادرون على الإتيان بمثله دون غرر!!.

وقولهم هذا يسمى بـ"الصرفة"، وهي: أن الله صرف الخلق عن الإتيان بمثله، مع قدرتهم على ذلك!!، وإنما لم تتوجه هممهم إلى الإتيان، وإلا فهم قادرون على ذلك(١).

وبعض المعتزلة تقول: «تأليف القرآن، ونظمه معجز محال وقوعه منهم، كاستحالة إحياء الموتى منهم»(٢).

وممن نقل القول بالصرفة، وأنه دليل على إعجاز القرآن، وأن ما سوى ذلك من الأدلة الدالة على الإعجاز فلا يدل على صدق النبي، إذ هو بمقدور البشر، ابن رشد،

---

(١) انظر: فتح القدير للشوكاني ١/ ٥٣.

(٢) مقالات الإسلاميين ص ٢٢٥، الفرق بين الفرق ص ١٧٣.

فيقول: «وكان القرآن من جنس الأفعال المعتادة عنده إذ هو كلام، وإن كان يفضل جميع الكلام المصنوع؟ قال: إنما صار معجزا بالصرف، أعني بمنع الناس أن يأتوا بمثله، لا بكونه في الطور العالي من الفصاحة...، وقوم رأوا أنه معجز بنفسه لا بالصرف»[(١)] ثم رجح بعد أن معجزة الرسل في كونهم يأتون بالشرائع المستقيمة والأحكام السديدة، مما فيه سعادة البشر، ويدل لذلك أخبارهم الغيبية، وأفعالهم الحسنة السنية[(٢)].

بل بالغ بعض المعتزلة كالنظام فأنكر أن يكون القرآن معجزا في عجيب نظمه!!، بل ذلك للصرفة، وإنما معجزته في إخباره عن الغيوب!![(٣)].

والقرآن لا ريب في كونه معجزًا، سواء على المعتقد الصحيح ـ الذي عليه السلف ـ، أو سلمنا بقول المعتزلة؛ فإن المقصود حصل، وهو إعجاز الخلق؛ حتى بالصرفة، وهذا جواب لكل منكر للإعجاز في القرآن؛ فإنه لم يأت أحد من فصحاء العرب، ولا من بلغاء الشرق والغرب بمثل القرآن، ولا يأتون بمثله ولو اجتمع له الإنس والجان، و« من أضعف الأقوال، قول من يقول من أهل الكلام: إنه معجز بصرف الدواعي، مع تمام الموجب لها، أو بسلب القدرة التامة المعتادة، في مثله، سلبا عاما...، وهو أن الله صرف قلوب الأمم عن معارضته، مع قيام المقتضي التام؛ فإن هذا يقال على سبيل التقدير والتنـزيل وهو: أنه إذا قدر أن هذا الكلام يقدر الناس على الإتيان بمثله؛ فامتناعهم جميعهم عن هذه المعارضة، مع قيام الدواعي العظيمة إلى المعارضة من أبلغ الآيات الخارقة للعادات»[(٤)].

قال السمعاني رحمه الله: «ولا نقول كما قال بعض المبتدعة: إن نفس القرآن ليس

---

(١) مناهج الأدلة لابن رشد ص ١١٩.

(٢) انظر: مناهج الأدلة لابن رشد ص ١٢١-١٢٢.

(٣) مقالات الإسلاميين ص ٢٢٥، وذكر أبو يعلى الفراء في المعتمد ص٢٧٦، أن النظام لا يرى حتى الإعجاز في إخباره بالغيوب!!.

(٤) الجواب الصحيح ٥/ ٤٢٨.

بمعجز، وإن فصاحة بعض الفحول من شعراء الجاهلية لا تكون دون فصاحته، وإنما الإعجاز في القرآن: هو أن الله ﷻ منع الخلق عن الإتيان بمثله، مع قدرتهم عليه. وهذا قول باطل، وزعم كاذب»[(١)].

فنحن نقول: لمن أنكر إعجاز القرآن: «إن كان هذا القرآن معجزا بنفسه، لا يستطيع البشر الإتيان بمثله، ولا في قواهم معارضته؛ فقد حصل المدعى، وهو المطلوب، وإن كان في إمكانهم معارضته بمثله، ولم يفعلوا ذلك مع شدة عداوتهم له كان ذلك دليلا على أنه من عند الله؛ لصرفه إياهم عن معارضته، مع قدراتهم على ذلك، وهذه الطريقة؛ وإن لم تكن مرضية؛ لأن القرآن في نفسه معجز، لا يستطيع البشر معارضته، إلا أنها تصلح على سبيل التنزل، والمجادلة والمنافحة عن الحق»[(٢)].

فقول المعتزلة أيضا يثبت به إعجاز القرآن الكريم، على وجه التسليم والتنزل للخصم، **وأما الرد على القول بالصرفة، فبما يأتي**:

١- أن القول بالصرفة يعني أنه في حقيقة الأمر، لا فرق بين كلام الله، وكلام البشر!!! والحال أن الفرق بينهما ظاهر، سواء كلام البشر قبل المعارضة، أو بعد المعارضة، سواء ما كتبه البشر قبل المعارضة، أو بعد المعارضة، بل الفرق بين كلام الله، وكلام الرسول ﷺ، ظاهر لكل من له أدنى تدبر للسنة[(٣)]؛ فكيف يقال: إنه يمكن الإتيان بمثل القرآن لقدرة البشر على ذلك، ولكن منعوا عنه!!، إذاً أين كلامهم الذي يقارب القرآن ـ فضلا أن يماثله ـ قبل التحدي؟؟، وللعرب أشعار، وخطب، ونثر، وكذلك للعجم.

٢- أن الناس من قريش ومَن سواهم، ومَن بعدهم يجدون الدواعي على المعارضة، ولكنهم يحسون من أنفسهم العجز عن المعارضة، لا لأنهم منعوا من الكلام،

---

(١) قواطع الأدلة ١/ ٣٤.

(٢) تفسير القرآن العظيم ١/ ٦٢، وانظر: الإعلام بما في دين النصارى من الفساد والأوهام ص ٣٢٨.

(٣) انظر: الجواب الصحيح ٥/ ٤٣٠.

كما يمنع الرجل السوي[(١)]، ولم يقولوا: يا محمد!! نريد أن نعارض ما جئت به، ولكنا نمنع، ولا نستطيع بسحرك أن نتكلم؛ فهلا تركتنا لنتحدى ما جئت به من الكلام!!؟، فدل هذا على أنهم تركوا المعارضة للعجز عن تحديه، لا للعجز عن القيام به.

٣- أن القول بالصرفة على مذهب المعتزلة مستحيل: إذ كيف يصرف العباد، ويعجزون عن المعارضة، وعن الكلام، أو عن كتابته، وهذه مفعولات للعبد غير مخلوقة لله ﷻ بزعمهم!!!، فأفعال العباد لا تدخل في مقدورات الرب عندهم!!، فإذا كانت لا تدخل في مقدورات الرب؛ فكيف منعهم من المعارضة، والله تعالى بزعمكم لا يقدر أن يخلق أفعال العباد!!!، وهذه وحدها تدلك على ضلال أهل البدع؛ فإن كلامهم ينقض بعضه بعضا؛ فيلزمهم: إما أن يقولوا بالصرفة، ويتركوا قولهم بأن الله لا يقدر على خلق أفعال العباد، وأن الخالق لها هم العباد أنفسهم، دون إرادة الله!!!، أو يقولوا بهذا ويتركوا قولهم بالصرفة.

٤- أن القول بالصرفة يعني: أن المعجزات السابقة للأنبياء كانت أفضل من معجزة محمد ﷺ إذ خلق الله الناقة لصالح، والحية من العصا لموسى - عليهما وعلى نبينا الصلاة والسلام -، والقوم لم يقدروا عن الإتيان بمثل ذلك لا لكونهم صرفوا اتفاقا، وإنما لعجزهم عن ذلك؛ فيكون على هذا قول المعتزلة أن معجزة نبينا محمد ﷺ دون معجزة الأنبياء السابقين[(٢)]، وقد قال ﷺ: **[ما من نبي من الأنبياء إلا أعطي ما على مثله آمن عليه البشر، وإنما كان الذي أوتيته وحيا أوحاه إلي؛ فأرجو أن أكون أكثرهم تابعا يوم القيامة]**.

٥- أن الإعجاز متعلق بسورة من القرآن، ولو كان الإعجاز متعلّقا بالصرفة لما كان في ذكر التحدي بالسورة من فائدة[(٣)].

---

(١) انظر: الجواب الصحيح ٥/ ٤٣٠.

(٢) انظر: فتح القدير للشوكاني ١/ ٥٣.

(٣) انظر: فتح البيان ١/ ٨٧.

٦- «أن المتأمل في نظم القرآن، وجزالته، وفصاحته، وعرضه على كل نظم عُرف من أساليب كلام العرب، وكل كلام فصيح عرف من كلامهم، ثُم امتيازه عن الكل بروائه، وبهائه، وطلاوته، وحلاوته، وإغداقه، وإيناقه، وإعجازه ظاهر لكل ذي لب من الناس لولا خذلان يلحق بعض القوم، ونسأل الله العصمة بمنه»[1].

وهكذا كل فرقة ضلت وغوت في اعتقادها في كلام الله؛ فإنها تضل فيما يترتب على ذلك من المسائل، وأبين في المبحث الآتي أقوال المخالفين للسلف في إعجاز القرآن الكريم، من غير القائلين بالصرفة.

(١) قواطع الأدلة ١/ ٣٥-٣٦.

المبحث الثاني: صور الإعجاز عند المخالفين.

سبق أن بينت صور إعجاز القرآن الكريم عند السلف، وأنه بلفظه، ومعناه، وبتشريعه، وبيانه، وإخباره، وعلومه[(١)].

وأما المخالفون للسلف؛ فكل ملة منهم له رأي في إعجاز القرآن الكريم، وذلك ناشئ عن خلافهم في حقيقة القرآن الكريم.

فيرى الصوفية المتفلسفة، أنه يمكنهم أن يأتوا بمثل هذا القرآن!!، بل قالوا: إن النبي يأخذ من اللوح ونحن نأخذ عن الله مباشرة!!، قال: «عمرو بن عثمان[(٢)] كنت أماشيه ـ أي: الحلاج[(٣)] ـ يوما فقرأت شيئا من القرآن؛ فقال: يمكنني أن أقول مثل هذا!!!»[(٤)].

ومتفلسفة المسلمين يظنون أن القرآن ليس معجزا بنفسه، ولا معجزا لكونه كلام الله، بل لكون نفس النبي ﷺ قد صفت فجاء بسبب تصفية قلبه، وتصرف نفس النبي!!!، هذا الكلام الذي عجزت النفوس عن الإتيان بمثله!!!، وهذا القول بناء

(١) انظر: الفصل الخامس، من الباب الأول.

(٢) هو الزاهد: عمرو بن عثمان ابن كرب بن غصص، أبو عبد الله المكي، صحب الخراز، وروى عن يونس بن عبد الأعلى، وكان من أئمة الفقه، ولي قضاء جدة، وكان ينكر على الحلاج ويذمه، توفي بعد الثلاث مئة. انظر: السير١٤/ ٥٧.

(٣) هو الصوفي الكبير، صاحب المخاريق الشرير: الحسين بن منصور بن محمي، أبو عبد الله الحلاج الفارسي، وجده محمي كان مجوسيا، صحب الحسين التستري الصوفي، والجنيد، وأكثر الترحال والأسفار والمجاهدة على الطريقة الصوفية، تبرأ منه الصوفية الذين عرفوا قوله في الحلول، وكان يميل إلى التشيع مع إظهار التصوف بلون معقول، قتل أيام المقتدر لزندقته، وذلك سنة ٣٠٩هـ. انظر: السير ١٤/ ٣١٣.

(٤) الفرق بين الفرق ص ١٩٨.

على أنه لا وحي ولا موحي؛ وإنما ذلك تخيلات في نفس النبي!!![1].

وذلك لأن الفلاسفة: «هم الذين قالوا: إن معجزات الأنبياء ـ عليهم الصلاة والسلام ـ قوى نفسانية»[2].

قال ابن سينا: «الذي يقع له هذا ـ إشارة إلى الوحي والإلهام ـ في جبلة النفس، ثم يكون خيرا رشيدا، مزكيا لنفسه، فهو ذو معجزة من الأنبياء، أو كرامة من الأولياء، وتزيده تزكيته لنفسه، في هذا المعنى زيادة على مقتضى جبلته؛ فيبلغ المبلغ الأقصى، والذي يقع له هذا ثم يكون شريرا، ويستعمله في الشر، فهو الساحر الخبيث»[3].

فلم يفرق بين المعجزة الدالة على صدق الأنبياء، وخوارق السحرة إلا بالنظر إلى دعاواهم!![4].

وقد وافق الرازي هؤلاء في بعض كتبه، يقول الرازي: «وخواص النبي كما ذكرنا ثلاث: **أحدها**: في قوته العاقلة...، **وثانيها**: في قوته المتخيلة...، **وثالثها: أن تكون نفسُهُ متصرفة في مادة هذا العالم!!! فيقلب العصا ثعبانا!!!، والماء دما يبرئ الأكمه والأبرص، إلى غير ذلك من المعجزات!!!**»[5].

فالفلاسفة من المخالفين الذين قالوا بأن الملائكة لا حقيقة لهم[6]، ومعلوم أن نزول الوحي، وإعجاز القرآن متوقفان على إثبات الملائكة عموما، وإثبات نزول جبريل خصوصا، وهم ينفون ذلك، فأين يكون كلام الله المعجز المتحدى به عندهم، ثم لو فرضنا أن هذا المتفلسف منتم إلى أهل الإسلام المثبت للملائكة والوحي؛ فإن

---

(١) انظر: الصفدية ١/ ١٦٨.

(٢) الصفدية ١/ ١٢٨، وقد ذكر شيخ الإسلام ﷺ وجوها كثيرة في الرد على من زعم بأن المعجزات إنما هي من قبيل القوى النفسانية. انظر: الصفدية ١/ ١٨١ وما بعدها.

(٣) الإشارات لابن سينا ٤/ ٨٩٨-٨٩٩.

(٤) انظر: الرد عليه في الصفدية ١/ ١٧٩ وما بعدها.

(٥) انظر: المباحث المشرقية للرازي ٢/ ٥٥٦.

(٦) انظر: الدر النضيد لابن الحفيد ص ٣٤٧.

الوحي عنده هو: الفيض، الذي يكون بسبب نقاء وصفاء نفس النبي ليس إلا؛ فتفيض عليه المعارف الماضية والمستقبلية!!، ويكون الكلام كلامه؛ فكيف يكون حينئذ معجزا!!، ولهذا قالوا: إنه معجز من حيث المعنى الذي جاء به النبي من التشريعات الحسنة، والمؤثرات الحميدة على النفس!!![(١)].

ولهذا جعل الفيلسوف ابن سينا معجزات الأنبياء من قبيل خواص الأجسام التي تؤثر بقوة تخصه، فالمعجزات عنده من قبيل المؤثرات بسبب العناصر الموجودة فيها، لا أنها فيها خاصية الإعجاز، فيقولون: المعجزة مثل: جذب الحديد للمغناطيس!!![(٢)].

وهذا فيلسوف فلاسفة المسلمين ابن رشد، يقول بأن معجزة الرسول ﷺ ليست في كونه جاء بهذا الكلام؛ فإن هذا لا مزية فيه!!!، فهو يرجح أن معجزة الأنبياء في كونهم يأتون بالشرائع المستقيمة، والأحكام السديدة، مما فيه سعادة البشر، ويدل لذلك أخبارهم الغيبية، وأفعالهم الحسنة السنية[(٣)].

قلت: ولا يخفى أن هذا القول فيه حق وباطل، والحق أن ما ذكره دال على الإعجاز وصدق النبي، ولكن أن يكون هذا هو الشيء الوحيد الذي يدل على صدق النبي ﷺ، دون القرآن، وغيرها من المعجزات، فلا، وهذا القول من ابن رشد: يؤكد أنه مثل الفلاسفة لا يرى إلا أن ما جاء به الأنبياء هو التخييل، كما صرح هو في غير موضع بهذا، فإذا كان تخييلا؛ فيعني ذلك أنه لا حقيقة لهذه المعجزات في نفسها؛ وإنما هي من قبيل النيرنجيات[(٤)]؛ ولذلك قال: بأن ما جاؤوا به فيه صلاح البشر، وهو يعني أن التخييل فيه صلاح الجمهور!!!، لا أن ما جاؤوا به معجزات في نفسها.

---

(١) انظر: النبوات ص٢٦٠، ٢٧٤،

(٢) انظر: الصفدية ١/ ١٦٥.

(٣) انظر: مناهج الأدلة لابن رشد ص ١٢١-١٢٢، الفيلسوف المفترى عليه ص١٤١.

(٤) نيرنجيات جمع نيرنج وهو: الدهاء والمكر، وأخذ كالسِّحر وليس به. انظر: المعجم الوسيط ٢/ ٩٦٧.

ولهذا الفلاسفة «ظنوا أن هذه الخوارق من قوى النفس، قالوا: والفرق بين النبي والساحر، أن النبي يأمر بالخير، والساحر يأمر بالشر»(١).

وأما المعتزلة فيرون القرآن الكريم معجزة لكون الله ﷻ صرف العباد عن الإتيان بمثله، وإلا فإن الخلق قادرون على الإتيان بمثله!! حتى زعم النظام: «أن نظم القرآن، وحسن تأليف كلماته، ليس بمعجزة للنبي ﷺ، ولا دلالة على صدقه في دعواه النبوة، وإنما وجه الدلالة منه على صدقه، ما فيه من الأخبار عن الغيوب؛ فأما نظم القرآن، وحسن تأليف آياته؛ فإن العباد قادرون على مثله، وعلى ما هو أحسن منه في النظم، والتأليف، وفى هذا عناد منه لقول الله ﷻ: ﴿قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا﴾[الإسراء:٨٨]»(٢).

وكان راهب المعتزلة (٣) يقول أيضا: «بإبطال إعجاز القران من جهة الفصاحة والبلاغة»(٤).

وأما الرافضة فإنهم وإن قالوا: إن القرآن معجز؛ فهذا ينقض قولهم: بزيادته ونقصانه؛ لأن من علامات إعجازه، صدقه في إخباره، وقد أخبر الله فيه أنه قد حفظه، وأما إن قالوا: بزيادته ونقصانه!!، فهذا تكذيب لإعجازه، ورد على آياته.

وكذلك القائلون بالكلام النفسي: يلزمهم أن القرآن ليس بمتحدى به، لأن الكلام النفسي لا يتحدى به(٥)، ولهذا صرح بعضهم بـ «أن الإعجاز مختص بنظمه

---

(١) النبوات ص٣٣٩.

(٢) الفرق بين الفرق للبغدادي ص١٠٣، ٢٦٦.

(٣) انظر: الفرق بين الفرق للبغدادي ص١٥١. عيسى بن صبيح المعروف بأبى موسى (المردار) وكان يقال له (راهب) المعتزلة وهذا اللقب لائق به إن كان المراد به مأخوذا من رهبانية النصارى ولقبه بالمردار لائق به أيضا لأنه بالفارسية معناه العذرة، وهو في الجملة كما قيل، وقل ما أبصرت عيناك من رجل إلا ومعناه إن فكرت في لقبه.

(٤) الملل والنحل للشهرستاني ص ٣١، وانظر: الفرق بين الفرق ص ١٢٢، وانظر: المبحث الأول في هذا الفصل، قول المعتزلة بالصرفة.

(٥) انظر: الدر النضيد لابن الحفيد ص ١٥٦.

العربي دون معناه»[(١)] !!!.

بل إن أبا المعالي الجويني صرح بهذا فقال: «ثم اعلموا أن المعجزة لها أوصاف، تتعين الإحاطة بها، منها: أن تكون فعلا لله؛ فلا يجوز أن تكون المعجزة صفة قديمة!!؛ إذ لا اختصاص للصفة القديمة ببعض المتحدين دون بعض، ولو كانت الصفة القديمة معجزة، لكان وجود الباري تعالى معجزا»[(٢)].

وهذا كلام يدل على أن العقيدة السيئة تؤدي إلى القول السيئ، وإلا فإن الله ﷻ لم يقل للعباد حين تحداهم بكلامه أن يأتوا بكلام ليس بمخلوق، وإنما وقع التحدي من حيث النظم والترتيب، والتركيب، والمعاني، والبديع، لا مماثلة الكلام نفسه من حيث هو.

ثم القول بأن المعجزة لا بد وأن تكون فعلا لله ﷻ دليل صريح في أنهم لا يرون الكلام النفسي، الذي أثبتوه في الخيال معجزا، وإنما المعجز عندهم النظم العربي ـ الذي ألفه عندهم جبريل، أو محمد عليهما السلام ـ دون المعنى!!.

وأيضا هذا يُنْبِئُ عن قرب الأشاعرة للمعتزلة بطرق ملتوية؛ لأنه إذا كانت المعجزة لا بد أن تكون فعلا لله ﷻ، فهذا يعني أن الله صرف العباد ـ وهذا فعل لله ـ عن الإتيان بمثل لفظ ونظم القرآن، لا أنه في نفسه معجز!!!.

ومن بعض هؤلاء من يناقض القول السابق، فيزعم أن التحدي إنما هو في المعنى، لا في المبنى، بناء على قولهم بالكلام النفسي، الذي قالوا: هو المعنى، وأما الألفاظ الدالة عليه فلا يكون عندهم من معجز!!![(٣)]، قالوا: «فمن يقول: الإعجاز لا يتحقق إلا بالنظم؛ فهو لا يجد بدا من أن يقول بأن المعجز محدث!!، وهذا مما لا يجوز القول به»[(٤)].

---

(١) انظر: حواشي الشرواني ٢/ ٤٤.

(٢) الإرشاد للجويني ص٢٦١، ٢٩٢.

(٣) انظر: أصول السرخسي ص٢٨١-٢٨٢.

(٤) أصول السرخسي ص٢٨٢، وهذا القول هو الذي رجحه، وإن كان ذكر قول أهل السنة من أن القرآن

ولما كان خلافهم شديدا في المعجزات وحقيقتها، كان من كبارهم كالغزالي والرازي، من اعترف بأن المعجزات قد لا توصل إلى معرفة النبي!!؛ يقول الغزالي: « فإن وقع لك الشك في شخص معين أنه نبي أم لا؟ فلا يحصل اليقين إلا بمعرفة أحواله، إما بالمشاهدة، أو بالتواتر، والتسامع..فأكثر النظر في القرآن والأخبار يحصل لك العلم الضروري بكونه ﷺ على أعلى درجات النبوة، واعضد ذلك بتجربة ما قاله في العبادات، وتأثيرها في تصفية القلوب...؛ فمن هذا القبيل اطلب اليقين بالنبوة، لا من قلب العصا ثعبانا، وشق القمر؛ فإن ذلك إذا نظرت إليه وحده؛ ولم تنظم إليه القرائن الكثيرة الخارجة عن حد الحصر، ربما ظننت أنه سحر، وأنه تخييل، وأنه من الله تعالى إضلال »[(١)].

فقوله: قريب من قول ابن رشد، وهو الاستدلال على النبوة بالأخلاق الحسنة، والتشريعات الصحيحة الطيبة، فهذا قد يرجع إلى ما ذكرته عن ابن رشد، وقد يرجع إلى مقصد حسن، وهو فتح طريق آخر للاستدلال على النبوة، ولكن يجب التأكيد على أن القرآن وجوه إعجازه أكثر من أن تعد، وأشمل من أن تحصر في هذا.

ولكن تأكد لي أن هذا يرجع إلى قول الفلاسفة ـ على طريقة ابن رشد ـ لما وقفت على كلام شيخ الإسلام رحمه الله، حيث قال: « ولكن النبوة التي علمها أبو حامد، هي النبوة التي تثبتها الفلاسفة، وهي من جنس المنامات، ولهذا استدل على جوازها بمبدأ الطب والهندسة، ونحو ذلك!!.

وأمر النبوة أعظم من هذا بكثير، وتلك النبوة موجودة لخلق من الناس، ولهذا لا يوجد للنبوة عندهم ما تستحقه من التصديق والاحترام، ولا يعتمدون عليها في استفادة شيء من العلم الخبري، وهي الإنباء بالغيب، وهي خاصة النبوة.

=

معجز لفظا ومعنى، ثم ذكر لما رجحه دليلا آخر، وهو: كيف يكون معجزا بلفظه، والعجم لا تفهمه؟ ومعلوم أن هذا لا يلزم؛ لأن أصحاب الفن من البلاغة إذا عجزوا فغيرهم أعجز، فعجزهم عجز لهم، كما هو معلوم، وإلا لصح أن يقال: إن عصا موسى ليس بحجة لأنه لم يعلم العوام مخالفته للسحر، وإنما الذي علم ذلك هم أهل الاختصاص، وهذا معلوم البطلان.

(١) انظر: المنقذ من الضلال صـ١٤٥-١٥٠، وقرر مثل هذا الرازي في كتابه معالم أصول الدين ص٩٣-٩٥.

والرازي كلامه في النبوة متردد بين نبوة الفلاسفة، ونبوة أصحابه هؤلاء»[(١)].

فالأخلاق الحسنة والدعاوى الطيبة وحدها لا تدل على النبوة، فكم من رجل في الدنيا كان على خلق مع الناس، وكان صاحب دعوةٍ وله شأو، ولم يكن نبيا.

وكذلك أهل الكلام يقعون في خطأ آخر في باب المعجزات، وهو حصرهم معرفة النبي بالمعجزات، وهذا خطأ، إذ النبوة أمر يعرف بالمعجزات، والتشريعات، والنظر إلى أحوال النبي من حسن الأخلاق والمعاملات[(٢)].

وبعض المخالفين للسلف من المتقدمين والمعاصرين قصروا معجزات نبينا محمد ﷺ في القرآن فحسب، ومعلوم أن هناك معجزات أخرى له ﷺ، فلا يجوز إنكارها[(٣)].

ومما يدل على خطأ المتكلمين في باب المعجزات: أنهم لم يفرقوا بينه وبين الخوارق الشيطانية إلا بكون النبوة معها الدعوى، وتلك خالية عن دعوى النبوة!!![(٤)]، **قال شيخ الإسلام** رحمه الله: «وجنس السحر والكهانة متى اقترن به دعوى النبوة كان دليلا على النبوة عندهم، لكن قالوا: الساحر والكاهن لو ادّعيا النبوة لكان يمتنع من ذلك، أو يعارضان بمثله، وأما الصالح فلا يدعي؛ فكان أصلهم: أن ما يأتي به النبي والساحر والكاهن، والولي من جنس واحد!!! لا يتميز بعضه عن بعض بوصف!!، لكن خاصة النبي اقتران الدعوى، والاستدلال، والتحدي بالمثل بما يأتي به، فلم يجعلوا لآيات الأنبياء خاصة تتميز بها عن السحر، والكهانة، وعما يكون لآحاد المؤمنين، ولم يجعلوا للنبي مزية على عموم النبي، ولا على السحرة، والكهان، من جهة الآيات التي يدل الله بها العباد على صدقه، وهذا افتراء عظيم على الأنبياء وآياتهم، وتسوية بين أفضل الخلق، بل تسوية بين ما يدل على النبوة، وما يدل على نقيضها!!!»[(٥)].

---

(١) النبوات ص٣٨٤.

(٢) انظر: الإرشاد للجويني ص٢٧٣، ٢٧٨، شرح الأصبهانية ص٤٧١، ٥٧٣، ٥٩١، ٦٠٩.

(٣) انظر: الإرشاد ص ٢٩٦، النبوات ص٢٣٤، موقف العقل والعلم والعالم ١/ ٢٧، ٤/ ٤٤.

(٤) انظر: الإرشاد للجويني ص٢٦٩-٢٧١، النبوات ص١٩٨، ٢٣٥، ٢٤٠.

(٥) النبوات ص ٢٣٧-٢٣٨، وانظر منه: ص٣٣٩.

وعلى هذا القول ـ أعني القول بأن الخارق للعادة مطلقا يدل على النبوة إذا كان معها دعوى النبوة ـ فـ « المعجزة هي: مجموع دعوى الرسالة مع التحدي، فلا حاجة إلى كونه خارقا، ويجب إذا تحدى بالمثل أن يقول: فليأت بمثل القرآن من يدعي النبوة؛ فإن هذا هو المعجز عندهم، وإلا فالقرآن مجردا ليس بمعجز؛ **فلا يطلب مثل القرآن إلا ممن يدعي النبوة**»[1].

فالقرآن معجز عند هؤلاء المتكلمين من الأشاعرة ومن وافقهم لكونه كان مصحوبا بالتحدي، لا في نفسه، وإنما لمجرد الدعوى المصحوبة معه، ثم يؤدي هذا إلى قول المعتزلة بالصرفة، حيث إن قول هؤلاء: أن من ادعى النبوة ومعه خارق للعادة، كأن يكون بليغا، ويريد أن يأتي بمثل القرآن؛ فإن الله يمنعه، وينسيه البلاغة، وهذا هو الصرفة؛ لأنهم قالوا في التفريق بين خوارق السحرة، وخوارق الأنبياء؛ أن الفارق هو الدعوى، فالساحر لا يدعي النبوة، ولو ادعى فإن الله سيسلبه السحر!!![2].

فعلى قول الأشعرية والماتريدية لا يستقيم دعوى الإعجاز؛ لأن الله عندهم يجوز له أن يصدق الكاذب، ويكذب الصادق، « فيجوزون أن يأمر الله بكل شيء، وأن ينهى عن كل شيء؛ فلا يبقى فرق بين النبي الصادق، والمتنبي الكاذب »[3].

ويستدل بعضهم على كون القرآن معجزة بكونه حجة، كما يقول الباقلاني مستدلا على إعجاز القرآن الكريم بكونه هداية للناس: « فأخبر أنه أنزله ليقع الاهتداء به، ولا يكون كذلك إلا وهو حجة، ولا تكون حجة إن لم تكن معجزة!! »، ويقول بعد آية استجارة المشرك: « فلو لا أن سماعه إياه حجة عليه لم يوقف أمره على سماعه، ولا يكون حجة إلا وهو معجزة »[4].

---

(١) النبوات ص٧٣، وانظر منه ص٢٠٠.

(٢) انظر: النبوات ص٧٣.

(٣) النبوات ص٢٤٠، وانظر: منه ص ٣٢٠.

(٤) إعجاز القرآن ص٢٨.

ورحم الله القاضي إذ لو عكس القضية لكان أثبت، فهذه الأحاديث النبوية حجة، ومعلوم أنها مع حجيتها ليست معجزة، ولا متحدى بها، وكذلك إجماع الصحابة حجة، بل كل إجماع صحيح حجة، وليس بمعجزة، فالصحيح أن يقال: كل معجزة حجة على الخلق، ولا عكس - والله تعالى أعلم -.

بل وربما عدّ المخالفون للسلف معجزات اخترعوها، أو ذكروها في غير بابها، أنها أشمل من معجزة القرآن!!!، يقول مصطفى صبري - شيخ الإسلام في الدولة العثمانية - عن صديقه الكوثري الجهمي البغيض: «إن صديقي الشيخ زاهد أبقاه الله للإسلام!!، وعلمائه، غواص منقطع النظير في البحرين المحيطين اللذين هما: علم الحديث، والفقه، والذين امتاز بهما الإسلام على جميع الأديان، وعلماؤه على علمائها في ضبط وتحقيق الحقائق الدينية؛ فأصبحا: أي العِلمان وعلماؤهما **أكبر معجزات محمد ﷺ!!، وأدومها بعد معجزة القرآن!!، وأشمل منها، نظرا إلى أن إعجاز القرآن يخص فهمه بالعرب!!، وفهم معجزة علمي الفقه والحديث يعم كل ذي عقل وإنصاف**»[(١)].

فيا للعجب!! القرآن الذي يقرؤه الصيني، والتركي، والرومي، والحبشي، لا يكون معجزة عند هؤلاء لهؤلاء!!، مع أنهم يقرؤونها كأنه منزّل بلغتهم، ميسر على ألسنتهم، ولا يقرأ أحدهم شيئا من كتب الفقه والحديث، فكيف تكون أشمل من القرآن!!.

ثم الفقه الذي كان من استنباطات الفقهاء، كان في أحايين وفي مختلف البلدان سببا للقتل والقتال بين المسلمين، بسبب التعصب للمذاهب والعلماء، وأما القرآن الكريم؛ فهو جامع للناس، وكيف لا، وهو حبل الله المتين، وكتابه المبين.

ولا يتبين هذا إلا بمعرفة منـزلته الحقة، عند أهل الحق من السلف الصالحين، ومتبعيهم من الخلف العاملين، وهذا الأمر هو الذي سيكون حديثي عنه في الباب الآتي.

---

(١) موقف العقل والعلم والعالم من رب العالمين ٣/ ٣٩٣، وهو في هذا الموضع أثنى على الكوثري، وجعله من المعجزات، مع أنه يطعن في علماء السلف، والمتبعين لهم من الخلف، فسمى الطائفة السلفية بالمبتدعة، وزعم أن مؤسسها ابن تيمية.

سلسلة الرسائل الجامعية

(٥)

القرآن الكريم

ومنزلته بين السلف ومخالفيهم

دراسة عقدية

تأليف

محمد هشام بن لعل محمد طاهري

تقديم

أ. د. محمد بن عبد الرحمن الخميس

أستاذ العقيدة بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض

المجلد الثاني

دار التوحيد للنشر

الرياض

بسم الله الرحمن الرحيم

البَابُ الثَّالِث

مَنزِلَة القرآن الكريم عند السَّلَف

وفيه ثلاثة فصول:

الفصل الأول: بيان فضل القرآن الكريم، ووجوب تعظيمه.

الفصل الثاني: طريقة السلف في فهم القرآن، والاحتجاج به.

الفصل الثالث: جهود السلف في حفظ القرآن.

الفصل الأول

في بيان فضل القرآن الكريم ووجوب تعظيمه

وفيه مبحثان:

المبحث الأول: فضل القرآن الكريم.

المبحث الثاني: تعظيم القرآن الكريم.

المبحث الأول: فضل القرآن الكريم

إن العقيدة السلفية نابعة من الكتاب والسنة النبوية، ولما كان المعتقد نابعا من القرآن الكريم وما جاء في سنة النبي الكريم ﷺ عرف أصحابها عَظَمة كلام الله ﷻ على كلام من سواه، كيف وفضل القول يكون بفضل قائله، كما أن فضل الصفة يتبين بفضل الموصوف به(١)؛ فيعتقد السلف الصالحين، بأن فضل القرآن عظيم، وأن كلام الله ﷻ لا يماثله كلام، ولهذا قدموه قولا وعملا، واحتجاجا وتعبدا، وتتبين هذه الفضائل من خلال المطالب التالية.

المطلب الأول: الأدلة في بيان فضل القرآن.

الأدلة في بيان فضل القرآن الكريم كثيرة متوافرة، سواء من نصوص القرآن الكريم نفسه، أو من نصوص السنة المطهرة(٢)، وأذكر بعض الأدلة لبيان فضل القرآن الكريم، ومنها:

١- قال ﷻ: ﴿ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ ۖ فَٱحْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ عَمَّا جَآءَكَ مِنَ ٱلْحَقِّ ۚ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا ۚ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَلَٰكِن لِّيَبْلُوَكُمْ فِى مَآ ءَاتَىٰكُمْ ۖ فَٱسْتَبِقُوا ٱلْخَيْرَٰتِ ۚ إِلَى ٱللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴾[المائدة: ٤٨] فالتوراة، والإنجيل، والقرآن جميعها كلام الله، والقرآن

---

(١) انظر: المجموع ١٧/ ٢٠٩.

(٢) انظر: الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ١/ ٧.

أفضل الثلاثة، فلذلك كان له الهيمنة على الكتب السابقة، وإليه المرجع في الأحكام اللاحقة، والشرعة والمنهاج لا بدّ أن يكون منه مأخوذا، والرأي والمرجع إليه أبدا.

٢- قال تعالى: ﴿ ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ ٱلْحَدِيثِ كِتَٰبًا مُّتَشَٰبِهًا مَّثَانِىَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُدَى ٱللَّهِ يَهْدِى بِهِۦ مَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ ﴾[الزمر: ٢٣]، «فأخبر أنه أحسن الحديث، فدل على أنه أحسن من سائر الأحاديث المنـزلة من عند الله، وغير المنـزلة»(١).

٣- قال الله ﷻ: ﴿ نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ ٱلْقَصَصِ بِمَآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ وَإِن كُنتَ مِن قَبْلِهِۦ لَمِنَ ٱلْغَٰفِلِينَ ﴾[يوسف: ٣]، فكل ما أوحاه الله ﷻ هو من أحسن القصص، وليس هذا خاصا بسورة يوسف؛ لأنه قال: ﴿ بِمَآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ ﴾؛ فإذا كانت القصص القرآنية أفضل القصص، دل على أنه أفضل من غيره، بكل حال، وهذا هو اعتقاد السلف(٢).

٤- قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَٰكَ سَبْعًا مِّنَ ٱلْمَثَانِى وَٱلْقُرْءَانَ ٱلْعَظِيمَ ﴾[الحجر: ٨٧] قيل المراد بالسبع المثاني الفاتحة، وسواء أريد به الفاتحة أم غيرها، فإن القرآن وصف بأنه عظيم وذلك يدل على فضله العميم، إذ وصف بهذا الاختصاص، على عكس ما لم يوصف بذلك(٣).

٥- ومما يدل على فضله، ويُذَكِّر بشأنه، كونه كتاب هداية، وآياته مشاعل نور، قوله تعالى: ﴿ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّى هُدًى فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَاىَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ ﴾ [طه: ١٢٣]، وقوله ﷻ: ﴿ وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا ۚ مَا كُنتَ تَدْرِى مَا ٱلْكِتَٰبُ وَلَا ٱلْإِيمَٰنُ وَلَٰكِن جَعَلْنَٰهُ نُورًا نَّهْدِى بِهِۦ مَن نَّشَآءُ مِنْ عِبَادِنَا ۚ وَإِنَّكَ لَتَهْدِىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ

---

(١) المجموع ١٧/ ١١.

(٢) انظر: المجموع ١٧/ ٣٩.

(٣) انظر: المجموع ١٧/ ١١.

مُّسْتَقِيمٍ ﴿٥٢﴾ صِرَٰطِ ٱللَّهِ ٱلَّذِى لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ أَلَآ إِلَى ٱللَّهِ تَصِيرُ ٱلْأُمُورُ ﴾[الشورى: ٥٢-٥٣].

٦- قوله ﷺ: [**خير الحديث كتاب الله**]. وهذا واضح في التفضيل.

٧- قال ﷺ: [**إن مثل ما بعثني الله به عز وجل من الهدى، والعلم، كمثل غيث أصاب أرضا، فكانت منها طائفة طيبة قبلت الماء؛ فأنبتت الكلأ، والعشب الكثير، وكانت منها أجادب أمسكت الماء؛ فنفع الله بها الناس، فشربوا منها، وسَقوا، ورعوا، وأصاب طائفة منها أخرى، إنما هي قيعان: لا تمسك ماء، ولا تنبت كلأ؛ فذلك مثل من فَقُه في دين الله، ونفعه بما بعثني الله به فعلم وعلَّم، ومثل من لم يرفع بذلك رأسا، ولم يقبل هدى الله الذي أرسلت به**](١)، فشبه النبي ﷺ الوحي الذي جاء به بالماء الذي به حياة الأبدان، وما جاء به من الوحي فيه حياة القلوب في الدنيا والآخرة(٢)، وهذا يدل على فضل عظيم، إذ كان به حياة الإنسان، حياة تنجيه من النيران، وتقيه الخسران، وتولجه الجنان.

٨- جاء مرفوعا: [**فضل كلام الله على سائر الكلام، كفضل الله على خلقه**](٣)، وقد بوب به البخاري رحمه الله حيث قال: «باب: فضل القرآن على سائر الكلام»(٤).

٩- يدل على فضل القرآن الكريم أن الاغتباط متعلق به، فلا يغبط إلا صاحب القرآن العامل به، أو صاحب المال المنفق في سبيل الله، وبهذا يصدق من قال: نعم القرآن لتاليه، والمال لباذليه، وقد بوب البخاري رحمه الله في كتاب فضائل القرآن، بباب

---

(١) رواه البخاري، كتاب الإيمان، باب/ فضل من علم وعلَّم، ح(٧٩)، ومسلم، كتاب الفضائل، باب/ بيان مثل ما بُعث به النبي ﷺ من الهدى والعلم، ح(١٢٨٢)، كلاهما عن أبي موسى رضي الله عنه، واللفظ لمسلم.

(٢) انظر: نقض المنطق ص٣٦.

(٣) رواه الترمذي، وقال: «حديث حسن غريب»، ورواه الدارمي في سننه، كتاب فضائل القرآن، باب/ فضل كلام الله على سائر الكلام، ح(٣٣٥٦) عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه، وقال الحافظ عن إسناد الترمذي: «ورجاله ثقات، إلا عطية العوفي ففيه ضعف»، ثم ذكر شواهده ومتابعاته، ثم ذكر أن الثابت هو الموقوف. انظر: الفتح ٨/ ٦٨٤.

(٤) انظر: صحيح الإمام البخاري ص١٠٩٢، كتاب فضائل القرآن، باب/ ١٧.

في اغتباط صاحب القرآن[(١)]، ليبين أن هذا من فضائل القرآن إذ كان فيه الاغتباط، وأورد تحته حديث عبد الله بن مسعود ﷺ مرفوعا: [**لا حسد إلا في اثنتين: رجل علمه الله القرآن، فهو يتلوه آناء الليل، وآناء النهار، فسمعه جار له، فقال: ليتني أوتيت مثل ما أوتي فلان، فعملت مثل ما يعمل، ورجل آتاه الله مالا؛ فهو يُهلكه في الحق، فقال رجل: ليتني أوتيت مثل ما أوتي فلان، فعملت مثل ما يعمل**][(٢)].

١٠- ومما يدل على فضل القرآن الكريم أن السلف فضلوه على الذكر المطلق[(٣)]، وجاء في الأثر: [**من شغله القرآن وذكري عن مسألتي، أعطيته أفضل مما أعطي السائلين**][(٤)]، ولهذا قالوا: «ما تقرب العباد إلى الله بأفضل مما خرج منه»[(٥)]؛ فالقرآن أفضل الأذكار، وأعظمها[(٦)].

١١- ومما ينبغي أن يذكر في فضائل القرآن، أن من تعلمه، أو علمه فهو خير الناس، كما قال سيد الناس ـ عليه الصلاة والسلام ـ: [**خيركم من تعلم القرآن، وعلمه**].

١٢- أن النبي ﷺ أخبر أن من فضائل القرآن كونه يرفع العالم العامل به، قال ﷺ: [**إن الله يرفع بهذا الكتاب أقواما، ويضع به آخرين**].

١٣- ومما يدل على فضله، كثرة فضائله، وعظيم شمائله، وحميد صفاته، ومجيد أسمائه[(٧)]، قال علي ﷺ: [**كتاب الله فيه نبأ ما قبلكم، وخبر ما بعدكم، وحكم ما بينكم، هو الفصل ليس بالهزل، من تركه من جبار قصمه الله، ومن ابتغى الهدى في**

---

(١) انظر: صحيح الإمام البخاري، كتاب فضائل القرآن، باب/ ٢٠، ص١٠٩٣.

(٢) رواه البخاري، كتاب فضائل القرآن، باب/ اغتباط صاحب القرآن، ح(٥٠٢٦)، وروى نحوه مسلم، كتاب صلاة المسافرين، باب/ فضل من يقوم بالقرآن...، ح(٨١٦).

(٣) انظر: مختصر الفتاوى ص ٩٦.

(٤) هو صدر حديث: [**وفضل كلام الله على سائر الكلام**].

(٥) شرح العمدة ١/ ٣٨٨، وقد سبق تخريج الأثر بلفظ [**فإنك لن تتقرب إلى الله**].

(٦) انظر: الفواكه الدواني ٢/ ٣٣٦.

(٧) وقد ذكرت أسماء وأوصاف المصحف القرآن الكريم، وكثرة الأسماء تدل على كثرة الفضائل، فانظر إليه إن شئت، الفصل الرابع من الباب الأول.

غيره أضله الله، وهو حبل الله المتين، وهو الذكر الحكيم، وهو الصراط المستقيم، وهو الذي لا تزيغ به الأهواء، ولا تلتبس به الألسن، ولا تنقضي عجائبه، ولا تشبع منه العلماء، من قال به صدق، ومن عمل به أجر، ومن حكم به عدل، ومن دعا إليه هدي إلى صراط مستقيم](١).

١٤- أن السلف كانوا يحرصون على البدء بتعلم القرآن الكريم، لما رأوا من فضله العميم، وعرفوا قدره العظيم، فكانوا يأمرون بحفظه، ويوصون بتلاوته، ويحثون على مذاكرته، قال شيخ الإسلام رحمه الله في إجابة لسؤال عن أيهما أفضل حفظ القرآن أو طلب العلم: « طلب حفظ القرآن: فهو مقدم على كثير مما تسميه الناس علما ـ وهو إما باطل، أو قليل النفع ـ، وهو أيضا مقدم في التعلم في حق من يريد أن يتعلم علم الدين من الأصول والفروع؛ فإن المشروع في حق مثل هذا في هذه الأوقات، أن يبدأ بحفظ القرآن؛ فإنه أصل علوم الدين، بخلاف ما يفعله كثير من أهل البدع من الأعاجم، وغيرهم، حيث يشتغل أحدهم بشيء من فضول العلم، من الكلام، أو الجدال، والخلاف، أو الفروع النادرة...، ويترك حفظ القرآن الذي هو أهم من ذلك كله »(٢)، وقال أيضا: « وكلام الله لا يقاس به كلام الخلق؛ فإن فضل القرآن على سائر الكلام، كفضل الله على خلقه »(٣).

١٥- أن العلماء الفضلاء، المتبعين لسنة سيد الأنبياء، كلهم إذا صنفوا في الآثار، لا يفوتهم التنويه بباب مختار، يذكرون فيه فضائل القرآن بما ورد من الأخبار، فيبوبون بذكر فضائله، وينوهون بما ورد في بيان مآثره(٤)، بل ألف فيه النبلاء مؤلفات،

---

(١) رواه الترمذي؛ كتاب فضائل القرآن، باب/ ما جاء في فضل القرآن، ح(٣٠٧٠)، والدارمي في سننه، كتاب فضائل القرآن، باب/ فضل من قرأ القرآن، ح(٣٣٣١)، والبغوي في شرح السنة ح(١١٨١) كلهم رووه مرفوعا، وقال الحافظ ابن كثير رحمه الله: « وقصارى هذا الحديث أن يكون من كلام أمير المؤمنين علي رضي الله عنه، وقد وهم بعضهم في رفعه، وهو كلام حسن صحيح ». انظر: فضائل القرآن ص ١٥.

(٢) المجموع ٢٣/ ٥٤.

(٣) المجموع ٢٣/ ٥٥.

(٤) انظر مثلا: صحيح البخاري، كتاب فضائل القرآن، من ص١٠٨٤-١٠٩٩، ومسلم، كتاب الذكر =

وانتشر في هذا الباب مصنفات، وهي كثيرة في القديم والحديث[1].

والقرآن عند أهل السنة له فضل كما تبين، وهو في نفسه بعضه أفضل من بعض، وهذا ما أبينه في المبحث التالي.

= والدعوات، باب/ فضل الاجتماع على تلاوة القرآن ص١٠٨٢.

(١) انظر: مثلا كتاب فضائل القرآن لأبي عبيد القاسم بن سلام، وفضائل القرآن لابن الغرس، وفضائل القرآن للفريابي، وفضائل القرآن لابن كثير ـ رحمهم الله ـ.

المطلب الثاني: مفاضلة القرآن بعضه على بعض.

ومما يدل على فضل القرآن الكريم، ما فيه من السور والآيات التي لها فضائل ومزايا، فهذا يدل على فضله أيضا.

وأما مفاضلة القرآن الكريم بعضه على بعض، من حيث أن قراءة هذه السورة أعظم من هذه كما ورد في الشرع، أعني التفضيل في القراءة لا في المقروء، وفي عمل العبد، لا في كلام الرب، مما لا نزاع فيه بين السلف والخلف(١)، **وإنما وقع النـزاع بين السلف والخلف في كلام الله تعالى ـ من حيث كونه كلاما، من غير نظر إلى القراءة والتلاوة ـ هل يتفاضل أم لا؟...**

فالسلف ما زالوا يعتقدون بأن كلام الله ﷻ يتفاضل بعضه على بعض، وهذا هو اعتقاد من استسلم للوحيين، ونطق بها في الكتاب والسنة الثابتة بغير مين؛ فإن القرآن والسنة يدلان على تفاضل كلام الله ﷻ القرآن(٢).

والتفضيل لأحكام توجبه المعاني في نفسها، لا من حيث أنه كلام؛ فإن الكل كلام الله ﷻ، وإن قيل: إن التفاضل لا لمعنى، فهذا يوجب ترجيحا بلا مرجح للمتماثلين، وهذا خلاف ما علم في دين الله ﷻ، بل هو خلاف الشرع والعقل(٣).

وهذا يؤكد أن التفضيل كان لمعنى مقترن بالكلام نفسه، لا لأمر خارج عنه، وأسرد بعض الأدلة الدالة على أن القرآن الكريم بعضه أفضل من بعض، وإن كان كله ذو فضل؛ فإن الفضل مراتب، كما أن الحسن مراتب، وسرد هذه الأدلة هو من باب تحصيل الحاصل لأن الدلالات في ذلك ظاهرة مشهورة(٤)، ومن هذه الأدلة:

---

(١) انظر: المجموع ١٧/ ٥٢، ٦٠.

(٢) انظر: مختصر الفتاوى المصرية ص٩٩، الجامع لأحكام القرآن ١/ ٧٨.

(٣) انظر: المجموع ١٧/ ١٢.

(٤) انظر: المجموع ١٧/ ٥٧.

١ - قول الله ﷻ: ﴿ مَا نَنسَخْ مِنْ ءَايَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَآ أَوْ مِثْلِهَآ ۗ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴾[البقرة: ١٠٦][(١)] «فأخبر أنه يأتي بخير منها، أو مثلها، وهذا بيان من الله لكون تلك الآية قد يأتي بمثلها تارة، أو خير منها أخرى، فدل ذلك على أن الآيات تتماثل تارة وتتفاضل أخرى»[(٢)].

٢ - قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَٰكَ سَبْعًا مِّنَ ٱلْمَثَانِى وَٱلْقُرْءَانَ ٱلْعَظِيمَ ﴾[الحجر: ٨٧] فالله ﷻ قابل سورة الفاتحة بجميع القرآن مما يدل على فضلها، «وهذه حقيقة لا يدانيها غيرها فيها...، ولأنها تسمى أم القرآن، وأم الشيء أصله، ومادته»[(٣)].

٣ - قال ﷻ: ﴿ نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ ٱلْقَصَصِ بِمَآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ وَإِن كُنتَ مِن قَبْلِهِۦ لَمِنَ ٱلْغَٰفِلِينَ ﴾[يوسف: ٣] فسماه أحسن القصص، ومعلوم أن هذا يدل على التفضيل.

٤ - قال تعالى: ﴿ وَٱتَّبِعُوٓا۟ أَحْسَنَ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ ٱلْعَذَابُ بَغْتَةً وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ ﴾[الزمر: ٥٥] وقال تعالى: ﴿ فَبَشِّرْ عِبَادِ ۝١٧ ٱلَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُۥٓ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَىٰهُمُ ٱللَّهُ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمْ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾[الزمر: ١٧-١٨] فدل على أن فيما أنزل الله ﷻ منه ما هو حسن، ومنه ما هو أحسن[(٤)]، قال شيخ الإسلام رحمه الله: «فقد أمر المؤمنين باتباع أحسن ما أنزل إليهم من ربهم، وأمر بني إسرائيل أن يأخذوا بأحسن التوراة،... ولا ريب أن القرآن فيه الخبر، والأمر بالحسن

---

(١) وقد ذكر القرطبي رحمه الله في تفسيره أن الإمام مالكا رحمه الله كره تفضيل بعض القرآن على بعض، وذلك لما رواه يحيى بن يحيى الليثي أن مالكا كره ترداد سورة بعينها. وهذا ـ والله أعلم ـ لو ثبت عنه فإنه لا يدل على أنه لا يرى تفضيل بعض القرآن على بعض، وإنما كان وجه كراهته أن التكرار من غير مستند شرعي لا يجوز، بل يكون بدعة إضافية إلى القراءة، وهذا النهي منه حسن، ثم كيف يثبت عنه أنه لا يرى تفاضل آيات القرآن الكريم، وهو من أشد الناس اتباعا لسنة النبي الكريم ﷺ.

(٢) المجموع ١٧/ ١٠.

(٣) المجموع ١٧/ ١٥ وهو من كلام أبي يعلى رحمه الله.

(٤) انظر: المجموع ١٧/ ١٢-١٣.

والأحسن، واتباع القول إنما هو العمل بمقتضاه، ومقتضاه فيه حسن وأحسن، ليس كله أحسن، وإن كان القرآن في نفسه أحسن الحديث، ففرق بين حسن الكلام بالنسبة إلى غيره من الكلام، وبين حسنه بالنسبة إلى مقتضاه المأمور، والمخبر عنه،... والقرآن تضمن خبرا وأمرا، فالخبر عن الأبرار والمقربين، وعن الكفار والفجار، فلا ريب أن اتباع الصنفين ـ أي الأبرار والمقربين ـ حسن، واتباع المقربين أحسن، والأمر يتضمن الأمر بالواجبات والمستحبات، ولا ريب أن الاقتصار على فعل الواجبات حسن، وفعل المستحبات معها أحسن، ومن اتبع الأحسن فقد اقتدى بالمقربين»(١).

٥-قال تعالى: ﴿ وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ ٱلْحُسْنَىٰ ﴾[الأعراف: ١٣٧] فيها تفضيل كلمات الله ﷻ إذ منها ما هي حسنة، ومنها ما هي حسنى، والكل حسن، فالكلمات التي تدل على فضله أحسن من الكلمات التي تدل على عدله.

٦-قال النبي ﷺ عن سورة الإخلاص: [**والذي نفسي بيده إنها لتعدل ثلث القرآن**](٢)، وقال ﷺ: [**أيعجز أحدُكم أن يقرأ ثلث القرآن في ليلة؟ فشق ذلك عليهم، وقالوا: أينا يطيق ذلك يا رسول الله؟، فقال: الله الواحد الصمد، ثلث القرآن**](٣) قال الإمام الدارقطني رحمه الله: «لم يصح في فضل سورة أكثر مما صح في فضلها»(٤)، وقد أخبر النبي ﷺ أن القرآن ثلاثة أجزاء، فقال: [**إن الله جزأ القرآن ثلاثة أجزاء؛ فجعل قل هو الله أحد جزءا من أجزاء القرآن**](٥)، قال القرطبي رحمه الله عن سورة الإخلاص: «تعدل ثلث القرآن، إذ القرآن: توحيد، وأحكام، ووعظ، وقل

---

(١) المجموع ١٦/ ٦.

(٢) رواه البخاري، كتاب فضائل القرآن، باب/ فضل قل هو الله أحد، ح(٥٠١٣) من رواية أبي سعيد الخدري رضي الله عنه.

(٣) رواه البخاري، كتاب فضائل القرآن، باب/ فضل: قل هو الله أحد، ح(٥٠١٥) عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه، وروى نحوه مسلم، كتاب صلاة المسافرين، باب/ فضل قراءة قل هو الله أحد، ح(٨١١)، عن أبي الدرداء رضي الله عنه.

(٤) انظر: المجموع ١٧/ ٦.

(٥) رواه مسلم، كتاب صلاة المسافرين، باب/ فضل قل هو الله أحد، ح(٨١١) من رواية أبي الدرداء رضي الله عنه.

هو الله أحد: فيها التوحيد كله... ـ وكذلك آية الكرسي ـ إنما كانت أعظم آية لأنها توحيد كلها...، والفاتحة تضمنت: التوحيد، والعبادة، والوعظ، والتذكير»(١).

٧- أنه ﷺ قال عن آية الكرسي: [**إنها أعظم آية في كتاب الله ﷻ**](٢)، وسبب كونها أعظم آية لما فيها من إثبات الأسماء الحسنى، والصفات العلى، وتنـزيه الله عما لا يليق به وهو العلي الأعلى(٣)، فهذه الآية جمعت أصول الأسماء والصفات من الإلهية، والحياة، والوحدانية، والعلم، والملك، والقدرة، والإرادة...(٤).

٨- وقوله ﷺ لأبي بن كعب: [**لأعلمنك سورة لم ينزل في التوراة ولا في الإنجيل، ولا في الزبور، ولا في القرآن مثلها ـ وذكر ـ أنها فاتحة الكتاب**](٥)، وفي رواية: [**ألا أعلمك أعظمَ سورة في القرآن**](٦)، فأخبر الصادق المصدوق ﷺ أنه لم ينـزل مثلها، فدل ذلك على أنها لا مثل لها، ومن ادعى أن لها مثلا، فقد رد على رسول الله ﷺ(٧)، ورد الإجماع، لأنه بالإجماع فاتحة الكتاب أفضل سور القرآن(٨)، فدل ذلك على تفاضله، قال أبو المظفر السمعاني الشافعي رحمه الله: «القرآن امتاز عن غيره بالإعجاز، وأقل ما يحصل به الإعجاز سورة، وهذه السورة ـ أي فاتحة الكتاب ـ أشرف السور؛ لأنها السبع المثاني؛ ولأنها تصلح عوضا عن جميع السور، ولا تصلح جميع السور عوضا عنها؛ ولأنها تشتمل على ما لا تشتمل سورة ما على قدرها من

---

(١) الجامع لأحكام القرآن ١/ ٧٩.

(٢) روى نحوه مسلم، كتاب صلاة المسافرين...، باب/ فضل سورة الكهف، وآية الكرسي، ح(٨١٠)، من رواية أبي بن كعب رضي الله عنه.

(٣) انظر: شرح الواسطية للفوزان ص٢٥.

(٤) انظر: المجموع ١٧/ ٥١.

(٥) رواه الترمذي، كتاب فضائل القرآن، باب/ ما جاء في فضل فاتحة الكتاب، ح(٣٠٣٦)، وقال: حديث حسن صحيح، ورواه الحاكم في مستدركه، كتاب فضائل القرآن، أخبار في فضائل القرآن جملة، ح(٢٠٨٤)، وقال: هذا حديث صحيح على شرط مسلم، ولم يخرجاه.

(٦) رواه البخاري، كتاب فضائل القرآن، باب/ فضل فاتحة الكتاب، ح(٥٠٠٦)، من رواية أبي سعيد بن المعلى رضي الله عنه.

(٧) انظر: مختصر الفتاوى المصرية ص٩٩.

(٨) انظر: المجموع ١٧/ ١٨.

الآيات، وذلك من الثناء والتحميد للرب، والاستعانة، والاستعاذة، والدعاء من العبد»[١]، وقال الفقيه ابن العربي: «قوله: ما أنزل الله في التوراة، ولا في الإنجيل، ولا في القرآن، مثلها، وسكت عن سائر الكتب، كالصحف المنزلة، والزبور، وغيرها؛ لأن هذه المذكور أفضلها، وإذا كان الشيء أفضل الأفضل، صار أفضل الكل، كقولك: زيد أفضل العلماء، فهو أفضل الناس»[٢]، فـ «تفضيل القرآن على غيره من كلام الله: التوراة، والإنجيل، وسائر الكتب، السلفُ كلهم كانوا مقرين بذلك، ليس فيهم من يقول: الجميع كلام الله، فلا يفضل القرآن على غيره»[٣].

٩- أخبر النبي ﷺ أن المعوذتين: [لم يُر مثلهن قط][٤]، وهذا يدل على فضلهما على غيرها.

١٠- أن ما تكلم الله ﷻ به عن نفسه من بيان جلاله وجماله، أعظم من القرآن الذي تكلم الله به في وصف خَلْقِه، فمن حيث القائل: الكل كلامه، وإنما حصل الشرف «من جهة نسبته إلى القائل، المتكلم به، ومن جهة نسبته إلى المقول، المتكلم فيه؛ فإذا كانت النسبتان إلى الله كان الكلام أشرف»[٥]، فالآيات التي تدل على وحدانيةِ الله ﷻ «وصفاته، ليس موجودا في ـ سورة المسد ـ وما كان مثلها، والتفضيل إنما هو بالمعاني العجيبة، وكثرتها، لا من حيث الصفة، وهذا هو الحق»[٦].

١١- أن أسماء الله ﷻ وصفاته متفاوتة من حيث دلالتها على المعاني الجميلة، والمرادات الفضيلة، فكذلك كلامه ﷻ[٧] فمحبة الله ﷻ للخليلين

---

(١) الاصطلام ١/ ٢٠٨-٢٠٩، المجموع ١٧/ ١٣-١٤.

(٢) ذكره القرطبي في جامعه ١/ ٧٨، وانظر: المجموع ١٧/ ٩.

(٣) المجموع ١٧/ ١٨ بتصرف يسير، وانظر: ١٧/ ٤٦، ٥٢، ٢٠٩.

(٤) رواه مسلم، كتاب صلاة المسافرين، باب/ فضل قراءة المعوذتين، ح(٨١٤)، من رواية عقبة بن عامر الجهني ﷺ.

(٥) مختصر الفتاوى ص٩٩.

(٦) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ١/ ٧٨.

(٧) انظر: مختصر الفتاوى المصرية ص٩٩، المجموع ١٧/ ٩٠، ٢١١، شفاء العليل ٢/ ٦٣.

إبراهيم ومحمد ـ عليهما الصلاة والسلام ـ أفضل من محبته لغيرهما من الأنبياء، حتى إنهم خصوا بالخلة، ومحبة الله للمؤمنين ليست كخلته للخليلين[(١)].

١٢ - معلوم فطرة أن الخبر المتضمن لِحمد الله، والثناء عليه بأسمائه الحسنى، ليس كالخبر المتضمن للذم الذي يكون لإبليس وفرعون، وإن كان المتكلم بهما واحدا[(٢)].

١٣ - معلوم عقلا أن من تكلم من الناس ـ وكلامه بالنسبة إلى كونه قائلا سواء ـ بكلام، أو قال شعرا، هو متعلق بالشرفاء: كالأنبياء، والصالحين من الأولياء، ليس ككلامه المتعلق بالملوك والرؤساء، فيكون للكلام فضل إذا كان متعلقا بشيء شريف[(٣)]، قال شيخ الإسلام رحمه الله: «المخلوق يتكلم بكلام هو كله كلامه، لكن كلامه الذي يذكر به ربه أعظم من كلامه الذي يذكر به بعض المخلوقات، والجميع كلامه، فاشتراك الكلامين بالنسبة إلى المتكلم، لا يمنع تفاضلها بالنسبة إلى المتكلم فيه»[(٤)].

١٤ - أن العلماء ذكروا كما في ثابت الأخبار، فضل بعض السور على البعض بحسب ما ورد عن النبي المختار ﷺ، وهذا يدل على أن بعضه أفضل من بعض كالأذكار، ولهذا بين كل من ذكر فضائل القرآن فضائلَ سور معينة بأعيانها، كما فعل ذلك البخاري رحمه الله وغيره[(٥)].

١٥ - أن القول المأثور عن السلف منعقد على تفاضل القرآن بعضه على بعض، وهو الذي قال به أئمة الفقهاء[(٦)].

١٦ - أن ما ذكره بعضهم من عدم تفاضل القرآن بعضه على بعض، ليس بصحيح[(٧)]، **وهذا النفي مبني على قول المخالفين للسلف بالكلام النفسي** ونحوه؛ فإنه

---

(١) انظر: المجموع ١٧/ ٦٠.

(٢) انظر: المجموع ٥٨، ٦١.

(٣) انظر: مختصر الفتاوى المصرية ص٩٩.

(٤) المجموع ١٧/ ٥٨.

(٥) انظر: كتاب فضائل القرآن من صحيح البخاري، وانظر: المجموع ١٧/ ٦.

(٦) انظر: المجموع ١٧/ ١٣.

(٧) انظر: المجموع ١٧/ ١٥٥، الفواكه الدواني ١/ ٥٧، وقد نقل أن منهم من قال: إن التفاضل لو صح فإنه =

لا يتفاضل لأنه شيء واحد[١]، وهو كونه ما في النفس!!، ولأن معنى "سورة الإخلاص" هو معنى"سورة تبت" عندهم!!، ولأنه قديم والقديم لا يتفاضل عندهم!![٢]، ثم أيضا ظنوا أن التفاضل يعني إنقاص قدر المتكلم به[٣]، فمن منع التفاضل في آيات القرآن له مأخذان: «أحدهما: أن صفات الرب لا يكون بعضها أفضل من بعض، وقد يعبرون عن ذلك بأن القديم لا يتفاضل، والثاني: أنه واحد، والواحد لا يتصور فيه تفاضل ولا تماثل»[٤] وليس الأمر كذلك عند السلف؛ لأن التفاضل ليس من جهة الكلام من حيث إنّه كلام، ولهذا قال الموافقون للسلف: «فإن توحيد الله الذي في "سورة الإخلاص"... أفضل من "تبت" المتضمنة ذم أبي لهب، وذم زوجته؛ إن شئت في كون المدح أفضل من القدح، وإن شئت في الإعجاز،... وليس من حيث كون المتكلم واحدا، لا يكون التفاضل لمعنى يعود إلى الكلام ثانيا، كما أن المرسِل واحد ـ وهو الله ﷻ ـ لذي النون، وإبراهيم، وإبراهيم أفضل من ذي النون»[٥] ـ عليهما وعلى نبينا الصلاة والسلام ـ، فنسبة الكلام إلى المتكلم به واحد، وهو الله ﷻ فتساويا فيه، ونسبة الكلام إلى المتكلم فيه مختلفة، فتفاضلا فيه[٦] ولا يقال: إن التفضيل إنما هو من جهة الثواب[٧]؛ لأن هذا يقتضي ترجيح أمر بلا مرجح إذ الكلام كلام الله، فإذا كان لا يتفاضل في نفسه، فلا يتفاضل في أجره، قال شيخ الإسلام ﵀: «ومن أعاد التفاضل إلى مجرد كثرة الثواب، أو قلته من غير أن يكون

= راجع إلى الأجر!!، ومعلوم أن النزاع ليس فيه.

(١) وذكر شيخ الإسلام ﵀ أن الأشعري لم يقل بالتفاضل، ومذهبه يأباه، لأنه يرى أن الكلام شيء واحد، والواحد لا يتصور فيه التفاضل. وانظر: الكلام مفصلا في المجموع ١٧/ ١٥٦ وما بعدها.

(٢) انظر: المجموع ١٧/ ٥٢، ٧٠ شفاء العليل ٢/ ٦٣.

(٣) انظر: المجموع ١٧/ ٧٢، الفتح ٨/ ٨.

(٤) المجموع ١٧/ ١٦٢-١٦٣.

(٥) المجموع ١٧/ ٤٩، نقلا من كلام ابن عقيل ﵀.

(٦) انظر: المجموع ١٧/ ٥٧.

(٧) انظر: الإحكام في أصول الأحكام لابن حزم ١/ ٥١٩، الفتح ٨/ ٨، حواشي الشرواني ٤/ ٦٤، الفواكه الدواني ١/ ٥٧.

الكلام في نفسه أفضل، كان بمنزلة من جعل عملين مساويين، وثواب أحدهما أضعاف ثواب الآخر، مع أن العملين في أنفسهما لم يختص أحدهما بمزية»[(١)].

١٧- ثم شرع الله ﷻ متفاوت، مع أن الآمر الناهي فيه واحد وهو الله ﷻ، فليس الأمر بالمأمورات العظيمة كالإيمان بالله ورسوله.. كالأمر بأخذ الزينة عند المساجد، والإنفاق على المرضعة، ونحو ذلك، كما أن النهي عن المنهيات العظيمة ليس كالنهي عما هو دونها فالزنا أشد من النظر والكل محرم، والكل الآمر الناهي فيه هو الله ﷻ[(٢)].

١٨- قال أبو حامد الغزالي: «اعلم أن نور البصيرة إن كان لا يرشدك إلى الفرق بين آية الكرسي وآية المداينات، وبين سورة الإخلاص، وسورة تبت، وترتاع من اعتقاد الفرق في نفسك الخوارة المستغرقة في التقليد، فقلد صاحب الشرع ـ صلوات الله وسلامه عليه ـ فهو الذي أُنزل عليه القرآن،... وقد دلت الأخبار على شرف بعضه على بعض»[(٣)].

١٩- أن الفرق بين معاني كلام الله ﷻ معلوم شرعا وعقلا، فكل واحد ممن يعرف العربية يجد الفرق بين معنى سورة الإخلاص وسورة تبت، وبين معنى آية الكرسي وآية المداينة، فكيف يقال بعد هذا: إن معناهما واحد؟!، ولهذا لا يتفاضل!!، والفارق في المعنى معلوم، فالتفاضل في معاني الكلام معلوم أيضا[(٤)].

٢٠- القول بأن التفاضل في آيات القرآن بعضه على بعض يعني أن **المفضول أنقص من الفاضل!؟**، والقرآن من صفات الله ﷻ وصفات الله لا نقص فيها بوجه من الوجوه[(٥)]، **فجوابه**: أن صفات الله ﷻ لا نقص فيها بوجه من الوجوه، فهذا صحيح، والتفضيل لا يلزم منه نقص المفضول، لأن الكل كمال، إلا أن الفاضل كمال فوق كمال، كما أن بعض الأسماء والصفات إذا جمعت إلى بعض صار هناك كمال فوق

---

(١) المجموع ١٧/ ٢١٠.

(٢) انظر: المجموع ١٧/ ٥٨-٥٩، ٦١، ٢٠٩-٢١٠.

(٣) جواهر القرآن للغزالي ص٦٢-٦٣، المجموع ١٧/ ٥٠.

(٤) انظر: المجموع ١٧/ ٧١.

(٥) انظر: جامع البيان للطبري ١/ ٥٢٧، المجموع ١٧/ ٧٨.

كمال، فـ « الحُسْنُ في أسماء الله تعالى يكون باعتبار كل اسم على انفراده، ويكون باعتبار جمعه إلى غيره، فيحصل بجمع الاسم إلى الآخر كمال فوق كمال »[1]، فكذلك الآيات التي فيها كلام عن الله ﷻ وأسمائه وصفاته، فهو كلام شريف فيه معنى متعلق بشريف وهو الله ﷻ ؛ فلهذا كانت أفضل من غيرها، وكلامه شريف في نفسه، ولما كان معناه غير متعلق بالله ﷻ فكان حسنا، وليس أحسَنَ، ثم لم ينقل عن أحد من السلف إنكار التفاضل في القرآن وما حكي من الإجماع على ذلك فهو بحسب ما يعتقده الحاكي، أو يظنه[2].

٢١- أن من نفى المفاضلة فليس معه آية من كتاب الله، ولا حديث عن رسول الله، ولا قول صحابي، ولا أثر عن تابعي، وإنما هو قول من درس على أهل الكلام، وشبع عنهم في المقال، وفرح بما حيك له من المقال، فظن أنه جاء بما هو حقيقة الحال في مسألة التفاضل[3].

وبهذا يظهر جليا لكل منصف، مريد للحق غير متعسف، فضل القرآن الكريم، وأنه يتفاضل بعضه على بعض[4].

وإذا كان القرآن يتفاضل بعضه على بعض؛ فإن ذلك لا يلزم منه تفاضل غيره من كلام الله ﷻ عليه، وهذا ما أبينه في المطلب التالي.

---

(١) انظر: القواعد المثلى ص٧.

(٢) انظر: المجموع ١٧/ ٧٣-٧٦.

(٣) انظر: المجموع ١٧/ ٨٠.

(٤) انظر: مباحث المفاضلة في العقيدة للدكتور محمد أبو سيف ص١٠٠ وما بعدها.

المطلب الثالث: حكم تفضيل غير القرآن على القرآن.

من المتفق عليه بين السلف، ومتبعيهم من الخلف، أن القرآن الكريم أفضل كتب الله ﷻ أجمعين، كما أن محمدا رسول الله ﷺ أفضل رسل الله أجمعين، وأن القرآن الكريم أفضل من التوراة، والإنجيل، وغيرها من الكتب، بل حتى القائلين بعدم التفاضل من المنتسبين إلى الإسلام فإنهم يرون فضل القرآن الكريم على غيره من الكتب من جهة عظيم فضله، وكثرة ثوابه(١)، ولهذا كانت الوصية بكتاب الله ﷻ عظيمة، وجاء بهذا الآثار الكثيرة(٢)، وأما من فضل غير القرآن على القرآن فلا يخلو حاله من أمرين:

إما أن يكون كافرا ظاهرا ككفار اليهود والنصارى، فهؤلاء يدعون إلى دين الله ﷻ ثم يبين لهم فضل القرآن الكريم على الكتب السابقة.

وإما أن يكون منتسبا إلى الإسلام؛ فإن كان جاهلا فيعلم، وإن كان عالما فينبه، أو كان زنديقا فيكشف حاله، ويبين عواره، ولا يُسمع لمقاله، ولهذا كان من المتفق عليه عند السلف أنه لا يجوز أن يساوى بالقرآن غيره من الكتب الإلهية، فضلا عن زبالات أفكار الإنسانية.

وتفضيل كتاب أو منهج غير منهج القرآن إنما هو من سيما الباطنية، الذين يظهرون الدين، ويخفون الزندقة بين المسلمين، خصوصا إذا قويت شوكة أهل السنة، وضعفت شوكة أهل البدعة.

ومن الأدلة على أنه لا يجوز أن يقدم على القرآن شيء، وأن يفضل عليه شيء من الكتب ما يأتي:

١ - قول الله ﷻ: ﴿ الٓمٓ ۝١ ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ لَا رَيْبَ ۛ فِيهِ ۛ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ۝٢ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ۝٣ وَٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ

---

(١) انظر: حواشي الشرواني ٤/ ٦٤.

(٢) انظر: أصول الإيمان للإمام المجدد محمد بن عبد الوهاب ص٥٧، باب/ الوصية بكتاب الله ﷻ.

أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ وَبِٱلْأَخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ﴿٤﴾ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ ۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾[البقرة: ١-٤] فأشار الله ﷻ إلى عظمة القرآن بتعظيمه، والإشارة إليه بـ(ذلك) مما يدل على علو المنـزلة، ورفعة الدرجة، ثم حَصَر الهدى فيه، وبين أن المتقين هم المتبعون لما فيه، المؤمنون به وبما أنزل من قبل مما يدل على أن الإيمان بما أنزل من قبل فحسب لا يكفي لمن أراد الهداية والفلاح.

٢- قوله ﷻ: ﴿ أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَرَحْمَةً وَذِكْرَىٰ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾[العنكبوت: ٥١] وقد بوب به البخاري ﵀ للدلالة على الاستغناء به عن غيره[(١)].

٣- قوله ﷻ: ﴿ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ ۖ فَٱحْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ عَمَّا جَآءَكَ مِنَ ٱلْحَقِّ ۚ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا ۚ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَلَٰكِن لِّيَبْلُوَكُمْ فِي مَآ ءَاتَىٰكُمْ ۖ فَٱسْتَبِقُوا۟ ٱلْخَيْرَٰتِ ۚ إِلَى ٱللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴾[المائدة: ٤٨]، قال ابن عباس ﷺ في معنى كون القرآن مهيمنا على الكتب السابقة: [**المهيمن: الأمين، القرآن أمين على كل كتاب قبله**]، قال ابن جرير ﵀ في تفسير الآية السابقة: «يقول: أنزلنا الكتاب الذي أنزلناه إليك، يا محمد، مصدقا للكتب قبله، وشهيدا عليها أنها حق من عند الله، أمينا عليها، حافظا لها»[(٢)] فما شهد له القرآن مما في الكتب السابقة فهو حق، وما خالف القرآن فهو باطل، فهذا يدل على أن المعدِّل لما في أيدي الناس من الكتب هو القرآن[(٣)]، فكيف يفضل عليه غيره وهو المعدِّل لغيره؟؟، فمن آمن بما في القرآن شرعة ومنهاجا فلا يجوز له أن يفضل غيره عليه، ولا أن يقدم غيره بين يديه، والسلف: «كلهم متفقون على أن القرآن هو

(١) انظر: صحيح البخاري، كتاب فضائل القرآن، باب/ ١٩، ص١٠٩٣.
(٢) جامع البيان ٤/ ٦٠٦.
(٣) انظر: جامع البيان ٤/ ٦٠٦، وانظر: المسيحية النصرانية دراسة وتحليل الشيخ ساجد مير ص٢٢٣.

المهيمن، المؤتمن، الشاهد على ما بين يديه من الكتب، ومعلوم أن المهيمن على الشيء أعلى منه مرتبة »[(١)].

٤- قوله ﷻ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُقَدِّمُواْ بَيْنَ يَدَيِ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٞ ۝ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَرۡفَعُوٓاْ أَصۡوَٰتَكُمۡ فَوۡقَ صَوۡتِ ٱلنَّبِيِّ وَلَا تَجۡهَرُواْ لَهُۥ بِٱلۡقَوۡلِ كَجَهۡرِ بَعۡضِكُمۡ لِبَعۡضٍ أَن تَحۡبَطَ أَعۡمَٰلُكُمۡ وَأَنتُمۡ لَا تَشۡعُرُونَ ﴾[الحجرات: ١-٢]؛ فإذا كان الله ﷻ قد نهى عن التقدم بين يديه، وعن التقدم بين يدي رسوله؛ فإن هذا عام يدل على منع تقدم قول على قوله، أو تفضيل قول على قوله، أو قول رسوله؛ وهذا ظاهر لمن تأمل في نفي التفاضل بين القرآن وغيره، قال سفيان الثوري: « لا تقدموا بين يدي الله ورسوله بقول ولا فعل »[(٢)].

٥- قوله ﷻ: ﴿ وَأَنِ ٱحۡكُم بَيۡنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَلَا تَتَّبِعۡ أَهۡوَآءَهُمۡ وَٱحۡذَرۡهُمۡ أَن يَفۡتِنُوكَ عَنۢ بَعۡضِ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ إِلَيۡكَۖ فَإِن تَوَلَّوۡاْ فَٱعۡلَمۡ أَنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُصِيبَهُم بِبَعۡضِ ذُنُوبِهِمۡۗ وَإِنَّ كَثِيرٗا مِّنَ ٱلنَّاسِ لَفَٰسِقُونَ ﴾[المائدة: ٤٩]، فأمر الله ﷻ نبيه محمدا ﷺ، والأمة مخاطبة تبع له أن يحكموا كتابه المنـزل على محمد ﷺ، وأن لا يتركوا شيئا منه، مفتتنين بما عند الكفار، قال ابن جرير رحمه الله: « وأخبر أنه أنزل إليه الكتاب مصدقا لما بين يديه من الكتاب، وأمره بالعمل بما فيه، والحكم بما أنزل إليه فيه، دون ما في سائر الكتب غيره »[(٣)]. فإذا كان لا يجوز العمل بكتاب غير كتاب الله ـ جل وعز ـ، والحكم بغيره، فكذلك لا يجوز تفضيل غيره عليه.

٦- قوله ﷻ: ﴿ أَفَحُكۡمَ ٱلۡجَٰهِلِيَّةِ يَبۡغُونَۚ وَمَنۡ أَحۡسَنُ مِنَ ٱللَّهِ حُكۡمٗا لِّقَوۡمٖ يُوقِنُونَ ﴾[المائدة: ٥٠] فالقرآن فيه حكم الله ﷻ، ولا يجوز أن يقدم عليه شيء لا في الأحكام، ولا في غيرها، قال الحافظ ابن كثير رحمه الله: « ينكر تعالى على من خرج عن

(١) المجموع ١٧/ ٤٣.
(٢) تفسير القرآن العظيم ١/ ٢٠٥.
(٣) جامع البيان ٤/ ٦١٠، تفسير القرآن العظيم ٢/ ٦٦.

حكم الله المحكم، المشتمل على كل خير، الناهي عن كل شر، وعدل إلى ما سواه، من الآراء والأهواء، والاصطلاحات التي وضعها الرجال بلا مستند من شريعة الله، كما كان أهل الجاهلية يحكمون به من الضلالات، والجهالات مما يضعونها بآرائهم وأهوائهم، وكما يحكم به التتار من السياسات الملكية المأخوذة عن ملكهم "جنكيز خان" الذي وضع لهم "الياسق" وهو عبارة عن: كتاب مجموع من أحكام قد اقتبسها عن شرائع شتى من اليهودية، والنصرانية، والملة الإسلامية، وغيرها، وفيها كثير من الأحكام أخذها من مجرد نظره، وهواه، **فصارت في بنيه شرعا متبعا، يقدمونها على الحكم بكتاب الله، وسنة رسوله ﷺ، فمن فعل ذلك؛ فهو كافر يجب قتاله، حتى يرجع إلى حكم الله، ورسوله، فلا يحكم سواه في قليل، ولا في كثير»**[1] فالحافظ ابن كثير رحمه الله بين أن من قدم حكم غير الله على حكم الكتاب والسنة؛ فإنه كافر، وهذا يدل على وجوب تفضيل القرآن على كل ما سواه من الكتب حكما وفضلا واعتقادا ومنـزلة ورفعة.

٧- قوله ﷻ: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ ٱلْكِتَـٰبَ وَلَمْ يَجْعَل لَّهُۥ عِوَجَا ۜ ﴿١﴾ قَيِّمًا﴾[الكهف: ١-٢] فنفى عن القرآن العوج، ووصفه بأنه قيم، ومعنى "القيم" القائم على غيره، «وهو الذي بلغ الغاية القصوى في الإحكام والإتقان، وانتفاء الخطأ، والتعارض، والتناقض، وإيهام الضلال...، وإنما جمع بين نفي العوج، وإثبات القيومية له، وأحدهما يغني عن الآخر تأكيداً لذلك، ومبالغة فيه، **فكيف يقوم مقامه سواه، أو يُسَاوَى كتاب بكتاب الله تعالى؟؟»**[2] فالقرآن غير معوج ولا يحتاج إلى ما يقومه[3].

٨- قوله ﷻ: ﴿كَذَٰلِكَ يُضِلُّ ٱللَّهُ مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ مُّرْتَابٌ ﴿٣٤﴾ ٱلَّذِينَ يُجَـٰدِلُونَ فِىٓ ءَايَـٰتِ ٱللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَـٰنٍ أَتَىٰهُمْ ۖ كَبُرَ مَقْتًا عِندَ ٱللَّهِ وَعِندَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا ۚ كَذَٰلِكَ يَطْبَعُ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ قَلْبِ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ﴾[غافر: ٣٤-٣٥] ففي الآية «بيان أنه لا يجوز أن

---

(١) تفسير القرآن العظيم ٢/ ٦٧.

(٢) ترجيح أساليب القرآن لابن الوزير اليماني ص١١.

(٣) انظر: سنن الدارمي، كتاب فضائل القرآن، باب/ فضل من قرأ القرآن، ح(٣٣١٥).

يعارض كتاب الله بغير كتاب الله، لا بفعل أحد، ولا أمره، لا دولة، ولا سياسة؛ فإنه حال الذين يجادلون في آيات الله بغير سلطان أتاهم »(١).

٩- قول الله ﷻ: ﴿ٱلَّذِينَ جَعَلُواْ ٱلْقُرْءَانَ عِضِينَ ۝٩١ فَوَرَبِّكَ لَنَسْـَٔلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ [الحجر: ٩١-٩٢] والذين جعلوا القرآن متفرقا مقسما هم الذين آمنوا ببعضه، وكفروا ببعضه، فآمنوا بما رأوا فيه مصلحةً لهم، وتركوا ما ظنوه خلاف مصلحتهم، ومن هذا الباب من فضل عليه غيره إما حكما أو فضلا ومنـزلة؛ فهؤلاء جميعا سيُسألون(٢)، قال شيخ الإسلام رحمه الله: « من آمن بما وصف الله به كلامه، فأقر بأنه جميعه كلام الله، وأقر به كله، فلم يكفر بحرف منه، **وعلم أن كلام الله أفضل من كل كلام، وأن خير الكلام كلام الله، وأنه لا أحسن من الله حديثا، ولا أصدق منه قيلا**... فهو أبعد عن جعله عضين ممن لم يؤمن بما فضل الله به بعضه على بعض »(٣).

١٠- أن الصحابة رضي الله عنهم كانوا ينهون عن اتباع كتاب غير القرآن، وذلك لنهي النبي ﷺ إياهم عن اتباع غير القرآن، فكيف بمن يفضل غير القرآن على القرآن!، وقد رأى النبي ﷺ في يد عمر بن الخطاب صحيفة من التوراة، فتغير وجهه، وقال: [**لو كان موسى حيا ما وسعه إلا أن يتبعني**](٤)، « وعمر انتفع بهذا حتى أنه لما فتحت الإسكندرية، وجد فيها كتبا كثيرة من كتب الروم، فكتبوا فيها إلى عمر، فأمر بها أن تحرق، وقال: **حسبنا كتاب الله** »(٥).

١١- أن النبي ﷺ وصى بكتاب الله ﷻ، سُئل عبد الله بن أبي أوفى رضي الله عنهما: [**أَوَصَّى النبي ﷺ؟ فقال: لا، فقيل: كيف كُتِب على الناس الوصيةُ، أُمروا بها ولم**

---

(١) المجموع ١٩/ ٧٨-٧٩.

(٢) انظر: فتح القدير للشوكاني ٣/ ١٧٦-١٧٧.

(٣) المجموع ١٧/ ٨١.

(٤) رواه الإمام أحمد في مسنده، ٣/ ٣٨٧، ح(١٥٢٢٨) عن جابر رضي الله عنه، ورواه ابن أبي عاصم في السنة، ح(٥٠)، وقال الألباني: حديث حسن. كما في ظلال الجنة في تخريج السنة ص ٢٧.

(٥) المجموع ١٧/ ٤١.

يوصِ؟ قال: أوصى بكتاب الله][1].

١٢- اجتمع في هذا القرآن أوصاف وسمات جعلته يغني عن غيره، وغيره لا يغني عنه، قال عبد الله بن مسعود ﷺ: [إن هذا القرآن مأدبة الله؛ فتعلموا من مأدبته ما استطعتم، إن هذا القرآن حبل الله، والنور، والشفاء النافع، عصمة لمن تمسك به، ونجاة لمن اتبعه، لا يزيغ فيستعتب، ولا يعوج فيقوم، ولا تنقضي عجائبه، ولا يخلق عن كثرة الرد][2]، وقال كعب ﷺ: [عليكم بالقرآن؛ فإنه فهم العقل، ونور الحكمة، وينابيع العلم، وأحدث الكتب بالرحمن عهدا، وقال في التوراة: يا محمد، إني منـزل عليك توراة حديثة[3]، تفتح فيها أعينا عميا، وآذانا صما، وقلوبا غلفا][4]، وقال أبو موسى الأشعري ﷺ: [إن هذا القرآن كائن لكم أجرا، وكائن لكم ذكرا، كائن بكم نورا، وكائن عليكم وزرا، اتبعوا هذا القرآن، ولا يتبعنكم القرآن؛ فإنه من يتبع القرآن يهبط به في رياض الجنة، ومن اتبعه القرآنُ يزَخُّ - يدفع - في قفاه، فيقذفه في جهنم][5]، ومضى قول علي ﷺ أن كتاب الله فيه المخرج من الفتن، وأحكام المحن، ودواء الإحن.

١٣- أن كتاب الله محفوظ، فلا ينبغي تقديم شيء عليه، وهو محفوظ من الغلط، مصون من الشطط، وكاف في الدلالة، قال الله ﷻ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِٱلذِّكۡرِ لَمَّا جَآءَهُمۡۖ وَإِنَّهُۥ لَكِتَٰبٌ عَزِيزٞ ۝ لَّا يَأۡتِيهِ ٱلۡبَٰطِلُ مِنۢ بَيۡنِ يَدَيۡهِ وَلَا مِنۡ خَلۡفِهِۦۖ تَنزِيلٞ مِّنۡ حَكِيمٍ حَمِيدٖ﴾[فصلت: ٤١-٤٢].

١٤- أن السلف - رحمهم الله - لا يرون أن هناك شيئا من النصوص يعادل نصوص الكتاب والسنة، فضلا عن أن توازيه، وتفاضله، ولهذا نصوا أن من ظن أن

---

(١) رواه البخاري، كتاب فضائل القرآن، باب/ الوصاة بكتاب الله ﷻ، ح(٥٠٢٢).

(٢) رواه الدارمي في سننه، كتاب فضائل القرآن، باب/ فضل من قرأ القرآن، ح(٣٣١٥).

(٣) وهذا في التوراة أي بلسانهم؛ فقيل للقرآن توراة، وإلا فإن هذا لا يعني أن من أسماء القرآن التوراة، وقد مضى ذكر هذا في الفصل الرابع من الباب الأول.

(٤) رواه الدارمي في سننه، كتاب فضائل القرآن، باب/ فضل من قرأ القرآن، ح(٣٣٢٧).

(٥) رواه الدارمي في سننه، كتاب فضائل القرآن، باب/ فضل من قرأ القرآن، ح(٣٣٢٨).

هناك نصوصا تعادل نصوص الكتاب ولو من حيث الاحتجاج فإنه يخشى عليه من الكفر، ومن جعل نص أحد من الناس «كنصوص الشارع في وجوب العمل بها؛ فهذا كفر باتفاق المسلمين»[(١)].

فكل من كان بالقرآن مؤمنا، ولآياته مفضلا، ولأحكامه تابعا، كان قد عرف فضل القرآن الكريم، علما وعملا وأدبا، وهذا من تعظيم القرآن الكريم، وتعظيمه واجب على المسلمين، وهذا ما أبينه في المبحث التالي.

---

(١) المجموع ٣١/ ٤٨ بتصرف.

المبحث الثاني: تعظيم القرآن الكريم

أجمع المسلمون على وجوب تعظيم القرآن الكريم، وأن من جحد حرفا مجمعا عليه، أو زاد حرفا، لم يقرأ به أحد أنه بذلك كافر[(١)]، كما أن من لم يؤمن به، أو جحد شيئا منه ـ وَعْدا أو وعيدا ـ أو كَذّب شيئا منه كفر[(٢)]، وهذا معلوم من دين الإسلام بالضرورة، وأن من كان حاله كذلك فإنه لم يوقر القرآن الكريم، ويتبين وجه تعظيم القرآن الكريم عند السلف من خلال المطالب التالية:

المطلب الأول: الدليل على وجوب تعظيم القرآن الكريم.

إن تعظيم القرآن الكريم واجب بلا نزاع بين السلف، بل إن «تعظيمه عبادة، والاستخفاف به كفر»[(٣)]، بل إن تعظيم القرآن من شعب الإيمان[(٤)]، والسلف إنما يعظمون القرآن بما ورد، لا بما يرد، ومن الأدلة على تعظيم السلف للقرآن الكريم ما يأتي:

١ - قوله ﷻ: ﴿ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ حُرُمَٰتِ ٱللَّهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُۥ عِندَ رَبِّهِۦ﴾[الحج: ٣٠]، ولا ريب أن تعظيم القرآن واجب وأن التهاون فيه أو الاستهزاء به محرم، ومن ابتعد عن المحرمات وفعل الواجبات فقد عظم حرمات الله ﷻ[(٥)]، وقول الله ﷻ:

---

(١) انظر: التبيان ص١٥١.

(٢) انظر: ألفاظ الكفر لبدر الرشيد الحنفي ص ٢٧، ضمن الجامع في ألفاظ الكفر للشيخ د/ محمد الخميس.

(٣) البحر الرائق ٢/ ٣٤، وانظر: ألفاظ الكفر لبدر الرشيد الحنفي ص٢٩، ضمن الجامع في ألفاظ الكفر للشيخ د/ محمد الخميس.

(٤) انظر: شعب الإيمان للبيهقي ٢/ ٣١٩-٣٢٣.

(٥) انظر: تفسير القرآن العظيم لابن كثير ٣/ ٢١٨.

﴿ ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى ٱلْقُلُوبِ ﴾[الحج: ٣٢] فحرمات الله وشعائره « معالم الله ودينه، ندب الله إليها، وأمر بالقيام بها »[١] فالحرمات والشعائر عام[٢] ـ والله أعلم ـ يشمل ما كان مضافا إلى الله ﷻ من باب التشريف، ويشمل ماكان مضافا إلى الله ﷻ من باب إضافة الصفة للموصوف، والقرآن من الثاني، فوجب تعظيمه، وتوقيره.

٢- قال الله ﷻ: ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ ۚ قُلْ أَبِٱللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ وَرَسُولِهِۦ كُنتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ ۝ لَا تَعْتَذِرُوا۟ قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ ۚ إِن نَّعْفُ عَن طَآئِفَةٍ مِّنكُمْ نُعَذِّبْ طَآئِفَةًۢ بِأَنَّهُمْ كَانُوا۟ مُجْرِمِينَ ﴾[التوبة: ٦٥-٦٦] وهذه الآيات إنما نزلت في المنافقين الذين ذكروا رسولَ الله ﷺ وأصحابه القراء على وجه التنقص؛ فجعل الله ذلك منهم كفرا، وأن ذلك كفر بالله وآياته ورسوله[٣]؛ فهذا دليل على وجوب تعظيم القراء فكيف بالقرآن نفسه، لا ريب أن له أشد الحرمة، وأن علينا وجوبا تعظيمه.

٣- دل قول النبي ﷺ: [**لا تسافروا بالقرآن إلى أرض العدو**]، على وجوب تعظيم القرآن، إذ المنع إنما كان خوفا عليه من الإهانة[٤]، ومن هذا الباب منع الفقهاء بيع المصحف للكافر؛ فإن الكافر نجس، وأيضا يخشى منه أن يهين القرآن، فلا يجوز أن يعطى شيئا من القرآن الكريم[٥]، وقد يعرضون للمصاحف بالاستخفاف مغايظة للمسلمين، ولهذا منعنا من السفر به إلى أرض العدو[٦].

٤- مما يدل على وجوب تعظيم القرآن الكريم في قلوب السلف الصالحين، أن

(١) بحر العلوم للسمرقندي ٢/ ٣٩٤.

(٢) انظر: أضواء البيان للشنقيطي ٥/ ٤٧٤-٤٧٥.

(٣) انظر: زاد المسير لابن الجوزي ٣/ ٤٦٤ وما بعدها، تفسير القرآن العظيم لابن كثير ٢/ ٣٦٥-٣٦٦.

(٤) انظر: حاشية الدسوقي ٢/ ١٨٧.

(٥) انظر: مغني المحتاج ٢/ ٨، دليل الطالب ١/ ١٠٤.

(٦) انظر: البحر الرائق ٥/ ٨٣.

من خصالهم محبة القرآن والسنة، وتقديمهما على غيرهما[(١)]، سواء في الاعتقاد، أو العمل، أو الاستدلال.

٥- مما يدل على تعظيم السلف للقرآن الكريم أنهم لا يرون شيئا من النصوص يعادل نصوص الوحيين، ومن جعل نصوص أحد «كنصوص الشارع في وجوب العمل بها؛ فهذا كفر باتفاق المسلمين»[(٢)].

٦- نص العلماء - رحمهم الله - على وجوب أخذ ما وقع من بعض الآيات، بل ما فيه ذكر الله ﷻ مطلقا، وعدم تركه عرضة للإهانة، وقالوا: إن من تركه عرضة للإهانة فإنه يخشى عليه الكفر[(٣)].

٧- مما يستدل به على تعظيم السلف للقرآن الكريم أنهم كانوا يتوقفون في تفسيرهم على ما ورد، ولا يتجرؤون على القول فيه بالرأي المجرد[(٤)]، قال القرطبي رحمه الله: «كان الأئمة من السلف الماضين يتورعون عن تفسير المشكل من القرآن، فبعضٌ يُقَدِّر أن الذي يفسره لا يوافق مراد الله ﷻ، فيحجم عن القول، وبعضٌ يشفق من أن يجعل في التفسير - أي التفسير بالرأي - إماما يبنى على مذهبه، ويقتفى طريقه»[(٥)]، وأما التفسير بالمأثور، وما يفهم من معاني النصوص بالتفكر في المزبور؛ فهو الذي كان عليه السلف - رحمهم الله -[(٦)].

٨- أن الأمة متفقة على صدق ما في القرآن من الأخبار، وعدل ما فيها من الأحكام، ولا شك في ذلك عند ذوي الأفهام، ومن خالف ذلك من الأنام؛ فإنه غير معظم للقرآن[(٧)].

---

(١) انظر: نقض المنطق ص٨١.

(٢) المجموع ٣١/٤٨.

(٣) انظر: حاشية الدسوقي ٤/ ٣٠١.

(٤) انظر: الجامع لأحكام القرآن ١/ ٢٧، كشاف القناع ١/ ٤٣٣-٤٣٤.

(٥) الجامع لأحكام القرآن ١/ ٢٧.

(٦) انظر: المرجع السابق.

(٧) انظر: مراتب الإجماع لابن حزم ص١٧٤.

٩- أن اتفاق العلماء ـ خلافا للظاهرية ـ على المنع من مس المصحف لمن لم يكن على طهارة كاملة كالجنب والحائض والنفساء، سواء بمباشرة القرآن الكريم، أو جزء منه، بل منعوا ـ من كان عليه حدثا أكبر ـ من قراءة آية منه، وذلك تعظيما لآيات الله ﷻ المتلوة، والآية في ذلك وما دونها سواء، إذ الكل معظم يجب توقيره، وتعظيمه(١).

١٠- أن العلماء نصوا على منع قراءته في الأماكن القذرة تعظيما وتنـزيها للقرآن عنها(٢).

١١- نص السلف أن القرآن حيث كتب يجب تعظيمه، وتوقيره، ولو كتب على ما يصاغ من الذهب ـ وإن كان ذلك بدعة ـ لأن الاعتبار إنما هو للمكتوب، وينبغي تغيير هذه المصوغات، والمكتوبات، أو رفعها عن مكان الإهانة والقذارة إذا كان فيها شيء من القرآن الكريم، أو ذكر الله ﷻ(٣).

١٢- أن السلف منعوا قراءة القرآن الكريم منكسا، وذلك تعظيما لشأن القرآن، وأن ذلك يخالف ما نزّل من أجله القرآن الكريم(٤).

١٣- أنهم منعوا من كتابة القرآن الكريم مع الشعر ولو كان أمامه، وذلك لأن هذه مظنة الإهانة، وحق القرآن التعظيم، وفي الشعر الكذب والهجو والقرآن يعظم عن مثل هذا(٥).

ولا يخالف تعظيم القرآن الكريم أن تُسمع شيئا منه للكافر، لأن في إسماعه القرآن إقامة للحجة عليه، وبيان الحق له، قال ﷻ: ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ٱسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُۥ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْلَمُونَ﴾[التوبة: ٦]، وإنما الذي

---

(١) انظر: تحفة الفقهاء للسمرقندي ١/ ٣٢، بدائع الصنائع للكاساني ١/ ٣٣، حاشية الدسوقي ١/ ١٠٨، مغني المحتاج ١/ ٤٠، دليل الطالب ١/ ١٤.

(٢) انظر: الفواكه الدواني ٢/ ٣٣٦.

(٣) انظر: المجموع ١٢/ ٦٠٠.

(٤) انظر: ما سبق في الفصل الخامس من الباب الأول.

(٥) انظر: الفروع لابن مفلح ١/ ٣٦٢.

يمنع منه تعظيما للقرآن الكريم هو مس المصحف، وخوفا مِنْ أن يهينه الكافر فلا يدفع إليه شيء منه إلا إذا رجي إسلامه[١].

وفي ذكر بعض الأدلة على وجوب تعظيم القرآن الكريم كفاية لمن اتعظ، وتنويه بتعظيم القرآن الكريم، ومما هو من التعظيم: التأدب بآداب تلاوته[٢]، والتمثل بأوامره، واجتناب نواهيه، والاتعاظ بعظاته، وتحسين الصوت بقراءته، وترك المماراة فيه[٣]، وعدم تفسيره بالظن والهوى[٤]، وعدم أخذه إلى أرض العدو[٥]، وتعظيم حامليه، والعاملين بما فيه[٦]، ومن تعظيم المصحف أن لا يحمل فوقه متاع ونحوه[٧]، قال البيهقي رحمه الله بعد حديث النهي عن السفر بالقرآن إلى أرض العدو: « فإذا كان منهيا أن يعرضه على من يستهينه، وينتهك حرمته، كان نهيه عن أن يزدري به، ويستهينه بنفسه أولى؛ ولأن الله تعالى وصف القرآن بأنه في كتاب مكنون، لا يمسه إلا المطهرون؛ فإذا كان فوق السماوات مكتوبا محفوظا، وليس هناك إلا الملائكة المطهرون؛ فلأن يكون فيما بيننا مكتوبا محفوظا، والناس مختلفون، والأماكن مختلفة، والأحوال شتى أشبه »[٨].

ومن تمام تعظيمه البعد عما يكون دليلا على إهانته، أو الاستهزاء به، وهذا ما أبينه في المطلب التالي.

---

(١) انظر: أحكام القرآن لابن العربي ٢/ ٤٥٨، التبيان للنووي ص ١٥٨.

(٢) انظر: شعب الإيمان ٢/ ٣٥٩، ٣٧٨، ٣٨٠، ٤٠٣، ٤٢٣.

(٣) انظر: شعب الإيمان ٢/ ٣٨٦، ٤١٦.

(٤) انظر: شعب الإيمان ٢/ ٤٢٢.

(٥) انظر: شعب الإيمان ٢/ ٤٢٦.

(٦) انظر: الترغيب والترهيب ٢/ ٣٥٢.

(٧) انظر: شعب الإيمان ٢/ ٥٤٣.

(٨) شعب الإيمان ٢/ ٥٤٤.

المطلب الثاني: حكم الاستهزاء بالقرآن، والحط منه.

القرآن الكريم كلام رب العالمين، وصفة من صفاته، فيجب تعظيمه، والآية من القرآن يجب تعظيمها، بل لو كتب في شيء وجب تعظيمه برفعه عن مكان المهانة، وعدم امتهانه، ولهذا تحرم كتابتها فيما يكون مبتذلا[(١)]، قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله في كتابة القرآن على لباس الحرب والدنانير ونحوهما: «كتابة القرآن عليها: فيشبه كتابة القرآن على الدرهم، والدينار، ولكن يمتاز هذا بأنها تعاد إلى النار بعد الكتابة، **وهذا كله مكروه، فإنه يفضي إلى ابتذال القرآن، وامتهانه، ووقوعه في المواضع التي ينزه القرآن عنه**، فإن الحياصة[(٢)]، والدرهم، والدينار، ونحو ذلك، هو في معرض الابتذال، والامتهان، وإن كان من العلماء من رخص في حمل الدراهم المكتوب عليها القرآن، فذلك للحاجة، ولم يرخص في كتابة القرآن عليها ـ والله أعلم ـ»[(٣)].

قال الإمام محمد بن عبد الوهاب رحمه الله: «باب: من هزل بشيء فيه ذكر الله، أو القرآن، أو الرسول»[(٤)]، قال الشيخ سليمان[(٥)] رحمه الله في شرحه لهذا الباب: «أي أنه يكفر بذلك لاستخفافه بجناب الربوبية، والرسالة، وذلك مناف للتوحيد، ولهذا أجمع العلماء على كفر من فعل شيئا من ذلك فمن استهزأ بالله، أو بكتابه، أو برسوله، أو بدينه كفر ـ ولو هازلا لم يقصد حقيقة الاستهزاء ـ إجماعا».

---

(١) انظر: حاشية الطحطاوي على مراقي الفلاح ص٩٨.

(٢) لعل المقصود أن يجعل الذهب مرصوصا على الثياب، على نحو حزام وغيره، يتزين بها. انظر: المعجم الوسيط ١/ ٢٠٧ مادة (حوص).

(٣) المجموع ٢٥/ ٦٦.

(٤) كتاب التوحيد مع شرحه تيسير العزيز الحميد ص٦١٧.

(٥) هو الإمام الفقيه: سليمان بن عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب التميمي، ولد بالدرعية، وكان بارعا في التفسير والحديث والفقه، أخذه إبراهيم باشا بعد دخوله الدرعية وقتله بوابل من الرصاص حقدا على الدعوة، ومن مصنفاته العظيمة: تيسير العزيز الحميد شرح كتاب التوحيد، قتل سنة ١٢٣٣هـ. انظر: الأعلام ٣/ ١٢٩.

والدليل على أن من استهزأ بالقرآن أو بشيء منه يكفر، الكتاب والسنة والإجماع، ومن هذه الأدلة:

١. قول الله ﷻ: ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ ۚ قُلْ أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ ﴾[التوبة: ٦٥] فتبين بهذا أن الاستهزاء بآيات الله كفر، يكفر به صاحبه بعد إيمانه[(١)].

٢. ورد أن رجلا قال: [**ما لقرّائنا هؤلاء: أرغبنا بطونا، وأكذبنا ألسنةً، وأجبننا عند اللقاء!!**]؛ فأخبر النبي ﷺ بمقالته؛ فجاء معتذرا، وهو ماسك بزمام ناقة رسول الله ﷺ، ورسول الله ﷺ ما يزيد على أن يذكر له هذه الآية: ﴿ أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ ﴾[التوبة: ٦٥]»[(٢)].

٣. قال العلماء: من جحد حرفا فأكثر من القرآن، أو زاده، أو غيره، أو قال: ليس بمعجز، أو جحد سورة أو آية من القرآن، فلا اختلاف في أنه كافر[(٣)]، فكيف بمن يستهزئ؟.

٤. نص العلماء ـ رحمهم الله ـ: أن الشخص «يكفر إذا أنكر آية من القرآن، أو **سخر بآية منه**، إلا المعوذتين، ففي إنكارهما اختلاف، والصحيح كفره،... وبقراءة القرآن على الدف، أو القضيب،... وبالمزاح بالقرآن،... وبنظمه بالفارسية...، وبِبراءته من القرآن»[(٤)].

٥. عَدَّ أهلُ العلم إهانة المصحف من الكفر، فقالوا: «والفعل المكفر ما تعمده صاحبه استهزاء صريحا بالدين، أو جحودا له كإلقاء مصحف...؛ لأنه صريح

---

(١) انظر: تيسير العزيز الحميد ص٦١٩.

(٢) أورد نحوه الطبري في تفسيره ٦/ ٤٠٩.

(٣) انظر: البيان والتحصيل لأبي الوليد ابن رشد القرطبي ١٦/ ٣٩٤، الشرح الصغير ٤/ ٤٣٥، القوانين الفقهية لابن جزي ٣٧٠، الإعلام بقواطع الاسلام ص٢٣، رسالة في ألفاظ الكفر لتاج الدين أبي المعالي مسعود بن أحمد الحنفي، ص٤٤٣، ضمن الجامع لألفاظ الكفر، للشيخ د/ محمد الخميس.

(٤) البحر الرائق شرح كنز الدقائق ٥/ ١٣١، وانظر: ألفاظ الكفر لبدر الرشيد الحنفي ص٢٩، ضمن الجامع في ألفاظ الكفر للشيخ د/ محمد الخميس.

في الاستخفاف بكلام الله تعالى، والاستخفاف بالكلام استخفاف بالمتكلم »(١).

٦. عدوا من الاستهزاء: من قرأ آية من القرآن عامدا على غير وجهها، وهو يعلم أنها ليست كذلك في المصحف، و غيَّرها وبدلها بهواه؛ فإنه كافر، وهذا من الاستهزاء بكتاب الله ﷻ (٢)، ويشبه هذا فيما لو ساق آية في غير ما أنزل من أجله، على سبيل الاستهزاء فإنه يكفر(٣).

٧. من الاستهزاء بالقرآن أن يدعى أنه غير معجز، فمن قال ذلك مستهزئا فإنه يكفر(٤)، ومما يخشى أن يكون من الاستهزاء بالقرآن ـ وإن كان يرجع ذلك إلى النية ـ أن يكتب مع الشعر ونحوه، مما فيه كذب وهجاء، وزور وبغي(٥).

٨. كذلك من الاستهزاء بالقرآن: الاستهزاء بأحكامه وأخباره، أو الطعن فيما أحله وحرمه، وهذا كفر بإجماع علماء الإسلام(٦).

٩. أن من الاستهزاء بالقرآن مخالفة نصوصه عن قصد واعتقاد؛ فإنّها كفر، قال ابن أبي العز رحمه الله: « فمخالفة النص إذا كانت عن قصد فهي كفر، وإن كانت عن اجتهاد فهي من الخطأ المغفور »(٧).

وبهذا يظهر أن السلف ـ رحمهم الله ـ من المعظمين للقرآن، والذابين عنه، ومنعوا أي نوع مما يشعر إهانته، أو السخرية بالقرآن الكريم وجعلوا ذلك من المحرمات العظيمة.

ومن تعظيم القرآن الكريم، التبرك به على الوجه المشروع، وهذا ما أبينه في المطلب التالي.

---

(١) مغني المحتاج للشربيني ٤/ ١٣٦.
(٢) انظر: الإحكام في أصول الأحكام ٢/ ١٤٨.
(٣) انظر: مختصر الفتاوى المصرية ص٥٧٨.
(٤) انظر: مغني المحتاج للشربيني ٤/ ١٣٦.
(٥) انظر: الفروع لابن مفلح ١/ ٣٦٢.
(٦) مجلة البحوث العلمية، ٣٢/ ٣٣٨ مقالة بعنوان حكم من يسخر بالقرآن وأهله للشيخ ابن باز رحمه الله.
(٧) الإتباع له ص ٢٩.

المطلب الثالث: حكم التبرك[(١)] بالقرآن.

كان السلف يطلبون البركة من القرآن الكريم، بما ثبت عن النبي ﷺ[(٢)]، ولا ريب أن القرآن الكريم مبارك، وأن فيه البركة، فآثار البركة ظاهرة فيه لمن تأمل[(٣)].

وقد جاءت الأدلة المتوافرة من الكتابة والسنة على أن القرآن الكريم مبارك، ومن هذه الأدلة:

١- قول الله ﷻ: ﴿ كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ إِلَيۡكَ مُبَٰرَكٞ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ﴾[ص: ٢٩] فكونه مبارك دليل على أنه كثير المنافع الدنيوية والدينية[(٤)]، ومما يدل على أن القرآن مبارك آيات أخرى كثيرة، ومنها: قوله ﷻ: ﴿ وَهَٰذَا كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ مُبَارَكٞ مُّصَدِّقُ ٱلَّذِي بَيۡنَ يَدَيۡهِ وَلِتُنذِرَ أُمَّ ٱلۡقُرَىٰ وَمَنۡ حَوۡلَهَا ﴾[الأنعام: ٩٢]، وقوله تعالى: ﴿ وَهَٰذَا كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ مُبَارَكٞ فَٱتَّبِعُوهُ وَٱتَّقُواْ لَعَلَّكُمۡ تُرۡحَمُونَ ﴾[الأنعام: ١٥٥]، وقول الله ﷻ: ﴿ وَهَٰذَا ذِكۡرٞ مُّبَارَكٌ أَنزَلۡنَٰهُۚ أَفَأَنتُمۡ لَهُۥ مُنكِرُونَ ﴾[الأنبياء: ٥٠]، فهذه الآيات تدل على أن القرآن مبارك، وفيها الإشارة إلى نوع البركة فيها من حيث كونه (مصدِّقا)، وكونه (كافِيًا في الإنذار)، وتظهر بركته على (متبعيه) ولا ينكر هذا إلا المعاندون.

٢- الأحاديث التي تدل على فضائل القرآن الكريم مجموعة، وتبيِّن فضائل

---

(١) التبرك، والبركة، حقيقتها: الثبوت واللزوم، والاستقرار، وبرك البعير: إذا استقر على الأرض، والبركة: النماء والزيادة، ويقال: باركه الله، وبارك فيه، وبارك عليه، وبارك له، والمبارك: الذي قد باركه الله ﷻ؛ فكتابه مبارك، قال تعالى: ﴿ وَهَٰذَا ذِكۡرٞ مُّبَارَكٌ أَنزَلۡنَٰهُۚ أَفَأَنتُمۡ لَهُۥ مُنكِرُونَ ﴾[الأنبياء: ٥٠] وإنما سمي مباركا - وهو حقيق بذلك - لكثرة خيره، ومنافعه، ووجوه البركة فيه. انظر: جلاء الأفهام لابن القيم ص١٦٥-١٦٦.

(٢) وقد ذكرت في الفصل الثالث من الباب الثاني تبرك المخالفين للسلف بالقرآن الكريم، وأنه على حسب ما يبتدعون من عند أنفسهم.

(٣) انظر: التبرك أنواعه وأحكامه د/ ناصر الجديع ص٢١٥ وما بعدها؛ فإنه قد ذكر بعض هذه الأنواع من التبركات المشروعة، وقد استفدت من كتابه - أثابه الله -.

(٤) انظر: جلاء الأفهام ص١٦٦، روح المعاني للألوسي ١٢/ ١٨١، أضواء البيان للشنقيطي ٧/ ٢١.

بعض السور والآيات؛ فهذه تدل على بركته[(١)]، وكذلك ما ورد من فضل قراءة القرآن والعمل به.

٣- كون القرآن كلام الله ﷻ فلا ريب أنه يكون مباركا؛ لأن المتكلم به هو الله ﷻ الذي يبارك على من يشاء وما يشاء، وكلام الله ﷻ لا يكون إلا حقا، ولا يكون إلا صدقا، وكلامه ﷻ يهدي إلى الحق، ويوصل إلى كل خير وسعادة في الدنيا والآخرة، وهل هناك أعظم بركة من كتاب يوصل من اتبعه إلى الجنة؟؟، وكونه تبيانا لكل شيء، وفيه الشفاء من كل عِيٍّ، والحياة السعيدة لكل من عمل به من إنسي أو جني[(٢)].

٤- ثبت عن بعض السلف أنهم كانوا يكتبون القرآن ثم يمحونه بالماء، ونحوه من الطاهرات، وهذا يقتضي أن لذلك بركة[(٣)].

فهذه بعض الأدلة التي تدل على بركة القرآن الكريم، ويكون التبرك بالقرآن الكريم بما ورد شرعا، لا بما يُورد ذهنا، **ومن جملة البركات التي يمكن للمسلم أن يلتمسها في القرآن الكريم ما يأتي:**

١- يتبرك بالقرآن الكريم في المسائل العلمية والعملية؛ فيطلب في آياتها، ومعانيها المسائل العلمية والعملية المختلفة، ومن جملة ذلك بركته في كونه يرفع الخلاف، قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡۖ فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمۡ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۚ ذَٰلِكَ خَيۡرٞ وَأَحۡسَنُ تَأۡوِيلًا ﴾[النساء: ٥٩] والرد إلى الله رد إلى كتابه، والرد إلى الرسول رد إلى سنته بعد وفاته[(٤)]، قال الحافظ ابن كثير رحمه الله: «قال مجاهد وغير واحد من السلف ـ فردوه ـ أي إلى كتاب الله، وسنة رسوله، وهذا أمر من الله ﷻ بأن كل شيء تنازع الناس فيه من

(١) انظر: هذه الفضائل في كتاب أبي عبيد (فضائل القرآن)، وكتاب (فضائل القرآن لابن كثير) وكتاب (موسوعة فضائل وسور القرآن للطرهوني)، وانظر: الفصل الثالث من الباب الأول.

(٢) انظر: عقيدة المؤمن للشيخ أبي بكر الجزائري ص٢٠٤ وما بعدها.

(٣) انظر: المجموع ١٢/ ٥٩٩، الإتقان للسيوطي ٤/ ١٤٤.

(٤) انظر: زاد المسير لابن الجوزي ٢/ ١١٧.

أصول الدين، وفروعه أن يرد التنازع في ذلك إلى الكتاب والسنة...؛ فما حكم به الكتاب والسنة، وشهدا له بالصحة فهو الحق، وماذا بعد الحق إلا الضلال»[١].

٢- أنه يهدي إلى الحق، وإلى الهدى، وإلى الجنة[٢].

٣- أنه يبارك من يعمل به، ويحد بحدوده، وينتهي عن نواهيه؛ فيكون مباركا، نقيا، تقيا، من درك الشرك والإلحاد، والشبهات والشهوات.

٤- أن من بركة القرآن كونه حرزا لمن قرأه من شياطين الإنس والجن، قال تعالى: ﴿ وَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْآخِرَةِ حِجَابًا مَّسْتُورًا ﴾ [الإسراء: ٤٥]، وثبت أن: من قرأ آية الكرسي في ليلة لم يزل عليه من الله حافظ حتى يصبح[٣].

٥- أنه يزيد من قرأه وتلاه وحفظه درجة ورفعة[٤]، وهذه من بركات القرآن، ولا تحصل إلا بالعمل والقراءة، ومن جملة ذلك أن من تلاه وقرأه فإن ذلك يكون شافعا له يوم القيامة، قال ﷺ: **[اقرؤوا القرآن فإنه يأتي يوم القيامة شافعا لأصحابه]**.

٦- من بركات القرآن الكريم، أنه شفاء من الأمراض المعنوية والحسية، شفاء من الشهوات والشبهات والمهلكات، وشفاء من الأمراض؛ فطلب الاستشفاء به من طلب بركة القرآن الكريم[٥].

٧- من التبرك بالقرآن الكريم جعله دستور الحياة، حتى تكمل الحياة، وتسعد المجتمعات، وأما جعله دستورا من دون عمل، أو كتابة شيء منه تبركا على الجدران ونحو ذلك؛ فهذا لم يثبت، ولا يجدي[٦].

---

(١) تفسير القرآن العظيم لابن كثير ١/ ٥١٨.

(٢) انظر: ما سبق ذكره في أوصاف القرآن الكريم وأسمائه في الفصل الرابع من الباب الأول مما يدل على أنه هاد.

(٣) روى نحوه البخاري، كتاب فضائل القرآن، باب/ فضل سورة البقرة، ح(٥٠١٠)، عن أبي هريرة ﷺ.

(٤) انظر: التبرك المشروع والتبرك الممنوع د.علي العلياني ص٣١، وانظر: الفصل الثالث من الباب الأول.

(٥) انظر: الفصل الثالث من الباب الأول.

(٦) انظر: الفصل الثالث من الباب الثاني.

٨- ومن بركته أنه إذا قرئ في بيت سورة البقرة؛ فإن الشياطين تطرد من ذلك البيت.

٩- ومن بركته أنه إذا قرئ تنـزلت الرحمات، وارتفعت الدرجات، وأحس القارئ بزيادة الإيمان، وأن الملائكة تحف القارئين[١].

وبهذا يتضح أن من عظمة القرآن الكريم أنه مبارك، وأن من تبعه يكون مباركا، وأن من عمله به يكون مباركا، ومن تمام تعظيمه معرفة خصائصه، وهذا ما أبينه في المطلب التالي.

(١) انظر: ما يدل على هذه المعاني، الأحاديث التي مرت حول هذا المعنى في الفصل الثالث، من الباب الأول.

المطلب الرابع: خصائص[1] القرآن.

يعتقد السلف أن للقرآن الكريم خصائص ومميزات ليست لأي كتاب على وجه الأرض، ولأجل هذه الخصائص الكثيرة، أفردها في التصنيف علماء[2]، ولكني أذكر من الخصائص ما له متعلق بالعقيدة، من حيث بيان منـزلته، وما يتعلق به من حكم عقدي، ومن هذه الخصائص:

١- من خصائصه أنه كتاب محكم مفصل، قال تعالى: ﴿ حمٓ ۝١ تَنزِيلٌ مِّنَ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝٢ كِتَٰبٌ فُصِّلَتۡ ءَايَٰتُهُۥ قُرۡءَانًا عَرَبِيًّا لِّقَوۡمٖ يَعۡلَمُونَ ﴾[فصلت: ١-٣].

٢- من خصائص القرآن أنه متحدى به، فلا يستطيع مخلوق أن يأتي بمثله، وهذه من خصائص القرآن[3]، قال الله ﷻ: ﴿ قُل لَّئِنِ ٱجۡتَمَعَتِ ٱلۡإِنسُ وَٱلۡجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأۡتُواْ بِمِثۡلِ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانِ لَا يَأۡتُونَ بِمِثۡلِهِۦ وَلَوۡ كَانَ بَعۡضُهُمۡ لِبَعۡضٖ ظَهِيرٗا ﴾[الإسراء: ٨٨].

٣- من خصائص القرآن منع روايته بالمعنى، وهو أمر متفق عليه بين العلماء[4].

٤- من خصائصه أنه يُرفع في آخر الزمان، دون ما سواه من الكتب المنزلة من الرحمن، فهو الكتاب الذي أنزله الله ﷻ، ويرفعه قرب قيام الساعة[5].

٥- من خصائص القرآن أنه يتعبد لله ﷻ بألفاظه تلاوة، ويستحق تاليه

---

(١) هذا العنوان مقصدي فيه: ما تميز به هذا الكتاب عن غيره، مما يعتقده السلف، وقد يعبر عنه بعنوان: خواص القرآن، وهناك مؤلفات باسم خواص القرآن لبعض المخرفين، وكأنهم يعتقدون أن القرآن طلاسم لمزاعمهم الباطلة، وشعوذاتهم الزائفة، لكني أذكر ما يصح أنه من خصائص القرآن. وانظر: خصائص القرآن للرومي ص١٣ في معنى "خصائص القرآن".

(٢) انظر: الإتقان للسيوطي ٤/ ١٣٧، حيث ذكر أن الغزالي أفرد هذا الموضوع بالتصنيف، ولم أقف عليه، وكذلك لليافعي فيه تصنيف، ولم أقف عليه، وممّن كتب فيه من المعاصرين المالكي بعنوان: (خصائص القرآن)، لكنه ملأه ببعض الخرافات، وللدكتور فهد الرومي (خصائص القرآن) وهو كتاب قيم.

(٣) انظر: المجموع ١٢/ ٣٩٣، ١٥/ ١٠٦.

(٤) انظر: الفواكه الدواني ١/ ٥٠.

(٥) ينظر: ما سبق في الفصل الأول، من الباب الأول.

الثوابَ على القراءة[١].

٦- أنه محفوظ عن الزيادة والنقصان، وعن التبديل والتغيير، وهذه خاصية لا توجد في كتاب سواه، وأبى الله العصمة إلا لكتابه.

٧- من خصائصه أنه الكتاب الذي يحفظ عن ظهر قلب، وبيسر وسهولة ـ مع كثرة آياته وسوره ـ بخلاف الكتب السابقة المنـزلة[٢].

٨- من خصائصه أنه هو الدليل، وهو المدلول، فهو الذي يُنبي عن حكم الله ﷻ وشرعه، وهو الذي أمرنا بالإيمان به[٣].

٩- من خصائصه أنه لا يقرأ في الصلاة إلا هو، فلا يقرأ في حال القيام إلا القرآن على وجه الخصوص، ولا يصلى بلا قرآن، إلا من تعذر عليه من الإنس والجان، من غير تفريط منه في هذا الشأن[٤].

١٠- من خصائصه ما ذكر له من الفضائل، حيث لا يدانيه في ذلك الذكر أو المسائل، وهذا يدل على فضله، إذ شرف الشيء وما به يختص بكثرة أوصافه التي لا يشاركه فيها شيء[٥].

١١- من خصائصه ما فضل به آحاد سوره، وبعض آياته، وما ذكر لبعض السور والآيات من المميزات.

١٢- أنه لا يقوم غير القرآن مقامه، ويقوم هو مقام غيره، فيقوم هو مقام الذكر المطلق[٦]، والذكر المطلق لا يقوم مقامه، ويقوم هو مقام طلب العلوم الأخرى، ولا يقوم طلب علم غيره مقامه.

---

(١) انظر: ما سبق في الفصل الثالث، من الباب الأول، وانظر: الفصول في الأصول ٢/ ٢٦٠.

(٢) انظر: الفصول في الأصول ٢/ ٢٦٠.

(٣) انظر: النبوات ص ٩٠.

(٤) انظر: المجموع ١٧/ ١١.

(٥) انظر: كتاب فضائل القرآن، وتلاوته، وخصائص تلاوته، وحملته، لأبي الفضل أحمد بن الحسن الرازي ص٢٤.

(٦) انظر: المجموع ١٧/ ١١-١٢.

١٣- من خصائصه العظيمة أن فيه الغنية عما سواه من الكتب السابقة المنزلة[١].

١٤- من خصائص القرآن الكريم أنه كالماء يروي الإنسان، إذا استقى منه بصدق وإخلاص، ولذا شبهه النبي ﷺ بالماء، كما في قوله ﷺ: [**مثل ما بعثني الله به من الهدى والعلم، كمثل غيث أصاب أرضا...**][٢] فقد خص الله ﷻ بعض الملائكة بإنزال الأمطار، وخص بعضهم بإنزال ما فيه حياة الأخيار، بهذا الوحي المدرار[٣].

١٥- خص بأنه لا يجوز مسه من غير طهارة كاملة، كما ثبت ذلك[٤] «عن الصحابة ـ مثل سعد، وسلمان، وابن عمر ـ وجماهير السلف، والخلف، الفقهاء الأربعة وغيرهم، ومضت به سنة رسول الله ﷺ في كتابه الذي كتبه لعمرو بن حزم[٥] ﷺ الذي لا ريب في أنه كتبه له، ودل على ذلك كتاب الله»[٦].

١٦- خص القرآن بأنه لا يقرأ في حال الركوع والسجود، لأن العبد في حالة ذل لله ﷻ، فلم يناسب أن يقرأ فيه شيئا من ذلك على وجه الذكر، وإنما يكثر فيهما ما يكون من التعظيم لله ﷻ ودعائه.

١٧- من خصائصه: ما اختصّ به أسلوبُه[٧]، فأسلوب القرآن أسلوب رفيع في المخاطبة، والناس على اختلاف طبقاتهم وثقافاتهم وأعمالهم يحسون به ويلتذون بقراءته، وما يذكر من بلاغة القرآن، وعلو لغته، فذلك بعض من علومه، وشيء من خصائصه، وما سطره العلماء بين مقل ومكثر، فإنما هو قليل من كثير، وقطرة من بحر، ومن أهم خواصه:

---

(١) انظر: المجموع ١٧/ ٤٦.

(٢) سبق تخريج الحديث وأوله: "إن مثل ما بعثني الله..." ص ٥٢٩.

(٣) انظر: نقض المنطق ص ٣٦.

(٤) انظر: الفصل الرابع من الباب الأول.

(٥) هو الصحابي الجليل: عمرو بن حزم بن زيد الأنصاري ﷺ شهد الخندق وما بعدها، وكان عامل النبي ﷺ على نجران، مات بعد الخمسين. انظر: التقريب ص ٣٥٧.

(٦) المجموع ١٧/ ١٢.

(٧) انظر: كتاب فضائل القرآن، وتلاوته، وخصائص تلاوته، وحملته، لأبي الفضل أحمد بن الحسن الرازي ص١٠.

أ- جماله اللغوي بيانا، واتساق ألفاظه حركة وسكونا، حيث يسترعي الأسماع، ويستهوي النفوس[١].

ب- إرضاؤه العامة والخاصة؛ فالعلماء يحسون بجلاله، وجماله، والعوام يحسون بحلاوته، وطراوته[٢].

ت- إرضاؤه العقل والعاطفة؛ فهو يخاطب العقل ويحسس الوجدان، وتدرك مرامه العقول، وتتحسس خطابه النفوس[٣]، كل ذلك بترابط أجزائه، وقوة سبكه وسرده[٤].

١٨- من خصائصه أنه شفاء[٥]، وهذا يدلك على أنه كتاب هداية وشفاء، وجاء: [**عليكم بالشفاءين: العسل والقرآن**][٦]، وهذا ليس لكتاب موجود على وجه الأرض إلا القرآن، قال ابن القيم ـ رحمه الله ـ: «إذا ثبت أن لبعض الكلام خواصًا ومنافع، فما الظن بكلام رب العالمين»[٧].

فهذه بعض الخصائص التي تنبئك خصوصية القرآن، وتوقفك على خصائصه بين الكتب؛ فعض عليها، وتمسك بحبلها.

وهذه أبيات فيها بيان لما اشتمل عليه القرآن من بعض الخصائص، حيث قال

---

(١) انظر: مناهل العرفان ٢/ ٣٣١-٣٣٥.

(٢) انظر: مناهل العرفان ٢/ ٣٣٥-٣٣٦.

(٣) انظر: مناهل العرفان ٢/ ٣٣٦-٣٣٧.

(٤) انظر: مناهل العرفان ٢/ ٣٣٨-٣٤٠.

(٥) انظر: الإتقان للسيوطي ٤/ ١٣٧ وما بعدها.

(٦) رواه ابن ماجة، كتاب الطب، باب/ العسل، ح(٣٤٥٢)، ورواه الحاكم في مستدركه، كتاب الطب، ح(٧٤٣٥)، وقال: إسناد صحيح على شرط الشيخين، ولم يخرجاه، من حديث ابن مسعود ﷺ، ووافقه الذهبي، وضعفه الشيخ الألباني، كما في السلسلة الضعيفة، ح(١٥١٤)، ورجح كونه موقوفا على ابن مسعود ﷺ.

(٧) انظر: الإتقان ٤/ ١٤٤.

الشاعر:

هــذا هــو القــرآن نبراس الهــدى ... دسـتورك الأسمـى المنير المشـرق
آيـاته نبـع العلـــوم جميعهـــا ... من قـال: لا؛ فهو الغبي الأخرق
علم الطبيعة، والحيـاة، وحكـمة ... الإيجـــاد من تبـيانـــه تتدفـــق
وسيـاسة الدنـيا بأقـوم شرعـــة ... بين الورى بســواه لا تتحــرك
فيه القضـاء لحـل كـــل قضـيـة ... عن حلها أهـــل السياسة أخفَقوا
عودوا إلى القـرآن عودة باحـــث ... ترك الهوى، والعقل حر مطـلـق
وخـذوا دسـاتير الحيـاة جميعهـا ... من آيه، وعلى الخليقـة أشفقـوا
فهـو الـدواء لكـل أدواء الـورى ... وهو الطبيب، لكل سقم، صدِّقوا
فـالـغرب لمـا سـار، سـار بنـوره ... وعلا، وقبل الغرب سـار المشرق
يـا قـوم أحمـدَ مجدُكـم قرآنكـم ... فهـو الكتـاب العـالمي الأصـدق(١)

فخصائص هذا الكتاب بينة، والعقول قد تدرك شيئا منها ولا تستحضره، وإنما هي مفرقة فجمعته، ومن خصائصه فهمه على ما فهمه السلف، وهذا ما أبينه في الفصل التالي.

---

(١) التربية في كتاب الله، لمحمود عبد الوهاب، ص٥٣-٥٤ نقلا عن كتاب خصائص القرآن للرومي ص٢٢٠-٢٢١.

الفصل الثاني

طريقة السلف في فهم القرآن والاحتجاج به

وفيه مبحثان:

المبحث الأول: طريقة أهل السنة في فهم القرآن، وفيه خمسة مطالب.

المبحث الثاني: حجية القرآن عند السلف، وفيه أربعة مطالب.

المبحث الأول: طريقة أهل السنة في فهمه

المطلب الأول: الاستغناء بالوحي.

يعتقد السلف أن كتاب الله ﷻ وسنة نبيه ﷺ، فيهما الغنية، وفيهما العظة والعبرة، والكفاية والغنيمة، وبيان لكل معلوم[(١)]، والأمم قبلنا كانت تسوسهم الأنبياء، وأما أمة محمد ﷺ فأغناهم الله برسولهم وكتابهم عن كل ما سواه، والعلماء الربانيون يقومون في الأمة مقام الأنبياء في التبليغ، وإن العالِم منهم، والمحدِّث إنما يؤخذ منه ما وافق الكتاب والسنة، ولا يقبل منهم شيء حتى يعرضه عليهما[(٢)].

والوحي هداية لجميع البشر، من تمسك به وقي من كل زلل وشرر، ومن تركه من جبار انكسر، يقول صاحب متن الشيبانية فيما عنه اشتهر[(٣)]:

فلا مذهب التشبيه نرضاه مذهبا ... ولا مقصد التعطيل نرضاه مقصدا

ولكن بالقرآن نهدي ونهتدي ... وقد فاز بالقرآن عبد قد اهتدى

فالقرآن فيه جميع علم الكتب السابقة، وفيه تفصيل كل شيء، وهو آية صدق النبي ﷺ، فمن لم يرض به؛ فإنه لم يكتف بدليل صدق النبي ﷺ، وكفى به خسرانا[(٤)]، فكل ما جاء به محمد ﷺ حق، والقرآن حق وهو منبع أحكام الشريعة[(٥)].

---

(١) انظر: قانون التأويل لابن العربي ص ٥٠٤.

(٢) انظر: المجموع ١٧/ ٤٦.

(٣) ص ٣٦، ضمن مجموع أمهات المتون في مختلف الفنون والعلوم، جمع دار الفكر.

(٤) انظر: إعجاز القرآن عند شيخ الإسلام ص١١٨، ١٢٦، ١٤٠.

(٥) انظر: الفرق بين الفرق ص١١.

قال الفضيل بن عياض رحمه الله: «لن تعلموا القرآن حتى تعرفوا إعرابه، ومحكمه من متشابهه، وناسخه من منسوخه؛ إذا عرفتم ذلك استغنيتم»[١]، أي عما سواه.

وقد اتفق السلف على انقطاع الوحي من السماء، وكمال الشريعة السمحاء، وأن الدين قد استقر، وأن النصوص قد سبرت، واتفقوا على أنه لا يحل ترك ما جاء في الكتاب والسنة[٢].

ولهذا كان السلف مستغنين بالوحي عن الطرق الكلامية، والآراء الفلسفية، والمنامات الصوفية، والأذواق الفكرية، والقوانين البشرية.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: «من الأصول المتفق عليها بين الصحابة والتابعين لهم بإحسان أنه لا يقبل من أحد قط أن يعارض القرآن، لا برأيه، ولا ذوقه، ولا معقوله، ولا قياسه، ولا وجده؛ فإنهم ثبت عنهم بالبراهين القطعيات، والآيات البينات أن الرسول جاء بالهدى، ودين الحق، وأن القرآن يهدي للتي هي أقوم... فكان القرآن هو الإمام الذي يقتدى به، ولهذا لا يوجد في كلام أحد من السلف أنه عارض القرآن بعقل ورأي وقياس، ولا بذوق، ووجد ومكاشفة، ولا قال قط: قد تعارض في هذا العقل والنقل!!... ولا فيهم من يقول: إن له ذوقا، أو وجدا، أو مخاطبة، أو مكاشفة تخالف القرآن والحديث»[٣].

فجيل الصحابة لا ينهلون إلا من الوحي، وكانت الحضارات تحيط بهم، الحضارة اليونانية، والمجوسية، وكانت اليهودية والنصرانية تعيشان بينهم في المدينة واليمن، ومع ذلك منهج التلقي عند هذا الجيل كان مقصورا على الوحي، مستغنين عما في أيدي القوم بما أغناهم الله من الوحي.

والاستغناء بالوحي واجب شرعا، وذلك لأنه متضمن العلوم الشرعية قطعا،

---

(١) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ١/ ١٩.

(٢) انظر: مراتب الإجماع ص١٧٤، وانظر: حجة الله البالغة للدهلوي ١/ ١٧.

(٣) المجموع ١٣/ ٢٨-٢٩.

وفيه يقول الله ﷻ: ﴿لَّٰكِنِ ٱللَّهُ يَشْهَدُ بِمَآ أَنزَلَ إِلَيْكَ أَنزَلَهُۥ بِعِلْمِهِۦ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَشْهَدُونَ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا﴾[النساء: ١٦٦] قال الزجاج: «أنزله وفيه علمه»[١] وقال غيره: أنزله من عِلمه، وهذا المعنى مأثور عن السلف، كما قال عطاء بن السائب[٢]: [**أقرأني أبو عبد الرحمن**[٣] **القرآن، وكان إذا أقرأ أحدنا القرآن، قال: قد أخذت علم الله، فليس أحد اليوم أفضل منك إلا بعمل**][٤] فالقرآن متضمن لعلم الله ابتداء، فإنما أُنزِل بعلمه، وليس هو كلام بلا علم، فالقرآن فيه الغنية عما سواه، لكونه متضمنا لعلم الله خبرا وأمرا.

«ولهذا لم تحتج الأمة مع رسولها وكتابها إلى نبي آخر وكتاب آخر: فضلا عن أن تحتاج إلى شيء لا يستقل بنفسه غيره، سواء كان من علم المحدثين والملهمين، أو من علم أرباب النظر والقياس، الذين لا يعتصمون مع ذلك بكتاب منزل من السماء»[٥].

وكان عنوان القرآن ودعواه: ﴿هَٰذَا بَلَٰغٌ لِّلنَّاسِ﴾[إبراهيم: ٥٢]، وقوله: ﴿وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ لِأُنذِرَكُم بِهِۦ وَمَنۢ بَلَغَ﴾[الأنعام: ١٩]، فالقرآن فيه غنية عما سواه، في البلاغ، والإنذار، وغير ذلك.

والأدلة أكثر من أن تذكر في الدلالة على أن في الوحي غنية عما سواه، وأسرد شيئا من هذه الأدلة:

١- أن الدين قد كمل، وكماله ببقاء نصوصه محفوظة، وكفايتها وشمولها وعمومها، قال الله ﷻ: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾[المائدة: ٣] والأمة تشهد بهذا، وأن النبي ﷺ، بلغ البلاغ المبين، وأكمل الله

---

(١) المجموع ١٦/ ٤٦٤.

(٢) هو من أتباع التابعين: عطاء بن السائب أبو محمد الثقفي الكوفي، صدوق في الحديث، روى له البخاري مقرونا، وأصحاب السنن، مات سنة ١٣٦هـ. انظر: التقريب ص٣٣١.

(٣) هو أبو عبد الرحمن السلمي.

(٤) المجموع ١٦/ ٤٦٤، وذكر الحافظ ابن كثير أنه رواه ابن أبي حاتم في تفسيره، انظر: تفسير القرآن العظيم ١/ ٥٩٠.

(٥) المجموع ١٧/ ٤٥، وانظر: الصفدية ١/ ٢٥٧.

به الدين، وإنما كمل بما بلغه، فالدين لم يعرف إلا بتبليغه[١]، وهذا يدل عليه ويؤكده قول النبي ﷺ: **[تركتكم على البيضاء، ليلها كنهارها، لا يزيغ عنها بعدي إلا هالك]**[٢]، ويؤكد كمال الدين قول حذيفة رضي الله عنه: **[قام فينا رسول الله ﷺ مقاما، ما ترك شيئا يكون في مقامه ذلك إلى قيام الساعة، إلا حدث به، حفظه من حفظه، ونسيه من نسيه، قد علمه أصحابه هؤلاء...]**[٣]، فالنبي ﷺ أخبر بكل شيء مما يحتاج إليه في الدين، بل وبغيره من الأمور، فكيف لا يستغنى بالوحي؟؟[٤].

٢- قول الله ﷻ: ﴿وَيَرَى ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ هُوَ ٱلْحَقَّ وَيَهْدِىٓ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ﴾[سبأ: ٦]؛ فالقرآن يهدي إلى التوحيد، والإسلام، وإلى ما فيه الرشاد، في الدنيا والمعاد، فكيف لا يكون فيه غنى عما سواه[٥]، **فالقرآن عند المؤمنين الصادقين من أهل العلم الراسخين فيه الحق كله**، « منحصر فيه، وما خالفه وناقضه؛ فإنه باطل...، ويرون أيضا أنه في أوامره ونواهيه: ﴿يَهْدِىٓ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ﴾ وذلك لأنهم جزموا بصدق ما أخبر به، من وجوه كثيرة: من جهة علمهم، بصدق ما أخبر به، ومن جهة موافقته للأمور الواقعة، والكتب السابقة، ومن جهة ما يشاهدون من أخبارها، التي تقع عيانا، ومن جهة ما يشاهدون من الآيات العظيمة الدالة عليها في الآفاق، وفي أنفسهم، ومن جهة موافقتها لما دلت عليه أسماؤه تعالى، وأوصافه، **ويرون في الأوامر والنواهي**، أنها تهدي إلى الصراط المستقيم، وبر الوالدين، وصلة الأرحام، والإحسان إلى عموم الخلق، ونحو ذلك، **وينهى عن كل صفة قبيحة**، تدنس النفس، وتحبط الأجر، وتوجب الإثم والوزر: من الشرك، والزنا، والربا،

---

(١) انظر: المجموع ٥/ ١٥٦.

(٢) رواه ابن ماجة، كتاب السنة، باب/ اتباع سنة الخلفاء الراشدين، ح(٤٣)، رواه ابن أبي عاصم في السنة، ح(٤٨، ٤٩) من رواية العرباض بن سارية رضي الله عنه وأورده شيخ الإسلام في المجموع ٥/ ١٥٦، وسكت عنه، وقال الشيخ الألباني في كتابه: ظلال الجنة ص ٢٧: (حديث صحيح).

(٣) رواه مسلم، كتاب الفتن، باب/ إخبار النبي ﷺ فيما يكون إلى قيام الساعة، ح(٢٨٩١).

(٤) انظر: الصفدية ١/ ٢٥٨-٢٥٩.

(٥) انظر: جامع البيان ١٠/ ٣٤٦، فتح البيان ٧/ ٤٢٩.

والظلم في الدماء، والأموال، والأعراض...»[(١)].

٣- قول الله ﷻ: ﴿ وَبِٱلْحَقِّ أَنزَلْنَـٰهُ وَبِٱلْحَقِّ نَزَلَ ۗ وَمَآ أَرْسَلْنَـٰكَ إِلَّا مُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴾ [الإسراء:١٠٥] أي: بالحقيقة أنزلناه كتابا من لدنا، «متلبسا بالحق الذي هو ثبات نظام العالم على أكمل الوجوه، وهو: ما اشتمل عليه من العقائد، والأحكام، ومحاسن الأخلاق...»[(٢)].

٤- بين الله ﷻ أن الوحي فيه الهداية القويمة، فقال: ﴿ إِنَّ هَـٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا ﴾[الإسراء:٩] «فذكر الله ـ جل وعلا ـ في هذه الآية الكريمة: أن هذا القرآن العظيم ـ الذي هو أعظم الكتب السماوية، وأجمعها لجميع العلوم، وآخرها عهدا برب العالمين جل وعلا ـ يهدي للتي هي أقوم، أي الطريقة التي هي أسدّ، وأعدل، وأصوب... وهذه الآية الكريمة أجمل الله ـ جلا وعلا ـ فيها جميع ما في القرآن من الهدى إلى خير الطرق، وأعدلها، وأصوبها... فمن ذلك توحيد الله ـ جل وعلا ـ...»[(٣)].

٥- بين الله ﷻ أنه نزل الكتاب تبيانا لكل شيء، فقال: ﴿ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَـٰبَ تِبْيَـٰنًا لِّكُلِّ شَىْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ﴾[النحل: ٨٩]، والكتاب المراد به القرآن ـ على قولٍ ـ، والمعنى: ما فرطنا فيه من شيء يحتاجون إلى ذكره، وبيانه[(٤)].

٦- قال الله ﷻ: ﴿ أَفَغَيْرَ ٱللَّهِ أَبْتَغِى حَكَمًا وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ إِلَيْكُمُ ٱلْكِتَـٰبَ مُفَصَّلًا ۚ وَٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَـٰهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ يَعْلَمُونَ أَنَّهُۥ مُنَزَّلٌ مِّن رَّبِّكَ بِٱلْحَقِّ ۖ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُمْتَرِينَ ﴾[الأنعام: ١١٤] فالكتاب هو القرآن المعجز، ومفصلا: أي مبينا فيه الفصل بين الحق والباطل، والحلال والحرام، فـ«في الآية تنبيه على أن القرآن الكريم كاف في

---

(١) تيسير الكريم الرحمن ٦/ ٣٦٠ ـ ٣٦١.

(٢) محاسن التأويل ٤/ ٦٣٦.

(٣) أضواء البيان ٣/ ٣٠٤.

(٤) انظر: شفاء العليل ١/ ١١٨.

أمر الدين، مغنٍ عن غيره، ببيانه، وتفصيله »[(١)].

٧- قال ﷻ: ﴿أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَرَحْمَةً وَذِكْرَىٰ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾[العنكبوت: ٥١] فالقرآن أحسن الكلام، ولهذا نهوا عن اتباع ما سواه[(٢)]، وقال ﷻ: ﴿فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُ يُؤْمِنُونَ﴾[الأعراف: ١٥٨]، ومثل هذه الآيات التي فيها الإشارة إلى عظيم ما أنزل الله من البينات، « الواردة بصيغة الاستفهام، المتضمن معنى الإنكار، فيها مبالغة واضحة عند علماء البلاغة في وضوح كفايته، ودلالته على وجوب الإيمان، وعظم النفع في تدبره، بحيث لا يماثله في هذه الأشياء غيره، ولا يقاربه »[(٣)]، فمحمد ﷺ شريعته كافية لأمته، لا تحتاج إلى شيء آخر معه[(٤)].

٨- نهي النبي ﷺ عن سوى الوحي يدل على أن فيه الغنية، قال جابر رضي الله عنه: **[إن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أتى النبي ﷺ بكتاب أصابه من بعض الكتب، قال: فغضب، وقال: أَمُتَهَوِّكون[(٥)] فيها يا ابن الخطاب؟ والذي نفسي بيده لقد جئتكم بها بيضاء نقية]**[(٦)]، وفي بعض الروايات: أن النبي ﷺ رأى بيد عمر بن الخطاب رضي الله عنه شيئا من التوراة، فقال: **[لو كان موسى حيا، ثم اتبعتموه، وتركتموني لضللتم]**، وفي رواية: **[فتغير وجه النبي ﷺ لما عرض عليه عمر ذلك، فقال له بعض الأنصار: يا ابن الخطاب! ألا ترى إلى وجه رسول الله ﷺ؟ فقال عمر رضي الله عنه: رضينا بالله ربا، وبالإسلام دينا، وبمحمد نبيا]**[(٧)]، ففي هذا الحديث: التحذير من كتب أهل الكتاب مع أنها لا

(١) محاسن التأويل ٣/ ٤١٠.
(٢) انظر: المجموع ١٧/ ٤١.
(٣) ترجيح أساليب القرآن لابن الوزير اليماني ص ١٠.
(٤) انظر: الصفدية ١/ ٢٥٧.
(٥) قال أبو عبيد في قوله: [أمتهوكون] يقول: « أمتحيرون أنتم في الاسلام؟ لا تعرفون دينكم حتى تأخذوه من اليهود والنصارى؛ فمعناه: أنه كره أخذ العلم من أهل الكتاب ». غريب الحديث ١/ ١٣٠، وأصل الكلمة مأخوذة من التهوك، وهو التحير. مختار الصحاح ص ٧٠٢.
(٦) رواه ابن أبي عاصم في كتاب السنة، ح(٥٠)، وقال الألباني في تخريجه له: (حديث حسن).
(٧) انظر: هذه الروايات في مصنف ابن أبي شيبة٥/ ٣١٢، ومسند الإمام أحمد ٣/ ٣٨٨، وانظر: تحسين الشيخ الألباني لسند هذه الروايات في حاشية المشكاة١/ ٦٣.

تخلو من حق[١]، والإنكار من النبي ﷺ على من التمس غير الوحي المنزل، ويشمل من التمس الهدى في غيره من باب أولى، وفيه موعظة وتذكير لمن لم يكتف بالوحي، مع أن في الوحي غنية وكفاية في الشرع، إذ الدين كامل به.

٩- أن الصحابة ﷺ فهموا وجوب الاستغناء بالوحي، فهذا عمر بن الخطاب ﷺ [**أتي برجل من عبد القيس، مسكنه بالسوس[٢]، فقال له عمر: أنت فلان ابن فلان العبدي؟ قال: نعم! قال: وأنت النازل بالسوس؟ قال: نعم!، فضربه بقناة[٣] معه، فقال له: ما ذنبي؟ قال فقرأ عليه:** ﴿الٓرۚ تِلۡكَ ءَايَٰتُ ٱلۡكِتَٰبِ ٱلۡمُبِينِ ۝١ إِنَّآ أَنزَلۡنَٰهُ قُرۡءَٰنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمۡ تَعۡقِلُونَ ۝٢ نَحۡنُ نَقُصُّ عَلَيۡكَ أَحۡسَنَ ٱلۡقَصَصِ بِمَآ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانَ وَإِن كُنتَ مِن قَبۡلِهِۦ لَمِنَ ٱلۡغَٰفِلِينَ﴾[يوسف: ١-٣]، **فقرأها عليه ثلاث مرات، وضربه ثلاث ضربات، ثم قال له عمر: أنت الذي انتسخت كتاب دانيال؟ قال: نعم! قال: اذهب فامحه بالحميم والصوف الأبيض، ولا تقرأه، ولا تقرئه أحدا من الناس**][٤]، فقرأ عليه عمر هذه الآية «ليبين له أن القرآن أحسن القصص، فلا يحتاج معه إلى غيره»[٥]، وكذلك فعل ابن مسعود ﷺ لما أوتي له بكتاب من الكتب محاه، وذكر القرآن وفضله[٦]، مما يدل على الاستغناء بالوحي عما سواه.

١٠- قوله ﷻ: ﴿وَأَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ بِٱلۡحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيۡنَ يَدَيۡهِ مِنَ ٱلۡكِتَٰبِ وَمُهَيۡمِنًا عَلَيۡهِۖ فَٱحۡكُم بَيۡنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُۖ وَلَا تَتَّبِعۡ أَهۡوَآءَهُمۡ عَمَّا جَآءَكَ مِنَ

(١) انظر: إجماع العلماء على الهجر والتحذير من أهل الأهواء ص ٦٥.

(٢) السوس: بضم أوله، وسكون ثانيه، وسين مهملة أخرى، على وزن: الصوف، والسوس اسم لمدن كثيرة، وإذا أطلقت فالمراد بها السوس المعروفة التي فتحت أيام عمر ﷺ، ولم أعرف موقعها الحالي. انظر: معجم البلدان ٣/ ٣١٩.

(٣) (القناة) الرمح، والجمع قنىً، كحصاة وحصىً. انظر: المصباح المنير للفيومي ص ٥١٧.

(٤) ذكره الحافظ ابن كثير في تفسيره ٢/ ٤٦٨، وذكر أنه رواه أبو يعلى الموصلي ولم أجده في سننه المطبوع، ومن طريقه رواه الضياء في المختارة ١/ ٢١٦، وانظر: الفتح ١٣/ ٥٣٥.

(٥) المجموع ١٧/ ٤٢

(٦) المجموع ١٧/ ٤٢، ولم أجده عند غيره.

﴿ٱلْحَقِّ﴾[المائدة: ٤٨] فالقرآن مهيمن على الكتب السابقة بمعنى: أنّه مؤتمن على الكتب السابقة، أمين عليها، وشهيد لها بالحق، حاكم عليها، قال ابن كثير رحمه الله: «وهذه الأقوال كلها متقاربة المعنى؛ فإن اسم المهيمن يتضمن هذا كله، فهو أمين، وشاهد، وحاكم على كل كتاب قبله، جعل الله هذا الكتاب العظيم الذي أنزله آخر الكتب، وخاتمها، وأشملها، وأعظمها، وأكملها، حيث جمع فيه محاسن ما قبله، وزاده من الكمالات ما ليس في غيره؛ فلهذا جعله شاهدا، وأمينا، وحاكما عليها كلها»(١).

١١- قوله ﷻ: ﴿لَوْ أَنزَلْنَا هَـٰذَا ٱلْقُرْءَانَ عَلَىٰ جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُۥ خَـٰشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ ٱللَّهِ ۚ وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَـٰلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾[الحشر: ٢١]، وقال: ﴿وَلَوْ أَنَّ قُرْءَانًا سُيِّرَتْ بِهِ ٱلْجِبَالُ أَوْ قُطِّعَتْ بِهِ ٱلْأَرْضُ أَوْ كُلِّمَ بِهِ ٱلْمَوْتَىٰ﴾[الرعد: ٣١] فكيف لا يستغنى بالقرآن، وهذا وصفه، «عظيم قدره، ونفعه، وبركته، ونوره، وهدايته، وسره، وخاصيته التي لا يحيط بمعرفتها على التفصيل والتحقيق إلا الله ﷻ، بحيث يؤثر في الجبال الراسيات، والصخور القاسيات، فكيف لا يؤثر في قلب المتدبر له، المتعلم منه، المعول في جميع المهمات عليه، الراجع في اقتباس نور الهدى إليه، **وأي كتاب يوجد في العالم موصوف بمثل هذا الوصف**، والواصف له الملك الرب الجليل، علّام الغيوب، الذي يستحيل عليه الخطأ والتعظيم لما لا يستحق التعظيم، والغلو القبيح في الكلام بغير الحق، فكيف يترك ما في هذا الذكر المبين من البراهين، ويعتمد على تآليف المخلوقين، وأساليب الجدليين؟؟»(٢).

١٢- قوله ﷻ: ﴿وَلَقَدْ جِئْنَـٰهُم بِكِتَـٰبٍ فَصَّلْنَـٰهُ عَلَىٰ عِلْمٍ هُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾[الأعراف: ٥٢] فالقرآن مفصل فيه العلم كله مما يحتاج إليه البشر في تعبدهم لله رب العالمين، فانظر إلى قوله ﴿فَصَّلْنَـٰهُ عَلَىٰ عِلْمٍ﴾ «وما دل عليه من مطابقة ما اشتمل عليه القرآن من الإيجاز في موضعه، والاكتفاء بالجملة في موضعه لما تقرر في علم الله

(١) تفسير القرآن العظيم ٢/ ٦٥، وانظر: نقض المنطق لشيخ الإسلام ص٢٤.

(٢) ترجيح أساليب القرآن على أساليب اليونان لأبي عبد الله محمد بن المرتضى المشهور بابن الوزير ص ٩-١٠.

عليه القرآن من الإيجاز في موضعه، والاكتفاء بالجملة في موضعه لما تقرر في علم الله تعالى بالغيوب من مصالح المؤمنين، الذين خصهم بأنه هدى لهم ورحمة، فأي كتاب فصل على علم مثل هذا العلم الذي صدر عنه تفصيله؟ »(١).

١٣- قوله ﷻ: ﴿ وَمَن يَعْشُ عَن ذِكْرِ ٱلرَّحْمَٰنِ نُقَيِّضْ لَهُۥ شَيْطَٰنًا فَهُوَ لَهُۥ قَرِينٌ ﴿٣٦﴾ وَإِنَّهُمْ لَيَصُدُّونَهُمْ عَنِ ٱلسَّبِيلِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٣٧﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَنَا قَالَ يَٰلَيْتَ بَيْنِى وَبَيْنَكَ بُعْدَ ٱلْمَشْرِقَيْنِ فَبِئْسَ ٱلْقَرِينُ ﴾[الزخرف: ٣٦-٣٨] والمراد بذكر الرحمن: هو الذكر الذي أنزله، وهو القرآن(٢)، كما قال تعالى: ﴿ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّى هُدًى فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَاىَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ ﴿١٢٣﴾ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ أَعْمَىٰ ﴿١٢٤﴾ قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِىٓ أَعْمَىٰ وَقَدْ كُنتُ بَصِيرًا ﴿١٢٥﴾ قَالَ كَذَٰلِكَ أَتَتْكَ ءَايَٰتُنَا فَنَسِيتَهَا ۖ وَكَذَٰلِكَ ٱلْيَوْمَ تُنسَىٰ ﴾[طه: ١٢٣-١٢٦]، قال ابن عباس ﵄: [**من قرأ القرآن، واتبع ما فيه هداه الله في الدنيا من الضلالة، ووقاه يوم القيامة سوء الحساب**](٣)، « ولقد ضمن الله لمن اتبع القرآن أن لا يضل في الدنيا، ولا يشقى في الآخرة »(٤)، فمن لم يكتف بذكر الله، من الوحي الذي أنزله على محمد ﷺ، فلا أحد أضل منه؛ لأنه متبع لهواه.

١٤- قول الله ﷻ: ﴿ وَٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَفْرَحُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ ﴾ [الرعد: ٣٦]، قال ابن القيم ﵀: « فإذا كان أهل الكتاب يفرحون بالوحي؛ فأولياء الله، وأتباع رسوله أحق بالفرح به »(٥)، والقرآن الذي علمنا الله خير لنا من الذهب

---

(١) ترجيح أساليب القرآن لابن الوزير ص١٠-١١.

(٢) انظر: الرد على البكري ١/ ٣٥٧.

(٣) معالم التنـزيل للبغوي ٥/ ٣٠٠.

(٤) هذه الزيادة ذكرها ابن الجوزي في زاد المسير ٥/ ٣٣٠، وشيخ الإسلام في المجموع ٣/ ٣١٤، وقد سبق الأثر في ص٢٤١.

(٥) الروح ص٣٣٤.

١٥- كيف لا يستغنى بالوحي، والله ﷻ أخبر أنه مشتمل على الهدى والفلاح، قال ﷻ: ﴿الٓمٓ ۝١ ذَٰلِكَ ٱلۡكِتَٰبُ لَا رَيۡبَۛ فِيهِۛ هُدٗى لِّلۡمُتَّقِينَ﴾[البقرة: ١-٢]، وقال: ﴿الٓرۚ كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ إِلَيۡكَ لِتُخۡرِجَ ٱلنَّاسَ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذۡنِ رَبِّهِمۡ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡحَمِيدِ ۝١ ٱللَّهِ ٱلَّذِي لَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾[إبراهيم: ١-٢] وقال: ﴿وَهَٰذَا كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ مُبَارَكٞ فَٱتَّبِعُوهُ وَٱتَّقُواْ لَعَلَّكُمۡ تُرۡحَمُونَ ۝١٥٥ أَن تَقُولُوٓاْ إِنَّمَآ أُنزِلَ ٱلۡكِتَٰبُ عَلَىٰ طَآئِفَتَيۡنِ مِن قَبۡلِنَا وَإِن كُنَّا عَن دِرَاسَتِهِمۡ لَغَٰفِلِينَ ۝١٥٦ أَوۡ تَقُولُواْ لَوۡ أَنَّآ أُنزِلَ عَلَيۡنَا ٱلۡكِتَٰبُ لَكُنَّآ أَهۡدَىٰ مِنۡهُمۡۚ فَقَدۡ جَآءَكُم بَيِّنَةٞ مِّن رَّبِّكُمۡ وَهُدٗى وَرَحۡمَةٞۚ فَمَنۡ أَظۡلَمُ مِمَّن كَذَّبَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَصَدَفَ عَنۡهَاۗ سَنَجۡزِي ٱلَّذِينَ يَصۡدِفُونَ عَنۡ ءَايَٰتِنَا سُوٓءَ ٱلۡعَذَابِ بِمَا كَانُواْ يَصۡدِفُونَ﴾[الأنعام: ١٥٥-١٥٧]، فإذا كان الوحي مشتملا على الهدى والنور، فمن تبعه اهتدى، ومن سار على دربه وصل، ومن أعرض عنه ضل(١)، ومن لم يعتقد أن في القرآن هدى وضياء فلا شك في كفره، وأنه خارج عن ملة الإسلام(٢).

١٦- أن الوحي شفاء للمؤمنين وبيان، فكيف لا يستغنى به، قال ﷻ: ﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلۡقُرۡءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٞ وَرَحۡمَةٞ لِّلۡمُؤۡمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا خَسَارٗا﴾[الإسراء: ٨٢]، وقال الله ﷻ: ﴿هَٰذَا بَيَانٞ لِّلنَّاسِ وَهُدٗى وَمَوۡعِظَةٞ لِّلۡمُتَّقِينَ﴾[آل عمران: ١٣٨] فاعتماد أهل السنة أصحاب الحديث: سلفا وخلفا، على الوحي، وعلى إرشاد الله إياهم(٣)، قال النبي ﷺ: [**إن هذا القرآن سبب طرفه بيد الله، وطرفه بأيديكم، فتمسكوا به؛ فإنكم لن تضلوا، ولن تهلكوا بعده أبدا**](٤)، ومثل هذا قول النبي ﷺ: [**إني قد تركت فيكم، ما إن**

(١) انظر: الدرء ٥/ ٣٧٥.

(٢) سمعت هذه العبارة من شيخنا عبد المحسن العباد البدر ـ حفظه الله ـ.

(٣) انظر: الانتصار للعمراني ١/ ١٢٣.

(٤) رواه ابن حبان في صحيحه كما في الإحسان ١/ ١٦٦ح(١٢٢)، والطبراني في الكبير كما في صحيح الترغيب والترهيب للألباني ١/ ١٢٤، ح(٣٨)، كلاهما عن طريق أبي شريح الخزاعي ﷺ، وقال: الشيخ الألباني: إسناده جيد.

اعتصمتم به فلن تضلوا أبدا، كتاب الله، وسنة نبيه](١)، فكون القرآن «حبل الله بإطلاق، والشفاء النافع، دليل على كمال الأمر فيه...، ولا أحد من العلماء لجأ إلى القرآن في مسألة إلا وجد لها فيه أصلا»(٢)، فلا يلتمس الهدى في غير الوحي(٣).

١٧- قول النبي ﷺ: **[ليس منا من لم يَتَغَنَّ بالقرآن]**(٤)، والمراد استغناء الرجل بما أوتي من كتاب الله ﷻ(٥)، هكذا نقل عن غير واحد من السلف: أن المرء يستغني بالوحي عما سواه(٦).

١٨- أن ما جاء في فضل القرآن يدل على أنه يغني عن غيره، وغيره لا يغني عنه، قال ﷺ: **[ألا أيها الناس، فإنما أنا بشر، يوشك أن يأتي رسول ربي فأجيب، وأنا تارك فيكم ثقلين: أولهما: كتاب الله؛ فيه الهدى والنور، من استمسك به، وأخذ به كان**

= الترغيب والترهيب للألباني ١/ ١٢٤، ح(٣٨)، كلاهما عن طريق أبي شريح الخزاعي ﷺ، وقال: الشيخ الألباني: إسناده جيد.

(١) رواه الحاكم في مستدركه، ح(٣١٨)، وأورده الشيخ الألباني في صحيح الترغيب والترهيب ١/ ١٢٤، ح(٤٠).

(٢) الموافقات للشاطبي ٣/ ٣٧٠-٣٧١ بتصرف يسير.

(٣) انظر: الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ١/ ٦.

(٤) رواه أبو داود، كتاب الصلاة، باب/ استحباب الترتيل في القراءة، ح(١٤٦٩)، والنسائي، في كتاب الافتتاح، باب/ تزيين القرآن بالصوت، ح(١٠١٦)، وغيرهما عن سعد بن أبي وقاص ﷺ، وأخرجه ابن حبان في صحيحه، كما في الإحسان (١٢٠)، ورواه الحاكم في مستدركه (ح٢٠٩٢)، وقال: هذا حديث صحيح الإسناد، ولم يخرجاه بهذا الإسناد، وقال الذهبي: صحيح، كما في التلخيص في الحاشية من المستدرك، وقال الشيخ الألباني: عن سند أبي داود: إسناده صحيح، وأطال فيه الكلام بذكر شواهده، كما في تحقيقه لسنن أبي داود ٥/ ٢١٠ وما بعدها.

(٥) الإحسان لابن بلبان ١/ ١٦٥.

(٦) انظر: سنن أبي داود٢/ ١٠٦، وتحقيق الشيخ الألباني لسنن أبي داود ٥/ ٢١٢ ـ ٢١٣، وقد ذكر فيه الخطابي أوجها، فقال: «هذا يتأول على وجوه: أحدها تحسين الصوت، والوجه الثاني: الاستغناء بالقرآن عن غيره، وإليه ذهب سفيان بن عيينة، ويقال: تغنى الرجل بمعنى استغنى...، وقال ابن الأعرابي: إن العرب كانت تتغنى بالركبان إذا ركبت الإبل، وإذا جلست في الأفنية، وعلى أكثر أحوالها، فلما نزل القرآن أحب النبي ﷺ أن يكون القرآن هِجيراهم، مكان التغني بالركبان». انظر: معالم السنن للخطابي ١/ ٢٩١، وانظر: الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ١/ ١٢.

على الهدى، ومن أخطأه ضل؛ فخذوا بكتاب الله، واستمسكوا به ـ فحث على كتاب الله، ورغب فيه ـ، ثم قال: وأهل بيتي: أذكركم الله في أهل بيتي...][1]، وجاء في الأثر: [كتاب الله فيه نبأ ما قبلكم، وخبر ما بعدكم، وحكم ما بينكم، هو الفصل ليس بالهزل، من تركه من جبار قصمه الله، ومن ابتغى الهدى في غيره أضله الله، وهو حبل الله المتين، وهو الذكر الحكيم، وهو الصراط المستقيم، وهو الذي لا تزيغ به الأهواء، ولا تلتبس به الألسن، ولا تشبع منه العلماء، ولا يخلق عن كثرة الرد، ولا تنقضي عجائبه، هو الذي لم تنته الجن إذ سمعته حتى قالوا: ﴿إِنَّا سَمِعْنَا قُرْءَانًا عَجَبًا ۝ يَهْدِيٓ إِلَى ٱلرُّشْدِ فَـَٔامَنَّا بِهِۦ﴾[الجن: ١-٢]، من قال به صدق، ومن عمل به أجر، ومن حكم به عدل، ومن دعا إليه هُدي إلى صراط مستقيم][2].

١٩- «أن الأصل المعتمد في هذا الباب، وغيره من أصول الدين، وفروعه: هو ما دل عليه الكتاب، والسنة، وإجماع علماء الأمة...، وليس المعول على كلام الآحاد من أهل العلم والدين، وإن علت درجتهم، وارتفعت رتبتهم، ولا تصلح المعارضة بقول فلان، وفلان من أهل العلم والدين، ولا ينتقض الدليل بمخالفة أحد كائنا من كان»[3]؛ لأنه قد توفر في الوحي جميع الأمور التي هي أسباب الهداية، بأبلغ العبارات، وأدق التعبيرات، وذلك لأن: ربنا ﷻ المتكلم عالم بما يقول، ثم كلامه أبلغ الكلام وأفصحه، وهو يريد بإنزال الوحي هداية الخلق إلى عبادته وتوحيده، فإذا كان قد توفر في الوحي هذه الأمور الثلاث؛ من علم محقق، وقدرة على فصاحة باهرة،

---

(١) روى نحوه مسلم: كتاب فضائل الصحابة، باب/ من فضائل علي ﷺ، ح(٢٤٠٨)، ورواه الطحاوي في مشكل الآثار٩/ ٨٩، ح(٣٤٦٤).

(٢) رواه الترمذي مرفوعا، وقال: «حديث غريب»، أبواب فضائل القرآن، باب/ ما جاء في فضل القرآن، ح(٣٠٧٠)، وروى نحوه الإمام أحمد في مسنده، ح(٧٠٤)، والدارمي في سننه، كتاب فضائل القرآن، باب/ فضل من قرأ القرآن، ح(٣٣٣١)، وأورده شيخ الإسلام وسكت عنه، كما في المجموع ٣/ ٣١٤، وقال الشيخ الألباني: «هذا حديث جميل المعنى، ولكن إسناده ضعيف... ولعل أصله موقوف على علي ﷺ». انظر: تحقيقه للطحاوية ص ٦٨.

(٣) غاية الأماني في الرد على النبهاني ١/ ٥٥، ونقله من كلام الإمام العلامة الشيخ عبد اللطيف آل الشيخ ﵀.

وإرادة طيبة ناصحة؛ فهذا دليل على أن الوحي الذي صدر ممن هذا وصفه يكون كافيا، وشافيا[١].

٢٠- لقد عرف السلف الصالح أن في الوحي غنى عما سواه، قال الخطابي رحمه الله: «سمعت أبا الحسن ابن الأعرابي ـ ونحن نسمع عليه هذا الكتاب، يعني: "سنن أبي داود" ـ يقول: لو أن رجلا لم يكن عنده من العلم إلا المصحف الذي فيه كتاب الله، ثم هذا الكتاب، لم يحتج معهما إلى شيء من العلم بتَّةً»[٢].

٢١- قال الإمام الشافعي رحمه الله: «ما نزل بأحد من المسلمين نازلة إلا وفي كتاب الله سبيل الدلالة عليها»[٣].

٢٢- وقال الإمام أحمد رحمه الله: «لا يوصف الله إلا بما وصف به نفسه، أو وصفه به رسوله، لا نتجاوز القرآن والحديث»[٤]، فانظر رعاك الله إلى قول إمام مسدد، وهو يأمرك بالوقوف على ما جاء في الكتاب والسنة، خصوصا في باب الأسماء والصفات، لأنه من الأبواب الغيبية التي لا تدرك بالحواس البشرية.

٢٣- ومما يدل على أن الغنى في القرآن كون كثير من المخالفين للسلف من أساطين أهل الكلام، وغيرهم رجعوا إليه بعد ما ذاقوا مرارة البعد عنه، وعلموا ضياع أنفسهم حين نأوا عنه، وأقروا على أنفسهم بالخطأ، وذكروا أهمية الرجوع إلى الوحي.

وأصل ضلال من ضل عن الوحي إنما هو بتقديم قياسه على النص المنـزل من عند الله، وتقديم اتباع الهوى على اتباع أمر الله[٥]، وتقليد الأمراء والعلماء، ولهذا نهى السلف

---

(١) انظر: شرح الواسطية للشيخ محمد خليل هراس ص ٢١.

(٢) طبقات الحنابلة لابن أبي يعلى ١/ ١٥٥، السير ١٧/ ٢٦، وطبقات الشافعية للسبكي ٣/ ٣٨٣، ومرادي من هذا النقل أن الكتاب والسنة فيهما الغنية عما عداهما، لا أن سنن أبي داود وحده كاف، كما هو قول ابن الأعرابي، نعم هو كذلك يحوي على غالب الأحاديث في الأحكام، لكن السنة أشمل من ذلك، وإنما هذا القول من ابن الأعرابي للدلالة على أهمية كتاب شيخه الإمام أبي داود رحمه الله.

(٣) نقله ابن القيم في كتابه شفاء العليل ١/ ١١٨.

(٤) أقاويل الثقات ص ٢٣٤

(٥) انظر: العبودية ص ٤٨.

عن كل ذلك وأمروا بالقياس الصحيح، ونهوا عن اتباع الهوى، وعن التقليد الأعمى.

وإن أمة محمد ﷺ قد استغناهم الله ﷻ بالكتاب والسنة، وآثار السلف عن كل كلام[(١)]، وهذا أمر بين، وإنما أردت الإشارة والبيان بأنّ الكتاب والسنة يحصل منهما كمال الهدى والنور، لمن تدبر كتاب الله، وسنة النبي ﷺ، وقصد اتباع الحق[(٢)]، فإذا وجد في العبد عقل ودين، حتى يفهم ويتدين لله رب العالمين، فنور الكتاب والسنة يغنيه عن كل شيء، فإذا ثبت أن دين نبينا محمد ﷺ مستغن عن دين من سبقه من الأنبياء بهذا الشرع الكامل الذي جاءنا به، فاستغناؤه عما سواه أولى[(٣)].

فمن قام بالذي جاء به الكتاب والسنة، أشرف على علم الأولين، والآخرين، وأغناه الله بالنور الذي بعث به محمدا ﷺ عما سواه[(٤)]، ولما كان الكتاب والسنة هما طريق النجاة؛ فإني أبين في المطلب التالي التلازم بين الكتاب والسنة.

---

(١) انظر: المجموع ٥/ ٩٩.

(٢) انظر: المجموع ٥/ ١٠٢.

(٣) انظر: الصفدية ١/ ٢٦٠، المجموع ٥/ ١٠٠.

(٤) انظر: الصفدية ١/ ٢٦٠.

المطلب الثاني: تلازم القرآن والسنة.

من معتقد السلف أن القرآن الذي أنزله الله ﷻ على نبيه ﷺ ما فرط فيه شيء، كما قال ﷻ: ﴿ مَّا فَرَّطْنَا فِي ٱلْكِتَٰبِ مِن شَيْءٍ ﴾[الأنعام: ٣٨] وهذا الكتاب الذي لم يفرط فيه شيء، فيه الأمر بلزوم السنة، والتزامها في دين الله ﷻ ، ولهذا فإن من تنزيل القرآن منزلته العمل بالسنة، حيث إنّها تبين مجمل القرآن، وعامه، ووضحت ما فيه مما يحتاج إلى تفسير، فبين النبي ﷺ البيان التام، الذي به اكتمل المقصد على التمام، وبهذا يعلم أن السنة شارحة للكتاب، وأنه لا بد في فهمه من السنة على الصواب، فهذا التلازم واضح لمن تدبر، وجلي لمن تذكر(١).

ولهذا حذر النبي ﷺ من أقوام لا يبالون بالسنة، ولا يقيمون لها وزنا، ولا منزلة(٢)، فقال: [**ألا إني أوتيت الكتاب، ومثله معه، ألا يوشك رجل شبعان على أريكته يقول: عليكم بهذا القرآن؛ فما وجدتم فيه من حلال فأحلوه، وما وجدتم فيه من حرام فحرموه...**](٣). وفي رواية: [**لا ألفين أحدكم متكئا على أريكته يأتيه الأمر من أمري، مما أمرت به، أو نهيت عنه، فيقول: لا ندري، ما وجدنا في كتاب الله اتبعناه**](٤).

---

(١) انظر: الموافقات للشاطبي ٣/ ٣٦٧، الجواب الصحيح ٣/ ١٧، الاقتضاء ١/ ٨٤-٨٥، أقاويل الثقات ص ٢١٩.

(٢) وسيأتي ذكرهم والرد عليهم في الفصل السادس من الباب الرابع.

(٣) رواه أبو داود، كتاب السنة، باب/ في لزوم السنة، ح(٤٦٠٤)، وأخرجه الترمذي، كتاب العلم، باب/ ما نهي عنه أن يقال...، ح(٢٦٦٦)، وقال: حديث حسن غريب من هذا الوجه، ورواه غيرهما، من طريق المقداد بن معديكرب ﷺ، وقال الشيخ الألباني: « صحيح » كما في صحيح سنن أبي داود ٣/ ١١٨.

(٤) رواه أبو داود، كتاب السنة، باب/ في لزوم السنة، ح(٤٦٠٥)، وأخرجه الترمذي، كتاب العلم، باب/ ما نهي عنه أن يقال...، ح(٢٦٦٥)، وقال: هذا حديث حسن. ورواه غيرهما، من طريق أبي رافع ﷺ، وقال شيخ الإسلام ابن تيمية: « هذا الحديث في السنن والمسانيد، مأثور عن النبي ﷺ، من عدة جهات »، [المجموع ١٩/ ٨٥]، وقال الشيخ الألباني: « صحيح »، انظر: صحيح سنن أبي داود، ٣/ ١١٨.

فبينهما من التلازم ما بين المتن والشرح، أو ما بين الفقه والحديث، بل أشد، ثم كلاهما وحي، إلا أن القرآن وحي متلو، وهو كلام الله ﷻ، وأما السنة فوحي خفي، المعنى من الله ﷻ، واللفظ من رسول الله ﷺ، ولهذا جاء التأكيد على التزامهما وعدم التفريق بينهما، قال ﷺ: [**تركت فيكم شيئين، لن تضلوا بعدهما: كتاب الله، وسنتي، ولن يتفرقا حتى يردا علي الحوض**][(١)].

قال الإمام الشافعي رحمه الله: « فَرْضُ الله ﷻ في كتابه من وجهين:

أحدهما: أبانَ فيه كيف فَرْض بعضِها، حتى استغنيَ فيه بالتنـزيل عن التأويل، وعن الخبر « مثل جملة فرائضه في أن عليهم صلاة، وزكاة،وحجا، وصوما، وأنه حرم الفواحش، ما ظهر منها وما بطن، ونص الزنا، والخمر، وأكل الميتة، والدم، ولحم الخنـزير، وبين لهم كيف فرض الوضوء، مع غير ذلك مما بين نصا).

والآخر: أنه أحكم فرضه بكتابه، وبين كيف هي على لسان نبيه ﷺ، « مثل عدد الصلاة، والزكاة، ووقتها، وغير ذلك من فرائضه التي أنزل من كتابه)، ثم أثبت فرض ما فرض رسول الله ﷺ في كتابه بقوله ﷻ : ﴿ وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُواْ ﴾[الحشر:٧]...، فمن قبل عن رسول الله ﷺ فبفرض الله ﷻ قبل).[(٢)]

وهناك أدلة كثيرة تؤكد على وجود التلازم بين الكتاب والسنة، وعدم التفريق بينهما، من حيث العمل في أبواب الشرع وغيرها، ومن هذه الأدلة:ـ

١. قال الله ﷻ : ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُواْ فِىٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُواْ تَسْلِيمًا ﴾[النساء:٦٥]، فهذا ذم من الله ﷻ لمن لا يرضى بحكم رسول الله ﷺ، وقسمه، ويعدل عن أمره، وطاعته[(٣)]، وأيضا أمر الله

---

(١) روى نحوه مالك في الموطأ بلاغا ٢/ ٦٨٦، وقال السيوطي [في تنوير الحوالك ٢/ ٣٠٨]: وصله ابن عبد البر، وهو بلفظه في صحيح الجامع، ح(٢٩٣٤)، وقال الشيخ الألباني: « له شاهد بسند حسن عند الحاكم » . كما في تحقيقه على المشكاة، ح(١٨٦).

(٢) جماع العلم للإمام الشافعي ص ٩١-٩٢، وما بين المعقوفتين فمن كتابه الرسالة [الفقرة: ٥٦-٥٧].

(٣) انظر: المجموع ١٩/ ٨٧.

المؤمنين بالرجوع إلى حكم الله، وحكم رسوله؛ فقال ﷻ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡۖ فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمۡ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۚ ذَٰلِكَ خَيۡرٞ وَأَحۡسَنُ تَأۡوِيلًا ﴾[النساء:٥٩]، قال ميمون بن مهران: «الرد إلى الله: الرد إلى كتابه، والرد إلى الرسول إذا كان حيا، فلما قبضه الله: فالرد إلى سنته»[١] قال عطاء رحمه الله - في تفسير أولي الأمر -: «أولوا العلم والفقه، وطاعة الرسول: اتباع الكتاب والسنن»[٢].

٢. قوله ﷻ: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكۡفُرُونَ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيُرِيدُونَ أَن يُفَرِّقُواْ بَيۡنَ ٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيَقُولُونَ نُؤۡمِنُ بِبَعۡضٖ وَنَكۡفُرُ بِبَعۡضٖ وَيُرِيدُونَ أَن يَتَّخِذُواْ بَيۡنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا ﴾ [النساء:١٥٠] فجعل من علامات الكافرين التفريق في الإيمان بين ما نزل من الله ﷻ من الشرع، وما أمر به ﷺ.

٣. قوله ﷻ: ﴿ وَرَحۡمَتِي وَسِعَتۡ كُلَّ شَيۡءٖۚ فَسَأَكۡتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤۡتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلَّذِينَ هُم بِـَٔايَٰتِنَا يُؤۡمِنُونَ ۝ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِيَّ ٱلۡأُمِّيَّ ٱلَّذِي يَجِدُونَهُۥ مَكۡتُوبًا عِندَهُمۡ فِي ٱلتَّوۡرَىٰةِ وَٱلۡإِنجِيلِ يَأۡمُرُهُم بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَيَنۡهَىٰهُمۡ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيۡهِمُ ٱلۡخَبَٰٓئِثَ وَيَضَعُ عَنۡهُمۡ إِصۡرَهُمۡ وَٱلۡأَغۡلَٰلَ ٱلَّتِي كَانَتۡ عَلَيۡهِمۡۚ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِهِۦ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَٱتَّبَعُواْ ٱلنُّورَ ٱلَّذِيٓ أُنزِلَ مَعَهُۥٓ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ﴾[الأعراف:١٥٦-١٥٧] فجعل الله ﷻ رحمته للمتبعين لمحمد ﷺ.

٤. قول الله ﷻ: ﴿ وَمَا كَانَ لِمُؤۡمِنٖ وَلَا مُؤۡمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمۡرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلۡخِيَرَةُ مِنۡ أَمۡرِهِمۡۗ وَمَن يَعۡصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ ضَلَّ ضَلَٰلًا مُّبِينًا ﴾[الأحزاب:٣٦] فدلت الآية على وجوب طاعة الله ورسوله، والحذر من معصية الله ورسوله، ولهذا قال الشافعي رحمه الله: «من استبانت له سنة عن رسول الله ﷺ لم يكن له أن يدعها لقول

---

(١) الموافقات للشاطبي ٣/ ٣٧٦.

(٢) رواه الدارمي ١/ ٥١.

أحد»[(١)]، «فدل هذا على أنه إذا ثبت لله ولرسوله في كل مسألة من المسائل حكم طلبي، أو خبري؛ فإنه ليس لأحد أن يتخير لنفسه غير ذلك الحكم فيذهب إليه، وأن ذلك ليس لمؤمن ولا مؤمنة أصلا؛ فدل على أن ذلك مناف للإيمان»[(٢)].

٥. والأمر بطاعة الرسول ﷺ جاءت في القرآن في أكثر من ثلاثين موضعا من القرآن[(٣)]، ومنها قوله ﷻ: ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ يُدْخِلْهُ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ وَذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾[النساء:١٣]، وقال تعالى: ﴿مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ ٱللَّهَ ۖ وَمَن تَوَلَّىٰ فَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا﴾[النساء:٨٠]، وقال: ﴿قُلْ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ ۖ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾[آل عمران:٣٢]، وقال: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾[النساء:٦٤]، وقال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱسْتَجِيبُوا۟ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ ۖ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَقَلْبِهِۦ وَأَنَّهُۥٓ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾[الأنفال:٢٤]، وقال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ وَلَا تُبْطِلُوٓا۟ أَعْمَٰلَكُمْ﴾[محمد:٣٣]، وقال: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ﴾[الحشر:٧][(٤)]، وقال تعالى: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْءَاخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا﴾[الأحزاب:٢١]، فهذه الآيات الكثيرة التي فيها الأمر باتباعه ﷺ، إن لم يؤخذ بالسنة فتكون بلا معنى إلا بالنسبة للمخاطبين من الصحابة الأخيار، وهذا إلغاء لقيمة الآثار المنقولة عن النبي المختار،

---

(١) نقله ابن القيم في الرسالة التبوكية ص ١٠٧، وانظر: إعلام الموقعين ٢/ ٣٦١.

(٢) الرسالة التبوكية ص ١٠٧.

(٣) انظر: المجموع ١/ ٦٧.

(٤) يذكر المفسرون عند هذه الآية حديث ابن مسعود الذي يدل على التلازم بين الكتاب والسنة، وقد رواه البخاري في صحيحه، كتاب التفسير، باب/ ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ﴾، ح(٤٨٨٦)، ومسلم، كتاب اللباس والزينة، باب/ تحريم فعل الواصلة...، ح(٢١٢٥) عن ابن مسعود ﷺ أنه لعن الواصلة والمستوصلة، وقال: مالي لا ألعن من لعنه الله في كتابه؟ فقالت امرأة: لقد قرأت ما بين لوحي المصحف فما وجدته، فقال: لئن كنت قرأتيه فقد وجدتيه، ـ ثم تلا الآية ـ. وانظر: الموافقات ٣/ ٣٦٨.

قال الشافعي رحمه الله: «من علم اللسان الذي به كتاب الله، وأحكام الله دله علمه بهما على قبول أخبار الصادقين عن رسول الله ﷺ»[١] «ونحن نعلم يقينا بالاضطرار من دين الإسلام؛ أن محمدا رسول الله ﷺ، أوجب الله تعالى علينا طاعته فيما أمر، وتصديقه فيما أخبر، ولم يأمر بطاعة غيره إلا إذا وافق طاعته، لا نبيا ولا غير نبي...، وقد علمنا بالاضطرار من دينه أن من أطاعه دخل الجنة؛ فلا يحتاج مع ذلك إلى طاعة غيره: لا نبي، ولا محدث»[٢].

٦. أن الله ﷻ إنما أمر بطاعة الرسول ﷺ طاعة مطلقة، ذلك لأنه ـ عليه الصلاة والسلام ـ لا ينطق عن نفسه، وإنما ينطق بالوحي الذي هو شرع لنا، قال الله ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ۝ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ﴾[النجم:٣-٤].

٧. وأخبر الله ﷻ أن محمدا ﷺ إنما يعلم الناس شيئين هما: الكتاب والسنة، فقال: ﴿وَٱذْكُرْنَ مَا يُتْلَىٰ فِى بُيُوتِكُنَّ مِنْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ وَٱلْحِكْمَةِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ لَطِيفًا خَبِيرًا﴾[الأحزاب:٣٤]، وقال: ﴿رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ ۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾[البقرة:١٢٩]، فالكتاب: القرآن، والحكمة هي السنة، فأخبر الله ﷻ أنه يتلى في بيوت أمهات المؤمنين شيئان: القرآن والسنة، ومعنى التلاوة: النطق بالقرآن والسنة[٣].

٨. أن الله ﷻ «جعل إلى رسوله ﷺ بيان ما كان منه ـ أي القرآن ـ مجملا، وتفسير ما كان منه مشكلا، وتحقيق ما كان منه محتملا، ليكون له مع تبليغ الرسالة ظهور الاختصاص به، ومنزلة التفويض إليه، قال الله تعالى»[٤]: ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾[النحل:٤٤]، وهذا الذكر المبيّن

---

(١) الأم للشافعي ٧/ ٤٦١، وانظر: ما بعدها.

(٢) الصفدية ١/ ٢٥٨.

(٣) انظر: الأم للشافعي ٧/ ٤٦١.

(٤) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ١/ ٦.

للمنـزل هي الحكمة، وهي محفوظة؛ لأن «ما احتاجت الأمم إليه من الأخبار الإلهية؛ فلا بد أن يكون محفوظا، معصوما، لتقوم به الحجة، ويحصل به مقصود الدعوة، وهذا مما يدل على وجوب عصمة ما جاءت به الأنبياء، وعصمة ما جاء به نبينا بعد موته، فحفظ الله الذكر الذي أنزله، وقد أنزل عليه الكتاب والحكمة، والحكمة هي السنة، فحفظ الله هذا وهذا، ولله الحمد والمنة»(١).

٩. قول النبي ﷺ: **[أوصيكم بتقوى الله، والسمع، والطاعة، وإن كان عبدا حبشيا؛ فإنه من يعش منكم بعدي فسيرى اختلافا كثيرا؛ فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين، عضوا عليها بالنواجذ؛ وإياكم والمحدثات؛ فإن كل محدثة بدعة]**(٢).

١٠. وقد نص أهل العلم أن السنة قاضية على الكتاب(٣) وهذا يعني أنه يبين مجمله، ويوضح مبهمه...

١١. ومما يدل على وجوب العمل بالسنة مع الكتاب، قول ميمون بن مهران: **[كان أبو بكر ﷺ إذا ورد عليه الخصم، نظر في كتاب الله؛ فإن وجد فيه ما يقضي بينهم قضى به، وإن لم يكن في الكتاب وعلم من رسول الله ﷺ في ذلك الأمر سنة قضى بها؛ فإن أعياه، خرج فسأل المسلمين...]**(٤)، فهذا يدل على أن خليفة رسول الله ﷺ كان يحكم بكتاب الله وسنة رسول الله ﷺ، ولم يفرق بينهما، قال الحافظ ابن حجر رحمه الله عند ذكر البخاري رحمه الله لحديث عمر ﷺ في رجم الزاني المحصن(٥) ـ: «أشار ـ أي عمر ﷺ ـ بقصة الرجم إلى زجر من يقول: **لا أعمل في الأحكام الشرعية إلا بما وجدته في القرآن**، وليس في القرآن تصريح باشتراط التشاور إذا مات الخليفة، بل إنما

---

(١) الصفدية ١/ ٢٦٠.

(٢) رواه أبو داود في كتاب السنة، باب/ ...، ح(٤٦٠٧)، والترمذي، كتاب العلم، باب/ ...، ح(٢٦٧٦)، والدارمي في سننه ١/ ٣٤، وغيرهم عن العرباض بن سارية ﷺ، وهو حديث مشهور.

(٣) انظر: تبويب الإمام الدارمي في سننه ١/ ٩٦.

(٤) رواه الدارمي في سننه ١/ ٤٢، ح(١٦١)، وأورده السيوطي في تاريخ الخلفاء الراشدين، ص ٤٣.

(٥) انظر: صحيح الإمام البخاري، كتاب الحدود، باب/ رجم الحبلى من الزنا إذا أحصنت، ح(٦٨٣٠).

يؤخذ ذلك من جهة السنة، كما أن الرجم ليس فيما يتلى من القرآن، وهو مأخوذ من طريق السنة»[(١)].

١٢. أن أسعد الناس، وأسدهم رأيا في جميع أمور الدين، وما يقرب إلى رب العالمين، هم المتلقون «من مشكاة الوحي المبين، ورغب بعقله وفطرته، وإيمانه عن آراء المتهوكين، وتشكيكات المشككين، وتكلفات المتنطعين، واستمطر ديم الهداية من كلمات أعلم الخلق برب العالمين؛ فإن كلماته الجوامع النوافع في هذا الباب، وفي غيره، كفت، وشفت، وجمعت، وفرقت، وأوضحت، وبينت، وحلت محل التفسير والبيان، لما تضمنه القرآن»[(٢)].

١٣. أنه ثبت اتفاق المسلمين من الصحابة والتابعين على وجوب العمل بالسنة إذا ثبتت[(٣)]، قال الإمام الشافعي رحمه الله: «لم أسمع أحدا نسبه الناس، أو نسب نفسه إلى علم يخالف في أن فرض الله عز وجل اتباع أمر رسول الله ﷺ، والتسليم لحكمه، بأن الله عز وجل لم يجعل لأحد بعده إلا اتباعه، وأنه لا يلزم قول بكل حال إلا بكتاب الله، أو سنة رسول الله ﷺ، وأن ما سواهما تبع لهما، وأن فرض الله تعالى علينا، وعلى من بعدنا وقبلنا في قبول الخبر عن رسول الله ﷺ واحد لا يختلف في أن الفرض والواجب قبول الخبر عن رسول الله ﷺ...»[(٤)].

«فهذه النصوص توجب اتباع الرسول، وإن لم نجد ما قاله منصوصا بعينه في الكتاب، كما أن تلك الآيات توجب اتباع الكتاب...، فعلينا أن نتبع الكتاب، وعلينا أن نتبع الرسول، واتباع أحدهما هو اتباع الآخر؛ فإن الرسول بلغ الكتاب، والكتاب أمر بطاعة الرسول، ولا يختلف الكتاب والرسول البتة، كما لا يخالف الكتاب بعضه بعضا،

---

(١) الفتح ١٢/ ١٥٤.

(٢) شفاء العليل ١/ ١٨.

(٣) انظر: المجموع ١٩/ ٨٥.

(٤) الأم للشافعي ٧/ ٤٦٠.

قال تعالى: ﴿وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا﴾[النساء:٨٢]»[١].

وإذا ثبت بنصوص الكتاب والسنة وجوب العمل بالسنة؛ فإني أبين بعضا مما يدل على وجود التلازم بين السنة والكتاب من المسائل، ومن أمثلة ذلك:

١- أن الله ﷻ أمرنا بالصلاة في أكثر من آية ـ، ولم يبين لنا في القرآن كم عدد الصلوات، ولا كيفيتها، فنحتاج إلى السنة لمعرفة عدد ركعات الصلاة، وكيفيتها[٢].

٢- أمْرُ الله ﷻ بالصلاة عامٌّ لكل المسلمين، والسنة قاضية بأن المرأة إذا أصابها الحيض أو النفاس أنها لا تصلي، فهذا يدل على التلازم بين الكتاب والسنة[٣].

٣- أن الله ﷻ أمرنا بالزكاة، ولم يبين لنا فرائض الزكاة ونصبها إلا في السنة[٤].

٤- أن الله ﷻ أمرنا بالحج، والطواف، والسعي، ولم يتبين لنا المناسك، ولا قدر الطواف، والسعي، ورمي الجمار، وأوقاتها إلا من السنة[٥].

٥- أن الله ﷻ أمرنا بقطع يد السارق، ولم يبين لنا نصاب السرقة، ولا موضع القطع، لكن ذلك ثابت بالسنة القاطعة للشبهة[٦].

٦- قال ﷻ: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ إِن تَرَكَ خَيْرًا ٱلْوَصِيَّةُ لِلْوَٰلِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِينَ بِٱلْمَعْرُوفِ ۖ حَقًّا عَلَى ٱلْمُتَّقِينَ﴾[البقرة:١٨٠]، فلو قال قائل: إن هذه الآية نُسِخت بآية المواريث لم نجد عليه حجة إلا السنة عن رسول الله ﷺ، إذ بينت أنه لا وصية لوارث[٧].

٧- أن الله ﷻ فرض الميراث للوالدين والأبناء والأخوة على سبيل العموم،

---

(١) المجموع ١٩/ ٨٤.
(٢) انظر: المجموع ١٩/ ٨٥، الموافقات للشاطبي ٣/ ٣٦٧، إيثار الحق ص ١١٠.
(٣) انظر: الأم للشافعي ٧/ ٤٦٣، ٤٧٨.
(٤) انظر: الأم للشافعي ٧/ ٤٦٣، المجموع ١٩/ ٨٥، الموافقات ٣/ ٣٦٧، إيثار الحق ص ١١٠.
(٥) انظر: المجموع ١٩/ ٨٥، إيثار الحق ص ١١٠.
(٦) انظر: المجموع ١٩/ ٨٦.
(٧) انظر: الأم للشافعي ٧/ ٤٦٢، إيثار الحق ص ١١٠.

ولم يورث المسلمون كافرا من مسلم، ولا عبدا من حر، ولا قاتلا ممن قتل، وذلك كله مستثنى بالسنة[١]، فهذا دليل أكيد، ومثال واضح على أن السنة ملازمة للقرآن المجيد.

٨- أن الله ﷻ لما ذكر المحرمات في النكاح في قوله: ﴿ حُرِّمَتۡ عَلَيۡكُمۡ أُمَّهَٰتُكُمۡ وَبَنَاتُكُمۡ وَأَخَوَٰتُكُمۡ ﴾[النساء:٢٣] الآية، قال بعدها: ﴿ كِتَٰبَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡۚ وَأُحِلَّ لَكُم مَّا وَرَآءَ ذَٰلِكُمۡ ﴾[النساء:٢٤]، فقد سمى الله ما حرم، ولولا الالتزام بالسنة، لما قال المسلمون بتحريم الجمع بين المرأة وخالتها، والمرأة وعمتها، لأن ذلك لم يثبت إلا في السنة[٢].

٩- أن الله ﷻ بين في كتابه كثيرا مما يتعلق بأمور التوحيد، والسنة بينت كذلك مكملات التوحيد، وما يحميه، ومن ذلك النهي عن الحلف بغير الله، والذبح بمكان يذبح فيه لغير الله، فكل هذا دليل على وجوب التزام الكتاب والسنة معا.

١٠- أن الله ﷻ ذكر العقود من النكاح، والبيوع، وغيرها، ولم تتبيّن شروطها إلا من السنة[٣].

فعلى المسلم أن يعلم أن الوحي كله يجب العمل به سواء كان كتابا أو سنة، وأن العلم هو إما قرآن ناطق، أو أثر صحيح صادق، وما سوى ذلك فهو باطل زاهق.

ولقد أحسن الشاعر في نظمه لشرف الكتاب والسنة، حيث قال:

إن العلوم وإن جلت محاسنها ... فتاجها ما به الإيمان قد وجبا
هو الكتاب العزيز اللهُ يحفظه ... وبعد ذلك علم فرج الكربا
فذاك فاعلم حديث المصطفى فيه ... نور النبوة سنّ الشرع والأدبا
وبعد هذا علوم لا انتهاء لها ... فاختر لنفسك يا من آثر الطلبا
والعلم كنز تجده في معادنه ... يا أيها الطالب ابحث وانظر الكتبا
واتل بفهم كتاب الله فيه أتت ... كل العلوم تدبره تر العجبا

(١) انظر: الأم للشافعي ٧/ ٤٦٣، وانظر منه ٧/ ٣٩.

(٢) انظر: الأم للشافعي ٧/ ٣٦-٣٧.

(٣) انظر: الموافقات ٣/ ٣٦٧.

واقرأ هديت حديث المصطفى وسَلَنْ مولاك ما تشتهي يقضي لك الأربا
من ذاق طعما لعلم الدين سُرّ به إذا تـزيّـد مـنـه قـال واطربـــا[(١)]

وأرجو أن أكون قد بينت بهذا أن العمل بالكتاب والسنة تنـزيل للقرآن منـزلته اللائقة به، حيث إنّه دل دليل الاستقراء المعتبر، أنه محتاج إلى البيان؛ فإن السنة على كثرتها، وكثرة مسائلها؛ إنما هي مبينة للكتاب[(٢)]، فكل ما سنه رسول الله ﷺ فالقرآن يأمر باتباعه، والمسلمون من السلف وموافقيهم من الخلف لا زالوا يتلقون دينهم كله عن الرسول ﷺ، وذلك عن طريق وحي القرآن، ووحي الحكمة[(٣)].

« ومحمد ﷺ خاتم الرسل؛ فعلى جميع الخلق اتباعه، واتباع ما شرعه من الدين، وهو ما أتى به من الكتاب والسنة، فما جاء به الكتاب والسنة، هو الشرع الذي يجب على جميع الخلق اتباعه، وليس لأحد الخروج عنه، وهو الشرع الذي يقاتل عليه المجاهدون، وهو الكتاب والسنة »[(٤)].

ومما يجب أن يعمل به في نصوص الوحي، إجراؤها على الحقيقة لا التأويل، وهذا ما أبينه في المطلب الآتي.

---

(١) أوردها القرطبي في الجامع لأحكام القرآن ١/ ٣١.

(٢) انظر: الموافقات ٣/ ٣٦٧، وانظر: المجموع ١٣/ ٣٣١.

(٣) انظر: المجموع ٧/ ٤٠.

(٤) المجموع ٣٥/ ٣٦٥.

المطلب الثالث: حمل القرآن على الحقيقة.

إن السلف يعتقدون أن كلام الله ﷻ هو أبلغ الكلام، وأدله على المعنى الذي أراده ﷻ، ولهذا فإنه ليس فيه ألغاز، والسلف ينزلون القرآن منزلته الحقيقية إذ يعتقدون فيه أنه كله يجرى على حقيقته اللائقة به(١) وأنه لا يصار فيه إلى التأويل(٢)،

---

(١) وما ذكره الغزالي في (إحيائه ١/ ١٦٦) أن إمام أهل السنة أحمد بن حنبل استثنى من التأويل ثلاثة أحاديث، ولم يحملها على حقيقتها، فهي فرية باطلة، و قد نفاها شيخ الإسلام سندا ومتنا بأدلة ثابتة. انظر: المجموع ٥/ ٣٩٨، ٦/ ٣٩٧، ٥٨٠، وانظر: مختصر الصواعق المرسلة، ومنهج الأشاعرة ص ٨٧.

(٢) والتأويل الذي نفاه السلف عن النصوص، هو التحريف والتعطيل الذي يدعيه أصحاب البدع، وكل يدعي وصلا بقرينة مجازية!!، ولفظ التأويل قد جاء وله استعمالات عدة، وهي:

١. **التأويل بمعنى التفسير**: وهو الذي جاء في قول النبي ﷺ في وصف ابن عباس ﷺ **[اللهم فقهه في الدين وعلمه التأويل]** (البخاري: كتاب الوضوء، باب/ وضع الماء عند الخلاء، ح(٤٣)، بدون لفظة: وعلمه التأويل). وهذا الذي يستعمله ابن جرير الطبري وغيره من المفسرين عندما يقولون: التأويل في الآية هو...، فيعنون به التفسير.

٢. **التأويل بمعنى ما يؤول إليه الأمر، من الكلام وغيره**: وهو الذي جاء في قول الله ﷻ إخبارا عن يوسف ﷺ: ﴿ وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى ٱلْعَرْشِ وَخَرُّواْ لَهُۥ سُجَّدًا ۖ وَقَالَ يَٰٓأَبَتِ هَٰذَا تَأْوِيلُ رُءْيَٰىَ مِن قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّى حَقًّا ﴾ [سورة يوسف، من الآية ١٠٠]، أي هذا ما آل إليه تفسير رؤياي، ومن هذا تأويل كيفيات الأسماء والصفات، وحقائق ما في الجنة والآخرة، فإنا لا نعلم منها إلا المعاني دون الكيفيات، كما قال ابن عباس ﷺ: **[ليس في الدنيا مما في الجنة شيء إلا الأسماء]** (رواه ابن جرير في تفسيره ١/ ٢١٠، وانظر: تفسير القرآن العظيم لابن كثير ١/ ٦٣).

٣. **التأويل**: بمعنى **صرف اللفظ عن الاحتمال الراجح** إلى الاحتمال المرجوح، وهذا هو مصطلح المتأخرين، أما اصطلاح الصحابة في التأويل فمقصودهم الأولان، ولهذا كان بعضهم يقف على قوله تعالى: ﴿ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ ﴾ بناء على أن التأويل هو ما استأثر الله بعلمه، أو المعنى المراد من حقيقة كذا، وليس مقصودهم أن المخلوقين لا يعلمون معنى تفسير كلام الله ﷻ، أو أن في القرآن ما هو على غير حقيقته، والذي ذمه الله تعالى، في قوله: ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ مِنْهُ ءَايَٰتٌ مُّحْكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٌ ۖ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنْهُ ٱبْتِغَآءَ ٱلْفِتْنَةِ وَٱبْتِغَآءَ تَأْوِيلِهِۦ ۗ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ ۗ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا ۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾[آل عمران:٧] إنما ذم من طلب العلم المحجوب، وهو العلم بكيفيات الصفات، أو العلم بحقائق ما أخبر الله به من الغيبيات مما في الآخرة، وهو التأويل الذي لا يعلمه أحد، فعطف الراسخين =

ولا يــــــقـــــــال: إن هــــــــذا مـــــجـــــاز(١)،

والوقف بعدها بناء على أن الراسخين يعلمون معاني كلام الله ﷻ، وهو قول بعض الصحابة والتابعين، وأما الوقف على: وما يعلم تأويله إلا الله، فبناء على أن حقائق ما تؤول إليه الأخبار، وكيفيات ما أخبر الله به من صفاته، وما في الآخرة، لا يعلمه إلا الله، وذم السلف إنما هو منصب على ذم التأويل الذي هو التحريف لكلام الله ﷻ، المؤدي إلى التعطيل والإلحاد في الربوبية، أو في الألوهية، أو في الأسماء والصفات، أو في غيرها من الأمور الشرعيات. انظر: الصفدية ١/ ٢٨٧-٢٩١، درء التعارض ١/ ٢٠١، ٢٠٦-٢٠٧، ٥/ ٣٨١-٣٨٤، المجموع ٥/ ٣٥، ٢٣٤، ١٣/ ٢٨٨، شرح حديث النزول ص ١٠٦-١٠٧، نقض المنطق ص٥٧، الفتح ١٣/ ٥٣٥، قواطع الأدلة ٣/ ٤٥، منهج الأشاعرة في العقيدة ص٨٦، تنبيه: التأويل الذي يذكره الفقهاء في باب/ أحكام البغاة، فهو مأخوذ من التأول، والفعل الماضي منه: تأول، وليس مأخوذا من التأويل الذي ماضيه: أول، ومقصود الفقهاء بهذا التأول: هو وضع الدليل في غير موضعه باجتهاد أو شبهة تنشأ من عدم فهم النص. انظر: منهج الأشاعرة ص٨٧.

(١) ومراد القائلين ـ من المتأخرين ـ **بالمجاز** هو: صرف اللفظ عن معناه الظاهر إلى معنى مرجوح بقرينة، وهو التأويل نفسه، انظر: روضة الناظر ١/ ١٥٠، وبعضهم يضيف بعض الشروط في التعريف، وبعضهم يعرفه بتعريف آخر، فيقول: المجاز، هو ما يصح أن ينفى؛ فإذا قال الرجل: رأيت أسدا راكبا؛ فإنه يصح لسامعه أن ينفي هذا فيقول: لم تر أسدا راكبا، وإنما رأيت شجاعا راكبا، وهذه أحد الأسباب التي من أجلها أنكر المحققون المجاز، وذلك لأنه معلوم أنه لا يصح نفي شيء من القرآن؛ فإذا ليس فيه مجاز، وقد أطال في نفي المجاز شيخ الإسلام ابن تيمية ﷬، انظر: المجموع "رسالة الحقيقة والمجاز" ٢٠/ ٤٠٠-٤٩٩، ورده ابن القيم وسماه طاغوتا وصنما؛ فرده بأكثر من خمسين وجها كما في مختصر الصواعق المرسلة، وكذلك رده الشيخ الأمين ﷬، كما في رسالته: منع جواز المجاز في المنزل للتعبد والإعجاز، وأنقل بعض العبارات التي تبين شناعة القول بالمجاز بإشارات تغني اللبيب عن الإسهاب، وتكفي طالب الحق من دون إطناب، **قال شيخ الإسلام ابن تيمية** ﷬: « قول القائل هذا اللفظ حقيقة، وهذا مجاز، نزاع لفظي، وهو مستند من أنكر المجاز في اللغة، أو في القرآن، **ولم ينطق بهذا أحد من السلف، والأئمة، ولم يعرف لفظ المجاز في كلام أحد من الأئمة إلا في كلام الإمام أحمد**؛ فإنه قال فيما كتبه من "الرد على الزنادقة والجهمية" هذا من مجاز القرآن، وأول من قال ذلك مطلقا: أبو عبيدة معمر بن المثنى في كتابه الذي صنفه في"مجاز القرآن"، ثم إن هذا كان معناه عند الأولين: مما يجوز في اللغة، ويسوغ، فهو مشتق عندهم من الجواز، كما يقول الفقهاء: عقد لازم، وجائز » (المجموع١٢/ ٢٧٧). وقال في موضع آخر: « إن الحقيقة والمجاز... **هذا التقسيم هو اصطلاح حادث بعد انقضاء القرون الثلاثة، لم يتكلم به أحد من الصحابة، ولا التابعين لهم بإحسان، ولا أحد من الأئمة المشهورين في العلم، كمالك، والثوري، والأوزاعي، وأبي حنيفة، والشافعي، بل ولا تكلم به أئمة اللغة والنحو، كالخليل، وسيبويه، وأبي عمرو بن العلاء، ونحوهم** » ثم نقل كلام بعض الأصوليين المنكرين لهذا التقسيم فقال: « **هذا اصطلاح حادث، والغالب أنه كان من جهة المعتزلة، ونحوهم من المتكلمين؛ فإنه لم يوجد هذا في كلام أحد من** =

أو ليس على ظاهره[1]، **وقبل أن أدخل في المسألة فإني أبين معنى الحقيقة لغة، واصطلاحا**: فالحقيقة في اللغة مأخوذة من الحق، والحق: هو الثابت اللازم، وهو نقيض الباطل، يقال: حقيقة الشيء، أي ذاته الثابتة اللازمة منه، فقيل فيما سيق من أجله اللفظ: حقيقة؛ لأنه المقصود أصلا، وهو الذي سيق اللفظ لإحكامه، والدلالة عليه[2].

والمقصود بالحقيقة في الاصطلاح: هو اللفظ المستعمل فيما وضع له[3]، وألفاظ القرآن موضوعة لمعاني صريحة في الدلالة التي سيقت لها، ولهذا ينبغي حمله على الحقيقة لا المجاز.

وهذا هو عمل السلف، إذ مقصودهم معرفة مراد الله ﷻ، ومراد رسوله ﷺ، فسلكوا العمل بحقائق هذه النصوص، وهو الوجه الذي يعرف به المراد، وهذا المسلك طريق الهدى، ومن قصد أن يجعل ما قاله الله ورسوله تبعا له؛ فإن وافقه قبله، و إلا رده، وتكلف له من التحريف ما يسميه تأويلا، مع أنه يعلم بالضرورة أن كثيرا

= **أهل الفقه، والأصول، والتفسير، والحديث، ونحوهم من السلف»** (المجموع ٧/ ٨٨). ومن هنا يمكن أن يقال: إن كان المقصود بالمجاز، أو التأويل هو: التجوز بالمعنى إلى معنى يفهمه السامع من سياق الكلام، فهذا لا ينكره أحد، وإذا كان هذا ما يسمى مجازا، فيكون النـزاع في اللفظ، وأما تسمية التأويل والمجاز الذي هو صرف اللفظ عن معناه الراجح إلى معنى مرجوح لدليل يُدعى فهذا الذي من أجله أنكر المحققون المجاز، ولهذا ينبغي حين نفي المجاز عن القرآن أو إثباته التفصيل، فيقال: إن كان المقصود بالمجاز أو التأويل: هو الأول، فالنـزاع في العبارة، وإن كان في الثاني، فالنـزاع حقيقي ـ والله تعالى أعلم ـ، انظر: تأويل مشكل الحديث لابن قتيبة ص٢١، ترجيح أساليب القرآن على أساليب اليونان لابن الوزير اليماني ص١٦٤، وما بعدها.

(١) **وقول بعضهم أن الآية ليست على ظاهرها يعنون أنه مؤول**، وهذا مستعمل في مكان التأويل، الذي هو عدم اعتقاد ما دل عليه الكلام ظاهرا، وأما أن يكون للفظ معنى باطني، وآخر ظاهري!! فهذا الذي أذكره مع بيان موقف السلف منه في المطلب التالي.

(٢) انظر: مقاييس اللغة لابن فارس ص٢٤٤، المفردات للراغب ص١٣٢-١٣٣، الإحكام للآمدي ١/ ٥١، المصباح المنير ص١٤٣.

(٣) انظر: المفردات للراغب ص١٣٣، روضة الناظر ١/ ١٥٠. المجموع ٥/ ٢٠٠؛ فإن قيل هذا التعريف لمن يرى تفسيم الألفاظ إلى حقيقة ومجاز؛ وأن المجاز ما يفهم بقرينة، فيمكن أن يقال: **إن المراد بالحقيقة هو ما دل عليه اللفظ من المعنى، من غير حاجة إلى توسط في الاستدلال، لا بقرينة خارجية، ولا بدليل آخر ـ والله تعالى أعلم ـ.**

من ذلك، أو أكثره لم يرده الله ولا نبيه؛ فهو محرف للكلم عن مواضعه[١].

والواجب حمل نصوص الوحي على الحقيقة دون التأويل، وذلك هو منهج السلف الصالح رحمهم الله، فلم يقل أحد منهم إن هذه الآية ليست على حقيقتها، أو إنّ هذه الآية يجب تأويلها عن ظاهرها.

قال أبو المعالي الجويني: « **ذهب أئمة السلف إلى الانكفاف عن التأويل، وإجراء الظواهر على مواردها**، وتفويض معانيها إلى الرب[٢]،... والذي نرتضيه رأيا، وندين الله به عقيدة: اتباع سلف الأمة، والدليل السمعي القاطع في ذلك إجماع الأمة، وهو حجة متبعة، وهو مستند معظم الشريعة، **وقد درج صحب رسول الله ﷺ على ترك التعرض لمعانيها**[٣]، **ودرك ما فيها ـ وهم صفوة الإسلام، والمستقلون بأعباء الشريعة، وكانوا لا يألون جهدا في ضبط قواعد الملة، والتواصي بحفظها، وتعليم الناس ما يحتاجون إليه منها ـ ، فلو كان تأويل هذه الظواهر مسوغا، أو محتوما: لأوشك أن يكون اهتمامهم بها فوق اهتمامهم بفروع الشريعة، وإذا انصرم عصرهم، وعصر التابعين على الإضراب عن التأويل: كان ذلك هو الوجه المتبع** »[٤]، فهذا نقل صريح على إجماع الأمة على إجراء النصوص على حقيقتها دون تأويل، أو تحريف.

والقول بجواز العمل في نصوص الوحي على خلاف الحقيقة قول شؤم، ويؤدي إلى الضلال، والانحراف عن منهج الله، وقبل ذلك هو مخالف لدين الله ﷻ،

---

(١) انظر: المجموع ٤/ ١٩١، التدمرية ص١١٣.

(٢) قوله: إن السلف فوضوا معاني الآيات سواء في الصفات، أو في غيرها، فهذا لا يصح عنهم، إذ تكلم غير واحد منهم في معنى استواء الله ﷻ ومعلوم معنى الضحك، والعجب، واليد، وغيره، وإن كان يقصد أن السلف: فوضوا كيفية الصفة ـ كما هو سياق قوله ـ فهذا هو منهج السلف، وهو الحق الذي يجب أن يصير عليه الخلف.

(٣) انظر: التعليق في الحاشية السابقة.

(٤) نقله عنه شيخ الإسلام في المجموع ٥/ ١٠٠-١٠١، والحافظ ابن حجر في الفتح ١٣/ ٤١٨، وقد نقل الإجماع أيضا الشيخ حماد الأنصاري رحمه الله من المتأخرين. انظر: المجموع في ترجمة العلامة المحدث الشيخ/ حماد بن محمد الأنصاري ٢/ ٥٥٢.

و الدليل على ذلك ما يأتي:

١- أن الله ﷻ هو المتكلم بالقرآن، ومن أصدق من الله قيلا، ولا أبلغ منه بيانا، وقد أنزل القرآن الكريم حجة على العباد، وهو مبين في نفسه، فكيف يقال بعد ذلك: إن هذه الآية ليست على حقيقتها مسوقة؛ وإنما سيقت مجازا!!! أو يجب تأويلها عن ظاهرها!! والله يقول في وصف كتابه المنزل: ﴿وَلَقَدْ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ءَايَٰتٍ بَيِّنَٰتٍ وَمَا يَكْفُرُ بِهَآ إِلَّا ٱلْفَٰسِقُونَ﴾[البقرة:٩٩]، وقال: ﴿وَلَقَدْ أَنزَلْنَآ إِلَيْكُمْ ءَايَٰتٍ مُّبَيِّنَٰتٍ﴾[النور:٣٤]، وقال: ﴿قَدْ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٌ وَكِتَٰبٌ مُّبِينٌ﴾[المائدة:١٥]، وقال: ﴿الٓر تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ وَقُرْءَانٍ مُّبِينٍ﴾[الحجر:١]، وقال: ﴿وَلَقَدْ جِئْنَٰهُم بِكِتَٰبٍ فَصَّلْنَٰهُ عَلَىٰ عِلْمٍ هُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾[الأعراف:٥٢]، فآيات الكتاب بينات في نفسها، لا يمكن أن تكون إلا جليات، فهي لذلك سميت مبينات؛ لأنها تجلي الأمور، ولم تأتي بغوامض، ولهذا فهو مبين أيضا، و« أخبر أنه فصَّل الكتاب، وتفصيله: بيانه، وتمييزه بحيث لا يشتبه»[(١)]، فـ « كلام رب العزة ﷻ الذي يعلم ما لا يعلمه أحد، ويقدر على ما لا يقدر عليه أحد، **يحمل على الحقيقة**...»[(٢)].

٢- أن المخالفين من المشركين لم يقل أحد منهم إن هذا القرآن في أسلوبه هنا على خلاف الحقيقة، وما ندري ما تأويله؟

٣- أن هذا الباب دخل منه جميع المؤولين المحرفين المبطلين لنصوص الوحي، من الباطنية، وغيرهم، محتجين بالتأويل، وصار الكل يدعي أن هذه الآية على خلاف الحقيقة، ويذكر قرينة ما[(٣)].

٤- أنه ما من حجة يحتج بها ـ القائلون بالتأويل ـ في مسألة ما، إلا والقائلون بالتأويل المخالفون لهم في نصوص الوحي يحتج بمثلها[(٤)].

---

(١) المجموع ١٣/ ٢٧٨.

(٢) ترجيح أساليب القرآن على أساليب اليونان لابن الوزير اليماني ص١٥٣.

(٣) انظر: منج الأشاعرة ص ٨٧.

(٤) انظر: منهج الأشاعرة ص ٨٧.

٥- أنه سبب للخلاف، إذ يقول أحدهم هذا مسوق على خلاف الحقيقة، وكل يدعي من عنده المعنى المجازي الذي يراه، ويسوق له القرينة التي يظن أنها تساعده إلى ما ذهب إليه، فيقع النـزاع والخلاف[1].

٦- مما يدل على أن الوحي يجب المصير فيه إلى إجرائه على حقيقته أن الصحابة والتابعين لم يمتنع أحد منهم عن تفسير آية من كتاب الله، ولا قال هذا لا يعلم معناه، أو أن هذا لا يجب إجراؤه على حقيقته[2]، بل لم يمتنع عن تفسير بعض الآيات، وادعاء أنها لا تعلم معانيها إلا المعتزلة ومن نحا نحوهم[3].

٧- أن هذا باب دخل منه الباطنية، والفلاسفة، والروافض، والجهمية، والمعتزلة، وغيرهم، كل واحد منهم يدعي المجاز في النصوص التي لا توافق مذهبه، قال أبو عمر ابن عبد البر رحمه الله: «أهل السنة مجمعون على الإقرار بالصفات الواردة كلها في القرآن والسنة، والإيمان بها، **وحملها على الحقيقة؛ لا على المجاز**، إلا أنهم لا يكيفون شيئا من ذلك، ولا يحدونه فيه صفة محصورة، **وأما أهل البدع: الجهمية، والمعتزلة كلها، والخوارج: فكلهم ينكرونها، ولا يحملون شيئا منها على الحقيقة**، ويزعمون أن من أقر بها فهو مشبه، وهم عند من أقر بها نافون للمعبود، **والحق فيما قاله القائلون: بما نطق به كتاب الله، وسنة رسوله ﷺ، وهم أئمة الجماعة**»[4]، وهذا كلام حافظ عصره، وعالم مِصرِه.

٨- أن العلماء الراسخين أنكروا هذا التأويل، قال أبو يعلى رحمه الله بعد ذكر آيات الصفات، وأحاديثها ـ: «لا يجوز رد هذه الأخبار، ولا التشاغل بتأويلها، والواجب حملها على ظاهرها، وأنها صفات الله، لا تشبه صفات سائر الموصوفين بها من الخلق؛

(١) انظر: الإنصاف للبطليوسي ص٣٣، حيث ذكر أنه من أسباب الخلاف، ثم انتصر لإثباته!!، وشنع على من أنكره!!، كما في ص ٧١.

(٢) انظر: المجموع ٥/ ٣٥، ١٣/ ٢٨٥.

(٣) انظر: المجموع في ترجمة العلامة المحدث الشيخ/ حماد بن محمد الأنصاري ٢/ ٥١٨-٥١٩.

(٤) المجموع ٥/ ٨٧، وذكر بعضا من مقاله الحافظ ابن حجر في الفتح ١٣/ ٤١٨.

ولا يعتقد التشبيه فيها، لكن على ما روي عن الإمام أحمد، وسائر الأئمة...، **ويدل على إبطال التأويل: أن الصحابة، ومن بعدهم من التابعين حملوها على ظاهرها، ولم يتعرضوا لتأويلها، ولا صرفوها عن ظاهرها؛ فلو كان التأويل سائغا، لكانوا أسبق إليه، لما فيه من إزالة التشبيه، ورفع الشبهة»**[(١)]، وقال شيخ الإسلام رحمه الله: «مذهب "أهل الحديث"، وهم السلف، من القرون الثلاثة، ومن سلك سبيلهم من الخلف: أن هذه الأحاديث تمر كما جاءت، ويؤمن بها، وتصدق، **وتُصان عن تأويل يفضي إلى تعطيل، وتكييف يفضي إلى تمثيل**، وقد أطلق غير واحد ممن حكى إجماع السلف.. مذهب السلف: أنها تجرى على ظاهرها، مع نفي الكيفية والتشبيه فيها»[(٢)].

٩- أن القول بأن نصوص الوحي لا تجرى على ظاهرها ـ سواء في باب الأسماء والصفات، أو في غيرها ـ على خلاف منهج السلف الصالح، وكفى به ضلالا.

١٠- قال قوام السنة الأصبهاني رحمه الله: «من حمل اللفظ على ظاهره، وعلى مقتضى اللغة حملَه على حقيقته، ومن تأوله عدل به عن الحقيقة إلى المجاز، ولا يجوز إضافة المجاز إلى صفات الله تعالى»[(٣)].

١١- أن كل فساد في العالم إنما جاء من التأويل الفاسد، وكان أهل الكتابين على السداد، حتى دخلهم التأويل، فدخل فيهم الفساد، ما لا يعلمه إلا رب العباد»[(٤)].

فالسلف ينكرون التأويلات التي تخرج الكلام عن مراد الله عز وجل، ومراد رسوله ﷺ، ولا شك أنه تحريف للكلم عن مواضعه، فإنكارهم للتأويل الباطل كإنكار التفسير

---

(١) نقله شيخ الإسلام عنه في المجموع ٥/ ٨٩-٩٠.

(٢) المجموع ٦/ ٣٥٥.

(٣) الحجة في بيان المحجة ١/ ٤٨٢.

(٤) فتاوى الدين الخالص ١/ ٢٥، وانظر: الفتح ١٣/ ٥٣٥.

الباطل، فإذا كنا ننكر قول من فسر كلام متكلم بغير مراده؛ فالإنكار على من أول كلام الله، أو كلام رسوله على غير المراد من باب أولى[1].

فالتأويل الذي هو ضد الحقيقة بهذا المعنى تحريف للكلام عن معناه الذي سيق له، إلى معنى محتمل بحجة متوهمة، وهذا أصل كل صاحب بدعة؛ فإن أي آية، أو حديث يخالف مذهبه يقول: إن هذه الآية على خلاف الحقيقة، أو الحديث مؤول عن ظاهره!!

ومن هنا أنكر من أنكر من العلماء المحققين أن يكون في القرآن شيء مسوق مجازا، كشيخ الإسلام ابن تيمية وابن القيم، وغيرهما، كل ذلك توقيرا وتنـزيلا للقرآن منـزلته اللائقة به، حتى تحفظ النصوص على حقيقتها دون تأويل بحجة المجاز.

قال أبو المظفر السمعاني رحمه الله: « وعلى الجملة لا يجوز حمل الخاطر على استخراج التأويلات المستكرهة للأخبار، وينبغي للعالم الورع أن يجتنب ذلك ويحترز عنه غاية الاحتراز؛ لأن الكلام على كلام الشارع صعب، والزلل فيه يكثر، وقد ورد في الخبر **يحمل هذا العلم من كل خلف عدوله]**، وقال في وصفهم: **[ينفون عنه تحريف الجاهلين]**[2]، والله العاصم بمنه، والمرشد إلى الصواب بفضله وعونه، ونسأله تعالى أن لا يجعلنا من هؤلاء القوم، فقد بين النبي ﷺ أن الجهل يحمل الإنسان على التأويلات المستكرهة، وذكر أن العدول من علماء الأمة ينفون ذلك، وذكر أيضا أنهم ينفون تحريف

---

(١) انظر: الصفدية ١/ ٢٩١.

(٢) وهذا الأثر أورده الهيثمي في مجمع الزوائد ١/ ١٤٠ عن أبي هريرة، وعبد الله بن عمر رضي الله عنهما يرفعانه، قال: **[يحمل هذا العلم من كل خلف عدوله، ينفون عنه تحريف الغالين، وتأويل الجاهلين، وانتحال المبطلين]**. قال الهيثمي: (رواه البزار، وفيه عمرو بن خالد القرشي، كذبه يحيى بن معين، وأحمد بن حنبل، ونسبه إلى الوضع)، وهو في المشكاة من رواية معاذ بن رفاعة عن إبراهيم بن عبد الرحمن العُذري مرسلا ح(٢٤٨)، ومعزو إلى البيهقي، وقال الشيخ الألباني في تحقيقه على المشكاة ـ بعد أن ذكر علل الحديث ـ: « لكن الحديث قد روي موصولا عن طريق جماعة من الصحابة، وصحح بعض طرقه الحافظ العلائي في "بغية الملتمس" (٣-٤)، وروى الخطيب في شرف أصحاب الحديث (٢/ ٣٥) عن مهنا بن يحيى قال: سألت أحمد بن حنبل عن حديث معاذ بن رفاعة عن إبراهيم هذا، فقلت لأحمد: كأنه كلام موضوع؟ فقال: لا، هو صحيح...». انظر: تحقيق الشيخ الألباني على مشكاة المصابيح ١/ ٨٢-٨٣، والسلسلة الصحيحة ١/ ٤٨٥، وذكره ابن طاهر المقدسي في ذخيرة الحفاظ، ح(٦٥٠٠) ٥/ ٢٧٧٧، وذكر طرقه كلها هناك.

الغالين، وانتحال المبطلين، وإلى الله الملاذ، وبه المعاذ، من وساوس النفس، وخواطر السوء، فما ضل من ضل، وما هلك من هلك إلا بأمثال ذلك، والله المستعان»[١].

فإذا تبين أن السلف يجرون نصوص الوحي على الحقيقة؛ فإنهم كذلك يجرونها على ظاهرها اللائق بها، دون القول بالباطن، وهذا ما أبينه في المطلب التالي.

---

(١) قواطع الأدلة ٣/ ٥٨.

المطلب الرابع: حمل القرآن على الظاهر.

إن من معتقد السلف أن القرآن يجب أن يعمل به على ما دل عليه، وينـزلون القرآن منـزلته؛ فلا يعملون فيه بالآراء، والأقوال التي تخرجه من الدلالة الظاهرة إلى المعاني المشكلة، والخيالات الفاسدة، ولهذا فهم يقولون: بظاهر القرآن اللائق به، ولا يقولون: بأن للوحي باطنا، كما تقوله بعض الفرق الضالة[١].

والمراد بالظاهر: ليس هو إمرار الألفاظ فقط، ولكن المراد وجوب إجراء نصوص الوحي على الظاهر الذي دلت عليه هذه الألفاظ من المعاني، وإلا فإن مجرد الحروف لا يمكن إجراؤها على ظاهرها إلا قراءة دون فهم، وعمل، واعتقاد؛ مع أن المقصود بالظاهر هو: الإمرار لفظا، ومعنى، واعتقادا[٢].

وهذا هو معتقد السلف، ولهذا نصوا على أن الكتاب والسنة يجريان على الظاهر، وكثيرا ما يعبرون فيقولون: "هذا ما تقتضيه ظواهر النصوص"، و"هذا ما دلت عليه ظواهر الكتاب والسنة"، فالمعول عليها، ويجب المصير إليها[٣]، وهذا الكلام منهم رد على المؤولة والباطنية.

قال الإمام الشافعي رحمه الله: «الأصل قرآنٌ، أو سنة؛ فإن لم يكن فقياس عليهما، وإذا صح الحديث فهو سنة، والإجماع أكبر من الحديث المنفرد، **والحديث على ظاهره، وإذا احتمل الحديث معاني فما أشبه ظاهره**»[٤]

---

(١) هناك فرق ضالة تعرف بالباطنية تقول بأن للقرآن ظاهرا وباطنا، وكذلك الصوفية تقول بأن للقرآن حقيقة وشريعة، وسيأتي الكلام والرد عليهم في الباب الرابع، وإنما هنا تقرير لمسألة أنه لا باطن في القرآن يُدَّعى.

(٢) انظر: نقض المنطق ص ٥٧.

(٣) انظر: الأم ٧/ ٣١، الفتح ١/ ٥٤٧، ١٣/ ٤٩٦، الفتاوى الكبرى ٥/ ١٤٨، الفواكه الدواني ١/ ٤٠، المرقاة شرح المشكاة لملا على القاري ١/ ٢٩٢، فتاوى الدين الخالص ١/ ٢٥.

(٤) أورده الذهبي في السير ١٠/ ٢١، وقد ذكر محققه أن هذا منقول عن الإمام الشافعي مسندا، كما في كتاب مناقب الشافعي للبيهقي ٢/ ٣٠.

وقال أبو الحسن الأشعري رحمه الله: «والقرآن على ظاهره، وليس لنا أن نزيله عن ظاهره إلا لحجة، وإلا فهو على ظاهره»(١).

وقال أبو المظفر السمعاني رحمه الله: «وقد كانت الصحابة يتعلقون في تفاصيل الشرع بظواهر الكتاب والسنة»(٢).

فليس في ظواهر النصوص إلا الحق، وما قد يفهمه البعض من ظواهر النصوص، مما لا تدل عليه؛ فإن ذلك لكساد عقله، وسوء فهمه، وإلا فإن النصوص بليغة العبارات، واضحة الدلالات، إلا لمن تتبع المتشابهات، وترك المحكمات، وعمل في النصوص بحسب منهجه، لا بحسب منهجها، ولهذا يجب أن يفهم المعنى الصحيح المفهوم من ظاهر النص قبل مطالبته بفهم النص على المعنى الظاهر، حتى لا يفهم من الظاهر ما تبادر إلى ذهنه من المعاني الفاسدة(٣).

فالنصوص معصومة، ولهذا لا تدل على التشبيه، ولا على التعطيل، فهي في نفسها آيات بينات، تدل على الحق بأصرح العبارات(٤)، ولا تدل على ما يشبه الطلسمات؛ «فينبغي تدبر القرآن، ومعرفة وجوهه؛ فإن أكثر ما يتوهم الناس أنه قد خولف ظاهره، وليس كذلك؛ وإنما له دلالات يعرفها من أعطاه الله فهما في كتابه»(٥).

ومما يدل على أن القول بوجوب إجراء النصوص على ظاهرها، والعمل بما دل عليها هو الصواب، ما يأتي:

١- أن الله جل جلاله أخبر أن كلماته صدق وعدل، كما قال: ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا لَّا مُبَدِّلَ لِكَلِمَـٰتِهِۦ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾[الأنعام:١١٥]، وقال: ﴿وَمَنْ أَصْدَقُ

---

(١) الإبانة ص ٦٨.

(٢) قواطع الأدلة ٣/ ٤٥.

(٣) انظر: الفتاوى الكبرى ٥/ ١٥٥، المجموع ١٣/ ٣٧٩-٣٨٠، شرح الواسطية للفوزان ص ١٢٣، ١٣٢.

(٤) انظر: الدرء ١/ ٢٤٩.

(٥) المجموع ٢٢/ ٩٢، بشيء من التصرف.

مِنَ ٱللَّهِ حَدِيثًا ﴾[النساء:٨٧]، وقال: ﴿ وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ ٱللَّهِ قِيلًا ﴾[النساء:١٢٢]، فمن صرف عنها فإنه لم يقبلها على أنها صدق، ومن عدل عنها فإنه لم يقبلها على أنها عدل، كيف وقد أخبر ﷻ أنه لا أحد أصدق منه حديثا.

٢- أن الله ﷻ أعلم وأحكم من أن يكون كلامه الذي وصف به نفسه لا يظهر منه إلا ما هو كفر وضلال[1]؛ فإذا كان كذلك فيجب المصير إلى الظاهر، وعدم القول بالتأويل أو المعنى الباطني.

٣- أن الرسول ﷺ أوتي جوامع الكلم، وأرسل بأفصح اللغات، وأبين الألسنة والعبارات؛ فكيف يقال: إنه تكلم بكلام المراد منه خلاف ظاهره!!! مع أنه ﷺ أنصح الأمة للأمة؛ إذ بين لنا آداب قضاء الحاجة، فكيف يقال بعد ذلك: إنه لم يبين لنا مسائل العقيدة[2].

٤- ادعاء أن للنصوص ظاهرا وباطنا قول من لم يعط النصوص حقها من الإجلال والاحترام، والدلالة والبيان، «إذ لو أعطي النصوص حقها من الدلالة لعلم أنها لا تدل إلا على حق»[3]، وهو ما ظهر منها، على حسب فهم المنـزل عليهم.

٥- أنه ما من نص يدعى فيه أن له معنى باطنا، إلا كان نقصا في بلاغة القرآن، إذ لم يأت بما تقوم به الحجة على العباد صريحة، وإنما تكون قد أتت بما قد يتوهم منها!! وهذا وحده دليل كاف على فساد القول بأن للنصوص ظاهرا وباطنا.

٦- أنه ما من نص يدعى فيه أنه على خلاف ظاهره إلا كانت اللغة العربية وفهم السلف مخالفين لذلك، فمن قال مثلا: بأن المراد بالبعوضة هو فلان من الناس؛ فإن قوله ظاهر البطلان لغة، وفقها[4].

(١) انظر: التدمرية ص ٦٩.

(٢) انظر: المجموع ٦/ ٣٦١، ٣٦٨.

(٣) التدمرية ص٧١، بشيء من التصرف.

(٤) تذكر الرافضة كما في بعض كتبهم، في قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَسْتَحْيِۦٓ أَن يَضْرِبَ مَثَلًا مَّا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا ۚ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ ۖ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فَيَقُولُونَ مَاذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِهَـٰذَا مَثَلًا ۘ =

٧- أن القول بالمعاني الباطنة ـ لو قيل بها ـ يدل على بطلانه سياق الآيات وسباقها، وأولها، وآخرها، فيعود القرآن الكريم متناقضا؛ مع أنه كما قال تعالى: ﴿ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُواْ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا ﴾[النساء:٨٢]، فهذا دليل على بطلان القول بأن للقرآن باطنا، إذ المعلوم من دين المسلمين أنه ليس في القرآن شيء متناقض؛ فلا تناقض في القرآن مطلقا[(١)].

٨- أنه لم يقل أحد من السلف إن هذه الآية أو الحديث مصروف عن ظاهره، أو مؤول، مع أنهم قالوا في نصوص الأحكام: إن هذا النص عام، وهذا خاص...[(٢)].

٩- أن النصوص لو كان الظاهر منها غير مراد، لوجب التنبيه على ذلك من الشرع، ولم يوجد شيء من ذلك[(٣)].

١٠-أن السلف لم يستشكلوا نصا من النصوص التي هي في العقائد، مما يدل على فهمهم لها فهما تاما، وكونهم استشكلوا نصوصا في الأحكام دون العقائد فهذا دليل على ظهور معنى نصوص العقائد عندهم ظهورا تاما غير مشكل[(٤)].

١١-أن العمل بظواهر النصوص هو عمل الصحابة والتابعين، وعلى ذلك صار المتبعون لهم من المتأخرين[(٥)]، قال الشوكاني: « واعلم أن الظاهر دليل شرعي

= يُضِلُّ بِهِۦ كَثِيرًا وَيَهْدِي بِهِۦ كَثِيرًا ۚ وَمَا يُضِلُّ بِهِۦٓ إِلَّا ٱلْفَٰسِقِينَ ﴾[البقرة: ٢٦] « عن أبي عبد الله أن هذا المثل: ضربه الله لأمير المؤمنين عليه السلام؛ **فالبعوضة أمير المؤمنين عليه السلام!!**، وما فوقها: **رسول الله ﷺ!!!...**، ويقطعون ما أمر الله به: **يعني مِن صلة أمير المؤمنين (ع) والأئمة** ». (من تفسير القمي ١/ ٣٥ كما في كتاب: علماء الشيعة يقولون:... ص٧٦). فالقول بأن عليًّا ﷺ هو المقصود بالمثل المضروب بالبعوضة!! فيه حط من شأنه ﷺ ومن شأن النبي ﷺ الذي مثلوه بما فوق البعوضة!!، ثم هو مخالف للغة وفقه السلف ﷺ، **لكنه التفسير الباطني!!!**.

(١) انظر: المجموع ١٤/ ٢٤٨-٢٤٩.

(٢) انظر: الفتاوى الكبرى ٥/ ١٥٤، المجموع ٦/ ٣٦٧.

(٣) انظر: الفتاوى الكبرى ٥/ ١٥٤.

(٤) انظر: الفتاوى الكبرى ٥/ ١٥٤.

(٥) انظر: الفتاوى الكبرى ٥/ ١٥٢.

يجب اتّباعه، والعمل به، **بدليل إجماع الصحابة على العمل بظواهر الألفاظ**»[١].

١٢- أن القول بأن للوحي ظاهرا وباطنا هو قول الباطنية، بل لهذا سموا باطنية[٢].

١٣-أنه لو ساغ عدم العمل بظاهر القرآن والسنة، لبطل العمل بكثير من النصوص، بدعوى أن ظاهرها غير مراد، وأن المعنى الباطني للآية كذا وكذا...، وهذا يدل على فساد هذا القول، إذ كثير من الباطنية ادعوا أمورا هي معلومة البطلان من الدين بالضرورة، كقول بعضهم: إن المراد بالحج هو زيارة قبور أئمتنا، وأن المراد بالصوم، كتم أسرار نحلتنا، ونحو ذلك من الهذيان، الذي هو باطل لمخالفته ظاهر القرآن[٣].

١٤-لو قيل بأن هناك آية أو حديثا مصروفا عن ظاهره إلى معنى آخر؛ فإن هذا لا بد عليه من دليل إما آية أخرى، أو حديث عن المصطفي ﷺ، «ولا يجوز العدول عن الظاهر إلا بدليل مانع منه بإجماع المسلمين»[٤]، أما دعوى أن الآية ليست على ظاهرها مجردة عن الدليل، فهذا هو التأويل، الذي هو في حقيقته تحريف وتعطيل، ولهذا ذكر الراسخون في العلم أن صرف الكتاب والسنة عن الظاهر إلى معنى يخالفه، أو يخالف حقيقته ـ لو سلم به، **والأولى أن يقال**: إن اللفظ مصروف عن ظاهره بدليل ظاهر نص آخر أدل منه على المعنى، وأن لا يقال: بأن هناك للنصوص باطنا أو معنى مجازيًّا[٥] ـ **فلا بد فيه من شروط أربعة:**

---

(١) إرشاد الفحول ص ٢٩٩.

(٢) انظر: الفرق بين الفرق ص ٢٢٨.

(٣) وسيأتي أمثلة لهذا الهذيان في أقوال الصوفية والباطنية، في الفصل الثاني والرابع من الباب الرابع.

(٤) ترجيح أساليب القرآن على أساليب اليونان لابن الوزير اليماني ص ١٥١.

(٥) انظر: الفتاوى الكبرى ٥/ ١٥٥، وقد ذكر شيخ الإسلام ﷺ لهذا مثلا، بمسألة قرب الله ﷻ في قوله ﷻ: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِۦ نَفْسُهُۥ ۖ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ ٱلْوَرِيدِ﴾[ق: ٧] قال: «وتحقيق الجواب هو أن يقال: إما أن يكون قربه بنفسه القرب اللازم ممكنا، أو لا يكون؛ فإن كان ممكنا لم تحتج الآية إلى تأويل، وإن لم يكن ممكنا، حملت الآية على ما دل عليه سياقها، وهو قربه بعلمه، وعلى هذا القول: فإما أن يكون هذا هو ظاهر الخطاب الذي دل عليه السياق، أو لا يكون؛ فإن كان هو ظاهر الخطاب فلا كلام، إذ لا تأويل حينئذ، وإن لم يكن ظاهر الخطاب: فإنما حمل على ذلك لأن الله تعالى قد بين في غير موضع من كتابه: أنه على العرش، وأنه فوق؛ فكان ما ذكره في كتابه في غير موضع أنه فوق =

الأول: أن يكون هذا المعنى مستعملا في كلام العرب الذين نزل بلغتهم القرآن الكريم، ويجوز أن يُرَدَّ بهذا اللفظ ذاك المعنى المدعى بلغة العرب؛ فلا يجوز أن يدعى معنى من اللفظ غير معروف في لغة العرب؛ وإلا فإن أي مبطل سيفسر ما يريد بما يريد.

الثاني: أن يكون هذا الحمل بدليل، وهو الذي يسمى بالقرينة، وأما من غير دليل ولا قرينة، فهذا لعب بالنصوص، وصرف اللفظ عن المعنى الظاهر بدون دليل مخالف لإجماع العقلاء.

الثالث: أن يكون الدليل، أو القرينة، سالمًا عن معارض؛ لأنه متى كان الدليل أو القرينة معارَضًا بمثله وجب إبقاء النص على ظاهره.

الرابع: أنه إذا جاء نص، وكان المقصود خلاف الظاهر، أو ليس على حقيقته؛ فلا بد أن يكون قد بين في الشرع، وإلا كان تعمية على الأمة[(١)].

فما احتمل التأويل واختلف فيه« فهو على ظاهره، وعامِّه، **لا يصرف إلى باطن أبدا وإن احتمله، إلا بإجماع من الناس عليه؛ فإذا تفرقوا فهو على الظاهر... والأشياء على أصولها، حتى تجتمع العامة على إزالتها عن أصولها**»[(٢)].

= العرش مع ما قرنه بهذه الآية من العلم دليلا على أنه أراد قرب العلم؛ إذ مقتضى تلك الآيات ينافي ظاهر هذه الآية على هذا التقدير، والصريح يقضي على الظاهر، ويبين معناه، **ويجوز باتفاق المسلمين أن تفسر إحدى الآيتين بظاهر الأخرى، ويصرف الكلام عن ظاهره**، إذ لا محذور في ذلك عند أحد من أهل السنة، وإن سمي تأويلا، وصرفا عن الظاهر فذلك لدلالة القرآن عليه، ولموافقة السنة والسلف عليه؛ لأنه تفسير للقرآن بالقرآن؛ ليس تفسيرا له بالرأي؛ والمحذور إنما هو صرف القرآن عن فحواه بغير دلالة من الله ورسوله، والسابقين» (المجموع ٦/ ٢١).

(١) انظر: هذه الشروط بشيء من التصرف في المجموع ٦/ ٣٦٠، المرقاة شرح المشكاة ١/ ٢٩٢، فتاوى الدين الخالص ٢/ ٨٥، أصول الفقه الإسلامي لوهبة الزحيلي ١/ ٣١٥، وقد ذكر ابن قتيبة بابا فيما ليس على ظاهره من هذا الباب، أي مما دل عليه دليل آخر أدل على المعنى المفهوم من ظاهره، وذكر أمثلة لذلك. انظر: تأويل مشكل القرآن له ص ٢٧٥، وما بعدها.

(٢) جماع العلم للإمام الشافعي ص ٤٩، وهو من كلام خصم الإمام الشافعي، إلا أنه أقره عليها، كما في الرسالة المذكورة، وإنما اعترض عليه جوانب أخرى.

وحتى يتم فهم هذه المسألة؛ فإني أذكر أربعة تنبيهات:

التنبيـه الأول: أن المقصود من إجراء النصوص على ظاهرها، هو الظاهر اللائق بها، لا الظاهر الذي يفهمه بعض الفرق، فالمقصود بالظاهر، هو ما يفهمه العربي الفصيح كالصحابة والتابعين، ومن صار على نهجهم من المتبعين، لا من تشوش ذهنه بمنهج بليد، وصار عن العربية في مكان بعيد(١).

ولهذا فإن السلف لا يفهمون من نصوص الكتاب والسنة التشبيه، كما فهمته المشبهة، وذلك لمعرفة السلف بظواهر الكتاب والسنة، وعدم معرفة هؤلاء بالظاهر، ولهذا قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله، وغيره من المحققين: لا بد من إجراء النصوص على ظاهرها اللائق بها، لا على الظاهر الذي يفهمه كل صاحب منهج وهوى(٢).

التنبيه الثاني: أن من أهل الضلال من يقول: يجب إجراء النصوص على ظاهرها، وهم يقصدون: أنا لا نعلم معانيها، ولا تفسيرها ـ أي يثبتون اللفظ دون أن يعرفوا المعنى المقصود من اللفظ!! وهم المفوضة ـ وهذا تناقض بين، إذ كيف يثبت الظاهر مع القول بعدم معرفة معناها؟(٣).

فليست ظواهر الكتاب والسنة ألفاظا مجردة عن المعاني الوضعية والالتزامية والتضمنية؛ فإن لها معاني عظيمة، ولا يعني ذلك أيضا الجمود على الدلالة التطابقية الوضعية دون الالتزامية والتضمنية(٤).

التنبيه الثالث: أن بعض الفرق تقول بوجوب إجراء النص على ظاهره، وهم

---

(١) انظر: الفتاوى الكبرى ٥/ ١٤٨، ١٥١، التدمرية ص ٧٧، المجموع ٣٣/ ١٧٥ وما بعدها.

(٢) انظر: المجموع ٦/ ٣٩٨، التدمرية ص ٦٩، وقد ذكر شيخ الإسلام في القاعدة الثانية أن لفظ الظاهر بعد ظهور الفرق أصبح من الألفاظ المجملة والمشتركة التي ينبغي التفصيل فيها، وذلك أن الظاهر في عرف السلف هو الظاهر اللائق بالنصوص، وأما الظاهر في عرف بعض الفرق فهو التمثيل والتشبيه أو نفي المعنى وعدم اعتقاد أنه يدل على معنى معلوم!! انظر: المجموع ٣/ ٢٠٧، ٦/ ٣٥٥، ٥/ ١٠٨، ١٣/ ٣٧٩، ٣٣/ ١٧٥ ـ ١٨١، وانظر: الفتح ١٣/ ٤١٨.

(٣) انظر: درء التعارض ١/ ١٦، الفتاوى الكبرى ٥/ ١٥١، معارج القبول ١/ ٤٧٣.

(٤) انظر: اعتقاد أئمة السلف أهل الحديث ص ٢٢٠-٢٢١.

يعنون أن ذلك لمصلحة الجمهور ليس إلا، قال شيخ الإسلام رحمه الله عن الفلاسفة: «وهؤلاء يقولون: الأنبياء قصدوا بهذه الألفاظ ظواهرها، وقصدوا أن يفهم الجمهور منها هذه الظواهر، وإن كانت الظواهر في نفس الأمر كذبا وباطلا، ومخالفا للحق!!، فقصدوا إفهام الجمهور بالكذب والباطل للمصلحة»(١).

التنبيه الرابع: ذكر مثالين لوجوب إجراء النص على الظاهر اللائق به، لا على ما قد يفهمه بعض أهل البدع، فقد جاء في نصوص الوحي: إثبات الاستواء لله جل جلاله، في أكثر من آية وحديث، ويجب إجراء هذا النص على ظاهره، فلا يؤول، ولا يقال بمعنى باطني يخالف المعنى العربي الذي تدل عليه الكلمة، وتصان عن الظنون والأوهام الكاذبة، فالاستواء معناه: العلو والارتفاع والاستقرار، وهو على ظاهره من حيث الإثبات والإطلاق، مع القطع بأنه ليس ظاهره في حق الله تعالى مساويا لظاهره في حق المخلوقين، فالله جل جلاله استوى على عرشه استواء يليق به، لا على ما هو متصور في المخلوقين؛ فإن علو الخالق واستواؤه لائق به، وعلو المخلوق واستواؤه لائق به(٢).

مثال آخر: قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله في علم الله وقدرته: «فإن الله تعالى لما أخبر أنه بكل شيء عليم، وأنه على كل شيء قدير، واتفق أهل السنة وأئمة المسلمين على أن هذا على ظاهره، وأن ظاهر ذلك مراد، كان من المعلوم أنهم لم يريدوا بهذا الظاهر أن يكون علمه كعلمنا، وقدرته كقدرتنا، وكذلك لما اتفقوا على أنه حي حقيقة، عالم

---

(١) الدرء ١/ ٩، وانظر منه ١٠/ ٢٧١.

(٢) انظر: الفتاوى الكبرى ٥/ ١٥٢-١٥٣، المجموع ٣/ ١٦٧، وقد نقل شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله، كلام القرطبي في معنى الاستواء، حيث قال: «هذه مسألة الاستواء، وللعلماء فيه كلام - فذكر قول المتكلمين، ثم قال -: كان السلف الأول لا يقولون بنفي الجهة، ولا ينطقون بذلك، بل نطقوا هم والكافة بإثباتها لله، كما نطق به كتابه، وأخبرت به رسله، قال: ولم ينكر أحد من السلف الصالح أنه استوى على عرشه حقيقة؛ وإنما جهلوا كيفية الاستواء؛ فإنه لا تعلم حقيقته، - ثم قال بعد أن حكى أربعة عشر قولا -: **وأظهر الأقوال ما تظاهرت عليه الآي والأخبار**، والفضلاء الأخيار: أن الله على عرشه، كما أخبر في كتابه، وعلى لسان نبيه بلا كيف، بائن من جميع خلقه، هذا مذهب السلف الصالح فيما نقله الثقات عنهم» (المجموع ٣/ ٢٢٤، وانظر: الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ٧/ ١٤٠-١٤١).

حقيقة، قادر حقيقة، لم يكن مرادهم أنه مثل المخلوق الذي هو حي عليم قدير»[1].

ولما كان المقصود بوجوب إجراء النصوص على ظاهرها، هو هذا الظاهر اللائق بها، بل الظاهر الذي فهمه الصحابة؛ فكان لا بد إذا من فهم النصوص على ضوء فهمهم، وهذا ما أجليه في المطلب الآتي.

(١) التدمرية ص٧٦.

المطلب الخامس: الاستعانة بفهم السلف الصالح في فهم القرآن.

إن فهم القرآن لا يجوز أن يكون بالظنون الكاذبة والأوهام المتخيلة، ولهذا كان متبعو السلف يجرون القرآن الكريم على حقيقته، وعلى ظاهره، ولا يقولون فيه بالتأويلات الكاذبة، ولا بالأقوال الباطنية الضالة، وذلك لأنهم يفهمون القرآن الكريم على ضوء فهم السلف الصالح من الصحابة ﷺ والتابعين.

ولا يلزم من فهم القرآن على ضوء فهمهم تعطيل فهومنا، ولكن المراد أن نفهم كفهمهم في المتنازع فيه، وأن لا تخالف فهومنا فهومهم، أما أن نفهم ما يوافق الأصول، ولا يخالف المنقول؛ فهذا فضل من الله يؤتيه من يشاء.

وإن السلف كانوا معاصرين لنزول الوحي، قريبي العهد به، مدركين لأسبابه، فهم أولى الناس بعلومه، وألصق الناس بمفهومه، لذا أوجب الله ﷻ علينا اتباعهم، وأمرنا بالسير على خطاهم.

وإنما أمرنا باتباع الصحابة لأنهم كانوا بعد النبي ﷺ «على نهجه المستقيم، وطريقه القويم، فجاءت كلماتهم كافية شافية، مختصرة نافعة، لقرب العهد، ومباشرة التلقي، ثم سلك آثارهم التابعون لهم بإحسان؛ فاقتفوا طريقهم، وركبوا منهاجهم، واهتدوا بهداهم، ودعوا إلى ما دعوا إليه، ومضوا على ما كانوا عليه»(١)، فإذا كان التابعون مع علمهم وجلالتهم لا يتعدون الصحابة، ولا يقصرون عنهم، فنحن في ذلك أولى وأجدر، كيف لا وقد «أجمع المسلمون على هدايتهم، ودرايتهم»(٢).

وكان من أساسيات المتبعين للسلف الأخذ بفهومهم لنصوص الشرع، خصوصا عند تعارض أقوال الناس، واختلاف نحلهم، ولأن الخير في اتباعهم، كما قال الشاعر:

---

(١) شفاء العليل ١/ ١٨، وانظر: نقض المنطق ص ٧١، ٧٩.

(٢) المجموع ٥/ ٦.

وكـن كما كان خيار الخلـــق حليف حلـم تـابعـا للحـق

فكل خير في اتباع من سلف وكـل شر في ابتداع من خلف...

فتابع الصالـــح ممن سلفـا وجـانـب البدعـة ممن خلفـا[١].

فتفسير القرآن[٢]، وفهم نصوصه يكون بما ورد عن النبي ﷺ وبما ورد عن أصحابه الكرام ﷺ، فإن لم نجد فعن التابعين ـ رحمهم الله ـ[٣].

فما جاء في الكتاب والسنة فلا بد من فهمهما، والتصديق بهما «كما كان عليه السابقون الأولون من المهاجرين والأنصار، والذين اتبعوهم بإحسان، الذين رضي الله عنهم، ورضوا عنه؛ فإن هؤلاء هم الذين تلقوا عنه القرآن والسنة، وكانوا يتلقون عنه ما في ذلك من العلم والعمل»[٤].

ومن فسر القرآن الكريم، والسنة المطهرة، «وتأوله على غير التفسير المعروف عن الصحابة ﷺ، والتابعين؛ فهو مفتر على الله ﷻ، ملحد في آيات الله، محرف للكلم عن مواضعه، وهذا فتح لباب الزندقة والإلحاد، وهو معلوم البطلان من دين الإسلام»[٥].

قال عمر بن عبد العزيز ﵀ حاثا على اتباع السلف، ومحذرا من الابتداع: «إياك وما أحدث المحدثون؛ فإنه لم تكن بدعة إلا وقد مضى قبلها ما هو دليل عليها،

---

(١) جوهرة التوحيد للقاني ص ١٨-١٩، ضمن مجموع أمهات المتون في مختلف الفنون والعلوم، جمع دار الفكر، وليته طبق هذا القول، لكنه سار على طريقة الخلف في كتابه!؟.

(٢) وقد ذكر العلماء الراسخون أن أفضل أنواع تفسير القرآن هو التفسير بالمأثور، وهو أن يفسر القرآن بالقرآن، وبالسنة، وبالآثار السلفية المروية، والنظر إلى اللغة العربية فيما لم يوجد من ذلك شيء. انظر: الانتصار ليحيى العمراني ٢/ ٣٧٥-٣٧٦، المجموع ١٣/ ٢٧-٢٩، ٣٦٣-٣٧٥، تفسير القرآن العظيم لابن كثير ١/ ٣-٥.

(٣) انظر: كشاف القناع ١/ ٤٣٤، مناهل العرفان ٢/ ٦٧.

(٤) المجموع ٥/ ١٥٦.

(٥) المجموع ١٣/ ٢٤٣، وانظر: ١٣/ ٣٦١، ١٥/ ٩٤، ١٦/ ٥١، وقال ﵀ في أهل البدع: «هؤلاء اعتقدوا رأيا، ثم حملوا ألفاظ القرآن عليه، وليس لهم سلف من الصحابة، والتابعين لهم بإحسان، ولا من أئمة المسلمين، لا في رأيهم، ولا في تفسيرهم» (المجموع ١٣/ ٣٥٨).

وعبرة منها، **فعليك بلزوم السنة**؛ فإنها لك بإذن الله عصمة، وإن السنة إنما سنها من قد علم ما جاء في خلافها من الخطأ، والزلل، والحمق، والتعمق.

وارض لنفسك بما رضي به القوم لأنفسهم؛ فإنهم عن علم وقفوا، وببصر ناقد كفوا، وَلَهُمْ على كشف الأمور كانوا أقوى، وبفضل ـ لو كان فيها ـ أحرى، إنهم لهم السابقون؛ فلئن كان الهدى ما أنتم عليه، فقد سبقتموهم إليه!!، وإن قلتم حدث حدث بعدهم، ما أحدثه إلا من اتبع غير سبيلهم، ورغب بنفسه عنهم[(١)].

ولقد تكلموا منه بما يكفي، ووصفوا منه ما يشفي؛ فما دونهم مقصر، ولا فوقهم محسر، لقد قصر دونهم أقوام؛ فجفوا، وطمح آخرون عنهم؛ فغلوا، وإنهم مع ذلك لعلى هدى مستقيم»[(٢)].

قال عباد بن عباد أبو عتبة الخواص ـ من أتباع التابعين[(٣)] ـ ﷺ: «اعقلوا والعقل نعمة، فرب ذي عقل قد شغل قلبه بالتعمق فيما هو عليه ضرر عن الانتفاع بما يحتاج إليه، حتى صار عن ذلك ساهيا، ومن فَضْلِ عقلِ المرء ترك النظر فيما لا نظر فيه، حتى يكون فضل عقله وبالا عليه في ترك مناقشة من هو دونه في الأعمال الصالحة، أو رجل شغل قلبه ببدعة، **قلد فيها دينه رجالا دون أصحاب رسول الله** ﷺ، أو اكتفى برأيه فيما لا يرى الهدى إلا فيها!!، ولا يرى الضلالة إلا تركها!!،

---

(١) انظر: نقض المنطق ص٢، فقد ذكر مثل هذه الكلمات المضيئات أيضا.

(٢) طبقات الحنابلة ١/ ٦٨-٦٩، وانظر: العين والأثر ص ١٠٩، وقد نقل مثله عن ابن الماجشون من تابعي التابعين، فقال ﷺ: «فارض لنفسك بما رضوا به لأنفسهم؛ فإنهم عن علم وقفوا، وببصر نافذ كفوا، ولهم كانوا على كشفها أقوى، وبتفصيلها لو كان فيها أحرى، وإنهم لهم السابقون، وقد بلغهم عن نبيهم ما يجري من الاختلاف بعد القرون الثلاثة؛ فلئن كان الهدى ما أنتم عليه لقد سبقتموهم إليه!!، ولئن قلت حدثَ حدثٌ بعدهم؛ فما أحدثه إلا من اتبع غير سبيلهم، ورغب بنفسه عنهم، واختار ما تحته فكره على ما تلقوه عن نبيهم، وتلقاه عنهم من تبعهم بإحسان، ولقد وصفوا منه ما يكفي، وتكلموا منه بما يشفي؛ فمن دونهم مقصر، ومن فوقهم مفرط، لقد قصر دونهم أناس فجفوا، وطمع آخرون فغلوا، وإنهم فيما بين ذلك لعلى هدى مستقيم» (نقله شيخ الإسلام ﷺ في نقض المنطق ص٦-٧].

(٣) وهو مشهور باسمه ونسبه، صدوق في رواية الحديث، روى له أبو داود. انظر: التقريب ص٢٣٣.

بزعم انه أخذها من القرآن!!، وهو يدعو إلى فراق القرآن!!، أفما كان للقرآن حَمَلَةٌ قبله، وقبل أصحابه يعملون بمحكمه، ويؤمنون بمتشابهه؟؟، وكانوا منه على منار أوضح الطريق، وكان القرآن إمامُ رسولِ الله ﷺ، وكان رسول الله ﷺ إماما لأصحابه، **وكان أصحابه أئمة لمن بعدهم: رجال معروفون، منسوبون في البلدان، متفقون في الرد على أصحاب الأهواء، ـ مع ما كان بينهم من الاختلاف**[(١)] ـ، وتسكعَّ أصحاب الأهواء برأيهم في سبل مختلفة، جائرة عن القصد، مفارقة للصراط المستقيم؛ فتوَّهت بهم أدلاؤهم في مهامه[(٢)] مضلة؛ فأمعنوا فيها متعسفين في هيآتهم، كلما أحدث لهم الشيطان بدعة في ضلالتهم انتقلوا منها إلى غيرها، **لأنهم لم يطلبوا أثر السالفين، ولم يقتدوا بالمهاجرين**،... عليكم بالقرآن فأتموا به، وأمُّوا به، **وعليكم بطلب أثر الماضين فيه**،...»[(٣)].

وقال أبو الحسن الأشعري ـ رحمه الله في طوره السلفي ـ: «قولنا الذي نقول به، وديننا الذي ندين الله به، التمسك بكتاب ربنا، وسنة نبينا، وما روي عن الصحابة، والتابعين، وأئمة الحديث، ونحن بذلك معتصمون...»[(٤)].

قال الحافظ ابن رجب رحمه الله في معرض شرحه، في باب ما يستر العورة ـ: «فإن النبي ﷺ قد يتكلم بكلام من كلام العرب يستعمله في معنى هو أخص من استعمال العرب، أو أعم منه، ويتلقى ذلك حملة شريعته من الصحابة، ثم يتلقاه عنهم التابعون، ويتلقاه عنهم أئمة العلماء؛ فلا يجوز تفسير ما ورد في الحديث المرفوع إلا بما قاله هؤلاء العلماء الذين تلقوا العلم عمن قبلهم، ولا يجوز الإعراض عن ذلك، والاعتماد على تفسير من يفسر ذلك اللفظ بمجرد ما يفهمه من لغة العرب.

وهذا أمر مهم جدا، ومن أهمله وقع في تحريف كثير من نصوص السنة، وحملَها على غير محاملها»[(٥)].

(١) أي: في المسائل العملية الفقهية، وأما المسائل الاعتقادية فلا خلاف بينهم فيها.

(٢) مأخوذ من (هام) يهيم، إذا خرج ولم يدر ما يقصد. انظر: المصباح المنير للفيومي ص ٦٤٥.

(٣) رواه عنه الدارمي بسنده في سننه، المقدمة، باب/ في رسالة عباد بن عباد الخواص الشامي، ح(٦٤٩).

(٤) الإبانة لأبي الحسن الأشعري ص٨، وانظر: العين والأثر ص ١١٠.

(٥) فتح الباري لابن رجب ٢/ ٣٩٩.

فهؤلاء السلف من الصحابة والتابعين ينبغي أن يفهم ما اختلف فيه من المسائل على ضوء فهمهم حتى يرتفع الخلاف، ويكثر أتباع الأسلاف، فمن بشعاع طريقهم تبصر، وباقتفاء منهجهم تميز، وبسلوك سبيلهم تحيز، كان على الحق الأبلج المميز.

فالسلف علمهم أتم وأحكم، وأسد وأبين وأسلم، فلهذا كله صار أئمة الهدى على دربهم، ومصابيح الدجى على طريقهم، وهم القوم لا يشقى جليسهم، ولا يخاف تابعهم، ولا يضل متبعهم، ولا يهتدي مخالفهم.

وكانوا أعظم الناس قياما بدين الله ﷻ، لا تأخذ أحدهم في الله لومة لائم، ولا يصدهم عن سبيل الله العظائم؛ بل يتكلم أحدهم بالحق الذي عليه، ويعتقد ويموت عليه، ويتكلم في أحب الناس من أجله، فأنى يكون أحد أهدى منهم، وهذا حالهم، وكيف يترك سبيلهم، وهذا وضوحهم[(١)].

وأما الأدلة على وجوب اتباعهم، والسير على منهاجهم، فهي كثيرة منها:

١- قول الله ﷻ: ﴿وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلۡهُدَىٰ وَيَتَّبِعۡ غَيۡرَ سَبِيلِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصۡلِهِۦ جَهَنَّمَۖ وَسَآءَتۡ مَصِيرًا﴾[النساء:١١٥]، قال الحافظ ابن كثير رحمه الله في تفسيرها: «أي: ومن سلك غير طريق الشريعة التي جاء بها الرسول ﷺ؛ فصار في شق، وذلك عن عمد منه، بعد ما ظهر له الحق، وتبين له، واتضح له ﴿وَيَتَّبِعۡ غَيۡرَ سَبِيلِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ هذا ملازم للصفة الأولى، ولكن قد تكون المخالفة لنص الشارع، وقد تكون لما اجتمعت عليه الأمة المحمدية؛ فيما علم اتفاقهم عليه تحقيقا؛ فإنه قد ضمنت لهم العصمة في اجتماعهم من الخطأ تشريفا لهم، وتعظيما لنبيهم...»[(٢)]؛ فالآية عطف مخالفة سبيل المؤمنين ـ وهم الصحابة ومن تبعهم ـ على مشاقة الرسول ﷺ، وهذا يدل على عظم شناعته، وقبح جنايته، ولهذا توعد على تلك المخالفة بالنار، وبئس القرار.

---

(١) انظر: المجموع ١/ ١٠، ١٣/ ٣٦٤.

(٢) تفسير القرآن العظيم لابن كثير ١/ ٥٥٤-٥٥٥.

٢- قال ﷻ: ﴿ فَإِنْ ءَامَنُوا۟ بِمِثْلِ مَآ ءَامَنتُم بِهِۦ فَقَدِ ٱهْتَدَوا۟ ۖ وَّإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنَّمَا هُمْ فِى شِقَاقٍ ۖ فَسَيَكْفِيكَهُمُ ٱللَّهُ ۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴾[البقرة:١٣٧] فالمراد من الإيمان المثلي: كإيمان الصحابة(١)، فلم يرض من مدعي الإيمان في زمن النبي ﷺ سواء كانوا كتابيين أو غيرهم، حتى يكون إيمانهم كإيمان الصحابة، ومعلوم أنه لا يمكن لمن بعدهم أن يتساووا معهم في كمية الإيمان؛ فلم يبق إلا أن المراد أن يكون الإيمان كالإيمان في الكيفية، وهو المنهج، والسبيل المذكور في آية النساء ـ والله أعلم ـ(٢).

٣- قال تعالى: ﴿ وَٱلسَّـٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَـٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَـٰنٍ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّـٰتٍ تَجْرِى تَحْتَهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ خَـٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴾[التوبة:١٠٠]، «فجعل التابعين لهم بإحسان مشاركين لهم فيما ذكر من الرضوان، والجنة، وقد قال تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنۢ بَعْدُ وَهَاجَرُوا۟ وَجَـٰهَدُوا۟ مَعَكُمْ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ مِنكُمْ ﴾[الأنفال:٧٥]...، وقال تعالى: ﴿ وَءَاخَرِينَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُوا۟ بِهِمْ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾[الجمعة:٣]، فمن اتبع السابقين الأولين كان منهم»(٣).

٤- قوله ﷻ: ﴿ لِلْفُقَرَآءِ ٱلْمُهَـٰجِرِينَ ٱلَّذِينَ أُخْرِجُوا۟ مِن دِيَـٰرِهِمْ وَأَمْوَٰلِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا وَيَنصُرُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّـٰدِقُونَ ۝٨ وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلْإِيمَـٰنَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِى صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّآ أُوتُوا۟ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ۚ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ۝٩ وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَـٰنِ وَلَا تَجْعَلْ فِى قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾[الحشر:٨-١٠] فلقب الصحابة المهاجرين بالصادقين، ونحن مأمورون بأن نكون مع الصادقين، قال تعالى: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَكُونُوا۟ مَعَ ٱلصَّـٰدِقِينَ ﴾[التوبة:١١٩]، وأخبر في آية

---

(١) انظر: زاد المسير لابن الجوزي ١/ ١٥٠.

(٢) انظر: تفسير القرآن ـ بالبشتو ـ لشيخنا أبي زكريا عبد السلام الرستمي ص ٢١.

(٣) المجموع ١٣/ ٢٣-٢٤.

الحشر بأن الأنصار من المفلحين، ومن الذي لا يريد أن يحشر مع المفلحين؟ ولا يرغب عن نهجهم إلا من ضل سعيه، فإذا وجب أن نكون مع الصادقين، الذين حسنت وصدقت أعمالهم، ومع المفلحين الذين زكت قلوبهم، فاجتمع فيهم طهارة الأعمال والقلوب؛ ونقاوة العلم والعمل، ومن كان تابعا لهم فإنه يكون ثانيًا عليهم، ساريًا على دربهم، داعيًا لهم بالخير، وإلا فإنه يخشى عليه أن يكون ممن وصفوا في الآيات التي بعدها، وهي في ذكر المنافقين والخاسرين، نسأل الله السلامة والمعافاة في الدنيا والدين.

٥- أن النبي ﷺ لم يأمر باتباع سنته فحسب، وإنما أمر باتباع سنة الخلفاء الراشدين رضي الله عنهم، فكيف إذا كان الصحابة مجتمعين يفهمون من النص أمرا معينا، أفيجوز بعد ذلك مخالفتهم؟ وقد أمرنا بسنة الخلفاء، فكيف بالصحابة جمعاء، قال ﷺ: [**فإنه من يعش منكم بعدي فسيرى اختلافا كثيرا؛ فعليكم بسنتي، وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي، عضوا عليها بالنواجذ، وإياكم ومحدثات الأمور؛ فإن كل بدعة ضلالة**][(١)].

٦- من الأدلة كونهم في خير القرون، وهم الذين شهد لهم الرسول ﷺ بالخيْرِيّة، فكيف لا يكونون أعلم الناس وأحكمهم وقد قال ـ عليه الصلاة والسلام ـ: [**خير الناس قرني...**][(٢)]، «ولهذا كانت معرفة أقوالهم في العلم، والدين، وأعمالهم خيرا...، فإنهم أفضل ممن بعدهم، كما دل عليه الكتاب، والسنة؛ فالاقتداء بهم خير من الاقتداء بمن بعدهم...، وذلك أن إجماعهم لا يكون إلا معصوما، وإذا تنازعوا فالحق لا يخرج عنهم؛ فيمكن طلب الحق في بعض أقاويلهم»[(٣)].

٧- من ذلك فعل الخلفاء الراشدين رضي الله عنهم، «فكان أبو بكر رضي الله عنه إذا ورد عليه

---

(١) سبق تخريج الحديث بلفظ: [عليكم بسنتي...] ص٣١٩.

(٢) روى نحوه البخاري كتاب الشهادات، باب/ لا يشهد على شهادة جور إذا شهد، ح(٢٦٥١) عن عمران بن حصين رضي الله عنه، ومسلم واللفظ له، كتاب فضائل الصحابة، باب/ فضل الصحابة الذين يلونه، ح(٢٥٣٣) عن ابن مسعود رضي الله عنه.

(٣) المجموع ١٣/ ٢٤.

الخصم نظر في كتاب الله؛ فإن وجد فيه ما يقضي به بينهم قضى به، وإن لم يكن في الكتاب، وعلم من رسول الله ﷺ في ذلك الأمر سنة قضى بها؛ فإن أعياه خرج فسأل المسلمين، وقال: أتاني كذا وكذا، فهل علمتم أن رسول الله ﷺ قضى في ذلك بقضاء؟ فربما اجتمع إليه النفر كلهم يذكر عن رسول الله ﷺ فيه قضاء، فيقول أبو بكر: الحمد لله الذي جعل فينا من يحفظ عن نبينا؛ فإن أعياه أن يجد فيه سنة عن رسول الله ﷺ جَمَع رؤوس الناس وخيارهم، فاستشارهم؛ فإن أجمع أمرهم على رأي قضى به، وكان عمر رضي الله عنه يفعل ذلك؛ فإن أعياه أن يجد في القرآن، والسنة، نظر هل كان لأبي بكر فيه قضاء؟ فإن وجد أبا بكر قضى فيه بقضاء قضى به، وإلا دعا رؤوس المسلمين؛ فإذا اجتمعوا على أمر قضى به»[(١)]، فهذا فيه اتباع أبي بكر وعمر رضي الله عنهما للكتاب والسنة، والأخذ عن الصحابة، وكان عمر يتبع قضايا أبي بكر رضي الله عنه لأنه سلف له، وروي عن عليّ رضي الله عنه أنه قال: [**فعليك أيها السائل بما دل عليه القرآن من صفته، وتقدمك فيه الرسل بينك وبين معرفته، فَأْتَمّ به، واستضئ بنور هدايته؛ فإنما هي نعمة وحكمة أوتيتها؛ فخذ ما أوتيت وكن من الشاكرين، وما كلفك الشيطان علمه مما ليس عليك في الكتاب فرضه، ولا في سنة النبي ﷺ، ولا عن أئمة الهدى أثره، فكِل علمه إلى الله سبحانه؛ فإنه منتهى حق الله عليك**][(٢)].

٨- احتج ابن عباس رضي الله عنهما بالمهاجرين والأنصار لما كان يناظر الخوارج؛ وهذا دليل على وجوب اتباعهم، وإلا فلماذا يحتج بهم أو يوردهم في معرض المناظرة من دون أن يكونوا حجة؟؟ قال رضي الله عنه: [**أتيتكم من عند المهاجرين والأنصار، ومن عند صهر رسول الله ﷺ، وعليهم نزل القرآن، وهم أعلم بتأويله منكم..، وليس فيكم منهم أحد، وهم أعلم بتأويله**][(٣)].

---

(١) ذكره السيوطي عن ميمون بن مهران رحمه الله، كما في تاريخ الخلفاء ص٤٣.

(٢) أورده ابن الوزير الصنعاني في إيثار الحق ص٩٣، ولم أجده بحسب بحث جهدي المقل عند غيره.

(٣) رواه عبد الرزاق في مصنفه، برقم(١٨٦٧٨)، والحاكم برقم(٢٦٥٦) وصححه، ووافقه الذهبي، وأورده ابن الجوزي بسنده في تلبيس إبليس ص١٠٣.

٩- أن عدم الفهم على ضوء فهمهم يورث الخطأ في الاستدلال، والخطأ في فهم الدليل، قال عروة رحمه الله: [**سألت عائشة رضي الله عنها؛ فقلت لها: أرأيت قول الله تعالى:** ﴿إِنَّ ٱلصَّفَا وَٱلْمَرْوَةَ مِن شَعَآئِرِ ٱللَّهِ فَمَنْ حَجَّ ٱلْبَيْتَ أَوِ ٱعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَن يَطَّوَّفَ بِهِمَا وَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا فَإِنَّ ٱللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ﴾[البقرة:١٥٨]، **فوالله ما على أحد جناح أن لا يطوف بالصفا والمروة**] فهذا فَهْمُه رحمه الله من الآية، «احتج للإباحة باقتصار الآية على رفع الجناح؛ فلو كان واجبا لما اكتفى بذلك، لأن رفع الإثم علامة المباح»[(١)]، فردت عليه عائشة رضي الله عنها قائلة: [**بئس ما قلت يا ابن أختي، إن هذه لو كانت كما أولتها عليه كانت لا جناح عليه أن لا يتطوف بهما، ولكنها أنزلت في الأنصار، كانوا قبل أن يسلموا يهلون لمناة الطاغية التي كانوا يعبدونها عند المشلل؛ فكان من أَهَلَّ يتحرج أن يطوف بالصفا والمروة؛ فلما أسلموا سألوا رسول الله ﷺ عن ذلك، قالوا: يا رسول الله، إنا كنا نتحرج أن نطوف بين الصفا والمروة. فأنزل الله تعالى:** ﴿إِنَّ ٱلصَّفَا وَٱلْمَرْوَةَ مِن شَعَآئِرِ﴾ ٱللَّهِ]، فخطأت فهمه بدليل سبب النزول، ثم بينت وجوب السعي بدليل السنة[(٢)]؛ فقالت: [**وقد سن رسول الله ﷺ الطواف بينهما؛ فليس لأحد أن يترك الطواف بينهما**][(٣)].

١٠- أنهم «نقلوا إلينا القرآن العظيم وأخبار رسول الله ﷺ نقل مصدق لها، مؤمن بها، قابل لها، غير مرتاب فيها، ولا شاك في صدق قائلها»[(٤)]، فإذا كان هذا حالهم؛ فهم أعلم منا بهذه النصوص.

١١- حرمان الحق يكون بسبب عدم اتباع طريقتهم، فالمشبهة والمعطلة «إنما

---

(١) الفتح ٣/ ٥٨٣.

(٢) وقد بوب لهذا البخاري فقال: باب/ وجوب الصفا والمروة، وجعل من شعائر الله. انظر: صحيح البخاري، كتاب الحج، باب (٧٩)، وقال ابن حجر رحمه الله: «ومحل جواب عائشة أن الآية ساكتة عن الوجوب وعدمه، مصرحة برفع الإثم عن الفاعل، وأما المباح فيحتاج إلى رفع الإثم عن التارك،... وأما الوجوب فيستفاد من دليل آخر، ولا يلزم من نفي الإثم عن الفاعل نفي الإثم عن التارك». الفتح ٣/ ٥٨٣.

(٣) رواه بطوله البخاري في صحيحه كتاب الحج، باب(٧٩)، ح(١٦٤٣).

(٤) نقض المنطق ص ٢.

أتوا من تعاطي علم ما لا يعلمون، ولو أنهم سلكوا مسالك السلف في الإيمان، بما ورد من غير تشبيه، لسلموا؛ فقد أجمعوا على أن طريقة السلف أسلم، ولكنهم ـ أي المعطلة والمشبهة ـ ادعوا أن طريقة الخلف أعلم!! فطلبوا العلم من غير مظانه، بل طلبوا علم ما لا يعلم؛ فتعارضت أنظارهم العقلية، وعارض بعضهم بعضا في الأدلة السمعية؛ فالمشبهة ينسبون خصومهم إلى رد آيات الصفات، ويدعون فيها ما ليس من التشبيه، والمعطلة ينسبون خصومهم وسائر أئمة الإسلام جميعا إلى التشبيه، ويدعون في تفسيره ما لا تقوم عليه حجة، والكل حرموا طريق الجمع بين الآيات والآثار، والاقتداء بالسلف الأخيار، والاقتصار على جليات الأبصار، وصحاح الآثار »[1].

وأما قول من يدعي أن السلف ـ في باب العقائد ـ طريقتهم أسلم فقط وأن طريقة الخلف أعلم وأحكم؛ فهذه فرية مكشوفة، وكذبة مفضوحة، رد عليها عدة من العلماء المتبعين لطريقة الأنبياء، والسالكين سبيل السلف الصلحاء، قال شيخ الإسلام رحمه الله: « ثم من المحال أيضا أن تكون القرون الفاضلة ـ القرن الذي بعث فيهم رسول الله ﷺ، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم ـ كانوا غير عالمين، ولا قائلين في هذا الباب بالحق المبين؛ فهذا لا يعتقده مسلم، ولا عاقل عرف حال القوم، ولا أن يعتقد أن الخلف أعلم من السلف، أو أن طريقة السلف أسلم، وطريقة الخلف أعلم، وأحكم!!!، ظنا أن طريقة السلف هي: مجرد الإيمان بألفاظ القرآن والحديث من غير فقه ذلك، وأن طريقة الخلف هي: استخراج معاني النصوص المصروفة عن حقائقها بأنواع المجازات وغرائب اللغات، فهذا الظن فاسدٌ أوجب تلك المقالة، وسبب ذلك اعتقادهم أنه ليس في نفس الأمر صفة دلت عليها النصوص؛ فلما اعتقدوا انتفاء الصفات في نفس الأمر وكان مع ذلك لا بد للنصوص من معنى بقوا مترددين بين الإيمان باللفظ وتفويض المعنى، وهي التي يسمونها طريقة السلف، وبين صرف اللفظ إلى معان بنوع تكلف، وهي التي يسمونها طريقة الخلف، وصار هذا الباطل مركبا من

---

(١) إيثار الحق ص ٩٣.

فساد العقل، والتكذيب بالسمع؛ فإن النفي إنما اعتمدوا فيه على أمور عقلية، ظنوها بينات، وهي شبهات، والسمع حرفوا فيه الكلم عن مواضعه؛ فلما انبنى أمرهم على هاتين المقدمتين، كانت النتيجة: استجهال السابقين الأولين، وأنهم لم يتبحروا في حقائق العلم بالله، ولم يتفطنوا لدقيق العلم الإلهي، وأن الخلف الفضلاء حازوا قصب السبق في هذا كله!!.

وهذا القول إذا تدبره الإنسان وجده في غاية الجهالة بمقدار السلف؛ فكيف يكون الخلف أعلم بالله وأسمائه وصفاته، وأحكم في باب ذاته وآياته من السابقين الأولين من المهاجرين والأنصار، والذين اتبعوهم بإحسان من ورثة الأنبياء، وأعلام الهدى الذين بهم قام الكتاب، وبه قاموا، وبهم نطق الكتاب، وبه نطقوا، الذين وهبهم الله من العلم والحكمة، وأحاطوا من حقائق المعارف، وبواطن الحقائق، بما لو جمعت حكمة غيرهم إليها لاستحيا من يطلب المقابلة».

ثم قال: «ولم يقل أحد منهم قط إن الله ليس على العرش، ولا إنه في كل مكان، ولا إنه لا داخل العالم، ولا خارجه!!، ولا متصلا به، ولا منفصلا عنه!!، ولا إنه لا تجوز الإشارة إليه!!.

فإن كان الحق فيما يقوله هؤلاء النافون للصفات الثابتة في الكتاب والسنة من هذه العبارات، ونحوها، دون ما يُفهم من الكتاب والسنة، إما نصا، وإما ظاهرا؛ فكيف يجوز على الله، ورسوله، ثم على خير الأمة: أنهم يتكلمون دائما بما هو نص، أو ظاهر في خلاف الحق، ثم الحق الذي يجب اعتقاده، لا يبوحون به قط، ولا يدلون عليه حتى جاء المتوغلون في علوم الفلاسفة؛ فبينوا للأمة العقيدة الصحيحة!!، ودفعوا بمقتضى عقولهم ما دل عليه الكتاب والسنة نصا أو ظاهرا!!؛ فإن كان الحق في قولهم، فلقد كان ترك الناس بلا كتاب ولا سنة أهدى لهم، وأنفع على هذا التقدير!!.

فإن حقيقة الأمر على ما يقوله هؤلاء: إنكم يا معشر العباد!! لا تطلبوا معرفة الله، وما يستحقه من الصفات، لا من الكتاب!!، ولا من السنة!!، ولا من طريق

سلف الأمة!!، ولكن انظروا أنتم فما وجدتموه مستحقا له من الصفات في عقولكم، فصفوه به، سواء كان موجودا في الكتاب، والسنة، أو لم يكن، وما لم تجدوه مستحقا له في عقولكم فلا تصفوه به!! »[(١)].

ومما يدل على أن طريقة السلف أسلم، وأعلم، وأحكم، أمور منها:

١- أن للسلف كلاما في جميع أبواب العقائد، هو من أوسط الكلام، ومن أسده، وكله موافق لنصوص الوحي، قال شيخ الإسلام ﷺ: «إن أهل العناية بعلم الرسول، العالمين بالقرآن وتفسير الرسول ﷺ والصحابة والتابعين لهم بإحسان، والعالمين بأخبار الرسول والصحابة والتابعين لهم بإحسان، عندهم من العلوم الضرورية بمقاصد الرسول ومراده ما لا يمكن دفعه عن قلوبهم، ولهذا كانوا كلهم متفقين على ذلك من غير تواطؤ، ولا تشاعر»[(٢)].

٢- أن السلف لم يقع منهم أي بدعة؛ والمتبعين لهم لم يتبعوا أي نحلة، وهذا دليل على صحة منهجهم، وسلامة معتقدهم، خصوصا أن انتحال السلف ليس من شعائر أهل البدع، بل لا يعتز إليهم إلا سلفي، ومن عظمهم فإنما ذلك بقدر ما قام به من السنة[(٣)].

٣- أن المؤلفات الكثيرة التي ألفت في أقاويلهم، ونقلت تعبيراتهم أكثر من أن تحصر، وفيها بيان لمعتقدهم السليم، المشتمل على العلم العميم، والإتقان الحكيم، ومن أهمها: اعتقاد أهل السنة للالكائي[(٤)]، السنة للخلال[(٥)]، الإبانة لابن بطة[(٦)]،

---

(١) نقله الشيخ مرعي الحنبلي في أقاويل الثقات ص٢٢٦-٢٢٨، وهو موجود بنحو من ألفاظه في المجموع ٥/ ٧-١٠، وانظر: المجموع ٤/ ١٥٧، درء التعارض ٥/ ٣٧٨-٣٧٩.

(٢) درء التعارض ١/ ١٥٩، وانظر: الفتاوى الكبرى ٥/ ١٤٢.

(٣) انظر: تلبيس إبليس ص ٢٩، المجموع ٤/ ١٥٦.

(٤) مطبوع بتحقيق الشيخ/ أحمد بن سعد حمدان، في السعودية.

(٥) وقد طبع بتحقيق: د/ عطية الزهراني، في السعودية.

(٦) وقد طبع عدة طبعات.

والسنة لابن أبي عاصم[١]، والأسماء والصفات للبيهقي[٢]، والتوحيد لابن خزيمة[٣]، وغيرها من الكتب المصنفة في السنة، والرد على أهل البدع والأهواء، وكتب الاعتقاد.

ولهذا فلا أحد يسلم من البدعة ولا يسلم له عقيدة إلا بأن يسلم كما أسلموا، وأن يفهم النصوص كما فهموا، ويترك علم ما لم يكلف، وهذا هو مسلك أئمة السنة[٤].

وأما إذا اختُلِف في أمر من أمور الشرع؛ فإن الواجب على العبد النظر في الدليل الشرعي، دون تحيز إلى فئة، وتمايز إلى نحلة، قال ابن أبي العز رحمه الله: «فالواجب على من طلب العلم النافع أن يحفظ كتاب الله، ويتدبره، وكذلك من السنة ما تيسر له، ويطلع منها ويتروى، ويأخذ معه من اللغة، والنحو ما يصلح به كلامه، ويستعين به على فهم الكتاب والسنة، وكلام السلف الصالح في معانيها، ثم ينظر في كلام عامة العلماء: الصحابة، ثم من بعدهم ما تيسر له من ذلك من غير تخصيص؛ فما أجمعوا عليه لا يتعداه، وما اختلفوا فيه: نظر في أدلتهم بغير هوى، ولا عصبية»[٥]، وهذا لا يدخل فيه العقائد؛ لأن العقائد لا اختلاف بينهم فيها البتة.

فالشاهد على المتخاصمين النظر في حال السلف الصالحين، وهل كانوا يفهمون هذه النصوص على هذا النحو أم لا؟؟ «هل كانوا آخذين فيها؟ أم كانوا تاركين لها، أو غافلين عنها؟!!، مع القطع بتحققهم بفهم القرآن، يشهد لهم بذلك النبي ﷺ، والجم الغفير؛ فلينظر امرؤ أين يضع قدمه؟»[٦].

وإذا حمل القرآن الكريم وفهم على ضوء فهم السلف الصالحين، علمنا أنهم لم

---

(١) وقد طبع بتحقيق وتخريج الشيخ الألباني.

(٢) وقد طبع مرات عدة.

(٣) وقد طبع مرات كثيرة.

(٤) انظر: إيثار الحق ص ١٢٢.

(٥) الإتباع له ص ٨٨، وانظر: الأم للشافعي ٧/ ٤٤، المجموع ٧/ ١١٦، ١٧/ ٣٥٣، ٣٢/ ٢٥٢.

(٦) الموافقات للشاطبي ٣/ ٣٧٦، بتصرف يسير.

يختلفوا في أمور العقيدة بهوى متبع، ولا برأي مبتدع[1]، فكانوا على الوحيين، محتجين بهما، مستضيئين بنورهما، فكان الكتاب والسنة كالشمس والقمر لهم، سواء في الاعتقاد، أو في غيرها من المسائل العلمية، أو العملية، وكون القرآن حجة في باب العقائد هذا ما أبينه في المبحث التالي.

(١) انظر: حراسة العقيدة ص ٥٧.

المبحث الثاني: حجية القرآن عند السلف

إن من المسلمات الشرعية، والضروريات الدينية عند كل مسلم، الإيمان بأن القرآن الكريم هو الكتاب المنـزل على نبينا محمد ﷺ، وأنه حجة الله على الخلق، في جميع ما يجب على المسلم اعتقاده، وما يجب عليه تطبيقه، واتباع تعاليمه في التشريع وشتى مجالات الحياة، وهذا ما أبينه في المطالب التالية.

المطلب الأول: الأدلة على حجية القرآن في العقائد.

لا شك أن الله ﷻ أنزل القرآن هداية للخلق، وإقامة للحجة عليهم بالحق، وكانت معجزات الأنبياء وقتيةً، ومعجزة خاتم الأنبياء باقية، وذلك لكونه خاتم الرسل؛ فكانت حجته وبرهانه باقيين، حتى لا يكون لأحد حجة على الله.

وهذا القرآن أخبر الله ﷻ أن فيه الهداية التامة، والنور الكامل الذي يستضاء به، وأن من تمسك به نجا وفاز، ومن تركه وأعرض عنه ضل وشقى، ومن أهم جوانب الهداية التي يشملها القرآن جانب العقيدة التي لم يترك الله تعالى فيها لنا مجالا للاجتهاد إلا في فهم نصوصها، وتدبر معانيها، واستخلاص دلالتها التي هي في غاية البيان والوضوح، وقد دل على ذلك أنواع من الأدلة، منها:

النوع الأول: الأدلة القرآنية نفسها، ومنها:

١- قول الله ﷻ: ﴿ قُلۡ إِنَّمَآ أُنذِرُكُم بِٱلۡوَحۡيِ ﴾[الأنبياء:٤٥]، وقال تعالى مخبرا عن نبيه محمد ﷺ: ﴿ وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانُ لِأُنذِرَكُم بِهِۦ وَمَنۢ بَلَغَ ﴾[الأنعام:١٩] فكل

من بلَغه القرآن فقد أنذره رسول الله ﷺ[(١)]، وهو الوحي الذي أمر أن ينذر به؛ ولو كانت الحجة غير قائمة به؛ فكيف ينذرهم بما لا تقوم به الحجة؟!.

٢- قال الله ﷻ: ﴿ٱلَّذِينَ جَعَلُواْ ٱلْقُرْءَانَ عِضِينَ﴾[الحجر:٩١] أي جعلوه مجزءا، منه ما هو سحر - بزعمهم - ومنه ما هو شعر، أو آمنوا ببعض، وكفروا ببعض[(٢)]، فمن ادعى أنه لا يحتج به في باب العقائد إلا إذا شهد له العقل فما آمن به.

٣- قال تعالى: ﴿أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ ٱلْكِتَٰبِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ ۚ فَمَا جَزَآءُ مَن يَفْعَلُ ذَٰلِكَ مِنكُمْ إِلَّا خِزْىٌ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يُرَدُّونَ إِلَىٰٓ أَشَدِّ ٱلْعَذَابِ ۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾[البقرة:٥٨] فإذا كان من آمن ببعض الكتاب، وكفر ببعض كاليهود والنصارى لم يكن إلا مخزيا في الدنيا، مجزيا بالعذاب الشديد يوم القيامة؛ فكذلك من تشبه بهم من هذه الأمة[(٣)].

٤- قال تعالى: ﴿وَأَنِ ٱحْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ وَٱحْذَرْهُمْ أَن يَفْتِنُوكَ عَنۢ بَعْضِ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ ۖ فَإِن تَوَلَّوْاْ فَٱعْلَمْ أَنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُصِيبَهُم بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْ ۗ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ لَفَٰسِقُونَ﴾[المائدة:٤٩] فالحكم أوجبه الله بالمنـزل، لا بالأهواء والمقالات، فكيف فيما يُعرِّف بالله، ويقرب إلى الله ﷻ ؟! لا شك أنه من باب أولى يكون بالمنـزل، وقال ﷻ : ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِى ٱلْأَمْرِ مِنكُمْ ۖ فَإِن تَنَٰزَعْتُمْ فِى شَىْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ۚ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلاً﴾[النساء:٥٩] فهذا دليل قاطع على أنه يجب حين التنازع، ردُّ الأمورِ كلها إلى الله والرسول، لا إلى أحد غير الله ورسوله؛ فمن أحال الرد إلى غيرهما - كالعقل، أو الذوق، أو الفلسفة - فقد ضاد أمر الله، ومن احتكم إلى غير الله ورسوله فقد دعا بدعوى

(١) انظر: الجواب الصحيح ١/ ٣٨٣، ٢/ ٢٣٩.

(٢) انظر: فتح القدير للشوكاني ٣/ ١٧٧.

(٣) انظر: الصفدية ٢/ ٢٤٦.

الجاهلية؛ فلا يدخل عبد في الإيمان حتى يرد كل متنازع إلى الله والرسول[١]، « وحسبك بهذه الآية القاصمة العاصمة بيانا وشفاء؛ فإنها قاصمة لظهور المخالفين لها، عاصمة للمتمسكين بها، المتمثلين لما أمرت به »[٢].

٥- قوله ﷻ: ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾[النساء:٦٥] فإذا كان لا يتم الإيمان إلا بالإذعان لما جاء به محمد ﷺ ولو في سنته، فكيف بالقرآن؟ لا شك أنه: « آكد مما قضى به رسول الله ﷺ، وأبعد من كل ريب، فمن استراب في شيء منه، فهو فيما سواه أعظم ريبا، ومن ولع بالنظر في دقائق الكلام المختلف فيها بين أهله، وأعرض عن التدبر لكتاب الله، والفرق بين نصوصه، وظواهره، وخصوصه، وعموماته من غير أن يحكم دليل ما قطع به، ويستوثق من صحته، ثم يسمع نصوص القرآن تخالف ما هو عليه، فيعتقد فيها من تمحل وجوه المجاز ما لا يصلح مثله في العربية »[٣].

٦- قال ﷻ: ﴿ لَوْ أَنزَلْنَا هَٰذَا الْقُرْآنَ عَلَىٰ جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُ خَاشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ اللَّهِ ۚ وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴾[الحشر:٢١] وقال: ﴿ وَلَوْ أَنَّ قُرْآنًا سُيِّرَتْ بِهِ الْجِبَالُ أَوْ قُطِّعَتْ بِهِ الْأَرْضُ أَوْ كُلِّمَ بِهِ الْمَوْتَىٰ ﴾[الرعد:٣١] فإذا كان هذا وصفه ونفعه وقدره، فكيف لا يستفاد منه في أصل الأصول؟؟ والاحتجاج به في الدلالة على الله ﷻ[٤]، ومن سمع آيات القرآن علم أنها إنما ضمنت الفلاح والهدى والنجاح لمن اتبعه، دون من خالفه، والآيات في ذلك كثيرة[٥].

٧- قال تعالى: ﴿ أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ۚ إِنَّ فِي

---

(١) انظر: الرسالة التبوكية ص١٣٣.
(٢) الرسالة التبوكية ص١٣٤، وانظر: المجموع ٥/ ٦.
(٣) ترجيح أساليب القرآن لابن الوزير اليماني ص ١١.
(٤) انظر: ترجيح أساليب القرآن على أساليب اليونان لابن الوزير اليماني ص ٩.
(٥) انظر: درء التعارض ٥/ ٣٧٤.

ذَٰلِكَ لَرَحْمَةً وَذِكْرَىٰ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾[العنكبوت:٥١] فهذه الآية وأمثالها الواردة بصيغة الاستفهام متضمن معنى الإنكار؛ فيها مبالغة واضحة في وضوح كفايته، ودلالته على وجوب الإيمان، ولا يماثله شيء، ولا يدانيه[(١)].

٨- قوله ﷻ: ﴿ وَلَقَدْ جِئْنَٰهُم بِكِتَٰبٍ فَصَّلْنَٰهُ عَلَىٰ عِلْمٍ هُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾[الأعراف:٥٢]، فأي كتاب أعظم تفصيلا منه، فيما يقرب إلى الله، ويباعد عن النار[(٢)].

٩- قوله ﷻ: ﴿ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّى هُدًى فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَاىَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ ﴿١٢٣﴾ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ أَعْمَىٰ ﴿١٢٤﴾ قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِىٓ أَعْمَىٰ وَقَدْ كُنتُ بَصِيرًا ﴿١٢٥﴾ قَالَ كَذَٰلِكَ أَتَتْكَ ءَايَٰتُنَا فَنَسِيتَهَا ۖ وَكَذَٰلِكَ ٱلْيَوْمَ تُنسَىٰ ﴾[طه:١٢٣-١٢٦] « فبين أن من اتبع الهدى الذي جاء من عنده...؛ فإنه لا يضل ولا يشقى، بل يكون من المهتدين المفلحين...؛ فأهل الهدى ـ الذي يتضمن العلم والسعادة ـ هم: المتبعون للكتاب المنزل »[(٣)].

١٠- قوله ﷻ مخبرا عن ندم أهل النار، الذين لم يؤمنوا بالمنزل على النبيين الأبرار: ﴿ تَكَادُ تَمَيَّزُ مِنَ ٱلْغَيْظِ ۖ كُلَّمَآ أُلْقِىَ فِيهَا فَوْجٌ سَأَلَهُمْ خَزَنَتُهَآ أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ ﴿٨﴾ قَالُوا۟ بَلَىٰ قَدْ جَآءَنَا نَذِيرٌ فَكَذَّبْنَا وَقُلْنَا مَا نَزَّلَ ٱللَّهُ مِن شَىْءٍ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا فِى ضَلَٰلٍ كَبِيرٍ ﴿٩﴾ وَقَالُوا۟ لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِىٓ أَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ﴿١٠﴾ فَٱعْتَرَفُوا۟ بِذَنۢبِهِمْ فَسُحْقًا لِّأَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ﴾[الملك:٨-١١] فمن ظن عدم اشتمال الكتاب والحكمة على بيان الشرع؛ فإنما هو ناقص في عقله وسمعه، وله نصيب من هذه الآية التي توعد بها الكافرين[(٤)].

النوع الثاني: الأدلة النبوية، فكل ما ثبت عنه ﷺ من الحث على اتباع كتاب الله ﷻ،

---

(١) ترجيح أساليب القرآن على أساليب اليونان لابن الوزير اليماني ص ١٠.

(٢) انظر: ترجيح أساليب القرآن على أساليب اليونان لابن الوزير اليماني ص ١١.

(٣) الصفدية ٢/ ٢٤٦.

(٤) انظر: المجموع ٣/ ٢٩٦، ١٧/ ٤١٦.

والأخذ به، فهو دليل على وجوب الصدور عن القرآن، وحجيته على الإطلاق، ومن ذلك:

١- قوله ﷺ: [**إني تارك فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا: كتاب الله**][١]؛ فلو كان القرآن لا يشتمل على الهداية التامة لما حصل به نفي الضلالة، فعلمنا أنه مشتمل على أصل الأصول، ومهمات الوصول، ولو لم يكن كذلك؛ «فهلا قال: من تمسك بالقرآن، أو بدلالة القرآن، أو بمفهوم القرآن، أو بظاهر القرآن في باب الاعتقاد: فهو ضال؟؟ وإنما الهدى رجوعكم إلى مقاييس عقولكم!! وما يحدثه المتكلمون منكم!! بعد القرون الثلاثة!!»[٢].

٢- قوله ﷺ: [**أما بعد: فإن خير الحديث كتاب الله**]؛ «فأحسن الحديث، وأصدقه كتاب الله: خبره أصدق الخبر، وبيانه أوضح البيان، وأمره أحكم الأمر»[٣].

٣- قوله ﷺ: [**القرآن حجة لك، أو عليك**]، ونحو ذلك من الأحاديث التي تدل على وجوب العمل بالكتاب.

النوع الثالث: دليل الإجماع، وهذه بعض الأقوال في ذلك:

١- إن متبعي السلف: «اتفقوا على أن أصول أحكام الشريعة: القرآن، والسنة، وإجماع السلف، وأكفروا من زعم من الرافضة أن لا حجة اليوم في القرآن... **فهذا بيان ما اتفق عليه أهل السنة**»[٤].

٢- قال ابن الوزير[٥] رحمه الله: «إجماع علماء الإسلام من جميع الطوائف على أن **القرآن يفيد ما ادعيت من معرفة أدلة التوحيد، من غير ظن، ولا تقليد**»[٦].

---

(١) سبق تخريجه ص ٥٧٣.

(٢) المجموع ٥/ ٢٠.

(٣) نقض المنطق ص ٧٢.

(٤) الفرق بين الفرق ص ٢٥٢.

(٥) هو الذاب عن السنة: محمد بن إبراهيم بن علي المرتضي بن الهادي بن يحيى الحسيني، المعروف بابن الوزير اليماني، تعلم بصنعاء ومكة، وبلغ الغاية في التصنيف، ومن مصنفاته: إيثار الحق على الخلق، القواصم في الذب عن سنة أبي القاسم، توفي سنة ٨٤٠هـ. انظر: معجم المؤلفين ٨/ ٢١٠.

(٦) ترجيح أساليب القرآن على أساليب اليونان لابن الوزير اليماني ص ١٥.

٣- قال الألوسي[١] رحمه الله: «اعلم أن مستند المسلمين في العقائد، ومرجعهم في أصول الدين وفروعه، إلى كتاب الله تعالى وسنة رسوله ﷺ، وإجماع من سلف من علماء الأمة»[٢]، وقال: «إن العمدة عند المسلمين في مسائل أصول الدين، وفروعه: على كتاب الله وسنة رسوله، وإجماع أهل العلم، ولا تذكر أقوال أهل العلم إلا تبعا، وبيانا...، وما خالف ذلك فهو مردود على قائله، ويلزمه أهل العلم بصريح الكتاب، والسنة، وإجماع الأمة»[٣].

النوع الرابع: أقوال علماء المسلمين: أما أقوالهم على التفصيل؛ فإن في ذكرها تطويلا، ويكفي اللبيب إشارة إلى ما استدل به السلف من آيات القرآن والسنة في كتبهم سواء في باب الصفات، أو غيرها من أمور التوحيد، والإيمان، والعبادات؛ فيحصل له العلم التام بأنهم لا يرون الاحتجاج إلا بالقرآن، والسنة النبوية، ومن هذه الأقوال السنية:

١- قال الإمام أحمد رحمه الله: «أصول الإسلام أربعة: دالٌّ، ودليلٌ، ومبيِّنٌ، ومستَدِلٌّ؛ فالدال هو الله، والدليل هو القرآن، والمبيِّن هو الرسول، والمستدل هم أولو العلم وأولوا الألباب الذين أجمع المسلمون على هدايتهم، ودرايتهم»[٤].

٢- قال القاضي أبو يعلى رحمه الله: «**والأدلة التي يدرك بها الحق خمسة أشياء**: كتاب الله عز وجل، وسنة رسوله ﷺ، وإجماع الأمة، وما استخرج من هذه النصوص، وبني عليها بطريق القياس والاجتهاد[٥]، وحجج

---

(١) هو العالم المؤرخ الأديب: محمود شكري بن عبد الله بن شهاب الدين محمود الألوسي الحسيني، أبو المعالي وهو حفيد صاحب التفسير، ولد ونشأ في بغداد، وأخذ العلم عن أبيه وآخرين، ودرس في المساجد، وحمل على أهل البدع، ورسائله كثيرة في نصرة السنة، منها: غاية الأماني في الرد على النبهاني، توفي سنة ١٣٤٢هـ. انظر: الأعلام ٧/ ١٧٢.

(٢) غاية الأماني في الرد على النبهاني ١/ ٥٥.

(٣) غاية الأماني في الرد على النبهاني ١/ ٥٥، ونقله من كلام الإمام العلامة الشيخ عبد اللطيف آل الشيخ رحمه الله.

(٤) نقله شيخ الإسلام رحمه الله في الاقتضاء ١/ ٢٤٨.

(٥) والقياس الذي يستعمل في باب التوحيد ـ فيما يتعلق بصفات الرب المجيد ـ هو قياس الأولى، وأما قياس التمثيل، والشمول فلا يستعمل في هذا الباب، عند أهل السنة من غير ارتياب. انظر: النقض ص١٥٨، ٢٠٠، المجموع ١٢/ ٣٤٤، ١٣/ ١٤.

العقول»[(١)] فانظر ـ بعين البصيرة ـ كيف جعل كتاب الله أولا، وحجج العقول آخرا.

٣- قال الرازي الأشعري: «أقر الكل بأنه لا يمكن أن يزاد في تقرير الدلائل على ما ورد في القرآن»[(٢)].

٤- قال شيخ الإسلام ﷺ: «الهدى والبيان والأدلة والبراهين في القرآن؛ فإن الله تعالى أرسل رسوله بالهدى ودين الحق، وأرسله بالآيات البينات؛ وهي الأدلة البينة الدالة على الحق»[(٣)].

٥- قال الإمام الشاطبي ﷺ: «لا بد في كل مسألة يراد تحصيل علمها على أكمل الوجوه: أن يلتفت إلى أصلها في القرآن؛ فإن وجدت منصوصا على عينها، أو ذكر نوعها، أو جنسها فذاك...، وأعلى مراجع المقطوع به: القرآن الكريم؛ فهو أول مرجوع إليه»[(٤)].

٦- قال ابن الوزير اليماني ﷺ مبينا حال الذين لا يحتجون بالقرآن بالحجج الواهية: «وإنما يستقبحون الظواهر بعقولهم؛ فيتكلفون لها معاني كثيرة يختلفون فيها، وكل منهم ينفرد بمعنى، ويأتي بمجرد احتمال، والكل من ذلك مما لم يستندوا فيه إلى شيء من السمع، وقد يكون مخالفا للمعلوم من الشرع؛ لأن تلك الآيات ظهرت على عهد رسول الله ﷺ، وعلم من المسلمين تلقيها بالقبول، ولم يخبر ﷺ، ولا أحد من أصحابه لها بتأويل، ولا نبه على ذلك مع ما في المسلمين من البله المحتاجين إلى البيان الذي لا يجوز تأخيره عن وقت الحاجة»[(٥)].

---

(١) المعتمد لأبي يعلى ص ٢٦.

(٢) هكذا ذكره هنا، في كتابه الأربعين، في الكلام على النبوات، كما نقله ابن الوزير في إيثار الحق ص٨٠، ولكن ليته عمل بمقتضاه، ولم يخالفه إلى القواعد المنطقية، المزعومة بأنها موازين عقلية!!. انظر: ترجيح أساليب القرآن على أساليب اليونان لابن الوزير اليماني ص ٢٠.

(٣) النبوات ٢/ ٦٣٩.

(٤) الموافقات للشاطبي ٣/ ٣٧٥.

(٥) ترجيح أساليب القرآن على أساليب اليونان لابن الوزير اليماني ص ١٢٥-١٢٦.

النوع الخامس: الأمثلة على اشتمال القرآن للأدلة العقائدية؛ معلومٌ أن إثبات شيء في الدين، سواء في المعتقد، أو غيره، لا يتوقف إلا على الشرع؛ فوجوب « تصديق كل مسلم بما أخبر الله ورسوله من صفاته، ليس موقوفا على أن يقوم دليل عقلي على تلك الصفة بعينها؛ فإنه يعلم بالاضطرار من دين الإسلام أن الرسول ﷺ إذا أخبرنا بشيء من صفات الله تعالى، وجب علينا التصديق به، وإن لم نعلم ثبوته بعقولنا »[(١)]، ومع هذا فإنه لم يأت شيء في الشرع إلا ودل عليه العقل بالتبع، قال شيخ الإسلام رحمه الله: « والقرآن يبين ما يستدل به العقل، ويرشد إليه، وينبه عليه، كما ذكر الله ذلك في غير موضع »[(٢)] وقد أرشد القرآن إلى الدلالات العقلية التي بها يعرف الحق من الباطل، وما يستحقه الرب الكامل، وهذه الدلالات العقلية كثيرة، ومنها:

١- من ذلك إرشاده إلى النظر في الاستدلال ـ للمرتاب ـ على الخالق جل جلاله[(٣)]، قال تعالى: ﴿ قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَـٰرَ وَمَن يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ وَمَن يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ ۚ فَسَيَقُولُونَ ٱللَّهُ ۚ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٣١﴾ فَذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمُ ٱلْحَقُّ ۖ فَمَاذَا بَعْدَ ٱلْحَقِّ إِلَّا ٱلضَّلَـٰلُ ۖ فَأَنَّىٰ تُصْرَفُونَ ﴾[يونس:٣١-٣٢] وغير ذلك من الآيات، التي ترشد إلى الله جل جلاله الخالق، وتبين أنه هو المعبود بحق، « وهي قريبة من خمسمائة آية، ينبغي للخلق أن يعرفوا جلال الله وعظمته، بقوله الصادق المعجز...؛ فإن الدلالات الشرعية الصادرة عن اللطيف الخبير، وعن رسوله البشير النذير ﷺ تقنع، وتسكن النفس، وتغرس في القلوب الاعتقادات الصحيحة الجازمة »[(٤)].

٢-وذكر الله جل جلاله الدليل على وحدانيته[(٥)]؛ فقال: ﴿ لَوْ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ

---

(١) الأصبهانية ١/ ٣٠.

(٢) التدمرية ص١٤٦-١٤٧، وانظر: الصفدية ١/ ٢٩٦، درء التعارض ١/ ١٩٩، الأصبهانية ٢/ ٣٩٧.

(٣) انظر: نقض المنطق ص٤٧، وانظر: النبوات ١/ ٢٩٢، في بيان ما ذكره شيخ الإسلام رحمه الله في أحسن الطرق التي دل عليها القرآن في الاستدلال على الخالق جل جلاله بخلق الإنسان.

(٤) ترجيح أساليب القرآن على أساليب اليونان لابن الوزير اليماني ص ٢١، وانظر منه: ص ٧٠.

(٥) انظر: التدمرية ص ١٤٧، المجموع ٣/ ٣٠٢، ترجيح أساليب القرآن على أساليب اليونان لابن الوزير اليماني ص ٢١.

لَفَسَدَتَا ۚ فَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ رَبِّ ٱلْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴾[الأنبياء:٢٢]، وقال: ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِى حَآجَّ إِبْرَٰهِـۧمَ فِى رَبِّهِۦٓ أَنْ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّىَ ٱلَّذِى يُحْىِۦ وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا۠ أُحْىِۦ وَأُمِيتُ ۖ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَأْتِى بِٱلشَّمْسِ مِنَ ٱلْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ ٱلْمَغْرِبِ فَبُهِتَ ٱلَّذِى كَفَرَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾[البقرة:٢٥٨] فدلت الآيات على أن المعبود بحق هو الله ﷻ الذي بيده تصاريف الأمور، ولو كان هناك من يستحق العبادة غيره، لكان خالقا، ولاختل ميزان السماوات والأرض؛ فلما لم يختل النظام في الكون، علم أن المعبود بحق هو الله ﷻ، المتصرف وحده.

٣- ومن ذلك الرد على منكري المعاد(١)، قال تعالى: ﴿ أَوَلَمْ يَرَ ٱلْإِنسَٰنُ أَنَّا خَلَقْنَٰهُ مِن نُّطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ ﴾[يس:٧٧]، إلى آخر الآيات من سورة يس، حيث ذكر شبهة المنكرين للبعث، والرد عليها بأحسن عبارة، وأدل دلالة(٢).

٤- ومن ذلك دلالته على إثبات الخالق ﷻ، وصفاته(٣)، قال تعالى: ﴿ أَفِى ٱللَّهِ شَكٌّ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾[إبراهيم:١٠]، وقال في الدلالة على وصفه ﷻ: ﴿ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٧٧﴾ ٱلَّذِى خَلَقَنِى فَهُوَ يَهْدِينِ ﴿٧٨﴾ وَٱلَّذِى هُوَ يُطْعِمُنِى وَيَسْقِينِ ﴿٧٩﴾ وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ ﴿٨٠﴾ وَٱلَّذِى يُمِيتُنِى ثُمَّ يُحْيِينِ ﴾[الشعراء:٧٧-٨١]، فكل ما أثبته الصفاتية(٤) من المتكلمين من صفات الله ﷻ بدلالة العقل ـ لا بالشرع!! ـ، دل عليها الشرع، وما لم يثبتوه مما ثبت بالشرع، يمكن إثباته بالعقل، إذ لا تنافي بين الشرع الثابت، والعقل

---

(١) انظر: التدمرية ص١٤٧.

(٢) انظر: المجموع ٣/ ٢٩٨، ترجيح أساليب القرآن على أساليب اليونان لابن الوزير اليماني ص ١٧.

(٣) انظر: المجموع ٣/ ٣٠١، الأصبهانية ٢/ ٣٧٩.

(٤) **الصفاتية اصطلاح المراد منه:** من أثبت الصفات، بغض النظر عن كونه أثبت كل الصفات، أو بعضها، وهل أثبتها على ما وردت من غير تشبيه، أم على ما فهموها، وهل أثبتوها لدلالة الشرع أم لدلالة العقل، فهذه أمور أخرى، يختلف فيها الصفاتية أنفسهم، والصفاتية هم: الكلابية، والأشاعرة، والماتريدية، والمشبهة الكرامية وغيرهم، وهؤلاء هم من أهل الكلام، وقد يضاف إليهم أهل السنة والأثر لأنهم يثبتون بغض النظر عن مخالفتهم لهم في أمور كثيرة في باب الصفات.

الثاقب، ولهذا ألف شيخ الإسلام رحمه الله كتابه الفذ "درء تعارض العقل والنقل" لبيان أنه لا تنافي بينهما.

٥- ومن ذلك دلالته على إثبات النبوة، والرد على منكريها[١]، قال جل جلاله: ﴿ وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُم مِّن دُونِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴿٢٣﴾ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا وَلَن تَفْعَلُوا فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ ﴾[البقرة:٢٣-٢٤]. وهذه أمثلة، وإلا فإن القرآن كله في الدلالة على التوحيد، إما تطابقا، أو تضمنا، أو التزاما؛ « فأدلة القرآن، والسنة مثل الغذاء ينتفع به كل إنسان، بل كالماء الذي ينتفع به الصبي، والرضيع، والرجل القوي، ولهذا كانت أدلة القرآن سائغة جلية، ألا ترى أن من قدر على الابتداء فهو على الإعادة أقدر...، وأن التدبير لا ينتظم في دار واحدة بمدبرين؛ فكيف ينتظم في جميع العالم؟؟ »[٢].

٦- ومن ذلك اشتمال القرآن على الأدلة الكاملة للرد على أهل البدع؛ فمن هذه الأدلة قوله جل جلاله: ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴾[الشورى:١١]؛ فقوله تعالى: ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ ﴾ رد بليغ على الممثلة، وقوله تعالى: ﴿ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴾ رد على أهل التعطيل بجميع فرقه[٣]؛ فالآية على جزالة لفظها، شملت معاني عظيمة، وقواعد كثيرة، يتضح أن القرآن مشتمل على جميع الدلالات الصحيحة النافعة، التي توصل إلى المطلوب سواء في التوحيد أو في غيرها؛ « فالواجب أن يجعل ما أنزله الله من الكتاب والحكمة ـ أي السنة ـ أصلا في جميع هذه الأمور، ثم يرد ما تكلم فيه الناس إلى ذلك »[٤].

٧- أن سورة واحدة من سور القرآن تشتمل على أصول الدين؛ فكيف بالقرآن كله؟ فهذه سورة البقرة « جمع فيها معالم الدين، وأصوله، وفروعه...، ذكر في أولها

---

(١) انظر: التدمرية ص ١٤٧، ترجيح أساليب القرآن على أساليب اليونان لابن الوزير اليماني ص ١٧.

(٢) ترجيح أساليب القرآن على أساليب اليونان لابن الوزير اليماني ص ٢١-٢٢.

(٣) انظر: الصفدية ١/ ١٠٣.

(٤) المجموع ١٧/ ٣٠٦.

أصناف الخلق، وهم ثلاثة: مؤمن، وكافر، ومنافق، أخذ بعد ذلك يقرر أصول الدين، فقرر هذه الأصول الثلاثة: الإيمان بالله، ثم الرسالة، ثم اليوم الآخر...»[(١)]، وفيها أركان الإيمان، والمسائل التي تكمل الإيمان: من الصلاة، والزكاة، والصوم، والحج، وغيرها، فهذه السورة سورة جامعة لأحكام الدين علما وعملا.

فالقرآن احتوى من الدلائل العقلية، والإرشادات القطعية في المسائل العقدية، ما لم يحويه كتاب؛ «ففي القرآن من المحاسن التي تقتضيها القواعد الشرعية الكثير، يشهد بها شاهد الاعتبار، ويصححها نصوص الآيات والأخبار، ...وذلك أنه محتو من العلوم على **ثلاثة أجناس هي المقصود الأول؛ أحدها**: معرفة المتوجَّه إليه، وهو الله المعبود ﷻ، **والثاني**: معرفة كيفية التوجه إليه، **والثالث**: معرفة مآل العبد»[(٢)].

النوع السادس: الأدلة العقلية؛ ومنها:

١ - أن الله ﷻ إنما أرسل الرسل ليبلغوا لنا الدين، فإذا كان ما معهم لا يفي في مسائل الدين؛ ولا يُشفي في معرفة رب العالمين فهذا يعني أنهم لم يأتوا لهداية البشر، حتى جاء أصحاب زبالات أفكار اليونان، وفلسفة أهل الهند وغيرهم من البلدان، فأكملوا الهداية للناس!!، وهذا معلوم بطلانه عقلا ونقلا؛ فثبت أن ما جاء به الرسل فيه الهداية التامة، قال تعالى: ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ ﴾[التوبة:٣٣، الصف:٩]، وقال: ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا ﴾[الفتح:٢٨] فرسولنا ﷺ «قد أرسل بالبينات والهدى، بين الأحكام الخبرية والطلبية، وأدلتها الدالة عليها، بين المسائل والوسائل، بين الدين، ما يقال، وما يعمل، وبين أصوله التي بها يعلم أنه دين حق، وهذا المعنى قد ذكره الله تعالى في غير موضع، وبين أنه أرسل رسوله

(١) الأصبهانية ٢/ ٦٣٠.

(٢) الموافقات للشاطبي ٣/ ٣٧٩-٣٨٠.

بالهدى، ودين الحق ليظهره على الدين كله...، والهدى: هو هدي الخلق إلى الحق، وتعريفه ذلك، وإرشادهم إليه؛ وهذا لا يكون إلا بذكر الأدلة، والآيات الدالة على أن هذا هدى...، وهو سبحانه إذا ذكر الأنبياء؛ نبينا وغيره، ذكر أنه أرسلهم بالبينات؛ وهي الأدلة، والبراهين البينة، المعلومة علما يقينيا، إذ كان كل دليل لا بد أن ينتهي إلى مقدمات بينة بنفسها، قد تسمى: بديهيات[(١)]، وقد تسمى ضروريات[(٢)]، وقد تسمى أوليات، وقد يقال: هي معلومة بأنفسها؛ فالرسل ـ صلوات الله عليهم ـ بعثوا بالآيات البينات»[(٣)]، وقد أخبر الله ﷻ في غير موضع من كتابه أنه أرسل رسوله تاليا للكتاب، وجعل حجته ما نزل؛ فقال: ﴿لَقَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولاً مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُواْ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَـٰلٍ مُّبِينٍ﴾[آل عمران:١٦٤] «فتلاوة الآيات يحصل بها العلم؛ فإن الآيات هي العلامات، والدلالات؛ فإذا سمعوها دلتهم على المطلوب»[(٤)].

٢- أن كفار قريش ـ وغيرهم ـ قامت عليهم حجج الرسالة بالقرآن، وفيه المسائل العقدية، ويأتيهم الجواب بكلام رب البرية، ولا يقول أحد منهم: إن هذا لا يصلح به الاحتجاج في الأمور العقدية، ونريد الدلائل المنطقية، أو الأصول الفلسفية، أو المنامات المرئية، أو الأذواق الوجدية، ولو كان ما ذهب إليه الذين لا يحتجون بالقرآن في المسائل الاعتقادية لكان الكفار أسبق إليه منهم، فـ «لم يزل رسول الله ﷺ يحتج عليهم بالقرآن، ويجعله العلم لنبوته، والدليل على صدقه، ويتحداه في موطن بعد

---

(١) البديهي أو البديهيات: هو الأمر الذي لا يتوقف معرفته على نظر وكسب، سواء كان فكرا أو تجربة أو عملا، وعلى هذا فهو قد يرادف الضروري. انظر: التعريفات ص ٤٣، ويمكن أن يقال: البديهيات: هي الأمور التي تكون معلومة دون توسط أمر آخر.

(٢) الضروريات هي الأمور التي يجد المرء ضرورة من غير كسب، ككون النار محرقة، والضرورية أنواع، انظرها في التعريفات ص ١٣٧.

(٣) النبوات ٢/ ٦٥٠-٦٥٢، وانظر ما بعدها من الصفحات، و المجموع ٥/ ١١٨.

(٤) النبوات ٢/ ٦٧١.

موطن... ولم يحك الله تعالى عنهم، ولا بلغنا في شيء من الروايات، أنهم جدبوه[١] من الجهة التي جدبه منها الطاعنون»[٢].

٣- ثم القرآن نقل إلينا متواترا، فثبت به العلم قطعا، ولما ثبت ـ بالتواتر ـ أنه كلام الله، ثبت أنه حجة موجبة للعلم قطعا، لعلمنا يقينا أن كلام الله لا يكون إلا حجة،[٣] «ومعلوم أن النقل المتواتر يفيد العلم اليقيني؛ سواء كان التواتر لفظيا، أو معنويا...، فمن ادعى في كلام الله ورسوله خلاف ما عليه أهل الإيمان، كان قوله أظهر بطلانا وفسادا؛ لأن هذا معصوم محفوظ»[٤]، والمنقول: إما لفظ، أو معنى، وألفاظ القرآن متواترة، وكذلك من السنة ما هو متواتر، ومعاني القرآن والسنة منها ما هو متواتر عند العامة والخاصة، ومنها: ما هو متواتر عند الخاصة[٥].

٤- أن كونه محفوظا، ليرجع إليه عند التخاصم، وتبقى حجة أبد الدهر في مسائل الشرع مطلقا، وقد هيأ الله أسباب حفظه، فـ «هذه الشريعة المباركة معصومة، كما أن صاحبها ﷺ معصوم، وكما كانت أمته فيما اجتمعت عليه معصومة، ويتبين ذلك بوجهين؛ **الأول**: الأدلة الدالة على ذلك تصريحا وتلويحا، كقوله تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَـٰفِظُونَ﴾[الحجر:٩]...، فأخبر أنه يحفظ آياته، ويحكمها حتى لا يخالطها غيرها، ولا يداخلها التغيير والتبديل...، **والثاني**: الاعتبار الوجودي الواقع من زمن النبي ﷺ إلى الآن، وذلك أن الله ﷻ وفر دواعي الأمة للذب عن الشريعة، والمناضلة عنها بحسب الجملة، والتفصيل، أما القرآن الكريم؛ فقد قيض الله له حفظة بحيث لو زيد فيه حرف واحد لأخرجه آلاف من الأطفال الأصاغر؛ فضلا عن القراء الأكابر؛ وهكذا

---

(١) أي عابوه، كما في اللسان ١/ ٢٤٩.

(٢) تأويل مشكل القرآن لابن قتيبة ص ٢٣.

(٣) انظر: أصول السرخسي ص٢٧٧-٢٧٩، المستصفى للغزالي ص ١١٥، وانظر: ترجيح أساليب القرآن على أساليب اليونان لابن الوزير اليماني ص ١٣.

(٤) درء التعارض ١/ ١٩٥-١٩٦.

(٥) انظر: درء التعارض ١/ ١٩٦-١٩٧.

جرى الأمر في جملة الشريعة؛ فقيض الله لكل علم رجالا حفظه على أيديهم»[١].

٥- أن الله ﷻ «أعلم بنفسه، وبغيره، وأصدق قيلا، وأحسن حديثا من خلقه، ثم رسله صادقون مصدقون»[٢]، «فإذا كان الله ﷻ أعلم بنفسه، وبغيره، وكان أصدق قولا، وأحسن حديثا من خلقه، وكان رسله ـ عليهم الصلاة والسلام ـ صادقين في كل ما يخبرون به عنه، والواسطة بينهم وبين الله ـ التي تأتيهم بالوحي من عنده ـ واسطة صادقة، من ملائكته الكرام، وجب التعويل إذا على ما قاله الله، ورسله...»[٣].

٦- ثبت بالدليل الشرعي تفضيل خير القرون على من بعدهم، وهم كانوا يأخذون أصول دينهم، وما به يتقربون إلى ربهم، من كتاب الله ﷻ، وسنة رسوله ﷺ، فعلم عقلا أن الوحي لو لم يكن حجة في ذلك، لما سلك ذلك خير القرون؛ «فطريقة السلف، والأئمة الموافقة للطرق التي دل القرآن عليها، وأرشدهم إليها، هي: أكمل الطرق، وأصحها، وأكثر الناس صوابا في العقليات أقربهم إليه، كما أن أكثرهم صوابا في السمعيات أقربهم إليهم»[٤] «فهم صفوة الأمة، وخيارها المتبعون للرسول علما وعملا، يدعون إلى النظر والاستدلال، والاعتبار بالآيات والأدلة والبراهين التي بعث الله بها رسوله، وتدبر القرآن، وما فيه من البيان»[٥]، ولم يقل أحد من السلف ـ وهذا وصفهم من العلم، والعمل، والإرادة ـ أن المسائل العقدية لا تستفاد من القرآن الكريم.

٧- أنه ثبت في الشرع كمال الدين؛ ويلزم هذا عقلا الاستسلام له؛ فإن قيل: إنه محتاج إلى الأدلة والبراهين التي وضعتها العقول اليونانية، والفلسفات الهندية؛ فإن هذا يعني عدم كمال الدين، و«من زاد فقد زعم أن الشريعة ناقصة؛ فهو يكملها بزيادته، وهذا من الجرأة على الله، وعلى ما شرعه»[٦].

---

(١) الموافقات للشاطبي ٢/ ٥٨-٥٩.

(٢) العقيدة الواسطية ص ٢١ المطبوع بهامش شرح الواسطية للشيخ محمد خليل هراس رحمه الله.

(٣) شرح الواسطية للشيخ صالح الفوزان ص ١٥.

(٤) الأصبهانية ٢/ ٤٠٨.

(٥) الاقتضاء ١/ ٢٩١.

(٦) من عبارات الأمير الصالح نور الدين زنكي، كما نقلها ابن كثير في البداية والنهاية ١٢/ ٨٠٥.

٨- أن الشرع الواجب في مسائل الاعتقاد لا يختلف فيه من زمن إلى زمن، ولهذا كان دين الأنبياء في المعتقدات واحدًا، وفي الشرائع مختلفًا، فكيف يقال بعد ذلك: إن هناك مسائل لم يجليها الشارع؟؟ مع أنه أوضح أمورا هي من المستحبات كالسواك، وآداب قضاء الحاجة، «والعقائد أولى بذلك؛ لأنه لا يجوز أن يتجدد فيها للخلف ما لم يكن واجبا على السلف، بخلاف الفروع، فقد تجدد الحوادث، ويقع للمتأخر فيها ما لم يقع للمتقدم»[(١)]؛ فالدين قد كمل، ولم يبق لقائل مقولا، فقبض الله نبيه إليه وقد بانت الحجة، ووضحت المحجة، واشتد أس الدين، وقوي عضده[(٢)]؛ فلا يعقل أن يبين ما لا يتجدد باختلاف الأزمنة والأمكنة، مثل العقائد، ويبين مسائل الفقه بالتفصيل:

ما باله حتى السواك أبانه   وقواعد الإسلام لم تتقرر!!.[(٣)]

٩- احتجاج العلماء به، وإنكارهم على الذين لا يرون الاحتجاج بالقرآن، فـ «من ترك العمل بآية، أو بكلمة من القرآن مما يجب العمل به، أو ترك قراءتها تكبرا كفر، ومن ترك عجزا أو كسلا أو ضعفا مع اعتقاد تعظيمه؛ فلا إثم عليه، أي بترك القراءة، ولكنه محروم»[(٤)].

١٠- النظر المفيد للعلم، إنما يكون في الدليل الهادي، وهو الوحي المعصوم، «والدليل الهادي ـ على العموم والإطلاق ـ هو كتاب الله، وسنة نبيه؛ فإن الذي جاءت به الشريعة... هو ما يفيد وينفع، ويُحصِّل الهدى، وهو بذكر الله، وما نزل من الحق»[(٥)].

١١- أن من قرأ القرآن الكريم من العرب؛ فهم يفهمونه، وأما العجم فيُفَهمون، وهو سهل ميسر لكل من عرف العربية، أو ترجم له[(٦)]، وأما هذه العلوم

---

(١) إيثار الحق ص ١٠٩.

(٢) انظر: الموافقات للشاطبي ٣/ ٣٧٨.

(٣) ذكره ابن الوزير اليماني كتابه إيثار الحق ص ١٠٩، نقلا عن السيد الإمام يحيى بن منصور الهاروي المفصلي.

(٤) تحفة الأحوذي ٨/ ٢١٩، نقله عن الطيبي شارح المشكاة، وانظر: ترجيح أساليب القرآن على أساليب اليونان لابن الوزير اليماني ص ١٤.

(٥) نقض المنطق ص ٣٣، بشيء من التصرف، وانظر: المجموع ٣/ ٣٠٣.

(٦) انظر: الجواب الصحيح ٢/ ٦٦.

المنطقية، والأصول الفلسفية، والرياضات المعقدة البدعية؛ فهي صعبة على المختصين بها، فكيف بعامة الخلق؛ فكيف لا تكون الحجة قائمة على الخلق في أصول الدين بالميسر على المسلمين، وتقوم الحجة عليهم بعد ذلك بما هو من أعسر العلوم حتى على أبنائها المنتمين إليها!!.

وبهذا يتبين حتى من الناحية العقلية أن « طريقة القرآن جاءت في أصول الدين وفروعه في الدلائل والمسائل بأكمل المناهج »[١].

النوع السابع: ذكر شبهة والجواب عنها، قالوا: إن القرآن فيه من المتشابهات، خصوصا في مسائل الاعتقادات؛ فكيف يحتج به في المعقولات؟؟ قال ابن قتيبة رحمه الله: « وقد اعترض كتابَ الله بالطعن ملحدون، ولغوا فيه، وهجروا، واتبعوا: ﴿ مَا تَشَـٰبَهَ مِنْهُ ٱبْتِغَآءَ ٱلْفِتْنَةِ وَٱبْتِغَآءَ تَأْوِيلِهِ ﴾[آل عمران:٧]، بأفهام كليلة، وأبصار عليلة، ونظر مدخول؛ فحرفوا الكلام عن مواضعه، وعدلوه عن سبله »[٢].

والجواب عن هذا من أوجه:

١- قولهم: إنه في كثير من المسائل العقدية من المتشابهات، فقول من لا يوقر القرآن، ولم يعرف ماذا يقول في كلام المنان، ويكفي فسادا من يحتج بغير القرآن، ويجعل القرآن تبعا، ويؤولها على حسب مذهبه، أن يقال له: أي هذه التأويلات التي ذكرتموها هي المرادة؟ أهي تأويلات المشبهة، أم تأويلات الجهمية أم تأويلات المعتزلة أم تأويلات غيرهم، أم تأويلات الباطنية؟؟؛ « فيا ليت شعري: بأي عقل يوزن الكتاب والسنة؟؟ »[٣]، ومن أوضح الأمثلة على بطلان القول بالتأويل بحجة المتشابه ما ذكره ابن رشد الفيلسوف، حيث قال: « ومثال من أول شيئا من الشرع، وزعم أن ما أوله هو ما قصد الشرع، وصرح بذلك التأويل للجمهور[٤] - أي عوام

---

(١) المجموع ٢/ ٨.

(٢) تأويل مشكل القرآن لابن قتيبة ص ٢٢.

(٣) أقاويل الثقات ص ٢٣٥، نقلا من كلام شيخ الإسلام رحمه الله.

(٤) وابن رشد وإن كان ينكر هنا التأويل بحجة التشابه، إلا أن إنكاره ليس مطلقا، بل إنما ينكر لأجل أنه لا =

الناس ـ مثال من أتى إلى دواء قد ركبه طبيب ماهر، ليحفظ صحة جميع الناس، أو الأكثر!!؛ فجاء رجل فلم يلائمه ذلك الدواء المركب الأعظم، لرداءة مزاجٍ كان به ليس يعرض إلا للأقل من الناس؛ فزعم أن بعض تلك الأدوية الذي صرح باسمه الطبيب الأول في ذلك الدواء العام المنفعة المركب لم يرد به ذلك الذي جرت العادة في اللسان أن يدل بذلك الاسم عليه، وإنما أريد به دواء آخر مما يمكن أن يدل عليه بذلك باستعارة بعيدة؛ فأزال ذلك الدواء الأول من ذلك المركب الأعظم، وجعل فيه بدل الدواء الذي ظن أنه الذي قصده الطبيب، وقال للناس: هذا هو الذي قصده الطبيب الأول؛ فاستعمل الناس ذلك الدواء المركب على الوجه الذي تأوله عليه المتأول؛ ففسدت به أمزجة كثير من الناس؛ فجاء آخرون شعروا بفساد أمزجة الناس من ذلك الدواء المركب فراموا إصلاحه بأن أبدلوا بعض أدويته بدواء آخر غير الدواء الأول؛ فعرض من ذلك للناس نوع من المرض غير النوع الأول؛ فجاء ثالث؛ فتأول في أدوية ذلك المركب غير التأويل الأول، والثاني، فعرض للناس من ذلك نوع ثالث من المرض غير النوعين المتقدمين؛ فجاء متأول رابع... حتى فسدت المنفعة المقصودة بذلك الدواء المركب في حق أكثر الناس، وهذه هي حال الفرقة الحادثة في هذه الطريقة مع الشريعة، وذلك أن كل فرقة منهم تأولت في الشريعة تأويلا غير التأويل الذي تأولته الفرقة الأخرى، وزعمت أنه الذي قصده الشرع حتى تمزق كل ممزق، وبعد جدا عن الموضوع الأول»[1].

٢- إن ما ذكرتموه من التشابه بحجة ترك الكتاب، وعدم اعتماده في المعتقدات، ناشئٌ من عدم معرفتكم بالمتشابه الوارد في القرآن الكريم، وحتى يتجلى ذلك؛ فلا بد من بيانه؛ فالله ﷻ وصف القرآن بأنه كله محكم، وبأنه متشابه، وبأنه محكم ومتشابه،

=

يجوز إطلاع العوام على هذا التأويل، وإلا فهو الواجب في حق العلماء!!، ولهذا قيده بقيد الجمهور الذين في نظره يجب عليهم التوهمات، واعتقاد المتخيلات، وأما العلماء فيجب عليهم الحقائق العلمية التي تعرف بالتأويلات الفلسفية!!!.

(١) انظر: مناهج الأدلة ص ٨٩-٩٠.

وذلك باعتبارات ثلاثة:

الأول: وصف بأنه كله محكم، وذلك باعتبار إتقانه[١]: قال تعالى: ﴿ الٓر ۚ كِتَـٰبٌ أُحۡكِمَتۡ ءَايَـٰتُهُۥ ثُمَّ فُصِّلَتۡ مِن لَّدُنۡ حَكِيمٍ خَبِيرٍ﴾[هود:١]، وقال: ﴿ الٓر ۚ تِلۡكَ ءَايَـٰتُ ٱلۡكِتَـٰبِ ٱلۡحَكِيمِ﴾[يونس:١]؛ فالقرآن كله محكم باعتبار ضبطه، وإعجازه، ودلالته.

الثاني: وُصف بأنه كله متشابه، وذلك باعتبار توافقه، وتآلفه: وهذا لأن التشابه أصله مأخوذ من الشبه، وهو مشابهة اللفظ للفظ، والمعنى مختلف[٢]، قال الله ﷻ: ﴿ وَأُتُواْ بِهِۦ مُتَشَـٰبِهًا ﴾[البقرة:٢٥]، فالقرآن يشبه بعضه بعضا من حيث اللفظ والحروف، أو مشابهة بعض معانيه البعض، وليس بين بعضها البعض أي تنافر، ولا تضاد، قال تعالى: ﴿ ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحۡسَنَ ٱلۡحَدِيثِ كِتَـٰبًا مُّتَشَـٰبِهًا مَّثَانِىَ ﴾[الزمر:٢٣]؛ فأخبر أنه كله متشابه، وذلك لأنه لا اختلاف بين آياته وأحكامه، بل كله متناسب، يصدق بعضه بعضا، وهذا التشابه العام لا يخالف الإحكام العام؛ بل هو مؤكد لإحكامه؛ لأن ما كان متقنا حقا؛ فإنه لا اختلاف بينها، ولا تناقض[٣]، فالمتشابه يعلمه الراسخون في العلم بهذا الاعتبار[٤].

الثالث: وُصف بأنه محكم ومتشابه، وهذا باعتبار الإحكام الخاص، والتشابه الخاص؛ فالإحكام الخاص ضد التشابه الخاص؛ وهو مشابهة الشيء من وجه ومخالفته من وجه؛ فيشتبه على بعض الناس لهذا، والإحكام الخاص: هو الفصل بينهما بحيث لا يشتبه أحدهما بالآخر؛ فمن اهتدى للفرق بين المتشابهين: فقد حصل عنده علم في الوحيين؛ فيكون من الراسخين الذين علموا معنى المتشابه، ومن لم يعلم ذلك المعنى، واتبع ما ظنه بالهوى؛ فقد اتبع المتشابه الذي نهي عنه، قال ﷻ: ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَـٰبَ مِنۡهُ ءَايَـٰتٌ مُّحۡكَمَـٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلۡكِتَـٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَـٰبِهَـٰتٌ ۖ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى

(١) انظر: التدمرية ص ١٠٣.

(٢) انظر: تأويل مشكل القرآن لابن قتيبة ص ٨٩.

(٣) انظر: التدمرية ص ١٠٥.

(٤) تأويل مشكل القرآن لابن قتيبة ص ٨٩.

قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنْهُ ٱبْتِغَآءَ ٱلْفِتْنَةِ وَٱبْتِغَآءَ تَأْوِيلِهِۦ ۗ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ ۗ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا ۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ [آل عمران:٧]؛ فالقرآن فيه المحكم الخاص، والمتشابه الخاص، ومن اتبع المحكم الخاص وفهم به معنى المتشابه الخاص، فقد اهتدى، ومن اتبع المتشابه الخاص بالظن والهوى، تردى وأردى.

والمتشابه الخاص نسبي، وليس مطلقا؛ ولهذا فإن العلماء فسروا القرآن كله، ولم يقفوا عند آية ما ـ متفقين ـ على أن هذا مما لا يعلم معناه إلا الله؛ فليس في القرآن متشابه مطلق من حيث المعنى؛ **نعم** فيه المتشابه من حيث كيفيات صفات الله، وما تؤول إليه من الأخبار، سواء المغيبات المستقبلية، مما يكون يوم القيامة، أو مما في الآخرة، فمن رام البحث في هذا المتشابه، كان من المذمومين، وهذا علم لم نُكلفه[(١)].

فإذا كان الأمر كذلك؛ فكيف يقال: بعد ذلك؛ إن القرآن الكريم لا يصح الاستدلال به، لأجل أن فيه متشابها، نعم لا يجوز الخوض في كيفيات الصفات، وكيفيات المغيبات الآخروية، وهذا يجب ترك الخوض فيه، أما أن يترك ما دل عليه من المعاني التي فسرها الراسخون في العلم مما هو من المتشابه النسبي، ويترك القرآن من أجل ذلك؛ فهذا لا يفعله إلا من ذكر الله وصفه في القرآن[(٢)]، والذين حذرنا رسول الله ﷺ من اتباعهم[(٣)].

قال شيخ الإسلام رَحِمَهُ اللهُ: «فإن معنى الدلائل الكثيرة من الكتاب والسنة، وأقوال سلف الأمة: على أن جميع القرآن مما يمكن عمله، وفهمه، وتدبره، وهذا مما يجب القطع به، وليس معناه قاطعًا على أن الراسخين في العلم لا يعلمون تفسير

(١) انظر: التدمرية ص ١٠٥، وما بعدها.

(٢) انظر: التدمرية ص ١٠٦-١٠٧.

(٣) وذلك حيث قال ﷺ: **[إذا رأيتم الذين يتبعون ما تشابه منه؛ فأولئك الذين سماهم الله فاحذروهم]**.

المتشابه؛ فإن السلف قد قال كثير منهم: إنهم يعلمون تأويله»[(١)(٢)].

٣- أن اشتمال القرآن على المتشابهات النسبية، فيها حكم باهرة، ولو لم يكن من ذلك إلا ابتلاء المبتغين الفتنة لكفى بها حكمة، ومنها: حتى يعرف العالم من الجاهل، والمتتبع لمعاني القرآن من الغافل عنها، قال ابن قتيبة رحمه الله: «وإغماض بعض المعاني حتى لا يظهر عليها إلا اللَّقِن[(٣)]، وإظهار بعضها، وضرب الأمثال لما خفي، ولو كان القرآن كله ظاهرا، مكشوفا حتى يستوي في معرفته العالم والجاهل؛ لبطل التفاضل بين الناس، وسقطت المحنة، وماتت الخواطر»[(٤)]، قال الله عز وجل: ﴿وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَٰلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ ۖ وَمَا يَعْقِلُهَآ إِلَّا ٱلْعَٰلِمُونَ﴾[العنكبوت:٤٣].

٤- أن يقال: هب أن في القرآن من المتشابه الذي لا يعلم معناه!؛ فأين أنت من المحكمات، قال ابن الوزير اليماني رحمه الله:

تَنَـزَّه الربُّ في الذِّكر المنزَّل: أن ... يُحيط علما به خلق من البشر
تَمدحاً، لم يكن في الذكر مختلفا ... قطعا، ولا غلطا من وَهْنِ ذي نظر
فإن يقولوا: كلامَ الله مشتبِهَه ... فأين قولهم في محكم السور
وكل مشتبهٍ فالمحكمات له ... أُمٌّ، كما جاءنا في أصدق الخبر[(٥)].

قال ابن حزم رحمه الله: «ولما تبين بالبراهين والمعجزات أن القرآن هو عهد الله

---

(١) المجموع ١٧/ ٣٩٠، وانظر: الدرء ١/ ٢٠٧ وما بعدها، وقد نقله ابن الوزير اليماني في كتابه (ترجيح أساليب القرآن على أساليب اليونان) ص ١٢٤-١٢٩، وذكر أدلة من قال بأن الراسخين في العلم يعلمون التأويل من أوجه عدة، وذكر أدلة القائلين بأن الراسخين لا يعلمون التأويل كذلك من أوجه كثيرة.

(٢) وانظر حول المحكم والمتشابه ما يأتي من المراجع: درء التعارض ١/ ٢٧٤-٢٧٥، الجواب الصحيح ١/ ٣٧٧، الأصبهانية ١/ ١٠١، المجموع ١٣/ ١٤٤، ٢٧٢، ١٧/ ٣٩٠-٤١٦، إيثار الحق ص٨٦، أقاويل الثقات ص٥٠-٥٧، إرشاد الفحول ص ٦٤، التنبيه على المخالفات العقدية في الفتح ص ١١٨.

(٣) وفي اللسان ١٧/ ٢٥٧، (لقن): سريع الفهم.

(٤) تأويل مشكل القرآن لابن قتيبة ص٨٦.

(٥) ترجيح أساليب القرآن على أساليب اليونان لابن الوزير اليماني ص١١٤.

قال ابن حزم رحمه الله: «ولما تبين بالبراهين والمعجزات أن القرآن هو عهد الله إلينا، والذي ألزمنا الإقرار به، والعمل بما فيه، وصح بنقل الكافة الذي لا مجال للشّكّ فيه أن هذا القرآن هو المكتوب في المصاحف، المشهورة في الآفاق كلها، وجب الانقياد لما فيه؛ فكان هو الأصل المرجوع إليه»[1].

وأرجو بهذا أن يزداد المؤمن إيمانا بأن «في القرآن والحكمة النبوية عامة أصول الدين، من المسائل والدلائل: التي تستحق أن تكون أصول الدين»[2]، وأنه لا يؤخذ شيء من أمر الدين إلا من الشرع[3]، لا من أحد من العلماء، فضلا عن الزاعمين أنهم حكماء، أو أهل المنطق ولو كانوا بلغاء، ولا عن أهل التصوف ولو كانوا من الأولياء، وأنا لا نحتاج مع استغنائنا بالقرآن والسنة إلى ما سواهما، سواء في هذا الباب، أو في باب التشريع، وفي المطلب التالي أبين أن القرآن مصدر التشريع.

(١) الإحكام في أصول الأحكام لابن حزم ١/ ٩٤.

(٢) المجموع ٣/ ٣٠٣.

(٣) انظر: المجموع ٣/ ١٦١، ١٣/ ٣٠٥، ١٩/ ٥.

المطلب الثاني: كونه مصدر التشريع.

من تنـزيل القرآن منـزلته أن تؤخذ الأحكام منه، وأن تصدر عنه، ولهذا فإن السلف كانوا لا يصدرون إلا عن الوحيين، فالدين عندهم ما شرعه الله ﷻ، أو سنه رسول الله ﷺ، أو ما أجمع عليه المسلمون، أو ما يفهم من النصوص الشرعية معنى إذا لم يكن فيه نص ظاهر في المسألة.

فأصول الإسلام محصورة في «الكتاب، والسنة، والإجماع، والقياس»[(١)]، ويصح أن يقال: أصول الإسلام: الكتاب والسنة؛ وذلك لأن الإجماع إنما ينعقد على نص، أو معنى مستفاد من النص، والقياس إنما هو مستفاد من الشرع، إذا كان صحيحا مستوفيا لشروطه.

وهذا مستفاد من عمل الصحابة ﷺ: «فإن العلم قد حصل بالتواتر أنهم إذا وقعت عليهم حادثة شرعية، من حلال أو حرام؛ فزعوا إلى الاجتهاد، وابتدؤوا بكتاب الله تعالى؛ فإن وجدوا فيه نصا، أو ظاهرا تمسكوا به، وأجروا حكم الحادثة على مقتضاه، وإن لم يجدوا فيه نصا أو ظاهرا فزعوا إلى السنة، فإن روي لهم في ذلك خبر أخذوا به، ونزلوا على حكمه، وإن لم يجدوا الخبر فزعوا إلى الاجتهاد»[(٢)].

قال ابن الجوزي ﷺ «إن أصل العلوم: القرآن، والسنة»[(٣)].

وقال شيخ الإسلام ﷺ: «إن أصول الدين الذي بعث الله به رسوله محمدا ﷺ، قد بينها في القرآن أحسن بيان، وبين دلائل الربوبية والوحدانية، ودلائل أسماء الرب وصفاته، وبين دلائل نبوة أنبيائه، وبين المعاد، بين إمكانه، وقدرته عليه في غير موضع، وبين وقوعه بالأدلة السمعية والعقلية؛ فكان في بيان الله أصول الدين الحق؛

---

(١) الملل والنحل للشهرستاني ص ١٩٩.

(٢) الملل والنحل للشهرستاني ص ١٩٩.

(٣) تلبيس إبليس ص ٣٦٩، بشيء من التصرف.

وهو دين الله، وهي أصول ثابتة صحيحة معلومة؛ فتضمن بيان العلم النافع، والعمل الصالح»[(١)].

ويدل على أن القرآن الكريم مصدر التشريع في الدين أمور كثيرة، ودلائل غير يسيرة، وقد سبق وأن ذكرت من هذه الدلائل[(٢)] ما يغني عن الإعادة، وإنما أذكر هنا بعض المهمات، التي تزيد الأمر إيضاحا وبيانا، وهي:

١- أننا نفهم مراد الله ﷻ بما أنزله، وهذا قطعا لا يكون إلا بالوحي المنـزل.

٢- أن الله ﷻ جعل القرآن الكريم كتابا محفوظا، وذلك حتى يرجع إليه في أخذ الأحكام، وإصدارها فيما بين الأنام.

٣- أن الله ﷻ لما جعل محمدا ﷺ خاتم الأنبياء والمرسلين، كان كتابه خاتم الكتب المنـزلة، ولذلك احتوى هذا الكتاب على القواعد، والأصول الحوامد، مما لا يوجد له نظير، يعرف ذلك كل بصير، ويجده في الأحكام الشرعية: العلمية منها والتعبدية.

٤- أن الصحابة إنما كانوا يعملون الفكر في كتاب الله ﷻ وسنة رسوله ﷺ، أو في قياس على قواعدهما، ولا يلتفتون إلى غيرهما من الأمور التي كانت حولهم في الشرق أو الغرب، وهم قدوتنا في ديننا، ويجب اتباعهم في ذلك، وعدم الالتفات إلى غير الكتاب والسنة.

٥- أن الفتوى لا يكون إلا به، أو بسنة رسول الله ﷺ، قال جابر ﷺ: **[يا ابن زيد[(٣)] إنك من فقهاء البصرة، وإنك ستستفتى فلا تفتين إلا بقرآن ناطق، أو سنة ماضية؛ فإنك إن فعلت غير ذلك فقد هلكت وأهلكت]**[(٤)].

---

(١) النبوات ٢/ ٦١٣.

(٢) انظر: المطلب الأول من هذا المبحث، والمبحث الأول من الفصل الثاني في هذا الباب.

(٣) يعني أن جابر بن عبد الله الأنصاري ﷺ ينصح جابر بن زيد أبا الشعثاء البصري التابعي الكبير. انظر: ترجمته في البداية والنهاية لابن كثير ٩/ ١١٥.

(٤) أورده ابن كثير ﷺ في ترجمة أبي الشعثاء، في البداية والنهاية ٩/ ١١٥.

٦- أن الحكم لا يكون إلا بما شرعه الله ﷻ، وهذا معلوم من الدين بالضرورة.

٧- أن التحاكم لا يكون إلا إلى ما شرعه الله ﷻ، ولا يكون إلى غيره، لا القوانين الوضعية، ولا الدساتير الكفرية المستوردة[(١)].

٨- أن من أعمل فكره في الكتاب وجد في كل مسألة شرعية جوابا، إما نصا أو ظاهرا، قيل لعلي ﷺ: هل عندكم كتاب؟؟ قال علي ﷺ: [**لا، إلا كتاب الله، أو فهمٌ أُعطِيَهُ رجلٌ مسلم**][(٢)]؛ فإذا كان الهم منصبا على حفظ النصوص وضبطها[(٣)]، والتدبر فيها، فتح الله على العبد واستخرج منها المسائل التي لا تتبين لغيره، ممن هو غافل عنه، أو معرض، أو منشغل عنه.

فالسلف الصالح علموا عمق مصادر الشرع وشموليتها؛ فارتووا منها، ونهلوا من معينها، ووردوا ماءها؛ فارتووا، ورووا[(٤)].

فإذا كان القرآن الكريم هو مصدر التشريع في العقائد، فهو مصدر التشريع في الأحكام العملية التعبدية، والمعاملات السلوكية اليومية، ولهذا كان كتابا حاويا لعلوم الماضين، مشتملا على العلوم النافعة؛ فإذا كان كذلك؛ فإنه لا يحتاج إلى كتاب آخر منزل، فهوحاوٍ لما في الكتب السماوية السابقة من الحق، ومهيمن عليها، وهذا ما أبينه في المطلب الآتي.

---

(١) وقد بينت الأدلة على وجوب التحاكم إلى شرع الله ﷻ، وأن ذلك عبادة وقربة، كما في الفصل الثالث من الباب الأول.

(٢) رواه البخاري، كتاب العلم، باب/ كتابة العلم، ح(١١١).

(٣) انظر: نقض المنطق ص٧٩.

(٤) انظر: نقض المنطق ص ٧٩-٨٠، مناهل العرفان ١/ ٢٩٢.

المطلب الثالث: نسخ[(١)] القرآن للكتب السماوية.

من تنـزيل القرآن منـزلته اللائقة به أن يوقر فوق كل كتاب، ولهذا فإنه ليس في الدنيا كتاب إلا وهو دونه - بل لا مقارنة -، ومن جملة ذلك الكتب السماوية السابقة، فضلا عن غيرها من الكتب التي أنتجتها العقول البشرية، وأخرجتها أفكار الإنسانية.

ومن عقيدة السلف الصالح ﵏ أنهم يرون أن في القرآن كفاية وغنية عما في غيرها من الكتب السابقة[(٢)].

والمقصود بالكتب السابقة هي المعروفة التي ورد ذكرها في القرآن، وهي المعروفة في البلدان، مما تناوله أهل الأديان، وهي:

١ . **صحف إبراهيم** ﵉.

٢ . **صحف موسى** ﵉، وقد ورد ذكر صحف إبراهيم وموسى في القرآن الكريم، كما قال الله ﷻ: ﴿أَمْ لَمْ يُنَبَّأْ بِمَا فِي صُحُفِ مُوسَىٰ ۝ وَإِبْرَاهِيمَ الَّذِي وَفَّىٰ﴾[النجم:٣٦-٣٧]، وقال تعالى: ﴿إِنَّ هَٰذَا لَفِي الصُّحُفِ الْأُولَىٰ ۝ صُحُفِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ﴾[الأعلى:١٨-١٩]. ولا يعرف عن صحف إبراهيم ﵇ شيء، وأما صحف موسى، فقيل: هي التوراة، وقيل غير ذلك[(٣)].

---

(١) النسخ: لغة معناه: الإزالة والنقل، ومنه نسخت الكتاب، أي نقلته، ومنه قوله تعالى: ﴿هَٰذَا كِتَابُنَا يَنطِقُ عَلَيْكُم بِالْحَقِّ ۚ إِنَّا كُنَّا نَسْتَنسِخُ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾[الجاثية: ٢٩]، وأيضا معناه: إبطال الشيء وزواله، وإقامة آخر مقامه، ومنه قوله تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّا إِذَا تَمَنَّىٰ أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ فَيَنسَخُ اللَّهُ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ ثُمَّ يُحْكِمُ اللَّهُ آيَاتِهِ ۗ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ وهذا المعنى هو المتضمن في معنى النسخ في الشرع وهو إقامة الحكم المتأخر مكان الحكم المتقدم، وقيل في تعريف **النسخ شرعا**: إزالة حكم شرعي بدليل شرعي متراخ عنه، وقيل غير ذلك، ولعل هذا التعريف هو أصلح التعاريف. انظر: المحرر الوجيز ١/ ١٩٠، الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ٢/ ٤٣، ٤٥.

(٢) انظر: ما سبق في المطلب الأول، من المبحث الأول، من هذا الفصل.

(٣) انظر: الدر المنثور ٨/ ٤٨٩.

٣. **التوراة**: وهو الكتاب الذي أنزل على موسى ﷺ، قال تعالى: ﴿ كُلُّ ٱلطَّعَامِ كَانَ حِلًّا لِّبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ إِلَّا مَا حَرَّمَ إِسْرَٰٓءِيلُ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ مِن قَبْلِ أَن تُنَزَّلَ ٱلتَّوْرَىٰةُ ۗ قُلْ فَأْتُوا۟ بِٱلتَّوْرَىٰةِ فَٱتْلُوهَآ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴾[آل عمران:٩٣] والتوراة متداول إلى الآن بين اليهود والنصارى، وتسمي النصارى التوراة بالعهد القديم.

٤. **الزبور**: وهو الكتاب الذي أوتيه داود ﷺ ، كما قال تعالى: ﴿ وَءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ زَبُورًا ﴾[النساء:١٦٣].

٥. **الإنجيل**: وهو الكتاب الذي أوتيه عيسى ﷺ، كما قال الله تعالى: ﴿ وَقَفَّيْنَا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم بِعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ ۖ وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْإِنجِيلَ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ ﴾[المائدة:٤٦] وقال: ﴿ ثُمَّ قَفَّيْنَا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم بِرُسُلِنَا وَقَفَّيْنَا بِعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْإِنجِيلَ ﴾[الحديد:٢٧] فالإنجيل جاء مصدقا لما في التوراة، وجاء بأحكام جديدة، وهذه الكتب ـ ما وجد منها ـ قد وقع فيها التحريف والتبديل.

وقد وقع الإجماع على أن شرع نبينا محمد ﷺ هو الذي يلزم الناس بعد بعثته ﷺ، وأن ما عداه من الأديان والكتب؛ فإنها لا تنجي صاحبها ما دام الإسلام قد بلغه، وهذا النوع من النسخ لم يختلف فيه أحد من المسلمين، **ويدل عليه الآيات القرآنية والأحاديث النبوية، ومن هذه الأدلة:**

١- قول الله ﷻ : ﴿ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴾[آل عمران:٨٥] وقوله: ﴿ إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ ﴾[آل عمران:١٩]، وقوله: ﴿ قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ يُحْىِۦ وَيُمِيتُ ۖ فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ ٱلنَّبِىِّ ٱلْأُمِّىِّ ٱلَّذِى يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَكَلِمَٰتِهِۦ وَٱتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴾[الأعراف:١٥٨].

٢- الأحاديث النبوية التي بلغت حد التواتر بمجموعها تواترا معنويا، ومنها

قوله ﷺ: [**والذي نفسي بيده لا يسمع بي أحد من هذه الأمة يهودي ولا نصراني ثم يموت ولم يؤمن بالذي أرسلت به إلا كان من أصحاب النار**][١]. قال النووي رحمه الله: «فيه نسخ الملل كلها برسالة نبينا محمد ﷺ... فكلهم يجب عليه الدخول في طاعته، وإنما ذكر اليهودي والنصراني تنبيها على من سواهما، وذلك لأن اليهود والنصارى لهم كتاب؛ فإذا كان هذا شأنهم مع أن لهم كتابا؛ فغيرهم ممن لا كتاب له أولى»[٢].

٣- إجماع أهل الإسلام على ذلك[٣]، قال ابن حزم رحمه الله: «ولا يحل لنا اتباع شريعة نبي قبل نبينا ﷺ ... قال ﷺ [**...وكان النبي يبعث إلى قومه خاصة، وبعثت إلى الناس عامة**][٤]؛ فإذا صح أن الأنبياء لم يبعث أحد منهم إلا إلى قومه خاصة فقد صح أن شرائعهم لم تلزم إلا من بعثوا إليه فقط، وإذا لم يبعثوا إلينا فلم يخاطبونا قط بشيء، ولا أمرونا بشيء، ولا نهونا...؛ فإذا صح أنهم عليهم السلام لم يخاطبونا بشيء فقد صح يقينا أن شرائعهم لا تلزمنا أصلا»[٥]، قال النووي رحمه الله في تبويبه على صحيح الإمام مسلم: «وجوب الإيمان برسالة النبي ﷺ إلى جميع الناس، ونسخ الملل بملته»[٦].

فإذ ثبت نسخ الإسلام للأديان السابقة؛ فإن ذلك يعني عدم جواز العمل بتلكم الكتب التي أنزلت من قبل، وهذه الكتب المنـزلة الموجودة في زمن النبي ﷺ، وفي هذا الزمن، فشأنها لا يخلو من أمرين:

الأول: ما هو باطل، مما وضعته أيدي المحرفين، أو ليَّته ألسنة الملحدين، فهذا لا شك أن القرآن قد أبطله من كل وجه، وأنه لا يمت إلى الله عز وجل بصلة؛ بل هو مضاد لما في

(١) رواه مسلم، كتاب الإيمان، باب/ وجوب الإيمان برسالة النبي ﷺ إلى جميع الناس، ونسخ الملل بملته، ح(٢٤٠) عن أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) المنهاج على صحيح مسلم ابن الحجاج للنووي ٢/ ١٨٨.

(٣) انظر: ردود على أباطيل، للشيخ محمد الحامد رحمه الله ص ٢٥.

(٤) رواه البخاري واللفظ له، كتاب التيمم، باب/ ١، ح(٣٣٥)، ومسلم، كتاب المساجد، باب/ ابتناء مسجد النبي...، ح(٥٢١)، كلاهما عن جابر رضي الله عنه.

(٥) المحلى ١/ ٦٥-٦٦.

(٦) المنهاج على صحيح مسلم ابن الحجاج للنووي ٢/ ١٨٦.

القرآن؛ فهذا لا شك أنه باطل، وقد أخبر الله ﷻ في أكثر من آية أن أحبار السوء ورهبان الجهل غيروا هذه الكتب بأيديهم وألسنتهم: تحريفا لها، وتأويلا فيها، قال الله تعالى: ﴿ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ يَكْتُبُونَ ٱلْكِتَـٰبَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَـٰذَا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ لِيَشْتَرُوا۟ بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًا ۖ فَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا يَكْسِبُونَ ﴾[البقرة:٧٩]، وقال تعالى: ﴿ وَإِنَّ مِنْهُمْ لَفَرِيقًا يَلْوُۥنَ أَلْسِنَتَهُم بِٱلْكِتَـٰبِ لِتَحْسَبُوهُ مِنَ ٱلْكِتَـٰبِ وَمَا هُوَ مِنَ ٱلْكِتَـٰبِ وَيَقُولُونَ هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ وَمَا هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ وَيَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾[آل عمران:٧٨] ففي الآية الأولى: بيان لتحريفهم الكتاب بأيديهم[(١)]، وهذا هو التحريف اللفظي للكلام المنـزل، وفي الآية الثانية: بيان لتحريفهم الكتاب بألسنتهم[(٢)]، وذلك هو التحريف المعنوي للكلام المنـزل بتغيير المعاني تأويلا وإلحادا، وإبطالا لمعانيها الصحيحة، فهذا كله منسوخ حقيقة، وذلك بإبطالها، وبيان أنها لا تنتسب إلى الدين الحق بشيء.

الثاني: ما هو صحيح؛ فهذا يشهد له القرآن، ويؤكده[(٣)]، وهذا لا نعرفه إلا بشهادة كتابنا له، فلا نحتاج إليه، ولهذا جاء في وصف القرآن الكريم قوله تعالى: ﴿ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَـٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلْكِتَـٰبِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ ۖ فَٱحْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ عَمَّا جَآءَكَ مِنَ ٱلْحَقِّ ۚ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا ﴾[المائدة:٤٨] ففي الآية بيان: أن الكتاب الذي هو القرآن مصدق لما قبله من الكتب المنـزلة، وشاهد عليها بالحق، فما في الكتب السابقة مما هو في كتابنا فهذا حق لأن القرآن شهد له بذلك، ولذا لم يكن لنا أن نحكم أو نتحاكم إلا إلى كتابنا المنـزل

---

(١) انظر: تفسير القرآن العظيم ١/ ١١٧-١١٨.

(٢) انظر المصدر السابق ١/ ٣٧٦.

(٣) وهنا أنبه على أن الشرائع كلها متفقة على الأمور الاعتقادية في رب البرية ﷻ سواء في باب الأسماء والصفات، أو في باب الربوبية، أو في باب الألوهية، فكل نبي جاء معرفا بالله ﷻ، داعيا إليه، وإلى عبادته، والكتب السابقة كانت كذلك قبل أن تحرف، ولهذا نجد أن الله ﷻ نص على أن دعوة الأنبياء في التوحيد واحدة فقال تعالى: ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِىٓ إِلَيْهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدُونِ ﴾[الأنبياء: ٢٥] وإنما الاختلاف بينهم في الشرائع التي تسمى بالأحكام، ومع الاتفاق في الاعتقادات إلا أن الله ﷻ أغنانا بكتابنا عما سواه من الكتب.

علينا، وذلك لأنه مهيمن على الكتب السابقة، ناسخ لها، إذ جعل الله لكل نبي شرعة ومنهاجا، فشرعة أمة محمد ﷺ القرآن، ومنهجهم الوحي المنـزل من الرحمن، فليس لهم أن يلتفتوا إلي غيره.

قال الشوكاني رحمه الله: «إن القرآن صار شاهدا بصحة الكتب المنـزلة، ومقررا لما فيها مما لم ينسخ، وناسخا لما خالفه منها، ورقيبا عليها، وحافظا لما فيها من أصول الشرائع، وغالبا لها لكونه المرجع في المحكم منها، والمنسوخ، ومؤتمنا عليها لكونه مشتملا على ما هو معمول به منها، وما هو متروك»[١].

وأما ما في كتبهم مما ليس في كتابنا كأخبار الأمم السابقة، وبعض ملح العلم، مما هو ليس من أساسيات الأديان؛ فهذه قال فيها ﷺ: [**لا تصدقوا أهل الكتاب، ولا تكذبوهم،** و﴿ قُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيۡنَا ﴾][٢]، وذلك لأن التصديق قد يقع على المحرف، فنكون صدقنا بالباطل، أو يقع التكذيب بالمنـزل فنكون قد وقعنا في الحرج.

ومما يدل على أن القرآن ناسخ لما في الكتب السابقة أمور منها:

١. أن الله ﷻ أمرنا باتباع ما أنزل إلينا، ولم يأمرنا باتباع المنـزل على من قبلنا، وذلك في أكثر من آية[٣].

٢. أن النبي ﷺ أخبر بأن موسى بن عمران ﷺ لو كان حيا لما وسعه إلا اتباعه، فقال ﷺ: [**لو كان موسى بن عمران حيا لما وسعه إلا أن يتبعني**].

٣. أنه ثبت النسخ في الكتب السماوية، كما نسخ الإنجيل بعضا مما في التوراة، وكذلك ثبت نسخ بعض آيات القرآن المتقدمة بآيات متأخرة، فإذا ثبت النسخ؛ فلا مانع عقلا من نسخ دين بدين متأخر عنه[٤].

---

(١) فتح القدير للشوكاني ٢/ ٦٠.

(٢) رواه البخاري، كتاب التفسير، باب/ قولوا آمنا بالله وما أنزل إلينا، ح(٤٤٨٥).

(٣) انظر: المجموع ١٩/ ٨٢.

(٤) انظر: الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ٢/ ٤٤، عون المريد ٢/ ٨١٠.

٤. أن دين محمد ﷺ هو خاتم الديانات، وبشرع محمد ﷺ نسخ الله جميع الشرائع والديانات، «وخاتم الرسل محمد ﷺ أنزل الله كتابه مصدقا لما بين يديه من الكتاب، ومهيمنا عليه؛ فهو الأمين على جميع الكتب، وقد بلغ أبين البلاغ، وأتمه، وأكمله»(١)، فإذا لا نحتاج بعد بلاغ نبينا ﷺ إلى كتاب آخر، بل نقول إن ما في ديننا هو الحق، وما سواه فإنا لا نحتاج إليه، وإن كان حقا في نفسه، وذلك لأن ما كان حقا في نفسه منه؛ فهو موجود عندنا، ومسطور في شريعتنا.

٥. أن من أصول المسلمين، ومما أجمعوا عليه من أمور الدين: «أن الله ﷻ قد أرسل محمدا ﷺ خاتما للنبيين، وناسخا لما قبله من شرائع اليهود والنصارى، والصابئين»(٢).

ونسخه لشرع غيره وقــع حتما أذل الله من له منع(٣)

فهذا قد أجمع عليه المسلمون، واتفق عليه المنتسبون إلى الإسلام إلا نحلا باطنية(٤)، وهي عن الدين غوية، ونسبتها إلى الإسلام لأسباب خفية، وإلا فهي ليست من الفرق الإسلامية.

٦. أن النسخ ليس هو من باب البداء(٥)، والبداء على الله ﷻ محال، والسلف الصالح يعتقدون أن الله ﷻ يعلم ما كان، وما يكون، وما لم يكن لو كان كيف يكون؛ فعلى هذا لا يوصف ربنا ﷻ بالبداء، خلافا للرافضة، وليس البداء نوع نسخ، وقد

(١) نقض المنطق ص٢٤.

(٢) الإحياء للغزالي ١/ ١٨٢.

(٣) جوهرة التوحيد للقاني ص١٥، ضمن مجموع أمهات المتون في مختلف الفنون والعلوم، جمع دار الفكر.

(٤) كالبهائية، والقاديانية، وسيأتي ذكرهم في الباب الرابع، الفصل الرابع.

(٥) البداء: اسم من (بدا، يبدو) تقول: بدا لي في الأمر كذا، أي: ظهر ما لم يكن ظاهرا، ومنه قوله تعالى: ﴿ وَبَدَا لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مَا لَمْ يَكُونُوا۟ يَحْتَسِبُونَ ﴾[الزمر: ٤٧]، وقال تعالى: ﴿ ثُمَّ بَدَا لَهُم مِّنۢ بَعْدِ مَا رَأَوُا۟ ٱلْءَايَٰتِ لَيَسْجُنُنَّهُۥ حَتَّىٰ حِينٍ ﴾[يوسف: ٣٥] ولا شك أن البداء بهذا المعنى ممتنع في حق الله ﷻ المتصف بكمال العلم وكمال الإرادة، لأن البداء بهذا المعنى يلزم منه نقصان العلم والإرادة. انظر: المحرر الوجيز ١/ ١٩٠.

ضل في مسألة النسخ طائفتان، لم تفرقا بين النسخ والبداء؛ فأنكر النسخَ اليهودُ الذين زعموا أنهما ـ أي النسخ والبداء ـ سواء، والبداء على الله محال؛ فالنسخ عليه محال، قال ابن عطية رحمه الله: «وجعلت اليهودُ النسخَ والبداءَ واحدا؛ ولذلك لم يجوزوه فضلوا»[١]، وطائفة لم تفرق بين النسخ والبداء، وقالت بهما معا!! وقالوا لا فرق بين النسخ والبداء!![٢]، ومعلوم الفرق بين النسخ والبداء، إذ الأول؛ في الأحكام الشرعية التي يعود نفعها على العباد، ومصلحتها متناول البلاد، وإن كان فيها حكمة لله عز وجل، وأما البداء فهو متعلق بالأخبار، وهو أن يخبر بشيء ثم بدا له أن هذا ليس كذلك، بل هو كذلك ـ ولهذا فإنه لا نسخ في الأخبار[٣] ـ، أو هو العزم على أمر، ثم تركه لعارض، وهذا يعني عدم العلم المحقق، وهو محال على الله عز وجل[٤]، قال ابن النحاس رحمه الله: «النسخ تحويل العبادة من شيء إلى شيء قد كان حلالا فيحرم، أو كان حراما فيحلل، وأما البداء فهو: ترك ما عزم عليه»[٥]، فالنسخ لا يلزم منه محال في حق الله عز وجل، ولا في صفة من صفاته[٦]، فلا مانع منه عقلا، وقد ثبت به الشرع نصا.

٧. أن نسخ الشرائع السابقة فيها حكم باهرة، وفوائد عظيمة نافعة، حيث إنّها شرعت لأوقات معينة، ولأشخاص وأقوام معينين، في أماكن معينة، وقد تغير الوقت والزمان، والناس والمكان؛ فإذا كان شعار الأنبياء السابقين: (يا قوم)[٧]، أصبح شعار نبينا محمد ﷺ: (يا أيها الناس)، وكان كل نبي يخاطب قومه، ونبينا محمد ﷺ خطابه عام سواء ما جاء في القرآن الكريم، أو في سنته ـ عليه أفضل الصلاة والسلام ـ[٨].

---

(١) المحرر الوجيز ١/ ١٩٠.

(٢) انظر: المحرر الوجيز ١/ ١٩٠. الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ٢/ ٤٤.

(٣) انظر: المحرر الوجيز ١/ ١٩١.

(٤) انظر: الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ٢/ ٤٥.

(٥) نقله القرطبي في جامعه عن ابن النحاس، انظر: الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ٢/ ٤٤.

(٦) انظر: المحرر الوجيز ٢/ ١٩٠.

(٧) وجاء هذا مصرحا في أكثر من آية من كتاب الله عز وجل.

(٨) انظر: عون المريد ٢/ ٨٢١.

وبهذا يتضح أن نسخ كتابنا للكتب السابقة حق، وأن هذا القرآن هو المحكم الذي يجب العمل به، والتحاكم إليه، والإيمان بما فيه، ومن جملة الإيمان به اعتقاد أنه لا يُنسخ، وهذا ما أجليه في المطلب التالي.

المطلب الرابع: وجوب اعتقاد أن القرآن لا يُنسخ بعد انقطاع الوحي.

من العقائد السلفية، المبنية على الكتاب والسنة النبوية: أن القرآن لا يلحقه نسخ بعد انقطاع الوحي، وأن يُعتقد أنه كتاب جامع ومانع؛ فلا يحتاج إلى تكميل بعد تمام إنزاله، ولا إلى استدراك بعد تمام آياته، وتبيانه، ومن تمام الاستدلال به أن يعتقد أنه لا يُنسخ بعد انقطاع الوحي بوفاة رسول الله ﷺ، وعلى هذا إجماع المسلمين، ولهذا فإن المتبعين للسلف يعتقدون أن القرآن الكريم لا يُنسخ بعد انقطاع الوحي، إذ لما أكمل الله ﷻ الدين على المسلمين امتن عليهم بكماله، فقال: ﴿ ٱلۡيَوۡمَ أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ دِينَكُمۡ وَأَتۡمَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ نِعۡمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلۡإِسۡلَٰمَ دِينٗا ﴾[المائدة:٣]، ولما أكمل الله ﷻ الدين، لم يكن هناك نسخ للقرآن بعد ذلك[١].

ومعلوم أن الوحي قد انقطع بوفاة النبي ﷺ، وهذا بإجماع أهل السنة، كما ثبت **[أن أبا بكر وعمر رضي الله عنهما دخلا على أم أيمن رضي الله عنها فتذاكروا النبي ﷺ فبكت فقال لها الصديق رضي الله عنه: ما يبكيك أما تعلمين أن ما عند الله خير لرسول الله ﷺ، قالت: بلى، ولكن أبكي لانقطاع خبر السماء؛ فبكيا لبكائها]**[٢].

قال ابن حزم رحمه الله: «وإن الوحي قد انقطع مذ مات النبي ﷺ، برهان ذلك أن الوحي لا يكون إلا لنبي، وقد قال ﷻ: ﴿ مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٖ مِّن رِّجَالِكُمۡ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ ﴾[الأحزاب:٤٠]، والدين قد تم؛ فلا يزاد فيه، ولا ينقص منه، ولا يبدل، قال تعالى: ﴿ ٱلۡيَوۡمَ أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ دِينَكُمۡ ﴾[المائدة:٣]، وقال تعالى: ﴿ لَا تَبۡدِيلَ لِكَلِمَٰتِ ٱللَّهِ ﴾[يونس:٦٤]، والنقص والزيادة تبديل، وقد بلّغ رسول الله ﷺ الدين

---

(١) ونسخ القرآن ثابت كما هو معتقد أهل السنة والجماعة، ولكن لا يكون النسخ إلا في زمن النبوة، وأما بعد وفاته فهذا هو الذي لا يقع، ولا يكون. وانظر: أقوال أهل العلم في نسخ القرآن في زمن النبوة في: الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ٢/ ٣٤.

(٢) روى نحوه مسلم، كتاب فضائل الصحابة، باب/ من فضائل أم أيمن، ح(٢٤٥٤)، من رواية أنس رضي الله عنه.

كله، وبين جميعه كما أمره الله تعالى»[(١)].

وكون شرع النبي ﷺ لا ينسخ بعد وفاته، فإن ذلك معلومٌ من الدين بالضرورة، وقد قام الإجماع على منعه.

قال القرطبي رحمه الله بعد أن بين أن النسخ إنما يكون في حياة النبي ﷺ: « أما بعد موته، واستقرار الشريعة؛ **فأجمعت الأمة على أنه لا نسخ** »[(٢)].

وخص خير الخلق أن قد تمما   به الجميع ربنا وعمما
بعثته، فشرعه لا يُنسخ   بغيره، حتى الزمان ينسخ[(٣)].

فغير جائز في معتقد السلف نسخ شيء من القرآن بعد وفاة النبي الكريم ﷺ، لا رسمه، ولا حكمه، ولا خلاف بين الأمة أن نسخ القرآن، وسائر الأحكام لا يكون بعد موت النبي ﷺ[(٤)].

وأما النسخ الذي كان في زمن النبوة للقرآن الكريم؛ فهذا لا ينكر، بل هو من معتقد أهل السنة والجماعة، وهو على أقسام:

أولا: ما يقع النسخ فيه؛ وهو قسمان:

١. نسخ في القرآن الكريم.

٢. نسخ في السنة النبوية.

ثانيا: ما يقع النسخ به؛ وهو على الصحيح أربعة أقسام:

١. نسخ القرآن بالقرآن، كنسخ آية العدة سنة ـ على قول ـ بالعدة أربعة أشهر وعشرا للمتوفى عنها زوجها، فالآية المنسوخة هي قوله تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ

---

(١) المحلى ١/ ٢٦.

(٢) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ٢/ ٤٦، ومثله قول ابن عطية قبله حيث نقل الإجماع على ذلك، انظر: المحرر الوجيز ١/ ٤٣٣.

(٣) جوهرة التوحيد للقاني ص١٥، ضمن مجموع أمهات المتون في مختلف الفنون والعلوم، جمع دار الفكر.

(٤) انظر: الفصول في الأصول ٢/ ٢٥١.

مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا وَصِيَّةً لِّأَزْوَاجِهِم مَّتَاعًا إِلَى ٱلْحَوْلِ غَيْرَ إِخْرَاجٍ ﴾[البقرة:٢٤٠]، والآية الناسخة لها هي قوله تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا ﴾[البقرة:٢٣٤] وهذه متأخرة في النزول والحكم، وإن كانت في ترتيب الآيات متقدمة في التلاوة.

٢. نسخ القرآن للسنة، كما في استقبال بيت المقدس؛ فإنه ليس عندنا دليل على استقبال بيت المقدس إلا السنة، وقد نسخت بآيات سورة البقرة، حيث فيها الأمر باستقبال الكعبة، كما قال تعالى: ﴿ وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ ﴾[البقرة:١٤٩].

٣. نسخ القرآن بالسنة[1]، ومثاله قوله تعالى: ﴿ كُتِبَ عَلَيْكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ إِن تَرَكَ خَيْرًا ٱلْوَصِيَّةُ لِلْوَالِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِينَ بِٱلْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى ٱلْمُتَّقِينَ ﴾[البقرة:١٨٠]؛ فإنها نسخت بقوله ﷺ: **[لا وصية لوارث]**[2].

٤. نسخ السنة بالسنة، كما في قوله ﷺ: **[كنت نهيتكم عن زيارة القبور؛ فزوروها؛ فإنها تذكركم الآخرة]**[3]. فإن هذا الحديث نسخ ما كان من الأمر الأول من النبي ﷺ من النهي عن زيارة القبور.

ثالثا: النسخ في القرآن الكريم، وهو على ثلاثة أقسام، وهي:

١. نسخ التلاوة والحكم معاً، وهذا كما في قول عائشة رضي الله عنها في تحريم الرضاع: **[كان فيما أنزل "عشر رضعات معلومات"، فنسخن: "بخمس معلومات"]**[4]؛

---

(١) انظر: المحلى ١/ ٥٢ ـ ٥٣.

(٢) رواه أبو داود، كتاب البيوع والإجارات، باب/ في تضمين العارية، ح(٣٥٦٥) عن أبي أمامة رضي الله عنه، ورواه غيره، وقال الشيخ الألباني: صحيح، كما في الإرواء، ح(١٦٣٥)، وذكر طرقه تحت الحديث رقم(١٦٥٥).

(٣) رواه مسلم،كتاب الجنائز، باب/ استئذان النبي ﷺ ربه ﷻ في زيارة قبر أمه، ح(٩٧٧) عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه.

(٤) رواه مسلم، كتاب الرضاع، باب/ التحريم بخمس رضعات، ح(١٤٥٢).

[كان فيها أنزل "عشر رضعات معلومات"، فنسخن: "بخمس معلومات"](١)؛ فالعشر الرضعات بالاتفاق مما نسخ تلاوته وحكمه.

٢. نسخ التلاوة دون الحكم، وهذا كآية الرجم؛ فإن تلاوتها منسوخة، وحكمها باق، قال عمر ﷺ: **[إن الله بعث محمدا ﷺ بالحق وأنزل عليه الكتاب، فكان مما أنزل الله آية الرجم؛ فقرأناها، وعقلناها، ووعيناها، رجم رسول الله ورجمنا بعده؛ فأخشى إن طال بالناس زمان أن يقول قائل: والله ما نجد آية الرجم في كتاب الله، فيضل بترك فريضة أنزلها الله...]**(٢)، فهذا منه إشارة إلى بقاء الحكم، بعد نسخ التلاوة.

٣. نسخ الحكم دون التلاوة، كما في آية العدة سنةً للمعتدة المتوفى عنها زوجها؛ فإنها منسوخة بأربعة أشهر وعشرا، حكما لا تلاوة.

وأما بعد موت النبي ﷺ فكل أنواع النسخ منتفية، فإذا رأينا إجماعا يخالف نصا، «فيعلم أن الإجماع استند إلى نص ناسخ لا نعلمه نحن، وأن ذلك النص المخالف متروك العمل به، وأن مقتضاه نُسخ، وبقي يقرأ ويروى، كما آية عدة السَّنة في القرآن تتلى ـ فتأمله فإنه نفيس ـ فيكون من باب نسخ الحكم دون التلاوة، ومثله صدقة النجوى(٣)، وقد تنسخ التلاوة دون الحكم، كآية الرجم، وقد تنسخ التلاوةُ، والحكم معاً، ومنه قول الصديق ﷺ: **[كنا نقرأ "لا ترغبوا عن آبائكم فإنه كفر"]**(٤).

وكل ما نسخ لا يجوز الاحتجاج به في العقائد، ولا في الأحكام، وبهذا نعلم أن دين محمد ﷺ مستمر لا يُنسخ إلى قيام الساعة، بل إن من عقيدة السلف أن عيسى ﷺ حين نزوله في آخر الزمان بحكم بشريعة الرحمن، ويُحكِّم السنة والقرآن، ولا يأتي

---

(١) رواه مسلم، كتاب الرضاع، باب/ التحريم بخمس رضعات، ح(١٤٥٢).

(٢) سبق تخريجه ص٣٤١.

(٣) كما في قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا نَٰجَيۡتُمُ ٱلرَّسُولَ فَقَدِّمُواْ بَيۡنَ يَدَيۡ نَجۡوَىٰكُمۡ صَدَقَةٗۚ ذَٰلِكَ خَيۡرٞ لَّكُمۡ وَأَطۡهَرُۚ فَإِن لَّمۡ تَجِدُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٌ ۝ ءَأَشۡفَقۡتُمۡ أَن تُقَدِّمُواْ بَيۡنَ يَدَيۡ نَجۡوَىٰكُمۡ صَدَقَٰتٖۚ فَإِذۡ لَمۡ تَفۡعَلُواْ وَتَابَ ٱللَّهُ عَلَيۡكُمۡ فَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥۚ وَٱللَّهُ خَبِيرُۢ بِمَا تَعۡمَلُونَ﴾[المجادلة:١٢-١٣].

(٤) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ٢/ ٤٦.

قال ﷺ في شأن عيسى ﷺ: [**والذي نفسي بيده ليوشكن أن ينـزل فيكم ابن مريم ﷺ، حَكَمًا مقسطا؛ فيكسر الصليب، ويقتل الخنـزير، ويضع الجزية، ويفيض المال حتى لا يقبله أحد**](١).

قال الحافظ ابن حجر ﷺ في شرحه لهذا الحديث: «والمعنى أنه ينـزل حاكما بهذه الشريعة؛ فإن هذه الشريعة باقية لا تنسخ»(٢).

قال النووي ﷺ في نزول عيسى ﷺ: «ينـزل حكَمًا بهذه الشريعة، ولا ينـزل نبيا برسالة مستقلة، وشريعة ناسخة، بل هو حاكم من حكام هذه الأمة...»(٣).

وقد يشكل على بعض الناس ظاهر الحديث حيث ورد فيه التصريح بأنه لا يقبل الجزية، ولا يقبل إلا الإسلام، وقد قبل النبي ﷺ الجزية من أهل الكتاب؛ فيظنه نسخا، والجواب ما ذكره النووي ﷺ، حيث قال: «إن هذا الحكم - يعني قبول الجزية من الكتابي - ليس بمستمر إلى يوم القيامة، بل هو مقيد بما قبل عيسى ﷺ، وقد أخبرنا النبي ﷺ في هذه الأحاديث الصحيحة بنسخه، وليس عيسى ﷺ هو الناسخ، بل نبينا ﷺ المبين للنسخ؛ فإن عيسى يحكم بشرعنا، فدل على أن الامتناع من قبول الجزية في ذلك الوقت هو شرع نبينا محمد ﷺ»(٤).

فالنبي ﷺ ذكر لعيسى أمارات بها يُذكر، وذكر له صفاتا بها يشتهر، وجعل من صفاته هذا الحكم الخاص به، وقيده به، فالنبي ﷺ هو الذي قيد الحكم الشرعي في ذلك الزمن، وليس عيسى ﷺ، كما أن الله ﷻ هو الذي ينـزله في وقت معين، لا أنه هو الذي ينـزل متى ما أراد؛ فكذلك النبي ﷺ أعطاه هذه المزية، لا أنه هو الذي اختارها - والله تعالى أعلم -.

---

(١) رواه البخاري، كتاب أحاديث الأنبياء، باب/ نزول عيسى بن مريم ﷺ، ح(٣٤٤٨)، ومسلم واللفظ له، كتاب الإيمان، باب/ نزول عيسى ابن مريم ﷺ حاكما، ح(٢٤٢) عن أبي هريرة ﷺ.

(٢) فتح الباري ٦/ ٥٦٧.

(٣) المنهاج على صحيح مسلم ابن الحجاج للنووي ٢/ ١٩٠.

(٤) المنهاج على صحيح مسلم ابن الحجاج للنووي ٢/ ١٩٠، وانظر: فتح الباري ٦/ ٥٦٧.

وذكر ابن بطال رحمه الله معنى خاصا لهذا الحكم الخاص المتعلق بعيسى عليه السلام فقال: «إن مشروعية قبولها - أي الجزية - من اليهود والنصارى لما في أيديهم من شبهة الكتاب، وتعلقهم بشرع قديم بزعمهم، فإذا نزل عيسى عليه السلام زالت الشبهة بحصول معاينته، فيصيرون كعبدة الأوثان في انقطاع حجتهم، وانكشاف أمرهم، فناسب أن يعاملوا في عدم قبول الجزية منهم»[(١)]؛ فعيسى عليه السلام تابع لشرع محمد ﷺ، ومقرر لهذه الشريعة، ومجدد لها، ويؤكد هذا المعنى ما جاء في طريق آخر أنه ﷺ قال: [**كيف أنتم إذا نزل فيكم ابن مريم؛ فأَمَّكُم منكم**] فسرها بعض الرواة بما جاء عن أبي هريرة رضي الله عنه [**وإمامكم منكم**] فقالوا المعنى: أمكم بكتاب ربكم تبارك وتعالى، وسنة نبيكم ﷺ[(٢)] وعن جابر رضي الله عنه قال: سمعت النبي ﷺ يقول: [**لا تزال طائفة من أمتي يقاتلون على الحق ظاهرين إلى يوم القيامة، قال: فينـزل عيسى ابن مريم ﷺ، فيقول أميرهم: تعال صلِّ لنا؛ فيقول: لا، إن بعضكم على بعض أمراء، تكرمة الله هذه الأمة**][(٣)].

فالقرآن الكريم كتاب محكم لا يُنسخ، وقد تم إحكامه بانقطاع خبر السماء؛ ولهذا لا يمكن أن يُنسخ بكتاب سابق عنه، ولا لا حق به، قال تعالى: ﴿ وَإِنَّهُۥ لَكِتَٰبٌ عَزِيزٌ ۝ لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ ۖ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴾[فصلت:٤١-٤٢]، قال ابن عطية رحمه الله: «ليس فيها تقدمه من الكتب ما يبطل شيئا منه...، وليس يأتي بعده، من نظر ناظر، وفكرة عاقل، ما يبطل أشياء منه، والمراد باللفظ على الجملة: لا يأتيه الباطل من جهة من الجهات»[(٤)].

وفي قوله تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ يُجَٰدِلُونَ فِىٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَٰنٍ أَتَىٰهُمْ ۖ كَبُرَ مَقْتًا عِندَ ٱللَّهِ وَعِندَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ۚ كَذَٰلِكَ يَطْبَعُ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ قَلْبِ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ ﴾[غافر:٣٥] «بيان أنه لا يجوز أن يعارض كتاب الله بغير كتاب الله، لا بفعل أحد، ولا أمره، ولا دولة،

---

(١) نقله الحافظ ابن حجر رحمه الله كما في: فتح الباري ٦/ ٥٦٧.

(٢) رواه مسلم، كتاب الإيمان، باب/ نزول عيسى عليه السلام، ح(٢٤٦) عن أبي هريرة رضي الله عنه.

(٣) رواه مسلم، كتاب الإيمان، باب/ نزول عيسى عليه السلام، ح(٢٤٧) عن جابر رضي الله عنه.

(٤) المحرر الوجيز ٥/ ١٩.

ولا سياسة؛ فإنه حال الذين يجادلون في آيات الله بغير سلطان أتاهم، ولكن يجوز أن يكون في آيات الله ناسخ ومنسوخ»[١].

وبهذا يتبين أن السلف قد أعطوا القرآن منـزلته، وعرفوا قدره، وعظموه حق التعظيم، إذ عرفوا فضائله، ونشروا مآثره، وتبركوا بآثاره، وخصوه بخصائصه، واستغنوا به عما سواه، وفهموه على ضوء كلام المنـزَّل عليه والمعاصرين لزمن نزوله، وحملوه على ظاهره، ولم يؤولوه إلى معنى باطني يدعى فيه، واحتجوا به في العقائد، وجعلوه مصدر الشرائع في الحكومات وفي المساجد، واعتقدوا به نسخ الكتب السابقة، وأنه لا ينسخه الكتب اللاحقة، وتتجلى منـزلة القرآن عند السلف أكثر إذا عرفنا اهتمامهم وجهودهم في حفظ القرآن الكريم، وهذا ما أبينه في الفصل التالي.

---

(١) المجموع ١٩/ ٧٨-٧٩.

الفصل الثالث

جهود السلف في حفظ القرآن

وفيه مبحثان:

المبحث الأول: عناية السلف بالقرآن.

المبحث الثاني: نهي السلف عن المراء، والتكلف في القرآن الكريم.

المبحث الأول: عناية السلف بالقرآن

مما سبق ذكره من المباحث والمطالب بيان صريح ودليل صحيح على أن السلف من أشد الناس تعظيما للقرآن الكريم، علما وعملا، ومن الأعمال الجليلة للسلف قديما، والمتبعين لهم حديثا خدماتهم الجليلة لكتاب الله ﷻ وعنايتهم به، وهذا يتبين من خلال المطالب التالية:

المطلب الأول: حفظ القرآن في الصدور.

القرآن كلام الله ﷻ غير مخلوق، وهو منـزل على أشرف الأنبياء والمرسلين، وفيه سعادة الدارين؛ ولما علم السلف الأول: من الصحابة والتابعين هذا، وتيقّنوه، كان جل اهتمامهم حفظ كتاب الله والعمل به.

وكان النبي ﷺ يجتهد في حفظ القرآن الكريم؛ وقت نزوله فيردد الآية في نفسه؛ فأنزل الله ﷻ مبينا أن الله هو الذي يحفظه إياه في صدره، وأنه هو الحافظ لهذا الكتاب، قال ابن عباس رضي الله عنهما: [**كان رسول الله ﷺ إذا نزل جبريل عليه بالوحي، وكان مما يحرك به لسانه وشفتيه؛ فيشتد عليه، وكان يعرف منه؛ فأنزل الله:** ﴿ لَا تُحَرِّكْ بِهِۦ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِۦٓ ﴿١٦﴾ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُۥ وَقُرْءَانَهُۥ ﴾ **قال: علينا أن نجمعه في صدرك، وقرآنه؛** ﴿ فَإِذَا قَرَأْنَٰهُ فَٱتَّبِعْ قُرْءَانَهُۥ ﴾ **فإذا أنزلناه فاستمع،** ﴿ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُۥ ﴾[القيامة:١٦-١٩] **علينا أن نبينه بلسانك، قال: فكان إذا أتاه جبريل أطرق، فإذا ذهب قرأه كما وعده الله**][(١)].

(١) رواه البخاري، كتاب التفسير، باب/ في تفسير سورة القيامة، ح(٤٩٢٩).

فالله ﷻ أخبر رسوله بأنه سيحفّظه القرآن، وأنه يحفظ له القرآن، قال تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَـٰفِظُونَ﴾[الحجر:٩]، ولا ريب أن الله ﷻ: ﴿خَيْرٌ حَـٰفِظًا وَهُوَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ﴾[يوسف:٦٤]، ومما يدل على ذلك أنه أخبر بحفظ القرآن الكريم؛ فقال ﷻ: ﴿بَلْ هُوَ قُرْءَانٌ مَّجِيدٌ ۝ فِى لَوْحٍ مَّحْفُوظٍ﴾[البروج:٢١-٢٢]؛ فالله ﷻ حفظ كتابه من أن يأتيه زيادة أو نقصان، لأنه ﷻ المتولي لحفظه من غير نكران، ولهذا قال تعالى: ﴿وَإِنَّهُۥ لَكِتَـٰبٌ عَزِيزٌ ۝ لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَـٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ ۖ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾ [فصلت:٤١-٤٢]، فرسول الله ﷺ حفظه الله القرآن، وحفظ النبي ﷺ أمته القرآن.

وكان من اجتهاد النبي ﷺ في حفظ القرآن مدارسته مع جبريل في كل عام مرة، وفي العام الذي توفي فيه مرتين، وكان في هذه العرضات يتبين له ما نسخ وما لم ينسخ، قالت فاطمة رضي الله عنها أسر إلي النبي ﷺ **[أن جبريل كان يعارضني بالقرآن كل سنة، وإنه عارضني العامَ مرتين؛ ولا أُراه إلا حضر أجلي]**[(١)]؛ فكان النبي ﷺ يعرض وجبريل يستمع، وجبريل يقرأ والنبي ﷺ يستمع؛ فهذه مدارسة ومذاكرة للقرآن من الرسولين الكريمين[(٢)].

وكان النبي ﷺ يجتهد على أصحابه فيسمع منهم القرآن، ويستمع إلى قراءة بعضهم، ويشجع آخرين منهم، فعن ابن مسعود رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ: **[اقرأ عليَّ. قلت: اقرأ عليك، وعليك أُنزل؟، قال: فإني أحب أن أسمعه من غيري؛ فقرأت عليه سورة النساء حتى بلغت:** ﴿فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍۭ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَـٰٓؤُلَآءِ شَهِيدًا﴾[النساء:٤١]، **قال: أمسك. فإذا عيناه تذرفان]**[(٣)].

---

(١) رواه البخاري، كتاب فضائل القرآن، باب/ كان جبريل يعرض القرآن على النبي ﷺ، معلقا مجزوما به، وعنده مسندا.

عن أبي هريرة رضي الله عنه نحوه، برقم ح(٤٩٩٨).

(٢) انظر: فتح الباري ٨/ ٦٦٠.

(٣) رواه البخاري، كتاب التفسير، باب/ ﴿فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍۭ بِشَهِيدٍ﴾ الآية، ح(٤٥٨٢)، ومسلم، كتاب صلاة...، باب/ فضل استماع القرآن...، ح(٨٠٠).

وقد أخبر النبي ﷺ أنه لا حسد إلا في اثنتين، قال ﷺ: [**لا حسد إلا في اثنتين: رجل علمه الله القرآنَ؛ فهو يتلوه آناء الليل، وآناء النهار؛ فسمعه جار له؛ فقال: ليتني أوتيت مثل ما أوتي فلانٌ؛ فعملت مثل ما يعمل، ورجل آتاه الله مالاً؛ فهو يُهلكه في الحق؛ فقال: رجل: ليتني أوتيت مثل ما أوتي فلانٌ؛ فعملت مثل ما يعمل**]، والمقصود بالحسد هنا الغبطة(١).

ومن تشجيع النبي ﷺ لحفاظ كتاب الله تعالى، أنه كان يشجع أمته على حفظ القرآن حتى أنه كان يزوج الحافظ بما معه من القرآن، قال البخاري رحمه الله: «باب: القراءة عن ظهر القلب»(٢)، وذكر تحته حديث تزويج النبي ﷺ الرجلَ بما معه من القرآن(٣).

وأمر ﷺ بمراجعة القرآن حتى لا ينسى، قال ﷺ: [**بئس ما لأحدهم أن يقول: نَسِيتُ آية كَيْتَ، وكيت، بل: نُسِّيَ، واستذكروا القرآن؛ فإنه أشد تفصيا من صدور الرجال من النَّعَم**](٤).

كل هذه التوجيهات السديدة والإرشادات القويمة، كانت لها الدور البارز في جهد وعناية الصحابة بالقرآن الكريم، فنـزلت هذه التوجيهات في سويداء قلوبهم؛ فأنزلوها منازلها؛ فاهتموا بحفظ كتاب الله عز وجل.

وكان الحفاظ في عهد النبي ﷺ كثيرين، وبهم حصل التواتر، ولقد كان أصحاب بئر معونة كلهم حفاظا، وكانوا يسمون القراء(٥).

ومما يدل على كثرة حفاظ كتاب الله عز وجل ما جاء في وصفهم في الكتب السابقة،

---

(١) وهي تمنى النعمة من غير زوالها من الغير.

(٢) انظر: صحيح الإمام البخاري، ص ١٠٩٤.

(٣) انظر: ما رواه البخاري، كتاب فضائل القرآن، باب/ القراءة عن ظهر قلب، ح(٥٠٣٠)، عن سهل ابن سعد رضي الله عنه.

(٤) رواه البخاري، كتاب فضائل القرآن، باب/ استذكار القرآن وتعاهده، ح(٥٠٣٢)، ومسلم، كتاب صلاة...، باب/ الأمر بتعاهد القرآن، ح(٧٩٠)، كلاهما عن ابن مسعود رضي الله عنه.

(٥) سيأتي كما في المطلب الثاني من هذا المبحث، وانظر: فتح الباري ٨/ ٦٦٤.

[أناجيلهم في صدورهم](١).

وامتن الله ﷻ على هذه الأمة؛ فقال لنبيها: **[وأنزلت عليك كتابا لا يغسله الماء، تقرؤه نائما ويقظان]**(٢)، وهذا الحديث فيه إشارة إلى أن هذا القرآن لا يمحى من الأرض، ولا يرفع بفعل المخلوقين، وإنما يرفع متى ما أراد ذلك مُنْـزِلُه؛ إذ من عادة البشر قديما إذا أرادوا محو شيء غسلوه بالماء، حتى يذهب ويُزال.

قال شيخ الإسلام رحمه الله في شرح الحديث السابق: «يقول: ولو غسل بالماء من المصاحف لم يغسل من القلوب، كالكتب المتقدمة؛ فإنه لو عدمت نسخها لم يوجد من ينقلها نقلا متواترا محفوظة في الصدور، والقرآن ما زال محفوظا في الصدور نقلا متواترا»(٣).

ومما يدل على أن الحفاظ كانوا على عهد النبي ﷺ يبلغون حد التواتر بلا مرية، ما جاء في بعض الأحاديث المروية، ومنها قوله ﷺ: **[خذوا القرآن من أربعة: من عبد الله بن مسعود، وسالم، ومعاذ، وأبي بن كعب]**، وقال: أنس رضي الله عنه: **[أربعة كلهم من الأنصار جمع القرآن على عهد النبي ﷺ أبي بن كعب، ومعاذ بن جبل، وزيد بن ثابت، وأبو زيد]**(٤).

---

(١) سبق تخريجه.

(٢) رواه مسلم، كتاب صفة الجنة ونعيمها، باب/ الصفات التي يعرف بها في الدنيا أهل الجنة وأهل النار، ح(٢٨٦٥) عن عياض بن حمار رضي الله عنه.

(٣) الجواب الصحيح ٣/ ١٣، وانظر: المجموع ١٣/ ٤٠٠.

(٤) انظر هذه الأحاديث في صحيح الإمام البخاري، كتاب فضائل القرآن، باب/ القرآء من أصحاب رسول الله ﷺ، ح(٤٩٩٩، ٥٠٠٣)، وحتى لا يبقى شك في أن القرآن نقل إلينا متواترا، بطريق الحفظ ـ فضلا عن كتابته ـ فأذكر الحفاظ من الصحابة رضي الله عنهم، وهم: الخلفاء الأربعة، وطلحة، وسعدٌ، وعبد الرحمن بن عوف، وابن مسعود، وحذيفة، وسالم، وأبو هريرة، وعبد الله بن السائب، والعبادلة (ابن عمر، ابن الزبير، ابن عمرو، ابن عباس)، وتميم بن أوس، وعقبة بن عامر، وعبادة بن الصامت، ومعاذ أبو حليمة، ومجمع بن حارثة، وفضالة بن عبيد، ومسلمة بن مخلد، وأبو موسى الأشعري، وأبو أيوب الأنصاري، وأبو الدرداء، وعمرو بن العاص، وأبو ذر الغفاري، وسعد بن عبادة، ومن النساء: عائشة، وحفصة، وأم سلمة، وأم ورقة رضي الله عنهن وآخرون. انظر: فضائل القرآن لأبي عبيد ص٢٢٤-٢٢٧، الفهرست لابن النديم ص٤٣-٤٤، فتح الباري ٨/ ٦٦٩، ٦٧٠، طبقات الحفاظ للسيوطي ص١٣-١٩، وتاريخ الخلفاء للسيوطي ص٤٤.

فهؤلاء من الأنصار؛ وكذلك من المهاجرين قوم كثر، قال شيخ الإسلام رحمه الله: «وقد ثبت في الصحيح أنه جمع القرآن كله على عهد النبي ﷺ جماعة من الصحابة»[(١)].

ولا ريب أن الصحابة رضي الله عنهم كثير منهم حفظوا القرآن الكريم، منهم من حفظه كله، ومنهم من حفظ أكثره، ومنهم من حفظ بعضه[(٢)]، حتى وصل إلى التابعين بطريق التواتر، وعنهم إلى من بعدهم، وتخصيص الحفظ ببعض الصحابة، إنما هو في وقت معين، وعلى حسب علم الناقل، أو نسبة إلى قوم معينين لا أن الحفظة فيهم هم المذكورون فقط.

فمما لا شك فيه أن السلف يعلمون أن الله جل جلاله حفظ القرآن في صدور المؤمنين، حتى وصل إلى من بعدهم حجة على العالمين، وأن ذلك تم بطريق التواتر الذي لا يرتاب فيه إلا ملحد زنديق، أومنافق حقيق[(٣)].

ومما يدل على أن الصحابة كانوا يقيمون حروف القرآن ومعانيه، ويحفظونه في معانيه ومبانيه، قول الله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَتْلُونَهُۥ حَقَّ تِلَاوَتِهِۦٓ﴾[البقرة:١٢١]، وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَٰبَ ٱللَّهِ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنفَقُوا۟ مِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تِجَٰرَةً لَّن تَبُورَ ﴿٢٩﴾ لِيُوَفِّيَهُمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ غَفُورٌ شَكُورٌ﴾ [فاطر:٢٩-٣٠]، وقال: ﴿وَمَا كُنتَ تَتْلُوا۟ مِن قَبْلِهِۦ مِن كِتَٰبٍ وَلَا تَخُطُّهُۥ بِيَمِينِكَ ۖ إِذًا لَّٱرْتَابَ ٱلْمُبْطِلُونَ ﴿٤٨﴾ بَلْ هُوَ ءَايَٰتٌۢ بَيِّنَٰتٌ فِى صُدُورِ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ﴾[العنكبوت:٤٨]، «فبين أن القرآن آيات بينات في صدور الذين أوتوا العلم...، سواء أريد به أنه بين في صدورهم، أو أنه محفوظ في صدورهم، أو أريد به الأمران، وهو الصواب؛ فإنه محفوظ في صدور العلماء، بين في صدورهم، يعلمون أنه حق»[(٤)].

---

(١) المجموع ١٣/ ٤٠٠، وذكر الأربعة المذكورين في حديث أنس، وغيرهم.

(٢) انظر: النشر في القراءات العشر لابن الجوزي ١/ ٦.

(٣) انظر: فتح الباري ٨/ ٦٦٩.

(٤) المجموع ١٤/ ١٩٠.

وكان السلف يتعاهدون القرآن، ويتدارسونه بينهم، حتى لا يُنسى، وأَمْرُ النبي ﷺ بتعاهد القرآن لم يغب عن ذِهنهم، وبهذا حُفظ القرآن في الصدور، كما حفظ في السطور[(١)].

وحِفْظُ كتاب الله ﷻ أساس كل علم، ومورد كل عز، ولهذا فالسلف كانوا يطلبون العلم بحفظه، وفهمه، وليس المقصود أن حفظ جميع القرآن واجب على طالب العلم؛ فـ «حفظ جميع القرآن، وفهم جميع معانيه، ومعرفة جميع السنة، لا يجب على كل أحد؛ لكن يجب على العبد أن يحفظ من القرآن، ويعلم معانيه، ويعرف من السنة ما يحتاج إليه»[(٢)].

ومن عناية السلف بحفظ القرآن الكريم أنهم كانوا يحثون عليه، حتى كان من أقوالهم المشهورة: إن تعلم القرآن أفضل من صلاة التطوع[(٣)].

وقال الإمام الشافعي رحمه الله: «من حفظ القرآن عظمت حرمته،... ومن عرف الحديث قويت حجته»[(٤)].

فحفظ اللهُ القرآنَ في صدور المؤمنين، حتى نقل من جيل إلى جيل، بحيث صار حفاظ كتاب الله ﷻ في كل عصر يبلغون حد التواتر، مع أنه مكتوب، ومحفوظ في السطور، في الشرق والغرب، وحفظه في الصدور نوع حفظ من الله ﷻ لكتابه؛ «فالمسلمون يحفظون القرآن في صدورهم حفظا يستغنون به عن المصاحف...، والقرآن ما زال محفوظا في الصدور نقلا متواترا، حتى لو أراد مريد أن يغير شيئا من

---

(١) وحفظهم للقرآن الكريم إنما كان باجتهاد، لا بتتبع الطرق السقيمة والأماني الوخيمة، وأما ما يفعله بعض أهل البدع من صناعة (خلطات من عند أنفسهم) أشياء هي من البدع المحدثات، كالأدعية التي وضعها الكذابون في حفظ القرآن، وفي بعضها التوسل بجاه الأنبياء؛ فهذا لا شك أنه موضوع. انظر: المجموع ١/ ٢٥٨-٢٥٩.

(٢) المجموع ١٥/ ٣٩١.

(٣) انظر: مختارات النوازل ص ٤٨٦.

(٤) انظر: جامع بيان العلم وفضله لابن عبد البر ص ١٢٧.

المصاحف، وعُرض ذلك على صبيان المسلمين لعرفوا أنه قد غير المصحف، لحفظهم للقرآن من غير أن يقابلوه بمصحف، وأنكروا ذلك...، ولهذا لا يمكن أحدا تغيير القرآن، مع كونه محفوظا في القلوب، منقولا بالتواتر»[(١)].

ومما يدل على اهتمام السلف بالقرآن الكريم حفظا أن قتادة بن دعامة السدوسي رحمه الله كان يعرض المصحف؛ فيقرأ سورة البقرة؛ فلا يخطئ فيها حرفا واحدا[(٢)]، فضلا عن أعمالهم السديدة، المبنية على الأحكام الشرعية الرشيدة من الكتاب والسنة الصحيحة.

فالحفاظ في زمن السلف كانوا حفاظا للقرآن: حدا ورسما، وأما في هذه الأزمان فـ« لم يبق لمعظم من طلب القرآن العزيز همة إلا في قوة حفظه، وسرعة سرده، وتحرير النطق بألفاظه، والبحث عن مخارج حروفه، والرغبة في حسن الصوت به، وكل ذلك وإن كان حسنا ولكن فوقه ما هو أهم منه وأتم، وأولى وأحرى، وهو فهم معانيه، والتفكر فيه، والعمل بمقتضاه، والوقوف عند حدوده»[(٣)].

ومن تمام حفظ الله للقرآن أن حفظه في السطور، وهذا ما أتكلم عنه في المطلب التالي.

---

(١) الجواب الصحيح ٣/ ١٣-١٥، وانظر: الصفدية ١/ ٢٢٣.

(٢) انظر: الطبقات الكبرى ٧/ ٢٢٩.

(٣) المرشد الوجيز ص ١٩٣.

المطلب الثاني: كتابة القرآن الكريم.

من العقائد السلفية أن الله ﷻ هو الحافظ لكتابه المنـزل على نبيه محمد ﷺ، ولا شك في ذلك عندهم، وعند المتبعين لهم، وقد هيأ الله ﷻ لحفظ كتابه أمورا وأسبابا، ومن جملة ذلك كتابته.

وقد جاء ذكر كتابة القرآن الكريم في القرآن نفسه، كما قال الله تعالى: ﴿وَالطُّورِ ۝ وَكِتَابٍ مَّسْطُورٍ ۝ فِي رَقٍّ مَّنشُورٍ﴾[الطور:١-٣] وقد ذكر غير واحد من المفسرين: أن الله ﷻ أقسم بجبل الطور، وهو المكان الذي كلم الله فيه موسى، وأنزل عليه التوراة فيه، ثم أردف ذلك بالقسم بهذا الكتاب المنـزل على محمد ﷺ[١].

وقد ثبت بالدليل الصريح أن النبي ﷺ هو الذي كان يأمر بكتابة ما ينـزل من القرآن، ومن المتواتر المعنوي أنه ﷺ كان له كتبة يكتبون القرآن الكريم، ولأتحدث عن جهود الصحابة في كتابة القرآن الكريم؛ وأبين ذلك في مسائل:

المسألة الأولى: كتابة القرآن في عهد النبي ﷺ.

كان اهتمام الصحابة بالقرآن الكريم من أهم المهمات، ومن آكد الأمور، ولهذا كان الواحد منهم ما أن يُسلم حتى ينصرف إلى حفظ ما نزل من القرآن، فكان الاعتماد الأول في عهد النبوة على حفظ الصدور، وحتى يهتم الصحابة به أشد الاهتمام، ويحفظوه على الإتمام، نهى النبي ﷺ عن كتابة غير القرآن، قال ﷺ: [**لا تكتبوا عني، ومن كتب عني غير القرآن فليمحه**][٢]، فلم يكونوا يكتبون في أول الأمر أحاديث النبي ﷺ، ولا الغزوات، ولا السير، ولا الأشعار، وإنما كان ذلك كله يروى فقط معتمدين على الحفظ في الصدور، دون السطور، وأما القرآن الكريم فإنه كان يحفظ في الصدور والسطور[٣].

---

(١) انظر: الجواب الصحيح ٤/ ٣٢٦.

(٢) رواه مسلم، كتاب الزهد والرقائق، باب/ التثبت في الحديث وحكم كتابة العلم، ح(٣٠٠٤).

(٣) انظر: شرح السنة للبغوي ١/ ٢٩٥، رحلة المصحف الشريف ص٦١.

وقد كان للنبي ﷺ كتبة يكتبون بين يديه القرآن الكريم، سواء في العهد المكي، أو العهد المدني؛ فقد ذكر غير واحد من المؤرخين أن الصحابة كانوا يكتبون القرآن الكريم حتى في مكة[(١)]، فكانت الآيات تنـزل، ورسول الله ﷺ يملي لأصحابه، منهم من يحفظها، ومنهم من يحفظها ويكتبها، وكل يكتب بحسب ما تيسر له.

روى البراء بن عازب ﷺ قال: [**لما نزلت:** ﴿لَّا يَسْتَوِى ٱلْقَـٰعِدُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُو۟لِى ٱلضَّرَرِ وَٱلْمُجَـٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾[النساء:٩٥] **قال النبي ﷺ: ادع لي زيدا، وليجئ باللوح والدواة والكتف، أو الكتف والدواة، ثم قال: اكتب...**][(٢)].

ويمكن أن نلخص صوَرَ اهتمام الصحابة بالقرآن الكريم في عهد النبي ﷺ في هذه النقاط:

- أن جلهم كانوا يعتمدون على حفظهم، ولأن رسول الله ﷺ كان بين أظهرهم يرجعون إليه إذا ما أشكل عليهم شيء من آياته، فكانوا لا يعتمدون على الكتابة[(٣)].
- أن النبي ﷺ كان له كتبة في مكـة، وفي المدينة يكتبون بين يديـه ما ينـزل من الآيات[(٤)].

---

(١) انظر: البداية والنهاية لابن كثير ٥/ ٣٥٣.

(٢) رواه البخاري، كتاب فضائل القرآن، باب/ كاتب النبي ﷺ، ح(٤٩٩٠).

(٣) انظر مثلا مراجعة عمر وهشام بن حكيم حينما تنـزاعا في آية كيف تحاكما إلى رسول الله ﷺ، كما في البخاري، كتاب فضائل القرآن، باب/ أنزل القرآن على سبعة أحرف، ح(٤٩٩٢).

(٤) والذين كانوا يكتبون للنبي ﷺ كثر، و أشهر كتّاب النبي ﷺ من المهاجرين هم:

أبو بكر الصديق ﷺ	عمر بن الخطاب ﷺ	عثمان بن عفان ﷺ	علي بن أبي طالب ﷺ
أبو عبيدة بن الجراح ﷺ	طلحة بن عبيد الله ﷺ	الزبير بن العوام ﷺ	شرحبيل بن حسنة ﷺ
عبد الله بن مسعود ﷺ	سالم مولى أبي حذيفة ﷺ	عبد الله بن عمرو ﷺ	خالد بن سعيد بن العاص ﷺ
يزيد بن أبي سفيان ﷺ	معاوية بن أبي سفيان ﷺ	عبدالله بن أبي السرح ﷺ	العلاء بن عقبة ﷺ
أبان بن سعيد بن العاص ﷺ	عبد الله بن الأرقم ﷺ	أبو حذيفة بن عتبة ﷺ	الأرقم بن أبي الأرقم ﷺ

=

▪ أن الأكثرين كانوا حفاظا، وأما الكتاب فكانوا قليلين، سواء من المهاجرين أو الأنصار، ومما يدل على كثرة الحفاظ أن النبي ﷺ بعث سبعين رجلا كلهم من القراء؛ فقتلوا عند بئر معونة(١)، وأيضا أكثر القتلى في اليمامة كانوا من القراء؛ فهذا يدل على كثرة حفاظ كتاب الله ﷻ(٢).

▪ أن الإمكانيات لم تكن متوفرة في تسهيل عملية الكتابة، فكانوا يكتبون على الجلود، ولخاف الحجارة، وكسر الأكتاف.

▪ أن القرآن كان محفوظا بطريق التواتر، حفظا في الصدور، وفي السطور، فلم يقبض النبي ﷺ إلا والقرآن كله مكتوب في السطور عند الصحابة، كما أنه محفوظ في الصدور(٣).

▪ أن النبي ﷺ إنما كان يأمر بكتابة ما نزل أولا بأول، فالمكي كتب بمكة، وهكذا.

▪ أن النبي ﷺ لم يجمع القرآن في مصحف لأن القرآن كان ينـزل، ويُنسخ منه؛ فلم يمكنه الجمع لذلك(٤).

=

وأشهر كتّاب النبي ﷺ من الأنصار، هم:

أبو أيوب الأنصاري ﷺ	زيد بن ثابت ﷺ	أبو عبس بن جبر ﷺ	أبي بن كعب ﷺ
أسيد بن حضير ﷺ	ثابت بن قيس ﷺ	معاذ بن جبل ﷺ	أبو الدرداء عويمر ﷺ

وبهذا يعلم أن كتاب النبي ﷺ أيضا قد كانوا كثيرين، ولكن منهم من كان مختصا بالكتابة، ومنهم من كان يكتب أحيانا. انظر: كتاب المصاحف ص١٠٥، شرح السنة للبغوي ٤/٥١٦-٥١٧، أصول التفسير للشيخ ابن عثيمين ص٣٢٧، رحلة المصحف الشريف ص٤٩-٥٧، كتاب النبي ﷺ لمحمد مصطفى الأعظمي.

(١) انظر ما رواه البخاري، كتاب المغازي، باب/ غزوة الرجيع...، ح(٤٠٦٨).

(٢) انظر: فتح الباري ٨/ ٦٢٩.

(٣) انظر: فتح الباري ٨/ ٦٢٩.

(٤) انظر: شرح السنة للبغوي ٤/ ٥١٩، فتح الباري ٨/ ٦٢٩.

المسألة الثانية: كتابة القرآن في عهد الصديق ﷺ.

تحقّقت كتابة القرآن في عهد أبي بكر ﷺ بمشورة عمر ﷺ، وذلك لما قتل كثير من حفظة كتاب الله ﷻ في حروب الردة ـ في غزو اليمامة على وجه التحديد، عام ١٢هـ ـ؛ فخاف عمر ﷺ ذهاب الحفاظ؛ فلا يبقى لهم شاهد إلا المكتوب مفرقا، دون ما في صدور الرجال شاهدا؛ فأراد كتب ذلك كله في محل واحد، فجاء إلى أبي بكر ﷺ. وهذه الحادثة هي التي نترك كاتب رسول الله ﷺ زيد بن حارثة يحدثنا عنها، حيث يقول: [أرسل إليّ أبو بكر الصديق مقتلَ أهل اليمامة؛ فإذا عمر بن الخطاب عنده، قال أبو بكر رضي الله عنه: إن عمر أتاني، فقال: إن القتل قد استحر يوم اليمامة بقراء القرآن، وإني أخشى أن يستحر القتل بالقراء بالمواطن؛ فيذهب كثير من القرآن، وإني أرى أن تأمر بجمع القرآن، قلت لعمر: كيف تفعل شيئا لم يفعله رسول الله ﷺ؟؟، قال عمر: هذا والله خير.

فلم يزل عمر يراجعني حتى شرح الله صدري لذلك، ورأيت في ذلك الذي رأى عمر، قال زيد: قال أبو بكر: إنك رجل شاب عاقل، لا نتهمك، وقد كنت تكتب الوحي لرسول الله ﷺ، فتتبع القرآن فاجمعه، فوالله لو كلفوني نقل جبل من الجبال ما كان أثقل علي مما أمرني به من جمع القرآن. قلت: كيف تفعلون شيئا لم يفعله رسول الله ﷺ؟؟ قال: هو والله خير. فلم يزل أبو بكر يراجعني حتى شرح الله صدري للذي شرح له صدر أبي بكر وعمر رضي الله عنهما؛ فتتبعت القرآن أجمعه من العسب(١) واللخاف(٢) وصدور الرجال حتى وجدت آخر سورة التوبة مع أبي خزيمة الأنصاري(٣)، لم أجدها مع أحد غيره ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا

(١) العُسُب: واحدة العسيب، وهو: سعف النخل، الذي يسميه أهل الحجاز بالجريد أيضا. غريب الحديث ٢/ ٢٥٤.

(٢) بكسر اللام ثم خاء معجمة خفيفة، وآخره فاء: جمع (لَخْفَة) بفتح اللام، وسكون المعجمة، وهي: الحجارة الرقاق، يكون فيها عرض ودقة، وقيل: هو الخزف الذي يكون من الطين المشوي.
انظر: غريب الحديث ٢/ ٢٥٤، فتح الباري ٨/ ٦٣١.

(٣) هو الصحابي الجليل: أبو خزيمة بن أوس بن زيد بن أصرم النجاري الأنصاري ﷺ، شهد بدرا وما بعدها، وهو غير خزيمة بن ثابت الأنصاري صاحب الشهادتين. انظر: الاستيعاب لابن عبد البر ٤/ ٥٠.

عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ۝١٢٨ فَإِن تَوَلَّوْا فَقُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَهُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ ﴾[التوبة:١٢٨-١٢٩]، **فكانت الصحف عند أبي بكر حتى توفاه الله، ثم عند عمر طيلة حياته، ثم عند حفصة بنت عمر ﵄**][١].

فأبوبكر الصديق ﵁ أول من جمع القرآن في صحف، وقد كان قبل ذلك في اللخاف، وعسب النخل، وغير ذلك؛ فجمعها كلها في الصحف، وكان كاتبه زيد بن ثابت ﵁[٢]، قال زيد ﵁: [**أرسل إلي أبو بكر ﵁ قال: إنك كنت تكتب الوحي لرسول الله ﷺ فاتبع القرآن، فتتبعت حتى وجدت آخر سورة التوبة آيتين مع أبي خزيمة الأنصاري، لم أجدهما مع أحد غيره**][٣]. فأبو بكر ﵁ اختاره لأنه كاتب الوحي لرسول الله ﷺ، ولِمَا ذُكر له من الصفات في الحديث السابق.

فالقرآن كله روي متواترا حفظا في الصدور، **وقَصْدُ زيد أنه لم يجد آخر آيتين من سورة التوبة، أي لم يجدهما مكتوبتين**، وإلا فإنه والكتبة كانوا يحفظونها، وإلا كيف يبحثون عنها؟؟ أو كيف يعرفونها؟، قال البغوي ﵀ في قول زيد ﵁ لم أجدها: «ليس فيه إثبات القرآن بقول الواحد؛ لأن زيدا كان قد سمعها، وعلم موضعها...، وكذلك غيره من الصحابة؛ فمنهم من نسيها؛ فلما سمع ذكر، وتتبعه الرجال في جمعه كان للاستظهار، لا لاستحداث العلم»[٤]؛ فهذه الكتابة التي تمت في عهد الصديق ﵁

---

(١) رواه البخاري، كتاب فضائل القرآن، باب/ جمع القرآن، ح(٤٩٨٦)، وأما الصحف التي كانت عند حفصة ﵂ فقد كان عندها مدة حياتها، ولما توفيت حرقها مروان بن الحكم، وقد كان واليا على المدينة وقتها، كما قال سالم بن عبد الله بن عمر: [إن مروان كان يرسل إلى حفصة يسألها الصحف التي كتب منها القرآن؛ فتأبى حفصة أن تعطيه إياها، قال سالم: فلما توفيت حفصة، ورجعنا من دفنها، أرسل مروان بالعزيمة إلى عبد الله بن عمر ليرسلن إليه بتلك الصحف؛ فأرسل بها إليه عبد الله بن عمر؛ فأمر بها مروان؛ فشققت، فقال مروان: إنما فعلت هذا؛ **لأن ما فيها قد كتب وحفظ بالمصحف؛ فخشيت إن طال بالناس زمان أن يرتاب في شأن هذه الصحف مرتاب، أو يقول: إنه قد كان شيء منها لم يكتب**]. رواه ابن أبي داود في المصاحف، باب/ جمع عثمان ﵁ المصاحف، ح(٨٥)، وقال المحقق: إسناده صحيح، وانظر: فتح الباري ٨/ ٦٣٧.

(٢) انظر: تاريخ الخلفاء للسيوطي ص ٤٤٤.

(٣) رواه البخاري، كتاب فضائل القرآن، باب/ كاتب النبي ﷺ، ح(٤٩٨٩).

(٤) شرح السنة للبغوي ٤/ ٥١٦، وانظر: فتح الباري ٨/ ٦٣٢.

إنما كان جمعا للقرآن في صحف[١]، ولم يكن قبل كله في الورق[٢]، ثم لم يتعرض للقراءات والأحرف[٣]، ولا لترتيب السور[٤]؛ فرحم الله أبا بكر ورضي عنه، فهو حقا كما قال علي ﷺ: [أعظم الناس في المصاحف أجرا أبو بكر، رحمة الله على أبي بكر، هو أول من جمع كتاب الله][٥].

المسألة الثالثة: كتابة القرآن في عهد ذي النورين عثمان ﷺ.

وكان هذا الجمع المبارك سنة (٢٥هـ)، وسببه ما ذكره أنس ﷺ حيث قال: [إن حذيفة بن اليمان ﷺ قدم على عثمان ﷺ، وكان يغازي أهل الشام في فتح أرمينية[٦]، وأذربيجان[٧]، مع أهل العراق؛ فأفزع حذيفة اختلافهم في القراءة، فقال حذيفة لعثمان: يا أمير المؤمنين أدرك هذه الأمة قبل أن يختلفوا في الكتاب اختلاف اليهود والنصارى؛ فأرسل عثمان إلى حفصة أن أرسلي إلينا بالصحف ننسخها في المصاحف ثم نردها إليك؛ فأرسلت بها حفصة إلى عثمانَ، فأمر زيد بن ثابت، وعبد الله ابن الزبير،

---

(١) وهذا بوب له البخاري، فقال: (باب: جمع القرآن)، قال الحافظ ﷺ: «المراد بالجمع هنا جمع مخصوص، وهو جمع متفرقه في صحف». فتح الباري ٨/ ٦٢٨، ويؤكد أن المراد بجمع أبي بكر ﷺ هو هذا الذي ذهب إليه الحافظ، أمران: الأول: أن الصحابة لم يترك أحد منهم مصحفه الخاص، مع أنه مرتب على ترتيب معين في السور، مما يدل على أن جمع الصديق لم يراعى فيه الترتيب، والثاني: أن زيدا ﷺ قال: [قبض النبي ﷺ ولم يكن القرآن جمع في شيء] فهذا يعني أنه أراد جمعه في موضع واحد، لا كتابته ـ والله أعلم ـ، وانظر الموضع المشار إليه من فتح الباري.

(٢) انظر: فتح الباري ٨/ ٦٣٢.

(٣) انظر: أصول التفسير للشيخ ابن عثيمين ص٣٢٩.

(٤) انظر: فتح الباري ٨/ ٦٣٥.

(٥) رواه ابن أبي داود في كتاب المصاحف، باب/ جمع القرآن، ح(١٥ وما بعدها)، وقال محقق الكتاب: إسناده حسن.

(٦) إرمينية: بكسر أوله، ويفتح: اسم لناحية عظيمة في جهة الشمال (نسبة إلى العراق) والنسبة إليها أرمني على غير قياس، دخلها الإسلام على عهد عثمان ﷺ، وهي الآن معروفة بهذا الاسم كدولة. انظر: معجم البلدان ١/ ١٩١، أطلس التاريخ العربي الإسلامي ص ٤٠.

(٧) أذربيجان: منطقة في شمال العراق، وهي الآن معروفة بهذا الاسم كدولة. انظر: أطلس التاريخ العربي الإسلامي ص٤٠.

وسعيد بن العاص[(١)]، وعبد الرحمن بن الحارث بن هشام[(٢)]؛ فنسخوها في المصاحف، وقال: عثمان للرهط القرشيين: إذا اختلفتم أنتم وزيد بن ثابت في شيء من القرآن فاكتبوه بلسان قريش؛ فإنما نزل بلسانهم، ففعلوا حتى إذا نسخوا الصحف في المصاحف رد عثمان الصحف إلى حفصة فأرسل إلى كل أفق بمصحف مما نسخوا، وأمر بما سواه من القرآن في كل صحيفة، أو مصحف أن يُحرق][(٣)].

وإنما تولى كتابته زيد بن ثابت ﷺ، دون غيره من الصحابة لأمور مهمة وأسباب جلية، وهي:

١. أنه كان كاتب الوحي لرسول الله ﷺ، فكان إماما في الرسم، وإماما في الأداء، وهذه ميزة له لم يتمنَّعْ بها غيره ممن كان كاتبا، ولم يكن يكتب لرسول الله ﷺ، فكان ابن مسعود إماما في الأداء دون الرسم[(٤)]. قال ابن أبي داود ﷺ: «عبد الله ابن مسعود بدري، وذاك ـ يعني زيدا ـ ليس هو ببدري؛ وإنما ولوه لأنه كان كاتب رسول الله ﷺ»[(٥)].

٢. أنه كان شابا فتيا، وما كان غيره ليستطيع القيام بهذا الأمر، لما يعتري الشباب من القوة، بخلاف العجزة وكبار السن.

٣. أنه كان ذهينا فاهما لبيبا.

٤. أنه كان حاضرا العرضة الأخيرة، مع رسول الله ﷺ[(٦)]، وهذا يفيد أنه

---

(١) هو الصحابي الجليل: سعيد بن العاص بن سعيد بن العاص بن أمية الأموي، قتل أبوه ببدر، وله تسع سنين، وذكر في الصحابة، ولي إمرة الكوفة لعثمان ﷺ، وإمرة المدينة لمعاوية ﷺ، مات سنة ٥٨هـ. انظر: التقريب ص١٧٧.

(٢) هو المخضرم الكبير: عبد الرحمن بن الحارث بن هشام المخزومي، أبو محمد المدني، قيل له رؤية، وكان من كبار ثقات التابعين، مات سنة ٤٣هـ. انظر: التقريب ص٢٨٠.

(٣) رواه البخاري، كتاب فضائل القرآن، باب/ جمع القرآن، ح(٤٩٨٧).

(٤) انظر: سير أعلام النبلاء للذهبي ٢/ ٤٤١.

(٥) كتاب المصاحف ص٨١.

(٦) انظر: شرح السنة للبغوي ٤/ ٥٢٥، سير أعلام النبلاء للذهبي ١/ ٤٨٨.

يعلم الناسخ والمنسوخ، وما يجب إبقاؤه في المصحف، وما لا يجب إبقاؤه.

٥. أنه كان كاتبا لأبي بكر ﷺ بإجماع الصحابة؛ فالإنكار بعد ذلك لاختيار عثمان ﷺ له لا معنى له[(١)].

وكتابة **الصحابة** ﷺ للمصحف على عهد عثمان ﷺ تم من غير خلاف؛ لأنه إنما فعل هذا بعد أن استشار الصحابة الموجودين في المدينة ـ منهم علي وبقية العشرة ﷺ ـ فهذا يعد منهم إجماعا، ولم يختلفوا في كتابة شيء منه، إلا ما ذكر من أنهم اختلفوا في كتابة لفظة (التابوت) هل يكتبونه بالتاء المفتوحة أم بالهاء ـ التي هي التاء المربوطة بدون نقط ـ؛ فقال عثمان ﷺ اكتبوه بلغة قريش[(٢)]، فارتفع الخلاف، واتفق على هذا الأسلاف، وصار على دربهم الأخلاف.

قال أنس ﷺ: [**قال عثمان ﷺ للرهط القرشيين الثلاثة: إذا اختلفتم أنتم وزيد ابن ثابت في شيء ـ عربية من عربية القرآن ـ، فاكتبوها بلسان قريش؛ فإن القرآن أنزل بلسانهم، ففعلوا**][(٣)].

ولم يفقد زيد ﷺ شيئا من القرآن مكتوبا إلا آية من سورة الأحزاب، وهي قوله تعالى: ﴿ مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا۟ مَا عَـٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ عَلَيْهِ ۖ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ ۖ وَمَا بَدَّلُوا۟ تَبْدِيلًا ﴾[الأحزاب:٢٣] قال زيد ﷺ: [**فقدت آية من الأحزاب حين نسخنا المصحف قد كنت أسمع رسول الله ﷺ يقرأ بها؛ فالتمسناها؛ فوجدناها مع خزيمة بن ثابت الأنصاري** ﴿ مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا۟ مَا عَـٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ عَلَيْهِ ﴾ **فألحقناها في سورتها في الصحف**][(٤)]. فهذا الأثر يبين لنا منهجية الكتابة، حيث ما كان يكتب شيئا معتمدا على الحفظ فقط، بل حتى يشهد على الكتاب اثنان من المسلمين، ويوجد

---

(١) انظر: سير أعلام النبلاء للذهبي ١/ ٤٨٨، ٢/ ٤٤١.

(٢) انظر: سير أعلام النبلاء للذهبي ٢/ ٤٤١.

(٣) رواه البخاري، كتاب فضائل القرآن، باب/ نزل القرآن بلسان قريش والعرب، ح(٤٩٨٤)، وانظر منه ح(٣٥٠٦).

(٤) رواه البخاري، كتاب فضائل القرآن، باب/ جمع القرآن، ح(٤٩٨٨).

ذلك مكتوبا[١]، وهذا يعني أنه صار على النهج الأول، حين كان يكتب لأبي بكر ﵁.

فكتابة المصحف من عثمان ﵁ حسنة من حسناته ﵁، وشعار على خلافته، وميزة من مميزاته، حيث جمع الله بفعله الأمة على كتابه، وعصم المسلمين من الاختلاف فيه، فله الحمد أولا وآخرا، وجزى الله عثمان ﵁ على هذا الفعل خيرا.

وكتابة الخلفاء للمصحف على هذا الوجه، إنما هي من باب سد الذرائع، حتى لا تختلف الأمة، ولا تتفرق كلمتها على كتاب الله ﷻ القرآن[٢].

وبهذا يتبين أن كتابة المصحف ليست أمرا مبتدعا[٣]، وذلك لأن النبي ﷺ أمر بكتابة القرآن الكريم، فهو أمر مشروع، لكن لم يجمعه في مصحف واحد؛ لأن نزوله لم يكن قد تم، وكانت الآية قد تنسخ بعد نزولها؛ فلوجود الزيادة والنقص لم يمكن جمعه في مصحف واحد حتى مات ﷺ[٤]، ثم قام الخلفاء الراشدون بضم بعضه إلى بعض وكتابته كما قرأه رسول الله ﷺ في العرضة الأخيرة، مشتملا على بعض الأوجه من الأحرف التي لم تنسخ، فاحتملوها في كتابتهم للمصحف، ومعلوم أن هذا ليس إحداثا في الدين لوجود الكتابة سابقا، ثم إنّ ما سنه الخلفاء الراشدون ليس بدعة شرعية ينهى عنها[٥].

وفي هذه الكتابة تمت مراعاة أمور مهمة، حتى يرتفع الخلاف عن الأمة، وهي:

١ . أنه كُتِبَ مُرَتَّبَ السورِ حسب ما كان في العرضة الأخيرة، على الصحيح من أقوال أهل العلم، وإن قيل إنه باجتهادهم؛ فاجتهادهم من غير خلاف يعد إجماعا، وإن كان فيه خلاف في الأول، إلا أن الجميع أذعنوا له، وتيقنوا أنه الخير، وانضموا إلى

---

(١) انظر: رحلة المصحف الشريف ص ٦٣.

(٢) انظر: إعلام الموقعين لابن القيم ١/ ٢١٠، وقد ذكر ابن القيم (٩٠) دليلا لسد الذرائع وختمها بهذه، والأصح ـ والله تعالى أعلم ـ أن جمع المصحف على هذا النمط هو من باب سد الذرائع، لا أن الكتابة نفسها هي من باب سد الذرائع، كيف وقد كان مكتوبا في عهد النبي ﷺ فكتابته اتباع له ﷺ، فليتنبه.

(٣) انظر: الموافقات للشاطبي ٢/ ٤٠٩، ٣/ ٧٣.

(٤) انظر: الاقتضاء ٢/ ٥٩٥.

(٥) الاقتضاء ٢/ ٥٩٥، المجموع ١٣/ ٤٠٢، ٢١/ ٣١٨.

الجماعة، فحصل النفع الكثير، والذي هو من حسنات الخليفة الراشد عثمان ﷺ[١].

٢. أنه روعي فيه ما بقي من الأحرف، ولم ينسخ مما يمكن للرسم أن يحتمله، وترك ما عدا ذلك.

٣. أنه أحدث شيء موافقة للعرضة الأخيرة، فلم يكتب فيه شيء مما نسخت تلاوتها من الآيات، قال البغوي ﷺ: «فاستشار عثمانُ الصحابة في ذلك، فجمع الله ﷻ الأمةَ بحسن اختيار الصحابة على مصحف واحد هو آخر العرضات... فأمر عثمان بنسخه في المصاحف، وجمع القوم عليه، وأمر بتحريق ما سواه قطعا لمادة الخلاف؛ فكان ما يخالف الخط المتفق عليه في حكم المنسوخ والمرفوع، كسائر ما نسخ ورفع منه باتفاق الصحابة، **والمكتوب بين اللوحين هو المحفوظ من الله ﷻ للعباد، وهو الإمام للأمة؛ فليس لأحد أن يعدو في اللفظ إلى ما هو خارج من رسم الكتابة والسواد، فأما القراءة باللغات المختلفة، فما يوافق الخط والكتاب فالفسحة فيها باقية، والتوسعة قائمة بعد ثبوتها وصحتها**»[٢].

٤. أن عثمان ﷺ أرسل إلى الأمصار المشهورة في تلكم الأعصار، وأحرق ما عداه من المصاحف في الديار، ليرتفع الخلاف والشر، وكان هذا الإحراق عن جمع منهم، وإنما خالف بعضهم[٣] لما لم يظهر له العلة من فعل عثمان ﷺ، أو لم يعلم باتفاق الصحابة ﷺ، فلما علم بذلك ثاب إلى قولهم[٤]، قال مصعب بن سعد ﷺ: «أدركت الناس متوافرين حين حرق عثمان المصاحف؛ فأعجبهم ذلك، وقال: لم ينكر ذلك منهم أحد»[٥].

---

(١) انظر: شرح السنة للبغوي ٤/ ٥٢١، أصول التفسير للشيخ ابن عثمين ص٣٢٩، وانظر ص٣٣٩.

(٢) شرح السنة للبغوي ٤/ ٥١١، وانظر: فتح الباري ٨/ ٦٤٧ حيث نقل هذه العبارات بشيء من التصرف.

(٣) كما روي ذلك عن ابن مسعود ﷺ، كما في كتاب المصاحف لابن أبي داود ص٧٠ وما بعدها.

(٤) حتى ابن مسعود ﷺ الذي كان من المخالفين في أول الأمر لهذا الجمع، رجع إلى فعل الجماعة، انظر: كتاب المصاحف ص٨٢ وما بعدها، قال ابن أبي داود: «باب: رضاء عبد الله بن مسعود لجمع عثمان ﷺ المصاحف»، ثم ذكر الآثار عنه في ذلك.

(٥) رواه ابن أبي داود في كتاب المصاحف، باب/ اتفاق الناس مع عثمان على جمع المصاحف، (ح٤١)، وقال محققه: إسناده صحيح.

٥. أن عثمان ﷺ حرم تداول ما سواه من المصاحف التي كتبت غير مراعى فيه ما كتب في المصحف المجمع عليه، ولهذا سمي هذا المصحف بعد ذلك بالمصحف (الإمام)[١]، وحرق ما عدا ذلك من المصاحف حتى لا تكون مثارا للفتنة.

ولهذا أثنى عليه كثير من الناس، قال الإمام عبد الرحمن بن مهدي ﷺ: «خصلتان لعثمان بن عفان ليستا لأبي بكر، ولا لعمر: صبره على نفسه حتى قتل مظلوما، وجمعه الناس على المصحف»[٢].

قال علي ﷺ: [يا أيها الناس لا تغلوا في عثمان، ولا تقولوا له إلا خيرا في المصاحف، وإحراق المصاحف؛ فوالله ما فعل الذي فعل في المصاحف إلا عن ملأ منا جميعا؛ فقال ـ أي عثمان ﷺ ـ: ما تقولون في هذه القراءة؟ قد بلغني أن بعضهم يقول: إن قراءتي خير من قراءتك، وهذا يكاد أن يكون كفرا، قلنا فما ترى؟ قال: نرى أن نجمع الناس على مصحف واحد؛ فلا تكون فرقة، ولا يكون اختلاف، قلنا: فنِعْمَ ما رأيت...، وجمع الناس على مصحف. قال علي ﷺ: والله لو وليت لفعلت مثل الذي فعل][٣].

قال الإمام الزهري ﷺ: «فوفق الله عثمان ﷺ فنسخ تلك الصحف في المصاحف؛ فبعث بها إلى الأمصار، وبثها في المسلمين»[٤].

المسألة الرابعة: المحافظة على الرسم العثماني.

ومن تمام المحافظة على القرآن الكريم كتابته كما كتبه السلف الصالح من الصحابة ﷺ، والتابعين، وذلك حفاظا على ما يحتويه من الأوجه في القراءة، وما يحتمله

---

(١) وإنما سمي مصحف الإمام بهذا الاسم؛ نسبة إلى عثمان ﷺ، (انظر: رحلة المصحف الشريف ص١٣١)، ويمكن أن يكون نسبة إلى أنه الإمام الذي ينبغي أن يقتدى به كل كاتب للمصحف، ـ والله تعالى أعلم ـ، وقد تسمّى كتابة المصحف على الرسم الذي كتب في زمن عثمان ﷺ بالرسم العثماني.

(٢) رواه ابن أبي داود في كتاب المصاحف، باب/ اتفاق الناس مع عثمان على جمع المصاحف، (ح٤٤).

(٣) رواه ابن أبي داود في كتاب المصاحف، باب/ جمع عثمان ﷺ المصاحف، ح(٧٧).

(٤) رواه ابن أبي داود في كتاب المصاحف، باب/ جمع عثمان ﷺ المصاحف، ح(٨١)، وانظر: فتح الباري ٨/ ٦٣٧.

من الأحرف في التلاوة[١]، **ومخالفة الكتابة خلاف ما كتبوه لا ينبغي لأسباب، منها:**

١. أن اتباع السلف في كل ما يتعلق بأمور الدين، ولو لم يكن في نفسه عبادة، هو الأفضل، بل هو اللازم في أمور الدين؛ لأنا أمرنا باتباعهم[٢].

٢. أن في اتباع رسمهم محافظة على الأوجه المروية في القراءات السبعية والعشرية المروية، بالأسانيد الصحية السوية، لأن من «أسباب تركهم المصاحف ـ أول ما كتبت ـ غير مشكولة، ولا منقوطة؛ لتكون صورة الرسم محتملة للأمرين، كالتاء والياء، والفتح والضم، وهم يضبطون باللفظ كلا الأمرين، وتكون دلالة الخط الواحد على كلا اللفظين المنقولين المسموعين المتلوين شبيها بدلالة اللفظ الواحد على كلا المعنيين المعقولين المفهومين»[٣].

٣. أن كتابتها على تلكم الصورة بمحضر من الصحابة، وفيهم العلماء والشعراء والكتباء المطلعون على كتب الأقوام المعاصرة لهم، والمجاورة منهم، ومع ذلك كتبوا جميع المصاحف بهذه الصورة، ولم يختلف مصحف من هذه المصاحف التي أرسلت إلى البلاد عن المصحف الآخر، حتى في صورة الكتابة، ثم من أرسل إليهم قبلوها، ولم يقولوا: هذا غلط فيه الكاتب، وهذا أخطأ فيه الكتاب؛ فهذا كله إجماع منهم على هذه الصورة الكتابية، فلا تجوز مخالفة إجماعهم[٤]، وما وجد من خلاف بين بعض المصاحف التي أرسلت؛ فإن ذلك كما قال أبو عمرو الداني رحمه الله: «السبب في ذلك أن أمير المؤمنين عثمان بن عفان رضي الله عنه لما جمع القرآن في المصاحف ونسخها على صورة واحدة،وآثر في رسمها لغة قريش دون غيرها مما لا يصلح، ولا يثبت نظرا للأمة، واحتياطا على أهل الملة، وثبت عنده أن هذه الحروف من عند الله عز وجل، كذلك منـزلة، ومن رسول الله صلى الله عليه وسلم مسموعة، وعلم أن جمعها في مصحف واحد على تلك

---

(١) انظر: المجموع ١٣/ ٤٠٢.

(٢) انظر: ما ذكرته في أهمية اتباع السلف ص٥٩٦.

(٣) المجموع ١٣/ ٤٠٢.

(٤) انظر: إعانة الطالبين ١/ ٦٨،

الحال غير ممكن إلا بإعادة الكلمة مرتين، وفي رسم ذلك كذلك من التخلط والتغيير للمرسوم ما لا خفاء به؛ ففرقها في المصاحف لذلك؛ فجاءت مثبتة في بعضها، ومحذوفة في بعضها لكي تحفظها الأمة كما نزلت من عند الله ﷻ، وعلى ما سمعت من رسول الله ﷺ؛ فهذا سبب اختلاف مرسومها في مصاحف أهل الأمصار»[(١)]، وهذا يبين أن ما يذكره القراء سواء العراقيون، أو الشاميون؛ فإن ذلك مأخوذ سماعا، ونظرا من المصاحف، ولهذا كان الأئمة يأمرون باتباع المصحف، سئل الإمام مالك رحمه الله «هل يكتب المصحف على ما أحدثه الناس من الهجاء؟، فقال: لا، إلا على الكتبة الأولى، أي التي كتبها الإمام، وهو المصحف العثماني، قال أبو عمر ابن عبد البر رحمه الله: ولا مخالف له في ذلك من علماء الأمة»[(٢)]، ومن كتب المصحف بغير الرسم العثماني فإنه جانب الصواب، ولا يحكم عليه بالكفر، قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: «وأما اتباع رسم الخط، بحيث يكتبه بالكوفي؛ فلا يجب عند أحد من المسلمين، وكذلك اتباعه فيما كتب بالواو والألف، هو حسن لفظ خط[(٣)] رسم الصحابة، وأما تكفير من كتب ألفاظ المصحف بالخط الذي اعتاده؛ فلا أعلم أحدا قال بتكفير من فعل ذلك، **لكن متابعة خطهم أحسن**، هكذا نقل عن مالك وغيره، والله أعلم»[(٤)].

٤. أن في مخالفة السلف تجهيلا لهم، وهذا معلوم أنه لا يجوز، خصوصا في أمر ـ يزعم أن فيه تيسير القراءة!! ـ متعلق بالقرآن الكريم، وكانوا أحرص الناس في الدلالة على الخير[(٥)]، والقرآن نزل بلغة قريش غير مكتوب، ولكن أهل مكة كانوا يكتبون، والله ﷻ يعلم ذلك، ورسوله ﷺ يملي عليهم، ولم ينكر على الكتبة ما كتبوه، وتحرى عثمان رضي الله عنه أن تكون هذه الكتابة بلغة قريش خاصة لكونه نزل بلغتهم، فاستمر

(١) انظر: مجلة البحوث الإسلامية، العدد(٦)، ص٤٣.

(٢) إعانة الطالبين ١/ ٦٨، وانظر: حاشية البيجوري ٢/ ١٨٩، المجموع للنووي ٩/ ٣٧٤.

(٣) هكذا في المطبوع، ولعل الصواب: (هو حسن للفظ خط رسم الصحابة)، أو (وكذلك اتباعه فيما كتب بالواو والألف حسن، للفظ رسم خط الصحابة) ـ والله أعلم ـ.

(٤) المجموع ١٣/ ٤٢١.

(٥) انظر: إعانة الطالبين ١/ ٦٨.

العمل على هذا قبل وضع قواعد الإملاء المعروفة؛ فكان فعلهم ذلك إجماعا، وأهل العصور يتابعونهم في ذلك؛ فصار بذلك سنة متبعة[(١)].

٥. أن لأنواع الخطوط والإملاء قواعد اصطلاحية من وضع البشر، ولربما تتغير، وتتبدل؛ فإذا عدلنا عن الرسم العثماني إلى الرسم الإملائي الموجود حاليا تسهيلا للقراءة!! قد يفضي ذلك إلى التغيير كلما تغير الاصطلاح في الكتابة لنفس العلة، وقد يؤدي ذلك إلى تحريف القرآن الكريم، بتبديل بعض الحروف من بعض، وزيادتها، أو نقصانها، ومن ثم تختلف القراءات أيضا، فتذهب بعضها لعدم موافقتها لرسم المصحف، وتندثر، وتختلط، ويجد أعداء الإسلام مدخلا في المصحف المعظم، المحفوظ صدرا وكتابا، فهذا الباب ينبغي غلقه، ليس فقط لكون ذلك اتباعًا للصحابة فحسب، بل لأنه من الباب العظيم الذي جاء به الشرع، وهو باب: سد الذرائع، محافظة على الدين، ومنعا للشر والفساد[(٢)].

٦. قال الشاعر مبينا أهمية اتباع الرسم العثماني في كتابة المصحف:

وبعده جرَّده الإمام   في مصحف ليقتدي الأنام
فينبغي لأجل ذا أن نقتفي   مرسُوم ما أصَّلَه في المصحف
ونقتدي بفعله وما رأى   في جعله لمن يخطُّ ملجأَ [(٣)]

أما تنقيط المصحف، وتشكيل حروفه: فـ «الصحابة لم يشكلوا حروفا، ولم ينقطوها؛ فإنهم كانوا عربا لا يلحنون، ثم بعد ذلك في أواخر عصر الصحابة لما نشأ اللحن، صاروا ينقطون المصاحف، ويشكلونها، وذلك جائز عند أكثر العلماء، وهو إحدى الروايتين عن أحمد، وكرهه بعضهم، والصحيح أنه لا يكره؛ لأن الحاجة داعية إلى ذلك، ولا نزاع بين العلماء: أن حكم الشكل والنقط حكم الحروف المكتوبة؛ فإن

(١) انظر: مجلة البحوث الإسلامية، العدد(٦)، ص٤٧، ٤٨.
(٢) انظر: مجلة البحوث الإسلامية، العدد(٦)، ص٤٨.
(٣) مناهل العرفان للزرقاني ١/ ٣٧٩.

النقط تميز بين الحروف، والشكل يبين الإعراب؛ لأنه كلام من تمام الكلام»[(١)]، فالتنقيط والتشكيل إنما تـمَّا في المصاحف التي كتبت في أواخر عهد الصحابة ﷺ، وذلك لما كثر الأعاجم الذين كانوا لا يفرقون بين الكلمات المهملات، ولعدم سلامة لسانهم في اللغة العربية، وتأثر العرب بالعجم ـ خصوصا في العراق وأمصارها ـ[(٢)]؛ فكان لا بد من تيسير القراءة لهم حتى يفرقوا بين(ريب) و(زيت)؛ فوضعت هذه النقاط من أجل هذا التفريق، ومعلوم أن القرآن الكريم كان يقرأ هكذا من غير تنقيط؛ فالزيادة في التنقيط إنما هو في الكتابة والصورة، لا في الألفاظ والتلاوة.

ويذكر أن أول من وضع الشكل الإعرابي ـ مخافة التحريف، والتصحيف ـ أبو الأسود الدؤلي[(٣)] رحمه الله[(٤)].

وأما ما جاء من كراهة بعضهم للتعشير، كما روي عن عبد الله بن مسعود ﷺ: «أنه كره التعشير في **المصحف**»[(٥)] فذلك منه ﷺ حتى لا يختلط بالقرآن شيء مخافة أن يزاد فيه أو يحرف، وإلا فإن التعشير المعروف عليه المصاحف الآن، لم يكن معروفا في زمن ابن مسعود ﷺ[(٦)].

---

(١) المجموع ١٢/ ٥٧٦، رحلة المصحف الشريف ص٢٢.

(٢) انظر: رحلة المصحف الشريف ص٢٣.

(٣) هو المقرئ النحوي المشهور المخضرم: ظالم بن عمرو بن سفيان، ويقال: عمرو بن ظالم، واشتهر بكنيته: أبو الأسود الدؤلي، أو الديلي البصري، ثقة فاضل، روى له أصحاب الكتب، مات سنة تسع وستين. انظر: التقريب ص٥٤٦.

(٤) ويرى بعض الغربيين ـ كعادتهم في نسبة كل شيء إلى أنفسهم ـ أن النصارى هم أول من عرفوا التشكيل والتنقيط في الخطوط، انظر: رحلة المصحف الشريف ص٢٣. وهذا أمر بعيد ـ عندي ـ، وذلك لأن الكتب النصرانية لم تكتب إلا بالسريانية، وهي إلى الآن غير معجمة؛ فكيف يقال: إنها من اختراعهم، لفهم كتبهم!!. وأما وضع الإعجام: وهي النقاط فهذا من وضع تلاميذ أبي الأسود الدؤلي ـ نصر بن عاصم الليثي ٨٩هـ، ويحيى بن يعمر ١٢٩هـ. انظر: مجلة البحوث الإسلامية، العدد (٦) ص٢١، رحلة المصحف الشريف ص٢٣، ٣٤.

(٥) أخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه، كتاب الصلاة، باب/التعشير في المصحف، ح(٨٥٣٦)، وانظر: ح(٨٥٥٨).

(٦) وانظر: مجلة البحوث الإسلامية، العدد(٦)، ص٢١.

ومن تمام اهتمامهم بكتابة القرآن الكريم أنهم كانوا يكرهون كتابة المصاحف الصغار؛ لأنها لا تقرأ، وربما تهان، عن علي ﷺ: [**أنه كره أن يكتب القرآن في المصاحف الصغار**][١] فهذا يدل على اهتمامهم بكتابة المصحف الشريف، قال البيهقي رحمه الله: «من آداب القرآن أن يفخم فيكتب مفرجا، بأحسن خط؛ فلا يصغر، ولا تقرمط حروفه، ولا يخط به ما ليس منه...»[٢].

فتنقيط المصاحف وتعريبها وكتابة التعاشير فيها، وأرقام الآيات وأسماء السور في أولها وكتابة علامات الوقف، وغير ذلك مما هو في مصاحف المسلمين، كان فيه ذلك الخلاف اليسير كما في التنقيط والتعشير، ولكن هذا الخلاف ارتفع بثبوت الاتفاق على جوازه، بعد استمرار العمل به إلى عصرنا[٣].

قال الشيخ محمد رشيد رضا[٤] رحمه الله: «إن ديننا يمتاز على جميع الأديان بحفظ أصله منذ الصدر الأول؛ فالذين تلقوا القرآن عمن جاء به من عند الله حفظوه، وكتبوه، وتلقاه عنهم الألوف من المؤمنين، وتسلسل ذلك جيلا بعد جيل.

وقد أحسن التابعون وتابعوهم وأئمة العلم في اتباع الصحابة في رسم المصحف، **وعدم تجويز كتابته بما استحدث الناس من فن الرسم**، وإن كان أرقى مما كان عليه الصحابة ﷺ لأنه صنعة ترتقي بارتقاء المدنية، إذ لو فعلوا لجاز أن يحدث اشتباه في بعض الكلمات باختلاف رسمها، وجهل أصلها.

فالاتباع في رسم المصحف يفيد مزيد ثقة، واطمئنان في حفظه، كما هو يبعد الشبهات

---

(١) أخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه، كتاب الصلاة، باب/ من كره أن يكتب القرآن في الشيء الصغير، ح(٨٥٥٢)، وانظر: ح(٨٥٥٤).

(٢) نقلا عن مجلة البحوث الإسلامية، العدد(٦)، ص٢١.

(٣) انظر: مجلة البحوث الإسلامية، العدد(٦) ص٢٤.

(٤) هو المفسر والأديب: محمد رشيد بن علي رضا بن محمد البغدادي الأصل، المصري موطنا، رحل عدة رحلات، بسبب الأوضاع السياسية واستقر في مصر أخيرا، وأنشأ فيها مجلة المنار، وكان قد تأثر جدا بمحمد عبده المصري، ثم تأثر بدعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب السلفية، فأصبح من المناصرين لها، من مؤلفاته: تفسير المنار، الوهابيون والحجاز، توفي سنة ١٣٥٤هـ. انظر: معجم المؤلفين ٩/ ٣١٠.

أن تحوم حوله، وفيه فائدة أخرى وهي: حفظ شيء من تاريخ الملة وسلف الأمة كما هو.

نعم إن تغير الرسم واختلاف الإملاء يجعل قراءة المصحف على وجه الصواب خاصة بمن يتلقاه عن القراء، ولذلك أحدثوا فيه النقط والشكل، **وهي زيادة لا تمنع معرفة الأصل، على ما كان عليه في عهد الصحابة**، ثم إنه يجعل تعليم الصغار عسرا، ولذلك أفتى الإمام مالك بجواز كتابة الألواح ومصاحف التعليم بالرسم المعتاد كما نقل...»(١).

وبهذا العمل الجليل من السلف الذين عانوا الكثير في كتابة المصحف الشريف حتى يحافظوا عليه، يتبين لنا جليا «تحقق وعد الله ﷻ بحفظ الذكر الحكيم؛ فكان أحكم وأقدم وأوثق وثيقة عرفها الإنسان ناجية من كل تحريف وتبديل»(٢).

ويقول أحد الغربيين المنصفين عن القرآن الكريم: «إن المصحف الذي جمعه عثمان قد تواتر انتقاله من يد ليد حتى وصل إلينا دون تحريف، ولقد حفظ بعناية شديدة، بحيث لم يطرأ عليه أي تغيير يُذكر، بل نستطيع أن نقول: إنه لم يطرأ عليه أي تغيير على الإطلاق في النسخ التي لا حصر لها، والمتداولة في البلاد الإسلامية الواسعة؛ فلم يوجد إلا قرآن واحد لجميع الفرق الإسلامية المتنازعة، وهذا الاستعمال الإجماعي لنفس النص المقبول من الجميع حتى اليوم يعتبر أكبر حجة ودليل على صحة النص المنـزل الموجود معنا، والذي يرجع إلى الخليفة عثمان»(٣).

المسألة الخامسة: كتابة القرآن الكريم بالأحرف الأعجمية.

والمقصود كتابتها بغير الأحرف العربية، فهذا محرم بالإجماع، والأدلة على ذلك كثيرة، منها:

١. أنه مخالف لإجماع السلف، حيث فتحوا الأمصار، ولم يكتبوا المصحف بلغة تلكم الديار، وهذا منهم بالاتفاق، وإنما أرسل إليهم القرآن مكتوبا بالأحرف العربية،

---

(١) نقلا عن مجلة البحوث الإسلامية، العدد(٦)، ص٢٦ وما بعدها من الصفحات،وهو كلام نفيس على سؤال.

(٢) توثيق القرآن الكريم لأحمد العناني مجلة الدوحة العدد ٦١ ص٣١، نقلا عن رحلة المصحف الشريف ص٦٦.

(٣) ذكره موير في كتابه حياة محمد، نقلا عن رحلة المصحف الشريف ص٦٦.

وانتشر بينهم باللغة العربية، حتى إن كثيرا من تلكم الديار تعلموا اللغة العربية وأحرفها، لتشوقهم لتعلم لغة القرآن الكريم.

٢. أنه يؤدي إلى تغيير معاني كتاب الله ﷻ، إذا كتب القرآن بلغة، وبأحرف كل قوم وقبيلة؛ فإن في العربية أحرفا ليست في كثير من اللغات، مثل (الضاد)، و(الحاء)، (والقاف)، فكيف تكتب حينئذ الكلمات التي لا تحتوي على هذه الأحرف؟؟ فيقال في (الضالين): (الدالين)، وفي (الرحيم): (الرهيم!!)، وفي (الفلق): (الفلك!!)، وهكذا، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

٣. ولأن من شرط القرآن أن يكون موافقا لما في المصحف خطا ورسما، وموافقا لوجه من أوجه اللغة العربية، والكتابة بغير الأحرف العربية لا تشبه الأحرف العربية، فمن كتب القرآن باللغة اللاتينية مثلا،فإن قال: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ﴾، وكتبها باللاتينية فسيكتب هكذا **Al-hamdu lillahi** وسيقرؤها (الهمد لله) وحينئذ يكون قد غير اللفظ والمعنى، فهذا ممنوع قطعا؛ لأنه غيَّر القرآن لفظا ومعنى، فهذا لا يكون تفسيرا ولا ترجمة فيقال بجوازه، ولا هو قرآن فيترخص بكتابته.

٤. ولأن كتابته كحكم قراءته، وقراءته بغير العربية ممنوعة، فكيف بكتابته[1]، ولهذا حرمه غير واحد من أهل العلم، منهم الإمام المطلبي الشافعي رحمه الله[2].

٥. ولأنه مخل بالإعجاز، فإن «في كتابتها بالأعجمية تصرف في اللفظ المعجز، الذي حصل التحدي به، بل بها لم يرد، بل بها يوهم عدم الإعجاز، بل الركاكة؛ لأن الألفاظ الأعجمية فيها تقديم المضاف إليه على المضاف، ونحو ذلك مما يخل بالنظم، وتشويش للفهم»[3].

٦. أن ذلك يؤدي إلى الخلل في الألفاظ القرآنية، وتعلمه حينئذ يكون خطأ فادحا، فالأولى تعلم قراءته بالعربية حتى يكون النطق به سليما.

---

(١) انظر: إعانة الطالبين ١/ ٦٨، البرهان في علوم القرآن ١/ ٤٦١، حاشية الدسوقي ١/ ١٢٥.

(٢) انظر: إعانة الطالبين ١/ ٦٨.

(٣) إعانة الطالبين ١/ ٦٨.

٧. أن السلف منعوا كتابةَ القرآن الكريم باللغة العربية على خلاف المصحف؛ فمثلا: لا يكتب (الربو) في القرآن الكريم إلا بالواو، «مع أنه موافق للفظ الهجاء؛ فمنع ما ليس من جنس الهجاء أولى»[١].

٨. وأما ما ورد أن سلمان ﷺ كتب الفاتحة بالفارسية[٢]، فلا دليل فيه، لأن الخط الفارسي يكتب بالأحرف العربية، فلا يقال إنه كتب بغير العربية، وإنما يقال: كتب بخط فارسي، وإلا فالنطق لا يختلف عن كتابتها، لوجود الأحرف العربية في تلكم اللغة، كما لو كتب بالخط الكوفي أو الرقعة أو النسخ، وقيل: إن ذلك لم يثبت عن سلمان ﷺ، وعلى هذا فلا حجة فيه، ولو صح: فإن المراد أنه كتب معنى ذلك وتفسيره، لا لفظه.

وبهذا يتبين أنه لا تجوز كتابة القرآن بغير الأحرف العربية، أو ما يشابهها من الأحرف الأعجمية تماما، فلا تجوز كتابتها بالأحرف اللاتينية، أو الفرنسية، أو اليابانية، أو الصينية، أو التركية[٣].

تنبيه مهم: قد يوجد في بعض المصاحف المكتوبة سواء قديما في عهد السلف، أو في عهد الخلف بعض الزيادات اليسيرة غير النطق بالقراءات، كالواوات ونحوها، ولكن سرعان ما تكشف وتعرف، فينكرها القراء الحفظة في الأمصار، ويردون ما أخطأ فيه الكاتب إلى الصواب، وإلى المصحف الإمام، وهذا كله من تيسير الله ﷻ وحفظه لكتابه، فالحمد لله الذي حفظ كتابه، ولم يكل حفظه إلى أحد.

ومن تمام حفظ القرآن الكريم حفظ علومه، وقد كان للسلف جهود في ذلك، وهذا ما أبينه في المطلب التالي.

---

(١) إعانة الطالبين ١/ ٦٨، بتصرف يسير.

(٢) ذكر هذا الخبر بصيغة التمريض من دون إسناد السرخسي في المبسوط (١/ ٣٧) مستدلا به لقول أبي حنيفة ﵀ على جواز قراءة القرآن بالفارسية! وهو لم يذكر له سندا، فلم يثبت من حيث السند، ولو ثبت فالمراد به ما ذكرت والله تعالى أعلم، أو أنه كتب لهم ترجمة القرآن الكريم لا القرآن نفسه.

(٣) وبهذا يعلم ضعف ترجيح الدكتور أحمد سالم، حيث رجح في أطروحته العلمية جواز كتابة القرآن الكريم بغير الأحرف العربية إذا وجدت الضرورة!! وضعف أدلةَ الجمهور القائلين بالمنع؟ انظر: فيض الرحمن في الأحكام الفقهية الخاصة بالقرآن ص٤٥ وما بعدها له.

المطلب الثالث: اهتمام السلف بعلوم القرآن.

لا شك أن السلف قد عرفوا للقرآن الكريم منـزلته، واحتجوا به على الوجه الأكمل، ولأجل ذلك كانوا مهتمين بعلوم القرآن، ومن أهم ذلك عمل السلف الصالح بالقرآن الكريم، وتعليمه للناس، والتحاكم إليه، وإقامة حدوده وحروفه، فإن المقصود الأعظم من القرآن الكريم هو أن يتخذ منهجا في طريق السير إلى الله ﷻ، وأن يتعبد به(١).

وقد اتخذت مظاهر عناية السلف بالقرآن الكريم طرقًا شتى؛ فهناك عناية بتدريسه وحفظه وتجويده وقراءاته وإعرابه، ومن اهتمام السلف بالقرآن الكريم عنايتهم بتفسيره حيث إنّهم كانوا أئمة في تفسير القرآن الكريم، ولهذا قال المتبعون للسلف: إن الواجب في فهم النصوص الاتباع لا الابتداع، أي: اتباع نهج المتقدمين من السلف، لا ابتداع مناهج جديدة(٢).

ومن اهتمامهم بالقرآن الكريم عنايتهم بإظهار أوجه إعجازه، وبيان أنه معجز من نواحٍ شتى(٣).

ومن عناية السلف بالقرآن الكريم اهتمامهم بحفظ كتاب الله ﷻ وضبطه وإتقانه حفظا في الصدور، كما هو محفوظ في السطور(٤).

وهنا أذكر بعض الأمثلة ـ من غير حصر إذ الحصر باب لا يدرك منتهاه في هذا المجال ـ التي تدل على اهتمام السلف بالقرآن الكريم، كيف لا وهو الكتاب المبين، الذي أنزل من الرحمن الرحيم، ليكون حجة على العالمين، فهم عرفوا العلوم المختلفة التي توضح معاني كتاب الله المبين؛ فأذكر بعض هذه العلوم وأمثلة لاهتمامهم بها:

---

(١) وكل هذا سبق بيانه، في الفصل الثاني من الباب الأول.

(٢) انظر: ص ٥٩٦.///

(٣) انظر: الفصل الخامس من الباب الأول.

(٤) انظر: المطلب الأول من هذا المبحث.

أولا: علم التفسير، وهو العلم الذي يحصل به المقصود الذي من أجله أنزل الله الكتاب، وهو فهمه، وإدراك معانيه، والعمل بما يقتضيه، وهذا عمر بن الخطاب ﷺ يعلمنا كيف يكون الحال في تفسير كتاب الله ﷻ، فقد « قرأ يوما هذه الآية: ﴿ وَفَٰكِهَةً وَأَبًّا ﴾[عبس:٣١]، قال: قد عرفنا ما الفاكهة؛ فما الأب؟ فقال: لعمرك يا ابن الخطاب إن هذا لهو التكلف »(١).

قال الحافظ ابن كثير رحمه الله بعد قول عمر ﷺ: « وهذا محمول على أنه أراد أن يعرف شكله وجنسه وعينه؛ وإلا فهو وكل من قرأ هذه الآية يعلم أنه من نبات الأرض لقوله تعالى: ﴿ فَأَنۢبَتۡنَا فِيهَا حَبّٗا ۝٢٧ وَعِنَبٗا وَقَضۡبٗا ۝٢٨ وَزَيۡتُونٗا وَنَخۡلٗا ۝٢٩ وَحَدَآئِقَ غُلۡبٗا ۝٣٠ وَفَٰكِهَةٗ وَأَبّٗا ﴾[عبس:٢٧-٣١] »(٢) فهذا المنهج هو الذي يجب أن يتبع في تفسير القرآن الكريم، وهو فهم المراد دون التدخل فيما يكون بعيدا مراده، أو متعمقا فهمه.

والمفسرون من السلف معروفون، ولاشتهارهم يستغنى عن ذكرهم؛ فإمامهم من الصحابة، ورافع لواءه، والجالس لإلقائه هو حبر الأمة، وترجمان القرآن: عبد الله ابن عباس ﷺ، وغيره من الصحابة، وأتباعهم(٣).

فالصحابة ﷺ كانوا يفهمون معاني كتاب الله ﷻ ولهذا فسروه لمن بعدهم من التابعين ﷺ، ولم يقفوا في تفسير آية منه على اتفاق، وإن كان قد يحصل من بعضهم عدم إدراك لبعض ما في الآيات؛ فإن ذلك بالنظر إلى الانفراد لا من حيث المجموع(٤).

قال ابن مسعود ﷺ: [**والله الذي لا إله غيره ما أنزلت سورةٌ من كتاب الله إلا**

---

(١) رواه ابن جرير في تفسيره، ١٢/ ٤٥١، وذكر الحافظ ابن كثير رحمه الله أنه رواه أبو عبيد عن الصديق في هذه الآية وأنه قال: [أي سماء تظلني، وأي أرض تقلني: **إن قلت في كتاب الله ما لا أعلم**]، ثم قال الحافظ: وهذا منقطع، وما رواه ابن جرير ـ أي أثر عمر ﷺ ـ قال: فهو إسناد صحيح. وانظر: فضائل القرآن لأبي عبيد ص ٢٢٧.

(٢) تفسير القرآن العظيم ٤/ ٤٧٣، وانظر: ١/ ٥ منه.

(٣) انظر: تفسير القرآن العظيم لابن كثير ١/ ٣-٥.

(٤) ونظرة عاجلة على طبقات المفسرين، يؤكد لك أن الصحابة والتابعين هم رافعوا لواء التفسير.

أنا أعلم أين أُنزِلت، ولا أُنزِلت آيةٌ من كتاب الله إلا أنا أعلم فيمن أُنزِلت، ولو أعلم أحدا أعلم مني بكتاب الله تبلغه الإبل لركبت إليه][(١)]. فهذا حال ابن مسعود ﷺ وغيره من الصحابة الذين رباهم النبي ﷺ وعلمهم.

قال عبيدة السلماني رحمه الله: «ذهب الذين كانوا يَعلَمون فيم أُنزل القرآن»[(٢)]، وهو إنما يعني الصحابة رضي الله عنهم.

وأما ما روي عن بعضهم من كراهية القول في القرآن؛ فهو محمول على كراهة الخوض فيه من غير أثر، وإنما بمجرد الوهم دون اتباع يذكر.

قال الحافظ ابن كثير رحمه الله عن بعض ما نقل عنهم من التوقف في بعض التفسير: «فهذه الآثار الصحيحة، وما شاكلها عن أئمة السلف محمولة على تحرجهم عن الكلام في التفسير بما لا علم لهم فيه؛ فأما من تكلم بما يعلم من ذلك لغة وشرعا؛ فلا حرج عليه، ولهذا روي عن هؤلاء وغيرهم أقوال في التفسير، ولا منافاة لأنهم تكلموا فيما علموه، وسكتوا عما جهلوه، وهذا هو الواجب على كل أحد؛ فإنه كما يجب السكوت عما لا علم له به؛ فكذلك يجب القول فيما سئل عنه مما يعلمه»[(٣)].

ونظرة عابرة إلى طبقات المفسرين تنبئك عن جهود السلف في علم التفسير ـ الذي هو أهم علوم القرآن الكريم ـ، وقد ذكر السيوطي رحمه الله طبقات المفسرين، وأولهم: «المفسرون من السلف والصحابة والتابعين، وأتباع التابعين»، ثم «المفسرون من المحدِّثين، وهم الذين صنفوا التفاسير مسنَدةً مورَدا فيها أقوال الصحابة، والتابعين بالإسناد»[(٤)].

---

(١) رواه البخاري، كتاب فضائل القرآن، باب/ القراء من أصحاب رسول الله ﷺ، ح(٥٠٠٢).

(٢) رواه أبو عبيد في فضائل القرآن لأبي عبيد ص ٢٢٨، وذكره الحافظ ابن كثير في تفسيره ١/ ٦.

(٣) تفسير القرآن العظيم لابن كثير ١/ ٦.

(٤) انظر: طبقات المفسرين له ص٩، وما بعدها، وطبقات المفسرين للداودي؛ فإنه ذكر كثيرا من المفسرين المشهورين من الصحابة ومن بعدهم، وممن اشتهر بالتفسير من السلف: شعبة بن الحجاج، وسفيان بن عيينة، ووكيع بن الجراح، وقتادة بن دعامة السدوسي، ومجاهد بن جبر المكي، وعكرمة، وآخرون.

ومما يدل على اهتمام السلف بالقرآن الكريم ـ علما وعملا ـ أن العادة المطردة التي جبل الله ﷻ عليها بني آدم تورثهم الاهتمام بالقرآن المنـزل عليهم، أشد من اهتمامهم بالعلوم التي هي مكملات له، أو ملح في العلم[(١)].

فهذا مجاهد إمام التفسير قد نقل عن ابن عباس رضي الله عنهما في التفسير الشيء الكثير، حتى قيل: إنه كان له صحيفة عنه، وغيره من تلاميذ ابن عباس كذلك يروون عنه في التفسير، حتى إن المدرسة المكية اشتهرت بالتفسير[(٢)].

ومن بعد الصحابة كان للتابعين جهد مشكور وسعي مبرور في تفسير كتاب الله ﷻ، وقد اشتهر في زمانهم أئمة فضلاء، وعلماء نبلاء، حتى وصل الأمر إلى إمام المفسرين في نهاية القرن الثالث الهجري ابن جرير الطبري رحمه الله؛ فكان تفسيره[(٣)] جامعا لتفاسير السلف، حاويا لآثارهم، ومشتملا على أقوالهم؛ فكان أعظم تفسير بالمأثور[(٤)].

بل إن المسلمين ينقلون عن نبيهم محمد ﷺ نقلا متواترا: ألفاظ القرآن، ومعانيه التي أجمع المسلمون عليها[(٥)].

والمؤلفات في أم علوم القرآن، أعني: التفسير، بلغت حد الكثرة بحيث لا تُحصى، ومنها: المطول، والمتوسط، والموجز، والتفسير بالمنقول، والتفسير بالمعقول، والتفسير الجامع بينهما، ومنها: تفسير القرآن كله، وتفسير جزء منه، أوسورة منه، أو آية منه[(٦)].

---

(١) انظر: المجموع ٥/ ١٥٧.

(٢) انظر: الفهرست لابن النديم ص ٥٣، البرهان للزركشي ١/ ٢٩.

(٣) وقد طبع تفسيره طبعات كثيرة جدا.

(٤) انظر: الفهرست لابن النديم ص٥٣، مناهل العرفان ١/ ٣٢، ولا شك أن من كتب التفسير المهمة تفسير ابن أبي حاتم وابن مردويه، وعبد الرزاق، وابن المنذر، وسعيد بن منصور في سننه، والحاكم في مستدركه، وكثير من أئمة السلف ضمنوا كتاب التفسير في مصنفاتهم، ثم من أشهر الكتب السلفية في تفسير كلام رب البرية، كتاب تفسير القرآن العظيم للإمام الجليل الحافظ أبي الفداء إسماعيل ابن كثير رحمه الله، ومن التفاسير السلفية، ما جمع من كلام شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله، وكذلك ما جمع من كلام ابن القيم رحمه الله، وتفسير الشيخ عبد الرحمن بن ناصر السعدي رحمه الله، وغيرها.

(٥) انظر: الجواب الصحيح ٣/ ١٠.

(٦) انظر: مناهل العرفان ١/ ٣٣.

وألفت كتب في معاني مفردات القرآن، وهي المعروفة بكتب معاني القرآن وغريبه، وهي كثيرة، لا تعد ولا تحصى[(١)].

ومن اهتمام السلف بعلوم القرآن كتابتهم تفاسير مستقلة في بيان أحكام القرآن، وما يستخرج من آيات الأحكام من الحلال والحرام[(٢)].

ثانيا: علم القراءات[(٣)] وهو علم متعلق بالقرآن الكريم من حيث أدائه وفهمه، ولقد اهتم به السلف الصالح اهتماما بليغا، فقد كان الصحابة ﷺ كل يقرأ بما سمعه من رسول الله ﷺ، والقراءة سنة متبعة، ولهذا كان الصحابي إذا سمع رجلا يقرأ على خلاف ما سمعه هو ينكر هذه القراءة وذلك حفاظا على قراءة القرآن، حتى يبلغه أنه سمعه كذلك من النبي ﷺ، قال عمر ﷺ: [**سمعت هشام بن حكيم**[(٤)] **يقرأ سورة الفرقان في حياة الرسول ﷺ فاستمعت إلى قراءته؛ فإذا هو يقرأ على حروف كثيرة لم يُقرئنيها رسولُ الله ﷺ، فكدت أُساوِرُه في الصلاة، فتصبرت حتى سلَّم فلبَّبْتُه بردائه؛ فقلت**: من أقرأك **هذه السورة التي سمعتك تقرأ بها؟ قال: اقرأنيها رسول الله ﷺ؛ فقلت: كذبت فإن رسول الله ﷺ قد أقرأنيها على غير ما قرأت؛ فانطلقت به أقوده إلى رسول الله ﷺ،**

---

(١) وقد ذكر ابن النديم في الفهرست ص٤٥-٥٥، الكثيرين من أهل العلم الذين خاضوا غمار هذا الفن، ومن أشهر المؤلفات السلفية في هذا الفن: معاني القرآن لأبي عبيدة، ومعاني القرآن لابن الأنباري، ومعاني القرآن للزجاج، ومفردات القرآن للراغب الأصبهاني، و كتاب غريب القرآن لأبي عبيدة، وغريب القرآن لابن قتيبة، وغريب القرآن لأبي عبيد القاسم بن سلام، وغريب القرآن لأبي بكر بن داود السجستاني. انظر: مناهل العرفان ١/ ٣٣.

(٢) ومن أشهر هذه المؤلفات: كتاب أحكام القرآن للإمام الشافعي، كتاب أحكام القرآن لأبي ثور، كتاب أحكام القرآن لداود بن علي. انظر: الفهرست لابن النديم ص ٥٩.

(٣) وعلم القراءات، المقصود به: ما يروى من الأحرف في القراءات المشهورة الصحيحة، وغير الصحيحة، وما يتعلق به من الأمور، ومن أشهر الكتب المؤلفة في علم القراءات ـ وهي كثيرة ـ: كتاب القراءات لأبي عبيد القاسم بن سلام، كتاب القراءات لابن قتيبة، كتابا: القراءات الكبير والصغير لابن مجاهد. انظر: الفهرست لابن النديم ص ٥٥، والقراءات المنقولة عن الصحابة، والمقروء بها القرآن اليوم هو أيضا منقول بالتواتر. انظر: مقدمة ابن خلدون ص٧٨٣.

(٤) هو الصحابي الجليل: هشام بن حكيم بن حزام بن خويلد الأسدي القرشي، صحابي وابن صحابي، مات قبل أبيه. انظر: التقريب ص٥٠٣.

فقلت: إني سمعت هذا يقرأ بسورة الفرقان على حروف لم تُقرئنيها؛ فقال رسول الله ﷺ: أرسِله، اقرأ يا هشام. فقرأ عليه القراءة التي سمعته يقرأ، فقال رسول الله ﷺ: كذلك أنزلت. ثم قال: اقرأ يا عمر، فقرأت القراءة التي أقرأني؛ فقال رسول الله ﷺ: كذلك أُنزلت، إن هذا القرآن أنزل على سبعة أحرف، فاقرؤوا ما تيسر منه](١).

فيتضح لنا من هذا الحديث كيف كان عمر رضي الله عنه يهتم بقراءة القرآن الكريم، وقد كان أبو عبد الرحمن السلمي أحد الذين جلسوا في مسجد النبي ﷺ أكثر من ثلاثين سنة يقرأ الناس القرآن الكريم(٢).

وقد كان كثير من السلف مهتمين بإقراء الناس القراءة الصحيحة، وتعليمهم القراءات(٣).

ومن ذلك اهتمامهم بعلم رسم المصحف(٤)، ويتمثل أوّل الاهتمامات السلفية في كتابة الآيات القرآنية في قول عثمان رضي الله عنه للكتاب الذين كانوا يكتبون القرآن في عهده: [**إذا اختلفتم في عربية من عربية القرآن فاكتبوها بلسان قريش؛ فإن القرآن أنزل بلسانهم، ففعلوا**](٥).

ومن ذلك اهتمامهم بمعرفة أسباب نزوله ومكيه ومدنيه، وقد كان ابن مسعود رضي الله عنه يحلف أنه يعلم الآية فيم نزلت، وأين نزلت، ويسمعه الصحابة رضي الله عنهم ولا ينكرون عليه(٦)،

---

(١) رواه البخاري، كتاب فضائل القرآن، باب/ أنزل القرآن على سبعة أحرف، ح(٤٩٩٢).

(٢) انظر: صحيح الإمام البخاري، كتاب العلم، باب/ ٢١، ح(٥٠٢٧).

(٣) انظر: العناية بالقرآن الكريم وعلومه من بداية القرآن الرابع الهجري إلى عصرنا الحاضر، د. نبيل بن محمد آل إسماعيل ص٣ وما بعدها، ومن **أشهر هؤلاء**: أبو بكر بن مجاهد، مكي بن أبي طالب، أبو عمرو الداني، الشاطبي، علم الدين السخاوي، الذهبي، ابن الجزري، ملا علي القاري الحنفي.

(٤) وهذا علمٌ قد اهتم به السلف أي اهتمام، وقد ذكرت في المطلب السابق ما يدل على هذا، وأشير إلى أشهر الكتب المؤلفة التي اهتمت بهذا العلم، وهي: كتاب الخليل في النقط، كتاب ابن الأنباري في النقط والشكل. انظر: الفهرست لابن النديم ص ٥٥.

(٥) سبق تخريجه، بلفظ: "قال عثمان..".

(٦) انظر: الأثر السابق عن ابن مسعود رضي الله عنه كما مر قريبا.

ومن أوائل من ألف في هذا الفن شيخ الإمام البخاري المحدث المشهور علي بن المديني رحمه الله[(١)].

ومن ذلك **اهتمامهم بمعرفة ناسخه ومنسوخه**، وقد كان الأئمة من السلف ينهون عن تفسير القرآن والخوض في أحكامه من غير معرفة بالناسخ والمنسوخ[(٢)].

ومن ذلك اهتمامهم بعلم فضائل القرآن الكريم، وقد صنفوا في ذلك مصنفات، وكتبوا في ذلك مؤلفاتٍ[(٣)].

ولشيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله وغيره من العلماء المتبعين للسلف كتب كثيرة تنافح وتدافع عن كتاب الله ﷻ، وهذه عناية مهمة منهم لفصح عدوان الغاشمين على القرآن الكريم[(٤)].

والعلوم المضافة إلى القرآن الكريم قسمان؛ **قسم هو كأداة لفهمه**، واستخراج ما فيه من الفوائد، ومعين على معرفة مراد الله تعالى منه؛ كعلوم اللغة العربية التي لا بد منها، وعلم القراءات، والناسخ والمنسوخ، وقواعد أصول الفقه، وما أشبه ذلك[(٥)].

ولكن قد يدعى فيما ليس بوسيلة أنه وسيلة إلى فهم القرآن، وأنه مطلوب، ولا يكون كذلك[(٦)].

---

(١) انظر: مناهل العرفان ١/ ٣٣.

(٢) وعلم الناسخ والمنسوخ قد اهتم به السلف، وكتبوا في ذلك المؤلفات المشهورة والمجلدات المزبورة، ومنها: كتاب أبي عبيد القاسم بن سلام، وأبي بكر ابن أبي داود السجستاني، ومقاتل بن سليمان. انظر: الفهرست لابن النديم ص٥٨-٥٩.

(٣) ومن أشهر هذه المؤلفات السلفية: فضائل القرآن لأبي عبيد، فضائل القرآن لابن أبي شيبة، (بل كل من صنف في الأحاديث، وضع كتابا بعنوان: فضائل القرآن، ثم ذكر ما ورد تحت هذا الباب، ومن أشهر هؤلاء: البخاري، ومسلم، وأبو داود، وغيرهم)، وكتاب: فضائل القرآن لابن كثير.

(٤) انظر: العقود الدرية ١/ ٥٣.

(٥) الموافقات للشاطبي ٣/ ٣٧٥.

(٦) كجعل الرازي علم الهيئة وسيلة إلى فهم القرآن، وجعل ابن رشد الفلسفةَ مطلوبة في فهم القرآن!!. انظر: الموافقات للشاطبي ٣/ ٣٧٥-٣٧٦.

وقسم هو: أساس المقصد من إنزال القرآن الكريم، كمعرفة المعبود، ومعرفة المرسِل، ومعرفة المرسَل، ومعرفة ما أرسِل به، وهو مأخوذ من جملته، من حيث هو، كفهم معرفة صفات الله تعالى وأسمائه، ومعرفة أمور الإيمان، ومعرفة أنه معجزة الرسول ﷺ وأنه دليل على نبوته، وما يفهم منه من القواعد العامة من مجموع ما يفهم من الآيات، وما يستخرج من المقاصد الشرعية[١]، وهذا معلوم أنه لم يهتم به على الوجه الأكمل إلا السلف الصالح، ومن تبعهم بإحسان.

وبهذا يتبين أن الصحابة والتابعين وسائر الأئمة قد كان لهم في نصوص القرآن وتفسيرها الجهد المشكور، والبذل الكبير المبرور[٢].

فالسلف ـ رحمهم الله ـ لهم في هذه الفنون اليد الطولى، والباع الكبير؛ فمن نور الله قلبه وبصيرته هداه بما يبلغه من ذلك، ومن عمي عنه فإن كثرة العلوم والكتب لا تزيده إلا حيرة وضلالا[٣].

واهتمام الأمة بالقرآن الكريم فوق التصور، وفوق الوصف؛ إذ لا زال الناس يحفونه بالعناية والاهتمام حتى أصبح كل فن من فنون العلم له متعلق بالقرآن الكريم، ـ بل إن أي علم من العلوم إن لم يكن منتزعا من القرآن فلا برهان له ـ[٤]، وتسابق الناس في استخراج مخدَّرات فنونه[٥]، حتى أصبح هناك مؤلفات في «إقسام القرآن، وأمثال القرآن، وبدائع القرآن، ورسم القرآن، وما أشبهها مما يروعك تصوره ـ بَلْه الاطّلاع عليه ـ، ومما يملأ خزائن كاملة من أعظم المكتبات في العالم، **ثم لا يزال**

---

(١) انظر: الموافقات للشاطبي ٣/ ٣٧٦ وما بعدها، وقد نقل حاجي خليفة في كتابه كشف الظنون العلوم المتعلقة بالقرآن الكريم وأن منها علومًا أصلية ـ وهي المقصودة ـ، وعلومًا فرعية. انظر: كشف الظنون ١/ ١١-١٥.

(٢) انظر: المجموع ١٣/ ٣٠٧.

(٣) انظر: المجموع ١٠/ ٦٦٥.

(٤) انظر: البرهان للزركشي ١/ ٢٨.

(٥) قال الزركشي ﷺ عن القرآن الكريم وما فيه من العلوم:

هذا وكم فيه من مـزايا وفي زوايـاه من خبـايـا

البرهان للزركشي ١/ ٢٢.

المؤلفون إلى عصرنا هذا يزيدون، وعلوم القرآن ومؤلفاته تنمو وتزدهر وتزيد، بينما الزمان يفنى والعالَم يبيد! أليس هذا إعجازا آخر للقرآن يريك إلى أي حد بلغ علماء الإسلام في خدمة التنـزيل؟! ويريك أنه كتاب لا تفنى عجائبه، ولا تنقضي معارفه»[(١)]، **ويزداد المرء تعجبا إذا نظر إلى مؤلفات من سلف، إذ يجدها** تستقصي في مجالها، وتستوعب الموضوعات التي ألفت فيها، وحتى تكون هذه المؤلفات معلومة للناس، بعد أن كانت مشتتة بأسماء العلوم نفسها؛ اشتدت الحاجة إلى فهرسة لها، فكانت مؤلفات العلماء في فن جديد يعرف بـ"علوم القرآن"[(٢)]، ويعتبر هذا الاسم جديدا من حيث التأليف، وأما من حيث معرفته فهو قد كان مجموعا في صدور العلماء السابقين[(٣)]، وبهذا نعلم أن السلف قد كانت لهم جهود مشكورة في خدمة القرآن الكريم وعلومه، حتى وصلت إلينا.

وقام المتبعون للسلف في العصر الحديث بجهد مشكور في خدمة القرآن الكريم، وهذا ما أبينه في المطلب التالي.

---

(١) مناهل العرفان ١/ ٣٣، ويؤكد لك هذا المعنى نظرة إلى كتاب: البرهان للزركشي ١/ ٣٠-٣٢، حيث ذكر خطة سيره في كتابه المذكور؛ فذكر من علوم القرآن (٤٧) فنا من الفنون المتعلقة بعلوم القرآن الكريم، وكذلك السيوطي في كتابه: التحبير في علوم التفسير ذكر (١٠٢) فنا من فنون العلوم المتعلقة بالقرآن الكريم، وذكر في كتابه: الإتقان في علوم القرآن (٨٠) نوعا من أنواع العلوم المتعلقة بالقرآن الكريم.

(٢) ومن أجل الكتب المؤلفة في هذا الفن: كتاب جمال القراء لعلم الدين السخاوي، والبرهان في علوم القرآن للزركشي، والإتقان للسيوطي.

(٣) انظر: مناهل العرفان ١/ ٣٤-٣٥.

المطلب الرابع: اهتمام أهل السنة بالقرآن في العصر الحديث.

لازال المتبعون من الخلف سائرين على درب السلف في تعظيم القرآن الكريم وتنـزيله منـزلته اللائقة به، والاهتمام بعلومه.

ومَن برز من علماء **أهل الحديث** فذلك لكونه على درب السلف، وكل من كان بالقرآن أشد علما وعملا كان جهده في علوم القرآن بارزا، وسيرته بين الأنام معروفة، حتى لُقبوا بأئمة الإسلام، ومجددي الدين للأنام، ومن أشهر هؤلاء الأعلام:

- إمام أهل السنة الهمام: الإمام أحمد بن حنبل عَلَمُ الأعلام، وفخر الإسلام، والمنافح عن القرآن في المحنة المعروفة بمحنة خلق القرآن.
- شيخ الإسلام، مجدد السنة، ومجدد عقيدة السلف بين الأنام: أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام، وقد كان جهده منصبا لخدمة القرآن والسنة، لم يعرف بالتحزب إلا إليهما، ولا بالتمذهب إلا عليهما، ولا بالجهاد إلا عنهما، لم يدع إلا إليهما، نبذ الطرق الصوفية والمناهج الكلامية، وهجر الراحة في الدنيا الدنية، ونبذ ما فيها من الزخارف الوقتية، وكان جل وقته في خدمة كلام رب البرية.
- المجدد لما اندرس من معالم الإسلام، شيخ الإسلام: الإمام محمد بن عبد الوهاب، الذي دعا إلى دعوة القرآن في توحيد الله ﷻ، وكان جل همه تجلية الآيات التي وضع حولها أهل البدع الحجب الكثيرات؛ فكشف الشبهات، ودعا إلى توحيد رب البريات؛ فأظهر الله دعوته، ونشر بين الأنام طيب سيرته، وأصبح المتبعون للسلف يهتمون بكتبه، وينتهجون نهجه في العقيدة والسلوك إذ كان نهجه القرآن، متبصرا بسيرة سيد ولد عدنان.

ولا زال المتبعون للسلف على هذا الدرب حتى العصر الحاضر، ولأهل الحديث والأثر مساعٍ مشكورة في الذب عن كتاب الله ﷻ والدعوة إلى ما دعا إليه، ونشر السنة في كل مكان، وأشمل ذلك وأكمله ما تقوم به هذه الدولة المباركة التي ما

نحن إلا ثمرة من ثمراتها، ولا نبتنا إلا بين جنباتها، وترعرعنا في خيراتها، وترويناً من مياهها، ولهذا فسأبين بشيء من التبيان، ما قامت به هذه الدولة في خدمة القرآن، على صورة نقاط معينة، تبرز الجهود المشكورة والأموال المبذولة، وهي مظاهر ملموسة[١]، **وأما غيرها من الدول فجهودها في نشر السنة لا تذكر، وفي بث عقيدة السلف لا تعرف، وإن كان فيها شيء فذلك لجهد فرعي أو نشاط اجتماعي من قبل بعض الأفراد والمؤسسات، ولهذا فإني اقتصرت على جهود هذه الدولة التي عملها في نصرة الكتاب والسنة ظاهرة، وذلك من خلال ما يأتي:**

١- الدستور هو القرآن الكريم: هكذا أنشئت هذه الدولة المباركة[٢]، التي أقامها المؤسسان الأولان: محمد بن عبد الوهاب العالم الرباني رحمه الله، والأمير محمد بن سعود الإمام المجاهد رحمه الله، فكان الدستور في البلاد، وما إليه المرجع بين العباد: القرآن والسنة، وهذا كان شأن القضاة، وهكذا حتى كان عهد المؤسس الثالث للدولة السعودية الثالثة: الملك عبد العزيز رحمه الله فأعلن أن دستور البلاد ما كان عليه السلف الأول: من انتهاج نهج السنة والقرآن، في جميع الأمور التي تكون في البلدان، ومن جملة ذلك أن وجه كثيرا من الأموال في صرف حفظ القرآن الكريم وتعليمه، وللبلدان في المعمورة دساتير وضعية، وقوانين غربية، وأما الدولة السعودية الأبية؛ فهي تحكم القضاء الشرعي، وتراعي في ذلك نصوص الوحيين: الكتاب والسنة[٣]، وعلى هذا صار أبناؤه، الذين ولاهم الله زمام الأمور، نسأل الله أن يوفقهم لما فيه الحبور، وأن يجنبهم الغرور والشرور.

---

(١) انظر: هذه المظاهر في كتاب: عناية المملكة العربية السعودية بطباعة المصحف الشريف، وتسجيل تلاوته، وترجمة معانيه، ونشره. للأستاذ د/ محمد بن سالم العوفي ص٤ وما بعدها.

(٢) انظر: بحث الشيخ د/ صالح بن غانم السدلان، والشيخ د/ صالح بن حميد، والبحثان بعنوان: اتخاذ القرآن الكريم أساسا لشؤون الحياة والحكم في المملكة العربية السعودية، مقدم لندوة عناية المملكة العربية السعودية بالقرآن الكريم وعلومه، وقضايا عقدية معاصرة ص١٣٣.

(٣) انظر: عناية المملكة العربية السعودية بالقرآن الكريم، إعداد: مركز البحوث والدراسات، بوزارة الأوقاف والدعوة والشئون الإسلامية ص٣٦-٣٨.

٢- **تعليم القرآن الكريم**: لقد اهتمت المملكة العربية السعودية في تعليم القرآن الكريم للنشأ على وجه الخصوص، ومن الجهود المباركة ما تبذله الإدارة العامة للمناهج بوازرة المعارف السعودية في مجال العناية بكتاب الله تعالى وحفظه[١]، ومن ذلك جملة مدارس خاصة في وزارة المعارف، وتعليم البنات تعرف بمدارس تحفيظ القرآن الكريم، وتبين هذه الأرقام الإنجازات الكبيرة في تعليم القرآن الكريم، ففي عام ١٤٠١هـ، كان عدد المدارس الخاصة لتحفيظ القرآن الكريم (٩٩) مدرسة، وعدد الطلاب (١٣.٧٠٥) طالبا، بينما ارتفع هذا الرقم بشكل ملحوظ فوصلت هذه المدارس عام ١٤٢٠هـ إلى (٣٨٦) مدرسة، وعدد طلابها (٤٦.٠٥٢) طالبا[٢]، ويتمتع الطلاب فيها بمزايا خاصة[٣]، بالإضافة إلى مدارس تحفيظ القرآن الكريم التابعة للحرس الوطني، ولا ريب أن القرآن الكريم يرفع من شأن معنويات الجنود، والإقبال على هذه المدارس في الحرس الوطني كبير ـ ولله الحمد ـ[٤]، ولا ريب أن المدارس العامة في المملكة لها جهود مبذولة حيث هناك مقررات للحفظ في جميع مراحل التعليم العام، والتعليم الجامعي[٥]، ومن تعليم القرآن الكريم ما يتم داخل السجون حيث توجد هناك حلقات لتعليم القرآن الكريم[٦]، ومن يحفظ القرآن

---

(١) وقد كتب أ.د/ محمد بن معجب الحامد بحثا قيما بعنوان: جهود الإدارة العامة للمناهج في وزارة المعارف في مجال العناية بكتاب الله تعالى وحفظه، ومن أهم المحاور التي بحثها: وجود المدارس الليلية والنهارية لتحفيظ القرآن الكريم، وبيان المقررات العامة في التعليم العام: تلاوة وحفظا، وبيان المقرر من تفسير القرآن الكريم، وبيان طرق تدريس القرآن الكريم في مختلف المراحل...

(٢) انظر: عناية المملكة العربية السعودية بالقرآن الكريم ص ٤٩.

(٣) انظر: المدارس الخاصة لتحفيظ القرآن الكريم، والكليات الجامعية للقرآن وعلومه (تقرير) د/ محمد الأمين الحسين ص٢١.

(٤) انظر: عناية المملكة العربية السعودية بالقرآن الكريم ص٥٠، وما بعدها.

(٥) انظر: حفظ القرآن الكريم وتعليمه في جميع مراحل التعليم العام والتعليم الجامعي(تقرير) د/ حمد بن ناصر العمار ص٢٩ وما بعدها.

(٦) انظر: تدريس القرآن الكريم في السجون ودور الملاحظة الإجتماعية للشيخ محمد حبيب أحمد ص٢٨ وما بعدها.

الكريم منهم يخفف عنه السجن، تكريما لحفظة كتاب الله ﷻ [(١)]، وكذلك يتم تحفيظ القرآن الكريم في دور الملاحظة الاجتماعية[(٢)]، ولقد اهتمت المملكة العربية السعودية بعلوم القرآن الكريم تعليما، وتفسيرا وترجمة،و هذا كله من باب التعليم[(٣)].

٣- إقامة الجمعيات الخيرية: قام السلفيون في مختلف البلدان بجهود ملحوظة لتحفيظ كتاب الله ﷻ، ومن ذلك إنشاء مراكز تهتم بحفظ كتاب الله ﷻ، وهذا ملاحظ في المراكز السلفية ذات العقيدة السنية، في البلدان المختلفة المتحضرة والنائية، ومن أعظم هذه الجهود الظاهرة ما تقوم به المملكة العربية السعودية من جهود مشكورة، ومساعٍ مبرورة في إقامة حلقات تحفيظ القرآن الكريم، تحت مسميات الجمعيات الخيرية لتحفيظ القرآن الكريم[(٤)]، ويكفي أن تعلم أن عدد الدارسين في هذه الجمعيات خلال عام ١٤٠٠هـ، كان أقل من (خمسين ألف) طالب، وبلغ عدد المشاركين في هذه الجمعيات عام ١٤٢٠هـ (٣٢٠.٠٠٥)، وهذا وحده يكفي دليلاً أكيدًا على الاهتمام بالقرآن الكريم وعلومه[(٥)].

٤- إقامة المسابقات الداخلية والدولية: والمملكة العربية السعودية بما لها من دور بارز في خدمة القرآن الكريم، وما حباها الله من ضم جنباتها الحرمين الشريفين؛ فهي تقوم بإقامة المسابقات الداخلية والدولية التي تدل على الاهتمام بالقرآن الكريم،

---

(١) انظر: عناية المملكة العربية السعودية بالقرآن الكريم ص٩٢، وانظر: تدريس القرآن الكريم في السجون ودور الملاحظة الاجتماعية للشيخ محمد حبيب أحمد ص٣٤ وما بعدها.

(٢) انظر: تدريس القرآن الكريم في السجون ودور الملاحظة الاجتماعية للشيخ محمد حبيب أحمد ص٤٥وما بعدها.

(٣) انظر: عناية المملكة العربية السعودية بتفسير القرآن الكريم وترجمة معانيه، أعده د/ مانع بن حماد الجهني ص٤ وما بعدها.

(٤) يوجد في المملكة العربية السعودية (١٦) جمعية خيرية متخصصة في حفظ القرآن الكريم، ومركزٌ خيريٌ لتعليم القرآن الكريم وعلومه في الرياض، والمدرسة الصالحية في حريملاء، وغيرها. انظر: عناية المملكة العربية السعودية بالقرآن الكريم ص٤٢، وانظر: الجمعيات الخيرية لتحفيظ القرآن الكريم، تقرير أ.عبد الله بن حمد المزروع ص١ ومابعدها.

(٥) انظر: المصدر السابق.

وقد رصدت لذلك مبالغ كبيرة، وقد بلغ عدد الطلاب المشاركين في المسابقة الدولية حتى الآن (٣٢٩٦) طالبا[١].

٥- **إنشاء إذاعة تهتم بالقرآن الكريم وعلومه**: لا شك أن الإعلام له دور بارز، ولهذا اهتم القائمون على الإعلام من المتبعين للسلف على نشر القرآن الكريم مسموعا ومرئيا، وعلى نشر علومها[٢]، وكان قدم السبق لـ "إذاعة القرآن الكريم"[٣] في المملكة العربية السعودية، والتي تبث عبر موجات مختلفة، وإلى بلدان شتى، وجل اهتمامها بالقرآن الكريم، ويبث القرآن منها بنسبة (٧٠%)، وعناية المملكة العربية السعودية بالقرآن الكريم في إعلامها إنما هو تعبير عن هويتها الإسلامية، ورسالتها في خدمة الإسلام والمسلمين، « وتهدف إذاعة القرآن الكريم إلى إيصال القرآن الكريم إلى أذن كل مسلم ومسلمة، بكل صفاء، وإتقان، لفهمه، وتدبر معانيه، والعمل بأوامره، واجتناب نواهيه، وذلك عن طريق بثه مرتلا ومجودا إلى المستمعين كمصاحف متكاملة من الفاتحة إلى الناس، أو كتلاوات متفرقة، كما تبث الإذاعة كذلك برامج التفسير، وعلوم القرآن والسنة المطهرة... »[٤]، فهذه الإذاعة تقوم مشكورة على مختلف البرامج

---

(١) انظر: الجدول الذي يبين عدد المشاركين، وعدد الدول في كتاب: عناية المملكة العربية السعودية بالقرآن الكريم ص١١٢، ومن أهم هذه المسابقات: المسابقة الدولية لحفظ القرآن الكريم وتلاوته، وتفسيره، مسابقة وزارة التربية والتعليم، مسابقة خادم الحرمين في إندونيسيا، المسابقة المحلية لتحفيظ القرآن الكريم وتلاوته وتفسيره، مسابقة...، وهناك مسابقات دولية ومحلية في الدول الأخرى حذت حذو المملكة العربية السعودية في إقامتها ورعايتها، ولمن سن السنة الحسنة الأجر. انظر: المسابقات القرآنية المحلية والدولية، تقرير: أ.عبد العزيز بن عبد الرحمن السبهين، ص٥ وما بعدها.

(٢) وكل إناء بما فيه ينضح؛ فهناك إذاعات للقرآن الكريم في أكثر من دولة عربية وإسلامية، وتبث في أوقات معدودة مختلفة، ولكنها تنفث السم الزعاف باسم القرآن الكريم؛ فكم سمعت من إذاعة القرآن الكريم في الدولة الفلانية... من السموم الصوفية، والخرافات الأشعرية، وتسمع من آخر الاعتزالات الغوية؛ وتسمع من إذاعة أخرى المسبات العلنية من الرافضة الغوية؛ فإلى الله المشتكى.

(٣) أنشأت هذه الإذاعة عام ١٣٩٢هـ في مكة المكرمة، ومثلها في الرياض، ثم تم دمجها عام ١٤٠٣هـ. انظر: عناية المملكة العربية السعودية بالقرآن الكريم ص ٥٥.

(٤) جهود إذاعة القرآن الكريم في خدمة القرآن الكريم وعلومه، لمحمد بن علي الصفار، ص٧.

التي تخدم الكتاب والسنة[١]، بل وتشجع من يقوم بتسجيل إذاعي بدفع مكافأة مالية له[٢]، وهذا لا يعني أن الإذاعات الأخرى في المملكة سواء المسموعة أو المقروءة منها خاوية عن خدمة القرآن الكريم وعلومه، بل إن لها جهدا ملموسا في ذلك[٣]، ولا ننسى جهود الإعلام الخاص في خدمة القرآن الكريم، سواء عن طريق التسجيلات أو المكتبات[٤]، أوالصحف والمجلات[٥].

٦- طبع المصاحف وتسجيل الأشرطة السمعية: قامت جهات عدة بطبع المصحف الشريف وتوزيعه، ولكن لم تكن على المستوى المطلوب في أي من هذه الجهات، وتعد من مفاخر الدولة السعودية ـ وهي تخدم نشر علوم القرآن الكريم ـ أن أنشأت " مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف"[٦] والذي يطبع سنويا الملايين من المصاحف[٧]، ويوزّعها بالمجان على الحجاج والمعتمرين، وعلى المساجد، وفي السفارات

---

(١) ونظرة واحدة إلى هيكل برامج إذاعة القرآن الكريم تُنْبِئُك عن مدى اهتمامها بعلوم القرآن الكريم؛ فمن برامجها الثابتة: ناشئ في رحاب القرآن، وبرنامج: فقه القرآن الكريم، وبرنامج: من أحكام القرآن الكريم، وبرنامج: علم القراءات، وبرنامج: دروس من القرآن الكريم،... . انظر: جهود إذاعة القرآن الكريم في خدمة القرآن الكريم وعلومه، لمحمد بن علي الصفار ص٢٣-٢٤ وما بعدها.

(٢) انظر: جهود إذاعة القرآن الكريم في خدمة القرآن الكريم وعلومه، لمحمد بن علي الصفار ص٣١.

(٣) انظر: عناية الإعلام السعودي بالقرآن الكريم (مع دراسة تحليلية لبرامج القناة الأولى)، د/ إسماعيل أحمد النزاري ص١٣ وما بعدها.

(٤) انظر: عناية الإعلام السعودي بالقرآن الكريم (مع دراسة تحليلية لبرامج القناة الأولى)، د/ إسماعيل أحمد النزاري ص٧ وما بعدها.

(٥) انظر: عناية الإعلام السعودي بالقرآن الكريم (مع دراسة تحليلية لبرامج القناة الأولى)، د/ إسماعيل أحمد النزاري ص٢٣ وما بعدها.

(٦) انظر: أهداف إنشاء المجمع في كتاب، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف بالمدينة المنورة صرح إسلامي لخدمة القرآن والسنة، ص٥ وما بعدها.

(٧) وللعلم فقد طبع من المصاحف في هذا المجمع المبارك حتى عام ١٤٢٠هـ، (١٥٠) **مليون مصحف** بأحجام وألوان مختلفة، تم توزيع (١٣٥) مليون منها على المسلمين إهداء. انظر: عناية المملكة العربية السعودية بالقرآن الكريم ص٥٨، وانظر: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف بالمدينة المنورة صرح إسلامي لخدمة القرآن والسنة، ص ١٢ وما بعدها.

السعودية ومن ثم يتم توزيعها على حسب الحاجة، فتقوم هذه الدولة السنية في نشرها لكتاب الله ﷻ على أكمل وجه[(١)]، وكذلك يقوم المجمع بنسخ الأشرطة السمعية بأصوات المقرئين المعروفين، ومن ثم يتم توزيعها، وبيعها - بسعر رمزي - في مختلف البلدان[(٢)]، ومن ذلك طباعة المجمع للتفاسير المختلفة باللغات المختلفة الحية الموجودة في العالم، وتختار أرقى التفاسير وأصحها لغة ومعنى، دراية ورواية، ويتم توزيعها بعد ذلك على أصحاب اللغات، ويباع بسعر منخفض[(٣)]، ونظرة متأمل تطلعك على الأهداف السامية التي أنشئ المجمع من أجلها[(٤)]، ومن أهم ما يذكر في باب خدمة القرآن الكريم وعلومه ما قامت به المملكة العربية السعودية من طباعة المصحف الشريف للمكفوفين بطريقة (برايل)، وقد استفاد من هذا العمل العظيم أناس كثيرون كانوا محرومين من قراءة القرآن الكريم[(٥)].

٧- **الجهود في تحفيظ القرآن الكريم لأبناء المسلمين:** وقد بذلت الجهات السنية في مختلف البلدان جهودا لا بأس بها في تحفيظ القرآن الكريم والاهتمام بعلومها في هذا العصر، ولكن كان قدم السبق للمملكة العربية السعودية في تشجيع أبناء المسلمين إلى هذا الخير، ومن ذلك دعم المملكة العربية السعودية السخية للجمعيات الخيرية لتحفيظ القرآن الكريم في العالم الإسلامي لتواصل مسيرتها الدعوية والتوعوية والتعليمية[(٦)]، وصرف أموال طائلة لدعم هذه الجمعيات التحفيظية سنويا[(٧)]،

---

(١) انظر: مجلة الجامعة الإسلامية، ص١١، العدد (١١٨)، السنة ٣٥، ١٤٢٣هـ.

(٢) انظر: عناية المملكة العربية السعودية بالقرآن الكريم ص٨٧.

(٣) انظر: عناية المملكة العربية السعودية بالقرآن الكريم ص٨٦

(٤) انظر: هذه الأهداف، في عناية المملكة العربية السعودية بالقرآن الكريم ص٨١.

(٥) انظر: جهود المملكة العربية السعودية في مجال طباعة القرآن الكريم للمكفوفين بطريقة (برايل) تقرير، د.ناصر بن علي الموسى ص٧ وما بعدها.

(٦) انظر: جهود المملكة العربية السعودية في رعاية تحفيظ القرآن الكريم لأبناء المسلمين في الخارج (تقرير) أعده: د/ عبد الله بن علي بصفر ص١٢-١٣.

(٧) انظر: جهود المملكة العربية السعودية في رعاية تحفيظ القرآن الكريم لأبناء المسلمين في الخارج (تقرير) أعده: د/ عبد الله بن علي بصفر ص ١٦.

وبذلت مساعدات سخية في دعم حلقات التحفيظ في الخارج[١]، وكذلك تجتهد في حث الطلاب في الخارج على الحفظ عن طريق إقامة مختلف المسابقات[٢]، وبذلت مساعي حميدة في إقامة دورات لمعلمي القرآن الكريم[٣]، وتنمية القدرات في الجامعات والكليات المهتمة بالقرآن الكريم وعلومه[٤]، وبذلت في نشر المصاحف لهم جهدا عظيما[٥]، وكذلك سعت في نشر البحوث[٦] والدراسات والندوات التي تخدم القرآن الكريم وعلومه[٧].

ولا أنسى ـ وأنا من أبناء هذه الجامعة المباركة ـ كلية القرآن الكريم؛ فقد أسست في الجامعة الإسلامية ـ ولأول مرة في التاريخ ـ كليةُ القرآن الكريم التي فيها تدرس علوم القرآن الكريم من تفسير وقراءات...، وهذا لا شك يدل على اهتمام بالغ بالقرآن الكريم[٨].

---

(١) انظر: جهود المملكة العربية السعودية في رعاية تحفيظ القرآن الكريم لأبناء المسلمين في الخارج (تقرير) أعده: د/ عبد الله بن علي بصفر ص ١٧ وما بعدها.

(٢) انظر: جهود المملكة العربية السعودية في رعاية تحفيظ القرآن الكريم لأبناء المسلمين في الخارج (تقرير) أعده: د/ عبد الله بن علي بصفر ص ٢٣ وما بعدها.

(٣) انظر: جهود المملكة العربية السعودية في رعاية تحفيظ القرآن الكريم لأبناء المسلمين في الخارج (تقرير) أعده: د/ عبد الله بن علي بصفر ص ٣٢ وما بعدها.

(٤)انظر: جهود المملكة العربية السعودية في رعاية تحفيظ القرآن الكريم لأبناء المسلمين في الخارج (تقرير) أعده: د/ عبد الله بن علي بصفر ص ٤٥وما بعدها.

(٥) انظر: جهود المملكة العربية السعودية في رعاية تحفيظ القرآن الكريم لأبناء المسلمين في الخارج (تقرير) أعده: د/ عبد الله بن علي بصفر ص ٤٨وما بعدها.

(٦) انظر: جهود مركز البحوث والدراسات الإسلامية في مجال العناية بالقرآن الكريم (تقرير)، د/ مساعد بن إبراهيم الحديثي.

(٧) انظر: جهود المملكة العربية السعودية في رعاية تحفيظ القرآن الكريم لأبناء المسلمين في الخارج (تقرير) أعده: د/ عبد الله بن علي بصفر ص ٥٠وما بعدها.

(٨) جهود كلية القرآن الكريم في خدمة القرآن، (محاضرة) بتاريخ ١٧/ ٨/ ١٤٢١هـ، في قاعة المحاضرات الكبرى في الجامعة الإسلامية، وانظر: المدارس الخاصة لتحفيظ القرآن الكريم، والكليات الجامعية للقرآن وعلومه (تقرير) د/ محمد الأمين الحسين ص٥٦ وما بعدها، عناية المملكة العربية السعودية بالقرآن الكريم من خلال المدارس الخاصة لتحفيظ القرآن الكريم والكليات الجامعية للقرآن وعلومه. د/ محمد بن سيدي محمد ص٤٧ وما بعدها.

وجهود المتبعين للسلف في هذا العصر معلومة في إقامة الندوات العلمية المختلفة التي تبحث عن الأمور المتعلقة بالقرآن الكريم سواء ما كان متعلقا بطباعته، أو برسمه، أو بتفسيره وتراجمه، أو بعلومه[١].

ومن أهم ما يميز السلف ومتبعيهم من الخلف في جهودهم للقرآن الكريم نهيهم عن المراء في القرآن، ونهيهم عن التكلف فيه، وهذا ما أبينه في المبحث التالي.

---

(١) ومن هذه الندوات: ندوة "عناية المملكة العربية السعودية بالقرآن الكريم ١٤٢١هـ"، وندوة "ترجمة معاني القرآن الكريم تقويم للماضي، وتخطيط للمستقبل ١٤٢٣هـ" والتي نظمتها مجمع الملك فهد للمصحف الشريف في المدينة النبوية.

المبحث الثاني

نهي السلف عن المراء[١]، والتكلف[٢] في القرآن الكريم

السلف الصالح ومن تبعهم عرفوا منـزلة القرآن الكريم، وعظموه حق التعظيم، ولهذا نهوا عن كل ما قد يقلل من منـزلته أو تعظيمه، ومن جملة ذلك نهيهم تبعا لنبيهم ﷺ عن المراء في القرآن الكريم، وعن التكلف فيه، حتى يبقى عبادة غضة لله ﷻ، متلوّا مستغنيا عن التطريب المبتدع، وأبين هذا في مسألتين:

المسألة الأولى: نهي السلف عن المراء في القرآن الكريم.

وردت أدلة تنهى عن المراء في القرآن الكريم والمجادلة في آياته[٣]، ومن هذه الأدلة قوله ﷻ: ﴿ مَا يُجَـٰدِلُ فِىٓ ءَايَـٰتِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ﴾[غافر:٤] وقوله تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ يُجَـٰدِلُونَ فِىٓ ءَايَـٰتِ ٱللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَـٰنٍ أَتَىٰهُمْ ۖ كَبُرَ مَقْتًا عِندَ ٱللَّهِ وَعِندَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ﴾[غافر:٣٥]

---

(١) المراء: اختلف علماء اللغة في معنى هذه الكلمة، ولكنها لا تخرج عن معنى: الشك، والمجادلة، والإنكار، قال البغوي رحمه الله: «واختلفوا في تأويله؛ فقيل: معنى المراء: الشك، كقوله ﷻ: ﴿ فَلَا تَكُ فِى مِرْيَةٍ مِّنْهُ ﴾ [هود: ١٧] أي: في شك، وقيل: المِراء هو: الجدال المشكك، وذلك أنه إذا جادل فيه، أداه إلى أن يرتاب في الآي المتشابهة منه؛ فيؤديه ذلك إلى الجحود،... وتأوله بعضهم على المراء في قراءته، وهو أن ينكر بعض القراءات المروية، وقد أنزل الله القرآن على سبعة أحرف؛ فتوعدهم بالكفر لينتهوا عن المراء فيها؛ والتكذيب بها، إذ كلها قرآن منـزل يجب الإيمان به،... وقيل: إنما جاء هذا في الجدال بالقرآن من الآي التي فيها ذكر القدر والوعيد، وما كان في معناهما على مذهب أهل الكلام والجدل». شرح السنة ١/ ٢٦١-٢٦٢، وهذا بعينه هو كلام الخطابي منقول بنصه من معالم السنن، انظر ٤/ ٢٩٧، وانظر: عون المعبود ١٢/ ٢٣١.

(٢) المراد بالتكلف: التنطع في القراءة، والتمطط في التلاوة، والتشبه بلحون الأعاجم.

(٣) انظر: الدرر ١/ ٤٧.

وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُجَٰدِلُونَ فِيٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ بِغَيۡرِ سُلۡطَٰنٍ أَتَىٰهُمۡ إِن فِي صُدُورِهِمۡ إِلَّا كِبۡرٌ مَّا هُم بِبَٰلِغِيهِ﴾[غافر:٥٦] وقال: ﴿وَيَعۡلَمَ ٱلَّذِينَ يُجَٰدِلُونَ فِيٓ ءَايَٰتِنَا مَا لَهُم مِّن مَّحِيصٍ﴾[الشورى:٣٥]، فالمؤمنون لا يجادلون ولا يمارون في كتاب الله ﷻ، بل يجزمون في معتقدهم أنه كلام الله ﷻ، وأنه منـزل من الله ﷻ، وأنه معجزة محمد ﷺ، ولهذا فهم لا يقبلون المجادلة والمناقشة في آيات الله القرآن، سواء من حيث العلم أو العمل، أو من حيث الخبر والتطبيق، فهم في يقين من أمرهم، ولهذا لما اختلف التابعون ـ مع توافر الصحابة ـ في القراءات؛ فإن حذيفة ؓ لم يقبل ذلك؛ لأنه لا يقبل الاختلاف في القرآن الكريم[(١)]، ولهذا بوب السلف في كتب الاعتقاد والرقائق أبوابا في: النهي عن الخصومات في الدين، ومجانبة أهل الخصومات[(٢)].

قال شيخ الإسلام ؒ في بيان معرض عقيدة أهل السنة والجماعة: «وينكرون الجدل والمراء في الدين، والخصومة والمناظرة فيما يتناظر فيه أهل الجدل ويتنازعون فيه من دينهم، ويسلمون الروايات الصحيحة كما جاءت به الآثار الصحيحة...»[(٣)].

وكانت الخصومات والاختلافات في القرآن الكريم ـ على وجه الخصوص، وفي الدين على وجه العموم ـ سببا للشر والاختلاف الكبير الذي بسببه أصبح المسلمون فرقا شتى، ولهذا نهى الشارع الحكيم عن كل ما يكدر هذا الصفو؛ فنهى عن الاختلاف في الدين، وعن المراء في القرآن الكريم[(٤)].

والنهي عن المراء في القرآن الكريم والنهي عن الاختلاف فيه يشمل الاختلاف في أحرفه وتنـزيله، كما قد يختلف في القراءة؛ فجمع الله المسلمين بجمع عثمان ؓ الناس على مصحف واحد؛ فارتفع هذا الخلاف، وقد يكون الاختلاف في التأويل،

---

(١) سبق تخريج الأثر، وقصة اختلافهم في الثغر، في الفصل الثالث، من الباب الثالث.

(٢) انظر: الحجة في بيان المحجة ١/ ٣٠٤ وما بعدها، وانظر: فضائل القرآن لأبي عبيد ص٢١٠ وما بعدها.

(٣) المجموع ٥/ ٩١.

(٤) انظر: ترجيح أساليب القرآن ص٤٦.

وهو الذي تعاني منه الأمة إلى يومنا هذا[١].

ومن المراء في القرآن الكريم «تكذيب القرآن بالقرآن، ليدفع بعضه ببعض؛ فينبغي أن يجتهد في التوفيق بين المتخالفين، على وجه يوافق عقيدة السلف؛ فإن لم يتيسر له فليكله إلى الله تعالى»[٢].

ويمكن أن تُقَسَّمَ المناقشة والمجادلة في كتاب الله ﷻ إلى أربعة أقسام، ثلاثة منها مذمومة، والرابع ممدوح، وهي:

١- **مجادلة بالحق للحق**: وهذا كمن يريد أن يؤكد ما جاء به القرآن الكريم بآيات أخرى تؤكد الأمر وتجليه؛ فهدفه حق، أعني أنّ غايته ووسيلته حسنتان، وهي حق في نفسها، وهذا ممدوح، وهو المطلوب من أهل العلم، ولهذا ألف العلماء قديما وحديثا في بيان هذا الأمر وتجليته، ومن ذلك كتب تأويل مشكل القرآن[٣]، وكتاب: دفع إيهام الاضطراب عن آي الكتاب[٤].

٢- **مجادلة بالحق لا للحق**: كمن يجادل بآيات القرآن الكريم ليثبت علمه، ومهارته، وإبداعه الاستدلال، والمناظرة؛ فهذا هدفه وغايته سيئة، وإن كانت الوسيلة حسنة، وهذا منهي عنه؛ لأنه يدخل في المراء في القرآن الكريم، وهو يؤدي إلى الاختلاف.

٣- **مجادلة بالباطل للحق**: وهذا كمن يريد نصر الحق بالباطل، كمن يريد أن يثبت شيئا مما جاء به القرآن بالآراء والنظريات الباطلة أو الأحاديث الضعيفة والمكذوبة؛ فهذا لاشك أن القرآن في غنى عنه، لأنه في نفسه حق، ولا يحتاج إلى باطل لنصرته وتجليته، وبيان الحق الذي جاء فيه، فـ «يحرم المراء في القرآن الكريم، والجدال فيه بغير حق»[٥].

---

(١) انظر: اقتضاء الصراط المستقيم ١/ ١٤١.

(٢) عون المعبود ١٢/ ٢٣١، ونقله من كلام الطيبي.

(٣) وههنا عدة مؤلفات بهذا الاسم من أشهرها كتاب ابن قتيبة، وهو من أفضلها، وأتقنها.

(٤) وهو للشيخ محمد الأمين رحمه الله صاحب الأضواء، وهو مطبوع مستقلا، ومع تفسيره أضواء البيان تبعا.

(٥) التبيان للنووي ص١٥٥.

٤ - **مجادلة بالباطل للباطل**: وهذا كمن يستشهد بالآيات التي لا تدل إلا على الحق على بدعته وضلالته؛ فهو يستشهد بوجه باطل ليؤكد شيئا باطلا، فهو يورده لا لقصد الاهتداء به، وإنما لأجل اعتضاد مذهب قد ارتآه أو يراه؛ فيجعل آيات الكتاب تبعا لمذهبه!! قال ﷺ: [**اقرؤوا القرآن ما ائتلفت عليه قلوبكم؛ فإذا اختلفتم فقوموا عنه**](١)، فـ « ضلال من ضل من أهل الكلام، والنظر في النوع الخبري **بمعارضة خبر الله عن نفسه، وعن خلقه بعقولهم ورأيهم!!** وضلال من ضل من أهل العبادة والفقه في النوع الطلبي، بمعارضة أمر الله الذي هو شرعه بأهوائهم وآرائهم »(٢)، ولأن هذا يؤدي إلى ضرب القرآن بعضه ببعض، وقد جاء النهي عن الاختلاف في القرآن الكريم، وضرب بعضه ببعض، قال الله تعالى: ﴿ وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ تَفَرَّقُوا۟ وَٱخْتَلَفُوا۟ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ۝ يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ ﴾[آل عمران:١٠٥-١٠٦]، وقال: ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ نَزَّلَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ ۗ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ ٱخْتَلَفُوا۟ فِى ٱلْكِتَٰبِ لَفِى شِقَاقٍۭ بَعِيدٍ ﴾[البقرة:١٧٦]، وقال عبد الله بن عمرو ﷺ: [**هجَّرت إلى رسول الله ﷺ يوما، قال: فسمع أصوات رجلين اختلفا في آية؛ فخرج علينا رسول الله ﷺ يعرف في وجهه الغضب؛ فقال: إنما هلك من كان قبلكم باختلافهم في الكتاب**](٣)، وقال: [**إنما هلك من كان قبلكم بهذا، ضربوا كتاب الله بعضه ببعض، وإنما نزل الكتاب يصدق بعضه بعضا، لا ليكذب بعضه بعضا، انظروا ما أمرتم به فافعلوا، وما نهيتم عنه فاجتنبوا**](٤)، وكذلك لا يجوز إنشاء خلاف بين القرآن والسنة؛ فإن سنة رسول الله ﷺ توافق كتاب الله، ولا تخالفه، فليس بينهما نزاع ولا اختلاف(٥).

---

(١) رواه البخاري، كتاب فضائل القرآن، باب/ اقرؤوا القرآن ما ائتلفت عليه قلوبكم، ح(٥٠٦١)، من رواية جندب ﷺ.

(٢) الدرء ٥/ ٢٠٦، وانظر ما بعدها.

(٣) رواه مسلم، كتاب العلم، باب/ النهي عن اتباع متشابه القرآن، ح(٢٦٦٦).

(٤) رواه الإمام أحمد في مسنده، ح(٦٦٦٨)، وفي غير هذا الموضع، ورواه الترمذي، وابن ماجة في المقدمة، باب/ في القدر.

(٥) انظر: المجموع ٣/ ٣١٠.

فهذه الأقسام الثلاثة الأخيرة كلها مذمومة، ويخشى على صاحبها الهلاكُ، قال ﷺ: [المراء في القرآن كفر][(١)]، قال الله ﷻ: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ مِنْهُ ءَايَٰتٌ مُّحْكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٌ ۖ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنْهُ ٱبْتِغَآءَ ٱلْفِتْنَةِ وَٱبْتِغَآءَ تَأْوِيلِهِۦ ۗ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ ۗ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا ۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾[آل عمران:٧]، وقال ﷺ في تفسير هذه الآية [إذا رأيتم الذين يتبعون ما تشابه منه؛ فأولئك الذين سماهم الله فاحذروهم][(٢)].

ومن المراء في القرآن الكريم عدم العمل به، قال البخاري رحمه الله: «بابٌ: إثم من راءى بقراءة القرآن، أو تَأَكَّل به، أو فَجَرَ به»[(٣)]، وصنيع البخاري رحمه الله هذا يدل على أن هذا الفعل وهو: التآكل بالقرآن، والمراء فيه، وعدم العمل به من الذم الذي ورد في أحاديث النبي ﷺ فيما ذكره من أوصاف الخوارج، والمنافقين.

فالأحاديث تدل على أن عدم العمل بالقرآن ـ مع قراءته ـ من المراء، وهي كثيرة، منها: قوله ﷺ: [يخرج فيكم قوم ...يقرؤون القرآن لا يجاوز حناجرهم، يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية، ينظر في النصل[(٤)] فلا يرى شيئا، وينظر في القِدح فلا يرى شيئا، وينظر في الريش فلا يرى شيئا، ويتمارى في الفوق][(٥)]، وقوله ﷺ: [ومثل المنافق الذي يقرأ القرآن كالريحانة ريحها طيب،

---

(١) رواه الإمام أحمد في المسند، ح(٧٤٩٩)، وأبو داود، كتاب السنة، باب/ النهي عن الجدال في القرآن، ح(٤٦٠٣)، ورواه الحاكم، في مستدركه، كتاب التفسير، ح(٢٨٨٢)، قال الذهبي في التلخيص بحاشية المستدرك ٢/ ٢٤٣: على شرط مسلم.

(٢) رواه البخاري، كتاب التفسير سورة آل عمران، ح(٤٥٤٧)، ومسلم، كتاب العلم، باب/ النهي عن اتباع متشابه القرآن، كلاهما عن عائشة رضي الله عنها.

(٣) صحيح الإمام البخاري ص١٠٩٩.

(٤) النصل: طرف السهم الأدنى، والقدح: الذي يرمى به القوس، والسهم: يكون أولا قِطع، ثم بريا، قِدحا، ثم يراش ويركب نصله؛ فيسمى سهما. انظر: النهاية في غريب الحديث ٤/ ٢٠.

(٥) رواه البخاري، كتاب فضائل القرآن، باب/إثم من راءى بقراءة القرآن...، ح(٥٠٥٨)، من رواية أبي سعيد الخدري رضي الله عنه.

وطعمها مُرّ]،(١) كل هذا يدل على أن من نوع المراء عدم العمل بالقرآن الكريم: اعتقادا، ونهجا، كما هو حال المنافقين و الخارجين عن الشريعة الغراء.

والاختلاف في آيات الكتاب سبب للهلاك والاختلاف، فعن ابن مسعود ﷺ قال: [**سمعت رجلا قرأ آية، سمعت من النبي ﷺ خلافها؛ فأخذت بيده، فأتيت به رسول الله ﷺ؛ فقال: كلاكما محسن، لا تختلفوا؛ فإن من كان قبلكم اختلفوا؛ فهلكوا**](٢).

ومن كمال تعظيم القرآن الكريم ترك المراء فيه ولو كان في الأداء، ومن جملة ذلك التكلف.

المسألة الثانية: نهي السلف عن التكلف في القرآن الكريم.

جاء النهي عن التكلف في القرآن الكريم من أقوال النبي الكريم ﷺ، ومن جملة ذلك نهيه ﷺ عن الغلو، قال ﷺ: [**إياكم والغلو؛ فإنما أهلك من كان قبلكم الغلو**](٣).

« **وهذا عام** في جميع أنواع الغلو في الاعتقادات والأعمال »(٤)، فيدخل فيه الغلو في القراءة، والتكلف فيها.

ومن هذا الباب ما جاء من التحذير عن التنطع، حيث قال ﷺ: [**هلك المتنطعون**] قالها ثلاثا(٥)، والتنطع: التعمق في الكلام، والمبالغة في إخراجه من أقصى الحلق، مأخوذ من النطع وهو الغار الأعلى من الفم، ثم استعمل في كل متعمق قولا وفعلا(٦)(٧).

وأما المخالفون للسلف فمراؤهم في القرآن ظاهر، وتكلفهم في القرآن باهر، وبيان منـزلة القرآن الكريم وتعظيمه عند المخالفين أبينه في الباب التالي.

---

(١) سبق تخريجه بلفظ: "مثل المؤمن...".

(٢) رواه البخاري، كتاب الخصومات، باب/ ما يذكر في الأشخاص...، ح(٢٤١٠).

(٣) رواه الإمام أحمد في المسند ١/ ٣٤٧، ح(٣٢٤٨)، وابن ماجه في سننه، كتاب الحج، باب/ قدر الحصى، ح(٣٠٢٩) كلاهما عن ابن عباس ﷺ، وإسناده على شرط مسلم، كما في فيض القدير للمناوي ٣/ ١٢٦.

(٤) انظر: تيسير العزيز الحميد ص٣١٧.

(٥) رواه مسلم، كتاب العلم، باب/ هلك المتنطعون، ح(٢٦٧٠) عن ابن مسعود ﷺ.

(٦) انظر: تيسير العزيز الحميد ص٣١٨.

(٧) قد مضى شيء من ذكر آداب القراءة في الفصل الثالث، من الباب الأول.

الباب الرابع

منزلة القرآن الكريم عند المخالفين للسلف

وفيه ستة فصول:

الفصل الأول: منزلته عند الفلاسفة.

الفصل الثاني: منزلة القرآن عند الصوفية (القائلين بأن للقرآن ظاهرا وباطنا).

الفصل الثالث: منزلة القرآن عند الرافضة.

الفصل الرابع: منزلة القرآن عند الباطنية.

الفصل الخامس: منزلته عند أهل الكلام.

الفصل السادس: منزلة القرآن الكريم عند بعض المعاصرين (العقلانيين ومنكري السنة "القرآنيين).

الفصل الأول

منزلة القرآن الكريم عند الفلاسفة

وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: التعريف بالفلاسفة.

المبحث الثاني: عدم تعظيم الفلاسفة للقرآن الكريم.

المبحث الثالث: عدم رجوع الفلاسفة إلى القرآن والصدور عنه في العقائد والرد عليهم.

مـدخـل:

إن من أهم مميزات المتبعين للسلف كونهم متمسكين بالكتاب والسنة،وما عليه سلف الأمة، وأما المخالفون فإنهم لا يبالون بالكتاب والسنة، ولا بما عليه سلف الأمة، وهؤلاء الخلف فرق شتى، ونحل تترى، وهم مختلفون فيما بينهم، إلا أن هناك أمورا تجمعهم، وهي:

١- اتفاقهم على جعل المنقول عن الرسول ﷺ في باب العقائد فرعا، وأن الأصل عند كل طائفة ما تزعم أنه من البراهين: فالفلاسفة يقدمون الأصول الفلسفية، وأهل الكلام يقدمون المقدمات الكلامية، وأهل التصوف يقدمون الأذواق الوجدية، والرافضة يقدمون ما يزعمون أنه من كلام الأئمة المعصومين، وهكذا، قال ابن الوزير رحمه الله: «المبتدعة يرون تصانيفهم أهدى منه ـ أي من القرآن ـ لبيانهم فيها على زعمهم المحكم من المتشابه؛ فمنهم من صرح بذلك، وقال: إن كلامه أنفع من كلام الله تعالى، وكتبه أهدى من كتب الله!!»[(١)].

٢- أن جميع هذه الفرق إذا استشهدت بالأدلة النقلية؛ فإنها تستدل بالمتشابهات، وتترك المحكمات: قال الإمام أحمد رحمه الله: «وكذلك الجهم وشيعته، دعوا الناس إلى المتشابه من القرآن والحديث، وأضلوا بشرا كثيرا»[(٢)].

٣- أن كتبهم مليئة بأقوال رجال نحلتهم، وبالمقدمات الفلسفية والمنطقية والمنامات، كل حسب منهجه: وكل الكتب التي صنفوها في باب العقائد تخلو من الاستشهاد بالآيات القرآنية والأحاديث النبوية، فضلا عن الآثار السلفية، «فالكتب المصنفة في مقالات الطوائف التي صنفها هؤلاء ليس فيها ما جاء به الرسول، وما دل عليه القرآن»[(٣)].

---

(١) إيثار الحق على الخلق لابن الوزير ص ٩٤.

(٢) الرد على الجهمية للإمام أحمد ص ١٩، المجموع ٤/ ٢١٨.

(٣) النبوات ص٢٤٦، وانظر: شرح الأصبهانية ص٢٨٤، ونظرة متأنية إلى كتب ابن سينا، والرازي، وأم البراهين، والعقائد النسفية، تنبيك على أن القوم لا يحتجون بالقرآن والسنة إلا تبعا، وأن الأصل عندهم أصولهم.

٤- عدم معرفتهم بحقيقة ما جاء به الأنبياء من البراهين والأدلة والمعجزات[(١)]:

فلهذا هم يجتهدون في بيان البراهين التي يظنون أنها تؤكد ما جاء به الأنبياء، وكل واحد يزعم أن برهانه آكد، وأن دليله أقوى، والحال: أن ما جاء به الأنبياء فيه الشفاء من كل عي، والدواء من كل داء.

٥- عدم علمهم بما عليه سلف الأمة من العقيدة المجمع عليها، بل وأحيانا يدعون الإجماع فيما يذهبون إليه، وعندما تتحرى تجد أن الإجماع على ضد ذلك ونقيضه، وأنى يكون لهم علم بالإجماع، وهم لا يعرفون أقوال السلف، ولا يهتمون بها، قال شيخ الإسلام ﷺ: «كتب أهل الكلام مشحونة بذلك، يحكون إجماعا ونزاعا، ولا يعرفون ما قال السلف في ذلك البتة، بل قد يكون قول السلف خارجا عن أقوالهم، كما تجد ذلك في مسائل أقوال الله وأفعاله وصفاته، مثل مسألة القرآن...»[(٢)]، وقال في موضع آخر: و« عامة هؤلاء المختلفين في الكتاب، لم يعرفوا القول السديد، قول السلف، بل ولا سمعوه، ولا وجدوه في كتاب من الكتب التي يتداولونها؛ لأنهم لا يتداولون الآثار السلفية، ولا معاني الكتاب والسنة»[(٣)].

٦- أن جميع الفرق لا تنتسب إلى السلف الصالح، ولا إلى أهل العلم المعروفين بالعلم والتقى، من الصحابة والتابعين وتابعيهم، ومن انتسب منهم إلى أحد العلماء المعروفين، فذلك ليس لكونه مذهبا له، وإنما فعل ذلك ترويجا لبضاعته[(٤)].

٧- أن جميع أهل البدع عملت بمعول هدم الدين بتحريف وليّ الأدلة الظاهرة، التي تدل على بطلان قولهم ومذهبهم: فإذا عمدوا إلى الأدلة النقلية؛ فإنهم يعملون على تحريفها، وتغيير معانيها؛ ولا يرجعون إلى السلف في فهم هذه النصوص؛ « لأنهم لا يتداولون الآثار السلفية، ولا معاني الكتاب والسنة إلا بتحريف بعض المحرفين

---

(١) انظر: النبوات ص٢٤٦.

(٢) المجموع ١٣/ ٢٥.

(٣) المجموع ١٢/ ٣٠٩.

(٤) انظر: المجموع ٥/ ٧٩.

لها»[1]؛ فأهل الضلال والبدع «يجعلون الألفاظ التي أحدثوها ومعانيها هي الأصل، ويجعلون ما قاله الله ورسوله تبعا لها؛ فيردونها بالتأويل والتحريف إلى معانيهم، ويقولون: نفسر القرآن بالعقل واللغة، يعنون أنهم يعتقدون معنى بعقلهم ورأيهم، ثم يتأولون القرآن عليه، بما يمكنهم من التأويلات والتفسيرات المتضمنة لتحريف الكلم عن مواضعه»[2].

٨- أن ما يستشهدون به؛ يختلفون فيه، فهذا يؤوله على معنى، والآخر يرده، سواء كان دليلا عقليا ـ وهو الأصل عندهم ـ أو نقليا: فصدق فيهم أنهم مختلفون في الكتاب، مخالفون للكتاب، كما قال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ جَعَلُواْ ٱلۡقُرۡءَانَ عِضِينَ﴾[الحجر:٩١] فكل واحد ادعى في آياته ما ينفيه الآخر؛ فهذا يوجب التأويل، وهذا يحسنه، وهذا يأمر بالتفويض، وهذا يأمر بالتخييل، وهذا ينهى عنه، وهذا يخبر بالتجهيل ويأمر به!!![3]، ويصدق على أهل البدع قول الله ﷻ: ﴿إِنَّكُمۡ لَفِى قَوۡلٍ مُّخۡتَلِفٍ۝٨ يُؤۡفَكُ عَنۡهُ مَنۡ أُفِكَ۝٩ قُتِلَ ٱلۡخَرَّٰصُونَ﴾[الذاريات:٨-١٠] «يعلم الذكي منهم، والعاقل: أنه ليس هو فيما يقوله على بصيرة، وأن حجته ليست ببينة، وإنما هي كما قيل فيها:

حجج تهافت كالزجاج تخالها   حقا، وكلٌ كاسر مكسور[4]

٩- أنهم حين النـزاع لا يردون الأمر إلى الكتاب والسنة: كما أمرنا الله ﷻ، بل كل واحد يدعي وجوب الرجوع إلى قواعده، وما عليه نحلته، فلا يعملون بقوله ﷻ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِى ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡۖ فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِى شَىۡءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمۡ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأَخِرِۚ ذَٰلِكَ خَيۡرٌ وَأَحۡسَنُ تَأۡوِيلًا﴾[النساء:٥٩] فلا يرفع الخلاف إلا الكتاب والسنة، وأما الآراء العقلية، والأذواق النفسية، والمنامات

---

(١) المجموع ١٢/ ٣٠٩.

(٢) المجموع ١٧/ ٣٥٥، وانظر منه ١٧/ ٤٤٥.

(٣) انظر: الصفدية ١/ ٢٩٤، شرح الأصبهانية ص٣٧٨، ٣٨٤، ٣٨٨، النبوات ص٢١٨، المجموع ١٢/ ٢٤.

(٤) المجموع ٥/ ١١٩.

الخيالية؛ فإنها تزيد من الفرقة، وقد قال تعالى: ﴿ وَأَنَّ هَـٰذَا صِرَٰطِي مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾[الأنعام:١٤٣] « فهذه النصوص وغيرها، تبين أن الله أرسل الرسل، وأنزل الكتب لبيان الحق من الباطل، وبيان ما اختلف فيه الناس، وأن الواجب على الناس اتباع ما أنزل إليهم من ربهم، ورد ما تنازعوا فيه إلى الكتاب والسنة، وأن من لم يتبع ذلك كان منافقا، وأن من اتبع الهدى الذي جاءت به الرسل فلا يضل ولا يشقى »(١) فغالب أهل البدع « لا يعلمون معاني القرآن، فضلا عن الحديث، بل كثير منهم لا يحفظون القرآن أصلا؛ فمن لا يحفظ القرآن، ولا يعرف معانيه، ولا يعرف الحديث، ولا معانيه، من أين يكون عارفا بالحقائق المأخوذة عن الرسول!! وإذا تدبر العاقل وجد الطوائف كلها كلما كانت الطائفة إلى الله ورسوله أقرب كانت بالقرآن والحديث أعرف وأعظم عناية، وإذا كانت عن الله وعن رسوله أبعد، كانت عنهما أنأى، حتى تجد في أئمة علماء هؤلاء من لا يميز بين القرآن وغيره، بل ربما ذكرت عنده آية؛ فقال: لا نسلم صحة الحديث، وربما قال: لقوله ﷺ كذا، وتكون آية من كتاب الله، وقد بلغنا من ذلك عجائب، وما لم يبلغنا أكثر »(٢).

١٠- **أن جميع أهل البدع ليسوا على قدم ثابت في المعتقد:** ولا على رسوخ في دينهم؛ فاليوم يماني، وغدا شامي، فتجده مع الجهمية يوما، ومع المعتزلة أخرى، ومع الفلاسفة تارة، ومع المتكلمين تارة(٣)، ومع المتصوفة تارة، ومع أهل السنة أحيانا، فهذا الغزالي لما ألف كتابه المسمى بإحياء علوم الدين(٤) لم يستقر فيها مع أحد؛ « فتكلم في علوم الأحوال، ومرامز الصوفية، وكان غير أنيس بها، ولا خبير بمعرفتها؛

---

(١) المجموع ١٧/ ٣٠٣.

(٢) نقض المنطق ص٨٢، وانظر نقض المنطق ص٦٠، النبوات ص٢٤٧، وقد وقع لي هذا مع بعض أهل البدع، يستشهد بآية ويظنها حديثا، والعكس بالعكس!!.

(٣) انظر: الصفدية ٢/ ١١٣.

(٤) وهو بإماتة علوم الدين أشبه، كما نقل ذلك الذهبي في السير ١٩/ ٤٩٥.

فسقط على أم رأسه؛ فلا في علماء المسلمين قرّ، ولا في أحوال الزاهدين استقر، ثم شحن كتابه بالكذب على رسول الله ﷺ، فلا أعلم كتابا على وجه بسيط الأرض أكثر كذبا على الرسول ﷺ منه، ثم شبكه بمذاهب الفلاسفة، ورموز الحلاج، ومعاني رسائل إخوان الصفا...»[(١)].

١١- أن عامة هؤلاء أصحاب البدع واقعون في الحيرة والشك: بل منهم من يقر بالصواب الذي عليه السلف؛ كما حصل لكثير منهم حال النـزع[(٢)]، وهذا يدل على صحة معتقد السلف وبطلان مذهب الخَلف، أيا كان هذا الخُلف، يقول ابن بدران رحمه الله: «لما من الله علي بطلب العلم هجرت له الوطن والوسن، وكنت أبكر فيه بكور الغراب، وأطوف المعاهد لتحصيله، وأذهب فيه كل مذهب، وأتبع فيه كل شعب، ولو كان عسرا، أشرف على كل يفاع كل غور؛ فتارة أطرح بنفسي فيما سلكه ابن سينا في الشفاء والإشارات، وتارة أتلقف ما سبكه أبو نصر الفارابي من صناعة المنطق وتلك العبارات، وتارة أجول في مواقف المقاصد والمواقف، وأحيانا أطلب الهداية ظنا مني أنها تهدي إلى رشد؛ فأضم إليها ما سلكه ابن رشد، ثم أردد في الطبيعي والإلهي نظرا، وفي تشريح الأفلاك أتطلب خُبرا أو خَبرا، ثم أجول في ميادين العلوم مدة كعدد السبع البقرات العجاف؛ فأرتد إلى الطرف خاسئا وهو حسير، ولم أحصل من معرفة الله جل جلاله إلا على أوهام، وخطرات وساوس وأشكال، تنشأ من البحث والتدقيق؛ فأدفعه بما أقنع نفسي بنفسي؛ فلما هِمت في تلك البيداء... ناداني منادي الهدى الحقيقي: هلم إلى الشرف والكمال، ودع نجاة ابن سينا الموهومة إلى النجاة الحقيقية، وما ذلك إلا بأن تكون على ما كان عليه السلف الكرام من الصحابة والتابعين لهم بإحسان؛ فإن الأمر ليس على ما تتوهم، وحقيقة الرب لا يمكن أن يدركها المربوب، وما السلامة إلا بالتسليم، وكتاب الله حق، وليس بعد الحق إلا

(١) السير ١٩/ ٤٩٥، وهو منقول من كلام الإمام الطرطوشي رحمه الله.
(٢) انظر: نقض المنطق ص٦٠.

الضلال؛ فهنالك هدأ روعي، وجعلت عقيدتي: كتاب الله، أَكِل علم[1] صفاته إليه بلا تجسيم[2]، ولا تأويل، ولا تشبيه، ولا تعطيل، وانجلى ما كان على قلبي من ران، أورثته قواعد أرسطوطاليس...»[3].

١٢- **أن جميع المخالفين عندهم نوع إقرار بالشرع:** وإلا عدوا من الكفار، ولهذا الإقرار تجدهم لما بنوا عقائدهم على ضلالات، وكانت تخالف القرآن والسنة ـ وهم آمنوا بها، ولو تنـزيلا ـ سعوا إلى الجمع بينها، تارة بالتأويل، وتارة بالتجهيل، وتارة بالتخييل، وتارة بنوع رد، ومعارضة بأخرى[4]، فكل مخالف من أهل البدع عنده نوع إقرار، مع أن الإعراض هو الغالب عليه.

١٣- **أن جميع هذه الفرق المخالفة للسلف، إنما كان سبب نشوءها أحد ثلاثة أمور: الأول:** قصد إفساد الدين، وكثير من هؤلاء منافقون زنادقة[5]. **الثاني:** الزيادة في الدين بإثبات ما لم يرد في الشرع. **الثالث:** النقص من الدين بنفي بعض ما ورد في الشرع[6]، وبعد ذكر أهم ما يجمع هؤلاء؛ فإني أشرع في بيان تفاصيل خباياهم، والتعريف بأهم الفرق وبيان دعاواهم ـ في الفصول التالية ـ، وأبدأ بأقدمهم سلفا، وهم الفلاسفة.

---

(١) ظاهره أنه يريد ﷺ علم كيفيات الصفات، بدليل السياق بعد، ولا يقصد علم معاني الصفات؛ لأنها معلومة.

(٢) لفظ الجسم من الألفاظ المجملة، فلا ينبغي إثباتها بإطلاق، ولا نفيها بإطلاق، وإنما ينظر إلى المعنى ثم يثبت المعنى إن كان حقا، وينفى المعنى إن كان باطلا، ويتمسك بالألفاظ الشرعية الواردة في وصف الله تعالى.

(٣) المدخل لابن بدران ص٤٢، ولقصة رجوعه إلى عقيدة السلف تكملة، انظرها في الموضع المشار إليه.

(٤) انظر: نقض المنطق ص٧٥.

(٥) انظر: المجموع ١٢/ ٤٩٧.

(٦) انظر: إيثار الحق على الخلق لابن الوزير ص٨٥.

المبحث الأول: التعريف بهم، وبيان قسامهم

التعريف بالفلاسفة وبيان أقسامهم يمهد الطريق لبيان معرفتهم، ومعرفة منـزلة القرآن عندهم، ولبيان معرفتهم أقسم هذا المبحث إلى مطلبين:

المطلب الأول: التعريف بالفلاسفة.

الفلاسفة اسم جنس يشمل كل من اشتغل بالفلسفة وأحبها[١]، فهو عَلَمٌ على طائفة تنتسب إلى "الفَلْسَفَة"، وهي كلمة أعجمية[٢]، وقد "تفلسف"، أي صار "فيلسوفا"، واسم الفاعل منه: "فَيْلَسُوف".

وأصل الفلسفة عند الأعاجم اليونانيين معناها: «محبة الحكمة، والفيلسوف هو: فيلا وسوفا، وفيلا هو الحب، وسوفا: الحكمة؛ أي هو محب الحكمة»[٣].

وقيل: «اشتقاق كلمتي فلسفة وفيلسوف مأخوذتان من: "فيلوس" ومعناها: محب، و"سوفيا" ومعناها: الحكمة؛ فمعنى فيلسوف: محب الحكمة»[٤]، وهذا أدق من الأول، إذ وصف الحب إنما يكون لاسم الفاعل، وهو الفيلسوف، ولا يكون المحب وصفا لاسم الشيء نفسه، وهو هنا المفعول.

وقيل: معنى «يتفلسف: أنه يبحث في ماهية الأشياء وأصولها، وعلاقة بعضها ببعض»[٥]، وإذا كان هذا التعريف صحيحا ـ وهو كذلك ـ، فكم سيكون ضلال هذه

---

(١) انظر: دلائل التوحيد لجمال الدين القاسمي ص١٢٠.

(٢) انظر: لسان العرب ١٠/ ٣١٩.

(٣) انظر: الملل والنحل للشهرستاني ص٣١٢، دلائل التوحيد لجمال الدين القاسمي ص١١٩.

(٤) مبادئ الفلسفة لأحمد أمين ص١٩.

(٥) مبادئ الفلسفة لأحمد أمين، ص١٦.

هذه الفرقة الفلسفية، إذ هي تبحث عن ماهية الأشياء، ومعنى ذلك أنها ستبحث عن ماهية ذات الله ﷻ الذي أمرنا أن لا نبحث في ماهيته، وإنما نعرفه بصفاته، وأسمائه، وأفعاله، وأوامره، وشرعه، وأما ذاته فغيب محجوب، وماهيته فسر غير مكشوف، ومهما بلغ العقل فإنه لا سبيل له إلى أن يدرك حقيقة ذات الله ﷻ، وكيفيته، قال شاعر أهل السنة:

لا تفتكر في ذات ربك، واعتبر   فيما بـه يتصـرف المـلـوان
والله ربـي مـا تُكيـف ذاتـه   بخـواطر الأوهـام والأذهـان[1]

وقال شيخ الإسلام رحمه الله في بيان معنى الفلسفة: «الفلسفة لفظ يوناني، ومعناها: محبة الحكمة، والفيلسوف في لغتهم محب الحكمة، ولهذا يقولون: "سوفستيا"، أي: **حكمة مموهة**، ثم كثرت في الألسنة؛ فقيل: سفسطة، أي: **حكمة مموهة**»[2].

وهذا يعني أن الفلسفة تعني الحكمة المشوبة، ولا ريب أن في الفلسفة بعض ما يحمد كما هو الحال في الطبيعيات، والرياضيات، وفيها باطل مشوب بالحق، كما هو الحال في الإلهيات.

وأما الفلسفة في اصطلاح القوم فهي: «التَشَبُّه بالإله بحسب الطاقة البشرية، لتحصيل السعادة الأبدية...»[3].

وبناء على أن الحكمة هي الفلسفة عرفت بتعريف آخر، وهو أن الفلسفة: «خروج النفس الإنساني إلى كماله الممكن في جزأي العلم والعمل»[4][5].

---

(١) نونية القحطاني ص٤٦.

(٢) الصفدية ٢/ ٣٢٣.

(٣) التعريفات للجرجاني ص ١٦٩، دستور العلماء٣/ ٣٢.

(٤) من كلام ابن سينا، كما نقله الشهرستاني في كتابه الملل والنحل ص٤٢٨.

(٥) وتسمية الفلسفة بالحكمة معروفة عند قدماء اليونان وغيرهم، وسار عليه فلاسفة المسلمين، ولذلك يبدؤون كتبهم بذكر الآية التي فيها ذكر الحكمة، كما فعل محقق كتاب: النجاة لابن سينا ١/ ص (ج)،

وقيل في تعريف المتسبين إليها اصطلاحا، هم: أصحاب المنطق، والبرهان!![1].

ونخلص من هذا، أن الفلاسفة هم: المتشبهين بالإله عن طريق المنطق والبرهان العقلي، وهم أقسام وأبينها في المطلب التالي.

= وغيره، ويؤولون الآية على الحكمة اليونانية. انظر: دستور العلماء ٢/ ٣٢، ومعلوم أن الحكمة في الكتاب والسنة؛ المقصود بها: السنة النبوية المطهرة، وما جاء به النبي المبارك ﷺ، وما يفهم من الآيات والسنن، والحكمة في الآيات مقصورة على ذلك؛ فكأنه إشارة - والله أعلم - إلى أن هذا هو الحكمة التي ينبغي أن يعرفها الحكماء، وأن يتنافس فيها العقلاء، لا الحكمة - المزعومة - اليونانية العجماء، أو الفلسفة اليونانية الصماء، قال تعالى مخبرا عن إبراهيم ﷺ أنه دعا فقال: ﴿رَبَّنَا وَٱبۡعَثۡ فِيهِمۡ رَسُولٗا مِّنۡهُمۡ يَتۡلُواْ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ وَيُزَكِّيهِمۡۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ﴾[البقرة:١٢٩]، وقال تعالى: ﴿وَٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ وَمَآ أَنزَلَ عَلَيۡكُم مِّنَ ٱلۡكِتَٰبِ وَٱلۡحِكۡمَةِ يَعِظُكُم بِهِۦۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٞ﴾ [البقرة:٢٣١] ففي الآية الأولى إخبار بأن التزكية إنما تحصل بحكمة الأنبياء، لا بحكمة الفلسفة ولو كانوا بلغاء، وفي الآية الثانية أمر بتذكر الحكمة الإلهية التي أظهرها الله ﷻ بواسطة الأنبياء. وانظر: دلائل التوحيد لجمال الدين القاسمي ص١١٩.

(١) انظر: المنقذ من الضلال للغزالي ص٨٩، المجموع ٢/ ٥٥، وشرح الأصبهانية ص٥٠٩.

المطلب الثاني: بيان أقسام الفلاسفة.

إن بيان الأقسام إنما يكون باعتبارات عدة، ولهذا ينبغي أن نبين الأقسام باعتباراتها؛ فالفلسفة باعتبار أنها تبحث عن الحكمة؛ فهي تنقسم إلى قسمين[(١)]:

الحكمة القولية: وهي العقلية؛ ويدخل فيها الحدود والتعريفات وبراهين الاستقراء، وقد اختلف الفلاسفة في هذه الحكمة القولية العقلية اختلافا كبيرا، مع أن الأوائل منهم كانت تعريفاتهم محصورة في الطبيعيات والإلهيات، ثم زادوا الرياضيات، **وهؤلاء قسموا العلوم إلى ثلاثة أنواع: الأول**: علم الماهية، وهو ما يطلب فيه ماهيات الأشياء، وهو العلم الإلهي. **الثاني**: علم الكيفيات، وهو: العلم الذي يطلب فيه كيفيات الأشياء، وهو العلم الطبيعي. **الثالث**: علم الكميات، وهو: العلم الذي يطلب فيه كميات الأشياء، وهو العلم الرياضي. ونشأ عن هذا العلم علم المنطق، الذي سمي بالتعليمات، أو آلة العلوم!! وهذا الذي انبهر به الفلاسفة المتكلمون، وصاروا عليه سواء منهم الفلاسفة البحتة، أو الفلاسفة المناطقة.

الحكمة الفعلية: وهي كل ما يفعله الحكيم لغاية كمالية، وهذا الذي صار عليه الفلاسفة الصوفية.

وينقسم الفلاسفة من حيث نشأتهم وبلدانهم إلى أقسام[(٢)]:

١- **فلاسفة الهند**، من البراهمة، وهم لا يقولون بالنبوات أصلا، وهم الذين عرف عنهم الفلسفة في حب الخير ونشره والتشبه بالإله!![(٣)].

٢- **فلاسفة الفرس** (المجوس).

٣- **فلاسفة العرب**، وهم قليلون، وربما قالوا بالنبوات.

---

(١) انظر: هذا التقسيم بشيء من التفصيل في الملل والنحل للشهرستاني ص ٣١٢ وما بعدها.

(٢) الأقسام استفدتها من كتاب الملل والنحل للشهرستاني ص ٣١٤.

(٣) وقد ترجم ابن المقفع كتاب كليلة ودمنة مع أنه كتاب فلسفي بحت يدعو إلى الفلسفة الهندية.

٤- **فلاسفة اليونان** (الروم)، وهم أصل فلاسفة اليوم، وقد ترجمت كتبهم، ودرست، وراجت في كثير من المدارس والمناهج.

٥- **فلاسفة المسلمين**[١].

وينقسم الفلاسفة إلى قسمين من حيث نظرهم إلى العقائد والدين[٢]:

١- **الفلاسفة الطبيعيون**، أو (الدهريون) وهم الذين ينكرون وجود الخالق، ويعتقدون بأنه لا إله والحياة مادة، وقد يسمون بالماديين.

٢- **الفلاسفة الإلهيون**، وهم (المشاؤون)،وهم أتباع أرسطو، وكان يلقي الدروس وهو يتمشى فقيل لهم: المشاؤون، وهؤلاء يثبتون وجود الخالق إثباتا كليا، لا إثباتا حقيقيا، فيقولون: «إن للعالم مبدعا، لا تدرك صفته العقول من جهة هويته، وإنما يدرك من جهة آثاره!! وهو الذي لا يعرف اسمه!! فضلا عن هويته إلا من نحو أفاعيله وإبداعه وتكوينه الأشياء؛ فلسنا ندرك له اسما من نحو ذاته، بل من نحو ذاتنا!!»[٣]، وربما قالوا بالحلول، لأنهم يقولون بالتشبه بين الخالق والمخلوق[٤]، إذا صفى عن الأكدار!! فـ «ما من موجود في العالم العقلي، والعالم الحسي إلا وفي ذات

---

(١) **وهؤلاء هم الذين يهمنا أمرهم، ومجادلة أقوالهم، ومن أشهر هؤلاء**: ١ ـ يعقوب الكندي ٢٦٠هـ. ٢ ـ أبو نصر الفارابي ٣٣٤هـ. ٣ ـ إخوان الصفا (منتصف القرن الرابع الهجري). ٤ ـ أبو علي بن سينا ٤٢٨هـ. ٥ ـ أبو حامد الغزالي (في طور) ٥٠٥هـ. ٦ ـ أبو بكر بن طفيل ٥٣١هـ، صاحب كتاب "حي بني يقظان". ٧ ـ محمد بن أحمد بن رشد "الحفيد" القرطبي ٥٩٥هـ. ٨ ـ عبد الرحمن ابن خلدون ٨٠٨هـ، صاحب المقدمة. انظر: مبادئ الفلسفة لأحمد أمين، ص ١٢٣-١٣٧. وهناك آخرون يتأرجحون بين الفلسفة وعلم الكلام؛ فلا تستطيع أن تصنفه إلا باعتبار مؤلَّف، أو فترة زمنية من حياته.

(٢) وقسمهم صاحب كتاب: مبادئ الفلسفة ترجمة أحمد أمين، ص ١٧٠، إلى أربعة أقسام، وهي: ١ ـ مذهب الجوهر الفرد. ٢ ـ مذهب المؤلهة. ٣ ـ مذهب العقليين. ٤ ـ مذهب الحلول. ولا شك أن الأول والثالث واحد في المآل، وهو القول بإنكار الإله حقيقة، وإن كانوا يثبتونه اسما. وكذلك الثاني والرابع قولهما واحد، وهو إثبات الإله مع اختلاف في ماهيته.

(٣) الملل والنحل للشهرستاني ص ٣١٥، وانظر: مبادئ الفلسفة لأحمد أمين، ص ١٤٦ وما بعدها.

(٤) انظر: مبادئ الفلسفة لأحمد أمين، ص ١٦٦، ١٦٨.

العنصر صورة له، ومثال عنه»[١]، وهؤلاء الإلهيون اشتهر عنهم: القول بأن العقل الأول الواحد لا يصدر عنه إلا واحد، والقول: بأن الخالق والمادة أزليتان[٢].

وأما **فلاسفة المسلمين** فيزعمون أنهم على طريقة الإلهيين، وهؤلاء الفلاسفة ـ أعني المنتسبين إلى الإسلام ـ ينقسمون إلى ثلاثة مناهج[٣]، وهي:

١ - أصحاب الفلسفة المحضة[٤].

٢ - أصحاب الفلسفة الرافضية[٥].

٣ - أصحاب الفلسفة الصوفية[٦].

والفلاسفة المتمسلمون هم الذين سعوا في الخلط بين الفلسفة والدين، وإلا كان أول الأمر معزولا إذ غالب كلام الفلاسفة في الطبيعيات، وكلام الشرع في الإلهيات، فمنهم ابن سينا[٧]، وابن رشد الحفيد، وأمثالهما أصول هؤلاء بطريقة الأنبياء، ويظهرون أن أصولهم لا تخالف الشرائع النبوية، وهم في الباطن لا يقرون إلا أن ما جاء في الشرع تخيلات تسييرية وتصورات تقريبية، وليست بحقيقية[٨]، فهم

---

(١) الملل والنحل للشهرستاني ص ٣١٦.

(٢) انظر: الملل والنحل للشهرستاني ص ٣٧٩، ٣٨٣ وما بعدها، ٤٣٧، ٤٤٣.

(٣) انظر: الدرء ١٠/ ٢٨٢، معتقد أهل السنة والجماعة في أسماء الله الحسنى، لشيخنا أ.د.محمد بن خليفة التميمي ص١٣، ومقالة التعطيل له أيضا، ص٢٤.

(٤) وأشهر من يمثل هذه المدرسة هو الفارابي، والسهروردي، قال شيخ الإسلام رحمه الله: «والسهروردي الحلبي المقتول، سلك النظر والتأله جميعا؛ لكن هذا صابئ محض، فيلسوف لا يأخذ من النبوة إلا ما وافق فلسفته». المجموع ٢/ ٥٧.

(٥) ومن أشهر هؤلاء الحسين بن سينا، وإخوان الصفا.

(٦) ومن أشهرهم، بل هو رئيسهم: ابن عربي النكرة، وابن سبعين، وابن التلمساني، وهم النكرات.

(٧) قال ابن القيم رحمه الله:

وأتى ابن سينا القرمطي مصانعا ... للمسلمين بإفك ذي بهتان...

ومضى على هذي المقالة أمة ... خلف ابن سينا فاغتذوا بلبان

منهم نصير الكفر في أصحابه ... الناصرين لملة الشيطان

نونية ابن القيم بشرح الشيخ محمد خليل هراس ١/ ١٤٥، ١٤٩.

(٨) انظر: الصفدية ١/ ٢٣٧، دعوة التوحيد للشيخ محمد خليل هراس ص٢٢٩.

راموا الجمع بين أقوال المتفلسفة المخالفين للرسل، وبين ما جاءت به الرسل[(١)]، **وزعموا أن الفلسفة مهمة**، كما يقوله ابن رشد: «إن كان فعل الفلسفة ليس شيئا أكثر من النظر في الموجودات[(٢)]، واعتبارها من جهة دلالتها على الصانع، أعني من جهة ما هي مصنوعات، فإن الموجودات إنما تدل على الصانع لمعرفته صنعتها، وأنه كلما كانت المعرفة بصنعتها أتم كانت المعرفة بالصانع أتم»[(٣)]، **ومعلوم أن الفلسفة ليست من الدين في شيء، ولهذا فهو من المحدثات**، فالفلسفة التي يسميها أهلها بالحكمة لا يمكن أن تجتمع مع الشرع أبدا، بل هي متعارضة معه ندا، ولذا شُنعت عليهم الأقوال، وصرح بكفر الفلسفة وآرائها رجال، يقول ابن رشد مبينا عدم توافق الشرع والفلسفة: «فصار الناس بسبب هذا التشويش والتخليط فرقتين: فرقة انتدبت لذم الحكماء والحكمة، وفرقة انتدبت لتأويل الشرع، وروم صرفه إلى الحكمة، وهذا كله خطأ[(٤)]، بل ينبغي أن يقرر الشرع على ظاهره، ولا يصرح للجمهور بالجمع بينه وبين الحكمة؟؟ لأن التصريح بذلك هو تصريح بنتائج الحكمة لهم، دون أن يكون عندهم برهان عليها، وهذا لا يحل، ولا يجوز»[(٥)].

فإذا كان هذه هي الفلسفة التي ينتسب إليها فلاسفة المسلمين، وهذا حالهم؛ فكيف يكون تعظيمهم للقرآن الكريم، هذا ما أبينه في المبحث التالي.

---

(١) انظر: المجموع ١٧/ ١٦٥.

(٢) لكن يتبين من التعريفات الماضية أن الفلسفة لم تقف عند حد النظر في ماهية الطبيعيات، بل قد نظرت في الأديان والإلهيات؛ مجردة بعقولها عن الشرعيات؛ فلذلك ضلت، وأضلت.

(٣) فصل المقال فيما بين الحكمة والشريعة من الاتصال ص ١١.

(٤) فالفلسفة والشرع لا يجتمعان؛ وكيف يمكن الجمع بين ما فيه حياة الروح وما فيه موته وهلاكه، وأما قول ابن رشد بعد هذا النص: إن الواجب إقرار الشرع على ظاهره للعوام، واعتقاد الفلسفة في الباطن للحكماء!! فهذا نوع جمع صار إليه هو وأمثاله، وهو من باب التلبيس، حتى لا يظهر حالهم في التدليس، وأنهم دعاة إلى النار مع إبليس، إذ قالوا: الفلسفة للخاصة، والشرع للعامة!!

(٥) مناهج الأدلة لابن رشد ص٩١-٩٢.

المبحث الثاني: عدم تعظيمهم للقرآن

إن فلاسفة المسلمين يقرون بأصل الرسالة، لكن يجعلون النبي ﷺ بمنزلة الملك العادل الذي وضع قانونا لشعبه، أو يقولون: «إن الرسالة للعامة دون الخاصة، أو في الأمور العملية دون العلمية!! أو في الأمور التي يشترك فيها الناس دون الخصائص التي يمتاز بها الكمّل.

ويقرون برسالة محمد ﷺ من حيث الجملة ويعظمونه، ويقولون: اتفق فلاسفة العالم على أنه لم يرد إلى الأرض ناموس أعظم من ناموسه، لكنهم يكفرون ببعض ما جاء به: مثل أن يسوغوا اتباع غير دينه من اليهودية والنصرانية، وقد يسوغون الشرك أيضا للعامة أو للخاصة...، وقد يكذبون في الباطن بأشياء مما أخبر بها...

وقد يزعمون أن حقيقة العلم بالله تؤخذ من غير ما جاء به الرسول، وإن من الناس من يكون أعلم بالله منه، أو أفضل منه!!»[1].

وقد يعترفون بفضل القرآن الكريم، ويقولون: إنه أفضل من غيره ـ وإن كانوا يقولون: إنه كقول البشر ـ كغيره من الكتب ـ كما أن بعض البشر أفضل من بعض، وهذا الذي جعلهم لا يعظمون القرآن حق تعظيمه، حتى قال التلمساني[2]: «كلامنا يوصل إلى الله، والقرآن يوصل إلى الجنة...، ويقول كثير منهم: إن القرآن للعامة، وكلامنا للخاصة!!!»[3].

---

(١) المجموع ١٢/ ٣٣٦-٣٣٧، وانظر: الصفدية ١/ ٢٠٣.

(٢) هو الصوفي الكبير، والحلولي الخطير: سليمان بن علي بن عبد الله بن علي العابدي المعروف بالعفيف التلمساني!!، من مؤلفاته: شرح فصوص الحكم، المواقف في التصوف، توفي سنة: ٦٩٠هـ انظر: معجم المؤلفين ٤/ ٢٧٠.

(٣) المجموع ١٢/ ٢٤.

ويقولون بأن القرآن جاء بما هو خيال حتى لا ينفر العوام[1]، **ومنهم من يقول:** بأن القرآن ظاهره للعوام، وأما الخواص فلم يُكلفوه، يقول الغزالي: «لم يكلف الشرع أجلاف العرب أكثر من التصديق الجازم بظاهر هذه العقائد؛ فأما البحث والتفتيش، وتكلف نظم الأدلة فلم يكلفوه أصلا»[2].

فالمبتدعة عموما، وأهل الفلسفة والمنطق خصوصا: تعلموا القواعد المنطقية والفلسفات، قبل تعلمهم لكتاب رب الأرض والسماوات، وقبل تعلمهم لسنة خير البريات، ولهذا كان منهم نفي الصفات، والوقوع في تحريف الآيات[3]، ويدل على عدم تعظيم الفلاسفة للقرآن الكريم أمور منها:

١- أن القرآن الكريم ثبت فيه ذكر أن هناك ملائكة، وأن هناك جنا، وهؤلاء لا يثبتون شيئا من ذلك، فخالفوا طوائف المسلمين، وصريح ما دل عليه القرآن المبين، حيث قالوا: «الملائكة عبارة عن العقول المجردة والنفوس الفلكية»[4]، و«هؤلاء يلزمهم إقامة دليل على النفي، ولا دليل لهم: ﴿بَلْ كَذَّبُواْ بِمَا لَمْ يُحِيطُواْ بِعِلْمِهِۦ وَلَمَّا يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُۥ﴾ [يونس:٣٩]، وهذا مما ينبغي أن يعرف؛ فإن عمدة هؤلاء النفي والتكذيب بلا علم»[5].

٢- يسمون ما تنتجه العقول من القواعد والأصول: براهين، وأما نصوص الشرع الواردة، فإنها تكون براهين إذا لم تخالف هذه الأصول الموضوعة، التي جاؤوا بها مخالفين لكلام رب العالمين، يقول ابن رشد: «فواجب أن نجعل نظرنا في الموجودات بالقياس العقلي، وبينٌ أن هذا النحو من النظر الذي دعا إليه الشرع، وحث عليه، هو أتم أنواع النظر، بأتم أنواع القياس، **وهو المسمى برهانا**»[6]. ثم بدأ

---

(١) انظر: فصل المقال فيما بين الحكمة والشريعة من الاتصال ص ٢٧.

(٢) الإحياء للغزالي ١/ ١٥٢.

(٣) انظر: المجموع في ترجمة العلامة المحدث الشيخ/ حماد بن محمد الأنصاري ٢/ ٤٨٥.

(٤) الدر النضيد لابن الحفيد ص ٣٤٧، وانظر: الصفدية ١/ ٢٠١.

(٥) الصفدية ١/ ١٦٦ بشيء من التصرف.

(٦) فصل المقال فيما بين الحكمة والشريعة من الاتصال ص١٢، ويؤكد بأن القياس البرهاني الفلسفي المنطقي يقيني، وأنه لا يقبل الخطأ!! انظر: فصل المقال فيما بين الحكمة والشريعة من الاتصال ص ١٨.

يذكر كيف تعرف البراهين، وأنواع الأقيسة، وما هو القياس، حتى يتوصل بزعمه إلى معرفة الصانع[١]، بل أوجب النظر في كتب المتقدمين حتى يحصل اليقين في رب العالمين!! وهو يعني بكتب المتقدمين كتب الفلاسفة اليونانيين[٢]، وهذا يعني أن معرفة رب العالمين لا تحصل بما دل عليه القرآن الكريم؛ فأي تعظيم هذا لكتاب الله ﷻ المنـزل؟؟.

٣- ولأجل عدم العار عليهم والشنار في أقوالهم البدعية الفلسفية، وما قاله مشايخهم من الأصول الكفرية، تراهم يبررون أقوالهم بشتى الآراء، ولو خالفت صريح القرآن، ومن ذلك مخالفة الفلاسفة للقرآن الكريم في إثبات المعاد، فهم يرون أن المعاد وبعث الأجساد لا يكونان إلا على سبيل التخييل، لا على الحقيقة[٣]، وأراد ابن رشد أن يخفف من وطأة هذه المسألة التي شنع العلماء بها على الفلاسفة، فزعم أن المعاد الجسماني أمر مختلف فيه!!! مع أن صريح القرآن والسنة، بل والشرع كله، بل الأديان الموروثة من الأنبياء كلها تقر بالبعث الجسدي، وأنه على الحقيقة دون الخيال العقلي؛ فهذا ابن رشد بعد أن بين أن من الشرع ما يجب تأويله!! ومن الشرع ما لا يجوز تأويله وقسم مختلف فيه!!، ذكر مسألة المعاد فقال: «فمن أي المراتب الثلاث، هو عندكم ما جاء في صفات المعاد، وأحواله؟، فنقول: **إن هذه المسألة الأمر فيها بين أنها من الصنف المختلف فيها...، ويشبه أن يكون المخطئ في هذه المسألة من العلماء معذورا...، وأما من كان من غير أهل العلم فالواجب في حقه حملها على الظاهر،** وتأويلها في حقه كفر؛ لأنه يؤدي إلى الكفر، ولذلك نرى أن من كان من الناس فرضه الإيمان بالظاهر، فالتأويل في حقه كفر؛ لأنه يؤدي إلى الكفر»[٤]، وصرح الغزالي أن المؤول للقرآن ليس بكافر، وإن خرق الإجماع في التأويل، فليفعل الباطنية والصوفية ما

(١) انظر: فصل المقال فيما بين الحكمة والشريعة من الاتصال ص ١٣.

(٢) انظر: فصل المقال فيما بين الحكمة والشريعة من الاتصال ص ١٥.

(٣) انظر: دستور العلماء ٢/ ٣٥.

(٤) فصل المقال فيما بين الحكمة والشريعة من الاتصال ص ٢٨.

يشاءون في نصوص الوحيين، بعد هذه الفتوى التي خرجت من الغزالي من غير روية أو بينة[١]، **كذلك الفلاسفة يزعمون** أن الأنبياء جاؤوا بالأعمال التي « تفيد السعادة، وتجنب الأفعال التي تفيد الشقاء »[٢]، وهذا يعني أن الأنبياء لم يأتوا لبيان المعاد والبعث والنشور والجنة والنار حقيقة، وأن الأنبياء هم رجال كمل جاؤوا بما يحقق السعادة، وإن كان مع ذلك عندهم شيء من التخييل، فإن ذلك تبع لغلبة العوام، وليس ذلك مقصودا استقلالا!!!.

٤- **ومن المعلوم** أن القرآن بل الشرع كله دل على أن ما سوى الله من العالَم فهو محدَث مخلوق، وهؤلاء يزعمون أنه ليس محدَثا مخلوقا!!، يقول ابن رشد: « فأما أن يقال لهم ـ أي لجمهور الناس ـ: **إن عقيدة الشرع في العالم هي: أنه محدَث، وأنه خلق من غير شيء، وفي غير زمان، ذلك شيء لا يتصوره العلماء فضلا عن الجمهور!!** »[٣].

كيف لا يتصور الجمهور أن العالَم مخلوق لله، وهو شيء يجده عامة الناس: مسلمهم وكافرهم في صدورهم من غير استدلال عليه، لكن إذا دنست العقول بالأفكار الفلسفية فيصعب تصور ذلك، ولو كان المتصور له عالِما، ولا ريب أن العالَم محدث مخلوق لله ﷻ خلقه في زمن، وأن هذا الزمن ليس قديما مع الله، والمادة المخلوقة منها العالَم ليست قديمة مع الله كما تزعمه الفلاسفة، بل هو خلق لله ﷻ، **فهؤلاء إذا رأوا آية من القرآن** فضلا عن الأحاديث مخالفة لقواعدهم الفلسفية يقولون: « مقصود الرسول أن يخيل إلى الجمهور اعتقادا ينتفعون به في الدنيا، وإن كان كذبا وباطلا...، وحقيقة قولهم أن الرسل كذبت فيما أخبرت به عن الله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر؛ لأجل ما رأوه مصلحة الجمهور في الدنيا »[٤].

---

(١) انظر: مناهج الأدلة لابن رشد ص٩٢.

(٢) فصل المقال فيما بين الحكمة والشريعة من الاتصال ص ٣٠، وانظر إليه كيف يقسم الناس إلى أهل الظاهر، ويسميهم بأهل التخييل، وأهل البراهين وهم أهل العلم بالحقيقة، ص ٣٣.

(٣) مناهج الأدلة لابن رشد ص ١١١.

(٤) منهاج السنة ٢/ ١٠٩.

٥- **ومن عدم تعظيمهم للقرآن** القول بأنه لا وجود لما جاء به القرآن من ذكر الجنة والنار...، فهم لا بألفاظ القرآن والسنة أذعنوا، ولا لمعانيه انقادوا، فحرفوا الكلم عن مواضعه، بظن أن هذه الألفاظ غير مقصودة، وأن المراد بها المعاني البعيدة، فـ «لا يقرون بألفاظ القرآن والسنة المشهورة؛ فإنهم يحرفون الكلم عن مواضعه، ويقولون: هذه أمثال ضربت لنفهم المعاد الروحاني، وهؤلاء مثل القرامطة الباطنية، الذين قولهم مؤلف من قول المجوس والصابئة، ومثل المتفلسفة الصابئة المنتسبين إلى الإسلام، وطائفة ممن ضاهوهم من كاتب أو متطبب أو متكلم أو متصوف، كأصحاب رسائل إخوان الصفا، وغيرهم، أو منافق، وهؤلاء كلهم كفار يجب قتلهم باتفاق أهل الإيمان»[1].

٦- **كيف يكون الفلاسفة معظمين للقرآن** وهم يعتقدون أنه جاء بالتخييل، وما يفيد الوهم[2]، وأنه لا حقيقة في أعظم قضاياه وهو الإيمان بالبعث والنشور، ونشر الأجساد من القبور، والمصير من دار الغرور إلى دار النار أو الحبور، **ومن جملة مقالاتهم** في بيان أن ما أخبر به الرسل إنما هي تخييلات: «النفوس إذا فارقت، وقد رسخ فيها نحو من الاعتقادات في العاقبة على مثل ما **يخاطب به العامة**، ولم يكن لهم معنى جاذب إلى الجهة التي فوقهم لإكمالها؛ فتسعد تلك السعادة، ولا عدم كمال فتشقى تلك الشقاوة، بل جميع هيئاتهم النفسانية متجهة نحو الأسفل، منجذبة إلى الأجسام، **ولا بد لها من تخييل، ولا بد للتخييل من أجسام...، فلا بد لها من أجرام سماوية تقوم بها القوة المتخيلة؛ فتشاهد ما قيل لها في الدنيا من أحوال القبر والبعث والخيرات الأخروية!!!** وتكون الأنفس الرديئة أيضا تشاهد العقاب المصور لها في الدنيا وتقاسيه؛ **فإن الصورة الخيالية ليست تضعف عن الحسية، بل تزداد تأثيرا كما تشاهد في المنام، وهذه هي السعادة والشقاوة**»[3]، **فانظر** بعين البصيرة، كيف جعل ما

---

(١) المجموع ٤/ ٣١٤، وانظر: المجموع ٥/ ١٦٨، ١٦/ ٤٤١.

(٢) انظر: النجاة في المنطق والإلهيات لابن سينا ٢/ ١٦٦-١٦٧، والصفدية لشيخ الإسلام ١/ ٢٠١.

(٣) من كلام ابن سينا كما نقله الشهرستاني في كتابه الملل والنحل ص٤٥٤.

أخبر به الرسل وما أجمع عليه أهل الملل تخييلا، وجعلها كالمنامات، وأن هذه هي السعادة، وهي الشقاوة!!، **ويقولون فيما جاء به النبي ﷺ**: «يدعو إلى التوحيد، ويمنعهم من الشرك، ويسن لهم الشرائع والأحكام، ويحثهم على مكارم الأخلاق، وينهاهم عن التباغض والتحاسد، ويرغبهم في الآخرة وثوابها، **ويضرب لهم للسعادة والشقاوة أمثالا تسكن إليها نفوسهم!!، وأما الحق فلا يلوح لهم منه إلا أمرا مجملا!!**»(١)؛ **فإذا لم يكن القرآن قد بين الحق شافيا كافيا؛ فأي كتاب في الدنيا**، وأي شيء يمكن أن يبين الحق!؟، أهم هؤلاء أذناب الفلسفة اليونانية، أو الهندية!!؟.

٧- **ويسخرون من العبادات التي جاء بها الأنبياء، وما يحصل لهم بها الأجر عند العقلاء؛ فيقولون عن الصلاة والصيام**: «ثم تكريره عليهم العبادات ليحصل لهم بعده تذكر المعبود بالتكرير، والمذكرات: إما حركات، وإما أعدام حركات تفضي إلى حركات؛ فالحركات كالصلوات، وما في معناها، وأعدام الحركات كالصيام، ونحوه، وإن لم يكن لهم هذه المذكرات، **تناسوا جميع ما دعاهم إليه مع انقراض قرن أو قرنين**»(٢)، **وهذا** يفيد أن الصلوات إنما هي للتذكير بالمتخيلات، حتى لا تُنسى، وليقوم العامة بالمصالح التي دعا إليها الأنبياء فحسب، وأما المعاد فأمرها تخييل!!(٣).

٨- **تسويتهم بين الرسول النبي والحكيم الفلسفي**، قال الشهرستاني مبينا عقيدة الفلاسفة في تفريقهم بين النبي والحكيم الفلسفي!!: «الأنبياء عليهم السلام أُيدوا بأمداد عقلية تقريرا للقسم العملي، ولطرف ما من القسم العلمي، والحكماء تعرضوا لأمداد عقلية تقريرا للقسم العلمي، ولطرف من القسم العملي؛ فغاية الحكيم هو أن يتجلى لعقله كل الكون، ويتشبه بالإله الحق تعالى وتقدس بغاية الإمكان!! وغاية النبي أن يتجلى له نظام الكون؛ فيقدر على ذلك مصالح العامة حتى يبقى نظام العالم، وتنتظم

---

(١) من كلام ابن سينا كما نقله الشهرستاني في كتابه الملل والنحل ص٤٥٥، وانظر: المجموع ١٧/٣٥٦، ١٩/١٥٦.

(٢) من كلام ابن سينا كما نقله الشهرستاني في كتابه الملل والنحل ص٤٥٥-٤٥٦.

(٣) انظر: شرح الأصبهانية ص٦٣٤.

مصالح العباد!!، وذلك لا يتأتى إلا بترغيب وترهيب، وتشكيل وتخييل!!!»[(١)].

٩- **ومما يدل على عدم تعظيمهم لكتاب الله ﷻ** وخطابه أنهم سعوا بالتأويلات الفاسدة، ومن تأويلاتهم الفاسدة التي تدل على عدم تعظيمهم للقرآن، وأن معاملتهم معها معاملة من يتعامل مع شيء ثانوي لا أساسي، يقول ابن رشد[(٢)] ـ بعد أن بين سبب إخفاء التأويلات الفلسفية، ووجوب ذلك ـ: «فقد تبين لك من هذا أنه ليس يجب أن تثبت التأويلات الصحيحة في الكتب الجمهورية، فضلا عن الفاسدة، **والتأويل الصحيح هي الأمانة التي حملها الإنسان، فأبى أن يحملها، وأشفق منها جميع الموجودات، أعنى المذكورة في قوله ﷻ**: ﴿إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا ٱلْإِنسَٰنُ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا﴾ [الأحزاب:٧٢]، **فانظر ـ رعاك الله ـ كيف أول الآية تأويلا فلسفيا** لم يعرفه علماء الإسلام قاطبة، فضلا عن السلف الصالح ومن اتبعهم من البقية الباقية، فهل الأمانة هي التأويلات الفاسدة!؟؟ سبحانك اللهم هذا بهتان عظيم. هذا الكلام يصدر من فيلسوف من علماء الإسلام، مع أنه يعرف أن السلف الصالح ما عرفوا التأويل في آيات الكتاب العزيز، فكيف يسوغ لغيرهم ذلك، بل ويوجبه على الخاصة، فهل هم أعلم من أولئك!؟؟ **وانظر إليه وهو يقرر أن السلف ما عرفوا ذلك فيقول** ـ رادا على نفسه، ومناقضا نفسه ـ: «**فإن الصدر الأول إنما صار إلى الفضيلة الكاملة والتقوى باستعمال هذه الأقاويل دون تأويلات فيها**، ومن كان منهم وقف على تأويل لم ير أن يصرح به، **وأما من أتى بعدهم؛ فإنهم لما استعملوا التأويل قل تقواهم، وكثر اختلافهم، وارتفعت محبتهم، وتفرقوا فرقا**»[(٣)]، **وقطعا السلف لم يعرفوا التأويل**، فعاشوا كما وصفهم ابن رشد بنفسه، والخلف لما عرفوا التأويل الفاسد، والفلسفة والمنطق عاشوا شذر مذر كما نطق به قلمه.

---

(١) الملل والنحل للشهرستاني ص ٣١٣.

(٢) فصل المقال فيما بين الحكمة والشريعة من الاتصال ص ٣٥.

(٣) فصل المقال فيما بين الحكمة والشريعة من الاتصال ص ٣٧.

١٠- ومما يدل على عدم تعظيمهم للكتاب العزيز وما دل عليه، أنهم يساوونه بزبالات الأفكار، وما أنتجته آراء الفلاسفة الأشرار، يقول ابن رشد عن الفلسفة التي يسميها بالحكمة: «**الحكمة هي صاحبة الشريعة، والأخت الرضيعة،** فالأذية ممن ينسب إليها أشد الأذية مع ما يقع بينهما من العداوة والبغضاء والمشاجرة، **وهما المصطحبتان بالطبع، المتحابتان بالجوهر والغريزة!!**»[(١)]؛ فأي تعظيم للقرآن بعد الجمع بين زبالات الأفكار وما جاء منـزلا من الله العزيز الغفار!؟.

١١- ومن استهانتهم بآيات القرآن الكريم ما يعتقدون من أن النبي بقوته المتخيلة يغير مجريات الأمور في العالم، ولهذا تظهر المعجزات، لا أن الله ﷻ فعل ذلك، يقول ابن سينا: «وقد تبلغ نفس إنسانية في الشرف إلى حد يناسب تلك النفوس؛ فتفعل فعلها، وتقوى على ما قويت هي!! فتزيل جبلا عن مكانه، وتذيب جوهرا فيستحيل ماء، وتجمد جسما سائلا فيستحيل حجرا...»[(٢)]، **ويكفيك ما قد عرفت من** أنهم يقولون في القرآن: إنه فيض يفيض على النبي ﷺ، من جهة العقل الفعال!!، لا أن هناك كلاما تكلم الله به، قائم به[(٣)]، فهل هذا القول يصدر عمن يحترم آيات الله ﷻ، ويوقر معانيه، ويقف عند مبانيه؟؟.

وأما ما يظهرونه من تعظيم القرآن، فذلك ليس لكونه كلام الله ﷻ، وإنما لاعتبارات أخرى، ومنها:

أ- أنه جاء بخطاب جمهوري فيه سعادة البشر، وهذا يعني أنه كأي دستور، وكتاب فيه منافع عظيمة، فينبغي أن يعظم، لا لحقيقة نفسه، مع أن أهل السنة معظمون للقرآن لحقيقة كونه كلام الله ﷻ، وليس فقط لكونه دالا على ما فيه سعادة البشر.

---

(١) فصل المقال فيما بين الحكمة والشريعة من الاتصال ص ٣٨.

(٢) من كلام ابن سينا كما نقله الشهرستاني في كتابه الملل والنحل ص٤٨٥.

(٣) انظر: شرح الأصبهانية ٣٢٩.

ب- أنهم يعظمون القرآن لكونه دالا على كلام الله أو مؤشرا عليه، يقول ابن رشد: «وأن اللفظ الدال عليه مخلوق..، وأما الحروف التي في المصاحف، فإنما هي من صنعنا بإذن الله، **وإنما وجب لها التعظيم لأنها دالة على اللفظ المخلوق لله، وعلى المعنى الذي ليس بمخلوق**»[١]؟؟؟.

ت- أن من منع منهم التأويل في آيات القرآن الكريم، حتى يُظن أنهم معظمون له، وأنهم يردون على أهل الكلام المتأولين؛ فهذا ليس «لأجل الإيمان، والتصديق بمضمونها، بل لعلمهم بأنه ليس لها قانون مستقيم، وفي إظهارها إفساد الخلق؛ فيرون الإمساك عن ذلك مصلحة، وإن كان حقا في نفسه!!! وهؤلاء قد يقولون: الرسل خاطبوا الخلق بها لا يدل على الحق؛ لأن مصلحة الخلق لا تتم إلا بذلك!!»[٢].

فإذا كان هكذا تعظيم القرآن عندهم: تأويل لنصوصه وتحريف لمعانيه وعدم اعتماد عليه؛ فكيف يكون استدلالهم به، هذا ما أبينه في المبحث التالي.

---

(١) مناهج الأدلة ص ٧٣.

(٢) درء التعارض ٥/ ٣٨٠.

المبحث الثالث

عدم الرجوع إلى القرآن والصدور عنه في العقائد والرد عليهم

إن من الأمور الواضحة عند فلاسفة المسلمين عدم الرجوع إلى القرآن؛ والصدور عنه؛ فهم يرون أن القرآن والسنة بل جميع الأنبياء إنما جاؤوا بالتخييل، وهذا يعني أنه في جميع أموره لا حقيقة له، وأن كل ما جاء من علو الله ﷻ ونزول وحيه، والملائكة، والبعث والنشور، والجنة والنار، يرون أن ذلك كله من باب التخييل!!.

بل ـ بعد قراءة لبعض مقالات القوم ـ أجزم بأنهم لا يوافقون القرآن إلا في الرسم، وأما فيما يسمونه الإلهيات فلا؛ فكل مسألة عقدية لهم فيها كلام، اعتقادهم فيها على خلاف ما جاء في القرآن، حين التمعن والنظر الدقيق، كما بين ذلك علماء المسلمين.

وعلى أساس أن القرآن جاء بالتخييل!!، ويسمونه: الأسلوب الخطابي، أو الوعظي، بنى ابن رشد كتبه فهو يصرح بأن كل ما خالف الفلسفة (ويسميها: الحكمة) فإن ذلك تخييل لمصلحة الجمهور، ويعني به عامة الناس، ونظرة واحدة إلى كتابيه: فصل المقال، ومناهج الأدلة تدلك على شدة اعتقاده بالتخييل في نصوص القرآن، فضلا عن السنة، وقد سقت فيما مضى نصوصا تدل على ذلك.

وإذا تبين هذا فكيف يطلب منهم بعد ذلك أن يأخذوا عقائدهم من القرآن، وهم يصرحون أن هذا للجمهور البسطاء، والعامة الغوغاء، وليس للحكماء!!؟.

ويحتجون على أن القرآن لا يؤخذ منه شيء لأن ما فيه تصورات وتخييلات!!!.

ولما اعتقدوا أن نصوص الوحي جارية على التخييل، صاروا هم يعملون فيه بالتحريف ـ للخاصة ـ زاعمين أن هذا هو الطريق السديد، ويسمونه بالتأويل الرشيد!!.

ويستدلون بالقرآن لنشر تلبيساتهم، فهم يستدلون بوجوب مخاطبة الجمهور بالتخييل بقول الله ﷻ: ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِ ۖ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾[الإسراء:٨٧] فيقولون: لا سبيل للجمهور إلى فهمها!! يعنون بذلك أنّ الصحابة العلماء الراسخين في العلم هم من الجمهور الذين تجب مخاطبتهم بالخيال!!، وأما هؤلاء الفلاسفة أذناب اليونان فلا يروق لهم إلا التأويل الذي هو واجب العلماء!!.

ويقول ابن رشد بعد أن ذكر ما سبق: «**وههنا أيضا ظاهر يجب على أهل البرهان تأويله، وحملهم إياه على ظاهره كفر، وتأويل أهل غير البرهان له، وإخراجه عن ظاهره كفر في حقهم، أو بدعة**، ومن هذا الصنف آية الاستواء، وحديث النزول، **ولذلك قال ﷺ في السوداء، إذ أخبرته أن الله في السماء [اعتقها فإنها مؤمنة]**[(١)] **إذ كانت ليست من أهل البرهان!!**»[(٢)].

عجبا لابن رشد كيف يوجب التأويل على أهل البرهان ويقول: إن عدم التأويل في حقهم كفر، ثم يرى رسول الله ﷺ لا يؤول أم أنه ﷺ لم يكن عنده من أهل البرهان؟؟! أو أنه لم يكن بحجة وقوة أهل البرهان في البيان، فخاف على المرأة الافتتان، فسكت عن التأويل والبيان!!، ثم كيف يكون في نفس الوقت التأويل لغير أهل البرهان كفر أو بدعة!! إلا إذا اعتقد أن القرآن والسنة فيهما دينان، دين لعامة الناس، ودين للخواص!! ثم مَن هؤلاء الخواص هل هم الصوفية الغلاة، أم المتفلسفة أشباه المسلمين، أم المتكلمون المتهوكون؟.

ومن تأويلاتهم الفاسدة التي تدل على أنهم لا يقيمون لما دلت عليه النصوص الشرعية اعتبارا، أن الله ﷻ في أكثر من آية أخبر بأن النفخ في الصور كائن يوم القيامة،

---

(١) رواه مسلم، كتاب المساجد، باب/ تحريم الكلام في الصلاة..، ح(٥٣٧) عن معاوية بن الحكم السلمي ﷺ.

(٢) انظر: فصل المقال فيما بين الحكمة والشريعة من الاتصال ص ٢٧.

وأن ذلك إيذان بنهاية العالم، وهؤلاء يزعمون: «أن النفخ في الصور الذي هو سبب الصعقة وقوف الفلك!!»[(١)].

ومن مخالفاتهم الصريحة للآيات والأحاديث الصحيحة أنهم يقولون: بأن الوحي يمكن أن يدرك إذا صفيت النفس، كما يقول ابن سينا: «إن بعض النفوس يقوى قوة لا تشغله الحواس، ولا تمنعه، بل يتسع بقوته للنظر إلى عالم العقل، والحس جميعا؛ فيطلع إلى عالم الغيب؛ فيظهر له بعض الأمور مثل البرق الخاطف، وبقي التصور المدرك في الحافظة بعينه، وكان ذلك وحيا صريحا»[(٢)].

فإذا كان هذا معتقدهم في الوحي؛ فكيف يحتجون به بعد ذلك؟ طبعا، لا يمكن الاحتجاج بما هو من باب المتخيلات!!.

ولا يحتجون بالقرآن - في المسائل التي هي للخاصة - بزعم أن القرآن جاء بالطريقة الخطابية، وهو عري عن الطريقة البرهانية، أو مشتمل على قليل منها!![(٣)]، يقول ابن سينا: «الشرائع واردة بخطاب الجمهور بما يفهمون، مقربا ما لا يفهمون إلى أوهامهم بالتمثيل والتشبيه، ولو كان غير ذلك لما أغنت الشرائع البتة؛ فكيف يكون ظاهر الشرائع حجة في هذا الباب؟!!... - فهذا للخاصة -: أن ظاهر الشرع غير محتج به في مثل هذه الأبواب!!!»[(٤)].

والجواب عن هذا من وجوه:

١ - أن هذا مخالف للقرآن كله، من أوله إلى آخره، فالقرآن ملزم للناس كافة، وليس للعامة دون الخاصة، وفيه الهداية التامة للعامة والخاصة، والإيمان به واجب للعامة والخاصة؛ فكل من ادعى أنه يمكنه أن يخرج عن طريق وشرع محمد ﷺ؛ فهو

---

(١) مناهج الأدلة لابن رشد ص١٠٤.

(٢) من كلام ابن سينا كما نقله الشهرستاني في كتابه الملل والنحل ص٤٨٤.

(٣) انظر: المجموع ٢/ ٤٦.

(٤) الأضحوية ص٥٠.

مرتد عن الإسلام، وقد ناقض شرعة الرحمن(١).

٢- أن هذا الكلام بعينه هو كلام الجهمية ـ بل وأشد منه ـ وقد علم القاصي والداني أن الجهمية لما عملت بمعول التأويل في النصوص تيقن العلماء أنهم زنادقة يريدون هدم الدين، وتخريب دين المسلمين، وأن منهم منافقون، وآخرين مغرورون، ولهذا قالوا: "الرد على الزنادقة والجهمية"(٢)؛ فعاب الأئمة عليهم «أنهم يفسرون القرآن بغير ما هو معناه، ولم يقل أحمد ولا أحد من الأئمة: إن الرسول ﷺ لم يكن يعرف معاني آيات الصفات وأحاديثها، ولا قالوا: إن الصحابة والتابعين لهم بإحسان لم يعرفوا تفسير القرآن ومعانيه»(٣)، فكيف بالفلاسفة الذين يقولون: إن القرآن ليس إلاّ متصورات خيالية، وليس فيها حقائق علمية؟؟، أو كيف يطيب لهم أن يقرّروا أنّه للجمهور دون الخاصة!!؟.

٣- كيف لا يكون القرآن حجة ـ في العقائد وغيرها ـ؟! والقول بالتخييل باطل ـ كما سيأتي ـ، ثم بأي شيء قامت الحجة على الصحابة الفضلاء، وهم الأئمة الحكماء ـ بحق ـ ؟؟.

٤- أليس الله قد أمرنا بتدبر القرآن الكريم، مما يعني أن لألفاظه معاني، وأن هذه المعاني ظاهرة، وأن من موجبات التدبر، العمل والتفكر، لا التحريف والتضجر، وقد أمر الله بتدبر كتابه في أكثر من آية فقال ﷻ: ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ إِلَيۡكَ مُبَٰرَكٞ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ﴾[ص:٢٩] وقال: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلۡقُرۡءَانَۚ وَلَوۡ كَانَ مِنۡ عِندِ غَيۡرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُواْ فِيهِ ٱخۡتِلَٰفٗا كَثِيرٗا﴾[النساء:٨٢]، وقال: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلۡقُرۡءَانَ أَمۡ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقۡفَالُهَآ﴾[محمد:٢٤] فهذه الآيات وأمثالها فيها الدلالة على وجوب تدبر القرآن، وأخذ الأحكام منها، ولم يأمر الله ﷻ بتدبر بعض آياته، ولم يستثن من القرآن شيئا؛

(١) انظر: الدرء ٥/ ١٦ وما بعدها.

(٢) هكذا سمى الإمام أحمد كتابه، والإمام البخاري، والإمام ابن مندة، وآخرون، ـ رحمهم الله ـ.

(٣) نقض المنطق ص٥٨ بتصرف يسير.

فدل أنه في جميع آياته يتدبر، ويؤخذ منها الأحكام العلمية والعملية، قال شيخ الإسلام ﷺ بعد أن سرد تلكم الآيات ـ: «وأمثال ذلك في النصوص التي تبين أن الله يحب أن يتدبر الناسُ القرآن كله، وأنه جعله نورا وهدى لعباده، ومحال أن يكون ذلك مما لا يفهم معناه...، ومن يقول في الرسول، وبيانه للناس: إنه لم يفهم القرآن، ولم يعرف معناه، إنما هو من قول الملاحدة»[1].

٥- أن هؤلاء الفلاسفة ومن تبعهم ليس لهم مستند في طرح آيات الكتاب، إلا التخيلات والظنون الكاذبات، فهم فيما يقولونه في رب البريات، أو فيما يدعونه في النبوات، أو فيما يتعلق بالمعاد والنار والجنات، ليس لهم مستند من خبر الأنبياء، «**لا الكتاب، ولا السنة، ولا أقوال السلف، ولا مستندهم فطرة العقل، وضرورته؛ ولكن يقولون: معنا النظر العقلي!!**، وأما أهل السنة...؛ فيقولون: إن ذلك ثابت بالكتاب والسنة والإجماع، مع فطرة الله التي فطر العباد عليها، وضرورة العقل، ومع نظر **العقل** واستدلاله»[2].

٦- أن القرآن لا يشتمل إلا على ما هو حق ويقين، مشتمل على المقدمات المشهورة، أو المسلمة؛ فلا بد أن تكون نتائجها يقينية، وأما مجرد الاكتفاء بالمقدمات المسلمة من المنازع من غير كونها صادقة، أو بمجرد كون المقدمة مشهورة، وإن لم تكن صادقة؛ فمثل هذه المقدمات لا يشتمل عليها كلام الله ﷻ الذي كله حق وصدق، وهو أصدق الكلام وأحسنه، ولقد اشتمل القرآن في جميع مقدماته على الطريقة البرهانية، وتكون تارة خطابية، وتارة جدلية، مع كونها برهانية[3]، و«الناس ثلاثة أقسام: إما أن يعترف بالحق ويتبعه؛ فهذا صاحب الحكمة؛ وإما أن يعترف به لكن لا يعمل به؛ فهذا يوعظ حتى يعمل؛ وإما أن لا يعترف به؛ فهذا يجادل بالتي هي أحسن،

(١) نقض المنطق ص٥٩.
(٢) المجموع ١٦/ ١١٠.
(٣) انظر: المجموع ٢/ ٤٦.

لأن الجدال في مظنة الإغضاب؛ فإذا كان بالتي هي أحسن: حصلت منفعته بغاية الإمكان، كدفع الصائل»[١]، فالقرآن فيه المقدمات اليقينية البرهانية التي لا تنتج إلا الصدق والحق، وقد يكون مصوغا بالأسلوب للخطابي، أو الوعظي، أو الجدلي مراعاة لحال المخاطَبين، ولا يشتمل القرآن على المقدمات الوعظية والجدلية البحتة.

٧- أن بعض الفلاسفة قد اعترفوا بأن العقول تكل فيما وراء الطبيعة ـ الغيب ـ؛ فلا تستطيع أن تدرك الحقائق، يقول أحدهم[٢]: «نرى ما بعد الطبيعة علما مستحيلا، وراء الطبيعة، وراء حواسنا، فيجب أن يترك بمضيعة، ويُعد من سقط المتاع»[٣]، فهذا اعتراف صريح بعدم إدراك العقول المجردة لماهية ما وراء الطبيعة؛ فلم يبق إلا النص، ومعلوم أن النصوص لا تخالف العقول، ولكن العقول قد تحار فيها؛ فيجب المصير إليها.

٨- أن الفلاسفة المسلمين رأوا أن القرآن والسنة حق؛ فآمنوا بها ـ من حيث الجملة ـ وأن الفلسفة حق، والحق لا يتعدد؛ فراموا الجمع بينها، ويؤخذ عليهم« أنهم لم ينظروا إلى الفلسفة اليونانية ـ كما كان ينبغي أن ينظروا إليها ـ من أنها مجموعة أقوال ومذاهب قد يناقض بعضها بعضا، وأن ما يذهب إليه "أرسطو" في مسألة، قد يكون مناقضا لما يذهب إليه "أفلاطون" فيها، بل نظروا إليها كأنها حقيقة واحدة ملتئمة... ـ واعتقدوا الخلاف بين الفلاسفة أنفسهم: خلاف تنوع، لا خلاف تضاد ـ؛ وعدوا أقوال الفلاسفة المختلفة شرحا لحقيقة واحدة؛ فبذلوا جهدا عظيما في التوفيق بين أقوال "أفلاطون" و"أرسطو" وزاد عليهما المتدينون "القرآن"!!!... فمزج اللوح والقلم، والكرسي، والعرش، والملائكة، والسماوات السبع، بتعاليم اليونانيين الوثنيين مع ما بين أجزائها من التناقض»[٤]، فهذا قول متفلسف يشهد بخطأ شيوخه وأساتذته.

---

(١) المجموع ٢/ ٤٥.

(٢) وهو مؤلف كتاب: " القوة المادية" لـ "بخنر".

(٣) مبادئ الفلسفة لأحمد أمين، ص ٢٦.

(٤) مبادئ الفلسفة لأحمد أمين، ص ١٢٩-١٣٠.

٩- أن الظنون والأوهام الكاذبة هي التي تؤدي إلى جعل القرآن فرعا في العقائد، وذلك بظنهم أنها مشوبة، كما يقولون: «إن الشريعة قد دنست بالجهالات!!، واختلطت بالضلالات!!، ولا سبيل إلى غسلها وتطهيرها إلا بالفلسفة!!؛ لأنها حاوية للحكمة الاعتقادية والمصلحة الاجتهادية!! وزعموا أنه متى انتظمت الفلسفة اليونانية والشريعة العربية فقد حصل الكمال!!»[(١)]، وهذا كمن يجمع بين الثرى والثريا؛ فضياء الشرع ونور القرآن لا يجتمعان في قلب امرئ مع فلسفة اليونان، أهل الوثنية والبهتان، خصوصا أن أهل الفلسفة لم يكونوا مستضيئين بنور النبوة[(٢)].

١٠- أن المنهج الذي سلكه الفلاسفة في الأمور الإلهية منهج عقلي، لا يرجعون في شيء منها إلى المنـزَّل، وإنما يعرفون ما قاله أوائلهم، وزادوا عليها بعضا من المقدمات المنطقية[(٣)].

فهؤلاء الفلاسفة لا يقيمون للقرآن وزنا في باب الاعتقاد، إذ «يقولون: إن الرسل خاطبوا خطابا قصدوا به التخييل إلى العامة!!...، لا أنهم قصدوا الإخبار بالحقائق!!»[(٤)].

قال ابن الوزير اليماني رحمه الله: «ولا شك أن الحق في خلاف هذا فقد نص الله على أن الرسل إنما أرسلت لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل»[(٥)].

والفلاسفة من أهل التخييل، سواء قلنا أنهم من أهل التخييل المكذبة، وهم الذين يقولون: بأن هذا تخييل من الرسول وهو يعلم أنه تخييل، أو من أهل التخييل المجهلة، وهم الذين يقولون: بأن هذا تخييل والرسول لا يعلم بها، وإنما يعلمها نظارنا[(٦)]، وقد

(١) مبادئ الفلسفة لأحمد أمين، ص ١٣١.
(٢) ابن تيمية السلفي للشيخ محمد خليل هراس ص٣٧.
(٣) انظر: منهاج السنة ١/ ٩٦، ابن تيمية السلفي للشيخ محمد خليل هراس ص٣٨.
(٤) نقله شيخ الإسلام رحمه الله عنهم كما في النبوات ص٢٥٢.
(٥) إيثار الحق على الخلق لابن الوزير ص ٨٥.
(٦) انظر: الدرء ١/ ٩.

اتفقوا على أن الشرع لم يصرح للجمهور الأمور التي لا يستطيعون إدراكها؛ فأتاهم بما هو خيال أو توقف في المقال!![1].

ومن الأسباب التي من أجلها لا يستشهدون بالآيات القرآنية في باب العقائد، ولا يعتمدون عليها في الاحتجاج، **اعتقادهم أنها تدل على التشبيه**، الذي جاء به الأنبياء من أجل الجمهور!!، ويقولون: «يجب على الرسول أن يدعو الناس إلى اعتقاد التجسيم مع أنه باطل، وإلى اعتقاد معاد الأبدان مع أنه باطل!!، ويخبرهم بأن أهل الجنة يأكلون ويشربون، مع أن ذلك باطل!! قالوا: لأنه لا يمكن دعوة الخلق إلا بهذه الطريق التي تتضمن الكذب لمصلحة العباد؛ فهذا قول هؤلاء في نصوص الإيمان بالله واليوم الآخر، وأما الأعمال؛ فمنهم من يقرها، ومنهم من يجريها هذا المجرى»[2].

وما احتج به هؤلاء على التخييل والتجهيل هو بعينه ما احتج به الدهريون والملاحدة على إنكارهم للنبوات والمعاد، حتى قالوا إن ما جاء به الأنبياء لا يستفاد منه العلم؛ وأن ما جاء به الأنبياء من الشرائع إنما هو تزكية للنفوس ليس إلا، وذلك في حق العامة لا الخاصة!![3].

قال شيخ الإسلام ﵀ عن الفلاسفة: «وهؤلاء يقولون: الأنبياء قصدوا بهذه الألفاظ ظواهرها، وقصدوا أن يفهم الجمهور منها هذه الظواهر، وإن كانت الظواهر في نفس الأمر كذبا وباطلا ومخالفا للحق!!، فقصدوا إفهام الجمهور بالكذب والباطل للمصلحة!!»[4].

فكيف يطلب منهم أن يحتجوا بالقرآن الكريم إذا كان هذا حالهم!!؟ ومعلوم أن الرسول ﷺ بلغ البلاغ المبين، بل أخذ الله الميثاق على العلماء للبيان؛ كما قال تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ لَتُبَيِّنُنَّهُۥ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُۥ فَنَبَذُوهُ وَرَآءَ ظُهُورِهِمْ

---

(١) انظر: الدرء ١٠/ ٢٦٦.

(٢) المجموع ٥/ ٣٢.

(٣) انظر: الدرء ٥/ ٣.

(٤) الدرء ١/ ٩، وانظر منه ١٠/ ٢٧١، المجموع ١٩/ ١٦٣.

﴿وَٱشۡتَرَوۡاْ بِهِۦ ثَمَنٗا قَلِيلٗاۖ فَبِئۡسَ مَا يَشۡتَرُونَ﴾[آل عمران:١٨٧]، فكيف بالأنبياء؟! ولعن الله كاتم العلم؛ فقال: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكۡتُمُونَ مَآ أَنزَلۡنَا مِنَ ٱلۡبَيِّنَٰتِ وَٱلۡهُدَىٰ مِنۢ بَعۡدِ مَا بَيَّنَّٰهُ لِلنَّاسِ فِي ٱلۡكِتَٰبِ أُوْلَٰٓئِكَ يَلۡعَنُهُمُ ٱللَّهُ وَيَلۡعَنُهُمُ ٱللَّٰعِنُونَ﴾[البقرة:١٥٩] فأخبر ﷻ أنه بين للناس في الكتاب البينات والهدى؛ فكيف يكون بعد ذلك عدم بيان من الأنبياء والصلحاء إما بكتمان أو بعدم العلم، ويعلمه هؤلاء المدعون للحكمة من أهل الفلسفة!؟؟[١].

إن هؤلاء الفلاسفة لا يعرفون المقصد العظيم الذي جاء به الأنبياء، ودعا إليه الأصفياء، وظهرت فيه الأدلة، واهتم به علماء الملة، ألا وهو عبادة الله وحده لا شريك له؛ ففي «فلسفتهم المبتدعة ليس فيها الأمر بعبادة الله وحده والنهي عن عبادة المخلوقات، بل كل شرك في العالم إنما حدث برأي جنسهم...، وهم إذا ادعوا التوحيد؛ فإنما توحيدهم بالقول لا بالعبادة والعمل»[٢]؛ فهذا يدل على أن الأصل عندهم ما جاءت به فلسفتهم، ولهذا لا تكاد تجد في كتبهم ذكرا لتوحيد العبادة.

ومن جملة الأسباب التي من أجلها تركوا الاحتجاج بالقرآن الكريم ظنهم أن الشرع جاء بالتخييل، والقول بأن الأنبياء جاؤوا بالتخييل من أشنع الأقوال على دين الأنبياء، ومن أعظم المفتريات على شرعة الحنفاء، وللرد على هذه الفرية الباطلة والكذبة الفاضحة فإني أذكر أهم الوجوه، وإلا فإن المسألة مكشوفة، **ومما يُرد عليهم به ما يأتي:**

١- أن الله ﷻ أثبت أن هناك ملائكة، ووصفهم بأوصاف يستحيل في العقل - مع تأييد النقل له - أن تكون تلك خيالا أو تخييلا من النبي ﷺ[٣].

٢- أن الله ﷻ إنما أرسل الرسل لكافة الورى، وليس للعامة دون أهل الحجى، كما تقوله الفلاسفة فيما يدعون أنه مخالف لمذهبهم بأن هذا فرض العوام، وأما فرض

---

(١) انظر: المجموع ١٣/ ٢٦٥.

(٢) نقض المنطق ص١٧٧.

(٣) وقد ذكرت الأدلة على إثبات الملائكة، ونزول جبريل بالوحي من السماء، والرد على المنكرين، في الفصل الثاني، من الباب الثاني ص٤٦٥///، وانظر: النبوات ص٢٧٧، الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان ص٨٠، والمجموع ٢/ ٤٩، ١١/ ٢٣٢-٢٣٣.

العلماء فشيء آخر لا يعلمه كل الأنام!!»[(١)].

٣- أن القول بالتخييل قول بلا دليل، بل هو «كلام يسيء الظن بمعتقد قائله، ولا قول أسوأ من قول من قال: إن الله تعالى شبه على عباده فيما أراد منهم وفيما كلفهم، وأن رسول الله ﷺ لم يبين تلك الأشياء، وتركها مهملة!!»[(٢)].

٤- قالوا: إن إظهار الحقائق يفسد العامة، فالمتفلسفة: «تقول: إن الرسل لم يتمكنوا من بيان الحقائق لأن إظهارها يفسد الناس!!، ولا تحتمل عقولهم ذلك، ثم قد يقولون: إنهم قد عرفوها، وقد يقول بعضهم: لم يعرفوها، أو أنا أعرف بها منهم!!»[(٣)]. فسبحان الله كيف يصح أن يقال: إن الفلاسفة تمكنوا من إظهار الحقائق، وأما الأنبياء الذين أوتوا الفصاحة البالغة والنية الخالصة والقصد الحسن لا يستطيعون إظهارها!؟ ثم كيف يكون الأنبياء لا يعرفون حقائق ما أرسلوا به!؟ وعرفها آحاد الناس ممن ليسوا بشيء في أي جهة من جهات المقارنة بالأنبياء.

٥- أن جمهور المسلمين من السلف والخلف يعتقدون أن ما نزل من الله ﷻ فيه الهداية التامة والحق الأبلج، كما قال تعالى: ﴿ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ لَا رَيْبَ ۛ فِيهِ ۛ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ﴾[البقرة:٢]، وغير ذلك من الآيات التي تدل على أن القرآن هداية وبيان، وبه تحصل العصمة من الضلال والنجاة من الشقاوة، ولهذا كان من أوليات عقيدة السلف أن العلم الذي جاء به الأنبياء علم كامل[(٤)].

٦- القول بأن الأنبياء علموا معاني النصوص المتخيلة ولم يعلِّموها أحدًا أو علَّموا بعضهم من الأقوال الضعيفة المردودة؛ فإنه من «الأمور العظيمة، التي معرفتها والتكلم بها من أعظم ما تتوفر الهمم، والدواعي عليه، ألا ترى أن الباطنية، ونحوهم أبطنوا خلاف ما أظهروه للناس، وسعوا في ذلك بكل طريق، وتواطؤوا عليه ما شاء الله، حتى

---

(١) انظر: نقض المنطق ص٩٠.

(٢) الإحكام في أصول الأحكام لابن حزم ٢/ ٤٢١ بشيء من التصرف.

(٣) نقض المنطق ص٧٦، وانظر منه ص٥٧.

(٤) انظر: المجموع ٢/ ٤.

التبس أمرهم على كثير من أتباعهم، ثم إنهم مع ذلك اطلع على حقيقة أمرهم جميع أذكياء الناس من موافقيهم ومخالفيهم، وصنفوا الكتب في كشف أسرارهم، ورفع ستارهم، ولم يكن لهم في الباطن حرمة عند من عرف باطنهم، ولا ثقة بها يخبرون به، ولا التزام طاعة لما يأمرون، وكذلك من فيه نوع من هذا الجنس؛ **فمن سلك هذه السبيل، لم يبق لمن علم أمره ثقة بما يخبر به، وبما يأمر به، وحينئذ فينتقض عليه جميع ما خاطب به الناس؛ فإنه ما من خطاب يخاطبهم به إلا ويجوزون عليه أن يكون أراد به غير ما أظهره لهم، فلا يثقون بأخباره وأوامره؛ فيختل عليه الأمر كله؛ فيكون مقصوده صلاحهم؛ فيعود ذلك بالفساد العظيم**، بل كل من وافقه فلا بد أن يظهر خلاف ما أبطن، كاتباع من سلك هذه السبيل من القرامطة الباطنية وغيرهم، لا تجد أحدا من موافقيهم إلا ولا بد أن يبين أن ظاهره خلاف باطنه...، وإذا كانت الرسل تبطن خلاف ما تظهر؛ فإما أن يكون العلم بهذا الاختلاف ممكنا لغيرهم، وإما أن لا يكون؛ فإن لم يكن ممكنا كان مدَّعي ذلك كذابا مفتريا؛ فبطل قول هؤلاء الملاحدة الفلاسفة والقرامطة وأمثالهم، وإن كان العلم بذلك ممكنا علم بعض الناس مخالفة الباطن للظاهر، وليس لمن يعلم ذلك حد محدود؛ بل إذا علمه هذا علمه هذا وعلمه هذا؛ فيشيع هذا ويظهر، ولهذا كان من اعتقد هذا في الأنبياء كهؤلاء الباطنية من الفلاسفة والقرامطة ونحوهم معرضين عن حقيقة خبره وأمره، لا يعتقدون باطن ما أخبر به، ولا ما أمر به، بل يظهر عليه من مخالفة أمره والاعراض عن خبره ما يظهر لكل أحد...، وأيضا فمن كانت هذه حاله كان خواصه أعلم الناس بباطنه، والعلم بذلك يوجب الانحلال في الباطن، ومن علم حال خاصة النبي ﷺ كأبي بكر وعمر، وغيرهما من السابقين الأولين، علم أنهم كانوا أعظم الناس تصديقا لباطن أمر خبره وظاهره»[1].

٧- أن القول بأن الجنة والنار وما جاء به الأنبياء متخيلات كفر صريح، أوليس في القرآن الكريم «تحاور أهل الجنة وأهل النار وتخاصمهم بتلك الحجج التي لا

(١) المجموع ١٣/ ٢٥٠-٢٥١، وانظر منه ٧/ ٥٠٢ وما بعدها، الصفدية ٢/ ٢٣٩، نقض المنطق ص٧٧.

تصدر إلا عن أكمل الناس عقلا، وأوفر الخلائق فهما، وما يذكرونه من حالهم الذي كانوا عليه في أهليهم»[١]، كل هذا يدل على أنها حقيقة لا خيال، بل إن الأنبياء ما جاؤوا إلا لإثبات المرسِل، وأُيدوا بما يدل على صدق المرسَل، وبالإيمان بما جاء به الرسول من البعث والنشور وغير ذلك.

٨- أن العلماء الربانيين وأهل السنة السلفيين، وأصحاب العقول المتمسكين بسنة خير المرسلين، حرَّموا الفلسفة ودراستها، ومنعوا الناس من الانشغال بها، فكيف يكون ذلك أهدى من الكتاب والسنة ثم يمنع الناس منها؟؟، قال ابن الصلاح[٢] رحمه الله لما سئل عن حكم الاشتغال بالفلسفة والمنطق ـ: «الفلسفة رأس السفه والانحلال، ومادة الحيرة والضلال، ومثار الزيغ والزندقة، ومن تفلسف عميت بصيرته عن محاسن الشريعة المؤيدة بالحجج الظاهرة والبراهين الباهرة، ومن تلبس بها تعليما وتعلما قارنه الخذلان، والحرمان، واستحوذ عليه الشيطان، وأي فن أخزى من فن يُعمي صاحبه؟؟!»[٣].

٩- ومن زعم منهم أن الإسلام بحاجة إلى الفلسفة؛ فهذا يبطل النص والإجماع، فإن الإجماع منعقد على كمال الدين وتمام الشريعة، ودل على ذلك النصوص الكثيرة، ثم ما هذا الذي تدعون أن الإسلام يكمل به؟؟، فـ« ما مثل من نصر الإسلام بمذاهب الفلاسفة والآراء المنطقية، إلا كمن يغسل الثوب بالبول، ثم يسوق الكلام سوقا، يرعد فيه، ويبرق، ويمنِّي ويشوق، حتى إذا تشوفت له النفوس، قال: هذا من علم المعاملة، وما وراءه من علم المكاشفة، لا يجوز تسطيره في الكتب، ويقول هذا سر من سر الصدر الذين نهينا عن إفشائه، وهذا فعل الباطنية أهل الدغل والدخل في

---

(١) أبجد العلوم ١/ ١٦.

(٢) هو الفقيه المحدث: أبو عمرو عثمان بن المفتي صلاح الدين عبد الرحمن بن عثمان بن موسى الكردي الشهرزوري الموصلي الشافعي، المعروف بابن الصلاح، من مؤلفاته: علوم الحديث الشهير بـ "مقدمة ابن الصلاح"، توفي سنة ٦٤٣هـ. انظر: سير أعلام النبلاء ٢٣/ ١٤٠.

(٣) فتاوى ابن الصلاح، ص٧٠، وانظر فتوى قريبة منه للسبكي في الفلاسفة، في مغني المحتاج ٣/ ٦١.

الدين، يستقل الموجود، ويعلق النفوس بالمفقود، وهو تشويش لعقائد القلوب، وتوهين لما عليه كلمة الجماعة؛ فلئن كان الرجل يعتقد ما سطره لم يبعد تكفيره، وإن كان لا يعتقده فما أقرب تضليله»[١].

١٠- أن القول بأن هذه النصوص جاءت للتخييل جناية على النصوص أي جناية[٢]؛ فكأنها جاءت للتمويه وإظهار ما ليس حقيقة على أنه هو الحق!!، وتصبح ألفاظ الشرع معدومة المعنى في حقيقة الأمر عند هؤلاء!! ثم أيضا ظنهم أن هذه النصوص الشرعية قد أتت على ما يستحيل في العقل قبوله ظن سيء آخر قد ظنوه في ربهم المتكلم بالقرآن، وكفى بذلك خزيا وعارا.

١١- أن الفلاسفة بإنكارهم لوجود الرب ﷻ إلا وجودا مطلقا عن الأوصاف والأسماء قد خالفوا النصوص المستفيضة في إثبات الأسماء والصفات لله ﷻ « وقد علم بصريح العقل أن هذا ـ أي الوجود المطلق بشرط الإطلاق ـ لا يكون إلا في الذهن، لا فيما خرج عنه من الموجودات»[٣].

١٢- أن القرآن والسنة قد ثبت فيهما ـ بما لا يدع مجالا للشك ـ أن العالم بأجرامه محدَثات لله ﷻ، وأنها مخلوقة بعد أن لم تكن، وهؤلاء المدّعون للإسلام يزعم أساتذتهم صراحة بأن العالم قديم، وهم يلمحون بذلك[٤].

١٣- أن من كفرياتهم وضلالاتهم وانحرافات بعضهم: أنهم « أسقطوا حرمة المصحف، وربما داسوه، ووطئوه، وربما كتبوه بالعذرة!!»[٥].

---

(١) السير ١٩/ ٤٩٥، بتصرف، وهذا الكلام قاله الإمام الطرطوشي رحمه الله عن الغزالي وكتابه الإحياء، وهذا الكلام منطبق على كل من زعم أن الفلسفة وغيرها من المحدثات أنفع في أمور الإلهيات.

(٢) انظر: التدمرية ص٨٠.

(٣) التدمرية ص١٧.

(٤) انظر: منهاج السنة ٢/ ٤١٥.

(٥) المجموع ١٢/ ٣٨٢.

فإذا تبين للمنصف أن النصوص الشرعية قوالب لمعانٍ عربيةٍ صحيحةٍ، وأنها تدل على المعاني المفهومة الجلية؛ يظهر له كم بعد الفلاسفة عن الإسلام، وبعد الإسلام عنهم، ونشأ للفلاسفة أذناب لم يقولوا بالتخييل، لكنهم ظنوا أن للنصوص ظاهرا وباطنا، وعن هؤلاء سيكون البيان في الفصل التالي.

الفصل الثاني

منزلة القرآن الكريم عند الصوفية
(القائلين بأن للقرآن ظاهراً وباطناً)

وفيه خمسة مباحث:

المبحث الأول: التعريف بمن سلك هذا المسلك.

المبحث الثاني: أقوال الصوفية في الظاهر والباطن.

المبحث الثالث: استخفاف الصوفية بظاهر القرآن الكريم والرد عليهم.

المبحث الرابع: عدم تعظيم الصوفية للقرآن الكريم.

المبحث الخامس: عدم اعتمادهم عليه في باب الاعتقاد.

المبحث الأول: التعريف بمن سلك هذا المسلك

الصوفية فرق شتى ونحل تترى، فلكل قطر طريقة، ولكل شيخ منهم قريحة؛ ولكن يجمعهم أمرٌ مهم، ألا وهو القول بالظاهر والباطن[١]، أو القول بالحقيقة والشريعة، وأن الظاهر أو الشريعة للعوام، وأن الباطن أو الحقيقة للمشائخ الأعلام!! والظاهر أو الشريعة هي الأمور الفقهية العملية، والباطن أو الحقيقة أمور وراء ذلك!![٢].

ولقد اختلف الناس قديما وحديثا في تعريف الصوفية وأحوالهم، خصوصا وأن لفظ الصوفية لم يكن معروفا في القرون المفضلة، وإنما اشتهر بعد ذلك[٣]، ولأبين من سلك هذه الطريقة في الاستدلال وإظهارهم البدع؛ فإني أذكر معنى الصوفية واشتقاقها لغة، واصطلاحا:

أولا: بيان اشتقاق كلمة "الصوفي" لغة:

كلمة "الصوفي" في الميزان الصَرفي من مباني أسماء النسب[٤]، كالقرشي والمدني[٥]، واختلف في المنسوب إليه على أقوال كثيرة، ونعرض أهمها:

---

(١) الباطنية الخارجون عن نحل الإسلام أيضا يدعون الظاهر والباطن، ولكن الفرق بين هؤلاء الصوفية القائلين بالظاهر والباطن، وأولئك الباطنية في نوع هذا القول فإن الصوفية أقوالهم في الظاهر والباطن شطحات، وهي كبائر وكفريات، ولكنها ليست كأقوال الباطنية الظاهرين في الضلال، والمنغمسين في الانحلال، مع أن أولئك يزعمون أن تحريفاتهم الباطنية هي المرادة قطعا، أما هؤلاء الصوفية؛ فإن منهم من يرى أن التفسير بالباطن، أو بالحقيقة، نوع مراد، وليس هو المقطوع به. انظر: الموافقات للشاطبي ٣/ ٣٩٨، وسيأتي بيان حال الباطنية في الفصل الرابع من هذا الباب.

(٢) انظر: الصوفية نشأتها وتطورها لمحمد العبده وطارق عبد الحليم ص٥٦.

(٣) انظر: المجموع ١١/ ٥.

(٤) وهذا ذكره السمعاني في الأنساب ٣/ ٥٦٦.

(٥) انظر: المجموع ١١/ ٦.

قيل: إنه نسبة إلى "الصوف"، قال شيخ الإسلام ﷺ: «والنسبة في "الصوفية" إلى الصوف؛ لأنه غالب لباس الزهاد»[(١)]، وقال ابن خلدون ﷺ: «والأظهر إن قيل بالاشتقاق: أنه من الصوف، وهم في الغالب مختصون بلبسه، لما كانوا عليه من مخالفة الناس في لبس فاخر الثياب إلى لبس الصوف»[(٢)].

«وقيل: نسبة إلى "صوفة" بن مراد بن أد بن طابخة، قبيلة من العرب، كانوا يجاورون حول البيت»[(٣)]، وهذان الاشتقاقان أقرب إلى الصناعة الصرفية؛ إذ بينهما توافق في الاشتقاق الأصغر، وهو مراعاة الحروف والترتيب، خصوصا إذا ضم إليه واقعة الحال، وهو أن الزهاد كانوا يشتهرون بلبس الصوف والترفع عن لباس الترفه، ثم هذه النسبة هي المعروفة، وكذلك الثاني: حيث إن غالب الصوفية يجاورون المساجد والتكايات والخلوات، كمجاورة أولئك القوم للبيت، وضُعف النسبة الثانية لأمور، وهي: أ ـ أن هذه القبيلة لم تكن مشهورة، حتى ينتسب إليها. ب ـ أنها لم تكن معروفة عند النساك والصوفية أنفسهم. ت ـ أنه لو نسب إليها النساك لانتسب إليها الصحابة وهم خير النساك والزهاد. ث ـ إن "الصوفية" لا يرضون النسبة إليها لأنها قبيلة جاهلية ـ والله أعلم ـ[(٤)].

وقيل: نسبة إلى "الصُفَّة"، والمقصود الصفة ـ فناء المسجد ـ التي كان للصحابة في المدينة في مؤخرة مسجده ﷺ[(٥)] وهذا لا يصح؛ لأن النسبة إليه تكون: صُفِّيَّة[(٦)]، وصُفِّيٌّ[(٧)]، وأيضا لا يعرف الانتساب إلى هذا المكان من أحد من الصحابة فلم يُحْكَ أن أحدهم انتسب إليها، ولا من التابعين، ثم كان أهل الصفة في وقت الحاجة سكنوا

---

(١) المجموع ١٠/ ٣٦٩، وانظر: تفسير ابن عربي للقرآن حقيقته وخطره للدكتور/ محمد حسين الذهبي ص٥.
(٢) مقدمة ابن خلدون ص٨٣٦.
(٣) المجموع ١٠/ ٣٦٩، وانظر: الأنساب للسمعاني ٣/ ٥٦٦.
(٤) وانظر: المجموع ١١/ ٦.
(٥) انظر: تفسير ابن عربي للقرآن حقيقته وخطره للدكتور/ محمد حسين الذهبي ص ٥.
(٦) انظر: المجموع ١٠/ ٣٦٩.
(٧) انظر: المجموع ١١/ ٦.

هذا الفناء، فلما فتح الله ﷻ على نبيه ﷺ استغنى الصحابة وبنوا لأنفسهم دورا[١].

وقيل: نسبة إلى "الصفا"، «وذلك لصفاء قلب المريد، وطهارة باطنه وظاهره عن مخالفة ربه»[٢]، فالقوم يبحثون عن التصفية!!، وهذا أيضا لا يصح؛ لأن حقه أن يقال: صفائِيَّة[٣]، وصفائي، وصفاوي، وصفوي، ثم لم ير بعد التدقيق أنه تحصل التصفية بالطرق الصوفية، وهذه هي الطرق الصوفية المختلفة، انظر إليها تجد أتباعها قديما وحديثا من أبطل الناس علما، وأجهل الناس عملا بالشرع، فأنى يحصل لهم التزكية والتصفية.

وقيل: نسبة إلى "الصَفَى" مقصورا، وهذا لا يصح أيضا؛ لأن حقه أن يقال: صَفَوِية[٤]، وصَفَوِي.

وقيل: نسبة إلى "الصفوة"، وذلك لأنهم صفوة الناس، وهذا كسابقه لا يصح، إذ النسبة إليه: صَفْوِية[٥]، وصَفْوِي[٦]، ثم إن صفوة الناس ليسوا صوفية؛ فهؤلاء أئمة العلماء الربانيون وأئمة الحديث المهديون، ومن قبل الصحابة البررة والتابعون الخيرة، لم يكن أحد منهم يلقب بهذا، مع أنهم صفوة الناس.

وقيل: نسبة إلى "الصف المتقدم"، فالصوفية لملازمتهم المسجد يكونون في الصفوف المتقدمة، وكذلك هم مقدّمون في الصفوف الأولى عند الله!!، وهذا أيضا لا يصح، وذلك لأن النسبة إليه: صَفِّيَّة[٧]، وصَفِّيٌّ[٨].

---

(١) الفرقان ص ١١١.

(٢) تفسير ابن عربي للقرآن حقيقته وخطره للدكتور/ محمد حسين الذهبي ص ٥.

(٣) انظر: المجموع ١٠/ ٣٦٩.

(٤) انظر: المجموع ١٠/ ٣٦٩.

(٥) انظر: المجموع ١٠/ ٣٦٩.

(٦) انظر: المجموع ١١/ ٦.

(٧) انظر: المجموع ١٠/ ٣٦٩.

(٨) انظر: المجموع ١١/ ٦.

ويرى شيخ الإسلام رحمه الله أن هذه النسب ـ غير الأولين لو قيل بها ـ تصح إذا روعي فيها الاشتقاق الأكبر، والاشتقاق الأوسط، دون الأصغر.

فمراعاة الحروف دون الترتيب هو الاشتقاق الأوسط؛ ويمكن أن تكون المراعاة في جنس الحروف دون أعيانها، وهو الاشتقاق الأكبر، وعلى هذا يمكن أن يكون من "الصفة" أو "الصف"؛ لأن جنس الحروف مراعى فيهما؛ فقيل: صوفي[(١)].

ولشدة الاختلاف في نسبة الصوفي قال السبكي: «تشعبت الأقوال فيهم تشعبا ـ ناشئا عن الجهل بحقيقتهم!! ـ لكثرة المتلبسين بها...، والصحيح أنهم: المعرضون عن الدنيا!!، المشتغلون في أغلب الأوقات بالعبادة...

تنازع الناس في الصوفي واختلفوا ... قديما وظنوه، مشتقا من الصوف

ولست أنحل هذا الاسم غير فتى ... صافٍ؛ فصوفيَ، حتى لُقِّب الصوفي[(٢)]

وربما كان هذا الاختلاف ناشئا عن كثرة طرقها وشعبها، وأيضا لكونهم يخفون حقيقة حالهم، فخفي على كثير نسبتهم ـ والله أعلم ـ.

وقيل: إن كلمة "الصوفية" أو "التصوف" لقب غير مشتق، قال القشيري[(٣)] رحمه الله: «ولا يشهد لهذا الاسم اشتقاق من جهة العربية، ولا قياس، والظاهر أنه لقب، ومن قال باشتقاقه من الصفاء، أو الصفة، فبعيد من جهة القياس اللغوي[(٤)]...، وكذلك من الصوف؛ لأنهم لم يختصوا به»[(٥)]، وهذا ضعيف؛ لأن كونهم لم يختصوا به لا يلزم منه نفي التلقيب والنسبة؛ لأن النسبة أغلبية، ولا يلزم أن تكون كلية، ألا ترى الرجل ينسب إلى مدينة لكونه لبث فيها مدة، ولو لم يكن من أهلها؛ فكذلك الصوفية نسبوا

---

(١) انظر: المجموع ١٠/ ٣٦٩.

(٢) معيد النعم ومبيد النقم للسبكي ص١١٩-١٢٠.

(٣) هو العالم الصوفي: أبو القاسم عبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك بن طلحة القشيري الشافعي الصوفي المفسر، من مؤلفاته: الرسالة القشيرية، توفي سنة ٤٦٥هـ. انظر: سير أعلام النبلاء ١٨/ ٢٢٧.

(٤) وهذا القول يصح إذا قصد به القياس على الاشتقاق الأصغر، وإلا فإنه يصح من جهة الاشتقاق الأكبر أو الأوسط.

(٥) مقدمة ابن خلدون ص ٨٦٣.

نسبوا إلى الصوف، ليس للاختصاص، ولكن لكون هذا غالب لباسهم، وإن أشركهم فيه غيرهم، ويمكن أن يقال: إنهم نسبوا إلى ذلك ـ مع كون غيرهم يلبسون الصوف ـ لأنهم يلبسونه تعبدا وتفقرا، وغيرهم يلبسونه حاجة وفقرا ـ والله تعالى أعلم ـ.

ثانيا: المراد بالصوفية اصطلاحا.

إن اختلاف الناس في نسبة التصوف انبنى عليه اختلافهم في تعريفهم من حيث الاصطلاح، وأيضا يرجع اختلاف الناس في تعريفهم إلى اختلافها في نفسها، وفي طرقها، وكثرة ما فيها من التناقضات والخرافات، وأيضا لعدم إظهار ما عندهم على الحقيقة حتى لا يعرفوا، ولهذا فكل عالم أو كاتب؛ فإنه يعرف من عرفهم، وخابرهم، وما ظهر منهم له، أو ما يريدون أن يظهر منهم للناس، ولكن أذكر بعض هذه التعاريف، مع التعليق المختصر، ثم أذكر التعريف الذي يكون جامعا ومانعا.

فقيل التصوف: «إرسال النفس مع الله على ما يريده»[1]، لكن هذا التعريف لا ينطبق عليهم؛ لأن حقيقة التصوف هي: أنهم يرسلون نفوسهم من غير قيد بالشرع، وإنما يرسلون نفوسهم على ما تريده هي، لا على ما يريده هو.

وقال ابن عربي ـ معرفا الصوفية ـ: «التصوف: الوقوف مع الآداب الشرعية ظاهرا وباطنا، وهي الخلق الإلهية، وقد يقال: بإزاء إتيان مكارم الأخلاق وتجنب سفسافها»[2].

وقيل التصوف: «هو مناجاة القلب ومحادثة الروح، وفي هذه المناجاة طهرة لمن شاء أن يتطهر، وصفاء لمن أراد التبرؤ من الرجس والدنس، وفي تلك الحادثة عروج إلى السماء والملائكة!!، وصعود إلى عالم الفيض والإلهام!!»[3].

---

(١) تفسير ابن عربي للقرآن حقيقته وخطره للدكتور/ محمد حسين الذهبي ص ٥.

(٢) كتاب اصطلاح الصوفية له ص ١٧، وانظر: الشاهد لابن عربي ص ١٧

(٣) درس في تاريخ الفلسفة د/ بيومي مدكور يوسف ص١٤٠، نقلا عن كتاب: تفسير ابن عربي للقرآن حقيقته وخطره للدكتور/ محمد حسين الذهبي ص ٦.

وهذا التعريف وحده كاف في تصور هذه النحلة الضالة، والفرقة الناشئة التي نشأت في الإسلام، وترعرعت باسم الإسلام، وكيف أنها تدعي العروج إلى السماء، وإلى الملائكة، وإلى الوحي!!.

وقيل: الصوفية هم من يدعون أنهم خواص الحضرة، وأهل المكاشفة والمشاهدة!![1].

ويمكن أن يقال عنهم: أنهم أصحاب الرياضة والتجرد، وهذا يصدق على الصوفية؛ فإنهم لم يعرفوا إلا طريقة الرياضة والتجرد والتصوف[2].

ولكن يجمعهم منهجيا: أنهم يقسمون الدين إلى شريعة وحقيقة ـ وهذا أجمع تعريف لفرق الصوفية ـ قال ابن عقيل رحمه الله: «جعلت الصوفية الشريعة اسما، وقالوا: المراد منها الحقيقة، وهذا قبيح؛ لأن الشريعة وضعها الحق لمصالح الخلق، وتعبداتهم فما الحقيقة بعد هذا سوى شيء واقع في النفس من إلقاء الشياطين، وكل من رام الحقيقة في غير الشريعة فهو مغرور، مخدوع»[3].

وأما إن قيل: إن التصوف معناه الزهد والعبادة والورع، أو هو العلم والعمل؛ فهذا ما كان عليه الصحابة والتابعون وتابعوهم، وهذا لا ينبغي أن يسمى تصوفا، بل يسمى بأسمائه الشرعية الواردة في الكتاب والسنة[4].

ولو كان المراد بالتصوف هو هذا فقط، لما كان النـزاع في الاصطلاح قط، ولكن القوم تحت هذا الاسم أتوا بدين مبتدع مخلوط، فالتصوف مكون من: «اليهودية والمجوسية، والوثنية، ومبادئ إسلامية، والإسلام اسم فقط، وهم إخوان المستعمر»[5].

---

(١) انظر: المنقذ من الضلال ص٨٩، المجموع ٢/ ٥٥، شرح الأصبهانية ص٥٠٩.

(٢) انظر: المجموع ٢/ ٥٧.

(٣) تلبيس إبليس لابن الجوزي ص ٣٦٨.

(٤) انظر: تفسير ابن عربي للقرآن حقيقته وخطره للدكتور/ محمد حسين الذهبي ص ٦.

(٥) المجموع في ترجمة العلامة المحدث الشيخ/ حماد بن محمد الأنصاري ٢/ ٤٨٨.

وقال شيخ الإسلام ﷺ: «التصوف عندهم له حقائق معروفة، قد تكلموا في حدوده وسيرته وأخلاقه، **كقول بعضهم**: الصوفي من صفا من الكدر، وامتلأ من الفكر، واستوى عنده الذهب والحجر[1]، **التصوف**: كتمان المعاني وترك الدعاوي...، ولأجل ما وقع في كثير منهم من الاجتهاد والتنازع فيه، تنازع الناس في طريقهم؛ فطائفة ذمت الصوفية والتصوف، وقالوا: إنهم مبتدعون خارجون عن السنة، ونقل عن طائفة من الأئمة في ذلك من الكلام ما هو معروف، وتبعهم على ذلك طوائف من أهل الفقه والكلام، **وطائفة غلت فيهم**، وادعوا أنهم أفضل الخلق وأكملهم بعد الأنبياء، وكلا طرفي هذه الأمور ذميم، **والصواب**: أنهم مجتهدون في طاعة الله، كما اجتهد غيرهم من أهل طاعة الله؛ ففيهم السابق المقرب بحسب اجتهاده[2]، وفيهم المقتصد الذي هو من أهل اليمين[3]، وفي كل من الصنفين من قد يجتهد فيخطئ، وفيهم من يذنب، فيتوب أو لا يتوب، ومن المنتسبين إليهم من هو ظالم لنفسه، عاص لربه، وقد انتسب إليهم طوائف من أهل البدع والزندقة»[4].

فهذا ينبئك أن القوم نحل شتى وطرق تترى[5]؛ فلا بد في الحكم عليهم من النظر إلى أقوالهم ودعاويهم واعتقاداتهم.

وبعد هذا السرد لأقوال الناس في تعريف الصوفية، يمكن أن يقال: إن الصوفية قوم لهم طريقة معينة في العبادة، وحصول تزكية النفس.

فالمتصوفة لهم طرق معينة، سواء في العبادة، من ذكر وقراءة وورد، أو في تزكية النفس من خلوة وجوع...

---

(١) وهذا كان في الصوفية الأول الذين خالطوا علماء السلف، ولما انفردوا بهواجسهم، واختلوا بطريقتهم ظهر فيهم التخبط، والتشبع في الفلسفة وغيرها، وتأثروا بالتصوفات الهندية، والفارسية، واليونانية.

(٢) كأوائلهم، ومن قصد الزهد والورع من غير ابتداع.

(٣) كعوام الصوفية الذين كانوا قرب زمن الوحي.

(٤) المجموع ١١/ ١٦-١٨.

(٥) انظر: الطرق الصوفية ونشأتها في كتاب: الفكر الصوفي في ضوء الكتاب والسنة لعبد الرحمن عبد الخالق ص٥٣٩ وما بعدها.

وهذا التعريف يجمع التعاريف السابقة، ويجمع فرق الصوفية كلها، إذ هي تشترك في هذا المضمار، وهي التعبد لله ﷻ بطريقة معينة؛ فتجد في سابقيهم من يأتي إلى شيخ ويقول: أريد أن أتنسك على يديك، وأن أتعبد على طريقتك[١]، ـ وكأن طريقة النبي ﷺ قاصرة فاحتاج إلى طريقة شيخ!! وأما في المتأخرين فالفرق الصوفية، ذات الأوراد المختلفة البدعية، معروفة في البلاد الإسلامية، والصوفية بجميع فرقها لها أوراد معينة وأذكار مبتدعة.

ولا يحسن في التعريف الحكم على الصوفية، وذلك كما سبق ـ من كلام شيخ الإسلام ـ أن منهم من يكون مجتهدا؛ فالحكم عليهم لا يكون واحدا.

وكذلك لم أذكر نوع بدعتهم، وذلك لكون الصوفية أصحاب بدع مختلفة؛ فمنهم من بدعته كفرية، ومنهم من بدعته فسقية، ومنهم من يكون مخطئا.

وبهذا يظهر أن التصوف دعوة إلى «محاولة تحويل وجهة المسلمين من علم التوحيد إلى التصوف تأييدا لدينهم، وتثبيتا لعقائدهم، تشبه محاولة إحداث نوع من بعثة الأنبياء بعد انقضاء عهد النبوات»[٢].

ويمكن أن يقسم الصوفية باعتبار عظم بدعتهم إلى قسمين[٣]:

١- **أصحاب البدع الكفرية**: وهؤلاء كأتباع ابن عربي، وابن سبعين، والقونوي[٤]، والتلمساني، «فهؤلاء ضلال جهال، خارجون عن طريق الاسلام؛ فضلا عن العلماء»[٥]، وقد يتوقف بعض الناس في بدعة هؤلاء ويظنهم على طريقة الصفاء، وذلك لكثرة تلبيساتهم، ولشدة تمحلاتهم، وزيادة تقلباتهم[٦]، ولهذا تبعهم في

---

(١) انظر: دعوة الإمام محمد بن عبد الوهاب بين مؤيديها ومعارضيها في شبه القارة الهندية ص١٥٤.

(٢) موقف العقل والعلم والعالم ١/ ٢٦٢.

(٣) مغني المحتاج ٣/ ٦١، وذكر أن هذا التقسيم من السبكي.

(٤) هو الحلولي الضال: محمد بن محمد بن الحسين بن أحمد البلخي القونوي جلال الدين الرومي الصوفي، صاحب الطريقة المولوية، من مؤلفاته: المثنوي ـ بالفارسية ـ توفي سنة:٦٧٢هـ. انظر: الأعلام للزركلي ٧/ ٣٠.

(٥) مغني المحتاج ٣/ ٦١ نقلا من كلام السبكي.

(٦) انظر: المصدر نفسه.

ظاهر أقوالهم دون أن يكون لهم غور في كفرهم، وعلم بحالهم عوام الصوفية المعظمون لابن عربي وغيره، وقد تجد من الجهال «الذين يحسنون الظن بقول هؤلاء ـ الاتحادية، وأصحاب وحدة الوجود ـ، ولا يفهمونه، ويعتقدون أنه من جنس كلام المشايخ العارفين، الذين يتكلمون بكلام صحيح لا يفهمه كثير من الناس؛ فهؤلاء تجد فيهم إسلاما وإيمانا ومتابعة للكتاب والسنة، بحسب إيمانهم التقليدي، وتجد فيهم إقرارا لهؤلاء وإحسانا للظن بهم، وتسليما لهم بحسب جهلهم وضلالهم، ولا يتصور أن يثني على هؤلاء إلا كافر ملحد أو جاهل ضال»(١)، وكثير من «عوام أهل الدين والخير والعبادة ينشد قصيدة ابن الفارض(٢)، ويتواجد عليها ويعظمها، ظانا أنها من كلام أهل التوحيد والمعرفة، وهو لا يفهمها، ولا يفهم مراد قائلها، وكذلك كلام هؤلاء يسمعه طوائف من المشهورين بالعلم والدين؛ فلا يفهمون حقيقته؛ فإما أن يتوقفوا عنه، أو يعبروا عن مذهبهم بعبارة من لم يفهم حقيقته؛ وإما أن ينكروه إنكارا مجملا من غير معرفة بحقيقته، ونحو ذلك، وهذا حال أكثر الخلق معهم»(٣)، هذا الصنف هم الصوفية الغلاة.

٢- **أصحاب البدع المضللة**: وهذا غالب حال الصوفية، سواء منهم أصحاب الطرق وغيرهم.

ويجمع الصوفية شيء آخر، ألا وهو القول بالحقيقة والشريعة، أو القول بالظاهر والباطن، وهذا ما أبينه في المبحث التالي.

---

(١) المجموع ٢/ ٣٦٧، وانظر منه: ٣٥/ ١٤٤.

(٢) هو الحلولي الضال: عمر بن علي بن المرشد بن علي الحموي الأصل المصري، المعروف بابن الفارض، صاحب التائية المعروفة التي بث فيها الحلول، توفي سنة ٦٣٢هـ انظر: معجم المؤلفين: ٧/ ٣٠١.

(٣) المجموع ٢/ ٣٧٩.

المبحث الثاني: أقوالهم في الظاهر والباطن

الصوفية: الذين عرفوا بالتفريق بين الشريعة والحقيقة اختلفت أقوالهم في الظاهر والباطن، أو في الشريعة والحقيقة، وتحديد الفارق بينهما، ولكن يجمعهم في ذلك أن الحقيقة وجد وذوق وخيال وكشف!!، والأمر بدأ صغيرا، ثم أصبح كبيرا، بدأ بصور وأوضاع، وانتهى بالحلول والاتحاد.

« **وقد فرق كثير من الصوفية بين الشريعة والحقيقة**، وهذا جهل من قائله، لأن الشريعة كلها حقائق »[(١)]، ولما بدؤوا في التفريق بين الحقيقة والشريعة، والظاهر والباطن أصبح « الأمر ينمي، والأشياخ يضعون لهم أوضاعا، ويتكلمون بواقعاتهم، ويتفق بعدهم عن العلماء، لا بل رؤيتهم ما هم فيه، أو في العلوم، حتى سموه العلم الباطن، وجعلوا الشريعة العلم الظاهر، ومنهم من خرج به الجوع إلى الخيالات الفاسدة؛ فادعى عشق الحق والهيمان؛ فكأنهم تخيّلوا شخصا مستحسن الصورة؛ فهاموا به، وهؤلاء بين الكفر والبدعة، ثم تشعبت بأقوام منهم الطرق؛ ففسدت عقائدهم؛ فمن هؤلاء من قال بالحلول، ومنهم من قال بالاتحاد، وما زال إبليس يخبطهم بفنون البدع حتى جعلوا لأنفسهم سَننا »[(٢)]، « فأول ما وضعوا أسماء، وقالوا: حقيقة وشريعة، وهذا قبيح لأن الشريعة ما وضعه الحق لمصالح الخلق، فما الحقيقة بعدها سوى ما وقع في النفوس من إلقاء الشياطين، وكل من رام الحقيقة في غير الشريعة فمغرور مخدوع »[(٣)].

---

(١) تلبيس إبليس لابن الجوزي ص ٣٦٧.

(٢) تلبيس إبليس لابن الجوزي ص ١٨٤.

(٣) تلبيس إبليس لابن الجوزي ص٤١٩، وهو من كلام ابن عقيل رحمه الله.

فسموا الظاهر قشرا، والباطن لبا[١]، أو الشرع ظاهرا، والتصوف باطنا!!، والاتباع دين العامة، والابتداع دين الخاصة!! والسير على نصوص الشرع جمودا، والسير على الخيال والكشف جميلا مفيدا!! وقالوا: إن أهل الظاهر هم العوام، أو هم الذين حرموا الحقائق!! وجعلوا يميزون أنفسهم بلا دليل من الكتاب أو السنة؛ فزعموا أنهم "خاصة الخلق"[٢].

ويرون أن الشرع ظاهر وباطن، والظاهر الأحكام، والباطن الحقيقة!! وقد يعبرون فيقولون: الشريعة والحقيقة[٣].

يقول ابن عربي في بيان موقفهم من ظاهر الشرع: «الشرع أمانة، والحقيقة أمن»[٤]، ويقول: «الطاعة تجر إلى النور، والمعصية تجر إلى النار، والنور أشد إحراقا!!!»[٥]، فلا فرق بين الجنة والنار حقيقة عندهم، ولكن الفرق في الظاهر لأهل الظاهر!!.

وربما قالوا: «والعلم الذي بقي من الأنبياء ـ عليهم السلام ـ نوعان: علم الأحكام، وعلم الأسرار!!؛ فالعالم الوارث من يكون له سهم من نوعي العلم»[٦].

«وقال سهل التستري[٧]: للعالم ثلاثة علوم!!: علم ظاهر يبذله لأهل الظاهر، وعلم باطن لا يسعه إظهاره إلا لأهله، وعلم هو بينه وبين الله تعالى لا يظهره لأحد!!. وقال بعض العارفين: إفشاء سر الربوبية كفر، وقال بعضهم: للربوبية سر لو أظهر لبطلت النبوة!! وللنبوة سر لو كشف لبطل العلم!! وللعلماء بالله سر لو أظهروه

---

(١) انظر: الإسراء في مقام الأسرى لابن عربي الصوفي ص٥٦.

(٢) انظر: معيد النعم ومبيد النقم للسبكي ص١٢٣.

(٣) التراجم لابن عربي ص ٢٨، السنوسية ص٢٢١.

(٤) الإعلام بإشارات أهل الإلهام لابن عربي ص٧.

(٥) الإعلام بإشارات أهل الإلهام لابن عربي ص٧.

(٦) موقف العقل والعلم والعالم ٣/ ٢٧٦، نقلا من كلام أحمد السرهندي صاحب "المكتوبات".

(٧) هو العابد الصوفي: سهل بن عبد الله بن يونس بن عيسى أبو محمد التستري الصوفي، من مؤلفاته: رقائق المحبين، ومواعظ العارفين، قيل: توفي سنة ٢٨٣هـ. انظر: معجم المؤلفين٤/ ٢٨٤.

لبطلت الأحكام!!»[١]، وهذا الكلام في حد ذاته ينبئك عن مدى ضلال الصوفية في قولهم بالباطن والظاهر، والحقيقة والشريعة، حتى وصلوا إلى أن كشف علم الباطن يبطل الربوبية والنبوة والأحكام!!، ألا فليهنأ الملاحدة بهذا القول؛ فإنه مقصودهم.

وقال الغزالي - في شرح أن للقرآن ظاهرا وباطنا -: «قال بعض العلماء: القرآن يحوي سبعة وسبعين ألف علم، ومائتي علم، إذ كل كلمة علم، ثم يتضاعف ذلك أربعة أضعاف إذ لكل كلمة ظاهر وباطن، وحد ومطلع!!»[٢].

ومن تفضيلهم الشنيع لما سموه باطنا على الظاهر أن جعلوا الدين دينين، وفضلوا الباطن على الظاهر، يقول ابن عربي: «وربما يقام لك في بعض هذه المواطن الدين المستقيم، الحكم النبوي الاختصاصي الخالصي - ويعني به الباطن -، والدين غير المستقيم الحكمي الممزوج الفكري العقلي - يعني: الظاهر - **وتميز بينهما**، وترى غاية كل منهما الحق سبحانه، من حيث سعادتك، لا من حيث الشقاوة!! **فاسلك دين الاختصاص الخالص النبوي!! فإنه أرفع وأنفع**، وإن كان الآخر رفيع المنار، **ولكن بوجود هذا، الآخر يضمحل رسمه، وإن كان حقا من وجه**»[٣]. ثم ادعى بأن الباطني قد ينسخ الظاهري!!![٤].

قال الغزالي: «إن الألفاظ إذا صرفت عن مقتضى ظواهرها بغير اعتصام بنقل عن صاحب الشرع، وبغير ضرورة تدعو إلى ذلك من دليل العقل[٥]، اقتضى ذلك بطلان الثقة بالألفاظ...، والباطن لا ضبط له بل تتعارض فيه الخواطر[٦]...، ثم بهذا

---

(١) الإحياء للغزالي ١/ ١٦٠ - ١٦١.

(٢) الإحياء للغزالي ١/ ٤٤٨.

(٣) الفناء لابن عربي ص ٦.

(٤) الفناء لابن عربي ص ٦.

(٥) دليل العقل وحده لا يكون كافيا في صرف الألفاظ عن معانيها، ما لم يكن ذلك مؤيدا بنص. انظر: تعليق الشيخ عبد الرحمن الوكيل على هذه العبارة في كتاب: مصرع التصوف أو تنبيه الغبي إلى تكفير ابن عربي للبقاعي ص٦٦.

(٦) قال الشيخ الوكيل ﷺ: «هذا حق لا مرية فيه، بيد أن من قرره لا يؤمن به إلا حين يخاطب عوام الناس =

الطريق توصل الباطنية إلى هدم جميع الشريعة»[١].

أما الصوفية المتقدمون فهم «مصرحون بأن كل حقيقة يردها الشرع زندقة، وأنه ليس في أسرار المعرفة شيء يناقض ظاهر الشرع، بل باطن الشريعة يتم بظاهره، وسره يكمل صريحه، ولهذا إذا انكشفت على أهل الحقيقة أسرار الأمور على ما هي عليه نظروا إلى الألفاظ الواردة في الشرع؛ فما وافق ما شاهدوه قرروه، وما خالف أولوه بما يطابق الشرع»[٢].

والصوفية قد «تزعم أن الإسلام شريعة وحقيقة، تعني بالشريعة: ما أوحاه الله إلى رسوله، وبالأخرى وساوس الأبالسة النافثين لبدع الصوفية»[٣].

بل إن من الصوفية من يقول: إن الظاهر شرك، فقد «كتب الحلاج إلى بعض تلامذته: يا ولدي ستر الله عنك ظاهر الشريعة!! **وكشف لك حقيقة الكفر؛ فإن ظاهر الشريعة شرك خفي!! وحقيقة الكفر معرفة جلية!!**»[٤]، وأقر هذا الهراء ابن عربي الحلولي، وزاد عليه فقال: «وتلقي علم الله الباطن كان أولى بك؛ لأنك تزيد حسنا وجمالا في روحانيتك»[٥].

ومن أقوالهم في الباطن: أنه يظهر لهم بواسطة الكشف أمور لا تظهر بمجرد العلم!! وهم في خلواتهم يصيبهم «القوة الوهمية؛ فقد تعمل الأوهام أعمالا لكنها باطلة، كالمشيخة الذين لم يسلكوا الطرق الشرعية النبوية؛ نظرا أو عملا؛ بل سلكوا الصابئية. ويشبه هؤلاء من بعض الوجوه... خلق كثير من المتصوفة، والمتفقرة بأرض المشرق»[٦].

= في زعمه، أما في كتابه "المظنون به على غير أهله"؛ فهو باطني يجرد اللفظ من معناه بجرأة بالغة، وحسبك أن من أساتذة الغزالي "إخوان الصفا"...». المصدر السابق.

(١) مصرع التصوف أو تنبيه الغبي إلى تكفير ابن عربي للبقاعي ص ٦٦.

(٢) مصرع التصوف أو تنبيه الغبي إلى تكفير ابن عربي للبقاعي ص١٦٨-١٦٩.

(٣) هذه هي الصوفية للعلامة عبد الرحمن الوكيل ص٢٠.

(٤) رسالة ابن عربي للرازي ص١٣.

(٥) رسالة الأنوار لابن عربي ص٤.

(٦) المجموع ٢/ ٥٨.

فلو كان مقصود هؤلاء بالباطن ما يجب من الإيمان في القلب، وبالظاهر ما يجب من الإيمان والأعمال بالجوارح لاستقام تقسيمهم، لكن القوم راموا الفصل بين الشريعة التي عنوا بها الظاهر، وهو الذي جاء به محمد ﷺ، وبين الحقيقة التي عنوا بها الباطن، وهو الذي يجدونه بأذواقهم ومكاشفاتهم!!.

قال شيخ الإسلام رحمه الله: «والظاهر لا بد له من باطن يحققه، ويصدقه، ويوافقه؛ فمن قام بظاهر الدين من غير تصديق بالباطن فهو منافق؛ ومن ادعى باطنا يخالف ظاهرا فهو كافر منافق، بل باطن الدين يحقق ظاهره، ويصدقه، ويوافقه، وظاهره يوافق باطنه، ويصدقه، ويحققه؛ فكما أن الإنسان لا بد له من روح وبدن، وهما متفقان؛ فلا بدّ لدين الإنسان من ظاهر وباطن يتفقان؛ فالباطن للباطن من الإنسان، والظاهر للظاهر منه، والقرآن مملوء من ذكر أحكام الباطن والظاهر»[1]، لأن الدين لا يستقيم إلا باعتقاد في الباطن، وقول في الظاهر، وعمل بالجوارح، لكن هؤلاء الصوفية أصحاب الحقيقة لم يروموا في تقسيمهم هذا، أو ليس حالهم هو هذا، بل حالهم ادعاء علم في الباطن لم يرد به الشرع؛ ومن «ادعى علما باطنا، أو علما بباطن، وذلك يخالف العلم الظاهر كان مخطئا، إما ملحدا زنديقا؛ وإما جاهلا ضالا»[2].

وقد استدل هؤلاء بأدلة لما راموه من التقسيم البدعي، وظنوا أن هناك أدلة على الفصل بين روح الشريعة وجسدها، أعني العلم والعمل، أو الأعمال القلبية والبدنية، وأذكر بعض شبهاتهم، مع الرد عليها، ومنها:

قال الغزالي: «مسألة: فإن قلت: هذا الكلام يشير إلى أن هذه العلوم لها ظواهر وأسرارا... وهذا يكاد يكون مخالفا للشرع، إذ ليس للشرع ظاهر وباطن، وسر وعلن، بل الظاهر والباطن، والسر والعلن، واحد فيه. فاعلم أن انقسام هذه العلوم إلى خفية وجلية لا ينكرها ذو بصيرة، وإنما ينكرها القاصرون، الذين تلقفوا في أوائل الصبا

---

(١) المجموع ١٣/ ٢٦٨.

(٢) المجموع ١٣/ ٢٣٦.

شيئا وجمدوا عليه، فلم يكن لهم ترق إلى شأو العلاء ومقامات العلماء والأولياء، وذلك ظاهر من أدلة الشرع»(١)، وذكر: [إن للقرآن ظاهرا وباطنا، وحدا ومطلعا](٢)، وأحاديث أخرى نحو هذا، وقوله تعالى: ﴿وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَٰلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ ۖ وَمَا يَعْقِلُهَآ إِلَّا ٱلْعَٰلِمُونَ﴾[العنكبوت:٤٣].

وذكر شبهات أخرى، وتلك أهمها، والجواب عن ذلك من وجوه:

١- أن الحديث بأن للقرآن ظاهرا وباطنا... لا يثبت، فقد قال غير واحد من العلماء: إنه لا يصح، قال الذهبي رحمه الله: «لا يصح إسناده»(٣)، وممن رواه الحكيم الصوفي الترمذي وهو متهم بالوضع(٤)، وفي بعض أسانيده من هو ضعيف، وذكر الشاطبي رحمه الله أنه مرسل(٥)، فهذه علل اجتمعت فكيف يحتج بالحديث الذي لا يثبت؟!.

٢- أن الحديث لو ثبت فالمراد بالظاهر ما دل عليه من الأعمال الظاهرة، ومن الباطن ما دل عليه من الأعمال الباطنة، من الإيمان بالله تعالى واليوم الآخر وغير ذلك، «وما من آية إلا وتوجب الأمرين جميعا؛ لأن وجوه القرآن أمر ونهي، ووعد ووعيد، ومواعظ وأمثال، وخبر ما كان وما يكون، وكل وجه منها يجب الإيمان به، والتصديق له، والعمل به؛ فالعمل بالأمر: إتيانه، وبالنهي: الاجتناب عنه، وبالوعد: الرغبة فيه، وبالوعيد: الرهبة عنه، وبالمواعظ: الاتعاظ، وبالأمثال: الاعتبار»(٦).

٣- أن المراد بالظاهر: اللفظ، وبالباطن: المعنى التفسيري، لا المعنى الباطني أو الإشاري، الذي لا يدل عليه السباق والسياق؛ فالظهر: التلاوة، والبطن: التفهم(٧).

---

(١) الإحياء للغزالي ١/ ١٦٠.

(٢) روى نحوه البغوي في شرح السنة١/ ٢٦٢، عن الحسن البصري مرسلا، قال محققه: مرسل، وإسناده ضعيف.

(٣) ميزان الاعتدال ٣/ ٤٠٩.

(٤) انظر: لسان الميزان لابن حجر ٥/ ٣٠٩.

(٥) انظر: الموافقات للشاطبي ٣/ ٣٨٢، ٣٨٤.

(٦) شرح السنة للبغوي ١/ ٢٦٤، و انظر: الموافقات للشاطبي ٣/ ٣٨٩.

(٧) انظر: شرح السنة للبغوي ١/ ٢٦٤، الموافقات للشاطبي ٣/ ٣٩٤.

٤- قال أبو عبيدة[(١)] ﷺ: «إن القصص التي قصها الله تعالى عن الأمم الماضية، وما عاقبهم به، ظاهرها: الإخبار بهلاك الأولين، وحديث حدث به عن قوم، وباطنها: وعظ الآخرين، وتحذيرهم أن يفعلوا كفعلهم؛ فيحل بهم مثل ما حل بهم»[(٢)].

٥- أن المراد بالحد: الغاية التي ينتهي عندها، وما أراده الله بها، كما في إخبار الله عما يأتي جليا؛ «فحد في التلاوة ينتهي إليه، فلا يجاوزه، وكذلك في التفسير، ففي التلاوة: لا يجاوز المصحف الذي هو الإمام، وفي التفسير: لا يجاوز المسموع»[(٣)]، وأيضا لكل حكم مقدار من الثواب والعقاب.

٦- المراد بالمطلع ما يتوقف عليه معرفة الشيء، ويوصل إلى إدراكه[(٤)]، فهذه بعض المعاني للظاهر والباطن، والحد والمطلع ـ لو صح الحديث ـ، ولم يذكر العلماء الراسخون إن من معانيها المعنى الإشاري الصوفي، أو الباطني الحلولي.

٧- قال الإمام الشاطبي ﷺ: «وفسر بأن الظهر والظاهر هو: ظاهر التلاوة، والباطن: هو الفهم عن الله لمراده...، وإليه يرجع تفسير الحسن للحديث إذ قال: الظهر هو الظاهر، والباطن هو السر، وقال الله تعالى: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ ۚ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا﴾[النساء:٨٢] فظاهر المعنى شيء، وهم عارفون به، لأنهم عرب، والمراد شيء آخر، وهو الذي لا شك فيه أنه من عند الله، وإذا حصل التدبر لم يوجد في القرآن اختلاف البتة، فهذا الذي من جهته يفهم الاتفاق، وينـزاح الاختلاف هو الباطن المشار إليه...، وحاصل هذا الكلام أن المراد بالظاهر هو الفهم العربي، والباطن هو مراد الله تعالى من كلامه وخطابه؛ فإن كان مراد

---

(١) هو العالم اللغوي: معمر بن المثنى التيمي مولاهم أبو عبيدة البصري من مؤلفاته: غريب الحديث، مجاز القرآن، توفي سنة ٢٠٩هـ. انظر: سير أعلام النبلاء ٩/ ٤٤٥.

(٢) مناهل العرفان ٢/ ٨٨، وقد حكى البغوي في شرح السنة ١/ ٢٦٣ قريبا من هذا القول، ونسبه إلى الحسن البصري؛ فالحديث لو ثبت؛ فإنا نفهمه على ضوء أفهامهم، لا أن نقبل منهم ما رووا، ونرد منهم ما فهموا.

(٣) شرح السنة للبغوي ١/ ٢٦٤.

(٤) انظر: هذه الوجوه في شرح السنة للبغوي ١/ ٢٦٤.

من **أطلق هذه العبارة** ما فسر فصحيح، ولا نزاع فيه، وإن أرادوا غير ذلك فهو إثبات أمر زائد على ما كان معلوما عند الصحابة ومن بعدهم؛ فلا بد من دليل قطعي يثبت هذه الدعوى، لأنها أصل يحكم به على تفسير الكتاب؛ فلا يكون ظنيا »[1].

٨- وهو تفصيل في المسألة؛ فيقال: ما المراد بعلم الباطن؟ فإنه إذا كان مجرد اصطلاح ولا يخالف الظاهر، وأن المقصود به ما يخفى على كثير من الناس؛ فهذا لا ينكر، وإن كان المقصود به الباطن الذي يخالف الظاهر، ولا يعرفه إلا من تمرس بالرياضة والطرق الصوفية؛ فهذا باطل ولا ريب[2]؛ فدعوى الظاهر والباطن في النصوص فيها إجمال[3]؛ **فالباطن:إما أن يقال**: المراد به الأمور الباطنة، مما هي في القلوب من المعارف والعلوم والغيوب التي أخبر بها الرسل. **وإما أن يراد بالباطن**: ما يقصر عن فهمه أكثر الناس؛ **فالأول**: منه ما هو متعلق بالجوارح، ومنه ما هو متعلق بالباطن كأعمال القلوب، من الإيمان بالله، وأسمائه، وصفاته، وملائكته... والناس متفاوتون مختلفون في هذا وهذا، **ويكون هذا المعلوم باطنا لهم من وجهين: الأول**: من جهة كون المعلوم غير ظاهر. **الثاني**: من جهة كونه لا يعلمه أكثر الناس. **وأما الثاني**: **وهو أن يراد بالباطن العلم الخفي الذي يخفى على أكثر الناس فهو أيضا على وجهين**: **الأول**: باطن يخالف العلم الظاهر؛ فهذا باطل، ومدعيه إما ملحد زنديق، أو جاهل بالعلم غير حقيق، وهذا الذي سار عليه الباطنية ومن وافقهم. **الثاني**: باطن لا يخالف العلم الظاهر؛ فالكلام فيه كالكلام في العلم الظاهر، منه ما هو حسن، ومنه ما هو حق، ومنه ما هو صواب، ومنه ما ليس كذلك، ويوزن الكل بالكتاب والسنة[4].

٩- قال شيخ الإسلام ﷺ ـ في بيان أن الصوفية منهم من يقول ـ: « لنا

---

(١) الموافقات للشاطبي ٣/ ٣٨٢-٣٨٤.

(٢) انظر: المجموع ١٣/ ٢٣٥-٢٣٦.

(٣) انظر: المجموع ١٣/ ٢٣٢-٢٣٦.

(٤) انظر: المصدر السابق.

شريعة، ولنا حقيقة تخالف الشريعة!! والذين يتكلمون بهذا الكلام لا يميزون ما المراد بلفظ الشريعة في كلام الله وكلام رسوله، وكلام سائر الناس، ولا المراد بلفظ الحقيقة، أو الحق»[(١)]، «فكل شريعة ليس لها حقيقة باطنة؛ فليس صاحبها من المؤمنين حقا، وكل حقيقة لا توافق الشريعة التي بعث الله بها محمدا ﷺ فصاحبها ليس بمسلم؛ فضلا عن أن يكون من أولياء الله المتقين، وقد يراد بلفظ الشريعة ما يقوله فقهاء الشريعة باجتهادهم، وبالحقيقة ما يذوقه ويجده الصوفية بقلوبهم، ولا ريب أن كلا من هؤلاء مجتهدون: تارة مصيبون، وتارة مخطئون، وليس لواحد منهما تعمد مخالفة الرسول ﷺ »[(٢)].

١٠- أن جل ما ذكروه لا يصح؛ ففيما لا يصح لا يكون دلالة ـ إلا إذا كان كشفا!!ـ، وأما ما صح سندا فلا وجه للدلالة فيها لهم ـ اللهم إلا أن يكونوا فهموها ذوقا![(٣)].

١١- أن المراد من الآية التي أوردها الغزالي: ليس العلم الكشفي الذوقي، وإنما المراد منه الاعتبار[(٤)].

١٢- ومما يرد عليهم به: اختلافهم فيما بينهم فيما يدعون أنه من علم الباطن؛ «فكل منهم يفسره بما يدعيه من الضلالات الكفرية التي يزعم أنها "علم الأسرار والحقائق"»[(٥)].

١٣- ومما يرد عليهم به أن يقال لهم: كيف يكون الظاهر مرادا وما في القرآن كله تخيلات وتمثيلات، وإشارات على زعمكم؟!!؛ فهذا دليل على أنكم لا ترون الظاهر موجبا، والعمل به واردا، وذلك لأنه إشارات وتخيلات!! فدل على أن القول بأن الظاهر شرع إنما هو لإسكات الناس، والتستر وراءها حتى لا ينكشف الزيف، وتروج الطريقة.

---

(١) المجموع ٨/ ٣١٤.
(٢) المجموع ٨/ ٣١٦، وانظر منه ١٣/ ٢٣٦.
(٣) انظر: منهج الاستدلال على مسائل الاعتقاد عند أهل السنة والجماعة لعثمان بن علي حسن ١/ ٤٠٧، وما بعدها.
(٤) انظر: شرح السنة للبغوي ١/ ٢٦٤، الموافقات للشاطبي ٣/ ٤٠٣.
(٥) المجموع ١١/ ٥٤.

١٤- أن القول بالفصل بين الشريعة والحقيقة والظاهر والباطن مبتدع، وسأذكر ما يدل على ذلك، من وجوه أخرى متعددة:

أ- أنهم زعموا بهذا التقسيم أن في الدين سرا وجهرا، وظاهرا ومكتوما، قال ابن حزم رحمه الله: «ولا سر في الدين عند أحد، قال الله ﷻ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكۡتُمُونَ مَآ أَنزَلۡنَا مِنَ ٱلۡبَيِّنَٰتِ وَٱلۡهُدَىٰ مِنۢ بَعۡدِ مَا بَيَّنَّٰهُ لِلنَّاسِ فِي ٱلۡكِتَٰبِ أُوْلَٰٓئِكَ يَلۡعَنُهُمُ ٱللَّهُ وَيَلۡعَنُهُمُ ٱللَّٰعِنُونَ﴾[البقرة:١٥٩] وقال الله تعالى: ﴿لَتُبَيِّنُنَّهُۥ لِلنَّاسِ وَلَا تَكۡتُمُونَهُۥ﴾[آل عمران:١٨٧]»[(١)].

ب- أن تقسيم الدين إلى قشر ولباب، أو ظاهر وباطن ليس عليه دليل من الكتاب أو السنة، أو من هدي سلف الأمة، فهو إذا مردود، وقد ذكر ابن عربي الطائي الصوفي نفسه أن الواجب في الخلافات الرجوع إلى الشرع، فقال: «وكان الواجب أن لا يهملوا جناب الحق، ولا يطلقون عليه من **الألفاظ والنعوت إلا ما أطلقها على نفسه في كتابه، أو على لسان نبيه**»[(٢)]،**فهذا شهادة صوفي حلولي على وجوب الاتباع في الشرع،** وقال **شيخ الإسلام** رحمه الله: «لفظ الشرع والشريعة إذا أريد به الكتاب والسنة لم يكن لأحد من أولياء الله، ولا لغيرهم أن يخرج عنه، ومن ظن أن لأحد من أولياء الله طريقا إلى الله غير متابعة النبي ﷺ باطنا وظاهرا فلم يتابعه باطنا وظاهرا؛ فهو كافر»[(٣)].

ت- قال ابن العربي المعافري المالكي رحمه الله ردًّا على أصحاب الظاهر والباطن، ممن يدعون القشر واللباب، ويختلفون في تفسير آيات الكتاب: «نبغت ـ طائفة ـ يقال: لهم أصحاب الإشارات، جاؤوا بالألفاظ الشرعية من بابها، وأقروها على نصابها، **لكنهم زعموا أن وراءها معاني غامضة خفية، وقعت الإشارة إليها من ظواهر هذه الألفاظ، فعبروا إليها بالفكر، واعتبروا منها في سبيل الذكر**...، ومتعلقهم في ذلك أن السلف ما زالوا يبطنون مثل هذا المعنى، **ويجعلونه من باطن علم القرآن الذي قالوا فيه:**

---

(١) المحلى ١/ ١٣.

(٢) الأزل لابن عربي ص٤.

(٣) الفرقان ص١١٠، المجموع ١١/ ٢٦٣-٢٦٤.

إن للقرآن ظاهرا وباطنا، وحدا ومطلعا»، وذكر شبههم، ثم قال مبينا عوارهم، وكاشفا أغوارهم: «والذي تحرر بعد تحرير الافتكار، في سبيل النظر والاعتبار، أن الصريح عام في الدين، به جاء البرهان، وعليه دار البيان، فلا يجوز أن يعدل بلفظ صريح معناه إلى ما سواه، فإن ذلك تعطيل للبيان، وقلب له إلى الإشكال، فإذا تقرر الصريح في نصابه، فالإشارة بعد ذلك إلى الأمثال والأشباه، والتنبيه لوجه التشبيه أصل عظيم في العقل، وباب متسع في الدين، وسبيل واضحة في الشريعة، فإن كانت في الأحكام فهو باب القياس، وإن كانت في التذكير والوعظ، فالعبرة مباحة، وإن كانت في التوحيد، ولم يذكر في معرض المثل، فهي على حقيقتها...»[(١)]. ثم قال عن هذه الإشارات التي زعموا أنهم فهموها من العبارات:«هذا من الفن الذي لا يحتاج إليه، وإنما هو احتكاك بتلك الأغراض الفلسفية، وهي عن نهج الشريعة قصية، كادت بها الدين طائفة خبيثة»[(٢)].

ث- **أن دين النبي ﷺ كامل، لا يحتاج إلى إكمال ببيان طرق محدثة لا عد لها، بدعوى ظهور شيء من الباطن لم يظهر للأول**، وكل واحد من هؤلاء يأمر أتباعه بما لم يأمر النبي ﷺ أتباعه قطعا، فانظر إلى أحدهم وهو يقول لمريده: «فاغلق بابك دون الناس!! وكذلك باب بيتك بينك وبين أهلك!! واشتغل بذكر الله بأي نوع شئته من الأذكار، وأعلاها الاسم، وهو: الله، الله، الله، لا تزيد عليه شيئا!!!...، وتحفظ في غذائك، واجتهد أن يكون دسما، ولكن من غير حيوان!!»[(٣)].

ج- أن القول بتقسيم الدين إلى الظاهر والباطن قول للفلاسفة، وتلقفها هؤلاء الصوفية، وادعى الفلاسفة الإجماع على ذلك التقسيم كقول الصوفية، يقول ابن رشد: «**أجمع المسلمون على أنه ليس يجب أن تحمل ألفاظ الشرع كلها على ظاهرها، ولا أن** تخرج كلها من ظاهرها بالتأويل»[(٤)]، **والجواب عن هذا الادعاء من وجوه أيضا:**

---

(١) العواصم من القواصم لابن العربي ص ٢٦١-٢٦٣، بتصرف يسير.

(٢) العواصم من القواصم لابن العربي ص ٢٧٠، وانظر: قانون التأويل لابن العربي ص ٥١٨ وما بعدها.

(٣) رسالة الأنوار لابن عربي ص٦.

(٤) فصل المقال فيما بين الحكمة والشريعة من الاتصال ص ١٨-١٩.

أ- أن الذي ذكره ابن رشد نفسه من ادعاء الإجماع نقضه بقوله أن البرهان العقلي مقدم على الإجماع؛ فكيف يحتج بالإجماع إذاً ـ لو صح ـ ؟؟، قال في مسألة: إذا خالف الإجماعُ البرهانَ العقلي، وهل يتصور ذلك ويصح؟ فقال: «أما لو ثبت الإجماع بطريق يقيني لم يصح، وإن كان الإجماع فيها ظنيا، فقد يصح»[1]، فيقال: كذلك دعواه أن المسلمين أجمعوا على أنه ليس يجب حمل الشرع كله على ظاهره، دعوى للإجماع بدون يقين، إذ لم يسبق إلى هذه الدعوى إلا أمثالُهُ، ممن يرون أن للشرع ظاهرا وباطنا، أما السلف فهم كانوا مقرين بالشرع ظاهرا وباطنا، ولا يؤولون شيئا منه عن ظاهره الذي سيق له الدليل.

ب- أن الإجماع قد يصح إذا كان يقينيا ـ ولو فرض أنه خالف البراهين العقلية!! ـ، أفلا يصح حينئذ العمل بظاهر نص الشارع ـ ولو كانت البراهين العقلية مخالفة!!؟ ـ، ثم إنّ القائلين بالباطن والحقيقة يؤولون نص ظاهر الشرع حتى يكون موافقا للبراهين[2] ما دام خالف البراهين العقلية!! أفلا يصح حينئذ العمل بالظاهر، ولو كانت البراهين العقلية يقينية؟ ثم إنكم تبحثون عن التأويلات للإجماع حتى يكون موافقا للبراهين[3]، فهلا بحثتم تأويلا للبراهين حتى توافق القرآن الثابت؟؟.

ت- أنهم بسبب هذه القواعد المنطقية، والعبارات الفلسفية لا يكفرون الرجل ولو وقع في الكفر المخالف للقرآن والسنة، فأي تعظيم يكون للقرآن والسنة حينئذ، بحجة أنهم لم يخالفوا شيئا قطعيا!!، فهذا ابن رشد يدافع عن ابن سينا وأبي نصر الفارابي ـ مع أن الغزالي كفرهم ـ بحجة أنهم لم يخالفوا شيئا مجمعا عليه!! مع دعواهم بقدم العالم، وأن الله لا يعلم الجزئيات، وتأويلهما لحشر الأجساد والأرواح!![4] ومع هذا الكفر الصراح، لا يعتبرون مخالفين للكتاب والسنة ما داموا على الأصول الفلسفية؟؟.

---

(١) فصل المقال فيما بين الحكمة والشريعة من الاتصال ص ١٩.

(٢) انظر: فصل المقال فيما بين الحكمة والشريعة من الاتصال ص ١٩.

(٣) انظر: فصل المقال فيما بين الحكمة والشريعة من الاتصال ص ١٩.

(٤) انظر: فصل المقال فيما بين الحكمة والشريعة من الاتصال ص ٢٠.

ث- أن دعوى الظاهر والباطن منقوضة بأقوال الأئمة الراسخين في السنة النابذين للبدعة، ومن وافقهم من أهل الملة، حيث أنكروا أن يكون للشرع ظاهر وباطن، وشريعة وحقيقة، وأقوالهم في ذلك مشهورة، وآثارهم مذكورة، وقد تقدم بعض أقوالهم في إيجابهم العمل بالشرع وأنه هو الظاهر، وأنه لا سر فيه[١].

ج- أن كبار الصوفية القدامى قالوا: احفظوا السواد على البياض؛ فما أحد ترك الظاهر إلا تزندق...، وقالوا: كل باطن يخالف ظاهرا فهو باطل،... وقيل: كل حقيقة لا تتبعها الشريعة فهي كفر، وقالوا: من قال: إن الحقيقة تخالف الشريعة أو الباطن يخالف الظاهر؛ فهو إلى الكفر أقرب منه إلى الإيمان[٢].

ومن شبهاتهم أنهم يقولون: إن الشرع ورد فيه الظاهر والباطن لاختلاف أذواق الناس واختلاف فطرهم!! وكما سبق أنهم يقولون: إن العوام لا يعرفون إلا التشبيه والجري على الظواهر. فأتى الشرع كذلك!!، يقول ابن رشد[٣]: «إن الشريعة قسمان: ظاهر ومؤول، وأن الظاهر منها فرض الجمهور!!، وأن المؤول هو فرض العلماء!!»[٤]، وهذا قول بعض المتكلمين، يقول الكرمي الحنبلي[٥] رحمه الله: «وإذا كانت الظواهر تثبت وجود القرآن، وأنه كلام الله حقيقة، فقال قائل: ليس كذلك؟؟ فقد نفى الظواهر التي تعب الرسول ﷺ في إثباتها، وقرر وجودها في النفوس، وهل للمخالف دليل إلا أن يقول: قال اللهُ فيثبت ما نفى؟ فليس الصواب لمن وُفق إلا

---

(١) انظر: بعض هذه الأقوال في الفصل الثاني من الباب الثالث ص٥٨٩.///

(٢) تلبيس إبليس لابن الجوزي ص ٣٦٧-٣٦٨.

(٣) وإنما ذكرت قول ابن رشد، وحقه أن يذكر في الفلاسفة لأن القول بالظاهر والباطن من أقوال الفلاسفة أصلا ثم تبعهم على ذلك الصوفية تبعا مع شيء من التطور؛ فأولئك يقولون: إن النصوص هكذا أصلا تدل على هذه المعاني، وكلها متخيلات، والباطن: أن هذا الظاهر كله غير مراد اصلا!!، وأن الباطن أنه لا شيء من هذا حقيقة!! وأما الصوفية فيقولون: ظاهره ما يفهمه العامة (أي أهل السنة) وباطنه: ما يفهمه الخاصة ـ أي من أتباعهم أهل الكشف ـ!! وكلا المعنيين مراد في النص، ظاهره وباطنه.

(٤) مناهج الأدلة لابن رشد ص ٤٣.

(٥) هو العالم الفقيه: مرعي بن يوسف بن أبي بكر بن أحمد الكرمي المقدسي الحنبلي، من مؤلفاته: أقاويل الصفات في تأويل الأسماء والصفات، توفي بفلسطين سنة ١٠٣٣هـ. انظر: معجم المؤلفين ١٢/ ٢١٨.

الوقوف مع ظواهر الشرع...، وإثبات الإله بظواهر الآيات والأحاديث ألزم للعوام من تحديثهم بالتنـزيه، وإن كان التنـزيه لازما!!!.

وقد كان ابن عقيل يقول: الأصلح لاعتقاد العوام ظواهر الآيات والأحاديث؛ لأنهم يأنسون بالإثبات!!! فمتى محونا ذلك من قلوبهم زالت السياسة والخشية!! وتهافت العوام في التشبيه أحب إلي من إغراقهم في التنـزيه!!! لأن التشبيه يغمسهم في الإثبات، فيطمعوا ويخافوا شيئا قد تخايلوا مثله يرجى ويخاف!! وأما التنـزيه فإنه يرمي بهم إلى النفي، ولا طمع ولا مخافة من النفي»[(١)].

وهذا الذي ذكره ابن رشد، وتبعه بعض المتكلمين فيه تلبيس وتدليس، إذ ليس ظواهر القرآن والسنة دالة على التشبيه، بل هذه النصوص تدل على الإثبات مع التنـزيه، وأما تنـزيههم فهو تعطيل للرب، يؤدي إلى تعطيل التعبد في العبد.

وهذا القول هو قول بعض الصوفية أيضا؛ فإن منهم من يعتقد أن الشريعة الظاهرة واجبة على العوام، فيدخلون في كثير من أقوالهم في العلوم، أو في العلوم والأعمال إلى أقوال الباطنية[(٢)]، ولهذا تجد كثيرا منهم في الخلوات، لا يظهرون للجمع والجماعات، ولا يتطهرون بزعم تكميل المكاشفة في الظلمات، في سراديب تحت الأرض لا يرى منها نور السماوات[(٣)].

واستدلوا على القول بالظاهر والباطن بما روي عن علي ﷺ **[حدثوا الناس بما يعرفون، أتريدون أن يكذب الله ورسوله]**[(٤)]، واستدلوا[(٥)] بقوله ﷺ: **[إنا معاشر**

---

(١) أقاويل الثقات ص ٢٢٤.

(٢) انظر: الصفدية ١/ ٥.

(٣) وقد سمعت عن أحد الأمكنة المزعومة بأنها خلوة فلان!!؛ فإذا هي عميقة، وكان لا يخرج منها حتى لقضاء الحاجة، ويتم أربعين يوما في مكانه!!، وكانوا يعتقدون فيه المعتقدات الخرافية!! وأشد من هذا ما كان يحصل من الغزالي (حجة الإسلام!!) حيث كان في خلوته، والصليبيون يدكون أسوار بيت المقدس، ولم يخرج منها، ولم يدع إلى جهاد، بل ولم يذكر الغزوات الصليبية لا من قريب ولا من بعيد، مع أنه عاشها قرابة (١٢) عاما!!!. انظر: كتاب مصرع الشرك والخرافة للشيخ خالد محمد الحاج ص٤٦٩.

(٤) رواه البخاري معلقا مجزوما به، كتاب العلم، باب من خص بالعلم قوما دون قوم كراهية أن لا يفهموا، ص٣٣.

(٥) انظر: مناهج الأدلة لابن رشد ص ٩٩.

الأنبياء أمرنا أن ننـزل الناس منازلهم، وأن نخاطبهم على قدر عقولهم][١]، والجواب عن هذا من وجهين:

١- « ما ذكره البخاري عن علي ﷺ أنه قال: **[حدثوا الناس بما يعرفون، ودعوا ما ينكرون، أتحبون أن يكذب الله ورسوله]** قد حمله أبو الوليد بن رشد الحفيد الفيلسوف، وأمثاله، على علوم الباطنية الفلاسفة نفاة الصفات، وهذا تحريف ظاهر؛ فإن قول علي ﷺ... دليل على أن ذلك مما أخبر به النبي ﷺ، وأقوال النفاة من الفلاسفة والجهمية والقرامطة والمعتزلة لم ينقل فيها مسلم عن النبي ﷺ شيئا لا صحيحا ولا ضعيفا؛ فكيف يكذب الله ورسوله في شيء لم ينقله أحد عن الله ورسوله... فعلم أن الصحابة لم يكونوا يبطنون خلاف ما يظهرون، ولا يظهرون الإثبات ويبطنون النفي، ولا يظهرون الأمر ويبطنون امتناعه، بل هم أقوم الناس بتصديق الرسول فيما أخبر، وطاعته فيما أمر »[٢].

٢- أن قول الإمام البخاري ﷺ: « باب: من خص قوما دون قوم كراهية أن لا يفهموا »[٣] فيه دليل على أن المقصود بقول علي ﷺ العلمَ ليس إلا، والدليل أنه معلوم للعلماء، وليس لعامة الدهماء، وقد أبهم عنهم خشية أن يفقهوه على غير وجهه، ويؤكد هذا الفهم تبويبه السابق على هذا التبويب حيث قال: « باب: من ترك بعض الاختيار مخافة أن تقصر فهم بعض الناس عنه؛ فيقعوا في أشد منه »[٤]، أي يترك الأفضل مخافة عدم الفهم من بعض الناس[٥]، وليس المراد أنه لا يبلغ ما يتعلق بأصول الدين، وما يقرب إلى رب العالمين، ومما يؤكد هذا الفهم فهم السلف الصالح؛ فإن ابن مسعود وأبا هريرة وغيرهما لم يحدثا ببعض الأخبار والأمور التي سمعوها من رسول الله

---

(١) روى نحوه أبو داود، كتاب الأدب، باب/ في تنـزيل الناس منازلهم، ح(٤٨٤٢)، عن ميمون بن أبي شبيب عن عائشة ﷺ، قال أبو داود: (ميمون لم يدرك عائشة)، فالحديث منقطع.

(٢) المجموع ١٣/ ٢٦٠.

(٣) صحيح الإمام البخاري، كتاب العلم، ص ٣٣.

(٤) صحيح الإمام البخاري، كتاب العلم، ص٣٣.

(٥) انظر: الفتح ١/ ٢٧١.

ﷺ لأنه لم يكن متعلقا بالدين، وإنما هي أمور متعلقة بالدنيا، وما سيقع فيها، وتقع كراهة التحديث لمن يتخذها ذريعة إلى فعل مشين، أو قول منكر مبين، ظنا منه أن هذا الحديث يدل عليه، وضابط ذلك: أن يكون ظاهر الحديث ـ عند من لا يفهمه ـ يقوي البدعة، وهذا الظاهر غير مراد؛ فالإمساك عنه عند من يخشى عليه الأخذ به مطلوب[1].

وقالوا مستدلين لقولهم بالباطن والظاهر: إن الأنبياء لم يعلموا أصحابهم الباطن، لكونهم مشغولين بالجهاد، وخاف النبي أن يشتغلوا بالباطن عن الجهاد!![2].

فهل النبي ﷺ يترك شيئا مهما يتعلق بالنصوص الشرعية، من أجل اشتغالهم بالجهاد!!؟ ولم يترك الإنكار عليهم في مسألة عقدية واحدة ـ هي في نظر كثير من الناس ـ صغيرة في أحلك الظروف وأصعبها؛ فكيف يترك أمرا عظيما يتعلق بفهم كتاب الله ﷻ ؟، انظر إليه ﷺ وهو يغضب على مسلمة الفتح في طريقه إلى غزوة حنين لما قالوا: [**اجعل لنا ذات أنواط كما لهم ذات أنواط!**]؛ فقال ﷺ من غير مجاملة ولا مسايرة: [**قلتم والذي نفسي بيده كما قالت بنوا إسرائيل لموسى: اجعل لنا إلها كما لهم آلهة، قال إنكم قوم تجهلون...**][3]؛ فما منعه الجهاد من إظهار تبرك شركي فكيف بأمر عظيم يتعلق بفهم كلام الشرع في الاعتقاد!!؟ فهم يقولون: إن المراد من بعث الأنبياء حصول الحكمة والمصلحة، ـ وهذا لا شك أنه مقصد عظيم وصحيح ـ وأن في بعث الأنبياء صلاحًا للعباد والبلاد، في المعاش والمعاد، لكن ليس في هذا ما يوجب سقوطها عن بعض العباد، كما يدعيه أهل الفسق والعناد، أو أهل البدعة والاتحاد، أو من يسمون أنفسهم بالأقطاب والأوتاد.

ومن شناعاتهم الشنيعة وأقوالهم السخيفة في بعث الأنبياء، قالوا: إن «المراد منها ضبط العوام، ولسنا نحن العوام»، **ولا ريب**: «أن الكلمة الأولى: زندقة ونفاق،

---

(١) انظر: الفتح ١/ ٢٧٢.

(٢) انظر: النبوات ص٢٤٨.

(٣) رواه الإمام أحمد في مسنده، ح(٢٢٢٤٢)، والترمذي، كتاب الفتن، باب/ لتركبن سنن من كان قبلكم، ح(٢١٨٠) عن أبي واقد الليثي ﷺ، وقال الترمذي: هذا حديث صحيح.

والثانية: كذب واختلاق؛ فإنه ليس المراد من الشرائع مجرد ضبط العوام؛ بل المراد منها الصلاح باطنا وظاهرا، للخاصة والعامة، في المعاش والمعاد»[(١)].

وربما قالوا: إن الوحي والإلهام عام، وأن العلم بالباطن يحصل بصفاء الذهن ونوع رياضة، وإذا أوحي إلى النحل فغيره كذلك، وبهذا يعلم أن الكشف صحيح!! ومعلوم أن الإيحاء العام ليس كالإيحاء الخاص للأنبياء، وقد فرق الله ﷻ بين ذلك، وإلا عد النحل رسولا!! فالفهم الذي يظهر في قلوب العلماء العاملين، والصلحاء الصادقين: ليس إلا إدراكا يقع في قلوبهم لما لهم من معارف شرعية؛ جعل الله ذلك وسيلة إلى إدراك الحقائق على ما هي عليه، لا أنهم يرون ما حجب وستر وكان غيبا؛ فجعل هؤلاء الصوفية «الإيحاء والإلهام الذي يحصل في اليقظة والمنام مثل سماع موسى كلام الله، سواء لا فرق بينهما!!»[(٢)]، ومعلوم أنه «لو كان أحد يأتيه من الله ما لا يحتاج إلى عرضه على الكتاب والسنة، لكان مستغنيا عن الرسول ﷺ في بعض دينه، وهذا من أقوال المارقين الذين يظنون أن من الناس من يكون مع الرسول كالخضر مع موسى، ومن قال هذا فهو كافر»[(٣)].

ومنهم من يستدل بالمفتريات على المبتدعات؛ فيتقوّل على سيد البريات، ويدعي العلم الباطن وسماع الوحي!! وذلك كقولهم: «إن أهل الصفة سمعوا ما خاطب الله به رسوله ليلة المعراج؛ وأن الله أمره أن لا يعلم به أحد؛ فلما أصبح وجدهم يتحدثون، فأنكر ذلك؛ فقال الله تعالى: أنا أمرتك أن لا تعلم به أحدا، لكن أنا الذي أعلمتهم به!! إلى أمثال هذه الأكاذيب التي هي من أعظم الكفر، وهي كذب واضح؛ فإن أهل الصفة لم يكونوا إلا بالمدينة؛ لم يكن بمكة أهل صفة؛ والمعراج إنما كان بمكة...، ومما يشبه هذا من بعض الوجوه: رواية بعضهم عن عمر أنه قال: كان النبي ﷺ يتحدث هو و أبو بكر، وكنت كالزنجي بينهما. وهذا من الإفك المختلق، ثم إنهم مع هذا

---

(١) المجموع ١١/ ٤١٥-٤١٦.

(٢) المجموع ٦/ ١٨٠.

(٣) المجموع ١١/ ٦٦.

يجعلون عمر الذي سمع كلام النبي ﷺ وصديقه، وهو أفضل الخلق بعد الصديق لم يفهم ذلك الكلام!! بل كان كالزنجي!! ويدعون أنهم سمعوه وعرفوه!!»[(١)].

وقد يحتجون لعلم الباطن بقول أبي هريرة رضي الله عنه: **[حفظت من رسول الله ﷺ جرابين؛ فأما أحدهما فبثثته فيكم؛ وأما الآخر فلو بثثته لقطعتم هذا البلعوم]**[(٢)]، «ولكن ليس في هذا من الباطن الذي يخالف الظاهر شيء؛ بل ولا فيه من حقائق الدين، وإنما كان في ذلك الجراب الخبر عما سيكون من الملاحم والفتن؛ فالملاحم: الحروب التي بين المسلمين والكفار، والفتن: ما يكون بين المسلمين»[(٣)].

ومن هؤلاء من يحتج بقصة موسى والخضر: والذي فعله الخضر كان «مصلحة، وهو شريعة أمره الله بها، ولم يكن مخالفا لشرع الله، لكن لما لم يعرف موسى الباطن كان في الظاهر عنده أن هذا لا يجوز؛ فلما بين له الخضر الأمور وافقه؛ فلم يكن ذلك مخالفا للشرع، وهذا الباب يقال فيه: قد يكون الأمر في الباطن بخلاف ما يظهر، وهذا صحيح، لكن تسمية الباطن حقيقة، والظاهر شريعة أمر اصطلاحي»[(٤)].

ومن احتج بقصة موسى مع الخضر على أن هناك حقيقة وشريعة، أو باطنا وظاهرا، أو يسوغ الخروج عن ظاهر الشرع؛ فهو مخطئ من وجهين[(٥)]:

الأول: أن موسى لم يبعث إلى الخضر، ولم يكن على الخضر اتباعه؛ فإن موسى بعث إلى بني إسرائيل؛ وأما محمد ﷺ فرسالته عامة للإنس والجن، ولو أدركه من هو أفضل من الخضر كإبراهيم وموسى وغيرهما وجب عليهم اتباعه؛ فكيف بآحاد أمته.

الثاني: أن موسى لم يعلم سبب الفعل، ولهذا وقع منه الإنكار، ولما علم السبب

---

(١) المجموع ١١/ ٥٤، وانظر منه ١١٠.

(٢) روى نحوه البخاري، كتاب العلم، باب/ حفظ العلم، ح(١٢٠).

(٣) المجموع ١٣/ ٢٥٥.

(٤) المجموع ٨/ ٣١٥، ومعلوم أن الاصطلاح إذا ترتب عليه نزاع شرعي؛ فإنه لا عبرة به، وأنه لا مشاحة في الاصطلاح إذا كان الاصطلاح له معنى صحيح، ولا يخالف الشرع.

(٥) انظر: الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان ص ١١١، المجموع ١١/ ٢٦٣-٢٦٤.

لم ينكر بل أقر، فإن خرق السفينة للمصحلة جائز، وهو إحسان إليهم...، ولهذا ينكر الناس بعضهم على بعض فيما يقع من الأعمال التي لا يعرفون أسبابها وأحكامها؛ فإذا علموا وافقوا وأذعنوا ـ كمن رأى رجلا يضرب صبيا فينكر عليه؛ فإذا علم أنه ابنه، وأنه يضربه تأديبا، عرف السبب وسكت عن الإنكار ـ؛ فكل من عمل بشيء فإنه يطالب بالدليل الشرعي؛ فإن وافقه قبل، وإلا رد.

وقد يقول أهل الجهل والكذب منهم: إن عليا ﷺ اختص بعلم، وانفرد به عن الصحابة!! وهذا كله باطل، وقد ثبت في الصحيح أنه قيل له: [**هل عندكم من رسول الله ﷺ شيء؛ فقال: لا، والذي فلق الحبة، وبرأ النسمة، إلا فهما يؤتيه الله عبدا في كتابه، وما في هذه الصحيفة، وكان فيها عقل الديات**][١]...، فكل من ادعى أن النبي ﷺ خصه بعلم فقد كذب عليه...، وكذلك ما يذكر: «أنه كان عنده علم باطن امتاز به عن أبي بكر وعمر، وغيرهما؛ فهذا من مقالات الملاحدة الباطنية، ونحوهم»[٢].

وقد أوردت أقوال الباطنية الصوفية ـ في هذا الباب مع أن حقهم أن يذكروا مع الباطنية ـ وذلك لأنهم معظمون عند عامة الصوفية؛ وإن لم يقولوا بقولهم، ولم يتصوروا مقولهم، ولكن حتى يتبين الأمر، ويعرف الخير من الشر، وإلى من ينتسب هؤلاء الصوفية، ومن يعظمون. فإن عامة الصوفية معظمون لأصحاب وحدة الوجود، بل «وهم عند كثير من الناس سادات الأنام، ومشايخ الإسلام، وأهل التوحيد والتحقيق وأفضل أهل الطريق، حتى فضلوهم على الأنبياء والمرسلين، وأكابر مشايخ الدين!!»[٣]، ولهذا فنقل بعض أقوالهم مع منتحليهم أمر لا بد منه، حتى يظهر الحال، وينكشف المقال.

بل إن من الصوفية من يزعم أن التكاليف الشرعية لا تلزمه، إذا وصل إلى اليقين!! لقوله تعالى: ﴿وَٱعۡبُدۡ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأۡتِيَكَ ٱلۡيَقِينُ﴾[الحجر:٩٩] «فاليقين عندهم،

---

(١) رواه البخاري، كتاب الجهاد، باب/ فكاك الأسير، ح(٣٠٤٧) عن علي ﷺ.

(٢) المجموع ٤/ ٤١٢-٤١٣.

(٣) المجموع ٢/ ٣٥٧.

هو معرفة هذه الحقيقة!! وقول هؤلاء كفر صريح...، ومشاقة لله، وتكذيب لله ولرسوله، ومعاداة له، وصد عن سبيله، ومشاقة له، وتكذيب لرسله، ومضادة له في حكمه، وإن كان من يقول هذه المقالات قد يجهل ذلك، ويعتقد أن هذا الذي هو عليه هو طريق الرسول وطريق أولياء الله المحققين، فهو في ذلك بمنـزلة من يعتقد أن الصلاة لا تجب عليه لاستغناء الله عنها، بما حصل له من الأحوال القلبية، أو أن الخمر حلال له، لكونه من الخواص!! الذين لا يضرهم شرب الخمر!! أو أن الفاحشة حلال له، لأنه صار كالبحر لا تكدره الذنوب، ونحو ذلك!!!»[1]، فـ«يحتج بقوله تعالى: ﴿ وَٱعۡبُدۡ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأۡتِيَكَ ٱلۡيَقِينُ ﴾[الحجر:٩٩] ويقول: معناها: اعبد ربك حتى يحصل لك العلم والمعرفة؛ فإذا حصل ذلك سقطت العبادة، وربما قال بعضهم: اعمل حتى يحصل لك حال!! فإذا حصل لك حال تصوفي [سقطت عنك العبادة][2]، وهؤلاء فيهم من إذا ظن حصول مطلوبه من المعرفة والحال، استحل ترك الفرائض وارتكاب المحارم، وهذا كفر»[3].

فطريق الحقيقة عندهم: هو السلوك الذي لا يتقيد صاحبه بأمر الشارع ونهيه، ولكن بما يراه، ويذوقه، ويجده في قلبه مع ما فيه من غفلة عن الله ﷻ، ونحو ذلك، «**ويقول محققوهم**: الشريعة فيها طاعة ومعصية، والحقيقة فيها معصية بلا طاعة، والتحقيق ليس فيه طاعة ولا معصية!!»[4].

«وابتلى بهذا ـ أي إنكار الصفات ـ كثير من أهل النظر والعبادة والتصوف، وصاروا يظهرون هذا في قالب المكاشفة!! ويزعمون أنهم أهل التحقيق والتوحيد والعرفان!!»[5].

«وكان **أوائل الصوفية** يقرون بأن التعويل على الكتاب والسنة، وإنما لبس

---

(١) العبودية ص٤٤-٤٥.

(٢) هكذا في المطبوع بين قوسين.

(٣) المجموع ١١/ ٤١٧.

(٤) العبودية ص١١٣.

(٥) النبوات ص٨٧.

الشيطان عليهم لقلة علمهم... قال أبو سليمان الداراني: ربما تقع في نفسي النكتة من نكت القوم أياما؛ فلا أقبل منه إلا بشاهدين عدلين: الكتاب والسنة...، وقال البسطامي[١]: من ترك قراءة القرآن والتقشف ولزوم الجماعة وحضور الجنائز وعيادة المرضى وادعى بهذا الشأن؛ فهو مبتدع»[٢].

ولا زال أهل العلم أئمة الدين يعظمون النكير على هؤلاء، «وإن كانوا من الزهاد العابدين، وأهل الكشف والتصرف في الكون!!...، وإنما الفاصل بين أهل الجنة وأهل النار: الإيمان والتقوى، الذي هو نعت الأولياء»[٣].

وبما يظهر لهم بواسطة الحقيقة ـ وهو الكشف ـ أدلى الصوفية بأقوالهم التي فيها يتجلى القول بالباطن، وكان إدلاؤهم في نصوص الوحي واضحا، كما في تفسير القشيري، والسلمي، وروح البيان لإسماعيل حقي[٤]، وإعجاز البيان للقونوي، وتفسير النخجواني[٥]، بل وتفسير روح المعاني للألوسي، وتفسير النيسابوري، وغيرها، ويكفيك هولاً أن تعلم شناعة تفسير ابن عربي الصوفي الحلولي أنه لما طبع كتابه عظم الأمر على المحقيقن من أهل السنة حتى قيل[٦]: «هالني ما كان من بعض دور النشر في مصر وبيروت، من الأخذ في طبع كتاب التفسير المنسوب لابن عربي...، هالني ذلك وهال الكثيرين غيري ـ فكيف ـ يسكت عن مثل هذا الفعل الذي يسيء إلى الإسلام، ويذهب بقدسية القرآن!؟»[٧].

---

(١) هو الصوفي: طيفور بن عيسى بن شروسان الصوفي، أبو زيد البسطامي، توفي سنة ٢٦١هـ. انظر: سير أعلام النبلاء ١٣/ ٨٦.

(٢) تلبيس إبليس لابن الجوزي ص ١٨٧.

(٣) المجموع ١١/ ٤٢٠.

(٤) هو الصوفي الكبير: إسماعيل حقي بن مصطفى أبو الفداء البروسوي، من مؤلفاته: كتاب التوحيد، وروح البيان في تفسير القرآن، توفي سنة ١١٣٧هـ. انظر: معجم المؤلفين ٢/ ٢٦٦.

(٥) انظر: مقدمة المحقق على كتاب البرهان في توجيه متشابه القرآن للكرماني ص ٨.

(٦) القائل هو الدكتور/ محمد الذهبي ﷫، وله كتاب بعنوان التفسير والمفسرون؛ فهو خبير في مجاله، وعالم نحرير في أيامه.

(٧) تفسير ابن عربي للقرآن حقيقته وخطره، للدكتور/ محمد حسين الذهبي ص٣-٤.

وقد يظهرون تعظيم القرآن الكريم، بأقوال معسولة وعبارات ملبوسة، ولكنها مع البحث عرية عن التحقيق، وتعظيمهم ظاهري على التدقيق، وإلا لعملوا به؛ فتجدهم يقولون بيانا للتعظيم: «في القرآن علم كل شيء، وعلم القرآن في الأحرف التي في أوائل السور!! وعلم الأحرف في لام ألف!!»[(١)].

وربما ظن أحدهم أنه بالرياضة يمكنه أن ينال العلوم، وأن يحفظ القرآن الكريم، «فمنهم من يظن أنه يلقن القرآن بلا تلقين، ويحكون أن شخصا حصل له ذلك، وهذا كذب، نعم: قد يكون سمع آيات الله فلما صفى نفسه تذكرها، فتلاها، «**ويقول بعضهم**، أو يحكي أن بعضهم قال: أخذوا علمهم ميتا عن ميت، وأخذنا علمنا عن الحي الذي لا يموت، وهذا يقع، لكن منهم من يظن أنما يلقى إليه من خطاب، أو خاطر، هو من الله تعالى بلا واسطة!! وقد يكون من الشيطان، وليس عندهم فرقان يفرق بين الرحماني، والشيطاني؛ فإن الفرقان الذي لا يخطئ هو القرآن، والسنة؛ فما وافق الكتاب والسنة فهو حق؛ وما خالف ذلك فهو خطأ»[(٢)].

قال ابن عقيل رحمه الله: «**وأنا أذم الصوفية لوجوه يوجب الشرع ذم فعلها**[(٣)]، **منها**: أنهم اتخذوا مناخ البطالة وهي الأربطة، فانقطعوا إليها عن الجماعات في المساجد؛ فلا هي مساجد، ولا بيوت، ولا خانات، وصمدوا فيها للبطالة عن أعمال المعاش، وبدنوا أنفسهم بدن البهائم للأكل والشرب، والرقص، والغناء، وعولوا على الترقيع المعتمد[(٤)] به التحسين تلميعا...، واستمالوا النسوة والمردان، بتصنع الصور واللباس، فما دخلوا بحيتا فيه نسوة، فخرجوا إلا عن فساد قلوب النسوة على أزواجهن.

ثم يقبلون الطعام، والنفقات من الظلمة والفجار وغاصبي الأموال...،

---

(١) من كلام الحلاج نقلا من كتاب: الصلة بين التصوف والتشيع ص٣٧١.

(٢) المجموع ١٠/ ٤١٣، وانظر ما بعدها.

(٣) في المطبوع (فعلها)، ولعل الصواب (فاعلها).

(٤) لعل الصواب (المتعمد) بتقديم التاء على العين.

ويستصحبون المردان في السماعات، يجلبونهم في الجموع مع ضوء الشموع، ويخالطون النسوة الأجانب، ينصبون لذلك حجة إلباسهن الخرقة!!...، ويسمون الطرب وجدا، والدعوة وقتا، واقتسام ثياب الناس حكما...، ولا يخرجون عن بيت دعوا إليه إلا عن إلزام دعوة أخرى!!...، ويعتقدون أن الغناء بالقضبان قربة!!...، ويسلمون أنفسهم إلى شيوخهم...؛ فإن قبل أمردا، قيل: رحمة، وإن خلا بأجنبية، قيل: بنته!! وقد لبست الخرقة...

وليس لنا شيخ نسلم له حاله، إذ ليس شيخ غير داخل في التكليف... ثم إن الله تعالى تقول له الملائكة: ﴿أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ﴾[البقرة:٣٠]، ويقول موسى ﷺ: ﴿أَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ ٱلسُّفَهَآءُ مِنَّآ﴾[الأعراف:١٥٥]، وإنما هذه الكلمة جعلها الصوفية: ترفيها لقلوب المتقدمين، وسلطنة سلكوها على الأتباع والمريدين»[١].

وهؤلاء الذين قالوا بالقول بالباطن، أو الحقيقة والشريعة، وصل بهم الأمر، أن قالوا: «واضع هذا العلم "يعني التصوف" فهو النبي ﷺ علمه الله بالوحي والإلهام؛ فنـزل جبريل أولا بالشريعة؛ فلما تقررت نزل ثانيا بالحقيقة!! فخص بها بعضا دون بعض[٢]، وأول من تكلم فيه وأظهره، سيدنا علي ﷺ، وأخذه عنه الحسن البصري»[٣].

والصوفية فرق شتى، و«انتصب كل واحد إماما، ودعا الناس إليه، وزعم نفسه هاديا مهديا، وهو ضال مضل...، هؤلاء قطاع الطريق، دجالون كذابون مفترون فتانون، إياكم وإياهم، ولا تتبعوا إلا من دعا إلى كتاب الله، وسنة رسوله، ولم يدع إلى نفسه، ولا نرضى بإشاعة الإشارات الصوفية»[٤].

---

(١) تلبيس إبليس لابن الجوزي ص ٤١٨-٤١٩.

(٢) ما أشبه كلام الصوفية لكلام الرافضة الغوية، في قولهم بالعلم الاختصاصي، وما أشبههم بالفلاسفة في قولهم بالعلم الخاصي!!.

(٣) إيقاظ الهمم في شرح الحكم لابن عجيبة ص٥، نقلا من كتاب: هذه هي الصوفية للدكتور عبد الرحمن الوكيل ص٢٠.

(٤) من كلام العلامة الدهلوي، كما في كتاب: الإمام المحدث الشاه ولي الله الدهلوي حياته ودعوته، للأستاذ/ محمد بشير السيالكوتي ص١٩٠-١٩١.

ومما يدل على أنهم أصناف قول ابن خلدون: «ومن هؤلاء المريدين من المتصوفة قوم بهاليل معتوهون أشبه بالمجانين من العقلاء، وهم مع ذلك قد صحت لهم مقامات الولاية وأحوال الصديقين!![١]، وعلم ذلك من أحوالهم من يفهم عنهم من أهل الذوق، مع أنهم غير مكلفين!! ويقع لهم من الإخبار عن المغيبات عجائب!!...، وربما ينكر الفقهاء أنهم على شيء من المقامات لما يرون من سقوط التكليف عنهم، والولاية لا تحصل إلا بالعبادة، وهو غلط!! فإن فضل الله يؤتيه من يشاء[٢]، ولا يتوقف حصول الولاية على العبادة، ولا غيرها!!»[٣].

ويؤكد أن الصوفية طوائف قوله ﷺ، «ثم حدث عند المتأخرين من الصوفية الكلام في الكشف، وفيما وراء الحس، وظهر من كثير منهم: القول على الإطلاق بالحلول والوحدة، فشاركوا فيها الإمامية، والرافضة، لقولهم: بألوهية الأئمة، وحلول الإله فيهم.

وظهر منهم أيضا القول بالقطب والأبدال، وكأنه يحاكي مذهب الرافضة في الإمام والنقباء، وأشربوا أقوال الشيعة، وتوغلوا في الديانة بمذاهبهم»[٤].

فالصوفية كالرافضة في مسألة القول بالأسرار، أو القول بأن هناك شيئا مخفيا علمه بعض الصحابة، فادعوا «علوم الأسرار والحقائق التي يدعون أخذها عن أهل البيت، إما من العلوم الدينية، وإما من علم الحوادث الكائنة، ما هو عندهم من أجل الأمور، التي يجب التواصي بها، وبكتمانها والإيمان بما لايعلم حقيقته من ذلك»[٥].

وأما حدوث التصوف فلا مرية فيه ولا شك؛ فإن أقل أحوالها البدعة والتقول، وأرفع أقوالها الاتحاد والحلول، قال ابن خلدون: «الفصل السابع عشر في علم

---

(١) غير مكلفين وصاروا صديقين، ألا فليهنأ المجانين!!.

(٢) طبعا على قول الأشاعرة القائلين بعدم الحكمة في أفعال الله ﷻ، وفي خلقه؛ وابن خلدون على منهج الأشاعرة أحيانا، وإلا فكيف يسوى بين من عبده وبين من جهله!؟.

(٣) مقدمة ابن خلدون ص ١٩٤.

(٤) مقدمة ابن خلدون ص ٥٧٥-٥٧٦.

(٥) نقض المنطق ص ٦٤.

التصوف، هذا العلم من العلوم الشرعية الحادثة في الملة!! وأصله أن طريقة هؤلاء القوم لم تزل عند سلف الأمة، وكبارها من الصحابة والتابعين، ومن بعدهم: طريقة الحق، وأصلها العكوف على العبادة، والانقطاع إلى الله تعالى، والإعراض عن زخرف الدنيا، وزينتها...، وكان ذلك عاما في الصحابة والسلف؛ فلما فشا الإقبال على الدنيا في القرن الثاني وما بعده، وجنح الناس إلى مخالطة الدنيا، اختص المقبلون على العبادة باسم الصوفية، والمتصوفة»[(١)]، و«اختص هؤلاء بهذا النوع من العلم - أي المكاشفة - الذي ليس لواحد غيرهم من أهل الشريعة الكلامُ فيه!!»[(٢)].

وزعم ابن خلدون أن الصوفية بالكشف يفعلون ما لا اختصاص للبدن فيه؛ فقال: «وهذا الكشف كثيرا ما يعرض لأهل المجاهدة فيدركون من حقائق الوجود ما لا يدركه سواهم، وكذلك يدركون كثيرا من الواقعات قبل وقوعها!! ويتصرفون بهممهم وقوى نفوسهم في الموجودات السفلية!! وتصير طوع إرادتهم!!...، وإنهم كشفوا ذوات الوجود، وتصوروا حقائقها كلها من العرش إلى الطش!!!»[(٣)].

ويقول: «وقد يوجد لبعض المتصوفة وأصحاب الكرامات تأثير أيضا في أحوال العالم، وليس معدودا من جنس السحر، وإنما هو الإمداد الإلهي؛ لأن طريقتهم ونحلتهم من آثار النبوة وتوابعها!!»[(٤)].

وبعد هذا - لعلك - عرفت لماذا الصوفية يدعون علم الغيب والكرامات!! لأنه - كما زعم ابن خلدون وأمثاله - يتصرف في الكون بقواه!!؛ لأن من سلك مسلك الباطن فإنه لا محالة سيدعي الاطلاع على ما يزعم أنه باطن، أو أنه غيب!!، ولا شك أنه باطل وريب، وقال السبكي: «ومن حقهم الوقوف في إظهار ما يطلعهم الله تعالى من المغيبات!!!»[(٥)].

---

(١) مقدمة ابن خلدون ص ٨٦٥.

(٢) مقدمة ابن خلدون ص ٨٦٧.

(٣) مقدمة ابن خلدون ص ٨٦٧.

(٤) مقدمة ابن خلدون ص ٩٣٣.

(٥) معيد النعم ومبيد النقم للسبكي ص١٢١.

ويقع للمتأخرين من المتصوفة الاتحاد والحلول بعد الكشف حتى يظن أن الله ﷻ «متحد بالمخلوقات: إما بمعنى الحلول فيها، أو بمعنى أنه هو عينها، وليس هناك غيره جملة ولا تفصيلا!!»[١]، وقد «ذهب جماعة من المتأخرين الذين صيروا تلك المدارك الوجدانية علمية نظرية، إلى أن الباري تعالى متحد بمخلوقاته في هويته، ووجوده، وصفاته!!»[٢].

ثم ذكر ابن خلدون هؤلاء المتأخرين فقال: «ثم إن هؤلاء المتأخرين من المتصوفة المتكلمين في الكشف، وفيما وراء الحس، توغلوا في ذلك، فذهب الكثير منهم إلى الحلول والوحدة، كما أشرنا إليه، وملؤوا الصحف منه، مثل الهروي في كتاب المقامات له[٣]، وغيره، وتبعهم ابن العربي، وابن سبعين، وتلميذيهما، ثم ابن العفيف، وابن الفارض، والنجم الإسرائيلي في قصائدهم.

وكان سلفهم مخالطين للإسماعيلية المتأخرين من الرافضة الدائنين أيضا بالحلول وإلهية الأئمة مذهبا لم يعرف لأولهم، فأشرب كل واحد من الفريقين مذهب الآخر، واختلط كلامهم، وتشابهت عقائدهم»[٤].

وخلاصة القول في الظاهر والباطن: أنه باب لكل زنديق فتح، وسرداب لكل بطال وقح، وإن أحدهم يخرج منه الكفر الصريح، والقول القبيح، ثم يعذرون!!![٥]، وكأنهم غير مكلفين!!، أو بالقرآن والسنة غير مخاطبين!!.

«**وعامة شيوخهم** يرمون بالعظائم، وإن كان فيهم من هو معروف بزهد وعبادة، ففي زهد بعض العامة من أهل السنة وعبادته ما هو أرجح مما هو فيه»[٦].

---

(١) مقدمة ابن خلدون ص ٨٦٨.

(٢) مقدمة ابن خلدون ص ٨٧٠.

(٣) قد يفهم من كلام الهروي ذلك، ولكنه لم يقصد ما قصده ابن عربي وأمثاله، ودعا إليه، وجهر به من الحلول الصريح. انظر: مدارج السالكين ١/ ١٦٦.

(٤) مقدمة ابن خلدون ص ٨٧٥.

(٥) انظر: معيد النعم ومبيد النقم للسبكي ص ١٢٤.

(٦) نقض المنطق ص٤٥.

« **والقوم لما تركوا العلم**، وانفردوا بالرياضيات على مقتضى آرائهم، لم يصبروا عن الكلام في العلوم؛ فتكلموا بواقعاتهم؛ فوقعت الأغاليط القبيحة منهم؛ فتارة يتكلمون في تفسير القرآن، وتارة في الحديث، وتارة في الفقه، وغير ذلك، ويسوقون العلوم إلى مقتضى علمهم الذي انفردوا به!! »[١].

« **فاعلم أن هذا المذهب مذهب وراء طور العقل**، وقد صرحوا بذلك، وبأنه لا طريق للوصول إليه إلا الكشف!!، الذي نسبته إلى العقل كنسبة العقل إلى الوهم... و- الغزالي - جعل العلم الظاهر كمكان وضيع لا يُرى منه شيئ بعيد عن أطوار العقل!!، وهذه استهانة ظاهرة بالعلم الظاهر المأخوذ من الكتاب والسنة، وبالعقل الذي كرم الله به الإنسان، وجعله أهلا للخطاب...، كما يقضي على كرامة العقل والعلم الظاهر »[٢].

وإذا علم مدى تعمق هؤلاء الصوفية في القول بالظاهر والباطن، أو الحقيقة والشريعة، فحينئذ يمكن أن يعرف مدى استخفافهم بظواهر النصوص، وقد مر شيء من ذلك، ويجليه المبحث التالي.

---

(١) تلبيس إبليس لابن الجوزي ص ٣٧٥.

(٢) موقف العقل والعلم والعالم ٣/ ١٧٤-١٧٥.

المبحث الثالث: استخفافهم بظاهر القرآن والرد عليهم

لما اعتقد الصوفية أن للقرآن ظاهرا وباطنا!! وأن الدين حقيقة وشريعة!! كان علمهم بالظاهر غير سديد، وبحثهم عن الباطن شديد، وحالهم كمن يبحث عن السراب في الليلة الظلماء وفي أشد ما يكون من الصحراء، فلم يجدوا ماء يرويهم، ولا شفاء يداويهم، فلا هم بالذين اكتفوا بظاهر النصوص، ولا بمن وجدوا ما ظنوه باطن النصوص، وكان موقفهم من الظاهر سيّئا، ومن الباطن أسوأ، إذ بالأول وقعوا في الاستخفاف بالعلم الشرعي، وبالثاني وقعوا في القول على الله بغير علم، بل بمجرد الظنون والأوهام والتخيلات والكشوفات.

فهذا أحد الصوفية القائلين بالظاهر والباطن، وهو ابن عربي الحلولي[(١)]، يقول: «العرش: مستوى الأسماء المقيدة! الكرسي: موضع الأمر والنهي!! القدم ما ثبت للعبد في علم الحق»[(٢)]. ويقولون: «العرش ظل الله، والإنسان: العرش!!»[(٣)]. فهذه تأويلات سخيفة واصطلاحات مريرة لإبطال ظاهر القرآن، وهذا معناه أنهم يقولون: إن الله لا يوصف، ولا يسمى لأن هذه تقييده عن العلو المطلق، كما زعموا!! وأنه لا عرش ولا كرسي، ولا قدم يثبت لله ﷻ !![(٤)].

---

(١) وهو حلولي باطني، ولكن نقلت كلامه لكون الصوفية جمعاء معظمين له بغباء، ومفخمين من أمره على غير هدى، فليعلموا كيف قائدهم، وما هي أقوال رائدهم.

(٢) كتاب اصطلاح الصوفية له ص ١٦.

(٣) الإعلام بإشارات أهل الإلهام لابن عربي ص٦.

(٤) انظر: الإعلام بإشارات أهل الإلهام لابن عربي ص٤.

بل ويقول بعضهم: إن العمل بظاهر القرآن والسنة كفر[(١)]**، ولقد جاء في القرآن العمل بالشرع**، واتباع ما ورد في المنـزَّل، وابن عربي يقول: « والعمل الذي هو سبب له من إقامة فرض، أو سنة يُطلب ثوابه، **فلا تشغل نفسك به!!** فإن حركة الأبدان لا بد لها من نتائجها المحسوسة، فلا تسأل ما تعطيها الحركات بذاتها، **فيضيع وقتك عليك!!**»[(٢)]، **فماذا يعمل الصوفية بعد هذا** ـ الفسح الكهنوتي ـ في الصلوات المشروعات بالآيات، والمؤكدات بالسنن المتواترات!؟؟.

وإليك بعض الأمثلة التي تبين لك أن القوم لا يقيمون لظاهر القرآن وزنا، وإن كانوا يعظمون القرآن رسما:

١ - قال الله تعالى: ﴿ يَوْمَ نَحْشُرُ ٱلْمُتَّقِينَ إِلَى ٱلرَّحْمَٰنِ وَفْدًا ﴾[مريم:٨٥] **وهم يقولون:** « كيف يحشر إليه من هو جليسه؟ »[(٣)].

٢ - **القصر في السفر** ثابت في القرآن الكريم، وهؤلاء يحرفون ظاهره؛ فيقولون: « سفر الأجسام يضع شطر الصلاة، وسفر الأرواح يضع الصلاة، **لأن الخطاب سفلي**»[(٤)].

٣ - **أَمَر الله في أكثر من آية بالإخلاص له** في الأمور القلبية والعملية التي يرجى فيها الثواب، وهؤلاء يقولون: « تحقيق الإخلاص: تقوية إبليس »[(٥)].

٤ - **ثبت في القرآن** أن الغيب لا يعلمه أحد إلا الله في أكثر من آية، وهؤلاء إذا خلى أحدهم، وترك الجُمع والجماعات يدعي الكشف والاطلاع على المغيبات، يقول ابن عربي: « فأول ما يفتح الله عليك إن أعطاك الأمر على الترتيب ما أقوله لك، وهو:

---

(١) انظر: رسالة البصائر في التوسل بالمقابر.

(٢) الفناء لابن عربي ص ٥.

(٣) الإعلام بإشارات أهل الإلهام لابن عربي ص٧، وانظر: التراجم لابن عربي ص ٢٠، حيث نقل هذا القول عن أبي يزيد البسطامي الصوفي.

(٤) الإعلام بإشارات أهل الإلهام لابن عربي ص٨.

(٥) الإعلام بإشارات أهل الإلهام لابن عربي ص٩.

الحس الغائب عنه، فلا يحجبك الجدران، ولا الظلمات عما يفعله الخلق في بيوتهم...!! فإن رتب لك العرض فإنك ستكشف أولا، على أسرار الأحجار العدنية، وغيرها، وتعرف سر كل حجر، وخاصيته في المضار والمنافع...!!»[1][2]، **وادعوا أن الولي يطوي الأرض**، ويمشي على الماء، ويطير في الهواء، والأكل من الكون[3]!! وليس عندهم عمل بظاهر الشرع، ولا اتباع للسنة، وإنما هو المجاهدة للنفس!! ولو كان فيه لَبس.

٥- أنهم ألفوا مؤلفات بعنوان: "أسرار خواص القرآن"، وكأن القرآن طلاسم وألغاز، واتخذوا التقديس والتبرك شعارا؛ فإذا أُنكر عليهم: اتهموك بغمط حق القرآن!![4] وكأن حق القرآن هو ما فهموه هم، لا ما فهمه السلف الصالح.

ومن استخفافهم بظاهر القرآن تحريفهم لنصوصه بحسب ما يتوهمونه ويظنونه، فيحتجون بقوله تعالى: ﴿ فَبَشِّرْ عِبَادِ ۝ الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ ﴾[الزمر:١٧-١٨] على جواز بل واستحباب السماع الصوفي، «ولا يدري أن القول هنا هو القرآن، كما في قوله تعالى: ﴿ أَفَلَمْ يَدَّبَّرُوا الْقَوْلَ أَمْ جَاءَهُم مَّا لَمْ يَأْتِ آبَاءَهُمُ الْأَوَّلِينَ ﴾[المؤمنون:٦٨]»[5]، **ومن استخفافهم** بظاهر القرآن، تلكم التأويلات السخيفة، والتحريفات العظيمة، التي إن دلّت على شيء فإنما تدلّ على عدم تعظيم هؤلاء للقرآن، وأنهم يقولون في آياته ما بدا لهم!! كقولهم في قوله تعالى: ﴿وَلِمَن دَخَلَ بَيْتِيَ ﴾ «أي قلبي ﴿مُؤْمِنًا﴾ مصدقا بما يكون فيه من الأخبار الإلهية، وهو ما حدثت به أنفسها، ﴿ وَلِلْمُؤْمِنِينَ﴾ من العقول ﴿ وَالْمُؤْمِنَاتِ﴾ من النفوس، ﴿ وَلَا تَزِدِ الظَّالِمِينَ﴾ من الظلمات أهل الغيب المكتنفين داخل الحجب الظلمانية، ﴿ إِلَّا تَبَارًا ﴾[نوح:٢٨] أي:

---

(١) إذاً لا يبقى فقراء في الصوفية!!

(٢) رسالة الأنوار لابن عربي ص٧-٩.

(٣) انظر: رسالة الأنوار لابن عربي ص ٥.

(٤) انظر: خصائص القرآن للرومي ص١١.

(٥) الرد على البكري ٢/ ٦٨٢.

هلاكا؛ فلا يعرفون نفوسهم!! لشهودهم وجه الحق دونهم!! **وهذا كله: من أقبح تبديل كلام الله** وتحريفه، ولقد ذم الله أهل الكتاب في القرآن على ما هو دون هذا؛ فإنه ذمهم على أنهم حرفوا الكلم عن مواضعه...، وهؤلاء قد حرفوا كلام الله عن مواضعه أقبح تحريف»[1]، **ومن تحريفاتهم الباطلة** وسخرياتهم الزائفة بظاهر القرآن، ما أورده السلمي في تفسير قوله تعالى: ﴿وَإِن يَأْتُوكُمْ أُسَـٰرَىٰ﴾[البقرة:٨٥] «قال: قال أبو عثمان: غرقى في الذنوب!! وقال الواسطي: غرقى في رؤية أفعالهم!!، وقال الجنيد[2]: أسارى في أسباب الدنيا تفدوهم إلى قطع العلائق!!»[3]، **قال ابن الجوزي** رحمه الله: «وإنما الآية على وجه الإنكار، ومعناها: إذا أسرتموهم فديتموهم، وإذا حاربتموهم قتلتموهم، وهؤلاء قد فسروها على ما يوجب المدح!!»[4]، **فانظر** ـ رعاك الله ـ كيف فسروا الآية على أنها مدح، مع أنها سيقت لبيان صفة اليهود[5]، ويتضح لك ذلك بذكر الآية كاملة وهي قول الله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَـٰقَكُمْ لَا تَسْفِكُونَ دِمَآءَكُمْ وَلَا تُخْرِجُونَ أَنفُسَكُم مِّن دِيَـٰرِكُمْ ثُمَّ أَقْرَرْتُمْ وَأَنتُمْ تَشْهَدُونَ ﴿٨٤﴾ ثُمَّ أَنتُمْ هَـٰٓؤُلَآءِ تَقْتُلُونَ أَنفُسَكُمْ وَتُخْرِجُونَ فَرِيقًا مِّنكُم مِّن دِيَـٰرِهِمْ تَظَـٰهَرُونَ عَلَيْهِم بِٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ وَإِن يَأْتُوكُمْ أُسَـٰرَىٰ تُفَـٰدُوهُمْ وَهُوَ مُحَرَّمٌ عَلَيْكُمْ إِخْرَاجُهُمْ ۚ أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ ٱلْكِتَـٰبِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ ۚ فَمَا جَزَآءُ مَن يَفْعَلُ ذَٰلِكَ مِنكُمْ إِلَّا خِزْىٌ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ يُرَدُّونَ إِلَىٰٓ أَشَدِّ ٱلْعَذَابِ ۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَـٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٨٥﴾ أُو۟لَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱشْتَرَوُا۟ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا بِٱلْـَٔاخِرَةِ ۖ فَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ ٱلْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ﴾[البقرة:٨٤-٨٦] وبهذا المثال يتضح أن القوم يستخفون بظاهر النصوص، ويهتمون ـ بزعمهم ـ بالفصوص!!. **ومن تحريفاتهم لظاهر**

---

(١) المجموع ٢/ ٢٠٠، وانظر بعض التحريفات الصوفية لكلام رب البرية في مناهل العرفان ١/ ٥٤٢.

(٢) هو الزاهد الصوفي: الجنيد بن محمد بن الجنيد النهاوندي البغدادي، شيخ الصوفية، وكان يحث على السنة، مع ما كان فيه من شطحات. انظر: سير أعلام النبلاء ١٤/ ٦٦.

(٣) تلبيس إبليس لابن الجوزي ص ٣٧٦.

(٤) تلبيس إبليس لابن الجوزي ص ٣٧٦.

(٥) انظر: تفسير القرآن العظيم ١/ ١٢٠.

القرآن، تفسيرهم للجار ذي القربى، قال سهل: «هو القلب!! والجار الجنب: النفس!! وابن السبيل: الجوارح!!... وفي قوله: "ولله المكر"، قال الحسين[1]: لا مكر أبين فيه من مكر الحق بعباده حيث أوهمهم أن لهم سبيلا إليه بحال، أو للحدث اقتران مع القدم...، قال ابن الجوزي رحمه الله: ومن تأمل معنى هذا علم أنه كفر محض؛ **لأنه يشير إلى أنه كالهزء واللعب**»[2]، وقال الجنيد رحمه الله في قوله ﷻ: ﴿سَنُقۡرِئُكَ فَلَا تَنسَىٰٓ﴾[الأعلى:٦] «لا تنسى العمل به!!»، قال ابن الجوزي رحمه الله عن هذا التفسير: «لا وجه له، والغلط فيه ظاهر؛ لأنه فسره على أنه نهي، وليس كذلك، إنما هو خبر لا نهي، وتقديره؛ فما تنسى، إذ لو كان نهيا كان مجزوما؛ فتفسيره على خلاف إجماع العلماء»[3].

٧- ومن **استهزائهم بظاهر القرآن** ما ذكره بعضهم أنهم كانوا لا يستعيذون عند القراءة، ويقول: حتى يحضر الشيطان كلام الحق!!، قال ابن الجوزي رحمه الله عن هذا الأمر فإنه: «مخالف لما أمر الله ﷻ به؛ فإنه قال: ﴿فَإِذَا قَرَأۡتَ ٱلۡقُرۡءَانَ فَٱسۡتَعِذۡ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ﴾[النحل:٩٨]»[4]؛ **فجرأتهم في تحريف ظاهر القرآن إلى معاني لا يدل** عليها السياق، ولا يعرفه أهل العربية بالوفاق، شيء عظيم، يدل على جرأتهم على كتاب الله ﷻ[5]، «**وجاء أبو عبد الرحمن السلمي**؛ فصنف لهم كتاب السنن، وجمع لهم حقائق التفسير!! فذكر عنهم فيه العجب!! في تفسيرهم القرآن، بما يقع لهم من غير إسناد ذلك إلى أصل من أصول العلم، وإنما حملوه على مذاهبهم، والعجب من ورعهم في الطعام، وانبساطهم في القرآن!!»[6]، **قال ابن الجوزي** رحمه الله عن كتاب

---

(١) هو الحلاج.

(٢) نقلا عن تلبيس إبليس لابن الجوزي ص ٣٧٦-٣٧٧.

(٣) تلبيس إبليس لابن الجوزي ص ٣٧٥.

(٤) تلبيس إبليس لابن الجوزي ص ٣٩٤.

(٥) انظر: تلبيس إبليس لابن الجوزي ص ٣٧٥.

(٦) تلبيس إبليس لابن الجوزي ص١٨٤، وقال ابن الجوزي عن تفسير السلمي هذا: «وقد جمع أبو عبدالرحمن السلمي في تفسير القرآن من كلامهم الذي أكثره هذيان، **لا يحل**». تلبيس إبليس لابن الجوزي ص٣٧٦.

السلمي هذا: «وجميع الكتاب من هذا الجنس، ولقد هممت أن أثبت منه ها هنا كثيرا؛ فرأيت الزمان يضيع في كتابة شيء بَيِّن الكفر، والخطأ، والهذيان، وهو من جنس ما حكينا عن الباطنية؛ فمن أراد أن يعرف جنس ما في الكتاب فهذا أنموذجه، ومن أراد الزيادة فلينظر»[١]، وقال ابن الصلاح رحمه الله: «وجدت عن الإمام (أي الواحدي المفسر رحمه الله) أنه قال: صنف أبو عبد الرحمن السلمي حقائق التفسير؛ فإن كان قد اعتقد أن ذلك تفسير؛ فقد كفر، وأنا أقول: الظن بمن يوثق به منهم أنه إذا قال شيئا من أمثال ذلك أنه لم يذكر تفسيرا، ولا ذهب به مذهب الشرح للكلمة المذكورة في القرآن العظيم؛ فإنه لو كان كذلك كانوا قد سلكوا مسالك الباطنية، وإنما ذلك ذكر منهم لنظير ما ورد به القرآن، فإن النظير يذكر بالنظير...، ومع ذلك فيا ليتهم لم يتساهلوا بمثل ذلك، لما فيه من الإيهام والإلتباس»[٢]. ومن تفاسيرهم المعروفة التي ذكروا فيها الأمور الباطنية لمعاني كلام رب البرية، أو الحقيقة الصوفية دون المعاني الشرعية، تفسير النيسابوري، والتستري، وابن عربي، وغيرهم[٣]. ومن استخفافهم بالظاهر تأويلاتهم للآيات على حسب اصطلاحاتهم المبتدعات؛ فـ «يجعلون "خلع النعلين" إشارة إلى ترك العالمين، و"الطور" عبارة عن العقل الفعال!! ونحو ذلك من التأويلات»[٤]، وقد شارك الباطنية في التحريفات: طائفة من الصوفية، حيث يقول بعضهم في قوله تعالى: ﴿ٱذْهَبْ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ﴾[طه:٢٤] هو القلب!! ويقولون في قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تَذْبَحُوا۟ بَقَرَةً﴾[البقرة:٦٧] هي النفس!![٥] «وأمثال هذه

---

(١) تلبيس إبليس لابن الجوزي ص ٣٧٧.

(٢) فتاوى ابن الصلاح ص٦٢.

(٣) انظر: مناهل العرفان ٢/ ٩٠.

(٤) المجموع ٦/ ١٨٠.

(٥) كما في تفسير النيسابوري ١/ ٣١٥ المطبوع بهامش تفسير الطبري!! وتمام الكلام: «إنها بقرة: نفس تصلح للذبح بسيف الصدق!! لا فارض: في سن الشيخوخة؛ فيعجز عن وظائف سلوك الطريق لضعف القوى البدنية، كما قيل: الصوفي بعد الأربعين بارد. ولا بكر: في سن شرخ الشباب، يستهويه سكره...، بقرة صفراء: إشارة إلى صفرة وجوه أصحاب الرياضات!! فاقع لونها: يريد أنه صفرة زين، =

التحريفات، لكن منها ما يكون معناه صحيحا، وإن لم يكن هو المراد باللفظ، وهو الأكثر في إشارات الصوفية، وبعض ذلك لا يجعل تفسيرا، بل يجعل من باب الاعتبار، والقياس »[١]. ومن أمثلة ذلك تحريفهم لظاهر قوله تعالى: ﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن مَّنَعَ مَسَـٰجِدَ ٱللَّهِ أَن يُذْكَرَ فِيهَا ٱسْمُهُۥ ﴾[البقرة:١١٤] قالوا: « مساجد الله التي يذكر فيها اسمه عند أهل النظر النفس! والقلب!! والروح!! والسر، والخفي ـ وهو سر السر ـ[٢]، وذكر كل مسجد منها مناسب لذلك المسجد... »[٣]، ومن أخف تفاسيرهم: "روح المعاني للألوسي" رحمه الله، ومع ذلك فإن فيه من التفسير الإشاري الشيء الذي لا يدل عليه الكتاب ولا السنة، ولا أقوال السلف، ولا سياق الآية، ولا سباقها، ولا حدها، ولا مطلعها، ومن جملة ذلك قوله في قول الله عز وجل، ﴿ وَإِذْ قُلْتُمْ يَـٰمُوسَىٰ لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَى ٱللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْكُمُ ٱلصَّـٰعِقَةُ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ ﴾[البقرة:٥٥] بعد أن فسر الآية بالظاهر قال: « ومن باب الإشارة في الآيات: وإذ قلتم لموسى: القلب!!. لن نؤمن: الإيمان الحقيقي حتى نصل إلى مقام المشاهدة والعيان. فأخذتكم: صاعقة الموت: الذي هو الفناء في التجلي الذاتي!! »[٤]، وقال في قوله تعالى: ﴿ مَا نَنسَخْ مِنْ ءَايَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَآ أَوْ مِثْلِهَآ ۗ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴾[البقرة:١٠٦] بعد أن فسرها بالظاهر، قال: « ومن باب الإشارة في الآيات: ما ننسخ من آية: ما نزيل من صفاتك شيئا عن ديوان قلبك!!، أو نخفيه بإشراق أنوارنا عليه!! إلا ونرغم فيه من صفاتنا التي لا تظن

لا صفة شين؛ فإنها سيما الصالحين!! لا ذلول تثير الأرض: لا تحتمل ذلة الطمع، ولا تثير: بآلة الحرص أرض الدنيا لطلب زخارفها ومشتهياتها!!!» . إلى آخر ذلك من الخرافات التي لا تدل عليها الآية حتى بالتكلفات، بل ولا بالمكاشفات!! فإن لم يكن هذا تفسيرا باطنيا فما هو التفسير الباطني؟ والعجب من الزرقاني كيف أوردها، ولم يفندها، كما في مناهل العرفان ٢/ ٩٢.

(١) شرح حديث النزول ص ٤٢٧، المجموع ٥/ ٥٥١.

(٢) فإذا كانت هذه هي مساجد الله؛ فلا تستغرب من احتقارهم لبيوت الله، ومساجده حقا، وتعظيمهم للخلوات، والتكايات الصوفية، لأن القوم مساجدهم معهم!!!.

(٣) تفسير النيسابوري ١/ ٨٣٨، المطبوع بهامش تفسير الطبري!!.

(٤) روح المعاني ١/ ٢٦٩.

قابليتك لما يشاركها في الاسم! التي تظن وجود ما يشاركها فيك!!!»[١].

٨- **اعتمادهم في التفسير على غير المأثور، فالتفاسير الصوفية بمختلف أطوارها** تفاسير تعتمد على الكشف والذوق، والإشارات والعبارات، وكانت لهذه التفاسير أثر بالغ في تفسير القرآن الكريم، حتى أبعده عن تسميته بالتفسير، وحق لها أن تسمى بإشارات وإلهامات ـ لكن شيطانية ـ[٢]، «**والتفسير الفيضي أو الإشاري**؛ فهو تأويل آيات القرآن الكريم على خلاف ما يظهر منها، بمقتضى إشارات خفية تظهر لأرباب السلوك!!»[٣]، **والتفسير الإشاري لا ينكر إذا كان بضوابط الشرع، ومن أهم هذه الضوابط: الأول**: أن يصح على مقتضى الظاهر المقرر في لسان العرب، بحيث يجري على المقاصد العربية. **الثاني**: أن يكون له شاهد نصا، أو ظاهرا في محل آخر، يشهد لصحته من غير معارض[٤].

٩- **ومما يدل على استخفافهم بظاهر القرآن الكريم موقفهم من تفسيره الظاهري: والصوفية لا يحقرون ظاهر التفسير** ـ في كثير من الأحايين ـ ولكن حين التمعن تجد أن قولهم فيه استخفاف بظاهر القرآن الكريم، إذ يقولون: إن ظاهره للعامة!! وأما الخواص فإن لهم ما يظهر بالمكاشفات والرياضات!! وهذا من الفروق بين التفسير الصوفي والتفسير الباطني؛ فالباطنيون يلغون الظاهر، وهؤلاء يعملونه، ولكن يقولون: إنه لمن لم يصل!![٥] ولكن حين التمعن أكثر يظهر أنه لا فرق حيث أن هؤلاء الباطنية يقولون: بوجوب الظاهر للعوام أيضا، كالصوفية، وأن للحكماء الباطن، كما يقول الصوفية إن للخواص الحقيقة، **وأما علماء أهل السنة** فـ« لا يعولون على أشباهها مما ورد في كلام القوم بالكتب الصوفية؛ لأنها كلها أذواق ومواجيد

---

(١) روح المعاني للألوسي ١/ ٣٦١.

(٢) انظر: تفسير ابن عربي للقرآن حقيقته وخطره، للدكتور/ محمد حسين الذهبي ص ٧ وما بعدها.

(٣) تفسير ابن عربي للقرآن حقيقته وخطره، للدكتور/ محمد حسين الذهبي ص ١٣.

(٤) انظر: هذه الشروط بشيء من التوسع في: الموافقات للشاطبي٤/ ٢٣١-٢٣٢ تفسير ابن عربي للقرآن حقيقته وخطره، للدكتور/ محمد حسين الذهبي ص ١٧ وما بعدها، مناهل العرفان ١/ ٥٤٩.

(٥) انظر: روح المعاني للألوسي ١/ ٨، مناهل العرفان ٢/ ٨٧.

خارجة عن حدود الضبط والتقييد، وكثيرا ما يختلط فيها الخيال بالحقيقة، والحق بالباطل، وإذا تجردت من ذلك فقلما يظهر منها مراد القائل؛ وإذا ظهر فقد يكون من الكفريات الفاحشة »[١].

١٠- ومن استخفافهم بظاهر القرآن استخفافهم بوسائله من العلم، ونحوه، فإذا « سمعوا أحدا يروي حديثا، قالوا: مساكين، أخذوا علمهم ميتا عن ميت، وأخذنا علمنا عن الحي الذي لا يموت؛ فمن قال: حدثني أبي عن جدي، قلت: **حدثني قلبي عن ربي**؛ فهلكوا، وأهلكوا بهذه الخرافات قلوب الأغمار، وأنفقت لأجلها عليهم الأموال...، **وبغضهم الفقهاء** أكبر الزندقة، لأن الفقهاء يخطرونهم بفتاويهم عن ضلالهم وفسقهم...، **وكذلك بغضهم لأصحاب الحديث** »[٢].

١١- أن أقوال الصوفية في القرآن - كما يتبين لطالب الحق - تعد من الهذيان، وهو استخفاف بالقرآن، ولا يجوز بحال أن تعد من تفسير كلام الرحمن، قال صديق حسن خان[٣] رحمه الله: « وأما كلام الصوفية في القرآن فليس بتفسير »[٤]، **فكلام هؤلاء الصوفية في القرآن،** فيه الجرأة على كلام الرحمن ما لا يتصوره إنسان، وقد تكلمت طائفة من الصوفية في نفس القرآن بما لا يجوز، وهو تبديل للقرآن[٥]، **ولعلي أختم بعد بيان سخافاتهم،** وتلاعبهم بكتاب الله ﷻ، وذكر بعض ضلالاتهم، بقول من خبرهم، وعرف غورهم، وهو ابن العربي المعافري المالكي، حيث قال واصفا إياهم: « وتكلفت طائفة ما يُستغنى عنه، وهم جماعة من الصوفية، أنحاء غريبة »[٦].

---

(١) مناهل العرفان ٢/ ٩٨ بشيء من التصرف.

(٢) تلبيس إبليس لابن الجوزي ص ٤١٩، من كلام ابن عقيل رحمه الله، وانظر: ما بعدها من الصفحات.

(٣) هو العالم المفسر الفقيه: محمد صديق حسن خان بن حسن بن علي بن لطف الله الحسيني البخاري القنوجي أبو الطيب الهندي، من مؤلفاته: فتح البيان في مقاصد القرآن، والإقليد لأدلة الاجتهاد والتقليد، توفي سنة ١٣٠٧هـ. انظر: معجم المؤلفين ١٠/ ٩٠.

(٤) فتح البيان لصديق حسن خان ١/ ١٢.

(٥) انظر: تلبيس إبليس لابن الجوزي ص ٣٧٨.

(٦) قانون التأويل لابن العربي المعافري ص ٥١٨.

فالكتاب والسنة إما أن يحرفوا القول فيهما عن مواضعه؛ وإما أن يعرضوا عنه بالكلية؛ فلا يتدبرونه، ولا يعقلونه، بل يقولون: معناه بالكشف كذا، وكذا... مع أن ما زعموه تحقيقا لا يعد إلا كونه تلبيسا وتدليسا، ولا يوافق ما ذكره أولياء الله المحققون تأسيسا، بل تعد من المخالفات الصريحة للكتاب والسنة أساسا.

وبالجملة فإن الصوفية الأولين كانوا يحثون على اتباع الكتاب والسنة، ولكن وقع منهم بعض الانحرافات والأقوال في بعض الحالات، وتوسع الخرق، وزاد الشق، حتى أصبحت الصوفية لا يعرفون إلا بما يسمى بأصحاب الحقائق، ولا يبالون بموافقتها للشرع الظاهر الفائق[1].

« **وقد أنكر عليهم جماعة** من قدمائهم في إعراضهم عن ظواهر الشرع...، قال التستري: الدنيا كلها جهل، إلا ما كان علما، والعلم كله حجة، إلا ما كان عملا، والعمل كله موقوف، إلا ما كان منه على الكتاب والسنة، وتقوم السنة على التقوى، وقال: احفظوا السواد على البياض؛ فما أحد ترك الظاهر إلا تزندق »[2].

وبهذا يعلم أن الصوفية ـ المتأخرين منهم على وجه الخصوص ـ لا يبالون بظاهر القرآن، ولا يقيمون لتفسيره وزنا، إلا أن يكون كشفا، ويتبين أنهم لم يَكُنُّوا للقرآن تعظيما، وهذا ما أبينه في المبحث التالي.

---

(١) انظر: تلبيس إبليس لابن الجوزي ص ١٨٨.

(٢) تلبيس إبليس لابن الجوزي ص ٣٦٧-٣٦٨، وانظر: المجموع ١١/ ٥٨٥.

المبحث الرابع: عدم تعظيمهم للقرآن

الصوفية بفرقها ترى التفسير الإشاري، أو الباطني، وهم بذلك غير معظمين لظاهر القرآن الكريم ـ كما بينت في المطلب السابق ـ، وذلك يؤكد أنهم غير معظمين للقرآن الكريم، وأذكر بعض الأمور التي تبين أنهم غير معظمين له حقيقة، فالصوفية لا يعظمون القرآن إلا رسما، ألا ترى إليهم وهم يخالفون صريح آياته، وأكيد دلالاته، **ومما يدل على عدم تعظيمهم لكتاب الله ﷻ ما يأتي:**

١- مما جاء في القرآن أن الله كلم موسى، وهو بإجماع أهل الأديان كليم الله، ومع ذلك من الصوفية من ينفي سماع موسى لكلام الله ويقول: « النداء من الشجرة لموسى »[(١)]، والله تعالى يقول مخبرا أنه كلم موسى: ﴿وَمَا كُنتَ بِجَانِبِ ٱلْغَرْبِيِّ إِذْ قَضَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَى ٱلْأَمْرَ وَمَا كُنتَ مِنَ ٱلشَّٰهِدِينَ﴾[القصص:٤٤] وهؤلاء يقولون: « من قال: كلمه من الجانب فهو ذاهب!!! »[(٢)].

٢- جاء في القرآن الكريم أن الغيب لا يعلمه أحد إلا الله ﷻ، وهؤلاء يدعون أن الغيب تنزل عليهم، يقول ابن عربي: « السكينة: ما تجده من الطمأنينة عند تنزل الغيب »[(٣)].

٣- يرون أن هذا الدين الظاهري لا اعتبار له عند العارفين!! وأن المأمور به هو الدين الباطني الذي عليه الباطنيّون، فيقول:« **والدين دينان: دين مأمور به، وهو ما جاءت به الرسل، ودين معتبر، وهو: الابتداع الذي فيه تعظيم الحق!! فمن رعاه حق**

(١) كتاب اصطلاح الصوفية لابن العربي ص٩ (المحادثة).

(٢) الإعلام بإشارات أهل الإلهام لابن عربي ص٤.

(٣) كتاب اصطلاح الصوفية له ص١٣.

رعايته، ابتغاء رضوان الله فقد أفلح »[١] فأي تعظيم يكون بعد هذا من هؤلاء وأمثاله لما جاء به الرسول ﷺ !؟.

٤- يرون أن الإنسان يمكن أن يبلغ مرتبة النبي ولو بالنوم، يقول الغزالي: « وقد قرب الله ﷻ على خلقه بأن أعطاهم نموذجا من خاصية النبوة، وهو النوم، إذ النائم يدرك ما سيكون من الغيب، إما صريحا، وإما في كسوة مثال، يكشف عنه التعبير »[٢]. ويقول عن الفكرة والخلوة الصوفية: « وإن هذه المرتبة هي من جنس مراتب الأنبياء في العلم »[٣].

٥- أن منهم أقواما انفردوا « بالتزهد والانقطاع، فامتنعوا عن عيادة المرضى، والمشي بين الناس، وأظهروا التخاشع، ووضعوا كتبا للرياضيات، والتقلل من الطعام، وصارت الشريعة عندهم كلام أبي يزيد والشبلي والمتصوفة. ومعلوم أن من سبر الشريعة لم ير فيها من ذاك شيئا »[٤].

قال عنهم صوفي جلد يرى الحقيقة والشريعة، والظاهر والباطن!![٥] مبينا عدم تعظيم أصحاب الطرق، القائلين بالظاهر والباطن للقرآن، فيقول: « أما فرقة الإلهامية!! ـ والصوفية كلها إلهامية ـ فهي تذهب إلى أن كتب الشعراء هي طريق القرآن، وجملتها تفسير للحقيقة، وهم يُعرضون عن تعلم القرآن، والحديث، والفقه، ويقرؤون كتب الشعراء[٦] والحكماء[٧]، والظرفاء على أنها إلهام رباني!!! فمن هذه حاله، فهو يقضي عمره في الضلال »[٨].

---

(١) نقش الفصوص لابن عربي ص٥.

(٢) المنقذ من الضلال للغزالي ص ١٤٦.

(٣) منا هج الأدلة لابن رشد ص٩١.

(٤) صيد الخاطر لابن الجوزي ص ٣٢٢.

(٥) وهو إبراهيم حقي الأرضرومي (١١٨٦هـ)، صاحب كتاب "معرفت نامة" أي: المعرفة الشاملة.

(٦) كأمثال شعر الجلال الرومي القونوي فيما كتبه بالفارسية في كتابه المعروف بـ "المثنوي"!!.

(٧) كأمثال ما كتبه الشاعر الصوفي ابن عربي، والقونوي، ومحمد إقبال، من الفلاسفة الصوفية.

(٨) معرفت نامة ص ٤٣٠، نقلا عن كتاب: أخبار جلال الدين الرومي ص ٢٢٧.

٧- **مما يدل على عدم تعظيمهم للكتاب تحريفاتهم لمعاني الكتاب**، وهو كثير في هذا الباب، فهم يستدلون لما سموه بالكشف بآيات من القرآن!! **ومن عدم تعظيمهم القرآن تأوليهم الآيات لتوافق سخرياتهم**، فمنهم من يستدل بجواز الرقص والدوران في الذكر بما فهمه من قول الله ﷻ: ﴿ ٱلَّذِينَ يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَـٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ ﴾[آل عمران:١٩١] وأشار إلى هذا أبو السعود الحنفي ﷺ رادا عليهم في جوابه فقال: « ليس في الآية الكريمة إشارة على جواز الرقص قطعا، وعلى المتمسك لتحليل تلك الأفعال القبيحة بهذه الآية، أن يجدد إيمانه، ونكاحه؛ لأنه حرف معنى كلام الله، وجعله تابعا لهواه...، وأما رقص الصوفية الآن فهو في الحقيقة رقص الديكة الكفار ونقزهم، فهم بذلك يتشبهون بالكفار »[١].

٨- **أنهم يؤلفون في تفسير القرآن لأجل ترويج التصوف، فمن أخفهم تصوفا** من يؤلف المؤلفات، ويكتب الكتب المطولات حتى في التفسير من أجل ترويج التصوف، وإظهار الصوفية[٢].

٩- **ومن عدم تعظيمهم للقرآن الكريم** أنهم يجعلون ما جاء به من المأمورات، وما جاء به من المنهيات واجبا حتى تهذب النفوس!! أو على السالك حتى يصل!! ويصير عارفا محققا بزعمهم، وحينئذ يسقط عنه التكليف!!، ويتأولون على هذا قوله تعالى: ﴿ وَٱعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ ٱلْيَقِينُ ﴾[الحجر:٩٩] زاعمين أن اليقين هو ما يدعونه من المعرفة!![٣] واليقين هنا لا ريب أن المراد به هو الموت وما بعده، كما قال تعالى عن أهل النار[٤]: ﴿ وَكُنَّا نَخُوضُ مَعَ ٱلْخَآئِضِينَ ۝ وَكُنَّا نُكَذِّبُ بِيَوْمِ ٱلدِّينِ ۝ حَتَّىٰٓ أَتَىٰنَا

---

(١) نقلا عن كتاب أخبار جلال الدين الرومي ص ٢٦٧-٢٦٨، وأشار إلى هذه الرقصة النصرانية الكافرة التي تفعل في بعض مساجد المسلمين العلامة محمد بن صفي الدين البخاري الحنفي (١٢٠٠هـ)، في كتابه: الصاعقة المحرقة على المتصوفة الرقصة المتزندقة ص ١٧.

(٢) انظر: المجموع في ترجمة العلامة المحدث الشيخ/ حماد بن محمد الأنصاري ٢/ ٧١٩، وانظر ٢/ ٧٥٣.

(٣) انظر: روح المعاني، وفي تفسير كابلي باللغة الأفغانية: قال: واعبد ربك حتى يأتيك اليقين؛ فلاتُسأل!! ١/ ١٥٠٨.

(٤) انظر: المجموع ٧/ ٥٠٣، ١١/ ٤١٨-٤١٩.

ٱلۡيَقِينُ ﴿٤٧﴾ فَمَا تَنفَعُهُمۡ شَفَٰعَةُ ٱلشَّٰفِعِينَ ﴾[المدثر:٤٥-٤٨]. فهذه الكلمة، وهي: أن العبد إذا عرف ربه رفع عنه التكليف، «هذه هي نهاية الزندقة؛ لأن الفقهاء: أجمعوا على أنه لا حالة ينتهي إليها العارف إلا وضيق عليه التكليف، كأحوال الأنبياء، يضايقون في الصغائر...، فالله الله في الإصغاء إلى هؤلاء الفرغ الخالين من الإثبات، وإنما هم زنادقة...، ولم تتجاسر الزنادقة أن ترفض الشريعة حتى جاءت المتصوفة»[(١)].

١٠- **ومما يدل على عدم تعظيمهم للقرآن الكريم** أنك تقرأ على أحدهم الآية، أو الحديث، وإذا به لا يقبل قولك، ولا يبالي بها تلوته وذكرته؛ وذلك «لأنهم لا يقبلون من الدين رأيا ورواية إلا ما جاءت به طائفتهم... مع أن دين الإسلام يوجب اتّباع الحق مطلقا: رواية ورأيا، من غير تعيين شخص أو طائفة غير الرسول ﷺ»[(٢)].

١١- أن كثيرا من هؤلاء أصحاب دعوى العلم الحقيقي، أو الباطني، يفسرون القرآن بما يرونه من المعاني الفاسدة، أو البعيدة، «وإن لم يكن مخالفا؛ فهو حال كثير من جهال الوعاظ، والمتصوفة الذين يقولون: بإشارات لا يدل اللفظ عليها نصا، ولا قياسا»[(٣)]. **ومما يدل على عدم تعظيمهم للقرآن** الكريم تأويلاتهم الفاسدة، وتحريفاتهم الجلية، «ولبعض الصوفية تأويلات، وتفسيرات غريبة في بعض آيات القرآن، بعيد عن معناها ومقاصدها، لتضليل الناس بها يخدم أهواءهم ونواياهم»[(٤)].

١٢- **ومن عدم تعظيمهم للقرآن الكريم** أنهم لا يحلون حلاله، ولا يحرمون حرامه، بل يطيع أحدهم «المعظم عنده في كل ما يأمر به، وإن تضمن تحليل حرام، أو تحريم حلال!! قال ﷻ: ﴿وَرَهۡبَانِيَّةً ٱبۡتَدَعُوهَا مَا كَتَبۡنَٰهَا عَلَيۡهِمۡ إِلَّا ٱبۡتِغَآءَ رِضۡوَٰنِ ٱللَّهِ﴾[الحديد:٢٧] وقد ابتلي طوائف من المسلمين، من الرهبانية المبتدعة بما الله به عليم»[(٥)].

---

(١) تلبيس إبليس لابن الجوزي ص ٤١٩، والكلام لابن عقيل رحمه الله.

(٢) الاقتضاء ١/ ٧٥.

(٣) المجموع ٢/ ٢٧-٢٨.

(٤) كتاب مصرع الشرك والخرافة للشيخ خالد محمد الحاج ص٤٦٣، وانظر: مظاهر الإنحرافات العقدية عند الصوفية ١/ ١٣٣.

(٥) الاقتضاء ١/ ٧٨.

١٣- ومما يدل أنهم لا يعظمون القرآن زعمهم أن القرآن لا يدرك به الأمور العقدية: يقول أبو حامد الغزالي - مبينا أقوال الناس في آيات الصفات، والجنة والنار، ونحو ذلك -: «زاد الفلاسفة فأولوا كل ما ورد في الآخرة، وردوه إلى آلام عقلية وروحانية، ولذات عقلية، وأنكروا حشر الأجساد...، وحد الاقتصاد بين هذا الانحلال كله، وبين جمود الحنابلة، **دقيق غامض لا يطلع عليه إلا الموفقون الذين يُدركون الأمور بنور إلهي، لا بالسماع؛ ثم إذا انكشفت لهم أسرار الأمور على ما هي عليه نظروا إلى السمع، والألفاظ الواردة؛ فما وافق ما شاهدوه بنور اليقين قرروه!!! وما خالف أولوه!!! فأما من يأخذ معرفة هذه الأمور من السمع المجرد؛ فلا يستقر له فيها قدم!!!، ولا يتعين له موقف!!!**»[(١)]، وهذا الكلام صريح وفصيح على أن السمع لا يستفاد منه العلم، وأن السمعيات يتحاكم في قبولها وردها إلى المكاشفات!! **قال شيخ الإسلام** ﷺ: «هذا الكلام مضمونه أنه لا يستفاد من خبر الرسول ﷺ شيء من الأمور العلمية؛ بل إنما يدرك ذلك كل إنسان بما حصل له من المشاهدة والنور والمكاشفة!! وهذان أصلان للإلحاد؛ فإن كل ذي مكاشفة إن لم يزنها بالكتاب والسنة، وإلا دخل في الضلالات»[(٢)]، **وقال** ﷺ: «إنا نعلم بالاضطرار من دين النبي ﷺ، ودين أمته المؤمنين به، بطلان لوازم هذا القول، وبطلان اللازم يدل على بطلان الملزوم، بل نعلم بالاضطرار من دينه أن لوازم هذا القول من أعظم الكفر والإلحاد...، ومضمونها: أن الرسول ﷺ لا يكون فيما أخبر به عن الله تعالى، وملائكته، وكتبه ورسله، واليوم الآخر: لا علمٌ، ولا هدى، ولا كتاب منير؛ فلا يكون الرسول قد هدى الناس، ولا بلَّغهم بلاغا بينا، ولا أخرجهم من الظلمات إلى النور، ولا هداهم إلى صراط العزيز الحميد، **ومعلوم أن كثيرا من خطاب القرآن**، بل أكثره، متعلق بهذا الباب؛ فإن الخطاب العلمي في القرآن أشرف من الخطاب العملي قدرا وصفة؛ **فإذا كان هذا**

---

(١) الإحياء للغزالي ١/ ١٦٧.

(٢) الدرء ٥/ ٣٤٨، ثم نقل الأقوال السلفية التي تنبئك بوجوب اتباع كتاب رب البرية، وسنة سيد البشرية.

الخطاب لا يستفيدون منه معرفة، ولم يبين لهم الرسول مراده ومقصوده بهذا الخطاب، بل إنما يرجع أحدهم في معرفة الأمور التي ذكرها، ووصفها، وأخبرهم عنها، إلى مجرد رأيه وذوقه؛ فإن وافق خبر الرسول ما عنده صدَّق بمفهوم ذلك ومقتضاه، وإلا أعرض عنه...، كان هذا مما يعلم فساده بالاضطرار من دين الرسول ﷺ »[١].

١٤- ومن عدم تعظيمهم للقرآن عدم تعظيم علومه، فلا يهتمون بالحديث، ولا بتفسير القرآن الكريم المأثور، وفقهه، وأحكامه، فيقولون: « الاشتغال بالعلم بطالة!! وقالوا: نحن علومنا بلا واسطة!!...، وقال أبو حامد: اعلم أن ميل أهل التصوف إلى الإلهية دون التعليمية، ولذلك لم يتعلموا، ولم يحرصوا على دراسة العلم...، ويقتصر على الفرائض والرواتب، **ولا يقرن همه بقراءة القرآن!!** »[٢]، **قال ابن الجوزي** رحمه الله: « عزيز علي أن يصدر هذا الكلام من فقيه؛ فإنه لا يخفى قبحه، إنه على الحقيقة طي لبساط الشريعة التي حثت على تلاوة القرآن، وطلب العلم »[٣]، وذكر ابن الجوزي رحمه الله أن رجلا: « كان يقول: القرآن حجاب!! والرسول حجاب!! ليس إلا عبدٌ، ربٌّ؛ فافتتن جماعة به؛ فأهملوا العبادات، واختفى مخافة القتل »[٤].

١٥- وبلغ الحال ببعض أصحاب الحال أنهم يمنعون قراءة القرآن عند الخلوات، وفي الرباطات الخاصة بهم، وهذا معلوم خصوصا في وقت ما يسمونه بـ"الحضرة"، وهي لا شك أنها حضرة، ولكنها محضورة من الشياطين، ولذلك يمنعون من قراءة القرآن في تلكم الأحايين، قال ابن الجوزي رحمه الله: « ولقد بلغني أن رجلا قرأ القرآن في رباط فمنعوه، وأن قوما قرؤوا الحديث في رباط فقالوا لهم: ليس هذا موضعه!! »[٥]، فأي تعظيم للقرآن الكريم عند هؤلاء؟؟!.

---

(١) الدرء ٥/ ٣٥٧-٣٥٨.

(٢) تلبيس إبليس لابن الجوزي ص ٣٦٦، الصوفية نشأتها وتطورها لمحمد العبده وطارق عبد الحليم ص٩٢.

(٣) تلبيس إبليس لابن الجوزي ص ٣٦٦.

(٤) تلبيس إبليس لابن الجوزي ص ٣٦٧.

(٥) تلبيس إبليس لابن الجوزي ص ١٩٦.

١٦- أنهم عظموا الأشخاص فوق القرآن الكريم، ومن تعظيمهم للأشخاص أنهم بالغوا في كل صاحب مخاريق؛ وظنوه من الكرامات، ولا ينظرون إلى حاله مع القرآن، قال الشيخ سليمان بن محمد بن عبدالوهاب ﷺ: « فلا يجوز أن يظن أن كل من كان له شيء من هذه الأمور؛ فهو ولي لله، بل يعرف أولياء الله بصفاتهم وأحوالهم وأفعالهم، التي دل عليها الكتاب والسنة، وأكثر هذه الأمور قد توجد في أشخاص يكون أحدهم لا يتوضأ، ولا يصلي المكتوبة، ولا يتنظف، ولا يتطهر الطهارة الشرعية...، **ويكره سماع القرآن**، وينفر منه، ويُؤْثِرُ سماع الأغاني والأشعار ومزامير الشيطان على كلام الرحمن؛ فلو جرى علي يدي شخص من الخوارق ماذا عساه أن يجري فلا يكون وليا لله محبوبا عنده، حتى يكون متبعا لرسوله ﷺ »[(١)].

١٧- « وكثير من هؤلاء: ينفر ممن يذكر الشرع، أو القرآن، أو يكون معه كتاب، أو يكتب، وذلك لأنهم استشعروا أن هذا الجنس فيه ما يخالف طريقهم؛ فصارت شياطينهم تهربهم من هذا...، وهم من أرغب الناس في السماع البدعي: سماع المعازف، ومن أزهدهم في السماع الشرعي: سماع آيات الله تعالى »[(٢)].

١٨- ومن تهوينهم لشأن القرآن أن جعلوه كتابا لا يفهمه إلا الواصلون!! وأما عامة الأمة؛ فإنه بالنسبة لهم كتاب مغلق دونه الأبواب، وعليه الحجب؛ فيقولون: لا يفسره إلا الخواص، وإنه صعب وممنوع، وهذا نوع تأثر بقول الرهبان: أنه لا يفسر التوراة إلا الرهبان[(٣)]، **والسبب في وقوع « هذا الانحراف الخطير، هو إهمال الكتاب الحكيم**، والسنة المطهرة؛ فالأمر نتيجة حتمية لهجر الوحيين، والاعتياض عنهما بالإلهام، والذوق، والرأي أحيانا... إذ لا بد لمن أهمل الدليل من الكتاب والسنة أن ينحرف انحرافا، قليلا كان أو كثيرا »[(٤)]، **وقد ألقى الشيطان إلى بعض هؤلاء الصوفية**

---

(١) تيسير العزيز الحميد ص ٣٩٧، وانظر: الفتاوى الجلية عن المناهج الدعوية للشيخ أحمد النجمي ص٣٧.

(٢) المجموع ١٠/ ٤١٢.

(٣) وفي بروتوكلات حكماء صهيون أنهم يقولون: لا نعي الدين إلا على ألسنة أوليائه، ص ٣٦.

(٤) إعلام المسلمين ببعض مقالات التيجانيين للشيخ إبراهيم القطان الأردني ص٦.

أن من قرأ القرآن من غير حضور قلب، أو انتفاع بعمل؛ فإن ذلك يضره، مع أن في قراءة القرآن مجردا حسنات؛ فإذا انضم إلى ذلك حضور القلب والانتفاع والعمل، زادت الحسنات والإيمان، ولا يخلو الأجر من الرحمن، ولكن تلبيسات الشيطان بالقوم كثيرة، قال الغزالي: «قال يوسف بن أسباط: إني لأهم بقراءة القرآن؛ فإذا ذكرت ما فيه خشيت المقت فأعدل إلى التسبيح والاستغفار»[(١)]، ولهذا قللوا من شأن حفظه، حتى إن الغزالي ادعى «أن النبي ﷺ مات عن عشرين ألفا من الصحابة ﷺ[(٢)]، لم يحفظ القرآن منهم إلا ستة!! اختلف في اثنين منهم!![(٣)]، وكان أكثرهم يحفظ السورة والسورتين»[(٤)].

١٩- ومن عدم تعظيمهم للقرآن الكريم استعمالهم لحروف القرآن ـ سواء المقطعات، أو ما ورد في أسماء الله ﷻ، أو غيرها ـ على أنها أسرار تكشف لهم الغيوب!! فـ«نقل وضعه من الطلسمات إليه في اصطلاح أهل التصرف من المتصوفة؛ فاستعمل استعمال العام في الخاص، وحدث هذا العلم!! في الملة بعد أن صدر منها، وعند ظهور الغلاة من المتصوفة، وجنوحهم إلى كشف حجاب الحس، وظهور الخوارق على أيديهم، والتصرفات في عالم العناصر!!، وتدوين الكتب والاصطلاحات، ومزاعمهم في تنزل الوجود عن الواحد وترتيبه، وزعموا أن الكمال الأسمائي مظاهره أرواح الأفلاك والكواكب!! وأن طبائع الحروف وأسرارها سارية في الأسماء!! فهي سارية في الأكوان على هذا النظام»[(٥)].

٢٠- ومن عدم تعظيمهم للقرآن الكريم ابتداعهم في الدين، وعدم تقييدهم بتعاليم القرآن المبين، فالصوفية هم «أهل العبادات البدعية، يزين لهم الشيطان تلك العبادات، ويبغض إليهم السبل الشرعية، حتى يبغضهم في العلم والقرآن والحديث؛

---

(١) الإحياء ١/ ٤٤٣.

(٢) والصحيح أنهم أكثر من ذلك، بل الذين حضروا حجة الوداع كانوا قرابة (١٢٠) مائة وعشرين ألفا. انظر: الإصابة ١/ ٣-٤.

(٣) انظر: الحفاظ الذين ذكرت أسمائهم وهم أهل التواتر في الفصل الثالث، من الباب الثالث.

(٤) الإحياء ١/ ٤٤٤.

(٥) مقدمة ابن خلدون ص ٩٣٦-٩٣٧.

فلا يحبون سماع القرآن والحديث، ولا ذكره، وقد يبغض إليهم حتى الكتاب؛ فلا يحبون كتابا، ولا من معه كتاب، ولو كان مصحفا، أو حديثا»[1].

٢١- ومن هؤلاء من يجيز كتابة المصحف بالنجاسات، ظنا منهم أن ذلك من باب التطببات!![2] أهكذا يكون تعظيم القرآن الكريم!؟ ولكن إذا غُيِّبَ الشرع الظاهر، وقيل بادعاء الشرع الباطن؛ فإن الإنسان يفعل ما يشاء.

٢٢- إعراضهم عن القرآن الكريم قراءة وتدبرا، **ويؤكد إعراض** الصوفية عن القرآن الكريم، أنهم كانوا حتى في زمن الأئمة كالشافعي يؤثرون أشياء على القرآن. قال الإمام الشافعي رحمه الله: «خلفت في العراق شيئا يسمى التغبير، وضعته الزنادقة، **يشتغلون به عن القرآن**»[3]، «وهذا من كمال معرفة الشافعي رحمه الله وعلمه بالدين؛ فإن القلب إذا تعود سماع القصائد والأبيات، والتذ بها، حصل له نفور عن سماع القرآن والآيات؛ فيستغني بسماع الشيطان عن سماع الرحمن»[4]، **واستمر إيثارهم على القرآن** حتى بدأ بعضهم يفضل كتابه ووروده على قراءة القرآن الكريم، فهذه المشهورة بصلاة الفاتح زعم أصحابها أنها تعدل قراءة القرآن الكريم (٦٠٠) ألف مرة!!!، وكل مرة تعدل (٤٠٠) غزوة!![5] فكيف يا ترى يعظمون القرآن بعد هذا، وكيف يهتمون به ويعتنون به، وها قد وضع لهم شيخهم ما هو أفضل من القرآن!!! **ومما يدل على عدم تعظيمهم للقرآن الكريم - كما يجب -** أنهم يخشعون عند سماع الأناشيد الصوفية، والأوراد البدعية، ولا يهتشون عند سماع الآيات القرآنية؛ فإذا سمع «الأبيات حصل له من الخشوع والحضور ما لا يحصل له عند الآيات، **بل يستثقلونها، ويستهزؤون بها**، وبمن يقرؤونها»[6]، **ومن**

---

(١) المجموع ١٠/ ٤١١.

(٢) انظر: الرد على البكري ٢/ ٤٩٨.

(٣) مناقب الشافعي للبيهقي ١/ ٢٨٣.

(٤) المجموع ١١/ ٥٣٢، وانظر: تلبيس إبليس لابن الجوزي ص ٢٦٢، ومختصر الفتاوى ص٥٩٢-٥٩٣.

(٥) انظر: جواهر القرآن ١/ ١١٤.

(٦) المجموع ١٥/ ٥٠، وانظر منه ١١/ ٥٣٧، ١٤/ ٤٦٦.

ذلك خشوعهم عند الأناشيد دون آيات الوعيد، مع أن الله ﷻ، قال: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ مِن قَبْلِهِۦٓ إِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ سُجَّدًا ﴾[الإسراء:١٠٧]، « **ويميل هؤلاء إلى سماع الشعر**، والأصوات التي تهيج المحبة المطلقة التي لا تختص بأهل الإيمان، بل يشترك فيها محب الرحمن ومحب الأوثان ومحب الصلبان ومحب الأوطان ومحب الإخوان ومحب المردان ومحب النسوان!! وهؤلاء الذين يتبعون أذواقهم ومواجيدهم من غير اعتبار لذلك بالكتاب والسنة، وما كان عليه سلف الأمة »[1]، « **وقد نشب السماع بقلوب خلق منهم**؛ فآثروه على قراءة القرآن، ورقت قلوبهم عنده بما لا ترق عند القرآن »[2]، **وهؤلاء الذين حسن في نفوسهم السماع البدعي**، قد تجد منهم « من يحسن صوته بآية من القرآن، من غير ذوق طعم، ولا حلاوة »[3]، و« **إذا سمع أحدهم الأبيات يحصل له** من الخضوع والخشوع والبكاء ما لا يحصل له مثله عند سماع آيات الله تعالى؛ فيخشع عند سماع المبتدعين المشركين، ولا يخشع عند سماع المخلصين المتقين، بل إذا سمعوا آيات الله تعالى اشتغلوا عنها وكرهوها، واستهزؤوا بها وبمن يقرؤها...، وإذا سمعوا القرآن، سمعوه بقلوب لاهية، وألسنة لاغية، كأنهم صمٌّ، وعميٌ، وإذا سمعوا الأبيات حضرت قلوبهم!! وسكنت ألسنتهم، وسكنت حركاتهم، حتى لا يشرب العطشان منهم ماء، ومن هؤلاء من إذا كانوا في سماعهم فأذن المؤذن قالوا: نحن في شيء أفضل مما دعانا إليه!!، ومنهم من يقول: هذا في شغله، وهذا في شغله!! ومنهم من يقول: كنا في الحضرة؛ فإذا قمنا إلى الصلاة صرنا على الباب »[4]، **قال الغزالي**: « وحكي عن بعض الشيوخ أنه قال: رأيت أبا العباس الخضر عليه السلام فقلت له: ما تقول في هذا السماع الذي اختلف فيه أصحابنا؟؟ فقال: هو الصفو الزلال الذي لا يثبت عليه إلا أقدام العلماء »[5]، **بل ونسب القول بالسماع إلى**

---

(١) العبودية ص٤٩.

(٢) تلبيس إبليس لابن الجوزي ص ٢٨٢.

(٣) تيسير العزيز الحميد ص٨٩، بتصرف يسير.

(٤) الرد على البكري ٢/ ٦٧٥-٦٧٦.

(٥) الإحياء ٢/ ٤١٩، وبحاشيته ذكر المحقق الأقوال الصحيحة عن الأئمة في تحريم السماع فانظرها فإنها نفيسة.

النبي ﷺ وزعم أنه سمعه!! وأبو بكر الصديق ﷺ!![١]؛ فلم يكف بملاقاة الخيال الصوفي المصور لهم وهو الخضر ـ بزعمهم ـ[٢]، حتى زعم أنه رأى رسول الله ﷺ وصاحبه الصديق ﷺ يستمعان إلى السماع الصوفي!!، بل ذهب إلى أبعد من هذا إذ زعم أن سماع الصوت الحسن، والكلام الحسن أحكم قانون في معرفة الله تعالى ومعرفة صفاته، إذا كان سماعه من الله تعالى!!، وعلى الله وفيه!![٣].

وأبعد الغزالي إذ ادعى أن سماع القرآن يؤثر وجدا ـ أي وجدا صوفيا ـ، كما أن السماع الصوفي يؤثر وجدا [٤]، وذكر لذلك الشبهات ـ وهي أدلة تدل على أن القرآن مؤثر في القلب، ويزيد الإيمان، ولا تدل على السماع الصوفي ـ، **وزاد الطين بلة، والحق لبسا إذ ادعى أن السماع الصوفي أفضل في الوجد من القرآن الكريم!**[٥]، **فقال:** «فإن قلت: فإن سماع القرآن مفيد للوجد؛ فما بالهم يجتمعون على سماع الغناء من القوالين، دون القارئين؟ فكان ينبغي أن يكون اجتماعهم وتواجدهم في حلق القراء لا حلق المغنين؟ وكان ينبغي أن يطلب عند اجتماع في كل دعوة قارئ لا قوالا؟ فإن كلام الله أفضل من الغناء لا محالة!!؛ **فاعلم أن الغناء أشد تهييجا للوجد من القرآن من سبعة أوجه!!!**[٦]:

الوجه الأول: أن جميع آيات القرآن لا تناسب حال المستمع، ولا تصلح لفهمه وتنزيله على ما هو ملابس له!!... [٧].

---

(١) الإحياء ٢/ ٤٢٠، وانظر منه ٢/ ٤٣٣.

(٢) والصحيح من أقوال أهل العلم أن الخضر ﷺ كان نبيا، وأنه قد توفي. انظر: المجموع ١٣/ ٩٣.

(٣) انظر: الإحياء ٢/ ٤٤٩.

(٤)انظر: الإحياء ٢/ ٤٦١.

(٥) وهذا يدل على أن القرآن الكريم لا ينتج وجدا صوفيا ـ والحمد لله ـ ولهذا لم يفضلوه!! ولو أنتج وجدا صوفيا لفضلوه، وكلام الخلق عند هؤلاء أشد تأثيرا في النفوس من كلام الله ﷻ!!!.

(٦) وأكتفي بذكر الأوجه موجزة، من غير رد عليها؛ ولا أُسَوِّدُ الصفحات في الرد على كلام ساقط لا قيمة له، وإنما أذكر بعض العبارات الموجزة التي تفيد الغرض.

(٧) القرآن الذي أنزل لهداية الخلق جمعاء، لا يصلح ـ عند هذا العالم الصوفي ـ للأصفياء، لعدم مناسبة الحال، والسماع يناسب الحال!!.

الوجه الثاني: أن القرآن محفوظ للأكثرين، ومتكرر على الأسماع والقلب، وكلما سمع أولا عظم أثره في القلوب، وفي الكرة الثانية يضعف أثره!! وفي الثالثة يكاد يسقط أثره!!...[(١)].

الوجه الثالث: أن لوزن الكلام بذوق الشعر تأثيرا في النفوس؛ فليس الصوت الموزون الطيب كالصوت الطيب الذي ليس بموزون!!...[(٢)].

الوجه الرابع: أن الشعر الموزون يختلف تأثيره في النفس بالألحان التي تسمع الطرق...، وهذا التصرف جائز في الشرع، ولا يجوز في القرآن إلا التلاوة كما أنزل...، وإذا رتل القرآن كما أنزل سقط عنه الأثر الذي سببه وزن الألحان!!...[(٣)].

الوجه الخامس: أن الألحان الموزونة تعضد، وتؤكد بإيقاعات، وأصوات أخر موزونة خارج عن الحلق كالضرب على القضيب والدف، وغيره...، وواجب أن يصان القرآن عن مثل هذه القرائن؛ لأن صورتها عند عامة الخلق صورة اللهو واللعب!!...[(٤)].

الوجه السادس: أن المغني قد يغني ببيت لا يوافق حال السامع؛ فيكرهه وينهاه عنه، ويستدعي غيره؛ فليس كل كلام موافقا لكل حال؛ فلو اجتمعوا في الدعوات على القارئ[(٥)]، فربما يقرأ آية لا توافق حالهم...[(٦)].

---

(١) بل سقط أثره من قلوب العارفين من الصوفية!! لأنهم وصلوا إلى مكاشفة الرب!! وسمعوا الخطاب منه!! فكيف يتلذذون بسماع القرآن!!؟ وأما أهل الإيمان فكلما كرروا آيات القرآن ازدادوا نورا وبصيرة، بل كان من السلف من يردد الآية حتى الفجر، ولا يزيده التكرار إلا إيمانا وخشية.

(٢) القرآن الذي تحدى الله به الإنس والجن، الذي هو آية في وزنه وترتيبه وحركاته وسكناته، لا يكون له وقع على النفوس!!؟، لعله لم يسمعه ممن يرتله ترتيلا، وسمع السماع الصوفي ممن يلحنه تلحينا فأعجبته!!

(٣) بل العكس هو الصحيح، إذ لو أسقطت التلاوة لذهب بعض حسنه، أما مع التلاوة؛ فهو غض كأنه الآن أنزل ـ عند من يقبل عن الله وعن رسوله ـ.

(٤) لم يبق إلا أن يجيز قراءة القرآن بالآلات! وكاد أن يفعل لو لا تذكره أن العامة يعرفون أن هذا لهو ولعب؛ فمنعها خوفا من سياط العوام، وإلا فهو لا يرى به بأسا، لولا أنه رأى بأسا.

(٥) وقد اجتمعوا كما في المآتم، والجمع قبل حضور الخطيب، وليس لهم من الاستماع نصيب إلا سماع الصوت؛ فيضطربون ويمدحون، وكل ذلك واقع على الصوت. انظر: الفصل الثالث من الباب الثاني.

(٦) ولكن يمكن أن يطلب من القارئ أن يقرأ سورة معينة، أو آيات معينة فلا حجة في هذه السفسطة.

الوجه السابع: ...القرآن كلام الله وصفة من صفاته، وهو حق لا تطيقه البشرية؛ لأنه غير مخلوق؛ فلا تطيقة الصفات المخلوقة[(١)]...، والشعر نسبته نسبة الحظوظ...»[(٢)].

غفر الله لنا وللغزالي، كيف يخرج منه هذا الهراء، وكيف يوازن بين القرآن وكلام الشعراء، ويفضله من حيث التأثير من سبعة أوجه دهماء!! ـ رحماك اللهم يا ذا العظمة والكبرياء ـ.

ويقول الغزالي: «فإن قلت عظمت أمر الذكر؛ **فهو أفضل أم قراءة القرآن؟** فاعلم أن قراءة القرآن أفضل للخلق كلهم **إلا الذاهب إلى الله ﷻ ...؛ فمداومة الذكر أولى به؛ فإن القرآن يجاذب خاطره!! ويسرح به في رياض الجنة، والمريد الذاهب إلى الله تعالى لا ينبغي أن يلتفت إلى الجنة ورياضها!! بل ينبغي أن يجعل همه هما واحدا، وذكره ذكرا واحدا!! حتى يدرك درجة الفناء والاستغراق!!»**[(٣)].

قال ابن القيم رحمه الله: «ويا عجبا لمن ذاق طعم الإيمان كيف يعدل بالكلام الذي فضله على غيره كفضل الله على خلقه؟؟ وبالكلام الذي ما تقرب العباد إلى الله بأحب إليه منه كلاما نزه الله رسوله وأولياءه عنه، وجعله صلاة للمشركين وقرآنا لهم، وقرآنا لعدوه الشيطان، ورقية لمحارمه، ومادة النفاق»[(٤)].

«ومشايخ **هذه الطائفة** كلما وقفت طباعهم حداها الحادي إلى الله بالأناشيد؛ قال ابن عقيل: لا كرامة لهذا القائل، إنما تُحدى القلوب بوعد الله في القرآن ووعيده، وسنة الرسول ﷺ لأن الله ﷻ قال: ﴿وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾[الأنفال:٢]، وما قال: وإذا أنشدت عليه القصائد طربت؛ فأما تحريك الطباع بالألحان؛ فقاطع عن الله، والشعر يتضمن صفة المخلوق والمعشوق، مما يتعدد عنه فتنة،

---

(١) ليت الغزالي يثبت كلاما لله ﷻ هو القرآن، ولكنه يذهب إلى الكلام النفسي في مواضع كثيرة من كتبه!! فأنى تصح له الدعوى؟ ثم كلما كان الأمر من علو كان الانتفاع به أكبر؛ فكيف يقال: إن النفس لا تطيقه؟.

(٢) الإحياء ٢/ ٤٦٤-٤٦٧.

(٣) الأربعين في أصول الدين ص ٦٥-٦٦، نقلا عن كتاب رسائل وفتاوى في ذم ابن عربي الصوفي ص٣٤.

(٤) كشف الغطاء عن حكم سماع الغناء لابن القيم ص ٢٣٤-٢٣٥.

ومن سولت له نفسه التقاط العبر من محاسن البشر وحسن الصوت فمفتون، بل ينبغي النظر إلى المحال التي أحالنا عليها: الإبل، والخيل، والرياح، ونحو ذلك؛ فإنها منظورات لا تهيج طبعا، بل تورث استعظاما للفاعل، وإنما خدعكم الشيطان؛ فصرتم عبيد شهواتكم، ولم تقفوا حتى قلتم: هذه الحقيقة، ،وأنتم زنادقة في زي عباد، شرهين في زي زهاد، مشبهة تعتقدون أن الله ﷻ يُعشق، ويُهام فيه... فما يدعيه عشاق الصوفية لله في محبة الله، إنما هو وهم اعترض، وصورة شكلت في نفوس فحجبت»[1].

ولما كان للسماع عندهم شأن كبير، ورتبة عالية، سموا أناشيدهم وقصائدهم بـ "جنيب القرآن!!"، ويكون وجده وفرحه بها أعظم من فرحه بالقرآن الكريم!![2].

وبهذا يظهر أن الصوفية إذا وقع منهم التعظيم؛ فإنما ذلك على المبنى دون المعنى، وعلى اللفظ دون العمل، وعلى الظاهر دون حقيقة.

ومما يدل على عدم تعظيمهم للقرآن الكريم، أنهم لم يعتمدوه في باب العقائد، وهذا ما أبينه في المبحث التالي.

---

(١) تلبيس إبليس لابن الجوزي ص ٢٨١.

(٢) انظر: نقض المنطق ص٦٤.

المبحث الخامس
عدم اعتمادهم عليه في باب العقائد

الصوفية يرون أن ظاهر القرآن للعامة، وأنهم بذلك ملزمون، ولكنهم عندهم نوع آخر من تحريف النصوص، وهو الغالب على المتأخرين من مشايخهم وأصحاب طرقهم، إذ يرون أن الحجة في المكاشفة.

بل صرحوا بأن مصادر التلقي هي: الكشف والذوق والوجد!! وهم وإن كانوا مصرحين بأن الوحي مصدر للتلقي إلا أنهم في حقيقة الأمر غير مبالين به ـ خصوصا عند من وصل منهم!! ـ ولكنهم يقدمون أذواقهم وكشوفاتهم على الوحي، وأما الوحي فإما أن يحرفوه، وإما أن ينكروه.

وقد تجد في مقدميهم ومتأخريهم من يأمر باتباع ظاهر القرآن الكريم، وابن عربي الحلولي نفسه يأمر أتباعه في بعض رسائله باتباع طريق أهل الحديث!! فيقول: « واشتغل بنفسك شغلا كليا، واهرب إلى محل إجماعهم، فإن لم تجد إجماعا فكن مع أكثرهم!! فإن لم تجد فكن مع أصحاب الحديث في تلك المسألة المطلوبة »[1].

ويعتمدون في العقائد على العقل والشرع والكشف!![2] أما العقل فمرادهم به العقل الفلسفي اليوناني والفلسفي الهندي، وأما الشرع فيعنون به ما فهموه بزعمهم من بواطنه!! وأما الكشف: فما علموه وأدركوه من الحضرة الإلهية!!!.

(١) القربة لابن عربي ص ٧.
(٢) انظر: القسم الإلهي لابن عربي ص٣.

وقد يصرحون بعدم الاعتماد إلا على الكشف، كما يقول ابن عربي نصحا للرازي: «وينبغي لعالي الهمة أن يكون معلمه وشاهده مؤنثا متعلقا بالأخذ من النفس الكلية، كما ينبغي له أن لا يتعلق بالأخذ من فقير أصلا، وكل ما لا كمال له إلا بغيره فهو فقير، فهذا حال كل ما سوى الله تعالى، **فارفع الهمة في أن لا تأخذ علما إلا من الله تعالى على الكشف**»(١)، ويقولون في نفي العلم المدرك بالعقل: «التوحيد المدرك بالدليل العقلي لا يعول عليه!!!»(٢).

ويذكر أحدهم المسألة ثم يذكر الدليل، فما دليله؟! إنه الكشف، يقول أحد الصوفية حاثا على زيارة القبر للتبرك!!: «وإن أنكر ذلك بعض المدعين علما وفضلا، واستدل بظواهر!، واعتضد بنقول!!؛ فليس بشيء عند التحقيق!!... والذي عليه العمل الآن...: الجواز والاستحباب، فثق بها نقوله، ولا تغتر بمخالفته؛ فليس هو في مخالفته سائر مع الحق، ولا قاصد إلى الصدق، حققنا ذلك كشفا وعلما، وأوثقناه حكمة وحكما!!»(٣).

وعندهم **أن العلم يؤخذ عن الحي الذي لا يموت**، كما يقول هذا ابن عربي: «ومنهم من نظر إلى ربه من وجه سببه ـ أي الكشف والفناء ـ، لا من وجهه، فقال: **حدثني قلبي عن ربي**، وقال الآخر ـ وهو الكامل ـ: حدثني ربي، وإليه يشير صاحبنا العارف بقوله: **أخذتم علمكم عن الرسوم، ميتا عن ميت، وأخذنا علمنا عن الحي الذي لا يموت**»(٤).

ومن الردود عليهم في تصوفهم للوصول إلى الكشف، وتقديمه على الكتاب والسنة، ما يأتي:

---

(١) رسالة ابن عربي للرازي ص٣.

(٢) لا يعول عليه، لابن عربي ص١٢.

(٣) نقله عن ابن السراج صاحب كتاب: أضواء على الرسالة المنسوبة إلى الحافظ الذهبي "النصيحة الذهبية لابن تيمية" وتحقيق في صاحبها لأبي الفضل محمد بن عبد الله القونوي ص٥٨.

(٤) رسالة ابن عربي للرازي ص٤.

١- أن أصحاب هذا القول متناقضون في أنفسهم، فتارة يقولون ما سبق، وتارة يوجبون اتّباع الشرع!! وهذا ـ والله أعلم ـ خوفا من علماء الوقت كما يقوله ابن عربي[١]، ومما صرحوا فيه بوجوب الشرع قول ابن عربي: « **كل علم من طريق الكشف والإلقاء أو اللقاء!! والكناية بحقيقة تخالف شريعة متواترة لا يعول عليه** »[٢]، ويقول:« كل عمل وترك لا يكون الشخص فيه تابعا، فلا يعول عليه، وإن كان أشق من عمل التبعية، قال الشبلي في هذا المقام: كل عمل لا يكون عن أثر فهو هوى النفس »[٣]، وهذا هو الحق، وهو أن الكشف والإلهام لا يكونان أدلة كالقرآن الكريم؛ « لأن الإلهام ليس من أسباب المعرفة بصحة الشيء، عند أهل الحق »[٤].

٢- حث الصوفية الأوائل على التمسك بالكتاب والسنة، قال شيخ الإسلام رحمه الله: « ولهذا كان الشيوخ العارفون المستقيمون من مشائخ الصوفية وغيرهم يأمرون أهل القلوب ـ أرباب الزهد، والعبادة... ـ بلزوم الكتاب والسنة، قال الجنيد بن محمد: علمنا هذا مقيد بالكتاب والسنة؛ فمن لم يقرأ القرآن، ويكتب الحديث لا يصلح له أن يتكلم بعلمنا... »[٥].

٣- أن دين الصوفية قائم على الذوق والوجد، وما يظنه مقربا له إلى الله يتخذه، ولو كان مبتدعا، بل ولو كان محرما؛ « فتجد عامة دينهم إنما يقوم بالأصوات المطربة والصور الجميلة؛ فلا يهتمون بأمر دينهم بأكثر من تلحين الأصوات...، وترى كثيرا من المتصوفة والمتفقرة لا يرى الشريعة ولا العلم شيئا، بل يرى المتمسك بها منقطعا عن الله!!! وأنه ليس عند أهلها مما ينفع عند الله شيئا!! »[٦].

---

(١) انظر: رسالة ابن عربي للرازي ص٧.

(٢) لا يعول عليه لابن عربي ص٢.

(٣) لا يعول عليه لابن عربي ص٦.

(٤) العقائد النسفية لعمر النسفي ص٢٨، ضمن مجموع أمهات المتون في مختلف الفنون والعلوم، جمع دار الفكر.

(٥) الرد على المنطقيين ص٥١٤-٥١٥، وقد ذكر أقوالا أخرى لأئمة الزهد والتصوف فانظرها.

(٦) الاقتضاء ١/ ٧٨-٧٩.

٤- أن الذوق والكشف لو كانا مصدرين لمعرفة العقيدة، لما كان هناك داع إلى إرسال الرسل، وإنزال الكتب ـ خصوصا أن الصوفية تزعم أن لا حاجة إلى اتباع الرسل ـ، وهذا معلوم بطلانه، وبطلان الملزوم يدل على بطلان اللازم.

٥- أن الكشف لو كان حجة بنفسه، والذوق كذلك، لكانت كشوفات البوذية والبراهمة حجة!!، وإلا فما الفرق بين كشف وكشف، ما دام الجميع لا يحتكمون إلى النصوص الشرعية؟!.

٦- أن القول بأن الكشف حجة في الاعتقاد تجهيل للسلف الصالح، وهذا قدح في نقولهم وعلومهم!!.

٧- أن الكشف لو كان عمدة في باب الاعتقاد ـ بل لو جزئية ـ لكان المعول عليه بعد موت رسول الله ﷺ، ولم يثبت عن أحد من الصحابة وتابعيهم أنه رجع في مسألة شرعية واحدة إلى الذوق والكشف فضلا عن مسائل الاعتقاد.

٨- أن الكتاب والسنة فيهما الغنية، وأن كل ما سوى ذلك لا بد أن يكون معروضا عليهما، ولا يجوز بحال أن يكونا محكومَين، بل لا بد أن يكونا حاكِمين.

وغالب اعتماد الصوفية على كتب مشايخهم، «وهذه التصانيف التي صنفت لهم لا تستند إلى أصل، وإنما هي واقعات تلقفها بعضهم عن بعض، ودونوها، وقد سموها بالعلم الباطن...، وسئل أبو زرعة عن الحارث المحاسبي وكتبه؛ فقال للسائل: إياك وهذه الكتب، هذه الكتب كتب بدع وضلالات، عليك بالأثر؛ فإنك تجد فيه ما يغنيك عن هذه الكتب، قيل له في هذه الكتب عبرة، قال: من لم يكن له في كتاب الله ﷻ عبرة فليس له في هذه الكتب عبرة، بلغكم أن مالك بن أنس، وسفيان الثوري، والأوزاعي، والأئمة المتقدمة: صنفوا هذه الكتب في الخطرات والوساوس وهذه الأشياء!!، هؤلاء قومٌ خالفوا أهل العلم»[1].

---

(١) تلبيس إبليس لابن الجوزي ص ١٨٦.

ومن اعتمادهم على السماع البدعي الشيء الكثير الذي جعلهم يصدون عن الخير الكثير الذي جاء به القرآن الكريم، ومعلوم أن «السماع الذي أمر الله به، هو سماع ما جاء به الرسول ﷺ: سماع فقه وقبول»[(١)].

ومما يدل على عدم اعتمادهم على القرآن الكريم أنهم انحرفوا عن الطاعات، «فلا يبالون إذا حصل لهم توحيد القلب، وتأله أن يكون ما أوجبه الله من الصلوات، وشرعه من أنواع القراءة، والذكر، والدعوات، أن يتناولوا ما حرم الله من المطاعم، وأن يتعبدوا بالعبادات البدعية من الرهبانية، ونحوها، ويعتاضوا بسماع المكاء والتصدية عن سماع القرآن»[(٢)].

ومن جعلهم القرآن فرعا في باب الاعتقاد وعدم الاعتماد عليه أن حرفوا ما جاء به القرآن من شهادة الوحدانية؛ فزعم بعضهم أن: «لا إله إلا الله، ذكر العابدين، والله، الله، ذكر العارفين!! و"هو" ذكر المحققين!!»[(٣)]، وقد يقولون:إن ذكر الخاصة هو الاسم المفرد، وذكر خاصة الخاصة الاسم المضمر[(٤)].

وهؤلاء «ضالون، غالطون...، والاسم المفرد مظهرا ومضمرا؛ فليس بكلام تام، ولا جملة مفيدة، ولا يتعلق به إيمان ولا كفر، ولا أمر ولا نهي»[(٥)].

ومعلوم أن من الدعاوى العريضة، والشعارت البراقة الكبيرة، التي أطلقها الصوفية، حتى أصبح شعارا لهم، أنهم أصحاب التزكية؛ فهم يبحثون عن تزكية النفوس!! ولكن بغير طريق القرآن، وإنما عن طريق الأناشيد والحفلات وإقامة السرادقات والموالد!![(٦)].

---

(١) المجموع ١٦/ ٨.
(٢) المجموع ١٩/ ٧٣، وانظر منه: ٢/ ٤٣.
(٣) المجموع ٢/ ٦٤.
(٤) انظر: العبودية ص١٢٥.
(٥) العبودية ص ١٢٥ وانظر ما بعدها.
(٦) انظر: تلبيس إبليس لابن الجوزي ص ٢٦٢، ٣٥٨، الروح لابن القيم ص١٠٩.

ومن ذلك وقوع كثير منهم فيما نهى عنه الشرع نصا، كابتدعاهم بناء المساجد على القبور، وتعظيمهم المقبور، ووقوعهم في الشرك، ودعاء الأموات؛ فضُلال الصوفية يشركون بدعاء غير الله تارة، وبنوع عبادة أخرى، وبهما تارة[(١)].

ومما يدل على عدم اعتماد الصوفية على القرآن، في العقائد وغيرها، كونهم معظمين للباطنية المتزندقة الذين يرون وحدة الوجود، وكفرياتهم بينة[(٢)].

ومن عظيم ما يدل على عدم اعتمادهم على القرآن الكريم كونهم يهتمون بتوحيد الربوبية الذي شهد به أغلب الإنسانية إلا بقايا من الدهرية، ويتعبون أنفسهم في تحصيل الحاصل، مع أن التوحيد الذي من أجله أرسل الله الرسل، وأنزل الكتب، هو توحيد الألوهية، وهم فيه من أعظم الناس تفريطا، بل ما جاء الشرك وأسبابه في أمة الإسلام إلا من طريقهم، ومن طريق الرافضة، في توحيد الألوهية[(٣)].

فكيف يعتمد الصوفية على القرآن الكريم، وبعض من يوقرونه ويظنون أنه قد وصل، كالحسين بن منصور الحلاج، يدعي أنه يستطيع أن يأتي بمثل القرآن الكريم!![(٤)].

وإذا لم يعتمدوا على القرآن؛ فإن ذلك يعني الاعتماد على الكشف والذوق والوجد، ومعلوم ما يحصل في هذا الكشف من الاضطراب، والاختلاف؛ ما لا ينضبط[(٥)]، حتى تعددت الطرق الصوفية[(٦)]، وكل واحدة تلعن الأخرى، وذلك لكون الأذواق مختلفة، والكشوفات متغايرة.

---

(١) انظر: المجموع ١/ ٩٧، وقد ألف شيخ الإسلام ﷺ كتابه العظيم المعروف بـ"الرد على البكري" وهو كله بيان لما وقع فيه الصوفية، من الضلالات والكفريات والشركيات.

(٢) انظر: المجموع ٢/ ١٢١.

(٣) انظر: التدمرية ص١٨٦ وما بعدها.

(٤) انظر: تلبيس إبليس لابن الجوزي ص ١٩١، وقد ذكر آثارا كثيرة عنه تدل على شناعة قوله، وخبث طويته.

(٥) انظر: شرح الأصبهانية ص٢٨، النبوات ص٧٥.

(٦) انظر: هذه الطرق وعددها في كتاب: الصوفية نشأتها وتطورها لمحمد العبده وطارق عبد الحليم ص١٠٩.

وبنظرة واحدة على عقائد الصوفية تعلم أنهم بعدوا عن الإسلام أي بعد، فهم يرون إثبات الوجود المطلق عن كل قيد، وحقيقته هو الوجود نفسه، ويرون أن الأديان كلها طرق توصل إلى الله، وأن العذاب الأخروي ونعيمه سواء[1]، وأخفهم من يبتدع بدعة يتقرب بها إلى الله ﷻ.

والصوفية في باب الاعتقاد إنما اعتمادهم على كتبهم الذوقية ومؤلفاتهم الكشفية وزبالاتهم الخرافية، فـ «الصوفية هنا وهناك، وفي كل مكان يتربصون فيه بالإسلام، يؤمنون بكتبهم إيمانا عنيدا طاغيا، يأسر منهم في قبضته القاهرة عواطف القلوب، ومشاعر النفوس، وسبحات الخواطر، وتأملات الفكر، ويدينون بكل حرف فيها يرمز إلى أسطورة، وبكل كلمة تفشي خرافة؛ فما تناوحت إحساساتهم بالحب إلا لها، وما فتك بالقلوب أخطبوطهم إلا بها، وما قتلت عناكبهم ذباب النفوس غلاب لعابها السام، بيد أنهم حين يلقون المؤمنين يقولون: رياء ومخادعة: مدسوس...، حتى إذا دخلوا إلى شياطينهم قالوا: نفتن المؤمنين!.

وإلا فإني أدوي بصيحة الحق تتحدى الصوفية وطواغيتها، أن يجرأ واحد منهم على القول: إن تلك الكتب مدسوسة! أو يستنكر ما تطفح به من كفر، وليأتنا بأثارة من علم، أو ظن تدل على أنها دعية النسب إلى من افتروها... إن تلك الكتب ليست بمدسوسة، ويشهد بذلك التاريخ الحق، وتواتر النقل الصحيح، ولكن هبوها كذلك؛ فما ينفعكم وأنتم بها تدينون، وتؤمنون...، وآخرون يزعمون أن تلك الكتب أسرار ورموز، لا يفقهها إلا أولئك الذين أباح لهم الغيب الخفي مكنونه!!...، سأنحدر إلى فرية أولئك؛ فأزعم أن كتب الصوفية رموز مقنعة بالخفاء، وأسرار ملثمة بسحر الغيب!! ولكني أسائلك كيف يُعبد الله برمز مقنع بالإبهام!؟... أيحق لامرئ أن يعبد ربه بشيء أطبق عليه الجهل به!؟ وبغير ما شرعه الله في كتابه، وأوحاه إلى رسوله؟؟...

---

(١) انظر: هذه هي الصوفية للعلامة عبد الرحمن الوكيل ص ١٧٤.

أتفقهون ـ ياكهنة الصوفية ـ دلائل تلك الرموز؟ أم لا تفقهونها؟ فإن تكن الأولى: فأبينوا لأتباعكم، لتطمئن قلوبهم بالمعرفة...، وإن تكن الأخرى؛ فإنها دين الببغاء تردد ما لا تعي...»[(١)].

وذكر ابن خلدون المغرم بأصحاب الكشف مواقف الناس في المهدي، ثم ذكر قول الصوفية؛ فقال: «وربما يعتمدون في ذلك على الكشف، الذي هو أصل طرائقهم»[(٢)].

وبعد أن ظهر أن الصوفية أظهرت عقيدة الكشف والتلقي عن الله ﷻ، صار غنيا أن يقال: إنهم لا يأخذون من مشكاة النبوة إلا ما كان عملا ظاهرا أمام العامة، أو إظهار تعظيمه للعامة، ولمصلحة العامة، **وأما هم فجاؤوا بالعظائم**، ومن **أهمها**:

١- القول بالحلول، ووحدة الوجود، وهو قول غالب المتأخرين من الصوفية، وهو لبنات وضعها الأولون فيهم، وإن لم يريدوا ذلك.

٢- اتهام سيد الأنبياء ﷺ بأنه لم يبلغ ما يفي بحاجة الخاصة، حتى أصبحوا يتلقون ذلك عن غير ما نزل إليه.

٣- ادعاء التلقي عن الله مباشرة، إما بوحي جلي، أو إلهام، أو كشف، أو منام!!

٤- تحقير شأن العلماء العاملين، من أئمة الدين، بحجة أنهم علماء القشور، وأنهم علماء الظواهر!!.

٥- تفسيرهم لنصوص القرآن والسنة بما يوافق أهواءهم.

هذه مع ما سبق يدل على عدم اهتمام الصوفية بالقرآن الكريم في باب الاعتقاد، وكذلك شيوخهم من الرافضة، وأبين حالهم في الفصل التالي.

---

(١) هذه هي الصوفية للعلامة عبد الرحمن الوكيل ص٧٠-١٧.

(٢) مقدمة ابن خلدون ص ٥٥٥.

الفصل الثالث

منزلة القرآن الكريم عند الرافضة

وفيه مباحث:

المبحث الأول: التعريف بالرافضة.

المبحث الثاني: عقيدة الرافضة في القرآن الكريم.

المبحث الثالث: عدم تعظيم الرافضة للقرآن الكريم.

المبحث الرابع: عدم اعتماد الرافضة على القرآن الكريم في العقائد.

المبحث الأول: التعريف بهم

لمعرفة الرافضة لابد من النظر إلى الأصل اللغوي لكلمة "الرفض" حتى يعرف معنى هذه الكلمة، ومن ثم تتبين النسبة بعد ذلك.

أولا: معنى الرافضة لغة:

"**الرافضة**" **نسبة مأخوذة من الرفض**، و "رفض": « الراء والفاء والضاد أصل واحد، وهو الترك، ثم يشتق منه، يقال: رفضت الشيء: تركته، هذا هو الأصل »[(١)]، والروافض تركوا الكتاب والسنة، والصحابة وسواد المسلمين؛ فتسميتهم بالروافض مناسبة لحالهم وتركهم.

و « "رفضته" رفضا، من باب ضَرَبَ، وفي لغة من باب: قَتَل »[(٢)]، فإن كان "رفض" من باب ضرب؛ فيكون: رفَض، يرفِض، رفضاً، وإن كان "رفض" من باب قتل؛ فيكون: رفَض، يرفُض، رفضاً.

والأول ـ أعني **ما** كان على باب: ضرب ـ يكون معناه دائرا حول التفرق والاختلاف؛ فـ « رفضت الإبلُ، من باب: ضرب، تفرقت في المرعى »[(٣)]،فعلى هذا يكون معنى الرفض: التفرق والاختلاف، وهو حال الرافضة الذين فرقوا جماعة المسلمين، وخالفوا سوادهم، وشقوا عصاهم، وهم في أنفسهم شذر مذر.

---

(١) مقاييس اللغة لابن فارس ص٤١٥.

(٢) المصباح المنير للفيومي ص ٢٣٢.

(٣) المصباح المنير للفيومي ص ٢٣٢.

والثاني - أعني ما كان على باب: قتل - يكون معناه: الترك، « فالرفض: تركك الشيء »[١]، فعلى كلا البابين ورد "الرفض"، وتقول: « أرفُضُه، وأرفِضُه، ورفضا: تركته، وفرّقته...، والرَّفض: الشيء المتفرق »[٢].

« والروافض: جنود تركوا أميرهم، وانصرفوا، فكل طائفة منهم رافضة »[٣].

وأما بيان سبب نسبة الرافضة إلى الرفض: فإذا تبين معنى "رفض" من حيث أصل معناه، وأنه دائر على التفرق والترك وخذلان الأمير، وهذه الصفات كلها في الروافض موجودة. فالنسبة إنما هي بسبب أن الروافض لما تركوا الكتاب والسنة وما عليه سلف الأمة، واختصوا بهذا الترك لإعراضهم الكلي عنهما وعنهم، لقبوا بالرافضة، وكذلك لما تفرقوا عن جماعة المسلمين، ولم يقبلوا مقالهم، وهم لم يطيعوا أميرهم. والمقدم عندهم - بزعمهم - زيد بن علي بن الحسين ﵀ فنسبوا إلى الرفض لذلك، وقيل لهم روافض نسبة إلى ذلك[٤]، وقد يذكر بعضهم سببا واحدا في تسميتهم بالروافض وهو مخالفتهم لأميرهم زيد بن علي، ولكن الذي يظهر أنه لقبوا بذلك، وهم يستحقون هذا اللقب لاجتماع الأمور المذكورة في معنى الرفض فيهم - والله أعلم -.

قال شيعة الكوفة حينما سمعوا زيد بن علي ﵀ يتولى أبا بكر وعمر ﵄؛ لأنهما وزيرا جده رفضوه؛ فقال لهم: رفضتموني؛ فسموا رافضة[٥].

ثانيا: المراد بالرافضة اصطلاحا:

وأما الرافضة في الاصطلاح؛ فالمقصود بهم: قوم تبرؤوا من الشيخين أبي بكر الصديق ﵁ وعمر بن الخطاب ﵁.

---

(١) لسان العرب لابن منظور ٥/ ٢٦٦.

(٢) لسان العرب لابن منظور ٥/ ٢٦٦.

(٣) لسان العرب لابن منظور ٥/ ٢٦٧، وانظر: مقاييس اللغة لابن فارس ص ٤١٥.

(٤) انظر: لسان العرب لابن منظور ٥/ ٢٦٧.

(٥) انظر: الملل والنحل للشهرستاني ص١٥٥، المجموع ٣/ ١٥٣، البداية والنهاية لابن كثير ٩/ ٣٨٢، لسان العرب لابن منظور ٥/ ٢٦٧.

وسئل الإمام أحمد رحمه الله عن الرافضة فقال: «الذين يشتمون أو يسبون أبا بكر وعمر رضي الله عنهما»[(١)].

ويطلق هذا الاسم على كل من تبرأ من الصحابة رضي الله عنهم، واستعمل هذا اللقب في كل من غالى في هذا المذهب، وأجاز الطعن في الصحابة رضي الله عنهم[(٢)]، وقالوا: «الرَّوافض، ولم يقولوا: الرُّفاض؛ لأنهم عنوا الجماعات»[(٣)].

«والرفض أتى من قبل العجم، أما العرب فلم يكونوا روافض، ولكن بعد أن اختلط العجم بالعرب أصبح فيهم روافض»[(٤)].

و«**أصل الرفض** كان من وضع قوم زنادقة منافقين، مقصودهم الطعن في القرآن والرسول ودين الإسلام، فوضعوا من الأحاديث ما يكون التصديق به طعنا في دين الإسلام، وروجوها على أقوام، فمنهم من كان صاحب هوى وجهل، فقبلها لهواه، ولم ينظر إلى حقيقتها، ومنهم من كان له نظر فتدبرها؛ فوجدها تقدح في حق الإسلام؛ فقال بموجبها، وقدح في دين الإسلام...، ولهذا دخلت عامة الزنادقة من هذا الباب؛ فإن ما تنقله الرافضة من الأكاذيب تسلطوا به على الطعن في الإسلام، وصارت شبها عند من لم يعلم أنها كذب...، وضلت طوائف كثيرة من الإسماعيلية والنصيرية، وغيرهم من الزنادقة»[(٥)].

فالرافضة لا تصح عندهم الاعتقاد إلا بتولي علي رضي الله عنه والتبرئ من باقي الصحابة رضي الله عنهم. وأما الشيعة فهو اسم أعم من الرافضة؛ ولهذا وجدت روايات في كتب الحديث السنية عمن فيهم تشيع، ولكن لا توجد روايات عن الرافضة الخلص، ولكن اندثر هؤلاء الشيعة، ولا يوجد اليوم إلا الشيعة الرافضة، اللهم إلا الزيدية.

---

(١) ذكره شيخ الإسلام في الصارم المسلول على شاتم الرسول ص٤٠٦.

(٢) المصباح المنير للفيومي ص ٢٣٢.

(٣) لسان العرب لابن منظور ٥/ ٢٦٧.

(٤) المجموع في ترجمة المحدث الشيخ حماد الأنصاري ٢/ ٧٠٤.

(٥) منهاج السنة ٧/ ٩.

« وأول من ابتدع الرفض عبد الله بن سبأ: وكان منافقا زنديقا، أراد بذلك فساد المسلمين؛ كما فعل بولص، صاحب الرسائل التي بأيدي النصارى، حيث ابتدع لهم بدعا أفسد بها دينهم، وكان يهوديا، فأظهر النصرانية نفاقا، لقصد إفساد ملتهم، وكذلك كان ابن سبأ يهوديا، فقصد ذلك وسعى في الفتنة »[(١)]، فـ « الروافض أخذوا دينهم من اليهود، وطعنهم في الصحابة طعن في الإسلام »[(٢)].

والرافضة هم الشيعة الإمامية،وهم قرابة (٢٤) أربع وعشرين فرقة، ومن أشهرها:

الكيسانية[(٣)]، والبيانية[(٤)]، والخطابية[(٥)]، والهشامية[(٦)]، والإسماعيلية، والإمامية الإثنا عشرية[(٧)] والإمامية أشهرها وأوسعها، وذلك بسبب كثرة من ينتمي إليها من علماء السوء، ولكون الدولة لهم قديما وحديثا، وأكثرهم من أولاد المجوس[(٨)].

والرافضة كلهم دينهم قائم على الطعن في إمامة الخلفاء: أبي بكر وعمر وعثمان ﷺ بل وتكفيرهم، قال ابن عقيل ﷺ: « الظاهر أن من وضع مذهب الرافضة قصد

---

(١) مختصر الفتاوى ص١٥٦.

(٢) المجموع في ترجمة المحدث الشيخ حماد الأنصاري ٢/ ٤٩٩.

(٣) أصحاب كيسان مولى لأمير المؤمنين علي ﷺ، وقيل تتلمذ على محمد بن الحنفية، ويعتقدون فيه أنه محيط بعلم الباطن. انظر: الملل والنحل للشهرستاني ص ١٤٧.

(٤) وهم أتباع بيان بن سمعان التميمي، قالوا: بانتقال الإمامة من أبي هاشم إلى بيان، وهم يقولون: بألوهية علي ﷺ. انظر: الملل والنحل للشهرستاني ص ١٥٢.

(٥) أصحاب أبي الخطاب محمد بن أبي زينب الأسدي مولاهم، وعزا نفسه إلى جعفر الصادق، وتبرأ منه الصادق لما عرف حاله وغلوه، فاعتزل الصادق، وادعى الإمامة لنفسه، وزعم أن الأئمة أنبياء وآلهة!!. انظر: الملل والنحل للشهرستاني ص ١٧٩-١٨٠.

(٦) أصحاب الهشامين: هشام بن الحكم وهشام بن سالم، وهما مشبهة في الصفات زيادة على غلوهم في التشيع. انظر: الملل والنحل للشهرستاني ص ١٨٤.

(٧) وهم القائلون بإمامة الأئمة الإثني عشر نصا، ابتداء بعلي ﷺ، وانتهاء بمحمد بن الحسن العسكري الغائب!!، وهم يتبرؤون من الشيخين، وممن يتولونهما. انظر: الملل والنحل للشهرستاني ص ١٦٢ وما بعدها.

(٨) وذكر أبو الحسن الأشعري أن الشيعة ثلاثة أقسام: الغالية وذكر فرقها، وهم الباطنية، ثم ذكر الزيدية، وذكر فرقها، ثم ذكر الإمامية وفرقها. انظر: مقالات الإسلاميين ص١٧-٢٤، وانظر: قمع الدجاجلة لعبد العزيز الراجحي ص٣٧٢، عبدالله بن سبأ وإمامة علي بن أبي طالب لعلي بن عبد الرحمن السلمان ص ٢٧-٢٨.

الطعن في أصل الدين والنبوة، وذلك أن الذي جاء به رسول الله ﷺ أمر غائب عنا، وإنما نثق في ذلك بنقل السلف وجودة نظر الناظرين إلى ذلك منهم؛ فكأننا نظرنا إذ نظر لنا من نثق بدينه وعقله، فإذا قال قائل: إنهم أول ما بدؤوا بعد موته بظلم أهل بيته في الخلافة وابنته في إرثها، وما هذا إلا لسوء اعتقاد في المتوفى، فإن الاعتقادات الصحيحة سيما في الأنبياء توجب حفظ قوانينهم بعدهم، لا سيما في أهليهم وذريتهم؛ فإذا قالت الرافضة: إن القوم استحلوا هذا بعده،خابت آمالنا في الشرع، لأنه ليس بيننا وبينه إلا النقل عنهم، والثقة بهم.

فإذا كان هذا محصول ما حصل لهم بعد موته خبنا في المنقول، وزالت ثقتنا فيما عولنا عليه من اتباع ذوي العقول، ولم نأمن أن يكون القوم لم يروا ما يوجب اتباعه فراعوه مدة الحياة، وانقلبوا عن شريعته بعد الوفاة، ولم يبق على دينه إلا الأقل من أهله؛ فطاحت الاعتقادات، وضعفت النفوس عن قبول الروايات في الأصل، وهو المعجزات؛ فهذا من أعظم المحن في الشريعة»[1].

فإذا تبين معنى الروافض لغة واصطلاحا؛ فإني أبين في المبحث التالي عقيدتهم في القرآن الكريم.

---

(١) نقله ابن الجوزي في تلبيس إبليس ص ١٠٩-١١٠.

المبحث الثاني: عقيدتهم في القرآن[(١)]

إن عقيدة الرافضة في القرآن موافقة لعقيدة المعتزلة؛ من حيث اعتقاد مصدريته؛ فيقولون: إن القرآن مخلوق، هذا من حيث اعتقادهم في حقيقة القرآن الكريم، **ثم هم في هذه المسألة فرقتان:**

« **الفرقة الأولى**: منهم هشام بن الحكم وأصحابه، يزعمون أن القرآن: لا خالق ولا مخلوق، وزاد بعض من يخبر عن المقالات في الحكاية عن هشام؛ فزعم أنه كان يقول: لا خالق ولا مخلوق، ولا يقال أيضا: غير مخلوق؛ لأنه صفة والصفة لا توصف...!!.

والفرقة الثانية منهم: يزعمون أنه مخلوق محدث...، كما تزعم المعتزلة والخوارج، وهؤلاء قوم من المتأخرين منهم »[(٢)].

وقال شيخ الإسلام رحمه الله: « الإمامية تخالف أهل البيت في عامة أصولهم، فليس في أئمة أهل البيت ـ مثل علي بن الحسين[(٣)] وأبي جعفر الباقر[(٤)]، وابنه جعفر بن محمد الصادق[(٥)] ـ من كان ينكر الرؤية، أو يقول بخلق القرآن، أو ينكر القدر، أو يقول

---

(١) وإنما أذكر هنا ما يفي بالغرض دون الإحاطة والعرض، ويكفي من القلادة ما يحيط بالعنق، وقد كتب في اعتقاد الرافضة في القرآن مؤلفات، ومن أوسعها ـ حسب علمي ـ كتاب موقف الرافضة من القرآن الكريم للدكتور/ مامادو، وهي رسالة ماجستير، نوقشت في الجامعة الإسلامية.

(٢) مقالات الإسلاميين ١/ ٤٠.

(٣) هو زين العابدين: علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب بن عبد المطلب الهاشمي، وكان من أئمة المسلمين، وانتسب إليه الرافضة زورا، توفي سنة ٩٤هـ. انظر: سير أعلام النبلاء ٤/ ٣٨٦.

(٤) هو الباقر: أبو جعفر محمد بن علي بن الحسين بن علي أبي طالب، وهو من أئمة المسلمين، وانتسب إليه الرافضة، وعدوه من أئمتهم، توفي سنة ١٢٤هـ. انظر: سير أعلام النبلاء ٤/ ٤٠١.

(٥) هو جعفر الصادق: جعفر بن محمد الباقر بن علي زين العابدين بن الحسين بن علي بن أبي طالب الهاشمي

بالنص على علي، أو بعصمة الأئمة الاثني عشر، أو يسب أبا بكر وعمر، والمنقولات الثابتة المتواترة عن هؤلاء معروفة موجودة، وكانت مما يعتمد عليه أهل السنة.

وشيوخ الرافضة معترفون بأن هذا الاعتقاد في التوحيد والصفات والقدر لم يتلقوه لا عن كتاب ولا سنة، ولا عن أئمة أهل البيت، وإنما يزعمون أن العقل دلهم عليه، كما يقول ذلك المعتزلة ـ وهم في الحقيقة إنما تلقوه عن المعتزلة ـ وهم شيوخهم »[(١)].

ولا شك أن الروافض قولهم في القرآن موافق لقول المعتزلة في أنه مخلوق، خصوصا المتأخرين منهم؛ وإنما هناك فرقا يسيرا، وهو أنهم يقولون: إنه محدث، ولا يقولون: إنه مخلوق؛ كما بين ذلك شيخ الإسلام رحمه الله في منهاج السنة؛ فقال: « أتريد به أنه حادث في ذاته؟ أم حادث منفصل عنه؟.

والأول: قول أئمة الشيعة المتقدمين والجهمية والمرجئة والكرامية، مع كثير من أهل الحديث وغيرهم.

ثم إذا قيل: "حادث" أهو حادث النوع فيكون الرب قد صار متكلما بعد أن لم يكن متكلما؟ أم حادث الأفراد، وأنه لم يزل متكلما إذا شاء؟ والكلام الذي كلم به موسى ـ مثلا ـ هو حادث، وإن كان نوع كلامه قديما لم يزل؟.

فهذه ثلاثة أنواع تحت قولك: وقد علم أنك إنما أردت النوع الأول، وهو قول متأخري الشيعة، الذين جمعوا بين التشيع والاعتزال؛ فقالوا: إنه مخلوق خلقه الله منفصلا عنه، والإمامية وإن قالوا: هو محدث، وامتنعوا أن يقولوا: هو مخلوق؛ فمرادهم بالمحدث، هو مراد هؤلاء بالمخلوق، **وإنما النزاع بينهم لفظي** »[(٢)].

ومن أعظم ما تميز به الرافضة في اعتقادهم في القرآن الكريم قولهم فيه

= القرشي، أبو عبد الله، وهو من أئمة المسلمين، وانتسب إليه الرافضة زورا، ويعد ـ عند الإمامية ـ سادس الأئمة الاثني عشر، توفي سنة ١٤٨هـ. انظر: معجم المؤلفين ٣/ ١٤٥.

(١) منهاج السنة ٢/ ٣٦٨-٣٦٩.

(٢) منهاج السنة ٢/ ٣٧٠-٣٧١.

بالتحريف والزيادة والنقصان[(١)]، والرافضة سموا رافضة لكونهم يطعنون في الصحابة ﷺ، ومعلوم أن الذين نقلوا إلينا الدين: القرآن والسنة، هم الصحابة ﷺ، وحتى يسهل الطعن في الوحيين، وجه الرافضة سهامهم إلى ناقليه، ولهذا قال الإمام أبو زرعة الرازي رحمه الله: « **إذا رأيت الرجل ينتقص أحدا من أصحاب رسول الله ﷺ فاعلم أنه زنديق**، وذلك أن الرسول ﷺ عندنا حق، والقرآن حق، وإنما أدى إلينا هذا القرآن والسنن أصحاب رسول الله ﷺ، وإنما يريدون أن يجرحوا شهودنا ليبطلوا الكتاب والسنة، والجرح بهم أولى، وهم زنادقة »[(٢)].

فالروافض طعنوا في الصحابة ﷺ فسهل عليهم الطعن في المنقول عن طريقهم، سواء كان قرآنا أو كان سنة.

والروافض شابهوا اليهود من نواحٍ عدة، ومنها: أن اليهود حرفوا التوراة، وكذلك الرافضة حرفوا القرآن، بالتأويلات السخيفة والاعتقادات الزائفة، حيث جوزوا فيه التحريف والنقص والزيادة[(٣)].

ومخالفة الروافضِ في كون القرآن الموجود بين دفتي المصحف هو القرآن المنـزل على محمد ﷺ أمر معلوم متواتر، وسأذكر ما يدل على ذلك:

ومن ذلك زعمهم أن من ادعى أنه جمع القرآن كله غير علي ﷺ فقد كذب!! ومن ثم قالوا: إن الصحابة وعلى رأسهم الأئمة الراشدون، والخلفاء الثلاثة المهديون: أبو بكر وعمر وعثمان ﷺ قد حرفوا القرآن، وغيروا فيه، وأنقصوا منه سورا وآيات!![(٤)].

---

(١) انظر: حقيقة الخلاف بين علماء الشيعة وجمهور علماء المسلمين ص٨.

(٢) الكفاية في علم الرواية للخطيب الغدادي ص ٩٧، وأورده الحافظ ابن حجر في الإصابة ١/ ١٠.

(٣) انظر: الفصل في الملل والنحل لابن حزم ٢/ ٨٧، المعتمد في أصول الدين ص٢٥٩، منهاج السنة ١/ ٣٢.

(٤) انظر: الكافي للكليني: كتاب الحجة، باب/أنه لم يجمع القرآن كله إلا الأئمة!! ١/ ١٧٨، الاحتجاج للطبرسي ١/ ٤٦، ودلائل الإمامة للطبري الرافضي ص ٢٧، أجوبة الشبهات لدستغيب الرافضي

بل زعموا أن القرآن الحقيقي لا يمسه إلا المطهرون!! ولا يمكن لغيرهم أن يعلموه، أو يمسوه!![١].

وقالوا: «إن القرآن قد غير وبدل، وخولف بين نظمه وترتيبه، وأحيل عما أنزل إليه، وقرئ على وجوه غير ثابتة عن الرسول ﷺ، وأنه قد نقص منه، وزيد فيه!!»[٢].

ولِمَا في القول بنقص القرآن وعدم حفظه من حمق مشوب بكفر وسفه، تبرأ منه علماء الرافضة، لئلا يبقى عارا عليهم، لكن هل كان تبرؤهم تقية منهم!؟، أم يقصدون بأن القرآن غير المحرف القرآن المدعى بأنه قرآن علي ﷺ، أو قرآن فاطمة ﷺ المحفوظ عند الغائب مهديهم!!؟[٣].

ومنهم **الذي يحرفون الكلم عن مواضعه**، فادعوا أن هذا القول ليس قولا لهم فقط!! بل هو قول بعض أهل السنة!![٤] كما يقول الطبرسي[٥]: «أما الزيادة فيه فمجمع على بطلانها، وأما النقص: فقد روي عن قوم من أصحابنا، وقوم من حشوية العامة، والصحيح خلافه»[٦].

=

ص١٣١-١٣٢.

(١) انظر: فصل الخطاب للطبرسي ص٦-٧ من الطبعة الحجرية.

(٢) المعتمد في أصول الدين للفراء ص٢٥٨.

(٣) انظر: مقدمة كتاب: الإمامة والرد على الرافضة لأبي نعيم الأصبهاني للشيخ د.علي بن ناصر فقيهي ص١٢٤.

(٤) وقد سبق أن ذكرت أن أهل السنة مجمعون على أن القرآن هو الموجود بين الدفتين، وما سوى ذلك فهو إما منسوخ، أو تفسير للقرآن من النبي ﷺ، أو من الصحابة ﷺ ليس إلا، ولهذا كَفَّرَ أهل السنة من قال: إن القرآن ناقص أو زائد، ولو حرفا واحدا مما لم يرو على وجه التواتر من طريق القراءات الثابتة، وأفتوا بضلال وكفر من اعتقد الزيادة والنقصان في القرآن الكريم مطلقا، ونظرة واحدة إلى تفاسير أهل السنة في سورة الحجر، الآية ٩، تبين لك كم هم متفقونفي هذا القول. انظر: أي تفسير شئت من تفاسير أهل السنة عند الآية المشار إليها، وانظر: الشيعة الاثنا عشرية وتحريف القرآن لمحمد السيف ص٤ وما بعدها.

(٥) هو الرافضي المتكلم: الطبرسي:حسين بن محمد تقي الدين ابن محمد بن علي النوري الطبرسي، من مؤلفاته: فصل الخطاب في إثبات تحريف كتاب رب الأرباب!!، كشف الأستار عن وجه الغائب عن الأبصار، توفي سنة ١٣٢٠هـ. انظر: معجم المؤلفين ٤/ ٤٦.

(٦) مجمع البيان في تفسير القرآن للطبرسي، وانظر: جذور الإنحراف لحسين المعتوق الرافضي ص٢٧٠،
=

وما زعمه من نسبة القول إلى قومه، فهو على وجهه ومحله، وما نسبه إلى السنة ـ وسماهم الحشوية ـ فكذب مفضوح ودجل صريح، كيف وأهل السنة قد أجمعوا: على أن ما ثبتت قرآنيته بالتواتر، فهو موجود بين دفتي المصحف، مسطر فيه، وأن ما ليس فيه، فهو: إما نقل آحادا لا يعدوا أن يكون رأيا، أو قرآنا نسخ، أو حرفا ألغي في العرضة الأخيرة، وهذا الحق الذي ليس فيه ريب، وهو اليقين الذي دل عليه كلام الرب ﷻ وكلام الحبيب ﷺ وكلام الأصحاب ﷺ[(١)].

وقالوا: إن المصحف الموجود ليس كاملا[(٢)]، كما في كتبهم، وإليك بعض نصوصهم: «عن جابر الجعفي[(٣)] قال: سمعت أبا جعفر يقول: ما ادعى أحد من الناس أنه جمع القرآن كله كما أنزل إلا كذاب، وما جمعه وحفظه كما أنزله الله تعالى إلا علي بن أبي طالب، والأئمة من بعده!!»[(٤)]، ورووا «عن جابر الجعفي عن أبي جعفر أنه قال: ما يستطيع أحد يدعي أن عنده جميع القرآن ظاهره وباطنه إلا الأوصياء!!»[(٥)].

ويقولون بأن هناك مصحفا آخر، وهو عقيدة يدينون بها، أو ينكرونها تقية، فمن جملة ما في كتبهم: عن «أبي عبد الله يقول: تظهر الزنادقة سنة ثمان وعشرين ومائة، وذلك أني نظرت في مصحف فاطمة (ع) قال: قلت: وما مصحف فاطمة؟ قال: إن الله تعالى لما قبض نبيه ﷺ دخل على فاطمة (ع) من وفاته الحزن ما لا يعلمه إلا الله ﷻ؛ فأرسل الله إليها ملكا يسلي غمها، ويحدثها، فشكت ذلك إلى أمير المؤمنين (ع) فقال: إذا أحسست بذلك وسمعت الصوت قولي لي؛ فأعلمته بذلك؛ فجعل أمير

= ٢٦٩، ٢٧٤، وذكر الروايات مبتورة للوصول إلى مقصده، والقول بأن أهل السنة يقولون بالنقص في القرآن الكريم!!.

(١) انظر: أقوال أهل السنة في أن القرآن هو الموجود بين دفتي المصحف، في الفصل الرابع من الباب الأول.

(٢) الجامع لأحكام القرآن ١/ ٤١.

(٣) هو الكذاب الجعفي: جابر بن يزيد بن الحارث الجعفي الكوفي أحد علماء الشيعة، توفي سنة: ١٦٧هـ انظر: سير أعلام النبلاء ميزان الاعبدال ١/ ٣٧٩.

(٤) الكافي للكليني، كتاب الحجة، باب/ أنه لم يجمع القرآن كله إلا الأئمة!! وأنهم يعلمون علمه كله ١/ ١٧٨.

(٥) المصدر نفسه.

المؤمنين (ع) يكتب كلما سمع، حتى أثبت من ذلك مصحفا!!!، قال: ثم قال: أما إنه ليس فيه شيء من الحلال والحرام، ولكن فيه علم ما يكون!!»[(١)].

فهؤلاء الرافضة يعتقدون أن القرآن غير موجود؛ لأنه لم يجمعه إلا الأئمة، واختفى باختفاء مهديهم!![(٢)].

وهذا الكلام من أساسه ليس إلا افتراء على أبي جعفر رحمه الله، وإلا فإن عليا رضي الله عنه قد ولي الخلافة مدة خمس سنوات، فلم لم يأمر الناس بإحراق المصاحف التي كتبت في عهد عثمان رضي الله عنه، وإظهار المصحف الذي زعمه الرافضة، فهذا أوضح دليل على بطلان قولهم الكليل، وسخفهم العليل[(٣)].

ومما يزعمون أنه سقط من القرآن وهم يحفظونه!! ـ سورة النورين!![(٤)] وسورة الولاية!![(٥)].

ومنهم طائفة تقول: إن القرآن الكريم الموجود بين دفتي المصحف كامل،

---

(١) الكافي للكليني، كتاب الحجة، باب/ أنه لم يجمع القرآن كله إلا الأئمة!! وأنهم يعلمون علمه كله ١/ ١٨٥-١٨٦.

(٢) أي أن الحجة على الخلق غير قائم لعدم وجود ما يتعبدون به، وهو القرآن!!، فيفتي الفقهاء منهم، والعلماء والزهاد بما يرونه؛ لأنه لا قرآن، حتى يرجع القرآن بواسطة القائم!! ـ اللهم رحماك من مذهب هذا عقيدته في كتابك ـ.

(٣) انظر: مقدمة كتاب: الإمامة والرد على الرافضة لأبي نعيم الأصبهاني للشيخ د. علي بن ناصر فقيهي ص١٢٥-١٢٦.

(٤) ذكر هذه السورة كل من: ١ ـ الطبرسي في فصل الخطاب ص١٨٠. ٢ ـ محمد باقر المجلسي في كتابه تذكرة الأئمة ص١٨-١٩ باللغة الفارسية!!. ٣ ـ كتاب (دبستان مذاهب) باللغة الفارسية. ٤ ـ ميرزا حبيب الله الهاشمي الخوني في كتابه: مناهج البراعة في شرح نهج البلاغة ٢/ ٢١٧، وانظر: كتاب الشيعة الاثنا عشرية وتحريف القرآن لمحمد السيف ص٨١-٨٣.

(٥) ذكر هذه السورة كل من: ١ ـ ميرزا حبيب الله الهاشمي الخوني في كتابه: منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة ٢/ ٢١٧. ٢ ـ محمد باقر المجلسي في كتابه تذكرة الأئمة ص١٩-٢٠ باللغة الفارسية، منشورات مولانا من إيران، وانظر: الشيعة الاثنا عشرية وتحريف القرآن ص٨٣. ٣ ـ النوري الطبرسي في فصل الخطاب ص١٨٠، وانظر: عبد الله بن سبأ وإمامة علي بن أبي طالب لعلي عبد الرحمن السلمان ص١١٧، ولم ينكر العلماء المعتبرون الآخرون هذه الروايات!! ولم ينكروا على هؤلاء الموسومين بالآيات!!!!.

ولكن أيكون ذلك منهم تقية أم عقيدة؟[١]. وهؤلاء وإن قالوا بذلك، إلا أن عقيدتهم في القرآن الكريم كعقيدة المعتزلة ـ لو أثبتوه أنه كما أنزل ـ بل هم مضطربون؛ فمنهم من يقول: إنه مخلوق، ومنهم من يقول: إنه نزل أولا معناه جملة إلى محمد ﷺ ثم نزلت ألفاظه وحروفه منجّمة!![٢].

وقد تسمع منهم من يقول: إن القرآن غير مبدل، ولكن ماذا يقصدون؟ وأي شيء يريدون، أهي التقية أم يقصدون مصحفا آخر؟، أو يعنون به القرآن في حال دون حال!! وهذا الكلام مجمل منهم، حيث لم يقولوا بأن القرآن المنـزل على محمد ﷺ لم يحرف، ومن قال منهم: إنه لم يحرف فإنما يقصد المصحف المنـزل عليه ﷺ والموجود مع مهديهم المنتظر!! وليس المنـزل الموجود بين الدفتين، وبعضهم يقول: المصحف الموجود بين الدفتين لم يغير منه ولم ينقص، وهم إنما يعنون مصحف عثمان ﷺ، أي أن التحريف وقع في الأساس قبل جمع عثمان ﷺ، فما جمعه عثمان ﷺ هو بعض ذلك القرآن، وهو لم يتغير، هكذا يقولون ويلبسون[٣]. **وإليك هذا الكلام القاطع لتعلم كم**

(١) ولو كانت هذه المسألة عندهم عقدية لوجب أن يكفروا القائلين بنقصان القرآن الكريم وزيادته، والرد عليهم، هلا فعلوا!!!، وهذا الذي ظننته هو اليقين عندي، وقد وقفت على ما يؤيد ظني السابق ما ذكره القاضي أبو يعلى الفراء حيث بين أن أساس مذهب الرافضة مبني على القول بتحريف القرآن، فقال: «ولو ذهب ذاهب إلى ترك مناظرة الرافض ومكالمتهم، لكان قد ذهب مذهبا ليس ببعيد، وذلك أن المتناظرين إنما يتناظران ويَرِدَّان إلى أصل قد اتفق عليه، والأصول التي ترجع إليها الأمة فيما اختلفت فيه: الكتاب والسنة وإجماع الأمة وحجج العقول. وهذه الأصول الأربعة، لا يمكن الرجوع إليها على قول الرافضة، وذلك أن مذهبهم أن الكتاب مغير مبدل، وأنه قد ذهب أكثره؛ فلا يأمن أن يرد إلى آية فتكون منسوخة بآية من القرآن الغائب عنا الذي هو عند الإمام!!...». المعتمد في أصول الدين ص٢٥٩؛ فمن أصول مذهب الرافضة القول بتحريف القرآن الكريم. انظر: صب العذاب على من سب الأصحاب ص٤٧٨.

(٢) انظر: أجوبة الشبهات لدستغيب الرافضي ص١٣٠.

(٣) قال المحشي على كتاب نور البراهين ١/ ٥٢٦: «رويت روايات كثيرة من جهة الخاصة ـ أي الرافضة ـ، والعامة ـ أي أهل السنة ـ بنقصان كثير من آي القرآن!!...، والأولى الإعراض عنها، وترك التشاغل بها، لأنه لا يمكن تأويلها، **ولو صحت لما كان ذلك طعنا على ما هو موجود بين الدفتين؛ فإن ذلك معلوم صحته، لا يعترضه أحد من الأمة ولا يدفعه!!**...، وقد كتب معاصرونا كتبا مستقلة في مسألة عدم وقوع

في كلام القوم من التلبيس، وإليك الأدلة من غير تدليس:

١- أنهم زعموا أن المصحف الكامل لم يعرفه إلا الأئمة، واختفى باختفاء الإمام الثاني عشر!!.

٢- أنهم نصوا على أنه لم يجمع القرآن من الصحابة إلا علي ﷺ؛ وهذا يعني أن غيره لو جمعه فهو كاذب!!، كما نصوا على ذلك.

٣- أنهم قالوا: إن الصحابة قد ارتدوا عن الدين!!؛ فكيف يوثق بنقلهم، وتقبل روايتهم!! وهذا وحده يدل على أن القوم لا يقولون بأن المصحف الموجود هو كلام الله المنـزل كما أنزل على محمد ﷺ، وإلا لزمهم الترضي عن الصحابة، والقول بعدالتهم، إذ هم الرواة والنقلة لهذا المنقول، وفيه الثناء عليهم، والترضي عنهم، وهم لا يقولون بذلك كله.

٤- أنهم ألفوا الكتب، وبينوا أن القرآن قد غير، ويكفي ما قد ذكرت من نصوصهم، وليتضح المقال، انظر لما صنعه أحد ضلالهم حيث ألف كتابا بعنوان: "فصل الخطاب في إثبات تحريف كتاب رب الأرباب"، ـ وكتبا أخرى لغيره[(١)] ـ، ويطبع هذا الكتاب، في المطابع الرافضية، ولم ينكره أحد من علمائهم صراحة، وإن وقع الإنكار؛ فهو لعدم مناسبة الزمان!! لا دفاعا عن القرآن!![(٢)].

=

التحريف في القرآن المجيد». فهذا يؤكد أن من قال منهم: إنه غير محرف؛ فإنما يعني الموجود من جمع عثمان ﷺ، وأنه كما جمع، وبقي كما جمع. وأما المصحف الحقيقي فيبحثون عنه!! وينتظرونه مع المنتظر!! أما دعواه على أهل السنة فكذب محض.

(١) انظر: مصادر التلقي ص١٣٧-١٣٨.

(٢) قال الشيخ محب الدين الخطيب عن كتاب "فصل الخطاب": «جمع فيه مئات النصوص عن علماء الشيعة، ومجتهديهم، في مختلف العصور بأن القرآن قد زيد فيه، ونقص منه، وقد طبع كتاب الطبرسي هذا في إيران سنة ١٢٩٨هـ، وعند طبعه قامت حوله ضجة؛ لأنهم كانوا يريدون أن يبقى التشكيك في صحة القرآن محصورا بين خاصتهم، ومتفرقا في مئات الكتب المعتبرة عندهم، وأن لا يجمع ذلك كله في كتاب واحد، تطبع منه ألوف النسخ، ويطلع عليه خصومهم، فيكون حجة عليهم، ماثلة أمام أنظار الجميع، ولما أبدى عقلاؤهم هذه الملاحظات، خالفهم فيها مؤلفه، وألف كتابا آخر سماه: "رد بعض الشبهات =

٥- أن صاحب كتاب "فصل الخطاب..." نص على أن القرآن الموجود في المصاحف ليس فيه نزاع، وإنما النـزاع في الأساس؛ فقال في مقدمة كتابه: « هذا كتاب لطيف!! وسفر شريف! عملته في: إثبات تحريف القرآن! وفضائح أهل الجور والعدوان! وسميته: **فصل الخطاب في إثبات تحريف كتاب رب الأرباب**، وجعلت له ثلاث مقدمات، وبابين، وأودعت فيه من بدائع الحكمة ما تقر به كل عين!!(١)... **المقدمة الأولى**: في نبذ مما جاء في جمع القرآن، وسبب جمعه، وزمانه، وكونه في معرض تطرق النقص والاختلاف بالنظر إلى كيفية الجمع!!(٢). **المقدمة الثانية**: في بيان أقسام الاختلاف والتغيير الممكن حصوله في القرآن، والممتنع دخوله فيه!!(٣). **المقدمة الثالثة**: في ذكر أقوال علمائنا في تغيير القرآن وعدمه(٤) ـ ثم قال بعد أن ذكر زبالة أفكاره، وحثالة رواياته قبل البدء بالمقدمة الثالثة ـ: « واعلم أنه قد ظهر مما مر أنه كان للقرآن حالات: أ ـ حال التفرق والشتات قبل زمان جمع الشيخين. ب ـ حال الاجتماع بعده إلى زمان جمع عثمان. ج ـ حاله بعد جمعه، **ومحل النـزاع في تطرق التغيير فيه، وعدمه، إنما هو في أحد الحالين الأولين، وأما في الأخير فلا خلاف لأحد فيه، بل الكل متفقون على أنه الآن باقٍ على ما كان عليه في عهده »**(٥)، **ومن تأمل هذا الكلام يعلم أن « المؤلف بتفصيله هذا**: إن دعوى النقص في القرآن، ومحل النـزاع فيه هو في جمع القرآن من أساسه في زمن الشيخين أبي بكر وعمر ﷺ هل جمع كاملا أم لا؟!...، أما

= عن فصل الخطاب في إثبات تحريف كتاب رب الأرباب"، وقد كتب هذا الدفاع في أواخر حياته، قبل موته بنحو سنتين ». الخطوط العريضة ص١٤-١٥.

(١) ربما إذا كان أعور عن الحق، أو أعمى عن الصواب، فتقر بذلك، وأما عيون المتبعين للسنة والقرآن فلا تقر بهذا الهراء، ولا تقر إلا بنفي هذا الخواء، واعتباره من السموم التي تعمي عيون الأتقياء، وتدمع قلوب الصلحاء.

(٢) فصل الخطاب لحسين نوري الطبرسي الرافضي ص٢ من الطبعة الحجرية.

(٣) فصل الخطاب ص٢٤ من الطبعة الحجرية.

(٤) فصل الخطاب ص٢٦ من الطبعة الحجرية.

(٥) فصل الخطاب ص٢٦ من الطبعة الحجرية.

الإجماع المحكي فقد بين المؤلف أن المقصود به أن مصحف عثمان الموجود الآن هو باقٍ على ما كان عليه في عهده، وأن الجميع متفقون على ذلك، أي أن الذي وجد وجمع في عهد عثمان ﷺ لم يغير حتى الآن، ولكنه لا يشتمل على القرآن كله، كما أنزله الله؛ لأنه لم يجمعه كاملا كما أنزل إلا علي بن أبي طالب ﷺ »[1].

٦- **ومما يؤكد أن الروافض يقولون بتحريف القرآن الكريم، وأن الموجود منه ناقص ومبدل!! أن الذين** ألفوا وبينوا وذكروا تحريف القرآن الكريم، هؤلاء المؤلفون: « نالوا أكبر تعظيم من الشيعة أنفسهم، وعلى سبيل المثال: الطبرسي، والذي ألف كتابا سماه "فصل الخطاب..." دافعوا عن كتابه لما رُد عليه وعورض في إخراجه؛ فبالله عليك ماذا حدث له؟ هل قتل ردة؟؟، هل سجن؟ هل ضادته الشيعة كما ضاد الدين؟ الجواب كما هو معلوم: لا...!!، بل عزز، وكرّم، ودفن في مكان من أعظم الأمكنة ـ عندهم وأقدسها ـ وبعض كتبه تعتبر من الكتب الحديثية المعتبرة عند الشيعة...!!»[2].

٧- **ومما يؤكد** أن القوم يرون أن القرآن محرف سعيهم لما اندثر من الخلاف بين الأسلاف، أن يحيوه من جديد بقصد الائتلاف، وقد وجد في عهد أبي حامد الاسفرائيني رحمه الله في بغداد طائفة من الناس زعموا أنهم وجدوا مصحفا لابن مسعود ﷺ، وكان فيه خلاف كثير، فأمر الشيخ أبو حامد والفقهاء بإحراقه؛ فثارت ثائرة الشيعة الرافضة!! ـ مع أنهم لا يوقرون ابن مسعود ﷺ ولا يرون قراءته، ومصحفه ـ وفعلوا ذلك إيقادا للرماد، وإيجاد الشبهات لأهل الإلحاد، فقاموا وسبوا وشتموا من أحرق ذاك المصحف!! ووقع بسبب ذلك القتال بين أهل السنة والرافضة في بغداد[3].

٨- **أن القائلين** بتحريف القرآن هم جلة أئمة الشيعة وعلمائهم؛ فإما أن يتبرؤوا منهم!!، أو يقولوا بقولهم، والأول لم يقع، فبقي الثاني، وهو الثابت عنهم، وإنما قد

---

(١) من كلام شيخنا د. علي بن ناصر فقيهي في مقدمة كتاب الإمامة لأبي نعيم الأصبهاني ص١٣٥.

(٢) علماء الشيعة يقولون ص٦.

(٣) انظر: شذرات الذهب ٣/ ١٤٩.

يقولون بأنه لم يحرف تقية من غير تصريح[١]. ومما يدل على أن من أنكر التحريف فإنما ذلك تقية أمور كثيرة ـ غير ما ذكرته ـ ومنها على سبيل الإيجاز: أ ـ أنهم لم يؤلفوا كتبا في الرد على من قال بالتحريف على وجه التصريح، ولم يرتبوا عليه حكما شرعيا كالردة. ب ـ أنهم يلقبون القائلين بالتحريف بالأئمة والآيات والأعلام!! ويتخذونهم مراجع!! ج ـ أن من أنكر منهم النقص والتحريف فلماذا لا يذكر ما يثبت ذلك من أقوال الأئمة، كما أثبت القائلون بالتحريف الأقوال عن أئمتهم بالتحريف؟! إلا أن لا يكون ذلك واردا عن الأئمة وإنما هو اجتهاد منه!! د ـ أنه قد ثبت عن الأئمة النقل بالتحريف، وفي تأويلها تعسف، فإما أن يردوها ـ وهي متواترة!! ـ أو أنهم يقولون بها، أو يخالفونها تقية!![٢].

أن متأخري الروافض كأوائلهم ـ إلا من كان منهم طالبا للحق، غير عامل بالتقية، كبعض المتأثرين بالاعتزال في المقال ـ؛ فهذا رافضي متأخر يقول: «والحاصل فالأخبار من طريق أهل البيت (ع) أيضا كثيرة، إن لم تكن متواترة، **على أن القرآن الذي بين أيدينا ليس هو القرآن بتمامه كما أنزل على محمد (ص)!! بل منه ما هو خلاف ما أنزل الله، ومنه ما هو محرف، ومغير!!، وأنه قد حذف منه أشياء كثيرة!!! منها اسم علي (ع) في كثير من المواضع، ومنها لفظة آل محمد (ع)، ومنها أسماء المنافقين، ومنها غير ذلك!! وأنه ليس على الترتيب المرضي عند الله**[٣]، **وعند رسول الله(ص)!!**»، ثم ذكر أمثلة كثيرة بزعمه آيات

---

(١) وقد ذكر مؤلف كتاب: الشيعة الإثنا عشرية وتحريف القرآن علماء الشيعة القائلين بالتحريف، وعد منهم العشرات من كبار علمائهم، وأئمتهم. انظر: ص ٩-٣٩، وذكر المصنف ستة من كبار علماء الشيعة القائلين بأن التحريف في القرآن الكريم متواتر ومستفيض!!. انظر: ص٤٠-٤١، وذكر من علمائهم من يقول: إن القول بتحريف القرآن من ضروريات المذهب الرافضي الشيعي. انظر: ص٤٢، ثم أورد أسماء وأقوال علماء الشيعة الروافض القائلين بأن تحريف القرآن أمر مجمع عليه بين الروافض جميعهم. انظر: ص٤٣، ثم ذكر المصنف بعض العلماء القائلين بعدم التحريف "تقية" وعد منهم ثلاثة فقط. انظر: ص٨٤، وانظر كتاب: عبد الله بن سبأ وإمامة علي بن أبي طالب لعلي بن عبد الرحمن السلمان ص ١٠٦ وما بعدها.

(٢) انظر: هذه الوجوه في كتاب: الشيعة الإثنا عشرية وتحريف القرآن لمحمد السيف ص ٨٥.

(٣) وهذا الكلام من الرافضة بالاتفاق ـ سواء منهم من قال بتحريف القرآن صراحة، أو الذين قالوا: بعدم التحريف تقية ـ يقولون: إن القرآن الموجود ليس على الترتيب المرضي عند الله ﷻ. انظر: أجوبة الشبهات لدستغيب الرافضي ص١٣١، حيث يقول: «أما سبب عدم جمع القرآن وترتيبه على كيفية النزول؛ فهو يُعد بشكل عام واحدا من المحروميات التي أصيبت بها الأمة، والمجتمع الإسلامي، نتيجة

حرفت!!، وأوردُ مثالا واحدا ليطلع ـ على عقائد هؤلاء ـ المنصف المتبع للحق، قال: « أما ما كان خلاف ما أنزل الله؛ فهو قوله تعالى: ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ ﴾[آل عمران:١١٠] **فقال أبو عبد الله (ع)** لقارئ هذه الآية: خير أمة تقتلون أمير المؤمنين؟[(١)]، والحسين بن علي (ع)!!؛ فقيل له: كيف نزلت يا ابن رسول الله؛ فقال: إنما نزلت **"خير أئمة أخرجت للناس"** »[(٢)]، **فهذا يؤكد أن أي شيعي فلا بد أن يعتقد تحريف القرآن؛ لأنه ثابت عندهم عن الإمام المعصوم!!، وإلا فليطرحوا جميع رواتهم، وليتركوا جميع مروياتهم**، وانظر إلى آخر على شكله، وهو يقول: « **إن الأخبار قد جاءت مستفيضة عن أئمة الهدى من آل محمد (ص) باختلاف القرآن، وما أحدثه بعض الظالمين فيه من الحذف والنقصان!!...، وأما النقصان فإن العقول لا تحيله، ولا تمنع من وقوعه!!** »[(٣)]، وهؤلاء المتأخرون يؤلفون حول تحريف القرآن كأوائلهم؛ فيقولون: « إن جماعة من المحدثين، وحفظة الأخبار

= التخلف والانحراف عن خط أهل البيت »، وقد سبق أن بينت أن ترتيب السور على ما هي عليه سواء قلنا: إنه توقيفي ـ وهو الرأي الراجح ـ أو قلنا: إنه باجتهاد من الصحابة ﷺ بما فيهم علي ﷺ فإنه مرضي عند الله ﷻ، إذ الأمة لا تجتمع على ضلالة؛ فثبت على قولي أهل السنة أن هذا الترتيب هو الترتيب الذي رضيه الله ﷻ، وحفظ على ترتيبه كتابه، قال ابن حزم رحمه الله ـ مبينا أن ترتيب السور هو المرضي عند الله تعالى؛ فـ « رتبة الآية، ورتبة السور مأخوذة عن الله ﷻ إلى جبريل، ثم إلى النبي ﷺ، لا كما يظنه أهل الجهل أنه ألف بعد موت النبي ﷺ، ولو كان ذلك ما كان القرآن منقولا نقل الكافة، ولا خلاف بين المسلمين، واليهود، والنصارى، والمجوس أنه منقول عن محمد ﷺ نقل التواتر ». الإحكام في أصول الأحكام لابن حزم ٢/ ٢٧٧، وابن حزم ﷺ من العلماء الذين يرى أن الترتيب توقيفي.

(١) ومعلوم أن الخطاب بأنهم خير أمة موجه للصحابة ﷺ، والذين قتلوا عليا والحسن والحسين هم الخوارج والرافضة أنفسهم!!؛ فلا وجه لإيراد الإنكار، إلا التحريف والكذب والاستكبار.

(٢) مشارق الشموس في أحقية مذهب الإخبارية للعلامة الحجة السيد!!عدنان بن السيد علوى آل الموسوي البحراني المتوفى سنة ١٣٤٨هـ، ص١٢٧، وممن يقول بتحريف القرآن الكريم من المتأخرين الخوئي المتوفى سنة ١٤١٣هـ، وهو مرجع الشيعة الإمامية في هذا الزمان!!؛ فهو يؤكد أن روايات الشيعة في تحريف القرآن لا تثبت لأنها آحاد، وحتى لا يلام في الإنكار جعل لنفسه خط رجعة فقال مبينا أنها تعتضد، و« تورث القطع بصدور بعضها عن المعصومين، ولا أقل من الاطمئنان إلى ذلك!! ». انظر: البيان في تفسير القرآن له ص٢٢٦.

(٣) أوائل المقالات ص٩١، نقلا عن كتاب علماء الشيعة يقولون ص٢٢٥، ١٨.

استظهروا التحريف بالنتيجة من الأخبار، ولذلك ذهبوا إلى التحريف بالنقصان!!»[١]، ثم ذكر هذا القائل جمعا غفيرا منهم[٢]، وأمثلة على ما زعم أنه محرف، أو ناقص منه!! بل إن القول بالتحريف عند الروافض بلغ مبلغ التواتر، قالوا: «روى أصحابنا، ومشايخنا في كتب الأصول من الحديث وغيرها، **أخبارا كثيرة بلغت حد التواتر في أن القرآن قد عرض له التحريف، وكثير من النقصان والزيادة!!**»[٣]، **ويجلي هذا أن كتاب "فصل الخطاب..."** يذكره كثير من علمائهم، ولا يكفرون مؤلفه، بل يجلونه، ويوقرونه[٤]، ومعلوم أن الرضا بالكفر كفر، فإما أن يكون قال كفرا؛ فلا يكون إماما إلا في الكفر والضلالة، أو يكون قال حقا؛ فيتبع!!، وهذا الذي فعلوه ـ وهو اتباعه ـ حقيقة، وأنكروا قوله تقية.

١٠- **قال أبو الحسن الأشعري** رحمه الله: «واختلف الروافض في القرآن، هل زيد فيه أو نقص منه؟! وهم ثلاث فرق: **فالفرقة الأولى**: منهم يزعمون أن القرآن قد نقص منه، وأما الزيادة فلذلك غير جائز أن يكون قد كان، وكذلك لا يجوز أن يكون قد غير منه شيء عما كان عليه؛ فأما ذهاب كثير منه فقد ذهب كثير منه!!، والإمام يحيط علما به!!... **والفرقة الثالثة منهم**: وهم القائلون بالاعتزال[٥]، والإمامة، يزعمون أن القرآن ما نقص منه، ولا زيد فيه، وأنه على ما أنزل الله تعالى على نبيه ﷺ لم يغير، ولم يبدل، ولا زال على ما كان»[٦].

١١- **أن هذا القول**، وهو القول بالتحريف مشهور منذ العصور القديمة، **حتى أن ابن حزم** رحمه الله لم يعدهم من المسلمين، بسبب هذا القول المهين في القرآن المبين؛

(١) آراء حول القرآن لآية الله العظمى الأصفهاني ص٨٨.

(٢) وانظر: تفسير البرهان للقمي ١/ ٧٩، مرآة العقول ١٢/ ٥٢٥، كتاب الصافي في تفسير القرآن ١/ ٧٥.

(٣) نور البراهين ١/ ٥٢٦، مصابيح الأنوار ص٢٥٩، من كتاب علماء الشيعة يقولون ص ١٩، ١٧.

(٤) انظر: مستدرك الوسائل ومستنبط المسائل للطبرسي ١/ ٥٠ من المقدمة.

(٥) وهذا يؤكد أن الذين يغلبون جانب العقل، وقد يسمون أنفسهم بالعقلانيين، ويخالفون الإخباريين الفقهاء قديما وحديثا لا يرون تحريف القرآن ـ اللهم إلا أن يكون تقية أيضا ـ!!

(٦) مقالات الإسلاميين ص ٤٧.

فقال: «وأما قولهم ـ أي قول أهل الكتاب ـ في دعوى الروافض تبديل القرآن؛ فإن الروافض ليسوا من المسلمين»[١]، وقال شيخ الإسلام ﷺ: «وكذلك ـ أي يكفر ـ من زعم منهم أن القرآن نقص منه آيات وكتمت[٢]، أو زعم أن له تأويلات باطنة تسقط الأعمال الشرعية، ونحو ذلك، وهؤلاء يسمون القرامطة، ومنهم التناسخية، وهؤلاء لا خلاف في كفرهم»[٣].

وبهذا يظهر لكل منصف أن الروافض يقولون بتحريف القرآن الكريم، سواء صراحة، أو تلبيسا وتدليسا، أو ينفون ذلك تقية، وأن من قال منهم صراحة بنفي ذلك وكفر القائل بذلك فهم قلة ـ إن وجدوا ـ.

وأما الجواب عن شبهة الرافضة في ادعائهم النقص والزيادة في القرآن الكريم فمن وجوه عدة:

١ - قول الله ﷻ: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَـٰفِظُونَ ﴾[الحجر:٩] فقد ضمن الله ﷻ حفظ كتابه بهذه الآية، ولم يكل أمر حفظه إلى أحد من البشر، فمعنى الآية «إنا نحفظ ذلك الذكر، من التحريف والزيادة والنقصان... إن أحدا لو حاول تغيير حرف أو نقطة لقال له أهل الدنيا: هذا كذب، وتغيير لكلام الله، حتى إن الشيخ المهيب لو اتفق له لحنٌ، أو هفوة، في حرف من كتاب الله تعالى لقال له الصبيان: أخطأت أيها الشيخ، وصوابه كذا وكذا...، واعلم أنه لم يتفق لشيء من الكتب مثل هذا الحفظ؛ فإنه لا كتاب إلا وقد دخله التصحيف والتحريف والتغيير، إما في الكثير منه، أو في القليل، وبقاء هذا الكتاب مصونا من جميع جهات التحريف ـ مع أن دواعي الملاحدة، واليهود، والنصارى، متوفرة على إبطاله، وإفساده ـ من أعظم المعجزات»[٤].

---

(١) الفصل في الملل والنحل لابن حزم ٢/ ٧٨.

(٢) كقول الروافض إن الصحابة كتموا آيات من القرآن الكريم!!

(٣) الصارم المسلول على شاتم الرسول ص٤٢٠.

(٤) مفاتيح الغيب للرازي ١٩/ ١٦٠-١٦١.

٢- قوله ﷻ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِٱلذِّكْرِ لَمَّا جَآءَهُمْ ۖ وَإِنَّهُۥ لَكِتَٰبٌ عَزِيزٌ ﴿٤١﴾ لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ ۖ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾[فصلت:٤١-٤٢] وهذه الآية نص على أن من لم يعتقد حفظ القرآن وصيانة الذكر المنـزل فإنه من الذين كفروا بالذكر، والمراد بالذكر "القرآن الكريم"[١].

٣- قوله ﷻ: ﴿الٓمٓ ﴿١﴾ ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ لَا رَيْبَ ۛ فِيهِ ۛ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ﴾[البقرة:١-٢] وكيف يكون هدى للمتقين وهو ناقص؛ فلا ريب أنه كتاب معظم محفوظ ممجد، لا يأتيه الريب والشك، لا في لفظه، ولا في معناه، ولهذا كان هدى للمتقين، وهؤلاء المتقون من سماتهم أنهم يؤمنون بالمنـزل على محمد ﷺ كما في الآيات بعدها، ويؤمنون بما أنزل من قبل، وقد جاء الخبر في القرآن بأن ما أنزل من قبل غير، وصدقنا القرآن، وجاء الخبر في القرآن بأن القرآن محفوظ؛ فنصدق القرآن إن كنا مؤمنين به حقا.

٤- «قال ابن عباس رضي الله عنهما وقد سئل: أترك النبي ﷺ من شيء؟ قال: ما ترك إلا ما بين الدفتين، وقال محمد ابن الحنفية مثل ذلك»[٢]، وترجم له الإمام البخاري رحمه الله فقال: «باب من قال: لم يترك النبي ﷺ إلا ما بين الدفتين»[٣]، قال الحافظ رحمه الله: «هذه الترجمة للرد على من زعم أن كثيرا من القرآن ذهب لذهاب حملته، وهو شيء اختلقه الروافض، لتصحيح دعواهم أن التنصيص على إمامة علي واستحقاقه الخلافة عند موت النبي ﷺ ثابت في القرآن، وأن الصحابة كتموه، وهي دعوى باطلة؛ لأنهم لم يكتموا مثل: "أنت مني بمنـزلة هارون من موسى"[٤]، وغيرها من الأمور التي قد

---

(١) يقول أحد الروافض في شرحه للآية المذكورة: «العزيز الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه، ولا من خلفه، وهذا لا ينافي تطرق التغيير لما بين أيدينا من القرآن، وهو ما بين الدفتين؛ لأن ذلك الوصف باعتباره في نفسه!!» الأنوار الوضية في العقائد الرضية ص٢٨، نقلا عن كتاب علماء الشيعة يقولون ص ٢٠، وذكر المحشي أن علماء الرافضة اختلفوا في هذه المسألة!! وهل يختلف المسلمون في كتاب ربهم، وأنه من عنده، وأنه باق كما أنزله، إلا من طمست بصيرته، وعميت فطرته، ودنست عقيدته بعقيدة الطعن في الإسلام وحملته.

(٢) رواهما البخاري معلقا مجزوما به، كتاب فضائل القرآن، باب/ ١٦، ح(٥٠١٩).

(٣) صحيح الإمام البخاري، كتاب فضائل القرآن، باب/ ١٦، ص١٠٩٢.

(٤) رواه مسلم، كتاب فضائل الصحابة، باب/ من فضائل علي رضي الله عنه، ح(٢٤٠٤) عن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه.

يتمسك بها من يدعي إمامته، كما لم يكتموا ما يعارض ذلك، أو يخصص عمومه، أو يقيد مطلقه، وقد تلطف المصنف في الاستدلال على الرافضة بما أخرجه عن أحد أئمتهم ـ الذين يدعون إمامته ـ وهو محمد بن الحنفية وهو ابن علي ابن أبي طالب؛ فلو كان هناك شيء ما، يتعلق بأبيه لكان هو أحق الناس بالإطلاع عليه، وكذلك ابن عباس ﷺ فإنه ابن عم علي ﷺ، وأشد الناس له لزوما، واطلاعا على حاله»[(١)].

٥- **دليل الإجماع**: فـ «القرآن جمع بمحضر من الصحابة ـ بما فيهم علي ﷺ ـ، وأجمعوا عليه، ولم ينكر منكر، ولا رد أحد من الصحابة ذلك، ولا طعن فيه، ولو كان مغيرا مبدلا، لوجب أن ينقل عن أحد من الصحابة أنه طعن فيه؛ لأن مثل هذا لا يجوز أن يكتم في مستقر العادة، ولو جوزنا ذلك، لوجب أن يجوز على الله ﷻ قد أوجب أكثر من خمس صلوات، وأوجب صوم شهر أكثر من شهر رمضان، ولما بطل ذلك، وجب القطع بأن القرآن ما غير ولا بدل»[(٢)]، قال ابن حزم ﷺ: «إن عثمان بن عفان ﷺ لم يك[(٣)] إلا وجزيرة العرب كلها مملوءة بالمسلمين، والمصاحف، والمساجد، والقراء يعلمون الصبيان والنساء، وكل من دب وهب، واليمن كلها، وفي أيامه مدن وقرى، والبحرين كذلك، وعمان كذلك، وهي بلاد واسعة مدن وقرى، وملكها عظيم، ومكة، والطائف، والمدينة، والشام كلها كذلك، والجزيرة كذلك[(٤)]، ومصر كلها كذلك، والكوفة، والبصرة كذلك، في كل هذه البلاد من المصاحف والقراء ما لا يحصي عددهم إلا الله تعالى وحده، فلو رام عثمان ﷺ ما ذكروا ما قدر على ذلك أصلا، وأما قولهم: إنه جمع الناس على مصحف فباطل، ما كان يقدر على ذلك لما ذكرنا، ولا ذهب عثمان ﷺ قط إلى جمع الناس على مصحف كتبه، إنما خشي ﷺ أن يأتي فاسق يسعى في كيد الدين، أو أن يهم واهم من أهل الخير؛ فيبدل شيئا من المصحف، يفعل

---

(١) الفتح ٨/ ٦٨٣.

(٢) المعتمد في أصول الدين للفراء ص٢٥٨.

(٣) أي لم يول الخلافة بعد.

(٤) المقصود بالجزيرة ما بين النهرين دجلة والفرات.

ذلك عمدا، وهذا وهما؛ فيكون اختلاف يؤدي إلى الضلال؛ فكتب مصاحف مجتمعا عليها، وبعث إلى كل أفق مصحفا، لكي إن وهم واهم، أو بدل مبدل رجع إلى المصحف المجتمع عليه؛ فانكشف الحق، وبطل الكيد، والوهم فقط »[(١)]، فكتابة عثمان ﷺ للقرآن إنما كانت لإبقائه أصلا يرجع إليه عند التحاكم والاختلاف، وهو أشبه ما يكون بتدوين السنة؛ فإذا اختلف في حديث ما رجعنا إلى الأصول المؤلفة، ويطرح ما عدا ذلك، وهكذا فعل عثمان ﷺ حيث جمع القرآن الذي عرض في العرضة الأخيرة، وطرح ما سواه مما كان رواية، أو تفسيرا، أو منسوخا، أو قولا لصاحب.

٦- كيف يقال إن الصحابة ﷺ اجتمعوا على النقص في المصحف، أو الزيادة منه، ولو « رام اليوم أحد أن يزيد في شعر النابغة، أو شعر زهير كلمة، أو ينقص أخرى ما قدر، لأنه كان يفتضح الوقت، وتخالفه النسخ المثبوتة؛ فكيف بالقرآن في المصاحف،وهي من آخر الأندلس، وبلاد البربر، وبلاد السودان إلى آخر السند، وكابل، وخراسان، والترك، والصقالبة، وبلاد الهند، فما بين ذلك، **فظهر حمق الرافضة، ومجاراتها بالكذب**»[(٢)].

٧- لو فُرض التغيير والتبديل، أو الزيادة أو التقليل، لما كان لأسد الله وأسد رسوله علي ﷺ أن يسكت، وهو من هو في إجلاله لعظمة الله، وحميته لدين الله ﷻ؛ فلما وقع منه الرضا بما في المصحف، وعدم الاعتراض عليه، من غير إكراه، علمنا أنه على ما أنزل، ثم أيضا ولي الخلافة، فلِمَ « لم يبينه ويصلحه، ويبين للناس بيانا عاما، أنه أصلح ما كان مغيرا؛ فلما لم يفعل ذلك، بل كان يقرأه، ويتلوه، دل أنه غير مبدل، ولا

---

(١) الفصل في الملل والنحل لابن حزم ٢/ ٧٧، فقول ابن حزم ﷺ أن الكتابة إنما كانت بسبب الخوف، وهو سبب، ولكن الأساس أنهم اختلفوا في الأحرف؛ فمنهم من كان يقرأ بمنسوخ ولا يعلم، ومنهم من كان يقرأ بآية نزلت ولا يعلم بها الآخر، فجمعهم على ما كان قرآنا بقي ورسول الله ﷺ توفي وهي من الآيات المحكمة الباقية رسما وحكما، أو رسما فقط؛ فجمعهم عثمان عليها، وأخذ ذلك مما جمعه أبو بكر ﷺ، ولم يفعل شيئا جديدا إلا أنه أمر بترتيب السور بحسب ما سمعوه ورأوه، وأمر بما عدا ذلك من المصاحف فحرقت حتى لا تكون سببا للخلاف.

(٢) الفصل في الملل والنحل لابن حزم ٢/ ٨٠.

مغير»[(١)]، لأن «القرآن يقرأ في المساجد في كل مكان، وهو يؤم الناس به، والمصاحف معه، وبين يديه، فلو رأى فيه تبديلا ـ كما تقول الرافضة ـ أكان يقرهم على ذلك، ثم إلى ابنه الحسن، وهو عندهم كأبيه، فجرى على ذلك؛ **فكيف يسوغ لهؤلاء النوكى أن يقولوا: إن في المصحف حرفا زائدا، أو ناقصا، أو مبدلا مع هذا، ولقد كان جهاد من حرّف القرآن، وبدل الإسلام أَوْكَدُ عليه من قتال أهل الشام الذين إنما خالفوه في رأي يسير رأوه، ورأى خلافه فقط، فلاح كذب الرافضة، ببرهان لا محيد عنه، والحمد لله رب العالمين**»[(٢)].

٨- **ثم إذا كان** هذا الموجود ليس هو القرآن المنـزل كما أنزل، فأين هو القرآن المنـزل؟!؟[(٣)]؛ فإن قالوا: إنه مع المنتظر، وإذا ظهر سيظهر، فإن هذا يقوله كل مدع، وإلا فإن الأصل أنه لا يكون قرآنا إلا ما كان موجودا عند المسلمين، وإلا فلا يسمى قرآنا، وإلا لصحّت تسمية كل كلام لله ﷻ قرآنا، ومعلوم أن الأمر ليس كذلك، وأن القرآن اسم مخصوص بما هو موجود في مصاحف المسلمين.

٩- **قال القاضي أبو يعلى** رحمه الله: «والقرآن ما غير، ولا بدل، ولا نقص منه حرف، ولا زيد فيه، خلافا للرافضة القائلين: إن القرآن قد غير وبدل، وخولف بين نظمه، وترتيبه»[(٤)].

١٠- **يؤكد القول** بأن القرآن لم تنله أيدي التحريف قط، منذ نزوله وحتى

---

(١) المعتمد في أصول الدين للفراء ص ٢٥٨.

(٢) الفصل في الملل والنحل لابن حزم ٢/ ٨٠-٨١.

(٣) ويذكر الروافض أن الأئمة: «أمروا شيعتهم بقراءة هذا الموجود من القرآن في الصلاة، وغيرها، والعمل بأحكامه حتى يظهر مولانا صاحب الزمان؛ فيرتفع هذا القرآن من أيدي الناس إلى السماء، ويخرج القرآن الذي ألفه أمير المؤمنين (ع) فيقرأ ويعمل بأحكامه!!» الأنوار النعمانية لنعمة الله الجزائري ٢/ ٣٦٠، وقد نص غير واحد من علمائهم على أن القرآن مع المهدي؛ فكما اختفى المهدى اختفى القرآن!!. انظر: الشيعة الإثنا عشرية وتحريف القرآن لمحمد السيف ص ٧٨ وما بعدها، وهاهنا وقفة: كيف يأمرون أتباعهم أن يعملوا بقرآن محرف!!، وهم يعتقدون أنه مغير، وكيف يأمرونهم بقراءته، إلا أن يكون ذلك تقية مع أتباعهم أيضا!!!.

(٤) المعتمد في أصول الدين للفراء ص ٢٥٨.

الساعة، وإلى قيام الساعة، قول بعض الرافضة أنفسهم ـ سواء كان ذلك منهم تدينا، أو تقية؛ فهي حجة عليهم في كلتا الحالتين ـ حيث يقولون عن القرآن: «في كتاب مكنون، لا يمسه إلا المطهرون:... والمكنون هو المحفوظ الذي لا تناله الأيدي، وأحد وجوه التفسير لـ"مكنون" هو اللوح المحفوظ، أي أن القرآن ثبت في اللوح المحفوظ أولا، ثم نزل على مدى ثلاث وعشرين سنة بالتدريج على خاتم الأنبياء، فالقرآن كتاب محفوظ محروز عند الله... الوجه الثاني: أن هذا القرآن المصحف بشكله هذا، وبكلماته، وسطوره لم تمسه يد الخيانة، ولن تمسه، أي لا يمكنها زيادة شيء عليه، وهذه من معجزات القرآن، أن لا تناله يد الخيانة، من أول نزوله إلى الآن؛ فلا يمس هذا الكتاب إلا المطهرون»[1].

ومن شبههم في قولهم بتحريف القرآن، وأن ذلك قول أهل السنة!، ما روي عن بعض الصحابة ﷺ من مثل ما يروى عن عثمان ﷺ: «إن في القرآن لحنا ستقيمه العرب»[2]، وإنكار ابن مسعود ﷺ كيف جمع زيد بن ثابت ﷺ وأنه أنكر أن تكون المعوذتان من القرآن!!، وإنكار أبي ﷺ ونحو ذلك من الآثار.

والجواب عن هذه الشبه من عدة أوجه:

١- أن في ثبوت مثل هذه الآثار كلاما معروفا عند أهل الأخبار، وعند المحدثين النقاد أولي الأبصار، وقد أنكر نسبة إنكار ابن مسعود ﷺ للمعوذتين: ابن حزم[3]، والرازي[4]، والنووي[5]، وشيخ الإسلام ابن تيمية[6] ـ رحمهم الله ـ قال ابن حزم ﷺ: «وإن القرآن الذي في المصاحف بأيدي المسلمين شرقا وغربا؛ فما بين ذلك من أول أم القرآن إلى آخر المعوذتين كلام الله ﷻ، ووحيه أنزله على قلب نبيه محمد ﷺ، من

---

(١) الدار الآخرة لدستغيب الرافضي ص٢٣٤.

(٢) لم أجد الحديث مسندا، وإنما ذكره هكذا شيخ الإسلام وغيره.

(٣) انظر: المحلى له ١/ ١٣، والفصل في الملل والنحل له ٢/ ٧٧.

(٤) مفاتيح الغيب له ١/ ٢٢٣.

(٥) المجموع له ٣/ ٣٣٣.

(٦) انظر: المجموع ٣/ ٣٥٠.

كفر بحرف منه فهو كافر...، وكل ما روي عن ابن مسعود ﷺ من أن المعوذتين، وأم القرآن لم تكن في مصفحه؛ فكذب موضوع، لا يصح، وإنما صحت عنه قراءة عاصم عن زر بن حبيش[(١)] عن ابن مسعود، وفيها أم القرآن، والمعوذتان »[(٢)]، ثم لو صح عن ابن مسعود ﷺ ذلك فإنه كما قال الحافظ ابن كثير ﷺ: « ثم قد رجع عن قوله ذلك، إلى قول الجماعة؛ فإن الصحابة ﷺ أثبتوهما في المصاحف الأئمة، ونفذوها إلى سائر الآفاق كذلك، والحمد لله والمنة »[(٣)].

٢- أن هذه الآثار، ونحوها، مما ورد يحمل على ما كان قبل العرضة الأخيرة التي أجمع عليها الصحابة ﷺ، « والأصل ما استقرت عليه القراءة في السَّنة التي توفي فيها رسول الله ﷺ بعد ما عارضه به جبريل ـ عليه السلام ـ في تلك السنة مرتين، ثم اجتمعت الصحابة على إثباته بين الدفتين »[(٤)]، و« طعن قوم على عثمان ﷺ بحمقِهم جمعَ القرآن، ثم قرؤوا بما نُسخ، قال أبو عبيد: يذهب أبو مجلز إلى أن عثمان أسقط الذي أسقط بعلمٍ، كما أثبت الذي أثبت بعلمٍ »[(٥)]، ويؤكد هذا الفهم أنه ثبت عن النبي ﷺ الأحاديث التي تبلغ مبلغ التواتر المعنوي قراءته للمعوذتين، على أنه قرآن[(٦)]؛ و« في الإجماع على كونهما من القرآن غنية عن تكلف الأسانيد »[(٧)]، فإنكار ابن مسعود ﷺ

---

(١) هو المخضرم الثقة: زر بن حبيش بن حباشة الأسدي الكوفي أبو مريم، مخضرم، توفي سنة ٨٢هـ. انظر: التقريب ص:١٥٥.

(٢) المحلى ١/ ١٣، وانظر الفصل في الملل والنحل لابن حزم ٢/ ٧٧، الفتح ٩/ ٧٣٤.

(٣) تفسير القرآن العظيم لابن كثير ٤/ ٥٧١، وانظر: قول ابن الأنباري؛ فإنه قريب من هذا، كما في الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ٢٠/ ١٧٢.

(٤) السنن الكبرى للبيهقي ٢/ ٣٥٨، ح(٣٨٠٨).

(٥) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ١/ ٦٠، وانظر: نحوه كلام ابن عبد البر في ما يروي عن الصحابة، وليس في القرآن، في كتاب شرح الزرقاني ١/ ٣١٤، الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ١٣/ ٩٦، ١٤/ ٧٦، الفصول في الأصول ٢/ ٢٥٣، ٢٥٦، ٢٥٨، مختصر التحرير ٢/ ١٢٩.

(٦) انظر: المجموع للنووي ٣/ ٣٥٠، الفتح ٨/ ٦١٥ ـ ٦١٦، مجمع الزوائد ٧/ ١٤٩ وما بعدها، حيث ذكر جميع الروايات في ذلك.

(٧) الفتح ٨/ ٦١٦.

ـ لو صح ـ يحمل على أنه لم يعلم ذلك إذ سمعه يقرأه كمعوذات، ولم يسمعه يقرأه قرآنا؛ فهل يترك روايتهم وإجماعهم لسماعه؟ ولما تيقن الإجماع ترك سماعه لإجماعهم.

٣- قال ابن حزم ﵀ في بيان أنواع النسخ، وهو يصلح أن يكون ردا على من يتمسك ببعض ما روي عن الصحابة على غير وجهه: «وأما القسم الذي رفع لفظه، وبقي حكمه؛ فآية الرجم، وآية الخمس رضعات المحرمات، وقد تعلل قوم في رد هذا ـ أي هذا النوع من النسخ ـ بقول عائشة ﵂: فتوفي رسول الله ﷺ وإنها لمما يقرأ من القرآن، وهذا لا تعلل فيه، وإنما معناه أنه يقرأ من القرآن الذي سقط رسمه، وإثباته في المصحف، ولم تقل عائشة ﵂: إنه من القرآن المتلو في المصحف؛ فبطل تعليلهم»[(١)].

٤- **قال الزجاج** ﵀ ردا على من قال: إن في القرآن لحنا، «قول من قال: إنه خطأ بعيد جدا؛ لأن الذين جمعوا القرآن، هم أهل اللغة والقدوة؛ فكيف يتركون في كتاب الله شيئا يصلحه غيرهم؛ فلا ينبغي أن ينسب هذا إليهم»[(٢)]، وقال ابن الأنباري[(٣)] ﵀: «حديث عثمان لا يصح؛ لأنه غير متصل، ومحال أن يؤخر عثمان شيئا ليصلحه من بعده»[(٤)]، وقال السخاوي[(٥)] ﵀ عن أثر عثمان المذكور: «هذا الأثر ضعيف، والإسناد فيه اضطراب وانقطاع؛ لأن عثمان ﵁ جعل للناس إماما يقتدون به؛ فكيف يرى فيه لحنا ويتركه لتقيمه العرب بألسنتها؟؟ وقد كتب مصاحف سبعة، وليس فيها اختلاف قط، إلا فيما هو من وجوه القراءات، وإذا لم يقمه هو ومن باشر الجمع، كيف يقيمه غيرهم؟»[(٦)]، وبعد ذكر بعض النقولات أبين بطلان الخبر المذكور بوجوه متعددة: **أحدها:** أن الصحابة ﵃ كانوا يتسارعون إلى إنكار أدنى

---

(١) الإحكام في أصول الأحكام لابن حزم ١/ ٤٧٨.

(٢) زاد المسير لابن الجوزي٢/ ٢٥١، والمجموع ١٥/ ٢٥٣.

(٣) هو المقرئ اللغوي: أبو بكر محمد بن القاسم بن بشار ابن الأنباري، المقرئ النحوي، من مؤلفاته: شرح الكافي، و الجاهليات، توفي سنة ٣٠٤هـ. انظر: سير أعلام النبلاء١٥/ ٢٧٨.

(٤) زاد المسير لابن الجوزي ٢/ ٢٥٢، والمجموع ١٥/ ٢٥٢.

(٥) هو المحدث: محمد بن عبد الرحمن بن محمد السخاوي، من مؤلفاته: الأصل الأصيل في تحريم النظر في التوراة والإنجيل، والقناعة فيما تحسن إليه الحاجة من أشراط الساعة، توفي سنة ٩٠٢هـ. انظر: معجم المؤلفين١٠/ ١٥٠، الأعلام للزركلي٦/ ١٩٤.

(٦) محاسن التأويل للقاسمي ٢/ ٥٨٤.

المنكرات؛ فكيف يقرون اللحن في القرآن ـ فضلا عن الزيادة والنقصان ـ، مع أنه لا كلفة عليهم في إزالته. **والثاني**: أن العرب كانت تستقبح اللحن غاية الاستقباح في الكلام؛ فكيف لا يستقبحون بقاءه في المصحف؟. **والثالث**: أن الاحتجاج بأن العرب ستقيمه بألسنتها غير مستقيم؛ لأن المصحف الكريم يقف عليه العربي والعجمي؛ فكيف سيقيمونه؟؟. **والرابع**: أنه قد ثبت في الصحيح أن زيد بن ثابت ﷺ أراد أن يكتب "التابوت" بالهاء على لغة الأنصار؛ فمنعوه من ذلك، ورفعوه إلى عثمان ﷺ فأمرهم أن يكتبوه بالتاء على لغة قريش؛ فكيف باللحن إن وجد؟؟[1].

٥- **وأما اختيار زيد** ﷺ فقد ذكرت سبب اختياره في كلا الجمعين[2]، وهنا أزيد بذكر قول ابن الأنباري رحمه الله حيث قال: « ولم يكن الاختيار لزيد من جهة أبي بكر وعمر وعثمان ﷺ على عبد الله بن مسعود ﷺ في جمع القرآن ـ وعبد الله أفضل من زيد، وأقدم في الاسلام، وأكثر سوابق، وأعظم فضائل ـ إلا لأن زيدا كان أحفظ للقرآن من عبد الله، إذ وعاه كله، ورسول الله ﷺ حي، والذي حفظ منه عبد الله في حياة رسول الله ﷺ نيف وسبعون سورة، ثم تعلم الباقي بعد وفاة الرسول ﷺ؛ فالذي ختم القرآن وحفظه، ورسول الله ﷺ حي أولى بجمع المصحف، وأحق بالإيثار والاختيار، ولا ينبغي أن يظن جاهل أن في هذا طعنا على عبد الله بن مسعود ﷺ...، وما بدا من عبد الله بن مسعود من نكير ذلك، فشيء نتجه الغضب، ولا يعمل به، ولا يؤخذ به، ولا يشك في أنه ﷺ قد عرف بعد زوال الغضب عنه حسن اختيار عثمان ومن معه من أصحاب رسول الله ﷺ، وبقي على موافقتهم، وترك الخلاف لهم »[3]، وقال رحمه الله مبينا حكم من قرأ بما لم يثبت: « وفي قوله تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَـٰفِظُونَ﴾[الحجر:٩] دلالة على كفر هذا الإنسان؛ لأن الله ﷻ قد حفظ القرآن من التغيير والتبديل، والزيادة والنقصان، فإذا قرأ قارئ: تبت يدا أبي لهب و(قد) تب... "فقد كذب على الله ـ جل وعلا ـ، وقوّله ما لم يقل، وبدل كتابه وحرفه، وحاول ما قد

---

(١) انظر: المجموع ١٥/ ٢٥٢ وما بعدها.

(٢) انظر: ما سبق في الفصل الثالث من الباب الثالث.

(٣) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ١/ ٣٩.

حفظه منه، ومنع من اختلاطه به، وفي هذا الذي أتاه توطئة الطريق لأهل الإلحاد، ليُدخلوا في القرآن ما يحلون به عرى الإسلام، ويَنسبونه إلى قوم كهؤلاء القوم الذين أحالوا هذا بالأباطيل عليهم، وفيه إبطال الإجماع الذي به يحرس الإسلام، وبثباته تقام الصلوات، وتؤدى الزكوات، وتتحرى العبادات، وفي قول الله تعالى: ﴿الٓرۚ كِتَٰبٌ أُحۡكِمَتۡ ءَايَٰتُهُۥ ثُمَّ فُصِّلَتۡ مِن لَّدُنۡ حَكِيمٍ خَبِيرٍ﴾[هود:١] دلالة على بدعة هذا الإنسان، وخروجه إلى الكفر، لأن معنى: أحكمت آياته: منعُ الخلق من القدرة على أن يزيدوا فيها، أو ينقصوا منها، أو يعارضوها بمثلها، وقد وجدنا هذا الإنسان زاد فيها: ﴿وَكَفَى ٱللَّهُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ٱلۡقِتَالَ﴾ بعلي ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ قَوِيًّا عَزِيزًا﴾[الأحزاب:٢٥] فقال: في القرآن هجرا، وذكر عليا في مكان لو سمعه يذكره فيه لأمضى عليه الحد، وحكم عليه بالقتل...، ومن كفر بحرف من القرآن فقد كفر به كله...[١]، ويقال لهذا الإنسان، ومن ينتحل نصرته: أخبرونا عن القرآن الذي نقرؤه، ولا نعرف نحن، ولا من كان قبلنا من أسلافنا سواه، هل هو مشتمل على جميع القرآن من أوله إلى آخره صحيح الألفاظ والمعاني، عارٍ عن الفساد والخلل؟ أم هو واقع على بعض القرآن؟ والبعض الآخر غائب عنا كما غاب عن أسلافنا والمتقدمين من أهل ملتنا؟؛ فإن أجابوا بأن القرآن الذي معنا مشتمل على جميع القرآن لا يسقط منه شيء، صحيح الألفاظ والمعاني سليمها من كل زلل وخلل، فقد قضوا على أنفسهم بالكفر، حين زادوا فيه...، **وما يؤثر عن الصحابة والتابعين أنهم قرؤوا بكذا، وكذا، إنما ذلك على جهة البيان والتفسير، لا أن ذلك قرآن يتلى، وكذلك ما نسخ لفظه وحكمه، أو لفظه دون حكمه ليس بقرآن»**[٢].

٦- **كثير مما يذكر** عن أبي بن كعب ﷺ وغيره من الصحابة ﷺ لا يصح، وقد روي عنه القرآنَ الأثباتُ، ولم يذكروا عنه هذه الزيادات، التي تروى عن غير وجه الثقات، فهي من المفتريات[٣]، أو أقوال هي للقرآن تفسيرات.

وربما استدلوا بالقول بالتحريف ببعض ما روي عن الصحابة من أنهم أثبتوا

---

(١) وقد نقل ابن حزم ﷺ مثل هذا الإجماع، انظر: مراتب الإجماع له ص١٧٤، مختصر التحرير ٢/ ١٨٦.

(٢) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ١/ ٦٠-٦١.

(٣) انظر: الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ١/ ٦٠.

الآية بشهادة رجل واحد من الصحابة، وهو خزيمة بن ثابت، ونقضوا القول بالتواتر لذلك!! والجواب عن هذا من أوجه:

١- قال ابن حزم ﵀: «وأما افتقار زيد بن ثابت الآية فليس ذلك على ما ظنه أهل الجهل، وإنما معناه أنه لم يجدها مكتوبة إلا عند ذلك الرجل، وهذا بين...»[(١)].

٢- أن زيد بن ثابت ﵁ كان يعرف الآية، وإلا فكيف يقول: فقدت آية من سورة كذا؟؟ «ولو لم يعرفها لم يدر هل فقد شيئا أو لا؟؛ فالآية إنما ثبتت بالإجماع لا بخزيمة وحده»[(٢)].

٣- أن قول زيد ﵁ لو كان على ما فهموه، أليس قد انتشرت هذه المصاحف، «بين هذه الأمة المحفوظة، لا سيما الصدر الأول، الذي حوى من الأكابر ما حوى، وتصدر للخلافة الراشدة علي المرتضى ﵁ وهو... الأسد الأشد الذي لا تأخذه في الله لومة لائم، لا يبقى في ذهن مؤمن احتمال سقوط شيء بعدُ من القرآن، وإلا لوقع الشك في كثير من ضروريات هذا الدين الواضح البرهان»[(٣)].

وفي هذا القدر كفاية لبيان حال هذه النحلة الضالة، وقولها المنحرف في كتاب الله ﷻ المشابه لفعل وقول أهل الكتاب، ومعلوم عند أهل السنة حكم من أنكر آية من القرآن، أو اعتقد الزيادة فيه، أو النقص منه، «ومن أنكر شيئا من القرآن بعد تواتره، استتيب فإن تاب وإلا قتل، وأما قبل تواتره عنده فلا يستتاب، لكن يبين له»[(٤)].

ولما كان اعتقادهم في القرآن التحريف، فكيف يا ترى يكون موقفهم من تعظيمه؟ هذا ما أبينه في المبحث التالي.

---

(١) الإحكام في أصول الأحكام لابن حزم ٢/ ٢٧٥.

(٢) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ١/ ٤١.

(٣) روح المعاني للألوسي ١/ ٢٤.

(٤) المجموع ١٤/ ٤٨.

المبحث الثالث: عدم تعظيمهم للقرآن

سبق وأن ذكرت عقيدة الرافضة في القرآن، وأنهم لا يعتقدون عصمته وحفظه من الزيادة والنقصان، ولا يبعد هذا إذا علم أن «أصل الرفض كان من وضع قوم زنادقة منافقين، مقصودهم الطعن في القرآن والرسول ودين الإسلام»(١).

وتعظيم الرافضة للقرآن كيف يكون؟ وهم يشكون في حفظ الرحمن إياه، ويقولون: إنه نقص منه!! وزيد فيه!!.

ومنهم طوائف ينشدون أبياتا تنبئك عن عدم تعظيمهم للقرآن، بل ولا يعظمون شريعة الرحمن، ويستخفون بالحج، وبالمساجد، ويعظمون القبور والمشاهد، ويخشعون عند ذكر الشيوخ، ويتكبرون عند ذكر الله تعالى، ويعظمون ما عليه أئمتهم، ويستخفون بحق القرآن؛ يقول شاعرهم:

تعالوا نخرب الجامع ... ونجعل فيه خمارة
ونكسر المنبر ... ونجعل منه طنبارة
ونخرق المصحف ... ونجعل منه زمارة
وننتف لحية القاضي ... ونجعل منه أوتاره(٢).

والرافضة محرفون للقرآن؛ فيقرؤون الآيات كما يريدون، أو كما نقل لهم، وقد

---

(١) منهاج السنة ٧/ ٩.

(٢) نقل هذه الأبيات شيخ الإسلام ابن تيمية ﵀ في الرد على البكري ٢/ ٦٧٠-٦٧١، المجموع ٢/ ١٠٧، عن أتباع يونس القيسني الشيعي، قلت: وأما هدمهم لمساجد أهل السنة، فشيء ظاهر للعيان، بل حاولوا العدوان على بيت الله الحرام، وعذبوا مشايخ أهل السنة في إيران، وأتلفوا المصاحف بحجة أنها من الوهابيين!!!.

نقل شيخ الإسلام ﷺ عن بعض الرافضة أنهم يقولون: «نحن غلمان الملِك!!، ويسمون المسجد: اصطبل البطالين، ويقرؤون القرآن: وما أرسلناك إلا رحمة للمدمنين!!! وألوان من هذا الجنس الذي فيه استهزاء بالله وآياته ورسوله، مع تعظيمهم شيخهم، وغلوهم فيه»[(١)].

ويتبين عدم تعظيم الرافضة للقرآن الكريم في النقاط التالية:

١- **أنهم يعتقدون بتحريفه، اعتقادا وعملا**؛ وكيف يتوقع منهم تعظيمه؟ وهم يعتقدون فيه التحريف والتبديل. **فمن عدم تعظيمهم للقرآن**، واستخفافهم به، ما يصرحون به من أن القرآن محرف!! ومعلوم عند المسلمين أن من «أنكر آية من كتاب الله تعالى[(٢)]، أو عاب شيئا من القرآن... كفر،... ومن جحد القرآن أو سورة منه، أو آية، أو زعم: أنها ليست من كلام الله تعالى كفر»[(٣)]، فالرافضة **خرقوا الإجماع في ادعائهم أن القرآن غير محفوظ**[(٤)].

٢- **ومن عدم تعظيمهم للقرآن الكريم أن من أثبت منهم - تواتر المصحف - فإنه يعمل فيه بالتحريفات الباطلة**، والرافضة يتلاعبون بألفاظ القرآن الكريم، ويحرفون الكلم عن مواضعه، ويخضعون معانيه لمعتقداتهم[(٥)]، ويكفي لهذا بعض الأمثلة، والباقي على منوالها؛ فهم لما اعتقدوا أن الإمامة من أصول الدين، بل أعظمها، بل جعلوها الركن الركين!![(٦)]، احتاجوا أن يجدوا له دليلا من القرآن؛

(١) الرد على البكري ٢/ ٦٧٢.

(٢) وأما إنكار ابن مسعود ﷺ للمعوذتين؛ فإنه لا يصح - كما نقلت أقوال أهل العلم عنه في المبحث السابق - ولو صح؛ فإنه إنما وقع منه الإنكار قبل أن يعلم ذلك، وأما بعد وقوع الإجماع؛ فإنه قد صار إلى الإجماع؛ وأما الآن فقد استقر الإجماع على أنهما من القرآن، وصارت قرآنيتهما معلومة من الدين بالضرورة؛ فيكفر من أنكره. انظر: الإعلام بقواطع الإسلام لابن حجر الهيتمي ص ٢٠٦-٢٠٧، ضمن الجامع لألفاظ الكفر للشيخ د/ محمد الخميس.

(٣) ألفاظ الكفر لبدر الرشيد الحنفي ص٢٩، ضمن الجامع في ألفاظ الكفر للشيخ د/ محمد الخميس.

(٤) انظر: موقف الرافضة من القرآن الكريم ص٢٨١.

(٥) انظر: موقف الرافضة من القرآن الكريم ص٢٧٧، ٢٧٩.

(٦) يقول الدياجي من علمائهم: «عقائد الإسلام وأصوله الخمسة: التوحيد، والعدل، والنبوة، والإمامة،

فاستدلوا عليه من القرآن، ما يعلم الجاهل قبل العالم ـ ممن يعرف العربية ـ أن هذا باطل؛ فقالوا في قوله ﷻ: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ۖ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُۥ ۚ وَٱللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْكَـٰفِرِينَ ﴾[المائدة:٦٥] فقالوا: بلغ ما أنزل إليك من ربك في علي!! قال شيخ الإسلام ؒ: « وهذا اللفظ عام في جميع ما أنزل إليه من ربه، لا يدل على شيء معين؛ فدعوى المدعي أن إمامة علي هي مما بلغها، أو مما أمر بتبليغها، لا تثبت بمجرد القرآن، فإن القرآن ليس فيه دلالة على شيء معين، فإن ثبت ذلك بالنقل كان ذلك ثابتا بالخبر لا بالقرآن؛ فمن ادعى أن القرآن يدل على أن إمامة علي مما أمر بتبليغه، فقد افترى على القرآن، فالقرآن لا يدل على ذلك عموما، ولا خصوصا...، وهذه الآية ـ مع ما علم من أحوال النبي ﷺ ـ تدل على نقيض ما ذكروه، وهو أن الله لم ينـزلها عليه، ولم يأمره بها، فإنها لو كانت مما أمره الله بتبليغه، لبلغه، فإنه لا يعص الله في ذلك »[1]، ومن التأويلات الباطلة تحريفهم لقوله ﷻ: ﴿ وَأَشْرَقَتِ ٱلْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا ﴾[الزمر:٦٩] حيث ذكروا « عن أبي عبد الله قال: رب الأرض يعني إمام الأرض!!؛ فقلت: فإذا خرج يكون ماذا؟ قال: إذا يستغني الناس عن ضوء الشمس ونور القمر[2]، ويجتزون بنور الإمام »[3]، وقالوا في قوله ﷻ: ﴿ وَإِذَا وَقَعَ ٱلْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَآبَّةً مِّنَ ٱلْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ أَنَّ ٱلنَّاسَ كَانُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا لَا يُوقِنُونَ ﴾[النمل:٨٢] قالوا: « فصل: في ذكر بعض ما جاء في رجعة أمير المؤمنين (ع)، وأنه دابة الأرض!! »[4]، ولو كان لهم عقول، لما وصفوا أمير المؤمنين عليا ؓ بهذه الأوصاف، وقالوا في قوله ﷻ: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَسْتَحْىِۦٓ أَن يَضْرِبَ مَثَلًا مَّا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا ۚ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن

والمعاد». تبويب الذريعة إلى تصانيف الشيعة ص٤٠.

(١) منهاج السنة ٧/ ٤٧.

(٢) ولم يحصل هذا في زمن الأنبياء، ولكن يحصل هذا عند هؤلاء السفهاء، الذين ينقلون الحكايات للطعن في آل البيت، والطعن في الإسلام.

(٣) تفسير القمي ٢/ ٢٥٣.

(٤) كتاب الرجعة ص ٢٠١، من كتاب علماء الشيعة يقولون ص ٧٢.

رَّبِّهِمْ ۖ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَيَقُولُونَ مَاذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِهَٰذَا مَثَلًا ۘ يُضِلُّ بِهِۦ كَثِيرًا وَيَهْدِى بِهِۦ كَثِيرًا ۚ وَمَا يُضِلُّ بِهِۦٓ إِلَّا ٱلْفَٰسِقِينَ ﴾[البقرة:٢٦] فقالوا: «إن هذا المثل ضربه الله لأمير المؤمنين عليه السلام؛ فالبعوضة أمير المؤمنين عليه السلام!! وما فوقها رسول الله ﷺ!!»[1]. وهل يليق أن يقال عن رسول الله ﷺ هذا الكلام، وهل يليق بخليفة من الخلفاء الراشدين أن يقال عنه إنه هو البعوضة في المثل!! إلا عند هؤلاء الذين يحرفون الدين، وقالوا في قوله تعالى: ﴿ وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُواْ فِى ٱلْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ ٱلْوَٰرِثِينَ ۝ وَنُمَكِّنَ لَهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ وَنُرِىَ فِرْعَوْنَ وَهَٰمَٰنَ وَجُنُودَهُمَا مِنْهُم مَّا كَانُواْ يَحْذَرُونَ ﴾[القصص:٥-٦] «ومن فرعون وهامان؟ قال: أبو بكر وعمر!!»[2]. وقالوا في قوله ﷻ: ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ رَبَّنَآ أَرِنَا ٱلَّذَيْنِ أَضَلَّانَا مِنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ نَجْعَلْهُمَا تَحْتَ أَقْدَامِنَا لِيَكُونَا مِنَ ٱلْأَسْفَلِينَ ﴾[فصلت:٢٩] «قال: هما!!، ثم قال: وكان فلانا شيطانا...، قوله: "هما" أي أبو بكر وعمر، والمراد بـ"فلان": عمر، أي الجن المذكور في الآية عمر!! وإنما سمي به؛ لأنه كان شيطانا؛ إما لأنه كان شرك شيطان لكونه ولد زنا!!»[3]، أو لأنه كان في المكر والخديعة شيطانا!!، وعلى الأخير يحتمل العكس، بأن يكون المراد بفلان: أبا بكر!!»[4]. الصديق رضي الله عنه صاحب النبي ﷺ في الغار بنص القرآن لم يسلم من هؤلاء، والذي يفر منه الشيطان عمر رضي الله عنه لم يسلم من دين هؤلاء، فأي دين لهم؟؟؛ فالرافضة لما اعتقدت بتحريف القرآن طعنت فيه من حيث شعرت أم لم تشعر، وكان طعنهم في القرآن جليا في التفسيرات الزائفة، والتأويلات السخيفة، بل وبالعبارات القبيحة، الساذجة السقيمة السيئة، بل وزعموا في القرآن التناقض!! فقالوا: «إن الاختلاف فيه: كما يصدق على اختلاف المعنى وتناقضه!!، كنفيه مرة، وإثباته أخرى،

---

(١) تفسير القمي ١/ ٣٥.

(٢) إلزام الناصب ٢/ ٢٦٦ نقلا عن كتاب علماء الشيعة يقولون ص ٨٣.

(٣) هكذا يتفوهون ويتفكهون بعرض أمير المؤمنين، الخليفة الراشد عمر رضي الله عنه، ـ فليهنأ دعاة التقريب!! ـ.

(٤) مرآة العقول ٢٦/ ٤٨٨. وانظر: بحار الأنوار ٢٣٥/ باب/ ٢١.

وعلى اختلاف النظم: كفصاحة بعض فقراتها البالغة حد الإعجاز، وسخافة بعضها الأخرى، وعلى اختلاف مراتب الفصاحة ببلوغ بعضها أعلى درجاتها، ووصول بعضها إلى أدنى مراتبها...!!»[(١)].

٣- عدم الاعتراف بالقرآن الكريم وأحقيته في التشريع، وتقديم أقوال الأئمة عليه[(٢)].

٤- تقديمهم مصحف فاطمة[(٣)]، وكتبهم المزعومة عليه[(٤)].

٥- فتح الباب أمام أعداء الإسلام في الطعن في القرآن[(٥)]، فكل صاحب نحلة يدعي أن القرآن محرف بدليل أن الروافض قالوا بالتحريف، وأن المسلمين لم يتفقوا على القرآن الكريم بدليل مخالفة الروافض لجمهور المسلمين!! ولكن صدق ابن حزم رحمه الله حيث بين أن من اعتقد تحريف القرآن الكريم فإنه ليس من المسلمين.

٦- مخالفتهم لنصوص الكتاب الصريحة[(٦)]، فالرافضة هجروا القرآن قراءة وعملا واعتقادا، فإنهم لا يعرفون من التوحيد الذي دعا إليه القرآن إلا اسمه، واتخذوا القبور في المساجد، وزينوا المشاهد، «ويصلون إليها، وينذرون لها، ويحجون إليها، بل قد يجعلون الحج إلى بيت المخلوق أفضل من الحج إلى بيت الله الحرام، ويسمون ذلك "الحج الأكبر"!! وصنف لهم شيوخهم في ذلك مصنفات!! كما صنف المفيد بن النعمان كتابا في مناسك المشاهد، سماه: "مناسك حج المشاهد"، وشبه بيت المخلوق ببيت الخالق!!، وأصل دين الإسلام أن نعبد الله وحده، ولا نجعل له من

---

(١) الوثيقة للطبرسي ص٣١١، من كتاب علماء الشيعة يقولون ص ١٣.

(٢) انظر: موقف الرافضة من القرآن الكريم ص٢٩٦، وسيأتي مزيد بيان في اعتمادهم على أقوال أئمتهم، دون نصوص ربهم جل جلاله.

(٣) انظر: موقف الرافضة من القرآن الكريم ص٢٨٨.

(٤) وسيأتي في المبحث التالي تقديمهم لمصحف فاطمة على القرآن الكريم، وتقديمهم غيرها من الكتب عليه.

(٥) انظر: موقف الرافضة من القرآن الكريم ص٣٠١.

(٦) موقف الرافضة من القرآن الكريم ص٣٠٧.

خلقه ندا، ولا كفوا، ولا سميا»[١]، فالرافضة أكثر مخالفة للقرآن من جميع الفرق، وهم غير مقرين بالجملة بالأحاديث المروية عن طريق جمهور الصحابة ﷺ، وهم أكثر الفرق الغوية قدحا في سلف الأمة وأئمتها، وطعنا في جمهور المسلمين[٢]، ومخالفتهم لأحكام القرآن الاعتقادية منها ـ فضلا عن الفقهية ـ أمر كبير، وحصره غير يسير، **وأذكر بعضا منها على سبيل الاختصار:**

أ ـ أن القرآن الكريم أمر بالتوحيد الخالص، وهؤلاء يأمرون الناس بالشرك!![٣]، بحجة أنه واسطة، ويستغيثون بغير الله، ويدعون غير الله، ويلتجئون إلى الأوصياء!![٤].

ب ـ أن الله ﷻ أخبر أن النار مأوى الكافرين، وموضع خلود المشركين، وهؤلاء يقولون: إن بعض المشركين يخرجون من النار، ولو لم يدخلوا الجنة!![٥].

ت ـ أن الله ﷻ أمر بالطواف ببيته كما في كتابه، وهؤلاء يجيزون الطواف بالقبور!![٦].

ث ـ أن القرآن بُين فيه ـ في أكثر من آية ـ أن الغيب لا يعلمه إلا الله ﷻ، ولا يعلم الغيب نبي مخاطب، ولا ملك مقرّب، وهؤلاء يقولون في الأئمة: «إن عندهم عليهم السلام علم ما في السماء، وما في الأرض، وعلم ما كان!!، وعلم ما يكون، وما يحدث

---

(١) المجموع ٢٧/ ٣٣٨.

(٢) انظر: نقض المنطق ص ١٢٧.

(٣) انظر مثلا كشف الأسرار للخميني، ويقول أحد دعاتهم وقد سمعته بصوته: ما الفرق بين أن تقول: يا الله، أو يا علي، أو يا فاطمة، الكل واحد، يعني إذا دعوت الله يجيب لك، وإذا دعوت عليّا أو فاطمة ما يجيب لك؟، الكل واحد!!.

(٤) انظر: مستدرك الوسائل ص٣١٠.

(٥) انظر: كتاب بحار الأنوار ٤١/ ٢٤٨ وذكر قصة مفادها: أنه عثر على جمجمة كسرى أنو شروان، ملك الفرس!! فاستنطقه علي ﷺ فنطق!! وأخبر أنه أخرج من النار بعدله، ولم يدخل الجنة، وسلم على علي ﷺ بالإمامة والإمارة!! فهل خلصه الله من النار، وحرمها عليه لأنه كان من الفرس!! وأبو بكر وعمر صاحبا النبي ﷺ عند ـ هؤلاء ـ لا يستحقان الجنة!!.

(٦) انظر: مستدرك الوسائل للشيخ ميرزا حسين الطبرسي ص٣٦٦-٣٦٧، باب/ جواز الطواف بالقبور!!.

بالليل والنهار!!، وساعة وساعة!!، وعندهم علم النبيين عليهم السلام وزيادة!!»[(١)].

ج ـ أن القرآن الكريم مليء بالثناء على الصحابة رضي الله عنهم وهؤلاء ينابذونهم، ويطعنون فيهم، بل ويلعنونهم[(٢)]، بل إنه ثبتت صحبة أبو بكر الصديق رضي الله عنه في القرآن، وهؤلاء يقولون فيه أشنع المقال، وأكذب القال، ويتهمونه في دينه، مع إثبات الله عز وجل لصحبته، قال تعالى: ﴿إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ ٱللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ثَانِىَ ٱثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِى ٱلْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَـٰحِبِهِۦ لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا ۖ فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُۥ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلسُّفْلَىٰ ۗ وَكَلِمَةُ ٱللَّهِ هِىَ ٱلْعُلْيَا ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [التوبة:٤٠]، وباتفاق أهل السنة والرافضة أن المقصود بصاحبه هنا هو الصديق الأكبر رضي الله عنه، ومع ذلك يتناقضون فيتهمونه بالنفاق والكفر مضادين لله تعالى ولرسوله صلى الله عليه وسلم؛ فيقولون: «قد روي في الأخبار الخاصة أن أبا بكر كان يصلي خلف رسول الله صلى الله عليه وسلم والصنم معلق في عنقه، وسجوده له!!»[(٣)]، بل وكفروا الصحابة[(٤)] ففي القرآن الكريم إثبات أن الله جل جلاله راض عن الصحابة[(٥)] وهؤلاء يلعنونهم!!، بل ويطعنون

(١) أصول الدين للبحراني، الباب الخامس معقود لهذا الغرض!! من كتاب علماء الشيعة يقولون ص٥٧، ٥٦.

(٢) في كتاب لآلئ الأخبار المطبوع بـ(قم) ٤/ ٩٣ نقلا عن كتاب علماء الشيعة يقولون ص ٨٠، قال: «اعلم أن أشرف الأمكنة، والأوقات، والحالات، وأنسبها للعن عليهم ـ عليهم اللعنة ـ إذا كنت في المبال!!؛ فقل: عند كل واحد من التخلية، والاستبراء، والتطهير مرارا بفراغ من البال: **اللهم** ـ يذكرون الله في وقت الحاجة!! ـ **العن عمر ثم أبا بكر وعمر، ثم عثمان وعمر، ثم معاوية وعمر، ثم يزيد وعمر، ثم ابن زياد وعمر، ثم ابن سعد وعمر، ثم شمرا وعمر، ثم عسكرهم وعمر، اللهم العن عائشة وحفصة وهندا وأم الحكم، والعن من رضي بأفعالهم إلى يوم القيامة!!**». ولا يوجد إرشاد ودلالة في أي ديانة إلى هذا الفعل القبيح، والعمل الشنيع، وذكر اسم الله في الوقت والمكان الخسيس، ولكن الرافضة لهم دين مخالف للكتاب والسنة والعقل.

(٣) الأنوار النعمانية لنعمة الله الجزائري ١/ ٥٣. الأصول من الكافي ١/ ٣٧٣.

(٤) انظر: صب العذاب على من سب الأصحاب للألوسي ص ٣٧١ وما بعدها، حيث نقل نصوص الرافضة في تكفيرهم للصحابة رضي الله عنهم، وكتاب: الشيعة الإثنا عشرية وتحريف القرآن لمحمد السيف ص ٥٧، وقد ذكر نصوصا كثيرة من كتب الرافضة مما يدل على أنهم يكفرون الصحابة رضي الله عنهم وهذا الأمر أبين من أن يستدل له عندهم!!.

(٥) انظر: الملل والنحل للشهرستاني ص ١٦٤، صب العذاب على من سب الأصحاب للألوسي ص ٢٤٩.

ويطعنون فيهم!!، ورحم الله القائل:

إن الروافض شر من وطئ الحصى … من كـل إنس ناطق أو جـان

مدحوا النبي وخونـوا أصحابـه … ورموهـم بالظلـم والعدوان

حبوا قرابتـه وسبـوا صحبـه … جدلان عنـد الله منتقضـان

فكأنـمـا آل النبـي وصحبـه … روح يضـم جميعـها جسدان[١]

ح ـ أن الله ﷻ برأ أُمَّنا عائشة ﵂، كما في سورة "النور" لأنها منورة بالإيمان، وهؤلاء لا يقبلون ذلك!![٢]، ويتهمونها ـ قاتلهم الله ـ وهي المبرأة من فوق سبع سموات، ولكنهم يحرفون الآيات عل ما يراه الآيات!!؛ فقالوا في قوله ﷻ: ﴿ وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّتِى نَقَضَتْ غَزْلَهَا مِنۢ بَعْدِ قُوَّةٍ أَنكَـٰثًا ﴾[النحل:٩٢] قالوا: « عائشة هي نكثت أيمانها!! »[٣]، هكذا التحريف مع أن الله ﷻ نص على براءتها في إحدى عشرة آية ومنها قوله ﷻ: ﴿ ٱلْخَبِيثَـٰتُ لِلْخَبِيثِينَ وَٱلْخَبِيثُونَ لِلْخَبِيثَـٰتِ ۖ وَٱلطَّيِّبَـٰتُ لِلطَّيِّبِينَ وَٱلطَّيِّبُونَ لِلطَّيِّبَـٰتِ ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ مُبَرَّءُونَ مِمَّا يَقُولُونَ ۖ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٢٦﴾ ﴾[النور:٢٦] ومحمد ﷺ من الطيبين وله الطيبات، وعائشة من الطيبات فكانت لمحمد ﷺ، وهي مبرأة مما لاكها به ألسنة القاذفين وألسنة المنافقين في زمن النبوة، وبعد زمن النبوة[٤].

خ ـ أن الله ﷻ أخبر أن نساء النبي ﷺ أمهات للمؤمنين كما في قوله تعالى: ﴿ ٱلنَّبِىُّ أَوْلَىٰ بِٱلْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ ۖ وَأَزْوَٰجُهُۥٓ أُمَّهَـٰتُهُمْ ﴾[الأحزاب:٦]، وهؤلاء يتبرؤون منهن!! ولعلهم ليسوا بمؤمنين حقيقة، وإنما هم مظهرون للإيمان فلا يرضون النسبة إليهن!! وإلا فإن المؤمن يفرح بأن تكون زوجات النبي ﷺ أما له.

---

(١) نونية القحطاني ص٢١.

(٢) انظر: تفسير القمي ٢/ ٣٧٧ تفسير سورة التحريم، وانظر: تفسير (شبر) و(البرهان) للبحراني ففيهما اتّهام صريح لعائشة وطلحة ﵄، ولعن من لعنهم، أو طعن فيهم. وانظر: مشارق أنوار اليقين في أسرار أمير المؤمنين ص٨٦، بل وزعموا أنها تبعث في آخر الزمان، ويجلدها المهدي!! انظر: علل الشرائع ص٣٠٣.

(٣) تفسير العياشي ٣/ ٢٢، الاحتجاج للطبرسي ص٤٦٣.

(٤) مثال المنافقين في زمن النبوة عبد الله بن أبي بن سلول، وبعد زمن النبوة كابن سبأ وأتباعه.

٧- **ومن عدم تعظيمهم للقرآن الكريم: أنهم يسوون بين القرآن الكريم ـ الذي هو كلام الله تعالى، وصفة من صفاته ـ وبين مخلوق ـ ولو كان معظما ـ ويقرن بينهما بذكر أوجه التشابه؛ فيقولون:** «ذكر مصيبة الحسين (ع) كالقرآن...، نقاط التشابه بين القرآن والحسين (ع): من عظمة القرآن بل وإعجازه أنه لا يمل من التكرار... كذلك هي مصيبة الحسين (ع) كلما قرأت عنها، أو سمعتها تراها جديدة لا تبلى!!...[1]، ثم إن النظر إلى المصحف عبادة، وكذلك تلاوته، واستماعه، كذلك رثاء الحسين (ع) قراءتها واستماعها، والبكاء والإبكاء عبادة...، ومن مظاهر التشابه الأخرى: أن القرآن الكريم معجزة في كل جوانبه...، كذلك الحسين: رأسه المقطوع، أعضاؤه، بدنه كله معجزة!!...»[2]، بل يذهبون إلى أبعد من ذلك **إذ يزعمون أن الحسين ﷺ كالقرآن، فيقولون: «الحسين قرآن ناطق:...** القرآن لا يمل بكثرة القراءة والتكرار، وهو يقرأ العمر كله، ولا يمل منه، كذلك اسم الحسين وذكر مصيبته!!...، والقرآن لا تمسه يد الخيانة[3]، وكذلك الحال بالنسبة لآثار الحسين...، ومما يذكر أن عدد آيات القرآن (٦٦٦٦) آية على المشهور[4]، وجروح بدن الحسين (ع) قيل: إنها أربعة آلاف جرح، ولو أضيف إليها مواضع سنابك الخيل؛ فإن عددها ربما يطابق عدد آيات القرآن!!!»[5].

٨- **ومن عدم تعظيمهم للقرآن الكريم اعتقادهم أن هناك آية أعظم منه؛ فقالوا:** فيما كذبوا على علي ﷺ أنه قال: «ما لله تعالى آية أكبر مني!!، ولا نبأ أعظم مني!!»[6].

٩- **ومن عدم تعظيمهم للقرآن الكريم قولهم بأن له ظاهرا وباطنا، وأن الباطن**

---

(١) فانظر ـ جعل الله في قلوبنا الغيرة لدينه ـ كيف جعل كلام الناس في مصيبة الحسين ﷺ ككلام الله ﷻ !!!.

(٢) الدار الآخرة لدستغيب الرافضي ص٢٥-٢٦.

(٣) إلا على قول الرافضة!!.

(٤) ومعلوم أن عدد آيات القرآن الكريم على العد المشهور عن الكوفيين، والتي اعتمدها ابن مجاهد عن أبي عبد الرحمن السلمي (٦٢٣٦) آية، وهو العد المعتمد عند المسلمين، ولكن القول بالستات الأربع هو قول العوام، وهم طوام. انظر: الإتقان للسيوطي ١/ ١٨٩.

(٥) الدار الآخرة لدستغيب ص٢٣٦-٢٣٧.

(٦) شرح الزيارة الجامعة الكبير ٢/ ١٧٨، نقلا عن كتاب: علماء الشيعة يقولون ص٥٢.

لا يعلمه إلا الأئمة المعصومون الطاهرون!![1]، فأصبح القرآن بالنسبة لهم طلاسم لا يعرفونه، ولا يفهمونه، حتى يأتي الإمام المعصوم فيبينها لهم!! فالرافضة من الفرق التي ترى أن للقرآن ظاهرا وباطنا، وأن الباطن مخصوص بالأئمة، ومن أخذ عنهم، ولهذا كان منهم التحريف في النصوص، على ضوء هذا الطاغوت ـ القول بالظاهر والباطن ـ فصاروا «يحرفون لفظ القرآن عن معناه، إلى ما يتفق مع عقيدتهم وأهوائهم...، وبالتأويل الفاسد: تحلل الروافض من القيم الأخلاقية، والشعائر الدينية، ونشروا الإباحة والإلحاد؛ فالخطابية استحلوا الزنا[2]، وشرب الخمر، وقالوا بترك الصلاة[3]...»[4].

١٠ - ومن عدم تعظيمهم للقرآن الكريم منعهم من قراءة سور معينة، ويرفعون ذلك؛ فيقولون: «قال أمير المؤمنين (ع) لا تعلموا نساءكم سورة يوسف!! ولا تقرؤوهن إياها!! فإن فيها الفتن!! وعلموهن سورة النور، فإن فيها المواعظ»[5]، ويتبع هذا أنهم يأمرون بالقراءة في الصلاة بـ «بعض كلمات ليس من القرآن، وأن لا يقرؤوا فيها بعض ما هو من القرآن!!»[6]؛ فقالوا: «ولا تقرأ في الفريضة شيئا من العزائم الأربع: وهي سورة سجدة لقمان[7]، وحم السجدة، والنجم، وسورة اقرأ باسم ربك!!»[8].

١١ - ومما يدل على عدم تعظيمهم للقرآن الكريم أنهم لا يهتمون بالقرآن، فـ «الرافضة لا تعتني بحفظ القرآن، ومعرفة معانيه، وتفسيره، وطلب الأدلة الدالة على معانيه، ولا تعتني أيضا بحديث رسول الله ﷺ، ومعرفة صحيحه من سقيمه،

---

(١) الدار الآخرة لدستغيب ص٢٣٥.

(٢) والشيعة الإمامية الرافضة كذلك ولكن بمسمى ملبس، وباسم الدين، وسموه بالمتعة المباحة!! أو "الصيغة"، يسمونها بغير اسمها.

(٣) والإمامية الإثنا عشرية الرافضة تجمع بين الصلوات، ولا تقيم الجمع بحجة غياب الحجة!!.

(٤) بحوث ودراسات في المذاهب والتيارات ص٤٨-٤٩.

(٥) تفسير نور الثقلين لسعيد على العروسي الحويزي ٣/ ٥٦٨.

(٦) صب العذاب على من سب الأصحاب للألوسي ص٤٧٩.

(٧) وليس في لقمان سجدة!! ولكن لعل المقصود سورة السجدة التي تلي سورة لقمان.

(٨) من لا يحضره الفقيه للصدوق ١/ ٢١٦، من كتاب صب العذاب على من سب الأصحاب للألوسي ص٤٧٩ ح(٤).

والبحث عن معانيه، ولا تعتني بآثار الصحابة والتابعين»[١]، «ومنهم طوائف لا يقرؤون[٢] القرآن، مثل كثير من الرافضة والجهمية، لا تحفظ أئمتهم القرآن، وسواء حفظوه، أو لم يحفظوه، لا يطلبون الهدى منه، بل إما أن يعرضوا عن فهمه وتدبره، كالأميين الذين لا يعلمون الكتاب إلا أماني، وإما أن يحرفوه بالتأويلات الفاسدة، وأما الحديث: فمنهم من لا يعرفه، ولم يسمع به، وكثير منهم لا يصدق به، ثم إذا صدقوا به كان تحريفهم له وإعراضهم عنه أعظم من تحريف القرآن والإعراض عنه...»[٣]، فالرافضة «ليس لهم سعي إلا في هدم الإسلام، ونقض عراه، وإفساد قواعده، والقدر الذي عندهم من الإسلام إنما قام بسبب قيام الجمهور به، ولهذا قراءة القرآن فيهم قليلة، ومن يحفظه حفظا جيدا فإنما تعلمه من أهل السنة...، والرافضة من أجهل الناس بدين الإسلام، وليس للإنسان منهم شيء يختص به إلا ما يسر عدو الإسلام، ويسوء وليّه»[٤].

١٢- ومما يدل على عدم تعظيمهم للقرآن الكريم عدم اهتمامهم بعلومه، ومن ذلك ترجمته إلى اللغة الفارسية ـ التي هي لغة المجوس قديما ـ: وقد وجد القرآن الكريم مترجما باللغة الفارسية قديما مع دخول الإسلام السلفي السني إلي بلاد فارس، وهذه الترجمات كلها ـ ولله الحمد ـ سنية، وأما الشيعة فمنذ دخول الإسلام إلى بلادهم، وتمسكهم بالمنحى الشيعي كان ولا يزال جهدهم منصّبًا على إبعاد الناس عن القرآن، ولذلك لم تترجم القرآن الكريم منذ دخول الإسلام في القرن الأول الهجري وحتى نهاية القرن التاسع، وفي أوائل القرن العاشر الهجري بدؤوا في الترجمة[٥]، وهذا يعني

---

(١) منهاج السنة ٥/ ١٦٣.

(٢) في المطبوع (لا يقرون)، ولكن السياق يدل على أن المقصود القراءة، لا الإقرار.

(٣) الدرء ٥/ ٢٢٧.

(٤) منهاج السنة ٧/ ٤١٥.

(٥) التفاسير باللغة الفارسية واتجاهاتها ٢/ ٥٨٠، نقلا عن بحث د/ عبد الغفور البلوشي، "تاريخ ترجمات معاني القرآن الكريم إلى اللغة الفارسية" المقدمة لندوة ترجمة معاني القرآن الكريم، ص٣٧، وذكر في ص٣٠ أنه ليس للشيعة إلا تفسير واحد بالفارسية ألف خلال القرن السادس الهجري، وهو باسم "روض الجنان وروح الجنان" لأبي الفتوح الرازي ٥٤٨هـ.

الإهمال، وعدم الاهتمام، واللامبالاة بالوحي المنـزل، والكتاب المبجل، إذ هم يهتمون بما ورثوه من الآباء والأجداد، وينتظرون ما يخرج به مهديهم!!.

١٣- ومن صور عدم تعظيمهم للقرآن الكريم استعمالهم له على شكل حروز وأشكال مخلوطة بالأرقام السرية!!، والدوائر والأشكال الهندسية، يلبسها الأنجاس، ويكون مهانا وربما تداس، ويدخل بها في أماكن القذارة من قبل الناس(١)، وعن طريقهم انتشر هذا الأمر بين عوام أهل السنة، والمتصوفة ـ والله المستعان ـ.

١٤- ومما يدل على عدم تعظيمهم للقرآن الكريم أنهم لا يهتمون بحفظه، وليس عندهم أسانيد للقرآن الكريم إلا من طريق أهل السنة، وليس عندهم اهتمام بعلوم القرآن الكريم كالاهتمام بضبط القرآن الكريم، ورسمه، ونحو ذلك.

١٥- أنه لا يعرف في تراجم أعلامهم أنهم كانوا يهتمون بقراءة القرآن الكريم، بخلاف أهل السنة الذين لا يبلغ أحدهم مرتبة العلم إلا بحفظ وفهم القرآن الكريم، وتجد لهم تلاوات عظيمة، كثيرة، ومتأنية، تكون بتدبّر، وخشوع وخضوع.

فهذا تعظيم الرافضة للقرآن الكريم، ولما لم يعتقدوا صيانته، ولم يعظموه حق تعظيمه بالعلم والعمل، كان نصيبهم من الاحتجاج به والإعراض عنه أكبر، وهذا ما أبينه في المبحث التالي.

---

(١) انظر: ضياء الصالحين ص٤٤١، ٥٢٥ حيث ذكر طلسم يوم الأحد، والجمعة... وهكذا لكل يوم طلسم، ولكل مناسبة شكل. وانظر: بحار الأنوار ٩٤/ ١٩٣ باب عوذات الأئمة!!.

المبحث الرابع: عدم اعتمادهم عليه في العقائد

ذكرت أن الرافضة لا يقيمون للقرآن تعظيما إذ قالوا بتحريفه، وزيادته، ونقصانه، **فلم يعتبروه حجة، ولم يبالوا بآياته**، ولذلك فإن أهل السنة: «أكفروا من زعم من الرافضة أن لا حاجة اليوم في القرآن والسنة، لدعواهم فيها أن الصحابة غيروا بعض القرآن، وحرفوا بعضه!!»(١).

فاعتمادهم: على أئمتهم المعصومين!! وعلى ما روي عنهم عن طريق الإخباريين!! وعلى ما يرونه بعقولهم ولو كان فيه شين.

وجل اعتمادهم على ما يروونه عن أئمتهم ـ الذين زعموا أنهم معصومون ـ، بل قالوا: «إنهم يخاطبون، ويسمعون الصوت، ويأتيهم صور أعظم من جبريل وميكائيل...، قال سمعت: أبا عبد الله (ع) يقول: إن منا لمن يعاين معاينة، وإن منا لمن ينقر في قلبه كيت وكيت، وإن منا لمن يسمع كما يقع السلسلة كله يقع في الطست، قال ـ أي الراوي عنه ـ قلت: فالذين يعاينون ما هم؟ قال: خلق أعظم من جبريل وميكائيل؟!!»(٢)؛ فعلى هذا لم يكمل الدين، ولا يكمل!! لأن كل إمام يوحى إليه!! بل زعموا أن عليا ﷺ عرج به إلى السماء!!(٣).

---

(١) الفرق بين الفرق للبغدادي ص ٢٥٢، وانظر: المعتمد في أصول الدين لأبي يعلى الفراء ص ٢٥٩.

(٢) بصائر الدرجات ٥/ ٢٥١، نقلا عن كتاب: علماء الشيعة يقولون ص٥٣، واليهود كانت تقول بنزول الوحي على الوصي، وكذلك قالت الرافضة. انظر: عبد الله بن سبأ وإمامة علي بن أبي طالب لعلي بن عبد الرحمن السلمان ص٦٢.

(٣) انظر: الاختصاص للمفيد ص٢١٣، وانظر: عبد الله بن سبأ وإمامة علي بن أبي طالب لعلي بن عبد الرحمن السلمان ص ٧٠، حيث نقل نصوصا من كتبهم في ذلك.

ولهذا فإن الرافضة ترى أن الحجة هو الإمام المعصوم، ولا يكون حجة سواه؛ فكيف سيكون موقفهم من القرآن الكريم؟؟ قالوا عن أئمتهم: «هم المعلمون للملائكة: تسبيح الله، وتهليله، وتكبيره، وتمجيده، وروي أن جبرائيل (ع) كان جالسا عند النبي ﷺ فأتى علي (ع) فقام له جبرائيل؛ فقال ﷺ: أتقوم لهذا الفتى؟ فقال: إن له علي حق التعليم!!...»[(١)]، فالإمام عندهم يعلّم أمين الوحي جبريل ؑ!!!!.

بل غلوا في الإمامة وأقوال الأئمة حتى قالوا: «إن تعاليم الأئمة كتعاليم القرآن، لا تخص جيلا خاصا، وإنما هي تعاليم للجميع في كل عصر ومصر، وإلى يوم القيامة، يجب تنفيذها واتباعها»[(٢)]، ويقولون: «نعتقد أن أمرهم أمر الله تعالى، ونهيهم نهيه، وطاعتهم طاعته، ومعصيته معصيتهم، ووليهم وليه، وعدوهم عدوه، ولا يجوز الرد عليهم، والراد عليهم كالراد على رسول الله، والراد على رسول الله كالراد على الله تعالى!!»[(٣)].

ولأنهم لا يصدرون عن القرآن الكريم، وقالوا بالإمامة بناء على قول ابن سبأ اليهودي، ولم يجدوا ذلك في القرآن الكريم؛ فإنهم قالوا بتحريف القرآن الكريم!![(٤)].

فيصدرون عن الأشخاص، والتعظيم عندهم قائم للأشخاص، ولا يقوم عندهم التعظيم للمبادئ الإسلامية، التي جاء بها الكتاب والسنة النبوية، ولهذا الغرض حرفوا أيضا آيات القرآن الكريم؛ فقالوا في كثير من الآيات ما يظنونه

---

(١) شرح الزيارة الجامعة الكبيرة، باب/ وشهداء على خلقه، وأعلاما لعباده!! ص٣٧١، نقلا عن كتاب: علماء الشيعة يقولون ص ٥٩.

(٢) الحكومة الإسلامية للخميني ص١١٣.

(٣) عقائد الإمامية لمحمد رضا المظفر ص١٠٦-١٠٧ وانظر: كشف الأسرار للخميني، ترجمة د/ محمد البنداري ص٢٠٧.

(٤) انظر: الشيعة الإثنا عشرية وتحريف القرآن ص٤٤ وما بعدها، وبناء على القول بأن الإمامة من أركان الإسلام فإنهم كفروا من لم ير إمامة أئمتهم!! بل وجعلوا ذلك مثل الشرك بالله!! مع أنهم يمارسون أبشع أنواع الشرك كما هو معروف من اعتقادهم في أئمتهم، ودعائهم لهم من دون الله، وغير ذلك من مظاهر الشرك المعروفة عندهم.

بأوهامهم،ويروونه من رواتهم، ففي قوله ﷻ: ﴿ وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ ٱلْأَقَاوِيلِ ۝ لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِٱلْيَمِينِ ۝ ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ ٱلْوَتِينَ ۝ فَمَا مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَـٰجِزِينَ ۝ وَإِنَّهُۥ لَتَذْكِرَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ ۝ وَإِنَّا لَنَعْلَمُ أَنَّ مِنكُم مُّكَذِّبِينَ ۝ وَإِنَّهُۥ لَحَسْرَةٌ عَلَى ٱلْكَـٰفِرِينَ ﴾ [الحاقة:٤٤-٥٠] قالوا: إن منكم مكذبين، يعني: فلانا، وفلانا!!! وإنه لحسرة على الكافرين: يعني عليا (ع)!! وإنه لحق اليقين يعني: عليا (ع)!!»[(١)].

ومنهم من يعتمد على كتب وضعها لهم الكذابون، ومن ذلك ما أضيف إلى جعفر الصادق ﵀؛ حيث «أضيف إليه كتاب الجفر، والهفت، حتى أضيف إليه رسائل إخوان الصفا؛ وهذا في غاية الجهل؛ فإن هذه الرسائل إنما وضعت بعد موته بأكثر من مائتي سنة؛ فإنه توفي سنة ثمان وأربعين ومئة، وهذه الرسائل وضعت في دولة بني بويه، في أثناء المائة الرابعة...، وضعها جماعة زعموا أنهم جمعوا بين الشريعة والفلسفة؛ فضلوا وأضلوا»[(٢)]، ولذلك نصوا على أن القائم - مهديهم - إذا قام؛ فإنه «يقوم القائم بأمر جديد، وكتاب جديد!!! وقضاء جديد، على العرب شديد!! ليس شأنه إلا السيف لا يستتيب أحدا!!!»[(٣)]، وقالوا: إن القائم يحكم بحكم داود، وآل داود!![(٤)]؛ فأين كتاب الله ﷻ وسنة رسوله ﷺ!؟.

ولما نظروا إلى كتبهم الملفقة المزورة المكذوبة على آل البيت، وما بينها وبين القرآن الكريم من التناقض قالوا: بتحريف القرآن الكريم!![(٥)].

ويزعمون أنهم يتحاكمون إلى مصحف فاطمة ﵂؛ وعليه اعتمادهم، ولهذا أهملوا القرآن الكريم، وقالوا عن هذا المصحف المزعوم: «وإن عندنا لمصحف فاطمة (ع) وما يدريهم ما مصحف فاطمة (ع)؟ قال: قلت: وما مصحف فاطمة؟ قال: مصحف

---

(١) تفسير العياشي ٣/ ٢٢.

(٢) مختصر الفتاوى ص١٥٦، وانظر: نقض المنطق ص٦٦، المجموع ٣٥/ ١٣٨.

(٣) كتاب الغيبة ص١٥٤، من كتاب: علماء الشيعة يقولون ص ١٠٦.

(٤) الأصول في الكافي ١/ ٣٧٩.

(٥) انظر: الشيعة الإثنا عشرية وتحريف القرآن ص ٥٣ وما بعدها.

فاطمة فيه مثل قرآنكم هذا ثلاث مرات، والله ما فيه من قرآنكم حرف واحد، قال قلت: هذا والله العلم[(١)]!!...»[(٢)].

ولما كانت أصول مذهب الرافضة: التلقي عن الأئمة دون النظر إلى الكتاب والسنة، قالوا بالكفر الظاهر، والشرك الجلي، والمبتدعات الشنيعة، والمستدركات على الشريعة!! حتى وصل بهم الأمر إلى أنهم نفوا الاجتماع والالتقاء مع أهل السنة - أهل الحق والإنصاف - بل تبرؤوا من الله ﷻ، ومن نبيه محمد ﷺ، حتى قالوا: «إنا لم نجتمع معهم - أي مع أهل السنة - على إله، ولا على نبي، ولا على إمام!! وذلك أنهم يقولون: إن ربهم هو الذي كان محمد ﷺ نبيه، وخليفته بعده أبو بكر، ونحن لا نقول بهذا الرب، ولا بذلك النبي، بل نقول: إن الرب الذي خليفة نبيه أبو بكر ليس ربنا، ولا ذلك النبي نبينا!!»[(٣)].

ويكفي أن تعلم أنهم لما لم يصدروا عن القرآن الكريم، ولا وردوا هداه، قالوا: إن النبي الكريم ﷺ فشل في دعوته، ولم يؤمن به طيلة ثلاث وعشرين سنة إلا ثلاثة نفر!! والباقون كلهم أهل نفاق!![(٤)]، فـ«الرسول الذي آمنوا به؛ فهو بزعمهم رجل من العرب لم يبلغ رسالات ربه!! وليس هو أفضل الخلق!! بل إن من ليس بنبي يساويه بزعمهم[(٥)]، وأنه رد الوحي مرتين، وأنه لم يبلغ رسالات ربه في آخر حياته خوفا من ضرر أصحابه...»[(٦)].

ويدعي الخميني أنه استطاع أن يقيم ما لم يقمه محمد بن عبد الله ﷺ!!! فاستطاع الفقيه الوالي عن الإمام الغائب المنتظر - عندهم - أن يكون أفضل في دعوته

---

(١) كيف يكون فيه العلم، وما فيه من قرآننا حرف واحد!! اللهم إلا أن يكون فيه علم المجوس!!.

(٢) الكافي للكليني، كتاب الحجة، باب/ فيه ذكر الصحيفة والجفر، والجامعة، ومصحف فاطمة!! ١/ ١٨٥-١٨٦.

(٣) الأنوار النعمانية ٢/ ٢٧٨.

(٤) الروضة من الكافي ٨/ ٢٤٥.

(٥) قال المجلسي في بحار الأنوار ٢٦/ ٢٦٧، باب/ تفضيل الأئمة على الأنبياء وعلى جميع الخلق!!... وأن أولي العزم صاروا أولي العزم بحبهم!! وقال: ٢٦/ ٣١٩، باب/ أن دعاء الأنبياء استجيب بالتوسل والاستشفاع بالأئمة!!

(٦) صب العذاب على من سب الأصحاب ص ٤٧٨، وانظر ما بعدها.

من أفضل خلق الله محمد ﷺ ـ اللهم سبحانك هذا بهتان عظيم ـ يقول الخميني: « لقد جاء الأنبياء جميعا من أجل إرساء قواعد العدالة في العالم، لكنهم لم ينجحوا، حتى النبي محمد[١] خاتم الأنبياء، الذي جاء لإصلاح البشرية، وتنفيذ العدالة، وتربية البشر لم ينجح في ذلك!! وإن الشخص الذي سينجح في ذلك، ويُرسي قواعد العدالة في جميع أنحاء العالم، في جميع مراتب إنسانية الإنسان، وتقويم الانحرافات هو المهدي المنتظر... »[٢].

ولهذا كان أئمة الشيعة، أو المناوبون عن الغائب منهم كلامهم هو المعتمد، وقوله هو المجد، ولذا كان دستور الدولة الإسلامية!! عندهم قائما على « منح الفقيه حق الولاية العامة، يسوق منطقيا إلى رفع منـزلته إلى مقام الأئمة المعصومين، وهو ما ادعاه الخميني لنفسه، بدعوى استمرارية الإمامة، والقيادة العامة في غيبة المهدي، وعليه فإن الدستور في فلسفته العامة يستمد شرعيته وصلاحيته من الأراء والمعتقدات الذاتية للخميني باعتباره "حجة مطلقة"!! ونائبا عن الإمام الغائب في الفصل بين الأشياء والأمور!! »[٣].

فالرافضة مع طعنهم في أصحاب رسول الله ﷺ لا يمكنهم إثبات مطلب مّا، « من المطالب الدينية على القول بارتداد الصحابة ـ والعياذ بالله ـ إلا القليل...، والخبر... لا بد له من ناقل؛ فهو إما من الشيعة، أومن غيرهم، ولا اعتبار لغيرهم عندهم أصلا؛ لأن منتهى وسائطهم في رواياتهم المرتدون المحرفون لكتاب الله تعالى!! المعادون المعاندون للأمير ﷺ وسائر أهل بيته!! »[٤].

فإذا كان هذا حالهم مع القرآن؛ فلا شك أن موقفهم من السنة النبوية الثابتة أشد وأنكى، وأقبح وأردى، ولهذا لا يقيمون لما روي عن طريق الصحابة وزنا، ولا ما جاء عن النبي ﷺ، بل اعتمادهم ما رواه علماؤهم عن أئمتهم المعصومين بزعمهم[٥].

---

(١) هكذا دون أن يصلي عليه!! اللهم صل وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه.

(٢) نهج خميني ص٤٦.

(٣) نهج خميني ص١٨.

(٤) صب العذاب على من سب الأصحاب ص ٣٦٨-٣٦٩.

(٥) انظر: مصادر التلقي ص١٤١ وما بعدها، ومن أهم مصادر التلقي الكتب التي منها يتلقون أقوال أئمتهم ما =

قال الشيخ محمود شكري الألوسي ﷺ: «نعم، إنهم أخذوا مذهبهم من الرقاع المزورة، التي لا يشك عاقل أنها افتراء على الله تعالى، ولا يصدق بها إلا من أعمى الله بصره وبصيرته... والعجب من الرافضة أنهم سموا صاحب الرقاع بـ"الصدوق"، ولا يخفاك أن هذا من قبيل تسمية الشيء باسم ضده، وهو وإن كان يظهر الإسلام، غير أنه كافر في نفس الأمر، وكان يزعم أنه يكتب مسألة في رقعة فيضعها في ثقب شجرة ليلا!! فيكتب الجواب عنها صاحب الزمان!!.

وهذه الرقاع عند الرافضة من أقوى دلائلهم، وأوثق حججهم، فتباً لقوم أثبتوا أحكام دينهم بمثل هذه الترهات، واستنبطوا الحلال والحرام من نظائر هذه الخزعبلات، ومع ذلك يقولون: نحن أتباع أهل البيت!! كلا، بل هم أتباع الشياطين، وأهل البيت بريئون منهم»[(١)].

فالرافضة لا يتلقون عن الكتاب والسنة، «وشيوخ الروافض معترفون بأن هذا الاعتقاد في التوحيد والصفات... لم يتلقوه لا عن كتاب، ولا سنة، ولا عن أئمة أهل البيت، وإنما يزعمون أن العقل دل عليه، كما يقول ذلك المعتزلة، وهم في الحقيقة إنما تلقوه عن المعتزلة، وهم شيوخهم»[(٢)].

«**ولو فرض** ـ على سبيل التقدير ـ أن العقل الصريح الذي لا يكذب، يناقض بعض الأخبار: للزم أحد الأمرين: إما تكذيب الناقل، أو تأويل المنقول؛ لكن ـ ولله الحمد ـ هذا لم يقع، ولا ينبغي أن يقع قط؛ فإن حفظ الله لما أنزله من الكتاب والحكمة يأبى ذلك، نعم يوجد مثل هذا في أحاديثَ وضعتها الزنادقة ليشينوا بها أهل الحديث»[(٣)].

= يأتي: ١ ـ الكافي للكليني، وهو أصح الكتب عند الرافضة!! بل هو كصحيح البخاري عند أهل السنة. ٢ ـ من لا يحضره الفقيه للقمي. ٣ ـ التهذيب لأبي جعفر الطوسي. ٤ ـ الاستبصار لأبي جعفر الطوسي، وقالوا: إن العمل بما في الكتب الأربعة واجب!! انظر: صب العذاب على من سب الأصحاب ص ٢٨٦ وما بعدها.

(١) صب العذاب على من سب الأصحاب ص ٣٠٠-٣٠١، ثم ذكر بعضا من الرقاع التي يستندون عليها.

(٢) منهاج السنة ٢/ ٣٦٩.

(٣) المجموع ٣٣/ ١٧٣.

واعتماد الرافضة الكلي على العقل في مسائل التوحيد، ولهذا فهم يسمون هذا الباب بعلم الكلام، قالوا: «ومن أجل هذا أسّس علم الكلام...؛ فمن يقف على كتب المسلمين في هذا العلم يجد للشيعة الإمامية النظرات العالية، والمعتقدات التي تتفق مع العقل السليم!! والمنطق الحر!!»[(١)].

فالرافضة عندهم من الأصول التي يعتمدون عليها: العقل!! ولكنها عقولهم التي أوردتهم الموارد، وإلا فإن العقل الصريح لا يناقض النقل الصحيح[(٢)].

وهؤلاء الرافضة كانوا بابا عظيما للباطنية، إذ دخلوا من طريقهم إلى إفساد الإسلام، وفي الفصل التالي سيكون الحديث عن الباطنية.

---

(١) تبويب الذريعة إلى تصانيف الشيعة ص٤٠.

(٢) ولهذا ألف شيخ الإسلام ﷺ كتابه الفذ: درء تعارض العقل والنقل، لبيان هذا المقصد، ورفع التعارض المتوهم، وانظر: صب العذاب على من سب الأصحاب ص ٥٠٠.

الفصل الرابع

منزلة القرآن الكريم عند الباطنية

وفيه مباحث:

المبحث الأول: التعريف بالباطنية.

المبحث الثاني: اعتقاد الباطنية عدم انقطاع الوحي.

المبحث الثالث: اعتقاد الباطنية في القرآن الكريم.

المبحث الرابع: استهانة الباطنية بالقرآن الكريم.

المبحث الأول: التعريف بهم

كلمة الباطنية من الباطن، ولقبوا بهذا؛ لأنهم يقولون: بأن لكل ظاهر باطنا، ويقولون: الظاهر بمنـزلة القشور، والباطن بمنـزلة اللب[(١)].

وقيل: هم الذين يعتقدون أن للقرآن ظاهرا وباطنا، وأن المراد باطنه[(٢)]، وقال الغزالي: «الباطنية: وهم يدعون أنهم أصحاب التعلم، والمخصوصون بالاقتباس من الإمام المعصوم»[(٣)].

وقال ابن الجوزي رحمه الله: «الباطنية: قوم تستروا بالإسلام ومالوا إلى الرفض»[(٤)].

فالباطنية هم الذين سلكوا في النصوص مسلك التأويل الباطني الذي لا يدل عليه العقل؛ فضلا عن الكتاب والسنة، كقولهم: إن الصلاة هي أسرار أئمتنا!!![(٥)].

ولهم أسماء عدة، وهم طوائف مختلفة، ومن أشهرها[(٦)]:

١- **الباطنية:** لادعائهم أن للدين ظاهرا وباطنا، وأن الظاهر هو القشر، والباطن هو اللب، «ومرادهم أن ينزعوا من العقائد موجب الظواهر، ليقدروا

---

(١) انظر: كتاب اصطلاح الصوفية لابن عربي ص ١٥ (القشر)، الحركات الباطنية للخطيب ص١٩.

(٢) انظر: الأنساب للسمعاني ٢/ ٢٦٠، رسالة في ألفاظ الكفر لقاسم بن صلاح الدين الخاني، ص ٣٧٩، ضمن الجامع لألفاظ الكفر، للشيخ د/ محمد الخميس.

(٣) المنقذ من الضلال ص٨٩، المجموع ٢/ ٥٥، شرح الأصبهانية ص٥٠٩.

(٤) تلبيس إبليس لابن الجوزي ص ١١٣.

(٥) انظر: الصفدية ١/ ٢٧٦.

(٦) انظر: تلبيس إبليس لابن الجوزي ص ١١٣، الفرق بين الفرق للبغدادي ص ١١، وما بعدها، المجموع ٣٥/ ١٥٢، الدرء ٥/ ٢٠٨، مناهل العرفان ٢/ ٨٢.

بالتحكم بدعوى الباطن على إبطال الشرائع »(١).

٢- **إخوان الصفا**: وهم قوم من بقايا الفرس والمجوس اجتمعوا سرا لإبطال الشريعة الإسلامية، ولكن بطرق خفية(٢).

٣- **الإسماعيلية**: نسبة إلى زعيمهم: محمد بن إسماعيل بن جعفر، وزعموا أن الله حل فيه!!(٣).

٤- **السبعة أو السبعية**: نسبة إلى قول بعض فرقهم بأن للأشياء سبعة أدوار، ومن جملة ذلك الإمامة، وهذا هو قول الإسماعيلية، وأن هذه الأدوار لا نهاية لها، وأن المقصود بالقيامة الدور السابع في كل شيء!!، وقيل لهم سبعية أيضا: لقولهم إن الأفلاك السبعة السماوية مدبرة للأمور الأرضية!! وهذا يعنى أنهم لا يدينون بالقيامة، وأنهم دهرية كما قال البغدادي رحمه الله(٤).

٥- **البابكية**: وهو اسم لطائفة منهم تبعوا شخصا يقال له: بابك الخرمي، وكان من الباطنية(٥).

٦- **المحمرة**: ونسبوا إلى ذلك لأنهم صبغوا ثيابهم بالحمرة، في أيام بابك الخرمي.

٧- **القرامطة، أو القرمطية**: نسبة إلى رجل يقال له: حمدان قرمط، وقيل نسبة إلى رجل يقال له "كرميته"(٦).

٨- **الخرمية**: و(خُرَّم) لفظ أعجمي، ومعناه المستلذ المستطاب(٧)، ومقصود هذا

---

(١) تلبيس إبليس لابن الجوزي ص ١١٣، وانظر: الفرق بين الفرق للبغدادي ص ٢٢٤، الموسوعة العربية الميسرة ٢/ ١٣٧٣.

(٢) انظر: الحركات الإسلامية للخطيب ص ١٦٩.

(٣) انظر: الحركات الإسلامية للخطيب ص ٥٥ وما بعدها، بحوث ودراسات في المذاهب والتيارات ص٥١.

(٤) انظر: الفرق بين الفرق للبغدادي ص٢٢٤، الدرء ٥/ ٤.

(٥) انظر: كيد الشيطان لابن الجوزي ص ١٠٦.

(٦) انظر: الأنساب للسمعاني ٤/ ٤٧٨، كيد الشيطان لابن الجوزي ص ١٠٦، اليمانيات المسلولة للكوراني ص٢٠٨ وما بعدها، الحركات الإسلامية للخطيب ص ١٣٥ وما بعدها.

(٧) انظر: المعجم الفارسي (فرهنك عميد) ١/ ٨٥١.

الاسم أن الباطنية إنما يتبعون ما لذ وطاب في أعين الناس، دون نظر إلى شرع، وإلى دين.

٩- **التعليمية**: وذلك لأنهم يبطلون العقول، وحججها، ويغمضون النصوص وظواهرها، ويلزمون أتباعهم بالتعليم من الإمام المعصوم!!.

١٠- **الملاحدة**: وذلك لأن دينهم يعود إلى الإلحاد في الأديان، وبما جاء في شريعة الرحمن.

١١- **الخطابية**، وهم أصحاب أبي الخطاب بن أبي زينب(١)، ويزعمون أن الأئمة محدثون ورسل الله، وحججه على خلقه(٢).

١٢- **النصيرية**: وهي حركة باطنية ظهرت في القرن الثالث الهجري، على يد غلاة الشيعة، وقالوا بألوهية علي ﷺ، وهم يسمون اليوم بالعلويين(٣).

١٣- **الدروز**: طائفة من الباطنية انشقت عن الإسماعيلية، في العهد العبيدي في مصر(٤).

١٤- **البابية**: وهي فرقة تعتقد بأن الميرزا علي محمد الشيرازي نبي، وأنه نسخ الشريعة الاسلامية(٥).

١٥- **البهائية**: وهي فرقة تعتقد بأن البهاء حسين بن علي بن عباس النوري قد أصبح هو النبي وهو الإله، وأنه قد نسخ الشريعة الإسلامية(٦).

١٦- **القاديانية**: وهم أتباع غلام أحمد القادياني، وهو يدعي أنه نبي وأنه أوحي إليه!!(٧).

---

(١) هو: أبو الخطاب محمد بن أبي زينب مقلاص الأسدي الكوفي، انظر: منهاج السنة ١/ ٦٤.

(٢) منهاج السنة ٢/ ٥٠٦.

(٣) انظر: بحوث ودراسات في المذاهب والتيارات ص ٥٩.

(٤) انظر: الحركات الإسلامية للخطيب ص ١٩٩، بحوث ودراسات في المذاهب والتيارات ص ٦٦.

(٥) انظر: بحوث ودراسات في المذاهب والتيارات ص ٧٣ وما بعدها.

(٦) انظر: بحوث ودراسات في المذاهب والتيارات ص ٨٣ وما بعدها.

(٧) انظر: الموجز في الأديان والمذاهب المعاصرة ص ١٤٤ وما بعدها، بحوث ودراسات في المذاهب والتيارات ص ١٠٨ وما بعدها.

و« هذه الأسماء منها ما يعمهم، ومنها ما يخص بعض أصنافهم، كما أن الإسلام والإيمان يعم المسلمين، ولبعضهم اسم يخصه: إما لنسب، أو لمذهب، وإما لبلد، وإما لغير ذلك...، وهم كما قال العلماء فيهم: ظاهر مذهبهم الرفض، وباطنه الكفر المحض »(١).

وفي نسبة الباطنية: إلى فئة اختلاف كثير ـ وهذا لا يهم ـ إذ المهم معرفة أفكارهم وأقوالهم في هذا الباب خصوصا، واللب الذي اجتمعوا عليه هو: التأويل الفاسد لآيات الكتاب، والأحاديث، وقولهم إن النصوص لها معانٍ باطنة لا يعلمها إلا الأئمة، ولعل أول نابغة نبغت وتبنت هذا الرأي، هو عن طريق عبد الله بن سبأ اليهودي(٢).

وأول ظهور بداية جماعية لهم كان فيها أولاد المجوس، وبقايا الخرمية، والفلاسفة واليهود؛ إذ جمعهم ناد، وتشاوروا فيما بينهم وقالوا: إن محمدا غلب علينا، وأبطل ديننا، واتفق له أعوان، ونصروا مذهبه، ولم يكن نبيا!!، ولا مطمع لنا في مغالبته بالقوة، ولا بالحجة، فلا بد من هدمه من الداخل بالتأويلات، ولهذا قيل: إن وباء الباطنية على عمومه منقول بطريق العدوى من المجوس(٣).

ولا شك في أن الباطنية بجميع نحلها ليست من فرق الإسلام في شيء، قال البغدادي ﷺ: « وليست الباطنية من فرق الإسلام، بل هي من فرق المجوس »(٤).

وهؤلاء الباطنية « فإنهم في الباطن كافرون بجميع الكتب والرسل، يخفون ذلك، ويكتمونه عن غير من يثقون به، لا يظهرونه...، لأنهم لو أظهروه لنفر عنهم

---

(١) المجموع ٣٥/ ١٥٢.

(٢) عبد الله بن سبأ، ويعرف بابن السوداء، اليهودي، كان من يهود اليمن، وأظهر الإسلام لتدمير الإسلام من الداخل، فادعى أن عليا هو وصي رسول الله، كما أن لكل نبي وصيّا، ثم ادعى أنه هو الله، وأن الله تجسد في بدنه!! وأنه لم يمت، بل هو في السحاب، وصوت الرعد صوته!! سعى في تأجيج نار الفتنة، وأشعلها حتى قتل عثمان ﷺ مظلوما، وفي خلافة عليّ ﷺ ظهرت السبأية، فطلبهم علي ﷺ وقتل منهم من قتل، وهرب ابن سبأ إلى مصر، وقيل بل قَتَله عليٌّ، وقيل غير ذلك. انظر: ابن سبأ حقيقة لا خيال، د.سعدي الهاشمي.

(٣) انظر: مناهل العرفان ٢/ ٦٣.

(٤) الفرق بين الفرق للبغدادي ص ٢٢.

جماهير أهل الأرض من المسلمين وغيرهم»[١].

أمور اتفقت عليها الباطنية:

١ - **التأويل الفاسد:** وهو تفسير الكتب المقدسة تفسيرا رمزيا أو مجازيا، يكشف عن معانيها بحسب رغباتهم، فالشريعة عندهم مشتملة على ظاهر وباطن لاختلاف فطر الناس!![٢].

٢- **الدخول إلى الاسلام لإفساده، وذلك من طرق: الأول:** التشيع، فهو باب الباطنية، ولهذا ظهر فيهم...، **الثاني:** التصوف، وظهر فيهم الباطنية بشدة مثل المولوية ونحوها، **والثالث:** علم الفلسفة والكلام، فأكثر هؤلاء الباطنية كابن سينا والفارابي وغيرهم من المتكلمين من الفلاسفة.

٣- **إظهار الموافقة لكل أحد على حسب ما يعتقده المخاطب:** فهم لا يظهرون ما يبطنون إلا لخاصتهم، ويقولون: إنه لا يظهر الحقيقة الباطنية لكل أحد[٣]، ويسمونها التقية: وهي واجبة عند جميع الحركات الباطنية[٤]، يقول ابن عربي الحلولي: «الغيرة: غيرة في الحق لتعدي الحدود، **وغيرة تطلق بازاء كتمان الأسرار والسرائر، وغيرة الحق: ضِنته على أولياءه، وهم الضنائن**»!![٥] ويقول عن الفناء الصوفي: «وهذا الفن من الكشف، والعلم: يجب ستره عن أكثر الخلق!! **لما فيه من العلو، فغوره بعيد! والتلف فيه قريب!**»[٦]، ويقول شاعرهم:

---

(١) المجموع ٣٥/ ١٤١.

(٢) انظر: إيثار الحق ص١٢٣، الحركات الباطنية ص ٣٠، المعجم الفلسفي، جميل صليبا ١/ ٣٣٤، ونظرة واحدة إلى كتاب: أخبار جلال الدين الرومي يتبين لك ضلال الباطنية الصوفية وغيرهم، وتلاعبهم بالنصوص الشرعية، والألفاظ التي لها معانٍ في العربية، حتى يتسنى لهم ما يريدون من العقيدة الغوية، التي يبطنونها في أنفسهم خوفا من أهل الظواهر السنية.

(٣) انظر: الحركات الباطنية ص ٤٧ ـ ٤٨، تاريخ الفكر العربي لعمر فروخ ص١٤٤.

(٤) انظر: الحركات الباطنية ص ٥٢.

(٥) كتاب اصطلاح الصوفية له ص ١١ (الغيرة).

(٦) الفناء لابن عربي ص ٣، وانظر منه ص ٤، وانظر: رسالته للرازي ص١٠.

وأسرار تـراءت مبهمــات متسـترة بـأرواح المعانـي

فمن فهم الإشارة فليصنها وإلا سوف يقـتل بالسـنان[١]

وهكذا يقول الفيلسوف ابن رشد: «فالتأويلات ليس ينبغي أن يصرح بها للجمهور، ولا يثبت في الكتب الخطابية، أو الجدلية،... وأما المصرح **بهذه التأويلات لغير أهلها فكافر، لمكان دعائه للناس إلى الكفر**»[٢].

٤- **تزهيدهم في ظاهر الشرع**، وظاهر القرآن بحجة الباطن، ويسمون العلماء بأهل الرسوم، والنظر الفكري[٣]. بل ويقولون: «الحجب المانعة من إدراك الحق عظيمة، وأعظمها: العلم»[٤]، بل ويقولون: «من صار إلى تأويله الباطن فهو من الملائكة البررة، ومن عمل بالظاهر فهو من الشياطين الكفرة»[٥].

٥- **ادعاؤهم أن الله ظهر في الصورة الناسوتية**: ثم اختلفوا وكل فريق منهم يدعي أن اللاهوت ظهر في صورة الناسوت، أي الله ظهر في صورة الإنسان، وكل واحد يقول هو شيخنا، أو إمامنا، أو رئيسنا[٦]. قال ابن عربي: «التوحيد لا تصح العبارة عنه؛ لأنه لا يعين إلا للغير، ومن أثبت غيرا فلا توحيد له»[٧]. ويقول بعضهم: «رسل الله: الله»[٨]، ويقول القونوي عن نفسه: «علامتي بلا علامة، مكاني بلا مكان! ولا أنا جسم ولا روح، فنفسي روح الأرواح!، **لما لفظت الاثنينية رأيت العالم واحدا**، إني أرى واحدا، وأنشد واحدا، وأعلم واحدا، وأقرأ واحدا!!!»[٩].

(١) الإسراء إلى مقام الأسرى لابن عربي ص٤، ونقل شيخ الإسلام ﵀ أبياتا مشابهة لهذه، كما في المجموع ٨/ ٣١٧.

(٢) فصل المقال فيما بين الحكمة والشريعة من الاتصال ص ٣٣.

(٣) الفناء لابن عربي ص ٧، القربة له ص ٨، وانظر: الميم والواو والنون لابن عربي ص٨.

(٤) التراجم لابن عربي ص ١٨.

(٥) الفرق بين الفرق للبغدادي ص ٢٢٣.

(٦) انظر: المجموع ٨/ ٣١٧، الحركات الباطنية ص ٣٤١، إسلام بلا مذاهب ص٣٣٢.

(٧) الإعلام بإشارات أهل الإلهام لابن عربي ص٥.

(٨) الإعلام بإشارات أهل الإلهام لابن عربي ص٧.

(٩) تاريخ التصوف الإسلامي لعبد الرحمن بدوي ص٢٩، وانظر: أخبار جلال الدين الرومي ص٣٧٧.

٦- **ادعاؤهم علم الغيب**: فهذا ابن عربي المنكر يقول: «المطالعة: توقيعات الحق للعارفين ابتداء، وعن سؤال منهم فيما يرجع إلى حوادث الكون»[(١)]. ويقول ابن عربي ناصحا مريده بالاستمرار: «فإن لم تقف رفع لك سرير الرحمانية، وكل شيء عليه، فإذا نظرت في كل شيء، فسترى جميع ما اطلعت عليه فيه، وزائدا على ذلك، **ولا يبقى علم، ولا عين إلا وتشاهده فيه**»[(٢)]، ويقول الرومي القونوي: «قد أراني الله أساس إيجاد هذا الكون، متى وكيف خلق، وإلى أي حين سيدوم»!؟[(٣)].

٧- **عدم الإنكار على أهل الأديان بحجة أن الكل على الحق**: يقول ابن عربي في وصف من وصل!!: «فإن لم تقف مع هذا رفعك عن عالم الحمية والغضب والتعصب، **ومنشأ النـزاع الخلاف الظاهر في العالم**، واختلاف الصور في ذلك!!»[(٤)]. ويقول معتذرا للمشركين: «وغاية كل سالك مناسبة لطريقه الذي عليه سلك، فمنهم: من يناجي بلغته! ومنهم من يناجي بغير لغته، وكل من نوجي بلغة، **أي لغة كانت؛ فإنه وارث لنبي ذلك اللسان، وهو الذي تسمعه على ألسنة أهل هذه الطريقة: إن فلانا موسوي!!، وعيسوي!!، وإبراهيمي!!...، والكامل من يناجي بجميع اللغات، وهو المحمدي خاصة!!!**»[(٥)]، **ويسمون من ينكر على أهل الأديان، ويدعونهم إلى الحق الذي جاء به سيد ولد عدنان ﷺ يسمونهم: الملامَتية**[(٦)].

وهكذا يقول الحلاج: «**وإياك والتوحيـد!!!**»[(٧)] ويقول في ذلك ابن عربي:

كفرت بدين الله والكفر واجب   لديّ وعند المسلمين قبيح[(٨)].

---

(١) كتاب اصطلاح الصوفية له ص ١١ (المطالعة).

(٢) رسالة الأنوار لابن عربي ص١٣.

(٣) مناقب العارفين للأفلاكي ١/ ٥٠٠، نقلا عن كتاب: أخبار جلال الدين الرومي ص ٢٣٠.

(٤) رسالة الأنوار لابن عربي ص١١.

(٥) رسالة الأنوار لابن عربي ص١٣-١٤.

(٦) رسالة الأنوار لابن عربي ص١٤، لا يعول عليه لابن عربي ص١٠.

(٧) رسالة ابن عربي للرازي ص١٣.

(٨) رسالة ابن عربي للرازي ص ١٣.

وهكذا يقول القونوي: «جه تدابيري مسلمانان كه من خودرا نمي دانم، نه ترسا، نه يهودم، نه كفرم، نه مسلمانم...، المعنى: أيها المسلمون: ليت شعري ما التدبير؟ أنا لا أدري؟ فلا أنا نصراني، ولا يهودي، ولازرادشتي، ولا مسلم!!!»[(١)].

وهذا الرومي القونوي لم يكن يفرق بين الحلال والحرام، إلا ما أرشده إليه ذوقه، فلا يعرف دينا، إلا ما أملاه عليه هواه؛ «فكان يستحل جميع المحرمات؛ حتى حكى عنه الثقات أنه كان يقول: البنت والأم والأجنبية شيء واحد، ليس في ذلك حرام علينا، وإنما هؤلاء المحجوبون قالوا حرام؛ فقلنا حرام عليكم»[(٢)].

فـ «**الباطنية، ونحوهم أبطنوا خلاف ما أظهروه للناس**، وسعوا في ذلك بكل طريق، وتواطؤوا عليه ما شاء الله، حتى التبس أمرهم على كثير من أتباعهم، ثم إنهم مع ذلك اطلع على حقيقة أمرهم جميع أذكياء الناس من موافقيهم ومخالفيهم، وصنفوا الكتب في كشف أسرارهم، ورفع ستارهم، ولم يكن لهم في الباطن حرمة عند من عرف باطنهم، ولا ثقة بما يخبرون به، ولا التزام طاعة لما يأمرون، وكذلك من فيه نوع من هذا الجنس؛ فمن سلك هذه السبيل، لم يبق لمن علم أمره ثقة بما يخبر به، وبما يأمر به»[(٣)]، وإذا كان هذا ما اتفق عليه الباطنية فإني أذكر بعض نصوصهم بشيء من التفصيل ـ في المبحث الآتي ـ مما يدل على أنهم جميعا لا يرون انقطاع الوحي، وإن اختلفوا في مسميات هذا الوحي.

---

(١) تاريخ التصوف الإسلامي لعبد الرحمن بدوي ص٢٩، وانظر: أخبار جلال الدين الرومي ص٣٧٧.

(٢) المجموع ٢/ ٤٧٢.

(٣) المجموع ١٣/ ٢٥٠.

المبحث الثاني: اعتقاد الباطنية عدم انقطاع الوحي

إن من العقائد السلفية السنية أن الوحي قد انقطع بعد وفاة النبي ﷺ، وأنه لا يمكن لأحد كائنا من كان أن يأتيه وحي - بشرع - بعد بعثته ﷺ، وأن أحدا لا يمكن أن يبلغ مرتبة الأنبياء والرسل، ولو جاهد ما جاهد، وبذل ما بذل، فالنبوة ليست مكتسبة عند أهل الإسلام - بحق -، بل هو محض فضل الله ﷻ يؤتيه من يشاء.

والباطنية منهم من يصرح بعدم انقطاع الوحي، وزعموا أن رسل الله لا تنقطع أبدا، وأن انقطاع الوحي نقص وعيب!![(١)] ومن فرق الباطنية من زعم أن في قلب كلّ مؤمن وحيًا!!، وأن كل مؤمن يوحى إليه!![(٢)] ومنهم فرق وأقوام لا يصرحون بانقطاع الوحي، ويعتقدون أنه يمكن إدراكه، ولكن يسميه بغير اسمه، حتى لا ينكشف عواره، ولا يظهر شناره[(٣)].

وكثير منهم يزعم أنه جاءه الوحي في قلبه، حتى كان منهم من يقول: حدثني قلبي عن ربي[(٤)]، فليس هو بحاجة إلى علم المحدثين!!.

ومن هؤلاء الذين خالفوا السلف ولا يعتقد انقطاع الوحي - ويسميه بغير اسمه - ابن عربي الحلولي، حيث يقول: «المسامرة: خطاب الحق للعارفين من عالم الأسرار والغيوب، نزل به الروح الأمين على قلبك»[(٥)]، ويقول: «الحرف: اللغة،

---

(١) وهذا الكلام صحيح لو أن الدين لم يكن كاملا، أما وأن الدين قد كمل؛ فليس لهذه الشبهة من وجه. انظر: البهائية نقد وتحليل للشيخ إحسان إلهي ظهير ص ٥٥.

(٢) انظر: منهاج السنة ٢/ ٥٠٥-٥٠٨.

(٣) انظر: الدرء ٥/ ٢٠٨، الصوارم الحداد القاطعة لعلائق مقالات أرباب الاتحاد للشوكاني ص ١٣١.

(٤) انظر: المجموع ١٣/ ٢١٨، ٢٢٤.

(٥) كتاب اصطلاح الصوفية له ص ١٠ (المسامرة).

وهو ما يخاطبك به الحق من العبارات»[١]، ولذلك ادعى أنه يزاحم الأنبياء، فيقول: «اعلموا أن كثيرا من أن أهل طريقتنا كأبي حامد الغزالي، وغيره، تخيل أنه ليس بين الصديقية والرسالة مقام، وأن من تخطى رقاب الصديقين، وقع في النبوة، وبابها مسدود عندنا دوننا، لكن لنا المزاحمة معهم في صفهم، هذا غايتنا»[٢]. وأن جبريل يأتيهم!! «فإذا بدت لكم وفقكم الله حضرة الأحكام، وتنـزلات الشرائع، **ورأيتم خازنها جبريل عليه السلام، فذلك أول تحصيل هذا المقام!!!**». ثم يفلت من هذا بدهاء، ومكر وإيحاء فيقول: «واعلم أن جبريل لا ينـزل على غير رسول يوحى أبدا، ولا ينسخ شريعة» ثم يعيد الكرة بدهاء لإثبات رؤيتهم جبريل فيقول: «فتعمل هناك في وسيلة ورقيقة تكون من ذلك اللوح إلى قلبك، إن أردت تحصيل هذا المقام، **فستجد صورة جبريل، وما هي بجبريل، وهي مختصة بالأولياء**، فانظر إليها فإن رأيتها ناظرة إليك فاعلم أنك منهم»[٣].

بل ويزعمون أن الحق ينـزل إليهم، يقول ابن عربي: «التداني: معراج المقربين، التدلي: نـزول المقربين، ويطلق بازاء نـزول الحق إليهم عند التداني»[٤]، ويتلقون ما يرد إليهم!! فيقول: «والتلقي: أخذك ما يرد من الحق عليك»، بل ويكون هذا التلقي بدون حجاب وواسطة، «الخلوة: محادثة السر مع الحق حيث لا ملَك، ولا أحد»[٥].

هذا الزعم لم يأت من فراغ، بل هو نتائج أفكار معكوسة، وزبالات منكوسة، وزعموا أن الولاية أرفع من النبوة!!! فكيف لا يأتيهم الوحي إذاً، يقول ابن عربي: «الولاية الكبرى هي النبوة الكبرى، والولي العارف مرتبته فوق مرتبة الرسول...، ومرتبة الولاية دائمة الوجود، ومرتبة الرسالة منقطعة فإنها تنقطع بالتبليغ!!! والفضل

---

(١) كتاب اصطلاح الصوفية له ص ١٣.
(٢) القربة لابن عربي ص٦.
(٣) القربة لابن عربي ص ٧.
(٤) كتاب اصطلاح الصوفية له ص ١٣.
(٥) كتاب اصطلاح الصوفية له ص ١٣.

للدائم الباقي!!»[١]. مع أن المعتقد المشهور عند المسلمين، بل وعند أهل الكلام، وهو الحق بلا خصام، أن الولاية تنال باتباع النبوة، ولا تكون أبدا أفضل منها، بل ولا يكون ولي إلا أن يكون محقا في ديانته، متبعا لرسالة النبي ونبوته[٢].

واقرأ هذا الأنس والانبساط مع الإله!! كما يزعم هؤلاء الذين لا يقرون بانقطاع خبر السماء، يقول ابن عربي: «وعاينت آداب الدخول إلى الحضرة الإلهية!! وآداب الوقوف بين يدي الحق، وآداب الخروج من عنده...، والمشاهدة الدائمة من الوجوه المختلفة!! وكيفية تلقي العلوم الإلهية من الله تعالى!!...، **وأدب الأخذ، والعطاء، والقبض، والبسط!!**»[٣].

ومثل هذا قول الشمس التبريزي الحلولي الرافضي، في معرض حفل تنصيب شيخ صوفي، تكلم القوم، فقال الزعيم الصوفي الحلولي: «إلام تفخرون بمروياتكم

---

(١) القربة له ص٩، ثم لما يرى شناعة هذا القول، يتنكر له بدهاء، ويلتفت إلى نفسه، ثم يرجع إلى إثباته مرة أخرى بدهاء.

(٢) انظر: العقائد النسفية ص٣٢، وبدأ الأمالي للفرغاني ص٢١، ضمن مجموع أمهات المتون في مختلف الفنون والعلوم، جمع دار الفكر.

(٣) رسالة الأنوار لابن عربي ص١٠. وأما أهل السنة المتبعون للكتاب، المعتمدون على الرأي الصواب، **فيعتقدون أن الله لا يرى في الدنيا**، كما هو صريح القرآن الكريم، حيث قال الله ﷻ لكليمه موسى ـ عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام ـ ﴿وَلَمَّا جَاءَ مُوسَىٰ لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ قَالَ رَبِّ أَرِنِي أَنظُرْ إِلَيْكَ ۚ قَالَ لَن تَرَانِي وَلَٰكِنِ انظُرْ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرَانِي ۚ فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقًا ۚ فَلَمَّا أَفَاقَ قَالَ سُبْحَانَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ﴾[الأعراف:١٤٣]، وفي الحديث: [**تعلموا أنه لن يرى أحدٌ منكم ربه ﷻ حتى يموت**] (رواه مسلم، كتاب الفتن، باب/ ذكر ابن صياد، ح(١٦٩) من رواية ابن عمر ﷺ) وهذه من العقائد المسلمات، وهو عقيدة المسلمين والمسلمات، خلا هذه الطائفة الباطنية التي تعتمد على الزندقات، يقول الشيباني رادًّا على أمثال هؤلاء:

ولا عين في الدنيا تراه لقوله ... سوى المصطفى إذ كان بالقرب أفردا
ومن قال في الدنيا: يراه بعينه ... فذلك زنديق طغى وتمردا
وخالف كتب الله والرسل كلهم ... وزاغ عن الشرع الشريف، وأبعدا
وذلك ممن قال فيه إلهنا ... يرى وجهه يوم القيامة أسودا
ولكن يراه في الجنان عباده ... كما صح في الأخبار، نرويه مسندا

متن الشيبانية ص٣٥، مجموع أمهات المتون في مختلف الفنون والعلوم، جمع دار الفكر.

عن هذا وذاك؟ وحتام تركبون سرجا بغير أحصنة! تركضونها في ميادين الرجال، **أليس فيكم امرؤ يقول: حدثني قلبي عن ربي؟!! أيام تمشون معتمدين على عصاة غيركم!!** إن ما تنقلونه من كلام في الحديث والتفسير، الحكمة، وغيرها، كلمات رجال عاشوا في وقتهم، متربعين مقامات الولاية في عصرهم!! كانوا يحدثون بها يأتيهم من أحوال، وبما أن أولياء هذا العصر هم أنتم، فأين ـ والحالة هذه ـ كلماتكم، وأسراركم أنتم؟؟ ثم قال الشمس أيضا: إن لكل مولود مذ آدم، سواء أكان من الأنبياء، أم الأولياء، ومذ عالم العدم الذي لا أول له، وحتى يطأ عالم الوجود، منصبا وعملا خاصا به، **فكان بعضهم كاتب وحي، وكان بعضهم الموضع الذي يجيئه الوحي ـ يعني النبي ﷺ ـ، فعليك الآن: أن تحرص على أن تكونهما، أعني كن كاتب وحي، وكن الموضع الذي يوحى بالوحي إليه.** ثم قال: **فكما كان الوحي يأتي محمدا ﷺ بواسطة جبريل، فكذلك كان لقلبه وحي، والولي كذلك!!»**[(١)].

ويقول الشمس التبريزي: «إن لشيوخ الصوفية طريقا للمعرفة والعلم، غير الحواس الظاهرة، **هما: الوحي والإلهام»**[(٢)].

ولقد تلقف تلميذه القونوي ذلك، فقال عن كتابه المثنوي: «لا يمسه إلا المطهرون!!تنـزيل من رب العالمين!!»[(٣)] **قال** أحد شراح المثنوية: «نزل هذا المثنوي الشريف من رب العالمين ذي الجلال!!! دفعة واحدة في ليلة القدر إلى سماء القلب!! ثم نطق به منجما على قدر الحاجة بواسطة جبريل العقل، وقد تنـزل بطريق الفيض والإلهام!!»[(٤)].

---

(١) المقالات للتبريزي ١/ ١٠٧، نقلا عن كتاب: أخبار جلال الدين الرومي ص ٣٦٦-٣٦٧.

(٢) المقالات للتبريزي ٢/ ١١٠، نقلا عن كتاب: أخبار جلال الدين الرومي ص ١٣٥، وانظر: مقدمة المثنوى ص٧-٨ المطبوع بشرح حضرت بحر العلوم!!.

(٣) مقدمة المثنوي، نقلا عن كتاب أخبار جلال الدين الرومي ص٣٦٣.

(٤) شرح المثنوي لصاري عبدالله أفندي (١٠٧١هـ) ص ٢٢، وهو مخطوط، وهذا الذي كتبه هذا الشارح أقره شارح آخر للمثنوي، ومدح به الكتاب!! وهو طاهر المولوي (١٢٩٤-١٣٧٠هـ)، انظر: شرحه للمثنوي ١/ ٣٨، نقلا عن كتاب أخبار جلال الدين الرومي ص٣٦٦-٣٦٧.

وكونهم يسمون الوحي إلهاما، فهذا من تلبيساتهم، وإلا فإنهم يرون الإلهام كالوحي تماما، ولتتيقن ذلك انظر إلى قول أحد شراح المثنوية وهو يقول: «وإلهام الولي كوحي النبي»[١].

وإن من فضائح الباطنية تسمية كتبهم بالقرآن، حتى إن أحد الفلاسفة المتصوفة[٢] ليسمي كتاب المثنوي: بقرآن الفارسية[٣].

بل ويقول أحد محبي المثنوي من العرب:

فهو وحي الله في إلهامـه   يخرج المطلق من كل القيـود...
وهو قرآن وفرقان لمـن   عرف الله على رغم الحسـود[٤]

وهذا المحب للمثنوي لم يقل هذا الكلام من فراغ، بل قال ذلك لأن القونوي نفسه مؤلف المثنوي قال ذلك عن كتابه، حيث قال: «أيها الكلب الطاعن!!! في كتابي تعوي وتعوي، تطعن في القرآن اخرج عن طريقنا، وإلى قيام الساعة، والقرآن - يعني المثنوي - ينادي، أنا كلام الحق القائم بالذات، أنا قوت روح الروح، وقوت التزكية»، ويقول في موضع آخر: «لو صارت الأشجار أقلاما، والبحار مدادا، المثنوي ليس له نهاية!!!»[٥].

---

(١) أخبار جلال الدين الرومي ص ٣٧٥.

(٢) وهو الملا الجامي، صاحب الشرح المعروف في المنطق باسمه: شرح ملا جامي.

(٣) أخبار جلال الدين الرومي ص ٣٧٠، وقال شعرا بالفارسية، مدعيا فيه الكلام المذكور، وأن صاحب المثنوي أوتي كتابا، وليس بنبي، وكذا قال الشاعر محمد إقبال:

مثنوي مولوي معنوي   هست قرآن در زبان بهلوي

والمعنى: مثنوي المولوي - يقصد به الرومي القونوي - ذو المعنى العظيم هو قرآن باللغة الفارسية. انظر: أخبار جلال الدين الرومي ص ٣٧٢.

(٤) أخبار جلال الدين الرومي ص ٣٧١.

(٥) المثنوي ص ١٥٨، ١٥٩ المطبوع مع شرحه المسمى بحضرت بحر العلوم!! أي: علوم الملاحدة الحلولية، والأبيات هي بالفارسية، وإنما ترجمتها، وأكتب نصها كما جاءت بالفارسية:

إي سك طاعن تو عو عو ميكني   طعن قرآن را بيرون شو ميكنـي
تاقيامـت ميزنـد قرآن نـدا   ....
مـن كلام حقـم قائم بـذات   قوت جان جان و ياقوت زكات
كرشـود بشيـة قلم در يامديد   مثنـوي را نيست باياني بديـد.

بل إن كبير الباطنية ملك التتر المغول المتصوف ـ ويثني عليه القونوي من الباطنية وغيره ـ كان ينتظر الوحي من السماء، يقول القونوي: «إنه ذهب إلى مغارة ظلماء فدخلها، وصام، وجعل يستغيث، ويتضرع!! فسمع صوتا من الله تعالى!!! يقول: قد سمعت تضرعك، واستجبتُ دعاءك، فاخرج فأينما تؤم فأنت الأعلى!! هذا هو السبب ـ أي في ظهورهم ـ وعند خروجهم كانوا هم الأعلون بأمر الله، وحكموا الدنيا»[١].

فانظر: ـ يا رعاك الله ـ كيف ينسب الباطني القونوي الوحيَ إلى هذا الكافر الذي أجمع العلماء على كفره، متناسيا كفرياته وشركياته، بسبب خلواته، وموافقته إياه في طياته!!.

وهؤلاء الباطنية أهل خبث وطوية، فهم قد لا يصرحون بنـزول الوحي صراحة، إذا كان للإسلام صولة، خوفا على أنفسهم، وخوف الفضيحة، فيسمون ما يأتي مشايخهم بالإلهـام!![٢].

ومن اعتقادات الباطنية «أن النبوة لها ثلاث خصائص من قامت به فهو نبي!! فالنبوة عندهم لا تنقطع بل يبعث الله بعد كل نبي نبيا دائما!! وكثير منهم يقول إنها مكتسبة»[٣].

وكان ابن سبعين يقول: «لقد زرب ابن آمنة، حيث قال: لا نبي بعدي!! وكان يطمع أن يصير نبيا، وذكروا أنه جدد غار حراء لينـزل عليه فيه الوحي، كما يجيء بعض الناس يجدد بعض معابد المشايخ ليُفتح عليه كما فتح عليه»[٤].

وابن عربي في رسالته "الإسراء إلى مقام الأسرى"[٥]، جعل لنفسه إسراء

---

(١) كتاب: فيه ما فيه للرومي ص٥٤-٥٥، نقلا عن كتاب: أخبار جلال الدين الرومي ص ١٠٣.

(٢) أخبار جلال الدين الرومي ص٣٦٧.

(٣) الصفدية ١/ ٥، وانظر منها ١/ ٢٣٤، شرح الأصبهانية ص٥٢٠، الدرء ٥/ ٢٢، الفرقان ص٩١، المجموع ١١/ ٢٤٤.

(٤) الصفدية ١/ ٢٨٤.

(٥) وهي من الرسائل الكبيرة بالنظر إلى الرسائل الأخرى له، وهي مطبوعة ضمن مجموع رسائل ابن العربي المطبوعة في الهند، وقد أعيد طبعها بواسطة دار إحياء التراث العربي، بنفس الترتيب.

كإسراء النبي ﷺ، وأن الله ﷻ خاطبه، ويدعي أنه اجتمع مع المشايخ ـ أصحاب الولاية ـ وأنه علمهم التوحيد في ذلك الإسراء!![١].

وقد دلت النصوص الكثيرة، من الآيات الصريحة والأحاديث الصحيحة، على أن محمدا ﷺ خاتم النبيين، وتنوعت طرق الدلالة على ختم النبوة، بالمطابقة، والتضمن، والالتزام. وكبير الفلاسفة الباطنية ابن سينا يرى أن الدلالات اللفظية ثلاث، فـ «اللفظ يدل على المعنى إما على سبيل المطابقة...، وإما على سبيل التضمن...، وإما على سبيل الاستتباع والالتزام...»[٢].

فكيف يأتي بعد ذلك باطني فلسفي، أو باطني صوفي، أو باطني رافضي فيدعى عدم ختم الوحي، وقد صح ختمه بالدلالات اللفظية كلها!؟.

وادعى الباطنية باب الولاية، والتي بها يتوصلون إلى الإلهام والمكاشفة والوحي، ومن ثم تفضيل أئمتهم وأوليائهم على الأنبياء، «وتفضيل الولاية على النبوة، والسكر على الصحو، شبيه بترجيح الكفر على الإسلام، والجهل على العلم؛ فإن كلا من الكفر[٣] والجهل مناسب لمقام الولاية، وكلا من الإسلام والعلم مناسب لمرتبة النبوة»[٤].

---

(١) انظر: الصفدية ١/ ٢٦٦، بل إنه في رسالة الإسراء زاد على إسراء النبي ﷺ بأن جعل لنفسه مقامات كثيرة يخاطب فيها: البحر المسجور في المقامات العليا (كما في ص١١)، وسماء الوزارة وهي الأولى (ص١٢)، وسماء الكتابة وهي الثانية خاطب فيها عيسى!! (ص١٥)، وسماء الشهادة، وهي الثالثة خاطب فيها يوسف!! (ص١٨)، وسماء الإمارة، وهي الرابعة وخاطب فيها إدريس!! (ص٢١)، وسماء الشرطة، وهي الخامسة وخاطب فيها هارون!! (ص٢٣)، وسماء القضاة، وهي السادسة وخاطب فيها موسى!! (ص٢٥)، وسماء الغاية، وهي السابعة وخاطب فيها إبراهيم!! (ص٢٨)، وسدرة المنتهى (ص٣٤)، وحضرة الكرسي!! (ص٣٤)، والرفارف العليا!! (ص٤٥)، ومناجاة قاب قوسين!! (ص٥٠)، ومناجاة أو أدنى!! (ص٥٤)، وآيات مناجاة الإمام أبي حامد!! (ص٥٧)، ومناجاة اللوح الأعلى!! (ص٥٨)، ومناجاة الرياح، وصلصلة الجرس، وريش الجناح!! (ص٦٠)... وهكذا وهي كثيرة، وبالخرافات مليئة، وبالكفريات جديرة.

(٢) الإشارات لابن سينا ١/ ٢٧.

(٣) في المطبوع (الفكر) والسياق يدل على أن المراد (الكفر).

(٤) موقف العقل والعلم والعالم ٣/ ٢٧٧.

وقد كان المختار بن أبي عبيد الثقفي في أول أمره كان يزعم الصلاح، ثم النصرة لآل البيت، وآل أمره أن كان «يزعم أن جبرائيل يأتيه بالوحي!!»(١).

ومعلوم من دين الإسلام بالضرورة أن الوحي قد انقطع، بإرسال محمد ﷺ، وأنه خاتم الأنبياء. والأدلة على ذلك كثيرة، ومنها:

قال الله ﷻ: ﴿ مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمًا ﴾[الأحزاب:٤٠].

قوله ﷻ: ﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوْ قَالَ أُوحِىَ إِلَىَّ وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَىْءٌ وَمَن قَالَ سَأُنزِلُ مِثْلَ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ ۗ وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلظَّٰلِمُونَ فِى غَمَرَٰتِ ٱلْمَوْتِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ بَاسِطُوٓا۟ أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوٓا۟ أَنفُسَكُمُ ۖ ٱلْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ ٱلْهُونِ بِمَا كُنتُمْ تَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ غَيْرَ ٱلْحَقِّ وَكُنتُمْ عَنْ ءَايَٰتِهِۦ تَسْتَكْبِرُونَ ﴾[الأنعام:٩٣] وهؤلاء الباطنية منهم من يقول كذبا: هذا من الله، ومنهم من يقول كذبا أوحي إلي، ومنهم من يقول: أنزل علي كما أنزل على نبي العرب!! «وقد جمع الله هؤلاء...، فذكر سبحانه من يفترى الكذب على الله، ومن يقول أنه يوحى إليه، ومن يزعم أنه يقول كلاما مثل الكلام الذي أنزله الله»(٢).

ولهذا فإن أدعياء النبوة يكثرون في هذه النحل الباطنية، وقد ظهر في القرن الماضي ادعاء للنبوة من قبل ميرزا حسين علي المازندراني(٣)، وزعم الوحي، وأنه جاءه كتاب جديد ودين جديد!! وهذا هو الحق؛ فهم لا يمتون إلى الإسلام بصلة، ولا يعرفون منه إلا الاسم(٤).

وقد ادعى في هذا القرن من الفرق الغوية التي هي وليدة الباطنية "القاديانية"، وتسمي نفسها بالأحمدية أيضا، وزعم ميرزا غلام أحمد القادياني(٥) أنه قد أوحي إليه!!

---

(١) المعارف لابن قتيبة ص٢٢٦، وانظر: الفرق بين الفرق للبغدادي ص٣١ ـ ٣٢، منهاج السنة ٢/ ٦٨-٦٩.

(٢) الدرء ٥/ ٢٠٩.

(٣) ولد في إيران عام ١٢٣٣هـ، ونشأ بها ثم ادعى أنه يوحى إليه.

(٤) انظر: مجلة البحوث العلمية ٢٧/ ٣٤٣ من قرارات المجمع الفقهي.

(٥) توفي سنة ١٨٦٧م

« وزعم أنه قد نزل عليه الوحي، وأوحي إليه أكثر من عشرة آلاف آية!! »[١].

فإذا كان هذا اعتقادهم في الوحي، فما يكون موقفهم من القرآن الكريم؟! هذا ما أبينه في المبحث التالي.

(١) مجلة البحوث العلمية ٢٦/ ٣٣١ مما ذكره أصحاب الفضيلة العلماء في المجمع الفقهي، وذلك نقلا عن كتبهم.

المبحث الثالث: اعتقاد الباطنية في القرآن الكريم

المطلب الأول: أن القرآن منسوخ، ولا يعمل به.

إن الباطنية كثيرا ما تراهم يخالفون شرائع الإسلام الظاهرة، وما ذلك إلا بسبب عدم اعتقادهم انقطاع الوحي، وأن شرع محمد ﷺ قد نسخ. وذلك إما بالقول فيها صراحة، أو بالتأويل الفاسد المفضي إلى القول بنسخها، والاستعاضة عنها بخليط من الأفكار الفلسفية، والأقوال الفارسية، أو ما يمليه عليهم مشايخهم.

وقد صرحت فرق بأن القرآن الكريم منسوخ بكتبهم المنتحلة، فهؤلاء البهائية يعتقدون أن "الأقدس" ـ وهو أهم كتبهم ـ ناسخ للقرآن الكريم!! مع أنه في (٢٢) صفحة بالخط الكبير!!(١).

والدروز من الباطنية نسخوا أركان الإسلام، واعتاضوا عنها بما زعم أنه سبع خصال توحيدية!! ويرون أن هذه الخصال تغني عن الصلاة الشرعية، وعن الصيام، والحج، ويوجبون على الأتباع أن يعرفوا أن أول المفترضات عليهم معرفة من زعموا له الربوبية، وهو الحاكم بأمر الله العبيدي!! وغير ذلك من الافتراءات(٢).

وربما خافوا التصريح بأنه منسوخ، فيقولون: إنه محكم في حق العوام وجمهور المسلمين، وأما المحققون منهم، كالأولياء، والأغواث، والأقطاب!! فإن الشريعة في حقهم مرفوعة، والأقلام في جنابهم مجفوفة!!! وهذا قول بنسخ القرآن الكريم، والشرع

---

(١) انظر: البهائية نقد وتحليل للشيخ إحسان إلهي ظهير ص ٥٩ ـ ٦٠، بحوث ودراسات في المذاهب والتيارات ص ٨٤.

(٢) انظر: الحركات الإسلامية للخطيب ص ٢٧٦ وما بعدها.

القويم، بأسلوب ماكر أثيم، ومعلوم لدى العامة والخاصة من أهل الإسلام: «أنه لا يبلغ ولي درجة الأنبياء أصلا، ولا يصل العبد إلى حيث يسقط عنه الأمر والنهي»[١].

ومن تلبيساتهم أنهم يرون رفع القلم عن المكلفين، وهذا معلوم أنه نسخ في الدين، ولكن بطريقة غير صريحة، حتى لا ينفر العوام، ولا يسقط قدره بين الأنام، قال ابن الجوزي ﷺ مبينا بعض اعتقاداتهم فهم يقولون: «الأغلال هي تكليفات الشرع، ومن ارتقى إلى علم الباطن انحط عنه التكليف، واستراح من أعبائه!!»[٢]، وقالوا: من عرف معنى العبادة سقط عنه فرضها!![٣].

واليزيدية من الإباضية تعتقد بأن شريعة الإسلام تُنسخ في آخر الزمان[٤].

والباطنية بجميع فرقها لا تتدين بالشريعة السمحاء، حتى في العبادات الظاهرة التي نقلت بالتواتر علما وعملا، دليلا وتطبيقا، فلا يعتقدون بوجوب الصلوات الخمس، ولا الزكاة، ولا الصيام، ولا الحج إلى البيت العتيق، ولا تحريم المحرمات من الخمر، والميسر، والزنا[٥]. وهذا إن دل على شيء فإنما يدل على عدم إيمانهم بها، أو أنها منسوخة!! وأن الناسخ لها هو أحد أئمتهم الذين اطلعوا على اللوح!! وعلى الأسرار الإلهية فمحا عنهم هذه الأمور، ورفع عنهم الحجب والستور!!.

ومن هذا اعتقاد بعضهم أن الشريعة لا تلزمه، وهذا نوع نسخ ولا ريب، ويعتقد الباطنية ـ أنهم «يصلون إلى مقام لا يعتقدون فيه إيجاب الواجبات، وتحريم المحرمات، وإنما يرون الإيجاب والتحريم للمحجوبين عندهم»[٦].

حتى يقولون إذا سئلوا: «ما الفرق عندكم بين الزوجة، والأجنبية، والأخت،

---

(١) العقائد النسفية ص ٣٣، مجموع أمهات المتون في مختلف الفنون والعلوم، جمع دار الفكر.

(٢) تلبيس إبليس لابن الجوزي ص ١١٣.

(٣) انظر: الفرق بين الفرق للبغدادي ص ٢٢٤، منهاج السنة ٢/ ٥٠٩.

(٤) انظر: الفرق بين الفرق ص١١.

(٥) انظر: الصفدية ١/ ٤.

(٦) المجموع ٢/ ٨٢، انظر: الحركات الإسلامية للخطيب ص ٩٧.

الكل واحد؟! قال: لا فرق بين ذلك عندنا، وإنما هؤلاء المحجوبون اعتقدوه حراما؛ فقلنا حرام عليهم عندهم، وأما عندنا فما ثم حرام»(١).

وقد صرحت الإسماعيلية من الباطنية بأن شرع محمد ﷺ قد نسخ!!! وأن محمد بن إسماعيل قد نسخ شرع محمد بن عبد الله ﷺ(٢).

وكان من أتباع الباطنية من يقول: «قد أبحنا لكم كل ما تشتهونه من فرج، ولحم، وشراب، ونسخنا عنكم العبادات؛ فلا صوم، ولا صلاة، ولا حج، ولا زكاة!!»(٣).

يقول شاعر الإسماعيلية مدعيا نسخ شريعة محمد ﷺ:

تولى نبي بني هاشم ... وجاء نبي بني يعرب

أحل البنات مع الأمهات ... ومن فضله زاد حِل الصبي

لكل نبي مضى شرعة ... وهذي شريعة هذا النبي

فقد حط عنا فروض الصلا ... ة وحط الصيام ولم يتعب

إذا الناس صلوا فلا تنهضي ... وإن صاموا فكلي واشربي(٤)

والفرق الباطنية لا زالت تسير على هذا الخطى، فهذه البابية زعمت أن للباب السلطة في تغيير أحكام الشرائع الإلهية، وأنه أتى بعبادات مبتدعة لأتباعه!!(٥).

---

(١) المجموع ٢/ ٢٤٤، وانظر: الصفدية ١/ ٢٤٤-٢٤٥.

(٢) انظر: منهاج السنة ١/ ٤٨٢، الدرء ٥/ ٢٢، الصفدية ١/ ٢٣٤، نقض المنطق ص ١٣٣.

(٣) الدرء ٥/ ٢٣.

(٤) الحركات الإسلامية للخطيب ص ٦٦.

(٥) نقل هذا عنهم العلماء في قرارات المجمع الفقهي، كما في مجلة البحوث العلمية ٢٧/ ٣٤٤.

المطلب الثاني: اعتقادهم أنّ النبيّ ﷺ مرسل إلى العرب خاصة.

النبوة عند هؤلاء الباطنية، وإخوانهم من الفلاسفة ومن قاربهم من الصوفية الغلاة، مكتسبة؛ فيمكن عندهم أن يصل الإنسان إلى درجة النبي بالرياضة، والتأله، والصفاء!! فصار كثير منهم يطلب النبوة، ناسين أو متناسين أن محمدا ﷺ خاتم الأنبياء، ومنهم من يقول: إنه أرسل إلى العرب خاصة، كما «جرى للسهروردي المقتول، ولابن سبعين، ولهذا كان ابن سبعين يقول: لقد زدت في حديث: قال **[لا نبي بعدي]**[(١)] نبي عربي!!»[(٢)].

ولهذا كان من أصول إخوان الصفا أن الشريعة عربية، ولهذا قالوا في اجتماعاتهم السرية: «متى انتظمت الفلسفة اليونانية، **والشريعة العربية؛ فقد حصل الكمال**!!...»[(٣)].

ومعلوم أن النبي ﷺ مبعوث إلى العرب والعجم، بل والإنس والجن، والأدلة أظهر من أن تذكر، وأشهر من أن تورد، ولكن أذكر ما يكون به الذكرى، ومن تلكم الأدلة:

١ - أن الله ﷻ أخبر أن محمدا ﷺ رسول إلى الناس كافة، فقال: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةٗ لِّلنَّاسِ بَشِيرٗا وَنَذِيرٗا وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ﴾[سبأ:٢٨] فهو ﷺ مبعوث إلى الناس كافة، ويؤكد هذا قوله ﷻ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱدۡخُلُواْ فِي ٱلسِّلۡمِ كَآفَّةٗ﴾ [البقرة:٢٠٨] على قول أن كافة مفعول لـ(ادخلوا)، ويؤكد ذلك أن كافة الخلق مخاطبون بشرع محمد ﷺ قوله ﷻ: ﴿وَقَٰتِلُواْ ٱلۡمُشۡرِكِينَ كَآفَّةٗ كَمَا يُقَٰتِلُونَكُمۡ كَآفَّةٗ﴾ [التوبة:٣٦] فلما أمر ﷺ بقتال المشركين كلهم دل ذلك على أنهم مخاطبون بشرعه.[(٤)]

---

(١) الحديث رواه الإمام البخاري، كتاب أحاديث الأنبياء، باب/ ما ذكر عن بني إسرائيل، ح(٣٤٥٥)، والإمام مسلم، كتاب الإمارة، باب/ وجوب الوفاء ببيعة الخلفاء، ح(١٨٤٢)، كلاهما عن أبي هريرة ﷺ.

(٢) شرح الأصبهانية ص٥٠٣.

(٣) مبادئ الفلسفة لأحمد أمين، ص ١٣١.

(٤) انظر: حجة الله البالغة للدهلوي ١/ ٢٣٠.

٢- أن الله ﷻ أخبر أن محمدا ﷺ رسول إلى الناس جميعا، فقال: ﴿ قُلْ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا ﴾[الأعراف:١٥٨]، ولما كان ﷺ رسولا إلى الناس جميعا كان يحمل همهم، ويتمنى إيمانهم جميعا فقال ﷻ: ﴿ وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَءَامَنَ مَن فِى ٱلْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا ۚ أَفَأَنتَ تُكْرِهُ ٱلنَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُوا۟ مُؤْمِنِينَ ﴾[يونس:٩٩].

٣- أن الله ﷻ خاطب أهل الكتاب بأن يؤمنوا به ﷺ، فغيرهم من باب أولى. وقد كانوا قريبـي العهد من دين سماوي، ومع ذلك أمروا باتباع محمد ﷺ فدل أنه إلى الناس أجمعين، قال تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ وَءَامَنُوا۟ بِمَا نُزِّلَ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ وَهُوَ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ ۙ كَفَّرَ عَنْهُمْ سَيِّـَٔاتِهِمْ وَأَصْلَحَ بَالَهُمْ ﴾[محمد:٢]، وقال تعالى: ﴿ وَلَوْ ءَامَنَ أَهْلُ ٱلْكِتَـٰبِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُم ﴾[آل عمران:١١٠]، وقال: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَـٰبَ ءَامِنُوا۟ بِمَا نَزَّلْنَا مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَكُم مِّن قَبْلِ أَن نَّطْمِسَ وُجُوهًا فَنَرُدَّهَا عَلَىٰٓ أَدْبَارِهَآ أَوْ نَلْعَنَهُمْ كَمَا لَعَنَّآ أَصْحَـٰبَ ٱلسَّبْتِ ۚ وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ مَفْعُولًا ﴾[النساء:٤٧]، وقال: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ ءَامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱلْكِتَـٰبِ ٱلَّذِى نَزَّلَ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَٱلْكِتَـٰبِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ مِن قَبْلُ ۚ وَمَن يَكْفُرْ بِٱللَّهِ وَمَلَـٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَـٰلًۢا بَعِيدًا ﴾[النساء:١٣٦].

٤- أن التكذيب برسولٍ واحدٍ تكذيبٌ بجميع الرسل، فمن ادعى أن محمدا ﷺ ليس رسولا إلا إلى العرب خاصة، فقد كذب بما جاء به، وبما أرسل به؛ فلا ينفعه إيمانه بنبي بعد ذلك، ومما يدل على ذلك قوله تعالى: ﴿ وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَـٰقَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ لَمَآ ءَاتَيْتُكُم مِّن كِتَـٰبٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِۦ وَلَتَنصُرُنَّهُۥ ۚ قَالَ ءَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِى ۖ قَالُوٓا۟ أَقْرَرْنَا ۚ قَالَ فَٱشْهَدُوا۟ وَأَنَا۠ مَعَكُم مِّنَ ٱلشَّـٰهِدِينَ ﴾[آل عمران:٨١]، وقوله: ﴿ كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴾[الشعراء:١٠٥] فتكذيبهم لنوح تكذيب لجميع الأنبياء، وهكذا التكذيب بمحمد ﷺ وبما جاء به تكذيب لغيره من الأنبياء.

٥- أن الله ﷻ أخبر أنه لا يقبل من أحد دينا سوى الإسلام، وهو الدين الذي جاء به محمد ﷺ، قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَـٰمُ ﴾[آل عمران:١٩] وقال تعالى:

﴿ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْأٓخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴾[آل عمران:٨٥]، « فالإسلام يتضمن الاستسلام لله وحده، فمن استسلم له ولغيره كان مشركا، ومن لم يستسلم له كان مستكبرا عن عبادته، والمشرك به والمستكبر عن عبادته كافر، والاستسلام له وحده يتضمن عبادته وحده وطاعته وحده، وهذا دين الإسلام الذي لا يقبل الله غيره، وذلك إنما يكون بأن يطاع في كل وقت بفعل ما أمر به في ذلك الوقت »[1].

٦- قول النبي ﷺ: [**وكان النبي يبعث إلى قومه خاصة، وبعثت إلى الناس عامة**].

٧- أنه ﷺ خاتم النبيين؛ فمن كذب به؛ أو ادعى أنه لم يبعث إليه؛ فقد زعم أن الحجة غير قائمة عليه، ومعلوم أنه« خاتم الرسل، ليس بعده نبي ينتظر، ولا كتاب يرتقب، بل هو آخر الأنبياء »[2].

فلا يبقى بعد هذا أدنى حجة لقائل أنه ﷺ بعث إلى العرب خاصة.

(١) التدمرية ص١٦٩.

(٢) المجموع ٢٧/ ٥٩.

المطلب الثالث: تحريفهم النصوص.

والباطنية يزعمون لأئمتهم الخصوصية فلهذا أصبحوا يجيزون لهم أن يقولوا في المعلومات بالمستحيلات، دون معارضة أو مخالفة ولو كانت في البديهيات، ومعلوم أن الباطنية ليسوا مخصوصين في شيء من العلوم الدنيوية فضلا عن الدينية[(١)]. ولهذا فإن تحريفاتهم هي من التكذيبات الصريحة للقرآن والسنة النبوية.

والباطنية حرفوا القرآن تحريفا لم يحرفه غيرهم، وهم في سراديب الروافض، وتعلموا من موائدهم، واستتروا بأسمائهم ـ وأولئك الحمقى لم يعرفوهم، أو عرفوهم ولم ينكروا عليهم ـ فكانت المنادمة بينهم شديدة، وتحريفاتهم كبيرة[(٢)].

وكان من الأسس التي وضعوها أن قالوا: إن الشريعة جاءت بالمتخيلات، وأن المراد حقائقها، ولهذا فكل صاحب نحلة يحرف المعنى الظاهر بما يريد، ويفسر اللفظ بما يظنه مفيدًا!!.

ومن تحريفاتهم لمعنى الشهادة ما جاء أن رجلا ركع منحنيا خاضعا للشمس التبريزي، « وقال بخلوصٍ قلبيٍّ تام: أشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن شمس الدين رسول الله!!! فلما سمع الناس هذا ثاروا به، وضجوا، وهموا بضربه، بل وتقدم أحدهم فضربه، فلما رأى الشمس هذا صرخ صرخة مات لها ذاك الضارب!! فخضع الناس له وبكوا، وعادوا عبيدا له!! فأخذ الشمس بيده ـ أي يد المنحني المتشهد له بالرسالة!! ـ، وخرجا من السوق، وأداه إلى زاوية، وقال: له: اسمي أنا محمد، فكان عليك أن تقول: محمد رسول الله!!! لا يعرف الناس دينارا غير مختوم »!![(٣)].

ومن تحريفاتهم لنصوص الوعد والوعيد أنهم يزعمون أن الجنة مفاتيحها بأيدي مشايخهم يقول الشمس التبريزي مادحا تلميذه وقرينه القونوي: « من أراد أن

---

(١) انظر: الفرق بين الفرق للبغدادي ص٢٣٣.

(٢) انظر: منهاج السنة ٣/ ٤٠٤-٤٠٥.

(٣) مناقب العارفين للأفلاكي ٢/ ٢٠٧، نقلا عن كتاب: أخبار جلال الدين الرومي ص ١٤٧.

يرى الرسول ﷺ، فلينظر إلى مولانا، فإن فيه حركات الرسول، وحاله...، والآن، فإن الجنة في رضا مولانا ـ أي الجلال الرومي القونوي ـ، وجهنم في غضبه!! إن مفتاح الجنة هو مولانا»[١].

والباطنية أولوا أركان الإسلام، ومبانيه العظام، بما يوافق أهوائهم، ويساير شهواتهم؛ فقالوا: إن الصلاة المراد منها أسرارنا، وموالاة أئمتنا، والصوم: كتمان أسرارنا، والحج: زيارة مشايخنا!! وإدمان خدمتهم، والزنا عندهم هو إفشاء سرهم!![٢].

وقول هؤلاء الفلاسفةِ في الأعمالِ التي جاءت بها الأنبياء كقولهم في نصوص الصفات؛ فيقولون: إنّها من باب التخييل، وأنّها لا يحتاج إليها إلا العامة؛ وهذه هي طريقة الملاحدة، والإسماعيلية، ونحوهم[٣].

فكذب الباطنية من أعظم الكذب على الله ﷻ وعلى رسوله ﷺ. وهذا بين لمن عرف حالهم، وقرأ مقالهم، بل إن القرامطة منهم أكذب «على الله مما فعل مسيلمة، وألحدوا في أسماء الله **وآياته أعظم مما فعل مسيلمة**، وحاربوا الله ورسوله أعظم مما فعل مسيلمة»[٤].

وهؤلاء الباطنية يخالفون النصوص كلها: العلمية منها والعملية؛ فـ «ينكرون ظواهر الأمور العملية، والعلمية جميعا[٥]، وأما غير هؤلاء فلا ينكرون العمليات الظاهرة المتواترة، لكن قد يجعلونها لعموم الناس لا لخصوصهم، كما يقول ذلك في الأمور الخبرية»[٦].

---

(١) مناقب العارفين للأفلاكي ١/ ٤٩٥، نقلا عن كتاب: أخبار جلال الدين الرومي ص ١٤٨.
(٢) انظر: الفرق بين الفرق للبغدادي ص ٢٢٣، الصفدية ١/ ٢٧٦، منهاج السنة ٢/ ٥١٣، التدمرية ص٤٨.
(٣) المجموع ٥/ ٣٢.
(٤) المجموع ٣٥/ ١٤٤.
(٥) وقد رأيت كثيرا من البهائية؛ فلا تعرفهم بالإسلام، لا اعتقادا، ولا عملا، فليس لهم من الإسلام إلا الاسم، وأما القرآن فلا يعرفونه حتى رسما.
(٦) نقض المنطق ص٨٤.

ومن تحريفاتهم: تفسيرهم قوله تعالى: ﴿وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَٰهُ فِيٓ إِمَامٖ مُّبِينٖ﴾[يس:١٢] أنه علي ﷺ!!، ويفسرون قوله تعالى: ﴿تَبَّتۡ يَدَآ أَبِي لَهَبٖ وَتَبَّ﴾[المسد:١] بأنهما أبوبكر وعمر ﷺ!!، ويفسرون قوله تعالى: ﴿فَقَٰتِلُوٓاْ أَئِمَّةَ ٱلۡكُفۡرِ﴾[التوبة:١٢] أنهم طلحة، والزبير....!!(١).

ومن تحريفاتهم الغوية وأقوالهم الباطنية، التي يستدلون بها على الأقوال الحلولية الباطنية(٢)، قولهم: «إن الحق المنزه هو الخلق المشبه، فالأمر الخالق المخلوق!! والأمر المخلوق الخالق!! كل ذلك من عين واحدة، لا بل هو العين الواحدة!! وهو العيون الكثيرة: ﴿فَٱنظُرۡ مَاذَا تَرَىٰ﴾[الصافات:١٠٢]، ﴿يَٰٓأَبَتِ ٱفۡعَلۡ مَا تُؤۡمَرُ﴾[الصافات:١٠٢]، والولد عين أبيه؛ فما رأى يذبح سوى نفسه!! ﴿وَفَدَيۡنَٰهُ بِذِبۡحٍ عَظِيمٖ﴾[الصافات:١٠٧]، فظهر بصورة كبش!! من ظهر بصورة إنسان!! وظهر بصورة لا بحكم ولد من هو عين الوالد!! ﴿وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ﴾[النساء:١]، فما نكح سوى نفسه!!»(٣)، تعالى الله عمّا يقولون وعمّا يحرفون في آياته ـ علوا كبيرا(٤).

ولما اعتقدوا أن فرعون لا يعذب حرفوا الآيات، وغيروا معاني القرآن؛ فقالوا زعما: «إنه ليس في القرآن ما يدل على عذابه، بل فيه ما ينفيه!! كقوله: « ﴿أَدۡخِلُوٓاْ ءَالَ فِرۡعَوۡنَ أَشَدَّ ٱلۡعَذَابِ﴾[غافر:٤٦]، قالوا: فإنما أدخل آله دونه! وقوله: ﴿يَقۡدُمُ قَوۡمَهُۥ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ فَأَوۡرَدَهُمُ ٱلنَّارَ﴾[هود:٩٨] قالوا: إنما أوردهم، ولم يدخلها!!»(٥).

---

(١) انظر: المجموع ١٣/ ٢٣٧.

(٢) وهؤلاء الحلولية الاتحادية باطنية ولا شك، وهم موافقون للقرامطة في كثير من الوجوه. انظر:شرح الأصبهانية ص٤٦٤-٤٦٥.

(٣) المجموع ٢/ ١٢٢-١٢٣، وقد نقله عن كتاب "فصوص الحكم لابن عربي الضال الحلولي"، وانظر تحريفات أخرى لهم، كما نقلها شيخ الإسلام ﷺ في منهاج السنة ٢/ ٥٠٤-٥٠٥، المجموع ٢/ ٢٦٥، ١٣/ ٢٣٨.

(٤) وانظر بعض تحريفاتهم ما ذكره شيخ الإسلام في المجموع ١٣/ ١٩٤ وما بعدها.

(٥) المجموع ٢/ ٢٧٩.

فيقال لهؤلاء المغرورين بأمثال هؤلاء: إما القرآن، وإما أقوال هؤلاء أهل البهتان؟!![١] وأما تعظيم القرآن مع تعظيم هؤلاء وتعظيم أقوالهم فجمع بين النقيضين، جمع بين التوحيد والشرك، وهو غير ممكن، فليختر العاقل أين يكون؟.

ومعلوم عند أهل الإسلام كفر فرعون، ودخوله النار، بل هو معلوم عند جميع الملل يهوديهم ونصرانيهم، إلا عند هؤلاء الباطنية الذين لا يعرفون من الإسلام إلا اسمه.

ولما فتح باب التحريف والقول بالباطن «صار بعضهم يقول: الإمام المبين: علي بن أبي طالب!!، والشجرة الملعونة في القرآن: بنو أمية!! والبقرة المأمور بذبحها: عائشة!! واللؤلؤ والمرجان: الحسن والحسين!!»[٢].

وقد حاولت الفرق الباطنية كالإسماعيلية والقاديانية ترجمة القرآن الكريم ترجمة محرفة أخرجت كتاب الله ﷻ عن مقاصده التي دعى إليها[٣].

ومهما حاول الباطنيون تحريف كتاب الله ﷻ، أو تغيير دين الله ﷻ فإنهم لن يستطيعوا؛ فإن الله ﷻ حارس دينه، وحافظ كتابه، وقد ضمن الله ﷻ ذلك بقوله: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ﴾[الحجر:٩] «أخبرنا الله تعالى في هذه الآية أنه أنزله، وأنه تولى حفظه، وهذا كتاب الله محفوظ بحفظه، لا يقدر أحد على تغيير كلمة واحدة من لفظه، على كثرة من سعى في تغييره؛ فأطفأ الله نوره، لا سيما القرامطة فإنهم كانوا قد أجمعوا كيدهم، واستنفدوا في تغييره وتحريفه جهدهم، ولم يزل كذلك دأبهم ودأب غيرهم من أعداء الدين، وعتاة الملحدين، ويأبى الله إلا أن تعلو كلمته، وتظهر شريعته»[٤].

ومن شدة تحريفات الباطنية للنصوص الشرعية حرَّم العلماء ـ رحمهم الله ـ النظرَ في كتبهم، نظرا لتلبيساتهم، وخوفا على الأمة من تحريفاتهم، وقد سئل ابن الصلاح رحمه الله عن كتب ابن سينا فحرم النظر فيها، وقال: «من فعل ذلك، فقد غرر

---

(١) انظر: المجموع ١٣/ ١٩٢-١٩٣.

(٢) شرح حديث النـزول ص٤٢٧، المجموع ٥/ ٥٥١.

(٣) ترجمة معاني القرآن الكريم من قبل بعض الفرق الضالة للشيخ يوسف الهمذاني ص٣٨ وما بعدها.

(٤) الإعلام بما في دين النصارى من الفساد والأوهام..للقرطبي ١/ ٣٤١.

بدينه، وتعرض للفتنة العظمى، ولم يكن ـ أي ابن سينا ـ من العلماء، بل كان شيطانا من شياطين الإنس، وكان حيرانا في كثير من أمره»(١).

وهكذا كل باطني يحاول تحريف آيات القرآن لتوافق مذهبه، فهذا باطني العصر القادياني يحرف آيات القرآن الكريم لتوافق ادعاءه بأنه المسيح الموعود!! وضمن هذه التحريفات في كتابه الموسوم "شهادة القرآن"!!(٢).

قال القرطبي رحمه الله في بيان سبب منع التفسير بالرأي: «أحدها: أن يكون له في الشيء رأي، وإليه ميل من طبعه وهواه، فيتأول القرآن على وفق رأيه وهواه، ليحتج على تصحيح غرضه، ولو لم يكن له ذلك الرأي والهوى لكان لا يلوح له من القرآن ذلك المعنى... ويستدل عليه بما يعلم أنه ما أريد به...، وتستعمله الباطنية في المقاصد الفاسدة لتغرير الناس، ودعوتهم إلى مذاهبهم الباطلة، فينـزلون القرآن على وفق رأيهم ومذهبهم على أمور يعلمون قطعا أنها غير مرادة»(٣).

فتحريفات الباطنية «من أشد وأنكى ما يصاب به الإسلام والمسلمون، لأنها تؤدي إلى نقض بناء الشريعة حجرا حجرا، وإلى الخروج من ربقة الإسلام، وحل عراه عروة عروة، ولأنها تجعل القرآن والسنة فوضى فاحشة، يقال فيهما ما شاء الهوى أن يقول(٤)، كأنهما لغو من الكلام، أو كلأ مباح للبهائم والأنعام. وأخيرا ينفرط عقد المسلمين، ويكون بأسهم بينهم من جراء هذا العبث بتلك الضوابط الدينية الكبرى، والحوافظ الأدبية العظمى، مادام لكل واحد أن يفهم من القرآن ما شاء له الهوى والشهوة دون اعتصام بالشريعة، ولا التزام لقواعد اللغة، لم يعد القرآن قرآنا، وإنما هما الهوى والشهوة فحسب»(٥).

---

(١) فتاوى ابن الصلاح ص ٢٠٨.

(٢) انظر: مجلة البحوث العلمية ٢٦/ ٣٣٢ من قرارات المجمع الفقهي خروج هذه النحلة من فرق الإسلام، بل اعتبرت الحكومة الباكستانيةُ القاديانيةَ فئة غير مسلمة، وأنها أقلية في البلد.

(٣) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ١/ ٢٦.

(٤) في المطبوع: (أن يقال).

(٥) مناهل العرفان ٢/ ٨٣-٨٤.

المبحث الرابع: استهانتهم بالقرآن

المطلب الأول: استخفافهم بالقرآن.

مما يدل على عدم تعظيم الباطنية للقرآن أن من أهدافهم، ومن أهم مهمات دعوتهم، تشكيك الناس في القرآن الكريم[١]، فكيف يكونون له معظمين؟؟.

ثم إن الباطنية لا تعتقد بأن القرآن الكريم هو كلام الله ﷻ. فهذه الإسماعيلية تعتقد بأن الوحي إنما يكون من القلم بالوسائط المتعددة، «وبالتالي فالقرآن مستمد من سلسلة الحدود العلوية التي أولها السابق ـ العقل الأول ـ لذلك فالقرآن ليس كلام الله!!»[٢].

وتعتقد القرامطة أن القرآن الكريم إنما هو لفظ محمد ﷺ، «فهم ينكرون أن يكون الوحي من الله إلى الأنبياء عن طريق جبريل، وإنما يرون أن جبريل تعني عملية الفيض التي تفيض من العقل على النبي باعتبار أن النبي أو الإمام هو ممثول العقل في العالم السفلي!!»[٣].

وإخوان الصفا من الباطنية يعتقدون بأن القرآن الكريم، المحفوظ من التحريف والتبديل، هو كالتوراة المحرفة والإنجيل المحرف!![٤].

والدروز من الباطنية تعتقد بأن القرآن إنما هو كلام سلمان الفارسي!! وأن الله لم

---

(١) انظر: الفرق بين الفرق للبغدادي ص ٢٢٤، الحركات الإسلامية للخطيب ص ١٦٢.
(٢) الحركات الإسلامية للخطيب ص ٩٦.
(٣) الحركات الإسلامية للخطيب ص ١٦٢.
(٤) انظر: الحركات الإسلامية للخطيب ص ١٨٤.

يكلم موسى تكليما، وأن ذلك لا يليق بالله!![١].

« **وحقيقة أمرهم أنهم لا يؤمنون بنبي...، ولا بشيء من كتب الله المنـزلة؛ لا التوراة، ولا الإنجيل، ولا القرآن**»[٢]. والقرامطة هم الذين لما استولوا على مكة قتلوا الحجيج، وأخذوا الحجر الأسود[٣]، فأي تعظيم يكون بعد ذلك منهم لدين الله ﷻ ؟!

ويظنون أن القرآن ما جاء بما يفي ويكفي خصوصا في باب الاعتقادات. يقول ابن سينا: « لم يرد في القرآن من الإشارة إلى هذا الأمر الأهم شيء، ولا إلى صريح ما يحتاج إليه في التوحيد بيان مفصل، بل إلى بعضه على سبيل التشبيه في الظاهر، وبعضه جاء تنـزيها مطلقا عاما جدا، لا تخصيص ولا تفسير له، وأما الأخبار التشبيهية فأكثر من أن تحصى، ولكن لقوم أن لا يقبلوه؛ فإذا كان الأمر في التوحيد هكذا؟؟؛ فكيف فيما هو بعده من الأمور الاعتقادية؟!»[٤]؛ فإذا كان هذا اعتقاد منظر الباطنية في القرآن فكيف يتوقع منهم تعظيم للقرآن الكريم، أو عدم استخفاف بآياته؟؟ وقد ذكر شيخ الإسلام رحمه الله أن منهم من يقول: إن الأنبياء ضيعوا الطريق!![٥].

أما استخفافهم بالقرآن من حيث عدم تعظيمهم له فهذا له صور كثيرة، وأذكر أهمها:

١ - أنهم يحرفون نصوص القرآن كما يريدون، فهم يدعون « أنهم أعلم بالله من المرسلين!!...، ويفسرون القرآن بما يوافق باطنهم الباطل»[٦]، ولهذا هم كانوا مؤسسين لمذهب القول بأن القرآن جاء بما يشبه على العوام، وأن حقيقته على خلاف ذلك، كما قال ابن سينا: « فظاهر من هذا كله أن الشرائع واردةٌ بخطاب الجمهور بما

(١) انظر: الحركات الإسلامية للخطيب ص ٣٠٥.

(٢) المجموع ٣٥/ ١٥٢.

(٣) انظر: المجموع ٣٥/ ١٥٠، شفاء الغرام بأخبار البلد الحرام ١/ ١٩٣.

(٤) الأضحوية ص٥٤.

(٥) انظر: المجموع ١٣/ ٢٢٢.

(٦) المجموع ١٣/ ٢٣٨.

يفهمون، مقرّبة ما لا يفهمون إلى أوهامهم بالتمثيل والتشبيه!!»[١]. ومن تلبيساتهم أن من كان من أتباعهم متمسكا بظاهر القرآن، قالوا له: إن هذه الظواهر لها أسرار، وبواطن، وأن المنخدع بظواهرها أحمق، وإنما الفطنة في اعتقاد بواطنها، ثم يبثون إليه عقائدهم، وينفثون فيه سمومهم[٢]. قال ابن الجوزي رحمه الله: «ولما عجزوا عن صرف الناس عن القرآن والسنة صرفوهم عن المراد بهما إلى مخاريق زخرفوها، إذ لو صرحوا بالنفي المحض، لقُتلوا»[٣]، وقامت الباطنية البابية وأتباعهم بتأويلات لآيات القرآن العظيم غاية في الغرابة والباطنية، بتنزيلها على ما يوافق دعوتهم الخبيثة[٤].

٢- منها أنهم لا يوقرونه، بل إن الباطنية كالقرامطة الذين لما ظهرت دولتهم كانوا يستنجون بالمصاحف!![٥] ومنهم من يستعمل أوراقه بعد الاستخفاف به بالقاذورات ونحوه من أجل السحر، وهذا كفر صريح[٦]، ولما مكنوا في نواحي المغرب العربي كانوا يحرقون المصاحف والمساجد[٧]. ولذا لما مكنوا في طبرية خاف الناس منهم على المصحف العثماني فأخرج منها إلى دمشق صيانة له، وحفظا[٨]، وكان من استهانة هؤلاء الباطنية أن أحدهم كان يكتب اسم الله، أو اسم رسوله في مقعده!![٩].

٣- لما كانت عقائدهم مبنية على الكيد للإسلام والمسلمين، وهدم ما جاء به الشرع القويم؛ فإنه لا يتصور منهم تعظيم للقرآن الكريم، ولهذا «لا يتصور أن يأمروا بما أمرت به الأنبياء، وينهوا عما نهوا عنه؛ لأن ذلك يناقض مقصودهم، بل وإن أمروا

---

(١) الأضحوية ص٥٩.
(٢) انظر: تلبيس إبليس لابن الجوزي ص ١١٧.
(٣) تلبيس إبليس لابن الجوزي ص ١١٨.
(٤) انظر: مجلة البحوث العلمية ٢٧/ ٣٤٤، وانظر: البهائية نقد وتحليل للشيخ إحسان إلهي ظهير ص ٥٤.
(٥) انظر: المبسوط للسرخسي ١٠/ ٢٩.
(٦) انظر: حواشي الشرواني ١٠/ ٦٤.
(٧) انظر: الفرق بين الفرق للبغدادي ص ٢١٨
(٨) انظر: تاريخ الخلفاء للسيوطي ص٣٧٠.
(٩) انظر: المجموع ٣٥/ ١٣٧.

بالبعض في ابتداء الأمر من يخدعونه ويربطونه؛ فلا بد أن يناقضوا فيأمروا بما نهت عنه الأنبياء، ولا يوجبوا ما أمرت به الأنبياء»[١].

٤- إعراضهم الكلي عن القرآن الكريم؛ فهم لا يتلونه، ولا يعملون به[٢]، ويوجد فيهم. وفي أتباعهم من ينفر عن القرآن، وعن الشرع، نفور الحمار من الأسد[٣].

٥- ومما يدل على استخفافهم به أنهم لم يعملوا بشيء منه بل أولوا كل ما سنحت لهم فرصة، ومن ذلك تأويلهم أركان الإسلام ومبانيه العظام، وغير ذلك مما هو من شعائر دين الله ﷻ فقالوا: «الجنابة مبادرة المستجيب[٤] بإفشاء السر!! ومعنى الغسل تجديد العهد على من فعل ذلك، ومعنى الزنا: نطفة العلم الباطن في نفس من لم يسبق معه عقد العهد...!!»[٥]، فأحلوا كل شيء لأنفسهم ولأتباعهم، إما بحجة أنه منسوخ، أو بحجة أنه ظاهر، والباطن خلافه، أو بحجة رفع القلم، لوصوله إلى درجة لا يلام!![٦].

٦- اعتقادهم أن القرآن غير كاف في الدلالة على الأمور الشرعية، ولهذا زعموا الحاجة إلى أقوال الفلاسفة، أو المجوس، أو الهندوس!![٧].

٧- ومما يدل على استخفافهم أنهم منعوا شرح القرآن ـ أعني السنة ـ أن تروى، فمنعوا من رواية الحديث الشريف في مصر إبان الحكم العبيدي عليها، بل كان المحدث يخاف أن يروي فيها شيئا خوفا من القتل، ولما بنوا مدارسهم في مصر كانوا لا يدرسون فيها علوم المسلمين، بل كان لا يدرس فيها إلا المنطق، والفلسفة،

---

(١) النبوات ص١٩١.

(٢) وقد كلمت رجلا بهائيا في هذه القضية؛ فقال: إن لنا كتبا خاصة بنا، وهذا القرآن لعلمائنا!!.

(٣) المجموع ١٣/ ٢٢٤.

(٤) في المطبوع زيادة: (بإفشاء المستجيب)، ولعلها زائدة.

(٥) تلبيس إبليس لابن الجوزي ص ١١٨، وانظر: مناهل العرفان ٢/ ٨٣.

(٦) انظر: المجموع ٣٥/ ١٣٧.

(٧) انظر: الصفدية ١/ ٢٦٠.

والطبيعيات، ونحو ذلك!![١].

قالوا: إن لظواهر القرآن والأخبار التي جاءت فيه بواطن هي المطلوبة، وهي تجري في الظواهر مجرى اللب من القشر، وإنها بصورها توهم الجهال الأغبياء صورا جميلة!! وهي عند العقلاء والأذكياء رموز وإشارات لحقائق معينة!![٢]، وقالوا: إن الظواهر عذاب، والبواطن رحمة!![٣] **وكيف لا يستهينون** بالقرآن، وهم أصلا لا يثبتون لله تعالى أي صفة، لا سلبا ولا إيجابا[٤].

ومن استخفافهم بالقرآن: نفيهم للجنة والنار، ويقولون: إن كل ما ورد في القرآن من ذلك فإنما هو إشارات ورموز، ولا جنة ولا نار!![٥] بل إن الباطنية قد قعدت قاعدة إبليسية وقالت: إن القرآن مشتمل على المتشابهات؛ فلا يستفاد منه العلم المتعلق بالبريات!![٦] **بل إن استخفافهم بالقرآن الكريم** أمر فوق التصور، إذ إنّ «أعمالهم تباين الإسلام بالمرة، فمحصول قولهم تعطيل الصانع، وإبطال النبوة والعبادات، وإنكار البعث، ولكنهم لا يظهرون هذا في أول أمرهم بل يزعمون أن الله حق، وأن محمدا رسول الله، والدين صحيح، لكنهم يقولون: لذلك سر غير ظاهر، وقد تلاعب بهم إبليس فبالغ، وحسن لهم مذاهب مختلفة»[٧].

ويتناول ابن عربي آيات الوعيد والتهديد الواردة في الكفار بما يشبه الاستهزاء بها، مع حسن تلاعب بالألفاظ، لكن لكون القرآن معظما عند الناس كان يتفوه بكلمات ملتوية تدل على مضادته للقرآن الكريم ومخالفته له[٨].

---

(١) انظر: المجموع ٣٥/ ١٣٨.

(٢) انظر: الفرق بين الفرق للبغدادي ص ٢٢٩، لسان العرب ١/ ٤٣٤، المعجم الفلسفي ٢/ ١٩٤.

(٣) انظر: الفرق بين الفرق للبغدادي ص ٢٢٨.

(٤) انظر: الحركات الباطنية ص٢٢٣، إسلام بلا مذاهب لمصطفي الشكعة ص ٢٥٠، الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب المعاصرة ص ٤٩.

(٥) انظر: تلبيس إبليس لابن الجوزي ص ١١٣، الحركات الباطنية ص ٢٣٩، ٢٤٠.

(٦) انظر: أقاويل الثقات ص٥٠.

(٧) تلبيس إبليس لابن الجوزي ص ١١٣، وانظر: المجموع ٣٥/ ١٥٢.

(٨) انظر: مقدمة كتاب أخبار جلال الدين الرومي ص ٦٣.

ومن استخفافهم بالقرآن: أنهم لا يقيمون لشرائعه وزنا، ولا لأحكامه قيمة، إذ الحلال ما أحلوه، والحلال ما حرموه!!! ويقولون: إن الدين أغلال، في أعناق من لم يصل إلى اعتقاداتهم الفاسدة، وأما من وصل إلى ما يعتقدونه فلا غِل عليه(١).

ومن **استخفافهم**: أنهم يجعلون التوحيد الذي جاء به محمد ﷺ والشركَ سواء، ويؤولون آيات التوحيد بحسب اعتقاداتهم الباطنة المنحرفة، يقول ابن عربي في قوله تعالى: ﴿ قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَىَّ أَنَّمَآ إِلَـٰهُكُمْ إِلَـٰهٌ وَٰحِدٌ ۖ فَمَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَـٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا ﴾[الكهف:١١٠] « وقد أشرك المشركون معه الملائكة والنجوم والأناسي والشياطين والحيوانات والشجر والجمادات، فصارت الأحدية سارية في كل موجود، فزال طمع الإنسان من الاختصاص، وإنما عمت جميع المخلوقات الأحدية للسريان الإلهي الذي لا يشعر به خلق، إلا من شاء الله، وهو قوله: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ﴾[الإسراء:٢٣] وقضاؤه لا سبيل أن يكون في وسع مخلوق أن يرده!! **فهو ماض نافذ فما عَبَدَ عابد غيره سبحانه، فإذاً الشريك هو الأحد!!!**»(٢) **ويقول**: «كل توحيد شرك!!! فلا يعول عليه»(٣).

وفي قوله ﷻ: ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا فَتَحْنَا عَلَيْهِم بَابًا ذَا عَذَابٍ شَدِيدٍ إِذَا هُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ ﴾ [المؤمنون:٧٧] قال فيها ابن عربي مبينا أن العذاب ليس على ظاهره: «ليس الأمر كما توهمته، فإنه قد قرن الإبلاس الذي هو البعد عند الفتح، فرحمة الفتح أعطتهم البعد بذلك القدر، **فهم في عذاب هو رحمة لمقارنة عذاب آخر**»(٤).

ومن استخفافهم بالقرآن أن بعض الباطنية سمع من أهل العلم فتوى بعدم جواز ذكر الله في الخلاء فقال: «يقولون: لا ينبغي أن يذكر اسم الله في بيت الخلاء، ولا يليق أن يقرأ فيه القرآن ولو همسا، ولكن ماذا أصنع اليوم بالقاذورات في أحشائي التي

---

(١) انظر: الحركات الباطنية ص ٣٩٠.

(٢) كتاب الألف (وهو الأحدية) لابن عربي ص ٣.

(٣)لا يعول عليه لابن عربي ص١٠.

(٤) الياء لابن عربي ص ١٠، وانظر: التراجم لابن عربي ص ١٤-١٥،١٧.

لا أستطيع منها فكاكا؟!!»[١].

ولهذا يقول الفقيه ابن العربي المعافري رادًّا على هؤلاء وأمثالهم المتلاعبين بنصوص القرآن، وتفسيرهم له بغير حجة ولا برهان: «وأما علم الباطن، فقد ضلت فيه الأمم، فأوغلوا في هذا الباب وأوعدوا، حتى كفرَت منهم طائفةٌ لا يحكى قولُها الآن لسخافتها، وتسورت عليه أخرى، وادعى كل واحد منهم: إن علمه في كتاب الله، ليحرص عليه من يطلبه»[٢].

والذي أدى إلى هذا الاستخفاف بالقرآن من هؤلاء وغيرهم ممن يزعمون أن للقرآن ظاهرا وباطنا، وظاهرا ومؤوَّلا، هو فتح باب التأويل (التحريف) الذي جاء منه الشر المستطير، وهذا ابن رشد يبين مفاسد فتح باب التأويل - مع أنه من أربابها - فيقول: «إن تأثيرها - أي: ظواهر النصوص - في نفوس الجمهور إنما هو إذا حملت على ظاهرها، وأما إذا أولت فإنما يؤول الأمر فيها إلى أحد أمرين:

إما أن يسلط التأويل على هذه، وأشباه هذه في الشريعة، **فتتمزق الشريعة كلها، وتبطل الحكمة المقصودة منها.**

وإما أن يقال في هذه كلها: **إنها من المتشابهات، وهذا كله إبطال للشريعة**، ومحو لها من النفوس، من غير أن يشعر الفاعل لذلك بعظيم ما جناه على الشريعة»[٣]، ويقول عن هذه التأويلات الباطنية، والتحريفات الكلامية: «فهذه كلها كما تراه بدع حادثة في الاسلام، هي السبب فيما عرض فيه من الفِرَق، التي أنبأ المصطفى ﷺ، أنها ستفترق أمته إليها»[٤].

ويقول الشيخ مصطفي صبرى التركي رحمه الله: «إن نصوص أحكام الإسلام ما كانت لتتخذ لعبة في يد أحد من الناس، يتلعَّب بها، ولن يعطى الحق لكائن من كان،

---

(١) مقالات التبريزي ٢/ ١١٥، نقلا عن كتاب: أخبار جلال الدين الرومي ص ١٨٨

(٢) قانون التأويل لابن العربي المعافري ص ٥١٨.

(٣) مناهج الأدلة لابن رشد ص٨٢.

(٤)مناهج الأدلة لابن رشد ص٨٣، وانظر منه ص ٨٥.

كي يضع اصطلاحات تخالف بيانات كتاب الله تعالى، وتضاده »[(١)].

ومن استخفافهم بالقرآن الكريم أنهم يقتبسون منه في تركيب كلماتهم في غير السياق الذي نزلت من أجلها الآية، بل ويركبون كلامهم من آياتها، فاقرأ هذا النص من مقدمة المثنوى للجلال الرومي القونوي، وهو يقول مادحا كتابه "المثنوي": « مثله نوره كمشكاة فيها مصباح، يشرق إشراقا أنور من الإصباح، وهو جنان الجنان، ذو العيون والأغصان، منها عين تسمى عند أبناء هذا السبيل سلسبيلا، وعند أصحاب المقامات والكرامات خير مقاما وأحسن مقيلا، الأبرار فيه يأكلون ويشربون، والأحرار منه يفرحون ويطربون، وهو كنيل مصر للشاربين، وحسرة على آل فرعون والكافرين، كما قال تعالى: يضل به كثيرا، ويهدي به كثيرا!!! وإنه شفاء الصدور، وجلاء الأحزان، وكشاف القرآن!!!، وسعة الأرزاق!! وتطييب الأخلاق!! »[(٢)].

وأما تأويلاتهم الباطنية فما أكثرها، ومن جملة ذلك قولهم:

١- الصلاة: حضور القلب مع الله تعالى فقط!! وأما الصلاة الشرعية ذات الأركان فلا يعتقدونها، ولا يقولون بها.

٢- الصوم: الجوع فقط!![(٣)].

٣- الكعبة هي النبي!! والباب علي، والطوفان: طوفان العلم!![(٤)].

ومن جملة ذلك تأويلهم الأسماء الحسنى كلها، ونفيها عن الله ﷻ على سبيل التنـزه له عنها!! « وقد غلوا في ذلك، وبالغوا حتى قالوا: إنه لا يقال: أنه ـ أي الله ﷻ ـ موجود، ولا معدوم، بل قالوا: إنه لا يعبر عنه بالحروف، وقد جعلوا تأويلها: أن المراد بها كلها إمام الزمان عندهم، وهو عندهم المسمى الله، والمراد بلا إله إلا الله، وقد تواتر

---

(١) القيمة العلمية للمجتهدين الجدد ص ١٢٥-١٢٦، نقلا عن كتاب: أخبار جلال الدين الرومي ص ٦٤.

(٢) مقدمة كتاب المثنوي، نقلا عن كتاب: أخبار جلال الدين الرومي ص٣٦٣.

(٣) انظر: رسالة في ألفاظ الكفر لقاسم بن صلاح الدين الخاني، ص ٣٧٩، ضمن الجامع لألفاظ الكفر، للشيخ د/ محمد الخميس.

(٤) تلبيس إبليس لابن الجوزي ص ١١٩، وانظر ما بعدها، مناهل العرفان ٢/ ٨٣.

هذا عنهم، وأنا ممن وقف عليه؛ فيما لا يحصى من كتبهم التي في أيديهم، وخزائنهم، ومعاقلهم التي دخلت عليهم عنوة »[١].

ومن استخفافهم بالقرآن عدم الالتفات إليه تعلما، وتعليما، وتعبدا، فـ « لا يعتنون بالقرآن، ولا بتفسيره، ولا بالحديث، وكلام السلف، وإن تعلموا من ذلك شيئا؛ فلأجل تعلق الجمهور به ليعيشوا بينهم بذكره، لا لاعتقادهم موجبه في الباطن، وهذا بخلاف طوائف المتكلمين؛ فإنهم يعظمون القرآن في الجملة، وتفسيره، مع ما فيهم من البدع »[٢].

ومن استخفافهم بالقرآن إنكارهم لما جاء فيه من ذكر معجزات الأنبياء وآياتهم؛ فيحرفونها تحريفات ماكرة، أو يكذبون بها، « وربما جعلوها أمثالا؛ فقالوا: إنه ألقا عصا العلم؛ فابتلعت حبال الجهل وعصيه!! ونحو ذلك، كما يغلب الرجل الرجل بحجته!! وهذا من تأويلات القرامطة التي يعلم بالضرورة بطلانها، وأنها مخالفة للمنقول بالتواتر، ومخالفة لما اتفق عليه المسلمون »[٣].

ومن استخفافهم بالقرآن الكريم قولهم عما جاء فيه بأنه: « رموز وإشارات إلى علوم باطنية، كما يقولون: إن الصلاة معرفة أسرارنا والصيام كتمان أسرارنا!!، والحج زيارة شيوخنا المقدسين!! ونحو ذلك »[٤].

فهؤلاء الباطنية أعظم الناس كفرا، وأشد الناس ضلالا، فإنهم لما ادعوا العلم الباطني الذي يخالف ما عليه المسلمون، جاؤوا بالكفر الصريح، والنفاق القبيح، حيث إن مضمون هذا العلم الباطني، تحريف أوامر القرآن وتحريف نواهيه وتحريف أخباره، « **أما الأوامر**: فإن الناس يعلمون بالاضطرار من دين الاسلام أن محمدا ﷺ أمرهم بالصلوات المكتوبة، والزكاة المفروضة،وصيام شهر رمضان، وحج البيت

(١) إيثار الحق على الخلق لابن الوزير اليماني ص١٢٣.

(٢) المجموع ١٣/ ٢٠٦ ـ ٢٠٧.

(٣) الصفدية ١/ ١٣٨.

(٤) شرح الأصبهانية ص٦٣٤، وانظر: المجموع ٣٥/ ١٣٣، ١٥٠.

العتيق. **وأما النواهي**: فإن الله تعالى حرم عليهم الفواحش ما ظهر منها وما بطن، والإثم، والبغي بغير الحق...، كما حرم الخمر، ونكاح ذوات المحارم، والربا، والميسر، وغير ذلك؛ فزعم هؤلاء أنه ليس المراد بهذا ما يعرفه المسلمون، ولكن لهذا باطن يعلمه هؤلاء الأئمة ـ الباطنيّون ـ...، الذين يقولون: إنهم معصومون!!...، **وأما الأخبار**: فإنهم لا يقرون بقيام الناس من قبورهم لرب العالمين، ولا بما وعدالله به عباده من الثواب والعقاب، بل ولا بما أخبرت به الرسل من الملائكة؛ بل ولا بما ذكرته من أسماء الله، وصفاته...»[(١)].

فأي استخفاف بالقرآن أعظم من أن يُعتقد فيه أن كل ما فيه من أخبار وأوامر ونواهٍ، محرفة إلى المعاني المشتهاة!! وأن الحلال ما أحله مشايخهم!! والحرام ما حرمه أئمتهم!! والأخبار ما جاء به أصحاب نحلتهم!!.

ومن استخفاف بعضهم بالقرآن «**دعواه أنه يقدر أن يعارض القرآن بخير منه**!! ودعواه أنه من فاته الحج أنه يبني بيتا يطوف به!!...، إلى أمور أخرى توجب الكفر باتفاق المسلمين الذين يشهدون أن محمدا رسول الله: علماؤهم، وعبادهم، وفقهاؤهم، وفقراؤهم، وصوفيتهم»[(٢)].

ومن استخفافهم بالقرآن «سؤالهم عن معاني حروف الهجاء، في أوائل السور...، وزعموا أنه لا يعرف تأويلها إلا الإمام المعصوم... ـ ويسألون عن معاني آيات استخفافا، وتدريجا ـ، فإذا سمع الغر منهم هذه الأسئلة، ورجع إليهم في تأويلها، قالوا له: علمها عند إمامنا، وعند المأذون له في كشف أسرارنا؛ فإذا تقرر عند الغر أن إمامهم أو ما دونه هو العالم بتأويله، اعتقد أن المراد بظواهر القرآن والسنة غير ظاهرها؛ فأخرجوه بهذه الحيلة عن العمل بأحكام الشريعة»[(٣)].

وخلاصة الأمر أن تفسير معاني القرآن الكريم عند هؤلاء الباطنية تغيير لمعاني

---

(١) المجموع ٣٥/ ١٣٢، وانظر منه ١٣/ ٢٣٦-٢٣٧.

(٢) المجموع ٨/ ٣١٦، وذكر شيخ الإسلام أن الذي ادعى هذا القول هو الحلاج المقتول ردة.

(٣) الفرق بين الفرق للبغدادي ص٢٣٢-٢٣٣.

القرآن إلى الهذيان، و« أقل ما حولوا فيه التفسير إلى التغيير، وهناك ما هو أشد وأفسد، حتى إن هذا الحال أعني ما رأيته من أن الصوفية الوجودية وأنصارهم يحرفون معاني كلام الله ورسوله، في سبيل تأييد مذهبهم تحريفا جليا، كان أول مُنبه إليّ على بطلان مذهبهم، كما رأيت أن مثل هذه التحريفات لا يصدر إلا من المضل المتعمد، أو الجاهل السيء الفهم؛ فإن كانوا ينسبون تلك المعاني المحرفة إلى باطن الكتاب أو السنة؛ فهي أحق عندي باسم الباطل منها باسم الباطن »[١].

ومن « ذلك التحريف الفاحش أنهم يجعلون "رسلُ الله" في قوله تعالى: ﴿ وَإِذَا جَآءَتْهُمْ ءَايَةٌ قَالُواْ لَن نُّؤْمِنَ حَتَّىٰ نُؤْتَىٰ مِثْلَ مَآ أُوتِىَ رُسُلُ ٱللَّهِ ٱللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُۥ ﴾ [الأنعام:١٢٤] مبتدأ، و"الله" الثانيَ خبرَه!!، ـ فيكون المعنى: رسل الله هو الله ـ بناء على أساس وحدة الوجود الموجب لكون كل موجودٍ الله؛ فيكون رسل الله أيضا الله!! »[٢].

فهذه بعض تحريفات الباطنية[٣] أهل وحدة الوجود ـ المعظّمون عند جهلة المسلمين، وعند الصوفية على وجه الخصوص ـ؛ فكيف بالباطنية الإسماعيلية!!.

ومعلوم أن « النصوص تحمل على ظواهرها، والعدول عنها إلى معان يدعيها أهل الباطن إلحاد »[٤].

ويزعمون أن حالهم، وما عليه مشايخهم، أفضل مما عليه الأنبياء، حتى يقول التلمساني: « القرآن يوصل إلى الجنة، وكلامنا يوصل إلى الله!! »[٥].

ومن استخفافهم بالقرآن الكريم، وبالدين القويم، قول بعضهم: « المسجد: اصطبل البطالين، ويقرؤون القرآن: وما أرسلناك إلا رحمة للمدمنين!! وألوان هذا

---

(١) موقف العقل والعلم والعالم ٣/ ٢٦٣.

(٢) موقف العقل والعلم والعالم ٣/ ٢٦٣.

(٣) انظر: تحريفات أخرى، وتلبيسات شتى كما ذكره عنهم صاحب كتاب: موقف العقل والعلم والعالم ٣/ ٢٦٤ وما بعدها، مع الرد عليهم.

(٤) فتح البيان لصديق حسن خان ١/ ١٢، نقلا عن النسفي.

(٥) المجموع ٢/ ٦٦، وانظر منه ١٢/ ١٨٦.

الجنس الذي فيه استهزاء بالله وآياته، ورسوله، مع تعظيمهم شيخهم، وغلوهم فيه، وكذلك النصيرية، والإسماعيلية، ونحوهم، وكثير من طوائف متعددة»[(١)].

وفي أشعار الغلاة من الصوفية من سب النبي ﷺ وسب الإسلام وسب القرآن ما لا يرضاه مسلم[(٢)].

فإذا كان هذا حقيقة حالهم مع القرآن؛ فكيف يتصور منهم الاعتماد عليه في العقائد!؟ وهذا ما أبينه في المطلب الآتي.

(١) الرد على البكري ٢/ ٦٧٢، ولا شك أن هذه الطوائف المتعددة إنما يجمعها الطابع المشترك، وهو الخروج على الشرع بالقول الباطني.
(٢) انظر: المجموع ١/ ١٠٧.

المطلب الثاني: عدم اعتماد الباطنية على القرآن الكريم.

ولما اعتقدت الباطنية بأن القرآن قد جاء بالتخييل، وكان منهم من قال بنسخه، أو نسخ بعض أحكامه، لم يعتمدوا عليه، لا في باب الإيمان، ولا في غيره. وقالوا: إن الكتاب والسنة والإجماع لا يحتج بهما في باب الإيمان بالله وباليوم الآخر، ولهذا لا يعتمدون على الكتب الإلهية[١].

فلا يصدرون في عقائدهم عن القرآن الكريم، والشرع القويم: فالقرآن فيه إثبات خالق ومخلوق، وعابد ومعبود، وهؤلاء لا يثبتون إلا الحلول، أو الاتحاد، أو وحدة الوجود. يقول ابن عربي في إثبات وحدة الوجود: «وفي كل شيء له آية تدل على أنه واحد، وهذه الآية التي في كل شيء التي تدل على وحدانية الله، هي وحدانية الشيء، لا أمر آخر، وما في الوجود شيء من جمال غيره»، ويقول: «ولهذا إذا ضربت الواحد في الواحد لم يتضعف، ولم يتولد منهما كثرة، لأنهما ما هو!! فإنك ضربت الشيء نفسه في نفسه، فلم يظهر لك سوى نفسه، فاضرب أنا في أنا يخرج لك في الخارج أنا»[٢]. ويقول: «وهكذا الوجود كله هو واحد في الحقيقة، لا شيء معه، ولهذا ما ألطف إشارة الشرع ﴿لِمَن كَانَ لَهُۥ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى ٱلسَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ﴾[ق:٣٧] فالشهيد هو الهو والقلب والسمع!!!»[٣].

وإن تأويلاتهم لا نهاية لها، فانظر ماذا يقولون: «عبدي خرقت لك الحجاب، وأظهرت لكل الأمر العجاب، حتى أتيت قومك باللباب، ﴿فَقَالُواْ سَٰحِرٌ كَذَّابٌ﴾، عبدي وهبتك أسرار الأخلاق، وملكتك مفتاح اسمي الخلاق، فقال لك الكافرون: ﴿إِنْ هَٰذَآ إِلَّا ٱخْتِلَٰقٌ﴾، عبدي ملكتك سر النون، من قول كن فيكون، فقالوا: ﴿سَاحِرٌ

(١) انظر: الدرء ٥/ ٢١.
(٢) كتاب الألف (وهو الأحدية) لابن عربي ص٤، ٥.
(٣) الجلالة لابن عربي ص ٩.

أَوْ مَجْنُونٌ﴾، عبدي أتيتهم بأسرار الكوثر، فقالوا: ﴿إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ يُؤْثَرُ﴾...»[١].

وجاء القرآن مبينا للربوبية وما يجب للرب ﷻ، وما يستحقه من الألوهية، وفي إثبات النبوة، وأهمية العلم، وهؤلاء يقولون: «للربوبية سر لو ظهر لبطلت النبوة»، ذلك لأن السر بزعمهم هو: أن المرسِل عين المرسَل!!! وقالوا: «وللنبوة سر لو كشف لبطل العلم»، لأن السر عندهم أن كل صاحب دين على ما هو عليه، وإنما جاء الرسل لأهل الظاهر، فإذا كان كذلك بطل التمايز بالعلم!! وقالوا: «وللعلماء بالله سر، لو ظهر لبطلت الأحكام»[٢]، لأنهم يرون أن من وصل رفع عنه التكاليف فتبطل الأحكام في حقهم!!!.

قال شيخ الإسلام ﵀ مبينا أنهم لا يعتمدون على الكتاب والسنة، بل على مخالفتهما: «ويقولون: نطق الكتاب والسنة بثنوية الوجود، والوجود واحد لا ثنوية فيه، ونحو ذلك من المقالات التي هي أعظم الكفر والإلحاد»[٣].

ولا يعتمدون على أحكام القرآن، فلذلك يحرمون ما يشاؤون، ويحلون ما يشاؤون، بل ويتكلمون في آياته بما يريدون. فهذا أحد الباطنية من أتباع المولوية يجعل الرباب والضرب به حلالا مثل عصا موسى، فيقول عن ربابهم الذي به يقيمون الحفلات الصوفية والليالي الماجنة: «وربابنا هذا، كان في السابق قطعة خشب ملقاة في جانب، لا يلتفت إليها، فاختار مظهر سر المصطفى!! وموسى الزمان!! مولانا ـ الجلال الرومي ـ هذه القطعة الخشبية، ونظر إليها نظرة عناية، فتحولت قطعة الخشب هذه في يده ثعبانا تلقف كل حبال خيال أصحاب الحيل... فيبتلع في نَفَسٍ واحد جميع علومكم العقلية وأحكامكم!!... إن نظرة من إكسير نظره، بدلت حرمته إلى الحل!! وأصبح الرباب مقبول أهل القبول!!!»[٤].

---

(١) الإسراء إلى مقام الأسرى لابن عربي ص٧٢-٧٣.

(٢) رسالة ضمن رسالة ابن عربي للرازي (متمم) ص٩.

(٣) الصفدية ٢/ ٢٢٤.

(٤) مناقب العارفين للأفلاكي ٢/ ٣٤٩ ـ ٣٥١، نقلا عن كتاب: أخبار جلال الدين الرومي ص ٢٠٠.

ومما يدل على عدم اعتمادهم على الشرع، أن القونوي وهو في حفلة رقص ورباب، دخل عليه أحد أعزائه، فقال له: «بدأ المؤذن في آذان الظهر، ففكر هنيهة ثم قال: لا، لا، **فكما أن ذاك الصوت يدعو إلى الحق، فكذلك هذا الصوت - يعني الرباب - يدعو للحق أيضا!! ذاك يدعو ظاهر الإنسان، والمشاهد منه لوظيفته، أما صوت الرباب فيدعو باطنه، والخفي منه إلى محبة الحق ومعرفته**» !![1].

بل ويزعمون أن الطريق الموصل إلى الله هو غناؤهم الذي ابتدعوه، لا القرآن والعلم والبيان، قال أحد علماء الشريعة ممن «يحسن الظن بالشمس التبريزي: قد أسأت إلى سمعة أهل العلم بسماعك هذا؟ فأجابه التبريزي: ألا تدري أن فرق ما بين السيء والحسن، والكافر والمؤمن لا يتضح إلا لأهل السماع!!، فقال العالم: أَوَ تصل إلى الله بالرقص واللعب؟؟ فقال الشمس: فالعب أنت أيضا لتصل إلى الله، فبعد خطوتين ستدركنا!!»[2]. فانظر بعين الإمعان تجد أن القوم يستخفون بالشرع، ويعظمون الرقص والسماع الصوفي على كتاب الباري والعلم المستفاد منه.

قال ابن القيم ﵀: «وبعض هؤلاء سمع إقامة الصلاة، وهو في السماع، فقال: كنا في الحضرة!! فصرنا على الباب!!». ثم قال ابن القيم ﵀: «فقال له صاحب القرآن: صدقت والله كنت في حضرة الشيطان، فدعيت إلى باب الرحمن»[3].

ومن عجائب هؤلاء الباطنية تسميتهم لمبتدعاتهم بالأسماء الشرعية حتى تروج على الخلق، وتنفق سلعتهم باسم الحق، فهذا القونوي يسمي السماع الصوفي: صلاة العاشقين!!![4].

فهؤلاء يفعلون المنكر باسم الدين، وهذا شأن الباطنية أجمعين، يفعلون الكفر

---

(١) مناقب العارفين للأفلاكي ١/ ٦١٣، نقلا عن كتاب: أخبار جلال الدين الرومي ص ٢٤٣.

(٢) مقالات التبريزي ٢/ ٨٢، نقلا عن كتاب: أخبار جلال الدين الرومي ص ٢٤٨.

(٣) الكلام على مسألة السماع ص ٢٩١، وألف الشيخ إبراهيم الحلبي رسالة في رد السماع الصوفي بعنوان: "الرهص والوقص لمستحل الرقص" وهو مطبوع.

(٤) مناقب العارفين ١/ ٦١٢، نقلا عن كتاب: أخبار جلال الدين الرومي ص ٢٤٩.

والشرك والخرافة، ملبسين إياها بالدين، قال الإمام الشاطبي رحمه الله: «ولو فعلوه على جهة اللعب، كما يفعله الصبيان، لكان أخف عليهم، مع ما فيه من إسقاط الحشمة، وإذهاب المروءة، وترك هدي أهل الاسلام، وأرباب العقول، لكنهم يفعلونه على جهة التقرب إلى الله، والتعبد به، وأن فاعله أفضل من تاركه، وهذا أدهى وأمر حيث يعتقدون أن اللهو واللعب عبادة، وذلك من أعظم البدع المحرمات، الموقعة في الضلالة المؤدية إلى النار، والعياذ بالله»(١).

وقال أبو السعود الحنفي رحمه الله ـ في عبادات الصوفية الرقصية!! مبينا حرمتها ومخالفتها الشرعية ـ لما سئل عن وجه لزوم كفر القائلين بقربية الدوران في الرقص، وعدم لزوم كفر القائلين بإباحته؟.

قال: «المباح ليس مأمورا به، أما العبادة فمن المؤكد أنها مأمور بها، والقائل بحله لم يفتر على الله تعالى بقوله: إنه تعالى أمر به حتى يكفر. أما الذي يعده عبادة، ذاك اللاعب العابث، فقد جمع إلى عبثه ولعبه، وحرمته المقررة، وكفر الكفار مشهور، وكمال مشابهته لهم، دعواه: إن ذلك أمر الله عز وجل، يطلب الثواب عليه، كالذي يستبيح سرقة الدرهم ليتصدق به، ويرجو ثواب ذلك، مما هو كفر ثان غير الأول»(٢).

ومما يدل على عدم اعتمادهم على القرآن الكريم أنهم يفعلون المنكرات والفسق والفجور، والشر والمجون، وينسبون: «هذا العهر إلى الله تعالى!! ويقدس بمثل ما قدس به القرآن، فهذا هو الكفر بعينه»(٣)، وليس في كتبهم آيات وأحاديث يعتمد عليها، وإن ذكرت بعضها فلكونهم ظنوا أنها توافق هواهم، وأولوها على أهوائهم.

فإذا قيل لهم: إن كتبكم تحوي الفجور والشرور، قالوا: إن القرآن كذلك فيه ذكر لقضية الشهوة والنـزوة!!، وقالوا: «انظروا كيف جاء القرآن بكذا وكذا من المعاني الجنسية، لغاية وحكمة!!...

---

(١) فتاوى الإمام الشاطبي ص ١٩٦.
(٢) نقلا عن كتاب: أخبار جلال الدين الرومي ص ٢٦٧.
(٣) أخبار جلال الدين الرومي ص٤٤١.

وهذه ورب الكعبة كذبة صلعاء، وجهالة عظمى تدل فيما تدل على فهم بلقع، ووهم شنيع...، فهذا كتاب الله ﷻ، نظيف القمة، أخلاقي في الذروة»[(١)].

فالقرآن يدل من أوله إلى آخره على وجود رب، ومربوب، وخالق، ومخلوق. وهؤلاء «يصل بهم الكفر إلى أنهم لا يشهدون أنهم عِبادٌ، لا بمعنى أنهم مُعبدون، ولا بمعنى أنهم عابدون، إذ يشهدون أنفسهم هي الحق!! كما صرح بذلك طواغيتهم، كابن عربي صاحب الفصوص، وأمثاله الملحدين المفترين، كابن سبعين وأمثاله»[(٢)].

ومما يدل على عدم اعتمادهم على القرآن في العقائد، أنهم «يتوهمون ما لا حقيقة له، كتوهم إلهية البشر كتوهم النصارى[(٣)]، وتوهم المنتظر، وتوهم الغوث المقيم بمكة: أنه بواسطته يدبر أمر السماء والأرض!! ولهذا يقول التلمساني: ثبت عندنا بطريق الكشف ما يناقض العقل!!»[(٤)].

ومن ذلك تفضيلهم لأئمتهم على النبي ﷺ، وهذا أحد الباطنية الصوفية يقول: «إن النبي ﷺ لبنة من فضة، وهو لبنتان من ذهب وفضة، ويزعم أن لبنة محمد ﷺ هي العلم الظاهر، ولنبتاه: الذهب: العلم الباطن!! والفضة: العلم الظاهر!!»[(٥)].

وكانت البابكية تزعم أن رجلا منهم كان في الجاهلية يقال له "شروين" أنه أفضل من النبي محمد ﷺ!![(٦)] بل يزعم البهائية والبابية أن البهاء أفضل من النبي محمد ﷺ الهاشمي![(٧)].

فالقرآن يدل صراحة، وبأوضح عبارة، على أن محمدا ﷺ رسول إلى الناس

---

(١) أخبار جلال الدين الرومي ص٤٦٥ ـ ٤٦٦.

(٢) العبودية ص٣٩.

(٣) في المطبوع: (إلهية البشر، وتوهم النصارى)، ولكن السياق لا يستقيم إلا بما أثبته ـ والله أعلم ـ.

(٤) المجموع ٢/ ٥٨.

(٥) نقض المنطق ص١٤١، والذي قال هذا الكلام هو ابن عربي، كما أشار إليه شيخ الإسلام ؒ.

(٦) انظر: الأنساب للسمعاني ٢/ ٢٤٣، الملل والنحل الواردة في كتاب الأنساب ص١٦.

(٧) انظر: البهائية نقد وتحليل للشيخ إحسان إلهي ظهير ص٤٨.

كافة، وهؤلاء يدعون «أن من الأولياء الذين بلغتهم رسالة محمد ﷺ **من له طريق إلى الله لا يحتاج فيه إلى محمد**؛ فهذا كافر ملحد، وإذا قال: **أنا محتاج إلى محمد في علم الظاهر، دون علم الباطن، أو في علم الشريعة دون علم الحقيقة؛ فهو شر من اليهود والنصارى** الذين قالوا: إن محمدا رسول إلى الأميين دون أهل الكتاب؛ فإن أولئك آمنوا ببعض، وكفروا ببعض؛ فهو كافر، وهو أكفر من أولئك»[١].

وكيف يعتمدون عليه وهم يقولون: إن صاحب الطريق المستديرة هو الواصل عندهم، ويمدحون أصحاب الطرق المستديرة، وهم يعنون بذلك الذين يقولون: الرب عبد، والعبد رب؛ فيرجع الأول إلى الثاني، والثاني إلى الأول، وهكذا وهذه هي الحركة المستديرة الحائرة بزعمهم!!! ويذمون أصحاب الطريق المستقيم!! ومعلوم أن القرآن قد أمر باتباع الصراط المستقيم، الذي يوصل إلى رب العالمين، وأن العبد عبد، لا يمكن أن يصل إلى السعادة المنشودة، والدرجة العالية المعهودة، في الجنات الموعودة، وأن الرب رب، لا يمكن إدراكه، والإحاطة به، وأنه لا يمكن أن يراه أحد إلا بالسير على الصراط المستقيم، ولهذا كان الأمر في القرآن الكريم باتباع الصراط المستقيم، دون الطرق الأخرى، سواء كانت دائرية حائرة، أو طرقا أخرى[٢].

و« إن حديث الخلق الذي ملأ كتاب الله يلزم أن يكون بالنظر إلى هذا المذهب حديث خرافة؛ لأن الخلق هو الإيجاد من العدم، وهو من أجلِّ أوصاف الله التي تختص به، ولا يقدر غيره عليها، مع أن الخلق والإيجاد ممتنع في مذهب الصوفية... بل الخلق والإيجاد مستحيل كخلق إله غير الله؛ لأن الوجود هو الله!! ولا وجود، ولا موجود غيره!! وليس هناك وجودان: وجود الواجب الخالق،ووجود الممكنات المخلوقات، بل الوجود واحد وواجب!! ولذا عبر عن مذهبهم بمذهب وحدة الوجود، وهي تستلزم وحدة الموجود أيضا، على أنه لا موجود عند غير الوجود...،

---

(١) الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان ص٧٣، المجموع ١١/ ٢٢٥.

(٢) انظر: المجموع ٢/ ٢٦٦ وما بعدها.

وصرحوا بأن العالم عين الله!!...، واختلاف الصوفي عنا في تسمية المحسوسات؛ فنسميها العالم، ويسميها الله!!»[(١)].

ومن ذلك إخراجهم لفرعون من دركات الكفر إلى دركات البِر؛ فزعموا أنه كان من الموحدين!! فأي اعتماد لهؤلاء يكون على كلام الله!!؟ يقولون: «إن فرعون كان مؤمنا، وأنه لا يدخل النار...، وهذا القول كفر معلوم فساده بالاضطرار من دين الإسلام»[(٢)].

«**والزنادقة من الفلاسفة، والنصيرية وغيرهم:** يقدحون تارة في النقل، وهو قول جهالهم، وتارة يقدحون في فهم الرسالة، وهو قول حذاقهم، كما يذهب إليه أكابر الفلاسفة، والاتحادية، ونحوهم...، وكذلك ابن سينا، وغيره، يذكر من النقص بالصحابة ما ورثه عن أبيه وشيعته القرامطة»[(٣)].

وعند ما يرى المسلم هذه الخرافات من الباطنية في كتاب الله ﷻ ليستيقن أن الباطنية إنما تلقت هذه الأقوال وهذه الخصال عن اليهودية المحرفة، والمجوسية الحاقدة، وكل أمة معرضة عن الشرع. فمصادرهم الأمم الماضية، والأفكار الواردة، لا يتصدرون عن القرآن أساسا، ولا عن السنة أصلا، ولا يعرفون للسلف درجة ومقاما[(٤)].

---

(١) موقف العقل والعلم والعالم ٣/ ٢٥٥-٢٢٥٦.

(٢) المجموع ٢/ ٢٧٩.

(٣) نقض المنطق ص٨٧.

(٤) انظر: الحركات الإسلامية للخطيب ص ٣٦ وما بعدها.

المطلب الثالث:تفضيل غير القرآن على القرآن.

الباطنية نحل مختلفة، والذي يجمعهم عدم الإيمان الصحيح بما في القرآن الكريم من ختم النبوة، وختم الرسالات، ولكن منهم من يصرح بهذا الكفر، ومنهم من لا يصرح به، ولكن يذكر ذلك بأسماء ملبسة، وبطرق مدلسة.

فالبابية مثلا: تزعم أن الهراء الذي جاء به "المرزا محمد علي الشيرازي" أفضل من القرآن الكريم!![١] وأن الكتاب المسمى بـ (البيان) أفضل من القرآن الكريم[٢]!! والبهائية تزعم أن كتابها المسمى بـ (الأقدس) قد نسخ كتاب البابية (البيان)، ونسخ القرآن الكريم!![٣].

وكذلك القاديانية تفضل كتابها المسمى بـ (الكتاب المبين) على القرآن الكريم![٤].

والتيجانية من الفرق الصوفية الغوية، والنحل المنتسبة إلى الإسلام وهي من الباطنية، تزعم أن كتاب "جواهر المعاني" كتاب مهم، وفيه من الطامات الشيء العظيم[٥]. بل زعموا وبكل وقاحة أن "صلاة الفاتح" أعظم من القرآن الكريم!! وأنه من كلام الله ﷻ!! وأنه أفضل من القرآن الكريم ستة آلاف مرة، ونصها: « اللهم صل على سيدنا محمد الفاتح لما أغلق، والخاتم لما سبق ناصر الحق بالحق، الهادي إلى صراطك المستقيم، وعلى آله حق قدره ومقداره العظيم »[٦].

---

(١) انظر: البهائية نقد وتحليل للشيخ إحسان إلهي ظهير ص ٤٨

(٢) انظر: الموجز في الأديان والمذاهب المعاصرة ص ١٥٨.

(٣) انظر: الموجز في الأديان والمذاهب المعاصرة ص ١٦١.

(٤) انظر: الموجز في الأديان والمذاهب المعاصرة ص ١٥٢.

(٥) انظر:التيجانية للدكتور/ علي بن محمد آل دخيل الله ص٥٧ وما بعدها، ٨٠، الموجز في الأديان والمذاهب المعاصرة ص١٦٩.

(٦) انظر: التيجانية للدكتور/ علي بن محمد آل دخيل الله ص ١١٣، ١١٧، الموجز في الأديان والمذاهب المعاصرة ص ١٧٠، وهذه الصيغة لا ينبغي أن تنطلي على المسلمين، خصوصا بعد أن بين النبي الكريم محمد ﷺ كيفية الصلاة عليه، وهي المحفوظة التي يقولها المسلمون في كل تشهد.

فالباطنية بمختلف فئاتها لا تصدر عن القرآن، بل كل واحد منهم يصدر عما يقال له من الشيوخ، أو المتبوعين من علماء ملتهم، فتارة يزعم كبارهم أنهم يصدرون عن الكشوفات، وما يطلعون عليه من الغيوبات، فيطرحون ما نزل من الآيات، ويحرمون الطيبات، ويحلون المحرمات، ومن ذلك ما ذكره الثقة [١] عن التلمساني كبير الصوفية الحلولية، أنه كان يقرأ عليه الفصوص، فقال له «هذا الكلام يخالف القرآن!! فقال: القرآن كله شرك!!! [٢] وإنما التوحيد في كلامنا!! قال: فقلت له: فإذا كان الكل واحدا فلماذا تحرم علي ابنتي، وتحل لي زوجتي؟ فقال: لا فرق عندنا بين الزوجة والبنت!!! الجمع حلال!! لكن المحجوبون قالوا: حرام، فقلنا: حرام عليكم!!» [٣].

وهذا الكلام من التلمساني ما جاء عن خطرة، ولا ظهر منه عن فكرة، بل هو طريق سائر ودرب جاسر صار عليه الحلولية الأوائل منهم والأواخر، وقد كان الحلاج يدعي أنه يمكنه أن يعارض القرآن الكريم!! [٤].

ومن تفضيل الباطنية الغناء على القرآن أنهم لا يكتفون به، ولا يتشوقون إليه، بل شوقهم في الغناء والرقص!! يقول من مدحهم وجالسهم ـ مادحا إياهم ـ: « وبعد الفراغ من الأكل، قرأ القراء آيات من القرآن العزيز!! ثم أخذوا في السماع والرقص!!!» [٥]. قال ابن قدامة ﷺ: « فأما من يجعله دينا، ويجعل استماعه واستماع الغناء قربة وطريقا إليه سبحانه؛ فلا يكاد يوصله ذلك إلا إلى سخط الله ومقته» [٦].

---

(١) والثقة هو: كمال الدين عمر المراغي المتوفى سنة ٧٣٢هـ، انظر: الرد الوافر لابن ناصر الدين الدمشقي ص ٢١٥.

(٢) لأن القرآن يبين الفرق بين المعبود والعابد، وبين الخالق والمخلوق، وهذا عند هؤلاء الحلولية والاتحادية وأهل وحدة الوجود شرك!!، لأن التوحيد عندهم هو عدم الفرق بين الخالق والمخلوق!!!.

(٣) الصفدية ١/ ٢٤٤ ـ ٢٤٥، و انظر: الفرقان ص٨٨، المجموع ١١/ ٢٤١، أخبار جلال الدين الرومي ص ٦٧-٦٨.

(٤) انظر: الصوارم الحداد القاطعة لعلائق مقالات أرباب الاتحاد للشوكاني ص١٠٢.

(٥) رحلة ابن بطوطة ص ٢٢٣، نقلا عن كتاب: أخبار جلال الدين الرومي ص ٨٦.

(٦) ذم ما عليه مدعوا التصوف لأبي محمد موفق الدين عبد الله بن قدامة المقدسي ص١٤.

ومما يدل على تفضيلهم لغير القرآن على القرآن: أنهم يزعمون أن الوجد الصوفي، والسماع المبتدع، يوصل إلى الجنة لا محالة!! وأما السماع الفرض!! فهو سماع أهل الحال، وهو فرض عين، مثل الصلوات الخمس، وصيام رمضان[١].

ومنهم من يفضل الشعر الصوفي على القرآن!!! فهذا صوفي يدخل على شيخه الرومي القونوي، فيقول له: إني لا أحب سنائي[٢] أدنى محبة؛ لأنه لم يكن مسلما! قال: وأي شيء تعني لم يكن مسلما هذه؟ فقال المريد؛ **لأنه يخلط شعره بآيات من القرآن المجيد، ويتخذها قوافي وأشطارا لشعره!!!، فغضب الرومي أشد الغضب، وزجره قائلا: ما معنى الإسلام؟...**، أفيكون هو غير مسلم، وأنت وآلاف من أمثالك مسلمون؟! إن إسلامه قد قبل منه في الدنيا والآخرة!! **أما هو فقد زين أسرار القرآن وبيانه بذلك الصنيع**[٣].

بل وادعى قوم من الباطنية أن كتبهم القرآن نفسه!!! فاسمع الخبر من أهله: «اشتكى أحد الأصدقاء إلى مولانا ـ الرومي القونوي ـ من سؤال بعضهم له: كيف يسمي الجلال الرومي المثنويَّ قرآنا؟!! فقال: عبدكم هذا لهم: لأنه تفسير للقرآن!!! فعند ذلك سكت هنيهة ثم قال: يا كلب! لم لا يكون قرآنا؟ يا حمار! لم لا يكون قرآنا؟ يا أخا القحبة لم لا يكون قرآنا؟ وما هو ـ أي كتابهم المثنوى ـ إلا نور أسرار الحق!!!»[٤].

ويقول الجلال الرومي القونوي مادحا كتابه: «لو أصبحت الغابات أقلاما، وكانت البحار مدادا، فلا تخالن أن المثنوي سينفذ»!!![٥].

---

(١) فالسماع الصوفي المبتدع يوصل إلى الجنة لا محالة!!، وأما أوامر الشرع فهو فرض عيني قد يوصل، وقد لا يوصِل!؟؟، انظر: مناقب العارفين للأفلاكي، ترجمة تحسين يازجي ١/ ٣٨٨، نقلا عن كتاب: أخبار جلال الدين الرومي ص ١٤٦.

(٢) أحد الصوفية الحلولية، ولم أقف له على ترجمة.

(٣) انظر: مناقب العارفين ١/ ٤٠٩، نقلا عن كتاب: أخبار جلال الدين الرومي ص ٢٢٨.

(٤) الأفلاكي، في كتابه مناقب العارفين ١/ ٤٩٠، نقلا عن كتاب: أخبار جلال الدين الرومي ص ٢٢٣-٢٢٤، ٤٦٧.

(٥) المثنوي المطبوع مع شرح حضرت بحر العلوم ص١٥٩، والمثنوي ٦/ البيت رقم(٢٢٤٨)، نقلا عن كتاب: أخبار جلال الدين الرومي ص ٢٢٤.

ومما يؤكد هذا أنه وصف كتابه المثنوى بأوصاف لا يوصف بها إلا كتاب الله رب العالمين، فيقول القونوي في مدح كتابه: «بأيدي سفرة، كرام بررة، يمنعون بأن لا يمسه إلا المطهرون!!! تنزيل من رب العالمين!! لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، والله يرصده ويرقبه، وهو خير حافظا، وهو أرحم الراحمين، وله ألقاب أخر لقبه الله تعالى!! واقتصرنا على هذا القليل، والقليل يدل على الكثير»[١].

ويؤكد تشبيه المثنوي بالقرآن أحد شراح المثنوي رادا على من رد على المثنوي، فيقول: «قد قال الكفار في القرآن كلام الله إنه أساطير الأولين، فذلك جرى للمثنوي، مثل ما جرى للقرآن من وصف خصومه له بتلك المثلبة»[٢].

بل ويصرح القونوي ويُصر على تسمية كتابه: المثنوي بالقرآن!! فيقول منتقدا من انتقد مثنويه: «لا عجب إن لم ير الضالون في **القرآن - يعني: مثنويه - سوى الكلمات والأحاديث... أو تظن أنك بنقدك للقرآن نجوت بنفسك من حُكمِه!!...**»[٣] يقول شارح المثنوي: «إنه كان خلال تأليف المثنوي معترضون يرونه كتابا تافها، يحوي مجموعة من القصص، فجعل مولانا بهذه المناسبة يقارنه بالقرآن!!»[٤].

ومنهم من قد يستحيي فيقارنه بالقرآن، في بعض ما يرونه من البدع، ومن ذلك أخذهم الفأل من الكتب، فيكون بـ «فتح المصحف، أو كتب المشايخ!! كديوان الحافظ[٥]، والمثنوي، ونحوهما. وقد اشتهر ديوان الحافظ بالتفاؤل، حتى صنفوا فيه»[٦]، وهكذا يبين الحال أن من هؤلاء من يأخذ الفأل من المصحف، ومنهم من يرتقي

---

(١) مقدمة المثنوي، نقلا عن كتاب: أخبار جلال الدين الرومي ص٣٦٤.

(٢) شرح المثنوى لطاهر المولوي ١/ ٣٥، نقلا عن كتاب أخبار جلال الدين الرومي ص٣٦٣.

(٣) المثنوي ٣/ البيت ٤٢٣٠، ٤٢٨٢، نقلا عن كتاب: أخبار جلال الدين الرومي ص٣٨٥-٣٨٦.

(٤) المثنوي ٣/ ٤٢٢، بشرح عبدالباقي كولبينارلي.

(٥) هو ديوان فارسي، وهو لشمس الدين محمد الشهير بحافظ الشيرازي، المتوفى سنة ٧٩٢هـ، وهو ديوان مشهور، ويتفاءل به عند الأعاجم، حتى يقال له: لسان الغيب!! ويحفظه الأطفال!! انظر: كشف الظنون١/ ٧٣٨.

(٦) كشف الظنون ٢/ ١٢١٦.

فيأخذ من الديوان!! وهو اسم على مسمى فإنه ديوان الصوفية الحلولية، وإن كان المقصود به المعنى الفارسي، فهو أيضا اسم على مسمى، فهو جنون الصوفية، ولا ريب، وديوان الحافظ ديوان معروف متداول بين أهل الفرس، عوامهم وخواصهم، يعرفونه أكثر من معرفتهم لسور القرآن، وجز عم، بل ويحفظون أولادهم أول ما يبدؤون بطلب العلم[(١)]، زعما منهم أنه كتاب مفيد، وأنه كتاب أديب!! وهو كتاب مليء بالحلول والتصوف[(٢)].

ويقول قائلهم عن سماع الأغاني التي يسمونها الأوراد الصوفية: «إنه قد يكون أنفع للقلب، من قراءة القرآن، من ستة أوجه، أو سبعة!!»[(٣)].

بل ويزعم بعض الباطنية أن كتابه هو: «أصول أصول أصول الدين!!!»[(٤)].

فالباطنية يزعمون أن تصانيفهم أفضل من القرآن، «فمنهم من صرح بذلك، وقال: إن كلامه أنفع من كلام الله تعالى، وكتبه أهدى من كتب الله!!»[(٥)].

وهؤلاء الباطنية قد يزعمون أن كتبهم المفتراة أعظم من القرآن، وكان الفاجر التلمساني يقول: «القرآن كله شرك، ليس فيه توحيد، وإنما التوحيد في كلامنا!!»[(٦)].

وإن مقالاتهم الكفرية ومؤلفاتهم الشركية أفضل من كلام رب البرية، قال كمال الدين المراغي: «قرأت على التلمساني من كلامهم شيئا؛ فرأيته مخالفا للكتاب والسنة؛ فلما ذكرت ذلك له، قال: القرآن ليس فيه توحيد!! بل القرآن كله شرك!! ومن اتبع القرآن لم يصل إلى التوحيد!! قال: فقلت له: ما الفرق عندكم بين الزوجة

---

(١) ولقد قرأت شيئا منه وأنا لم أتجاوز الثامنة على والدي، ثم تركته بأمر من الوالد على خلاف العادة في بلادنا، لما رأى أن نفعه قليل، وطوامه كثير.

(٢) انظر: أبجد العلوم ٢/ ٣٩٣.

(٣) الكلام على مسألة السماع ص ٢٩١-٢٩٢.

(٤) أخبار جلال الدين الرومي ص ٣٦٣.

(٥) نقله ابن الوزير، كما في كتابه إيثار الحق على الخلق ص٩٤، ونسب هذا القول إلى: الحسينية، أصحاب الحسين بن القاسم العناني.

(٦) المجموع ٢/ ٢٠١، وانظر: الصوارم الحداد القاطعة لعلائق مقالات أرباب الاتحاد للشوكاني ص ١٠٩.

والأجنبية والأخت، الكل واحد؟! قال: لا فرق بين ذلك عندنا، وإنما هؤلاء المحجوبون اعتقدوه حراما؛ فقلنا حرام عليهم عندهم، وأما عندنا فما ثم حرام»[١].

ومن تفضيل الباطنية لكتبهم المزعومة على القرآن ما يعتقده كل صاحب نحلة من أن عندها ما هو أفضل من القرآن أو مثله، كما يزعم ذلك غلاة الشيعة القائلون بأن البطاقة المنسوبة إلى علي رضي الله عنه[٢] فيها علم الأولين والآخرين يزعمون ذلك في البطاقة مع اعتقادهم التحريف والنقص في كتاب الله عز وجل.

ومما يدل على عدم الاعتماد على القرآن أنهم اهتموا بحفظ كتبهم، ولم يحفظوا كتاب الله، وهذا ما أبينه في المطلب الآتي.

---

(١) المجموع ٢/ ٢٤٤.

(٢) انظر: الدرء ٥/ ٢٦.

المطلب الرابع: حفظهم لكتبهم المزعومة.

ومما يدل على حفظ الباطنية لكتبهم المزعومة وعدم الاهتمام بالقرآن، بل والتصريح بأن كتبهم أفضل من القرآن ـ كما سبق ـ، ومن جملة ذلك طبع الدروز كتابهم المملوء بالضلال، المسمى بـ "مصحف الدروز"!! أو "المصحف المنفرد بذاته" وحاول كاتبه أن يحاكي القرآن العظيم، وكلام الرب الكريم؛ فكانت كمحاولة مسيلمة الكذاب[١].

ومن الباطنية فرق تتحفظ على كتبها إلا لأصحاب نحلتها، كالإسماعيلية، والبهرة، والبهائية، ونحوهم. وقد طبع البهرة لهم كتابا بعنوان: "صحيفة الصلاة"، وهم يصلون مع المسلمين، ولكنهم في نياتهم كعبدة الأوثان أو النصرانيين، إنما يعبدون غير الله[٢].

وكذلك البهائية لم تطبع كتابها المسمى بالأقدس منذ زمن، وذلك لأنهم أحسوا بعدم قبول الناس له، وخوفا على إظهار عقيدتهم، ولذا أصبحوا يحافظون عليه سرا، ويقرؤونه بينهم خيفة[٣].

وابن الفارض ـ من متأخري الاتحادية ـ ألف « القصيدة التائية المعروفة بنظم السلوك، وقد نظم فيها الاتحاد نظما رائق اللفظ؛ فهو أخبث من لحم خنـزير في صينية من ذهب، وما أحسن تسميتها بنظم: الشكوك.

الله أعلم بها، وبما اشتملت عليه!، وقد نفقت كثيرا، وبالغ أهل العصر في تحسينها، والاعتداد بما فيها من الاتحاد!!»[٤].

« ولما استولى التتار على بغداد، وكان الطوسي منجما لهولاكو استولى على كتب

---

(١) انظر: الحركات الإسلامية للخطيب ص ٣١٥، الموجز في الأديان والمذاهب المعاصرة ص١٣٠.

(٢) انظر: الموجز في الأديان والمذاهب المعاصرة ص ١٣٢.

(٣) انظر: الموجز في الأديان والمذاهب المعاصرة ص ١٦٣.

(٤) نقض المنطق ص٦٢.

الناس: الوقف، والملك؛ فكان كتب الإسلام مثل التفسير، والحديث، والفقه، والرقائق يعدمها.

وأخذ كتب الطب والنجوم والفلسفة والعربية؛ فهذه عنده هي الكتب المعظمة، وكان بعض من أعرفه قارئا خطيبا، لكن كان يعظم هؤلاء، ويرتاض رياضة فلسفية سحرية حتى يستخدم الجن، وكان بعض الشياطين ألقى إليه أن هؤلاء ـ أي التتار ـ يستولون على دار الإسلام؛ فكان يقول لبعض أصحابنا يافلان: عن قليل يرى هذا الجامع ـ جامع دمشق ـ يقرأ فيه المنطق والطبيعي والرياضي والإلهي، ثم يرضيه، فيقول: والعربية أيضا!!»[(١)].

«وهؤلاء قد حرفوا كلام الله عن مواضعه أقبح تحريف،وكتبوا كتب النفاق، والإلحاد بأيديهم، وزعموا أنها من عند الله.

تارة يزعمون أنهم يأخذون من حيث يأخذ الملك الذي يوحى به إلى النبي؛ فيكونون فوق النبي بدرجة!!.

وتارة يزعمون أنهم يأخذون من حيث يأخذ الله؛ فيكون أحدهم في علمه بنفسه بمنـزلة علم الله به؛ لأن الأخذ من معدن واحد!!.

وتارة يزعم أحدهم أن النبي ﷺ أعطاه في منامه هذا النفاق العظيم، والإلحاد البليغ، وأمره أن يخرج به إلى أمته، وأنه أبرزه، كما حده له رسول الله ﷺ، من غير زيادة ولا نقصان!!...

ومعلوم أن هذا من أبلغ الكذب على الله ورسوله، وأنه أحق الناس بقوله: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوْ قَالَ أُوحِىَ إِلَىَّ وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَىْءٌ﴾[الأنعام:٩٣]، وكثير من المتنبئين الكذابين... لم يبلغ كذبهم وافتراؤهم إلى هذا الحد، بل مسيلمة الكذاب لم يبلغ كذبه وافتراؤه إلى هذا الحد. وكان كلّ واحد من هؤلاء يعظم النبي ﷺ، ويقر له

---

(١) المجموع ١٣/ ٢٠٧.

بالرسالة؛ لكن كان يدعي أنه رسول آخر، ولا ينكر وجود الرب، ولا ينكر القرآن في الظاهر. **وهؤلاء جحدوا الرب، وأشركوا به كل شيء، وافتروا هذه الكتب التي قد يزعمون أنها أعظم من القرآن، ويفضلون نفوسهم على النبي ﷺ من بعض الوجوه!!»**[١].

فالباطنية بجميع نحلها تتحفظ على كتبها، وتحفظها، ولا تهتم بحفظ القرآن الكريم، ولا بتحفيظه، ولهذا لا تجد منهم اهتماما به، ولا بعلومه، ونظرة إلى أي منتسب إلى النحل الباطنية تؤكد لك هذا المعنى[٢].

---

(١) المجموع ٢/ ٢٠١.

(٢) وقد كلمت مرة رجلا بهائيا في الكويت، ومن ضمن ما جرى بيننا أنّي سألته عن حفظ القرآن الكريم، وبالكاد استطاع أن يقرأ سورة الإخلاص، وبصعوبة، وتردد ـ مع أنه من دعاة البهائية ـ.

الفصل الخامس

منزلة القرآن الكريم عند أهل الكلام

وفيه مباحث:

المبحث الأول: التعريف بأهل الكلام.

المبحث الثاني: عدم تعظيم أهل الكلام للقرآن الكريم.

المبحث الثالث: جعل أهلِ الكلام القرآنَ فرعا في باب العقائد، والرد عليهم.

المبحث الرابع: بيان عدم حفظ أهل الكلام للقرآن الكريم.

المبحث الأول: التعريف بأهل الكلام

وأهل الكلام يختلفون فيما بينهم في تعريف هذا "الكلام"، وذلك نظرا لاختلافهم فيما بينهم، وكل يعرفه من وجهة نظره، ومذهبه، فمنهم من يقول: إنه العلم بالعقائد عن طريق الأدلة اليقينية[١].

ويسمون أنفسهم المتكلمين: وهم يدعون أنهم أهل الرأي والنظر[٢]. فأهل الكلام هم المستعملون لطريقة النظر والقياس، وهذا هو حال جمهور المتكلمين، من الجهمية، والمعتزلة، والأشعرية[٣].

وقد يكون بعض أهل الكلام قد خلط مع علمه بالكلام الفلسفة، أو شابه شيء منه[٤]، خصوصا أن المنطق وليدة الفلسفة، بل التفريق بينهما تفريق بين المتماثلات، خصوصا في طريقة الاستدلال، وإن اختلفوا في النتائج. وقد يذكرون فرقا آخر بينهما وهو: أن المتفلسف لا يستدل بالآيات، والمنطقي يذكر بعض الآيات وهي الأدلة السمعية[٥]، ولكن هذا الفرق غير ظاهر؛ فإن الفلسفي قد يستدل ببعض الآيات التي يظن أنها توافق مذهبه كالمنطقي، وقد يذكر آية أو حديثا لتحريفه كالمنطقي.

وأهل الكلام نشوءهم من المنطق اليوناني والفلسفة الإغريقية، وهما حرام إدخالهما في شرع الله، ووسيلة غير شرعية في الوصول إلى معرفة الله، إذ لم يعرفها

(١) انظر: شرح المقاصد للتفتازاني ١/ ١٦٣.
(٢) انظر: المنقذ من الضلال ص٨٩، المجموع ٢/ ٥٥، شرح الأصبهانية ص٥٠٩.
(٣) انظر: المجموع ٢/ ٥٧.
(٤) انظر: الصفدية ٢/ ١١٣.
(٥) انظر: شرح العقائد النسفية لسعد الدين التفتازاني ص٥٥.

السلف الصالح، ولا قال بجوازها عالم من العلماء المقتدى بهم في الدين، ممن عرف بالعلم والعمل. قال ابن الصلاح ﷺ: «وأما المنطق فهو مدخل الفلسفة، ومدخل الشر شر، وليس الاشتغال بتعليمه وتعلمه مما أباحه الشارع، ولا استباحه أحد من الصحابة والتابعين، والأئمة المجتهدين، والسلف الصالحين، وسائر من يقتدى به من أعلام الأئمة وسادتها، وأركان الأمة وقادتها، قد برأ الله الجميع من معرة ذلك وأدناسه، وطهرهم من أوضاره»(١).

فعلم الكلام المبني على المنطق، إنما هو جزء من علوم الفلسفة اليونانية التي لها فروع كثيرة، ومنها المنطق(٢).

وقال ابن خلدون: «هو علم يتضمن الحجاج عن العقائد الإيمانية بالأدلة العقلية»(٣). وفرق بين الكلام الفلسفي وكلام أهل الكلام، فقال: «وفرقوا بينه وبين العلوم الفلسفية بأنه: قانون ومعيار للأدلة فقط!!»(٤).

وظنّ بعضهم أن "علم الكلام" أصبح مجملا فلا بد فيه من التفصيل نفيا أو إيجابا. قال السبكي ﷺ: «إن أريد بعلم الكلام: العلم بالله تعالى وصفاته، وما يستحيل عليه، ليرد على المبتدعة، وليميز بين الاعتقاد الصحيح والفاسد؛ فذاك من أجل العلوم الشرعية، والعالم به من أفضلهم، وقد جعلوه في كتاب السير من فروض الكفايات، وإن أريد به التوغل في شبهة والخوض فيه على طريق الفلسفة، وتضييع الزمان فيه، والزيادة على ذلك يكون مبتدعا وداعيا إلى ضلالة؛ فذاك باسم الجهل أحق»(٥).

والصواب أن «استعمال الاصطلاحات المنطقية في مباحث الأحكام الشرعية؛ من المنكرات المستبشعة، والرقاعات المستحدثة، وليس بالأحكام الشرعية ـ والحمد لله ـ

(١) فتاوى ابن الصلاح ص ٧١.
(٢) انظر: مبادئ الفلسفة لأحمد أمين ص٢١.
(٣) المقدمة لابن خلدون ص ٨٢١.
(٤) المقدمة لابن خلدون ص٨٣٥.
(٥) مغني المحتاج ٣/ ٦٠-٦١.

افتقار إلى المنطق أصلا، وما يزعمه المنطقي للمنطق من أمر الحد والبرهان فقاقيع قد أغنى الله عنها كل صحيح الذهن، لا سيما من خدم نظريات العلوم الشرعية، ولقد تمت الشريعة وعلومها، وخاض في بحار الحقائق والدقائق علماؤها، حيث لا منطق، ولا فلسفة، ولا فلاسفة»[(١)].

وإدخال العلوم الفلسفية إلى المسلمين باسم المنطق محدث في الإسلام، يقول ابن خلدون: «وأول من كتب في طريقة الكلام على هذا المنحى الغزالي رحمه الله وتبعه الإمام ابن الخطيب، وجماعة قفوا أثرهم، واعتمدوا تقليدهم، ثم توغل المتأخرون من بعدهم في مخالطة كتب الفلسفة والتبس عليهم شأن الموضوع في العلمين فحسبوه فيهما واحدا من اشتباه المسائل فيهما»[(٢)].

وبين ابن خلدون عدم الحاجة إلى الكلام فقال: «وعلى الجملة فينبغي أن يعلم أن هذا العلم الذي هو علم الكلام غير ضروري لهذا العهد على طالب العلم، إذ الملاحدة والمبتدعة قد انقرضوا!!»[(٣)]. نعم عدم الحاجة إلى علم الكلام ظاهر، ولكن التعليل بانتهاء الملاحدة والمبتدعة غير ظاهر، وإنما لا نحتاج إلى علم الكلام ـ إن كان علما ـ لأنه لا جدوى فيه، وعلم القاصي والداني أن نفعه مجدب، وأن ضرره مُعْدٍ.

وسمي علم الكلام بالكلام كما قال ابن الجوزي رحمه الله وغيره: بسبب أن أول ظهور خلاف علمي كان في مسألة إثبات الكلام لله عز وجل، فوقع الخلاف فيه، وحينئذ سمي هذا العلم بعلم الكلام، وقيل لأنهم كانوا يقولون: الكلام في المسألة كذا وكذا!![(٤)].

والصواب أن أهل الكلام سموا بذلك لأنهم كانوا يستدلون بالمسائل الاعتقادية بالطرق العقلية، حتى قبل ظهور علم الكلام والمنطق، كما قاله شيخ الإسلام رحمه الله[(٥)].

---

(١) فتاوى ابن الصلاح، ص ٧١، والفتوى له تكملة، استغنيت بذكر ما يغني.

(٢) المقدمة لابن خلدون ص ٨٣٦.

(٣) المقدمة لابن خلدون ص ٨٣٧.

(٤) انظر: تلبيس إبليس لابن الجوزي ص ١٠٨، شرح العقائد النسفية لسعد الدين التفتازاني ص٥٣.

(٥) انظر: المجموع ٣/ ١٨٣.

وقد مر أهل الكلام بمراحل أربعٍ هي[1]:

١- المرحلة الأولى: مرحلة الترجمة: وأشهر من يمثل هذه المرحلة الجهمية الأول وتابعوهم من المعتزلة. فهؤلاء قد تأثروا بالمصطلحات اليونانية المنطقية، خصوصا بعد ترجمة كتبهم في عهد الخليفة المأمون المعتزلي، ولكن لم يكن لأهل الكلام كتب خاصة بهم، وكانت الكتب المترجمة مخلوطة بكثير من كلام الفلاسفة اليونان، ولم يتميز بعد أهل الكلام عن الفلاسفة، وكان مقصود هذه الترجمة تفريق المسلمين وإضعاف قواهم[2].

٢- المرحلة الثانية: وهي مرحلة التمييز، وقد دخل بعض المنتسبين إلى السنة ـ بالمعنى العام ـ مع أهل الكلام[3]، بحجة مناظرتهم باصطلاحاتهم، ومن ثم تأثروا بعد ذلك بهذه المصطلحات. وهذه المرحلة أبرز من يمثلها من أهل الكلام هم الكلابية، والأشاعرة، والماتريدية. وهم يظنون أنهم على السنة، بل ويصرحون أنهم إنما دخلوا لنصرة السنة بسيوف القوم!!، ولكنها أصبحت في أيديهم عليهم، ومن أشهر من يمثل هذه المدرسة: عبد الله بن سعيد بن كلاب، وأبو الحسن الأشعري في طور، وأبو بكر الباقلاني. وعلى هذه الطريقة مشى الجويني أبو المعالي ووضع القواعد الكلامية، وكذلك من المعتزلة أبو هاشم الجبائي، والقاضي عبد الجبار المعتزلي أيضا، وغيرهما ممّن وضعوا القواعد في فن الكلام.

٣- المرحلة الثالثة: مرحلة مخالفة الفلاسفة ومناظرتهم، ويمثلها أبو حامد الغزالي في بعض كتبه، والرازي كذلك.

٤- المرحلة الرابعة: مرحلة الخلط بين الفلسفة والمنطق: وهذه المدرسة أصبحت هي الرائدة في المتأخرين، خصوصا بعد البيضاوي، صاحب "الطوالع".

---

(١) انظر: المعتزلة بين القديم والحديث لمحمد العبده وطارق عبد الحليم ص ٣٧ وما بعدها.

(٢) انظر: أثر الإيمان في تحصين الأمة الإسلامية ضد الأفكار الهدامة ١/ ١٢٨.

(٣) وقد بين ابن الوزير رحمه الله أن من وقع في الخطأ من المحدثين كان بسبب تشبثه بعلم الكلام. انظر: الروض الباسم في الذب عن سنة أبي القاسم لابن الوزير ٢/ ٢٤٤.

والمتكلمون في المسائل العقدية على طريقة أهل الكلام أصناف، وأشهر فرقهم هي[(١)]:

١- الجهمية، أتباع جهم بن صفوان، الذين أنكروا الأسماء والصفات لله ﷻ[(٢)].

٢- المعتزلة: وهم فرق عدة، ولكن لهم أصول خمسة، ومنها: إنكار صفات الله ﷻ[(٣)].

٣- الكلابية: وهم أتباع عبد الله بن سعيد بن كلاب، وهم وافقوا المعتزلة في إنكار بعض الصفات الخبرية، وأنكروا الصفات الاختيارية.

٤- الأشاعرة، وهم أتباع أبي الحسن الأشعري في طوره الثاني، والمتأخرون منهم ينكرون الصفات إلا السبع، وإثباتهم لها أيضا على طريقة المتكلمين.

٥- الماتريدية، وهم أتباع أبي منصور الماتريدي، وهم كالأشاعرة، والاختلاف بينهم يسير.

ويلحق بهم من كان مستدلا في المسائل العقدية على طريقتهم، ومخالفون للسلف في نحلتهم، ويذكرون مع من ذكروا من أهل الكلام، مثل:

٦- الكرامية، وهم أتباع محمد بن كرام السجستاني، ونسبوا إلى التشبيه[(٤)].

٧- الهشامية، وهم أتباع هشام بن سالم الجواليقي، وهم مشبهة[(٥)].

---

(١) انظر: الدرء ١/ ١٣، ٥/ ٢٤٥، المجموع ١٩/ ١٥٩، وكثيرا ما يقول: شيخ الإسلام رحمه الله: «والمتكلمون: من الجهمية، والمعتزلة، والأشعرية، ونحوهم، ممن سلك في إثبات الصانع طريق الأعراض...»، فهذا يعني أن أشهر فرقهم هي التي لها أقوال مشهورة في الأسماء والصفات، ولهم أتباع في مختلف البريات، وأما من يلحق بهم فهم إما أن يكونوا أصحاب قول دون نحلة، أو أصحاب نحلة دون قول مستقل في باب الأسماء والصفات، ولكن لها قول آخر به اشتهرت ـ والله تعالى أعلم ـ.

(٢) انظر: أصول الدين للبغدادي ص٣٣٣.

(٣) انظر: المصدر السابق ص٣٣٥.

(٤) انظر: المصدر السابق ص٣٣٧.

(٥) انظر: المصدر السابق.

٨- الشيعة، وهم المدعون حب آل البيت، وهم فرق مختلفة منها الروافض، والزيدية، ولكنهم في المسائل العقدية على طريقة المتكلمين من المعتزلة.

٩- المرجئة، وهم أقسام، ولكن يجمعهم القول بأن الإيمان لا يدخل في مسماه الأعمال، وإنما دخل عليهم هذا مع مخالفته لنصوص الوحيين استدلالاتهم العقلية، بعيدة عن نور الكتاب والسنن النبوية.

١٠- القدرية، وهم الذين أنكروا تقدير الله ﷻ للأشياء، ومنهم طوائف أنكرت قدرة الله ﷻ على فعل العبد، وكل ذلك بسبب الاستدلالات العقلية الكلامية.

١١- الهشامية، وهم أتباع هشام بن الحكم الرافضي[1].

وهؤلاء جميعا يسمون بأهل الكلام، وبينهم من الاختلاف الشيء الكثير، بل بينهم المناوشات العلمية والواقعية، ولكن إذا أطلق أهل الكلام فالمراد بهم هؤلاء من غير ملام، ويجمعهم أمور، وهي:

١- **اتفاقهم على أن المسائل العقدية تؤخذ من العقل**، وأنه إذا تعارض العقل والنقل فالمعتبر هو العقل[2]. وأن الوحي لا يؤخذ منه المسائل الاعتقادية، ومنهم مكثر في هذا الضلال ومقل، فمنهم من يرى أن الوحي لا يؤخذ منه شيء، سواء في باب التوحيد، أو في باب المعاد إلا إذا وافق العقل!! ومنهم من يقول: إن العقل لا دخل له في مسائل الإيمان باليوم الآخر، وكثير من الأمور المتعلقة بيوم القيامة وبالمعاد، ولا يثبتها بعض المتكلمين، وبعضهم أثبتها ـ ويسميها السمعيات ـ؛ ومنهم من أثبتها أيضا بدلالة العقل عليها، وذلك لكون هذه المسائل مبنية على الأصول التي سموها العقليات[3]، فإثباتهم ونفيهم مبني على دلالة العقل، وليس على دلالة السمع؛ وإنما تكون دلالة السمع عندهم جميعا تبعا، لا أصلا!!!.

---

(١) انظر: المصدر السابق.

(٢) ومعلوم أنه لا تعارض بين عقل صريح، ونقل صحيح، ولكن هؤلاء إنما يقصدون العقول الملوثة بالمنطق اليوناني. انظر: المجموع ١٦/ ٤٣٦ وما بعدها.

(٣) انظر: شرح الأصبهانية ص٦٣١.

٢- **اتفاقهم على النفي**، وهم أيضا مكثرون ومقلون في هذا الباب؛ فمنهم من ينفي الأسماء والصفات، بالكلية، ويقول: بأن ما جاء به الرسول في هذا الباب إنما هي أسماء وإضافات لا حقيقة لها ـ وهم الجهمية ـ، ومنهم من يقول ذلك في الأسماء دون الصفات ـ كالمعتزلة ـ، ومنهم من يقول ذلك إلا في بعض الصفات ـ كالأشاعرة والماتريدية ـ، ومنهم من يقول ذلك في الصفات الاختيارية ـ كالكلابية ـ[1].

٣- **اتفاقهم على وجوب النظر في معرفة الله ﷻ** وأنه أول واجب على العبد؛ مع اختلافهم فيما بينهم في ماهية هذا الواجب، وتقريرهم ذلك وجعْلهم إيّاه أصلا من أصول الدين!! في حين أنّ المقرر شرعا، والمعروف نصا، أن النبي ﷺ كان يأمر من يريد الإسلام أن ينطق بالشهادتين، وهكذا كان يأمر الدعاة الذين يرسلهم، وهكذا كان فعل السلف[2].

٤- **رجوعهم جميعا إلى القواعد والأصول المنطقية**؛ فهم كما قال شيخ الإسلام ﵀: «يرون أن هذه الأصول العقلية ـ وهي العلم بما يجب للرب ويمتنع عليه، وما يجوز عليه من الأفعال ـ هي أعظم العلوم وأشرفها، وأنهم برزوا بها على الصحابة، وأن النبي ﷺ لم يعلمها الصحابة...، وهذه هي الأصول العقلية التي يعتمدون عليها هم ومن وافقهم...، وكل الأصول العقلية التي ابتدعها هؤلاء وهؤلاء باطلة في العقل والشرع، وإن كانت كل واحدة من الطائفتين تعتقد أنها من أعظم الدين، ويقدمونها على الأصول الشرعية»[3]، وقال ﵀: «وقلوب كثير من الناس يجول فيها أمر النبوات، وما جاءت به الرسل، وهم وإن أظهروا تصديقهم والشهادة لهم ففي قلوبهم مرض ونفاق، إذ كان ما جعلوه أصولا لدينهم معارض لما جاءت به الأنبياء، وهم لم يتعلموا ما

---

(١) انظر: التدمرية ص ١٨، شرح الواسطية للفوزان ص١٢٣.

(٢) انظر: المعتزلة بين القديم والحديث لمحمد العبده وطارق عبد الحليم ص ٢٤ وما بعدها، وانظر: مقدمة موسى محمد علي لكتاب قواعد العقائد ص٢٤ وما بعدها.

(٣) المجموع ١٣/ ٢٢٨-٢٢٩.

جاءت به الأنبياء، ولم يأخذوا عنهم الدلائل والأصول والبينات والبراهين»[(١)].

٥- أن جميع الفرق الكلامية التي تعتمد الأصول المنطقية من الفرق المحدثة الغوية، وإن ادعت نوع تعظيم للسلف فذلك منها مجرد ادعاء، وإلا فإنها كلها بدعية.

مناقضة بعضهم لبعض[(٢)]، فالجهمي يناقض المعتزلي، والمعتزلي يناقض الكلابي، والأشاعرة تناقضهم، وهكذا، لأن أصولهم غير سوية، فالتناقض لهم لازم، ولم يرجعوا جميعا إلى ما به يرتفع الخلاف، وهو الكتاب والسنة، قال ابن الوزير رحمه الله: «إن خوض جميع المتكلمين في عقائدهم الخلافية بين الفرق الإسلامية يتوقف دائما أو غالبا على الخوض في مقدمات لتلك العقائد، وجميع تلك المقدمات مختلف فيها أشد الاختلاف بين أذكياء العالم وفحول علم المعقولات من علماء الإسلام، دع عنك غيرهم»[(٣)]، ثم قال: «وأعجب من كل عجيب تكفير بعضهم لبعض لسبب الاختلاف في هذه المحارات الخالية»[(٤)].

٧- **اتفاقهم على التأويل**، بغض النظر عما يختلفون فيه فيما يجب تأويله؛ فهذا يفسره بمعنى، وهذا يخالفه، وهذا يوجبه هنا، وينكره هناك، وهذا يستحبه هنا، ويكرهه هناك!! وعمدتهم الحقيقية ليست على القرآن، ولكنهم على أصول ابتدعها لهم شيوخهم، وما ظنوا أنه موافق من القرآن احتجوا به، وما ظنوه مخالفا لأصولهم أولوه[(٥)]، وحتى يتسنى لهم مخالفة الكتاب أتوا بالتأويلات المستبشعة، والتحريفات الظاهرة، حتى توافق النصوص مذاهبهم، ولا يشنع عليهم في مناهجهم!! ولهذا كان الأس الأساس لمذهب المتكلمين في نصوص الصفات على وجه الخصوص - وفي باقي

---

(١) النبوات ص٢٥٣.

(٢) انظر: الدرء ٥/ ٢٤٥ وما بعدها.

(٣) إيثار الحق لابن الوزير ص١٥.

(٤) المصدر نفسه ص١٩، وانظر: المعتزلة بين القديم والحديث لمحمد العبده وطارق عبد الحليم ص ٢٨-٢٩.

(٥) انظر: المجموع ١٣/٥٨، شفاء العليل ١/ ٢٢٠-٢٢١، ١/ ٢١٧ وقد ذكر في الموضع المشار إليه تحريفات القدرية للآيات القرآنية، وانظر: إيثار الحق لابن الوزير ص١٢٤، المعتزلة بين القديم والحديث لمحمد العبده وطارق عبد الحليم ص ٣٢-٣٣.

النصوص على وجه العموم ـ التأويل وهو في حقيقته التحريف[١]. يقول الرازي موجبا التأويل ومحسّنا إياه: «نقل الشيخ الغزالي ﷺ عن أحمد بن حنبل ﷺ أنه أقر بالتأويل في ثلاثة أحاديث»[٢]، فلا بد إذا من التأويل!! وهذا باطل عن الإمام أحمد، ولا يثبت عنه لا سندا، ولا متنا[٣].

٨- اتفاقهم على أن القرآن الموجود بين الدفتين مخلوق[٤]، قال ابن الجوزي ﷺ: «أهل الكلام يقولون: ما في السماء رب، ولا في المصحف قرآن، ولا في القبر نبي، ثلاث عورات لكم»[٥].

٩- اتفاقهم على نفي إثبات ما جاء في القرآن والسنة من الصفات ـ على اختلاف بينهم فيما ينفى ويثبت ـ بحجة التشبيه[٦]؛ فهم شبهوا أولا، واحتاجوا إلى النفي فعطلوا ثانيا.

وأهل الكلام باعتبار نفي الصفات وإثباتها ينقسمون إلى قسمين:

١- أهل الكلام النفاة، وهم الجهمية والمعتزلة، ومن وافقهم.

٢- أهل الكلام المثبتة، وهم الكلابية والكرامية والأشعرية، ومن وافقهم[٧].

وقد اتفق السلف على ذم الكلام وأهله، وصنفوا في التشنيع عليهم، وبينوا عوارهم وسوء ما يؤدي إليه هذا الفن، الذي ليس فيه إلا العفن[٨]، بل إن أهل الكلام

---

(١) منهج الأشاعرة في العقيدة للحوالي ص٨٦، العصرانيون بين مزاعم التجديد وميادين التغريب ص ٢٠.

(٢) أساس التقديس للرازي ص ٨١.

(٣) انظر: المجموع ٥/ ٣٩٨، وانظر ص٥٨٢ من هذا الكتاب.

(٤) على اختلاف فيما بينهم فيما ذهبوا إليه؛ فالمعتزلة ومن وافقهم يقولون: إنه كلام الله مخلوق، والأشاعرة ومن وافقهم يقولون: هو عبارة عن كلام الله، وكلام الله غير مخلوق، والعبارة مخلوقة.

(٥) السير ٢١/ ٣٧٦، وانظر: المجموع ٣/ ٢١٨.

(٦) وأي كتاب من كتبهم ينبئك أنهم إنما ينفون أي صفة بحجة التشبيه. انظر: الفواكه الدواني ١/ ٥٤، وانظر: ما نقله الحافظ في صدد نفي الصوت والحرف في كلام الله ﷻ، بحجة التشبيه!!. الفتح ١٣/ ٤٦٦، المقدمة لابن خلدون ص٨٣١.

(٧) انظر: نقض المنطق ص ١٢٣، ١٢٨، والمجموع ٤/ ١٥٦.

(٨) انظر: أحاديث في ذم الكلام وأهله للهروي انتخبها المقري ص٧٩ وما بعدها، الإحياء للغزالي ١/ ١٥٣، =

أنفسهم يوردون ذم السلف للكلام وأهله ثم يردونه بالتأويلات، وكأن السلف ما عرفوا أن يتكلموا إلا بالمجملات!! **يقول الغزالي**: «فاعلم أن للناس في هذا غلوا وإسرافا في أطراف، فمن قائل: إنه بدعة أو حرام، وأن العبد إن لقي الله ﷻ بكل ذنب سوى الشرك خير له من أن يلقاه بالكلام، ومن قائل: إنه واجب وفرض، إما على الكفاية أو على الأعيان، وأنه أفضل الأعمال، وأعلى القربات؛ فإنه تحقيق لعلم التوحيد، ونضال عن جنب الله تعالى، وإلى التحريم ذهب الشافعي، ومالك، وأحمد بن حنبل، وسفيان، وجميع أهل الحديث من السلف»(١)، ثم ذكر قول الشافعي.

فذم السلف الصالح ـ رحمهم الله ـ الكلام وأهله بأصرح العبارات، وأدق التعبيرات ـ حتى باعتراف أهل الكلام ـ، حتى يهجروا، ولا يتبعوا، وأنقل بعض النقولات، لتقف على هذه العبارات التي فيها التحذيرات:

١ – قال الإمام مالك ﵀ مبينا أن العقول ليست هي موازين لقبول الكتاب والسنة حيث يقول منكرا على أمثال هؤلاء: «أو كلما جاءنا رجل أجدل من رجل تركنا ما جاء به جبريل إلى محمد ﷺ لجدل هؤلاء؟؟»(٢).

٢ – قال الشافعي ﵀: «ما ارتدى بالكلام أحد فأفلح»(٣)، وقال ﵀: «لأن يلقى العبد ربه بكل ذنب ما عدا الشرك خير له من أن يلقاه بالكلام»(٤)، وقال ﵀: «حكمي في أهل الكلام أن يضربوا بالجريد والنعال، ويطاف بهم في العشائر والقبائل، ويقال: هذا جزاء من ترك الكتاب والسنة، وأقبل على الكلام. وقال أيضا:

=
صون المنطق للسيوطي ص١٤ وما بعدها، اعتقاد أئمة السلف أهل الحديث د.محمد الخميس ص١٩ وما بعدها.

(١) الإحياء للغزالي ١/ ١٥٣، ونقل قول الشافعي نصا بعد ذلك.

(٢) رواه المروزي في تعظيم قدر الصلاة ٢/ ٦٧٠، وانظر: المجموع ٥/ ٢٩.

(٣) رواه أبو نعيم في الحلية ٩/ ١١١، وانظر: السير ١٠/ ١٨، العين والأثر ص٩١.

(٤) رواه البيهقي في السنن الكبرى ١٠/ ٢٠٦، وانظر: مغني المحتاج ٣/ ٦١.

كل العلوم سوى القرآن مشغلة   إلا الحديث وإلا الفقه في الدين
العلم ما كان فيه قال حدثنا   وما سوى ذاك وسواس الشياطين »[١].

قال الإمام أحمد رحمه الله: « ما أحب أحد الكلام فكان عاقبته إلى خير »[٢].

٣- قال شيخ الإسلام رحمه الله مبينا تحذير الأئمة من بدعة الكلام والتجهم: « وكلام الأئمة مثل مالك، وسفيان بن عيينة، وابن المبارك، وأبي يوسف، والشافعي، وأحمد، وإسحاق، والفضيل بن عياض، وبشر الحافي، وغيرهم، كثير في ذمهم وتضليلهم »[٣].

٤- وإنما حذر السلف الصالح ـ رحمهم الله ـ من الكلام وأهله لأنه يورث عدم تعظيم القرآن الكريم، وهذا ما أبينه في المبحث التالي.

(١) رواه أبو نعيم في الحلية ٩/ ١١٦، وانظر: شرح الطحاوية ١/ ١٦-١٧.
(٢) العين والأثر ص٩١.
(٣) المجموع ٥/ ٢٢، أقاويل الثقات ص ٢٣١.

المبحث الثاني: عدم تعظيم المتكلمين للقرآن

القرآن يخاطب الناس كلهم، يخاطب الفطر والعقول والقلوب معا، بينما انتهج أهل الكلام الطرق الكلامية والمناهج الجدلية، وهي طويلة الإثبات عديمة الفائدة، وعلماء الكلام قد انتهجوا الطرق العويصة البعيدة عن القرآن والشرع، والبعيدة عن العقول الصحيحة السليمة في كثير من الأحيان[(١)].

وطوائف المتكلمين يعظمون القرآن في الجملة، ويعظمون تفسيره، مع ما فيهم من البدع[(٢)]، وقد يكون تعظيمهم للقرآن في حالة قربهم للسنة، أو من حيث الجملة. وأما التعظيم على وجه التفصيل فليس يوجد إلا عند السلف، ومن تبعهم من الخلف.

وأهل الكلام هم من المحرفة المؤولة الذين يرون أن القرآن في نفسه حق، وأن الأنبياء لم يقصدوا بهذه الأقوال إلا ما هو حق في نفس الأمر، وأنه لا تخييل، ولكنهم يظنون أن الحق الذي دل عليه هذه النصوص هو ما فهموه هم بعقولهم بطريق التأويل!! فجعلوا عقولهم هي الحاكمة على الكتاب والسنة، وفي فهمهما وفهم ما دل عليهما من غير نظر أو اعتبار إلى أن القرآن في نفسه صريح في الدلالة على الحق، وبين في قضاياه ـ خصوصا ما يتعلق بالأمور العقدية ـ لأنه لم يأت إلا لهداية الخلق، والدلالة إلى معرفة الخالق ﷻ[(٣)].

---

(١) انظر: المعتزلة بين القديم والحديث لمحمد العبده وطارق عبد الحليم ص ١٦-١٧.

(٢) انظر: المجموع ١٣/ ٢٠٦.

(٣) انظر: الدرء ١/ ١٢.

ومما يدل على عدم تعظيم أهل الكلام للقرآن أمور كثيرة، ومن أهمها:

١- **قالوا: إن نصوص القرآن أدلة لفظية لا تفيد اليقين!!** وهذه قاعدة باطلة وفرية كاذبة، وقد ردها العلماء والأئمة الفضلاء، وبينوا عوارها، وأظهروا شنارها، وقد ردها ابن القيم رحمه الله بأكثر من سبعين وجها[1].

٢- ومما يدل على عدم تعظيمهم للقرآن أنهم قالوا: إذا اختلف العقل والنقل؛ فإن **المقدم هو العقل!!** ومعلوم أن الشرع لم يأت بما تحيله العقول، وإنما جاء بما تحار فيه العقول. فهذه القاعدة من أساسها دليل الخذلان، إذ كيف يتصور أن يأتي القرآن بما يخالف صريح عقول الناس!! ورد شيخ الإسلام هذا الهراء في كتابه العظيم "درء تعارض العقل والنقل"، ورد ابن القيم هذه الفرية، وهذا الطاغوت بأكثر من تسعين وجها[2].

٣- **أنهم جعلوا القرآن فرعا في باب العقائد**[3]، «تقول المعتزلة: إن الأمور عقلية؛ أي: لا يحتاجون إلى النصوص، إنما إذا كان الأمر يوافق العقل أخذوا به، وإلا تركوه!!»[4]. **ولهذا عظموا العقل تعظيما لم يبلغه عندهم الكتاب والسنة،** مما جعلهم ـ هذا التعظيم للعقل ـ يقعدون قاعدة هي عندهم: "ذهبية"، وعند أهل السنة الحقة: "شيطانية"، وهذه القاعدة هي: أن كل ما خالف قواعدهم المنطقية، وأصولهم الكلامية، ولو كان من آيات القرآن، أو من الأحاديث الحسان؛ فإنهم يؤولونه[5]، يقول صاحب جوهرة التوحيد:

وكل نص أوهم التشبيها ... أوله أو فوض ورم تنزيها[6]

---

(١) انظر: الصواعق المرسلة لابن القيم ٢/ ٣٨١-٥١٩.

(٢) انظر: الصواعق المرسلة لابن القيم ٢/ ٥٢١-٧٧٢، العصرانيون بين مزاعم التجديد وميادين التغريب ص١٥.

(٣) وسيأتي الكلام فيه، في المبحث الثالث من هذا الفصل.

(٤) المجموع في ترجمة العلامة المحدث الشيخ/ حماد بن محمد الأنصاري ٢/ ٦٨٩.

(٥) انظر: الدرء ١/ ٤ وما بعدها.

(٦) جوهرة التوحيد للقاني ص١٣، ضمن مجموع أمهات المتون في مختلف الفنون والعلوم، جمع دار الفكر، ومثل هذا قول المتكلم الماتريدي حمد الله داكي في كتابه البصائر، حيث قال: من تمسك بظاهر الكتاب =

وزعموا «أن الهداية لا تحصل بالوحي! ثم يحيل فيها على عقل فلان، ورأي فلتان، وقول زيد وعمرو»[١].

٤- ومما يدل على ذلك: **أنهم يجوزن الخلف في الألفاظ الشرعية**، ولو من حيث التقدير العقلي!! يقول الرازي في معرض رده على المعتزلة: «لا يقال: هب أن ما ذكرته يدل على أن ذلك الخبر القديم صِدْقٌ، لكنه لا يدل على كون هذه الألفاظ صدقا، لأنا نقول للمعتزلة: هذا أيضا لازم عليكم؛ لأنكم جوزتم الحذف والإضمار لحكمة لا نطلع عليها، **وتجويز ذلك يرفع الوثوق عن هذه الظواهر!!**»[٢] هكذا ينقل الإيراد، وهكذا يرده بكل برودة، وبكل بساطة، وكأن أمرا لم يكن. أترى لو تعرض أحد إلى قواعدهم المنطقية بالتكذيب، أهكذا سيكون ردودهم أم يقيمون الوجوه المتعددة على نفي ذلك، وإثبات ما يرونه كما هو حالهم؟؟.

٥- أن أحدهم ما دام يقول: إنه ليس في الأرض لله ﷻ كلام على الحقيقة!! «وليس عندنا شيء منه، ولا يتصور نزوله!! انمحى من قلبه تعظيم المصحف، ولم يتحقق في سره إثبات إله...، وأجهل الناس من جاء إلى ما قصد النبي ﷺ تعظيمه؛ فأضعف في النفوس قوى التعظيم...؛ فإذا جاء متحذلق فقال: الكلام صفة قائمة بذات المتكلم؛ فمعنى قوله هذا أن ما ههنا شيء يحترم؛ فهذا قد ضاد ما أتى به مقصود الشرع»[٣]. فهؤلاء أهل الكلام سبب كل بلية في دين المسلمين، حتى أوقعوا الناس في البدع، وانمحى من قلوبهم تعظيم الشرع، بل وتعظيم ما جاء به النبي ﷺ، وذلك بالأقوال المستبشعة، والتأويلات المستكرهة، التي تخرج الدين من حقيقته ورونقه وجماله[٤].

=

والسنة فهو زنديق!!!.

(١) الرسالة التبوكية ص٤١٤.

(٢) محصل أفكار المتقدمين والمتأخرين للرازي ص ٢٦٨.

(٣) صيد الخاطر لابن الجوزي ص ١٠٢.

(٤) انظر: صيد الخاطر لابن الجوزي ص ٢٧٠.

٦- أنهم يؤلفون المؤلفات بغرض إذعان آيات القرآن لعلومهم الكلامية، وجدلياتهم المنطقية، وما قرروه بعقولهم الردية، و«كل إنسان تغلب عليه نزعته في كتابته، وتلوح عقيدته من خلال تأليفه وتحديثه...، وذلك الشأن في علماء الكلام حين تصدوا لتفسير كلام الله...، وعلى رأس هؤلاء... الرازي...، وقد سلك في تفسيره "مفاتيح الغيب" المشهور بتفسير الرازي، مسلك الحكماء الإلهيين!! فصاغ أدلته في مباحث الإلهيات على نمط استدلالاتهم العقلية...»[(١)].

٧- **مخالفتهم الظاهرة لآيات الكتاب**، وما ثبت من السنة الصحيحة. قال شيخ الإسلام ﷺ: «وأما مخالفة هؤلاء ـ أي المتكلمين ـ لنصوص الكتاب والسنة، وما استفاض عن سلف الأمة، فهذا أظهر وأشهر من أن يخفى على عالِمٍ، ولهذا أسسوا دينهم على أن باب التوحيد والصفات لا يُتبع فيه ما دل عليه الكتاب والسنة والإجماع، وإنما يُتبع فيه ما رأوه بقياس عقولهم، وأما نصوص الكتاب والسنة؛ فإما أن يتأولوها، وإما أن يفوضوها»[(٢)]. وهكذا يقولون هم: «ومعظم خلافياته ـ أي: في باب العقيدة ـ مع الفرق الإسلامية،خصوصا المعتزلة؛ **لأنهم أول فرقة أسسوا قواعد الخلاف لما ورد به ظاهر السنة، وجرى عليه جماعة الصحابة ﷺ في باب العقائد**»[(٣)]. فإذا كانت الجهمية والمعتزلة هم أول من قعدوا القواعد المخالفة للسنة فإن أصحاب الفرق الضالة والمنحرفة كلها صارت على هذا الدرب، وحرفت في كلام الرب، بحجة أن الظواهر مخالفة للقواعد!!.

٨- **ومن عدم تعظيمهم للقرآن مخالفاتهم الصريحة له:** «قدم جماعة من أهل

---

(١) مناهل العرفان ٢/ ١٠٤-١٠٥ بشيء من التصرف، وهو إنما أراد مدح التفسير، ولكن حين التمعن في الكلام يظهر أنه ذم، حيث فيه أنه يسوق الأدلة ويجعلها تدل على ما ذهب إليه بعقله!! وقد ذكر مؤلف كتاب: القرآنيون وشبهاتهم حول السنة لخادم حسين بخش ص ٢٦٠، أن التفسير الكلامي محدث في الدين، فانظره فإنه مهم.

(٢) منهاج السنة ٢/ ١٠٩.

(٣) شرح العقائد النسفية لسعد الدين التفتازاني ص٥٣.

البدع بغداد يحسنون الكلام، وكانوا يقولون: ليس لله في الأرض كلام، وهل المصحف إلا ورق، وعفص، وزاج[١]... ثم يقولون: أين الحروفية الذين يزعمون أن القرآن حرف وصوت، هذا عبارة جبريل!! فما زالوا كذلك حتى هان تعظيم القرآن في صدور أكثر العوام»[٢]. **فالمخالفون للسلف** من المتكلمين وغيرهم لما لم يتصور أحدهم في الأرض كلاما لله ﷻ، ولم يتصور نزول القرآن الكريم، «انمحى من قلبه تعظيم المصحف، الذي الاستخفاف به كفر»[٣].

٩- اعتقادهم أن القرآن جاء بالتشبيه!! بل وبالنقص، يقول ابن خلدون بعد أن رد ما قيل في بعض الأمور أنه من المتشابه، قال مبينا ما فيه التشابه حقا!!: «ولم يبق من المتشابه إلا الصفات التي وصف الله بها نفسه في كتابه وعلى لسان نبيه، **مما يوهم ظاهره نقصا، أو تعجيزا!!**»[٤]. وهكذا أيهل البدع يدعون أن التشابه فيما دعا إليه القرآن من معرفة الله ﷻ بصفاته، وكماله وجلاله، مع أن كلامهم هو المتشابه حقا، بل إن أهل البدع ما دعوا الناس إلا إلى المتشابه[٥]. ومن أهل الكلام من يقول: إن إبقاء العوام على عقيدتهم - ولو كانت قريبة إلى التشبيه - أولى من إغراقهم في التنـزيه!! حتى لا تعطل النصوص فيستخفون بها!! وقالوا: إن السلف الصالح إنما أمروا الناس بالظاهر الذي دل عليه الكتاب والسنة؛ لأنه أسلم للعوام!!![٦] **ويصرح الغزالي بأن**

---

(١) (عَفَص) بالفتحات: الوعاء يكون من جلد، أو خرقة، ونحو ذلك، و(زاج) أخلاط من الحبر، فارسي معرب. انظر: النهاية في غريب الحديث ٣/ ٢٦٣، لسان العرب لابن منظور ٦/ ١٠٩.

(٢) أقاويل الثقات ص٢٢٣.

(٣) أقاويل الثقات ص ٢١٠، وانظر: الدرء ٢/ ١٤

(٤) المقدمة لابن خلدون ص٨٥١، وانظر منه ص٨٥٤، وانظر: تحفة المريد للبيجوري ص٩٢ حيث ذكر أن النصوص المثبتة لله ﷻ العلو والاستواء من النصوص الموهمة للتشبيه!!

(٥) انظر: التسعينية ١/ ٢٣٥ وما بعدها، المجموع ١٧/ ٣٦١، بل إن القاضي عبد الجبار ألف كتابه في التفسير المسمى بمتشابه القرآن ليبين أن ما دل عليه هذه الآيات هي من المتشابهات، وأن الأصل نفي الصفات!!.

(٦) قريب من هذا قول الجويني في كتابه الغياثي حيث أوجب على حاكم المسلمين منع العوام من علم الكلام وإلزامهم عقيدة السلف، ومن أراد الارتقاء عن العوام؛ فعليه بعلم الكلام!! وكذلك فعل الغزالي في كتابه إلجام العوام عن علم الكلام. انظر: المعتزلة بين القديم والحديث لمحمد العبده وطارق عبد الحليم ص ٣٩-٤٠.

نصوص القرآن تدل على التشبيه فيقول: « وأما المتشابه... قد يطلق على ما ورد في صفات الله مما يوهم ظاهره الجهة، والتشبيه، ويحتاج إلى تأويله! »[١]. **فانظر** كيف ظنوا أن القرآن الكريم يؤدي ظاهره إلى التشبيه مع أن آيات القرآن والسنة مليئة بالإثبات والتنـزيه، وهو سبيل السلف ﷺ!! وأما هؤلاء فما زالوا في التنـزيه الذي أدى إلى التعطيل المحض، والسلف بريئون من التمثيل والتعطيل، فهم وسط بين الطائفتين؛ من المتكلمة المعطلة، ومن المتكلمة المشبهة[٢].

١٠- **عدم تفضيل أهل الكلام القرآنَ على الكتب السابقة**، وهذا مما يدل على عدم تعظيمهم للقرآن. نعم، هم يفضلون القرآن على الكتب السابقة من حيث إنّ تلك أصبحت منسوخة، وأن هذا ناسخ، وأن لقراءة هذا فضلا على تلك، لا من حيث كونه كلام الله ﷻ . ويؤكد لك هذا المعنى: أنهم اطرحوا النصوص الواردة في تفضيل بعض السور على بعض، وقالوا بناء على كلامهم في القرآن: إنه مخلوق، أو نفسي، أو أزلي، فيمتنع أن يفضل بعضه بعضا!! فليس عندهم إلا كلام واحد، وليس هناك كلام، حتى يكون أحدهما مثل الآخر، أو أفضل منه!![٣] **ومما يدل على عدم تعظيمهم للقرآن الكريم لازم قولهم** من حيث إنهم لا يفضلونه على التوراة والإنجيل، ويظنون أنه بمثابتهما، وأنه لا فرق بين هذا وهذا. وقد نص كثير من المتكلمين بعدم تفاضل كلام الله ﷻ ، وعدم التفاضل بين سور القرآن وآياته!![٤] بل منهم من فضل موضع قبر النبي ﷺ على القرآن!![٥] مع أن صفة الرحمن لا يماثلها شيء من الأنام.

١١- **إن تعظيم المصحف عندهم إنما هو بالرسوم**، لا بالعمل والاعتقاد، وقد يهينون المصحف جهارا: كان رجل من أهل مرو صديقا للجهم، ثم قطعه، وجفاه، فقيل

---

(١) المستصفى ص٨٥.

(٢) انظر: وسطية أهل السنة للشيخ محمد باكريم ص ٣١٩وما بعدها.

(٣) انظر: المجموع ١٧/ ١٥٤-١٥٥.

(٤) انظر: الفتح ٨/ ٨، الفواكه الدواني ١/ ٥٧.

(٥) انظر: شرح الزرقاني ٢/ ٦-٧، وانظر: المجموع ١٧/ ٦٨.

له: لم جفوته؟ فقال: جاء منه ما لا يحتمل، قرأت يوما آية كذا وكذا، فقال: ما كان أظرف محمدا، فاحتملتها، ثم قرأ سورة طه، فلما قال: ﴿ ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ﴾[طه:٥] قال: أما والله لو وجدت سبيلا إلى حكِّها لحككتها من المصحف، فاحتملتها، ثم قرأ سورة القصص، فلما انتهى إلى ذكر موسى، قال: ما هذا؟ ذكر قصة في موضع فلم يتمها؟ ثم ذكر ههنا فلم يتمها؟ ثم رمى بالمصحف من حجره برجليه!! فوثبت عليه[1]. **وهذا حال الجهمية والمعتزلة**، وهم من أهل الكلام الذين نفوا صفات الرحمن، وعطلوه عن الكمالات الواجبة له، فـ «وصفوا ربهم تعالى بالعيوب والنقائص، وحكموا على دينه بالأهواء والظنون، وحملوا الناس على ذلك رغبة ورهبة، وصدوهم عن الهدى إلا من ثبته الله تعالى، وتركوا فتنتهم وقد فتحت بها على الأمة أبواب من الشر والبدعة لم تغلق إلى يومنا هذا»[2]. **وقريب من حالهم الأشعرية** ونحوهم؛ فإنهم لما اعتقدوا أن هذا الكلام الموجود بين دفتي المصحف ليس هو كلام الله ﷻ نفسه، وإنما هو عبارة عن كلام الله ﷻ، وأن العبارة مخلوقة، أدى هذا ببعض متأخريهم إلى تهوين شأن المصحف، بل إن جهالهم يستهينون به، ويتبين هذا إذا علمت أن كبارهم إنما يرون تعظيمه لا لكونه كلام الله وصفة من صفاته ﷻ، وإنما يعظمونه لكونه عبارة دالة على القديم، فتعظيمه لدلالته على العظيم، لا لِكونِهِ نفسِهِ معظما!!.

١٢- ومما يبين عدم تعظيمهم للقرآن الموجود عند المسلمين، **أنهم يقارنون ويفاضلون بينه وبين غيره** - مع أن القرآن صفة من صفات الله - وقد عقد بعض المتكلمين مقارنة ومفاضلة بين القرآن وبين رسول الله ﷺ!! وهذه مقارنة عجيبة تنبئك عن عقيدة غريبة، إذ كيف يُعقد مقارنة بين صفة من صفات الله، وبين عبد من عباد الله - ولو كان أفضل الخلق محمد ﷺ. فإن هذا لا يليق -، ولكن تمت هذه المقارنة بناء على أن القرآن المنـزل مخلوق!! قال الباجوري: «وهل القرآن بمعنى اللفظ المقروء أفضل أو سيدنا محمد ﷺ ؟!»؛ فذكر الخلاف الذي عند الأشاعرة، ثم قال: «والحق

(١) روى نحوه البخاري في خلق أفعال العباد ص٢٦.

(٢) العقيدة السلفية لعبد الله الجديع ص٣٢٣.

أنه ﷺ أفضل؛ لأنه أفضل من كل مخلوق»[١]. فانظر: ـ يا رعاك الله ـ بعين الإنصاف، كيف أن البدعة تجر إلى البدعة، فلما قالوا بالعبارة، قالوا بالتفضيل على القرآن الذي هو كلام الرحمن، سبحانك هذا بهتان عظيم، وهذا يدل على ما ذكرته من أن الأشاعرة والماتريدية إنما يقولون: بأن القرآن كلام الله غير مخلوق يعنون بذلك الكلام النفسي، لا القرآن الموجود بين الدفتين، فإنه عندهم مخلوق! **بل إن الأشاعرة** ونحوهم ممن لا يثبتون كلاما لله ﷻ في المصحف أدى بهم موقفهم إلى التهوين من شأن المصحف، فقالوا: ما فيه إلا الورق والمداد[٢]. وهم ـ أعني كبار الأشاعرة ـ «يجوزون وقوع المفاضلة في القرآن العربي، وهو مخلوق عندهم، وهذا المخلوق يسمى "كتاب الله" والمعنى القديم يسمى "كلام الله"، ولفظ "القرآن" يراد به عندهم ذلك المعنى القديم، والقرآن العربي المخلوق، وحينئذ فهم يتأولون ما ورد من تفضيل بعض القرآن على بعض على القرآن المخلوق عندهم!!»[٣]. فحصل بسبب هذا شر كبير، قال شيخ الإسلام ؒ: «ثم تبع أقوام من أتباعهم أحد أهل المذهب، وأن القرآن معنى قائم بذات الله فقط، وأن الحروف ليست من كلام الله، بل خلقها الله في الهواء، أو صنفها جبريل، أو محمد ﷺ، فضموا إلى ذلك أن المصحف ليس فيه إلا مداد وورق، وأعرضوا عما قاله سلفهم من أن ذلك دليل على كلام الله فيجب احترامه، لما رأوا أن مجرد كونه دليلا لا يوجب الاحترام، كالدليل على الخالق المتكلم بالكلام؛ فإن الموجودات كلها أدلة عليه، ولا يجب احترامها، فصار هؤلاء يمتهنون المصحف حتى يدوسوه بأرجلهم!!! ومنهم من يكتب أسماء الله بالعذرة، إسقاطا لحرمة ما كتب في المصاحف والورق من أسماء الله وآياته»[٤]. وقال ابن حزم ؒ: «أخبرني علي بن حمزة المرادي الصقلي الصوفي[٥] أنه رأى بعض الأشعرية يبطح المصحف برجله، قال:

---

(١) شرح جوهرة التوحيد ص٩٤.

(٢) انظر: أقاويل الثقات ص٢٢٠.

(٣) المجموع ١٧/ ٧٤.

(٤) المجموع ٨/ ٤٢٥.

(٥) هو العالم المتصوف: أبو الحسن علي بن حمزة المرادي الصقلي، سمع منه الحافظ الحميدي، وكان يتكلم في فنون، ويشارك في علوم، ويتصوف. انظر: جذوة المقتبس ص ٣١٣.

فأكبرت ذلك، وقلت له: ويحك! هكذا تصنع بالمصحف، وفيه كلام الله تعالى؟ فقال لي: ويلك! والله ما فيه إلا السخام والسواد، وأما كلام الله فلا!!»[١]. وأما ما تراه من أهل الكلام من تعظيم للمصحف فذلك لما فيه من اتباع السنة، وبقدر ذلك يكون تعظيمه لنصوص الوحيين، أو لكونه دالا على القديم، وليس التعظيم ما يفعله بعضهم من القيام للمصحف، وتقبيله، بل أعظم تعظيم للمصحف يكون بالعمل بما فيه اعتقادا وعملا، ولكن الاعتقادات الباطلة لأوائل أئمة الأشعرية والماتريدية أثرت في الأتباع، وقولهم بأن القرآن عبارة عن كلام الله «نوع من الضلال والنفاق، والجهل بحدود ما أنزل الله على رسوله، وهو الذي أوقع الجهال في الاستخفاف بحرمة آيات الله وأسمائه، حتى ألحدوا في أسماء الله»[٢].

١٣- أن الجهمية من أهل الكلام ما قدروا الله حق قدره؛ إذ جحدوا معاني وحقائق الأسماء والصفات، **وظنوها ألفاظا مجردة عن المعاني!!**[٣] ولم يثبتوا له قدرة على فعل، ولا على كلام، ولا على نزول شيء من الكلام منه، «فهم أبعد الناس عن التصديق بقدرة الله، وأنه على كل شيء قدير»[٤]، **ولهذا فإنهم إذا رأوا آية تخالف مذهبهم** يعملون فيها التأويل (أعني التحريف)، حتى توافق مذهبهم، ويدخلون بالمجاز على المعاني التي هم يريدونها، لا المعاني التي أرادها الله ﷻ، فيقولون إذا أعيتهم الحقائق القرآنية: «إذاً فنحن بحاجة إلى التجوز، والمجاز بابه واسع، وميدانه فسيح، وليكن المعنى المجازي لإنزال القرآن هو الإعلام في جميع إطلاقاته!!!»[٥].
فأهل الكلام الواحد منهم: «أول ما درس الفلسفة؛ فعند ما جاء إلى القرآن والسنة ليتعلمها **أخذ** يدخل الفلسفة فيهما؛ فكان يعرض القرآن على الفلسفة!! فإن خالف القرآنُ الفلسفةَ لم يأخذ بالقرآن!! وهكذا جميع الفرق الضالة؛ فإنها تعلمت الفلسفة

---

(١) الفصل في الملل والنحل ٥/ ٨١.
(٢) المجموع ١٢/ ٣٨٢.
(٣) انظر: شرح الواسطية للفوزان ص١٦.
(٤) المجموع ٨/ ٢٧.
(٥) مناهل العرفان ١/ ٤٣.

قبل القرآن»[١]، وعلى هذا فقس الفرق الباقية من أهل الكلام.

١٤- ومما يدل على عدم تعظيمهم للقرآن أنك تجد من هؤلاء - أهل الكلام - من يقرأ ويعلم ما أثبته الله في كتابه، ثم يأتي هو فينفيه، أو يأتي إلى أمر نفاه الله في كتابه، فيأتي هو ويثبته!!! ففعلهم وقولهم نفي ما أثبته الله، وإثبات ما نفاه الله، وإن كان ذلك مبنيا على أصول ومقدمات، إلا أن ذلك لا يخرجهم من تبعية المضادة لله ﷻ في الإثبات والنفي. ومن صريح ما حرفوا فيه التنزيل ما قرأ به بعض المعتزلة قول الله: ﴿ وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكۡلِيمٗا ﴾[النساء:١٦٤]، فقرؤوا اسم الجلالة (الله) بالنصب لتوافق مذهبهم في نفي تكليم الله ﷻ لعبده موسى ﷺ!![٢] وكيف يصنعون بقوله ﷻ؟؟[٣]: ﴿ وَلَمَّا جَآءَ مُوسَىٰ لِمِيقَٰتِنَا وَكَلَّمَهُۥ رَبُّهُۥ ﴾؟![الأعراف:١٤٣] والمعتزلة «تجاوزوا تغيير الحديث إلى أن راموا تغيير القرآن فلم يصح لهم ذلك في القرآن لإجماع الأمة عليه، وصح في كثير من الحديث؛ فغيروا في المصحف مواضع كثيرة، كقراءتهم: من شر ما خلقٌ، بالتنوين، وقراءتهم: قال عذابي أصيب به من أساء، بسين غير معجمة، وفتح الهمزة، وقالوا: في قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدۡ ذَرَأۡنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرٗا مِّنَ ٱلۡجِنِّ وَٱلۡإِنسِ ﴾ [الأعراف:١٧٩]، قالوا: إن معناه دفعنا!!...»[٤]. وقال ابن أبي العز رحمه الله إن أحمد ابن أبي دؤاد: «أشار على الخليفة المأمون أن يكتب على ستر الكعبة: ليس كمثله شيء، وهو العزيز الحكيم!! حرف كلام الله لينفي وصفه تعالى بأنه السميع البصير، كما قال الضال الآخر جهم بن صفوان: وددت أني أحك من المصحف قوله تعالى: ﴿ ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ﴾، فنسأل الله العظيم السميع البصير أن يثبتنا بالقول الثابت في

(١) المجموع في ترجمة العلامة المحدث الشيخ/ حماد بن محمد الأنصاري ٢/ ٧٤٧.

(٢) الاقتضاء ١/ ٧٦.

(٣) انظر: شرح الطحاوية ١/ ١٧٧.

(٤) الإنصاف للبطليوسي ص١٥٩، وذكر اللالكائي أن عمرو بن عبيد رؤي في المنام وهو يحكم آية من كتاب الله ﷻ؛ فقيل له ماذا تفعل؟ فقال: أحط مكانها خيرا منها!! انظر: شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة ٤/ ٧٣٨.

الحياة الدنيا وفي الآخرة بمنه وكرمه»[١].

١٥- **أنهم ظنوا أن السلف الصالح لم يفهموا معاني ما في كتاب الله ﷻ**؛ فإن منهم من يعتقد بأن مذهب السلف هو التفويض، وأنهم لم يعلموا معاني هذه الصفات، وفوضوها إلى رب البريات، ويقولون: هذا مذهب السلف!![٢] فإذا كان من نزل عليهم القرآن، ومن علمهم سيد ولد عدنان لم يفهموا هذه النصوص؛ فكيف تعظم إذا؟؟ وابن خلدون ـ مع أنه يظن أن مذهب السلف هو التفويض ـ يؤكد على أن السلف فهموا القرآن فيقول: « **وأما التفسير فاعلم أن القرآن نزل بلغة العرب، وعلى أساليب بلاغتهم، فكانوا كلهم يفهمونه، ويعلمون معانيه: في مفرداته، وتراكيبه**، وكان ينـزل جملا جملا، وآيات آيات، لبيان التوحيد، والفروض الدينية بحسب الوقائع، **ومنها ما هو في العقائد الإيمانية**، ومنها ما هو في أحكام الجوارح، ومنها ما يتقدم، ومنها ما يتأخر ويكون ناسخا له، **وكان النبي ﷺ هو المبيّن لذلك...، ويعرِّفه أصحابَه؛ فعرفوه**، وعرفوا سبب نزول الآيات... **ونقل ذلك عن الصحابة ﭫ، وتداول ذلك التابعون من بعدهم، ونقل ذلك عنهم، ولم يزل ذلك متناقلا بين الصدر الأول والسلف**، حتى صارت المعارف علوما، ودونت الكتب؛ فكتب الكثير من ذلك، ونقلت الآثار الواردة فيه عن الصحابة والتابعين »[٣].

١٦- **تسميتهم لنفي الصفات "توحيدا"** مع أن الكتاب والسنة جاء فيهما إثبات الصفات لله ﷻ[٤]، فهم ناقضوا الوحي حتى في المسميات. **فالقرآن فيه إثبات الأسماء والصفات**، وهؤلاء يقولون: ليس لله علم، ولا قوة، ولا رحمة، ولا كلام، ولا يحب، ولا يرضى، ولا نادى، ولا ناجى، ولا استوى!!، أهذا تعظيم للقرآن الكريم؟!

---

(١) شرح الطحاوية ١/ ١٢١، وانظر: شفاء العليل ١/ ١٧٢ لمعرفة بعض تأويلات القدرية.

(٢) انظر: الفواكه الدواني ١/ ٤٨، المقدمة لابن خلدون ص ٨٣١ ـ ٨٣٢، التنبيه على المخالفات العقدية في الفتح ص١٢١.

(٣) المقدمة لابن خلدون ص ٧٨٥-٧٨٦.

(٤) التدمرية ص١٨٢.

أهذا جعل للقرآن الكريم مصدرا للعقيدة!؟[١].

١٧- ومما يدل على أنهم غير معظمين للقرآن حقيقة، **أنهم يعتقدون خلوه من علم العقائد**، ولهذا تجد أحدهم يؤلف في الاعتقادات، ولا تجد فيه إلا القيل والقال. ومن أمثلة ذلك كتاب "أساس التقديس" الذي ألفه الرازي فيلسوف أهل الكلام وشيخهم، لبيان وجوب تقديم العقل على النقل!! لم يذكر استشهادا في كتابه آية أو حديثا، ثم إنه ذكر بعض الآيات ليتأولها ويحرفها!! بينما يستدل بقول "أرسطاطاليس، وبقول أبي معشر المنجم!![٢] ثم يقول: « القسم الثاني من هذا الكتاب: **وهو في تأويل المتشابهات من الأخبار والآيات... لا بد من التأويل في بعض ظواهر القرآن والأخبار!!** »[٣]، فالرازي يطعن في كتاب الله تعالى "القرآن" بحجة أن فيه ألفاظا تفيد الظن، ويطعن في الصحابة بحجة أنهم لم يعرفوا معانيها؟ وإنّما يدركها هو وأمثاله؟ ومثل هذا قله في كل كتاب مؤلف على طريقة أهل الكلام؛ فإن أساس كل كتاب من كتب أهل الكلام التأويل، والمعتمد عندهم العقل، وهو الدليل. فانظر إلى كتاب "لباب العقول" ولن تجد فيه استدلالا بآية أو حديث، بل يردهما، ويعتقد أن فيهما التشبيه!![٤]. وقد اعتذر ابن العربي لأهل الكلام لكونهم لا يستدلون بالآيات القرآنية باعتذارات لا تفي بالمقصود، يقول ابن العربي المعافري: « ذكر الاعتذار عن عدول العلماء عن الكتاب إلى أدلة العقول؛ فإن قيل: **فما عذر علمائكم في الإفراط بالتعلق بأدلة العقول دون الشرع المنقول في معرفة الرب**، واستوغلوا في ذلك!؟ »[٥] فهذا فيه الإقرار بأنهم لا يضمنون مؤلفاتهم الأدلة القرآنية، وإنما عمدتهم العقول البشرية!! ثم ذكر جوابين: « **أحدهما**: أن الأدلة في الكتاب مختصرة وبليغة، ومذكور فيها الأصول

---

(١) انظر: التدمرية ص٣٠.

(٢) انظر: أساس التقديس للرازي ص١-١٥.

(٣) أساس التقديس للرازي ص ٧٩.

(٤) انظر: لباب العقول من ص١٧٥-١٨٠.

(٥) قانون التأويل لابن العربي ص ٥٠١، وانظر: مقدمة المحقق على الكتاب ص٢٩٥.

ذو التوابع والمعلقات من الفروع؛ **فكمل العلماء ذلك الاختصار، وعبروا عن تلك الإشارة بتتمة البيان، واستوفوا الفروع والمتعلقات بالإيراد!!** والثاني: أنهم أرادوا أن يبصروا الملاحدة، ويعرفوا المبتدعة أن مجرد العقول التي يدعونها لأنفسهم، لا حظ لهم فيها...»[١]. **فانظر** إلى هذا الاعتذار ما أبرده، وما أسمجه!؟ الأدلة القرآنية الموجزة البليغة ـ كما اعترف ـ لا يذكرونها لكونها بليغة؟!! وإنّها تدل على الأصول فترِكَت، وإنما يذكرون الفروع التي هي متممات لها؟!! والقرآن لم يدل على الأدلة العقلية التي تقنع الملاحدة! وأهل البدع لا يمكن مخاطبتهم بالقرآن!؟ لماذا لا يذكر لأهل البدع الأدلة القرآنية؟ أليسوا مسلمين وبالقرآن مقرين؟ فلتذكر لهم الأدلة النقلية؛ فإن رجعوا إليها فهم من أهل السنة، وإن ردوها فهم من أهل البدعة لهذه ـ فضلا عن غيرها ـ وأما أن تترك الأدلة الشرعية لكون أهل البدع لا يرونها فهذا تنازل عن أدلة الشرع، وهو غير مقبول. وقد اعتذر لأهل الكلام مصطفى صبري فقال: «ثم إن أصول الدين معظم ما تستند إليه الأدلة العقلية التي تكون حجة على المعترفين بالأديان، والملاحدة المنكرين جميعا!!، والتي يحتويها علم الكلام أكثر من الكتاب والسنة حتى أن كون الكتاب والسنة نفسهما حجة يصح الاستناد إليها، وتصلح لاستنباط الأحكام عنها، يتوقف على تلك الأدلة العقلية!!! ومن هذا تقل حاجة علماء الكلام إلى إيراد أدلة الكتاب والسنة، ويجدر علم أصول الدين أن يعد من العلوم العقلية»[٢]. فأهل الكلام «تجدهم إذا احتجوا بالقرآن والحديث لم يعتنوا بتحرير دلالتهما، ولم يستقصوا ما في القرآن من ذلك المعنى، إذ كان اعتمادهم في نفس الأمر على غير ذلك، والآيات التي تخالفهم يشرعون في تأويلها شروع من قصد ردها كيف أمكن»[٣]. قال ابن الوزير رحمه الله: «نبغ في هذا الزمان من عادى علوم القرآن، وفارق فريق الفرقان، وصنف في التحذير من الاعتماد على ما فيه من التبيان، في معرفة

---

(١) قانون التأويل لابن العربي ص ٥٠٢ بشيء من التصرف.

(٢) موقف العقل العلم والعالم ١/ ٤٨٢.

(٣) المجموع ١٣/ ٥٨.

الديّان، وأصول قواعد الأديان، وحث على الرجوع في ذلك إلى معرفة قوانين المبتدعة اليونان، منتقصا لمن اكتفى بها في معجز التنـزيل من البرهان، مقبحا لتلقي كثير من محكماته بالقبول والإيمان. لا جرم أن الله تعالى وإن وصفه بأنه لقوم هدى؛ فقد وصفه بأنه على قوم عمى؛ فحسبوه حين عموا عنه وصموا أنه لأمر يرجع إلى ذاته، والخلل يعود إلى بين آياته، ولم يعلموا أن ذلك يخصهم لما في قلوبهم من العمه والعمى، والرداءة والردى؛ فكأنهم المنافقون ريبا وخبثا وبهتانا»[١]. ولذلك إذا بزع منهم رجل وصار له شأن في الكلام قال: هل في القرآن علم؟!![٢].

١٨- ويضربون آيات الله بعضها ببعض، ولا يهتمون ـ كما فعل السلف ـ بالجمع بينها، بل همهم الجمع بينها وبين مادل عليه عقولهم بالتأويلات الباطلة!![٣].

١٩- أنهم يفترون على القرآن الكريم، ويقولون عليه ما ليس فيه[٤]. يقول الرازي: «ورد في القرآن ذكر الوجه، وذكر العين، **وذكر الجنب الواحد، وذكر الأيدي، وذكر الساق الواحدة!!**»[٥]. وهذا يدل أن القوم يعتقدون ثم يستدلون!! ويقول ابن خلدون مبينا الصفات الواردة في القرآن بزعمه: «اعلم أن الله سبحانه وصف نفسه في كتابه بأنه عالم...، وكذا أثبت لنفسه... **اللسان!!**»، ثم زعم أن مما وصف به نفسه ما يوهم النقص كالاستواء!![٦].

«والنفاة متفقون على أن ظواهر النصوص تجسيم عندهم!! وليس عندهم بالنفي نص؛ فهم معترفون بأن قولهم هو البدعة، وقول منازعيهم أقرب إلى السنة»[٧]، و«إن

(١) ترجيح أساليب القرآن لابن الوزير ص٧-٨.

(٢) انظر: الفوائد لابن القيم ص١٤٤.

(٣) انظر: الانتصار في الرد على المعتزلة القدرية الأشرار للعمراني٢/ ٥٩٣، ٥٩٥، المجموع ١٦/ ٥١، مسائل الجاهلية للإمام محمد بن عبدالوهاب، المسألة ٧٧، موقف العقل والعلم والعالم ٣/ ٤٠٢.

(٤) انظر: شفاء العليل ١/ ١٧٢.

(٥) أساس التقديس للرازي ص ٧٩.

(٦) المقدمة لابن خلدون ص ٨٥٢.

(٧) درء التعارض ١/ ٢٤٩.

عامة من يورد على ألفاظ الكتاب والسنة، ويدعي أن ظاهرها ممتنع: إنما أتى من سوء فهمه، لا من قصور في بيان الله ورسوله، بل ممن تأول»[١]، إذ لو كان الظاهر غير مراد لنبه عليه الشارع، ولقال: «من تمسك بالقرآن، أو بدلالة القرآن، أو بمفهوم القرآن، أو بظواهر القرآن في باب الاعتقاد: فهو ضال؟ وإنما الهدى رجوعكم إلى مقاييس عقولكم، وما يحدثه المتكلمون منكم بعد القرون الثلاثة ـ في هذه المقالة ـ وإن كان قد نبغ أصلها في أواخر عصر التابعين»[٢].

وأما أهل السنة فإن أحدهم: «يشتغل بوظائف العبادات؛ فلا يزال اعتقاده يزداد رسوخا بما يقرع سمعه من أدلة القرآن وحججه، وبما يرد عليه من شواهد الأحاديث وفوائدها، وبما يسطع من أنوار العبادات ووظائفها، وبما يسري إليه من مشاهدة الصالحين ومجالستهم وسيماهم وسماعهم وهيآتهم في الخضوع لله ﷻ، والخوف منه، والاستكانة له...، وينبغي أن يحرس سمعه من الجدل، والكلام غاية الحراسة؛ فإن ما يشوشه الجدل أكثر مما يمهده، وما يفسده أكثر مما يصلحه، بل تقويته بالجدل تضاهي ضرب الشجرة بالمدقة من الحديد، رجاء تقويتها بأن تكثر أجزاؤها، وربما يفتتها ذلك ويفسدها، وهو الأغلب، والمشاهدة تكفيك في هذا بيانا، فناهيك بالعيان برهانا، فقس عقيدة أهل الصلاح والتقى من عوام الناس بعقيدة المتكلمين والمجادلين؛ فترى اعتقاد العامي في الثبات كالطود الشامخ، لا تحركه الدواهي والصواعق، وعقيدة المتكلم الحارس: اعتقاده بتقسيمات الجدل كخيط مرسل في الهواء، تفيؤه الرياح مرة هكذا، ومرة هكذا»[٣].

قال ابن الوزير اليماني ﵀ مبينا **سبب إعراض المتكلمين عن القرآن المبين**: «**الزيادة في الدين فسببه تجويز خلو** كتب الله تعالى وسنن رسله الكرام عليهم الصلاة والسلام عن بيان بعض مهمات الدين، اكتفاء بدرك العقول لها!! ولو

---

(١) الرد على البكري ٢/ ٦٨٥-٦٨٦.

(٢) المجموع ٥/ ٢٠، وانظر: أقاويل الثقات ص ٢٣٠.

(٣) الإحياء للغزالي ١/ ١٥٢ وشهد شاهد من أهلها.

بالنظر إلى التصديق، ليكون ثبوتها بعد رسول الله ﷺ بطريق النظر العقلي!!!، هذا مذهب أهل الكلام»(١).

ثم إن القرآن قد نقل إلينا متواترا لفظا ومعنى؛ حتى باعتراف أهل الكلام أنفسهم؛ فكيف نعرض عنه بحجج العقول. **يقول ابن خلدون** ﷺ: «اعلم أن القرآن نُزِّل بلغة العرب، وعلى أساليب بلاغتهم؛ فكانوا كلُّهم يفهمونه، ويعلمون معانيه في مفرداته وتراكيبه، وكان ينـزل جملا جملا، وآيات آيات، لبيان التوحيد، والفروض الدينية بحسب الوقائع... ونقل ذلك عن الصحابة ﷺ أجمعين، وتداول ذلك التابعون من بعدِهم، ونقل ذلك عنهم، ولم يزل ذلك متناقلا بين الصدر الأول والسلف، حتى صارت المعارفُ علوما، ودونت الكتب، فكتب الكثير من ذلك، ونُقلت الآثار الواردة فيه عن الصحابة والتابعين»(٢).

وأخفهم بدعة ـ نسبة إلى الجهمية والمعتزلة ـ هم الأشاعرة والماتريدية، ومع ذلك فإنهم لم يثبتوا ما أثبتوا من الصفات إلا لأن العقل دل عليها، لا لأن القرآن جاء به، ولو كانوا معظمين للقرآن لأثبتوا كل ما جاء في القرآن من صفات الرحمن(٣)، «ولهم في رد الأحاديث بهذا المنطق فضائح يرجع إليها في مثل كتاب "تأويل مختلف الحديث" لابن قتيبة»(٤).

فعندما يسمعك الأشعري أو الماتريدي تثبت ما جاء لله من صفات في القرآن والسنة، يقولون لك: مجسم؛ فهم يقرؤون القرآن والسنة لا للفهم، والفقه وإنما لِـمجرّدِ تلاوة(٥).

وقد تراهم يؤلفون في تفسير كتاب الله ﷻ ولكن من أجل خدمة منهجهم

---

(١) إيثار الحق ص ١٠٣.

(٢) مقدمة ابن خلدون ص ٧٨٦.

(٣) انظر: المجموع في ترجمة العلامة المحدث الشيخ/ حماد بن محمد الأنصاري ٢/ ٤٩٩.

(٤) المعتزلة بين القديم والحديث لمحمد العبده وطارق عبد الحليم ص ٢٧.

(٥) انظر: المجموع في ترجمة العلامة المحدث الشيخ/ حماد بن محمد الأنصاري ٢/ ٥٠٣.

الفاسد، وترويج مذهبهم الكاسد؛ فالرازي مثلا لم يؤلف كتابه في التفسير إلا إظهارا لعضلاته الكلامية، وصنعته المنطقية(١)، وهكذا القاضي عبد الجبار المعتزلي في تفسيره للقرآن؛ إنما بث الاعتزال، وكذا الزمخشري(٢).

قال شيخ الإسلام رحمه الله في قول الإمام أحمد: أكثر ما يخطئ الناس من جهة التأويل والقياس: «ولهذا تجد المعتزلة والمرجئة والرافضة، وغيرهم من أهل البدع، يفسرون القرآن برأيهم ومعقولهم، وما تأولوه من اللغة، ولهذا تجدهم لا يعتمدون على أحاديث النبي ﷺ، والصحابة والتابعين، وأئمة المسلمين؛ فلا يعتمدون لا على السنة، ولا على إجماع السلف وآثارهم، وإنما يعتمدون على العقل، واللغة، وتجدهم لا يعتمدون على كتب التفسير المأثورة والحديث، وآثار السلف، وإنما يعتمدون على كتب الأدب، وكتب الكلام التي وضعتها رؤوسهم»(٣).

ومن أهل الكلام النجارية الذين يقولون: إن القرآن جسم إذا كتب، وعرض إذا قرئ ومعلوم أن هذا كفر صريح(٤)، إذ كلام الله ﷻ لا يوصف بهذا.

٢٠- ومما يدل على عدم تعظيم أهل الكلام للقرآن الكريم ما صرح به «غلاة الأشعرية في نفي حكمة الله تعالى، تقبيح اسم الحكيم في الظاهر، وإيجاب تأويله بالمحكم لصنعه من غير حكمة له في ذلك الإحكام، وغلاة المعتزلة في نفي السميع البصير، وتقبيحها في الظاهر، وإيجاب تأويلها بالعليم لا سواه!!...، وكذلك الجميع من الأشعرية والمعتزلة في نفي حقيقة الرحمن الرحيم، وما في معناهما من الرؤوف، والودود، وأرحم الراحمين، وحكمهم بأنها أسماء قبيحة الظواهر في حق الله تعالى!! وأنها لا تليق بجلاله إلا بصرفها عن ظواهرها، وتعطيلها عن حقائقها إلى المجاز

---

(١) انظر: المجموع في ترجمة العلامة المحدث الشيخ/ حماد بن محمد الأنصاري ٢/ ٧٢٦.

(٢) انظر: المجموع في ترجمة العلامة المحدث الشيخ/ حماد بن محمد الأنصاري ٢/ ٧٥٣.

(٣) المجموع ٧/ ١١٩.

(٤) انظر: شرح ملا علي القاري على كتاب ألفاظ الكفر لبدر الرشيد الحنفي ص١٢٦، وذكر المحقق د/ الطيب بن عمر الشنقيطي نسبة هذا القول إلى النجارية عن بدر الدين العيني الحنفي، كما في الحاشية (٣) من الصفحة نفسها.

المحض!! وأن نسبة الرحمة إلى الله سبحانه، كنسبة إرادة الانقضاض إلى الجدار، والجناح إلى الذل!!!»(١)؛ فالقرآن الكريم مليء بما يدل على حكمة الله ﷻ في خلقه، وفي فعله، وفي أمره ونهيه، وكثير من أهل الكلام ـ خصوصا الجهمية والأشاعرة ـ ومن وافقهم يقولون: «إنه لا يفعل شيئا لحكمة!!؛ فلا يخلق لحكمة!!، ولا يأمر لحكمة!!، ولا يفعل شيئا لشيء أصلا، وليس عندهم في القرآن العزيز "لامُ: كي" لا في خلقه، ولا في أمره!!»(٢).

فهؤلاء أهل الكلام إنما يتحكمون فيما يسمونه بظواهر النصوص بالظن والهوى، والتخمين والردى، «ويتكلف المتكلمون كلهم التأويلات البعيدة، تارة لما يمكن تأويله لو دل دليل قاطع على امتناع ظاهره، ولكن لا قاطع محقق، إلا مجرد دعوى، وتارة لما لا يمكن تأويله إلا بتعسف شابه تأويل القرامطة، وربما استلزم بعض التأويلات مخالفة الضرورة الدينية، وهم لا يعلمون»(٣). قال شيخ الإسلام ؒ: «يقال: قول هؤلاء متناقض، والقول المتناقض فاسد، وذلك أن هؤلاء يوجبون التأويل في بعض السمعيات دون بعض ـ وليس في المنتسبين إلى القبلة بل ولا في غيرهم من يمكنه تأويل جميع السمعيات ـ وإذا كان كذلك قيل لهم: ما الفرق بين ما جوزتم تأويله، فصرفتموه عن مفهومه الظاهر، ومعناه البين، وبين ما أقررتموه؟ فهم بين أمرين: إما أن يقولوا ما يقوله جمهورهم: إن ما عارضه عقلي قاطع تأولناه، وما لم يعارضه عقلي قاطع أقررناه!! فيقال لهم: فحينئذ لا يمكنكم نفي التأويل عن شيء؛ فإن لا يمكنكم نفي جميع المعارضات العقلية...، وأيضا فعدم المعارض العقلي القاطع لا يوجب الجزم بمدلول الدليل السمعي»(٤). ثم بين ؒ أن ما رآه معارضا عقليا قاطعا طائفة منهم نفاه الآخر فأصبحت معارضاتهم القطعية ـ للنصوص ـ في نفسها

---

(١) إيثار الحق على الخلق لابن الوزير ص ١١٤-١١٥.

(٢) شرح الأصبهانية ص٣٥٦.

(٣) إيثار الحق على الخلق لابن الوزير ص ١١٦، وانظر منه ص ١٢٣، وانظر: المجموع ٣/ ٣٢٨.

(٤) الدرء ٥/ ٣٤٣ وما بعدها، وانظر: التدمرية ص ٤٥.

متعارضة؛ فكيف تكون حجة على النصوص الظاهرة؟؟.

وقد أكد الغزالي هذا التناقض فيما يجب أن يؤول وما لا يؤول، فقال بعد كلام طويل فيما هو من تأويلات الباطنية، وما رأوه واجبا في كل الشرع: «وذهبت طائفة إلى الاقتصاد، وفتحوا باب التأويل في كل ما يتعلق بصفات الله ﷻ، وتركوا ما يتعلق بالآخرة على ظواهرها، ومنعوا التأويل فيه ـ وهم الأشعرية ـ، وزاد المعتزلة عليهم حتى أولوا من صفاته تعالى الرؤية، وأولوا كونه سميعا بصيرا!! وأولوا المعراج! وزعموا أنه لم يكن بالجسد، وأولوا عذاب القبر والميزان والصراط وجملة من أحكام الآخرة...، ومن ترقيهم إلى هذا زاد الفلاسفة فأولوا كل ما ورد في الآخرة، وردوه إلى آلام عقلية وروحانية!!»[(١)] فهذا إقرار من الغزالي نفسه أن الباب فتح يسيرا ـ فقط في باب الصفات!! ـ ثم زاد عسيرا، ثم أصبح كبيرا، إذ لا ضابط في إيجابه ومنعه صحيح يعتمد عليه.

ومن أصرح التحريفات التي تنبئك على بعد هؤلاء عن توقير ظواهر النصوص قول الرازي في قوله تعالى: ﴿هَلۡ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن يَأۡتِيَهُمُ ٱللَّهُ فِي ظُلَلٖ مِّنَ ٱلۡغَمَامِ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ وَقُضِيَ ٱلۡأَمۡرُۚ وَإِلَى ٱللَّهِ تُرۡجَعُ ٱلۡأُمُورُ﴾[(٢)]، قال: «الرب هو المربي؛ فلعل ملكا عظيما هو أعظم الملائكة كان مربيا للنبي وكان هو المراد من قوله، وجاء ربك!!»[(٣)]. ونموذج آخر من التأويلات المستبشعة قول الرازي وهو ينفي العلو: «وأجمعوا على أن جبريل ملك الوحي والتنـزيل والنبوة، وميكائيل ملك الأرزاق، وملك الموت ملك الوفاة، وكذا القول في سائر الأمور؛ **وإذا كان الأمر كذلك لم يبعد أن يكون الغرض من رفع الأيدي إلى السماء رفع الأيدي إلى الملائكة!!!**»[(٤)]. فإذا كان رفع الأيدي للملائكة؛ فهل الطلب يكون منهم أيضا؟! وهذه التحريفات الباطلة تحريف وإلحاد في كلام الله ﷻ[(٥)]،

---

(١) الإحياء ١/ ١٦٦، وانظر: الدرء ٥/ ٣٤٧.

(٢) سورة البقرة، الآية ٢١٠.

(٣) أساس التقديس للرازي ص ١٠٨.

(٤) أساس التقديس للرازي ص ٧٧.

(٥) انظر: شفاء العليل ١/ ٢١٩-٢٢٠، ٢/ ١٩-٢٠، شرح الواسطية للفوزان ص١٣٢.

وهو يؤدي إلى مثل هذه اللوازم الفاسدة.

٢١- **ومن عدم تعظيمهم للقرآن دعوى الجهمية منهم بفناء الجنة والنار**[١]، ومن عدم تعظيمهم للقرآن الكريم ظنهم أن آياته توهم التشبيه، وتأتي بما يؤدي إلى الكفر، فمن ذلك إنكارهم لأسماء الله ﷻ: الصبور، والحليم، والشكور، وإن جوز بعضهم فمن حيث الاسم المجرد عن المعنى، ولا يثبتونه اسما ووصفا، فعند هؤلاء «يجوز إطلاق السمعي **سواء أوهم**، كالصبور، والحليم، والشكور، أو لم يوهم: كالعالم، والقادر»[٢].

وينكر بعض أهل الكلام صريح الآيات، لمجرد ظنه أنها من المتشابهات، ويؤولها بمختلف التأويلات. وقد جاء القرآن والسنة بإثبات العرش، والكرسي، واستواء الله ﷻ، وهؤلاء يقولون: «القصد من ذكر الكرسي، ومثله العرش، الذي هو أعظم منه، لإحاطته بجميع الأجسام، استشعار النفوس عند سماعها بعظمة الباري ﷻ، ولا كرسي!!، ولا قعود، ولا قاعد[٣]، نظير قوله تعالى: ﴿وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطْوِيَّٰتُۢ بِيَمِينِهِۦ﴾ [الزمر:٨٧] من غير قبض!! وطي!! ويمين!! بل هو تخييل لعظمته»[٤]. بل منهم من يعلم أن تأويله ـ تحريفه ـ مخالف لما عليه السلف، كما يقول بعضهم: «ففوقية الله على عرشه، المراد بها: فوقية معنوية!! لما قدمنا، وحمل الفوقية في حقه تعالى على المعنوية مبني على طريقة الخلف، وهي المؤولة، وعليها إمام الحرمين وجماعة، كتأويل اليد بالقدرة!!»[٥]. فكثير من أهل الكلام يصرحون بمخالفة السلف!![٦] ولما اعتقدوا أن ما دلت عليه الآيات والأحاديث المتواترات إنما هي من المستحيلات يقول الرازي:

---

(١) انظر: شرح الأصبهانية ص٢٦٨.

(٢) الفواكه الدواني ١/ ٤٦.

(٣) هذه الألفاظ لم ترد في الكتاب والسنة، ولكنه لجأ إلى ما لم يرد حتى لا يشنع عليه في نفيه إنكار علو الله واستوائه على عرشه؛ ومعلوم أن الاستواء ثابت في الكتاب والسنة، والكرسي، كذلك.

(٤) الفواكه الدواني ١/ ٤٥، ثم ذكر بعد ذلك أقوالا أخرى، كالقول بإثبات الكرسي والعرش، ولكنه لم يثبت الاستواء، ولا الطي، ولا اليمين!!.

(٥) الفواكه الدواني١/ ٤٨.

(٦) انظر: نقض المنطق ص ١٢٣، المجموع ٤/ ١٥٦.

« لو كان تعالى في جهة فوق لكان سماء، ولو كان سماء لكان مخلوقا لنفسه!! وذلك محال، فكونه في جهة فوق محال!!»(١). ثم استطرد في تقرير هذه القاعدة الباطلة لنفي علو الله ﷻ الثابتة بالكتاب والسنة، والإجماع، والعقل والفطرة(٢)؛ فقال: « فاستواؤه: قهره واستيلاؤه!!، ونزوله: بره وعطاؤه!!، ومجيئه: حكمه وقضاؤه!!، ووجهه: وجوده أو جوده وحباؤه!!، وعينه: حفظه وعونه واجتباؤه!!، وضحكه: عفوه أو إذنه وارتضاؤه، ويده: إنعامه وإكرامه واصطفاؤه!!»(٣). أقول: كأن الرازي أفصح من يعبر، وأدق من يدرك، حتى يأتي بها لم يقله رب العالمين، ولا رسوله الأمين، وهل كان الله ﷻ لا يستطيع أن يعبر بهذا أم أراد التخييل؟؟ ورسوله ﷺ ألم يكن يعلم هذا أم أنه أراد التجهيل؟؟؛ **فمن يُصدق المؤمن بربه، الكلام الذي هو أفصح الكلام، أم قول من في قوله الأسقام؟؟.**

٢٢- ومن عدم تعظيمهم للقرآن مخالفتهم له في باب أسماء الله ﷻ وصفاته، إذ القرآن مليء بإثبات مفصل ونفي مجمل، وهؤلاء « جاؤوا بنفي مفصل، وإثبات مجمل؛ فقالوا: ليس بكذا، ولا كذا، ولاكذا؛ فلا يقرب من شيء، ولا يقرب منه شيء، ولا يُرى لا في الدنيا، ولا في الآخرة، ولا له كلام يقوم به»(٤).

ومما يدل على عدم تعظيمهم للقرآن الكريم أنهم يجعلون ما يرونه ويقعدونه من أعظم الكلام، فقول الجهمية الاتحادية المبتدعة: « وهو الآن على ما عليه كان، ليس معه غيره، كما كان في الأزل ولا شيء معه، قالوا: إذ الكائنات ليست غيره، ولا سواه، فليس إلا هو: فليس معه شيء آخر!!، لا أزلا، ولا أبدا؛ بل هو عين الموجودات، ونفس الكائنات، وجعلوا المخلوقات المصنوعات: هي نفس الخالق المصور للبريات!!!.

وهم دائما يهذون بهذه الكلمة: "وهو الآن على ما عليه كان". وهي أجل

---

(١) أساس التقديس للرازي ص ٢٧.

(٢) انظر: مختصر الصواعق المرسلة ص٣٥١ وما بعدها فإنه ذكر الأدلة مستوفاة في بيان صفة العلو والاستواء لله ﷻ.

(٣) أساس التقديس للرازي ص ٢.

(٤) الصفدية ١/ ١١٦.

عندهم من: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾[الإخلاص:١]، ومن **آية الكرسي**، لما فيها من الدلالة على الاتحاد الذي هو إلحادهم»[١].

وبهذا يتبين أنهم لا يقيمون للقرآن الكريم وزنا، ولا للسنة مقدارا، ولا لفهم السلف اعتبارا؛ فكيف يا ترى يكون استدلالهم بالقرآن الكريم في باب الاعتقاد؟ هذا ما أبينه في المبحث التالي.

(١) المجموع ٢/ ٢٧٤.

المبحث الثالث: جعل أهل الكلام القرآنَ فرعا في باب العقائد، والرد عليهم

ذكرت منزلة القرآن الكريم عند السلف الصالحين، وكيف أنهم كانوا يحتجون به في كل صغيرة وكبيرة، ويقدمونه في الاحتجاج، ويعظمونه حق التعظيم.

وأما المخالفون للسلف من أهل الكلام ومن نحا نحوهم؛ فإنهم زعموا أن الدلالة السمعية ظنية، لا تفيد اليقين، وأن الدلالة القطعية هي الدلالة العقلية، التي استنبطت بالعقل، مما وضعتها زبالات أفكار المتقدمين من الفلاسفة ونحوهم، ولأجل هذا قعدوا قاعدة خبيثة، فقالوا: لا يستدل بنصوص الكتاب والسنة إلا إذا وافقت العقل!!! وتوافقت مع البراهين العقلية المستنتجة من العقل!![1]

وكثير من المتأخرين ـ من أهل الكلام على وجه الخصوص ـ لا يعتمدون في دينهم على القرآن، ولا على ما جاء به رسول الله ﷺ، خلافا لما عليه السلف الصالح؛ فلهذا كان السلف أكمل علما وعملا، واتباعا وتعظيما للقرآن، وكان المخالفون لهم أقل فهما وعملا، وأكثر بدعة وضلالا[2].

ولما أعرض أهل الكلام ـ وغيرهم من أهل البدع ـ عن القرآن والسنة، تجدهم في الاعتقاد على طريقة الاستدلال بالعقل، ويجعلون العقل وحده أصل العلم، ويجعلون القرآن تابعا له!![3].

---

(١) انظر: الدرء ٥/ ٣٤٢. الرسالة التبوكية ص ١٤١، مجموع رسائل الجامي ص١١٤-١١٥.

(٢) انظر: المجموع ١٣/ ٦٠.

(٣) انظر: المجموع ٣/ ٣٣٨، مصادر التلقي للقفاري ص ١٥٨ وما بعدها، ١٧٢ وما بعدها.

قال الرازي بعد أن ذكر المقدمات في كون السمعيات لا تفيد اليقينيات!! وإلا لزم الدور...، قال: « فخرج مما ذكرناه أن الأدلة النقلية لا يجوز التمسك بها في المسائل العلمية!!!»(١). وكذا الغزالي من قبله قرر هذا حيث ذكر مناهج الاستدلال عند الناس، وأنهم يأخذون بالتأويل، والفلسفة...، ثم قال مبينا موقفه من السمعيات التي هي الكتاب والسنة: **« فأما من يأخذ معرفة هذه الأمور - أي الاعتقاديات - من السمع المجرد؛ فلا يستقر له فيها قدم، ولا يتعين له موقف!!»**(٢). فقول أئمة المتكلمين هؤلاء: أن ما جاء به الرسول ﷺ لا يفيد علما!!(٣).

ومما يدل على عدم تعظيمهم القرآن، أنهم جعلوا القرآن فرعا في باب العقائد، وخصوصا ما يسمونه بالإلهيات، فعندهم إذا تعارض العقل والنقل فالمقدم هو العقل، يقول الرازي: « الظواهر المقتضية للجسمية، والجهة!! **لا تكون معارضة للأدلة القطعية التي لا تقبل التأويل!!»**(٤). فانظر - رعاك الله - ما في هذا الكلام من الطوام، وهي:

١ - أنه زعم أن ظواهر القرآن دالّةٌ على التجسيم والجهة، وهو يقصد الآيات التي تدل على صفات الله ﷻ كاليد والوجه والعلو، **فهذه عنده تجسيم وجهة!!!**، **ومعلوم أن أهل السنة** يقولون: إن ما ورد في القرآن مما يدل على صفات الرحمن وعلوه فوق عرشه ثابت بلا نكران. وأما الجسم والجهة فهذان لفظان، وفي الشرع غير معروفين، والكلام فيهما إجمالا غير مرغوب، والإعراض عنهما هو المطلوب، وإثبات ما ورد هو المتعين، ورد ما لم يرد هو المتعين.

---

(١) نهاية العقول١/ ١٣ نسخة دار الكتب (٥٦٥)، كما ذكره محقق الدرء الدكتور محمد رشاد سالم، وهو في الدرء ٥/ ٣٢٩ بنصه، وانظر: شرح الأصبهانية ص ٢٥، وكذلك الرازي يصرح بأن البرهان العقلي مفيد للعلم اليقيني. انظر: معيار العلم في المنطق للغزالي ص٤١.

(٢) الإحياء ١/ ١٦٧، وانظر: الدرء ٥/ ٣٤٨.

(٣) انظر: الدرء ٥/ ٣٤٨.

(٤) محصل أفكار المتقدمين والمتأخرين للرازي ص ٢٢٨.

٢- أنه زعم أن الظواهر ليست هي من المقطوعات، وأن المقطوعات عنده هي اليقينيات العقلية التي قال بها الفلاسفة اليونانيون، ورسخها هؤلاء المتكلمون!!.

٣- أن النصوص إذا خالفت ظواهرها هذه القطعيات، فلا بد من تأويلها باليقينيات!!! وعلى هذا كيف يكون الجواب لمن قال: بأن الرسل ـ عليهم الصلاة والسلام ـ قد كتموا شيئا، وهو عدم إعلام الخلق بأن هذه الظواهر في العقائد غير مرادة، وأنتم تنصون ـ وهو الحق ـ أنه: «يستحيل في حقهم ـ عليهم الصلاة والسلام ـ... كتمان شيء مما أمروا بتبليغه للخلق»[(١)]. فهذه العقائد التي قلتم إنها لا تدرك إلا بالعقل، وأن ظواهر الشرع لا يستدل بها عليها، هل هي من الشرع أم لا؟ فإن كان الأول وجب تبليغه، وإن قلتم بالثاني تبين الضلال!!!.

٤- أن ما لا يقبل التأويل عنده هو اليقينيات العقلية!!! ولهذا يقول شاعرهم:

وكل نص للحـــدوث دلا ... احمل على اللفظ الذي قد دلا
ويستحيل ضد ذي الصفات ... في حقه كالكون في الجهـات[(٢)]

ويقول الآخر:

نسمي الله شيئا لا كالأشيا ... وذاتا عن جهات الست خالي[(٣)]

فما دل عليه الكتاب والسنة، وفقه السلف من إثبات العلو لله ﷻ، والاستواء والنـزول، هذه كلها من الأمور التي تدل على الحدوث والجهة!! **وهي بحكم العقل** مستحيلة على الله ﷻ بزعم عقولهم!!.

وهذا الذي حمل ـ كثيرا منهم ـ على نفي الصفات الخبرية عن الله ﷻ، فقالوا: لا يوصف الله بأن له يدا!! ولا بأن له عينا!![(٤)] بل ربما قالوا: عن بعض النصوص:

---

(١) أم البراهين للسنوسي ص٧، ورسالة في التوحيد للبيجوري ص٤٣، ضمن مجموع أمهات المتون في مختلف الفنون والعلوم، جمع دار الفكر.

(٢) جوهرة التوحيد للقاني ص١٣، ضمن مجموع أمهات المتون في مختلف الفنون والعلوم، جمع دار الفكر.

(٣) بدأ الأمالي للفرغاني ص١٩، ضمن مجموع أمهات المتون في مختلف الفنون والعلوم، جمع دار الفكر.

(٤) انظر: رسالة في علم التوحيد للبيجوري ص٤٠، ضمن مجموع أمهات المتون في مختلف الفنون والعلوم،

إنها شنيعة، لكونها خالفت مذاهبهم، ولم توافق قواعدهم، فيقول أحدهم: «ليس في هذا الكتاب ـ يعني صحيح البخاري ـ حديث أشنع ظاهرا، ومذاقا من هذا»[١]، يعنون حديث: [ودنا الجبار...][٢]، قال ابن الوزير رحمه الله: «**واجتمعت كلمة المعتزلة والأشعرية على تقبيح نسبة الرحمة والحلم والمحبة والخلة إلى الله تعالى!!!**»[٣].

وهكذا في العقائد النسفية، جعل: «أسباب العلم ثلاثة: الحواس السليمة، والخبر الصادق، والعقل»، فجعل الخبر الصادق كالحواس والعقل!! ثم بين المراد، قائلاً: «الخبر المتواتر...، وهو موجب للعلم الضروري...، وخبر الرسول المؤيد بالمعجزة، وهو يوجب العلم الاستدلالي، والعلم الثابت به يضاهي العلم الثابت بالضرورة في التيقن والثبات، **وأما العقل: فهو سبب للعلم أيضا**، وما ثبت منه بالبديهة فهو ضروري...، وما ثبت بالاستدلال فهو اكتسابي»[٤]. فعند المتكلمين: أن **العقل** مساوٍ للقرآن الكريم من حيث الاستدلال، **إلا أن العقل يوجب العلم الضروري أو الاكتسابي**، أما القرآن الكريم فهو إما أن يوجب علما ضروريا، أو استدلاليا ـ إذا وافق ما عندهم ـ، أو لا يفيد لا هذا ولا هذا!!!.

فمصدر التلقي عند أهل الكلام هو العقل في باب الإلهيات بالاتفاق، وفيما سواه من أبواب العقائد على خلاف، وقد صرح أئمة الأشعرية ـ وهم من مثبتة المتكلمين الذين يثبتون بعضا من الصفات على طريقتهم ـ أن **العقل** مقدم على النقل إذا تعارضا، ابتداء من الجويني، ثم الغزالي، ثم الرازي، ثم الآمدي، فالإيجي، ومن

=

جمع دار الفكر.

(١) الفتح ١٣/ ٤٩٢.

(٢) أخرجه البخاري، كتاب التوحيد، باب/ في قوله ﷻ (وكلم الله موسى تكليما)، حديث (٧٥١٧)، وهو معروف بحديث الإسراء.

(٣) إيثار الحق لابن الوزير ص ١٢٩.

(٤) العقائد النسفية لعمر النسفي ص ٢٧-٢٨، ضمن مجموع أمهات المتون في مختلف الفنون والعلوم، جمع دار الفكر.

قبل ابن فورك، فالسنوسي، وشراح الجوهرة، وسائر أئمتهم، «ومن هؤلاء السابقين من صرح بأن الأخذ بظواهر الكتاب والسنة أصل من أصول الكفر، وبعضهم يخففها؛ فقال: هو أصل الضلالة!!...، يقول السنوسي في شرح الكبرى: وأما من زعم أن الطريق بدأ إلى معرفة الحق بالكتاب والسنة، ويحرم ما سواهما فالرد عليه أن حجيتهما لا تعرف إلا بالنظر العقلي، وأيضا قد وقعت فيهما ظواهر من اعتقد ظاهرها كفر عند جماعة وابتدع...، ويقول: أصول الكفر ستة:...، ـ ذكر خمسة ثم قال ـ: سادسا: التمسك في أصول العقائد بمجرد ظواهر الكتاب والسنة من غير عرضها على البراهين العقلية، والقواطع الشرعية»(١).

والرازي، وهو يقرر أن النـزاع بينهم وبين المعتزلة في مسألة الكلام لفظي، يقول: «وهذا البحث لغوي، لا حظ للنقل البتة فيه»(٢).

فالقرآن الذي فيه علم الأولين والآخرين، وخبر من قبلنا، ونبأ من بعدنا، وحكم ما بيننا، عند هؤلاء لا يمكن أن نحتكم إليه في المسائل اللغوية، ولو كانت متعلقة بالأصول الشرعية، ألا يكون القرآن حجة حتى في اللغة؟؟ وهل تكون الأشعار التي لا تُعرف ناقلوها، وأحيانا قائلوها، تكون حجة؟؟ والقرآن لا يكون حجة في المسائل اللغوية، فكيف بالمسائل العقدية!!، مع أن الموضوع متعلق بمسألة اعتقادية، وهو تعريف الكلام والمقصود به، وهل هو الذي يتكلم بصوت وحرف، متى شاء، أم هو الذي لا يتكلم بصوت، ولا بحرف، ولا يتكلم إذا شاء!! سبحانك هذا بهتان عظيم.

قال أبو نصر السجزي ﷺ مخاطبا أشعريا، ومبينا أنهم لا يستدلون إلا بعقولهم: «وأنت أبيت أن تقبل ذلك، وادعيت أن الواجب المصير إلى حكم العقل في هذا الباب!!»(٣).

---

(١) منهج الأشاعرة في العقيدة للحوالي ص ٧٧-٧٨، وانظر: تيسير العزيز الحميد شرح كتاب التوحيد ص٣٤٢.

(٢) محصل أفكار المتقدمين والمتأخرين للرازي ص ٢٥٠.

(٣) الدرء ٢/ ٩٢.

ومما يدل أن أهل الكلام لا يقيمون للنصوص الشرعية التي سموها ظواهر وزنا، أنه لما ذكر في القرآن الكريم زيادة إيمان أهل الإيمان، ونقصان إيمان أهل الفسق والطغيان، ـ وطوائف من أهل الكلام لا يقولون بزيادة الإيمان ونقصانه، وبناء عليه لم يلتفتوا إلى النصوص القرآنية والأحاديث النبوية، بل زعموا أن الخلاف لغوي، وأن لكل واحد نصوصا!! يقول الرازي وهو يبين الأقوال في الإيمان: «الإيمان عندنا لا يزيد ولا ينقص...، وعند المعتزلة لما كان اسما لأداء العبادات كان قابلا لهما[1]، وعند السلف لما كان اسما للإقرار والاعتقاد، والعمل فكذلك، **والبحث لغوي، ولكل واحد من الفرق نصوص**»[2].

بل ويؤلف أحدهم كتابا في المسائل العقدية، ولا ترى فيه آية مسوقة للاحتجاج، أو حديثا للاستدلال، فانظر ـ وفقك الله ـ إلى أم البراهين في العقائد!! أو متن الجوهرة، أو متن العقيدة النسفية، أو نور ظلم، أو رسالة التوحيد للباجوري، أو شرح العقائد النسفية للتفتازاني، أو حاشية الدسوقي على أم البراهين...، لتعرف أن ما ذكرته هو الواقع الأليم.

ومما يؤكد عدم اهتمامهم بالقرآن الكريم، وأن اعتمادهم على العقل، هذا الاستفتاح في كتاب أم البراهين،حيث يقول مؤلفه: «الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، **اعلم أن الحكم العقلي** ينحصر في ثلاثة أقسام: الوجوب، والاستحالة، والجواز. فالواجب ما لا يتصور في **العقل** عدمه، والمستحيل ما لا يتصور في **العقل** وجوده، والجائز ما يصح في **العقل** وجوده وعدمه. ويجب على كل مكلف شرعا أن يعرف ما يجب في حق مولانا جل وعز، وما يتسحيل، وما يجوز...»[3]. ثم بدأ بذكر ما يجب لله عقلا!! وما يستحيل عليه عقلا!! وما يجوز عقلا!! وأين الشرع؟؟ وأين

---

(١) وليس الأمر كما زعمه الرازي، فإن الخوارج والمعتزلة لا يرون أن الإيمان يزيد وينقص، ولكنهم يرون أن الأعمال من الإيمان، ومن ترك شيئا من الأعمال الواجبة يكفر، ولهذا كفروا بالكبيرة.

(٢) محصل أفكار المتقدمين والمتأخرين للرازي ص ٢٦٦، وانظر: تحفة المريد للبيجوري ص٥١.

(٣) أم البراهين للسنوسي ص٣، ضمن مجموع أمهات المتون في مختلف الفنون والعلوم، جمع دار الفكر.

نصوص القرآن والسنة؟؟.

ومنهم من يعتقد بأن كلام أهل الكلام في باب العقائد أسد وأتقن من كلام السلف المتبعين للقرآن، بل ويزعمون أنّ الحجة في أقوالهم، «فأما من قال بأن كلام أبي علي وأبي هاشم حجة، وكلام الله ورسوله ليس بحجة، فما أجهله من جاسر، وأجرأه من خاسر، اتخذ الإسلام وراءه ظهريا، وكاد يكون زنديقا دهريا، جعل الدين دبر أذنه، وافتات على الشرع بغير إذنه، أعاذنا الله من الافتراق عن سواء السبيل، واختراق مرامي القرآن بلا دليل»[1].

ومما يدل على عدم اعتمادهم على القرآن الكريم أنهم أهملوا أساس دعوته، إذ القرآن من أساسيات ما فيه الدلالة على توحيد الله ﷻ بالعبادة، وأهل الكلام يغفلون هذا التوحيد، بل ولا يظنونه من مسائل الكلام، ولا يوردونه في كتبهم، حتى وقع كثير منهم في توحيد الألوهية في الشرك والبدعة[2].

فحال أهل الكلام أن يقال لهم: إن ما أثبته الله ﷻ في كتابه، وأثبته له رسوله ﷺ، صار على ذلك السلف، والمتبعون لهم من الخلف. وهؤلاء المتبعون مصيبون لموافقتهم معنى النص ولفظه، وأما أنتم فظننتم هذه الألفاظ دالة على الكفر والتشبيه!! ولهذا أوجبتم التأويل، وأثبتم ما زعمتموه أنه تنـزيه!! من غير موافقة لفظ الكتاب والسنة، ولا موافقة لمعناهما، إلا سيرا على موافقة القواعد الكلامية. فلا ريب أن حال الأولين من السلف خير من حال أهل الكلام، وهذا أحد هؤلاء يقول عن الفريقين، بإنصاف من غير مين: «لا ريب أن حال هؤلاء عند الله خير من حالنا، فإن هؤلاء ـ أي السلف المثبتين لما في الكتاب والسنة ـ إن كانوا مصيبين، فقد نالوا الدرجات العلى، والرضوان الأكبر، وإن كانوا مخطئين؛ فإنهم يقولون: نحن يا رب صدقنا ما دل عليه كتابك، وسنة رسولك، إذ لم تبين لنا بالكتاب والسنة نفي

---

(١) كتاب حجج القرآن لأبي الفضائل أحمد الرازي، ص٥.

(٢) انظر: المعتزلة بين القديم والحديث لمحمد العبده وطارق عبد الحليم ص ٢١-٢٣.

الصفات، كما دل كلامك على إثباتها، فنحن أثبتنا ما دل عليه كلامك، وكلام رسولك؛ فإن كان الحق في خلاف ذلك، فلم يبين الرسول ما يخالف ذلك، ولم يكن خلاف ذلك مما يعلم ببداهة العقول، بل إن قدر أنه حق؛ فلا يعلمه إلا الأفراد، فكيف وعامة المنتهين ـ أي في علم الكلام ـ في خلاف ذلك إلى الغاية، يقرون بالحيرة والارتياب، وإن كنا نحن المصيبين ـ أي: أهل الكلام ـ فإنه يقال لنا: أنتم قلتم شيئا لم آمركم بقوله، وطلبتم علما لم آمركم بطلبه، فالثواب إنما يكون لأهل الطاعة، وأنتم لم تمتثلوا أمري، قال: وإن كنا مخطئين فقد خسرنا خسرانا مبينا»(١).

فأهل الكلام عند التحقيق لا يقبلون الاستدلال بالكتاب والسنة إلا على وفق قولهم(٢)، ومما يؤكد أن أهل الكلام جعلوا القرآن فرعا في باب العقائد، أن منهم من يعتقد بتكافؤ الأدلة ـ الشرعية السمعية منها على وجه الخصوص!! ـ. قال شيخ الإسلام رحمه الله: «ومن صار من أهل الكلام إلى القول بتكافؤ الأدلة، والحيرة؛ فإنما ذلك لفساد استدلاله إما لتقصيره، وإما لفساد دليله، ومن أعظم أسباب ذلك الألفاظ المجملة التي تشتبه معانيها، وهؤلاء الذي يعارضون الكتاب والسنة بأقوالهم، بنوا أمرهم على أصل فاسد، وهو أنهم جعلوا أقوالهم التي ابتدعوها هي الأقوال المحكمة، التي جعلوها أصول دينهم، وجعلوا قول الله ورسوله من المجمل الذي لا يستفاد منه علم ولا هدى!! فجعلوا المتشابه من كلامهم هو المحكم، والمحكم من كلام الله ورسوله هو المتشابه!! كما يجعل الجهمية من المتفلسفة والمعتزلة ونحوهم ما أحدثوه من الأقوال التي نفوا بها صفات الله، ونفوا بها رؤيته في الآخرة، وعلوه على خلقه، وكون القرآن كلام الله، ونحو ذلك، جعلوا تلك الأقوال محكمة!! وجعلوا قول الله ورسوله مؤولا عليها، أو مردودا، أو غير ملتفت إليه، ولا متلقى الهدى منه!!»(٣).

---

(١) المجموع ١٧/ ٧٩-٨٠ نقلا عن أحد أهل الكلام ولم يسمهم، وأقرب حدسي أنه من كلام ابن رشد في مناهج الأدلة؛ فإن له كلاما قريبا من هذا المعنى.

(٢) انظر: التدمرية ص ١٤٨، المجموع ١٩/ ٧٣.

(٣) الدرء ١/ ٢٧٥، ومعلوم أنه قد يرد في كلام الله ﷻ ما هو مجمل أو ظاهر، أو متشابه، ولكن هذا لا يعني

ومما يدل على ضلال أهل البدع، وضلال الفرق ـ المتكلمين منها على وجه الخصوص ـ نفيهم لما أثبته الله ورسوله، فكم يثبت أمر في القرآن والسنة وينفيه هؤلاء؟؟[١].

ومنهم من يقول: إن السلف الصالح لم يكن عندهم علمُ علمِ الكلام، وأن علم المنطق لا بد منه لمجادلة الأنام!![٢] وهذه فرية معلومة البطلان، وقول بلا برهان[٣]، وأهل الكلام أنفسهم معترفون بضلال علم الكلام، وأنه لا فائدة فيه للأنام[٤].

فأهل الكلام يجوزون «خلو كتب الله تعالى وسنن رسله الكرام ـ عليهم الصلاة والسلام ـ عن بيان بعض مهمات الدين اكتفاء بدرك العقول لها!! ولو بالنظر الدقيق، ليكون ثبوتها بعد رسول الله ﷺ بطريق النظر العقلي!! هذا مذهب أهل الكلام»[٥].

ومذهب أهل الأثر من السلف ومتبعيهم من الخلف أن الكتاب والسنة مشتملان على الهدى التام والنور البين في جميع أمور الدين، وعلى وجه الخصوص باب الاعتقادات، والأدلة على ذلك أكثر من أن تحصر، وأشهر من أن تورد، ومنها:

١ - قال الله ﷻ: ﴿قُلْ أَرَءَيْتُم مَّا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَرُونِى مَاذَا خَلَقُوا۟ مِنَ ٱلْأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ ٱئْتُونِى بِكِتَـٰبٍ مِّن قَبْلِ هَـٰذَآ أَوْ أَثَـٰرَةٍ مِّنْ عِلْمٍ إِن كُنتُمْ صَـٰدِقِينَ﴾[الأحقاف:٤] وقال: ﴿وَمَآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَـٰبَ إِلَّا لِتُبَيِّنَ لَهُمُ ٱلَّذِى ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾[النحل:٦٤] «فثبت أن ما خلت عنه كتب الله تعالى فليس من مهمات الدين، وإن زيادته في الدين محرمة، ألا ترى أن رسول الله ﷺ حذر

=
أنه لا يستفاد منه العلم، لأنه قد فسر في مكان آخر، أو بين، أو أن المتشابه يرجع إلى أمر غير متعلق في الاعتقاد، وهذا ليس فيه خروج عن كلام الله ورسوله. انظر: الدرء ٥/ ٢٣٢.

(١) من كلام شيخنا د/ صالح بن سعد السحيمي، في درس الحرم يوم ١٢/ ٢/ ١٤٢٢هـ.

(٢) انظر: شرح العقائد النسفية لسعد التفتازاني ص٥٣.

(٣) انظر: للرد على هذه الفرية الكتب التالية: الحجة في بيان المحجة ١/ ٣٩٣، المجموع ٨/ ١٥٨، ١٦/ ٤٤٢.

(٤) انظر: المجموع ٥/ ١٠، شرح الطحاوية ١/ ٧٠.

(٥) إيثار الحق على الخلق لابن الوزير ص ١٠٣.

أمته من فتنة الدجال[1]... مع أن بطلان دعواه معلوم بالعقل؛ لأنه يدعي الربوبية، وهو بشر يحتاج إلى الأكل والشرب، وينام ويعجز...؛ فلو كان يجوز عليه الإهمال لكان ذلك أحق ما يهمل»[2].

٢- قوله ﷻ: ﴿ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولاً ﴾[الإسراء:١٥]، وقوله: ﴿ رُّسُلاً مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةٌۢ بَعْدَ ٱلرُّسُلِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴾[النساء:١٦٥]. ولو كانت الحجة قائمة على الخلق بالعقل وحده لما كان هناك حاجة في إرسال الرسل، ثم إن الله قطع الحجة عن الخلق ببعثة رسله، وهؤلاء يقولون: لا تقوم الحجة إلا بالبراهين، والمقدمات المنطقية، والآراء الكلامية!!! ومعلوم أن ما قالوه لا يخلو إما أنه ليس من الدين، بل هو زائد عليه ـ وهو الحق ـ؛ فحينئذ لا حاجة إليه، أو أنه من الدين؛ فكيف يجوز على الأنبياء التأخير عن وقت الحاجة، و« قد أجمعت الأمة على أنه لا يجوز تأخير البيان عن وقت الحاجة؛ فكل ما لم يبين من العقائد في عصر النبوة؛ فلا حاجة إلى اعتقاده، ولا الخوض فيه»[3].

٣- أن الله ﷻ أخبر أنه أرسل رسوله بالهدى التام، قال الله ﷻ : ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ ﴾[التوبة:٣٣] وقال عن كتابه: ﴿ الٓر ۚ كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ ٱلنَّاسَ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ ﴾[إبراهيم:١] وقال: ﴿ قَدْ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٌ وَكِتَٰبٌ مُّبِينٌ ﴿١٥﴾ يَهْدِى بِهِ ٱللَّهُ مَنِ ٱتَّبَعَ رِضْوَٰنَهُۥ سُبُلَ ٱلسَّلَٰمِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذْنِهِۦ وَيَهْدِيهِمْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾[المائدة:١٥-١٦] وقال: ﴿ وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا ۚ مَا كُنتَ تَدْرِى مَا ٱلْكِتَٰبُ وَلَا ٱلْإِيمَٰنُ وَلَٰكِن جَعَلْنَٰهُ نُورًا نَّهْدِى بِهِۦ مَن نَّشَآءُ مِنْ عِبَادِنَا ۚ وَإِنَّكَ لَتَهْدِىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٥٢﴾ صِرَٰطِ ٱللَّهِ ٱلَّذِى لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ أَلَآ إِلَى ٱللَّهِ

---

(١) في المطبوع (الرجال).

(٢) إيثار الحق على الخلق لابن الوزير ص ١٠٤-١٠٥.

(٣) إيثار الحق على الخلق لابن الوزير ص ١٠٥.

تَصِيرُ ٱلْأُمُورُ ﴾[الشورى:٥٢-٥٣] وقال:﴿ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ﴾[النحل:٨٩] وقال: ﴿ وَلَٰكِن تَصْدِيقَ ٱلَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾[يوسف:١١١] وأمثال هذه الآيات التي تفيد أن الرسول هدى الخلق، وجاء بالحق، وأنه لم يترك شيئا يقربهم إلى ربهم إلا وأرشدهم وبين لهم، وأن من ضرورياته البيان التام للنور الذي جاء به، وهو القرآن الكريم[١].

أن الله ﷻ أخبر أن سعادة الدنيا والدين مرتبطة بالتمسك بما جاء من الوحي؛ فقال ﷻ : ﴿ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّى هُدًى فَمَن تَبِعَ هُدَاىَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾[البقرة:٣٨] « وإذا كانت سعادة الدنيا والآخرة هي باتباع المرسلين؛ فمن المعلوم أن أحق الناس بذلك هم أعلمهم بآثار المرسلين، وأتبعهم لذلك، فالعالمون بأقوالهم وأفعالهم المتبعون لها هم أهل السعادة في كل زمان ومكان، وهم الملة الناجية من أهل كل ملة، وهم أهل السنة والحديث من هذه الأمة...، وأما غير أتباعه من أهل الكلام؛ فالكلام في أقيستهم التي هي حججهم وبراهينهم على معارفهم وعلومهم، وهذا يدخل فيه كل من خالف شيئا من السنة والحديث من المتكلمين والفلاسفة »[٢].

٥- أن الله ﷻ أكمل الدين؛ فلا يمكن أن يكون قد ترك ما به سعادتهم وهم مطالبون بالإيمان به إلى قيام الساعة، وكيف يكون كتب الله تعالى خلوا من أمر كبير من مهمات الدين العقلية؟؟[٣].

٦- يلزم من هذا القول خلو السلف الأول من كثير من مقدمات عقدية، أو نظريات تأويلية!! ومعلوم أن هذا باطل؛ فدل على انتفاء ذلك[٤]، فهؤلاء عدلوا عن بيان الكتاب والسنة، وأقوال الصحابة، والتابعين لهم بإحسان، واعتمدوا على آرائهم، وعلى ما تؤولوه وفهموه، وهذا طريق أهل البدع[٥].

---

(١) انظر: الدرء ١/ ٢٠٢-٢٠٥، ٥/ ٢٥.

(٢) نقض المنطق ص ٢٤، وانظر منه ص٧١.

(٣) انظر: إيثار الحق على الخلق لابن الوزير ص ١٠٤.

(٤) انظر: إيثار الحق على الخلق لابن الوزير ص ١٠٤.

(٥) انظر: تبيين كذب المفتري ص١٣٧، المجموع ٧/ ١١٨.

٧- أن كتب الله ﷻ لم تخل مما تدركه العقول بل نبهت عليه؛ فكيف يعقل أن تكون خالية مما لا تدركه العقول، وهو باب الإلهيات[١].

٨- أن من لم يقر بكل ما جاء به الرسول ﷺ حتى يعلمه بعقله؛ فقد أشبه الذين قالوا: نؤمن ببعض، ونكفر ببعض، وأشبه الذين قالوا: لن نؤمن حتى نؤتى مثل ما أوتي رسل الله. ومن سلك هذا السبيل فهو في الحقيقة ليس مؤمنا، إذ لا فرق بين أن يأتي النبي بشيء أو لا يأتي؛ لأن الأصل عنده ما أثبته عقله!!! وما خالف عقله؛ فإنه إما أن لا يصدق به، أو أن يؤوله، أو يفوضه، وما يذكر عنده من الكتاب، والسنة، عديم الأثر عنده!![٢].

٩- أن من ظن أن الشرع لا يدل في باب الاعتقاد على الصواب، وأن العقل هو المرشد إلى الوهاب؛ فإنه قد تكلم رجما بالغيب، وذلك أن الله ﷻ غيب عنا، ولا يعلم ما يستحقه ﷻ على وجه الاستقلال بالعقول، ولهذا قال الله تعالى: ﴿ وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ۚ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُوْلَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا ﴾[الإسراء:٣٦]، وقال: ﴿ قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّىَ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَٱلْإِثْمَ وَٱلْبَغْىَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَأَن تُشْرِكُواْ بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَٰنًا وَأَن تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾[الأعراف:٣٣] ، وقال تعالى: ﴿ هَٰٓأَنتُمْ هَٰٓؤُلَآءِ حَٰجَجْتُمْ فِيمَا لَكُم بِهِۦ عِلْمٌ فَلِمَ تُحَآجُّونَ فِيمَا لَيْسَ لَكُم بِهِۦ عِلْمٌ ۚ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾[آل عمران:٦٦].

١٠- أن القول على الله بما يجب له وما يمتنع عليه من غير نظر إلى الأدلة الشرعية يعني الجدال في الحق بعد بيانه بالأدلة الشرعية، وهي محرمة. قال تعالى: ﴿ يُجَٰدِلُونَكَ فِى ٱلْحَقِّ بَعْدَ مَا تَبَيَّنَ ﴾[الأنفال:٦]، وقال تعالى: ﴿ وَمَا نُرْسِلُ ٱلْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ ۚ وَيُجَٰدِلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِٱلْبَٰطِلِ لِيُدْحِضُواْ بِهِ ٱلْحَقَّ ۖ وَٱتَّخَذُوٓاْ ءَايَٰتِى وَمَآ

(١) هذه بعض الوجوه، وقد استفدتها من كتاب: إيثار الحق على الخلق لابن الوزير ص ١٠٣-١١٢، وقد ذكر (١١) وجها، وإنما اكتفيت بما يفي الغرض.

(٢) انظر: شرح الأصبهانية ص٣١.

أُنذِرُواْ هُزُوًا ﴾ [الكهف:٥٦]، « ومن المعلوم أن كل من عارض القرآن، وجادل في ذلك بعقله ورأيه؛ فهو داخل في ذلك، وإن لم يزعم تقديم كلامه على كلام الله ورسوله، بل إذا قال ما يوجب المرية والشك في كلام الله؛ فقد دخل في ذلك؛ فكيف بمن يزعم أن ما يقوله بعقله ورأيه مقدم على نصوص الكتاب والسنة؟! »(١).

١١- أن غاية ما يصل إليه المتكلمون هي معارضة الكتاب والسنة بالأقوال المزعومة، ومعلوم أنه لا يجوز أن يعارض الكتاب والسنة بالأقوال، « فالدليل الشرعي لا يجوز أن يعارضه دليل غير شرعي، ويكون مقدَّما عليه!! بل هذا بمنزلة من يقول: إن البدعة التي لم يشرعها الله تعالى تكون مقدمة على الشرعة التي أمر الله بها!! أو يقول: الكذب مقدم على الصدق!! أو يقول: خبر غير النبي ﷺ يكون مقدما على خبر النبي!! أو يقول: ما نهى عنه الله يكون خيرا مما أمر الله به، ونحو ذلك. وهذا كله ممتنع »(٢).

١٢- أن ما يذكرونه من التأويلات في الآيات هو بنص قولهم مخالف لما عليه السلف؛ فهؤلاء يقولون: « مذهب السلف أن هذه الآيات والأحاديث الواردة في الصفات لا تتأول، و المتكلمون يريدون تأويلها!! إما وجوبا أو جوازا، ويذكرون الخلاف بين السلف وبين أصحابهم المتكلمين!! هذا منطوق ألسنتهم، ومسطور كتبهم(٣)، **أفلا عاقل يعتبر؟ ومغرور يزدجر؟ إنّ السلف** ثبت عنهم ذلك حتى بتصريح المخالف، ثم يحدث مقالة تخرج عنهم، أليس هذا صريحا: أن السلف كانوا ضالين عن التوحيد والتنزيه، وعلمه المتأخرون؟! وهذا فاسد بضرورة العلم الصحيح، والدين المتين »(٤).

١٣- أن المتكلمين أنفسهم مختلفون في التأويل؛ فأي التأويلات هي الراجحة؟ وأيها الواجبة؟ وأيها الباطلة؟ ولهذا تجد منهم من يرجع إلى طريقة السلف، وينصر مذهب السلف؛ فلا يثبتون على دين واحد، وتغلب عليهم الشكوك، فهم في شك في

---

(١) الدرء ٥/ ٢٠٦.

(٢) الدرء ١/ ٢٠٠.

(٣) انظر: الفواكه الدواني ١/ ٥١.

(٤) المجموع ٤/ ١٥٦، وانظر: نقض المنطق ص١٢٣.

تأويلهم، وفي شك في تفويضهم، وفي شك في مخالفتهم للسلف، وهذه عادة الله فيمن خالف الوحي[(١)]؛ فصار حالهم كما قيل:

قل للمُحِلِّيـن قد قرت عيونكم ... بفرقـة القوم والبغضاء والهـرب

كنـا أناسـا عـلى ديـن فَفَرَّقنـا ... فرع الكلامِ، وخلط الجد باللعب

ما كان أغنى رجالا ضل سعيهم ... عن الجدال وأغناهم عن الخطب[(٢)]

١٤- **أن أهل البدع جميعهم يدندنون حول شبهة واحدة هي التنـزيه!!** وهذا مقصد حسن، ولكن الطريق إليه لا بد أن يكون شرعيا، لا بدعيا، فتنـزيه الله ﷻ لا بد أن يكون بما نزه به نفسه، لا بما يمكن قياسه على المخلوقين مما يزعمون أن فيه تشابها؛ فالواجب نفيه!!، ولهذا تجدهم على اختلاف مللهم ونحلهم يذكرون ما ذكره أوائلهم من حجة التنـزيه، وذلك لأنهم ظنوا التشبيه ففروا إلى النفي وصولا إلى التنـزيه!! ومطالعة واحدة لكتـاب نقض عثمان بن سعيد الدارمي علـى بشر المريسي يريـك أن شبهة المتـأخرين كابن فورك، والرازي، والجبائي، وابن عقيل، والغزالي... مأخوذة من الأول[(٣)].

١٥- أنّه يلزم من قول أهل الكلام في وجوب اتباع العقل أن إرسال الرسل وإنزال الكتب لا حاجة فيه، وأن «حقيقة الأمر على ما يقوله هؤلاء: إنكم يا معشر العباد لا تطلبوا معرفة الله، وما يستحقه من الصفات لا من الكتاب، ولا من السنة، ولا من طريق سلف الأمة، ولكن انظروا فيها وجدتموه مستحقا له من الصفات في عقولكم فصفوه به، سواء كان موجودا في الكتاب والسنة أو لم يكن، وما لم تجدوه مستحقا له في عقولكم فلا تصفوه به!!»[(٤)].

١٦- ومما يدل على وجوب الرجوع إلى الكتاب والسنة أن فيهما كثيرًا من الأدلة

---

(١) انظر: المجموع ٤/ ١٥٧، نقض المنطق ص ١٢٣.

(٢) البيان والتبيين للجاحظ ١/ ٢٥، وهو من أبيات لزيد بن جندب الإيادي الخارجي.

(٣) وانظر: المجموع ٥/ ٢٣، أقاويل الثقات ص ٢٣٢، المقدمة لابن خلدون ص ٨٣١.

(٤) أقاويل الثقات ص ٢٢٨، من كلام شيخ الإسلام ابن تيمية ﵀، وهو بنحوه في المجموع ٥/ ١٦وما بعدها.

العقلية الصحيحة الصريحة ذات المقدمات المسلمة والنتائج المؤكدة[(١)].

فإذا كان أهل التصوف لا يعتمدون على القرآن؛ فإن أهل الكلام مثلهم، وإنما اختلفت مصادرهم؛ «فمنهم من يحيل على القياس، ومنهم من يحيل على الكشف، وكل من الطريقتين: فيها من الاضطراب والاختلاف ما لا ينضبط، وليست واحدة منها تحصل المقصود بدون الطريق النبوية، والطريق النبوية تحصل الإيمان النافع في الآخرة بدون ذلك، ثم إن حصل قياس أو كشف يوافق ما أخبر به الرسول كان حسنا، مع أن القرآن، قد نبه على الطرق الاعتبارية التي بها يستدل»[(٢)].

وختاما، فإني أذكر بأن أهل البدع جميعا اختلفت أقوالهم في إثبات الكلام لله ﷻ، ولهذا اختلفت أقوالهم في الاحتجاج به، فلما كان قولهم في التنـزيل غير صحيح؛ كانت أقوالهم غير صحيحه؛ فهم لا يقرون بأن الموجود في المصحف هو كلام الله ﷻ حقيقة، وإنما يطلقون العبارات، تلبيسا للعامة، وقد يذكرون الآيات، ولكن ليغروا الناس أنهم يحتجون بالقرآن، وحقيقة قولهم: أنه لا كلام لله حقيقة في الأرض[(٣)]، ولهذا لم يحتجوا به، ولم يحفظوه، ويتبين عدم حفظهم للقرآن الكريم في المبحث التالي.

---

(١) وقد سبق أن ذكرت طرفا مما دل عليه القرآن من الأدلة العقلية في الفصل الثاني من الباب الثالث.

(٢) شرح الأصبهانية ص٢٨، وانظر: النبوات ص٧٥، المجموع ٥/ ٢٨.

(٣) انظر: الانتصار في الرد على المعتزلة القدرية الأشرار للعمراني ٢/ ٣٧٤-٣٧٥.

المبحث الرابع: بيان عدم حفظهم للقرآن

كثير من أهل الكلام يشتغلون عن القرآن بما لا فائدة يعود فيها على الإنسان، بل ربما جر له الوبال والخسران. وهذا حال أهل الكلام، فهم لا يعرفون شناعة معتقداتهم، ولا يظهر لهم سوء آرائهم إلا إذا أشرفوا على الموت، وقربوا من الفوت، فيعلمون حينئذ أن الحق في اتباع الكتاب والسنة عقيدة ومنهجا، وسلوكا وعملا، ولهذا يوصون ذويهم وتلاميذهم بلزوم الكتاب والسنة، والاشتغال بهما عن طرق البدعة، يقول الرازي في وصيته: «فاعلموا أني كنت رجلا محبا للعلم فكنت أكتب في كل شيء لأقف على كميته، كيفيته، سواء كان حقا أو باطلا!!!...، **ولقد اختبرت الطرق الكلامية والمناهج الفلسفية، فما رأيت فيها فائدة تساوي الفائدة التي وجدتها في القرآن**؛ لأنه يسعى في تسليم العظمة والجلال لله، ويمنع عن التعمق في إيراد المعارضات والمناقضات، وما ذاك إلا للعلم بأن العقول البشرية تتلاشى في تلك المضايق العميقة والمناهج الخفية، فلهذا أقول: كل ما ثبت بالدلائل الظاهرة...، فذلك الذي أقول به. وألقى الله به، وأما ما ينتهي الأمر فيه إلى الدقة والغموض، وكل ما ورد في القرآن والصحاح، المتعين للمعنى الواحد فهو كما قال...، **وأقول: ديني متابعة الرسول محمد ﷺ، وكتابي القرآن العظيم، وتعويلي في طلب الدين عليهما**»[(١)]. وهذا يدل على أن ما كان منهم - رحمهم الله - من اشتغال بعلم الكلام، عن علم القرآن والسنة، إنما كان ذلك إما غفلة، أو تعمقا، أو جهلا، أو تقليدا، ثم كان آخر أمر

---

(١) طبقات الشافعية الكبرى ٨/ ٩١، وانظر: مقدمة محقق المباحث المشرقية للرازي ١/ ٥٤-٥٥، الروض الباسم في الذب عن سنة أبي القاسم لابن الوزير ٢/ ٢٤٨.

بعضهم اتباع القرآن رسما ومعنى[١].

وقريب من هذا ما ذكره الرازي من أبيات تدل على عدم اشتغالهم بالقرآن والسنة، وأنهم مشغولون بالكلام، فيقول:

نهاية إقدام العقول عقال وأكثر سعي العالمين ضلال
وأرواحنا في وحشة من جسومنا وحاصل دنيانا أذى ووبال
ولم نستفد من بحثنا طول عمرنا سوى أن جمعنا فيه قيل وقالوا[٢]

فهذا إمام من أئمة المتكلمين يبين أنه طولَ عمرِهِ لم ينشغل بعلوم القرآن والسنة، بل بالقيل والقال، وهو حقيقة علم الكلام في الحال والمآل.

ويقول مثل ذلك صاحب نهاية الأقدام:

لقد طفت في تلك المعاهد كلها وسيرت طرفي بين تلك المعالم
فلم أر إلا واضعا كف حائر على ذقن أو قارعا سن نادم[٣]

فهذا كلام سلاطين أئمة المعارف العقلية، المنتسبين إلى العلوم الجدلية، وهم قد طافوا المعاهد كلها، إلا معهد الكتاب والسنة على فهم سلف الأمة، وهذا إقرار منهم ببعدهم عن القرآن، وبانشغالهم عنه بكتبهم ومقالاتهم.

قال شيخ الإسلام ﵀: «كان هؤلاء المعرضون عن الكتاب، المعارضون له سوفسطائية، منتهاهم السفسطة في العقليات، والقرمطة في السمعيات، يتأولون كلام الله وكلام رسوله بتأويلات يعلم بالاضطرار أن الله ورسوله لم يردها بكلامه، وينتهون في أدلتهم العقلية إلى ما يعلم فساده بالحس والضرورة العقلية، ثم إن فضلاؤهم يتفطنون لما بهم من ذلك؛ فيصيرون في الشك والحيرة والارتياب، وهذا منتهى كل من عارض نصوص الكتاب»[٤].

---

(١) انظر: المعتزلة بين القديم والحديث لمحمد العبده وطارق عبد الحليم ص ٤١.

(٢) طبقات الشافعية ٨/ ٩٦. وانظر: مقدمة المباحث المشرقية ١/ ٢٨.

(٣) نهاية الأقدام في علم الكلام ص٣، وانظر: إيثار الحق لابن الوزير ص ١٣.

(٤) الدرء ٥/ ٢٥٦.

ومما يدل أن أهل الكلام يحفظون كتب أئمتهم، ولا يهتمون بحفظ كتاب الله ﷻ، ولا بحفظ سنة رسول الله ﷺ قلة الحديث والآثار في مصنفاتهم، وعدم تفريقهم بين ما صح عن الرسول ﷺ وما لم يصح؛ فضلا عن جهلهم بآثار السلف.

وأهل الكلام آثروا «كلام الناس وعلومهم على القرآن والسنة؛ فلولا أنه شانئ لما جاء به الرسول ﷺ ما فعل ذلك، حتى إن بعضهم لينسى القرآن بعد أن حفظه، ويشتغل بقول فلان، وفلان»[(١)].

ومما يدل على عدم حفظهم للقرآن مخالفاتهم الصريحة له، وذلك لعدم استحضارهم للآيات، وقولهم في المسائل بالعقول والتوهمات[(٢)].

قال شيخ الإسلام رحمه الله: «بل كثير منهم لا يحفظون القرآن أصلا؛ فمن لا يحفظ القرآن ولا يعرف معانيه، ولا يعرف الحديث ولا معانيه، من أين يكون عارفا بالحقائق المأخوذة عن الرسول!! وإذا تدبر العاقل وجد الطوائف كلها كلما كانت الطائفة إلى الله ورسوله أقرب كانت بالقرآن والحديث أعرف، وأعظم عناية. وإذا كانت عن الله وعن رسوله أبعد، كانت عنهما أنأى، حتى تجد في أئمة علماء هؤلاء من لا يميز بين القرآن وغيره، بل ربما ذكرت عنده آية؛ فقال: لا نسلم صحة الحديث، وربما قال: لقوله عليه السلام كذا، وتكون آية من كتاب الله، وقد بلغنا من ذلك عجائب، وما لم يبلغنا أكثر[(٣)]، وحدثني ثقة أنه تولى مدرسة مشهد الحسين بمصر بعض أئمة المتكلمين رجل يسمى: شمس الدين الأصبهاني شيخ الأيكي؛ فأعطوه جزءا من الربعة فقرأ: بسم الله الرحمن الرحيم: أَلْـمَصْ، حتى قيل له: ألف لام ميم صاد!!، فتأمل هذه الحكومة العادلة[(٤)] ليتبين لك أن الذين يعيبون أهل الحديث ويعدلون عن مذهبهم جهلة

---

(١) المجموع ١٦/ ٥٢٧.

(٢) انظر: المجموع ٤/ ١٥٦.

(٣) انظر: تلبيس إبليس لابن الجوزي ص ١٣١.

(٤) قال المحقق: لعل الصواب (الحكاية الغريبة)، والصواب ما أثبته، وهو الذي في المخطوط، انظر: مخطوطة نقض المنطق لوحة ٢٣٣/ ب السطر ٧، وهو كذلك في المجموع ٤/ ٩٤.

زنادقة، منافقون بلا ريب»[1].

ولما كان حال أهل الكلام تقديم العقول على النقول أنتجوا فكرا رهيبا، وأورثوا مذهبا رديئا، وهو العمل بالعقل، وبمقتضى العقل، دون النظر إلى النقل، وهذا الذي كان نواة للعقلانيين المعاصرين، والمسمين أنفسهم بالقرآنيين أيضا، وأبين حالهم في الفصل التالي.

(١) نقض المنطق ص٨٢.

الفصل السادس

منزلة القرآن الكريم عند بعض المعاصرين
(العقلانيين ومنكري السنة "القرآنيين")

وفيه مبحثان:

المبحث الأول: العقلانيون.

المبحث الثاني: منكرو السنة (القرآنيّون).

المبحث الأول: العقلانيون

المطلب الأول: التعريف بالعقلانيين لغة واصطلاحا.

"العقل" لغة، النُّهية، والحجر، وهو ضد الحمق، وقيل العقل هو: العلم، وعليه اقتصر الكثيرون، وعليه فالعقل ضد الجهل، وقيل العقل هو القلب.

والعقل مشتق من العُقل وهو المنع، لمنعه صاحبه مما لا يليق، أو من الـمَعقَل وهو الملجأ، وسمي بذلك لالتجاء صاحبه إليه[١].

فالعقل في اللغة يدور معناه على منع الشيء وحبسه، ومن ذلك العقل: وهو الحابس عن ذميم القول والفعل[٢].

وأما العقلانيون في الاصطلاح:

فقد اختلف الناس في تعريف هذه المدرسة العصرية، هل المؤسس الأول هو جمال الدين الأسد آبادي[٣] أم غيره؟ وأيا كان فإن العقلانية الحديثة بدأت ونشأت في مصر، على يد جمال الدين وتلميذه محمد عبده[٤]، ثم انتشرت في الآفاق بعد التفتح

(١) انظر: المفردات للراغب الأصبهاني ص٣٤٥، المصباح المنير للفيومي ص٤٢٣، مختار الصحاح ص٤٤٦.

(٢) انظر: مقاييس اللغة لابن فارس ص ٦٧٢.

(٣) جمال الدين بن صفدر الحسيني الأسد الآبادي، وقد اختلف المؤرخون حوله هل هو أفغاني أم إيراني، وذلك لما كان يتمتع به الرجل من دهاء وتخفٍّ، حتى قيل إنه من رجال الماسونية، وصرح بهذا بعض الكتاب. وأيا كان فهو ممن أشهرهم الاستعمار، وكان منابذا للخلافة الإسلامية في الأستانة، وقد سكن في مصر في خانة اليهود، وقيل: إنه كان رافضيا مازندرانيا متفلسفا، توفي سنة ١٨٩٧م. انظر: العصرانيون بين مزاعم التجديد وميادين التغريب ص ٣٤ وما بعدها، القرآنيون وشبهاتهم حول السنة لخادم حسين بخش ص ١١٤.

(٤) محمد عبده بن حسن خير الله، تعلم في الأزهر، وتتلمذ على يد جمال الدين الأفغاني، وصار مفتيا لمصر،

الغربي على البلاد الإسلامية والغزو الفكري.

وقد اختلف الناس في تعريف "العقلانيين" بحسب اختلافهم في مشاربهم ومناهجهم، والذي يهمنا هو تعريف هؤلاء المعاصرين الذين يمجدون العقل ويعظمونه.

ويمكن تعريف العقلانيين بأنهم: الذين جعلوا العقل المصدر الأول أو الأساس للمعرفة في الدين وغيره، وجعلوه حاكما على جميع الأمور، ومن ذلك الوحي[(١)].

فالعقل عند هؤلاءِ الذين يسمون أنفسهم بالعقلانيين، ويسمون غيرهم بالسطحيين[(٢)] أساسُ كل شيء.

والعقلانيون الذين يمجدون العقل صنفان:

الصنف الأول: المتكلمون من الفلاسفة والجهمية والمعتزلة، ومن تبعهم كالرافضة في بعض طرق استدلالاتهم العقلية، وكالأشاعرة والماتريدية، ونحوهم.

الصنف الثاني: أصحاب الاتجاهات العقلية المعاصرة[(٣)].

فالمدرسة العقلية تسير مع اتجاه تمجيد العقل واعتماد أحكامه، سواء وافق الدين أم خالفه، فالمحكِّم في هذا الاتجاه هو العقل، وهو ناشئ من المذاهب الفلسفية والمناهج الكلامية. **وقد اختلفوا فيما بينهم لاختلاف العقل الذي يكون هو المحكِّم على الدين، ولكن يجمعهم أمر واحد، وهو تمجيد العقل، ولو خالف النص.**

= وكان الأب الروحي للمدرسة العصرية العقلية، ونبذ التقليد في كل شيء، ومجد العقل، وهو بهذا يفهم القرآن حسب رأيه وعقله، توفي سنة ١٣٢٣هـ. انظر: العصرانيون بين مزاعم التجديد وميادين التغريب ص ٣٧ وما بعدها، القرآنيون وشبهاتهم حول السنة لخادم حسين بخش ص ١١٤ وما بعدها.

(١) انظر: الاتجاهات العقلانية الحديثة د.ناصر العقل ص١٥، ١٦، العصرانيون بين مزاعم التجديد وميادين التغريب ص٤٠.

(٢) وهذا كقول أوائلهم من المعتزلة وغيرهم الذين كانوا يسمون أهل الحديث بالحشويين، وهؤلاء كأولئك، وإنما غيروا الاصطلاحات، حتى تنتشر مقالاتهم بين الفئات.

(٣) انظر: الاتجاهات العقلانية الحديثة د.ناصر العقل ص ١٧. وهذا التقسيم إنما هو بالنسبة إلى العهد الزمني، وإلا فإن أولئك العقلانيين هم من وضعوا نواة العقلانية الحديثة.

وأدخل هؤلاء عقولهم حتى في الأمور الغيبية التي لا تدرك بالحواس، ولا تعلم بالتجارب والشواهد والمساس.

ومن أهم رموز هذه المدرسة: المعتزلة، وغيرهم من أهل الكلام. ومن المعاصرين المدرسة المعروفة باسم مدرسة جمال الدين الأفغاني، ومن تبعه وصار على دربه، ومنهم محمد عبده، وأبو الأعلى المودودي، و... كل ذلك بحجة أن الدين شهد للعقل بالتمجيد، وشهد له بالأهمية.

والمعتزلة الذين عرفوا بتقديس العقل، وتقديمه على القرآن والسنة، بحجة الظنية قد وجدت لها وراثا، فإن أفكارها موجودة في بطون كتبهم، وتبنى هذه الأفكار فئام من الناس(١)، بل إن كثيرا من المعاصرين يتحسرون على عدم وجود مدرسة اعتزالية!!(٢).

فمن العقلانيين أهل الكلام، ولهم مع القرآن شأن قد مضى ذكره. وهم أيضا لا يقبلون من الشرع إلا ما وافق عقولهم، ومن جملة ذلك الأحاديث؛ فإنهم لا يقبلون منها إلا ما وافق قواعدهم، وإلا ردّوها بحجة أنها من أخبار الآحاد، أو بالطعن في رواتها، وغير ذلك من الوسائل المستبشعة!(٣).

ومما ساعد على نشر هذه المدرسة العقلية العصرية الاستعمار الإنكليزي، وتسمية العلوم التجريبية علوما دون العلوم الشرعية، مما كان سببا في تهافت الناس عليها دون العلم الشرعي، وظنهم أن العلوم الشرعية إنما هي من التراث الماضي فحسب(٤).

وكثير من المنتسبين إلى العلمانية في هذا العصر ممن يتدينون بالإسلام في الشعائر الظاهرة هم من العقلانيين، الذين يقرون بالشرع، ويقصرون في بعض النواحي لظنهم أن الشرع لم يدل عليه، كظن المتكلمين أن الشرع لم يدل على المسائل الاعتقادية بطريق القطع

---

(١) انظر: المعتزلة بين القديم والحديث لمحمد العبده وطارق عبد الحليم ص ١٢٩، العصرانيون بين مزاعم التجديد وميادين التغريب ص ٥٩ وما بعدها، ص ٢٠٤، ٣٦٧.

(٢) انظر: المعتزلة بين القديم والحديث لمحمد العبده وطارق عبد الحليم ص ١٣١ وما بعدها.

(٣) انظر: المعتزلة بين القديم والحديث لمحمد العبده وطارق عبد الحليم ص ٨٤ وما بعدها.

(٤) انظر: كواشف زيوف في المذاهب الفكرية المعاصرة، لعبد الرحمن حبنكة ص ١٧١.

والبرهان!!، ولهذا تجد بين أهل البدع وهؤلاء العقلانيين والحداثيين تآزر وتآلف[(١)].

والعقلانيون المعاصرون يريدون تسييس الدين وتغييره بحسب المناهج العقلية المتغيرة في هذه العصور، ولذلك تجد منهم ميلا كبيرا إلى التراث الغربي، والغض من شأن السلف، وعدم الإلتفات إليهم[(٢)].

وبحجة وجود التناقض بيع العقل والدين، فالمقدم إذًا هو العقل الذي أوصلنا إلى الدين!!! ومما يظنونه من التناقض ما هو موجود من بعض التناقضات التفسيرية لبعض النصوص القرآنية والنبوية من علماء الإسلام بحسب الاجتهادات ومراتب العلم في شرح النصوص الواردات، «مع أنه لا يوجد في الإسلام نص أو تفسير أجمع عليه علماء المسلمين، مما يخالف قضية عقلية مقطوعا بها»[(٣)]. وما وجد مما يخالف العقل فهو إما غير ثابت نصا، أو هو غير مراد شرعا، وإن فهمه بعض أهل العلم، وأما «الوحي: الذي هو منحة من الله لعباده عن طريق النبوة، فهو طريق من طرق المعرفة الصحيحة، وهو يقدم شهادة بالحقيقة عن الشيء أو الأمر الذي أخبر عنه، ومتى كان الخبر عن الوحي خبرا مقطوعا به فإنه لا يمكن بحال من الأحوال أن يتناقض مع اليقين الذي توصَّل إليه الوسائل الإنسانية الحسية أو العقلية، أو الخبرية»[(٤)].

وقد نص القرآن والسنة على أهمية العلم، فكيف يكون بينه وبينه مناقضة؟! ولكنها الأهواء والجهل بما جاء به الأنبياء، وهم يظهرون الموقف المتردد في كل ما يخالف عقولهم خصوصا السنن النبوية، وأما الآيات القرآنية فإنهم يظهرون نحوها شيئا من التعظيم، ولكنه عند الحقيقة ليس من التكريم. وهذا ما أبينه في المطلب التالي.

---

(١) انظر: قمع الدجاجلة ص١١.

(٢) انظر: العصرانيون بين مزاعم التجديد وميادين التغريب ص ٦٢، ٢١٨.

(٣) كواشف زيوف في المذاهب الفكرية المعاصرة، لعبد الرحمن حبنكة ص ١٧٢-١٧٣.

(٤) كواشف زيوف في المذاهب الفكرية المعاصرة، لعبد الرحمن حبنكة ص ١٧٧.

المطلب الثاني: منزلة القرآن الكريم عند العقلانيين.

إن الحقيقة التي يجب أن يعرفها كل منتسب إلى الإسلام أن الدين لا يمكن معرفته معرفة تامة إلا بالكتاب والسنة، والتفريق بينهما تفريق بين المتامثلات في الحكم، وتناقض في الظاهر، إذ هذا وحي جلي، والسنة وحي خفي، فـ «أحكام الدين كلها من القرآن والسنن، لا تخلو من أحد وجهين لا ثالث لهما: إما وحي مثبت في المصحف، وهو القرآن، وإما وحي غير مثبت في المصحف، وهو بيان رسول الله ﷺ»[١]، ولكن لما كان رد القرآن شنيعا، لجأت طائفة إلى رد السنة، ثم فسروا القرآن على مراداتهم، ولم يبالوا بما ورد في الآثار مما خالف إيراداتهم، بل وربما تجد منهم من يقول: إن القرآن الكريم هو المصدر الأول للتشريع، ويعنون بذلك نبذ السنة، وفصلها عن الشريعة[٢].

وإن من أوائل الذين عرفوا بتقديس العقل هم الجهمية وأفراخهم من المعتزلة وغيرهم من أهل الكلام؛ فإنهم جعلوا النصوص سواء كان قرآنا أو سنة تابعين للعقل؛ فما شهد به عقولهم قبلوه، وما خالف عقولهم ردوه. وأما ما كان ثابتا بالتواتر ونحوه أولوه[٣]، وقد ذكرت موقف أهل الكلام من تعظيم القرآن الكريم، وأنهم لا يحتجون به في مسائل الاعتقاد[٤]، وإن طلبوا التحاكم إليه فذلك عندهم المقصود به الفقهيات، وهو الحال الآن في كثير من الجماعات المعاصرة المتأثرة بالفكر الاعتزالي[٥].

والعلمانيون من العقلانيين كثير منهم يظن أن القرآن لا يصلح أن يعمل به في أمور السياسة!! وهذا يعني فصل الدين عن الدولة، ويظنون أن العقول البشرية تدل

---

(١) الإحكام في أصول الأحكام لابن حزم ١/ ٥٥٠.

(٢) انظر: العصرانيون بين مزاعم التجديد وميادين التغريب ص ٤٣، ٧٩.

(٣) انظر: مصادر التلقي للقفاري ص١٦٠.

(٤) انظر: الفصل الخامس من هذا الباب.

(٥) انظر: الحكم بما أنزل الله لسعد الحصين ص٦.

على أفضل السياسات الدولية. وأما الشرع فهي في هذه الأمور نتاج أفكار الفقهاء، وأن الشرع لم يأت بهذه المسائل!! و« يصرح بعض العصرانيين بحقيقة دعوتهم في الحكم، وفصل الشريعة عن قضايا المجتمع السياسية والاقتصادية والاجتماعية، ويدعون إلى علمانية مصبوغة بمفهومهم عن الإسلام »(١). يقول د. محمد عمارة: « إن للدين مفاهيم عليا، ومثلا عليا، ثم للناس أن يحددوا ويشرعوا ويطوروا حياتهم وفق المصلحة بعد ذلك!! »(٢). فليحذر المسلم « من المشارع المطروقة بالآراء الفاسدة، الخارجة في المعنى على الشريعة، مذعنة بلسان حالها أن الشرع ناقص يحتاج إلى ما يتم به!! »(٣).

وهؤلاء العقلانيون أتوا بما يخالف صريح القرآن بحجة العصرانية، ونبذهم للسنن النبوية، وهم في الظاهر يدعون أنهم معظمون للقرآن، ولكن يظهر من خلال هذا المطلب أنهم غير معظمين له؛ **ويدل على عدم تعظيمهم للقرآن الكريم ـ وإن ادعوا تعظيمه ـ أمور منها:**

١- أن المسلمين وإلى العهد الحديث كانوا معظمين من حيث المدارس والمناهج للقرآن والسنة، أعني المنتسبين إلى السنة ـ بالمعنى العام ـ، حتى جاء هذا العصر وظهر فيه الأفكار الجديدة، ومن اعتقادات هذه المدرسة إنكار الجن والملائكة والشيطان!! وهذه كلها ثابتة بالقرآن الكريم فكيف يكون هؤلاء إذا معظمين للقرآن الكريم!!؟ بل إن هذه الأمور معلومة من الدين بالضرورة، وثبتت بها السنة المتواترة والإجماع(٤).

٢- أنه قد ثبتت المعجزات للأنبياء، في عدة آيات من كتاب الله ﷻ، وهؤلاء العقلانيون بل والمنتسبين إلى العلم الشرعي قد ارتكزت فكرة إنكار معجزات الأنبياء

(١) العصرانيون بين مزاعم التجديد وميادين التغريب ص ٢٧٩، ٢٨١، وذكر بعض هؤلاء، ومنهم: د/ حسن حنفي، و د. محمد عمارة، و محمد سعيد العشماوي.

(٢) المعتزلة وأصول الحكم له ص٢٩٥ نقلا عن كتاب: العصرانيون بين مزاعم التجديد وميادين التغريب ص ٢٨٠.

(٣) صيد الخاطر لابن الجوزي ص٦٠.

(٤) انظر: موقف العقل والعلم والعالم ١/ ٣٤٦.

في قلوبهم، وفيهم من تولى المشيخة... حتى شجع هذا الاستخفاف الموروث بنصوص الكتاب والسنة بعضا منهم على إنكار رفع عيسى إلى السماء، المنصوص عليه في القرآن ونزوله في آخر الزمان، المذكور في ستين حديثا، رواها ثلاثون صحابيا...[(١)]. كما شجعت مقررات بعضهم في المغيبات إلى نفي وجود الشيطان... وأصبح إنكار الخوارق عادة مألوفة في مصر عند المتعلمين بعد انتشار مبادئ العقلانية الاعتزالية، واعتبارها فيما بينهم، حتى إن معجزة القرآن الخارقة لسنة الكون، ولو بالنظر إلى نزوله من عند الله بواسطة الملك ينكرونها أيضا، أو يلزمهم ويفهم من أقوالهم إنكارها![(٢)].

٣- **أن العقلانيين سواء الأوائل منهم أو الأواخر لا يعظمون القرآن الكريم**، يقول محمد عبده: «اتفق أهل الملة الإسلامية، إلا قليلا ممن لا ينظر إليه، على أنه إذا تعارض العقل والنقل أخذ بما دل عليه العقل، وبقي في النقل طريقان: **طريق التسليم** بصحة المنقول مع الاعتراف بالعجز عن فهمه. **الثانية**: تأويل النقل مع المحافظة على قوانين اللغة، حتى يتفق معناه مع ما أثبته العقل»[(٣)]. فأي تعظيم للقرآن عند هؤلاء إذا كان يعمل فيه بمعوّلين للهدم: إما التفويض، وأنه طلسم لا يعرف معناه، أو التأويل حتى يوافق العقل ـ أعني عقولهم السقيمة ـ!!!.

٤- **منافاة أقوالهم الصريحة للقرآن الكريم**، ومن ذلك قولهم ببدائية الإنسان، وأنه كان عابدا للأوثان، مع أن النصوص صريحة بأن أبانا آدم ﷺ كان نبيا، وكان موحدا[(٤)]، فيقولون: إن من يريد أن «يبحث في الأديان البدائية ليثبت أن الأولين قد عرفوا الحقيقة الكونية الكاملة منزهة عن السخف والغباءة، إنما يبحث عن محال!!»[(٥)].

---

(١) انظر: كتاب قصة المسيح الدجال ونزول عيسى ﷺ وقتله إياه للشيخ الألباني.

(٢) انظر: موقف العقل والعلم والعالم ١/ ٣٤٨.

(٣) الأعمال الكاملة ٣/ ٢٨٢ جمع وتحقيق د. محمد عمارة، نقلا عن كتاب: المعتزلة بين القديم والحديث لمحمد العبده وطارق عبد الحليم ص ١٣١.

(٤) انظر: الاتجاهات العقلانية الحديثة د.ناصر العقل ص ١١٥ وما بعدها.

(٥) الله ـ للعقاد ص١٤.

٥- **إنكارهم لكثير من المغيبات،** مع أنها واردة في القرآن الكريم، وإنما يحاولون تحريفها لتواكب ما هم بصدده من العقلانية التي لا تؤمن بما وراء العقل مما يقوم على التجارب ونحوه!![1]. وهذه الأفكار التي نبغت ووجهت بالإنكار الشديد، فما كان من أصحابها إلا أن أظهروا الهزيمة، ولكنهم بدؤوا بالتشكيك فيها عن طريق التأويل ـ كأساتذتهم أهل الكلام ـ «تأويلا يبعدها عن ظاهر النص؛ فوصفوا بعض القضايا الغيبية برموز وأوصاف هي إلى الإنكار أقرب منها إلى الإثبات، أمثال الشيخ محمد عبده، والدكتور محمد حسين هيكل، والدكتور أحمد أمين...، وغيرهم...؛ فحرفوا ورَدُّوا صريح القرآن، أو صحيح السنة، حتى زعم بعض العلماء المنسوبين للأزهر والدراسات الشرعية أن السنة لا يحتج بها في العقيدة، وإن صحت!!»[2].

٦- **تحريفهم القرآن وتفسيرها تفسيرا ماديا بحتا،** «وكما يخاف أعداء الإسلام من الإسلام، كذلك نجد كثيرين من العقلانيين يخافون من العمل بالسنة، ومن السلفية؛ فللعقلية الحديثة تجاه الوحي عموما تأويلات عدة، تدور كلها على تفسيره تفسيرا ماديا وبشريا، لا يعدو كونه نشاطا من الأنشطة الإنسانية الفردية، وأنه جاء نتيجة تأثيرات روحانية أو قوى عقلية!!...، والعقلية الحديثة أكثر جرأة من القديمة، فالقديمة إنما حاولت التأويل والتحريف والتعطيل لنصوص الوحي دون أن تتجرأ على إنكار نسبته إلى الله...، أما العقلية الحديثة فقد حاولت إنكار نسبة الوحي إلى الله تعالى، أو التشكيك فيه، وإثارة الشبهات حوله»[3]، وهذا الخلل وقع منهم ومن

(١) انظر: موقف العقل والعلم والعالم لمصطفى صبري ١/ ١٨٧. الاتجاهات العقلانية الحديثة د.ناصر العقل ص ١٢٣ وما بعدها.

(٢) الاتجاهات العقلانية الحديثة د.ناصر العقل ص١٢٧، وانظر: العصرانيون بين مزاعم التجديد وميادين التغريب ص ٣٩، ١٣٣، حراسة العقيدة د.ناصر العقل ص٢١.

(٣) الاتجاهات العقلانية الحديثة د.ناصر العقل ص ١٥٨ ـ ١٥٩، وانظر منه ص٣٦١، وانظر: العصرانيون بين مزاعم التجديد وميادين التغريب ص ٤٥، وانظر: موقف الجماعة الإسلامية من الحديث النبوي دراسة نقدية لـ"مسلك الاعتدال" للشيخ المودودي، ودفاع الشيخ الإصلاحي عنه، للعلامة محمد إسماعيل السلفي، تعريب وتقديم وتعليق: صلاح الدين مقبول أحمد؛ فإنه كتاب مهم حول رأي هؤلاء المعاصرين الجدد في القارة الهندية من السنة النبوية المخالفة لأذهانهم الردية.

غيرهم في التفسير بسبب الخلل في تلقي العلم الشرعي القائم على الكتاب والسنة، وفهم سلف الأمة[١].

٧- **زعم بعضهم أنه يمكن إلغاء بعض ما جاء به الشرع بحجة أنه لا يوافق المدنية العصرية!!** وزعموا أن القرآن جاء إنما ليعالج بعض ما كان سائدا، وقد اندثر. وإذا تقدم العلم وتطور فلم يعد القرآن الكريم صالحا للتطبيق في جميع مجالاته!![٢] يقول أحد المعاصرين العقلانيين: «من الحقائق التي يجب التسليم بها أن القرآن الشريف يجب أن يعاد النظر في فهم تعاليمه وتطبيقها من عصر إلى عصر!، بل من جيل إلى جيل! وعلى هذا لا بد من ظهور تفاسير جديدة متمشية مع روح العصر، وتقدم العلم، يؤلفها المطلعون الواعون من المفكرين»[٣]. يقول د.محمد عمارة: «إن الإسلام الدين لم يعترف لبشر بعد الرسول ﷺ بسلطة دينية؛ فلقد انقضى زمن الوحي!! وبلغت الإنسانية سن الرشد، وأوكلها الله إلى وكيله عنها: الكتاب وهو القرآن الكريم، والعقل الذي جعله الله من أجل القوى الإنسانية، بل أجلها على الإطلاق»[٤]. ويقول: «إن كون الشريعة الإسلامية هي خاتمة الشرائع السماوية للبشرية، إنما يعني بلوغ البشرية سن الرشد، بما يعنيه الرشد من رفع وصاية السماء عن البشر!!»[٥]؛ فعلى هذا يفعل العقلاء ما يشاؤون ما دامت الوصاية قد رفعت عنهم لبلوغهم سن الرشد!!؛ فأي تعظيم يكون بعد ذلك للقرآن الكريم، والشرع القويم!؟.

٨- **فصلهم الدين عن الدولة**، وكثير من العقلانيين المعاصرين يرون أنه لا بد

---

(١) انظر: قضايا عقدية معاصرة ص٣٢.

(٢) انظر: الاتجاهات العقلانية الحديثة د.ناصر العقل ص ١٦٠، وانظر منه ص٣٦٤.

(٣) ثورة الإسلام لأحمد زكي ص٣٥.

(٤) الدولة الإسلامية محمد عمارة ص١٧٧، نقلا عن كتاب: العصرانيون بين مزاعم التجديد وميادين التغريب ص ٢٠٥.

(٥) الإسلام وقضايا العصر له ص١٥، نقلا عن كتاب: العصرانيون بين مزاعم التجديد وميادين التغريب ص ٢٠٥.

من فصل الدين عن الدولة، وأن الدين لا يتعدى المحراب[(١)]. ويقولون: دع ما لله لله، وما لقيصر لقيصر!! وهذه مقولة علمانية نصرانية جاهلية أراد المتعقلانيون تطبيقها مع الدين الإسلامي؛ فأي تعظيم يتصور منهم بعد هذا للقرآن الكريم؟؟!.

٩- **تركهم السنة**، بل وطعن شيوخهم المعتزلة في الناقلين لها من الصحابة والأئمة ومن بعدهم، بحجة أنهم بشر[(٢)]. ثم بعد ذلك يفهمون الشرع كما يريدون، وهؤلاء كأولئك، وزادوا أن عصرنا تغير عن عصرهم!! فالعقلانيون تكلموا على بعض الصحابة وعلى وجه الخصوص في حافظ الأمة وعالمها أبي هريرة ﷺ، مع أن السنة هي المصدر المبين للقرآن الكريم ومصدر أساس من مصادر الشريعة الإسلامية، والصحابة ﷺ هم الذين بلغوا لنا الدين[(٣)].

١٠- **ظن كثير من العقلانيين ـ كأشياخهم من الفلاسفة ـ أن القرآن إنما جاء بالتخييل**[(٤)]. ولهذا تجد منهم من يؤلف حول القرآن وأن ما جاء به هو من باب التصوير والتخييل، ويقدم رسالة "دكتوراة" بعنوان: "الفن القصصي في القرآن الكريم"[(٥)]. وهو يرى في هذه الرسالة أمورا هي من الكفر الصريح أقرب، إذ يقول: «القصة القرآنية هي من باب التمثيل وهو ضرب من فنون البيان العربي، يعتمد على الواقع، وعلى العرف والخيال، فلا يلزم في الأشخاص أن يكونوا وجدوا، ولا في الحوار أن يكون قد صدر!!، وإنما يكتفي... بالفرض والخيال...، ،وفيها اللون الأسطوري!! إذ المقصود حقا هو ما في القصة من توجيهات دينية وخلقية!!»[(٦)].

---

(١) انظر: الاتجاهات العقلانية الحديثة د.ناصر العقل ص ٣٩١ وما بعدها.

(٢) انظر: العصرانيون بين مزاعم التجديد وميادين التغريب ص ١٧ .

(٣) انظر: الفرق بين الفرق للبغدادي ص ١٠٧، البرهان في تبرئة أبي هريرة من البهتان لعبد الله بن عبد العزيز الناصر، العصرانيون بين مزاعم التجديد وميادين التغريب ص ٢٢ وما بعدها، ١٣٦.

(٤) انظر: القرآنيون وشبهاتهم حول السنة لخادم حسين بخش ص ١٣٠-١٣٢.

(٥) وهذه الرسالة لمحمد أحمد خلف الله، أطروحة دكتوراة، إشراف أمين الخولي، قدّمت في القاهرة، جمهورية مصر العربية.

(٦) الفن القصصي في القرآن ص١٥٣، ١٧١، بتصرف، نقلا عن كتاب: العصرانيون بين مزاعم التجديد وميادين التغريب ص١٥٨.

وقريب من هذا قول سيد قطب في رسالته المسماة بـ "التصوير الفني في القرآن"[١].

١١- رجوع هؤلاء العقلانيين إلى الكفار في وضع مناهجهم الدراسية والاقتصادية، وفي علاقاتهم الدولية والسياسات. وهذا أكبر دليل على أنهم لم يعظموا القرآن الكريم، بل هو دليل على اعتقاد هؤلاء أن القرآن الكريم لم يأت بالهداية الكاملة، المنشودة للأمة العاملة.

١٢- ومما يدل على عدم تعظيمهم للقرآن الكريم، ما خرجوا به من الآراء الفاسدة في الدين، فكثير من العقلانيين في هذه العصور أنكروا أحكاما من الدين هي معلومة من الدين بالضرورة بحجة عدم ثبوتها في القرآن الكريم؛ ولذلك تجدهم يأتون بأحكام هي عن الشريعة قصية، ومن البدع الغوية. وهذا يدل أنهم حقيقة ليسوا معظمين للقرآن الكريم، **ومن ذلك:** أ ـ تجويزهم للربا إذا كان يسيرا[٢]، وذلك نظرا إلى آية واحدة من كتاب الله ﷻ وترك ما عدا ذلك من الآيات، وعدم الالتفات إلى الأحاديث المتواترات في الربا وتحريمه كثيرا كان أم قليلا. ب ـ رفض عقوبة الرجم للزاني المحصن[٣]، وذلك بحجة عدم ثبوتها في القرآن الكريم؛ مع أنه من الأحاديث المتواترة في الدين. ت ـ إنكارهم المعجزات، بل أنكروا حتى ما ثبت في القرآن الكريم وقالوا: إن المراد بها كيت وكيت، ويذكر محمد عبده في قصة إهلاك أصحاب الفيل أنهم ماتوا بالجدري، أو الحصبة!![٤]، وقريب من هذا التفسير ما سطره المودودي في كتابه "تفهيم القرآن" وهو تفسير بالأردية، حيث زعم أن يأجوج ومأجوج قد يكونون نوع جراثيم!! ث ـ والقرآن الكريم صريح في تجويز زواج الرجل لأربع نسوة إلا أن هناك من يقيد هذا، ولا يراه مع أنه لا يقبل الحديث، ويقول: إنه يقبل القرآن

---

(١) انظر: موقف العقل والعلم والعالم لمصطفى صبري ١/ ٣٢٢، وكتاب نظرات في كتاب التصوير الفني في القرآن الكريم لسيد قطب، تأليف الشيخ د. ربيع بن هادي المدخلي.

(٢) انظر: المعتزلة بين القديم والحديث لمحمد العبده وطارق عبد الحليم ص ١٣٦.

(٣) انظر: المصدر نفسه ص١٣٦.

(٤) انظر: المعتزلة بين القديم والحديث لمحمد العبده وطارق عبد الحليم ص ١٣٧.

الكريم، لكنها الأهواء!![1].

١٣- أن هؤلاء العقلانيين مع قولهم بأنهم يريدون القرآن فقط، إلا أنهم غير معظمين له، فتجد منهم من يعظم الاشتراكية، ويسميها الاشتراكية الإسلامية!! ومنهم من يمجد الديمقراطية ويظنها من التمدن والاستقلالية، وهم ظنوا أن القرآن غير مشتمل للهدى الكامل ـ لعلمهم القاصر فيه ـ ولهذا أعرضوا عنه، أو تركوا ما في القرآن قصدا وإعجابا للتمدن الغربي.

ومعلوم أن القرآن يشتمل على ما فيه سعادة الدنيا والدين، وأنه يجب أن يكون حاكما في دنيا المسلمين ودينهم، والأدلة على ذلك كثيرة، ومنها:

١- قول الله ﷻ: ﴿ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ﴾[النحل:٨٩]، ولا شك أن القرآن مشتمل لسعادة الدنيا والدين، وبين فيه ذلك، ومن جملة ذلك بيانه في الأخذ بالسنة، إذ هي المبينة له، والمفسرة له[2].

٢- قوله تعالى: ﴿ وَمَا مِن دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّا أُمَمٌ أَمْثَالُكُم ۚ مَّا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِن شَيْءٍ ۚ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ ﴾[الأنعام:٣٨] فإذا أخبرنا عن الدواب والطير في هذا الكتاب، وأنها أمم مثلنا؛ فكيف يترك ما فيه سعادة الدنيا والدين، ولهذا قال: «ما فرطنا»، أي لم يقع التفريط في البيان، والتقصير في هداية القرآن، قال الشافعي ﷺ: «وليست تنـزل بأحد في الدين نازلة إلا وفي كتاب الله تعالى الدليل على سبيل الهدى فيها»[3].

٣- أكد العلماء ـ رحمهم الله ـ أن من كان عالما بالكتاب والسنة فإنه غير محتاج إلى شيء آخر وهذا يدل على كمالها، وشمولها لخيري الدنيا والأخرى. قال ابن الأعرابي: «لو أن رجلا لم يكن عنده من العلم إلا المصحف الذي فيه كتاب الله، ثم هذا الكتاب ـ

(١) انظر: المعتزلة بين القديم والحديث لمحمد العبده وطارق عبد الحليم ص ١٣٨

(٢) انظر: الفصل الثاني من الباب الثالث.

(٣) قواطع الأدلة ١/ ٣٢.

يعني سنن أبي داود - لم يحتج إلى شيء من العلم البتة»[1]. فإذا كان الكتاب مع سنن أبي دواد يغني - أي في أغلب الشرع - فكيف لو كان مع الرجل الكتاب والسنة بأجمعها؟.

وبهذا يتبين أن القرآن الكريم مشتمل على سعادة الدنيا والدين، ولكن العقلانيين لم يعظموه حق التعظيم، ولم يفهموه حق الفهم، فجهلوا مراميه، وأبلسوا عن معانيه.

ولما كان هؤلاء العقلانيون معظمين للعقل، منكرين لكثير من السنن؛ فإنهم بهذا قد بذروا بذورا؛ فنتج عن ذلك تولد الفرقة المشهورة بـ "القرآنيين"، وعنهم الحديث في المبحث التالي.

---

(١) السير ١٧/ ٢٦.

المبحث الثاني: منكرو السنة (القرآنيّون)

المطلب الأول: التعريف بهم:

إن كثيرا من الفرق الإسلامية المبتدعة يصح أن يقال عنها: إنها كانت نواة للقرآنيين، فالرافضة بل والشيعة بجميع فرقها لا تقبل من السنة التي رويت عن طريق الصحابة ﷺ، حتى ما في الصحيحين. وهكذا الخوارج، والموجودون منهم في هذا العصر على وجه الخصوص "الإباضية" لا يقبلون ما صح عند أهل السنة من الأحاديث، وهكذا المعتزلة لا يقبلون من السنة إلا ما وافق مذهبهم، وظنوه مؤكدا لمنهجهم[(١)].

فنبذ السنة وإظهار تعظيم القرآن الكريم فقط دعوات ظهرت في بعض الأوقات، تقل وتكثر بحسب ضعف وقوة أهل السنة، وأنكر « كثير من أهل البدع والكلام، والفلسفة لما يعلمه أهل الحديث من الآثار النبوية؛ فإن هؤلاء يقولون: إنها غير معلومة لنا، كما يقول من يقول من الكفار: إن معجزات الأنبياء غير معلومة لنا!! وهذا لكونهم لم يعلموا السبب الموجب للعلم بذلك، والحجة قائمة عليهم سواء تواترت عندهم أم لا »[(٢)].

والخوارج أول من « ابتدعوا ترك العمل بالسنة المخالفة في زعمهم للقرآن »[(٣)].

وهؤلاء الخوارج وإن كانوا في الظاهر معظمين للقرآن لكنهم في الحقيقة غير معظمين

(١) انظر: القرآنيون وشبهاتهم حول السنة لخادم حسين بخش ص ٧٨، ٨٢، ٨٨.

(٢) المجموع ٩/ ١٠٤.

(٣) الرد على البكري ٢/ ٤٨٧، وانظر: المجموع ٣/ ٣٥٥.

له؛ وذلك لأنهم يفهمونه مجردا عن بيان السنة النبوية، وبسبب هذا ضل الخوارج، و« صاروا يتبعون المتشابه من القرآن؛ فيتأولونه على غير معرفة بمعناه، ولا رسوخ في العلم، ولا اتباع للسنة، ولا مراجعة لجماعة المسلمين، الذين يفهمون القرآن»(١).

وإذا كان الخوارج مظهرين لتعظيم القرآن، إلا أن موقفهم من السنة النبوية جلية، إذ يردون ما يظنونه مخالفا لصريح القرآن!! « فهم لا يرون اتباع السنة التي يظنون أنها تخالف القرآن، كالرجم، ونصاب السرقة، وغير ذلك؛ فضلوا...»(٢)، بل صرح البغدادي بأنهم « ردوا جميع السنن التي رواها نقلة الأخبار: لقولهم بتكفير ناقليها»(٣).

فدعوة الاكتفاء بالقرآن دون السنة ليست وليدة اليوم(٤)، فهذا رجل من الجهمية في مناظرة الإمام أحمد رحمه الله يقول منكرا على الإمام أحمد: « أراك تنتحل الحديث وتذكره؟؟ قال الإمام أحمد فقلت له: ما تقول في قول الله: عز وجل ﴿يُوصِيكُمُ ٱللَّهُ فِيٓ أَوۡلَٰدِكُمۡۖ لِلذَّكَرِ مِثۡلُ حَظِّ ٱلۡأُنثَيَيۡنِ﴾[النساء:١١] فقال: خص الله جل جلاله بها المؤمنين. قال: فقلت له: ما تقول إن كان قاتلا، أو عبدا، أو يهوديا، أو نصرانيا؟؟ فسكت»(٥). فالرجل أراد الاحتجاج بالقرآن فقط، فعلمه الإمام أحمد رحمه الله أنه لا يمكن معرفة أحكام القرآن مطلقا بدون السنة، فما ذكره في الآية دليل على ذلك، لأن الآية عامة يدخل تحتها كل هذه الأصناف فيرثون من حيث العموم! ومعلوم عند الخاصة والعامة أن الكافر لا يرث المسلم، وأن القاتل والعبد لا يرثون.

وإن منكري السنة لم يظهروا كمدرسة هكذا فجأة، وإنما هي ميلاد اجتماع وأخلاط لآراء العقلانيين، الذين ظنوا المخالفة بين العقل والشرع المبين، وحاولوا إبعاد النصوص عن ميادين الدنيا والدين، ومن ذلك القرآن الكريم، ولما كان متواترا

---

(١) المجموع ١٣/ ٢١٠.

(٢) المجموع ١٣/ ٢٠٨.

(٣) الفرق بين الفرق للبغدادي ص ٢٥٢.

(٤) انظر: المجموع ١٩/ ٨٦، ٨٩.

(٥) محنة الإمام أحمد للمقدسي ص٩٢، وانظر منه: ص٩٩.

ثبوته، وأن رده كفر صريح، فإنهم زعموا أنهم يعتمدون عليه، وذلك حتى يفسروا آياته حسب مشتهياتهم ومراداتهم، فتركوا لذلك السنة. وهذه فكرة عقلانية قديمة أصبحت ظاهرة في هذا العصر في كثير من العقلانيين إن لم يكن في كلهم.

وإن ولادة الطائفة المنتسبة إلى القرآن لم تأت إلا نتيجة ولادة طبيعية للدعوات العقلانية، ونبذ السنن النبوية منذ عهد المعتزلة الغوية وحتى ظهور المدرسة العقلية الحديثة، خصوصا في القارة الهندية بعد ظهور حركة سيد أحمد خان العقلية[١].

وأما ظهور دعوة باسم "القرآنيين" أو "أهل الذكر والقرآن" فإنما كان على يد محب الحق العظيم آبادي[٢]، وعبد الله جَكروالي[٣]، وكان ظهورهما في زمن متقارب، ومعينهما منبع واحد متحد، وهو الأخذ عن العقلانيين، والإعجاب بالغربيين، غير أن الأول لم يخالف المسلمين في أعمالهم الظاهرة، والثاني خالف المسلمين حتى في الأعمال الظاهرة، بحجة أن القرآن لم يدل عليه، وهكذا بدأت الدعوة، وزادت الشقة[٤]، وبعدت عن المحجة، وإن البدع تبدأ صغارا فتعود كبارا.

وممّا كان له الدور البارز في إظهار هذه الفرقة وتربيتها المستعمر الإنكليزي، حيث كان أحمد خان يدعو إلى إلغاء الجهاد وهكذا العقلانيون السائرون على دربه، وهكذا كان شأن مؤسسي جماعة "القرآنيين"[٥].

---

(١) انظر: القرآنيون وشبهاتهم حول السنة لخادم حسين بخش ص١٩، ٢١.

(٢) وقد ظهرت دعوته في بهار شرقي الهند.

(٣) وقد ظهرت دعوته في غربي الهند بلاهور قبل أن تقسم القارة الهندية، وهو: عبد الله بن عبد الله الجكرالوي نزيل لاهور، أنكر السنة بالكلية، تربى في أسرة علمية ـ صوفية ـ وأخذ العلم في دلهي، وتتلمذ على أهل الحديث، ثم انتكس بعد ذلك وأصبح صاحب دعوة بدعية جديدة، وكان مناظرا جدليا، وله "تفسير القرآن بآيات الفرقان" و"ترجمة القرآن بآيات الفرقان"، وكتب أخرى، وكلها بالأردية، حشاها بالفكر المبتدع، والتأويل المخترع، وبعد نشر بدعياته، كفره كثير من علماء الهند، عام ١٩٠٢م، توفي بعد مرض ألم به سنة ١٩١٤م. انظر: القرآنيون وشبهاتهم حول السنة لخادم حسين بخش ص ٢٥-٣٢.

(٤) انظر: القرآنيون وشبهاتهم حول السنة لخادم حسين بخش ص ٢٠-٢١.

(٥) انظر: القرآنيون وشبهاتهم حول السنة لخادم حسين بخش ص ٢٣.

ومن أسباب ظهور هذه الفرقة اغترار كثير من شباب المسلمين بالحضارة الغربية المدنية، واعتقاد أن سبب تخلفهم هو الإسلام!! فأرادوا الانفلات منه فلم يروا طريقة إلا ترك السنة، وفهم القرآن على ما يريدون، وعلى ما يوافق الحضارة الغربية!!(١).

قال شاعر أهل السنة محذرا منهم ومن طريقتهم:

هذا وبعض المسلمين أعرضوا عن ربهم وحكمه وافترضـوا
قانون ماركــس لهم نظامـا واتهمـوا لذلك الإسـلامـا
قالوا: تأخـر كـذا رجعيـه كذاك قالوا بنـج إقطاعيـة(٢)

ومن تلكم الأسباب سعيهم وراء اتفاق المسلمين، وظنهم البليد أن السنة هي العائقة أمام ذلك؛ فرأوا طرحها. والتمسك بالقرآن!!(٣) مع أن التمسك بالكتاب والسنة على فهم سلف الأمة صمام الأمان من الفرقة والاختلاف(٤). وكذلك ظهر فكر الخوارج في العصر الحديث وذلك بتمويل من الخارج؛ فهم لا يقيمون للسنة وزنا، ويفهمون القرآن بحسب فهومهم القاصرة(٥).

و"القرآنيين" فرق مختلفة، وهم في القارة الهندية منتشرة، ولا يظهرون بما يخالف مظهر المسلمين في أحايين كثيرة، ولكن أفكارهم تنتشر، وصحفهم تطبع، وأقوالهم تدرس في مدارسهم(٦). وإن كانت الفكرة نفسها موجودة عند أفراد من العرب خصوصا في مصر؛ ولكنها ـ ولله الحمد ـ لم يتكون منها مدرسة مشتهرة(٧).

وإنكار السنة النبوية، والتفريق بين ما ثبت عن الرسول ﷺ وما ثبت عن الله ﷻ

---

(١) انظر: القرآنيون وشبهاتهم حول السنة لخادم حسين بخش ص ٢٣.
(٢) صيحة حق في صماخ الباطل للشيخ أحمد بن يحيى النجمي ص٩.
(٣) انظر: القرآنيون وشبهاتهم حول السنة لخادم حسين بخش ص ٢٤، ٢٣٨.
(٤) انظر: قضايا عقدية معاصرة ص٤٦.
(٥) انظر: الخوارج والفكر المتجدد ص٣٧.
(٦) انظر: القرآنيون وشبهاتهم حول السنة لخادم حسين بخش ص ٥٧ وما بعدها.
(٧) انظر: القرآنيون وشبهاتهم حول السنة لخادم حسين بخش ص ١٥٣ وما بعدها، ٢٠٣.

تفريق بين المتماثلات، قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيُرِيدُونَ أَن يُفَرِّقُواْ بَيْنَ ٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَن يَتَّخِذُواْ بَيْنَ ذَٰلِكَ سَبِيلاً ۝ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ حَقًّا ۚ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَٰفِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا ﴾[النساء:١٥٠-١٥١].

وحذر من هذا التفريق بين الوحيين رسولُ الله ﷺ إذ قال: [**يوشك الرجل متكئا على أريكته، يحدَّث بحديثي؛ فيقول: بيننا وبينكم كتاب الله ﷻ ، فما وجدنا فيه من حلال استحللناه، وما وجدنا فيه من حرام حرمناه، ألا وإن ما حرم رسول الله ﷺ مثلُ ما حرم الله**][(١)]. قال الخطابي رحمه الله: «يحذر بذلك مخالفة السنن التي سنها رسول الله ﷺ مما ليس له في القرآن ذكر، على ما ذهب إليه الخوارج والروافض؛ فإنهم تعلقوا بظاهر القرآن، و تركوا السنن التي قد ضمنت بيان الكتاب؛ فتحيروا وضلوا»[(٢)].

ومنكرو السنة أعظم دعواهم وأشهر مقالاتهم إنكار السنة وردها، ودعوى جحود السنة باطلة من أوجه كثيرة، ومنها:

١- لأن من لوازم الإيمان بالرسول قبول ما جاء به، كما قال ﷻ : ﴿ قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ يُحْىِۦ وَيُمِيتُ ۖ فَـَٔامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ ٱلنَّبِىِّ ٱلْأُمِّىِّ ٱلَّذِى يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَكَلِمَٰتِهِۦ وَٱتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴾[الأعراف:١٥٨] قال الشافعي رحمه الله: «فجعل كمال ابتداء الإيمان الذي ما سواه تبع له: الإيمان بالله ثم برسوله»[(٣)].

٢- تنصيص آيات كثيرة على وجوب طاعة الرسول ﷺ[(٤)]. ومن ذلك قوله

(١) رواه أبو داود، في كتاب السنة، باب/ في لزوم السنة، ح(٤٦٠٥)، والترمذي في كتاب العلم، باب/ ما نهي عنه أن يقال: حديث النبي ﷺ، ح(٢٦٦٤) وقال: حديث حسن، و ابن ماجة في المقدمة، باب/ تعظيم حديث رسول الله ﷺ والتغليظ على من عارضه ح(١٢) من رواية المقدام بن معدي كرب رضي الله عنه، وقال الشيخ الألباني عن سند أبي داود: صحيح، كما في تعليقه على المشكاة ١/ ٥٨ ح(١٦٣).

(٢) معالم السنن للخطابي ٣/ ٢٩٨، وانظر: حجة الله البالغة للدهلوي ١/ ١٤.

(٣) الرسالة ص ٧٥ فقرة: ٢٣٩.

(٤) انظر: الإحكام في أصول الأحكام لابن حزم ١/ ٥١٨، المجموع ١/ ٦٧-٦٨.

تعالى: ﴿ وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَٱحْذَرُواْ ۚ فَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّمَا عَلَىٰ رَسُولِنَا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ ﴾[المائدة:٩٢] وقال: ﴿ وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُواْ ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴾[الحشر:٧] **قال الحافظ ابن كثير** ؒ: « أي مهما أمركم به فافعلوا، ومهما نهاكم عنه فاجتنبوه؛ فإنه يأمر بخير، وإنما ينهى عن شر »[١]. والآيات القرآنية كثيرة في الحثّ على طاعة الرسول ﷺ، وتصديقه، واتباعه، والعمل بالائتساء به. وقد بلغت هذه الآيات التي فيها التصريح بوجوب طاعته ﷺ أكثر من ثلاثين آية[٢]، **قال ابن حزم** ؒ: « وأما تكرار الأمر بطاعة رسوله بعد أمره بطاعة نفسه... وإن كل ذلك ليس فيه إلا طاعة ما أمر الله به فقط، لا ما لم يأت به الوحي منه ﷻ؛ فوجه ذلك واضح وهو بيان زائد، لولا مجيئه لالتبس على بعض الناس فهم ذلك الأمر، وذلك أنه لو لم يأمرنا الله تعالى إلا على الأمر بطاعته فقط، **لتوهم بعض الجهال أنه لا يلزمنا إلا ما قاله تعالى في القرآن فقط، وأنه لا يلزمنا طاعة رسوله ﷺ فيما جاءنا به مما ليس في نص القرآن، فلما أمر تعالى مع طاعته بطاعة رسوله ﷺ ليظهر البيان، ولم يمكن أن يمنع من طاعة رسول الله ﷺ فيما أمرنا إلا معاند له** »[٣].

٣- أنه ﷺ لا ينطق عن الهوى بنص القرآن، قال الله ﷻ: ﴿ وَٱلنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ ۝١ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ ۝٢ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ۝٣ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ۝٤ ﴾. فما يقوله ﷺ إنما هو وحي، وإن لم يكن قرآنا فإنه ﷺ لا يتكلم من عند نفسه، لأنه رسول أمين، والرسول الأمين يبلغ كما قيل له، فوجوب الطاعة لما جاء به ﷺ كوجوب الطاعة لما جاء في القرآن ولا فرق[٤]، وقوله ﷺ وفعله، وأمره ونهيه وحي، فوجب اتباعه ﷺ.

٤- حجية السنة ثابتة في أحاديث كثيرة تبلغ حد التواتر المعنوي. ومن ذلك قوله ﷺ: **[تركت فيكم أمرين لن تضلوا ما تمسكتم بهما: كتاب الله، وسنتي]**، وقوله:

---

(١) تفسير القرآن العظيم ٤/ ٣٣٦.

(٢) انظر: المجموع ١/ ٦٧.

(٣) الإحكام في أصول الأحكام لابن حزم ١/ ٥٤٢.

(٤) انظر: الإحكام في أصول الأحكام لابن حزم ١/ ٥١٨، وانظر: المستصفى للغزالي ص١٠٣.

[ألا إني أوتيت القرآن ومثله معه]، وقوله: [عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي، عضوا عليها بالنواجذ، وإياكم ومحدثات الأمور]، ونحوها من الأحاديث التي ترغب بالعمل بالسنة، وتحذر من تركها. وقد بين النبي ﷺ أنه أوتي مثل القرآن، كما قال: [ألا إني أوتيت القرآن ومثله معه](١)، قال حسان بن عطية رحمه الله: «كان جبريل ينزل على النبي ﷺ بالسنة كما ينزل بالقرآن فيعلمه إياها كما يعلمه القرآن»(٢).

٥- إجماع الأمة على العمل بالسنة: قال عمر رضي الله عنه عن الحجر الأسود: [والله إني لأقبلك، وإني لأعلم أنك حجر، وأنك لا تضر ولا تنفع، ولولا أني رأيت رسول الله ﷺ قبلك ما قبلتك](٣)، وإنكار ابن مسعود رضي الله عنه على المرأة في قصة الواشمة والمستوشمة(٤)، وقد أنكرت عائشة على التي قالت: ما بال الحائض تقضي الصوم ولا تقضي الصلاة(٥). ويدل لهذا اعتناء الأمة بميراث النبوة، مما كتب وجمع وتُعب في تمييز الأحاديث، وتدوين دواوين الكتب المهمة، التي اشتملت على أعمال وأقوال الرسول للأمة، قال الشيخ ابن باز رحمه الله: «أجمع العلماء قديما وحديثا على أن الأصول المعتبرة في إثبات الأحكام، وبيان الحلال والحرام في كتاب الله العزيز، الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، ثم سنة رسول الله ﷺ الذي لا ينطق عن الهوى، إن هو إلا وحي يوحى، ثم إجماع علماء الأمة»(٦).

٦- حاجة الشرع إلى السنة النبوية والآثار المصطفوية، قال الإمام الآجري رحمه الله: «ينبغي لأهل العلم والعقل إذا سمعوا قائلا يقول: قال رسول الله ﷺ في شيء

---

(١) سبق تخريج الحديث، بلفظ: "ألا وإني..." ص٣٠٠.

(٢) المجموع ٣/ ٣٦٦.

(٣) رواه مسلم، كتاب الحج، باب/ استحباب تقبيل الحجر الأسود، ح(١٢٧٠) عن ابن عمر رضي الله عنهما.

(٤) الحديث رواه البخاري ومسلم، وانظر: الموافقات للشاطبي ٣/ ٣٦٨، عون المعبود ١١/ ١٥١.

(٥) انظر: صحيح الإمام البخاري، كتاب الحيض، باب/ لا تقضي الحائض الصلاة، ح(٣٢١)، ومسلم، كتاب الحيض، باب/ وجوب قضاء الصوم على الحائض دون الصلاة، ح(٣٣٥).

(٦) فتاوى وتنبيهات للشيخ ابن باز ص٥٧١، وطبع هذا في رسالة مستقلة بعنوان: وجوب العمل بسنة الرسول ﷺ وكفر من أنكرها. وانظر: الانتصار في الرد على المعتزلة القدرية الأشرار للعمراني ١/ ١٠٥، فتاوى الدين الخالص ٢/ ٩٨.

قد ثبت عند العلماء؛ فعارض إنسان جاهل؛ فقال: لا أقبل إلا ما كان في كتاب الله تعالى، قيل: أنت رجل سوء، وأنت ممن يحذرناك النبي ﷺ، وحذر منك العلماء، وقيل له: يا جاهل: إن الله أنزل فرائضه جملة، وأمر نبيه ﷺ أن يبين للناس ما أنزل إليهم...، وقيل لهذا المعارض لسنن رسول الله ﷺ: يا جاهل... أين تجد في كتاب الله تعالى أن الفجر ركعتان، وأن الظهر أربع، والعصر أربع، والمغرب ثلاث، وأن العشاء الآخرة أربع؟ أين تجد أحكام الصلاة ومواقيتها، وما يصلحها وما يبطلها إلا من سنن النبي ﷺ؟ ومثله الزكاة...، وكذلك جميع فرائض الله التي فرضها الله في كتابه، لا يعلم الحكم فيها إلا بسنن رسول الله ﷺ. هذا قول المسلمين، من قال غير هذا خرج عن ملة الإسلام، نعوذ بالله من الضلالة بعد الهدى »[(١)].

٧- **حاجة القرآن إلى الأحاديث:** لبيان مجمله، وتفصيل مبهمه، وتعيين مقاصده، فالسنة على كثرتها وكثرة مسائلها إنما هي بيان للكتاب[(٢)]. قال تعالى: ﴿ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴾[النحل:٤٤]، فسنة رسول الله ﷺ تفسر القرآن وتبينه، وتعبر عن مرامه[(٣)].

٨- **أن السلف أنكروا على من اعتمد على القرآن وحده**، كما « ذكر عند عمران بن حصين رضي الله عنه حديث الشفاعة، قال له رجل: يا أبا نجيد! إنكم لتحدثونا بأحاديث ما نجد لها أصلا في القرآن؟! فغضب عمران رضي الله عنه، فقال للرجل: أَقَرَأت القرآن؟ قال: نعم. قال: فهل وجدت فيه صلاة المغرب ثلاثا، وصلاة العشاء أربعا، وصلاة الغداة ركعتين، والأولى أربعا، والعصر أربعا!؟ »[(٤)].

٩- أن المسلم حينما يشهد لله بالوحدانية يشهد لرسول الله ﷺ بالرسالة في قوله: أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمدا رسول الله، فاقتران الشهادة لرسوله ﷺ

---

(١) الشريعة للآجري ١/ ١٧٦-١٧٧.

(٢) انظر: الإقتضاء ١/ ٨٤، الموافقات للشاطبي ٣/ ٣٦٧.

(٣) انظر: الواسطية مع شرح الفوزان ص١٠١.

(٤) رواه ابن أبي عاصم في السنة، ح(٨١٥)، وروى نحوه أبو داود (١٥٦١).

مقترن بالرسالة مع الشهادة لله ﷻ بالتوحيد، وهذا التلازم بين الشهادتين معلوم لكل أحد من المسلمين، وتلازم القرآن والسنة كتلازم الشهادتين(١).

١٠- ذكر عمر ﷺ أن الرجم ثابت بالسنة، وأن رسول الله ﷺ رَجَم، والصحابة رجموا(٢). قال الحافظ ﷺ: «أشار بقصة الرجم إلى زجر من يقول: لا أعمل في الأحكام الشرعية إلا بما وجدته في القرآن...، والرجم ليس فيما يتلى من القرآن، وهو مأخوذ من طريق السنة»(٣).

١١- أن السلف بدعوا من أنكر السنة الثابتة. قال البغدادي ﷺ: «ومنها أخبار مستفيضة بين أئمة الحديث والفقه، وهم مجمعون عل صحتها،كالأخبار في الشفاعة، والحساب، والحوض، والصراط، والميزان، وعذاب القبر وسؤال الملكين في القبر، وكذلك الأخبار المستفيضة في كثير من أحكام الفقه كنصب الزكاة... والأخبار في المسح على الخفين، وفي الرجم، وما أشبه ذلك مما أجمع الفقهاء على قبول الأخبار فيها، وعلى العمل بمضمونها، وضللوا من خالف فيها من أهل الأهواء، كتضليل الخوراج في إنكارها الرجم...، وتضليل من أنكر المسح على الخفين»(٤).

١٢- أنهم أنكروا السنة الواردة عن رسول الله ﷺ جملة وتفصيلا، بينما كان المتقدمون من منكري السنة إنما ينكرون ما جاء غير متواتر، بحجة أنه آحاد، ومعلوم أن الأحاديث إذا ثبتت سواء عن طريق التواتر أو الآحاد فإنها حجة بنفسها، وهذا ما عليه علماء السلف، ودل عليه الدليل، وهو الذي عليه المتبعون من الخلف(٥).

ومهما يكن من شيء، فإن السنة عند المسلمين من أصول الدين، وردها رد

---

(١) هذه الفائدة استفدتها من أحد الفضلاء.

(٢) انظر: صحيح الإمام البخاري كتاب الحدود، باب/ رجم الحبلى في الزنى إذا أحصنت، ح(٦٨٣٠).

(٣) الفتح ١٢/ ١٥٤.

(٤) الفرق بين الفرق للبغدادي ص ٢٥١، وانظر: تعظيم السنة وموقف السلف ممن عارضها أو استهزأ بشيء منها، لعبد القيوم السحيباني.

(٥) انظر: العصرانيون بين مزاعم التجديد وميادين التغريب ص ٢٦ وما بعدها، حراسة العقيدة ص٣١.

للدين. ولهذا اشتد النكير على من رد السنة الثابتة عن رسول الله ﷺ، ومن قبلها وأذعن لها اشتهر بالسني، وبالسنة، وذلك تشريفا له بهذه النسبة.

وإذا كان هؤلاء "القرآنيّون" ينتسبون إلى القرآن الكريم؛ فكيف تعظيمهم للقرآن الكريم؟؟ هذا ما أبينه في المطلب التالي.

المطلب الثاني: منزلة القرآن الكريم عند منكري السنة(القرآنيين).

إن هؤلاء المنكرين جهودا كثيرة في إنكار السنة، ولهم نشاط كبير في السعي لذلك، ومن ذلك أنهم عقدوا مؤتمرا في اليابان، وكان المقصود من هذا المؤتمر إحلال الكتاب في حياة المسلمين ـ وهو مقصد طيب ـ ولكنهم في المقابل أنكروا السنة جملة وتفصيلا. وكان هذا المؤتمر بمباركة من كثير من أهل البدع الذين لهم ميول في إنكار السنة وعدم العمل بها، والسعي الحثيث في إحياء العقلية الاعتزالية، وفهم القرآن على ضوء ذلك.

وأصل دين المنكرين للسنة قائم على تعظيم القرآن الكريم، ولكن هذا التعظيم إنما هو ظاهري لا حقيقي[1]، ومموه لا مُذَهَّب.

وقد امتاز أهل السنة باسم السنة التي بها تمسكوا، وبالنهج الذي عليه صاروا، فإنهم كانوا حقا متبعين للكتاب: حين تمسكوا به، وبما أمر به الكتاب من السنة[2]. **وإن منكري السنة قديما وحديثا لا يهتمون بالقرآن الكريم حقيقة**، وإنما يزعمون ذلك، وإلا فكيف يفسرون الآيات المجملة من غير السنة، وكيف يفهمون الآيات التي بينتها السنة من دونها؟؟.

وإن احتجوا بأن السنة فيها ما هو ضعيف وموضوع، وإن التمييز أمر غير ممكن؛ فهذه فرية ما أسمجها، إذ علم القاصي والداني أن الله ﷻ خص أهل الإسلام بالإسناد في الدين، وأنه ما من قول لصحابي أو تابعي، بل إمام متبع، إلا وهو مدون معلوم، صحيحه وضعيفه، فضلا عن أقوال رسول الله ﷺ؛ فكيف يحتج بعد ذلك بالموضوعات التي بينها العلماء في المدونات، ودواوين السنة محفوظة بأمر الله ﷻ إذ حفظ الله لنا الكتاب وشرحه، في دواوين الإسلام المعروفة الصحيحة، كصحيح الإمام البخاري، ومسلم، والسنن، والمسانيد، وهذا أمر أقام الله له من أهل المعرفة من

(١) انظر: المجموع ١٣/ ٢٠٨.

(٢) انظر: المجموع ٣/ ٣٦٨.

اعتنى بحفظه حتى حفظ الله الدين على أهله[(١)].

وشبهات القرآنيين حول السنة كثيرة، وليست هي المقصودة بالإيراد هنا، وإنما المقصود التعريف بهم وبيان موقفهم من القرآن الكريم الذي انتسبوا إليه. أما موقفهم من السنة فقد استفاض مؤلف كتاب: "القرآنيون وشبهاتهم حول السنة" لهذه الشبهات، وردَّ عليها بما يغني ويشفي ويكفي، فارجع إليه إن أردت المزيد.

وإن القرآنيين حينما ادعوا أنهم "أهل الذكر القرآن" إنما كان ادعاؤهم زورا وبهتانا، ويتبين ذلك من خلال معتقدات القوم، وملخصها فيما يأتي:

١- القول بأن العمل بالحديث النبوي شرك!!.

٢- إنكار المعجزات الواردة في السنن المتواترات[(٢)].

٣- إنكارهم الشفاعة يوم القيامة[(٣)].

٤- إنكارهم الحياة البرزخية، وعذاب القبر ونعيمه، وهذا يؤكد أنهم على طريقة المعتزلة في قولهم وإنكارهم للسنة، إلا أن أولئك لم يكونوا واضحين كهؤلاء، ولا فاضحين في القول مثل هؤلاء الأذلاء[(٤)].

ومما يدل على مخالفتهم للقرآن الكريم مخالفاتهم الصريحة للأمور التشريعية الفقهية في الشرع الإسلامي الحنيف، ومن ذلك[(٥)]:

١- قولهم: إن الصلوات المفروضة ثلاث، وهي الفجر، والظهر والعشاء!!، وقال بعضهم: إنهما صلاتان!!.

٢- أن الصلاة ركعتان في جميع الأوقات والأزمان!!.

---

(١) انظر: المجموع ٣/ ٣٧٩.

(٢) انظر: القرآنيون وشبهاتهم حول السنة لخادم حسين بخش ص ٣٠٧ وما بعدها.

(٣) انظر: القرآنيون وشبهاتهم حول السنة لخادم حسين بخش ص ٣٤٣وما بعدها.

(٤) انظر: العصرانيون بين مزاعم التجديد وميادين التغريب ص ٨٦، القرآنيون وشبهاتهم حول السنة لخادم حسين بخش ص ٣٣٣.

(٥) انظر: تفصيلا لذلك في كتاب: القرآنيون وشبهاتهم حول السنة لخادم حسين بخش ص ٣٦٥-٤٤٠.

٣- رأيهم أنّ استقبال أي جهة صحيح، ولا يشترطون القبلة!!.

٤- الرفع من الركوع مخالف للقرآن عندهم، ولا بد من أن يخر المصلي من الركوع إلى السجود!.

٥- لكل ركعة سجدة واحدة لا غير، ولا تشهد للصلاة!!.

٦- إنكارهم المسح على الخفين!!.

٧- إذا كان هذا حالهم في الركن الثاني من أركان الإسلام، فعلى هذا قس تأويلاتهم الفاسدة، وتحريفاتهم البشعة، في الزكاة والصوم وغيرهما.

ومما يدل على عدم تعظيمهم للقرآن الكريم ما يأتي:

١- **أنهم ادعوا أن القرآن الكريم كاف في الدين وحده، وقالوا:** حسبنا كتاب الله[١]، وقالوا: إن القرآن أساس التشريع، لا السنة[٢]، **وهذه كلمة حق أريد بها باطل**؛ فإن القرآن الكريم يأمر بالأخذ بالسنة، ولكنهم قصدوا بهذا الأخذ بالقرآن وحده، كما يريدون، وهذا يظهر من نتائج مقالاتهم، ومن سموم كتاباتهم، **وكيف يقولون: القرآن أساس التشريع**، وهم ينكرون أس تشريعه، ألا وهو وجوب اتّباع النبي ﷺ، ولكنه التلاعب بتشريعه حقيقة. ومما يؤكد أن مقولتهم غير صادقة في فحواها، وهم في تطبيقها غير صادقين في مرماها، أنهم لا يستطيعون أن يفسروا المراد بالصلاة، والحج، إلا بالرجوع إما إلى السنة، وإما إلى العقول!!، وهم اختاروا الثاني[٣]؛ **فهؤلاء المنكرون للسنة باقتصارهم على القرآن وحده يجتمع فيهم البدع والضلالات**، فإن السلف بدعوا الخوارج لإنكارهم الرجم، وبدعوا الروافض لانكارهم مسح الخفين، فكيف بمن ينكر كل السنة؟؟ لا شك أنه يكون خارجيا ورافضيا، و... سينكر الحوض في العرصات، والصراط، والشفاعات، وسؤال القبر!! وهكذا تجتمع فيهم الضلالات كلها.

---

(١) انظر: برهان الفرقان ص٢ نقلا من كتاب: القرآنيون وشبهاتهم حول السنة لخادم حسين بخش ص٢٦٥.

(٢) الموسوعة الميسرة ١/ ٧٨.

(٣) انظر: القرآنيون وشبهاتهم حول السنة لخادم حسين بخش ص ٢٦٦.

٢- **أنهم أنكروا النسخ في القرآن الكريم**[(١)]. وهذا مخالف لإجماع السلف، ويورث الإشكال عند الخلف، إذ كيف سيطبقون الآيات التي كانت منسوخة مع الآيات الناسخة؟ إلا أن يكون ذلك بالآراء الفاسدة، والتأويلات البعيدة!! ثم إنّ النسخ وارد في القرآن الكريم؛ فإنكاره إنكار للقرآن[(٢)].

٣- **أنهم اعتمدوا على اللغة العربية في فهم القرآن الكريم**، وليتهم اعتبروا السنة تراثا من اللغة ففهموا القرآن على ضوئه، ولكنه الهوى!! ثم إن اللغة العربية بدون النظر إلى فهم المنـزل عليهم لا يورث فهما في كتاب الله ﷻ، لأن في اللغة ما هو من قبيل المعنى اللغوي العرفي، وهو مقيد بعرف النـزول؛ فإذا فسر بمطلق المعنى اللغوى دون النظر إلى المعنى اللغوي العرفي فإنه يكون تقولا على الله ﷻ، ومثال هذا في دلالة الخيط الأبيض والخيط الأسود؛ فإن الصائم مأمور أن يمسك عند تباين الخيطين، ولو فهم شخص أن المقصود بذلك الخيط اللغوي لأخطأ، ولكن النبي ﷺ بين أن المقصود بهما الخيط الأفقي الموجود في السماء، وبهذا نعلم أن فهم السلف مهم، لا سيما فهم رسول الله ﷺ[(٣)]. ثم أيضا إن الصلاة في اللغة معناها: الدعاء، وهل هذا هو مراد الله ﷻ في ذكره الصلاة في القرآن الكريم؟ فإذا فسر الصلاة باللغة؛ فإن الركن الثاني من أركان الإسلام يتعطل![(٤)] وبهذا يتبين أن فهم القرآن باللغة مجرّدة فحسب باب للبدعة والضلالة[(٥)].

٤- **ومما يدل على عدم تعظيم "القرآنيين" للقرآن الكريم أنهم يفسرونه بما يهوون**، بعيدا عن تفسير السلف الصالح، بل بعيدا عن تفسير النبي الكريم ﷺ. فهم انتهجوا نهجا جديدا إذ استعملوا عقولهم الكاسدة وأذهانهم الفاسدة في فهم الآيات

---

(١) انظر: تفسير القرآن بآيات الفرقان ١ص(ب)، ١/ ٣٠٥. نقلا من كتاب: القرآنيون وشبهاتهم حول السنة لخادم حسين بخش ص ٢٦٧.

(٢) انظر: القرآنيون وشبهاتهم حول السنة لخادم حسين بخش ص ٢٦٨ وما بعدها.

(٣) وقد ذكرت فيما مضى ما يترتب على فهم القرآن مجردا عن فهم السلف ص٦٠٢.

(٤) انظر: القرآنيون وشبهاتهم حول السنة لخادم حسين بخش ص ٢٧٦، وذكر حسن البنا في رسائله ص٧: أن القرآن إنما يفهم على طبق القواعد العربية، وهذا معلوم أنه وحده لا يكفي ولا يفي.

(٥) انظر: أصول السنة لرد البدعة للشيخ محمد طاهر ص١٦.

المتلوة، والشرعة المطهرة؛ فجاؤوا بالإلحاد الصريح، والكفر القبيح[١].

٥- ومما يدل على عدم تعظيمهم للقرآن الكريم، أنهم بإنكارهم السنة النبوية يعطلون القرآن الكريم، لأن من نازع في قبول السنة رد القرآن، لأمره بالأخذ بها[٢]. وذلك لأن فيه المجملات التي تحتاج إلى تفصيل من الشارع، لا يمكن إدراكها بعقول الناس، وفيه عمومات خصصت لا يمكن معرفتها إلا بنص نبوي، أو وحي سماوي. فالسنة تبين القرآن؛ فتوضح مجمله: كالصلاة، والصوم، والحج، والزكاة، والسنة تدل على القرآن وتبين معانيه[٣]. **وأخبر النبي الكريم ﷺ** أن الخوارج ـ وهم من المخالفين للسلف في الاعتقاد ـ يقرؤون القرآن ولا تجاوز قراءتهم القرآن تراقيهم، وهذه كناية عن قلة الفقه، وعن عدم العمل به، وإلا فكيف يدعي رجل أنه منتسب إلى القرآن، وأنه قرآني، ثم يترك جميع الآيات التي تحث على التمسك بالسنة!! والخوارج ـ لعدم تمسكهم بالسنة، وعدم علمهم بها ـ جوزوا على الرسول ﷺ الجورَ!!، وجوزوا أن يضل في سنته!! ولهذا لم يوجبوا طاعته ومتابعته فيها!! وإن تصديقهم له قاصر على ما بلغ من القرآن دون ما شرعه من السنة التي تخالف ظاهر القرآن بزعمهم!![٤] فإنكار السنة والاقتصار على القرآن الكريم بدعة وضلالة[٥].

٦- أن مما يدل على عدم تعظيمهم للقرآن الكريم أنهم ظنوا أن مبلغه وهو رسول الله ﷺ قد خالفه في بعض الأحكام!! ولهذا لا يأخذون إلا بما ثبت عن طريق القرآن، «وقد أعاذ الله رسوله ﷺ أن تعارض سنته لنصوص القرآن، بل تعاضدها، وتؤيدها...، وإنما يظن التعارض من سوء الفهم، وهذه طريقة وخيمة ذميمة، وهي رد السنن الثابتة بما يفهم من ظاهر القرآن، والعلم كل العلم تنزيل السنن على القرآن؛

---

(١) انظر: القرآنيون وشبهاتهم حول السنة لخادم حسين بخش ص ٢٧٨ وما بعدها.

(٢) انظر: قمع الدجاجلة لعبد العزيز الراجحي ص ٣٨٩.

(٣) انظر: شرح الواسطية للفوزان ص١٠٢.

(٤) انظر: المجموع ١٩/ ٧٣.

(٥) انظر: الاعتصام للشاطبي ٢/ ٥٩، موقف العقل والعلم والعالم لمصطفى صبري ٤/ ٧٧، ٨٩.

فإنها مشتقة منه، ومأخوذة عمن جاء به، وهي بيان له، لا أنها مناقضة له»[(١)]، واتباع النبي ﷺ مَعلمٌ لم يبق عند هؤلاء منه سوى اسمه، ومحجة طمست عندهم رسومها، وسالك سنته غريب عندهم، وفريد في زمنهم[(٢)]. **قال الشافعي** رحمه الله: «من استبانت له سنة عن رسول الله ﷺ لم يكن له أن يدعها لقول أحد»[(٣)]. **وقال الشافعي** رحمه الله أيضا: «وليست تنـزل بأحد في الدين نازلة إلا وفي كتاب الله تعالى الدليل على سبيل الهدى فيها، فإن قال قائل: إن من الأحكام ما يثبت ابتداء بالسنة، قلنا: ذلك مأخوذ من كتاب الله في الحقيقة؛ لأن كتاب الله تعالى أوجب علينا اتباع الرسول ﷺ وفرض علينا الأخذ بقوله، وحذرنا مخالفته، قال الله تعالى: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمۡ عَنۡهُ فَٱنتَهُواْ﴾[الحشر:٧]، وقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡۖ فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمۡ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۚ ذَٰلِكَ خَيۡرٞ وَأَحۡسَنُ تَأۡوِيلًا﴾، فمن قبل عن رسول الله ﷺ فعن الله قبل»[(٤)].

٧- **أنهم بعدم أخذهم بالسنة يطعنون في القرآن الكريم من حيث يشعرون أو لا يشعرون**؛ فقد ثبت كمال الدين في آيات القرآن المبين، وحفظ الله للدين. وهذا لا يتم إلا باعتقاد ما في القرآن والسنة، وشريعة رسول الله ﷺ لا تزال محفوظة، يشهد بذلك القاصي والداني[(٥)]. وأما الاحتياج إلى العقل فهذا يعني أنه لم يُكمل الدين حتى يأتي العقلاء الكمل فيكملوه!! وهذا معلوم بطلانه.

٨- أن علماء السلف كانوا يقولون: إذا صح الحديث فهو مذهبي[(٦)]، ومخالفة

---

(١) الروح لابن القيم ص١٨٦.

(٢) انظر: الرسالة التبوكية ص ٧١.

(٣) الرسالة التبوكية ص ١٠٧، وانظر: الأم للشافعي ٧/ ٤٦٠ وما بعده.

(٤) قواطع الأدلة ١/ ٣٢.

(٥) انظر: الروض الباسم في الذب عن سنة أبي القاسم لابن الوزير ١/ ٥٥.

(٦) انظر: الروض الباسم في الذب عن سنة أبي القاسم لابن الوزير ١/ ١٦٥، تحفة الأنام في العمل بحديث النبي ﷺ للعلامة محمد حياة السندي ص١٦ وما بعدها.

أولئك مخالفة لسبيل المؤمنين، وهو يؤدي إلى البدعة والكفر المبين.

٩- إسقاط منكري السنة الصلوات الخمس، بناء على أنها غير موجودة في القرآن، ولا يقبلون السنة!! وهذا حال بعض الخوارج الأولين وهؤلاء القرآنيين. قال حذيفة ﷺ صاحب سر رسول الله ﷺ: **[إني لأعرف أهل دينين، أهل ذينك الدينين في النار، قوم يقولون: الإيمان قول، وإن زنا، وإن سرق، وقوم يقولون: ما بال الصلوات الخمس؟! وإنما هما صلاتان!! قال: فذكر صلاة المغرب أو العشاء، وصلاة الفجر!!]**(١).

١٠- أنهم إنما أنكروا السنة ـ جميع المنكرين سواء من هذه النحلة، أو غيرها من أهل البدع ـ حتى لا يلزموا في تفسيرهم لكتاب الله ﷻ بالسنة، فيصبحون هم شراحا للقرآن!! لأن السنة إذا أهملت في فهم الكتاب فأقوال السلف من باب أولى، وحينئذ سترى العجب العجاب في تفسير آي الكتاب!!.

١١- **أن الخوارج الأولين**، وهم ممن أنكروا بعض سنن سيد المرسلين ﷺ، لما اعتقدوا وجوب الخروج على عثمان ﷺ ظلما وزورا، وكفروه، ودخلوا عليه وهو يقرأ المصحف، فقال لهم: بيني وبينكم كتاب الله، فأهوى إليه أحدهم بالسيف فاتقاه بيده؛ فقطعها؛ فقال: أما والله إنها لأول كف خطت المفصَّل(٢). وهم يدعون تعظيم كتاب الله ﷻ وإنكار السنة، وقد دعاهم إلى ما يدعون فلم يجيبوه، بل قتلوه وهو يقرأ القرآن ﷺ. فانظر ـ وفقك الله ـ كيف أنهم يدعون تعظيم القرآن الكريم ثم هم يقتلون أهله والمطبقين له حقا؟

وبهذا يتبين أن دعوة القرآنيين مجردة عن العمل بالقرآن الكريم، وأنها لا تمت إلى القرآن في شيء.

وبهذا أختم البحث ـ وأرجو أن أكون قد وفقت لإظهاره على أكمل وجه، وأحسن حلة ـ فما كان فيه من صواب فمن الله تعالى، وما كان فيه من خطأ فأستغفر الله وأتوب إليه، وأذكر بعد هذا خاتمة البحث.

---

(١) أخرج الأثر أبو عبيد في الإيمان ص٣٣، و ابن أبي شيبة في الإيمان ص٣٠.

(٢) انظر: تاريخ خليفة بن خياط ص١٠٢، الكامل في التاريخ ٣/ ٦٨.

الخاتمة

الخاتمة: وأذكر فيها أهم النتائج التي توصلت إليها في البحث، وبعض التوصيات:

بعد حمد الله ﷻ والثناء عليه بما هو أهله؛ فإني أسأله ﷻ أن يجعل هذا العلم ـ كما سهله علي ـ خالصا لوجهه الكريم، وأن ينفع به الإسلام والمسلمين، وأن يجعلني من الذابين عن كتابه المبين، وكلامه المنـزل على محمد ﷺ بواسطة جبريل الأمين ﵇.

وبعد البحث والعناء، والجهد والعطاء، يسر الله ﷻ إتمام هذا الموضوع، وقد توصلت من خلاله إلى أمور كانت عندي من المسلمات ـ إما اتباعا أو تقليدا ـ، ثم أصبحت عندي من اليقينيات ـ دلالة وترجيحا، وخلاصة نتائج البحث ما يأتي:

١. القرآن كلام الله ﷻ غير مخلوق بدلالة الكتاب والسنة وإجماع سلف الأمة.

٢. تكلم الله ﷻ بالقرآن فمنه بدأ وإليه يعود بدلالة الكتاب والسنة.

٣. إن الله ﷻ يتكلم متى شاء إذا شاء مع من شاء.

٤. الكلام من صفات الذات باعتبار وصف الله ﷻ به أزلا، وهو صفة فعل باعتبار آحاده.

٥. كلام الله ﷻ لا يشبه كلام المخلوقين.

٦. القرآن منزل على محمد ﷺ بواسطة جبريل بالوحي الجلي بدلالة الكتاب والسنة وإجماع الأمة.

٧. من عقيدة أهل السنة أن جبريل سمع القرآن من الله ﷻ ، والأدلة على ذلك كثيرة.

٨. أنزل القرآن جملة واحدة إلى السماء الدنيا، وأنزل على محمد ﷺ منجما، ولا تنافي بين النزولين.

٩. نزل القرآن من الله ﷻ حقيقة، والنزول حقيقي، دل على ذلك الكتاب والسنة والإجماع.

١٠. يتعبد بالقرآن الكريم كما أنزله الرحمن الرحيم بصور مختلفة كما جاءت في السنة، من ذلك قراءته وتدبره، والعمل به والتحاكم إليه، والتداوي به، وجعله سببا لدفع الشرور، وهذه من المقاصد العظيمة التي من أجلها نزل القرآن الكريم.

١١. القرآن الكريم هو الموجود في المصحف، وهو كما أنزل على محمد ﷺ لم يتغير ولم يتبدل، وإن القراءات الموجودة الموافقة تصح القراءة بها.

١٢. أن أسماء القرآن الكريم كثيرة، مما يدل على كثرة أوصافه، وجميل خصاله، وعظيم نفعه.

١٣. أن للقرآن ذكرا في كتب الأولين، كما أن لمحمدﷺ ذكرا في كتب الأولين، ولا يعني ذلك كونه هو المنـزل من قبل.

١٤. ما يخالف المصحف من القراءات لا تجوز القراءة بها، ولا الصلاة به، والقراءة سنة متبعة.

١٥. القرآن كلام الله ﷻ فهو صفة من صفاته، ويجوز الحلف بصفة من صفات الله ﷻ.

١٦. الترجمة اللفظية الحرفية غير جائزة، ولا واقعة، والترجمة التفسيرية هي المطلوبة، وكلا الأمرين لا يعدان قرآنا، وإنما يعدان تفسيرا للقرآن بلغة أخرى.

١٧. التفسير تبيين لكلام الله ﷻ ولا يعني ذلك أنه عين المفسر.

١٨. وجوب تعظيم المصحف، كما دل على ذلك الكتاب والسنة ومنهج سلف الأمة.

١٩. أن القرآن الكريم آية لنبينا محمد ﷺ، وأنه دل على الإعجاز بمختلف الدلالات.

٢٠. أن المخالفين للسلف الصالحين مختلفون فيما بينهم في حقيقة القرآن الكريم ومصدريته، وجميع أقوالهم باطلة بدلالة الكتاب والسنة وإجماع سلف الأمة.

٢١. القول بالفيض من الأقوال الباطلة في القرآن، وهو يعني حقيقة إنكار

الوحي ولكن بطريقة خفية.

٢٢. القول بأن القرآن يحل في المخلوقين عند قراءة العبد له، قول للحلولية، وأخطأ فيه بعض العلماء.

٢٣. القول بخلق القرآن قول شؤم لا دليل عليه، ولا أثارة من علم.

٢٤. زعم بعض أهل الكلام التوسط بين قول المعتزلة وقول أهل السنة، فقالوا: بالعبارة والحكاية!! من غير دليل ولا أثر.

٢٥. القول بأزلية القرآن يرده صريح كلام الرحمن.

٢٦. التوقف في مسألة القرآن طريقة بدعية.

٢٧. مسألة اللفظ في القرآن من المسائل الجهمية التي فرقت السلفية.

٢٨. اختلف المخالفون في نزول القرآن الكريم بناء على اختلافهم في علو رب العالمين، وأنكروا سماع جبريل القرآن من الله العظيم.

٢٩. اختلاف المخالفين في التعبد بالقرآن، سواء في قراءته أو في التبرك به.

٣٠. تفرق أهل البدع في بيان إعجاز القرآن الكريم؛ فمنهم من ظنه في المعنى، ومنهم من ظنه في اللفظ، ومنهم من ظنه في الأخبار، ومنهم من ظنه في التشريعات، وأهل السنة قالوا بجميع ذلك على الوجه الصحيح.

٣١. السلف الصالحون هم الذين عرفوا حقيقة القرآن الكريم، وأنه كلام رب العالمين، ولذلك كان لهم الحظ الوافر في تعظيمه وبيان فضله، واعتقاد أنه أعظم كتاب على وجه البسيطة.

٣٢. بناء على الأدلة الشرعية قال السلف بتفاضل آيات وسور القرآن الكريم بعضها على بعض.

٣٣. السلف أعظم الناس تعظيما للقرآن الكريم، ولذلك حذروا من الاستهزاء به.

٣٤. تبرك السلف بالقرآن الكريم على ما ورد عن النبي الكريم، من دون ابتداع، ولكن باتباع.

٣٥. أن للقرآن الكريم خصائص عظيمة.

٣٦. طريقة أهل السنة في فهم القرآن الكريم هو أنهم يعتقدون أنه يُستغنى به عن غيره من الكتب مع السنة الشارحة له، ويرون التلازم بين القرآن والسنة، ويحملون النصوص الشرعية على الحقائق المرعية، والظواهر اللفظية مع اعتقاد معانيها السنية، مستعينين بفهم السلف الصالح في ذلك كله.

٣٧. السلف الصالح يرون أن القرآن الكريم كتاب عظيم، ولذلك يرون أنه أعظم حجة في جميع أبواب الدين، وأن براهينه أدل البراهين، وأنه مصدر التشريع، وأنه ناسخ للكتب السماوية فضلا عن غيرها من كتب البرية، وأنه محكم لا ينسخ بعد موت سيد البشرية محمد ﷺ.

٣٨. اهتم السلف بالقرآن الكريم تعظيما له وتبجيلا، ومن ذلك عنايتهم بكتابته، وحفظه، والاهتمام بعلومه، ونشره، وينهون عن المراء والتكلف فيه.

٣٩. أن المخالفين للسلف ومنهم الفلاسفة لا يعظمون القرآن حقيقة، ولا يصدرون عنه.

٤٠. أن الصوفية لما قالوا بالظاهر والباطن، والحقيقة والشريعة، نظروا إلى ألفاظ القرآن فأولوها على ما رأوا من الباطن، ولم يلتفتوا إلى فهم السلف، ولذلك أصبح تعظيم القرآن عندهم رسما، ولا يصدرون عن القرآن الكريم حقا.

٤١. الرافضة الغوية يعتقدون على اختلاف مللهم تحريف القرآن الكريم، متقدموهم ومتأخروهم، ولهذا لم يعظموا القرآن الكريم، ولم يعتمدوا عليه في باب العقائد على وجه الخصوص.

٤٢. الباطنية نحل شتى، وفرق تترى، وهم لا يعتقدون انقطاع الوحي، ومنهم من يعتقد بأن القرآن منسوخ، وأنه شريعة العرب، ويحرفون نصوص القرآن،

ويستهينون بالقرآن الكريم، ولا يعتمدون عليه، ويفضلون كتبهم عليه، ويحفظون كتبهم دون القرآن الكريم.

٤٣. أهل الكلام بمختلف طوائفهم لم يعطوا القرآن حق قدره، ويتبين ذلك من خلال أمور: منها عدم تعظيمهم كما ينبغي، وعدم الاعتماد عليه في باب الاعتقاد، وعدم حفظهم له.

٤٤. أن لكل قوم وارثا، وقد وجد للمعتزلة وأهل الكلام وراث يدعون الناس إلى تعظيم العقل، وإنكار ما خالف عقولهم ولو كان قرآنا فيؤولونه، أو سنة فيردونها، ومن هؤلاء قوم أنكروا السنة بالكلية، وانتسبوا إلى القرآن زورا.

وبعد بيان موجز وخلاصة البحث، فإنه من خلال بحثي كانت المسائل تمر علي؛ فأرى أن أبينها في هذه الخاتمة لعلها تجد آذانا صاغية وأفكارا نيرة، وهي:

١. إن موضوع أسماء القرآن الكريم مهم، وجدير بأن يبحث فيه طالب علم، لما لهذه الأسماء من دلالات على القرآن الكريم، ولهذا أرى أن يكتب فيه بحث، بعنوان "أسماء القرآن الكريم، وأوصافه، والدلالات العقدية فيها".

٢. إن احترام القرآن الكريم أمر اهتم به الأولون، وسار على دربهم المتبعون، وخلف من بعدهم خلوف، تركوا توقير الكتاب، كما جاء عن الوهاب، وزعموا أنهم يحترمونه ولكن بالبدع والخرافات، ولو كتب موضوع حول "ما يخالف توقير الكتاب العزيز" لكان بحثا مهما جدا.

٣. إن موضوع الآيات سواء الآيات القرآنية، أو الآيات الكونية لجديرة بالاهتمام من قبل الباحثين، فلو كتب موضوع حول "الآيات الدالة على نبوة الأنبياء من خلال نصوص القرآن الكريم" لكان بحثا قيما ـ إن شاء الله ـ.

٤. تبين مما سبق ـ ولو إشارة ـ شدة التلازم بين الكتاب والسنة، وإني من هذا المنطلق أحث الباحثين على كتابة موضوع، حول التلازم بين الكتاب والسنة، من

حيث الأدلة على ذلك، والأمثلة عليها من باب العقائد والعبادات والمعاملات، وهو بحث جدير بالاهتمام، خصوصا في هذا الزمان، مع وجود أعداء السنة.

٥. الأدلة القرآنية فيها الحجج القطعية في المسائل العقدية، ومن جملة ذلك دلالتها على الخالق ﷻ، وقد دل أكثر من (٥٠٠) آية في القرآن على صفة الخالقية لله ﷻ، ولو بحث هذا لكان جديرا.

٦. أن الروافض خالفوا في الاعتقاد في القرآن الكريم، وفي العمل به، بل وحتى في العقيدة، ولو ألف مؤلف مستقل في مخالفة الرافضة لنصوص القرآن الكريم الصريحة لكان بحثا جديرا بالاهتمام.

وأرجو الله الملك إذ وفقني لخدمة كتابه المبارك، أن يجعلني مباركا أين ما كنت، وأن يبارك لنا وعلينا، وأن يشملنا وإخواننا المسلمين ببركاته العظيمة في الدنيا والآخرة، وأن يعم نفع هذا لجميع إخواني المسلمين، وأن يجعلهم مباركين بعملهم بالقرآن الكريم، وسنة نبيه الكريم، إنه قريب مجيب.

وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، والحمد لله رب العالمين.

الفهارس

فهرس المصادر والمراجع

١- **القرآن الكريم**.

٢- **الإبانة عن أصول الديانة**، للإمام أبي الحسن علي بن إسماعيل الأشعري (ت:٣٢٤هـ)، وضع حواشيه وعلق عليه: عبد الله محمود محمد عمر، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٨هـ.

٣- **الإبانة عن شريعة الفرقة الناجية ومجانبة الفرق المذمومة**، (الكتاب الثالث: الرد على الجهمية)، لأبي عبد الله عبيد الله بن محمد بن بطة العكبري الحنبلي (ت:٣٨٧هـ)، تحقيق: د.يوسف بن عبد الله بن يوسف بن يوسف الوابل، دار الراية للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، ١٤١٥هـ.

٤- **الإبانة عن معاني القراءات الصحيحة**، لمكي بن أبي طالب حموش القيسي (ت:٤٣٧هـ)، تحقيق: د.عبد الفتاح إسماعيل شلبي، دار نهضة مصر للطبع والنشر.

٥- **الإبداعات في مضار الابتداعات**، لعلي أحمد عبد العالى الطحطاوي، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢١هـ.

٦- **ابن الحنبلي وكتابه الرسالة الواضحة في الرد على الأشاعرة**، لابن الحنبلي (ت:٥٦٢هـ)، تحقيق: علي بن عبد العزيز بن علي الشبل، مجموعة التحف النفاس الدولية، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤٢٠هـ.

٧- **أبو الحسن الأشعري وعقيدته**، لحماد بن محمد الأنصاري، الطبعة الثانية، ١٣٩٥هـ.

٨- **الاتّباع**، للعلامة القاضي ابن أبي العز الحنفي (ت:٩٧٢هـ)، تحقيق: الشيخ محمد عطاء الله حنيف، الدكتور عاصم بن عبد الله القريوني، عمان ـ الأردن، الطبعة الثانية، ١٤٠٥هـ.

٩- **الاتجاهات العقلانية الحديثة**، تأليف: أ.د.ناصر بن عبد الكريم العقل، دار الفضيلة، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤٢٢هـ.
١٠-**إتحاف أهل القِبلة بأحكام القُبلة**، لأبي صلاح محمد هشام الطاهري الأفغاني، تقديم: عبيد بن عبد الله الجابري، غراس للنشر والتوزيع، الكويت، الجهراء، الطبعة الأولى، ١٤٢٣هـ.
١١-**اتخاذ القرآن الكريم أساسا لشؤون الحياة والحكم في المملكة العربية السعودية**، للأستاذ د.صالح بن عبد الله بن حميد، بحث مقدم لندوة العناية بالقرآن الكريم وعلومه، مجمع المصحف الشريف، المدينة المنورة، ١٤٢١هـ.
١٢-**اتخاذ القرآن الكريم أساسا لشؤون الحياة والحكم في المملكة العربية السعودية**، للأستاذ د.صالح بن غانم السدلان، بحث مقدم لندوة العناية بالقرآن الكريم وعلومه، مجمع المصحف الشريف، المدينة المنورة، ١٤٢١هـ.
١٣-**الإتقان في علوم القرآن**، للحافظ جلال الدين عبد الرحمن السيوطي، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، مكتبة دار الزاد، القاهرة.
١٤-**أثر الإيمان في تحصين الأمة الإسلامية ضد الأفكار الهدامة**، تأليف: د.عبد الله ابن عبد الرحمن الجربوع، الجامعة الإسلامية المدينة المنورة، الطبعة الأولى، ١٤٢٢هـ.
١٥-**الإجماع**، للإمام ابن المنذر (ت:٣١٨هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت ـ لبنان، الطبعة الثانية، ١٤٠٨هـ.
١٦-**إجماع العلماء على الهجر والتحذير من أهل الأهواء**، تأليف: خالد بن ضحوى الظفيري، مكتبة الأصالة الأثرية، جدة ، الطبعة الثالثة، ١٤٢٣هـ.
١٧-**الإجماع في التفسير**، لمحمد عبد العزيز أحمد الخضيري، دار الوطن، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤٢٠هـ.
١٨-**أجوبة الشبهات**، لعبد الحسين دستغيب الشيعي، مؤسسة دار الكتاب (الجزائري) للطباعة والنشر، قم إيران، الطبعة الأولى، ١٤١٦هـ.
١٩-**أحاديث في ذم الكلام وأهله**، للإمام أبي الفضل المقري، دراسة وتحقيق: د.ناصر

ابن عبد الرحمن الجديع، دار أطلس للنشر والتوزيع، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤١٧هـ.
٢٠-**الاحتجاج**، لأبي منصور أحمد بن علي الطبرسي، مؤسسة الأعلمي، بيروت.
٢١-**الإحسان بترتيب صحيح ابن حبان**، ترتيب: الأمير علاء الدين علي بن بلبان (ت:٧٣٩هـ)، تحقيق: كمال يوسف الحوت، توزيع عباس أحمد الباز، مكة المكرمة، الطبعة الثانية، ١٤١٧هـ.
٢٢-**أحكام الجنائز وبدعها**، لمحمد ناصر الدين الألباني، الكتب الإسلامي، بيروت، الطبعة الرابعة، ١٤٠٦هـ.
٢٣-**أحكام القرآن**، لأبي بكر أحمد بن علي الرازي الجصاص (ت:٣٧٠هـ)، ضبط نصه وخرج آياته: عبد السلام محمد علي شاهين، دار الكتب العلمية بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٥هـ.
٢٤-**أحكام القرآن**، لابن العربي، تحقيق: علي محمد البجاوي، مطبعة عيسى البابي الحلبي، ١٣٩٤هـ-١٩٧٤م.
٢٥-**الإحكام في أصول الأحكام**، لسيف الدين أبي الحسن علي بن أبي علي بن محمد الآمدي، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى، ١٤٠٥هـ.
٢٦-**أحكام من القرآن الكريم**، للشيخ محمد بن صالح العثيمين، جمع أبي خالد عبد الكريم ابن صالح المقرن، دار طويق للنشر والتوزيع، الطبعة الثانية، ١٤١٥هـ.
٢٧-**إحياء علوم الدين**، لأبي حامد محمد بن محمد الغزالي (ت:٥٠٠هـ)، تحقيق: أبي حفص سيد بن إبراهيم بن صادق بن عمران، دار الحديث القاهرة، الطبعة الأولى، ١٤١٢هـ.
٢٨-**أخبار جلال الدين الرومي ووقفات مع ترجمته في كتاب رجال الفكر والدعوة في الاسلام**، تأليف: أبو الفضل محمد بن عبد الله القونوي، الطبعة الأولى، ١٤٢١هـ.
٢٩-**الاختصاص**، لمحمد بن محمد بن نعمان الملقب بالمفيد، تصحيح وتعليق: علي أكبر الغفاري، منشورات: جماعة المدرسين في الحوزة العلمية في قم.
٣٠-**اختصاص القرآن يعوده إلى الرحيم الرحمن**، للحافظ الإمام أبي عبد الله محمد

ابن عبد الواحد المقدسي (٥٦٩ ـ ٦٤٣)، تحقيق: عبد الله بن يوسف الجديع، مكتبة الرشد، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤٠٩هـ.

٣١-**الاختلاف في اللفظ والرد على الجهمية والمشبهة**، عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري (٢١٣ ـ ٢٧٦)، تقديم وتعليق وتخريج: عمر بن محمود أبو عمر، دار الراية، الطبعة الأولى، ١٤١٢هـ.

٣٢-**آراء حول القرآن**، لسيد الفاني، دار الهادي ـ بيروت.

٣٣-**إرواء الغليل في تخريج أحاديث منار السبيل**، محمد ناصر الدين الألباني، بإشراف: محمد زهير الشاويش، المكتب الإسلامي، بيروت، الطبعة الثانية، ١٢٠٥هـ.

٣٤-**الأزل**، لمحمد بن علي بن عربي الطائي الصوفي الحلولي، دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد الدكن، ١٣٦٧هـ.

٣٥- **أساس التقديس في علم الكلام**، للرازي الأشعري، طبعة مصطفى البابي، مصر، ١٣٥٤هـ.

٣٦-**أسد الغابة في معرفة الصحابة**، لعز الدين بن الأثير علي بن محمد الجزري، دار الفكر، الطبعة الأولى، ١٤٠٩هـ.

٣٧-**الإسراء إلى مقام الأسرى**، لمحمد بن علي بن عربي الطائي الصوفي الحلولي، دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد الدكن، ١٣٦٧هـ.

٣٨-**أسرار ترتيب القرآن**، للحافظ جلال الدين السيوطي، تحقيق: عبد القادر أحمد عطا، دار الاعتصام، الطبعة الأولى، ١٣٩٦هـ.

٣٩-**الإسفار عن نتائج الأسفار**، لابن عربي الوجودي، دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد الدكن، الطبعة الأولى، ١٣٦٧هـ.

٤٠-**إسلام بلا مذاهب**، لمصطفى الشكعة، طبعة دار المصرية اللبنانية، الطبعة الثانية.

٤١-**الإصابة في تمييز الصحابة**، لأحمد بن حجر العسقلاني (ت:٨٥٢هـ)، دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الأولى، ١٣٢٨هـ.

٤٢-**اصطلاحات الصوفية**، لمحمد بن علي ابن عربي الحلولي، دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد الدكن، الطبعة الأولى، ١٣٦٧هـ.

٤٣-**أصول الإيمان**، للإمام محمد بن عبد الوهاب (ت:١٢٠٦هـ)، قام بمراجعة نصوصه: الشيخ إسماعيل بن محمد الأنصاري، كما قام هو وفضيلة الشيخ: عبد الله ابن عبد اللطيف آل الشيخ بمقابلة على مخطوطاته. الناشر: رئاسة إدارة البحوث العلمية والافتاء، الرياض، الطبعة الثانية، ١٤٢٢هـ.

٤٤-**أصول التفسير**، لابن عثيمين، مصورة ضمن متون الدورة العلمية الثانية المقامة بمسجد ذي النورين عثمان بن عفان ﷺ في المدينة المنورة.

٤٥-**أصول الدين**، لأبي منصور عبد الظاهر بن طاهر البغدادي (ت:٤٢٩هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت ـ لبنان، الطبعة الثالثة، ١٤٠١هـ.

٤٦-**أصول السنة لرد البدعة**، للشيخ محمد طاهر رحمه الله الفاخر مكنية اليمانية، جامعة الإمام محمد طاهر دار القرآن، باكستان.

٤٧-**أصول الكافي**، لمحمد بن يعقوب الكليني، دار التعارف، بيروت.

٤٨-**الأضحوية**، لابن سينا الباطني الفلسفي، تحقيق: د/ سليمان دنيا، دار الفكر العربي، القاهرة.

٤٩-**أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن**، للشيخ محمد الأمين بن محمد المختار الجكني الشنقيطي (١٣٩٣هـ) خرج آياته وأحاديثه: الشيخ محمد عبد العزيز الخالدي، دار الكتب العلمية، بيروت.

٥٠-**أضواء على الرسالة المنسوبة إلى الحافظ الذهبي، النصيحة الذهبية لابن تيمية**، وتحقيق في صاحبها أبو الفضل محمد بن عبد الله القونوي، دار المأمون للتراث ـ بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، ١٤٢٣هـ.

٥١-**إظهار الحق**، للإمام العلامة الشيخ أحمد الله بن خليل الله العثماني الكسيرانوي، عنى بطبعه ومراجعته: عبد الله بن إبراهيم الأنصاري، المكتبة العصرية ـ بيروت.

٥٢-**إعانة الطالبين**، لأبي بكر المشهور بالسيد البكري ابن السيد محمد شطا الدمياطي نزيل مكة المكرمة، طبعة: دار الفكر.

٥٣-**اعتقاد أئمة السلف أهل الحديث**، جمع وشرح: د. محمد بن عبد الرحمن الخميس،

دار إيلاف الدولية للنشر والتوزيع ـ الكويت، الطبعة الأولى، ١٤٢٠هـ.
٥٤-**الاعتقاد والهداية إلى سبيل الرشاد**، لأبي بكر أحمد بن الحسين البيهقي، تعليق: عبد الرزاق عفيفي، تعليق تقديم: عبد الرحمن المحمود، تحقيق: أحمد إبراهيم أبي العينين، دار الفضيلة ـ الرياض، الطبعة الأولى، ١٤٢٠هـ.
٥٥-**اعتقادات فرق المسلمين والمشركين**، لفخر الدين محمد بن عمر الخطيب الرازي (ت:٦٠٦هـ)، مكتبة الكليات الأزهرية ـ القاهرة، شركة الطباعة الفنية المتحدة طبعة: ١٣٩٨هـ.
٥٦-**إعجاز القرآن**، للخطابي البستي أبو سليمان بن محمد (ت:٣٨٨هـ)، مطبوع مع رسالتين آخرين في الإعجاز بعنوان: **ثلاث رسائل في إعجاز القرآن**، للرماني والخطاني والجرجاني، تحقيق: محمد خلف الله أحمد، د/ محمد زغلول سلام، دار المعارف ـ القاهرة، الطبعة الرابعة.
٥٧- **إعجاز القرآن**، للقاضي أبي بكر الباقلاني الأشعري، تحقيق: محمد شريف بكر، (بدون).
٥٨-**الأعلام**، لخير الدين الزركلي، دار العلم ـ بيروت، الطبعة الرابعة عشر، ١٩٩٩م.
٥٩-**إعلام المسلمين ببعض مقالات التجانيين**، تأليف: الشيخ إبراهيم القطان الأردني، الطبعة الأولى، ١٤٢١هـ.
٦٠-**أعلام الموقعين عن رب العالمين**، لشمس الدين أبي عبد الله محمد بن أبي بكر (ت:٧٥١هـ)، رتبه وضبطه وخرج أياته: محمد عبد السلام إبراهيم، دار الكتب العلمية ـ بيروت، الطبعة الثانية، ١٤١٤هـ.
٦١-**الإعلام بإشارات أهل الإلهام**، لمحمد بن علي بن عربي الطائي الصوفي الحلولي، دائرة المعارف العثمانية ـ حيدر آباد الدكن، ١٣٦٢هـ.
٦٢-**الإعلام بقواطع الإسلام**، لأحمد بن حجر الهيتمي الشافعي، ضمن: الجامع في ألفاظ الكفر، للشيخ د/ محمد بن عبد الرحمن الخميس، دار إيلاف الدولية ـ الكويت، الطبعة الأولى، ١٤٢٠هـ.

٦٣-**الإعلام بما في دين النصارى من الفساد والأوهام وإظهار محاسن دين الإسلام وإثبات نبوة نبينا محمد عليه الصلاة والسلام**، تأليف العلامة القرطبي، بعناية د/ أحمد حجازي السقا، دار التراث العربي ـ بيروت.

٦٤-**الإعلام والإفهام** بجمع فتاوى شيخ الإسلام أبي يحي زكريا بن محمد الأنصاري (ت:٩٢٦هـ)، تقديم وترتيب أحمد عبيد، صححه وراجعه: الشيخ عبد العزيز عزالدين السيروان، عالم الكتب ـ بيروت، الطبعة الثانية، ١٤٠١هـ.

٦٥-**إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان**، لابن قيم الجوزية (٧٥١هـ)، المكتبة الثقافية ـ بيروت.

٦٦-**أقاويل الثقات في تأويل الأسماء والصفات والآيات المحكمة والمشتبهات**، لزين الدين مرغي بن يوسف الكرمي المقدسي الحنبلي (١٠٣٣هـ)، حققه وخرج أحاديثه وعلق عليه: شعيب الأرناؤط، مؤسسة الرسالة ـ بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٦هـ.

٦٧-**الاقتصاد في الاعتقاد**، لتقي الدين أبي محمد عبد الغني بن عبد الواحد بن سرور المقدسي (ت:٦٠٠هـ)، وضحه: د/ أحمد بن عطية بن علي الغامدي، مكتبة العلوم والحكم ـ المدينة المنورة، الطبعة الأولى، ١٤١٤هـ.

٦٨-**اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم**، لشيخ الإسلام أحمد بن عبد الحليم ابن التيمية (ت:٧٢٨هـ)، تحقيق: د/ ناصر عبد الكريم العقل، مكتبة الرشد ـ الرياض، الطبعة الرابعة، ١٤١٤هـ.

٦٩-**إكمال المعلم بفوائد مسلم**، للقاضي أبي الفضل عياض بن موسى بن عياض اليحصبي (ت:٥٤٤هـ)، تحقيق: د/ يحيى إسماعيل، دار الوفاء ـ المنصورة، الطبعة الأولى، ١٤١٩هـ.

٧٠-**إلجام العوام عن علم الكلام**، تأليف: أبي حامد محمد بن محمد الغزالي، تصحيح وتعليق وتقديم: محمد المعتصم بالله البغدادي، دار الكتاب العربي ـ بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، ١٤٠٦هـ.

٧١-**الألف (وهو كتاب الأحدية)**، لمحمد بن علي بن عربي الطائي الصوفي الحلولي، دائرة المعارف العثمانية ـ حيدر آباد الدكن، ١٣٦١هـ.

٧٢-**ألفاظ الكفر**، لبدر الرشيد الحنفي، وهو ضمن كتاب الجامع في ألفاظ الكفر، تحقيق: د/ محمد بن عبد الرحمن الخميس، دار إيلاف الدولية للنشر والتوزيع - الكويت، الطبعة الأولى، ١٤٢٠هـ.

٧٣- **ألفاظ الكفر**، لبدر الرشيد الحنفي، ضمن: الجامع في ألفاظ الكفر، للشيخ د/ محمد بن عبد الرحمن الخميس، دار إيلاف الدولية - الكويت، الطبعة الأولى، ١٤٢٠هـ.

٧٤-**أم البراهين في العقائد**، لأبي عبد الله محمد بن يوسف السنوسي الحسني، ضمن مجموع أمهات المتون في مختلف الفنون والعلوم، جمع دار الفكر، تصحيح: أحمد سعد علي - القاهرة، ١٣٦٩هـ.

٧٥-**الأم**، للإمام أبي عبد الله محمد بن إدريس الشافعي (ت:٢٠٤هـ)، توزيع: مكتبة عباس أحمد الباز - مكة المكرمة، الطبعة الأولى، ١٤١٣هـ.

٧٦-**الإمام المجدد المحدث الشاه ولي الله الدهلوي حياته ودعوته**، لمحمد بشير السيالكوتي، دار ابن حزم - بيروت، طبعة: ١٤٢٠هـ

٧٧-**إمداد القاري بشرح كتاب التفسير من صحيح البخاري**، لعبيد بن عبد الله بن سليمان الجابري، مكتبة الفرقان - الإمارات، الطبعة الأولى، ١٤٢٣هـ.

٧٨-**الانتصار في الرد على المعتزلة القدرية الأشرار**، ليحيى ابن أبي الخير العمراني (ت:٥٥٨هـ)، تحقيق: د/ سعود الخلف، أضواء السلف - الرياض، الطبعة الأولى، ١٤١٩هـ.

٧٩- **الانتصار**، لابن عربي الوجودي، دائرة المعارف العثمانية - حيدر آباد الدكن، الطبعة الأولى، ١٣٦٧هـ.

٨٠-**الأنساب**، لأبي سعيد عبد الكريم محمد السمعاني، تعليق: عبد الله عمر البارودي، دار الجنان - بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٨هـ.

٨١-**الأنوار النعمانية**، لنعمة الله الموسوي الجزائري، مطبعة شركة جاب تبريز - إيران.

٨٢-**الأنوار**، لمحمد بن علي بن عربي الطائي الصوفي الحلولي، دائرة المعارف العثمانية -

حيدر آباد الدكن، ١٣٦٧هـ.

٨٣-**أيام الشأن**، لمحمد بن علي بن عربي الطائي الصوفي الحلولي، دائرة المعارف العثمانية ـ حيدر آباد الدكن، الطبعة الثانية، ١٣٧٩هـ.

٨٤-**إيثار الحق على الخلق في رد الخلافات إلى المذهب الحق من أصول التوحيد**، لأبي عبد الله محمد بن المرتضى اليماني المشهور بابن الوزير، دار الكتب العلمية ـ بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٣هـ.

٨٥-**الإيمان**، للحافظ أبي بكر عبد الله بن محمد بن أبي شيبة (ت:٢٣٥هـ)، تحقيق: الألباني، المكتب الإسلامي ـ بيروت، الطبعة الثانية، ١٤٠٣هـ.

٨٦-**الإيمان ومعالمه وسننه واستكماله ودرجاته**، للإمام أبي عبيد القاسم بن سلام (ت:٢٢٤هـ)، تحقيق: محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي ـ بيروت، الطبعة الثانية، ١٤٠٣هـ.

٨٧-**باعث النهضة الإسلامية ابن تيمية السلفي ونقده لمسالك المتكلمين والفلاسفة في الإلهيات**، لمؤلفه: الأستاذ محمد خليل هراس، دار الكتب العلمية ـ بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٤هـ.

٨٨-**بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمة الأطهار**، لمحمد باقر المجلسي، دار إحياء التراث العربي، مؤسسة التاريخ العربي ـ بيروت.

٨٩-**البحث والاستقراء في بدع القراء**، تأليف: محمد موسى نصر، دار الأضحى ـ الأردن، الطبعة الأولى، ١٤١٧هـ.

٩٠-**البحر الرائق شرح كنز الدقائق**، لزين الدين ابن نجيم الحنفي، دار المعرفة ـ بيروت، الطبعة الثانية.

٩١-**البحر المحيط في أصول الفقه**، لبدر الدين محمد الشافعي (٧٩٤هـ)، تحقيق: د/ عمر سليمان الأشقر.

٩٢-**بحوث ودراسات في المذاهب والتيارات**، د/ محمد مجاهد نور الدين، دار هجر للنشر والتوزيع ـ أبها، الطبعة الأولى، ١٤١٩هـ.

٩٣-**بدء الأمالي**، لسراج الدين علي بن عثمان الأوشي الفرغاني، ضمن مجموع أمهات المتون في مختلف الفنون والعلوم، جمع دار الفكر، تصحيح: أحمد سعد علي ـ القاهرة، ١٣٦٩هـ.
٩٤-**بداية السول في التفضيل الرسول**، للعز بن عبد السلام السلمي، تحقيق: محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي ـ بيروت، الطبعة الرابعة، ١٤٠٦هـ.
٩٥-**البداية والنهاية**، للإمام الحافظ أبي الفداء إسماعيل ابن كثير الدمشقي (٧٧٤هـ)، دار المعرفة ـ لبنان، الطبعة الثانية، ١٤١٧هـ.
٩٦-**بدع المقابر والجنائز والمآتم**، تأليف: علي بن أحمد الطهطاوي، دار الكتب العلمية ـ بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢١هـ.
٩٧-**البرهان في علوم القرآن**، لبدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي (٧٩٤هـ)، تعليق: عبد القادر عطا (٧٩٤هـ)، دار الكتب العلمية ـ بيروت ١٤٢٢هـ.
٩٨-**بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز**، لمحمد بن يعقوب الفيروز آبادي، تحقيق: محمد علي النجار، من مطبوعات الجمهورية العربية المتحدة، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، لجنة إحياء التراث الإسلامي ـ القاهرة، ط: ١٣٨٣هـ.
٩٩-**البهائية نقد وتحليل**، لإحسان إلهي ظهير، إدارة ترجمان السنة ـ لاهور، باكستان، الطبعة الثانية، ١٤٠١هـ.
١٠٠-**بيان المختصر شرح مختصر الحاجب**، لشمس الدين محمود عبد الرحمن بن أحمد الأصفهاني، جامعة أم القرى، تحقيق: محمد مظهر بقا، الطبعة الأولى، ١٤٠٦هـ.
١٠١-**بيان تلبيس الجهمية في تأسيس بدعهم الكلامية أو نقض تأسيس الجهمية**، لأبي العباس شيخ الإسلام أحمد بن تيمية، تعليق: محمد بن عبد الرحمن بن قاسم، دار القاسم ـ الرياض، الطبعة الثانية، ١٤٢١هـ.
١٠٢-**البيان في تفسير القرآن**، لأبي القاسم الخوئي، مؤسسة الأعلمي ـ بيروت.
١٠٣-**البيان والتبيين**، لأبي عمرو بن بحر الجاحظ، دار الكتب العلمية ـ بيروت، لبنان.
١٠٤-**البيان والتحصيل**، لأبي الوليد بن رشد القرطبي، تحقيق: أحمد الحبابي، دار

الغرب ـ بيروت، ١٤٠٦هـ.
١٠٥-**البيهقي وموقفه من الإلهيات**، لشيخنا أ.د/ أحمد بن عطية الغامدي، من مطبوعات الجامعة الإسلامية ـ المدينةالمنورة، الطبعة الأولى، ١٤٠٢هـ.
١٠٦-**تاريخ الخلفاء**، للحافظ جلال الدين السيوطي، اعتنى به وحققه وعلق عليه: محمود رياض الحلبي، دار المعرفة ـ بيروت، الطبعة الثانية، ١٤١٧هـ.
١٠٧-**تاريخ الفكر العربي**، لعمر فروخ.
١٠٨-**تاريخ بغداد**، للحافظ الخطيب البغدادي، دار الكتب العلمية ـ بيروت.
١٠٩-**تاريخ خليفة بن خياط**، لأبي عمرو خليفة بن خياط بن أبي هبيرة الليثي العصفري (٢٤٠هـ)، راجعة وضبطه ورتبه: د/ مصطفى غيب نواز، د/ حكمت كشطي فواز، دار الكتب العلمية ـ بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، ١٤١٥هـ.
١١٠-**تأويل مشكل القرآن**، لأبي محمد عبد الله بن مسلم الدينوري، شرحه ونسره: السيد أحمد صقر (٢٧٨هـ)، الكتب العلمية ـ بيروت.
١١١-**التبرك المشروع والتبرك الممنوع**، لعلي نفيع العلياني، دار الوطن للنشر، الطبعة الأولى، ١٤١١هـ.
١١٢-**التبرك أنواعه وأحكامه**، د/ ناصر بن عبد الرحمن بن محمد الجديع، مكتبة الرشيد للنشر والتوزيع، السعودية ـ الرياض، الطبعة الخامسة، ١٤٢١هـ.
١١٣-**التبيان في آداب حملة القرآن**، للحافظ تقي الدين يحيى بن شرف النووي، حققه: محمد رضوان عرفسوني، مؤسسة الرسالة ـ بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢١هـ.
١١٤-**تبيين كذب المفترى**، تصنيف ناصر السنة حجة الحفاظ مؤرخ الشام أبي القاسم علي بن الحسن بن هبة الله بن عساكر الدمشقي (٥٧١هـ)، دار الكتاب العربي ـ بيروت، ١٣٩٩هـ.
١١٥-**التجليات**، لابن عربي الوجودي، دائرة المعارف العثمانية ـ حيدر آباد الدكن، الطبعة الأولى، ١٣٦٧هـ.
١١٦-**تحفة الأحوذي لشرح جامع الترمذي**، للإمام الحافظ أبي العلى محمد بن عبد الرحمن

المباركفوري (١٣٥٣هـ)، ضبطه: عبد الرحمن محمد عثمان، دار الفكر ـ بيروت.

١١٧-**تحفة الأنام في العمل بحديث النبي عليه الصلاة السلام**، للعلامة محمد حياة السندي (ت:١١١٢هـ)، دار ابن حزم للطباعة والنشر والتوزيع ـ بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٤هـ.

١١٨-**التحفة اللطيفة**، دار الكتب العلمية ـ بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٤هـ.

١١٩-**تدريس القرآن الكريم في السجون ودور الملاحظة الاجتماعية**، للشيخ محمد حبيب أحمد، طبع مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، بمناسبة ندوة "عناية المملكة العربية السعودية بالقرآن الكريم وعلومه" عام ١٤٢١هـ.

١٢٠-**التدمرية تحقيق الأسماء والصفات وحقيقة الجمع بين القدر والشرع**، لشيخ الإسلام أحمد بن تيمية، تحقيق: د/ محمد بن عود السعوي، مكتبة العبيكان، الطبعة السابعة، ١٤٢٣هـ.

١٢١-**التدوين في أخبار قزوين**، دار الكتب العلمية ـ بيروت، ١٤٠٨هـ.

١٢٢-**التراجم**، لابن عربي الوجودي، دائرة المعارف العثمانية ـ حيدر آباد الدكن، الطبعة الأولى، ١٣٦٧هـ.

١٢٣-**ترجمة معاني القرآن الكريم من قبل بعض الفرق الضالة**، للشيخ يوسف الهمذاني ابن الشافعي السيد أحمد، بحث مقدم لندوة ترجمة معاني القرآن الكريم تقويم للماضي، وتخطيط للمستقبل ١٤٢٣هـ، مجمع الملك فهد ـ المدينة المنورة.

١٢٤-**ترجيح أساليب القرآن على أساليب اليونان**، لابن الوزير اليماني (ت:٨٤٠هـ)، بيروت ـ لبنان، الطبعة الأولى، ١٤٠٢هـ.

١٢٥-**التسهيل لعلوم التنزيل**، لمحمد بن أحمد بن جزي الكلبي (ت:٧٤١هـ)، دار الكتاب العربي، الطبعة الرابعة، ١٤٠٣هـ.

١٢٦-**التعريفات**، للشريف علي بن محمد الجرجاني (ت:٨١٦هـ)، دار الكتب العلمية ـ بيروت، طبعة:١٤١٦هـ.

١٢٧-**تعظيم قدر الصلاة**، للإمام محمد بن نصر المروزي (٣٩٤هـ) مكتبة الدار ـ

المدينة المنورة، الطبعة الأولى، ١٤٠٦هـ.
١٢٨-**تفسير ابن عربي للقرآن**، د/ محمد حسين الذهبي، الجامعة الإسلامية، الطبعة الثالثة.
١٢٩-**تفسير البغوي = معالم التنزيل**، لحسين بن مسعود البغوي (ت:٥١٦هـ)، تحقيق: محمد عبد الله النمر، عثمان جمعة خميرية، سليمان مسلم الحرشي، دار الطيبة ـ الرياض، الطبعة الأولى، ١٤١١هـ.
١٣٠-**تفسير السمرقندي المسمى بحر العلوم**، لأبي الليث نصر بن محمد بن أحمد ابن إبراهيم السمرقندي (٣٧٥ هـ)، تحقيق: الشيخ علي محمد معوقي، الشيخ عادل أحمد عبد الموجود، د/ زكريا عبد المجيد النوني، دار الكتب العليمة ـ بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٢هـ.
١٣١-**تفسير الصافي**، لمحمد بن الفيض الكاشاني، مؤسسة الأعلمي ـ بيروت.
١٣٢-**تفسير الطبري المسمى جامع البيان في تأويل القرآن**، لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري (٣١٠هـ)، دار الكتب العلمية ـ بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢٠هـ.
١٣٣-**تفسير العياشي**، لمحمد بن مسعود العياشي، مؤسسة الأعلمي ـ بيروت.
١٣٤- **تفسير القاسمي المسمى محاسن التأويل**، لمحمد جمال الدين القاسمي (١٣٢٢هـ)، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، مؤسسة التاريخ العربي ـ بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٥هـ.
١٣٥-**تفسير القرآن العظيم**، لإسماعيل بن كثير القرشي الدمشقي (٧٧٤هـ)، مكتبة دار التراث ـ القاهرة، لم يذكر شيء عن الطبع وسنته.
١٣٦-**تفسير القرآن المسمى تبصير الرحمن وتيسير المنان**، لعلي أحمد بن إبراهيم المهايمي، عالم الكتب ـ بيروت.
١٣٧-**تفسير القمي**، لعلي بن إبراهيم القمي، دار السرور ـ بيروت.
١٣٨-**التفسير الكبير**، للرازي، دار الفكر، الطبعة الأولى، ١٤٠١هـ.
١٣٩-**تفسير غرائب القرآن ورغائب الفرقان**، لنظام الدين الحسن بن محمد بن حسين النيسابوري، مطبوع في هامش كتاب جامع البيان في تفسير القرآن للإمام

ابن جرير الطبري (ت٣١٠هـ)، دار الحديث ـ القاهرة، طبعة:١٤٠٧هـ.

١٤٠-**تفيسر القرآن الكريم باللغة البشتو**، للشيخ أبي زكريا عبد السلام الرستمي، دار السلام ـ الرياض.

١٤١-**تقريب التهذيب**، لأحمد بن علي بن حجر العسقلاني، عناية: عادل مرشد، مؤسسة الرسالة ـ بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٦هـ.

١٤٢-**تلبيس إبليس**، لجمال الدين أبي الفرج عبد الرحمن ابن الجوزي، تخريج وتعليق: عبد الرزاق المهدي، دار المغني ـ الرياض، الطبعة الأولى، ١٤١٩هـ.

١٤٣-**تلبيس إبليس**، للحافظ أبي الفرج عبد الرحمن ابن الجوزي البغدادي، دار المغني ـ الرياض، الطبعة الأولى، ١٤١٩هـ.

١٤٤-**التلخيص الحبير في تخريج أحاديث الرافعي الكبير**، للإمام أبي الفضل أحمد بن حجر شهاب الدين العسقلاني (ت:٨٥٢هـ)، عنى به: السيد عبد الله هاشم اليماني المدني، دار أحد.

١٤٥-**تلخيص كتاب الاستغاثة المعروف بالرد على البكري**، لشيخ الإسلام ابن تيمية، تحقيق: أبو عبد الرحمن محمد علي مجاد، كتبة الغرباء الأثرية ـ المدينة، الطبعة الأولى، ١٤١٧هـ.

١٤٦-**التمائم في ميزان العقيدة**، د/ علي بن نفيع العلياني، دار الوطن للنشر ـ الرياض، الطبعة الأولى، ١٤١١هـ.

١٤٧- **التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد**، لأبي عمر يوسف بن عبد الله القرطبي (ت:٤١٣هـ)، تحقيق: محمد ثاقب، وسعيد أحمد، وزارة الأوقاف المغربية، طبعة: ١٩٩٤م.

١٤٨-**الشبيه على المخالفات العقدية في الفتح**، د/ علي الشبل، الطبعة الأولى.

١٤٩-**تهافت التهافت**، لابن رشد القرطبي (ت:٥٩٥هـ)، قدم وعليه: أحمد شمس الدين، دار الكتب العلمية ـ بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، ١٤٢١هـ.

١٥٠-**تهذيب الأسماء واللغات**، لأبي زكريا محي الدين بن أشرف النووي (٦٧٦هـ)،

تعليق: إدارة الطباعة المنبرية، دار الكتب العلمية ـ بيروت.
١٥١-**توضيح المشتبه في ضبط أسماء الرواة وأنسابهم وألقابهم وكناهم**، لابن ناصر الدين شمس الدين محمد بن عبدالله بن محمد القيسي الدمشقي (٨٤٢هـ)، تحقيق وتعليق: محمد نعيم العرقسوسي، مؤسسة الرسالة ـ بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٤هـ.
١٥٢-**التيجانية**، دراسة لأهم عقائد التيجانية على ضوء الكتاب والسنة، د/ علي بن محمد آل رفيق الله دار العاصمة ـ الرياض، الطبعة الأولى، ١٤٠٩هـ.
١٥٣-**تيسير العزيز الحميد في شرح كتاب التوحيد**، للشيخ سليمان بن عبد الله بن محمد ابن عبد الوهاب، المكتب الإسلامي ـ بيروت، الطبعة السابعة، ١٤٠٨هـ.
١٥٤-**تيسير الكريم الرحمن في تفسير الكلام المنان**، لعبد الرحمن ناصر السعدي، مكتبة صالح بن صالح الثقافي ـ عنيزة، السعودية، الطبعة الثانية، ١٤١٢هـ.
١٥٥-**الثمر الداني في تقريب المعاني**، شرح رسالة ابن أبي زيد القيرواني، جمع الأستاذ: الشيخ صالح عبد السميع الأبي الأزهري، دار إحياء الكتب العربية، مطبعة عيسى البابي الحلبي.
١٥٦-**ثورة الإسلام**، د/ أحمد زكي أبو شادي، منشورات دار مكتبة الحياة ـ بيروت.
١٥٧-**جامع الترمذي**، للإمام أبي عيسى محمد بن عيسى الترمذي (ت:٢٧٩هـ)، مطبوع مع شرحه: تحفة الأحوذي، دار الفكر ـ بيروت.
١٥٨-**جامع بيان العلم وفضله**، للحافظ ابن عبد البر، دار الكتب العلمية، مصورة من الطبعة المنيرية.
١٥٩-**الجامع لأحكام القرآن**، لمحمد أحمد الأنصاري القرطبي، دار الكتب العلمية ـ بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٣هـ.
١٦٠-**الجامع لألفاظ الكفر**، جمع وتحقيق الشيخ د/ محمد بن عبد الرحمن الخميس.
١٦١-**الجرح والتعديل**، لأبي عبد الرحمن بن أبي حاتم محمد بن إدريس الرازي، مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية ـ حيدر آباد، الهند، دار الكتب العلمية ـ بيروت، الطبعة الأولى، ١٣٧٢هـ.

١٦٢-**جلاء الأفهام في الصلاة والسلام على خير الأنام**، لابن قيم الجوزية، دار الكتب العلمية ـ بيروت، لبنان.

١٦٣-**الجلال والجمال**، لمحمد بن علي بن عربي الطائي الصوفي الحلولي، دائرة المعارف العثمانية ـ حيدر آباد الدكن، ١٣٦١هـ.

١٦٤-**الجلالة** (كلمة الله)، لمحمد بن علي بن عربي الطائي الصوفي الحلولي، دائرة المعارف العثمانية ـ حيدر آباد الدكن، ١٣٦١هـ.

١٦٥-**جماع العلم**، للإمام المطلبي محمد بن إدريس الشافعي (ت:٢٠٤هـ)، تعليق وتحقيق: أحمد شاكر، خرج أحاديثه: عبد الرؤوف عبد الحنان، دار الفتح للطباعة والنشر والتوزيع ـ الشارقة، الإمارات العربية المتحدة، الطبعة الأولى، ١٤١٦هـ.

١٦٦-**جمال القراء وكمال الإقراء**، لعلم الدين السخاوي علي بن محمد (ت:٦٤٣هـ)، تحقيق: د/ علي حسين البواب، مكتبة التراث ـ مكة المكرمة، الطبعة الأولى، ١٤٠٨هـ.

١٦٧-**الجمعيات الخيرية لتحفيظ القرآن الكريم** (تقرير)، أ/ عبد الله بن حمد المزروعي، طبع مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، بمناسبة ندوة "عناية المملكة العربية السعودية بالقرآن الكريم وعلومه" عام ١٤٢١هـ.

١٦٨-**جهود إذاعة القرآن الكريم في خدمة القرآن الكريم وعلومه** (تقرير)، للشيخ محمد ابن سعيد الصفار، طبع مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، بمناسبة ندوة "عناية المملكة العربية السعودية بالقرآن الكريم وعلومه" عام ١٤٢١هـ.

١٦٩-**جهود الإدارة العامة للمناهج في وزارة المعارف في مجال العناية بكتاب الله تعالى وحفظه** (تقرير)، أ.د/ محمد بن معجب الحامد، طبع مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، بمناسبة ندوة "عناية المملكة العربية السعودية بالقرآن الكريم وعلومه" عام ١٤٢١هـ.

١٧٠-**جهود المملكة العربية السعودية في رعاية تحفيظ القرآن الكريم لأبناء المسلمين في الخارج** (تقرير)، أعده: د/ عبدالله علي بصفر، طبع مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، بمناسبة ندوة "عناية المملكة العربية السعودية بالقرآن الكريم وعلومه" عام ١٤٢١هـ.

١٧١-**جهود المملكة العربية السعودية في مجال طباعة القرآن الكريم للمكفوفين بطريقة (برايل)**، تقرير: د.ناصر بن علي الموسى، طبع مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، بمناسبة ندوة "عناية المملكة العربية السعودية بالقرآن الكريم وعلومه" عام ١٤٢١هـ.

١٧٢-**جهود مركز البحوث والدراسات الإسلامية في مجال العناية بالقرآن الكريم** (تقرير)، د/ مساعد بن إبراهيم الحديثي، طبع مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، بمناسبة ندوة "عناية المملكة العربية السعودية بالقرآن الكريم وعلومه" عام ١٤٢١هـ.

١٧٣- **الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح**، لشيخ الاسلام أحمد بن عبد الحليم ابن عبد السلام بن تيمية الحراني ٦٢٨هـ، تحقيق: د/ علي بن حسن بن ناصر، د/ عبد العزيز العسكر، د/ حمدان الحمدان، دار العاصمة، الرياض، الطبعة: الثانية، ١٤١٩هـ.

١٧٤-**الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي**، لمحمد بن أبي بكر بن قيم الجوزية، دار الكتب العلمية ـ بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٧هـ.

١٧٥-**الجواهر المضية في طبقات الحنفية**، لمحيي الدين عبد القادر محمد بن محمد ابن أبي الوفاء القرشي الحنفي (٦٩٦هـ)، تحقيق: عبد الفتاح محمد حلو، مؤسسة الرسالة، الطبعة الثانية، ١٤١٣هـ في هجر.

١٧٦-**جوهرة التوحيد**، لبرهان الدين إبراهيم بن هارون اللقاني، ضمن مجموع أمهات المتون في مختلف الفنون والعلوم، جمع دار الفكر، تصحيح: أحمد سعد علي ـ القاهرة، ١٣٦٩هـ.

١٧٧- **حاشية أبو المنتهي على الفقه الأكبر**، للإمام أبي حنيفة، من مطبوعات كويتة ـ باكستان.

١٧٨-**حاشية الإمام أبي الحسن الحنفي المعروف بالسندي**، (١١٣٨هـ)، مطبوع بهامش سنن ابن ماجة باعتناء الشيخ خليل مأمون الشيحا، دار المؤيد ـ

الرياض، الطبعة الأولى، ١٤١٦هـ.
١٧٩- **حاشية الدسوقي على الشرح الكبير**، للشيخ شمس الدين محمد عرفة الدسوقي، طبعة دار إحياء الكتب العربية، مطبعة عيسى البابي الحلبي.
١٨٠- **حاشية الدسوقي على شرح أم البراهين**، للسنوسي، دار الفكر ـ بيروت.
١٨١- **حاشية الشيخ محمد الشنواني على مختصر ابن أبي جمرة**، دار القلم ـ بيروت، لبنان.
١٨٢- **حاشية كتاب التوحيد**، بقلم عبد الرحمن بن محمد بن قاسم العاصمي النجدي (١٣١٢ـ١٣٩٢هـ)، الطبعة الثالثة، ١٤٠٨هـ.
١٨٣- **حجة الله البالغة**، للشيخ أحمد شاه ولي الله بن عبد الرحيم الدهلوي (ت:١١٧١هـ)، ضبطه وراجع حواشيه: محمد سالم هاشم، دار الكتب العلمية ـ بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، ١٤١٥هـ.
١٨٤- **الحجة في بيان المحجة وشرح عقيدة أهل السنة**، إملاء: الإمام الحافظ قوام السنة أبي القاسم إسماعيل بن محمد بن الفضل التيمي الأصبهاني (ت:٥٣٥هـ)، تحقيق: محمد بن ربيع بن هادي عمير المدخلي، دار الراية ـ الرياض، الطبعة الثانية، ١٤١٩هـ.
١٨٥- **حديث الأحرف السبعة دراية ورواية**، للدكتور/ عبد العزيز بن عبد الفتاح القارئ.
١٨٦- **حراسة العقيدة**، د/ ناصر عبد الكريم العضل، مطابع أضواء السلف ـ الرياض.
١٨٧- **الحركات الباطنية في العالم الإسلامي عقائدها وحكم الإسلام فيها**، لمحمد أحمد الخطيب، دار عالم الكتب ـ الرياض، الطبعة الثانية، ١٤٠٦هـ.
١٨٨- **حفظ القرآن الكريم وتعليمه في جميع مراحل التعليم العام والتعليم الجامعي**، (تقرير)، د.حمد بن ناصر العمار، طبع مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، بمناسبة ندوة "عناية المملكة العربية السعودية بالقرآن الكريم وعلومه" عام ١٤٢١هـ.
١٨٩- **حقيقة الخلاف بين علماء الشيعة وعلماء المسلمين**، الندوة العالمية للشاب للإسلامي الدار سعيد إسماعيل، الندوة العالمية للشباب الإسلامي، الطبعة

الرابعة، ١٤٠٩هـ.
١٩٠-**حكم القراءة للأموات هل يصل ثوابها إليهم**، لمحمد أحمد عبد السلام، راجعه: محمد مهدي، الجامعة الإسلامية، الطبعة الثالثة.
١٩١-**الحكم بغير ما أنزل الله وأصول التكفير في ضوء الكتاب والسنة وأقوال سلف الأمة**، لخالد بن علي بن محمد العنبري، قرظه وقدم له: الشيخ د/ صالح بن غانم السدلان، توزيع مكتب العلم بجدة، الطبعة الثانية، ١٤١٧هـ.
١٩٢-**الحكم بما أنزل الله فرض عين على كل مسلم**، مقالات سعد الحصين، جمع إعداد: رداد بن عبد الله الرداد، الطبعة الأولى، ١٤٢٤هـ.
١٩٣-**الحكومة الإسلامية**، لآية الله الخميني، منشورات المكتبة الإسلامية الكبرى.
١٩٤-**حلية الأبدال**، لابن عربي الوجودي، دائرة المعارف العثمانية ـ حيدر آباد الدكن، الطبعة الأولى، ١٣٦٧هـ.
١٩٥-**حلية العلماء في معرفة مذاهب الفقهاء**، لسيف الدين أبي بكر محمد القفال، تحقيق: ياسين أحمد إبراهيم، مكتبة الرسالة ـ الأردن، الطبعة الأولى، ١٩٨٨م.
١٩٦-**الحيدة**، لعبد الغني بن يحيى بن مسلم الكناني المكي (ت:٢٤٠هـ)، الجامعة الإسلامية، الطبعة الثالثة، ١٤٠٥هـ.
١٩٧-**الخريدة البهية في العقائد التوحيدية**، لأبي البركات أحمد بن محمد الدردير، ضمن مجموع أمهات المتون في مختلف الفنون والعلوم، جمع دار الفكر، تصحيح: أحمد سعد علي ـ القاهرة، ١٣٦٩هـ.
١٩٨-**خصائص القرآن الكريم**، أ.د/ فهد بن عبد الرحمن الرومي، مكتبة التوبة ـ الرياض، الطبعة العاشرة، ١٤٢١هـ.
١٩٩-**خطبة الحاجة التي كان رسول الله ﷺ يعلمها أصحابه**، لمحمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي، الطبعة الرابعة، ١٤٠٠هـ.
٢٠٠-**الخطر اليهودي بروتوكولات حكماء صهيون**، ترجمه: محمد خليفة التونسي، مكتبة دار التراث ـ القاهرة، الطبعة الثانية.

٢٠١-**خلاصة الأحكام في مهمات السنن وقواعد الإسلام**، ليحيى بن شرف النووي (ت:٦٧٦هـ)، حققه وخرج أحاديثه: حسين إسماعيل الجمل، مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى، ١٤١٨هـ.

٢٠٢-**خلاصة تلخيص المفتاح لكاتب هذه السطور**، وهو مصور مخطوط.

٢٠٣-**خلق أفعال العباد**، للإمام محمد بن إسماعيل البخاري (١٩٤ـ ٢٥٦هـ)، تقديم وتحقيق: بدر البدر، الدار السلفية ـ الكويت، الطبعة: ١٤٠٥هـ.

٢٠٤-**الخوارج والفكر المتجدد**، للشيخ عبد المحسن ناصر العبيكان، اعتنى بها: جابر ابن علي المري، مكتبة ابن القيم ـ الكويت، الطبعة الأولى ١٤٢٣هـ.

٢٠٥-**الدار الآخرة**، لبعد الحسين دستغيب، مؤسسة دار الكتاب (الجزائري) للطباعة والنشر ـ قم إيران، الطبعة الثالثة، ١٤٢٠هـ.

٢٠٦-**الدر المنثور في تفسير المأثور**، للحافظ عبد الرحمن جلال الدين السيوطي، دار الفكر ـ بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٣هـ.

٢٠٧-**الدر النضيد**، لمجموعة ابن الحفيد سيف الدين يحيى بن سعد الدين التفتازاني، دار الكتاب العربي ـ بيروت ١٤٠٠هـ.

٢٠٨-**درء تعارض العقل والنقل**، لابن تيمية، تحقيق: محمد رشاد سالم.

٢٠٩-**دراسات في الفرق: الصوفية نشأتها وتطورها**، لمحمد العبد ة وطارق عبد الحليم، مكتبة الكوثر للنشر والتوزيع ـ الرياض، الطبعة الرابعة.

٢١٠-**دراسات في الفرق: المعتزلة بين القديم والحديث**، لمحمد العبده، طارق عبد الحليم، دار ابن حزم للطباعة والنشر ـ بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، ١٤١٦هـ.

٢١١-**درة التنزيل وغرة التأويل**، لمحمد بن عبد الله الخطيب الإسكافي (٤٢٠هـ)، دار الكتب العلمية ـ بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٦هـ.

٢١٢- **دستور العلماء وجامع العلوم في اصطلاحات الفنون**، للقاضي عبد النبي ابن عبد الرسول الأحمد، دار الكتب العلمية ـ بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، ١٤٢١هـ.

٢١٣-**دعوة الإمام محمد بن عبد الوهاب بين مؤيديها ومعارضيها في شبه القارة الهندية**، لأبي المكرم بن عبد الجليل، دار السلام للنشر والتوزيع ـ جدة، السعودية، الطبعة الثانية، ١٤٢١هـ.

٢١٤-**دعوة التوحيد**، للشيخ د/ محمد خليل هراس، بيروت ـ لبنان، الطبعة الأولى، ١٤٠٦هـ.

٢١٥-**دلائل الإعجاز**، لعبد القاهر الجرجاني، مطبوع مع رسالتين آخريين في الإعجاز بعنوان: ثلاث رسائل في الإعجاز للرماني والخطابي والجرجاني، تحقيق: محمد خلف الله أحمد، د/ محمد زغلول سلام، دار المعارف ـ القاهرة، الطبعة الرابعة.

٢١٦-**دلائل التوحيد**، للشيخ محمد جمال الدين القاسمي، بيروت ـ لبنان، الطبعة الأولى، ١٤٠٥هـ.

٢١٧-**دمية القصر وعصرة أهل العصر**، لأبي الحسن الباخرزي،، تحقيق: د/ سامي مكي العاني، دار العروبة للنشر ـ الكويت، الطبعة الثانية، ١٤٠٥هـ.

٢١٨-**الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب**، القاضي إبراهيم بن نور الدين المعروف بابن فرجون المالكي، تحقيق: مأمون بن محيي الدين الحنان، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى، ١٤١٧هـ.

٢١٩-**ذخيرة الحفاظ المخرج على الحروف والألفاظ**، للحافظ محمد بن طاهر المقدسي (٥٠٧هـ)، تحقيق: د/ عبد الرحمن بن عبد الجبار الفريواني... دار السلف للنشر والتوزيع ـ الرياض، الطبعة الأولى، ١٤١٦هـ.

٢٢٠-**ذم ما عليه مدعو التصوف**، فتوى ابن قدامة المقدسي، تحقيق: زهير الشاويش، المكتب الإسلامي ـ بيروت، الطبعة الثالثة، ١٤٠٥هـ.

٢٢١-رحلة **المصحف الشريف من الجريد إلى التجليد**، لحسن قاسم حيش البناتي، دار القلم للطباعة والنشر ـ بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، ١٤١٤هـ.

٢٢٢-**الرد القويم البالغ على كتاب الخليلي المسمى بالحق الدامغ**، للشيخ د/ علي بن محمد ناصر فقيهي، دار المآثر ـ المدينة المنورة، الطبعة الثانية، ١٤٢٢هـ.

٢٢٣-**رد المحتار على الدر المختار شرح تنوير الأبصار**، لمحمد أمين الشهير بابن عابدين، تحقيق: عادل أحمد، علي محمد معوض، توزيع مكتبة الباز ـ مكه المكرمة، الطبعة الأولى، ١٤١٥هـ.

٢٢٤-**الرد على الرفاعي والسيوطي في كذبهما على أهل السنة ودعوتهما إلى البدع والضلال**، لشيخنا عبد المحسن بن حمد العباد البدر، دار ابن الأثير ـ الرياض، الطبعة الأولى، ١٤٢١هـ.

٢٢٥-**الرد على الزنادقة والجهمية**، للإمام أحمد بن حنبل (١٦٤ـ ٢٤١هـ)، الدار السلفية ـ الكويت، الطبعة الثالثة، ١٤٠٣هـ.

٢٢٦-**الرد على المنطقيين**، للإمام أحمد بن تيمية، المكتبة الإمدادية ـ مكة المكرمة الطبعة الأولى، ١٤٠٢هـ.

٢٢٧-**رسائل وفتاوى في ذم ابن عربي الصوفي**، جمع وتحقيق: د/ موسى بن سليمان الدويش، إدارة المطبوعات ـ المدينة المنورة، الطبعة الأولى، ١٤١٠هـ.

٢٢٨-**رسالة ابن عربي للرازي**، لمحمد بن علي بن عربي الصوفي الحلولي، دائرة المعارف العثمانية ـ حيدر آباد الدكن، ١٣٦٧هـ.

٢٢٩-**رسالة السجزي إلى أهل زبيد في الرد على من أنكر الحرف والصوت**، لعبيد الله ابن سعيد السجزي، تحقيق: محمد باكريم با عبد الله، الجامعة الإسلامية ـ المدينة، الطبعة الأولى، ١٤١٣هـ.

٢٣٠-**الرسالة النونية**، لمحمد ابن أبي بكر ابن قيم، مكتبة الخزاز ـ جدة، الطبعة الأولى، ١٤١٩هـ.

٢٣١-**رسالة في ألفاظ الكفر**، لتاج الدين أبي المعالي مسعود بن أحمد الحنفي، ضمن: الجامع في ألفاظ الكفر، للشيخ د/ محمد بن عبد الرحمن الخميس، دار إيلاف الدولية ـ الكويت، الطبعة الأولى، ١٤٢٠هـ.

٢٣٢-**رسالة في ألفاظ الكفر**، لقاسم بن صلاح الدين الخاني، ضمن: الجامع في ألفاظ الكفر، للشيخ د/ محمد بن عبد الرحمن الخميس، دار إيلاف الدولية ـ الكويت،

الطبعة الأولى، ١٤٢٠هـ.
٢٣٣-**رسالة في علم التوحيد**، لإبراهيم البيجوري، ضمن: مجموع أمهات المتون في مختلف الفنون والعلوم، جمع دار الفكر، تصحيح: أحمد سعد علي ـ القاهرة، ١٣٦٩هـ.
٢٣٤-**رسالة لا يعول عليه**، لابن عربي الصوفي الحلولي، المعارف العثمانية ـ حيدر آباد الدكن، ١٣٦٧هـ.
٢٣٥-**الرسالة**، للإمام الشافعي، تحقيق: محمد سيد كيلاني، مطبعة مصطفى البابي الحلبي، الطبعة الأولى، ١٣٨٨هـ.
٢٣٦-**الرسالة**، للإمام محمد بن إدريس الشافعي، تحقيق: أحمد محمد شاكر، التراث ـ القاهرة، ١٣٩٩هـ.
٢٣٧-**رفع النقاب عن تراجم الأصحاب**، لإبراهيم بن محمد بن سالم بن ضويان (١٢٧٥ـ ١٣٥٣هـ)، تحقيق: محب الدين عمر بن غرامة العمروي، دار الفكر للطباعة والنشر ـ بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٨هـ.
٢٣٨-**روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع والمثاني**، لأبي الفضل شهاب الدين السيد الألوسي البغدادي، دار الكتب العلمية ـ بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٥هـ.
٢٣٩-**الروح في الكلام على أرواح الأموات والأحياء بالدلائل من الكتاب والسنة والآثار وأقوال العلماء**، لشمس الدين أبي عبد الله بن قيم الجوزية، تحقق وقدم له وعلق حواشيه: محمد اسكندر بلدا، دار الكتب العلمية ـ بيروت.
٢٤٠-**الروض الباسم في الذب عن سنة أبي القاسم**، لابن وزير الصنعاني (ت:٨٤٠هـ)، تحقيق: محمد علاء الدين المصري ـ بيروت، لبنان، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى، ١٤١٩هـ.
٢٤١-**روض الطالبين**، يحيى بن شرف النووي (٦٧٦هـ) تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود، الشيخ علي محمد معوض، دار الكتب العلمية ـ بيروت، لم يذكر سنة الطباعة.
٢٤٢-**روضة الناظر وجنة المناظر في أصول الفقه على مذهب الإمام أحمد بن حنبل**، لابن قدامة المقدسي، وبهامشه نزهة الخاطر العاطر: لعبد القادر بن أحمد

الدمشقي، دار الحديث، الطبعة الأولى، ١٤١٢هـ.
٢٤٣-**زاد المسير في علم التفسير**، لعبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي (٥٥٨-٥٩٧هـ)، المكتب الإسلامي - بيروت، الطبعة الرابعة، ١٤٠٧هـ.
٢٤٤-**زاد المعاد في هدي خير العباد**، لابن قيم الجوزية (٧٥١هـ)، تعليق: شعيب الأرناؤوط، عبد القادر الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة - بيروت، الطبعة السادسة، ١٤١٢هـ.
٢٤٥-**الزواجر عن إقتراف الكبائر**، لأبي العباس أحمد بن محمد الهيتمي (٩٧٤هـ)، ضبطه وكتب هوامشه أحمد عبد الشافي، دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة الثانية، ١٤١٤هـ.
٢٤٦-**سبعون فتوى في احترام القرآن**، جمع وترتيب: أبي أنس علي بن حسين أبو لوز، دار الوطن - الرياض، الطبعة الأولى، ١٤١٧هـ.
٢٤٧-**سبل السلام شرح بلوغ المرام من جمع أدلة الأحكام**، للإمام محمد بن إسماعيل الصنعاني، تقديم وتخريج: محمد عبد القادر، دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢٠هـ.
٢٤٨-**سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها**، لمحمد ناصر الدين الألباني، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الطبعة: ١٤١٥هـ.
٢٤٩-**سلم الوصول إلى علم الأصول في توحيد الله واتباع الرسول**، للشيخ حافظ ابن أحمد الحكمي، مكتبة ابن تيمية - القاهرة، الطبعة الثانية، ١٤١٤هـ.
٢٥٠-**السنة**، لأحمد بن محمد بن يزيد الخلال (٣١١هـ)، تحقيق: د/ عطية بن عتيق الزهراني، دار الراية - الرياض، الطبعة الثانية، ١٤١٥هـ.
٢٥١-**السنة**، لعبد الله بن أحمد بن محمد بن حنبل، تحقيق: محمد السعيد بن بسيوني زغلول، دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة الثانية، ١٤١٤هـ.
٢٥٢-**السنة**، لعمرو ابن أبي عاصم الضحاك بن مخلد الشيباني (ت:٢٨٧هـ)، المكتب الإسلامي - بيروت، الطبعة الثالثة، ١٤١٣هـ.

٢٥٣-**سنن ابن ماجة**، شرح الإمام أبي الحسن الحنفي السندي (١٣٨هـ)، تحقيق: خليل مأمون شيحا، دار المعرفة - بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، ١٤١٦هـ.

٢٥٤-**سنن أبي داود**، لسليمان بن الأشعث السجستاني (٢٠٢-٢٧٥هـ)، إعداد وتعليق: عزت عبيد الدعاس وعادل السيد، دار ابن حزم - بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٨هـ.

٢٥٥-**سنن الدارمي**، للإمام أبو محمد عبد الله بن عبد الرحمن بن المفضل بن بهرام التميمي (٢٥٥هـ)، تحقيق: محمد عبد العزيز الخالدي، دار الكتب العليمة - بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٧هـ.

٢٥٦-**سنن النسائي**، شرح الحافظ جلال الدين السيوطي (٩١١هـ)، وحاشية الإمام السندي (١١٣٨هـ)، تحقيق: مكتب تحقيق التراث الإسلامي، دار المعرفة - بيروت، الطبعة الثانية، ١٤١٢هـ.

٢٥٧-**السنن والمبتدعات**، لعبد السلام خضر الشقيري، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى، ١٤١٥هـ.

٢٥٨-**سير أعلام النبلاء**، لمحمد بن أحمد - شمس الدين - الذهبي (٧٤٨هـ)، مؤسسة الرسالة - بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٧هـ.

٢٥٩-**سيرة الإمام البخاري**، لعبد السلام المباركفوري (١٢٨٩-١٣٤٢هـ)، الدار السلفية - بومباي، الهند، الطبعة الثانية، ١٤٠٧هـ.

٢٦٠-**الشاهد**، لمحمد بن علي بن عربي الطائي الصوفي الحلولي، دائرة المعارف العثمانية - حيدر آباد الدكن، ١٣٦٧هـ.

٢٦١-**شذرات الذهب في أخبار من ذهب**، لأبي الفلاح عبد الحي بن العماد الحنبلي (١٠٨٩هـ)، دار إحياء التراث العربي - بيروت، طبعة جديدة لم تذكر سنة الطبع.

٢٦٢-**شرح ابن عقيل... على ألفية ابن مالك**، للقاضي القضاة بهاء الدين عبد الله ابن عقيل العقيلي الهمداني المصري (٦٧٢هـ)، المكتبة العصرية - بيروت، ١٤١٤هـ.

٢٦٣-**شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة من الكتاب والسنة وإجماع الصحابة**

والتابعين ومن بعدهم، لهبة الله بن الحسن بن منصور الطبري اللالكائي (٤١٨هـ)، تحقيق: أحمد بن محسن، وحمدان الغامدي، دار الطيبة ـ الرياض، الطبعة الثالثة، ١٤١٥هـ.

٢٦٤-**شرح الأصبهانية**، لشيخ الإسلام ابن تيمية، تحقيق ودراسة: محمد بن عودة السعوي، رسالة مقدمة لنيل درجة الدكتوراة ١٤٠٧هـ.

٢٦٥-**شرح الإمام علي القاري على كتاب ألفاظ الكفر**، للعلامة بدر الرشيد، تحقيق: د/ الطيب بن عمر الحسين الشنقيطي، دار الفضيلة... للنشر والتوزيع ـ الرياض، الطبعة الأولى، ١٤٢٣هـ.

٢٦٦-**شرح السنة**، للإمام البغوي الحسين بن مسعود (٥١٦هـ) تحقيق: زهير الشاويش، شعيب الأرناؤوط، المكتب الإسلامي، الطبعة الثانية، ١٤٠٣هـ.

٢٦٧-**الشرح الصغير على أقرب المسالك**، لأبي البركات أحمد الدردير، طبع دار المعارف ـ مصر.

٢٦٨-**شرح العقيدة السلفية الكواكب الدرية لشرح "الدرة المضيئة في عقيدة أهل الفرقة المرضية"**، للعلامة الشيخ محمد بن عبد العزيز بن مانع، حققه:أبو محمد أشرف بن عبد المقصود، أضواء السلف ـ الرياض، الطبعة الأولى، ١٤١٨هـ.

٢٦٩-**شرح العقيدة الطحاوية**، لعلي بن علي بن محمد بن أبي العز الحنفي، تحقيق: عبد الله ابن عبد المحسن التركي، شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة ـ بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٨هـ.

٢٧٠-**شرح العقيدة النونية المسماة الكافية الشافية في الانتصار الفرقة الناجية**، للإمام ابن القيم الجوزية، شرحها وحققها: د/ محمد خليل هراس، مكتبة دار الباز عباس أحمد الباز ـ مكة، الطبعة الثانية، ١٤١٥هـ.

٢٧١-**شرح العقيدة الواسطية**، للشيخ محمد خليل هراس راجعه الشيخ عبد الرزاق عفيفي، من مطبوعات جمعية إحياء التراث الإسلامي ـ الكويت، الطبعة الأولى، ١٤١٤هـ.

٢٧٢-**شرح العمدة في الفقه**، لشيخ الإسلام ابن تيمية، تحقيق: د/ سعود بن صالح العطيشان، مكتبة العبيكان، الطبعة الأولى، ١٤١٢هـ.

٢٧٣-**شرح المواقف**، للقاضي عضد الدين عبد الرحمن الإيجي (٧٥٦هـ)، تأليف: سيد الشريف علي بن محمد الجرجاني (٨١٦هـ)، ضبطه وصححه: محمد عمر الدمياطي، دار الكتب العلمية ـ بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، ١٤١٩هـ.

٢٧٤-**شرح الواسطية**، للشيخ صالح بن فوزان بن عبد الله الفوزان، مكتبة المعارف ـ الرياض، الطبعة السابعة، ١٤١٩هـ.

٢٧٥-**شرح كتاب الفقه الأكبر**، للملا علي القاري الحنفي، دار الكتب العلمية ـ بيروت، لبنان.

٢٧٦-**شرح مشكل الآثار**، لأبي جعفر بن محمد الطحاوي (٣٢١هـ)، حققه: شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة ـ بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٥هـ.

٢٧٧-**شعب الإيمان**، لأبي بكر أحمد بن الحسين البيهقي (ت٤٥٨هـ)، تحقيق: أبي هاجر محمد بن السعيد بن بسيوني زغلول، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى، ١٤١٠هـ ١٩٩٠م.

٢٧٨-**الشفا بتعريف حقوق المصطفى**، للقاضي أبي الفضل عياض اليحصبي، منشورات المكتبة التجارية الكبرى، توزيع دار الفكر ـ بيروت.

٢٧٩-**شفاء الصدور في زيارة المشاهد والقبور**، لمرعي بن يوسف الكرمي الحنبلي (١٠٣٣هـ)، مكتبة نزار مصطفى الباز ـ مكة المكرمة، الطبعة الأولى، ١٤١٧هـ.

٢٨٠-**شفاء الغرام بأخبار البلد الحرام**، لأبي الطيب تقي الدين محمد بن أحمد بن علي القاسمي المكي المالكي (ت٨٣٢هـ)، دار الكتب العلمية ـ بيروت، لبنان.

٢٨١-**الشيعة الاثنا عشرية وتحريف القرآن**، لمحمد عبد الرحمن السيف، الطبعة الأولى، ١٩٩٨م.

٢٨٢-**الصارم المسلول على شاتم الرسول**، لشيخ الإسلام ابن تيمية (ت٧٢٨هـ)، وضع حواشيه: إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية ـ بيروت، لبنان،

الطبعة الأولى، ١٤١٩هـ.
٢٨٣-**صب العذاب على من سب الأصحاب**، لمحمود شكري الألوسي (ت١٣٤٢هـ)، راجعه وحققه: عبد الله البخاري، أضواء السلف ـ الرياض، الطبعة الأولى، ١٤١٧هـ.
٢٨٤-**صحيح البخاري**، للإمام أبي عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري (١٩٤ـ ٢٥٦هـ)، دار السلام ـ الرياض، الطبعة...، ١٤١٧هـ.
٢٨٥-**صحيح الترغيب والترهيب**، لمحمد ناصر الدين الألباني، مكتبة المعارف ـ الرياض، الطبعة الأولى، ١٤٢١هـ.
٢٨٦-**صحيح الجامع الصغير وزيادته**، للسيوطي، تحقيق: محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي ـ بيروت، الطبعة الأولى، ١٣٨٨هـ.
٢٨٧-**صحيح سنن أبي داود**، لسليمان بن الأشعث السجستاني (٢٧٥هـ)، تأليف: محمد ناصر الدين الألباني، مكتبة المعارف ـ الرياض، الطبعة الثانية، ١٤٢١هـ.
٢٨٨-**صحيح سنن أبي داود**، للإمام الحافظ سليمان بن الأشعث السجستاني (٢٧٥هـ)، تأليف: الألباني (ت١٤٢٠هـ)، مؤسسة غراس للنشر والتوزيع ـ الكويت، الطبعة الأولى، ١٤٢٢هـ.
٢٨٩-**صحيح مسلم أبي الحسين مسلم بن الحجاج القشيري**، اعتنى به: أبو صهيب الكرمي، بيت الأفكار الدولية، الطبعة الأولى، ١٤١٩هـ.
٢٩٠- **صحيح مسلم بشرح النووي**، دار الديان للتراث ـ القاهرة، الطبعة الأولى، ١٤٠٧هـ.
٢٩١-**صريح السنة**، لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري (٣١٠هـ)، تحقيق: بدر يوسف المعتوق، دار الخلفاء للكتاب الإسلامي، الطبعة الأولى، ١٩٨٥م.
٢٩٢-**الصفات الإلهية في الكتاب والسنة النبوية في ضوء الإثبات والتنزيه**، د/ محمد أمان بن علي الجامي، دار الحرمين للطباعة ـ القاهرة.
٢٩٣-**الصفدية**، لشيخ الإسلام أحمد بن تيمية، تحقيق: محمد رشاد سالم، دار الهدي النبوي ـ مصر، المنصورة، الطبعة الأولى، ١٤٢١هـ.

٢٩٤-**الصوارم الحداد القاطعة لعلائق أرباب الاتحاد**، تأليف: الشوكاني، تحقيق وتعليق: د/ محمد ربيع هادي المدخلي، دار الحريري للطباعة ـ مصر، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٤١٤هـ.

٢٩٥-**الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة**، للإمام ابن قيم الجوزية، تحقيق: د/ أحمد عطية الغامدي، طبعة الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة.

٢٩٦-**صون المنطق والكلام**، لجلال الدين السيوطي، تأليف: علي سامي النشار، دار الكتب العلمية ـ بيروت، لبنان.

٢٩٧-**صيحة حق في حمام الباطل**، تأليف أحمد بن يحيى النجمي، مكتبة الفرقان ـ الإمارات العربية، الطبعة الأولى، ١٤٢٣هـ.

٢٩٨-**صيد الخاطر**، للحافظ جمال الدين أبي الفرج عبد الرحمن ابن الجوزي البغدادي (٥٩٧هـ)، تحقيق: عبد القادر أحمد عطا، دار الكتب العلمية ـ بيروت، لبنان.

٢٩٩-**ضلال جماعة الأحباش**، رسالة صادرة من اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء بالسعودية، الطبعة الأولى، ١٤٢١هـ.

٣٠٠-**الضوء اللامع**، لشمس الدين محمد بن عبد الرحمن السخاوي، منشورات دار مكتبة الحياة ـ بيروت، لبنان.

٣٠١-**ضياء النور من إحياء السنة لدحض الفجور وإماتة البدعة**، للشيخ محمد طاهر، ناشر: مكتبة اليمان ـ باكستان، بنج بير.

٣٠٢-**طبقات الحفاظ**، لعبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، دار الكتب العلمية ـ بيروت، لبنان، الطبعة الثانية، ١٤١٢هـ.

٣٠٣-**طبقات الحنابلة**، لمحمد محمد بن الحسين ابن أبي يعلى الحنبلي (٥٢٦هـ)، تخريج: أسامة حسن، حازم علي البهجة، دار الكتب العلمية ـ بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٧هـ.

٣٠٤-**طبقات الشافعية الكبرى**، لعبد الوهاب بن علي بن عبد الكافي السبكي (٧٢٧ـ٧٧١هـ)، تحقيق: عبد الفتاح محمد الحلو، محمود محمد الطاهي، دار إحياء

الكتب العربية.
٣٠٥-**الطبقات الكبرى**، لمحمد بن سعد البصري، دراسة وتحقيق: محمد عبد القادر عطاء، توزيع: مكتبة عباس أحمد الباز ـ مكة المكرمة، الطبعة الثانية، ١٤١٨هـ.
٣٠٦-**طلبة الطلبة في الاصطلاحات الفقهية**، تأليف نجم الدين أبي جعفر عمر بن محمد الحنفي، علق عليه ووضع حواشيه: أبو عبد الله محمد حسن محمد إسماعيل الشافعي، توزيع مكتبة عباس أحمد الباز ـ مكة المكرمة، الطبعة الأولى، ١٤١٨هـ.
٣٠٧-**ظلال الجنة في تخريج السنة**، للشيخ محمد ناصر الدين الألباني، المطبوع بهامش كتاب السنة لابن أبي عاصم، الكتب الإسلامي ـ بيروت، الطبعة الثالثة، ١٤١٣هـ.
٣٠٨-**عبد الله بن سبأ وإمامة علي ابن أبي طالب**، تأليف: علي بن عبد الرحمن السلمان، دار الأمل للنشر والتوزيع ـ القاهرة.
٣٠٩-**العبودية**، تأليف: تقي الدين ابن تيمية الدمشقي (٧٢٨هـ)، تحقيق: علي حسن عبد الحميد، دار الأصالة...، الطبعة الثالثة، ١٤١٩هـ.
٣١٠-**العصرانيون بين مزاعم التجديد وميادين التغريب**، تأليف: محمد حامد الناصر، مكتبة الكوثر للنشر والتوزيع ـ الرياض، الطبعة الثانية، ١٤٢٢هـ.
٣١١- **عقائد الإمامية**، لمحمد رضا المظفر، مطبوعات النجاح بالقاهرة، الطبعة الثالثة، ١٣٩١هـ.
٣١٢-**العقائد النسفية**، لعمر بن محمد النسفي، ضمن مجموع أمهات المتون في مختلف الفنون والعلوم، جمع دار الفكر، تصحيح: أحمد سعد علي ـ القاهرة، ١٣٦٩هـ.
٣١٣-**العقيدة الإسلامية في مواجهة المذاهب الهدامة**، تأليف: د/ محمد أبو الغيط الفرت، ود/ محمد رواس قلعجي، دار البحوث العلمية ـ الكويت، الطبعة الأولى، ١٤٠٣هـ.
٣١٤-**العقيدة الإسلامية وأسسها**، لعبد الرحمن حبنكة الميداني، الطبعة الأولى، ١٩٦٦م.
٣١٥-**عقيدة السلف أصحاب الحديث**، لشيخ الإسلام إسماعيل بن عبد الرحمن الصابوني (٣٧٣ـ ٤٤٩هـ)، تحقيق: بدر عبد الله البدر، مكتبة الغرباء الأثرية ـ المدينة، الطبعة الثانية، ١٤١٥هـ.

٣١٦-**العقيدة السلفية في كلام رب البرية وكشف أباطيل المبتدعة الردية**، لعبد الله ابن يوسف الجديع، دار الصميعي ـ الرياض، الطبعة الثانية، ١٤١٦هـ.

٣١٧-**العقيدة الطحاوية**، لأحمد بن محمد بن سلامة الأزدي، شرح وتعليق: محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي، الطبعة الثانية، ١٤١٤هـ.

٣١٨-**عقيدة المؤمن**، للشيخ أبي بكر جابر الجزائري، مكتبة الكليات الأزهرية، ١٣٩٨هـ.

٣١٩-**العقيدة الواسطية**، لأحمد بن تيمية، تخريج سعد الصميل، دار ابن الجوزي ـ المملكة، الطبعة الرابعة، ١٤١٧هـ.

٣٢٠-**علل الشرائع**، لأبي جعفر محمد بن علي بن الحسين بن موسى بن بابويه القمي، منشورات المكتبة الحيدرية، ومطبعتها في النجف سنة ١٣٨٥هـ ـ ١٩٦٦م.

٣٢١-**العلل المتناهية في الأحاديث الواهية**، لأبي الفرج عبد الرحمن بن علي بن الجوزي (٥٩٧هـ)، تحقيق: إرشاد الحق الأثري، إدارة ترجمان السنة ـ باكستان.

٣٢٢-**علماء الشعية يقولون**، وثائق مصورة من كتب الشيعة، إعداد: مركز إحياء التراث آل البيت.

٣٢٣-**عمل اليوم الليلة**، للإمام أحمد بن شعيب النسائي (ت٣٠٣هـ)، تحقيق: د/ فاروق حمادة، مؤسسة الرسالة ـ بيروت، الطبعة الثانية، ١٤٠٦هـ.

٣٢٤-**عناية الإعلام السعودي بالقرآن الكريم (مع دراسة تحليلية لبرامج القناة الأولى)**، د/ إسماعيل أحمد النزاري، طبع مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، بمناسبة ندوة "عناية المملكة العربية السعودية بالقرآن الكريم وعلومه" عام ١٤٢١هـ.

٣٢٥-**عناية المملكة العربية السعودية بالقرآن الكريم من خلال المدارس الخاصة لتحفيظ القرآن الكريم والكليات الجامعية للقرآن وعلومه**، د/ محمد بن سيدي محمد، طبع مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، بمناسبة ندوة "عناية المملكة العربية السعودية بالقرآن الكريم وعلومه" عام ١٤٢١هـ.

٣٢٦-**عناية المملكة العربية السعودية بالقرآن الكريم**، من إصدارات وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد، مركز البحوث والدراسات، طبع بمناسبة ندوة" عناية المملكة العربية السعودية بالقرآن الكريم" والتي نظمها مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، عام ١٤٢١هـ.

٣٢٧-**عناية المملكة العربية السعودية بتفسير القرآن الكريم وترجمة معانيه**، أعده: د/ مانع ابن حماد الجهني، طبع مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، بمناسبة ندوة "عناية المملكة العربية السعودية بالقرآن الكريم وعلومه" عام ١٤٢١هـ.

٣٢٨-**عناية المملكة العربية السعودية بطباعة المصحف الشريف، وتسجيل تلاوته، وترجمة معانيه ونشره**، أ/ د/ محمد بن سالم العوفي، طبع مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، بمناسبة ندوة "عناية المملكة العربية السعودية بالقرآن الكريم وعلومه" عام ١٤٢١هـ.

٣٢٩-**العناية بالقرآن الكريم وعلومه من بداية القرآن الرابع الهجري إلى عصرنا الحاضر**، د/ نبيل بن محمد آل إسماعيل، طبع مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، بمناسبة ندوة "عناية المملكة العربية السعودية بالقرآن الكريم وعلومه" عام ١٤٢١هـ.

٣٣٠-**عون المعبود شرح سنن أبي داود**، للعلامة أبي الطيب محمد شمس الدين العظيم آبادي، دار الكتب العلمية ـ بيروت، الطبعة الثانية، ١٤١٥هـ.

٣٣١-**العين والأثر في عقيدة أهل الأثر**، لعبد الباقي المواهبي الحنبلي (١٠٧١هـ)، تحقيق: عصام رواص قلعجي، دار المأمون، الطبعة الأولى، ١٤٠٧هـ.

٣٣٢-**غاية الأماني في الرد على البنهاني..**، لمحمود شكري الألوسي (ت١٣٤٢هـ)، مكتبة العلم بجدة.

٣٣٣-**غاية المرام في تخريج أحاديث الحلال والحرام**، للشيخ محمد ناصر الدين الألباني، بإشراف: زهير الشاويش، المكتب الإسلامي ـ بيروت، الطبعة الرابعة، ١٤١٤هـ.

٣٣٤-**غريب الحديث**، لأبي عبيد القاسم بن سلام الهروي (٢٢٤هـ)، دار الكتب

العلمية ـ بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٦هـ.
٣٣٥-**الغنية في أصول الدين**، لأبي سعيد عبد الرحمن النيسابوري، المعروف بالمتوَلي الشافعي (٤٧٨هـ)، تحقيق: عماد الدين أحمد حيدر، الكتب الثقافية ـ بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٦هـ.
٣٣٦-**فتاوى ابن الصلاح في التفسير والحديث والأصول والفقه**، تحقيق: عبد المعطي أمين قلعجي، دار العين ـ حلب، الطبعة الأولى، ١٤١٣هـ.
٣٣٧-**فتاوى أركان الإسلام**، لفضيلة الشيخ محمد بن صالح العثيمين، جمع وترتيب: فهد بن ناصر بن إبراهيم السلمان، دار الثريا للنشر والتوزيع ـ الرياض، الطبعة الأولى، ١٤٢٣هـ.
٣٣٨-**فتاوى الإمام الشاطبي**، لأبي إسحاق إبراهيم بن موسى الأندلسي الشاطبي، تحقيق: محمد أبو الأجفان، الطبعة الثانية، ١٤٠٦هـ، حقوق الطبعة للمؤلف.
٣٣٩-**الفتاوى الجلية عن المناهج الدعوية**، أحمد بن يحيى النجمي، جمع وتعليق: حسن ابن محمد، مكتبة الفرقا ـ الإمارات، عجمان، الطبعة الثانية، ١٤٢١هـ.
٣٤٠-**فتاوى الدين الخالص**، ألفها: أبو محمد أمين الله البشاوري، معراج كتب خانة ـ بشاور، الطبعة الأولى، ١٤١٥هـ.
٣٤١-**الفتاوى الكبرى**، لشيخ الإسلام بن تيمية (٧٢٨هـ)، تقديم وتخريج: حسني محمد مخلوف، دار المعرفة ـ بيروت.
٣٤٢-**فتاوى اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء**، للشيخ أحمد بن عبد الرزاق الدويش، دار العاصمة ـ الرياض، الطبعة الثالثة، ١٤١٩هـ.
٣٤٣-**فتاوى وتنبيهات ونصائح**، لسماحة الشيخ عبد العزيز بن باز، مكتبة السنة ـ القاهرة، الطبعة الأولى، ١٤٠٩هـ.
٣٤٤-**فتح الباري شرح صحيح البخاري**، لأحمد ابن حجر العسقلاني، قام بإخراجه: محب الدين الخطيب، رقم كتبه وأبوابه وأحاديثه: محمد فؤاد عبد الباقي، دار الريان ـ القاهرة، الطبعة الأولى، ١٤٠٧هـ.

٣٤٥-**فتح الباري شرح صحيح البخاري**، للحافظ أبي الفرج عبد الرحمن ابن رجب الحنبلي (٧٩٥هـ)، تحقيق: محمود شعبان بن عبد المقصود، ومجدي بن عبد الخالق الشافعي، وإبراهيم بن إسماعيل القاضي، وآخرين، مكتبة الغرباء الأثرية ـ المدينة المنورة، الطبعة الأولى١، ١٤١٧هـ.

٣٤٦-**فتح البيان في مقاصد القرآن**، لصديق حسن خان (١٣٠٧هـ)، دار أم القرى للطباعة والنشر ـ القاهرة.

٣٤٧-**فتح الرحمن بكشف ما يلتبس في القرآن**، تأليف: الإمام أبي يحيى زكريا الأنصاري، حققه وعلق عليه: محمد علي الصابوني، دار القرآن الكريم ـ بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، ١٤٠٣هـ.

٣٤٨-**فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير**، لمحمد بن علي ابن محمد الشوكاني، ظبطه وصححه: أحمد عبد السلام، دار الكتب العلمية ـ بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٥هـ.

٣٤٩-**الفرق بين الفرق**، لعبد القادر بن طاهر التميمي (٤٢٩هـ)، دار الكتب العلمية ـ بيروت.

٣٥٠-**الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان**، تأليف: شيخ الإسلام ابن تيمية، المكتب الإسلامي ـ بيروت، لبنان، الطبعة الثانية، ١٣٩٠هـ.

٣٥١-**الفروع**، للإمام شمس الدين المقدسي أبي عبد الله محمد بن مفلح (٧٦٢هـ)، عالم الكتب ـ بيروت، الطبعة الرابعة، ١٤٠٥هـ.

٣٥٢-**فصل الخطاب في إثبات تحريف كتاب رب الأرباب**، لحسين بن محمد تقي النوري الطبرسي، طبعة حجرية.

٣٥٣-**فصل المقال فيما بين الحكمة والشريعة من الاتصال**، لمحمد بن أحمد بن رشد الأندلسي (٥٩٥ هـ)، مكتبة التربية ـ بيروت، ١٩٨٧م.

٣٥٤-**الفصل في الملل والأهواء والنحل**، للإمام أبي محمد علي بن أحمد بن حزم الظاهري، المطبعة الأدبية ـ القاهرة، الطبعة الأولى، ١٣١٧هـ.

٣٥٥-**فصل في بيان اعتقاد أهل الإيمان**، للإمام شيخ الإسلام أبو طاهر إبراهيم بن أحمد ابن يوسف القرشي من علماء القرن الخامس الهجري، اعتنى به وشرحه: راجي عفو ربه أبو يحيى محمد المعتادي، مكتبة الغرباء الأثرية ـ المدينة، ١٤١٨هـ.

٣٥٦-**فضائل القرآن**، للإمام أبي عبيد القاسم بن سلام (٢٢٤هـ)، تحقيق وتعليق: وهبي سليمان غاوجي، دار الكتب العلمية ـ بيروت.

٣٥٧-**فضائل القرآن**، لابن كثير (ت٧٤٤هـ)، دار الأندلس للطباعة والنشر ـ بيروت، الطبعة الثانية، ١٤١٦هـ.

٣٥٨-**فضل علم السلف على علم الخلف**، لأبي الفرج عبد الرحمن ابن شهاب الدين ابن رجب الحنبلي، مطبعة مصطفى البابي الحلبي ـ مصر.

٣٥٩-**الفقه الأكبر** المنسوب للإمام أبي حنيفة النعمان بن ثابت الكوفي (١٥٠هـ)، المطبوع بهامش شرح الفقه الأكبر لملا علي القاري، دار الكتب العلمية ـ بيروت.

٣٦٠-**فقه السيرة**، لمحمد الغزالي، خرج أحاديثه: محمد الألباني، دار الكتب العلمية ـ القاهرة، الطبعة السابعة، ١٩٩٦هـ.

٣٦١-**الفكر الصوفي في ضوء الكتاب والسنة**، بقلم: عبد الرحمن عبد الخالق، مكتبة دار السلام ـ الرياض.

٣٦٢-**الفناء**، لمحمد بن عربي الصوفي الحلولي، دائرة المعارف العثمانية ـ حيدر آباد الدكن، ١٣٦١هـ.

٣٦٣-**الفهرس**، لمحمد بن أبي يعقوب بن إسحاق (٣٨٠هـ)، تعليق: د/ يوسف علي الطويل، دار الكتب العلمية ـ بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٦هـ.

٣٦٤-**الفوائد**، للإمام شمس الدين ابن قيم الجوزية، دار الريان للتراث ـ القاهرة، الطبعة الأولى، ١٤٠٧هـ.

٣٦٥-**الفواكه الدواني على رسالة ابن أبي زيد القيرواني**، للشيخ أحمد بن غنيم بن سالم النفراوي المالكي، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع.

٣٦٦-**قاموس الغذاء والتداوي بالنبات**، لأحمد قدامة، دار النقاش ـ بيروت، الطبعة

السادسة، ١٤١٠هـ.

٣٦٧-**القاموس المحيط**، للإمام محمد بن يعقوب الفيروز آبادي، دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٥هـ.

٣٦٨-**قانون التأويل**، لابن العربي المعافري المالكي، تحقيق: محمد السليماني، دار القبلة، جدة، الطبعة الأولى، ١٤٠٦هـ.

٣٦٩-**القراءات العشر المتواترة**، مطبوع بهامش المصحف،: إعداد: محمد كريم راجح، دار المهاجر - المدينة المنورة، الطبعة الثالثة، ١٤١٤هـ.

٣٧٠-**القرآن الكريم وترجمة معانيه وتفسيره إلى لغة البشتو**، مطبعة مجمع الملك فهد - المدينة المنورة.

٣٧١-**القرآنيون وشبهاتهم حول السنة**، لخادم حسين إلهي بخش، مكتبة الصديق للنشر والتوزيع - الطائف، السعودية، الطبعة الأولى، ١٤٠٩هـ.

٣٧٢-**القربة**، لمحمد بن عربي الصوفي الحلولي، دائرة المعارف العثمانية - حيدر آباد الدكن، ١٣٦٢هـ.

٣٧٣-**قرة عيون الموحدين في تحقيق دعوة المرسلين**، لعبد الرحمن بن حسن بن محمد ابن عبد الوهاب (١٢٨٥هـ)، تحقيق: بشير محمد عيون، مكتبة المؤيد - الرياض، الطبعة الأولى١، ١٤١٤هـ.

٣٧٤-**القسم الإلهي**، لابن عربي الصوفي الحلولي، دائرة المعارف العثمانية - حيدر آباد الدكن، ١٣٦٧هـ.

٣٧٥-**قضايا عقدية معاصرة**، أ/ د/ ناصر عبد الكريم العقل، دار الفضيلة - الرياض، الطبعة الأولى، ١٤١٢هـ.

٣٧٦-**قطف الثمر في بيان عقيدة أهل الأثر**، لمحمد صديق حسن خان القنوجي، وضع حواشيه: محمد أمين، دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢١هـ.

٣٧٧-**قمع الدجاجلة الطاعنين في معتقد أئمة الإسلام الحنابلة**، لعبد العزيز فيصل الراجحي، مطابع الحميضي - الرياض، الطبعة الأولى، ١٤٢٤هـ.

٣٧٨-**قواطع الأدلة في أصول الفقه**، لمنصور بن محمد بن عبد الله الجبار السمعاني (٤٨٩هـ)، تحقيق: د/عبد الله بن حافظ بن أحمد الحكمي، مكتبة التوبة ـ الرياض، الطبعة الأولى، ١٤١٩هـ.

٣٧٩-**القواعد المثلى في صفات الله وأسمائه الحسنى**، للشيخ محمد بن صالح العثيمين، من مطبوعات الجامعة الإسلامية ـ المدينة النبوية، الطبعة الثالثة، ١٤٢١هـ.

٣٨٠-**القواعد النورانية الفقهية**، لشيخ الإسلام أحمد ابن تيمية (٧٢٨هـ)، تحقيق: عبد السلام محمد علي شاهين، دار الكتب العلمية ـ بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٤هـ.

٣٨١-**القوانين الفقهية**، لابن جزي المالكي (بدون).

٣٨٢-**القول البديع في الصلاة على الحبيب الشفيع**، للحافظ شمس الدين محمد ابن عبد الرحمن السخاوي الشافعي (٩٠٢هـ)، دار الكتاب العربي، الطبعة الأولى، ١٤٠٥هـ.

٣٨٣-**القول المفيد في حكم الأناشيد مع فتاوى لعلماء العصر**، تأليف: عصام بن عبد المنعم المري، مكتبة الفرقان ـ عجمان، الطبعة الأولى١، ١٤٢٠هـ.

٣٨٤-**الكامل في التاريخ**، لمحمد بن محمد بن عبد الكريم المشهور بابن الأثير (٦٣٠هـ)، تحقيق: أبي الفداء عبد الله القاضي، دار الكتب العلمية ـ بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٧هـ.

٣٨٥-**كتاب الإمامة والرد على الرافضة**، للحافظ أبي نعيم الأصبهاني (ت٤٣٠هـ)، حققه وعلق عليه: الشيخ د/علي بن ناصر فقيهي، مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، الطبعة الأولى، ١٤٠٧هـ.

٣٨٦-**كتاب السنن الكبرى**، للإمام الحافظ أبي بكر أحمد بن الحسين بن علي البيهقي، دار المعرفة ـ بيروت.

٣٨٧-**كتاب المصاحف**، لأبي بكر بن أبي داوود السجستاني، تحقيق: محمد بن عبده، مكتبة الفاروق الحديثة، القاهرة، الطبعة الأولى.

٣٨٨-**كتاب النبي ﷺ**، تأليف: د/محمد مصطفى الأعظمي، شركة الطباعة العربية ـ

الرياض، الطبعة الثالثة، ١٤٠١هـ.
٣٨٩-**كتاب تجريد التوحيد المفيد**، لأحمد بن علي المقريزي المصري الشافعي (ت٨٤٥هـ)، حققة وقدم له: علي بن محمد العمران، دار عالم الفوائد ـ مكة المكرمة، الطبعة الأولى، ١٤١٧هـ.
٣٩٠-**كتاب جمع الوسائل في شرح الشمائل**، للشيخ علي بن سلطان محمد القارئ، دار الأقصى.
٣٩١-**كتاب فضائل القرآن، وتلاوته، وخصائص تلاوته وحملته**، لأبي الفضل عبد الرحمن ابن أحمد بن الحسن الرازي (٤٥٤هـ)، تحقيق: د/ عامر حسن صبري، دار البشائر ـ بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٥هـ.
٣٩٢-**الكتب**، لابن عربي الوجودي، دائرة المعارف العثمانية ـ حيدر آباد الدكن، الطبعة الأولى، ١٣٦٧هـ.
٣٩٣-**الكشاف عن حقائق التنـزيل وعيون الأقاويل في وجوب التأويل**، لأبي القاسم جار الله محمود بن عمر الزمخشري (ت٥٣٨هـ)، مطبعة مصطفى البابي الحلبي، طبعة ١٣٨٥هـ ـ ١٩٦٦م.
٣٩٤-**كشف الأسرار**، لروح الله خميني، قدم له: د/ محمد أحمد التخطيب، علق عليه: سليم الهلالي، دار عمان للنشر والتوزيع، الطبعة الثانية.
٣٩٥-**كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون**، لمصطفى عبد الله الحنفي المعروف بحاجي خليفة (١٠١٧ ـ ١٠٦٧هـ)، دار الكتب العلمية ـ بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٣هـ.
٣٩٦-**كشف الغطاء عن حكم سماع الغناء**، لابن القيم الجوزية، تحقيق: ربيع أحمد خلف، دار الجيل ـ بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٢هـ.
٣٩٧-**الكشف عن حقيقة الصوفية لأول مرة في التاريخ**، لمحمود عبد الرؤوف القاسم، المكتبة الإسلامية ـ عمان ـ الأردن، الطبعة الثانية، ١٤١٣هـ.
٣٩٨-**الكفاية في علم الرواية**، للحافظ أبي بكر أحمد بن علي بن ثابت المعروف

بالخطيب البغدادي (ت٤٦٣هـ)، تقديم: محمد الحافظ التيجاني، ومراجعة: عبد الحليم محمد عبد الحليم، وغيره، مطبعة السعادة، الطبعة الأولى.

٣٩٩-**الكلام على مسألة السماع**، لمحمد بن أبي بكر ابن قيم الجوزية، تحقيق ودراسة: راشد بن عبد العزيز الحمد، دار العاصمة ـ الرياض، الطبعة الأولى، ١٤٠٩هـ.

٤٠٠-**الكلام على مسألة السماع**، لمحمد بن أبي بكر ابن قيم الجوزية، تحقيق: ربيع ابن أحمد ابن خلف، دار الجيل ـ بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٢هـ.

٤٠١-**الكلم الطيب**، للإمام تقي الدين أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني الدمشقي (ت٧٢٨هـ)، تحقيق: محمد ناصر الدين الألباني، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع ـ الرياض، الطبعة الثانية، ١٤٢٢هـ.

٤٠٢- **الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية**، لأبي البقاء أيوب بن موسى الكفوي (ت١٠٩٤هـ)، قابله على نسخة خطية وأعده للطبع ووضع فهارسه: عدنان درويش، ومحمد المصري، مؤسسة الرسالة ـ بيروت، الطبعة الثانية، ١٤١٣هـ.

٤٠٣-**كواشف زيوف في المذاهب الفكرية المعاصرة**، لعبد الرحمن حبنكة، دار القلم ـ دمشق، الطبعة الثانية، ١٤١٢هـ.

٤٠٤-**كيد الشيطان لنفسه قبل خلق آدم** عليه السلام **ومعه مذاهب الفرق الضالة**، للعلامة ابن الجوزي (٥٩٧هـ)، تحقيق: أبي الأشبال الزهيري، مكتبة ابن تيمية ـ القاهرة، الطبعة الأولى، ١٤٢٠هـ.

٤٠٥-**لسان العرب**، للإمام العلامة ابن منظور (٧١١هـ)، دار إحياء التراث العربي ـ بيروت، الطبعة الثالثة، ١٤١٩هـ.

٤٠٦-**لوامع الأنوار البهية وسواطع الأسرار الأثرية لشرح الدرة المضية في عقد الفرقة المرضية**، للشيخ محمد بن أحمد السفاريني الأثري الحنبلي، منشورات مؤسسة الخافقين ـ دمشق، الطبعة الثانية، ١٤٠٢هـ.

٤٠٧-**المباحث المشرقية في علم الإلهيات والطبيعيات**، لفخر الدين الرازي

(ت٦٠٦هـ)، تحقيق وتعليق: محمد المعتصم بالله البغدادي، دار الكتاب العربي ـ بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٠هـ.

٤٠٨-**مباحث المفاضلة في العقيدة**، للدكتور محمد بن عبد الرحمن أبو سيف، وهو رسالة مقدمة لنيل درجة الدكتوراة، في الجامعة الإسلامية، كلية الدعوة وأصول الدين، قسم العقيدة، عام ١٤١١هـ بإشراف د/ أحمد بن عمري العمري.

٤٠٩-**مبادئ الفلسفة**، للأستاذ س. رايوبرت، ترجمه أحمد أمين. دار الكتاب العربي ـ بيروت، لبنان، ١٩٧٩م.

٤١٠-**المبسوط**، لشمس الدين السرخسي، دار المعرفة ـ بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٤هـ.

٤١١-**متن الشيبانية ضمن مجموع أمهات المتون في مختلف الفنون والعلوم**، جمع دار الفكر، تصحيح: أحمد سعد علي ـ القاهرة، ١٣٦٩هـ.

٤١٢-**المثنوي**، لجلال الدين الرومي القونوي الوجودي الحلولي الصوفي المولوي، المطبوع مع شرحه لحضرت بحر العلوم، من مطبوعات: رحمن كل، بيشاور.

٤١٣-**مجلة البحوث الإسلامية**، مجلة دورية تصدر عن الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد ـ الرياض، الأمانة العامة للجنة كبار العلماء رئيس التحرير: محمد بن سعد الشويعر، مجلة فصلية تعني بالبحوث الإسلامية تصدر كل أربعة أشهر مؤقتا، الرياض.

٤١٤-**مجمع الزوائد ومنبع الفوائد**، لنور الدين علي بن أبي بكر الهيثمي (ت٨٠٧هـ)، دار الفكر، طبعة ١٤٠٨هـ.

٤١٥-**مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف بالمدينة المنورة**، صرح إسلامي لخدمة القرآن والسنة، طبع مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، وأعده المجمع بمناسبة ندوة "عناية المملكة العربية السعودية بالقرآن الكريم وعلومه" عام ١٤٢١هـ.

٤١٦-**مجمع بحار الأنوار في غرائب التنزيل ولطائف الأخبار**، لمحمد طاهر الفتني

الكجراتي (ت ٥٧٨هـ)، مكتبة دار الإيمان ـ المدينة، الطبعة الثالثة، ١٤١٥هـ.

٤١٧-**المجموع المغيث في غريبي القرآن والحديث**، للإمام أبي موسى محمد بن أبي بكر الأصفهاني (ت٥٨١هـ)، تحقيق: عبد الكريم الغرباوي، جامعة أم القرى ـ مكة المكرمة، الطبعة الأولى، ١٤٠٨هـ.

٤١٨-**المجموع شرح المهذب**، لأبي زكريا محي الدين النووي، دار الفكر.

٤١٩-**مجموع فتاوى شيخ الإسلام أحمد بن تيمية**، جمع وترتيب: الشيخ عبد الرحمن ابن محمد بن قاسم، وابنه محمد، طبع مجمع الملك فهد ـ المدينة المنورة ١٤١٦هـ.

٤٢٠-**المجموع في ترجمة العلامة المحدث الشيخ حماد بن محمد الأنصاري**، لعبد الأول ابن حماد الأنصاري، الناشر: المؤلف نفسه، الطبعة الأولى، ١٤٢٢هـ.

٤٢١-**مجموعة رسائل حسن البنا** ـ القاهرة، مصر.

٤٢٢-**المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز**، لعبد الحق بن غالب بن عطية الأندلسي (ت٥٤٦هـ)، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد. دار الكتب العلمية ـ بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٣هـ.

٤٢٣-**المحرر في أصول الفقه**، للإمام أبي بكر محمد بن أحمد بن أبي سهل السرخسي (ت٤٥٠هـ)، تخريج وتعليق: صلاح بن محمد بن عويضة، دار الكتب العلمية ـ بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٧هـ.

٤٢٤-**محصل أفكار المتقدمين والمتأخرين من العلماء والحكماء والمتكلمين**، لفخر الدين محمد بن عمر الخطيب الرازي، راجعه وقدم له وعلق عليه: طه عبد الرؤوف سعد، الناشر: دار الكتاب العربي ـ بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٤هـ.

٤٢٥-**المحلى**، لأبي محمد علي بن أحمد بن حزم (ت٤٥٦هـ)، تحقيق: لجنة إحياء التراث الإسلامي، دار الجيل ـ بيروت.

٤٢٦- **محنة الإمام أحمد بن محمد بن حنبل**، لعبد الغني بن عبد الواحد المقدسي، تحقيق: د/ عبد الله بن عبد المحسن التركي، دار هجر للطباعة والنشر، الطبعة الأولى، ١٤١٧هـ.

٤٢٧-**مختار الصحاح**، لمحمد بن أبي بكر عبد القادر الرازي، عنى بترتيبه: محمود خاطر، دار الحديث ـ القاهرة.

٤٢٨-**مختصر الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة**، لابن القيم الجوزية، تحقيق: سيد إبراهيم، دار الحديث ـ القاهرة، الطبعة الأولى، ١٤١٢هـ.

٤٢٩-**مختصر الفتاوى المصرية**، للعلامة محمد بن علي الحنبلي البعلي (ت٧٧٧هـ)، أشرف على تصحيحه: عبد المجيد سليم، دار الكتب العلمية ـ بيروت.

٤٣٠-**مختصر لوامع الأنوار البهية وسواطع الأسرار الأثرية**، لمحمد بن علي بن سلوم، تحقيق: محمد زهري النجار، دار الكتب العلمية ـ بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٣هـ.

٤٣١-**مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين**، لأبي عبد الله محمد بن أبي بكر ابن أيوب بن القيم الجوزية، توزيع عباس أحمد الباز ـ مكة المكرمة.

٤٣٢-**المدارس الخاصة لتحفيظ القرآن الكريم، والكليات الجامعية للقرآن وعلومه**، (تقرير) د/ محمد الأمين الحسين، طبع مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، بمناسبة ندوة "عناية المملكة العربية السعودية بالقرآن الكريم وعلومه" عام ١٤٢١هـ.

٤٣٣-**المدخل إلى مذهب الإمام أحمد بن حنبل**، لعبد القادر بن أحمد بن مصطفى، ضبطه وصححه وخرج الآيات والأحاديث: محمد أمين، دار الكتب العلمية ـ بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٧هـ.

٤٣٤-**المدخل لدراسة القرآن الكريم**، للأستاذ محمد بن محمد أبو شهبة، دار الجيل ـ بيروت، طبعة ١٤١٢هـ.

٤٣٥-**مرآة العقول في شرح أخبار آل الرسول ﷺ**، لمحمد بن باقر المجلسي ـ إيران.

٤٣٦-**مراتب الإجماع في العبادات والمعاملات والاعتقادات**، لأبي محمد علي بن أحمد ابن حزم، ونقد مراتب الإجماع لابن تيمية، دار الكتب العلمية ـ بيروت.

٤٣٧-**المرشد الوجيز إلى علوم تتعلق بالكتاب العزيز**، لشهاب الدين عبد الرحمن

ابن إسماعيل ابن إبراهيم المعروف بأبي شامة (ت٦٦٥هـ)، حققه: طيار آلتي فولاج، دار صادر ـ بيروت، طبعة ١٣٩٥هـ.

٤٣٨-**مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح**، لملا علي القاري (ت١٠١٤هـ)، مكتبة إمدادية ـ باكستان.

٤٣٩-**المزهر في علوم اللغة وأنواعها**، للعلامة السيوطي، شرح وتعليق: محمد جاد المولى بك، محمد أبو الفضل إبراهيم، علي محمد البجاوي، المكتبة العصرية ـ بيروت، طبعة ١٤٠٨هـ.

٤٤٠-**المسائل والرسائل المروية عن الإمام أحمد بن حنبل في العقيدة**، تحقيق: د/ عبد الإله ابن سليمان بن سالم الأحمدي، دار الطيبة ـ الرياض، الطبعة الثانية، ١٤١٦هـ.

٤٤١-**المسائل**، لابن عربي الوجودي، دائرة المعارف العثمانية ـ حيدر آباد الدكن، الطبعة الأولى، ١٣٦٧هـ.

٤٤٢-**المسابقات القرآنية المحلية والدولية**، (تقرير) أ/ عبد العزيز بن عبد الرحمن السبهين، طبع مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، بمناسبة ندوة "عناية المملكة العربية السعودية بالقرآن الكريم وعلومه" عام ١٤٢١هـ.

٤٤٣-**مستدرك الوسائل**، لحسين النوري الطبرسي، مؤسسة آل البيت لإحياء التراث.

٤٤٤-**المستدرك على الصحيحين**، لأبي عبد الله محمد بن عبد الله الحاكم النيسابوري، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى، ١٤١١هـ.

٤٤٥-**المستصفى في علم الأصول**، للإمام أبي حامد محمد بن محمد الغزالي (ت٥٠٥هـ)، رقمها وضبطها: محمد عبد السلام الشافي، دار الكتب العلمية ـ بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٣هـ.

٤٤٦-**المسند**، للإمام أحمد بن حنبل، بيت الأفكار الدولية، الطبعة الأولى، ١٤١٩هـ.

٤٤٧-**المسيحية** (النصرانية)، دراسة وتحليل: أ/ ساجد مير، دار السلام للنشر والتوزيع ـ الرياض، السعودية، الطبعة الأولى، ١٤٢٣هـ.

٤٤٨-**مشارق الشموس الدرية**، لعدنان البحراني، المكتبة العدنانية ـ البحرين.

٤٤٩-**مشاهير علماء الأمصار**، للإمام الهمام السلفي أبي حاتم البستي، تحقيق: مجدي بن منصور، دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٦هـ.

٤٥٠-**مشكاة المصابيح**، لمحمد بن عبد الله الخطيب التبريزي، تحقيق: محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي - بيروت، الطبعة الثالثة، ١٤٠٥هـ.

٤٥١-**المصباح المنير في غريب الشرح الكبير للرافعي**، لأحمد محمد علي المصري الفيومي (ت٧٧٠هـ)، المكتبة العلمية - بيروت.

٤٥٢-**مصرع التصوف أو تنبيه الغبي إلى تكفير ابن عربي**، لبرهان الدين البقاعي، تحقيق: عبد الرحمن الوكيل، من مطبوعات إدارة البحوث العلمية والإفتاء - الرياض، ١٤١٥هـ.

٤٥٣-**مصرع الشرك والخرافة**، للشيخ خالد محمد علي الحاج، حققه وراجعه: عبد الله ابن إبراهيم الأنصاري، من مطبوعات إدارة الشؤون الدينية بدولة قطر ١٣٩٨هـ.

٤٥٤-**المصنف في الأحاديث والآثار**، للإمام الحافظ أبي بكر عبد الله بن محمد بن أبي شيبة الكوفي العبسي (ت٢٣٥هـ)، تقديم وضبط: كمال يوسف الحوت، دار التاج - بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٩هـ.

٤٥٥-**المصنف**، للحافظ الكبير أبي بكر عبد الرزاق بن همام الصنعاني (١٧٦-٢١١هـ)، تعليق وتحقيق: حبيب الرحمن الأعظمي، منشورات المجلس العلمي طبعة ١٣٩٠هـ.

٤٥٦- **مظاهر الانحرافات العقدية عند الصوفية وأثرها السيء على الأمة الإسلامية**، لأبي عبد العزيز إدريس محمود إدريس، مكتبة الرشد - الرياض، الطبعة الأولى، ١٤١٩هـ.

٤٥٧-**معارج القبول بشرح سلم الوصول إلى علم الأصول**، للشيخ العلامة حافظ ابن أحمد الحكمي (١٣٧٧هـ)، تحقيق: محمد صبحي بن حسن حلاق، دار ابن الجوزي - المملكة العربية السعودية، الطبعة الأولى، ١٤٢٠هـ.

٤٥٨-**المعارف**، لعبد الله بن قتيبة الدينوري (ت٢٧٦هـ)، دار الكتب العلمية -

بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٧هـ.

٤٥٩-**معالم السنن**، للإمام أبي سليمان حمد بن محمد الخطابي البستي (ت٣٨٨هـ)، المكتبة العلمية ـ بيروت، لبنان، الطبعة الثانية، ١٤٠١هـ.

٤٦٠-**معتقد أهل السنة والجماعة في أسماء الله الحسنى**، د/ محمد خليفة التميمي، مكتبة أضواء السلف ـ الرياض، الطبعة الأولى، ١٤١٩هـ.

٤٦١-**المعتمد في أصول الدين**، لأبي يعلى محمد بن الحسين بن الفراء الحنبلي، تحقيق: د/ وديع زيدان حداد، دار المشرق ـ بيروت، لبنان.

٤٦٢-**معجم البلدان**، لياقوت الحموي، تحقيق: فريد عبد العزيز الجندي، دار الكتب العلمية ـ بيروت.

٤٦٣-**معجم الصحابة**، لعبد الله بن محمد بن عبد العزيز البغوي (ت٣١٧هـ)، تحقيق: محمد الأمين محمد محمود الجكني، مكتبة دار البيان ـ دولة الكويت، الطبعة الأولى، ١٤٢١هـ.

٤٦٤-**معجم ألفاظ العقيدة**، لأبي عبد الله عامر عبد الله فالح، تقديم: عبد الله ابن عبد الرحمن ابن جبرين، مكتبة العبيكان ـ الرياض، الطبعة الأولى، ١٤١٧هـ.

٤٦٥-**المعجم الفلسفي**، د/ جميل صليبا، طبع دار الكتاب اللبناني، ١٩٧٩م.

٤٦٦-**معجم المؤلفين (تراجم مصنفي الكتب العربية)**، لعمر رضا كحالة، دار إحياء التراث العربي ـ بيروت.

٤٦٧-**معجم المفسرين من صدر الإسلام حتى العصر الحاضر**، لعادل نويهض، قدم له: الشيخ حسن خالد، مؤسسة نويهض الثقافية للتأليف والترجمة والنشر، الطبعة الثانية، ١٤٠٦هـ.

٤٦٨-**المعجم الوسيط**، لمجمع اللغة العربية في القاهرة، الطبعة الثانية، ١٣٨٠هـ.

٤٦٩-**معجم لغة الفقهاء**، وضعه: أ/ د/ محمد رواس قلعة جي وحامد صادق، وقطب مصطفى، دار النفائس ـ بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٦هـ.

٤٧٠-**معيار العلم في المنطق**، لأبي حامد الغزالي (ت٥٠٥هـ)، شرحه: أحمد شمس

الدين، دار الكتب العلمية ـ بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، ١٤١٠هـ.

٤٧١-**معيد النعم ومبيد النقم**، لتاج الدين السبكي، حققه: محمد علي النجار، وأبو زيد شلبي، ومحمد أبو العيون، دار الكتاب العربي ـ القاهرة، مصر، الطبعة الأولى، ١٣٦٧هـ.

٤٧٢-**مغني اللبيب عن كتب الأعاريب**، للإمام أبي محمد عبد الله بن هشام الأنصاري (ت٧٦١هـ)، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد، دار إحياء التراث العربي.

٤٧٣-**مغني المحتاج إلى معرفة معاني ألفاظ المنهاج**، شرح: الشيخ محمد الشربيني الخطيب من علماء القرن العاشر الهجري، دار إحياء التراث الإسلامي ـ بيروت.

٤٧٤-**المغني**، لأبي محمد عبد الله بن قدامة الحنبلي (ت٦٢٠هـ)، تحقيق: عبد الله ابن عبد المحسن التركي، وعبد الفتاح محمد الحلو، دار عالم الكتب ـ الرياض، الطبعة الثالثة، ١٤١٧هـ.

٤٧٥-**المفردات في غريب القرآن**، للراغب حسين بن محمد الاصفهاني، الضبط: محمد خليل، دار المعرفة ـ بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٨هـ.

٤٧٦-**المفصل في علم العربية**، لأبي القاسم محمود بن عمر الزمخشري (ت٥٣٨هـ)، دار الجيل ـ بيروت، الطبعة الثانية.

٤٧٧-**مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين**، لأبي الحسن الأشعري (٣٢٤هـ)، صححه: هلموت ريتر، دار إحياء التراث ـ بيروت، الطبعة الثالثة.

٤٧٨- **مقالة التعطيل والجعد** بن درهم، د/ محمد بن خليفة التميمي، مكتبة أضواء السلف ـ الرياض، الطبعة الأولى.

٤٧٩- **مقاييس اللغة**، لأحمد بن فارس بن زكريا (ت٣٩٥هـ)، تحقيق: شهاب الدين أبو عدو، دار الفكر ـ بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٥هـ.

٤٨٠- **مقتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة**، للإمام ابن قيّم الجوزية (ت٧٥١هـ)، دار الكتب العلمية ـ بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٩هـ.

٤٨١- **مقدمة العلامة ابن خلدون المغربي**، دار الكتاب اللبناني ـ بيروت، طبعة ١٩٨٢م.

٤٨٢- **المكرر فيما تواتر من القراءات السبع وتحرر**، للإمام أبي حفص عمر بن قاسم ابن محمد المصري الأنصاري، من علماء القرن التاسع الهجري، تحقيق: أحمد محمود عبد السميع الشافعي، دار الكتب العلمية ـ بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢٢هـ.

٤٨٣- **الملل والنحل**، لأبي الفتح محمد عبد الكريم ابن أبي بكر الشهرستاني، تحقيق: عبد العزيز محمد الوكيل، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع ـ بيروت، لبنان.

٤٨٤- **الملل والنحل الواردة في كتاب الأنساب**، لأبي سعد عبد الكريم السمعاني (ت٥٦٢هـ)، جمع وترتيب: عبد الله بن صالح البراك، ويليه فوائد منتقاة من الكتاب، دار الوطن ـ الرياض، الطبعة الأولى، ١٤١٧هـ.

٤٨٥- **من فتاوى الأئمة الأعلام حول القرآن**، جمع وترتيب: عبد الكريم بن عبد المجيد الدرويش، مكتبة الرشد للنشر والتوزيع ـ الرياض، الطبعة الأولى، ١٤٢٠هـ.

٤٨٦- **مناقب الشافعي**، للبيهقي، تحقيق: السيد أحمد صقر، دار التراث ـ القاهرة، دار النصر للطباعة، الطبعة الأولى، ١٣٩٠هـ.

٤٨٧- **مناهج الأدلة في عقائد الملة**، لمحمد بن أحمد ابن رشد الأندلسي (ت٥٩٥هـ)، مطبوع مع فصل المقال، دار مكتبة التربية ـ بيروت، طبعة ١٩٨٧م.

٤٨٨- **مناهل العرفان في علوم القرآن**، لمحمد عبد العظيم الزرقاني، تخريج الآيات والأحاديث: أحمد شمس الدين، دار الكتب العلمية ـ بيروت، طبعة ١٤١٦هـ.

٤٨٩- **المنثور في القواعد**، للزركشي بدر الدين محمد بن بهاء الدين الشافعي (٧٤٥ـ ٧٩٤هـ)، تحقيق: تيسير فائق أحمد محمود، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية ـ الكويت، الطبعة الثانية، ١٤٠٥هـ.

٤٩٠- **منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة**، لميرزا حبيب الله الخوئي، مؤسسة دار الوفاء ـ بيروت.

٤٩١- **منهاج السنة النبوية**، لشيخ الإسلام ابن تيمية، تحقيق: د/ محمد رشاد سالم، مكتبة ابن تيمية ـ القاهرة، الطبعة الثانية، ١٤٠٩هـ.

٤٩٢- **منهج الاستدلال على مسائل الاعتقاد عند أهل السنة والجماعة**، لعثمان بن علي

حسن، مكتبة الرشد للنشر والتوزيع ـ الرياض، الطبعة الرابعة، ١٤١٨هـ.
٤٩٣-**المنهج السلفي**، د/ مفرح بن سليمان القوسي، دار الفضيلة للنشر والتوزيع ـ الرياض، الطبعة الأولى، ١٤٢٢هـ.
٤٩٤-**المهذب في فقه الإمام الشافعي**، لأبي إسحاق إبراهيم بن علي ين يوسف الشيرازي، مطبعة: عيسى البابي الحلبي بمصر.
٤٩٥-**الموافقات في أصول الشريعة**، لأبي إسحاق إبراهيم بن موسى الشاطبي المالكي (ت٧٩٠هـ)، دار المعرفة ـ بيروت، لبنان.
٤٩٦-**الموجز في الأديان والمذاهب المعاصرة**، د/ ناصر بن عبد الله القفاري، وناصر ابن عبد الكريم العقل، دار الصميعي للنشر والتوزيع ـ الرياض، الطبعة الأولى، ١٤١٣هـ.
٤٩٧-**الموسوعة العربية الميسرة**، بإشراف: محمد شفيق غربال، دار الجيل.
٤٩٨-**الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة**، بإشراف وتخطيط ومراجعة: د/ مانع بن حماد الجهني، الناشر: دار الندوة العالمية للطباعة والنشر والتوزيع ـ الرياض، الطبعة الثالثة.
٤٩٩-**موطأ الإمام مالك**، لأبي عبد الله مالك بن أنس الأصبحي (ت١٧٩هـ)، رواية محمد بن الحسن الشيباني، تعليق وتحقيق: عبد الوهاب عبد اللطيف. المكتبة العلمية، الطبعة الثانية.
٥٠٠-**موطأ الإمام مالك وشرحه تنوير الحوالك**، لجلال الدين عبد الرحمن السيوطي الشافعي (٩١١هـ)، مكتبة ابن تيمية، طبعة ١٣٧٥هـ.
٥٠١-**الموطأ**، للإمام مالك بن أنس ﷺ، تعليق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار زمزم ـ الرياض، الطبعة الثانية، ١٤١٣هـ.
٥٠٢-**موقف الجماعة الإسلامية من الحديث النبوي**، دراسة نقدية: محمد إسماعيل السلفي (ت١٣٨٧هـ)، تعريب وتقديم وتعليق: صلاح الدين مقبول أحمد، الدار السلفية ـ الكويت، الطبعة الأولى، ١٤٠٧هـ.

٥٠٣-**موقف الرافضة من القرآن الكريم**، رسالة مقدمة لنيل درجة الماجستير، إعداد: مامادو كارامبيري، إشراف الشيخ عبد الله الغنيمان، الجامعة الإسلامية، كلية الدعوة وأصول الدين، قسم العقيدة، عام ١٤١٢هـ.

٥٠٤-**موقف العقل والعلم والعالم من رب العالمين وعباده المرسلين**، لمصطفى صبري، دار إحياء التراث العربي ـ بيروت.

٥٠٥-**الموقف المعاصر من المنهج السلفي في البلاد العربية**، د/ مفرح بن سليمان القوسي، دار الفضيلة للنشر والتوزيع ـ الرياض، الطبعة الأولى، ١٤٢٢هـ.

٥٠٦-**ميزان الاعتدال في نقد الرجال**، لأبي عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي (ت٧٤٨هـ)، تحقيق: علي محمد البجاوي، دار الفكر.

٥٠٧-**الميم والواو والنون**، لمحمد بن علي بن عربي الطائي الصوفي الحلولي، دائرة المعارف العثمانية ـ حيدر آباد الدكن، ١٣٦٧هـ.

٥٠٨-**النبوات**، لشيخ الإسلام أحمد بن تيمية (٧٢٨هـ)، تحقيق: عبد العزيز بن صالح الطويان، مكتبة أضواء السلف، المملكة العربية السعودية، الطبعة الأولى، ١٤٢٠هـ.

٥٠٩-**نصب الراية لأحاديث الهداية**، لجمال الدين أبي محمد عبد الله بن يوسف الزيلعي (ت٧٦٢هـ)، توزيع المكتبة التجارية مصطفى الباز ـ مكة المكرمة.

٥١٠-**نظرات في كتاب التصوير الفني في القرآن الكريم لسيد قطب**، لربيع بن هادي المدخلي، مكتبة الفرقان ـ الإمارات، الطبعة الأولى، ١٤٢١هـ.

٥١١-**نظم الدرر في تناسب الآيات والسور**، للإمام برهان الدين أبي الحسن إبراهيم البقاعي (ت٨٨٥هـ)، توزيع: مكتبة ابن تيمية، الطبعة الأولى، ١٣٩١هـ.

٥١٢-**نقش الفصوص**، لابن عربي الوجودي، دائرة المعارف العثمانية ـ حيدر آباد الدكن، الطبعة الأولى، ١٣٦٧هـ.

٥١٣-**نقض المنطق**، لشيخ الإسلام ابن تيمية (ت٧٢٨هـ)، صححه: محمد حامد الفقي، مكتبة السنة المحمدية ـ القاهرة.

٥١٤-**نقض المنطق**، لشيخ الإسلام أبي العباس أحمد بن تيمية (٦٢٨هـ)، (مخطوط)

المكتبة المحمودية، رقم(٢٥٣٩).

٥١٥-**نقض عثمان بن سعيد على المريسي الجهمي العنيد فيما افترى على الله في التوحيد**، للإمام عثمان بن سعيد الدارمي (ت٢٨٠هـ)، حققه: منصور بن عبد العزيز السماري، مكتبة أضواء السلف ـ الرياض، الطبعة الأولى، ١٤١٩هـ.

٥١٦-**النكت في إعجاز القرآن**، لأبي الحسن علي بن عيسى الرماني (ت٣٨٦هـ)، وهو مطبوع مع ثلاث رسائل أخرى بعنوان: ثلاث رسائل في إعجاز القرآن للرماني والخطابي والجرجاني، تحقيق: محمد خلف الله أحمد، ود/ محمد زغلول سلام، دار المعارف ـ القاهرة، الطبعة الرابعة.

٥١٧-**نهاية الأقدام في علم الكلام**، للشيخ عبد الكريم الشهرستاني، حرره وصححه: الفربجيوم، الناشر: مكتبة الثقافة الدينية ـ القاهرة.

٥١٨-**النهاية في غريب الحديث والأثر**، لمبارك بن محمد الجزري المعروف بابن الأثير، تحقيق: طاهر أحمد، ومحمد محمد الطناحي، المكتبة العلمية ـ بيروت.

٥١٩-**نهج خميني في ميزان الفكر الإسلامي**، لمجموعة من الأساتذة، دار عمان للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، ١٤٠٥هـ.

٥٢٠- **نونية القحطاني**، لأبي محمد عبد الله بن محمد الأندلسي القحطاني، تصحيح وتعليق: محمد أحمد سيد أحمد، مكتبة السوادي للتوزيع ـ جدة، الطبعة الأولى، ١٤٠٩هـ.

٥٢١-**نيل الأوطار من أحاديث سيد الأخيار شرح منتقى الأخبار**، لمحمد بن علي الشوكاني (ت١٢٥٠هـ)، دار الجيل ـ بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٧٣هـ.

٥٢٢-**هداية الأريب الأمجد لمعرفة أصحاب الرواية عن أحمد**، لسليمان عبد الرحمن حمدان (١٣٢٢ـ ١٣٩٧هـ)، تحقيق: بكر عبد الله أبو زيد، دار العاصمة ـ الرياض، الطبعة الأولى، ١٤١٨هـ.

٥٢٣-**هدي الساري مقدمة فتح الباري**، لأحمد بن علي بن حجر (ت٨٥٢هـ)، دار الريان للتراث ـ القاهرة، الطبعة الأولى، ١٤٠٧هـ.

٥٢٤-**هدى الفرقان في علوم القرآن**، د/ غازي عناية، عالم الكتب ـ بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٦هـ.

٥٢٥-**هدية العارفين أسماء المؤلفين وآثار المصنفين من كشف الظنون**، لإسماعيل باشا البغدادي، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى، ١٤١٣هـ.

٥٢٦-**هذه هي الصوفية**، لعبد الرحمن الوكيل، دارالكتب العلمية ـ بيروت، لبنان، الطبعة الرابعة، ١٩٨٤م.

٥٢٧-**وسطية أهل السنة بين الفرق**، د/ محمد باكريم باعبد الله، دار الراية للنشر والتوزيع ـ الرياض، الطبعة الأولى، ١٤١٥هـ.

٥٢٨-**الوصايا**، لابن عربي الوجودي، دائرة المعارف العثمانية ـ حيدر آباد الدكن، الطبعة الأولى، ١٣٦٧هـ.

٥٢٩-**الوصية**، لابن عربي الحلولي، جمعية دار المعارف العثمانية ـ حيدر آباد، الطبعة الأولى، ١٣٦٧هـ.

٥٣٠-**وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان**، لابن خلكان، تحقيق: د/ إحسان عباس، دار صادر ـ بيروت.

٥٣١-**الياء**، لمحمد بن علي بن عربي الطائي الصوفي الحلولي، دائرة المعارف العثمانية ـ حيدر آباد الدكن، ١٣٦٧هـ.

٥٣٢-**يحيى بن معين وكتابه التاريخ**، لأحمد محمد نور سيف، جامعة الملك عبد العزيز، مكتبة المكرمية، الطبعة الأولى، ١٣٩٩هـ.

٥٣٣-**اليمانيات المسلولة**، للعلامة الشيخ زين العابدين بن يوسف الكوراني، تحقيق ودراسة: د/ المرابط محمد يسلم المجتبى، مكتبة الإمام البخاري، الطبعة الأولى، ١٤٢٠هـ.

وغيرها من المصادر التي لم يتسن لي تسجيلها في سجل المصادر والمراجع.

فهرس الموضوعات

التقديم ٧
المقدمة ٩
أهمية الموضوع وأسباب اختياره ١١
خطة البحث ١٣
منهجي في البحث ٢٠
كلمة الشكر ٢٢
التمهيد ٢٥
المطلب الأول: تعريف القرآن، والفرق بينه وبين الحديث القدسي ٢٧
معنى القرآن لغة ٢٧
معنى القرآن اصطلاحا ٣١
(حاشية) أنواع المصطلحات والتعاريف ٣١
التعريف المختار للقرآن الكريم ٣٤
شرح مفردات التعريف المختار ٣٤
الدليل على تسمية كلام الله المنزل على محمد ﷺ "قرآنا" الكتاب والسنة وأقوال السلف ٣٦
الفرق بين القرآن والحديث القدسي ٣٧
الأحاديث القدسية كلام الله لفظاً ومعنى خلافاً للأشاعرة ٣٧
المطلب الثاني: المقصود بالمنزلة لغة واصطلاحا ٣٩

المقصود بـ"المنـزلة" لغة ٣٩
المقصود بـ"ـالمنـزلة" اصطلاحاً ٣٩
المطلب الثالث: تعريف السلف لغة واصطلاحا ٤١
تحديد السلف بوقت معين ٤٢
المطلب الرابع: تعريف المخالفين لأهل السنة، وأقسامهم ٤٥
عموم أهل البدع لهم طريقان في رد النصوص ٤٥
طريقة أهل التخييل ٤٥
طريقة أهل التجهيل ٤٥
أهل التجهيل قسمان: المجهلة المفوضة، والمجهلة المؤولة ٤٦
المخالفون للسلف على وجه التفصيل أربعة أصناف ٤٧
المسلمون قسمان ٤٧
الباب الأول: حقيقة القرآن الكريم في نظر السلف ٤٩
الفصل الأول: القرآن الكريم كلام الله غير مخلوق ٥١
المبحث الأول: إثبات أن القرآن الكريم كلام الله تعالى ٥٣
وصف الله بالكمال ٥٣
ذم المعبودات الباطلة لأنها باطلة وموصوفة بالنقص ٥٤
الكلام صفة كمال ٥٤
المطلب الأول: الدليل على أن القرآن كلام الله ٥٧
المسألة الأولى: في إثبات الكلام لله تعالى ٥٧
معنى الكلام لغة ٥٧
المتكلم هو من قام به صفة الكلام ٥٧
الأدلة على أن الله متكلم: ٥٩
١/ ٢- إخباره تعالى أنه متكلم، وأن القرآن حديثه ٥٩

٣/ ٤-إضافة الكلام إليه تعالى، وورود اشتقاقاته ٦٠
سمع آدم وموسى ومحمد ـ صلوات الله عليهم ـ كلام الله بصوته ٦١
٥- ذكر مناداته ومناجاته ٦٢
٦/ ٧-ذكر إنبائه وقصصه ٦٣
ذكر أنواع الوحي ٦٣
٨- محاجة إبراهيم ﷺ لقومه ٦٤
٩- نفي تكليمه للمشترين بعهده ٦٤
١٠- الأدلة العقلية على إثبات الكلام لله تعالى: ٦٥
أ/ ث- كونه قادراً، كون الخرس عيباً، إرساله الرسل ٦٥
ج- الفطرة السليمة ٦٦
المسألة الثانية: إثبات أن القرآن الكريم كلام الله، وأنه غير مخلوق ٦٧
أولا: الأدلة من القرآن الكريم: ٦٨
١- قوله "كن" ٦٨
٢- آية الاستجارة ٦٨
٣- قوله: ﴿إِنِّيٓ أَنَا ٱللَّهُ رَبُّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ ٦٩
٤- قوله: ﴿سَأُصۡلِيهِ سَقَرَ﴾ ٦٩
٥- قوله: ﴿أَلَا لَهُ ٱلۡخَلۡقُ وَٱلۡأَمۡرُ﴾ ٧٠
٦- قوله: ﴿ فَإِذَا قَرَأۡتَ ٱلۡقُرۡءَانَ فَٱسۡتَعِذۡ ﴾ ٧٠
٧- قوله: ﴿ تَنزِيلُ ٱلۡكِتَٰبِ﴾ ٧١
٨- قوله: ﴿ قُل لَّوۡ كَانَ ٱلۡبَحۡرُ مِدَادٗا لِّكَلِمَٰتِ رَبِّي ﴾ ٧٢
٩- قوله: ﴿ ٱلرَّحۡمَٰنُ ۝١ عَلَّمَ ٱلۡقُرۡءَانَ ﴾ ٧٢
١٠- قوله: ﴿ تَنزِيلٞ مِّن رَّبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴾ ٧٢

١١- من السنة ٧٣
١٢- الإجماع ٧٣
١٣- الآثار السلفية: ٧٥
أ- قول الصديق ﷺ ٧٥
ب/ج- قول علي وابن عباس ﷺ ٧٦
د- قول عمرو بن دينار ٧٦
١٤- الأدلة من القياس ٧٧
أ- القرآن من علم الله ٧٧
ب- القول بخلق القرآن يدل على بطلان النبوة ٧٧
ج- صفات الله لا تكون مخلوقة ٧٧
د- لو قرأ إنسان لا يتكلم فقرأ القرآن لا يحنث ٧٨
١٥- تكفير السلف لمن زعم أن القرآن مخلوق ٧٨
١٦- ثبات أهل السنة في المحنة ٨٠
المطلب الثاني: القرآن الكريم من الله بدأ وإليه يعود ٨٣
المسألة الأولى: قول السلف (القرآن من الله بدأ) ٨٣
المعنى الأول: ٨٣
الإضافة إلى الله نوعان: ٨٦
المجرور بـمِن قسمان: ٨٦
لا يُفهَم الإنفصال في قولهم (منه بدأ) ٨٧
خروج الكلام لا يدل على مفارقة الصفة للموصوف ٨٩
المعنى الثاني: ٩٠
الأدلة على أن القرآن من الله بدأ ٩١
المسألة الثانية: قول السلف (وإليه يعود) ٩٢

المعنى الأول: ٩٢
المعنى الثاني: ٩٣
الأدلة على عود الكتاب ٩٣
الأدلة على عود الكتاب من السنة ٩٤
الأدلة على عود الكتاب من الآثار ٩٤
تأويل (العود) بالتلاوة لا يصح ٩٥
المطلب الثالث: تكليم الله بالقرآن وتعلقه بالمشيئة ٩٦
تنقسم الصفات باعتبار تعلقها بذات الله ومشيئته إلى قسمين: ٩٧
منشأ اضطراب الناس في مسألة الكلام ٩٨
المسألة الأولى: تعلق صفة (الكلام) بالذات ٩٩
وصفان لا بد من وضعهما في الأذهان ١٠٠
الأدلة على أن الله متكلم أزلاً ١٠١
المسألة الثانية: تعلق هذه الصفة بالمشيئة ١٠٤
قول السلف في الصفات الفعلية قائم على مقدمتين: ١٠٥
الأدلة على أن الله يتكلم متى شاء ١٠٥
تنبيهات: ١٠٩
١- هل يسمى كلاماً حديثاً ومحدَثاً؟ ١٠٩
٢- ماذا يعني قول السلف عن القرآن: إنه "قديم"؟ ١١٢
٣- وصف الله بالسكوت ١١٣
المسألة الثالثة: نفي التشبيه في الصفة ١١٤
١- الاشتراك العالم لا يلزم منه التشبيه ١١٥
الأدلة على نفي التشبيه في صفة الكلام ١١٦

٢- عدم الخوض في كيفية صفة التكلم ١١٨
المبحث الثاني: مسألة اللفظ بالقرآن ١١٩
المطلب الأول: بيان اللفظ والملفوظ ١١٩
(حاشية) بيان مصطلح اللفظية ١٢٠
المسألة الأولى: بيان الألفاظ المجملة في المسألة ١٢١
(١٠) ألفاظ مجملة في باب((مسألة اللفظ بالقرآن)) ١٢٢
المسألة الثانية: هل اللفظ هو الملفوظ أو غيره؟ ١٢٣
معنى ((اللفظ)) ١٢٣
لفظ ((الكتاب)) ١٢٤
لفظ ((القرآن)) ١٢٥
وجه الصواب في ((اللفظ، القراءة)) ١٢٧
وجه الصواب في ((الكتابة)) ١٢٨
الإجماع على أن المداد مخلوق ١٢٩
قولهم هذا ((عين كلام الله)) ١٣٠
عبارة ((هذا يحكي القرآن)) ١٣١
المسألة الثالثة: أسباب النزاع في مسألة اللفظ وبعض الفروق فيها ١٣١
١- عدم التفريق بين فعل الرب وفعل العبد ١٣١
٢- عدم التفريق بين السماع المباشر والسماع من المبلغ ١٣٢
٣- الغلو في النفي قابله غلو في الاثبات ١٣٥
٤- التنازع في مسمى الكلام ١٣٦
المطلب الثاني: موقف السلف من مسألة اللفظ ١٣٧
بيان ما أجمعوا عليه في هذا الباب ١٣٧
المسألة الأولى: الإنكار على من أطلق مسألة اللفظ ١٣٨

أوجه الإنكار في مسألة اللفظ: ١٣٨

١ - لأن مسألة اللفظ محدثة ١٣٨

٢- لكون مسألة اللفظ فيها إجمال ١٤٠

٣- لكون مسألة اللفظ ذريعة للقول بخلق القرآن ١٤٢

المسألة الثانية: الجمع بين أقوال الأئمة، وتوضيح مقاصدهم ١٤٣

الأول: لا تضارب بين أقوال الإمام أحمد في مسألة اللفظ ١٤٤

انتساب ((اللفظية المثبتة والنافية)) للإمام أحمد فيه نظر ١٤٧

الثاني: الغلط على الإمام البخاري ١٤٩

بطلان انتساب ((اللفظية)) للإمام البخاري ١٥١

اعتذار للأئمة ١٥٢

الفصل الثاني:بيان أن القرآن الكريم منزل على محمد ﷺ ١٥٨

المبحث الأول: وجوب الإيمان بنزول القرآن على نبينا محمد ﷺ ١٥٧

المطلب الأول: وجوب الإيمان بنزول القرآن على نبينا محمد ﷺ ١٥٧

المسألة الأولى: الأدلة على وجوب الإيمان بما أنزل على محمد ﷺ ١٥٩

المسألة الثانية: ذكر الأدلة على كون القرآن منزل على محمد ﷺ ١٦١

المطلب الثاني: كيف كان النبي ﷺ يتلقى الوحي بالقرآن ١٦٩

الصورة الأولى ١٧١

الصورة الثانية ١٧٣

الصورة الثالثة، والرابعة، والخامسة، والسادسة ١٧٦

الصورة السابعة ١٧٧

نزول القرآن بواسطة جبريل عليه السلام ١٧٨

مدة نزول الوحي ١٨٠

جبريل عليه السلام يأتي بالوحي المتلو وغير المتلو ١٨٠
المبحث الثاني: نزول القرآن الكريم ١٨١
المطلب الأول: سماع جبريل عليه السلام القرآن........ ١٨١
صفات جبريل عليه السلام: ينزل بإذن الله، الروح القدس ١٨١
أنه الروح الأمين ١٨٢
أنه ذو القوة الشديدة ١٨٣
أنه مكين مطاع........ ١٨٣
تلقي جبريلُ الوحيَ من الله عز وجل بالقرآن والأدلة عليه من الكتاب ١٨٥
الأدلة عليه من السنة ١٨٦
الدليل من الإجماع ١٨٧
المطلب الثاني: كيفية نزول القرآن ١٩٠
المسالة الأولى: نزول القرآن جملة إلى السماء الدنيا مع الأدلة ١٩٠
لم يُنكر أحد من السلف هذا النزول ١٩٢
(حاشية) بطلان نسبة إنكار هذا النزول إلى بعض السلف ١٩٢
الحكمة في هذا النزول ١٩٣
المسألة الثانية: نزول لقرآن على النبي صلى الله عليه وسلم منجما والأدلة على ذلك ١٩٤
الحكمة في نزول القرآن منجما ١٩٦
أ- تثبيت فؤاد النبي صلى الله عليه وسلم........ ١٩٦
ب- تيسير حفظه ١٩٦
ج- فضح قبائح المشركين والمنافقين ١٩٦
د- التحدي والاعجاز ١٩٧
هـ- التدرج في التشريع ١٩٧
دفع ما يتوهم من التعارض بين النـزولين ١٩٧

المبحث الثالث: معنى إنزال الله القرآن عند السلف ٢٠٠
المطلب الأول: معنى النزول لغة ٢٠٠
(حاشية) الفرق بين الإنزال والتنزيل ٢٠١
المطلب الثاني: معنى إنزال القرآن عند السلف ٢٠٣
لفظ الإنزال ورد في القرآن على ثلاثة أنواع ٢٠٤
١- نزول مقيد بأنه من الله تعالى ٢٠٤
٢- نزول مقيد بأنه من السماء ٢٠٥
٣- الإنزال المطلق ٢٠٦
وجود القرآن الكريم : ٢٠٨
١- وجوده في اللوح المحفوظ ٢٠٨
٢- وجوده عند الملائكة السفرة ٢٠٨
٣- وجوده في السماء الدنيا ٢٠٨
٤- وجوده في الدنيا بعد نزوله ٢٠٨
الحكمة في تعدد وجود القرآن ٢٠٩
الفصل الثالث: بيان أن القرآن الكريم متعبد به، وفيه مبحثان ٢١٠
المبحث الأول: معنى التعبد بالقرآن الكريم ٢١٣
المطلب الأول: تعريف التعبد لغة واصطلاحا ٢١٣
شروط قبول العبادة ٢١٥
المطلب الثاني: الأدلة على كون القرآن الكريم متعبدا به ٢١٨
١- أمر الله ورسوله بقراءته ٢١٨
٢- الأمر بتلاوته والعمل به ٢١٩
٣-الأمر بالاستماع إليه ٢١٩

٤-الحث على تدبره ٢٢٠
٥-أنه من أعظم الذكر ٢٢٠
٦- قراءة سبب للرحمة ٢٢٠
المبحث الثاني: صور التعبد بالقرآن الكريم ٢٢٢
المطلب الأول: التعبد بقراءته وتدبره ٢٢٢
المسألة الأولى: التعبد بقراءة القرآن الكريم وأدلة ذلك ٢٢٢
(حاشية) آداب الحافظ لكتاب الله ٢٢٣
الناس منقسمون في سماع القرآن الكريم إلى أربعة أصناف ٢٢٧
لم يعهد من السلف قراءة القرآن للغير ٢٢٨
قراءة القرآن عند القبور محدَث ٢٣٣
المسألة الثانية: التعبد بتدبر القرآن الكريم والأدلة على ذلك ٢٣٣
الأدلة على كون السلف فهموا القرآن ٢٣٦
فوائد التدبر في القرآن الكريم ٢٣٧
المطلب الثاني: التعبد بالعمل به والتحاكم إليه ٢٣٩
المسألة الأولى: التعبد بالعمل بالقرآن الكريم و الأدلة على ذلك ٢٣٩
اعتناء السلف بالعمل بالقرآن الكريم من وجوه ٢٤٣
حال المؤمن وغيره مع القرآن ٢٤٥
(حاشية) ليس من التعظيم جعل القرآن في أربطة ٢٤٦
المسألة الثانية: التعبد بتعلم القرآن الكريم وتعليمه ٢٤٦
قيام السلف الصالح بتعلم وتعليم القرآن على أكمل وجه ٢٤٨
المسألة الثالثة: التعبد بالتحاكم إلى القرآن، والأدلة على ذلك ٢٤٩
(حاشية) الحكم بغير ما أنزل الله ٢٥٢
اتباع حكم القرآن طريق السلامة والأمان ٢٥٤

التهديد والوعيد لمن اتبع غير القرآن المجيد ٢٥٥
المطلب الثالث: التعبد بالتداوي به ودفع الضر به ٢٥٨
كيف يكون التدواي بالقرآن عبادة؟ ٢٥٨
لا تُقاوم الأدواءُ كلامَ رب الأرض والسماء ٢٥٩
الدعاء من التطبب وهو عبادة ٢٦٠
حالات الدعاء مع البلاء ٢٦١
الطرق الشرعية للاستشفاء بالقرآن ٢٦٢
١ - التعبد بالرقية به ٢٦٢
(حاشية) أخذ الأجرة على الرقية ٢٦٣
شروط الرقية ٢٦٤
صور الرقية الشرعية بالقرآن ٢٦٥
أ/ ب/ ج- الرقية وحدها، النفق مع الرقية، التفل مع الرقية ٢٦٥
د/ هـ- خلط التراب مع الريق، الرقية مع مسح الجسد ٢٦٦
و- الرقية في الماء ٢٦٦
ز- كتابة بعض الآيات ثم غسلها وشربها ٢٦٨
التداوي بالقرآن من باب التطبب ٢٦٩
طلب الرقية خلاف الأولى ٢٦٩
الرقية المحرمة ٢٦٩
٢- أرشد القرآن الكريم إلى المحافظة على الأذكار ٢٧١
٣- امتثال أوامر القرآن واجتناب نواهيه ٢٧٢
٤- التمائم من القرآن واختلاف العلماء فيه ٢٧٢
(حاشية) تعريف التمائم ٢٧٢

لا يجوز الاستشفاء بالتمائم من القرآن ٢٧٣
الأدلة على منع التمائم من القرآن الكريم: ٢٧٣
١-لم يثبت عن النبي ﷺ ٢٧٣
٢- لم يثبت عن الخلفاء الراشدين ٢٧٣
٣- النهي عن التمائم عام ٢٧٤
٤-مُنعه سداً لباب الذرائع ٢٧٤
٥- لم يشرع أصل هذه الوسيلة ولا يقاس على الرقية ٢٧٥
٦- تعليق القرآن فيه إهانة له ٢٧٥
٧- تعليق التمائم من القرآن فيه نوع تعلق بها ٢٧٥
الفصل الرابع: بيان أن القرآن الكريم هو الموجود في المصحف ٢٧٧
المبحث الأول: بيان المراد بالمصحف ٢٧٩
المطلب الأول: تعريف المصحف لغة واصطلاحا ٢٧٩
المسألة الأولى: معنى المصحف لغة ٢٧٩
ورود لفظ "الصحف" في التنـزيل ٢٨٠
المسألة الثانية: معنى المصحف اصطلاحا ٢٨١
لا يطلق "المصحف" إلا على القرآن كله ٢٨٢
"المصحف" لفظ معروف عند السلف ٢٨٢
هل يصح أن يقال: "مُصَيحِف"؟ ٢٨٣
هل "المصحف" هو المكتوب أم المكتوب والمداد؟ ٢٨٣
المطلب الثاني: ذكر(٦٠)اسما من أسماء(المصحف) القرآن الكريم ٢٨٥
(حاشية) تسمية غير القرآن مصحفاً ٢٨٥
كثرة الأسماء والصفات تدل على شرف القرآن الكريم ٢٨٥
المصحف ٢٨٦

تسميته بـ"ـمصحف عثمان" ٢٨٦

القرآن ٢٨٦

(حاشية) هل يقال: (قرآن الله) ؟ ٢٨٦

(حاشية) تسمية الكتب السابقة "قرآناً" ٢٨٦

ورد (١٦) وصفاً للقرآن ٢٨٧

الفرقان ٢٩٠

الكتاب ٢٩٠

ورد (١٩) وصفاً للكتاب ٢٩١

الهدى ٢٩٣

النور، الروح، الشفاء ٢٩٤

البيان، البينات، الآيات، الموعظة ٢٩٥

الرحمة، البصائر، البلاغ، التنزيل، المنَزَّل، الصراط المستقيم ٢٩٦

الذكر، الذكرى، التذكرة، البشرى ٢٩٧

البشير، المهيمن، المصدق، التبيان ٢٩٨

المفصل، الفصل، كلام الله، الكريم، المجيد، العزيز، المبين، العلي، المبارك ٢٩٩

القيم، حبل الله، المتشابه، المثاني، الحكيم، المحكم، الحكمة ٣٠٠

الحكم، البرهان، العلم، الحق، الوحي، النبأ العظيم، النظير، أحسن الحديث ٣٠١

أحسن القصص، الشافع، المشفع، الشاهد، الحجة، القول، العروة الوثقى ٣٠٢

القصص، الصدق، العدل ٣٠٣

(حاشية) لا يصح تسميته بـ"آلَمَ" من وجوه ٣٠٣

(حاشية) تسميته بـ(ـالزبر) ٣٠٣

(حاشية) تسميته بـ(ـالزبور) ٣٠٤

(حاشية) تسميته بـ(ـالإنجيل) ٣٠٤
تمسية القرآن ليس لكل أحد ٣٠٤
المطلب الثاني: الدليل على أن ما في المصحف هو القرآن ٣٠٥
الأدلة من القرآن ٣٠٥
الأدلة من الآثار ٣٠٦
الدليل من الإجماع ٣٠٩
أقوال أئمة العلم: ٣١٠
(محمد بن الحسن، أحمد بن حنبل، ابن عبد البر، ابن حزم، البيهقي) ٣١٠
(البغوي، السمعاني، الباقلاني) ٣١١
(السرخسي، أبي يعلى، النووي، ابن قدامة، القرطبي) ٣١٢
(شيخ الإسلام، ابن القيم، الزركشي) ٣١٣
(البعلي، ابن حجر) ٣١٤
الأدلة العقلية، ويتبين ذلك بستة وجوه ٣١٤
الوجه الأول والثاني: ٣١٤
الوجه الرابع إلى السادس: ٣١٥
المسألة الأولى: هل البسملة آية من القرآن إذ كتبت في المصحف ٣١٦
قولهم: لو كانت البسملة قرآناً لكفر جاحدها! جوابه من وجهين ٣١٦
الأقوال في كون البسملة من القرآن طرفان ووسط ٣١٧
المسألة الثانية: حكم ترتيب آيات المصحف ٣١٨
الخلاف في ترتيب السور ٣١٨
ترتيب الآيات أمر لازم ٣١٩
المسألة الثالثة: التعاشير والتخاميس في المصحف ٣٢١
المبحث الثاني: ما يخالف المصحف هل يقال عنه قرآن؟ ٣٢٢

المطلب الأول: بيان المراد بقوله تعالى: ((إنه لفي زبر الأولين)) ٣٢٢
الذي في زبر الأولين ليس هو القرآن والدليل عليه من (٦) وجوه ٣٢٣
الموجودات (٤) أنواع ٣٢٤
المطلب الثاني: ما يروى من الأحرف هل يقال عنه قرآن ٣٢٦
(حاشية) المراد بـ"ـالأحرف" لغة واصطلاحاً ٣٢٦
المسألة الأولى: ما يروى من الأحرف موافقا للمصحف ٣٣٣
(حاشية) هل المصحف مشتمل على الأحرف كلها أو بعضها؟ ٣٢٨
(حاشية) هل في المصحف أخطاء إملائية؟ ٣٢٨
شروط القراءة الصحيحة ٣٢٨
ما صح من القراءات فهو من القرآن ٣٢٩
(حاشية) من هم القراء السبعة؟ ٣٣١
المسألة الثانية: ما يروى من الأحرف مخالفا للمصحف ٣٣٣
(حاشية) تعريف القراءة الشاذة ٣٣٣
يقال للشواذ قراءات باعتبار الرواية ٣٣٣
أحكام متعلقة بالأحرف ٣٣٦
المطلب الثالث: حكم القراءة بما يخالف المصحف ٣٣٧
الأدلة على وجوب الاتباع في القراءة ٣٣٧
المسألة الأولى: قراءة القرآن منكسا ٣٣٨
ترتيب آيات السور ٣٣٩
المسألة الثانية: قراءة ما ثبت عن بعض الصحابة مخالفا للرسم ٣٤٠
ما ثبت سنداً فهو قسمان: ٣٤١
ما خالف المصحف من الأحرف والأوجه المروية عن الصحابة لايكون قرآنا ٣٤٣

المطلب الرابع: الحلف بالمصحف ٣٤٧
الحلف يكون بالله وبأسمائه وصفاته ٣٤٧
الحلف بغير الله منهي عنه ٣٤٨
ما ورد من الحلف بغير الله في القرآن ٣٤٨
الحلف على المصحف فيه قولان: ٣٤٩
(بحق المصحف) ليس بحلف ٣٥١
المبحث الثالث: بيان منزلة الترجمة والتفسير من القرآن ٣٥٢
المطلب الأول: هل الترجمة اللفظية من القرآن الكريم؟ ٣٥٢
الترجمة لغة لها (٤) معانٍ ٣٥٢
تفسير القرآن وتوضيحه جائز بالاتفاق ٣٥٣
(حاشية) الواجب على المفسرين ٣٥٣
أقسام الترجمة ٣٥٤
(حاشية) الفرق بين الترجمة اللفظية والتفسيرية ٣٥٤
(حاشية) الترجمة والتفسير على (٣) طبقات ٣٥٤
غرضين أساسيين من أجلهما نزل القرآن ٣٥٥
الترجمة الحرفية غير ممكنة ٣٥٦
الترجمة لا يقال عنها قرآن أبداً، والأدلة على ذلك ٣٥٧
اتفق العلماء على أن القراءة في غير الصلاة بغير العربية تحرم مطلقا ٣٦٠
حكم القراءة في الصلاة بغير العربية ٣٦٠
المطلب الثاني: هل يقال إن التفسير من القرآن؟ ومعنى التفسير ٣٦٤
طرق التفسير، وأحسنها التفسير بالمأثور ٣٦٤
من أشهر ما كتب في التفسير بالمأثور ٣٦٤
التفاسير لا تغني عن القرآن ٣٦٥

المبحث الرابع: وجوب تعظيم المصحف ٣٦٧
المطلب الأول: الدليل على وجوب تعظيمه ٣٦٧
التعظيم يكون بما ورد في الشرع ٣٦٧
من صور التعظيم: ٣٦٨
عدم تمكين الكافر من مسِّه، منعه قراءته على الجنب والحائض ٣٦٨
حكم مسّ المصحف للمحدِث ٣٦٩
الاستخفاف بالمصحف كفر ٣٧٠
تعظيم المصحف بوضعه في حرير ونحوه ٣٧٠
ومن تعظيمه أن لا يوضع فوقه شيء، ولا يتوسد ٣٧١
القيام للمصحف ٣٧٢
تحلية المصحف ٣٧٣
حكم إحراق المصحف للضرورة ٣٧٣
المطلب الثاني: حكم الدخول بالمصحف في الأماكن النجسة ٣٧٥
هل يجوز حمل المصحف إلى بلاد الكفر ٣٧٥
الفصل الخامس: بيان أن القرآن آية لنبينا محمد ﷺ ٣٧٩
المبحث الأول: تعريف الآية وكون القرآن معجز ٣٨١
المطلب الأول: تعريف الآية لغة واصطلاحا ٣٨١
التعريف الجامع المانع ٣٨٣
أجناس الآيات ثلاثة ٣٨٤
إطلاقاتها القرآنية ٣٨٤
الآية هي الآيات المتلوة ٣٨٥
إطلاق الآية على الآيات المخلوقة ٣٨٥

آية تدل على الله تعالى ٣٨٥
آية تدل على صدق النبي ﷺ ٣٨٦
آية تدل على الشرع ٣٨٦
الآيات المتلوة ٣٨٦
الآيات المشاهدة ٣٨٧
الآيات قد تكون صغرى وكبرى ٣٨٧
تطلق الآيات مضافة إلى الله تعالى وغير مضافة ٣٨٧
إطلاق الآية على العلامة ٣٨٨
إطلاق الآية على السورة ٣٨٨
المطلب الثاني: الدليل على كون القرآن آية ٣٨٩
المطلب الثالث: الدليل على كون القرآن معجزا ٣٩٥
أولا: معنى المعجز ٣٩٥
ثانيا: بيان الأدلة التي تدل على أن القرآن معجز من أوجه مختلفة ٣٩٦
أن الله تحدى الخلق أن يأتوا بمثله، ثم تحداهم بعشر سور ٣٩٧
تحداهم أن يأتوا بسورة من مثله ٣٩٨
لم تقع المعارضة للقرآن الكريم ٣٩٩
(حاشية) فإن قيل: عورض ولم ينقل؟ فالجواب من(٥)أوجه ٣٩٩
(حاشية) مسيلمة وابن الراوندي والمعري والكندي حاولوا المعارضة ففشلوا ٣٩٩
إخباره بالغيوب ٤٠٠
الغيوب الماضية، والمستقبلية ٤٠١
تطابق أخبار القرآن ٤٠٢
حفظ الله له، وكونه خارجا عن قدرات الثقلين ٤٠٣
أن الذي يبلغه للناس أمي لا يقرأ ولا يكتب ولم يتعلم ٤٠٤

تعدد وجوه إعجاز القرآن ٤٠٥
المبحث الثاني: أوجه الإعجاز في القرآن الكريم ٤٠٧
المطلب الأول: كون القرآن معجزا لفظا وتركيبا ٤٠٧
الإعجاز في الإيجاز ٤٠٨
مايَزَ القرآنُ كلامَ النبيِّ وكلامَ العربَ ٤٠٨
ليس في القرآن كلمة لا معنى له ٤٠٨
ذُكِرَتْ أحرف الهجاء في أول السور إعجازاً ٤٠٨
خطأ من ظن أن في القرآن ما ليس له معنىً ٤٠٩
الإعجاز في التركيب ٤١٠
عجائب تناسب القرآن ٤١٠
(حاشية) من أنكر التناسب ٤١١
يكشف الإعجاز في اللفظ والتركيب أمران: ٤١١
من عجائب تركيب القرآن ٤١٢
الآية الواحدة آية وإن كان التحدي وقع بسورة ٤١٣
المنع من القراءة المنكسة لكونها تخالف الإعجاز ٤١٤
إنكار الإعجاز في اللفظ غير مأثور عن السلف ٤١٥
تكرار اللفظ في القرآن ٤١٥
البلاغة مبنية على ثلاثة أنواع من العلوم ٤١٦
المطلب الثاني: كون القرآن معجزا بلاغة وبيانا ٤١٧
علم البيان ثلاثة أنواع ٤١٧
قصة أنيس الغفاري ﵁ توضح فهمه لإعجاز القرآن ٤١٩
من البيان: الكنايات الجميلة ٤١٩

الاستعارات البليغة ٤٢٠

التشبيه الفصيح ٤٢٠

من البلاغة في البديع: الطباق ٤٢٠

اللف والنشر ٤٢١

الجناس اللفظي ٤٢١

المطلب الثالث: كون القرآن معجزا علما وتشريعا ٤٢٢

إخباره بالغيبيات ٤٢٢

(حاشية) عدم اخضاع القرآن للنظريات ٤٢٢

المعجزات العلمية الطبية ٤٢٣

إعجازه في التشريع ٤٢٣

الباب الثاني: حقيقة القرآن الكريم في نظر المخالفين ٤٢٥

الفصل الأول: اختلافهم في تعريف القرآن الكريم ٤٢٧

تمهيد: وفيه بيان(٥) أمور: ٤٢٩

١-اضطراب المخالفين ٤٢٩

٢-عدد الأقوال المختلفة للمخالفين في مسألة القرآن ٤٣٠

٣-طريقة عد هذه الأقوال ٤٣٠

الأقوال (٩) في مسألة القرآن ٤٣٠

يمكن عد الأقوال(٧)باعتبار ٤٣٢

يمكن عد الأقوال(٦) باعتبارين ٤٣٣

يمكن عد الأقوال(٣) بأربعة اعتبارات ٤٣٣

(حاشية) وجه الاختلاف في عد الأقوال ٤٣٣

يمكن عد الأقوال قولين جملة ٤٣٤

٤-سبب ضلال الفرق ومنشأ نزاعهم ٤٣٤

السبب الأول: ٤٣٤
السبب الثاني، والثالث: ٤٣٥
السبب الرابع: ٤٣٦
٥-وصف المخالفين في هذا الباب ٤٣٦
(حاشية) في الجوهر والحيز ٤٣٦
المبحث الأول: القول بالفيض، معنى الفيض لغة واصطلاحا ٤٣٨
سبب القول بالفيض يرجع لأمرين: ٤٤٠
القائلون بالفيض: ٤٤١
١- الفلاسفة المنتسبون للاسلام ٤٤١
٢- ابن سينا يرى أن الله لا يصدر عنه فعل باختياره!؟ ٤٤٢
٣- منافحة ابن رشد الحفيد عن الفلاسفة ٤٤٣
٤- الكلام عند ابن رشد فعلٌ ٤٤٣
(حاشية) موافقة ابن رشد للأشعرية ٤٤٤
٥- قول ابن عربي الحلولي بالفيض ٤٤٤
اختلافهم في الفيض، وهل هو مخلوق؟ ٤٤٥
٦- قول الغزالي بالفيض ٤٤٥
٧- مذهب الرازي في الفيض ٤٤٥
شبههم والرد عليها: ٤٤٦
الشبهة الأولى، والجواب عنها من (٧)أوجه ٤٤٦
الشبهة الثانية، والرد عليها من (٦)أوجه ٤٤٨
الشبهة الثالثة، والرد عليها من (٤)أوجه ٤٤٩
(حاشية) تعريف "العرض" ٤٤٩

الشبهة الرابعة، والجواب عنها من (٣)أوجه ٤٥٠
الشبهة الخامسة، والجواب عنها من (٩) أوجه ٤٥١
المبحث الثاني: **القول بالحلول في القرآن الكريم** ٤٥٥
معنى هذا القول ٤٥٥
سبب القول بالحلول ٤٥٦
نقل أقوال المتقولين بأن القرآن يحل في المخلوقين ٤٥٦
١- القائلون بالحلول المطلق ٤٥٦
قول بعضهم بصحة الصلاة بالشعر!؟ ٤٥٨
قول الحلولية في أفعالهم بأنها أفعال الله!؟ ٤٥٩
قول الحلولية بأن كل مسموع هو كلام الله!؟ ٤٦٠
٢- القائلون بحلول صوت الرب في العبد دون الحلول الكلي ٤٦١
قول بعض السالمية ٤٦١
(الاقترانية) بعض أتباع الأئمة ٤٦٢
شبهات الحلولية في مسألة القرآن والرد عليها ٤٦٢
الشبهة الأولى، والجواب عنها من (٨) أوجه ٤٦٣
الشبهة الثانية: والجواب عنها من (٧) أوجه ٤٦٥
(حاشية) الجهميات الأربع التي اشتهرت أيام الإمام أحمد ٤٦٧
الشبهة الثالثة: والجواب عنها من (٧) أوجه ٤٦٩
الفهم الخاطئ لبعض المتنسبين إلى السنة في هذه المسألة وبيانها ٤٧٠
سبب وقوعهم في الخطأ يعود إلى سببين: ٤٧١
اضطراب الحلولية في مسألة القرآن ٤٧٢
الواجب أمر العامة بالنص والإجماع ٤٧٣
المبحث الثالث: **القول بخلق القرآن** ٤٧٥

معنى هذا القول، سبب ظهوره ٤٧٥
القائلون به: ٤٧٧
١- قول الخوارج الأولين ٤٧٩
٢- قول بعض المرجئة ٤٧٩
٣- قول ابن عربي الحلولي ٤٨٠
٤- قول ابن رشد الحفيد ٤٨٠
٥- قول الرازي ٤٨١
٦- الأشاعرة والماتريدية ٤٨١
٧- (حاشية) قول الجويني ٤٨١
شبهاتهم والرد عليها، أولا: الشبهات العقلية ٤٨٢
الشبهة الأولى، والجواب عنها من (٣) أوجه ٤٨٢
الشبهة الثانية، والجواب عنها من (٣) أوجه ٤٨٣
الشبهة الثالثة، والجواب عنها من (٨) أوجه ٤٨٤
الشبهة الرابعة، والجواب عنها من وجهين ٤٨٦
الشبهة الخامسة، والجواب عنها من (٤) أوجه ٤٨٧
ثانيا: أهم الشبهات النقلية لهم، والجواب عنها ٤٨٨
الشبهة الأولى، والجواب عنها من (٥) أوجه ٤٨٨
الشبهة الثانية، والجواب عنها من وجهين ٤٩٠
الشبهة الثالثة، والجواب عنها من ثلاثة أوجه ٤٩١
الشبهة الرابعة، والجواب عنها من (٥) أوجه ٤٩٢
الشبهة الخامسة، والجواب عنها من وجهين ٤٩٤
الشبهة السادسة، والجواب عنها من (٤) أوجه ٤٩٥

الشبهة السابعة، والجواب عنها من (٦) أوجه........ ٤٩٦
بيان فساد قول المعتزلة في القرآن باللوازم من (٦) أوجه........ ٤٩٨
المبحث الرابع: القول بأن القرآن حكاية أو عبارة عن كلام الله........ ٥٠١
معنى هذا القول........ ٥٠١
سبب ظهور هذا القول........ ٥٠٣
القائلون بالعبارة والحكاية:........ ٥٠٥
أولا: شبهاتهم العقلية والرد عليها........ ٥٠٧
الشبهة الأولى، والجواب عنها بـ(١٨) وجها........ ٥٠٧
الشبهة الثانية، والجواب من (٦) أوجه........ ٥١٦
الشبهة الثالثة، والجواب عنها من (٧) أوجه........ ٥١٨
الشبهة الرابعة، والجواب عنها بـ(١٤) وجها........ ٥٢٢
الشبهة الخامسة، والجواب عنها بـ(٣) أوجه........ ٥٢٦
الشبهة السادسة، والجواب عنها بـ(٥) أوجه........ ٥٢٧
(حاشية) القول في النقط والشكل بدعة القرن السادس........ ٥٢٧
ثانيا: شبهاتهم النقلية:........ ٥٢٨
الشبهة الأولى، والجواب عنها بـ(٥) أوجه........ ٥٢٨
الشبهة الثانية، والجواب عنها بـ(١٠) أوجه........ ٥٣٠
ثمانية لوازم فاسدة مترتبة على قول الكلابية والأشاعرة والماتريدية........ ٥٣٣
ما يذكرونه مِن أن القرآن كلام الله لا ينفي قولهم بخلق القرآن مِن(٣)أوجه........ ٥٣٦
المبحث الخامس: القول بأزلية القرآن:........ ٥٣٩
معنى هذا القول........ ٥٣٩
سبب ظهوره........ ٥٤٠
القائلون بهذا القول........ ٥٤١

شبهاتهم والرد عليها: ٥٤٣
الشبهة الأولى، والجواب عن ذلك من (١٤) وجها ٥٤٣
(حاشية) تقلبات ابن عربي الحلولي ٥٤٥
الشبهة الثانية، والجواب عنها من وجهين ٥٤٨
الشبهة الثالثة، والجواب عن ذلك من وجهين ٥٤٩
بيان مفاسد مترتبة على قول القائلين بأن القرآن تكلم الله به أزلا ٥٤٩
المبحث السادس: القول بأن الله تكلم بعد أن لم يكن متكلما ٥٥١
معنى هذا القول، سببه ٥٥١
القائلون به ٥٥٢
شبهاتهم والرد عليها: ٥٥٣
الشبهة الأولى، والرد عليها بـ(٥) أوجه ٥٥٣
الشبهة الثانية، والرد عليها بـ(٦) أوجه ٥٥٤
الشبهة الثالثة، والرد عليها بـ(٥) أوجه ٥٥٦
بيان لوازم فاسدة لقول الحدوثية ٥٥٧
المبحث السابع: القول بالتوقف في القرآن: ٥٥٨
معنى هذا القول ٥٥٨
سبب نشأة هذا القول، القائلون به ٥٥٩
الواقفة ثلاثة أصناف ٥٦٠
شبهتهم، والرد عليها بـ(٦) أوجه ٥٦١
بيان لوازم فاسدة مترتبة على قول الواقفة ٥٦٣
المبحث الثامن: ابتداع مسألة اللفظ بالقرآن: ٥٦٥
معناه، سبب ظهوره ٥٦٥

القائلون بهذا القول ٥٦٧
١-الجهمية ٥٦٧
٢-الأشعرية ٥٦٧
٣-الفراء ٥٦٧
٤-آخرون ٥٦٧
(حاشية) بطلان نسبة هذا القول للإمام ابن أبي حاتم ٥٦٨
شبهاتهم، والرد عليها: ٥٦٨
شبهة اللفظية النافية، والرد عليها بـ(٨) أوجه ٥٦٨
الشبهة الأولى للفظية المثبتة، والرد عليها بـ(٥) أوجه ٥٧٢
الشبهة الثانية للفظية المثبتة، والرد عليها بثلاثة أوجه ٥٧٣
مما يدل على فساد قول اللفظية أمور ٥٧٤
الفصل الثاني: قول المخالفين في نـزول القرآن على نبينا محمد ﷺ ٥٧٧
المبحث الأول: في نـزول القرآن الكريم ٥٧٩
المطلب الأول: نفيهم سماع جبريل القرآن من رب العزة ٥٧٩
شناعة قول الحلولية والفلاسفة في الإنزال ٥٧٩
زعمهم حفظ القرآن من غير تعلم ٥٨٠
قول الفلاسفة بعدم علم الله للجزئيات!؟ ٥٨٠
قول الغزالي: صاحب الرياضة قد يسمع كلام الله!؟ ٥٨١
قول الفلاسفة: الملائكة أمور متخيلة! والجواب عن ذلك بـ(٨)أوجه ٥٨٢
يلزم على قول الأشعرية أن جبريل لم يسمع القرآن من الله ٥٨٥
اختلاف المتكلمين في الذي أُنزِل من رب العالمين!؟ ٥٨٦
قالوا: نزل القرآن من اللوح المحفوظ، والجواب عن ذلك بـ(٥)أوجه ٥٨٧
(حاشية) نزول القرآن إلى السماء لا يخالف سماع جبريل القرآن ٥٨٨

(حاشية)الروايات التي فيها نزول القرآن من اللوح إلى النبي كلها ضعيفة.......... ٥٨٨
المطلب الثاني: معنى نـزول القرآن عند المخالفين، وشبههم:.......... ٥٩١
لا يثبتون لله علواً؛ فكيف يثبتون إنزال القرآن!؟.......... ٥٩١
الفلاسفة ليس عندهم شيء ينزل من السماء.......... ٥٩١
تصريح ابن رشد بأن الشريعة لا تصح إلا بإثبات نزول القرآن.......... ٥٩٢
غلاة الصوفية وموقفهم من إنزال القرآن.......... ٥٩٣
الذي نزل على النبي ﷺ هو لفظ جبريل عند الأشاعرة والماتريدية.......... ٥٩٣
تأويل المتكلمين للإنزال الوارد للقرآن لسببين:.......... ٥٩٤
تأويلهم الإنزال الوارد في القرآن، والرد عليهم بـ(٦) أوجه.......... ٥٩٤
قالوا: النـزول بمعنى الخلق؟ والرد عليهم بـ(٤) أوجه.......... ٥٩٦
قالوا: النـزول بمعنى الإعلام؟ والرد عليهم بثلاثة أوجه.......... ٥٩٧
قالوا: النـزول معناه أنه من علو، وأنه يحط إلى أسفل ولا يصح إطلاقهما على القرآن، والجواب عن ذلك من(٦) أوجه.......... ٥٩٨
المبحث الثاني: قول بعض الرافضة في نـزول القرآن الكريم.......... ٦٠١
بغض بعضهم لجبريل عليه السلام.......... ٦٠١
زعم بعضهم أن عليا يُعَلِّمُ النبي ﷺ.......... ٦٠٢
بيان فساد هذا القول وكفره.......... ٦٠٢
زعم الباطنية منهم أن القرآن وحيٌ سلمان.......... ٦٠٢
مفاسد قول هؤلاء الرافضة.......... ٦٠٣
الفصل الثالث: قول المخالفين في التعبد بالقرآن الكريم.......... ٦٠٥
المبحث الأول: التعبد بمجرد القراءة.......... ٦٠٧
حال أهل البدع من القرآن:.......... ٦٠٧

حال الخوارج مع القرآن ٦٠٨
عدم عمل الخوارج بالقرآن ٦٠٩
طرب الصوفية لسماع الأناشيد ٦١٠
زعم بعضهم أن الأناشيد أنفع من القرآن!؟ ٦١١
قول الإمام الشافعي في المنشدِين ٦١١
خشوع غلاة الصوفية عند القبور دون القرآن ٦١١
الأناشيد تصُدّ عن القرآن ٦١٢
سماع القرآن مع الدف وآلات اللهو كفرٌ ٦١٤
طرب أهل الكلام لعلومهم ٦١٤
وقوع المخالفين للسلف في أنواع من هجر القرآن ٦١٥
بيان تحرج المخالفين من القرآن كما ذكره ابن القيم ٦١٥
تحرج بعضهم من قراءة سورة "المسد" ٦١٦
حفظ بعض المخالفين وخشوعهم للقرآن ٦١٧
قراءات المخالفين لا توافق الشرع المبين ٦١٧
قراءة التنكيس، والقراءة الجماعية، والرد عليهم بـ(٤)وجوه ٦١٧
القراءة بالإدارة، والأسواق ٦١٩
قراءات خاصة بدعية في التروايح، وصبح الجمعة ٦٢٠
قراءة وسماع سورة الكهف يوم الجمعة في المسجد من قارئ معين ٦٢١
قراءة الفاتحة عند عقد الزواج ٦٢١
الاستئجار لقراءة القرآن للأموات ٦٢١
القراءة للأموات، والرد على من قال بوصول ثوابها بـ(١١)وجها ٦٢١
القراءة الملحنة ٦٢٤
الصعق والشهق عند القراءة ٦٢٥

القراءة عند القبور ٦٢٧
القراءة للدنيا ٦٢٨
زعمهم أن فهم القرآن صعب ٦٢٩
قراءتهم بالشواذ ٦٢٩
المبحث الثاني: التعبد بالتبرك به ٦٣١
بيان صور تبركات المخالفين للسلف بالقرآن ٦٣٢
جعل القرآن بدلا عن الكلام ٦٣٢
كتابة القرآن على الحيطان والجدران ٦٣٣
كتابة القرآن للحروز، وتجويزهم التمائم ٦٣٤
(حاشية) التمائم من القرآن ٦٣٥
القراءة على الميت ٦٣٦
(حاشية) أحاديث في القراءة على الميت لا تصح ٦٣٦
الاستدلا بـ((اقرؤوا يس على موتاكم)) والرد من(٤)أوجه ٦٣٧
قراءة الفاتحة وخواتيم سورة البقرة على الميت لا تصح ٦٣٧
تبركهم بتقبيل المصحف تعبدا ٦٣٨
وضع المصحف على القبر تبركاً ٦٣٩
احضار القراء عند العزاء ٦٣٩
أخذهم الفأل من المصحف ٦٣٩
الفصل الرابع: قول المخالفين في كون القرآن آية لنبينا محمد ﷺ ٦٤٣
المبحث الأول: قول المعتزلة بأن العرب صرفوا عن الإتيان بمثله ٦٤٥
التعريف بالصرفة ٦٤٥
القائلون بالصرفة ٦٤٥

يحصل الإعجاز ولو على القول بالصرفة تَنَزُّلاً ٦٤٦
الرد على القائلين بالصرفة بـ(٦) أوجه ٦٤٧
المبحث الثاني: صور الإعجاز عند المخالفين ٦٥٠
قول الصوفية والفلاسفة ٦٥٠
قول ابن رشد بأن الإعجاز في التشريع؛ فهذا حق وباطل ٦٥٢
قول المعتزلة والرافضة والقائلين بالكلام النفسي ٦٥٣
هل الاعجاز في اللفظ أو المعنى عند المتكلمين؟ ٦٥٤
(حاشية) كيف يكون القرآن معجزاً لفظاً والعجم لا تفهمه؟ ٦٥٤
زعمهم أن المعجزات لا توصل إلى معرفة النبي!؟ ٦٥٥
خطأ من حصر معرفة الأنبياء بالمعجزات ٦٥٦
عدم تفريق المتكلمين بين الخوارق الشيطانية والمعجزات ٦٥٦
على قول الأشاعرة والماتريدية لا يستقيم الاعجاز ٦٥٧
الاستدلال للاعجاز بكون القرآن حجة ٦٥٧
اختراع المخالفين لبعض المعجزات ٦٥٨
الباب الثالث: منـزلة القرآن الكريم عند السلف ٦٥٩
الفصل الأول: بيان فضل القرآن الكريم، ووجوب تعظيمه ٦٦١
المبحث الأول: فضل القرآن الكريم ٦٦٣
المطلب الأول: الأدلة في بيان فضل القرآن الكريم ٦٦٣
المطلب الثاني: مفاضلة القرآن الكريم بعضه على بعض ٦٦٩
تحرير محل النـزاع أن الخلاف في المقروء نفسه لا في القراءة ٦٦٩
ذِكْر(٢١) دليلا على تفاضل القرآن الكريم ٦٦٩
القول بعدم تفاضل القرآن مبني على القول بالكلام النفسي ٦٧٤
التفاضل يلزم منه النقص!؟ وجواب هذه الشبهة ٦٧٦

المطلب الثالث: حكم تفضيل غير القرآن على القرآن ٦٧٨
الأدلة على عدم جواز تقديم غير القرآن على القرآن ٦٧٨
المبحث الثاني: تعظيم القرآن الكريم ٦٨٥
المطلب الأول: الدليل على وجوب تعظيمه ٦٨٥
لا يخالف التعظيم إسماع الكافر شيئاً منه ٦٨٨
ذِكْرُ جملة أمور تدل على التعظيم ٦٨٩
المطلب الثاني: حكم الاستهزاء بالقرآن ٦٩٠
الدليل على أن المستهزئ بالقرآن يكفر ٦٩١
ذِكْرُ بعض صور الاستهزاء ٦٩١
المطلب الثالث: حكم التبرك بالقرآن الكريم ٦٩٣
الأدلة على أن القرآن مبارك ٦٩٣
(حاشية) في معنى التبرك ٦٩٣
جملة من البركات التي يمكن تلمسها من القرآن الكريم ٦٩٤
المطلب الرابع: خصائص القرآن الكريم ٦٩٧
الفصل الثاني: طريقة السلف في فهم القرآن والاحتجاج به ٧٠٣
المبحث الأول: طريقة أهل السنة في فهم القرآن ٧٠٥
المطلب الأول: الاستغناء بالوحي ٧٠٥
الأدلة على أن في الوحي غنية عما سواه ٧٠٧
المطلب الثاني: تلازم القرآن والسنة ٧١٩
فَرْضُ الله في كتابه على وجهين: ٧٢٠
الأدلة على وجود التلازم بين القرآن والسنة ٧٢٠
اتفاق السلف على وجوب العمل بالسنة ٧٢٥

أمثلة على التلازم بين الكتاب والسنة ٧٢٦
المطلب الثالث: حمل القرآن على الحقيقة ٧٢٩
(حاشية) فرية على الإمام أحمد أنه أول ثلاث آيات ٧٢٩
(حاشية) معاني التأويل ٧٢٩
المجاز ٧٣٠
معنى الحقيقة لغة واصطلاحاً ٧٣١
وجوب حمل النص على الحقيقة ٧٣٢
أدلة وجوب حمل القرآن على الحقيقة، وذكر (١١) وجها ٧٣٣
إنكار السلف للتأويلات ٧٣٥
المطلب الرابع: حمل القرآن على الظاهر ٧٣٨
معنى الظاهر ٧٣٨
ذِكْرُ (١٤) دليلا على وجوب حمل القرآن على الظاهر ٧٣٩
(حاشية) مثال على ما زعمه بعض الرافضة أنه خلاف الظاهر ٧٤٠
شروط جواز صرف النصوص عن ظواهرها ٧٤٢
(حاشية) مسألة قرب الله، وهل هو على الظاهر!؟ ٧٤٢
تنبيهات: المقصود بإجراء النص على ظاهره عند المفوضة والمتَخَيِّلَة ٧٤٤
ذِكر مثالين لوجوب إجراء النص على الظاهر اللائق به ٧٤٥
المطلب الخامس: الاستعانة بفهم السلف الصالح في فهم القرآن ٧٤٧
لماذا أُمِرنا باتباع السلف؟ ٧٤٧
قول عمر بن عبد العزيز ٧٤٨
قول عباد الخواص ٧٤٩
(حاشية) قول ابن الماجشون ٧٤٩
قول أبي الحسن الأشعري في طوره السلفي ٧٥٠

قول الحافظ ابن رجب ٧٥٠
ذكر أحد عشر دليلا على وجوب اتباع السلف الصالح: ٧٥١
الرد على قول من زعم: أن طريقة الخلف أعلم وأحكم ٧٥٦
أمور تدل على أن طريقة السلف أسلم وأعلم وأحكم ٧٥٨
المبحث الثاني: حجية القرآن عند السلف ٧٦١
المطلب الأول: حجية القرآن في العقائد وذكر أنواع الأدلة على ذلك ٧٦١
النوع الأول: الأدلة القرآنية نفسها ٧٦١
النوع الثاني: الأدلة النبوية ٧٦٤
النوع الثالث: دليل الإجماع ٧٦٥
النوع الرابع: أقوال علماء المسلمين ٧٦٦
النوع الخامس: الأمثلة على اشتمال القرآن للأدلة العقائدية ٧٦٨
(حاشية) في معنى الصفاتية ٧٦٩
النوع السادس: أدلة عقلية على أن القرآن مشتمل على الدلائل العقدية بـ(١١) وجها ٧٧١
(حاشية) في معنى البديهيات ٧٧٢
النوع السابع: دفع الشبه للدلالة على أن القرآن مشتمل على الدلائل ٧٧٦
المتشابه والتفصيل فيه ٧٧٧
المطلب الثاني: كون القرآن مصدر التشريع ٧٨٢
ذكر ثمانية أوجه للدلالة على أن القرآن مصدر التشريع ٧٨٣
المطلب الثالث: نسخ القرآن للكتب السابقة، ذكر الكتب السابقة ٧٨٥
(حاشية) معنى النسخ ٧٨٥
ذكر الأدلة على نسخ القرآن للشرائع السابقة ٧٨٦
الموقف من الكتب السابقة وأنه لا يخلو من أمرين: ٧٨٧

(حاشية) اتفاق الكتب على التوحيد ٧٨٨
ذكر الأدلة على نسخ القرآن للكتب السابقة ٧٨٩
النسخ ليس بداءً ٧٩٠
المطلب الرابع: وجوب اعتقاد أن القرآن لا ينسخ بعد انقطاع الوحي ٧٩٣
ما يقع فيه النسخ، وأقسام النسخ ٧٩٤
النسخ في القرآن الكريم على ثلاثة أقسام ٧٩٥
نفي كل أنواع النسخ للقرآن بعد وفاة النبي ﷺ ٧٩٦
وضع عيسى ﵇ الجزية في آخر الزمان ليس نسخاً ٧٩٧
الفصل الثالث: جهود السلف في حفظ القرآن ٨٠١
المبحث الأول: عناية السلف بالقرآن ٨٠٣
المطلب الأول: حفظ القرآن في الصدور ٨٠٣
الحفاظ بلغوا حدَّ التواتر ٨٠٥
(حاشية) الحفاظ من الصحابة ٨٠٦
أقام السلفُ القرآنَ حرفاً ومعنىً ٨٠٧
تعاهد السلف للقرآن ٨٠٨
(حاشية) لا يصح دعاء في حفظ القرآن ٨٠٨
المطلب الثاني: كتابة القرآن الكريم ٨١٠
المسألة الأولى: كتابة القرآن في عهد النبي ﷺ ٨١٠
(حاشية) كُتَّابُ النبي ﷺ ٨١١
المسألة الثانية: كتابة القرآن الكريم في عهد الصديق ﵁ ٨١٣
توجيه قول زيد ﵁: (أنه لم يجد آخر آيتين) ٨١٤
المسألة الثالثة: كتابة القرآن في عهد عثمان ﵁ ٨١٥
أسباب تولي زيد ﵁ لكتابة المصحف ٨١٦

مراعاة ما تم في كتابة القرآن في عهد عثمان رضي الله عنه ٨١٨
المسألة الرابعة: المحافظة على الرسم العثماني ٨٢٠
مراعاة الرسم لستة أمور ٨٢١
تنقيط المصحف وتشكيله ٨٢٣
كراهة بعضهم التعشير ٨٢٤
الاتباع في رسم المصحف ٨٢٥
المسألة الخامسة: كتابة القرآن الكريم بالأحرف الأعجمية ٨٢٦
منع ذلك لأمور (٨) ٨٢٦
ما ورد أن سلمان رضي الله عنه كتب الفاتحة بالفارسية ٨٢٨
المطلب الثالث: اهتمام السلف بعلوم القرآن ٨٢٩
اهتمامهم بتفسيره ٨٣٠
اهتمامهم بقراءاته ٨٣٣
اهتمامهم بعلوم أخرى تابعة له ٨٣٤
العلوم المضافة إلى القرآن الكريم قسمان: ٨٣٥
اهتمام الأمة بالقرآن فوق التصور ٨٣٦
المطلب الرابع: اهتمام أهل السنة بالقرآن في العصر الحديث ٨٣٨
وجوه اهتمام الدولة السعودية بالقرآن متعددة: الدستور ٨٣٩
التعليم ٨٤٠
الجمعيات الخيرية، المسابقات القرآنية ٨٤١
إنشاء إذاعة القرآن ٨٤٢
طباعة المصاحف والتفاسير وكتب السلف، والأشرطة القرآنية ٨٤٣
تحفيظ القرآن لأبناء المسلمين ٨٤٤

كليةٌ للقرآن الكريم ٨٤٥
المبحث الثاني: نهي السلف عن المراء في القرآن والتكلف في القرآن ٨٤٧
(حاشية) معنى المِرَاء ٨٤٧
المسألة الأولى: نهي السلف عن المراء في القرآن الكريم ٨٤٧
المجادلة في كتاب الله أربعة أقسام: واحد ممدوح، وثلاثة مذمومة ٨٤٩
من المراء عدم العمل بالقرآن ٨٥٠
المسألة الثانية: نهي السلف عن التكلف في القرآن ٨٥٢
الباب الرابع: منـزلة القرآن الكريم عند المخالفين للسلف ٨٥٣
الفصل الأول: منـزلته عند الفلاسفة ٨٥٥
مدخل: وفيه ذكر (١٣) مسألة لبيان ما اجتمع عليه المخالفون ٨٥٧
المبحث الأول: التعريف بالفلاسفة ٨٦٣
المطلب الأول: التعريف بالفلاسفة ٨٦٣
المطلب الثاني: بيان أقسام الفلاسفة ٨٦٦
أقسام الفلاسفة من حيث بلدانهم فهم (٥) أصناف ٨٦٦
أقسام الفلاسفة من حيث العقائد فهم قسمان ٨٦٧
(حاشية) من أشهر فلاسفة المسلمين ٨٦٧
فلاسفة المسلمين لهم ثلاثة مناهج ٨٦٨
المبحث الثاني: عدم تعظيم الفلاسفة للقرآن ٨٧٠
الأدلة على عدم تعظيمهم للقرآن: ٨٧٠
تسميتهم علومهم براهين وحججا!! ٨٧٠
قولهم بقدم العالم، وأن الجنة والنار أمور خيالية!! ٨٧٢
سخريتهم من العبادات ٨٧٥
تسويتهم بين الرسول والفيلسوف!! ٨٧٥

تأويلاتهم الفاسدة للقرآن ٨٧٦
سعيهم الجمع بين الشرع والفلسفة ٨٧٧
إظهارهم تعظيم القرآن لاعتبارات أخرى ٨٧٧
المبحث الثالث: عدم رجوع الفلاسفة إلى القرآن والصدور عنه في العقائد ٨٧٩
عدم جزمهم بها في القرآن ٨٧٩
إيجابهم التأويل على الخاصة ٨٨٠
زعمهم أن القرآن لم يأت ببراهين!! والرد عليهم بـ(١٠)أوجه ٨٨١
ظنهم أن القرآن يدل على التشبيه، والرد عليهم ٨٨٦
الفلاسفة تركوا الاحتجاج بالقرآن لظنهم أنه تخييل، والرد عليهم بـ(١٣)وجهاً ... ٨٨٧
الفصل الثاني: منـزلة القرآن الكريم عند غلاة الصوفية ٨٩٣
المبحث الأول: التعريف بمن سلك هذا المسلك ٨٩٥
أولاً: اشتقاق كلمة "الصوفي" ٨٩٥
الاشتقاق الأكبر والأوسط والأصغر ٨٩٨
ثانيا: المراد بالصوفية اصطلاحا ٨٩٩
ما يجمع الصوفية منهجيّاً ٩٠٠
تقسيم الصوفية بحسب بدعهم إلى قسمين: ٩٠٢
المبحث الثاني: أقوال الصوفية في الظاهر والباطن ٩٠٤
تفضيلهم الباطن على الظاهر ٩٠٦
من أقوالهم في الباطن ٩٠٧
شبهاتهم النقلية في الظاهر والباطن، والجواب عنها بـ(١٤)وجها ٩٠٨
الفصل بين الظاهر والباطن باطل من وجوه متعددة ٩١٣
ادعاؤهم بعدم وجوب حمل النصوص على ظاهرها، والجواب عنه من وجوه ٩١٤

قالوا: ورد الظاهر والباطن لاختلاف أذواق الناس، والجواب عنه ٩١٦
شبهة نقلية، والجواب عنها ٩١٧
قالوا: إن الأنبياء لم يعلموا الباطن لانشغالهم بالظاهر، وأن الأنبياء جاؤوا لضبط العوام! ٩١٩
استدلالهم على الإلهام والكشف، وإبطال ذلك ٩٢٠
زعمهم أن الرب علموا ما جرى ليلة الإسراء بدون النبي!! ٩٢٠
استدلالهم بحديث أبي هريرة رضي الله عنه ((حفظت جرابين)) ٩٢١
احتجاجهم بقصة موسى عليه السلام مع الخضر ٩٢١
قولهم باختصاص علي رضي الله عنه بعلم خاص ٩٢٢
زعمهم أن التكاليف الشرعية مرفوعة عن الواصلين ٩٢٢
زعمهم أنهم يأخذون بالمكاشفة ٩٢٤
ذم ابن عقيل الصوفيةَ من وجوه ٩٢٥
حدوث التصوف وفرقهم ٩٢٦
قولهم: إن في الشريعة أسرارا!! ٩٢٧
ادعاؤهم الغيب والكرامات ووقوع بعضهم في الحلول والاتحاد ٩٢٨
المبحث الثالث: استخفافهم بظاهر القرآن، والرد عليهم ٩٣١
أمثلة لبيان استخفافهم بظاهر القرآن ٩٣٢
تحريفهم لنصوص القرآن ٩٣٣
اعتمادهم على التفسير الكشفي والإشاري ٩٣٨
استخفافهم بظاهر النصوص ٩٣٨
استخفافهم بالعلم ٩٤٩
المبحث الرابع: عدم تعظيم الصوفية للقرآن ٩٤١
أمثلة على ذلك من كلامهم ٩٤١

زعم بعضهم أن القرآن لا يدرك به الأمور العقدية ٩٤٥
عدم اهتمام الصوفية بالقرآن، وله صور ٩٤٦
إعراضهم عن القرآن واهتمامهم بالأناشيد ٩٤٩
زعم الغزالي أن السماع الصوفي أفضل من قراءة القرآن في التأثير من سبعة أوجه! ٩٥١
زعم الغزالي أن الذكر أفضل من القرآن للواصل!! ٩٥٣
المبحث الخامس: عدم اعتمادهم عليه في باب العقائد ٩٥٥
اعتمادهم على الكشف!! والرد عليهم من (٨) أوجه ٩٥٦
اعتمادهم على كتب المشايخ ٩٥٨
اعتمادهم على الذوق والسماع ٩٦٠
أهم العظائم عند الصوفية ٩٦٢
الفصل الثالث: منزلة القرآن الكريم عند الرافضة ٩٦٣
المبحث الأول: التعريف بالرافضة: ٩٦٥
الرافضة لغة ٩٦٥
سبب تسمية الرافضة بالرافضة ٩٦٦
المراد بالرافضة اصطلاحا ٩٦٦
بماذا يصح الرفض عند الرافضة؟ ٩٦٧
أول من ابتدع الرفض ٩٦٨
أشهر فرق الرافضة ٩٦٨
المبحث الثاني: عقيدتهم في القرآن ٩٧٠
موافقة بعضهم للمعتزلة في أن القرآن مخلوق ٩٧٠
من أشد ما تميز به الرافضة قولهم: إن القرآن محرف ٩٧١
طعن الرافضة في نقلة القرآن ٩٧٢

نصوصهم التي تدل على أن القرآن محرف عندهم ٩٧٤
قولهم (المصحف كامل)، ماذا يريدون به؟ ٩٧٥
(حاشية) لماذا لا يكفرون القائلين بتحريف القرآن ٩٧٦
الكلام القاطع الدال على اعتقادهم تحريفَ القرآن ٩٧٦
(حاشية) كتاب فصل الخطاب ٩٧٧
اعتراف صاحب كتاب"فصل الخطاب"أن الرافضة متفقين على التحريف ٩٧٨
من أنكر التحريف فذلك تقية ٩٨٠
القرآن على الترتيب المرضي عند الله ٩٨٠
تقسيم الأشعري الروافضَ في القول في القرآن ٩٨٢
قول ابن حزم في الرافضة ٩٨٢
الجواب عن شبه الرافضة في تحريف القرآن، من (١٠)أوجه ٩٨٣
زعمهم أن أهل السنة يقولون بالتحريف!!والرد عليهم بـ(٦)أوجه ٩٨٨
زعمهم أن الصحابة كتبوا القرآن بشهادة رجل واحد،والرد عليهم بثلاثة أوجه ٩٩٢
المبحث الثالث: عدم تعظيم الرافضة للقرآن الكريم ٩٩٤
الأوجه الدالة على عدم تعظيم الرافضة للقرآن الكريم: ٩٩٥
زعمهم التحريف ٩٩٥
إعمالهم بالتحريف في القرآن الكريم ٩٩٥
قولهم في أبي بكر وعمر رضي الله عنهما ٩٩٧
تقديمهم أقوال الأئمة على القرآن ٩٩٨
زعمهم بوجود مصحف فاطمة ٩٩٨
فتحهم الباب أمام أعداء الإسلام ٩٩٨
هجر الرافضة للقرآن ٩٩٨
مخالفاتهم العقدية للقرآن ٩٩٩

اتهامهم أم المؤمنين، والصديق، وعمر رضي الله عنهم ١٠٠٠
زعمهم أن الحسين مثل القرآن ١٠٠٢
وزعمهم أن للقرآن ظاهرا وباطنا ١٠٠٢
عدم اهتمامهم بالقرآن ١٠٠٣
عدم اهتمام الرافضة بعلوم القرآن ١٠٠٤
المبحث الرابع: عدم اعتمادهم عليه في باب العقائد ١٠٠٦
يرون أن الحجة هو الإمام المعصوم ١٠٠٧
اعتمادهم على كتبهم، ومنها مصحف فاطمة!! ١٠٠٨
ما لزم الروافض من الشناعات لعدم اعتمادهم على القرآن ١٠٠٩
موقف الرافضة من السنة أشد وأنكى ١٠١٠
الفصل الرابع: منزلة القرآن عند الباطنية ١٠١٣
المبحث الأول: التعريف بالباطنية ١٠١٥
أسماؤهم وفرقهم ١٠١٥
ذكر سبعة أمور اتفقت عليها الباطنية ١٠١٩
المبحث الثاني: اعتقاد الباطنية عدم انقطاع الوحي ١٠٢٣
(حاشية) لا يُرى اللهُ تعالى في الدنيا ١٠٢٥
وصف الباطنية كتبهم بأوصاف القرآن ١٠٢٦
ثناء القونوي على مِلِك التتار ١٠٢٨
زعمهم عدم ختم النبوة ١٠٢٨
الأدلة على ختم النبوة في الرد على الباطنية ١٠٢٩
المبحث الثالث: اعتقاد الباطنية في القرآن ١٠٣٢
المطلب الأول: أن القرآن منسوخ، ولا يعمل به!! ١٠٣٢

المطلب الثاني:أن القرآن للعرب خاصة!والرد عليه بـ(٧) أدلّة ١٠٣٥
المطلب الثالث: تحريف الباطنية النصوص ١٠٣٨
المبحث الرابع: استهانة الباطنية بالقرآن ١٠٤٣
المطلب الأول: استخفاف الباطنية بالقرآن ١٠٤٣
تأويلات الباطنية ١٠٥٠
المطلب الثاني:عدم اعتمادهم على القرآن الكريم ١٠٥٥
المطلب الثالث: تفضيلهم غير القرآن على القرآن ١٠٦٢
جعل كتبهم كالقرآن ١٠٦٤
المطلب الرابع: حفظ الباطنية لكتبهم المزعومة ١٠٦٨
الفصل الخامس: **منـزلة القرآن الكريم عند أهل الكلام** ١٠٧١
المبحث الأول: **التعريف بأهل الكلام** ١٠٧٣
سبب هذه التسمية ١٠٧٥
المراحل التي مر بها أهل الكلام ١٠٧٦
أشهر فرق أهل الكلام ١٠٧٧
الأمور التي تجمع أهل الكلام ١٠٧٨
أهل الكلام باعتبار نفي الصفات قسمان: ١٠٨١
اتفاق السلف على ذم أهل الكلام ١٠٨٢
المبحث الثاني: **عدم تعظيم أهل الكلام للقرآن** ١٠٨٤
الدليل على عدم تعظيم أهل الكلام للقرآن ١٠٨٥
مقارنتهم بين القرآن والنبي!؟ ١٠٩٠
اعتقادهم أن السلف لم يفهموا القرآن ١٠٩٤
ضربهم الآيات القرآنية بعضها ببعض ١٠٩٧
سبب إعراض المتكلمين عن القرآن ١٠٩٨

تفسير المتكلمين القرآن بالظن والهوى ١١٠١
تحريفاتهم للنصوص ١١٠٢
المبحث الثالث: جعل أهل الكلام القرآن فرعا في باب الاعتقاد ١١٠٦
السمعيات عندهم لا تفيد اليقينيات!؟ ١١٠٧
مصدر التلقي عند أهل الكلام ١١٠٩
خُلُوّ كتب المتكلمين من النصوص ١١١١
إهمال المتكلمين أساس دعوة القرآن وهو التوحيد ١١١٢
القرآن مشتمل على الهدى التام وبيان ذلك بـ(١٦) وجها ١١١٤
المبحث الرابع: بيان عدم حفظ أهل الكلام للقرآن ١١٢١
الفصل السادس: منـزلة القرآن عند بعض المعاصرين: العقلانيين، والقرآنيين ١١٢٥
المبحث الأول: العقلانيون ١١٢٧
المطلب الأول: التعريف بالعقلانيين ١١٢٧
العقلانيون صنفان ١١٢٨
أهم رموز المدرسة العقلية ١١٣١
المطلب الثاني: منـزلة القرآن الكريم عند العقلانيين ١١٣١
الأدلة على عدم تعظيمهم للقرآن الكريم ١١٣٨
اشتمال القرآن على السعادة ١١٣٨
المبحث الثاني: منكروا السنة (القرآنيون) ١١٤٠
المطلب الأول: التعريف بالقرآنيين ١١٤٠
دعوات ظهرت لنبذ السنة مرات ١١٤٠
ظهور دعوة باسم (القرآنيين) ١١٤٢
من أسباب ظهور هذه الفرقة ١١٤٣

فِرَق القرآنيين ١١٤٣
دعوى منكري السنة والرد عليهم ١١٤٤
المطلب الثاني: منـزلة القرآن الكريم عند منكري السنة القرآنيين ١١٥٠
إظهارهم تعظيم القرآن ١١٥٠
ادعاؤهم زوراً أنهم أهل القرآن ١١٥١
مخالفاتهم لتشريعات القرآن ١١٥١
الأدلة على عدم تعظيمهم للقرآن ١١٥٢
الخاتمة ١١٥٧
الفهارس ١١٦٥
فهرس المصادر والمراجع ١١٦٧
فهرس الموضوعات ١٢١٩